

هو المالك
من الاء الله الى عبده الفقير الى الله
عفا الله عنه





٤٤٧



بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله أولًا حمدًا كثيرًا متواليًا وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين، وأصلي على رسوله ثانيًا صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين، وأستخيره تعالى ثالثًا فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في إحياء علوم الدين، وأنتدب لقطع تعجبك رابعًا أيها العاذل المتغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف في التقريع والإنكار من بين طبقات المنكرين الغافلين، فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلًا عن مراسم الخلق ومال ميلًا عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعًا في نيل ما تعبده الله عز وجل به من تزكية النفس وإصلاح القلب، وتداركًا لبعض ما فرط من إضاعة العمر يأسًا عن تمام التلافي والجبر، وانحيازًا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه، ولعمري لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر، والجهل بأن الأمر إِدٌّ، والخطب جد، والآخرة مقبلة، والدنيا مدبرة، والأجل قريب، والسفر بعيد، والزاد طفيف، والخطر عظيم، والطريق سد، وما سوى الخالص لوجه الله تعالى من العلم والعمل عند الناقد البصير رد، وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد، فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وقد شغر عنهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان، واستغواهم الطغيان، وأصبح كل واحد منهم بعاجل حظه مشغوفًا فصار يرى المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، حتى ظل علم الدين مندرسًا، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمسًا، ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين بها القضاة على فصل الخصام عند تهارش الطغام، أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام، أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام، إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاث مصيدة للحرام وشبكة للحطام، فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله تعالى في كتابه فقهًا وحكمة وعلمًا وضياء ونورًا وهداية ورشدًا فقد أصبح من بين الخلق مطويًا وصار نسيًا منسيًا، ولما كان هذا ثلمًا في الدين ملمًّا وخطبًا مدلهمًّا رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهمًّا إحياءً لعلوم الدين، وكشفًا عن مناهج الأئمة المتقدمين، وإيضاحًا لمباهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين، ولقد أسسته على أربعة أرباع وهي: ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات، وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لأكشف أولًا عن العلم الذي تعبد الله عز وجل الأعيان بطلبه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إذ قال طلب العلم فريضة على كل مسلم، وأميز فيه العلم النافع عن الضار إذ قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع، وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب.

ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب: كتاب العلم، وكتاب قواعد العقائد، وكتاب أسرار الطهارة، وكتاب أسرار الصلوات، وكتاب أسرار الزكوات، وكتاب أسرار الصيام، وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة القرآن، وكتاب الأذكار والدعوات، وكتاب الأوراد في الأوقات.

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب آداب الكسب، وكتاب الحلال والحرام، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السفر، وكتاب السماع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة.

وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس، وكتاب آفة الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج، وكتاب آفة اللسان، وكتاب آفة الغضب والحقد والحسد، وكتاب ذم الدنيا، وكتاب ذم المال والبخل، وكتاب ذم الجاه والرياء، وكتاب ذم الكبر والعجب، وكتاب ذم الغرور.

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب التوبة، وكتاب الصبر والشكر، وكتاب الرجاء والخوف، وكتاب الفقر والزهد، وكتاب التوحيد والتوكل، وكتاب المحبة والشوق والرضا، وكتاب النية والصدق والإخلاص،

وكتاب المراقبة والمحاسبة، وكتاب التفكر، وكتاب ذكر الموت وما بعده.

فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه، وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهيات.

وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها، وهي مما لا يستغني المتدين عنها.

وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس وتطهير القلب منه، وأذكر في كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها تتعرف ثم طرق المعالجة التي بها يتخلص كل ذلك مقرونًا بشواهد الآيات والأخبار والآثار.

وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين، وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب، وثمرتها التي منها تستفاد، وعلامتها التي بها تتعرف، وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب، مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل، ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتبًا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور:

الأول: حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه. الثاني: ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه. الثالث: إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه. الرابع: حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه. الخامس: تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلًا، إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه أو لا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراده في الكتب أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف، فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويًا لمجامع هذه العلوم، وإنما حملني على تأسيس الكتاب على أربعة أرباع أمران:

أحدهما وهو الباعث الأصلي أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري، لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وإلى علم المكاشفة، وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط، وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به، والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين، وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء عليهم السلام مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه، وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال علمًا منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال، والعلماء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء. ثم علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعني العلم بأعمال الجوارح، وإلى علم باطن أعني العلم بأعمال القلوب، والجاري على الجوارح إما عادة وإما عبادة، والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم، فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن، والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة، والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى محمود ومذموم، فكان المجموع أربعة أقسام، ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام.

الباعث الثاني: أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله تعالى للتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات، وهو مرتب على أربعة أرباع، والمتزيي بزي المحبوب محبوب، فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفًا في استدراج القلوب، ولهذا تلطف بعض من أراد استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعًا في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبًا لهم إلى المطالعة، والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التلطف في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد، فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد، فأين منه الطب الذي يعالج به الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآماد، فنسأل الله تعالى التوفيق للرشاد والسداد، إنه هو الكريم الجواد.

كتاب العلم

وفيه سبعة أبواب: الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم. الباب الثاني في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم، وبيان حد الفقه والكلام في علم الدين، وبيان علم الآخرة من علم الدنيا. الباب الثالث فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منه، وبيان جنس العلم المذموم وقدره. الباب الرابع في آفات المناظرة

وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل. **الباب الخامس** في آداب المعلم والمتعلم. **الباب السادس** في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة. **الباب السابع** في العقل وفضيلته وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار.

الباب الأول

في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل. فضيلة العلم شواهدها من القرآن قوله عز وجل شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم. فانظر كيف بدأ سبحانه عز وجل بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا. وقال عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات. وقال ابن عباس رضي الله عنه للعلماء فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام. وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. وقال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء. وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب. وقال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به تنبيها على أنه اقتدر عليه بقوة العلم. وقال تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم. وقال تعالى ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقايع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله تعالى. وقال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون. وقيل في قوله عز وجل يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى أي الحيا. وقال عز وجل ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم. وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم. وقال تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم. وقال تعالى خلق الإنسان علمه البيان وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان.

الأخبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده. وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء ومعلوم أن لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف العلم الوراثة لتلك الرتبة. وقال صلى الله عليه وسلم يستغفر للعالم ما في السموات وما في الأرض وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له. وقال عليه السلام إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى. وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تكونان في منافق حسن سمت ولا فقه في الدين. ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فإنه ما أراد به الفقه الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه. وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برأته من النفاق والريا. وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الناس المؤمن العالم الذي إذا احتيج إليه نفع وإن استغني عنه أغنى نفسه. وقال صلى الله عليه وسلم الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم. وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل. وقال صلى الله عليه وسلم موت قبيلة أيسر من موت عالم. وقال صلى الله عليه وسلم الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا. وقال صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء. وقال صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة. وقال صلى الله عليه وسلم من حمل من أمتي أربعين حديثا لقي الله تعالى فقيها عالما. وقال صلى الله عليه وسلم من تفقه في دين الله كفاه الله تعالى همه ورزقه من حيث لا يحتسب. وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم. وقال صلى الله عليه وسلم العالم أمين الله في الأرض. وقال صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء. وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني إلى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع

شمس ذلك اليوم. وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة. وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وقال صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة. وقال صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه. وقال صلى الله عليه وسلم خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه. وقال صلى الله عليه وسلم إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل. وقال صلى الله عليه وسلم بين العابد والعالم مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة. وقيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال صلى الله عليه وسلم العلم بالله عز وجل فقيل أي الأعمال تريد فقال صلى الله عليه وسلم العلم بالله سبحانه فقيل نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم إن قليل العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل. وقال صلى الله عليه وسلم يبعث الله عز وجل العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم.

الآثار قال علي رضي الله عنه العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق. وقال رضي الله عنه أيضا العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه. وقال أيضا نظما

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقال أبو الأسود ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك. وقال ابن عباس خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه. وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي يأكل بدينه. ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هي العلم والإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فإن الجمل أقوى منه ولا بعظم جسمه فإن الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه ولا بأكله فإن الجمل أوسع بطنا منه ولا بجماعه فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم. وقال بعض الحكماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فاته من أدرك العلم. وقال فتح الموصلي أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا نعم قال كذلك القلب إذا منعت عنه الحكمة ثلاثة أيام يموت ولقد صدق فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل إحساس ألم الجراح في الحال وإن كان واقعا فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه وتحسر تحسرا ثم لا ينفعه وذلك كإحساس الآمن من خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. وقال الحسن يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء. وقال ابن مسعود عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه أن يهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وإن أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم. وقال ابن عباس تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلى الله من إحيائها وكذا عن أبي هريرة وأحمد بن حنبل. وقال الحسن في قوله عز وجل آتنا في الدنيا حسنة إن الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة هي الجنة. وقيل لبعض الحكماء أي الأشياء تقتنى قال الأشياء التي إذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم. وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت. وقال

وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار ۔ وقال
الشافعي رضي الله عنه من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح وان دفع عنه حزن ۔ وقال
عمر رضي الله عنه ايها الناس عليكم بالعلم فان لله تعالى رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه
فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به ذلك حتى يموت ۔ وقال الاحنف كاد
العلماء ان يكونوا اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل يصير ۔ وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني
مولاي بثلاثمائة درهم واعتقني فقلت باي حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى اتاني امير المدينة
زائرا فلم اذن له ۔ وقال الزبير بن بكار كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان
استغنيت كان لك جمالا وحكي ذلك في وصايا لقمان لابنه وقال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله
سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء ۔ وقال بعض الحكماء اذا مات العالم بكاه الحوت في
الماء والطير في السماء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره ۔ وقال الزهري العلم ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال

في فضيلة التعليم

اما الايات فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين
وقوله عز وجل فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون

واما الاخبار

فقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله تعالى به طريقا الى الجنة ۔ وقال صلى الله عليه وسلم ان
الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع ۔ وقال صلى الله عليه وسلم لان تغدو فتتعلم بابا من العلم
خير من ان تصلي مائة ركعة ۔ وقال صلى الله عليه وسلم باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ۔ وقال
صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ۔ وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين ۔ وقال
صلى الله عليه وسلم العلم خزائن مفاتيحها السؤال فسلوا فانه يوجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب
لهم ۔ وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ۔ وفي حديث ابي ذر حضور مجلس عالم افضل من
صلاة الف ركعة وعبادة الف مريض وشهادة الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القران فقال صلى الله عليه
وسلم وهل ينفع القران الا بالعلم ۔ وقال صلى الله عليه وسلم من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام
فبينه وبين الانبياء درجة في الجنة درجة واحدة

الاثار

قال ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالبا
فعززت مطلوبا ۔ وكذلك قال ابن ابي مليكة ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته رايت احسن الناس وجها واذا تكلم
فاعرب الناس لسانا واذا افتى فاكثر الناس علما ۔ وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى
مكرمة ۔ وقال بعض الحكماء اني لا ارحم رجلا كرحمتي لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم
ولا يطلب ۔ وقال ابو الدرداء لان اتعلم مسئلة احب الي من قيام ليلة ۔ وقال ايضا العالم والمتعلم شركان
في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم ۔ وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك ۔ وقال
عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو ۔ وقال عمر رضي الله عنه موت الف عابد قائم الليل والنهار
اهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه ۔ وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم افضل من النافلة ۔ وقال
ابن عبد الحكم كنت عند مالك رضي الله عنه اقرا عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي
قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت النية ۔ وقال ابو الدرداء من راى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد نقص
في رايه وعقله

في فضيلة التعليم

اما الايات فقوله عز وجل ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
يحذرون والمراد هو التعليم والارشاد ۔ وقوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتمونه وهو ايجاب للتعليم ۔ وقال تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ۔ وهو تحريم
للكتمان كما قال تعالى ومن يكتمها فانه اثم قلبه ۔ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اتى الله عالما علما الا اخذ
عليه من الميثاق ما اخذ على النبيين ان يبينه للناس ولا يكتمه ۔ وقال عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل
صالحا ۔ وقال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة ۔ وقال تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة

واما الاخبار

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا
وما فيها ۔ وقال صلى الله عليه وسلم من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين صديقا ۔ وقال
عيسى عليه السلام من علم وعمل فذاك يدعى عظيما في ملكوت السموات والارض ۔ وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم القيامة يقول الله عز وجل للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول
الله تعالى انتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعالم المتعدي بالتعليم
لا للازم الذي لا يتعدى ۔ وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤتيهم اياه ولكن
يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا رؤساء جهال ان سئلوا افتوا بغير علم
فيضلون ويضلون ۔ وقال صلى الله عليه وسلم من علم علما فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ۔ وقال
صلى الله عليه وسلم نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه
اياها فانها تعدل عبادة سنة ۔ وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله سبحانه
وما والاه او معلما او متعلما ۔ وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل وملائكته واهل السموات والارض
حتى النملة في جحرها والحوت في البحر ليصلون على معلم الخير ۔ وقال صلى الله عليه وسلم ما افاد المسلم اخاه
فائدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه ۔ وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها
ويعلمها خير من عبادة سنة ۔ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراى مجلسين احدهما يدعون الى
الله عز وجل ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسالون الله سبحانه ان شاء اعطاهم
وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم ۔ وقال صلى الله عليه
وسلم مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلاء
والعشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الماء فنفع الله عز وجل به الناس فشربوا منه وسقوا وزرعوا وكانت
منها بقعة لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني النافع والثالث للمحروم منهما ۔
وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به الحديث ۔ وقال صلى الله
عليه وسلم الدال على الخير كفاعله ۔ وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله عز وجل حكمة فهو
يقضي بها ويعلمها الحديث ۔ وقال صلى الله عليه وسلم على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال صلى الله عليه
وسلم الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله عز وجل

الاثار

قال عمر رضي الله عنه من
حدث حديثا فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل ۔ وقال ابن عباس معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر
وقد روي ان سفين الثوري قدم عسقلان فمكث لا يسأله انسان فقال اكروا لي لاخرج من هذا البلد هذا بلد
يموت فيه العلم ۔ وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به ۔ وقال عطاء دخلت على سعيد
ابن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال ليس احد يسألني عن شيء ۔ وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة
كل واحد منهم مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره ۔ وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم
اي بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية ۔ وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال
ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه ۔ وقال يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامة محمد صلى الله عليه وسلم من ابائهم
وامهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان اباهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الاخرة
وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر ۔ وقيل علم علمك من يجهل وتعلم
ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت ۔ وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في التعلم
والتعليم ورايته ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه
جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل
في السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به اقواما فيجعلهم
في الخير قادة هداة يقتدى بهم ادلة في الخير تقتص اثارهم وترمق افعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها
تمسحهم كل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه ودواب البر وانعامه والسماء ونجومها لان

العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار
والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه
يتورع وبه توصل الارحام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء

في الشواهد العقلية

اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد
منها ان تعلم ان وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال ۝ ولقد ضل عن الطريق من طمع ان يعرف ان لم يكن
زيدا حكيم ام لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهو الزيادة فاذا
تشارك شيئان في امر واختص احدهما بمزيد يقال له فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك
الشيء كما يقال الفرس افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة
العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل انه افضل لان تلك زيادة في الجسم
ونقصان في المعنى وليس من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه واذا فهمت
هذا لم يخف عليك ان العلم فضيلة لمن وجد به بالاضافة الى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة
في الفرس وليس فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في ذاته على الاطلاق من غير اضافة ۝ واعلم ان
الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لذاته ولغيره والى ما يطلب لغيره فقط
وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدنانير والدراهم فانهما حجران لا منفعة
بنا لهما في اعيانهما ولولا ان الله عز وجل يسر قضاء الحاجة بهما لكانا والحصباء بمنزلة واحدة ۝ واما
الذي يطلب لذاته فالسعادة في الاخرة والنظر الى وجه الله العظيم والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة لذاته
البدن فان سلامة الرجل مطلوبة من حيث انها سلامة عن الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب سلامة
والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته
وسيلة الى دار الاخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به واعظم
الاشياء رتبة في حق الادمي السعادة الابدية وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولا يتوصل
اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادات
في الدنيا والاخرة هو العلم فهو اذا افضل الاعمال وكيف لا تعرف فضيلة الشيء ايضا بشرف ثمرته وقدم
وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقارنة الملا الاعلى
هذا في الاخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى
ان اغبياء الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد
علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها
هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سياتي بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها ۝

واما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه
طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل وبيان ذلك ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا
نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الاخرة وهي الالة الموصلة الى الله تعالى لمن اتخذها
الة ومنزلا ولم يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الادميين ۝ واعمالهم وحرفهم
وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة اقسام **احدها** اصول لا قوام للعالم دونها وهي اربعة ۝ الزراعة
وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء وهي للمسكن والسياسة وهي للتاليف والاجتماع والتعاون
على اسباب المعيشة وضبطها **الثاني** ما هي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة
لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها ۝ وكالحلاجة والغزل
فانها تخدم الحياكة باعداد محلها **الثالث** ما هي متممة للاصول ومزينة لها كالطحن
والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام العالم الارضي مثل اجزاء الشخص

[illegible]

بالاضافة الى جملة الشخص فانها ثلاثة اضرب اما اصول كالقلب والدماغ والكبد واما خادمة لها كالمعدة
والعروق والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين و
اشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتاليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة
من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا تستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر
الصناع والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والاخرة على اربع مراتب
جميعا صح **الاولى** وهي العليا سياسة الانبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم
الثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على
باطنهم **الثالثة** العلماء بالله تعالى وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط
ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع ۝
الرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط واشرف هذه السياسات الاربعة بعد النبوة
افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة
المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعة
يعرف بثلاثة امور اما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على
اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع ۝ واما بالنظر الى عموم النفع
كفضل الزراعة على الصياغة ۝ واما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ
جلد صح محل احدهما الذهب ومحل الاخر الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق الاخرة انما تدرك
بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل اشرف صفات الانسان كما سياتي بيانه اذ به تقبل امانة الله عز وجل وبه
يصل الى جوار الله تعالى ۝ واما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الاخرة ۝ واما
شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود على الارض جنس الانس
واشرف جزء من جوهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته الى القرب
من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة الله عز وجل ومن وجه خلافة الله عز وجل وهو اجل
خلافة فان الله قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو
ماذون له في الانفاق منه على كل محتاج اليه فاية رتبة اجل من كون العبد واسطة بين الله سبحانه وبين خلقه
في تقريبهم الى الله تعالى زلفى وسياقتهم الى جنة الماوى

الباب الثاني

في العلم المحمود والمذموم واقسامهما واحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان
ان موقع الفقه والكلام من علم الدين الى اي حد هو وتفضيل علم الاخرة ۝ بيان العلم الذي هو فرض عين
قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ۝ وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا
عين صح العلم ولو بالصين ۝ واختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من
عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده
فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد وتعلم ذات الله سبحانه وصفاته ۝ وقال
الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل
وعنوا به ما يحتاج اليه الاحاد دون الوقائع النادرة ۝ وقال المفسرون والمحدثون هو علم
علمنا صح الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها ۝ وقال المتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم
هو علم العبد بحاله ومقامه من الله تعالى ۝ وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة
يجب صح الملك من لمة الشيطان ۝ وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك
وصرفوا اللفظ عن عمومه ۝ وقال ابو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام

وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس بيان أن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب. والذي ينبغي أن يقطع به المحصل ولا يسترب فيه ما نذكره وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة اعتقاد وفعل وترك فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالبحث والنظر وتحرير الأدلة بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان إذ اكتفى النبي صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم دليل فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عليه في الوقت تعلم الكلمة وفهمها وليس يلزمه في الوقت أمر وراء هذا بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله تعالى غير عاص وإنما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنه وتلك العوارض إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في الاعتقاد. أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة النهار إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة جميعا وإن كان صحيحا وكان بحيث لو صبر إلى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعليم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل ولا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والوقاع وأن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه تعلم زكاة الغنم وكذا في سائر الأصناف فإذا دخلت أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون علمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الإسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله فإن فعل ذلك نفل فعلمه أيضا نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج في علم سائر الأعمال التي هي فرض عين. وأما التروك فيجب علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف باختلاف حال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لابسا الحرير أو جالسا في غصب أو ناظرا إلى غير محرم فيجب تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه. وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فإن خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه تعالى مرئي وأنه تعالى ليس محلا للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الإسلام إجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يصان في أول بلوغه عن ذلك بتلقين الحق خشية سبق الباطل إلى قلبه فإنه لو ألقي إليه الباطل لوجب إزالته من قلبه

وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد الذي هو فيه معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا. فهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العمل الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين. وما ذكره الصوفية من فهم خاطر العدو ولمة الملك حق أيضا ولكن في حق من يتصدى له وإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا إليه وكيف لا يجب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات الحديث ولا ينفك عنها بشر وبقية ما نذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما يتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب وأكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني. ومما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى أخرى الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة فإنه بعد التصديق بكونه صلى الله عليه وسلم رسولا ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار وإذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد فهو في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو عن وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فإذا تبين أنه صلى الله عليه وسلم إنما أراد بالعلم المعرف بالألف واللام في قوله طلب العلم فريضة على كل مسلم علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج في وقت وجوبه.

في العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالإضافة إلى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة. والعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح فالمحمود ما ترتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة. أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين ولا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد عن الحجام لتسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله. وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه. وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات. وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراها.

أما العلوم الشرعية

وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة. أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات فهي على أربعة أضرب.

الضرب الأول الأصول وهي أربعة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة وآثار الصحابة. فالإجماع أصل من حيث إنه يدل على السنة فهو أصل في الدرجة الثانية. وكذلك الأثر فإنه يدل على السنة لأن الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل فأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من رآه ولا يليق بيانه بهذا الفن.

بها

الكلمتين وفهمهما

من

عليه

علم

وأما بيان

علي الصحة

الضرب الثاني الفروع وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول فاتسع
بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله صلى الله عليه وسلم لا يقضي القاضي وهو غضبان
أنه لا يقضي إذا كان حاقنا أو جائعا أو متألما لمرض وهذا على ضربين ۝ أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه
والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا ۝ والثاني ما يتعلق بالآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المذمومة
والمحمودة وما هو مرضي عند الله عز وجل وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب
الضرب الثالث المقدمات وهو الذي يجري منها مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فإنهما آلة لعلم كتاب الله
عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يلزم الخوض
فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة
آلة ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضروريا إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا ولو تصور
استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغني عن الكتابة ولكن صار لعجز في الغالب ضروريا

الضرب الرابع
المتممات وذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كعلم القراءات ومخارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير
فإن اعتماده أيضا على النقل إذ اللغة بمجردها لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام
والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول
السنة أيضا ۝ وأما المتممات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأساميهم وأسامي الصحابة وصفاتهم والعلم
بالعدالة في الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوي والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك
ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات ۝ فإن قلت فلم ألحقت الفقه
بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا ۝ فاعلم أن الله تعالى أخرج آدم من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين
ومن ماء دافق فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار
فهذا مبدؤهم وهذه غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل
لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم
واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به ۝ فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا
بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طرق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم
في الدنيا ۝ ولعمري إنه متعلق أيضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا
بالدنيا والملك والدين توأمان والدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك
والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الخصومات بالفقه وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين
في الدرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة
تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق إلى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج إلا بها شيء
ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك
ما روي مسندا لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف والأمير هو الإمام وقد كانوا هم المفتون والمأمور
نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى
حتى كان كل واحد منهم يحيل على صاحبه وما كانوا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض
الروايات بدل المتكلف المرائي فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال
فإن قلت هذا إن استقام لك في أحكام الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل
عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان الحلال والحرام ۝ فاعلم أن أقرب
ما يتكلم فيه الفقيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة ۝ الإسلام ۝ والصلاة ۝ والحلال ۝ والحرام ۝ وإذا تأملت
منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر
أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه ولا يلتفت فيه إلا إلى اللسان ۝ أما القلب فخارج

عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه
للذي قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذرا بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف
مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يرفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف
فإن السيف ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دام له رقبة ومال وذلك في
الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني
دماءهم وأموالهم ۝ جعل أثر ذلك في الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأقوال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها
وليس ذلك من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام والطب وكان خارجا عن فنه ۝ وأما الصلاة فالفقيه
يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلا في جميع صلاته من أولها إلى آخرها مشغولا بالتفكر في حساب
معاملاته في السوق إلا عند التكبير للإحرام وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ولكن
الفقيه يفتي بالصحة أي ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع عنه القتل أو التعزير ۝ وأما الخشوع وإحضار القلب
الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه ۝ وأما الزكاة فالفقيه ينظر
إلى ما يقطع مطالبة السلطان حتى إنه إذا امتنع فأخذ السلطان الزكاة منه قهرا حكم بأنه برئت ذمته ۝ وحكي أن أبا
يوسف كان يهب ماله لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها لإسقاط الزكاة فحكي لأبي حنيفة فقال ذلك من فقهه وصدق
فإن ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة أعظم من كل جناية ومثل هذا العلم هو الضار ۝ وأما الحلال والحرام فالورع
عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع مراتب ۝ الأولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج
بتركه الإنسان عن أهلية الشهادة والولاية والقضاء وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر ۝ الثانية ورع الصالحين
وهو التوقي من الشبهات التي تتقابل فيها الاحتمالات ۝ قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ۝ وقال
صلى الله عليه وسلم الإثم حزاز القلوب ۝ الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه إلى
الحرام ۝ قال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس وذلك مثل التورع عن التحدث
بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدي إلى
مقارفة المحظورات ۝ الرابعة ورع الصديقين وهو الإعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد
زيادة قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضي إلى حرام ۝ فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا
الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الإثم في الآخرة ۝ قال النبي
صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك ۝ والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها
بل فيما يقدح في العدالة فقط فإذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فإن تكلم في شيء من صفات القلوب
وأحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام
وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر ۝ وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول إن طلب هذا ليس من عدد
الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والإجارة والصرف
ومن تعلم هذه العلوم الأمور ليتقرب بتعاطيها إلى الله سبحانه فهو مجنون وإنما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات
والشرف هو علم تلك الأعمال ۝ فإن قلت فقد سويت بين الفقه والطب إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة
الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين ۝ فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق
فإن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه ۝ أحدها أنه علم شرعي أي مستفاد من النبوة بخلاف الطب فليس هو من علم الشرع ۝
والثاني أنه لا يستغني عنه أحد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض ۝ وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون
والثالث أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح ومصدر الأعمال ومنشؤها صفات القلوب
فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب
وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفات في المزاج والأخلاط وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فمهما أضيف الفقه
إلى الطب ظهر شرفه وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضا شرف علم الآخرة ۝ فإن قلت فصل لي علم الآخرة

تفصيلا لا يشير الى تراجمه وان لم يكن استقصاء تفصيله فاعلم انه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق وتسليمه لاهله وقال اخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه وهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة تنكشف في ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماءها ويتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فتتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وصفاته التامات وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والاخرة ووجه ترتيبه الاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله عز وجل كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملا الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدري في جوف السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات فبعضهم يقول ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعد الله لعباده الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله تعالى الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله تعالى وبعضهم يقول حد معرفة الله ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه موجود عالم قادر سميع متكلم فنعني بهذه المكاشفة ان يرتفع الغطاء حتى تتضح جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مراة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعني بعلم طريق الاخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المراة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله تعالى وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء في جميع احوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلالا فيه حقائقه ولا سبيل الى ذلك الا بالرياضة التي ياتي تفصيلها في موضعه وبالعلم والتعلم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله سبحانه عليه بشيء منها الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي الذي اراده صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله عز وجل فلا تحقروا عالما اتاه الله عز وجل علما فان الله عز وجل لم يحقره اذ اتاه اياه

القسم الثاني

وعلم المعاملة فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقائق هذه الامور الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب والصدق في الاخلاص فمعرفة حقائق هذه الاحوال وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود فذلك كله من علم الاخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله سبحانه في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء

وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس للفواحش ومنابت للاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمرتها وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الاخرة والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الاخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الاخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الاخرة ولو سالته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها ولو احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب في ذلك ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم في نفسه في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض كفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلله والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفاية فكم من بلد ليس فيها طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه ثم لا نرى احدا يشتغل به ويتهارون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر التوصل به الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعداء هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله المستعان واليه الملاذ في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان اهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وارباب القلوب كان الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويساله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسال هذا البدوي فيقول ان هذا وفق لما علمناه وكان احمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسالانه كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم لما قيل له كيف نفعل اذا جاءنا امر لا نجده في كتاب الله تعالى ولا في سنتك فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد قال لي السري شيخي اذا قمت من عندي فمن تجالس قلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار الى ان من حصل الحديث والعلم ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فان قلت لم لم تورد في اقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين انهما مذمومان او محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقران والاخبار مشتملة عليها وما خرج عنها فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سياتي بيانه واما بالتعلق بمناقضات الفرق والتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين فلم يكن شيء من ذلك مالوفا في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الان حكمه اذ حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القران والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مؤلفا فصار ذلك المحظور بحكم الضرورة ماذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود سنذكره في الباب الذي يلي هذا ان شاء الله واما الفلسفة فليست علما براسها بل هي اربعة اجزاء احدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع منهما الا من يخاف عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لها قد خرجوا منها الى البدع فيصان الضعيف عنها لا لعينها كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة من الوقوع في النهر وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع ان القوي لا يندب الى مخالطتهم والثاني المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وصفاته وهو ايضا داخل في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط اخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما براسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين واهل البحث والنظر

من هم
عنها
ويتهافتون
مشاغبة

وانفردوا بمذاهب باطلة فلذلك الفلسفة • الرابع الطبيعيات وبعضها يخالف الشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في أقسام العلوم • وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر في بدن الإنسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج إليه وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة إليها فإذا الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وإنما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة استئجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فإن تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم إن تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه سائر العوام فيها وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وإنما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله سبحانه وتعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون الكلام حجابا ومانعا عنه وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا • فإن قلت فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما رددت حد البذرقة إلى حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه إلى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالإضافة إلى علم الدين وعلماء الأمة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالإضافة إلى علم الدين وعلماء الأمة المشهورون فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد أجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وأنهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صلاة ولا صيام ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بشيء وقر في صدره كما شهد له سيد المرسلين صلوات الله عليه وسلامه فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ألوف من الصحابة كلهم علماء بالله عز وجل أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتوى منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم وكان إذا سئل عن الفتوى يقول للسائل اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه • إشارة إلى أن الفتوى في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة • ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول هذا وفينا جلة الصحابة فقال لست أريد علم الفتوى والأحكام وإنما أريد العلم بالله تعالى • أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما لك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر رضي الله عنه وهو الذي سد باب الجدل والكلام وضرب صبيغا بالدرة لما أورد عليه سؤالا في تعارض آيتين من كتاب الله عز وجل وهجره وأمر الناس بهجرانه • وأما قولك إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله عز وجل شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كانت شهرة أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره • وكانت شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله تعالى الذي مات تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب إلى الله تعالى في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن في سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة وقد انقسموا فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذب عن سنته ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك هم أهل رضوان الله وفضلهم عند الله تعالى للعمل بعلمهم ولإرادتهم وجه الله تعالى بفتواهم ونظرهم فإن كل علم عمل لأنه فعل مكتسب وليس كل عمل علما فالطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث إنه عامل لله عز وجل به والسلطان يتوسط

شبيه — كثرة — أنه — تسعة أعشاره

بين الخلق عز وجل فيكون مرضيا عند الله سبحانه لا من حيث إنه متكفل بعلم الدين بل هو متقلد لعمل يقصد به التقرب إلى الله تعالى وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة علم مجرد وهو علم المكاشفة • وعمل مجرد كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الآخرة فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة في حزب علماء الله تعالى أو عمال الله تعالى أو في حزبهما وتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار • خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل • على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وأنهم من أشد خصمائهم يوم القيامة فإنهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله عز وجل وقد شوهد من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتي في باب علامات علماء الآخرة فإنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتاوى والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة إلى ذكرها ونحن الآن نورد من أحوال فقهاء الإسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم • فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعني الذين كثر أتباعهم في المذاهب خمسة • الشافعي • ومالك • وأبو حنيفة • وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهم الله وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهي التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه لأن الخصال الأربع لا تصلح إلا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا تشمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهيهات فلا تقاس الملائكة بالحدادين • فلنورد من أحوالهم ما يدل على هذه الخصال الأربع فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة أما الشافعي رضي الله عنه فيدل على كونه عابدا ما روي أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للصلاة وثلثا للنوم • وقال الربيع كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين مرة وكل ذلك في الصلاة • وكان البويطي أحد أصحابه يختم القرآن في كل يوم مرة • وقال حسين الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله سبحانه الرحمة لنفسه وللمؤمنين ولا بآية عذاب إلا تعوذ منها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع له الرجاء والرهبة معا • فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره في أسرار القرآن وتدبره فيها • وقال الشافعي رحمة الله عليه ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في جده في العبادة إذ طرح الشبع لأجلها ورأس التعبد تقليل الطعام • وقال الشافعي ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا فانظر إلى حرمته وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه ظاهرة • وسئل الشافعي عن مسألة فسكت فقيل له ألا تجيب رحمك الله فقال حتى أدري الفضل في سكوتي أو في الجواب • فانظر في مراقبته للسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر وبذلك يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب • وقال أحمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي يوما من سوق القناديل فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعي إلينا فقال نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فإن المستمع شريك القائل وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء في وعائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها • وقال الشافعي رضي الله عنه كتب حكيم إلى حكيم أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم • **وأما زهده** فقد قال الشافعي من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب • وقال الحميدي خرج الشافعي إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب خباءه في موضع خارج من مكة وكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها • وخرج من الحمام يوما فأعطى الحمامي مالا كثيرا • وسقط سوطه من يده مرة فرفعه إنسان إليه فأعطاه جزاء على ذلك خمسين دينارا • وسخاء الشافعي أشهر من أن يحكى ورأس الزهد السخاء لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله عز وجل واشتغال همه بالآخرة ما روي أنه روى سفيان بن عيينة حديثا في الرقائق فغشي على الشافعي فقيل له قد مات فقال إن مات فقد مات أفضل أهل زمانه • وما روى عبد الله بن محمد البلوي قال كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد

بيانه — شهر رمضان — مرة — يفرق

فقال عمر ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي خرجت أنا وهو والحارث بن لبيد إلى الصفا وكان الحارث
تلميذ الصالح المري فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت فقرأ هذه الآية هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت
الشافعي رضي الله عنه قد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق جعل يقول
أعوذ بك من مقام الكذابين وإعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت هيبة المشتاقين إلهي هب لي
جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم قمنا وانصرفنا فلما دخلت بغداد وهو بالعراق
قعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مر بي رجل فقال يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك في الدنيا والآخرة
فالتفت وإذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت في وضوئي وجعلت أقفو أثره فالتفت إلي وقال هل لك حاجة
قلت نعم تعلمني مما علمك الله عز وجل فقال لي اعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى شيئا
ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا أفلا أزيدك قلت نعم قال من كانت فيه ثلاث خصال
فقد استكمل الإيمان من أمر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى ألا أزيدك
قلت بلى قال كن في الدنيا زاهدا وفي الآخرة راغبا واصدق الله في جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت
من هذا فقالوا هو الشافعي فانظر إلى سقوطه مغشيا عليه ثم إلى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا
ولا يحصل هذا الزهد والخوف إلا من معرفة الله تعالى وإنما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد الشافعي هذا
الخوف من علم كتاب السلم والإجارة وسائر كتب الفقه بل من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ
حكم الأولين والآخرين مودعة فيهما ● وأما كونه عالما بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرف ذلك من الحكم
المأثورة عنه روي عنه أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء
فنظروا إليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم ● وقال الشافعي إذا أنت خفت على عملك العجب فانظر فادد
رضى من تطلب وفي أي نعيم ترغب ومن أي عقاب ترهب وأي عافية تشكر وأي بلاء تذكر فإنك إذا تفكرت في واحدة
من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب ●
وقال الشافعي إذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضى من تطلب وفي أي نعيم ترغب ومن أي عقاب ترهب
وأي عافية تشكر ● وقال الشافعي من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه ● وقال من أطاع الله عز وجل بالعلم نفعه
سره ● وقال ما من أحد إلا وله محب ومبغض فإذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله تعالى ● وروي أن عبد
القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعي عن مسائل في الورع والشافعي يقبل عليه لورعه
فقال للشافعي يوما أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين فقال الشافعي التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين إلا
بعد المحنة فإذا امتحن صبر وإذا صبر مكن ألا ترى أن الله تعالى امتحن إبراهيم ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام
ثم مكنه وامتحن أيوب ثم مكنه وامتحن سليمان ثم آتاه ملكا والتمكين أفضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك
مكنا ليوسف وأيوب بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم الآية ● فهذا الكلام
من الشافعي يدل على تبحره في أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين إلى الله عز وجل من الأنبياء والأولياء وكل
ذلك من علوم الآخرة ● وقيل للشافعي متى يكون الرجل عالما قال إذا تحقق في علم تعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر
فيها فإنه عند ذلك يكون عالما قيل لجالينوس إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجتمعة فقال إنما المقصود
منها واحد وإنما يجعل معه غيره ليسكن حدته لأن الإفراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته
في معرفة الله سبحانه وعلوم الآخرة ● وأما إرادته بالفقه خاصة وبالمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه
ما روي أنه قال وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما ينسب إلي منه شيء فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب لوجه
الاسم وكيف كان متنزه القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله عز وجل ● وقال الشافعي ما ناظرت
أحدا قط فأحببت أن يخطئ ● وقال ما كلمت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية
من الله عز وجل وحفظ وما كلمت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه ● وقال ما أوردت
الحق والحجة على أحد فقبلهما إلا هبته واعتقدت مودته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني و

ورفضه لهذه العلامات هي التي تدل على إرادته الله عز وجل بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من
جملة هذه الخصال على خصلة واحدة فقط وكيف خالفوه فيها أيضا ولهذا قال أبو ثور ما رأيت ولا رأى الراؤون الخمس
مثل الشافعي ● وقال أحمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي فانظر إلى إنصاف
الداعي وإلى درجة المدعو له وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء
لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء
فقال أحمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف ● وقال أحمد ما مس أحد بيده محبرة
إلا وللشافعي في عنقه منة ● وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي
لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ● ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله فإن ذلك خارج عن الحصر
وأكثر هذه المناقب نقلناها من الكتاب الذي صنفه نصر بن إبراهيم المقدسي في مناقب الشافعي رضي الله عنه ●
وأما مالك رضي الله عنه فإنه كان أيضا متحليا بهذه الخصال الخمس فإنه سئل ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال
حسن جميل ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغا الي
حتى كان إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن في الجلوس
على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وقال
مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال
الله عز وجل ● وأما إرادته وجه الله سبحانه بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشيء ويدل عليه قول
الشافعي إني شهدت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدري ومن يرد غير وجه الله تعالى وذلك
بعلمه فلا تسمح نفسه بأنه لا يدري ولذلك قال الشافعي إذا ذكر العلماء فمالك النجم وما أحد أمن علي من مالك ● بأن يقر على نفسه
وروي أن أبا جعفر من الخلفاء منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملإ من الناس المنصور
ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث ● وقال مالك ما كان رجل صادقا في
حديثه لا يكذب إلا متع بعقله ولم تصبه مع الهرم آفة ولا خرف وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي
أن المهدي أمير المؤمنين سأله هل لك دار فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة بن عبد الرحمن يقول نسب المرء
داره ● وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فأخذها ولم ينفقها
فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك ينبغي أن تخرج معنا فإني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان
الناس على القرآن فقال له أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا فعند أهل كل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم اختلاف أمتي رحمة وأما الخروج
فلا سبيل إليه ● قال صلى الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ● وقال صلى الله عليه وسلم المدينة تنفي
خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها يعني إنك إنما تكلفني مفارقة المدينة كما يبقي
بما اصطنعته لدي فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان زهد مالك رحمه الله في
الدنيا ● ولما حملت إليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ويدل
سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام
في ملكه من الزهاد في الدنيا ويدل على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي أنه قال رأيت على باب مالك كراعا من أفراس
خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منها فقلت لمالك ما أحسنه فقال هو هبة مني إليك يا أبا عبد الله فقلت دع
لنفسك منها دابة تركبها فقال إني أستحيي من الله عز وجل أن أطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر
إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توقيره لتربة المدينة ● ويدل على إرادته بالعلم وجه الله
تعالى واستحقاره للدنيا ما روي عنه أنه قال دخلت على هارون الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى
يسمع صبياننا منك الموطأ قال فقلت أعز الله الأمير إن هذا العلم منكم خرج فإن أنتم أعززتموه عز وإن أذللتموه أنتم
ذل والعلم يؤتى ولا يأتي فقال صدقت اخرجوا إلى المسجد فاسمعوا مع الناس وأما أبو حنيفة رضي الله عنه
حتى

فلقد كان ايضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه ● فاما كونه عابدا فيعرف بما روي
عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة له مروة وكثرة صلاة ● وروى حماد بن ابي سليمان انه كان يحيي الليل كله ● وروي
انه كان يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال لغيره هذا يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال
انا استحيي من الله ان اوصف بما ليس في من عبادته ● **واما زهده** فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ارسلني يزيد بن
عمر بن هبيرة فقدمت بابي حنيفة عليه فاراده على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل
العذاب ● وقال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة انه كان من اعظم الناس امانة واراده السلطان
على ان يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار عذابهم على عذاب الله ● وروي انه ذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك
فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها ● وروي عن محمد بن شجاع عن بعض اصحابه انه قيل لابي
حنيفة قد امر لك ابو جعفر امير المؤمنين بعشرة الاف درهم قال فما رضي ابو حنيفة فلما كان اليوم الذي توقع ان يؤتى
بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر
ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة اي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد
ذلك بمتاع بيته فقال لابنه اذا انا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة وقل له هذه
وديعتك التي اودعتها ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا على دينه ●
وروي انه دعي الى ولاية القضاء فقال انا لا اصلح فقيل له لم فقال ان كنت صادقا فلا اصلح وان كنت كاذبا فالكاذب
لا يصلح للقضاء ● واما علمه بامور الاخرة وطريق الدين ومعرفته بالله تعالى فيدل ذلك على شدة خوفه من الله
عز وجل وزهده في الدنيا ● وقد قال ابن جريج بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت انه شديد الخوف من الله عز
وجل ● وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من اوضح الامارات على
العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي العلم كله فهذه احوال الائمة الثلاثة ○
واما احمد بن حنبل وسفيان رضي الله عنهما فاتباعهما اقل من اتباع هؤلاء وسفيان اقل اتباعا من احمد
ولكن اشتهارهما بالورع والزهد اظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما فلا حاجة الى
التفصيل الان ● فانظر الان في سير هؤلاء الائمة وتامل ان هذه الاحوال والاقوال في الاعراض عن الدنيا والتجرد والاعمال صح
لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار واللعان او يثمرها علم بل صح
اخر اعظم واشرف منه وانظر الى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء اصدقوا في دعواهم ام لا

الباب الثالث

فيما تعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها ● وفيه بيان الوجه الذي به يكون بعض العلوم
مذموما ● وبيان تبديل اسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم
الشرعية والقدر المذموم منها

بيان علة ذم العلم المذموم لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به
وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم ان العلم لا يذم لعينه وانما
يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلاثة الاول ان يكون مؤديا الى ضرر ما اما بصاحبه واما بغيره كما يذم علم
السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القران له وانه سبب يتوصل به الى التفرقة بين الزوجين وقد سحر رسول الله يتوسل
صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى اخبره جبريل عليه السلام واخرج السحر من تحت حجر في قعر بير وهو نوع
يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص بدلك
المسحور ويترصد له وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل
بسببها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله تعالى العادة احوال غريبة في الشخص
المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست مذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق
والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه مذموما بل من اتبع وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى
منه في موضع حريز اذا سال الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب في ذلك وذكر موضعه ارشاد
وافادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لادائه الى الضرر ● الثاني ان يكون مضرا بصاحبه في غالب

الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القران بان مسير الكواكب
محسوب اذ قال تعالى الشمس والقمر بحسبان ● وقال عز وجل والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم
والثاني الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على
ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكرت النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ● وقال صلى الله عليه وسلم اخاف
على امتي بعدي ثلاثا حيف الائمة والايمان بالنجوم والتكذيب بالقدر ● وقال عمر رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدوا
به في البر والبحر ثم امسكوا ● وانما زجر عنه من ثلاثة اوجه احدها انه مضر باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم ان
هذه الاثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها الالهة لانها جواهر شريفة سماوية المدبرة صح
يعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر مرجوا من جهتها وينمحي ذكر الله عز وجل من القلب ومحذورا صح
فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل
وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا تترقى في نظرها الى مشاهدة
الاصبع ثم منه الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى الخالق اليد والقدرة
والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع عن الترقي الى مسبب الاسباب ● فهذه
احد اسباب النهي عن النجوم ● وثانيها ان احكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق احاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا
فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا الوجه من حيث انه جهل لا من حيث انه علم ولقد كان ذلك معجزة لادريس عليه
السلام فيما يحكى وقد اندرس ذلك وانمحى ذلك العلم وانمحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع
على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها فان اتفق ان
قدر الله تعالى بقية الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر اخطا المنجم ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السماء
تمطر اليوم مهما راى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون
بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في المطر وبقية الاسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا مجي صح
على ما الفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطى
ولهذه العلة يمنع القوي عن النجوم ايضا ● وثالثها انه لا فائدة فيه فاقل احواله انه خوض في فضول لا يغني وتضييع هو صح
العمر الذي هو انفس بضاعة الانسان بغير فائدة غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس
مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل
لا يضر ● وقال انما العلم اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة ● فالخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام فاذا صح
خطر من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة اليه ماسة واكثر ادلته مما وخوض جهالة صح
يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه ● وكالبحث عن
الاسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها
الا الانبياء عليهم السلام والاولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق الشرع به ففي ذلك
مقنع للموفق فكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله احسن منه في الدين قبل الخوض
فيها ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وانواع الحلاوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب
شخص ينفعه الجهل ببعض الامور فلقد حكي ان بعض الناس شكا الى الطبيب عقم زوجته وانها لا تلد فجس الطبيب نبضها
وقال لها لا حاجة لك الى دواء فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد دل النبض على ذلك فاستشعرت المراة خوفا
عظيما وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واوصت وبقيت لا تاكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت
فجاء زوجها الى الطبيب وقال لم تمت فقال الطبيب علمت ذلك فجامعها الان فانها تلد فقال كيف ذلك فقال
رايتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها وعلمت انها لا تهزل الا لخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال

السبب الثالث الخوض في علم لا يستقل الخائض به فيه فانه مذموم في حقه كتعلم دقائق العلوم قبل جليلها

المانع من الولادة فهذا ينبهك على استصعاب خطر العلوم ويفهمك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من
علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تبحث عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع
السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث والاستقلال ولا تكثر اللهج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك
اني ابحث عن الاشياء لاعرفها على ما هي عليه فاي ضرر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره اكثر وكم من شيء تطلع عليه
فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الاخرة ان لم يتداركك الله برحمته ● واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق
على اسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذا الانبياء اطباء القلوب والعلماء باسباب الحياة الاخروية فلا
تحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي عقله ان يطليها حتى ينبهه الطبيب
الحاذق ان علاجه ان تطلى الكف من الجانب الاخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية
انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في طريق الاخرة وفي دقائق سنن الشرع وادابه وفي
عقائده التي تعبد الناس بها اسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار امورا غابت
عن اهل الصنعة حتى لم يقدر احد على ان يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد والعجائب والغرائب في العقائد
والاعمال وافادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها واصلاحها للترقي الى جوار الله تعالى سبحانه وتعريضها لنفحات
فضله اكثر واعظم مما في الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حياة الاخرة مع ان التجربة غير
متطرقة اليها وانما كانت التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الاموات فاخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة
الى الله زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل ان يهديك الى
صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد اشاراته واعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم
الا به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا وان من القول عيا ومعلوم ان العلم لا يكون جهلا ولكنه
يؤثر تاثير الجهل في الاضرار ● وقال صلى الله عليه وسلم قليل من التوفيق خير من كثير من العلم ● وقال عيسى عليه السلام
ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع

بيان ما بدل من ألفاظ العلوم اعلم ان منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها
ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم
والتوحيد والتذكير والحكمة ● فهذه اسامي محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الان الى
معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامي عليهم

اللفظ الأول الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى
والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا فيها واكثر اشتغالا
بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا على علم طريق الاخرة ومعرفة دقائق افات النفوس
ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الاخرة واستيلاء الخوف على القلب ● و
يدلك عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما يحصل به الانذار والتخويف
هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد
له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد من المتجردين له ● وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها
واراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري الفقه والفهم في اللغة اسمان لمعنى واحد وانما نتكلم في عادة
الاستعمال به قديما وحديثا ● وقال الله تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فاحال
قلة خوفهم من الله عز وجل واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى
او نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم ● وقال صلى الله عليه وسلم علماء فقهاء حكماء للذين وفدوا عليه ● وسئل سعد
ابن ابراهيم اي اهل المدينة افقه فقال اتقاهم فكانه اشار الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى
والاقضية ● وقال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله
ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القران رغبة عنه الى ما سواه ● ولما روى انس بن مالك قوله

صلى الله عليه وسلم لان اقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب
قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم ويخطب على اصحابه
ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القران ونتفقه في الدين ونعد نعم الله تعالى علينا فسمى تدبر
القران وعد النعم تفقها ● وقال صلى الله عليه وسلم لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله تعالى وحتى
يرى للقران وجوها كثيرة ● وروي ايضا موقوفا على ابي الدرداء رضي الله عنه مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا
وسال فرقد السبخي الحسن عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك يا فريقد وهل رايت
فقيها انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الاخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين
العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن
متناولا للفتاوى في الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع وكان اطلاقهم له على علم الاخرة
اكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الاخرة واحكام القلب ووجدوا على ذلك معينا من
الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والمال والجاه متعذر فوجد الشيطان
مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع ● **اللفظ الثاني العلم**
وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وباياته وبافعاله في عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات
تسعة اعشار العلم فعرفه بالالف واللام ثم فسره بالعلم بالله وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه في الاكثر
بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس
ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة اهل العلم وهذا ايضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل
العلم والعلماء اكثره في العلماء بالله وباحكامه وبافعاله وصفاته وقد صار الان يطلق على من لا يحيط من علم الشرع بشيء
سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره
وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من طلبة العلم ● **اللفظ الثالث التوحيد** وقد جعل الان عبارة
عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسئلة
واثارة الشبهات وتاليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلماء
بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن يعرف منه شيء في العصر الاول بل كان يشتد منهم النكير على من
كان يفتح بابا من الجدل والمماراة ● فاما ما يشتمل عليه القران من الادلة الظاهرة التي تسبق الاذهان الى قبولها
في اول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل فكان العلم بالقران هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن امر
اخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن
الاسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر الا منه وهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سياتي بيانه في كتاب
التوكل ومن ثمراته ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكان احدى ثمراته قول
ابي بكر رضي الله عنه لما قيل له في مرضه انطلب لك طبيبا فقال الطبيب امرضني وقول اخر لما مرض فقيل له ماذا
قال لك الطبيب في مرضك فقال قال اني فعال لما اريد ● وستاتي شواهد ذلك في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى وكان
التوحيد جوهرا نفيسا وله قشران ● احدهما ابعد عن اللب من الاخر فخص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر
واهملوا اللب بالكلية فالقشر الاول ان تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي يصرح
به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره ● القشر الثاني ان لا يكون في القلب مخالفة وانكار
لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس
هذا القشر عن تشويش المبتدعة ● والثالث وهو اللباب ان يرى الامور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته
عن الوسائط وان يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ
هواه معبوده قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه ● وقال النبي صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض
عند الله هو الهوى ● وعلى التحقيق من تامل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مائلة الى دين

ابيه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المالوف احد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ۝ ويخرج عن هذا التوحيد التسخط على الخلق
والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره وقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من
مقامات الصديقين فانظر الى ماذا حول والى اي قشر قنع وكيف اتخذ هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع
الافلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كالذي يصبح بكرة ويتوجه الى القبلة ويقول وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض وهو اول كذب يفاتح الله تعالى به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله عز وجل على الخصوص فانه ان
اراد بالوجه الوجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن ساير الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات
والارض حتى يكون المتوجه اليها متوجها اليه تعالى عن ان تحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب وهو المطلوب
المتعبد به فكيف يصدق قوله وقلبه متردد في اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع المال والجاه
واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والارض وهذه الكلمة هي خبر عن حقيقة التوحيد
فالموحد هو الذي لا يرى الا الواحد ولا يتوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وليس المراد به القول
باللسان انما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى وانما موقع نظر الله تعالى هو المترجم عنه وهو القلب فهو معدن
التوحيد ومنبعه

اللفظ الرابع الذكر والتذكير

وقد قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وقد
ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة
قال مجالس الذكر ۝ وفي الحديث ان لله ملايكة سياحين في الهواء سوى ملايكة الخلق اذا راوا مجالس الذكر ينادي
بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا الله وذكروا انفسكم فنقل ذلك الى ما
ترى اكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات ۝ اما القصص فهي بدعة وقد
ورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمان ابي بكر وعمر
حتى ظهرت الفتنة فظهر القصاص ۝ وروي ان ابن عمر خرج من المسجد وقال ما اخرجني الا القاص ولولاه لما خرجت ۝
وقال ضمرة قلت لسفيان نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم ۝ وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين
فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا ودخل الاعمش جامع البصرة فراى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش
فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه فقال القاص يا شيخ الا تستحي فقال لم انا في سنة وانت في كذب انا الاعمش
وما حدثتك ۝ وقال احمد اكذب الناس القصاص والسوال واخرج علي رضي الله عنه القصاص من مسجد البصرة
ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الاخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وافات الاعمال
وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بالاء الله ونعمايه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها
وقلة عهدها وخطر الاخرة واهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي روي الحث عليه في حديث ابي ذر حيث قال
حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض وحضور مجلس علم افضل من شهود
الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القران فقال وهل ينفع القران الا بالعلم ۝ وقال عطا مجلس ذكر يكفر سبعين
مجلسا من مجالس اللهو ۝ فقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا
عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التي يتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في
القران وتزيد عليها فان من القصص ما ينفع سماعه ومنه ما يضر وان كان صدقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق
بالكذب والنافع بالضار فلهذا نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل ما احوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص
الانبياء فيما يتعلق بامور دينهم وكان صحيح الرواية فلست ارى به باسا فليحذر الكذب وحكاية احوال تومي الى هفوات ومساهلات
يقصر فهم العامة عن درك معانيها او عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم
بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا في ذلك ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الاكابر فكلنا بصدد
المعاصي فلا غرو ان عصيت الله فقد عصى من هو اكبر مني ويفيده ذلك جراة على الله عز وجل من حيث لا يدري فبعد الاحتراز
من هذين المحذورين فلا باس به وعند ذلك يرجع الى القصص المحمود الى ما يشتمل عليه القران ويصح في الكتب الصحيحة من الاخبار
ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم ان قصده فيها دعوة الخلق الى الحق وهذا من نزغات

الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ
كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع ۝ قال سعد ابن ابي وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغضك الي لا
قضيت حاجتك ابدا وقد كان جاءه في حاجة ۝ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن رواحة في سجع من ثلاث
كلمات اياك والسجع يا ابن رواحة وكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين كيف ندي من لا اكل ولا
شرب ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب

واما الاشعار

فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون ۝ وقال عز وجل
وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح
الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوي الا اجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات
الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار من قلوبهم الا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيهم نيران الشهوة فيزعقون ويتواجدون
واكثر ذلك او كله يرجع الى نوع فساد فلا ينبغي ان يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستيناس فقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله
تعالى ولم يكن معهم غيرهم فان اولئك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما
يستولي على قلبه كما سياتي تحقيق ذلك في كتاب السماع والوجد ولذلك كان الجنيد يتكلم على بضعة عشر رجلا فاذا كثروا لم
يتكلم وما تم اهل مجلسه عشرين ۝ وحضر جماعة باب داره ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال ما هولاء اصحابي
انما هم اصحاب المجلس ان اصحابي هم الخواص

واما الشطح

فنعني به صنفين من الكلام احدثه بعض المتصوفة
احدهما الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله سبحانه والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى
الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالروية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون في ذلك بالحسين
الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما يحكون عن ابي يزيد انه قال سبحاني
سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا امثال هذه الدعاوي
فان هذا كلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة في الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن
دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا ان يقولوا هذا انكار مصدره
العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق ۝ فهذا ونحوه
مما قد استطار في البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشيء منه فقتله افضل في دين الله تعالى من احياء عشرة ۝ واما
ابو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما حكي عنه وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع
وهو يقول اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية ۝ الصنف الثاني
من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رايقة وفيها عبارات هايلة وليس وراءها طايل وذلك اما ان تكون غير مفهومة عند قايلها
بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان تكون مفهومة
له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته العلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني
بالالفاظ الرشيقة ولا فايدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان او يحمل على ان
يفهم منها معاني ما اريدت بها ويكون فهم كل واحد بمقتضى هواه وطبعه ۝ وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم ۝ وقد قال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون
ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله ۝ وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه
قايله وان كان يفهمه القايل دون المستمع فلا يحل ذكره ۝ وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها
ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء ۝ وفي لفظ اخر من وضع الحكمة في غير اهلها
جهل ومن منعها اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه

واما الطامات

فيدخلها
ما ذكرناه من الشطح وامر اخر يخصها وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا يسبق الافهام اليها
كدأب الباطنية في التاويلات وهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيها بنقل عن

صاحب الشرع من غير ضرورة تدعوا اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وبسقط به منفعة كلام الله عز
وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر
ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشائعة العظيم ضررها وانما قصد اصحابها الاغراب لان النفوس مايلة
الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتاويل ظواهرها وتنزيلها على رايهم كما حكيناه
من مذهبهم في كتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ● ومثال تاويل اهل الطامات قول بعضهم في تاويل
قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى انه اشار الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان ● وفي قوله تعالى
وان الق عصاك اي كلما يتوكا عليه ويعتمده مما سوى الله تعالى فينبغي ان يلقيه ● وفي قوله صلى الله عليه وسلم تسحروا فان في
السحور بركة اراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفون القران من اوله الى اخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن
ابن عباس وسائر العلماء ● وبعض هذه التاويلات يعلم بطلانه قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا
وجوده ودعوة موسى له كابي لهب وابي جهل وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى
يتطرق التاويل الى الفاظه ● وكذلك حمل السحور على الاستغفار فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتناول الطعام ويقول
تسحروا فان في السحور بركة وهلموا الى الغداء المبارك فهذه امور تدرك بالتواتر والحس نقلا وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور
لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن
البصري مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوأ مقعده من النار
معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القران اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة
لفظية لغوية او نقلية ولا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القران بالاستنباط والفكر فان من الايات ما نقل فيها عن الصحابة
والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ونعلم ان جميعها غير مسموعة من النبي صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون
ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التاويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق
يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في
كل مسالة يراها حقا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه
وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر في تاويل هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ
وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القران بالكلية ● فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم المحمودة
الى المذمومة وكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ما
عرف في العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما في هذا العصر وذلك الغلط عن تبديل اللفظ

اللفظ الخامس وهو الحكمة

فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف
السوادية في شوارع الطرق ● والحكمة هي التي اثنى الله عز وجل عليها فقال عز من قائل يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ● وقال النبي صلى الله عليه وسلم كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها فانظر ما الذي
كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا نقل وقس به بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم اعظم
على الدين من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه ثم قال صلى الله عليه وسلم هم علماء السوء ● فقد عرفت
العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف او تتدلى بحبل الغرور
وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث ● وقد
صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء فقيل ومن
الغرباء يا رسول الله قال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوه من سنتي ● وفي خبر اخر
هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم ● وفي خبر اخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد
صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري اذا رايت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط

حرام

ورابعه

لانه لو نطق بالحق لابغضوه

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم
هو مذموم قليله وكثيره ● وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان احسن وافضل ● وقسم يحمد منه مقدار
الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن فان فيها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال
ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ● ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو
بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم ● فالقسم المذموم قليله وكثيره ما لا فائدة فيه
في دين ولا دنيا او فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه اصلا وصرف العمر الذي هو انفس
ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفائس مذموم ● ومنه ما فيه ضرر على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر
في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل منه **واما** القسم المحمود الذي اقصى غايات الاستقصاء
هو العلم بالله سبحانه وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الاخرة فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل
به الى السعادة الاخرة وبذل المقدور فيه الى اقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم
الحائمون على سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبياء عليهم السلام والاولياء والراسخون في العلم
على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب
ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة احوال علماء الاخرة كما ستاتي علاماتهم هذا في اول الامر ويعين عليه في الاخر
المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه من علائق الدنيا والتشبه فيها بانبياء الله تعالى واوليائه ليتضح منه لكل ساع
الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غناء فيه عن الاجتهاد والمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها **واما
العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص** فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم منها اقتصارا
هو الاقل واقتصادا هو الوسط واستقصاء وراء الاقتصاد لا مرد له الى اخر العمر فكن احد رجلين اما مشغولا
بنفسك او متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت
المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة
من تعلم الصلاة والطهارة والصوم ● وانما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ
لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب واخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها
مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدماميل والتهاون
باخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر
البدن وعلماء الاخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب
وانما فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة من يستصعب شرب الادوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد
في المواد وتتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للاخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الابدي فاشتغل بعلم العلل
الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم يجرك ذلك الى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا
محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلا بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزرع والرياحين
وان لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قام بها فان مهلك نفسه في طلب صلاح غيره
سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن
غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت
على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما ابعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات
وراع التدريج فيها فابتد بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القران
من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب
من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق
عمرك في واحد منها طالبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم الات ومقدمات وليست مطلوبة
لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شايع علم اللغة على ما تفهم به

على الدنيا

فانه

عن تطهير القلوب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفزع الى طلاء الظاهر

كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه ● واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها في التفسير والحديث والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة اضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه ● وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه ولا مرد له الى العمر ● واما الحديث فالاقتصار فيه على ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث واما حفظ اسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك ان تعول على ما في كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصل ذلك تحصيلا تقدر منه على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة اليه ● واما الاقتصاد فيه فبان تضيف اليهما ما خرج عنهما مما اورد في المسندات الصحيحة ● واما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة احوال الرجال واساميهم واوصافهم ● واما الفقه فالاقتصار فيه ما يحويه مختصر المزني رحمه الله تعالى وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر ● والاقتصاد منه ما يبلغ ثلاثة امثاله وهو القدر الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما اوردناه في البسيط الى ما وراء ذلك ● واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقها ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي اوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذه الكتب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو القدر الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها من قلب العامي وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم ● واما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته لم يترك مذهبه واحال بالقصور على نفسه وقدر ان عند غيره جوابا ما هو عاجز عنه وانما انت ملبس بقوة المجادلة عليه ● واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل فيمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتد وقع اليأس منهم اذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهذا ايضا من آفات العلماء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار لتنبعث منهم الدواعي بالمكافاة والمقابلة وتتوفر بواعثهم على نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس ● واما الخلافيات التي احدثت في هذه الاعصار المتاخرة وابدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فاياك ان تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ما سياتيك تفصيل غوائل ذلك وآفاته وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس اعداء ما جهلوا فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر في ذلك زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله رشده واطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا تعرف عللها الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة على ذلك مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة رضي الله عنهم وقد كانوا اعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل ذلك مع انه غير مفيد في علم المذهب ضار مفسد لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في اكثر الامر فمن الف طبعه رسوم الجدل اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل بالجدل من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بانه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا تنصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن في امان واحترز من شياطين الانس فانهم اراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضي عند العقلاء ان تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله عز وجل وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتامل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام ● وقد راى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يديه ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا وما

انتفعت

انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل ● وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ● وفي تفسير قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية هم اهل الجدل الذين عنى الله تعالى بقوله فاحذرهم ● وقال بعض السلف يكون في اخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل ● وفي بعض الاخبار انكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسياتي قوم يلهمون الجدل ● وفي الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم ● وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق الا منعوا العمل

الباب الرابع

في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها ● اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون وكانوا ائمة وعلماء بالله تعالى وفقهاء في احكامه ومستقلين بالفتاوى في الاقضية وكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله عز وجل بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وقد كان بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف وكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا فاضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فراى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله عز وجل في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله عز وجل والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله تعالى ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذاهب وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون على ذلك الى الآن ولسنا ندري ما الذي يقدره الله تعالى فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ● ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر من العلوم لمالوا ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

بيان التلبيس

في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضي الله عنهم ● اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر وهكذا كانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في مشاوراتهم كتشاورهم في مسئلة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا اخطأ كما نقل من اجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضي الله عنه ● وكما نقل في مسائل الفرائض وغيرها وكما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وابي يوسف وغيرهم من العلماء ● ويطلعك على هذا التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات **الاول** ان لا يشتغل

المناظرات

وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية وزعم أن مقصوده به الحق فهو كذاب ومثاله مثال من يترك الصلاة في نفسه ويتحرى في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي به ستر عورة من يصلي عاريا ولا يجد الثوب فإن ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلاة التي هي أقرب القربات إلى الله عز وجل كان عاصيا بذلك ولا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب

الثاني أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فإن رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش قد أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس وإذا قيل له في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول وهذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطشى من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو البلد عن جملة من الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول على قول الطبيب فيه شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وإن وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله عز وجل بفرض الكفاية وقد روى أنس رضي الله عنه أنه قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال صلى الله عليه وسلم إذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في أراذلكم

الثالث أن يكون المناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق في مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق الشافعي وأفتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والأئمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر فإنما يفتي فيما يسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يتركه فأي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فإني لست مستقلا بالاجتهاد في أصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه به فإنه ربما يفتي بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسألة التي فيها وجهان أو قولان وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مبتوتا

الرابع أن لا يناظر إلا في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالبا فإن الصحابة رضي الله عنهم ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع أو فيما يغلب وقوعه كالفرائض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسألة خبرية أو هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يترك المسألة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الأخبار أو لأنها ليست من الطبول فلا نطول فيها الكلام والمقصود في الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية في القرب لا أن يطول

الخامس أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذكر والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان أو مبطلا وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب فإذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام

السادس أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معاونا لا خصما ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق كما لو أخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في موضع آخر فإنه كان يشكره ولا يذمه أو كان يكرهه أو يفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة حتى ردت امرأة على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملإ من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل وسأل رجل عليا رضي الله عنه فأجابه فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري

قال

16

فقال أبو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان أمير الكوفة فقال ابن مسعود أعده على الأمير فلعله لم يفهم فأعيد فأعاد الجواب فقال ابن مسعود إنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى هو ما قال فهكذا يكون إنصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق فإن ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظري أهل زمانك كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته بأقصى قدرته وكيف يذم من أفحمه طول عمره ثم لا يستحيي من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم على النظر

السابع أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فإن الرجوع إلى الحق أبدا يكون مناقضا للباطل ويجب قبوله وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فإن ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه فيصمم المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها إذ لا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك إيراد ما تدعيه وراء هذا ويصر المعترض على أنه لا يلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين أن قوله إني أعرف ولا أذكر إذ لا يلزمني كذب على الشرع فإنه إن كان لا يعرف معنى وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وإن كان صادقا فقد فسق بإخفائه ما عرفه من أمر الشرع فقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فإن كان قويا رجع إليه وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم ولا خلاف أن إظهار ما علم من أمر الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني في شرع الجدل الذي أبدعناه بحكم التشهي والرغبة في طرق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني وإلا فهو لازم في الشرع فإنه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق ففحص عن مشاورات السلف ومفاوضات الصحابة رضي الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع أحد من الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه

الثامن أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم ويرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر لله عز وجل ومن يناظر لعلة واعلم أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدو له ولا يزال يدعوه إلى الهلاك ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب في الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفصيلها

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله تعالى المحمودة عند عدو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقتل والقذف والسرقة وكما أن الذي خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الأخلاق المذمومة وهذه الأخلاق ستأتي أدلة مذمتها من الأخبار والآيات في ربع المهلكات ولكنا نشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة

فمنها الحسد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فإنه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة في العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما وأقوى نظرا فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعمة عنه وانصراف الوجوه والقلوب عنه والحسد نار محرقة من بلي به فهو في العذاب الدائم في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا أقوال الفقهاء بعضهم في بعض فإنهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة

ومنها التكبر والترفع على الناس وقد قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الامثال والاقران والترفع الى فوق قدره حتى انهم ليقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخادع منهم بانه يبتغي صيانة عز العلم وان المؤمن منهي عن الاذلال لنفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله تعالى عليه وسائر انبيائه عليهم السلام بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله تعالى بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما **ومنها الحقد** فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود وقد ورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على ان لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه عند كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في النفس وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف ينفك عنه ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده وانشاده ثم لو صدر من خصمه ادنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه يد الدهر الى آخر العمر **ومنها الغيبة** وقد شبهها الله تعالى باكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على اكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه ان يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وذلك هو الغيبة فاما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه عن التعرض لمن يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة **ومنها تزكية النفس** قال الله عز وجل فلا تزكوا انفسكم وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران فلا ينفك في اثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم ان الصلف والمدح مذمومان شرعا وعقلا **ومنها التجسس وتتبع عورات الناس** وقد قال الله عز وجل ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى بلده فيطلب من يخبر بواطن احواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله اذا مست اليه حاجة حتى انه ليستكشف عن احوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة او على عيب به من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك ويعده من لطائف التسبب ولا يمتنع من الافصاح ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما نقل عن قوم من اكابر المناظرين والمعدودين من فحولهم **ومنها الفرح بمساءة الناس** والغم بمسارهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من اخلاق المؤمنين وكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء اقرانه واشكاله الذين يسامونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرات فكما ان احدى الضرات اذا رات صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فكذا المناظر اذا راى مناظرا يربد لونه ويضطرب عليه فكره وكانه شاهد شيطانا او سبعا ضاريا فاين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المواخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين اهل الفضل والعقل رحم متصل فلا ادري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان ينشب الانس مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات فناهيك بالشر شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين ويبرئك عن اخلاق المؤمنين والمتقين **ومنها النفاق** ولا يحتاج الى ذكر الشواهد في ذمه وهم يضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم فلا يجدون بدا من التودد باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم ان ذلك كذب وزور ونفاق وفجور وانهم متوددون بالالسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله من ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة **ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته** والحرص على المماراة فيه حتى ان ابغض شيء الى المناظر ان يظهر الحق على لسان خصمه ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصى جهده وبذل غاية امكانه

علة

يساهمونه

يتغير

ينشب

ويزيلك

منهم

في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه ثم تصير المماراة عادة له وطبيعة فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة القرآن والفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ترك المراء بالحق على الباطل وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين المفتري على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه وقال تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه **ومنها الرياء** وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي يدعو الى اكبر الكبائر كما سياتي في كتاب الرياء والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من امهات فواحش الباطن سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي الى الضرب واللكم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح فان اولئك ليسوا معدودين في زمرة الناس المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم عن بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه او ظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن بلده واسباب معيشته ولا ينفك احد منهم منها مع اشكاله المقارنين له في الدرجة ثم تتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر اخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب الجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة واستحقار الناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما الذي يقرأ ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه واستغراق العمر في العلوم التي تعين على المناظرة مع انها لا تنفع في الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على درجات شتى ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس فيها واعلم ان هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعز وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة الابد ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله تعالى بعلمه فلقد ضره مع انه لم ينفعه وليته نجا منه راسا براس وهيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك او الهلك وهو كطالب الملك في الدنيا فان لم يتفق الاصابة لم يطمع في سلامة الاذلال بل لا بد من لزوم افضح الاحوال فان قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن حاله في ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تاكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الى الله عز وجل ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من اي الاقسام انت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنن ان الله سبحانه يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل وسياتي في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات

المال

او فتح

من الاذلال

كان

الداعون

الذي

ما ينبغي عنك الرتبة في جميع ذلك ان شا الله تعالى

الباب الخامس في اداب المتعلم والمعلم

اما المتعلم فادابه كثيرة ولكن ينظم تفاريقها تشتمل **الوظيفة الاولى** تقديم طهارة النفس عن رذايل
الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله سبحانه فكما لا تصح
الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن
وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته من خبائث الاخلاق ونجاسات الاوصاف ● قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين
على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا ● وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة
غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي
باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع
خبثها في الحال مهلكات في المال ● ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت
هو منزل الملائكة ومهبط اثارهم ومحل استقرارهم والصفات الردية مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر
والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب
الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها
الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤون عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم
من خزائن رحمة الله تعالى الا طاهرا ولست اقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات
المذمومة ولكني اقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه على البواطن بذكر الظواهر مع تقرير
الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان يعبر
بما ذكر الى غيره ولا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة بغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه ايضا عرضة
للمصايب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من
البيت الذي هو بنا الخلق الى القلب الذي هو بيت من بناء الله عز وجل ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه
من السبعية ● واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزق لاعراض الناس
كلب في المعنى وقلب في الصورة ● ونور البصيرة يلاحظ المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني
والمعاني باطنة فيها وفي الاخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الممزق
لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى اموالهم ذيبا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة اسد وقد
وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصاير والابصار ● فان قلت فكم من طالب ردي الاخلاق قد
حصل العلوم فهيهات ما ابعده عن العلم الحقيقي النافع في الاخرة الجالب للسعادة فان من اوايل ذلك العلم ان يظهر
له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه سما انما الذي تسمعه من المترسمين حديث تلقفوه يرددونه
بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم في شي ● قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية
انما هو نور يقذف في القلب ● وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وكانه
اشارة الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله اي ان العلم
ابى وامتنع علينا ولم ينكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه ● فان قلت اني ارى جماعة من الفقهاء
المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت
مراتب العلوم وعرفت علم الاخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه
عملا لله اذا قصد به التقرب الى الله تعالى وقد سبق لهذا اشارة وسياتيك فيه مزيد بيان **الوظيفة الثانية**
ان يقلل علايقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلايق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من
قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقايق ● ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه
كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطايه اياك بعضه على خطر ● والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول
تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ الزرع **الوظيفة الثالثة**

ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض
الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته ● قال الشعبي صلى زيد
ابن ثابت على جنازة فقربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت
نبينا صلى الله عليه وسلم ● وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس من اخلاق المؤمن الملق الا في طلب العلم ● ولا ينبغي للطالب
ان يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم ان يستنكف عن الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وذلك هو عين
الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين ان يرشده الى
الهرب مشهور او خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله عز وجل اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن
يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كاينا من كان ولذلك قيل ●
العلم حرب للفتى المتعالي ● كالسيل حرب للمكان العالي ● فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال الله
عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ● ومعنى كونه ذا قلب ان يكون للعلم قابلا فهما ثم لا
تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب يستقبل كل ما يلقى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر
والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت جميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله و
مهما اشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رايه فان خطا مرشده انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع
على دقايق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في
قوته الى حد يحتمل معه صدمة العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له ● ولقد نبه الله عز وجل بقصة الخضر وموسى عليهما السلام
حيث قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا ● وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ● ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال
فان اتبعتني فلا تسالني عن شي حتى احدث لك منه ذكرا ● ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق
ما بينهما ● وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران ●
فان قلت فقد قال الله تعالى فسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ● فالسؤال مامور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما
ياذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عليهما السلام عن
السؤال اي دع السؤال قبل اوانه ● فالمعلم اعلم بما انت اهله وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف في كل درجة
من مراقي الدرجات لا يدخل اوان السؤال عنه ● وقال علي رضي الله عنه ان من حق العالم ان لا تكثر عليه السؤال ولا
تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشي له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلبن عثرته
وان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله عز وجل ما دام يحفظ امر الله تعالى ولا تجلس امامه وان
كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته **الوظيفة الرابعة** ان يحترز الخايض في العلم في بدء الامر عن الاصغاء
الى اختلافات الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او من علوم الاخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه
ويفتر رايه ويويسه من الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد
ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما
قيل فيها فليحذر منه فان اضلاله اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله فهو بعد
في عمى الحيرة وتيه الجهل ● ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب
القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ● ولذلك يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار
ويندب الشجاع الى ذلك ● ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من
المساهلات جايز ولم يدر ان وظايف الاقوياء تخالف وظايف الضعفاء ولذلك قال بعضهم من راني في
البداية صار صديقا ومن راني في النهاية صار زنديقا ● اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا
عن رواتب الفرايض فيترايا للناظر ان ذلك بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود
والحضور وملازمة الذكر الذي هو افضل الاعمال على الدوام ونشبه الضعيف بالقوي فيما يرى من ظاهره انه

منوة بقاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء ويعلل بان اضعاف هذه النجاسة قد يلقى في البحر والبحر اعظم
من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدري المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسة ماء وينقلب النجاسة باستيلائه الى
صفته والقليل من النجاسة يغلب الكوز ويحيله الى صفته ومثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم من القوة ما يتعدى منه صفة
العدل الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى يجر الى المعصية لله تعالى في
طلب رضاهن فما افلح ولا انجح من قاس الملائكة بالحدادين **الوظيفة الخامسة** ان لا يدع طالب العلم فنا من
العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع منه على مقصد ذلك العلم وغايته ثم ان ساعده العمر طلب
التبحر فيه والا اشتغل بالاهم فاستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط بالبعض ويستفيد من ذلك
في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به
فسيقولون هذا افك قديم وقال الشاعر ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فالعلوم على درجاتها
اما سالكة بالعبد الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود
والقوام بها كالحفظة الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الاخرة اذا قصد به وجه الله تعالى
الوظيفة السادسة ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمة
ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الاخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة
فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست اعني بالمعرفة الاعتقاد الذي يتلقفه العامي
وراثة وتلقفا ولست اعني ايضا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين ذلك عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم
بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر باطنه بالمجاهدة عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان
ابي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عندي ان الذي
يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي الا في الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر
وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم حتى كان يفضلهم ابو بكر رضي الله عنه بالسر الذي وقر في صدره والعجب
ممن يسمع مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم انه من ترهات
الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغي ان تتئد في هذا فعنده ضيعت راس المال وكن حريصا على معرفة ذلك
السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين فلا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب وعلى الجملة فاشرف العلوم
وغايتها معرفة الله تعالى وهو بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء عليهم السلام ثم
الاولياء ثم الذين يلونهم وقد روي انه رئي صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد وفي يد احدهما رقعة
وفيها ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله عز وجل وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد
الاشياء وفي يد الاخر كنت قبل ان اعرف الله تعالى اشرب واظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب **الوظيفة
السابعة** ان يعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة والثاني
وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحياة الابدية وثمرة الاخرى الحياة الفانية
فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النحو فان الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسب الحساب
الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى ولذلك كان
الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا تبين ان اشرف العلوم العلم بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق
الموصل الى هذه العلوم فاياك ان ترغب الا فيه وتحرص الا عليه **الوظيفة الثامنة** ان يكون قصد المتعلم في
الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله تعالى والترقي الى جوار الملا الاعلى من الملائكة والمقربين
ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الى
مقصوده وهو علم الاخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم اعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة
المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهمن من
غلونا في الثناء على علم الاخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة يجاهدون

في سبيل الله ومنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدها ولا ينفك واحد
منهم عن اجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى هم درجات عند الله والفضيلة نسبية واستحقارنا الصيارفة عند قياسهم
بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين فلا تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا
للانبياء ثم الاولياء ثم العلماء الراسخين ثم الصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن قصد
الله عز وجل بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة **الوظيفة التاسعة** ان تعلم نسبة العلوم الى المقصد
كي تؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شانك في الدنيا والاخرة واذا
لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الاخرة كما نطق به القران وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان فالاهم
ما يبقى ابد الاباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله عز وجل
ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله تعالى والنظر
الى وجهه الكريم اعني النظر الذي طلبه الانبياء عليهم السلام وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين
على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو ان العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان حججت وتممت
وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدات بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك
العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة اصناف من الشغل الاول تهيئة الاسباب
كشراء الراحلة وخرز الراوية واعداد الزاد والثاني السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل
والثالث الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحقاق التعرض
للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من اول اعداد الاسباب الى اخرها ومن اول سلوك البوادي الى اخره
ومن اول اركان الحج الى اخرها وليس قرب من ابتدا باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة
ولا كقرب من ابتدا بالسلوك بل اقرب منه فالعلوم ايضا ثلاثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة
وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات
وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الاولون والاخرون الا
الموفقون فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل والبوادي
دون سلوكها لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير ممكنة وقسم
ثالث يجري مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وافعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم
المكاشفة وهاهنا النجاة والفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة
واما الفوز بالسعادة فلا يناله الا العارفون وهم المقربون المنعمون في جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم
واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض
له او انتهض الى جهته لا على وجه الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من
حميم واعلم ان هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين اعني انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن هي اقوى واجلى
من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد السماع وحالهم حال من اخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال
غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم
المكاشفة وراء علم المعاملة الذي هو سلوك طريق الاخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات
المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك وذلك وراء سلامة البدن ومساعدة اسباب
الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوسل به الى نهج العدل والسياسة والملبس والمطعم
والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على نهج العدل والسياسة في ناحية الفقيه واما اسباب
الصحة ففي ناحية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان واشار الى الفقه فانما اراد به العلوم الظاهرة

الشاغلة لا العلوم العزيزة الباطنة ◦ فان قلت لم شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة فاعلم
ان الساعي الى الله عز وجل لينال قربه هو القلب دون البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من اسرار الله عز
وجل لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح واخرى بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه
المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن حال ذلك السر
من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية المأذون فيه ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف
من هذه الاجرام المرئية وانما هو امر الهي كما قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ◦ وكل المخلوقات
منسوبة الى الله تعالى ولكن نسبته اشرف من نسبة سائر اعضاء البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر اعلى من الخلق
وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله عز وجل المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارض اذ ابين ان يحملنها واشفقن
منها هي من عالم الامر ولا يفهم من هذا تعريضا بقدمها فالقائل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول ◦ ولنقبض
عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده ◦ والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب سبحانه
لانها من امر الرب عز وجل فمنه مصدرها واليه مرجعها واما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها
في طريق الله عز وجل كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الخازنة للماء الذي تفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة
البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه قد يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان
وحده لاحتاج اليه والفقه يفارق الطب في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا
يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد
الات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا
وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب
يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق
اعتدال الاخلاط طب وعلم طريق اعتدال احوال الناس في المعاملات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية
فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها
اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الاسباب
التي بها تستحكم الخيوط التي بها تخرز راوية الحج ونسبة هولاء من السالك لطريق اصلاح القلب الموصل الى علم المكاشفة
كنسبة اولئك الى سالك طريق الحج او ملابس اركانه فتأمل هذا اولا واقبل النصيحة مجانا ممن قامت عليه غاليا ولم يصل اليها
الا بعد جهد شديد وجرأة تامة على مباينة الخلق والعامة في النزوع عن تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف
في وظائف المتعلم

بيان وظائف المرشد المعلم

اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال
كالحال في اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا
عن السؤال ◦ وحال انفاق على نفسه فيكون به منتفعا ◦ وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله
فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب ◦ وحال تحصيل يغني عن السؤال ◦ وحال استبصار وهو التفكر
في المحصل والتمتع به ◦ وحال تبصير وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء
فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال
من العلم وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق
وما هي الا ذبالة توقدت تضيء للناس وهي تحترق ◦ ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ
ادابه ووظائفه

الوظيفة الاولى

الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده بان يقصد انقاذهم من نار الاخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار
حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة
الاب الى الهلاك الدائم ◦ وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة اعني معلم علوم الاخرة او علوم الدنيا على قصد الاخرة
لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا
وتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون الا كذلك ان كان مقصودهم الاخرة ولا يكون
الا التحاسد والتباغض ان كان مقصودهم الدنيا فان العلماء وابناء الاخرة مسافرون الى الله تعالى وسالكون
اليه الطريق والدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب
التوادد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات الاخرة فلذلك لا
يكون بين ابناء الاخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب
الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى انما المومنون اخوة وداخلون في قوله تعالى الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين

الوظيفة الثانية

ان يقتدي بصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم
فلا يطلب على افادة العلم اجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ولا
يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى
الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك ارضا لتزرع فيها زراعة لنفسك فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب
الارض فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله عز وجل ولولا المتعلم ما نلت
هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله سبحانه كما قال الله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا فان المال وما في
الدنيا خادم للبدن والبدن مركب للنفس ومطية لها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم
المال كان كمن مسح اسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو
الانتكاس على ام الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤوسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل
والمنة للمعلم ◦ فانظر كيف انتهى امر الدين الى قوم يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه
والكلام والتدريس فيهما او في غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين
لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتُركوا ولم يختلف اليهم ◦ ثم يتوقع المعلم من المتعلم ان يقوم له في كل
نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض له حمارا في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر في
حقه ثار عليه وصار من اعدائه ◦ فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من ان
يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى صنوف الاغترار

الوظيفة الثالثة

ان لا يدخر من نصح المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها
والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان الغرض بطلب العلوم القرب من الله تعالى دون الرياسة والمباهاة
والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر باكثر مما يفسده فان علم من
باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام
والفتاوى في الخصومات والاحكام فليمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الاخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم
لغير الله فأبى ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به من علم الاخرة ومعرفة
اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ و
الاستتباع ولكن يتنبه في اثناء الامر او في اخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للاخرة
وذلك يوشك ان يؤدي الى الصواب بالاخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ◦ ويجري حب القبول والجاه مجرى
الحب الذي ينثر حول الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله عز وجل ذلك بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها
الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم ◦ اما الخلاف
المحض ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب
وغفلة عن الله وتماديا في الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله برحمته او مزج به غيره من العلوم الدينية ولا
برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله
المستعان ◦ وقيل لسفيان الثوري رحمه الله وقد روي حزينا ما لك حزينا فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا
يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل قاضيا او عاملا او قهرمانا

الوظيفة الرابعة

وهي من دقائق صناعة

التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء وينبهك على هذا قصة آدم وحوا عليهما السلام وما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل للتنبيه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضا يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك مما لا يعزب عن فطنته

الوظيفة الخامسة أن المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي أن يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متكفلا بعلوم فينبغي أن يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة

الوظيفة السادسة أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم فليبث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغي أن يفشي العالم كل ما يعلمه إلى كل أحد هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه ولذلك قال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجوهر في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقه وكتمته فليلجمني وقول الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم تنبيه على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق كما قيل فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسنت مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يخلى وحرفته فإنه لو ذكر له تأويلات الظواهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر تقييده بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي أن يخاض بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فإنه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فإنه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص

الوظيفة الثامنة أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والعود من الظل وكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ولذلك كان وزر العالم في معصيته أكثر إذ يزل بزلته عالم كثير يقتدون به ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه

الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها قال النبي صلى الله عليه وسلم إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال صلى الله عليه وسلم لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك فقال من الأئمة المضلين وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا وقال عيسى عليه السلام إلى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم فإن العالم إما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وإنه بالخوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة

وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لأبي هريرة أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم إضاعة له وقيل لإبراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندامة قال أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن أحمد الرجال أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فأيقظوه ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال الثوري يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل إني لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما تلعب به الدنيا وأنشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين أعجب

وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه أراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطوف به أهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصى عن علم ولذلك قال الله تعالى إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله ولدا ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة ولكن أنكروا بعد المعرفة إذ قال تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى في قصة بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية حتى قال فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث وكذلك العالم الفاجر فإن بلعم أوتي كتاب الله فأخلد إلى الشهوات فشبه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها

عامرة وباطنها عظام الموتى • فهذه الاخبار والاثار تبين ان العالم الذى هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل وان الفايزين والمقربين هم علماء الاخرة ولهم علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الاخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما كالضرتين مهما ارضيت احداهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتى الميزان مهما رجحت احداهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من احدهما بعدت من الاخرى وانهما كقدحين احدهما مملوء فبقدر ما تصب منه فى الاخر يفرغ من هذا فمن لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بالمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للاخرة فان الجمع بينهما طمع فى غير مطمع فهو جاهل بشريعة الانبياء كلهم صلوات الله عليهم اجمعين بل هو كافر بالقران من اوله الى اخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يوثر الاخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته • وفى اخبار داود عليه السلام ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته على محبتى ان احرمه لذيذ مناجاتى يا داود لا تسال عنى عالما قد اسكرته حب الدنيا فيصدك عن طريق محبتى اوليك قطاع طريق عبادى يا داود اذا رايت لى طالبا فكن له خادما يا داود من رد الى هاربا كتبته جهيذا ومن كتبته جهيذا لم اعذبه ابدا • ولذلك قال الحسن رضى الله عنه عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الاخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازى انما يذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلبت الدنيا بهما • وقال عمر رضى الله عنه اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب • وقال مالك بن دينار قرات فى بعض الكتب ان الله تعالى يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتى من قلبه • وكتب رجل الى اخ له انك قد اوتيت علما فلا تطفين نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى اهل العلم فى نور علمهم • وكان يحيى بن معاذ الرازى يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية واخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية وماتمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فاين المحمدية • وانشدوا • وراعى الشاة يحمى الذيب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذياب • وقيل يا معشر القرا يا ملح البلد • ما يصلح الملح اذا الملح فسد • وقيل لبعض العارفين اترى من تكون المعاصى قرة عينه لا يعرف الله تعالى قال لا اشك ان من يكون الدنيا اثر عنده من الاخرة انه لا يعرف الله تعالى وقال ما اشك وهو دون ذلك بكثير • ولا تظنن ان ترك المال يكفى فى اللحوق بعلماء الاخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال بشر رحمه الله حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول اوسعوا لى • ودفن بشر ابن الحارث بضعة عشر ما بين قمطر وقوصرة من الكتب وكان يقول انا اشتهى ان احدث ولو ذهبت عنى شهوة الحديث حدثت • وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشته فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد اعظم من كل تنعم فى الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا ولذلك قال الثورى رحمه الله فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر صلى الله عليه وسلم ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا • وقال سهل رحمه الله العلم كله دنيا والاخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص • وقال ايضا الناس موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يختم له به • وقال ابو سليمان الدارانى اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر فى طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث الذى لا يحتاج اليه فى علم الاخرة • وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى اخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به • وقال صالح بن حسان البصرى ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة • وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من طلب علما مما يبتغى به وجه

الله ليصيب به عرضا من اعراض الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة • وقد وصف الله تعالى علماء السوء باكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الاخرة بالخشوع والزهد فقال فى علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا • وقال فى علماء الاخرة وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم الى قوله اجرهم عند ربهم • وقال بعض السلف العلماء يحشرون فى زمرة الانبياء والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه • وروى ابو الدرداء رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اوحى الله الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذياب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياى يخادعون وبى يستهزءون لافتحن لهم فتنة تذر الحليم فيهم حيرانا • وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال علماء هذه الامة رجلان رجل اتاه الله علما فبذله للناس ولم ياخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين • ورجل اتاه الله علما فى الدنيا فضن به عن عباد الله تعالى واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يعذب حتى يفرغ من حساب الناس • واشد من هذا ما روى ان رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى اثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلام فجعل يسال عنه فلا يحس له اثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل اسود فقال له اتعرف فلانا قال نعم قال هو هذا الخنزير فقال موسى عليه السلام يا رب اسالك ان ترده الى حاله حتى اساله بما اصابه هذا فاوحى الله تعالى اليه لو دعوتنى بالذى دعانى به ادم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين • واغلظ من هذا ما روى عن معاذ رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا فى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يومن على صاحبه الخطا وفى الصمت سلامة وعلم • ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الاول من النار • ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شئ من علمه او تهوون بشئ من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرايب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار • ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطا والله يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار • ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار • ومن العلماء من يتخذ علمه مروة ونبلا وذكرا فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار • ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك فى الدرك السابع من النار عليك بالصمت فبه تغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب او تمشى فى غير ارب • وفى خبر اخر ان العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة • وروى ان الحسن انصرف من مجلسه فحمل اليه رجل من خراسان كيسا فيه خمسة الاف درهم وعشرة اثواب من رقيق البز فقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله تعالى يوم يلقاه ولا خلاق له • وروى عن جابر موقوفا ومرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الريا الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة • وقال الله تعالى فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم • وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فعرف اهل العلم بايثار الاخرة على الدنيا ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بالشئ ما لم يكن هو اول عامل به قال الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم • وقال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون • وقال تعالى فى قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه • وقال تعالى واتقوا الله

والقضاة يحشرون فى زمرة

للناس

خبثه
اتاح الله لفلان كذا اى قدره له وانزله به واتاح له الشئ

البحار

خب
اى بخل

تاتى يوم القيمة ملجما بلجام من نار وساد
مناد على رؤس الخلايق هذا فلان
ابن فلان اتاه الله علما فى الدنيا فضن به
عن عباد الله واخذ به طمعا واشترى به
ثمنا فيعذب

الكبر والفخر

وتعلمكم الله ● وقال تعالى واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا ● وقال تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام
يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني ● وقال النبي صلى الله عليه وسلم مررت ليلة
اسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن الشر وناتيه
وقال صلى الله عليه وسلم هلاك امتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء
وقال الاوزاعي شكت النواويس ما تجد من نتن الكفار فاوحى الله عز وجل اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه
وقال الفضيل بلغني ان الفسقة من العلماء يبدا بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان ● وقال ابو الدرداء رضي الله
عنه ويل لمن لا يعلم مرة واحدة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات ● وقال الشعبي يطلع قوم من اهل
الجنة الى قوم في النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الجنة بفضل تاديبكم وتعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير
ولا نفعله ● وقال حاتم الاصم ليس في القيامة شيء اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو
به ففازوا به وهلك هو ● وقال مالك بن دينار رضي الله عنه ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن
القلوب كما يزل القطر عن الصفا ● وانشدوا ● يا واعظ الناس قد اصبحت متهما اذ عبت امورا انت تاتيها
وقيل لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم ● وقال ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه مررت
بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبني فقلبته فاذا عليه مكتوب انت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم ● وقال
ابن السماك كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جري على الله وكم من مقرب الى الله بعيد عن الله وكم من داع الى
الله فار من الله وكم من تال لكتاب الله منسلخ من ايات الله ● وقال ابرهيم بن ادهم لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا
في اعمالنا فلم نعرب ● وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا انا كنا ندرس العلم في مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم
الله عليه حتى تعملوا ● وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع ● وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم
العلم ولا يعمل به كمثل امراة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله يوم
القيامة على رؤوس الاشهاد ● وقال معاذ رضي الله عنه اتقوا زلة العالم فان قدره عند الناس عظيم فيتبعونه
على زلته ● وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق ● وقال ثلاث بهن يهدم الزمان
احداهن زلة عالم ● وقال ابن مسعود سياتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم
يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها
عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الاخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة
ويطفي مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور بين في عمله فما اخصب الالسن
يومئذ واجدب القلوب فوالله الذي لا اله الا هو ما ذاك الا لان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله ●
وفي الانجيل لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم ● وقال حذيفة انكم في زمان من ترك فيه عشر
ما يعلم هلك وسياتي زمان من عمل بعشر ما علم نجا وذلك لكثرة البطالين ● واعلم ان مثل العالم مثل
القاضي وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض
قضى بالجور وهو يعلم او لا يعلم فهما في النار ● وقال كعب يكون في اخر الزمان علماء يزهدون الناس في
الدنيا وهم لا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة وياتونهم ويؤثرون الدنيا على
الاخرة ياكلون بالسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال
يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره اولئك الجبارون اعداء الرحمن ● وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم فقيل يا رسول الله وكيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل به حتى تعلم
فلا يزال للعلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل به ● وقال سري السقطي رحمه الله اعتزل
رجل ليتعبد وكان حريصا على طلب علم الظاهر فسالته فقال رايت في النوم قائلا يقول الى كم تضيع العلم
ضيعك الله فقلت اني لاحفظه قال ان حفظ العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت على العمل ● وقال

ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية ● وقال الحسن رضي الله عنه اعلموا ما
شئتم ان تعلموا فوالله لا ياجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية ● وقال مالك
رضي الله عنه ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين
تمسي ولا تؤثرن عليه شيئا ● وقال ابن مسعود انزل القران ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسياتي قوم يثقفونه مثل
القناة ليسوا بخياركم العالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الاطعمة ولا يجدها وفي
مثله قال تعالى ولكم الويل مما تصفون ● وفي الخبر مما اخاف على امتي زلة العالم وجدال منافق في القران
ومنها ان تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الاخرة المرغب في الطاعة متجنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها
الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف
طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والادوية وغرائب الطب وترك مهمه
الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه ● وقد روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب
العلم فقال له ما صنعت في راس العلم قال وما راس العلم قال هل عرفت الرب عز وجل قال نعم قال
فماذا صنعت في حقه قال ما شاء الله قال هل عرفت الموت قال نعم قال فماذا اعددت له قال ما شاء الله فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اذهب فاحكم ما هناك ثم تعال نعلمك غرائب العلم بل ينبغي ان يكون التعلم من جنس ما روي عن
حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق منذ كم صحبتني فقال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فماذا تعلمت
مني في هذه المدة فقال ثمان مسائل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثماني
مسائل قال يا استاذ لم اتعلم غيرها ولا احب ان اكذب فقال هات هذه الثماني مسائل حتى اسمعها قال حاتم
نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات
محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت في قوله تعالى واما
من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فعلمت ان قوله الحق فجاهدت نفسي في دفع الهوى
حتى استقرت على طاعة الله عز وجل ● الثالثة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت ان كل من معه شيء له قيمة عنده
ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت في قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع لي شيء له مقدار
وقيمة وجهته اليه ليبقى لي عنده ● الرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الى المال
والحسب والشرف والنسب فنظرت فاذا هي لا شيء ثم نظرت الى قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
فعملت في التقوى حتى اكون عند الله كريما ● الخامسة اني نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض
ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسم من عند الله تعالى وتركت عداوة الخلق عني ● السادسة
اني نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا فاتخذته عدوا وعاديته وحده واجتهدت في اخذ حذري منه لان الله تعالى شهد عليه انه
عدو لي فتركت عداوة الخلق ● السابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة
فيذل لها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت اني
واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله وتركت ما لي عنده ● الثامنة اني نظرت
الى هذا الخلق فرايتهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صنعته وهذا على صحة بدنه وكل
مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت عليه فهو حسبي ● قال ونعم الوكيل
شقيق يا حاتم وفقك الله فاني نظرت في علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان وهي تدور على هذه الثماني
مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة ● فهذا الفن من العلم يهتم بادراكه والتفطن له علماء الاخرة
واما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون امثال هذه العلوم التي بها بعث
الانبياء كلهم ● وقال الضحاك ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام

ومنها ان يكون غير مائل الى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن بل
يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل في جميع ذلك وكلما زاد الى طرف القلة
ميله ازداد من الله عز وجل قربه وارتفع في علماء الاخرة حزبه ويشهد لذلك ما حكي عن ابي عبد الله
الخواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم
الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة
فلما كان من الغد قال لحاتم الك حاجة فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر
الى الفقيه عبادة فانا ايضا اجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا الى الباب فاذا هو مشرف حسن
فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحالة ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء واذا بزة وامتعة وستور فبقي
حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه واذا بفرش وطية وهو راقد عليها وعند راسه غلام وبيده مذبة فقعد
الزائر وسال وحاتم قائم فاوما اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس فقال له لعل لك حاجة فقال نعم فقال
ما هي فقال مسئلة اسئلك عنها قال سل قال قم فاستو حتى اسئلك فاستوى جالسا فقال حاتم علمك هذا من اين اخذته
قال الثقات حدثوني به قال عمن قال عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال واصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عمن قال
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والنبي صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل
قال حاتم ففيما اداه جبريل عليه السلام عن الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم واداه النبي صلى الله عليه وسلم
الى اصحابه واصحابه الى الثقات والثقات اليك هل سمعت في العلم من كان في داره اميرا وكان في داره النزه
والمتاع الحسن وكانت سعته اكثر كان له عند الله المنزلة اكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت انه من زهد
في الدنيا ورغب في الاخرة واحب المساكين وقدم لاخرته كان له عند الله المنزلة قال له حاتم فانت بمن اقتديت
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الصالحين ام بفرعون ونمرود اول من بنى بالجص والاجر يا علماء السوء مثلكم يراه
الجاهل المكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن
مقاتل مرضا وبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا ان الطنافسي بقزوين اكثر شيئا منه فسار حاتم
اليه متعمدا فدخل عليه فقال يرحمك الله انا رجل اعجمي احب ان تعلمني مبتدا ديني ومفتاح صلاتي كيف اتوضا
للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فاتي به فقعد الطنافسي وتوضا ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا
فتوضا قال حاتم مكانك حتى اتوضا بين يديك فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضا وغسل
الذراعين اربعا فقال له الطنافسي يا هذا اسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك اربعا قال
حاتم يا سبحان الله انا في كف من ماء اسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون
التعلم فدخل البيت فلم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل بغداد اجتمع اليه اهل بغداد وقالوا يا ابا عبد الرحمن
انت رجل الكن اعجمي ليس يكلمك احد الا قطعته قال معي ثلاث خصال بهن اظهر على خصمي افرح اذا اصاب خصمي
واحزن اذا اخطا واحفظ نفسي ان لا اجهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل رحمه الله فقال سبحان الله ما اعقله قوموا
بنا اليه فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى
يكون معك اربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم ايسا فاذا كنت
هكذا سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله اهل المدينة فقال يا قوم اية مدينة هذه قالوا مدينة النبي صلى الله
عليه وسلم قال فاين قصره حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطئ بالارض قال فاين قصور
اصحابه قالوا ما كانت لهم قصور انما كانت لهم بيوت لاطئة بالارض فقال له حاتم يا قوم هذه مدينة فرعون
فاخذوه وذهبوا به الى السلطان فقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذلك قال
حاتم لا تعجل علي انا رجل اعجمي غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت اين قصره وقص عليه القصة وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن
تاسيتم ابرسول الله صلى الله عليه وسلم ام بفرعون فانه اول من بنى بالجص والاجر فخلوا عنه وتركوه وهذه

المريض عن حالهم
وهامان
اكثر شانا
اجل
كلام

حكاية حاتم ● وسياتي من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه ● والتحقيق فيه ان التزين
بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشهد لذلك في مواضعه ● والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام
ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها
ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراآتهم وامور اخر هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من
خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا
حتى نزع القميص المعلم ونزع الخاتم من الذهب في اثناء الخطبة الى غير ذلك مما سياتي بيانه ● وقد حكي ان يحيى
ابن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن انس رحمه الله بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد في الاولين والاخرين
من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس اما بعد فقد بلغني انك تلبس الرقاق وتاكل الرقاق وتجلس على الوطا
وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وضربت اليك المطي وارتحل اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا
بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه الا الله والسلام فكتب
اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد سلام عليك اما بعد فقد وصل الي كتابك
فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والادب امتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا واسال الله التوفيق ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاما ما ذكرت من اني اكل الرقاق والبس الرقاق واحتجب واجلس على الوطا
فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله وقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من
الرزق واني لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام ●
فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف بان ترك ذلك خير وافتى بانه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك في منصبه
اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى نفسه ايضا على الوقوف على حدود المباح حتى
لا يحمله ذلك على المراياة والمداهنة والتجاوز الى المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم في
المباح خطره عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله الخشية وخاصية الخشية التباعد من
مظان الخطر ● ومنها ان يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار
عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز من مخالطتهم وان جاؤوا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين
والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار
عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فيكون مداهنا او متكلفا في كلامه لمرضاتهم وتحسين حالهم
وذلك هو البهت الصريح او يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسياتي في كتاب الحلال والحرام
ما يجوز ان يؤخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح
للشرور وعلماء الاخرة طريقهم الاحتياط وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من سكن البادية
جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن ● وقال صلى الله عليه وسلم سيكون منكم امراء
تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله قيل افلا نقاتلهم قال لا
ما صلوا ● وقال سفيان رحمه الله في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك ● وقال
حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول
ما ليس فيه ● وقال صلى الله عليه وسلم العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا
ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس ● وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من ياخذ عنك
فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون ابواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقي لا
يفلح منهم الا القليل ● ولذلك قال سعيد بن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص
وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله عز وجل من عالم يزور عاملا ● وقال صلى الله عليه وسلم
شرار العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء ● وقال مكحول الدمشقي من تعلم القران
وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض في نار جهنم بعدد خطاه ● وقال سمنون

في المطرز بالعلم
وصلى الله على سيدنا محمد في الاولين والاخرين
في من الدخول فيه
بلغ

ما اسمج بالعالم ان يوتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال
اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد
الخروج فارى عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت اني والفضاضة م
انجو من الدخول كفافا مع اني لا اخذ منهم شيا ولا اشرب لهم شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني
اسرايل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم
وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم • وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابن المبارك يعني سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال كان لا يغشى السلاطين وينفر عنهم فقال له
بنوه ياتي هولاء من ليس مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني اتي جيفة قد احاط بها قوم والله
لين استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا اذا نهلك هزلا قال يا بني لان اموت مومنا مهزولا احب الي من يا ابة م
ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب ياكل اللحم والسمن دون الايمان • وفي
هذه اشارة الى ان الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد الايمان • وقال ابو ذر
لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيا الا اصابوا من دينك افضل منه
وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال
الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعاير الشرع الى ان
يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويتكلف ويداهن ويخوض في الثناء
والاطراء وفيه هلاك الدين • وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا
فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا • وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن رحمهما الله اما بعد فاشر علي
بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل الدين فلم يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن
عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة وهذا في عمر بن عبد العزيز وكان ازهد
اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف
مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابرهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون في علماء الدنيا من اهل
مكة والشام اما لميلهم الى الدنيا او لمخالطتهم للسلاطين • ومنها ان لا يكون مسارعا الى الفتوى بل
يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سيل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله تعالى او بنص
حديث او اجماع او قياس جلي افتى وان سيل عما يشك فيه قال لا ادري وان سيل عما يظنه باجتهاد وتخمين
احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم
وفي الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قايمة ولا ادري قال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن الشافعي م
سكت حيث لا يدري لله سبحانه فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت
عادة الصحابة والسلف كان ابن عمر اذا سيل عن الفتوى قال اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس
فضعها في عنقه • وقال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون • وقال جنة العالم
لا ادري فاذا اخطاها اصيبت مقاتله • وقال ابرهيم بن ادهم ليس شي اشد على الشيطان من عالم يتكلم
بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد علي من كلامه • ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة
وكلامهم ضرورة اي ما يتكلمون حتى يسيلوا واذا سيلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا اجابوا
وكانوا يعدون الابتداء قبل السوال من الشهوة الخفية للكلام • ومر علي وعبد الله رضي الله عنهما برجل ابن مسعود م
يتكلم على الناس فقالا هذا يقول اعرفوني • وقال بعضهم انما العالم الذي اذا سيل عن المسلة فكانما
يقلع ضرسه • وكان ابن عمر يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم • وقال ابو حفص النيسابوري
العالم هو الذي يخاف عند السوال ان يقال له يوم القيامة من اين اجبت • وكان ابرهيم التيمي اذا سيل عن
مسلة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي وكان ابو العالية الرياحي وابرهيم والثوري وابن ادهم يتكلمون
النخعي

على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا • وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ادري اعزير نبي ام لا وما ادري
تبع ملعون ام لا وذو القرنين نبي ام لا • ولما سيل صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع وشرها قال لا ادري حتى
نزل جبريل عليه السلام فساله عن ذلك فقال لا ادري الى ان اعلمه الله عز وجل ان خير البقاع المساجد وشرها
الاسواق • وكان ابن عمر رضي الله عنه يسيل عن عشر مسايل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع • وكان
ابن عباس رضي الله عنه يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة • وكان في الفقهاء من يقول لا ادري اكثر من ان
يقول ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث • وقال
عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد ماية وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيهم
من احد يسيل عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك • وفي لفظ اخر كانت المسلة تعرض
على احدهم فيردها الى الاخر ويردها الاخر الى الاخر حتى تعود الى الاول • وروي ان اصحاب الصفة
اهدي لاحدهم راس مشوي وهو في غاية الضر فاهداه الى الاخر واهداه الاخر الى الاخر وهكذا دار
بينهم حتى رجع الى الاول • فانظر الان كيف انعكس امر العلماء فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب
مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتوى ما روي مسندا انه لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او
مامور او متكلف • وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون اربعة اشياء الامامة والوديعة والوصية
والفتوى وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم • وكان شغل الصحابة
والتابعين في خمسة قراة القران وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك
لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ثلاثا امر بمعروف او نهي عن منكر
او ذكر الله تعالى • وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس • وراى بعض العلماء بعض اصحاب الراي من الكوفة في المنام فقال ما رايت فيما كنت
عليه من الفتوى والراي فكره وجهه واعرض وقال ما وجدناه شيا وما حمدنا عاقبته • وقال
ابن حصين ان احدكم ليفتي في مسلة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر ولم
يزل السكوت داب اهل العلم الا عند الضرورة • وفي الخبر اذا رايتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا
فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة • وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب الاساطين او
عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا المتفردون • وكان
يقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منها ومثل بشر بن الحارث مثل بير عذبة مغطاة لا يقصدها
الا واحد بعد واحد • وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر علما
وقال ابو سليمن الداراني المعرفة الى السكوت اقرب منها الى الكلام • وقال بعضهم اذا كثر العلم
قل الكلام • وكتب سلمان الى ابي الدرداء وكان قد اخا بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخي بلغني
انك قعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفا وان كنت متطببا فالله الله لا
تقتل مسلما فكان ابو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سيل • وكان انس رضي الله عنه اذا سيل يقول سلوا
مولانا الحسن • وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول سلوا حارثة بن زيد وكان عمر رضي الله عنه يقول
سلوا سعيد بن المسيب • وحكي انه روى صحابي بحضرة الحسن عشرين حديثا فسيل عن تفسيرها فقال
ما عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ
الصحابي كفا من حصا ورماهم به وقال تسلوني عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم • ومنها ان يكون
اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الاخرة وسلوكها وصدق الرجا في انكشاف ذلك
من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة ودقايق علم القلوب وتتفجر بها ينابيع الحكمة من
القلب • اما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة
والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله سبحانه في الخلوة مع حضور القلب

بصافي الفكر والانقطاع الى الله عز وجل عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله عز وجل له من لطائف الحكم ما تحار فيه عقول ذوي الالباب ● ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم ● وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر ياتي به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي باداب الروحانيين وتخلقوا الي باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان افتوك وافتوك ● وقال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا الحديث ● فكم من معان دقيقة من اسرار القران تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطاف الله تعالى بالهمم المتوجهة اليه ● وكذلك علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هولاء العلماء قال علي رضي الله عنه في حديث طويل القلوب اوعية وخيرها اوعاها والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكيه التعليم والمال تنقصه النفقة محبة العالم دين يدان به يكتسب به الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه ان هاهنا علما جما لو وجدت له حملة بل اجد طالبا غير مامون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله تعالى على اوليائه ويستظهر بحججه على خلقه او منقادا لاهل الحق ينزرع الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذات سلس القياد في طلب الشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار منقادا لهواه اقرب شبها بهم الانعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه بل لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله وبيناته وانى اولئك اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا ارواح اليقين فاستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك اولياء الله من خلقه وعماله في ارضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم ● فهذا الذي ذكره اخيرا هو وصف علماء الاخرة وهو العلم الذي يستفاد اكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة

ومنها ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس مال الدين قال النبي صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله ولا بد من تعلم علم اليقين اعني اوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل منه خير من كثير من العمل وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم ما من ادمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اوتي حظه منهما لم يبال ما فاته من صيام النهار وقيام الليل

وفي وصية لقمن لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه ● وقال يحيى بن معاذ التوحيد نور والشرك نار ونور التوحيد احرق لسيات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واراد به اليقين وقد اشار القران الى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات **فان قلت** فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين اما النظار والمتكلمون فيعنون باليقين عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق له اربع مقامات ● الاول ان يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله عز وجل يعاقبه ام لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ولا نفي بل يستوي عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا ● الثاني ان تميل نفسك الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى العقاب لظهور علامات الصلاح ومع هذا تجوز اختفاء امر موجب العقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا ● الثالث ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولا نقيضه ولو خطر بالبال لتابت النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك عن معرفة محققة اذ لو احسن صاحب هذا المقام التامل والاصغاء الى التشكيك والتجويز لاتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لها امكان خطاء امامها لنفرت عن قبوله ● الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور التشكيك فيه فاذا امتنع وجود الشك وامكانه يسمى يقينا عند هولاء ● ومثاله اذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم ازلي ضروريا مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضروري فحق غريزة العقل ان تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ثم يستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فان كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب او فيها حادث بلا سبب وذلك محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لان الاقسام ثلاثة وهو ان تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد ثبت المطلوب اذ ثبت في الجملة قديم وان كان الكل حادثا فهو محال اذ يودي الى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثاني او الاول اذ كل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء علم بنظر كما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة عقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان المطبوخ يسهل او بدليل كما ذكرناه فشرط اطلاق الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هولاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت في نفي الشك

الاصطلاح الثاني للفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا يشك فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه قد يجوز ان لا ياتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى وصار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتجويز والمنع سمي ذلك يقينا ولا شك في ان الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه والى الاستعداد له وكانه غير موقن به ● ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رايت يقينا لا شك

انا
فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن اردنا بقولنا
ان من شان علماء الاخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليطه على النفس حتى يكون
هو الغالب المتحكم وهو المتصرف واذا فهمت هذا علمت المراد من قولنا اذا قلنا ان اليقين ينقسم ثلاثة اقسام بالقوة
والضعف والقلة والكثرة والخفا والجلا فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء
على القلب ودرجات اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق في استعدادهم للموت بحسب تفاوت اليقين
بهذه المعاني ● اما التفاوت بالخفاء والجلاء فلا ينكر ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر اعني الاصطلاح
الثاني وفيما انتفى الشك عنه ايضا لا سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود
فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى عليه السلام ووجود يوشع مع انك لا تشك في الامرين جميعا اذ
مستندهما التواتر ولكن ترى احدهما اجلى واوضح في قلبك من الثاني لان السبب في احدهما اقوى من الاخر
وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح له
بدليل واحد كوضوح ما لاح له بادلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي ياخذ
العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال ● واما القلة والكثرة فذلك
بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان اكثر علما اي معلوماته اكثر ولذلك قد يكون العالم قوي اليقين
في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوي اليقين في بعضه **فان قلت** فقد فهمت اليقين
وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفي الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات
اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فاني ما لم اعرف ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه ● فاعلم
ان جميع ما ورد به الانبياء عليهم السلام من اوله الى اخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن
معرفة مخصوصة متعلقة بالمعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في احصائها ولكني اشير الى
بعض امهاتها ● فمن ذلك التوحيد وهو ان يرى الاشيا كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسايط
بل يرى الواسطة مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا مومن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو
موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه غلبة ازالت منه الغضب على الوسايط والرضى عنهم والشكر لهم ونزل الوسايط
في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما
آلتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفايدته
ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بامره حسب تسخير
القلم في يد الكاتب وان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى عليه التوكل والرضا والتسليم وصار بريا
من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب اليقين ● ومن ذلك الثقة بضمان الله
تعالى للرزق في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له
سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتاسفه على ما يفوته
واثمر هذا اليقين جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ● ومن ذلك ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب
كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على تحصيل الخبز
طالب الشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم
وكثيرها كذلك يجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها ● واليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المومنين
واما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات
والمبالغة في التقوى والتحرز عن السيئات وكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتشمير ابلغ ● ومن
ذلك اليقين بان الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا بواطنك وفكرك وهذا
متيقن عند كل مومن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون

معا
فهي
ايضا

وثمرته ان يكون الانسان في خلوته متادبا في جميع احواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا
متادبا متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله الظاهرة اذ يتحقق
ان الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه
لنظر الله تعالى ولعينه الكالية اشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام في اليقين يورث
الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث
انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق في القلب مثل الاغصان
المتفرعة منها وهذه الاعمال الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس
والاصل وله مجار وابواب اكثر مما عددناه وسياتي ذلك في ربع المنجيات وهذا القدر كاف في تفهيم اللفظ
الان **ومنها** ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته
وحركته وسكونه لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله كالجواد عينه
مراته ● فعلماء الاخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذل والتواضع ● وقد قيل ما البس الله تعالى عبدا
لبسة احسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الانبياء عليهم السلام وسيما الصديقين والعلماء فاما التهافت في
الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من اثار البطر والامن والغفلة
عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو داب ابناء الدنيا الغافلين عن الله تعالى دون العلماء به وهذا
لان العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري رحمه الله عالم بامر الله تعالى لا بايام الله تعالى وهم المفتون في الحلال
والحرام وهذا العلم لا يورث خشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله تعالى وهم عموم المومنين وعالم
بالله وبامر الله وبايام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع انما تغلب عليهم واراد بايام الله انواع عقوباته
الغامضة ونعمه الباطنة التي افاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر
خشوعه ● قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون
وليتواضع لكم من تعلم منكم ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ● ويقال ما اتى الله عبدا
علما الا اتاه معه تواضعا وحلما وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الاثر من اتاه الله عز وجل علما
زهدا وتواضعا وحلما وحسن خلق فهو امام المتقين ● وفي الخبر ان من خيار امتي قوما يضحكون جهرا
من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم في السماء ارواحهم في الدنيا
وعقولهم في الاخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة ● وقال الحسن رحمه الله الحلم وزير العلم
والرفق ابوه والتواضع سرباله ● وقال بشر بن الحارث رحمه الله من طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله
ببغضه فانه ممقوت في السماء والارض ● وروي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين
مصنفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملات الارض نفاقا ولم تردني في
شيء من ذلك واني لا اقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل
بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له الان وافقت رضاي ● وحكى الاوزاعي
رحمه الله عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطي فيستعيذ بالله منه وينظر الى علماء الدنيا
المتصنعين للخلق المتشوفين الى الرياسة فلا يمقتهم وهم احق بالمقت من ذلك الشرطي ● وروي انه قيل
يا رسول الله اي الاعمال افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل
فاي الاصحاب خير قال صاحب ان ذكرت اعانك وان نسيت ذكرك قيل فاي الاصحاب شر قال
صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس اعلم قال اشدهم لله تعالى خشية
قالوا فاخبرنا بخيارنا يا رسول الله نجالسهم قال الذين اذا رأوا ذكر الله تعالى قالوا فاي الناس
شر قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا ● وقال صلى الله عليه وسلم
ان اكثر الناس امانا يوم القيامة اكثرهم فكرا في الدنيا واكثر الناس ضحكا في الاخرة اكثرهم بكاء في الدنيا

والطاعات صح
ونطقه وسكونه صح
فالجواد
والاشر صح

واشد الناس ندما في الآخرة أطولهم حزنا في الدنيا ● وقال علي رضي الله عنه في خطبته ذمتي بما أقول رهينة وأنا زعيم
لا يهيج على التقوى زرع ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره وإن أبغض الخلق إلى الله
تعالى رجل قمش علما أغار في أغباش الفتنة سماه أشباه الناس وأرذالهم عالما ولم يغن في العلم يوما سالما بكر فاستكثر
ما قل منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل جلس للناس معلما ليخلص ما التبس على غيره فإن نزلت به إحدى
المهمات هيأ لها حشوا من رأيه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب ركاب
جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكي منه الدماء وتستحل بقضائه
الفروج الحرام لا ملي والله بإصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما فرط به أولئك الذين حلت عليهم النياحة والبكاء أيام
حياة الدنيا ● وقال علي رضي الله عنه إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب ● وقال
بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة ● وقيل إذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع
وحسن الخلق وإذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم العقل والأدب وحسن الفهم ● وعلى الجملة فالأخلاق
التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرئاسة ● وقال ابن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا
برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما
ينبغي أن يتوقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ما
يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده وينثره نثر الدقل ● وفي خبر آخر بمثل معناه كنا أصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه ويضيعون
حدوده ويقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم ● وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الأمة ● وقيل
خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق ● وإيثار
الآخرة على الدنيا وهو الزهد ● أما الخشية فمن قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء ● وأما الخشوع فمن قوله تعالى
خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ● وأما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ●
وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ● وأما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله
خير لمن آمن ● ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام فقيل ما هذا
الشرح فقال إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة فقال نعم التجافي عن
دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ● **ومنها** أن يكون أكثر بحثه عن علم
الأعمال عما يفسد الأعمال ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر فإن أصل الدين التوقي من الشر ولذلك
قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ● ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ● ولأن الأعمال
الفعلية قريبة وأقصاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وإنما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها
وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه وتعم البلوى به في سلوك طريق الآخرة
وأما علماء الدنيا فإنهم يتبعون غرائب التفريع في الحكومات والأقضية ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور
ولا تقع وإن وقعت فإنما تقع لغيرهم لا لهم وإذا وقعت كان في القائمين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم
آناء الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره
النادر إيثارا للقبول والتقرب من الخلق على التقرب من الله عز وجل وشرها في أن يسميه البطالون من أهل الدنيا
فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله عز وجل أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب
الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين
ولقد كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء عليهم السلام وأقربهم هديا من الصحابة اتفقت الكلمة في
حقه على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة
من شهوات النفس وقيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لم يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته قال من حذيفة بن
اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته قال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني ● وقال
مرة فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير ● وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا
يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأل عن آفات
الأعمال خصني بهذا العلم ● وكان حذيفة رضي الله عنه قد خص أيضا بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق
وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة
وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بأعداد من بقي ولا يخبر بأسمائهم ● وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه
هل يعلم به شيئا من النفاق فبرأه من ذلك ● وكان عمر إذا دعي إلى جنازة نظر فإن حضر حذيفة صلى عليها
وإلا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو
الساعي إلى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد
وقيل هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال الطرق شتى وطرق الحق مفردة
والسالكون طريق الحق أفراد ● لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد ●
والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد ● وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل
والأوفق لطباعهم فإن الحق مر والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة
صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة فإن ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة شارب
الدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت
ومتى تكثر الرغبة في مثل هذه الطريق ولذلك قيل كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير
ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم سهل التستري والصبيحي
وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة
لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب ● **ومنها** أن يكون اعتماده
في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما
المقلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة من حيث إن فعلهم يدل
على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في تلقي أقواله
وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصا على فهم أسراره فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأن الرسول صلى الله
عليه وسلم فعله فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعله إلا لسر فيه فينبغي أن يكون شديد البحث
عن أسرار الأعمال والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالما ولذلك كان
يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالما إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار
ومن انكشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي أن يقلد غيره
ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة ● وقال بعض
السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ
ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول
الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أمورا أدركت بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من
حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان
الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف
محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد
وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون
يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتفكر

وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره ابو بكر الصديق رضي الله عنه وجماعة من الصحابة جمع القران في
مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا
نترك القران يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هو شغلهم وهمهم حتى اشار عمر وبقية الصحابة
رضي الله عنهم بكتب القران خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذارا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه
في كلمة او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر لذلك فجمع القران في مصحف واحد • وكان احمد بن حنبل
ينكر على مالك تصنيفه الموطا ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة • وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب
ابن جريج في الاثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطا واصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني
باليمن جمع فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب الموطا بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع
حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والغوص في ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ
بها فاخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان وصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات
النفس ومكايد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف
كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره
ولم تكن سيرة الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هولاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء
وتوارث اللقب خلف عن سلف واضحى علم الاخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم
كان اذا قيل لهم فلان اعلم ام فلان فكان يقال فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق
بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى
الامر الى ان مظهر الانكار يستهدف للنسبة الى الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت • ومنها
ان يكون شديد التوقي عن محدثات الامور وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق
على ما احدث بعد الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر
همهم اكان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولي الاوقاف والوصايا ومال الايتام
ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة او في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الباطن والظاهر
واجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان الى غير ذلك من علوم
الباطن • وتعلم حقيقا ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم بطريق السلف
فمنهم اخذ الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما ان قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان
يكترث بمخالفة اهل العصر في موافقة اهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس راوا رايا فيما هم
فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا انه لا سبيل الى الجنة
سواه ولذلك قال الحسن محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو راي سوء زعم ان الجنة لمن راى مثل رايه
ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار ان رجلا اصبح في هذه الدنيا
بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه قد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح
يسال عن افعالهم ويقتص اثارهم متعرض لاجر عظيم فكذلك فكونوا • وقد روي عن ابن مسعود موقوفا
ومسندا انه قال انما هما اثنان الكلام والهدي فاحسن الكلام كلام الله عز وجل واحسن الهدي هدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها وان كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم الا كل ما هو ات قريب الا ان البعيد ما ليس باتٍ ان صح
وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية
وخالط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره وانفق الفضل نفسه صح
من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة • وكان ابن مسعود يقول حسن الهدي
في اخر الزمان خير من كثير من العمل • وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسياتي بعدكم زمان يكون خيرهم

المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات ولقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم فيه وخاض فيما خاضوا هلك
كما هلكوا • وقال حذيفة رضي الله عنه اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم اليوم معروف
زمان قد اتى وانكم لن تزالوا بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فاكثر معروفات هذه
الاعصار منكرات في عصر الصحابة اذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة
في دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها وقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج
وقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من اجل علوم
الزمان ويزعمون انه من اعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات • ومن ذلك التلحين في الاذان والقران • ومن ذلك
التقشف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الاطعمة
وتحريمها الى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث قال انتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسياتي عليكم زمان
يكون العلم تابعا للهوى • وكان احمد يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرائب ما اقل الفقه فيهم والله المستعان
وقال مالك بن انس لم يكن الناس فيما مضى يسالون عن هذه الامور كما يسال الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا
حلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب ومعناه انهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب فاما الحرام فكان
فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسالوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم
عن السنة فانهم لا يعرفونها • وكان ابو سليمان الداراني رحمه الله يقول لا ينبغي لمن الهم شيئا من الخير ان يعمل به على ان لا صح
حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذا وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان ما ابدع من الاراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب
وربما تشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الاثار ولهذا لما احدث مروان
المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست بدعة
هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا تاتون بخير مما اعلم ابدا
والله لا صليت وراءك اليوم وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكا في خطبة العيد والاستسقاء
على قوس او عصى لا على المنبر • وفي الحديث المشهور من احدث في ديننا ما ليس منه فهو رد وفي حديث اخر من غش منه صح
امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يعمل الناس عليها
وقال صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله لم تنله شفاعته • ومثال الجاني
على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف
امر الملك في خدمة معينة وذلك قد يغفر فاما قلب الدولة فلا • وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت
عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف • وقال اخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز
ومن وقف معه اكتفى • وقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه العالي ويرتفع اليه
التالي • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا وقال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فكل ما احدث بعد الصحابة مما جاوز قدر الضرورة والحاجة
فهو من اللعب واللهو • وحكي عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم
فقالوا ما راينا مثل هولاء ما نصيب منهم شيئا قد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل
ربهم ولكن سياتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسين فقالوا ما راينا
اعجب من هولاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان اخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل سيئاتهم
حسنات فقال انكم لن تنالوا من هولاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سياتي بعد هولاء قوم تقر
اعينكم بهم فتلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل
سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الاولى فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا
لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء فقادوهم انى شاءوا • فان قلت من اين ابليس صح
عرف قائل هذا ما قاله ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت

تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الامثلة كما يكون في المنام وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك وان يكون حظك من هذا العلم انكار ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمين انهم احاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو الى انكار هذه الامور لاولياء الله تعالى ومن انكر ذلك للاولياء لزمه انكاره للانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء ● قال سهل التستري رحمه الله ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وان ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائل الى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت ● واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سياتي في كتاب العزلة بيانه ● ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تعالى معه الا كان اثما او كانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ● ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة او عن سماع غيبة او عن سكوت على منكر واحسن احواله ان يفيد علما او يستفيد ولو تامل علم ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك الة الى طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردءا وظهيرا ومهيئا للاسباب كالذي يبيع السيف من قاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص في البيع ممن يعلم بقرائن احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الاخرة تجمع كل واحدة منها جملة من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل الة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الايسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فبها هلك الجمهور فنسال الله تعالى ان يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

مثل صح

خصلة

سهن صح

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل

اعلم ان هذا مما لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والاخرة او كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهائم بدنا واشدها ضراوة واقواها سطوة اذا راى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاكراد والاتراك واجلاف العرب مع قرب رتبتهم من البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلالا على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والايات في ذكر شرفه وقد سماه الله تعالى نورا في قوله الله نور السموات والارض وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة فقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا ● وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور ● وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله تعالى وان كان دميم المنظر حقير الخطر حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تغتر بتعظيم اهل الدنيا اياه فانهم من الخاسرين ● وقال النبي صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله

دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم الخطر صح

العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب ● فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائما بنفسه لا يتحيز ● فاعلم ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا الان ذكر علوم المعاملة وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم ● وعن عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله ● وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس ● وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ● وعن عمر رضي الله عنه انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سالتك فقال كما قلت ثم قال سالت جبريل ما السودد قال العقل ● وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كثرت المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان لكل شيء مطية ومطية المرء العقل واحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة افضلكم عقلا ● وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من فلان وفلان ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم ● وعن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله تعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني ادم على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله اوفرهم عقلا ● وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الاخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عائشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله تعالى من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء الة وعدة وان الة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم راع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الاخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل ● وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المؤمنين الى الله تعالى من نصب في طاعة الله تعالى ونصح لعباده وكمل عقله ونصح لنفسه فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح ● وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله تعالى خوفا واحسنكم فيما امركم به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا

قال

الناس صح

انهم صح

نياتهم وقدر عقولهم صح

بيان حقيقة العقل واقسامه

اعلم ان الناس قد اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم يطلق على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه ● فالاول الوصف الذي يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي اراده الحارث المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيا بها ادراك العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن

علم حقيقته صح

ن

العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة مع فقد العلم وكما ان الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم
للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها يتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز
ان يسوى بين الانسان والحمار في الغريزة ويقال لا فرق الا ان الله تعالى بحكم اجراء العادة يخلق في الانسان علوما
وليس يخلقها في الحمار والبهائم لجاز ان يسوى بين الجماد والحمار في الحياة ويقال لا فرق الا ان الله تعالى يخلق في
الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة وانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه
فالله تعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركة الا بغريزة
اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الانسان للبهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل احتضت به صح
وهو كالمرآة التي تفارق غيرها من الاجسام في حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة
وكذلك العين تفارق الجبهة بصفات وهيآت بها استعدت للرؤية ونسبة هذه الغريزة في سياقها الى
انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغي ان تفهم هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم
لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغي ان تفهم هذه الغريزة **الثاني** هي العلوم التي تخرج الى الوجود الى العلوم نسبة العين الى الرؤية ونسبة البيان والشرع الى هذه الغريزة صح
في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد
لا يكون في مكانين وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم الضرورية بجواز
الجائزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر
وانما الفاسد ان تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم **الثالث** علوم تستفاد لبعض صح
من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف في النوائب خ المراتب
به يقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع من العلوم يسمى عقلا **الرابع** ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان
تعرف عواقب الامور وتقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة وتقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها آخرجم
عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذا صاحبها صح
ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن الحيوان ● فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب سايرجم
والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة
الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي رضي الله عنه
العقل عقلان فمطبوع ومسموع ● ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع ● كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع
والاول هو المراد بقوله النبي صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والاخير
هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقوله
صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي وكيف لي
بذلك فقال اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا وتعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في
عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز ● وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه
ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
من اعلم الناس فقال العاقل فقالوا فمن اعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال
العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته
فقال صلى الله عليه وسلم وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو
المتقي وان كان في الدنيا خسيسا دنيا ● وقال في حديث آخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل
بطاعته ● ويشبه ان يكون الاسم في اصل اللغة لتلك الغريزة وهكذا في الاستعمال انما اطلق
على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله
تعالى فان الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود
ان هذه الاقسام الاربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم الاول

والصحيح وجوده بل هو الاصل وهذه العلوم كانها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر الى الوجود اذا جرى
سبب يخرجها الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكانها كانت
مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الارض فانه يظهر بحفر القني ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليها شيء جديد
وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ● ولذلك قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من
ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الاية والمراد اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم
انقسموا في اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص ولذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن
الله معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت به نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التي فطر الناس عليها اي كل آدمي فطر
على الايمان بالله تعالى بل على معرفة الاشياء على ما هي عليه اعني انها كالمضمنة فيه لقرب استعدادها للادراك
ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى من اعرض فنسي وهم الكفار والى من
اجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال تعالى لعلهم
يتذكرون ● وليتذكر اولو الالباب ● واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ● وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد ● وكأن التذكر ضربان
احدهما ان تذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود ● والآخر ان يكون عن صورة كانت
مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد
دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تأويل التذكر واقرار النفوس انواعا من
التعسفات ويتخايل اليه في الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين
الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ● ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيعثر بالاواني المصفوفة في
الدار فيقول ما لهذه الاواني لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل
في بصرك وكذلك خلل البصيرة يجري مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى
الفارس اضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن بصيرة الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفؤاد
ما رأى وقال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ● وسمى ضده عمى فقال تعالى
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ● وقال ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى
واضل سبيلا وهذه الامور التي كشفت للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمي الكل رؤية
وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقائقه
فهذه اقسام ما ينطلق اسم العقل عليه **بيان تفاوت الناس في العقل** اختلف الناس في تفاوت
العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى المبادرة الى التصريح بالحق والحق
الصريح فيه ان التفاوت الذي يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز
الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون الجسم في
مكانين وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه ادراكا محققا من غير
شك فاما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها ● اما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على
قمع الشهوات لا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت تارة
يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور
عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة
تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر
الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان
يعتقد فيه على الجملة مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه اشد فيكون الخوف جندا للعقل
وعدة في قمع الشهوة وكسرها ولذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصي من العامي لقوة علمه بضرر

المعاصي واعني به العالم الحقيقي دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهة
الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه ● وقد يكون لمجرد التفاوت في
غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة اشد ● واما القسم الثالث وهو علم التجارب
فتفاوت الناس فيه لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وبسرعة الادراك ويكون سببه اما تفاوتا في
الغريزة واما تفاوتا في الممارسة ● اما الاول وهو الاصل اعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى
جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادئ اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد
نموا خفي التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوائله تخفى خفاء يشق
ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر
فالفرق مدرك بين الاعمش وبين حاد البصر بل سنة الله تعالى جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد
حتى ان غريزة الشهوة لا تركب في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا شيئا على التدريج وكذلك
جميع القوى والصفات ومن انكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن ان
عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل آحاد السوادية واجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من آحاد
السوادية وكيف ينكر تفاوت ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم
بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق
الامور دون التعليم يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء عليهم السلام اذ يتضح لهم
في بواطنهم امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر النبي صلى الله عليه
وسلم حيث قال ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت
واعمل ما شئت فانك مجزي به ● وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء عليهم السلام يخالف
الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك اخبر عن
هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا
تظنن ان معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي اذ لا يبعد ان يعرف الطبيب المريض درجات الصحة
ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر فلا كل من عرف
النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف الورع والتقوى ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس الى
من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم ايضا ولا التنبيه كانقسام
الارض الى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج في القنوات
والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك هذا الاختلاف
الناس في غريزة العقل ويدل على تفاوت الناس في العقل من جهة النقل ما روي ان ابن سلام رضي الله
عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت
يا رب هل خلقت شيئا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه
هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم
من اعطي حبتين ومنهم الثلاث والاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم من اعطي وسقا ومنهم اكثر من ذلك **فان قلت**
فما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول ● فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول
الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان يقرروا عندهم انكم اخطاتم
في التسمية اذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الالسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم
فاما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى
عليه وان ذم فما الذي يحمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا
يوثق به فيكون الشرع ايضا مذموما ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل
فانا

فانا نريد بالعقل ما نريده بعين اليقين ونور الايمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم
حتى ادرك بها حقائق الامور واكثر هذه التخبيطات انما ثارت من جهل اقوام طلبوا الحقائق من الالفاظ
فتخبطوا لتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله اعلم ●

كتاب قواعد العقائد

وفيه اربعة فصول **الفصل الاول** في ترجمة عقيدة اهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي احد مباني
الاسلام فنقول وبالله التوفيق ● الحمد لله المبدئ المعيد ● الفعال لما يريد ● ذي العرش المجيد ●
والبطش الشديد ● الهادي صفوة العبيد ● الى المنهج الرشيد ● والمسلك السديد ● المنعم
عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله
المصطفى واقتفاء آثار صحبه الاكرمين المكرمين بالتاييد والتسديد ● المتجلي لهم في ذاته انه واحد لا
وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها الا من القى السمع وهو شهيد ● المعرف لهم في ذاته انه واحد لا
شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له ● وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر
الوجود لا آخر له ● ابدي لا نهاية له ● قيوم لا انقطاع له ● دائم لا انصرام له ولم يزل ولا يزال
موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل هو الاول
والآخر والظاهر والباطن **التنزيه** وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه
لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله
الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود وليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وانه لا يحده المقدار ولا تحويه
الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي
اراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته
محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده
قربا الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب
من كل موجود وهو اقرب الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام
كما لا تماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده
زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا
في سواه ذاته ● وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله
منزها عن الزوال ● وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال ● وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي
الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار ● في دار القرار ● واتماما للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم **القدرة**
وانه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تاخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت
وانه ذو الملك والملكوت ● والعزة والجبروت ● له السلطان والقهر ● والخلق والامر ● والسموات مطويات
بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وانه المنفرد بالخلق والاختراع ● المتوحد بالايجاد والابداع ● خلق
الخلق واعمالهم ● وقدر ارزاقهم وآجالهم ● لا يشذ عن قبضته مقدور ● ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور
لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته **العلم** وانه تعالى عالم بجميع المعلومات ● محيط بما يجري من
تخوم الارضين الى اعلى السموات ● لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ● بل يعلم دبيب
النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ● ويدرك حركة الذر في جو الهواء ● ويعلم السر واخفى
ويطلع على هواجس الضمائر ● وحركات الخواطر ● وخفيات السرائر ● بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا
به في ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال **الارادة** وانه تعالى مريد للكائنات

مدبر للحادثات ولا يجري في الملك والملكوت قليل او كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر
عرفان او نكر فوز او خسر زيادة او نقصان طاعة او عصيان كفر او ايمان الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيته
فما شاء كان وما لم يشا لم يكن لا يخرج عن مشيته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدي المعيد الفعال لما يريد
لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا
بمحبته وارادته لو اجتمع الجن والانس والملايكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته
ومشيته لعجزوا عنه وان ارادته قايمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشيا
في اوقاتها ما اراده في ازله من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الامور — التي قدرها فوجدت في اوقاتها صح
لا بترتيب افكار وتربص زمان فلذلك لا يشغله شان عن شان **السمع والبصر** وانه تعالى سميع بصير
يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع
رؤيته ظلام يرى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة واذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة
ويخلق بغير الة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق **الكلام** وانه تعالى متكلم
امر ناه واعد متوعد بكلام ازلي قديم قايم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء
او اصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة او تحريك لسان وان القران والتوراة والانجيل والزبور
كتبه المنزلة على رسله وان القران مقرو بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم
قايم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى عليه السلام سمع كلام الله
تعالى بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان
حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات — والظلام صح
الافعال وانه عز وجل لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفايض من عدله على احسن الوجوه واكملها
واتمها واعدلها وانه تعالى حكيم في افعاله عادل في اقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم — العادلين منه صح
بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه
من جن وانس وملك وشيطان وسماء وارض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه
بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاه انشاء بعد ان لم يكن شيا اذ كان جل جلاله في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره — بعدله خ
فاحدث الخلق بعد اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه
متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان
والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم بضروب الالام والاوصاب
ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وانه سبحانه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم
الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه في الطاعات وجب
على الخلق بايجابه على لسان انبيايه عليهم السلام لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات
الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاوا به **معنى الكلمة الثانية**
وهي الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب
والعجم والجن والانس فنسخ بشريعته الشرايع الا ما قرره وفضله على ساير الانبيا وجعله سيد البشر ومنع كمال
الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله والزم
الخلق تصديقه بجميع ما اخبر عنه في الدنيا والاخرة وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يوقن بما اخبر عنه بعد الموت واول ذلك
سوال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هايلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسالانه عن التوحيد
والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسوالهما اول فتنة بعد الموت وان يومن
بعذاب القبر وانه حق وحكمة وعدل على الجسم والروح على ما يشاء ويومن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته
في العظم انه مثل طباق السموات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله سبحانه والصنج يوميذ مثاقيل الذر والخردل

تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحايف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند
الله بفضل الله وتطرح صحايف السيات في كفة الظلمة فيثقل بها الميزان بعدل الله وان يومن بان الصراط
حق وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر تزل عليه اقدام الكافرين بحكم الله
فتهوي بهم الى النار وتثبت عليه اقدام المومنين فيساقون الى دار القرار وان يومن بالحوض المورود
حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المومنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة
لم يظما بعدها ابدا عرضه مسيرة شهر اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عددها بعدد
نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر ويومن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح
فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسال من شاء من الانبيا عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب
المرسلين ويسال المبتدعة عن السنة ويسال المسلمين عن الاعمال ويومن باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا
يبقى في جهنم موحد بفضل الله سبحانه ويومن بشفاعة الانبيا ثم العلما ثم الشهدا ثم ساير المومنين المسلمين كل على
قدر جاهه ومنزلته ومن بقي من المومنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله سبحانه ويومن بشفاعة الانبيا ثم العلما
فلا يخلد في النار مومن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وان يعتقد فضل الصحابة رضي الله
عنهم وترتيبهم وان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم اجمعين
وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما اثنى الله ورسوله عليهم اجمعين فكل ذلك مما وردت به الاخبار
وشهدت به الاثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من اهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال
وحزب البدعة فنسال الله كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين انه ارحم الراحمين **الفصل
الثاني في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد** اعلم ان ما ذكرناه
في ترجمة العقيدة ينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيا شيا
فابتداوه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان به والتصديق وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل
الله تعالى على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقايد
العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف
في الابتداء على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه فلا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ
ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القران وتفسيره
وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القران
وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوايدها وبما يسطع عليه من انوار العبادات ووظايفها وبما يسري
اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وهيبتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون
اول التلقين كالقا بذر في الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة
طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه
الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها
بان تكثر اجزاوها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الاغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا وناهيك بالعيان برهانا
فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ
لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهوا تفيه الريح مرة
هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا اذ لا فرق في التقليد بين تعلم
الدليل او تعلم المدلول فتلقين الدليل شي والاستدلال بالنظر شي اخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقيدة
ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الاخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع اجلاف العرب اكثر من التصديق
الجازم بظاهر هذه العقايد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوه اصلا وان اراد ان يكون من سالكي طريق
الاخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له ابواب

من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تعالى اذ قال عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية ايمان الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذي وقر في صدر ابي بكر رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار لها درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله سبحانه وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وسائر العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة فكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه.

مسئلة فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم او هو مباح او مندوب اليه فاعلم ان للناس في هذا غلوا واسرافا في اطراف فمن قائل انه بدعة وحرام وان العبد ان يلقى الله تعالى بكل ذنب سوى الشرك خير له من ان يلقاه بالكلام. ومن قائل انه واجب وفرض اما على الكفاية او على الاعيان وانه من افضل الاعمال واعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله عز وجل والى التحريم ذهب الشافعي ومالك واحمد بن حنبل وسفيان وجميع اهل الحديث من السلف. قال ابو عبد الاعلى سمعت الشافعي يوم ناظر حفص الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لان يلقى الله تعالى العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله عز وجل خير من ان يلقاه بشيء من الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا اقدر ان احكيه. وقال ايضا اطلعت من اهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولان يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في الكلام. وحكى الكرابيسي ان الشافعي سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد واصحابه اخزاهم الله. ولما مرض الشافعي دخل عليه حفص الفرد فقال من انا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما انت فيه. وقال لو علم الناس ما في الكلام من الاهواء لفروا منه فرارهم من الاسد. وقال اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد بانه من اهل الكلام ولا دين له. وقال الزعفراني قال الشافعي حكمي في اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام. وقال احمد بن حنبل لا يفلح صاحب كلام ابدا ولا تكاد ترى احدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك الست تحكي بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الراي والبحث. وقال احمد بن حنبل علماء الكلام زنادقة. وقال مالك ارايت ان جاءه من هو اجدل منه ايدع دينه كل يوم لدين جديد يعني ان اقوال المتجادلين تتفاوت. وقال مالك لا تجوز شهادة اهل البدع والاهواء فقال بعض اصحابه في تاويله انه اراد باهل الاهواء اهل الكلام على اي مذهب كانوا. وقال ابو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق. وقال الحسن رضي الله عنه لا تجالسوا اهل الاهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم. وقد اتفق اهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة رضي الله عنهم مع انهم اعرف بالحقائق وافصح بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون هلك المتنطعون اي المتعمقون في البحث والاستقصاء. واحتجوا ايضا بان ذلك لو كان من الدين لكان ذلك اهم ما يامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثني على اربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم الى حفظ الفرائض واثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر وقال امسكوا عن القدر وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الاستاد طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة.

واما الفرقة الاخرى فاحتجوا بان المحذور من الكلام ان كان هو لفظ العرض والجوهر وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تعهدها الصحابة رضي الله عنهم فالامر في ذلك قريب اذ ما من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرضت عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا يفهمونها فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث انية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح. وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به الا معرفة الدليل على حدث العالم ووحدانية الخالق عز وجل وصفاته كما جاء به الشرع فمن اين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل. وان كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي اليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز منه كما ان الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه وذلك محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لاجل ادائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم. وقال تعالى ليهلك

من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. وقال تعالى هل عندكم من سلطان اي من حجة وبرهان. وقال تعالى قل فلله الحجة البالغة وقال تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه الى قوله فبهت الذي كفر اذ ذكر احتجاج ابرهيم ومجادلته وافحامه خصمه في معرض الثناء عليه. وقال تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه. وقال تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا. وقال تعالى في قصة فرعون وما رب العالمين الى قوله تعالى او لو جئتك بشيء مبين. وعلى الجملة فالقران من اوله الى اخره محاجة مع الكفار فعمدة ادلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي البعث قوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة الى غير ذلك من الادلة ولم تزل الرسل عليهم السلام يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال الله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن والصحابة ايضا كانوا يجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة في زمانهم واول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق علي رضي الله عنه اذ بعث ابن عباس رضي الله عنه الى الخوارج فكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك في قتال الكفار ارايتم لو سبيت عائشة يوم الجمل فوقعت في سهم احدكم اكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي امكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم الى الطاعة بمجادلته الفان. وروي ان الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر. وناظر علي بن ابي طالب رضي الله عنه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة في الايمان قال عبد الله لو قلت اني مؤمن لقلت انا في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه زلة منك وهل الايمان الا ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم انها تغفر لنا لعلمنا انا من اهل الجنة فمن اجل ذلك نقول انا مؤمنون ولا نقول انا من اهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله انها مني زلة. فان قيل فينبغي ان يقال كان خوضهم في ذلك قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة فيقال اما قلة خوضهم فانه كان لقلة الحاجة اذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان. واما القصر فكان الغاية افحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق فلو طال اشكال الخصم او لجاجه لطال لا محالة الزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيه. واما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فهكذا كان دابهم في الفقه والتفسير والحديث ايضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق الا على الندور اما ادخارا ليوم وقوعها وان كان نادرا او تشحيذا للخاطر فنحن ايضا نرتب طرق المجادلة لتوقع ثوران شبهة وهيجان مبتدع او تشحيذا للخاطر او لادخار الحجة حتى لا يعجز عنه عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال وهذا ما يمكن ان يذكر للفريقين. فما المختار فيه

اعلم ان الحق فيه ان اطلاق القول بذمه في كل حال او بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل. واعلم اولا ان الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة واعني بقولي لذاته ان علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا يلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر اذا غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع اخيك في وقت الخيار والبيع في وقت النداء وكاكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بانه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره والى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكاكل الطين وكان اطلاق التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفاتا الى اغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال فالاولى والابعد عن الالتباس ان يفصل. فنعود الى علم الكلام ونقول ان فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال او مندوب او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام. اما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر في تاكيد اعتقاد المبتدعة وتثبيتها في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن ان يزال اعتقاده باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشوؤه في بلد يظهر فيه الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون والاخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان الله تعالى يكشف لك الغطاء فيعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك كره ذلك خيفة من ان يفرح به خصمه وهذا هو الداء العظيم الذي

استطار في العباد والبلاد وهذا نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره وأما منفعته فقد
يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخليط
والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا
فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم
أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف
وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الندور في أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شيء واحد
وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويش المبتدعة بأنواع الجدل فإن العامي ضعيف يستفزه
جدل المبتدع وإن كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها إذ
ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف عليها والعلماء متعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات
المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته
فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى
قدر الحاجة • وتفصيله أن العوام المشغولين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها
مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد
ولا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح • وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى إلى الحق باللطف لا بالتعصب
وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فإن
ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه تعلمها المتكلم ليستدرج بها الناس
إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من مذهبه أيضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الأول
حرام وكذا مع من وقع له شك إذ يجب إزالته باللطف والموعظة والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام
واستقصاء الجدل وإنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك
الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات
العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه إلا دواء الجدل فجاز أن يلقى إليه وهذا في بلاد تقل فيها البدعة ولا
تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة العقيدة التي ذكرناها ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت
ذكر بقدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذي
أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم وهذا مقدار
مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت في نفسه شبهة
فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد
وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين فإن
أقنعه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف
به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على
الشك والشبهة إلى ما قدر الله عز وجل فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى
نفعه • فأما الخارج منه فقسمان • أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات والأكوان وعن
الإدراكات والخوض في الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى وإن كان فكل واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو
ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلة • والقسم الثاني زيادة
تقرير لتلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضلالا وجهلا
في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الإطناب والتقرير غموضا ولو قال قائل البحث عن
حكم الإدراكات والاعتمادات فيها فائدة تشحيذ الخاطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا
بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين وذلك هوس فإن الخاطر يتشحذ بسائر علوم

الشرع ولا يخاف منها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحالة التي يذم فيها والحالة
التي يحمد والشخص الذي ينتفع به والذي لا ينتفع به فإن قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع المبتدع والآن
وقد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام
بحراسة الأموال وسائر الحقوق وكالقضاء والولاية وغيرها وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث
عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي أن يكون
التدريس فيه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة فإن الحاجة لم تكن ماسة إليه • فاعلم أن الحق أنه
لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن
ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر
الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر • فالعالم به ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم
من فيه ثلاث خصال أحدها التجرد للعلم والحرص عليه فإن المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت
والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فإن البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام
ولا يرجى فيه نفعه والثالث أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فإن
الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فإن ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين الملاذ فلا يحرص على إزالة الشبهة
بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه • وإذا عرفت هذه الانقسامات
اتضح لك أن الحجة المحمودة في الكلام ما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس
دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعبذة وصنعة
تعلمها صاحبها للتلبيس فإذا قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت أن الشافعي رحمه الله وكافة السلف رضي الله
عنهم إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا عليه • وأن ما نقل عن ابن عباس رضي الله
عنه من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر
وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال • نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف
الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها • فأما إزالة الشبهة
وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح
لها إلا المجاهدة وقمع الشهوات والإقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات
وهي رحمة من الله تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبقدر قبول المحل وطهارة القلب
وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله • مسألة • فإن قلت هذا الكلام مشير إلى أن هذه
العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها جلي يبدو أولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث
والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من أشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع إذ ليس
للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه • فاعلم أن انقسام هذه
العلوم إلى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في أوائل الصبا شيئا وجمدوا عليه
فلم يكن لهم ترق إلى شأو العلى ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة الشرع قال
صلى الله عليه وسلم إن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن
هاهنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وقال صلى الله عليه وسلم ما حدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم
إلا كان فتنة عليهم وقال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وقال صلى الله
عليه وسلم إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم
وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري إن لم يكن ذلك سرا منع من
إفشائه لقصور الأفهام عن دركه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك في أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم
وقال ابن عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لو ذكرت

تغيرتم لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم إنه كافر وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره ولا شك أن ذلك كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهرها على غيره وقال سهل التستري للعالم ثلثة علوم علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء سر لو أظهروه لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة مسئلة فإن قلت هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فإن الباطن إن كان مناقضا للظاهر ففيه إبطال الشرع وهو قول من قال إن الحقيقة خلاف الشريعة وذلك كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عن الباطن وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر إلى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فإن العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن نتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا أنه من الأوراد الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه في هذا الشطر من الكتاب وإنما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا انجر الكلام إلى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال إن الحقيقة تخالف الشريعة والباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التي يختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الأكثرون في علمها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام الأول أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تكل أكثر الأفهام عن دركه ويختص بدركه الخواص وعليهم أن لا يفشوه إلى غير أهله إذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك وإخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فإن حقيقته مما تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ولا تظنن أن ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه تعالى ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله سبحانه من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته جل جلاله وتقدست أسماؤه ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع إذا ذكرت لصبي أو عنين لم يفهمها إلا بمناسبة لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع ولذة الأكل وبالجملة فلا يدرك الإنسان إلا نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال أو مما كانت له من قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر إلا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من العلم والفعل والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف فيكون معظم تحومه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وليس المعنى به أني عجزت عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله وقال الصديق رضي الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع إلى الغرض وهو أن أحد الأقسام ما تكل الأفهام عن دركه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الإشارة إلى مثله بقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله سبعين

حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره والقسم الثاني من الخفيات التي تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكره هو ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذي منع أهل العلم عن إفشائه من هذا القسم ولا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا إن الكفر والمعاصي والزنا والشرور بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته وذلك حق في نفسه وقد أضر سماعه بقوم إذ أوهم ذلك عندهم دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد ألحد ابن الراوندي وطائفة من المخذولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر لو أفشي لأوهم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصر أفهامهم عن درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل إن القيامة لو ذكر ميقاتها وإنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة إليها بعيدة فيطول الأمد وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة في علم الله تعالى ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح لكان مثالا لهذا القسم القسم الثالث أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب وله مصلحة في أن يعظم وقع ذلك الأمر في قلبه كما لو قال قائل رأيت فلانا يقلد الدر في أعناق الخنازير فكنى به عن إفشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها فالمستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهره والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر الباطن فيتفاوت الناس بذلك ومن هذا قول الشاعر رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السماك الأعزل لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب المقبل فإنه عبر عن سبب سماوي في الإقبال والإدبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى أو مثله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم إن المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة على النار وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض من النخامة ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ورمي النخامة تحقير له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحمق ومن رفع رأسه قبل الإمام فقد صار رأسه رأس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى إذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فإنهما متناقضان وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلي أو شرعي أما العقلي فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن إذ لو فتشنا عن صدور المؤمنين فلم نجد فيها ذلك فعلم أنه كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع وروحها الخفي وكنى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل كنايته عن الاقتدار بقوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فإن ظاهره ممتنع إذ قوله كن إن كان خطابا مع الشيء قبل وجوده فهو محال إذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل الأمر وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهيم غاية الا[قتدار] عدل إليها قدار وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا ولكن يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الآية وأن معنى الماء هو القرآن ومعنى الأودية القلوب وأن بعضها احتمل شيئا كثيرا وبعضها شيئا قليلا وبعضها لم يحتمل شيئا والزبد مثل الكفر فإنه وإن ظهر وطفا على وجه الماء فإنه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق جماعة فأولوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر القسم الرابع أن يدرك الإنسان الشيء جملة

ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والاخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا راه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخر ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك في العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع اكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وسائر الاحوال ثلثة احوال متفاوتة وادراكات متباينة الاول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والاخر عند وقوعه والاخر بعد تصرمه فان تحققك الجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك في علوم الدين ما يصير ذوقا فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الاقسام الاربعة تتفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر

القسم الخامس

ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني وراي الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فالبليد يفتقر في فهمه الى ان يقدر لهما حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه الارض فتجيب بصوت وحرف وتقول اتينا طائعين والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه انباء عن كونها مسخرة بالضرورة مضطرة الى التسخير ومن هذا قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده فالبليد يفتقر فيه الى ان يقدر للجماد حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله تعالى كما يقال

وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد

وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى انها تقول اشهد ولكن بالذات والحال فكذلك ما من شيء الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم اوصافه ويردده في اطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم اما القاصرون فلا يفقهون اصلا واما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصائر في علمه ويظهر به مفارقة الظاهر للباطن وفي هذا المقام لارباب المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر او اكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان وفي الحساب ومناظرات اهل النار واهل الجنة في قولهم افيضوا علينا من الماء زعموا ان كل ذلك في لسان الحال وغلا اخرون في حسم الباب منهم اصحاب احمد بن حنبل حتى منعوا تاويل قوله كن فيكون وزعموا ان ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض اصحابه يقول انه حسم باب التاويل الا لثلثة الفاظ قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله عليه السلام اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر والظن باحمد بن حنبل رضي الله عنه انه علم ان الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التاويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الامر عن الضبط وجاوز الاقتصاد اذ حد الاقتصاد لا ينضبط فلا باس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها كما جاءت حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء الاستوا

معلوم

معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهب طائفة الى الاقتصاد وفتحوا باب التاويل في كل ما يتعلق بصفات الله تعالى وتركوا ما يتعلق بالاخرة على ظواهرها ومنعوا من التاويل فيه وهم الاشعرية وزادت المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفات الله تعالى الرؤية واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من احكام الاخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على الماكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس يحرق ويحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فاولوا كل ما ورد في الاخرة وردوه الى الام عقلية وروحانية ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقاء النفوس وانها تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشفت لهم اسرار الامور على ما هي عليه نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف اولوه فاما من ياخذ معرفة هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيه قدم ولا يتعين له موقف والاليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام احمد بن حنبل رضي الله عنه لان كشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الامور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن للظاهر وانه غير مخالف له وقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة ما اوردناه واذ راينا ان نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية

كتاب الرسالة القدسية في قواعد العقائد

الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد في لوامع الادلة للعقيدة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بانوار اليقين واثر رهط الحق بالهداية الى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتاسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفاء اثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا في القبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طائل ومحصول اذا لم تتحقق الاحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فعلموا ان بناء الايمان على هذه الاركان وهي اربعة تدور كل ركن منها على عشرة اصول

الركن الاول في معرفة ذات الله ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وانه تعالى ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه تعالى ليس مختصا بجهة ولا مستقر على مكان وانه مرئي وانه واحد

الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم والارادة

الركن الثالث في افعاله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله تعالى وانه متفضل بالخلق وان له سبحانه تكليف ما لا يطاق وله ايلام البريء ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثة الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه جائزة في العقل

وان نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ثابتة موثقة بالمعجزات **الركن الرابع** في السمعيات وهو اثبات الحشر
والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة **فالركن**
الاول من اركان الايمان معرفة ذات الله سبحانه وتعالى ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول**
معرفة وجوده تعالى واولى ما يستضاء به من الانوار ويسلك من طرق الاعتبار ما ارشد اليه القران فليس
بعد بيان الله سبحانه وتعالى بيان وقد قال تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم
ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا
سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا وقال تعالى ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء
فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات
لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا
والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال تعالى افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن
الخالقون الى قوله للمقوين فليس احراجا وقال تعالى فليس يخفى على من معه ادنى مسكة اذا تامل
بادنى فكرة مضمون هذه الايات وادار نظره على عجائب خلق الارض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات
ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس
تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى افي الله شك فاطر
السموات والارض ولهذا بعث الانبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا
الله وما امروا ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدا نشوهم وفي
عنفوان شبابهم ولذلك قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال
تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذا في
فطرة الانسان وشواهد القران ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء
النظار **نقول** من بداية العقول ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث
فاذا لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه اما قولنا الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب فجلي فان كل
حادث فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقدمه وتاخره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده
يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا العالم حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة
والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى **الاول**
قولنا ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تامل وافتكار
فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا **والثانية** قولنا انهما حادثان ويدل
على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام ما شوهد وما لم يشاهد
فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارئ منهما حادث
لطريانه والسابق حادث لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سياتي بيانه وبرهانه في اثبات بقاء الصانع
تعالى وتقدس **والثالث** قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك
لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها ولو لم تنقض تلك بجملتها لا تنتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر
في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو اعدادها من
ان تكون شفعا او وترا او شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان تكون شفعا ووترا جميعا
او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الاخر وفي نفي احدهما اثبات الاخر
ومحال ان تكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال
ان تكون وترا اذ الوتر يصير شفعا بزيادة واحد فكيف يعوزها واحد مع انه لا نهاية لاعدادها فتحصل

من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه
كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة **الاصل الثاني** العلم بان الباري سبحانه وتعالى قديم
لم يزل ازلي ليس لوجوده اول بل هو اول كل شيء وقبل كل ميت وحي وبرهانه انه لو كان حادثا ولم
يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل
او ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم وباريه ومحدثه ومبدئه
الاصل الثالث العلم بانه تعالى مع كونه ازليا ابدي ليس لوجوده اخر فهو الاول والاخر والظاهر
والباطن لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا يخلو اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم
يضاده ولو جاز ان ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شيء بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى
سبب فكذا يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان
قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم
ومعه ضده فان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده
باولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون من القطع والقديم اقوى من الحادث
الاصل الرابع العلم بانه سبحانه وتعالى ليس بجوهر متحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه
ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما
حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم
فان سماه مسمى جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى **الاصل الخامس** العلم
بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المتالف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا
بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر وجوهر ويستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع
والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدث ولو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز
ان تعتقد الالهية للشمس والقمر او لشيء اخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى
جسما من غير ارادة التاليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم **الاصل**
السادس العلم بانه سبحانه وتعالى ليس بعرض قائم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم
وكل جسم فهو حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في جسم وقد كان موجودا في الازل
وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سياتي بيانه
وهذه الاوصاف مستحيلة على الاعراض بل لا تعقل الا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه
الاصول انه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض
واجسام فاذا لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء واني يشبه المخلوق خالقه
والمقدر مقدره والمصور مصوره فالاجسام والاعراض كلها من صنعه وخلقه فاستحال القضاء عليها
بمماثلته ومشابهته **الاصل السابع** العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات
فان الجهة اما فوق واما اسفل واما يمين واما شمال او قدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها
واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والاخر يقابله
ويسمى راسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الراس واسم السفل لما يلي جهة الرجل حتى ان النملة التي تدب منكسة
تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين واحداهما
اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا
والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها
بالحركة واسم الخلف لما يقابله فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه
الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا

بجهة والجهة حادثة او كيف صار بجهة بعد ان لم يكن اما ان خلق العالم تحته وتعالى ان يكون له تحت اذ
تعالى ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولان المعقول
من كونه بجهة انه مختص بالحيز اختصاص الجوهر او مختص بالجوهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة
كونه جوهرا او عرضا فاستحال كونه مختصا بجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع
المساعدة على المعنى ۰ ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او
اصغر منه او اكبر وكل ذلك تقدير محوج الى مقدر وتعالى عنه الخالق المدبر فاما رفع الايدي عند
السوال الى جهة السما فهو لانها قبلة الدعا وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبريا
تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلا فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلا **الاصل الثامن**
العلم بانه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي اراده الله سبحانه وتعالى بالاستوا وهو الذي لا
ينافي وصف الكبريا ولا تتطرق اليه سمات الحدث والفنا وهو الذي اريد بالاستوا الى السما حيث قال
تعالى في القران ثم استوى الى السما وهي دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلا كما **قال الشاعر**
قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق ۰ واضطر اهل الحق الى هذا التاويل
كما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ حمل بالاتفاق على الاحاطة والعلم
وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل
قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره
للزم منه المحال وكذلك الاستوا لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش
اما مثله او اكبر او اصغر وذلك محال وما يودي الى المحال فهو محال **الاصل التاسع** العلم بانه تعالى
مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئي بالاعين والابصار في دار
القرار لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله تعالى لا تدركه
الابصار ولقوله في خطاب موسى صلوات الله عليه لن تراني وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفة رب
الارباب ما جهله موسى صلى الله عليه وسلم وكيف سال موسى الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي
البدع والاهوا من الجهلة الاغبيا اولى من جهل الانبيا صلوات الله عليهم ۰ واما وجه اجرا اية
الرؤية على الظاهر لانه غير مود الى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم الا انه اتم واوضح من العلم
فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وكما يجوز ان يرى الله سبحانه الخلق وليس في
مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك
من غير كيفية وصورة **الاصل العاشر** العلم بان الله تعالى واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد
بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ۰ ولا ضد له فينازعه ويناويه ۰
وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبيانه انهما لو كانا اثنين واراد احدهما امرا
فالثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا
على المخالفة والمدافعة كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا ولم يكن الها قادرا **الركن الثاني**
في العلم بصفات الله سبحانه ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** العلم بان صانع العالم قادر
وانه تعالى في قوله وهو على كل شي قدير صادق لان العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن راى ثوبا
من ديباج حسن النسج والتاليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه من ميت لا استطاعة
له او انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك اهل الغباوة والجهل **الاصل الثاني**
العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ۰ ومحيط بكل المخلوقات ۰ لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض
والسموات صادق في قوله تعالى وهو بكل شي عليم ومرشد الى صدقه بقوله تعالى الا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم لانك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف

والصنع

والصنع المزين بالترتيب ولو في الشي الحقير اللطيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله
سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف **الاصل الثالث** العلم بكونه تعالى حيا فان من ثبت علمه وقدرته
ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر دون ان يكون حيا لجاز ان يشك في حياة الحيوانات
عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة ارباب الحرف والصناعات ۰ وذلك انغماس في غمرة الجهالات
الاصل الرابع العلم بكونه تعالى مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيته وصادر
عن ارادته فهو المبدي المعيد الفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر
منه ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله وبعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين
مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة في
تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز ان يغني عن القدرة حتى يقال وجد
بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده **الاصل الخامس** انه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير
وخفايا الوهم والتفكر ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السودا في الليلة الظلما على الصخرة الصما
وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق
والمصنوع اشرف واتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص في جنبته والكمال في خلقه وصنعته
او كيف تستقيم حجة ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه على ابيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا فقال
له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لاصبحت حجته داحضة
ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة
وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا اذن اذ لا فرق بينهما **الاصل السادس** انه
تعالى متكلم بكلام هو وصف قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده
وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة
بالحركات والاشارات ۰ وكيف التبس هذا على طائفة من الاغبيا ولم يلتبس على جهلة الشعرا حتى قال
قائلهم ۰ ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا ۰ ومن لم يعقله عقله ولا نهاه
نهاه عن ان يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن
خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شي وان البا قبل السين في قولك بسم الله
فلا يكون السين المتاخر عن البا قديما فنزه عن الالتفات اليه قلبك فلله سر في ابعاد بعض العباد ومن
يضلل الله فما له من هاد ومن يستبعد ان يسمع موسى في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكر
ان يرى في الاخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل ان يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا
كمية وهو الى الان لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان عقل ان يكون له علم
واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات
وان عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من
القلب ومرئية في مقدار عدسة من الحدقة من غير ان تحل ذات السموات السبع والجنة والنار في الحدقة
والورقة فليعقل كون الكلام مقروا بالالسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول
ذات الكلام فيها اذ لو حل ذات الكلام بكتبه اسمه في ورق لحل ذات الباري بكتبه اسمه في الورق ولو
حل ذات الله تعالى بكتبه اسمه في الورق لحلت ذات النار بكتبه اسمها في الورق ولاحترق **الاصل السابع**
ان الكلام القايم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا
تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات
بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في ابده كذلك منزها عن تغير الحالات لان محل
الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدث للاجسام

من حيث تعرضها للتغاير وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقنا مشاركا لها في قبول التغير وينبني على هذا ان كلامه
قديم قايم بذاته وانما الحادث هي الاصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد قبل ان يخلق
ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما بما في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك الطلب الذي قام بذات
ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله تعالى اخلع نعليك بذات الله تعالى
ومصير موسى مخاطبا به بعد وجوده اذا خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم **الاصل الثامن**
ان علمه سبحانه وتعالى قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم
بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا
حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم اخر فهكذا ينبغي ان نفهم قدم
علم الله تعالى **الاصل التاسع** ان ارادته قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في اوقاتها اللايقة
بها على وفق سبق العلم الازلي اذ لو كانت حادثة لصارت ذاته محلا للحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا
بها كما لا تكون انت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذا الارادة الاخرى
تفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى غير نهاية ولو جاز ان يحدث ارادة بغير ارادة لجاز ان يحدث العالم بغير ارادة ٥
الاصل العاشر ان الله تعالى عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة ومريد بارادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع
وبصير ببصر وله هذه الاوصاف القديمة من هذه الصفات القديمة وقول القايل عالم بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم
بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا
قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل وكذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم
بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن بعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن
المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاوصاف **الركن الثالث** العلم بافعال الله تعالى
ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** العلم بان كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق سواه
ولا محدث الا اياه خلق الخلق وصنعهم واوجد قدرتهم وحركتهم فجميع افعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته
تصديقا له في قوله تعالى خلق كل شيء وفي قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون وفي قوله تعالى واسروا قولكم
او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير امر العباد بالتحرز في اقوالهم وافعالهم
واسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد افعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة
لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات ابدان العباد فالحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها
عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها وكيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وساير
الحيوانات من لطايف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب
وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وانفرد بالملك والملكوت
جبار السموات **الاصل الثاني** ان انفراد الله سبحانه وتعالى باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة
للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار اما القدرة فوصف
للعبد وخلق للرب وليست بكسب له واما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة
بقدرة هي وصفه فكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا
محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والحركة الضرورية او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط
علما بتفاصيل اجزا الحركات المكتسبة والضرورية واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد
وهي انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه اخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب وليس
من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله في الازل كانت متعلقة بالعالم ولم
يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا اخر من التعلق فبهذا يظهر ان تعلق القدرة ليس
مخصوصا بحصول المقدور بها **الاصل الثالث** ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج من كونه

مرادا لله تعالى فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر الا بقضاء الله وقدرته وارادته
ومشيته فمنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسر والغواية والرشد والطاعة
والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضايه ولا معقب لحكمه يضل من يشا ويهدي من يشا لا يسال عما يفعل وهم يسالون ويدل
من النقل قول الامة قاطبة ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن وقوله تعالى ولو يشا الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى
ولو شينا لاتينا كل نفس هداها ويدل من جهة العقل ان المعاصي والجرايم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية
على وفق ارادة ابليس لعنه الله مع انه عدو الله فالجاري على وفق ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق ارادته سبحانه وتعالى
فليت شعري كيف يستجيز مسلم ان يرد ملك الجبار ذي الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف
عنها اذ لو كان ما يستتم لعدو الزعيم في القرية اكثر مما يستتم له لاستنكف من زعامته وتبرا عن ولايته والمعصية
هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب
عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى صح انها مرادة له **فان قيل** فكيف
ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد **قلنا** الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه واعتذر
بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته عليه بان يامر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال له اسرج هذه
الدابة بمشهد من السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن امرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان
مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال **الاصل الرابع** ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول
بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد
وهو محال اذ هو الموجب والامر والناهي وكيف يتهدف لايجاب او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب
احد امرين اما الفعل الذي في تركه ضرر اما اجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله او ضرر عاجل كما يقال يجب على
العطشان ان يشرب حتى لا يموت واما ان يراد به الذي عدمه يودي الى محال كما يقال وجود المعلوم واجب اذ
عدمه يودي الى محال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله بالمعنى الاول فقد عرضه
للضرر وان اراد به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى ثالثا فهو
غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه
معنى ثم مصلحة العباد في ان يخلقهم في الجنة واما ان يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر
العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب **الاصل الخامس** انه يجوز على الله سبحانه
ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سوال دفعه وقد سالوا ذلك فقالوا ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله تعالى اخبر نبيه صلوات الله عليه بان ابا جهل لا يصدقه ثم امره بان يصدقه في
جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده **الاصل
السادس** ان لله ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف
في ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير وهو محال على الله تعالى
فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهايم ايلام لها
وما صب عليها من انواع العذاب من جهة الادميين ولم يتقدم منها جريمة **فان قيل** ان الله تعالى يحشرها
ويجازيها على قدر ما قاسته من الالام ويجب ذلك على الله تعالى **فنقول** من زعم انه يجب على الله احيا كل نملة
وطيت وكل بقة عركت حتى يثيبها على الامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه
واجبا عليه ان كان المراد به انه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غير ذلك فقد سبق انه غير مفهوم اذ خرج
عن المعاني المذكورة للواجب **الاصل السابع** انه يفعل بعباده ما يشا فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما
ذكرناه من انه لا يجب عليه شي بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون وليت شعري بما
يجيب المعتزلي في قوله ان الاصلح واجب عليه في مسالة نعرضها عليهم وذلك ان نفرض مناظرة في الاخرة
بين صبي مات مسلما وبين بالغ مات مسلما فان الله تعالى يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان

والطاعات عند البلوغ وجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد
في الطاعة فيقول الصبي انت امتني في الصبي فكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ فاجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل
عليه بتطويل العمر دوني فلم فضلته فيقول الله تعالى اني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح
لك الموت في الصبي هذا عذر المعتزلي عن الله تعالى • وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى فيقولون اما علمت انا اذا
بلغنا اشركنا فهلا امتنا في الصبي فانا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فبماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عندها الا
القطع بان الامور الالهية تعالى بحكم الجلال عن ان يوزن بميزان اهل الاعتزال • فان قيل بما قدر على اصلاح
العباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا معنى القبيح ما لا يوافق الغرض حتى يكون
الشي قبيحا عند شخص حسنا عند شخص اذا وافق غرض احدهما دون الاخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياوه ويستحسنه اعداوه
فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يتصور
منه التصرف في ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا تحكم
يشهد بخلافه ما فرضناه من مخاصمة اهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الاشيا والقادر على احكام فعلها على وفق
ارادته وهذا من اين يوجب رعاية الاصلح واما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد بذلك في الدنيا ثناء
وفي الاخرة ثوابا او يدفع به عن نفسه رحمة ورقة وكل ذلك على الله محال الاصل الثامن ان معرفة الله وطاعته
وجبت بايجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل ان اوجب الطاعة فلا يخلوا اما ان يوجبها
لغير فايدة وذلك محال لان العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبها لفايدة وغرض وذلك لا يخلوا اما ان يرجع الى
المعبود وذلك محال فانه يتقدس عن الاغراض والفوايد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه سيان
واما ان يرجع الى غرض العبد وهو محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف به عن الشهوات بسببه
وليس في المال الا الثواب او العقاب ومن اين يعلم ان الله تعالى يثيب على المعرفة والطاعة ولا يعاقب عليه
ذلك مع ان الطاعة والمعصية في حقه يستويان اذ ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص وانما
عرف تميز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث فرق المخلوق بين الشكر
والكفران بما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما دون الاخر فان قيل فاذا لم يجب النظر
والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب
علي النظر والشرع لا يثبت الا بالنظر فلست اقدم على النظر ادى ذلك الى افحام الرسول قلنا هذا
يضاهي قول القايل للواقف في موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك
وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم التفت وراي ولا التفت
وراي ولا انظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القايل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على
الهادي المرشد فكذلك النبي يقول وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم تاخذوا
حذركم وتعرفون صدقي بالالتفات الى معجزتي فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت واصر هلك
وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم اجمعين وانما علي البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع
الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث
على الحذر من الضرار • ومعنى كون الشي واجبا ان في تركه ضررا • ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف للضرر
المتوقع فان العقل لا يهدي الى التهدف الى الضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل
وتاثيرهما في تقرير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب
الا ما يرتبط بتركه ضرر في الاخرة الاصل التاسع انه ليس يستحيل بعثة الانبيا صلوات الله عليهم خلافا
للبراهمة حيث قالوا لا فايدة في بعثتهم اذ في العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدي الى الافعال المنجية في
الاخرة كما لا يهدي الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الانبيا كحاجتهم الى الاطبا • ولكن يعرف
صدق الاطبا بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة الاصل العاشر ان الله تعالى قد ارسل محمدا صلى الله

عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرايع اليهود والنصارى والصابيين وايده بالمعجزات الظاهرات
والايات الباهرات كانشقاق القمر وتسبيح الحصا وانطاق العجما وما تفجر من بين اصابعه من الما • ومن اياته الظاهرة
التي تحدى بها مع كافة العرب القران فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه ونهبه وقتله واخراجه
كما اخبر الله تعالى عنهم ولم يقدروا على معارضته بمثل القران ولا بسورة مثله اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين
جزالة القران ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا غير ممارس للكتب والانبا عن الغيب في امور تحقق صدقه
فيها في الاستقبال كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون • وكقوله
تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون • ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل ان كل
ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعل الله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي نزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القايم
بين يدي الملك المدعي على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلثا
واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري ان ذلك نازل منزلة قوله صدقت

الركن الرابع في السمعيات

وتصديقه عليه السلام فيما اخبر عنه ومداره على عشرة اصول الاصل
الاول الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وذلك حق والتصديق به واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة
بعد الفنا وذلك مقدور لله تعالى كابتدا الانشا قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي
انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم فاستدل بالابتدا على الاعادة وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة والاعادة ابتدا ثاني فهو ممكن كالابتدا الاول الاصل الثاني سوال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار
فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحياة الى جز من الاجزا الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن
في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون اجزا الميت وعدم سماعنا للسوال فان النايم ساكن بظاهره ويدرك
بباطنه من الالام واللذات ما يحس بتاثيره عند التنبه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل
ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شا فاذا لم يخلق لهم السمع والروية
لم يدركوه الاصل الثالث عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب • واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والسلف الصالحين الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزا
الميت في بطون السباع وحواصل الطيور لان المدرك لالام العذاب من الحيوان اجزا مخصوصة يقدر الله
تعالى على اعادة الادراك اليها الاصل الرابع الميزان وهو حق قال الله تعالى ونضع الموازين القسط
ليوم القيامة • وقال تعالى فمن ثقلت موازينه ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحايف الاعمال وزنا بحسب
درجات الاعمال عند الله تعالى فيصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب
او الفضل في العفو وتضعيف الثواب الاصل الخامس الصراط وهو جسر ممدود على متن النار ادق من
الشعر واحد من السيف قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسولون وهذا ممكن
فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير في الهوى قادر على ان يسير الانسان على الصراط الاصل
السادس ان الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين فقوله اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراوه على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا
يقال لا فايدة في خلقهما قبل يوم الجزا لان الله تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون الاصل السابع ان الامام
الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم اجمعين ولم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من نصبه احاد الولاة والامرا
على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر رضي الله
عنه اماما الا بالاختيار والبيعة • واما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم رضوان الله عليهم
الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لم يتجرا على اختراعه الا الروافض

واعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
وما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معوية لعلي رضي الله عنه في الامامة
اذ ظن علي ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشايرهم واختلاطهم العسكر يودي الى اضطراب امر الامامة في بدايتها
وراى التاخير اصوب وظن معوية ان تاخير امرهم مع عظم جنايتهم يودي الى الاغراء بالايمة ويعرض الدما للسفك
وقد قال افاضل العلما كل مجتهد مصيب وقال قايلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطية علي رضي الله عنه
ذو تحصيل اصلا **الاصل الثامن** ان فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة وحقيقة الفضل
ما هو فضل عند الله وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء عليهم اجمعين
اخبار وانما يدرك دقايق الفضل والترتيب في ذلك المشاهدون للوحي والتنزيل بقراين الاحوال ودقايق التفصيل
فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كانوا لا ياخذهم في الله لومة لايم ولا يصرفهم عن الحق صارف **الاصل
التاسع** ان شرايط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمس الذكورية والورع والعلم والكفاية ونسب
قريش لقوله صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام
من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف لاكثر الخلق باغ يجب رده الى الانقياد للحق **الاصل العاشر** انه لو تعذر
وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للامامة وكان في صرفها اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته لانا بين ان نحرك
فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرار يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي اثبتت لمزية المصلحة
فلا يهدم اصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين ان نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد
الاقضية وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضا اهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند
الحاجة والضرورة فهذه الاركان الاربعة الحاوية للاصول الاربعين هي قواعد العقايد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل
السنة ومباينا لرهط البدعة والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده ولطفه

الفصل الرابع

من قواعد العقايد في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال
وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثنا السلف فيه وفيه ثلاث مسايل **مسئلة** اختلفوا
في ان الاسلام هو الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل عنه يوجد دونه او هو مرتبط به يلازمه فقيل انهما
شي واحد وقيل انهما شيان لا يتواصلان وقيل انهما شيان ولكن يرتبط احدهما بالاخر وقد اورد ابو
طالب المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل
له فنقول في هذا ثلاث مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع
وبحث عن حكمهما في الدنيا والاخرة فالبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي **البحث الاول**
في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق
والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق
محل خاص هو القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق
بالقلب هو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح
فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص وكان الايمان عبارة عن اشرف اجزا الاسلام فاذا كل تصديق
تسليم وليس كل تسليم تصديقا **البحث الثاني** عن اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما
على سبيل التوارد والترادف وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل اما الترادف ففي قوله
تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال
تعالى ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس **وسيل**
مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن
قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر فاراد بالايمان هاهنا تصديق القلب فقط وبالاسلام الاستسلام
ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبريل عليه السلم لما سأله عن الايمان فقال عليه السلم ان تومن

بالله وملايكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره حلوه ومره فقال فما الاسلام
فذكر الخمس الخصال فعنى بالاسلام تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي حديث سعد انه صلى الله عليه وسلم اعطى
رجلا عطاء ولم يعط الاخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا ولم تعطه وهو مومن فقال عليه السلم او مسلم
فاعاد عليه فاعاد عليه السلم وروى ايضا انه سيل فقيل له اي الاعمال افضل فقال الاسلام فقيل اي الاسلام
افضل فقال الايمان وهذا دليل على ان الاختلاف والتداخل وهو اوفق الاستعمالات للغة لان الايمان عمل من
الاعمال وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح وافضلها الذي بالقلب وهو
التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج
عن طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة
والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو ايضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم
فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد المعنى فيه فان من لمس بعض بدن غيره يسمى لامسا
وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق موافق للسان
وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى قالت الاعراب امنا الاية وقوله عليه السلم في حديث سعد او مسلم لانه
فضل احدهما على الاخر ويريد بالاختلاف تفاضل المسميين واما التداخل فهو موافق ايضا للغة وهو ان
يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو
التصديق بالقلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهذا موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى
هذا خرج قوله الايمان في جواب قول السايل والاسلام افضل لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه
واما استعماله على سبيل الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم
وكذا الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر في معناه وذلك جايز لان تسليم الظاهر
بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح
فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله تعالى
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين **البحث الثالث** عن الحكم الشرعي وللاسلام والايمان حكمان اخروي ودنيوي
اما الاخروي فهو الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان
في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد اختلفوا في ان هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا هو
فمن قايل يقول انه مجرد العقد ومن قايل يقول انه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قايل يزيد ثالثا وهو
العمل بالاركان ونحن نكشف الغطا عنه ونقول من جمع بين هذه الثلث فلا خلاف ان مستقره الجنة وهذه
درجة الدرجة الثانية ان يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب
صاحبه كبيرة او بعض الكباير فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه فاسق
وهو منزلة بين منزلتين وهو مخلد في النار وهذا باطل كما سنذكره الثالثة ان يوجد التصديق بالقلب
والشهادة باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال ابو طالب المكي العمل من الايمان
ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بادلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات
اذ هذا يدل على ان العمل ورا الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب انه ادعى
الاجماع في هذا وهو مع هذا ينقل قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يكفر احد الا بجحوده لما اقر به وينكر على
المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكباير والقايل بهذا قايل بعين مذهب المعتزلة اذ يقال له من
صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بد ان يقول نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون
العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلوة واحدة فتركها ثم مات او زنى ثم مات فهل يخلد في النار
فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده
ولا في استحقاق الجنة به وان قال اردت به ان يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شي من الاعمال الشرعية

فاضبط اردت به ان يعيش مدة طويلة ولا تملك المدة وما عدد تلك الطاعات التي تركها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صاير اصلا **الدرجة الرابعة** ان يوجد التصديق بالقلب فيقبل ان ينطق باللسان او يشتغل بالاعمال مات فهل نقول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهذا فاسد اذ قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد ولم يشترط في حديث جبريل الايمان الا التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر كما سبق **الدرجة الخامسة** ان يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل ان يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلوة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار • والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد ان يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالامتناع عن الفعل الواجب وقال قايلون القول ركن اذ ليس كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل ذلك انشاء عقد وابتداء شهادة والتزام والاول اظهر وقد غلا في هذا طايفة المرجية وقالوا هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا ان المومن وان عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم **الدرجة السادسة** ان يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك ان هذا في حكم الاخرة من الكفار وانه مخلد في النار ولا نشك في انه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالايمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا نطلع عليه وعلينا ان نظن به انه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه بقلبه وانما الشك في امر ثالث وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بان يموت له في هذه الحالة قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الان في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى • او نكح مسلمة ثم صدق فهل تلزمه اعادة النكاح هذا في محل النظر فيحتمل ان يقال احكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان يقال يناط بالظاهر في حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والاظهر والعلم عند الله تعالى انه لا يحل له ذلك الميراث وتلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضي الله عنه كان يراعي ذلك منه فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة والصلوة فعل ظاهر في الدنيا وان كان من العبادات والتوقي عن الحرام ايضا من جملة ما يجب لله كالصلوة وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث حكم الاسلام وهو استسلام بل الاستسلام التام ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الالفاظ والعمومات والاقيسة فلا ينبغي ان يظن القاصر في العلوم ان المطلب فيه القطع من حيث جرت العادة بايرادها في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما افلح من نظر الى العادات والمراسم في العلوم **فان قلت** فما شبهة المعتزلة والمرجية وما حجة بطلان قولهم **فاقول** شبهتهم عمومات القران • اما المرجية فقالوا لا يدخل المومن النار وان اتى بكل المعاصي لقوله تعالى فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا • ولقوله والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون • ولقوله كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الاية الى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء • فقوله كلما القي عام فينبغي ان يكون كل من القي فيها مكذبا • وقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وهذا حصر واثبات ونفي • وقوله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون والايمان راس الحسنات • وقوله تعالى والله يحب المحسنين • وقال تعالى انا لا نضيع اجر من احسن عملا ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الايمان في هذه الايات اريد به الايمان مع العمل اذ بينا ان الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التاويل اخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العذاب وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من

الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القران قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فالاستثناء بالمشية يدل على الانقسام وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم • وقال ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تخصيص تسليط التخصيص والتاويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة بان العصاة يعذبون بل قوله تعالى وان منكم الا واردها كالتصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مومن عن ذنب يرتكبه وقوله لا يصلاها الا الاشقى اراد به من جماعة مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا • وقوله تعالى كلما القي فيها فوج اي من الكفار وتخصيص العمومات قريب ومن هذه الايات وقع الاشعري وطايفة من المتكلمين انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ان ترد قرينة تدل على معناها **واما المعتزلة** فشبهتهم قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا • وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات • وقوله تعالى وان منكم الا واردها ثم قال ثم ننجي الذين اتقوا وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل اية ذكر العمل الصالح مقرونا فيها بالايمان • وقوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم وهذه العمومات ايضا مخصصة بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغي ان يبقى له مشية في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله صلى الله عليه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان • وقوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين فكيف يضيع اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة • وقوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا للايمان وقد ورد على مثل هذا السبب **فان قلت** فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون العمل • وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان يعد العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الراس واليدان من الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا بعدم الراس ولا يخرج عن كونه انسانا بكونه مقطوع اليد • وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلوة وان كانت لا تبطل بفقدها والتصديق بالقلب من الايمان كالقلب من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الاطراف كالطاعات وبعضها اعلى من بعض • وقد قال صلى الله عليه لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن والصحابة رضوان الله عليهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الايمان بالزنى ولكن معناه انه غير مومن حقا ايمانا كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية **مسئلة** فان قلت فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان **فاقول** السلف رضي الله عنهم الشهود العدول وما لاحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشان في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان وان كان وجوده بل هو مزيد عليه يزيده والزايد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الانسان يزيد براسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالاداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان **فان قلت** فالاشكال قايم في ان التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة **فاقول** اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة اوجه الاول انه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل ايمان الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى تارة وتضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلا ولا يستبعد هذا واعتبر باليهودي في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعها منه بتخويف وتحذير وتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذا النصراني والمبتدعة ومنهم من يمكن تشكيكه بادنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استمالة وتخويف مع انه غير شاك في عقده كالاول ولكنهما يتفاوتان في شدة التصميم وزيادته كما يوثر سقي الماء في نماء الاشجار ولذلك قال تعالى فزادهم ايمانا وقال تعالى زادتهم ايمانا وقال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقال

صلى الله عليه وسلم فيما روي في بعض الأخبار الإيمان يزيد وينقص وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا
لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور
ادرك التفاوت في السكون إلى عقائد الإيمان في هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك
بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكد الرحمة
وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملا أو ساجدا لغيره أحس من قلبه بالتواضع
عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها
ويزيدها وسيأتي في ربع المهلكات والمنجيات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالعقائد والقلوب
فإن ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وأعني بالملكوت عالم الغيب
المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين
العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو
هذه الأجسام المحسوسة ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنهما **فقال**
رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر ولنرجع
إلى المقصود فإن هذا اعتراض خارج عن علم المعاملة ولكن بين العالمين اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة
تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة إلى أن تكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الإيمان بالطاعة بموجب هذا
الإطلاق ولهذا قال علي رضي الله عنه إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى
يبيض القلب كله وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع
على قلبه فذلك الختم وتلا قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون **الإطلاق الثاني** أن يراد به
التصديق والعمل جميعا كما قال صلى الله عليه وسلم الإيمان بضعة وسبعون بابا وكما قال صلى الله عليه وسلم
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وإذا أدخل العمل في مقتضى لفظ الإيمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر
ذلك في زيادة الإيمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه **الإطلاق الثالث**
أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام
عن قبول الزيادة ولكني أقول الأمر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة
النفس إلى أن الاثنين أكثر من واحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لا شك في واحد منهما
بل اليقينيات تختلف في درجات الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس إليه وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين في كتاب
العلم في باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الإعادة وقد ظهر في جميع الإطلاقات أن ما قالوه من زيادة الإيمان
ونقصانه حق وكيف لا وفي الأخبار يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وفي بعض المواضع في خبر آخر
مثقال دينار فأي معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما في القلب لا يتفاوت **مسئلة فإن قلت** ما وجه
قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله والاستثناء شك والشك في الإيمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم
الجواب بالإيمان ويحترزون من ذلك فقال سفيان الثوري رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من
الكاذبين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في
نفسه كان مؤمنا عند الله كما أن من كان طويلا أو سخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان
مسرورا أو حزينا أو سميعا أو بصيرا ولو قيل للإنسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله
ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأي فرق بين أن نقول آمنا
وبين أن نقول أنا مؤمنين **وقيل** للحسن أمؤمن أنت فقال إن شاء الله فقيل له تستثني يا أبا سعيد في الإيمان فقال
أخاف أن أقول نعم فيقول الله كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول ما يؤمنني أن يكون الله سبحانه قد
اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك عملا فأنا أعمل في غير معمل وقال إبراهيم إذا قيل لك أمؤمن
أنت فقل لا إله إلا الله وقال مرة قل أنا لا أشك في الإيمان وسؤالك إياي بدعة وقيل لعلقمة أمؤمن

أنت فقال أرجو إن شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله
فما معنى هذه الاستثناءات **فالجواب** أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان إلى الشك لا
في أصل الإيمان ولكن في خاتمته وكماله ووجهان لا يستندان إلى الشك **الوجه الأول** الذي لا يستند إلى معارضة
الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم وقال تعالى ألم تر إلى الذين
يزكون أنفسهم ثم قال تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء الإنسان على نفسه
والإيمان من أعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للإنسان
أنت طبيب أو فقيه أو مفسر فيقول نعم إن شاء الله لا في معرض التشكيك ولكن لإخراج نفسه عن تزكيتها فالصيغة صيغة
الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو سئل عن
وصف ذم لم يحسن الاستثناء **الوجه الثاني** التأدب بذكر الله تعالى في كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله
تعالى فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله
ثم لم يقتصر على ذلك فيما يشك فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم وكان الله عالما
بأنه يدخل لا محالة وأنه شاءه ولكن المقصود تعليمه فيه كل ما كان مخبرا عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال
لما دخل المقابر السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه
ولكن مقتضى الأدب ذكر الله وربط الأمور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن
إظهار الرغبة والتمني فإذا قيل لك إن فلانا يموت سريعا فتقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشكيكك
وإذا قيل لك فلان سيزول مرضه فتقول إن شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك
إلى معنى الرغبة فكذلك العدول إلى معنى التأديب للتأدب بذكر الله كيف كان الأمر **الوجه الثالث** ومستنده
الشك ومعناه أنا مؤمن حقا إن شاء الله إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم أولئك هم المؤمنون حقا
فانقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك في كمال الإيمان لا في أصله وكل إنسان شاك في كمال إيمانه وذلك
ليس بكفر والشك في كمال الإيمان حق من وجهين أحدهما من حيث إن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفي لا
تتحقق البراءة منه والثاني أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله
تعالى الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون
ولذلك قال ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد
ثم قال أولئك الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال
تعالى هم درجات عند ربهم وقال صلى الله عليه وسلم الإيمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال
الإيمان بضع وسبعون بابا أدناها إماطة الأذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال
وأما ارتباطه بالبراءة من النفاق والشرك الخفي فقوله عليه السلام أربع من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى
وزعم أنه مؤمن من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر وفي بعض الروايات
وإذا عاهد غدر وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه القلوب أربعة قلب أجرد وفيه سراج
يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل
النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي لفظ آخر غلبت عليه
ذهبت به وقال صلى الله عليه وسلم أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها وفي حديث الشرك أخفى في
أمتي من دبيب النملة على الصفا وقال حذيفة رضي الله عنه كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصير بها منافقا إلى أن يموت وإني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض
العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه بريء منه وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق
الإيمان وكماله وهو خفي وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه بريء منه وقد قيل

الحسن يقولون ان لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطرق • وقال هو او غيره لو نبتت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطا على الارض • وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلا يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان حاضرا اكنت تتكلم بهذا قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين من نار في الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هولا بوجه وهولا بوجه • وقيل للحسن ان اقواما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لان اكون اعلم اني بري من النفاق احب الي من تلاع الارض ذهبا • وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج • وقال رجل لحذيفة اني اخاف ان اكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق وان المنافق قد امن النفاق • وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلثين ومايه • وفي رواية خمسين ومايه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون النفاق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من اصحابه فذكروا رجلا فاكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك اذ دخل الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء قد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم ارى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين اشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك قال اللهم نعم وقال صلى الله عليه وسلم في دعايه اللهم اني استغفرك لما علمت وما لم اعلم فقيل له اتخاف يا رسول الله قال وما يومنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشا • وقد قال سبحانه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل في التفسير عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت في كفة السيات وقال سري السقطي لو ان رجلا دخل بستانا فيه من جميع الاشجار فيها من جميع الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغته فقال السلم عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها • فهذه الاخبار والاثار تعرفك خطر الامر بسبب دقايق النفاق والشرك الخفي وانه لا يومن منه حتى كان عمر رضي الله عنه يسال حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين وقال ابو سليمان الداراني سمعت من بعض الامرا شيا فاردت ان انكر فخفت ان يامر بقتلي ولم اخف من الموت ولكن خشيت ان يعرض لي التزين للخلق عند خروج روحي فسكت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاه لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي بصاحبه الى النار مدة او ينقص من درجات عليين ويحط عن رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه • ولذلك حسن الاستثنا واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية والامن من مكر الله تعالى والعجب وامور اخر لا يخلو عنها الا الصديقون الوجه الرابع هو ايضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري ايسلم له الايمان عند الموت ام لا فان ختم له بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الاخر ولو سيل الصايم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا صايم قطعا فلو افطر بعد ذلك لتبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من النهار وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام الصحة ووصفه بالصحة قبل اخره بنا على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان اكثر بكا الخايفين لاجل انها ثمرة المشية السابقة والمشية الازلية التي لا تظهر الا بظهور المقضي ولا يطلع عليها احد من البشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة السابقة بنقيضه فمن الذي يدري انه الذي سبقت له من الله الحسنى وقيل في قوله تعالى وجات سكرة الموت بالحق اي بالسابقة يعني اظهرها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتمها • وكان ابو الدردا يحلف بالله ما احد امن ان يسلب ايمانه الا سلبه • ويقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سو الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافترا • وقال بعض العارفين لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد لاني ما ادري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد

الى باب الدار • وقال بعضهم لو عرفت واحدا على التوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم احكم له انه مات على التوحيد • وفي الحديث من قال انا مومن فهو كافر ومن قال انا عالم فهو جاهل • وقيل في قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك • وقال الله تعالى ولله عاقبة الامور ومهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثنا واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما ان الصوم عبارة عما يبري الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبري الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الايمان • بل لا يبعد ان يسال عن الصوم الماضي الذي لا شك فيه بعد الفراغ منه فيقال اصمت بالامس فيقول نعم ان شا الله اذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غايب عنه لا يطلع عليه الا الله فمن هذا يحسن الاستثنا في جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة اسباب خفية لا يطلع عليها الا رب الارباب جل جلاله فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثنا في الجواب عن الايمان وهي اخر ما نختم به كتاب قواعد العقايد والله اعلم

كتاب الطهارة

من ربع العبادات من جملة كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة • وافاض على قلوبهم تزكية لسرايرهم انوار والطافه • واعد لظواهرهم تطهيرا لها الما المخصوص بالرقة واللطافة • والصلوة على محمد المستغرق بنور الهدى اطراف العالم واكنافه • وعلى اله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل افة اما بعد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة • وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلوة الطهور • وقال تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين • وقال صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان • وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم فليتفطن ذوو البصاير بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السراير • اذ يبعد ان يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الما وتخريب الباطن وابقاوه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات فالطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات والثانية تطهير الجوارح عن الجرايم والاثام والثالثة تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذايل الممقوتة والرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله • ولذلك قال تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون لانهما لا يجتمعان في قلب وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقايد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقايضها من العقايد الفاسدة والرذايل المذمومة فتطهيره احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عما سوى الله تعالى ما لم يفرغ عن طهارة القلب عن الاخلاق المذمومة وعمارته بالاخلاق المحمودة ولن يصل الى ذلك ما لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه ويستوعب جميع اوقاته في الاستنجا وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذه فقط وجهلا بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم والوكد في تطهير القلو

وتساهلهم في امر الطاهر حتى ان عمر رضي الله عنه مع علو منصبه توضا من جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون
اليد عن الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع
المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين
التراب حاجزا في مضجعه كان من اكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجا **وقال** ابو هريرة وغيره
من اهل الصفة كنا ناكل الشوي فتقام الصلوة فندخل اصابعنا في الحصبا ثم نفركها بالتراب ونكبر
وقال عمر رضي الله عنه ما كنا نعرف الاشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا
بواطن ارجلنا اذا اكلنا الغمر مسحنا بها **ويقال** اول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربعة المناخل والاشنان والموايد والشبع فكان عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلوة
في النعلين افضل اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعله في صلاته اذ اخبره جبريل ان عليه نجاسة
وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم قال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت
لو ان محتاجا جا واخذها منكرا لخلع النعل فهكذا كان تساهلهم في هذه الامور بل كانوا يمشون في طين الشوارع
حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الارض وياكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب
وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن واحد منهم سؤال
في دقايق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الان الى طايفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون
هي مبنى الدين فاكثر اوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبايث الكبر
والعجب والجهل والريا والنفاق فلا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون ولو اقتصر مقتصر على الاستنجا بالحجر او مشى على الارض
حافيا او صلى على الارض او بواري المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من ادم
او توضا من انية عجوز او رجل غير متقشف لاقاموا عليه القيمة ولشددوا فيه النكير ولقبوه بالقذر واخرجوه
من زمرتهم واستنكفوا من مواكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة
فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه **فان قلت**
افتقول ان هذه العادات التي احدثها الصوفية في هياتهم ونظافتهم من المحظورات او المنكرات فاقول
حاش لله ان اطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني اقول هذا التكليف والتنظيف واعداد الاواني والالات
واستعمال الغلاف للاقدام والازار المقنع بها لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر الى
ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد تقترن بها احوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات
فاما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى ان صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فليفعل في ماله ما يريد اذا لم
يكن فيه اضاعة مال واسراف واما مصيرها منكرا فان يجعل ذلك اصل الدين ويفسر قوله عليه السلم
بني الدين على النظافة حتى ينكر على من يتساهل فيه تساهل الاولين وان يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق
وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الريا المحذور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين واما كونه معروفا فبان
يكون القصد منه الخير دون التزين وان لا ينكر على من ترك ذلك ولا يوخر بسببه الصلوة عن اوايل الاوقات
ولا يشتغل به عن عمل هو افضل منه او عن تربية علم او غيره فاذا لم يقترن به شي من ذلك فهو مباح يمكن ان
يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرفها الاوقات اليه لاشتغلوا
بنوم او حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم بذلك اولى لان الشاغل بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى
وذكر العبادات فلا باس بذلك اذا لم يخرج الى منكر او اسراف **واما** اهل العلم والعمل فلا ينبغي ان يصرفوا
من اوقاتهم اليه الا قدر الحاجة والزيادة على قدر الحاجة منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو انفس الجواهر
واعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فان حسنات الابرار سيات المقربين ولا ينبغي
للبطال ان يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويتشبه بالصحابة اذ التشبه بهم في ان لا يتفرغ الا لما هو يزعم انه
اهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك قال اني اذا لفارغ فلهذا لا ارى للعالم ولا للمتعلم

ان

ان يضيع وقتا في غسل الثياب احترازا من ان يلبس الثياب المقصورة توهما بالقصار تقصيرا في الغسل
فقد كانوا في العصر الاول يصلون في الفرا المدبوغة وكم من الفرق بين المدبوغة والمقصورة في الطهارة
والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات البعيدة بل
كانوا يتطرقون في دقايق الريا والظلم حتى قال سفين الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر الى باب دار
مرفوع معمور لا تفعل ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه
معين له على الاسراف فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقايق لا في احتمال النجاسات ولو
وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو افضل فانه بالاضافة الى التساهل خير وذلك العامي
ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس
ان لم تشغل شغلت صاحبها واذا قصد به التقرب من العالم صار ذلك عنده من افضل القربات فوقت العالم
اشرف من ان يصرفه الى مثله فيبقى محفوظا عليه واشرف وقت العامي ان يشتغل بمثل ذلك فيتوفر الخير من كلا الجانبين
وليتفطن بهذا المثال لنظايره من الاعمال وترتيب فضايلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب
في حفظ لحظات العمر في ان يصرفها الى الافضل اهم من التدقيق في امور الدنيا بحذافيرها فاذا عرفت هذه
المقدمة واستثبت ان الطهارة لها اربع مراتب فاعلم انا في هذا الكتاب لسنا نتكلم الا في المرتبة الرابعة
وهي نظافة الظاهر لانا في الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر **فنقول** طهارة الظاهر
ثلثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم
والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره **القسم الاول** في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق
بالمزال والمزال به والازالة **الطرف الاول** في المزال وهي النجاسات والاعيان ثلثة مايعات وحيوانات
واجزا حيوانات اما المايعات فطاهرة كلها الا الخمر والبول وكل مشتد مسكر والحيوانات كلها طاهرة
الا الكلب والخنزير وما تولد منهما فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة الادمي والسمك والجراد ودود
النفاح وفي معناه كلما تستحيل اليه الاطعمة وكلما ليس له نفس كالذباب والخنفسا وشبههما فلا ينجس الما بوقوع سائلة
شي منها فيه واما اجزا الحيوانات فقسمان احدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس
بالجز وينجس بالموت والعظم ينجس الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر
فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط واما ما له مقر وهو مستحيل فهو نجس الا ما هو مادة
الحيوان كالمني والبيض والدم والروث والبول نجس من الحيوانات ولا يعفى عن شي من هذه الحيوانات
النجاسات قليلها وكثيرها الا خمسة **الاول** اثر النجو بعد الاستنجا بالاحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج
والثاني طين الشوارع وغبار الروث في الطرق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه
وهو الذي لا ينسب المتلطخ به الى تفريط او سقطة **الثالث** ما على اسفل الخف من النجاسة التي لا تخلو
الطرق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة **الرابع** دم البراغيث ما قل منه او كثر الا اذا جاوز حد العادة
سوا كان في ثوبك او ثوب غيرك فلبسته **الخامس** دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد ذلك ابن
عمر بثرة على وجهه فخرج منها الدم فصلى ولم يغسله وفي معناها اللطخات الدماميل التي تدوم غالبا وكذلك
اثر الفصد الا ما يقع نادرا من خراج او غيرها فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو
الانسان عنها في احواله ومسامحة الشرع في هذه النجاسات الخمسة يعرفك ان امر الطهارات على
التساهل وما ابدع فيها وسوسة لا اصل له **الطرف الثاني** في المزال به وهو اما جامد او مايع
اما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم
واما المايعات فلا تزال النجاسة بشي منها الا الما ولا كل ما بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره

بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقاة النجاسة طعمه او لونه او ريحه فان لم يتغير
وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء
قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا عند الشافعي رحمه الله هذا في الماء الراكد • اما الجاري اذا تغير
بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات الماء متواصلة وكذا النجاسة الجارية اذا
جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين وان كان جري الماء اقوى
من جري النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها نجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع في حوض دون قلتين
واذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي رحمه الله وكنت اود ان يكون
مذهبه مثل مذهب مالك رحمه الله في ان الماء وان قل لا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه • ومثار الوسواس
اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتامله • ومما لا اشك
فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة ولا يكثر فيهما المياه الجارية
ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخر عصر الصحابة رضوان الله عليهم لم ينقل
واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت اواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء
والذين لا يحترزون عن النجاسات • وقد توضا عمر رضي الله عنه بماء من جرة نصرانية كالصريح في انه لم يعول الا على
عدم تغير الماء والا فنجاسة النصرانية وانائها غالب تعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع
السؤال في تلك الاعصار دليل اول وفعل عمر دليل ثاني والدليل الثالث اصغاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم الاناء للهرة وعدم تغطيتهم الاواني منها بعد ان يرى انها تاكل الفار ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير
فيها وكانت لا تنزل في الابار والدليل الرابع ان الشافعي رضي الله عنه نص على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا
لم تتغير واي فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه • واي معنى لقول القائل
ان قوة الورود تدفع النجاسة مع ان الورود لم يمنع مخالطة النجاسة فان احيل ذلك على الحاجة فالحاجة ايضا
ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح الماء في اجانة فيها ثوب نجس او طرح الثوب النجس في الاجانة وفيهما ما وكل ذلك
معتاد في غسل الثياب والاواني الخامس انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف
في مذهب الشافعي رحمه الله انه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير انه يجوز التوضي به وان كان قليلا واي فرق
بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على عدم التغير اولى او على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة اتجري
في المياه الجارية في انابيب الحمامات ام لا فان لم تجر فما الفرق وان جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في
مجرى الماء من الاواني على الابدان وهي ايضا جارية ثم البول اشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة
اذ قضي بان ما يجري عليها وان لم يتغير نجس الى ان يجتمع في مستنقع قلتان فاي فرق بين الجامد والمائع والماء واحد
والاختلاط اشد من الجوار السادس انه اذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقنا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم
ان البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعري تعليل طهارته بعدم التغير اولى او بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة
وزوال الهاجم مع تحقق بقاء النجاسة فيها السابع ان الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضا فيها المتقشفون
ويغمسون الايدي والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد
عليه فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله
صلى الله عليه وسلم خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل مائع
ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وذلك معلوم من جهته فكما نرى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ويحكم
بطهارته لصيرورته ملحا ولزوال الصفة الكلبية عنه وكذلك الخل يقع في الماء واللبن يقع فيه وهو قليل فيبطل
صفته ويتصور بصفة الماء ويتطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب ويعرف غلبته بغلبة طعمه او لونه او ريحه
وهذا المعيار قد اشار الشرع اليه في الماء القوي على ازالة النجاسة فهو جدير بان يعول عليه ويندفع

الحرج فيطهر مع كونه طهورا اذ يغلب عليه فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري
وفي اصغاء الاناء للهرة ولا اظن ان ذلك عفو اذ لو كان كذلك لكان كاثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء
الملاقي له نجسا ولا ينجس الغسالة ولا بولوغ السنور في الماء القليل • واما قوله صلى الله عليه وسلم لم يحمل خبثا
فهو في نفسه مبهم فانه يحمل اذا تغير • فان قيل اراد به اذا لم يتغير فيمكن ان يقال اراد به في الغالب لا يتغير بالنجاسات
المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم باقل من الادلة التي ذكرناها ممكن • وقوله
لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل اي يقلبه الى صفة نفسه كما يقال للملاحة لا تحمل كلبا ولا غيره اي يتقلب وذلك لان
الناس قد يستنجون في المياه القليلة في الغدران ويغمسون الاواني النجسة فيها ثم يترددون في انها هل تغيرت
تغيرا مؤثرا ام لا فتبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات المعتادة فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم
خبثا ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فانها مهما كثرت حملها ايضا حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات
المعتادة على المذهبين جميعا • وعلى الجملة فميلي في امور النجاسات الى المساهلة فيما من سيرة الاولين وحسما
لمادة الوسواس ولذلك افتيت بالطهارة فيما وقع فيه الخلاف من هذه المسائل الطرف الثالث في كيفية
الازالة والنجاسة ان كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي اجراء الماء على جميع مواردها • وان كانت
عينية فلا بد من ازالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو اذا كان
التي له رائحة فايحة تعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص في اللون
والمزيل للوسواس ان تعلم ان الاشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليه نجاسة ولا تعلم يقينا فصل معه ولا
ينبغي ان يتوصل بالاستنباطات الى تقدير النجاسات القسم الثاني طهارة الاحداث ومنها الوضوء والغسل
والتيمم ويتقدمها الاستنجاء فنورد كيفيتها على الترتيب مع ادابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وهو قضاء الحاجة
اداب قضاء الحاجة ينبغي ان يبعد عن اعين الناظرين في الصحراء وان يستتر بشيء ان وجده ولا يكشف
عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها
الا اذا كان في بناء والعدول عنها في البناء ايضا احب وان استتر في الصحراء براحلته جاز وكذلك بذيله
وان يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة وفي الجحر وان يتقي الموضع
الصلب ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه وان يتكي في جلوسه على الرجل اليسرى وان كان
في بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول قائما قالت عائشة ام المؤمنين رضي
الله عنها من حدثكم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه • وقال عمر رضي الله عنه راني رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا ابول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما وفيه رخصة اذ روى حذيفة انه صلى الله عليه
وسلم بال قائما فاتيته بوضوء فتوضا ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل قال صلى الله عليه وسلم عامة
الوسواس منه • قال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا باس ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى ورسوله عليه السلام
ولا يدخل بيت الماء حاسر الراس وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وعند
الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني وان يعد النبل قبل الجلوس وان لا يستنجي بالماء في
موضع الحاجة وان يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على سفل القضيب ولا يكثر التفكر في
الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الامر وما يحس به من بلل فليقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش
الماء عليه حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم
فعله اعني رش الماء وقد كان اخفهم استبراء افقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه • وفي حديث سلمان
علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة امرنا ان لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة
لغائط او بول • قال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وابيك
اني لحاذق ابعد الاثر واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعي اقعاء الظبي واجفل
اجفال النعام الشيح نبت طيب الرائحة يكون بالبادية والاقعاء هاهنا ان يستوفز على صدور قدميه

والإجمال ان يرفع عجزه ● ومن الرخصة ان يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه فعل ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس كيفية الاستنجاء ثم يستنجي لمقعدته بثلاثة احجار فان انقى كفى والا استعمل
رابعا فان انقى استعمل خامسا فان الانقاء واجب والايتار مستحب ● قال صلى الله عليه وسلم من استجمر فليوتر ● ويأخذ
الحجر بيساره ويضعها على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة الى مؤخر المقعدة ويأخذ الثانية
فيضعها على المؤخر كذلك ويمرها الى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة وان عسرت الادارة ومسح من
المقدمة او المؤخر اجزاه ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويحرك اليسار ويمسح كذلك ثلاثا في ثلاثة مواضع
من حجر او في ثلاثة احجار الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك ان اراد الانقاء
على الاحجار وان حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار ● ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيضه
باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء بالتعرض للباطن فان
ذلك منبع الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تبرز
وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد طهوره ان يصل الماء اليه فيزيله فلا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء
اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحائط او بالارض ازالة للرائحة ان بقيت والجمع بين
الماء والحجر مستحب ● فقد روي انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين ● قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا ما هذه الطهارة التي اثنى الله تعالى عليكم قالوا انا نجمع بين الماء والاحجار

كيفية الوضوء فاذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجا من
الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال صلى الله عليه وسلم ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك وينبغي ان ينوي
بالسواك التطهير لقراءة القرآن وذكر الله تعالى في الصلاة ● وقال صلى الله عليه وسلم صلاة على اثر سواك افضل من
خمس وسبعين صلاة بغير سواك ● وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة ● وقال
ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا اي صفر الاسنان ● وكان صلى الله عليه وسلم يستاك في الليلة مرارا ● وعن
ابن عباس رضي الله عنه انه قال لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء
وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب ● وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم
وكيفيته ان يستاك بعود الاراك او غيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا وان اقتصر
فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم او طول الأزم او اكل
ما يكره رائحته ● ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ● قال صلى الله عليه وسلم
لا وضوء لمن لم يسم الله عليه اي لا وضوء كاملا ويقول عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان
يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الاناء ويقول اللهم اني اسألك اليمن والبركة واعوذ بك من الشؤم والهلكة
ثم ينوي رفع الحدث او استباحة الصلاة ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة
لفيه فيتمضمض بها ثلاثا ويغرغر بان يرد الماء الى الغلصمة الا ان يكون صائما فيرفق ويقول اللهم اعني على تلاوة كتابك
وكثرة الذكر لك ثم يأخذ غرفة لانفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيه ويقول في الاستنشاق
اللهم اوجد لي رائحة الجنة وانت عني راض ● وفي الاستنثار اللهم اني اعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار
لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغترف غرفة لوجهه ويغسله من مبتدأ سطح الجبهة الى منتهى ما يقبل من
الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في الوجه النزعتان اللتان على طرفي الجبين فهما من الرأس
ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهما ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع
طرف الخيط على رأس الاذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبان والشاربان
والاهداب والعذاران لانهما خفيفان في الغالب والعذاران هما ما يوازي الاذنين من مبتدأ اللحية ويجب ايصال
الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية في الكثافة والخفة

فيفعل ذلك ثلاثا ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصبع في محاجر العينين وموضع الرمص
ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روي انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك
عند كل عضو ● ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود
وجوه اعدائك ● وتخليل اللحية عند غسل الوجه مستحب ● ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة
ويرفع الماء الى اعالي العضدين فان المؤمنين يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ولذلك ورد الخبر
قال صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يطيل غرته فليفعل ● وروي ان الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبدأ باليمين
ويقول اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ● ويقول عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي
او من وراء ظهري ثم يستوعب رأسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤوس اصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة
الرأس ويمدهما الى القفا ثم يردهما الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشني برحمتك وانزل
علي من بركاتك واظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ● ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بان يدخل
مسبحتيه في صماخي اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهرهما ثم يضع كفيه على اذنيه استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول
اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته بماء
جديد لقوله صلى الله عليه وسلم مسح الرقبة امان من الغل ويقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل
والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى
ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزول الاقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى
اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزول اقدام المنافقين ويرفع الماء الى انصاف الساقين فاذا فرغ رفع رأسه الى
السماء وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك وبحمدك لا اله
الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من
التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صبورا شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك
بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه
ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة ● ويكره في الوضوء امور منها ان يزيد على الثلاث وان يسرف في الماء ● توضأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم واساء ● وقال صلى الله عليه وسلم سيكون قوم من
هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور ● ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور ● وقال ابراهيم بن
ادهم يقال ان اول ما يبتدئ الوسواس من قبل الطهور ● وقال الحسن ان شيطانا يضحك بالناس في الوضوء يقال
له الولهان ● ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء وان يتكلم في اثناء الوضوء وان يلطم وجهه بالماء لطما وكره قوم
التنشيف ● وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري رضي الله عنهما ● ولكن روى معاذ رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه ● وروت عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان له
منشفة ولكن قد طعن في الرواية عن عائشة رضي الله عنها وان لا يتوضأ من اناء صفر وان لا يتوضأ بالمشمس وذلك
من جهة الطب ● وقد روي عن ابن عمر وابي هريرة رضي الله عنهما كراهة الاواني الصفرية ● وقال بعضهم
اخرجت لسعيد ماء في اناء صفر فابى ان يتوضأ ● ونقل كراهة ذلك عن ابن عمر ومهما فرغ من وضوئه واقبل على
الصلاة ينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وذلك موقع نظر الخلق فينبغي ان يستحي من مناجاة الله من غير تطهير
القلب وذلك موقع نظر الرب وليتحقق ان طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق الذميمة وان من اقتصر
على طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكا الى بيته وتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص الباب البراني
من الدار وما اجدر من يفعل ذلك بالتعرض للبوار ● **فضيلة الوضوء** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من توضأ فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه
وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه ● وقال الا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع
به الدرجات اسباغ الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط

يذكركم الرباط • وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به • وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين آتاه الله أجره مرتين • وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي ووضوء الخليل ابراهيم • وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصابه الماء • وقال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات • وقال الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا حث على تجديد الوضوء • وقال اذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من أظفار يديه فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أطراف أذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من أظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له • وروي ان الطاهر كالصائم • وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة يدخلها من أيها شاء • وقال عمر رضي الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان • وقال مجاهد من استطاع ان لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الأرواح تبعث على ما قبضت عليه

هيئة الغسل

وهو ان يضع الاناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلاثا ثم يستنجي كما وصفنا ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت • ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما سبق الا غسل قدميه فانه يؤخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان اضاعة للماء • ثم يصب الماء على شقه الأيمن ثلاثا ثم على شقه الأيسر ثلاثا ثم على رأسه ثلاثا ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ويخلل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء الى منابت ما كثف منه أو خف وليس على المرأة نقض الضفائر الا اذا علمت ان الماء لا يصل الى خلل الشعور ويتعهد معاطف البدن وليتق ان يمس ذكره في أثناء ذلك فان فعل ذلك فليعد الوضوء وان توضأ قبل الغسل فلا يعيد بعد الغسل هذه سنة الوضوء والغسل ذكرنا منهما ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وما عداه من المسائل يحتاج اليها في عوارض الأحوال فيرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل أمران النية واستيعاب البدن بالغسل ومن الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب اما الموالاة فليست بواجبة ن والغسل الواجب أربعة الغسل لخروج المني ولالتقاء الختانين والحيض والنفاس • وما عداها من الأغسال سنة كالغسل للجمعة والعيدين والاحرام والوقوف بعرفة والمزدلفة ولدخول مكة • وثلاثة اغتسالات أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر اذا أسلم غير جنب والمجنون اذا أفاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب

كيفية التيمم

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو لمانع له عن الوصول اليه من سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه أو عطش رفيقه أو كان ملكا لغيره ولم يبعه منه الا بأكثر من ثمن مثله أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغي ان يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين يثور منه غبار ويضرب عليه كفيه ضاما بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عندها استباحة الصلاة ولا يتكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعر خف أو كثر ويجتهد ان يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين أصابعه ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى بحيث لا تجاوز أطراف الأنامل من احدى اليدين عرض المسبحة من الأخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده اليمنى الى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه وعرض هذا التكلف تحصيل الاستيعاب الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا بأس بان يستوعب بضربتين وزيادة فان صلى به الفرض فله ان يتنفل كيف شاء فان جمع بين فريضتين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله أعلم

القسم الثالث من النظافة التنظيف عن الفضلات الظاهرة

وهي نوعان أوساخ وأجزاء **النوع الأول** الأوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية **الأول** ما يجتمع في شعر

الرأس من الدرن والقمل فالتنظيف فيه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين ازالة للشعث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر غبا ويرجله غبا ويأمر به ويقول ادهنوا غبا • وقال صلى الله عليه وسلم من كانت له شعرة فليكرمها اي ليصنها عن الأوساخ • ودخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان **الثاني** ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك مما يضر بالسمع **الثالث** ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها الاستنشاق والاستنثار **الرابع** ما يجتمع على الأسنان وأطراف اللسان من القلح ويزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما **الخامس** ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط • وفي الخبر المشهور انه صلى الله عليه وسلم كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر وهي سنة العرب وفي خبر غريب انه كان يسرح لحيته في اليوم مرتين • وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية قد ملأت ما بين كتفيه ل وكذلك كان أبو بكر رضي الله عنه وكان عثمان رضي الله عنه طويل اللحية رقيقها • وكان علي رضي الله عنه عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه • وفي حديث أغرب منه قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرأيته يطلع في الجب يسوي من رأسه ولحيته فقلت له أوتفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم • والجاهل ربما يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على أخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم كي لا تزدريه نفوسهم وتحسين صورته في أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله تعالى وهو ان يراعي من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الأمور على النية فانها أعمال في نفسها تكتسب الأوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد مستحب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الى الله تعالى به • وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السرائر ويبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرجة فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر **السادس** وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الأنامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل الأيدي عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فأمرهم صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم **السابع** تنظيف الرواجب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك العرب وهي رؤوس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ لأنها كانت لا تحضرها المقراض في كل وقت فيجتمع فيها أوساخ فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الأظفار ونتف الآباط وحلق العانة أربعين يوما لكنه أمر بتنظيف ما تحت الأظفار • وجاء في الأثر ان النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له كيف ننزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر أمتك بذلك والأف وسخ الأذن والتف وسخ الظفر • وقوله تعالى ولا تقل لهما أف اي لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ • وقيل لا تتأذى بهما كما تتأذى بما تحت الظفر **الثامن** الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام • دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام • وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار • وروي ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري • وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذاك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته • ولكن على داخل الحمام

مرتين ه

تخطئه ه

وكان عمر رضي الله عنه

وهي معاطف ظهور الانامل ع

وظايف من السنن والواجبات فعليه واجبات في عورته وواجبات في عورة غيره اما الواجبان في عورته فهو ان يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة وفي اباحة مس ما ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ الحق مس السوءتين في التحريم بالنظر ولذلك ينبغي ان تكون بقية العورة اعني الفخذ والواجبات في عورة الغير ان يغض بصره عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه ان ينكر حراما يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام اخر فاما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التاثر بسماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصي وذلك يوثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الاوقات اذ لا يخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة اذ الناس لا يعدون ذلك عورة وقد الحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام قال بشر بن الحارث ما اعنف رجلا لا يملك الا درهما دفعه ليخلي له الحمام ورءي ابن عمر رضي الله عنه في الحمام ووجهه الى الحايط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينيه **واما السنن فعشرة الاول** النية وهو ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لاجل هوى بل يقصد به التنظيف المستحب تزينا للصلاة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل ان يدخل فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامي ايضا مجهول فتسليم الاجرة دفع للجهالة عن احد العوضين وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية الحمام فانه وان لم يكن في الحمام الا اهل الدين والمحتاطين على العورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شايبة من قلة الحيا وذلك مذكر للتامل الى العورات ثم لا يخلو الناس في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في اطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولاجله عصب ابن عمر عينيه ويغسل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الاول ولا يكثر صب الما بل يقتصر على قدر الحاجة فانه الماذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لا سيما الما الحار فله مونة وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك بل العاقل لا يغفل عن ذكر الاخرة في كل لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ما او نار او غيرهما عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته واذا دخل بزاز ونجار وبناء وحايك دارا معمورة فاذا تفقدتهم رايت البزاز ينظر الى الفرش فيتامل قيمتها ورايت الحايك ينظر الى الثياب يبصر نسجها والنجار ينظر الى السقف يتامل كيفية تركيبه والبنا الى الحيطان يتامل كيفية احكامها واستقامتها فلذلك سالك طريق الاخرة لا يرى من الاشيا شيئا الا ويكون له موعظة وذكرى للاخرة بل لا ينظر الى شي الا ويفتح الله له طريق عبرة فان نظر الى سواد تذكر ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر افاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هايلا تذكر نفخة الصور وان راى شيا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع ردا او قبولا في سوق او دار تذكر ما ينكشف من اخر امره بعد الحساب من الرد والقبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الاخرة استحقرها اذ لم يكن ممن اغفل قلبه وعميت بصيرته **ومن السنن** ان لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان احب قال عافاك الله ولا باس ان يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرا القران الا سرا ولا باس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشايين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا باس بان يدلكه غيره فقد نقل ذلك عن يوسف بن اسباط انه اوصى بان يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال انه دلكني في الحمام مرة فاردت ان اكافيه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره

مفروشة م

غيره

فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام فليشكر الله تعالى على هذه النعمة فقد قيل ان الما الحار في الشتا من النعيم الذي يسئل عنه وقال ابن عمر رضي الله عنه ان الحمام من النعيم الذي احدثوه هذا من جهة الشرع واما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة امان من الجذام وقيل ان النورة في كل شهر مرة تطفي المرارة وتنقي اللون وتزيد في الجماع وقيل بولة في الحمام قايما في الشتا انفع من شربة دوا وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دوا وغسل القدمين بما بارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره صب الما البارد على الراس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال **اما النسا** فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لرجل ان يدخل حليلته الحمام وفي البيت مستحم والمشهور انه حرام على الرجال دخول الحمام الا بميزر وحرام على المراة دخول الحمام الا نفسا او مريضة دخلت عايشة رضي الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت من ضرورة فلا تدخل الا بميزر سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه **النوع الثاني** فيما يحذف من البدن من الاجزا وهي ثمانية **الاول** شعر الراس ولا باس بحلقه لمن اراد التنظيف ولا باس بتركه لمن يدهنه ويرجله الا اذا تركه قزعا قطعا فذلك داب اهل الشطارة وارسال الذوايب على هيات اهل الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا **الثاني** شعر الشارب قال صلى الله عليه وسلم قصوا الشوارب وفي لفظ اخر جزوا الشوارب واعفوا اللحى اي اجعلوها حفافي الشفة اي حولها وحفاف الشي حوله ومنه قوله تعالى وترى الملايكة حافين من حول العرش وفي لفظ اخر احفوا وهذا يشعر بالاستيصال وقوله صلى الله عليه وسلم حفوا يدل على ما دون ذلك قال تعالى ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم واما الحلق فلم يرد والاحفا قريب من الحلق نقل عن الصحابة رضي الله عنهم نظر بعض التابعين الى رجل احفا شاربه فقال ذكرتني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المغيرة بن شعبة نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربي فقال تعال فقصه لي على سواك ولا باس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحى اي كثروها وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلما الحلق وراه بدعة **الثالث** شعر الابط ويستحب نتفه في كل اربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعود في الابتدا نتفه واما من تعود الحلق فيكفيه الحلق اذ في النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق **الرابع** شعر العانة ويستحب ازالته اما بالحلق واما بالنورة ولا ينبغي ان يتاخر عن اربعين يوما **الخامس** الاظفار وقلمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة قلم اظفارك فان الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضو اما لانه لا يمنع وصول الما ولانه يتساهل فيه للحاجة لا سيما في اظفار الرجل ولذا الاوساخ التي تجتمع على الرواجم وظهور الارجل والايدي للعرب واهل السواد وكان صلى الله عليه وسلم يامرهم بالقلم وينكر ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يامرهم باعادة الصلوات فلو امر به لكان فيه فايدة اخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم ار في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا بالمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدا في اليسرى بالخنصر الى الابهام وفي اليمنى من المسبحة الى الخنصر وختم بابهام اليمنى ولما تاملت هذا خطر لي من المعنى ما يدل على ان الرواية فيه صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتدا الا بنور النبوة واما العالم ذو البصيرة فغايته ان يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل اليه والذي لاح لي فيه والعلم عند الله انه لا بد من قلم اظفار الرجل واليد واليد اشرف من الرجل فيبدا بها ثم اليمنى اشرف من اليسرى فيبدا بها ثم على اليمنى خمسة اصابع والمسبحة اشرفها اذ هي المشير في كلمتي الشهادة من جملة الاصابع ثم بعدها ينبغي ان يبدا بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الوضو وغيره على اليمين وان وضعت ظهر اليد على الارض فالابهام هو اليمين وان وضعت الكف فالوسطى هي اليمين فاليد اذا تركت بطبعها كان الكف مايلا الى جهة الارض اذ جهة حركة اليمنى الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه

الطبع اولى ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الاصابع في حكم حلقة دايرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب من يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فيقع البداية بخنصر اليسرى والختم بابهامها ويبقى ابهام اليمنى وانما قدرت الكف موضوعا على الكف حتى يصير الاصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك اولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف او وضع ظهر الكف على ظاهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع **واما** اصابع الرجل فالاولى عندي اذا لم يثبت فيها نقل ان يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فان المعاني التي ذكرناها لا تتجه هاهنا اذ لا مسبحة في الرجل وهذه الاصابع في حكم صف واحد ثابت على الارض فيبدأ من جانب اليمين فان تقدير ها حلقة لو وضع الاكبر على الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقايق في الترتيب تنكشف بنور النبوة في لحظة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتدا ربما لم يخطر لنا واذا ذكر لنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا باعانته صلى الله عليه وسلم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظن ان افعاله صلى الله عليه وسلم في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الامور الاختيارية التي ذكرناها يتردد الفاعل فيها بين قسمين واقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضي الاقدام والتقدم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهايم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية اوليا الله تعالى وكلما كانت حركات الانسان وخطراته الى الضبط اقرب وعن الاهمال والاسترسال ابعد كانت مرتبته الى رتبة الاوليا والانبيا اكثر وكان قربه من الله تعالى اظهر اذ القريب من النبي صلى الله عليه وسلم هو قريب من الله تعالى لا بد ان يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالاضافة الى غيره فنعوذ بالله ان يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في ناصية الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم فانه كان يكحل في عينه اليمنى ثلثا وفي اليسرى اثنين فبدأ باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا فان الوتر فضل على الزوج فان الله تعالى وتر يحب الوتر فلا يخلو ا ينبغي ان يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من اوصاف الرب تعالى ولذلك استحب الايتار في الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلاث وهي وتر لان اليسرى لا يخصها الا واحدة والغالب ان الواحدة لا تستوعب اصول الاجفان بالكحل وانما خص اليمين لان التفضيل لا بد منه للايتار واليمين افضل فهي بالزيادة احق **فان قلت** اقتصر على اثنين لليسرى وهو زوج فذلك ضرورة اذ لو جعل لكل واحدة وترا لكان المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايتار في مجموع الفعل هو في حكم الخصلة الواحدة احب من رعايته في الاحاد ولذلك ايضا وجه وهو ان يكحل في كل واحدة ثلثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك في الصحيح وهو الاولى ولو ذهبت استقصي دقايق ما راعاه صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال الامر فقس بما سمعت ما لم تسمعه ● واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبي الا اذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي الا درجة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والمورث اذ الموروث هو الذي حصل المال له واستقل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصله ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله له فامثال هذه المعاني مع سهولة امرها بالاضافة الى الاعدار والاسرار لا يستقل بدركها ابتدا الا الانبيا صلوات الله عليهم وسلامه ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الانبيا عليها الا العلما الذين هم ورثة الانبيا **السادس والسابع** زيادة السرة وقلفة الحشفة اما السرة فتقطع في اول الولادة واما التطهير بالختان فعادة اليهود اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتاخير الى ان يشعر الولد احب وابعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم لام عطية وكانت تخفض يا ام عطية اشمي ولا تنهكي فانه اسرى للوجه واحظى عند الزوج اي اكثر لما الوجه ودمه واحسن في جماعها فانظر الى جزالة لفظه صلى الله عليه في الكناية والى اشراق نور النبوة من مصالح الاخرة التي هي اهم مقاصد النبوة الى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو امي من هذا الامر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من ارسله رحمة للعالمين ليجمع لهم ببعثته صلى الله عليه وسلم مصالح الدنيا والدين **الثامن** ما طال من اللحية وانما اخرناها لنلحق بها ما طال في اللحية من السنن والبدع اذ هذا اقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل ان قبض الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا باس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه

الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالا تركها عافية احب الينا لقوله صلى الله عليه اعفوا اللحى والامر في هذا قريب اذا لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق السنة المغتابين بالنسبة اليه فلا باس بالاحتراز عنه على هذه النية ● وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا ياخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فان التوسط في كل شي حسن ● ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل

فصل وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها اشد من بعض وذلك الخضاب بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والزيادة فيها ونشرها تصنعا لاجل الريا وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بالعلو والسن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية التشبه بالصالحين **اما الاول** وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر ● ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب اهل النار ● وفي لفظ اخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار ● وتزوج رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه وكان قد خضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه اهل المراة الى عمر رضي الله عنه فرد نكاحه واوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ● ويقال اول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله ● وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون في اخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون ريح الجنة **الثاني** الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم ● وقد قال صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المؤمنين والحمرة خضاب المسلمين وكانوا يخضبون بالحنا للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلما بالسواد لاجل الغزو وذلك لا باس به اذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة **الثالث** تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا على الشباب واظهارا لكثرة العلم ظنا بان كثرة الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة لا تاثير للشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة توكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر يقدم ابن عباس وهو حديث السن على اكابر الصحابة ويسأله دونهم ● وقال ابن عباس ما اتى الله عبدا علما الا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وقوله تعالى انهم فتية امنوا بربهم وقوله تعالى واتيناه الحكم صبيا ● وكان انس رضي الله عنه يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضا قيل له فيا ابا حمزة وقد اسن صلى الله عليه وسلم فقال لم يشنه الله تعالى بالشيب قالوا او شين هو قال كلكم يكرهه ● ويقال ان يحيى بن اكثم ولي القضا وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد ان يخجله بصغر سنه كم سن القاضي ايده الله فقال مثل سن عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاها فافحمه ● وروي عن مالك رضي الله عنه انه قال قرات في بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية ● وقال ابو عمرو بن العلا اذا رايت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان امية بن عبد شمس ● وقال ايوب السختياني ادركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه ● وقال علي بن الحسين من سبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك ● وقيل لابي عمرو بن العلا ايحسن بالشيخ ان يتعلم من الصغير قال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به ● وقال يحيى بن معين لاحمد بن حنبل رضي الله عنهما وقد راه يمشي خلف بغلة الشافعي يا ابا عبد الله تترك حديث سفيان بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له احمد لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الاخر ان علم سفيان ان فاتني بعلو ادركته بنزول وان عقل هذا الشاب ان فاتني لم ادركه بعلو ولا بنزول **الرابع** نتفها او نتف بياضها استنكافا من الشيبة وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهة ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور **الخامس** نتفها او نتف بعضها بحكم

العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين وهما جنبتا العنفقة بدعة • شهد عند عمر بن
عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة
من ينتف لحيته • وأما نتفها في أول الشباب تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فإن اللحية زينة الرجال فلله ملائكة
يقسمون والذي زين بني آدم باللحى وهي من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النسا وقيل في غريب التأويل اللحية هي
المراد بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشا • قال أصحاب الأحنف وددنا أن نشتري للأحنف لحية بعشرين ألفا
وقال شريح القاضي وددت أن لي لحية بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم
والوقار والترفيع في المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقدم على الجماعة ووقاية العرض فإن من يشتم يعرض باللحية
إذا كانت للمشتوم وقيل إن أهل الجنة مرد إلا هارون أخو موسى صلى الله عليهما فإن له لحية إلى سرته
تخصيصا له وتفضيلا السادس تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنسا والتصنع • قال كعب
يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقفون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم السابع
الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحي وينتهي إلى نصف
الخد وذلك يباين هيئة أهل الصلاح الثامن تسريحها لأجل الناس قال بشر في اللحية شركان تسريحها
لأجل الناس وتركها متفلة لإظهار الزهد التاسع والعاشر النظر إلى سوادها وبياضها بعين العجب وذلك
مذموم في جميع أجزا البدن بل في جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتي بيانه فهذا ما أردنا أن نذكر من أنواع
التزين والنظافة فقد حصل من الأخبار أحاديث من سنن الجسد اثنتي عشرة خصلة خمس منها في الرأس وهي فرق
شعر الرأس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وثلاثة في اليد والرجل وهي القلم وغسل
البراجم وتنظيف الرواجب وأربعة في الجسد وهي نتف الإبط والاستحداد والختان والاستنجا بالما فقد وردت
الأخبار بمجموع ذلك وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا ولنخص
أن وصلات الباطن وأوساخه التي يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى وسيأتي تفصيلها في ربع المهلكات
مع تعريف الطريق في إزالتها وتطهير القلب منها

كتاب الصلوة

من ربع العبادات وهو الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه • وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه • الذي
النزول عن عرش الجلال إلى سما الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه • فارق الملوك مع التفرد بالجلال
والكبريا بترغيب الخلق في السؤال والدعا فقال هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وباين السلاطين
بفتح الباب ورفع الحجاب • ورخص للعباد في المناجاة في الصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات • ولم
يقتصر على الرخصة • بل تلطف في الترغيب والدعوة • وغيره من ضعفا الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم
الهدية والرشوة • فسبحانه ما أعظم شأنه • وأقوى سلطانه • وأتم لطفه وأعم إحسانه • والصلوة على
محمد نبيه المصطفى • ووليه المجتبى • وعلى آله وأصحابه • مفاتيح الهدى • ومصابيح الدجى • وسلم تسليما •
أما بعد فإن الصلاة عماد الدين • وعصام اليقين • وسيدة القربات • وغرة الطاعات • وقد استقصينا
في فن الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صارفين جمام العناية إلى تفاريعها النادرة
ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للمفتي منها يستمد وبها يستمتع ومعولا إليه يفزع ويرجع ونحن الآن
وهذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة • وكاشفون عن دقائق
معانيها الخفية في معاني الخشوع والإخلاص والنية وما لم تجر العادة بذكره في الكتب الفقهية ومرتبون
الكتاب على سبعة أبواب الباب الأول في فضائل الصلوات الباب الثاني في تفصيل الأعمال الظاهرة

من الصلوة الباب الثالث في تفصيل الأعمال الباطنة الباب الرابع في الإمامة والقدوة الباب
الخامس في صلاة الجمعة وآدابها الباب السادس في مسائل متفرقة تعم بها البلوى الباب السابع
في التطوعات وغيرها

الباب الأول في فضائل الصلوات والسجود والجماعة والأذان وغيرها

فضيلة الأذان قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع
حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله تعالى وأم قوما وهم به راضون • ورجل أذن في
مسجد ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله تعالى • ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة
وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة • وقال صلى الله عليه
وسلم يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه وقيل في تفسير قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا إلى
الله وعمل صالحا إنه نزلت في المؤذنين • وقال صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن وذلك
مستحب إلا في الحيعلتين فإنه يقول فيهما لا حول ولا قوة إلا بالله وفي قوله قد قامت الصلوة أقامها الله وأدامها
ما دامت السموات والأرض • وفي التثويب صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن يقول اللهم رب هذه الدعوة
التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته • وقال سعيد بن
المسيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فإذا أذن وأقام الصلوة صلى وراءه أمثال
الجبال من الملائكة

فضيلة المكتوبة قال الله تعالى إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان
له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة • وقال
صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك
يبقي من درنه قالوا لا شيء قال فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الما الدرن • وقال أيضا إن الصلوة
كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر • وقال بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما •
وقال صلى الله عليه وسلم من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته • وقال صلى الله عليه وسلم
الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين • وسئل أي الأعمال أفضل فقال الصلوة لمواقيتها • وقال
صلى الله عليه وسلم من حافظ على الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة • ومن ضيعها
حشر مع فرعون وهامان • وقال مفتاح الجنة الصلاة • وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه
من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد • وقال من ترك
صلاة متعمدا فقد كفر أي قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلد
إنه بلغها ودخلها • وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد • وقال أبو هريرة
رضي الله عنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى المسجد إلى الصلاة فإنه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة
وإنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالأخرى سيئة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يسع فإن أعظمكم
أجرا أبعدكم دارا قالوا لم يا أبا هريرة قال من أجل كثرة الخطا • ويروى أن أول ما ينظر الله تعالى فيه يوم
القيامة من أعمال العبد الصلوة فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وإن وجدت ناقصة ردت عليه
وسائر عمله • وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة مر أهلك بالصلوة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث
لا تحتسب • وقال بعض العلما مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يخلص له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك
المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة • وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول إذا حضرت الصلوة
قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها فأطفئوها

فضيلة إتمام الأركان قال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوة
المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى • وقال يزيد الرقاشي كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية
كأنها موزونة • وقال صلى الله عليه وسلم إن الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلوة وركوعهما وسجودهما
واحد وإن ما بين صلاتيهما ما بين السما والأرض وأشار إلى الخشوع • وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله عز

وجل يوم القيامة الى عبد لايقيم صلبه بين ركوعه وسجوده ، وقال صلى الله عليه وسلم اما يخاف الله الذي يحول
وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار ، وقال ايضا من صلى لوقت الصلاة فاسبغ وضوءه واتم ركوعها
وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضا مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلاها لغير وقتها فلم يسبغ وضوءها
ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سودا مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شا الله
لفت كما يلف الثوب الخلق فضرب بها وجهه ، وقال صلى الله عليه وسلم اسوا الناس سرقة من سرق صلوته ، وقال
ابن مسعود وسلمان الصلوة مكيال فمن وفى وفي له ومن طفف فقد علم ما قال الله في المطففين

فضيلة الجماعة

قال صلى الله عليه وسلم صلوة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ، وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم
فقد اناسا في بعض الصلوة فقال لقد هممت ان امر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فامر بهم
فيحرق عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلوة العشا ، وقال عثمن
رضي الله عنه من شهد العشا فكانما قام نصف ليله ومن شهد الصبح فكانما قام ليله ، وروى مرفوعا وقال
صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة في جماعة فقد ملا نحره عبادة ، وقال سعيد بن المسيب ما اذن موذن منذ
عشرين سنة الا وانا في المسجد ، وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلثة اخا ان تعوجت قومني وقوتا من
الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها ، ويروى ان ابا عبيدة بن الجراح ام
قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي انفا حتى رايت ان لي فضلا على غيري لا اؤمكم ابدا ، وقال الحسن
رضي الله عنه لا تصلوا وراء رجل يتخلف الى العلماء ، وقال النخعي رضي الله عنه مثل الذي يؤم الناس بغير علم كمثل
الذي يكيل الماء في البحر لا يدرك زيادته من نقصانه ، وقال حاتم الاصم فاتتني الجماعة فعزاني ابو اسحق البخاري وحده
ولو مات لي ولد لعزاني اكثر من عشرة الف لان مصيبة الدين اهون عند الناس من مصيبة الدنيا ، وقال
ابن عباس رضي الله عنه من سمع المنادي ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير ، وقال ابو هريرة رضي الله عنه
لان تملى اذن ابن ادم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع المنادي ثم لا يجيبه ، ويروى ان ميمون بن مهران اتى
المسجد فقيل له ان الناس قد صلوا فقال انا لله لفضل هذه الصلاة احب الي من ولاية العراق ، وقال صلى الله
عليه وسلم من صلى اربعين يوما الصلاة في جماعة لا تفوته منها تكبيرة الاحرام كتب له براتان براة من النفاق
وبراة من النار ، ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملائكة
ما كانت اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة ولا يشغلنا غيرها ثم يحشر طايفة وجوههم
كالاقمار فيقولون بعد السوال كنا نتوضا قبل الوقت ثم يحشر طايفة وجوههم كالشموس فيقولون بعد السوال
كنا نسمع الاذان في المسجد ، وروى ان السلف كانوا يعزون انفسهم ثلثة ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى
ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

فضيلة السجود

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العبد
الى الله عز وجل بشي افضل من سجود خفي ، وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله
بها درجة وحط عنه بها خطيئة ، وروى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله لي ان يرزقني
مرافقتك في الجنة فقال اعني بكثرة السجود ، وقيل ان اقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل ان يكون ساجدا
وهو معنى قوله تعالى واسجد واقترب ، وقال عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر السجود ، وقيل هو ما يلتصق
بوجوههم من الارض عند السجود ، وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح
وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من اثر الوضوء ، وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرا
ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي وقال يا ويلاه امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود
فعصيت فلي النار ، وروى عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم الف سجدة وكانوا يسمونه
السجاد ، ويروى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد الا على التراب ، وكان يوسف بن اسباط
يقول يا معشر الشباب بادروا الى الصحة قبل المرض فما بقي احد احسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد
حيل بيني وبين ذلك ، وقال سعيد بن جبير ما اسى على شي من الدنيا الا على السجود ، وقال عقبة بن مسلم

ان يجعلني من اهل شفاعتك م

ما من خصلة في العبد احب الى الله تعالى من رجل يحب لقا الله تعالى وما من ساعة العبد فيها اقرب الى الله منه حين
يخر ساجدا ، وقال ابو هريرة رضي الله عنه اقرب ما يكون العبد الى الله اذا سجد فاكثروا الدعا عند ذلك

فضيلة الخشوع

قال الله تعالى واقم الصلاة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين ، وقال تعالى لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب ان المراد به
ظاهره وفيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم
ما يقول في صلاته ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشي من الدنيا غفر له ما تقدم
من ذنبه وهو مروي في الصحيح ، وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتباوس وتنادم وتقنع
بين يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج ، وروى عن الله تعالى في الكتب السالفة انه ليس كل مصل اتقبل
صلاته انما اقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر علي واطعم الفقير الجايع لوجهي ، وقال صلى الله عليه وسلم
انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي
هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك ، وقال صلى الله عليه وسلم للذي اوصاه وصل صلاة
مودع اي مودع لنفسه مودع لهواه ومودع لعمره سايرا الى مولاه كما قال تعالى يا ايها الانسان انك
كادح الى ربك كدحا فملاقيه ، وقال تعالى واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ، وقال صلى الله عليه وسلم
من لم تنهه صلاته عن الفحشا والمنكر لم تزده من الله الا بعدا والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة ، وقال
بكر بن عبد الله يا ابن ادم اذا شيت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل كيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل
محرابك فاذا انت قد دخلت على مولاك بغير اذن وتكلمه بغير ترجمان ، وعن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله تعالى
وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى صلوة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه ، وكان ابرهيم بن ادم الخليل
صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة يسمع وجيب قلبه على ميلين ، وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع
الدموع من عينيه على لحيته ، وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال
لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ، ويروى ان الحسن رضي الله عنه نظر الى رجل يعبث بالحصا ويقول اللهم
زوجني من الحور العين فقال بيس الخاطب تخطب الحور العين وانت تعبث ، وقيل لخلف بن ايوب الا يوذيك
الذباب في الصلوة فتطردها قال لا اعود نفسي شيا يفسد علي صلاتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني ان
الفساق يصبرون تحت اسواط السلاطين ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك وانا قايم بين يدي ربي افاتحرك
لذبابة ، ويروى عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلاة قال لاهله تحدثوا انتم فاني لست اسمعكم ، ويروى عنه
انه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلوة
وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا حضر وقت الصلوة يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا امير المومنين فيقول
جا وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ، ويروى عن علي بن الحسين
انه كان اذا توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من
اريد ان اقوم ، ويروى عن ابن عباس انه قال قال داود عليه السلم الهي من يسكن بيتك وممن تقبل الصلوة
فاوحى الله تعالى اليه يا داود انما يسكن بيتي واتقبل الصلوة ممن تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه
عن الشهوات من اجلي يطعم الجايع ويووي الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضي نوره في السما كالشمس ان
دعاني لبيته وان سالني اعطيته اجعل له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس
كالفردوس في الجنان لا ييبس انهارها ولا يتغير ثمارها ، ويروى عن حاتم الاصم انه سيل عن صلاته فقال اذا
حانت الصلوة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي اريد الصلوة فيه فاقعد فيه حتى يجتمع جوارحي ثم اقوم
الى صلاتي واجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن يساري والموت ورايي
واظنها اخر صلاتي ثم اقوم بين الرجا والخوف واكبر تكبيرا بتحقيق واقرا قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد

بخشوع

سجودا بخشوع واقعد على الورك اليسرى وافرش ظهر قدميها وانصب القدم اليمنى على الابهام واتبعها للاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام لا. وقال ابن عباس رضي الله عنه ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه.

فضيلة المسجد وموضع الصلاة

قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله. وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا لله ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة. وقال صلى الله عليه وسلم من الف المسجد الفه الله عز وجل. وقال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس. وقال صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد. وقال صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث او يخرج من المسجد. وقال صلى الله عليه وسلم يأتي في اخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد يقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة. وقال الله تعالى في بعض الكتب ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره. وقال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان. وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فما حقه ان يقول الا خيرا. ويروى في الاثر او الخبر الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش. وقال النخعي كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة الى المسجد موجب اي للجنة. وقال انس بن مالك من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه. وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين. وقال ابن عباس رضي الله عنه تبكي عليه الارض اربعين صباحا. وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له بها يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت. وقال انس بن مالك رضي الله عنه ما من بقعة يذكر الله عز وجل عليها بصلاة او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض. ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم.

الباب السادس

في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلوة والبداية بالتكبير وما قبله ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء والطهارة من الخبث في البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويراوح بين قدميه فلا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد في الصلاة والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين في الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد. هذا ما يراعيه في رجليه عند القيام ويراعي في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب. واما راسه فان شاء تركه على استواء القيام وان شاء اطرق والاطراق اقرب الى الخشوع واغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذي يصلي عليه فان لم يكن مصلا فليقرب من جدار او ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره ان يجاوز اطراف المصلى وحدود الخط وليدم هذا القيام كذلك الى الركوع من غير التفات هذا ادب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك فليقرأ قل اعوذ برب الناس تحصنا بها من الشيطان ثم لياتي بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدي به فليؤذن اولا ثم ليحضر النية وذلك ان ينوي في الظهر مثلا ويقول بقلبه اودي فريضة الظهر لله ليميز بقوله اودي عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره ولتكن معاني هذه الالفاظ حاضرة في قلبه فانها النية والالفاظ مذكرات واسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى اخر التكبير حتى لا يعزب عنه فاذا احضر ذلك في قلبه فليرفع يديه حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمتي اذنيه وبرؤوس اصابعه رؤوس اذنيه ليكون جامعا بين الاخبار الواردة في ذلك ويكون مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل في الاثر النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى فاذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدأ التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر

ويضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمنى بان تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالابهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقد روي ان التكبير مع رفع اليدين ومع استقرارهما ومع الارسال وكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال اليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبداه الارسال واخره الوضع ومبدا التكبير الالف واخره الراء فليليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد. واما رفع الايدي فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي ان يرفع يديه الى قدام رفعا عند التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفقا ويستانف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال. وفي بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم كان اذا كبر ارسل يديه فاذا اراد ان يقرأ وضع اليمنى على اليسرى فان صح هذا فهو اولى مما ذكرناه. واما التكبير فينبغي ان يضم الهاء من الله ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء والالف شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء اكبر وراءه الفا كانه يقول اكبار ويجزم راء التكبير ولا يضمه فهذه هيئات التكبير وما معه. القراءة ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وحسن ان يقول عقيب قوله الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وجهت وجهي الى قوله وانا من المسلمين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء ويقول امين في اخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل امين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء الا ان يكون ماموما ويجهر بالتامين ثم يقرأ السورة او قدر ثلاث ايات من القران فما فوقها ولا يصل اخر السورة بتكبير الهوي بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور الطوال من المفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفناه في اول الصلوة.

الركوع ولواحقه

ثم يركع ويراعي في ركوعه امورا ان يكبر للركوع وان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وان يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وان يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع واصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد ظهره مستويا وان يكون عنقه وراسه مع ظهره مستويين كالصفيحة الواحدة لا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المراة مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلاثا والزيادة الى السبعة والى العشرة حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا ولك الحمد ملء السموات والارض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلاة التسبيح والكسوف والصبح ويقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات الماثورة.

السجود

ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وانفه وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوي ولا يرفع يديه في غير الركوع والرفع منه وينبغي ان يكون اول ما يقع منه على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وان يضع جبهته على الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المراة ذلك وان يفرج بين رجليه ولا تفعل المراة ذلك وان يكون في سجوده مخويا ولا تكون المراة مخوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الفخذين وان يضع يديه على الارض حذو منكبيه وان لا يفرج اصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام اليهما ولا يفترش ذراعيه على الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الاعلى ثلاثا فان زاد فحسن الا ان يكون اماما ثم يرتفع من السجود ويطمئن جالسا معتدلا ثم يرفع راسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في صلاة التسبيح ويأتي بالسجدة الثانية كذلك ويستوي منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا يتشهد عقيبها ثم يقوم فيضع يديه على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حالة الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه الى القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث تكون الهاء من قوله

الله عند استوائه جالسا وكاف اكبر عند اعتماده على يديه للقيام وراء اكبر في وسط ارتفاعه الى القيام فيبتدي في
وسط ارتفاعه الى القيام ويبتدي في وسط ارتفاعه الى القعود حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه الا
طرفاه فهو اقرب الى التعميم ويصلي الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوذ كالابتدا **التشهد** ثم يتشهد في الركعة
الثانية كالاولى ويعيد التعوذ كالابتدا التشهد الاول ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويضع يده
اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض اصابع اليمنى الا المسبحة ولا باس بارسال الابهام ايضا ويشير بمسبحة يمناه وحدها
عند قوله الا الله لا عند قوله لا اله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير
يستكمل الدعاء المأثور بعد الصلاة على الال وسننه سنن التشهد الاول ولكن يجلس في الاخير على وركه الايسر
لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضجع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويضع راس الابهام الى
جهة القبلة ان لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من ورائه
من جانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوي الخروج بالسلام من الصلوة وينوي بالسلام على من
على يمينه من الملائكة والمسلمين في الاولى وينوي مثل ذلك في الثانية ويجزم التسليم ولا يمده مدا فهو السنة
وهذه هيئة صلاة المنفرد **المنهيات عنها** نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلوة عن الصفن والصفد
وقد ذكرناهما وعن الاقعا وعن السدل والكفت وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن صلوة
الحاقن والحاقب والحازق وعن صلوة الجائع والغضبان والمتلثم وهو ستر الوجه **اما الاقعا** فهو عند اهل
اللغة ان يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الارض كالكلب وعند اهل الحديث ان يجلس على ساقيه
جاثيا وليس على الارض منه الا رؤس اصابع الرجلين والركبتين **واما السدل** فمذهب اهل الحديث فيه ان
يلتحف في ثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه والقميص
في معناه فلا ينبغي ان يركع ويسجد ويداه في بدن القميص وقيل معناه ان يضع وسط الازار على راسه ويرسل طرفيه عن
يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه والاول اقرب **واما الكفت** فهو ان يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه
اذا اراد السجود وقد يكون الكفت في شعر الراس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال • وفي الحديث امرت
ان اسجد على سبعة اعضا ولا اكفت شعرا ولا ثوبا • وكره احمد بن حنبل رضي الله عنه ان ياتزر فوق القميص في الصلاة
واما الاختصار فان يضع يديه على خاصرتيه **واما الصلب** فان يضع يديه على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في
القيام **واما المواصلة** فهي خمسة اثنان على الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان
على المأموم ان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليم الامام وواحدة بينهما ان لا يصل تسليمة الفرض
بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما **واما الحاقن** فمن البول والحاقب فمن الغائط والحازق صاحب الخف الضيق
فان كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم وفهم نهي الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشا واقيمت
الصلوة فابدؤا بالعشا الا ان يضيق الوقت او يكون ساكن القلب • وفي الخبر لا يدخلن احدكم الصلاة وهو مقطب
ولا يصلين احدكم وهو غضبان • وقال الحسن كل صلوة لا يحضر القلب فيها فهي الى العقوبة اقرب وقال اسرع
وفي الخبر سبعة اشيا في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات
والعبث بالشي وزاد بعضهم السهو والشك • وقال بعض السلف اربعة في الصلوة من الجفا الالتفات ومسح
الوجه وتسوية الحصا وان تصلي بطريق من يمر بين يديه ونهي ايضا عن ان يشبك بين اصابعه او يفرقع اصابعه
او يستر وجهه او يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما بين فخذيه في الركوع • قال بعض الصحابة كنا نفعل ذلك
فنهينا عنه ويكره ايضا ان ينفخ في الارض عند السجود للتنظيف وان يسوي الحصا بيده فانها افعال مستغنى عنها
ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه الى حائط فان استند بحيث لو سل ذلك الحائط سقط
فالاظهر بطلان الصلاة **تمييز الفرائض والسنن** جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض وسنن واداب وهيئات
مما ينبغي لمريد طريق الاخرة ان يراعي جميعها فالفرائض من جملتها اثنتا عشرة النية وتكبيرة الاحرام والقيام والفاتحة
والانحنا في الركوع الى ان تنال راحتاه ركبتيه مع الطمانينة ولا يجب وضع اليدين على الركبتين والاعتدال

عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام الاول
فاما نية الخروج فلا تجب وما عدا هذه فليس بواجب بل هي سنن واداب وهيئات فيها وفي الفرائض اما السنن فمن
الافعال اربعة رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوي الى الركوع وعند الارتفاع منه والجلسة للتشهد الاول
واما ما ذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد رفعها فهي هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيئات تابعة
للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيئات للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من اصول السنن
في الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام لانها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم تفرد بذكر
واما السنن من الاذكار فدعا الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله امين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات
الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال فيهما ثم التشهد الاول والصلوة فيه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم الدعا في اخر التشهد الاخير ثم التسليمة الثانية وهذه وان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة
اذ تجبر من جملتها بسجود السهو اربعة اما من الافعال فواحدة وهي الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها مؤثرة في
ترتيب نظم الصلوة في اعين الناظرين حتى يعرف بها انها رباعية ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر في تغيير النظم
فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الابعاض تجبر بالسجود **واما الاذكار** فكلها لا تقتضي سجود السهو الا ثلثة القنوت
والتشهد الاول والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات واذكار الركوع والسجود
والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود في صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار
وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الاذكار لا يغير صورة العبادة **واما** دعا الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر
مع ان القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة به وكذلك الدعا في التشهد الاخير والقنوت ابعد ما يجبر
بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال في الصبح لاجله فكان كمد جلسة الاستراحة اذ صار بالمد مع التشهد جلسة
للتشهد الاول فبقي هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي المد احتراز عن غير الصبح وفي الخلو عن ذكر
واجب احتراز عن اصل القيام في الصلوة **فان قلت** تمييز السنن عن الفرائض معقول اذ تفوت الصحة بفوت
الفرض دون السنة ويتوجه العقاب عليه دونها فاما تمييز سنة عن سنة والكل مامور به على سبيل الاستحباب
ولا عقاب في ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه فاعلم ان اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا
يرفع تفاوتها ويكشف لك ذلك بمثال وهو ان الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن واعضا
ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر اجسام اعضائه ثم بعض تلك الاعضا ينعدم الانسان بعدمها كالقلب
والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته وبعضها لا تفوت الحياة بفواته ولكن يفوت به مقاصد الحياة
كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت الحياة ولا مقاصد الحياة ولكن يفوت به الحسن كالحاجب
واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها اصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر
اللحية وتناسب خلقة الاعضا وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها
الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سياتي ونحن
الان في اجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الاركان تجري منها مجرى القلب والراس والكبد اذ
تفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعا الاستفتاح والتشهد الاول تجري منها مجرى
اليدين والعينين والرجلين لا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص بسبب
فواتها مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على اقل ما يجزي من الصلاة كان كمن اهدى الى
ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الاطراف **واما الهيئة** وهي ما ورا السنن فتجري مجرى اسباب الحسن من الحاجبين
واللحية والاهداب وحسن اللون واما وظائف الاذكار في تلك السنن فهي مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين
واستدارة اللحية وغيره والصلوة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب
القرب من السلطان وهذه التحفة تعرض على الله تعالى ثم ترد عليك في يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة في تحسين
صورتها او تقبيحها فان احسنت فلنفسك وان اسات فعليها ولا ينبغي ان يكون حظك من ممارسة الفقه ان تميز

لان السنة عن الفرض فلا يعبق بفهمك من اوصاف السنة الا انه يجوز تركها فانّ ذلك يضاهي قول الطبيب ان فقء العينين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن ان يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان اذا اخرجه في معرض الهدية فهكذا ينبغي ان تفهم مراتب السنن والهيئات والاداب فكل صلوة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الاخبار التي اوردناها في اكمال اركان الصلوة ليظهر لك وقعها

الباب الثالث

في الشروط الباطنة من اعمال القلب ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلوة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها واسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي ان يحضر في كل ركن من اركان الصلوة لتكون صالحة لزاد الاخرة **بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب** اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمنها قوله تعالى واقم الصلوة لذكري وظاهر الامر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلوة لذكره • وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم • وقوله عز وجل حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا • وقوله صلى الله عليه وسلم انما الصلوة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وصلوة الغافل لا تمنع من الفحشاء وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم حظه من صلوته التعب والنصب وما اراد به الا الغافل • وقال ايضا صلى الله عليه ليس للعبد من صلوته الا ما عقل والتحقيق فيه ان المصلي مناج ربه تعالى كما ورد الخبر به والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه ان الزكاة ان غفل الانسان عنها مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى التي هي آلة الشيطان عدو الله فلا يبعد ان يحصل منهما مقصود مع الغفلة وكذلك الحج افعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الايلام كان القلب حاضرا مع افعاله او لم يكن **اما الصلوة** فليس فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله تعالى فاما ان يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة او المقصود الحروف والاصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك في الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج الزكوة واقتطاع المال المعشوق ولا شك ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما اخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث انه نطق ولا يكون نطقا نافعا ولا يكون نطقا الا اذا اعرب عما في الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فاي سؤال في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا واذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فاي مشقة في حركة اللسان به مع الغفلة لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم الاذكار بل اقول لو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا واثني عليه واسأله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر في يمينه ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه فانه لا يصير بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا في قلبه ولو جرت هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا انه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن قصد توجيه الخطاب عليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا يشك في ان المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله سبحانه وتعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يشاهده ولا يراه بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله تعالى ورسوخ عقد الايمان به فهذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل الى انكارها في النطق وتميزها عن الفعل **واما** الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ولو جاز ان يكون معظما لله بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه او يكون معظما لحائط بين يديه وهو غافل واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما ارى ان هذه العظمة كلها للصلوة من حيث اعمالها الظاهرة

الا

الا ان تضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك متقدم على الصوم والزكوة والحج وغيرها بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة النفس بتنقيص المال قال الله تعالى فيه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي الصفة التي استولت على القلب حتى حملت على امتثال الاوامر هي المطلوبة فكيف الامر في الصلوة ولا ارب في افعالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب **فان قلت** ان حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا في صحتها خالفت فيه اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا حضور القلب الا عند التكبير فاعلم انه قد تقدم في كتاب العلم ان الفقهاء لا ينظرون في الباطن ولا يشقون على القلوب ولا في طريق الاخرة بل يبنون ظاهر احكام الدين على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان فاما انه هل ينفع في الاخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعى الاجماع فقد نقل بشر بن الحرث فيما رواه عنه ابو طالب المكي عن سفيان الثوري انه قال كل صلوة امرئ لم يخشع القلب فيها فسدت صلوته وروي عن الحسن انه قال كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع • وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلوة • وروي ايضا مسندا • وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به • وقال عبد الواحد بن زيد اجتمعت العلماء على ان ليس للعبد من صلوته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الاخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط الا ان مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقيد بقدر قصور الخلق فلا يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما يطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف لذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلوته باطلة عند الله ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حاله اشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر للخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد من حال التارك الذي يعرض عن الخدمة • واذا تعارضت اسباب الخوف والرجاء وصار الامر خطرا في نفسه فاليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلوة علم ان الغفلة تضاده ولكن قد ذكرنا في باب الفرق بين العلم الظاهر والباطن في كتاب قواعد العقائد ان قصور الخلق احد اسباب المنع من التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الاخرة • واما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الان وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان عنه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في اجزاء الصلوة وكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها الا عند التكبير كمثل حي لا حراك به

بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلوة **اعلم** ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن تجمعها ست جمل وهي حضور القلب • والتفهم • والتعظيم • والهيبة • والرجاء • والحياء • فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها **اما** التفاصيل **فالاول** حضور القلب ونعني به ان يفرغ قلبه عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في اثناء صلوته ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلوة

لطيفة

انفوا به

كل

ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ

ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع عن الفحشاء لا محالة. واما التعظيم فهو امر وراء حضور القلب والفهم اذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما. واما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشاه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجرى ذلك من الاسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم تسمى مهابة فالهيبة خوف مصدره الاجلال. واما الرجاء فلا شك في انه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه او يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته ثواب الله تعالى كما انه خائف بتقصيره عقاب الله تعالى. واما الحياء فهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب. واما اسباب هذه المعاني الستة فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر له والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الاخرة خير وابقى وان الصلاة وسيلة الى الاخرة فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا حصل من مجموعها حضور القلب في الصلوة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدي بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والضر والنفع فلا تظنن ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الان في تقوية الايمان وطريقه تستقصى في غير هذا الموضع. واما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ولذلك ترى من احب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر. واما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين احديهما معرفة جلال الله وعظمته وذلك هو من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله تعالى فيعبر عن ذلك بالتعظيم ومتى لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب تعالى لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه. واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله تعالى وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والاخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من المصائب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الارض وعلى الجملة كلما زاد العلم بالله ازدادت الخشية والهيبة وسياتي اسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات ان شاء الله. واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله تعالى وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة. واما الحياء فباستشعار التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله تعالى ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله تعالى والعلم بانه مطلع على السرائر وخطرات القلوب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعثت منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه اسباب هذه الصفات وكلما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين اعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روي ان الله

عز وجل اوحى الى موسى صلى الله عليه يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق. وروي انه اوحى اليه صلى الله عليه وسلم قل لعصاة امتك لا يذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان. وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس الى غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها والى من يتم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه. ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها. وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره. ووجيب قلب ابراهيم صلوات الله عليه كان يسمع على ميل وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهد في همم اهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد منهم على ملك او وزير ويحدثه بمهمة ويخرج من عنده ولو سئل عما حواليه وعن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله تعالى القلوب دون ظاهر الحركات. ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة على مثال هيئتهم في الصلوة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الاخرة ولا ينجو منها الا من اتى الله بقلب سليم.

بيان الدواء النافع في حضور القلب

اعلم ان المؤمن لا بد ان يكون معظما لله تعالى وخائفا منه وراجيا ومستحييا من تقصيره ولا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة. فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه فليعلم سببه. وسبب ورود الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا. اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر الفكر منه الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لا بد ان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلي في بيت مظلم ولا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصبوغة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون منهم من كان يتعبد في بيت مظلم صغير سعته بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون بها مواضع السجود ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم. وكان ابن عمر رضي الله عنه لا يدع في موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه. اما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه في ذلك فان ما وقع في القلب من قبل كاف في الشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرؤه في الصلوة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الاخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه ولا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره. قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمن بن شيبة اني نسيت ان اقول لك خمر القدر الذي في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن هائج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق وذلك بان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك في انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمة لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته

فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص منه باخراجه كما روي انه صلى الله عليه
لما لبس الخميصة التي اتاه بها ابو جهم وعليها علم فصلى بها نزعها في بعض صلاته وقال اذهبوا بها الى ابي جهم
فانها الهتني انفا عن صلاتي وايتوني بانبجانية ابي جهم • وامر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم
نظر اليه في الصلاة اذ كان جديدا فامر ان ينزع منها ويرد اليه الشراك الخلق وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى
نعلين واعجبه حسنهما فسجد وقال تواضعت لربي كي لا يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول سائل لقيه ثم امر عليا
رضي الله عنه ان يشتري له نعلين سبتيتين جردا وين فلبسهما • وكان صلى الله عليه في يده خاتم ذهب قبل التحريم وهو
على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم • ويروى ان ابا طلحة صلى في حائط له فيه شجر فاعجبه فاذا
دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم رجع الى صلاته فلم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه
ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت • وعن رجل اخر انه صلى في حائط والنخل
مطوقة بثمرها فنظر اليها فاعجبته فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمن رضي الله عنه وقال هو صدقة فاجعله في سبيل
الله فباعه عثمن بخمسين الفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو
الدوا القامع لمادة العلة ولا يغني غيره فاما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر فينفع في الشهوات
الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب • فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال
تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة ومثاله مثال رجل تحت شجرة اراد
ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير
فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة
الشهوة اذا تشعبت وتفرعت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب
الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمي ذبابا فكذا الخواطر وهذه الشهوات
كثيرة وقلما يخلو منها احد ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع
كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الاخرة فلا يطمعن في ان
تصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله تعالى وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه
فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف اليها لا محالة همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلاة
وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدوا المر ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء
عضالا حتى ان الاكابر اجتهد بعضهم ان يصلي ركعتين لا يحدث فيهما نفسه بشي من امر الدنيا فعجز عن ذلك وذلك
لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم من صلوتنا شطرها او ثلثها عن الوسواس لنكون ممن خلط عملا صالحا واخر سيئا
وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملو بخل فبقدر ما يدخل في القدح من الماء
يخرج منه الخل ولا يجتمعان

بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلاة

فنقول حقك ان كنت من المريدين للاخرة ان لا تغفل اولا عن التنبيهات التي في شروط
الصلاة واركانها اما الشروط والسوابق فهي الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب
قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك
للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على
هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه ياتيك النداء بالبشرى
والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كان قرة عينه
فيها واما الطهارة فاذا اتيت بطهارة في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهو غلافك الاقرب
ثم في بشرتك وهي قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم
على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بالتوبة باطنك فانه موقع نظر معبودك واما
ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما رايك

في عورات باطنك وفضائح سرك الذي لا يطلع عليه الا ربك فاحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها
وتحقق انها لا يستر عن عين الله تعالى ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث
جنود الخوف والحياء من مكامنها فتذل بها نفسك ويستكين تحت الخجل قلبك وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد
المجرم المسيء الابق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحياء والخوف واما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك
عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى افترى ان صرف القلب عن سائر الامور الى امر الله تعالى ليس مطلوبا منك هيهات
فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط الجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا
تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن
وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فكذلك لا ينصرف القلب الى الله
الا بالتفرغ عما سوى الله وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى صلوته فكان هواه ووجهه الى الله انصرف
كيوم ولدته امه واما الاعتدال فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله سبحانه وتعالى فليكن راسك الذي هو
ارفع اعضائك مطرقا متطامنا متنكسا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل
والتبري عن الترأس والتكبر وليكن على ذكرك ها هنا خطر المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع عند العرض للسؤال
واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز
عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من قومك
او ممن ترغب في ان يعرفك بالصلاح فانه تهدى عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع اجزائك خيفة ان
ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب
نفسك وقل انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده او تخشين
الناس ولا تخشين الله والله احق ان تخشاه • ولذلك قال ابو هريرة كيف نستحي من الله فقال صلى الله عليه وسلم
تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من اهلك واما النية فاعزم على اجابة الله في امتثال امره بالصلاة واتمامها
والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله تعالى رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه
متقلدا للمنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي
وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك
من الخوف واما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك وان كان في قلبك شي هو اكبر من الله تعالى
فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انه صلى الله عليه رسول الله
فان كان هواك اغلب عليك من امر الله تعالى وانت اطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك
ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا
التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه وجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله تعالى
يتقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي تتوجه به الى فاطر السموات
فانظر اليه امتوجه الى امانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات او مقبل على فاطر السموات واياك
ان يكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد
في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام ليكون قولك صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر
ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن لذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في
الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال فاذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله
تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يقصد بعبادته
وجه الله وحمد الناس فكن مشفقا من هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست
من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي

الله فاعلم ان هذه حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدق عن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده
ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملايما للحال واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه
عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك مع الله تعالى وسجودك له مع انه لعين بسبب سجدة واحدة
تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله تعالى لا بمجرد قولك وان من قصده سبع او عدو
ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ان ذلك لا ينفعه بل لا يغنيه الا تبديل
المكان فكذلك من اتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على
التعوذ بحصن الله تعالى من الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال تعالى لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود
له سوى الله • فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله تعالى واعلم ان من مكايده ان يشغلك
في الصلوة بفكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرا • فاعلم ان كل ما يشغلك عن معاني قراءتك فهو
وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها فاما القراة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل
ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة اصحاب اليمين ورجل
يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون معلم القلب
والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو
به التبرك لابتداء القراة لكلام الله تعالى وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم هاهنا هو المسمى
واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله تعالى نعمة او
يقصد غير الله تعالى بشكر لا من حيث انه مسخر من الله تعالى ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت
الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه ليتضح لك رحمته فينبعث به رجاك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك
ملك يوم الدين • اما العظمة فلانه لا ملك الا له • واما الخوف فلهول يوم الجزا والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص
بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري عن الحول والقوة بقولك واياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت
طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق
لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت عن التعوذ بقولك بسم الله وعن التحميد وعن اظهار الحاجة الى
الاعانة مطلقا فعين سوالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك
ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهادا بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين
والصديقين والشهدا والصالحين دون من غضب عليهم من الكفار والزايغين من اليهود والنصارى والصابئين
ثم التمس الاجابة وقل امين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم قسمت الصلاة بيني
وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي واثنى
علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى اخره فان لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته
فناهيك بها غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقراه من السور كما سياتي في كتاب
تلاوة القران فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيايه وذكر منته واحسانه ولكل
واحد حق فالرجا حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر
حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبيا • روي ان زرارة بن اوفى انتهى الى قوله تعالى فاذا نقر في الناقور فخر
ميتا • وكان ابرهيم النخعي اذا سمع قوله تعالى اذا السما انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله • وقال عبد الله
ابن واقد رايت ابن عمر يصلي مغلوبا وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد ذليل مذنب بين يدي جبار
قهار وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفا القلب ودرجات ذلك
لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا
ثم يراعي الهيبة في القراة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ايسر للتامل ويفرق بين نغماته في اية الرحمة والعذاب والوعد
والوعيد والتحميد والتعظيم • كان النخعي اذا مر بمثل قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يغض

صوته

صوته كالمستحي عن ان يذكره بكل شيء • ويقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا واما دوام
القيام فانه تنبيه على اقامة القلب مع الله تعالى على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما تجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن
الالتفات الى غير الصلوة فان التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجي مع غفلة المناجي ليعود
اليه والزم خشوع القلب فان الخلاص عن الالتفات الى غير الصلاة باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن
خشع الظاهر • قال صلى الله عليه وسلم وقد راى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعا اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح • وكان الصديق
رضي الله عنه في صلاته كانه وتد • وابن الزبير كانه عود • وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث يقع العصفور عليه
كانه جماد وكل ذلك تقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف
ملك الملوك ومن يطمين بين يدي غير الله خاشعا وتضطرب اطرافه بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله
وعن اطلاعه على سره وضميره • قال عكرمة في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال قيامه
وركوعه وسجوده وجلوسه اما الركوع والسجود فينبغي ان تجدد عندهما ذكر كبريا الله وترفع يديك مستجيرا بعفو
الله من عقابه ومتبعا سنة نبيه ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك
وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد
له بالعظمة فتقول سبحان ربي العظيم وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتوكده بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك
راجيا انه راحم ذلك ومؤكدا للرجا في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره ثم تردف ذلك
الشكر المتقاضي للمزيد فتقول ربنا ولك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات والارض ثم تهوي الى السجود وهو
اعلى درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشيا وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما
حائلا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخضوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم
انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه ترد فعند هذا جدد على قلبك
عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى واكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الاثار فاذا رق قلبك وظهر
ذلك فليصدق رجاك في رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر وارفع راسك
مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم او ما اردت من الدعا ثم اكد التواضع بالتكرار
فعد الى السجود ثانيا كذلك واما التشهد فاذا جلست له فاجلس متادبا وصرح بان جميع ما تدلي به من الصلوات
والطيبات اي الاخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات واحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه
الكريم وقل سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق املك في انه يبلغه فيرد عليك ما هو اوفى منه
ثم سلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة
مجددا عهد الله تعالى باعادة كلمتي الشهادة ومستانفا للتحصن بها ثم ادع في اخر صلاتك بالدعا الماثور مع التواضع
والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجا بالاجابة واشرك في دعايك ابويك وساير المومنين واقصد عند
التسليم السلام على الملايكة والحاضرين وانو ختم الصلوة به واستشعر شكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لاتمام
هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلاتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها • قال النبي صلى الله عليه وسلم صل
صلاة مودع ثم اشعر قلبك الوجل والحيا من التقصير في الصلوة وخف ان لا تقبل صلوتك وان تكون ممقوتا
بذنب ظاهر او باطن فترد صلوتك في وجهك وترجو مع ذلك ان يقبلها بفضله وكرمه • كان يحيى بن وثاب اذا
صلى مكث ما شا الله تعرف عليه الكابة لاستشعار عدم القبول للصلوة • وكان ابرهيم يمكث بعد الصلاة
ساعة كانه مريض فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم دايمون والذين
هم يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذي يتيسر له منها
ينبغي ان يفرح وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي ان يجتهد • فاما صلاة الغافلين

وتامل ان يرد الله عليك سلاما
وافيا بعدد عباده الصالحين

فانها خطرة الا ان يتغمدهم الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فايض فنسال الله تعالى ان يغمرنا برحمته ويتغمدنا
المغفرة اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته ۝ واعلم ان تخليص الصلوة عن الافات واخلاصها
لوجه الله تعالى واداها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحيا سبب لحصول انوار في القلب
تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاوليا الله المكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما
يكاشفون في الصلاة لاسيما في السجود اذ يتقرب العبد بالسجود ۝ ولذلك قال تعالى واسجد واقترب ويكون مكاشفة
كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة والجلا والخفا حتى ينكشف
لبعضهم الشي بعينه وينكشف لبعضهم الشي بمثاله كما كوشف لبعضهم الدنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب
جاثم عليها يدعوا الناس اليها ويختلف ايضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله سبحانه وجلاله
ولبعضهم من افعاله ولبعضهم من دقايق علوم المعاملة ويكون لتعين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية لا تحصر
واشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة الى شي معين كان ذلك اولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا
تترا الا في المراة الصقيلة وكانت المراة كلها صدية فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث
متراكم على مصب الهداية فتسارعت الالسن الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين
عقل لانكر امكان وجود الانسان في متسع الهوى ولو كان للطفل تمييز ما ربما انكر ما يزعم العقلا ادراكه من
ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور
النبوة وقد خلق الخلق اطوارا ولا ينبغي ان ينكر كل واحد ما ورا درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحث
المشوشة ولم يطلبوه من تصفية القلب عما سوى الله تعالى فقدوه فانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل
من ان يومن بالغيب ويصدق الى ان يشاهد بالتجربة ففي الخبر ان العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب
بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملايكة من لدن منكبيه الى الهوي يصلون بصلاته ويومنون على دعايه
وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السما الى مفرق راسه وينادي مناد لو علم المناجي من يناجي ما التفت وان
ابواب السما تفتح للمصلين وان الله تعالى يباهي ملايكته بصدق المصلي ففتح ابواب السما ومواجهة الله اياه بوجهه
كناية عن الكشف الذي ذكرناه ۝ وفي التوراة مكتوب ابن ادم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي
اقتربت من قلبك وبالغيب رايت نوري قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكا والفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو
الرب تعالى من القلب واذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف
الحجاب ۝ ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملايكة كل صف منهم عشرة الاف من الملايكة
وباهى الله تعالى به مايه الف ملك وذلك ان العبد قد جمع فيه بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق
ذلك على اربعين الف ملك فالقايمون لا يركعون الى يوم القيمة والساجدون لا يرفعون الى يوم القيامة وهكذا
الراكعون والقاعدون فان ما رزق الملايكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحدة لا يزيد ولا ينقص
ولذلك اخبر الله حكاية عنهم انهم قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق الانسان الملايكة في الترقي من درجة
الى درجات فانه لا يزال يتقرب الى الله تعالى فيستفيد قربة مزيدا وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكل واحد الا
رتبته التي هو وقف عليها وعبادته التي هو مشغول بها فلا ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها ولا هم يستحسرون يسبحون الليل
والنهار لا يفترون ۝ ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات قال الله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلاة ايضا
فقال سبحانه وتعالى في اخرها والذين هم على صلاتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس اخرا وما عندي ان هذرمة اللسان مع غفلة
القلب تنتهي درجته الى هذا الحد ولذلك قال تعالى في اضدادهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين
فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم نسال الله تعالى
ان يجعلنا منهم وان يعيذنا من عقوبة من تزينت اقواله وقبحت افعاله انه الكريم المنان القديم الاحسان

حكايات واخبار في صلاة الخاشعين اعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال
الله تعالى ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلاة وفي غير الصلوة بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة
فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع
وليست مختصة بالصلوة ولذلك روي عن بعضهم انه لم يرفع راسه الى السما اربعين سنة حيا من الله وخشوعا له ۝
وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه لبصره واطراقه يظن بعض الناس انه اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة
فاذا راته جاريته قالت لابن مسعود صديقك الاعمى قد جا فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب
تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره ۝ وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين اما والله لو راك محمد
صلى الله عليه وسلم لفرح بك وفي لفظ اخر لاحبك ۝ ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر الى الاكوار
تنفخ والى النيران تلتهب صعق ووقع مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند راسه الى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره الى
منزله فلم يزل مغشيا عليه الى الساعة التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه يقول هذا والله
الخوف ۝ وكان الربيع يقول ما دخلت في صلاة قط فاهمني فيها الا ما اقول وما يقال لي ۝ وكان عامر بن عبد الله
من خاشعي المصلين كان اذا صلى ضربت ابنته بالدف وتحدث النسا بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله
وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك في الصلوة بشي قال نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى احدى الدارين
قيل فهل تجد شيا مما نجد من امور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في احب الي من ان اجد في الصلوة ما تجدون
وكان يقول لو كشف الغطا ما ازددت يقينا ۝ وقد كان مسلم بن يسار منهم وقد نقلنا انه لم يشعر بسقوط اسطوانة في
المسجد ۝ وتاكل طرف من اطراف بعضهم واحتيج الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه في الصلاة لا يحس بما يجري عليه
فقطعت وهو في الصلوة ۝ وقال بعضهم الصلوة من الاخرة فاذا دخلت في الصلوة خرجت من الدنيا ۝ وقيل لاخر
هل تحدث نفسك في الصلاة بشي من الدنيا قال لا لا في الصلوة ولا في غيرها ۝ وسيل بعضهم هل تذكر في الصلوة شيا
فقال وهل شي احب الي من الصلوة فاذكره فيها ۝ وكان ابو الدردا يقول من فقه الرجل ان يبدا بحاجته قبل
دخوله في الصلوة ليدخل في الصلوة وقلبه فارغ ۝ وكان بعضهم يخفف الصلوة خيفة الوسواس ۝ وروي ان
عمار بن ياسر صلى صلاة فاخفها فقيل له خففت يا ابا اليقظان فقال هل رايتموني نقصت من حدودها شيا قالوا لا قال
اني بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له منها نصفها
ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ۝ ويقال
ان طلحة والزبير وطايفة من الصحابة كانوا اخف الناس صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان ۝ وروي ان
عمر بن الخطاب قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما اكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك
قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله فيها ۝ وسيل ابو العالية عن قوله تعالى الذين هم على صلاتهم ساهون
قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف على شفع او على وتر ۝ وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة
حتى تخرج ۝ وقال بعضهم هو الذي ان صلاها في اول الوقت لم يفرح وان اخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها
برا ولا تاخيرها اثما ۝ واعلم ان الصلوة قد يحتسب بعضها ويكتب دون بعض كما دلت الاخبار عليه وان كان
الفقيه يقول ان الصلاة في الصحة لا تتجزى ولكن ذلك معنى اخر ذكرناه وذلك المعنى دلت عليه الاحاديث اذ
ورد جبر نقصان الفرايض بالنوافل في الخبر ۝ قال عيسى صلوات الله عليه يقول الله تعالى بالفرايض نجا مني عبدي
وبالنوافل يتقرب الي عبدي ۝ وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا باداء ما افترضت
عليه ۝ ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فترك من قراءته اية فلما انفتل قال ماذا قرات فسكت
القوم فسال ابي بن كعب قال قرات سورة كذا وتركت اية كذا فما ندري انسخت ام رفعت فقال صلى الله عليه وسلم
انت لها يا ابي ثم اقبل على الاخرين فقال ما بال اقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين ايديهم لا
يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بني اسرايل كذا فعلوا فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل لقومك
تحضروني ابدانكم وتعطوني السنتكم وتغيبون عني قلوبكم باطلا ما تذهبون هذا يدل على ان استماع ما يقرا

الامام وفهمه يدل على قراءة السورة بعينه. وقال بعضهم ان العبد ليسجد السجدة عنده انه تقرب بها الى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجدته على اهل مدينته هلكوا قيل وكيف ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فدلت هذه الحكايات والاخبار مع ما سبق على ان الاصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله اعلم

الباب الرابع في الامامة والقدوة

وعلى الامام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة وفي اركان الصلاة وبعد السلام. اما الوظائف قبل الصلاة فستة **اولها** ان لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى. وفي الحديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤوسهم العبد الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما نهي عن تقدمه مع كراهتهم فكذا ينهى عنه ان كان وراءه من هو افقه منه الا اذا امتنع من هو اولى منه فله التقدم فان لم يكن شيء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلاة فخسف بهم وما روي من مدافعة الامامة بين الصحابة فسببه ايثارهم من راوه اولى به او خوفهم على انفسهم السهو وخطر ضمان صلواتهم فان الائمة ضمناء وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويشوش عليه الاخلاص في الصلاة حياء من المقتدين لا سيما في جهره بالقراءة فكان لاحتراز من احترز اسباب من هذا الجنس. **الثانية** اذا خير المرء بين الاذان والامامة فينبغي ان يختار الامامة فان لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي ان يكون الامام غير المؤذن فاذا تعذر الجمع فالامامة اولى وقال قائلون الاذان اولى لما نقلناه في فضيلة الاذان ولقوله صلى الله عليه وسلم الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فقالوا فيه خطر الضمان وقال ايضا الامام امير فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا. وفي الحديث فان اتم فله ولهم وان نقص فعليه لا عليهم ولانه صلى الله عليه وسلم قال اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة. وفي الخبر من اذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ولذلك نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم انهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح ان الامامة افضل اذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر والائمة نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما ان رتبة الامارة والخلافة افضل لقوله صلى الله عليه وسلم ليوم من سلطان عادل افضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم الافضل والافقه قال صلى الله عليه وسلم ائمتكم شفعاؤكم الى الله فان اردتم ان تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم. وقال بعض السلف ليس بعد الانبياء افضل من العلماء ولا بعد العلماء افضل من الائمة المصلين لان هؤلاء قاموا بين الله وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلاة وبهذه الحجة احتج الصحابة رضوان الله عليهم في تقديم ابي بكر رضي الله عنه للخلافة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وما قدموا بلالا احتجاجا بانه رضيه للاذان وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال له رجل يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فقال كن مؤذنا فقال لا استطيع قال له صلى الله عليه وسلم كن اماما فقال لا استطيع فقال صل بازاء الامام فلعله ظن انه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم ثم انه بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليها. **الثالثة** ان يراعي الامام اوقات الصلوات فيصلي في اوائلها ليدرك رضوان الله ففضل اول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي الحديث ان العبد ليصلي الصلاة في آخر وقتها ولم تفته وما فاته من اول وقتها خير له من الدنيا وما فيها ولا ينبغي ان يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة اول الوقت فهي افضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث واذا حضر اربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس. وقد تاخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وانما تاخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فاشفقنا من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تاخر في صلاة الظهر فقدموا ابا بكر رضي الله

عنه حتى جاء عليه السلام وهم في الصلاة فقام الى جانبه وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة اذا حضر فلا ينتظر غيره. **الرابعة** ان يؤم مخلصا لوجه الله ومؤديا امانة الله سبحانه في طهارته وجميع شروط صلاته. اما الاخلاص فبان لا ياخذ عليها اجرة فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمن ابن العاص الثقفي فقال واتخذ مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرا والاذان طريق الى الصلاة فهي اولى بان لا يؤخذ عليها اجر فان اخذ رزقا من المسجد قد وقف على من يقوم بامامته او من السلطان او من آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهة في الفرائض اشد منها في التراويح ويكون اجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في اقامة الجماعة لا على نفس الصلاة. واما الامانة فهي الطهارة باطنا عن الفسوق والكبائر والاصرار على الصغائر فالمترشح للامامة ينبغي ان يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي ان يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في اثناء صلاته حدثا او خرج منه ريح فلا ينبغي ان يستحيي بل ياخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في اثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة. قال سفيان صل خلف كل بر وفاجر الا مدمن خمر او معلن بالفسق او عاق لوالديه او صاحب بدعة او عبد آبق. **الخامسة** ان لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان راى خللا امر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان بقدر استعداد الناس ففي الخبر ليمهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه نهى عن مدافعة الاخبثين وامر بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب. **السادسة** ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضيلة القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليؤخر تكبيره عن تكبيرة الامام فيبتدئ بعد فراغه.

وظائف القراءة

ثلثة **فاولها** ان يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح واوليي العشاء والمغرب وكذا المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تامينه بتامين الامام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة واختيار الشافعي الجهر. **الثانية** ان يكون للامام في القيام ثلاث سكتات هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اولاهن اذا كبر وهي اطول منهن بقدر ما يقرا من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فان لم يقرؤا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه. والسكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة ليتمم من لم يقرا الفاتحة في السكتة الاولى فاتحته وهي نصف السكتة الاولى. السكتة الثالثة اذا فرغ من السورة قبل ان يركع وهي اخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرا المأموم وراء الامام الا الفاتحة فان لم يسكت الامام قرا الفاتحة معه والمقصر هو الامام وان لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده او كان في السرية فلا باس بقراءته السورة. **الثالثة** ان يقرا في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة فلا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا باس بان يقرا في الثانية باواخر السور نحو الثلاثين او العشرين الى ان يختمها لان ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون ابلغ في الوعظ وادعى الى التفكر وانما كره بعض العلماء قراءة بعض اول السورة وقطعها. وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قرا بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع. وقد روي انه قرا في الفجر آية من البقرة وهي قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية وفي الثانية ربنا آمنا بما انزلت. وسمع بلالا يقرا من هاهنا وهاهنا فساله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال احسنت. ويقرا في الظهر بطوال المفصل الى ثلاثين آية وفي العصر نصف ذلك وفي المغرب باواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرا فيها سورة والمرسلات ما صلى بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف اولى لا سيما اذا كثر الجمع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء. وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرا البقرة فخرج رجل من الصلاة واتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر معاذا وقال افتان

انت اذا اشتون سبح والسما والطارق والشمس وضحاها **وظايف الاركان ثلثه** **اولها** ان يخفف الركوع
والسجود في التسبيحات على ثلاث نعم روي عن انس انه قال ما رايت اخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام
وروي ان انس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان امير المدينة قال ما صليت ورا احد اشبه بصلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراه عشرا عشرا وروي مجملا انهم قالوا كنا نسبح ورا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرا عشرا وذلك حسن ولكن الثلث اذا كثر الجمع احسن ما لم يحضر الا المتجردون
للدين فلا باس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي ان يقول الامام عند رفع راسه من الركوع سمع الله لمن حمده
الثانية للماموم ينبغي ان لا يسابق الامام في الركوع والسجود بل يتاخر فلا يهوي للسجود الا اذا وصلت جبهة الامام
الى المسجد هكذا كان اقتدا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يهوي للركوع حتى يستوي الامام راكعا وقد
قيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة اقسام طايفة بخمسة وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد
ركوع الامام وطايفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه وطايفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الامام وقد
اختلف في الامام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل لينال به فضل جماعتهم وادراكهم لتلك الركعة ولعل الاولى
ان ذلك مع الاخلاص لا باس به اذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم **الثالثة** لا
يزيد في دعا التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص في الدعا نفسه بل ياتي بصيغة الجمع فيقول اللهم
اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للامام ان يخص نفسه ولا باس ان يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس الماثورة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات
ومن فتنة المسيح الدجال واذا اردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين وقيل سمي مسيحا لانه يمسح الارض
بطولها وقيل لانه ممسوح العين اي مطموسها **وظايف التحلل ثلث** **اولها** ان ينوي بالتسليمتين
السلام على القوم والملايكة **الثانية** ان يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وعمر ويصلي النافلة في موضع اخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور انه صلى الله عليه
وسلم انه لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام **الثالثة**
اذا وثب ينبغي ان يقبل بوجهه على الناس ويكره للماموم القيام قبل انفتال الامام فقد روي عن طلحة والزبير انهما
صليا خلف امام فلما سلما قالا للامام ما احسن صلاتك واتمها الا شي واحد انك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا
للناس ما احسن صلاتكم الا انكم انصرفتم قبل ان ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام حيث شا من يمينه وشماله واليمين احب
هذه وظايف الصلوات اما الصبح فيزيد فيها القنوت فيقول اللهم اهدنا ولا يقول اهدني ويومن الماموم قبل ان
ينتهي الى قوله انك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق به التامين وهو ثنا فيقراه معه او يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين
او صدقت وبررت وما يشبه ذلك وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فاذا صح استحب ذلك وان كان
على خلاف الدعوات في اخر التشهد اذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما ايضا فرق وهو ان
لليد وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيية مخصوصة ولا وظيفة لهما هاهنا فلا يبعد ان يكون رفع
اليد هو الوظيفة في القنوت فانه لايق بالدعا والله اعلم فهذه جمل اداب القدوة والامامة

الباب الخامس

في فضل الجمعة وادابها وسننها وشروطها **فضيلة الجمعة** اعلم ان هذا يوم عظم الله به سبحانه به الاسلام
وخصص به المسلمين قال الله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله حرم الله الاشتغال بامور
بامور الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه ان الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومي هذا
ومقامي هذا وقال صلى الله عليه من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع على قلبه وفي لفظ اخر فقد نبذ الاسلام
ورا ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يساله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم
يزل يتردد اليه شهرا يساله عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبر ان اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا
فيه فصرفوا عنه وهدانا الله له واخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم اول الناس به سبقا واهل الكتابين لهم

ع

تبع وفي حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبريل في كفه مراة بيضا وقال هذه الجمعة يعرضها عليك
ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم اعطاه الله او ليس له
قسم ذخر له ما هو اعظم منه او يتعوذ من شر هو مكتوب عليه الا اعاذه الله تعالى من اعظم منه وهو سيد الايام عندنا
ونحن ندعوه في الاخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك اتخذ في الجنة واديا افيح من مسك ابيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من
عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه
خلق ادم صلى الله عليه وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط منها الى الارض وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وهو عند الله
يوم المزيد كذلك تسميه الملايكة في السما وهو يوم النظر الى الله تعالى في الجنة وفي الخبر ان لله عز وجل في كل يوم جمعة
ستماية الف عتيق من النار وفي حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال
صلى الله عليه وسلم ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استوا الشمس في كبد السما فلا تصلوا في هذه الساعة الا في
يوم الجمعة فانها صلاة كلها وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان
ومن الايام الجمعة ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فيقول سلام سلام يوم صالح وقال
صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر **بيان شروط الجمعة** اعلم
انها تشارك ساير الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط **الاول** الوقت فلو وقعت تسليمة الامام في وقت
العصر فاتت الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخيرة خارجا من الوقت فيه خلاف **الثاني**
المكان فلا تصح في الصحاري والبوادي وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لابنية لا تنقل يجمع اربعين ممن تلزمهم الجمعة
والقرية فيه كالبلد ولا يشترط حضور السلطان ولا اذنه ولكن الاحب استيذانه **الثالث** العدد فلا تنعقد باقل
باقل من اربعين ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتا ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد عنها اما في
الخطبة او في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الاول الى الاخر **الرابع** الجماعة فلو صلى اربعون في قرية او بلد متفرقين
لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا ادرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية وان لم يدرك ركوع الركعة
الثانية اقتدى ونوى الظهر واذا سلم الامام تممه ظهرا **الخامسة** ان لا تكون الجمعة مسبوقة باخرى في تلك البلد
فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلاثة بقدر الحاجة وان لم تكن لهم حاجة فالصحيح الجمعة التي
وقع بها التحريم اولا واذا تحققت الحاجة فالافضل الصلاة خلف الافضل من الامامين فان تساويا فالمسجد الاقدم
فان تساويا ففي الاقرب ولكثرة الناس ايضا فضل يراعى **السادس** الخطبتان فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة
بينهما فريضة وفي الاولى اربع فرايض التحميد واقله الحمد لله والثانية الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والثالثة الوصية بتقوى الله والرابعة قراة اية من القران وكذا فرايض الثانية اربع الا انه يجب فيها الدعا بدل
القراة واستماع الخطبة واجب من الاربعين **واما السنن** فاذا زالت الشمس واذن المؤذن وجلس الامام
على المنبر انقطعت الصلوة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل
عليهم بوجهه ويردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت ويشغل يديه بقايمة السيف
والعنزة كي لا يعبث بهما او يضع احدهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة
ولا يمطط ولا يتغنى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب ان يقرا اية في الثانية ولا يسلم من دخل والخطيب
يخطب وان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب حسن ولا يشمت العاطس هذه شروط الصحة فاما شروط
الوجوب فلا تجب الجمعة الا على كل ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على اربعين جامعين لهذه الصفات
او في قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والاصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى
اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا فيرخص لهولا في ترك الجمعة بعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض بين
اذا لم يكن للمريض قيم ثم يستحب لهم تاخير الظهر الى ان يفرغ الناس من الجمعة وان حضر الجمعة مريض او مسافر
او عبد او امراة صحت جمعتهم واجزت عن الظهر **بيان اداب الجمعة** على ترتيب العادة وهي
عشر جمل **الاولى** ان يستعد لها يوم الخميس عزما عليها او استقبالا لفضلها فيشتغل بالدعا والاستغفار

والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لانها ساعة توازي الفضل ساعة يوم الجمعة • قال بعض السلف ان لله تعالى
فضلا سوى ارزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل الا من ساله عشية الخميس ويوم الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه
ويبيضها ويعد الطيب ان لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم
يوم الجمعة فان له فضلا وليكن مضموما الى يوم الخميس او السبت لا مفردا فانه مكروه وليستغل باحيا هذه الليلة بالصلاة
وختم القران فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجامع اهله في هذه الليلة او في يوم الجمعة فقد استحب ذلك
قوم وحملوا عليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل الاهل على الغسل
وقيل معناه غسل ثيابه فروي بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا تتم اداب الاستقبال ويخرج عن زمرة الغافلين الذين اذا
اصبحوا قالوا ما هذا اليوم • قال بعض السلف اوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها وراعاها من الامس واخسهم نصيبا
من اصبح يقول ايش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجلها **الثاني** اذا اصبح ابتدا بالغسل بعد طلوع الفجر
وان كان لا يبكر فاقربه الى الرواح احب ليكون اقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا موكدا وذهب بعض العلما
الى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة
فليغتسل وقال صلى الله عليه من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا وكان اهل المدينة يتسابون يقولون لانت
شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة • وقال عمر لعثمن رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب اهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور
قال ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضات وخرجت فقال والوضو ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يامر بالغسل • وقد عرف جواز ترك الغسل بوضو عثمن وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من توضا يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الما على بدنه مرة اخرا
على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزاه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة
وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال للجمعة فقال بل من جنابة فقال اعد غسلا ثانيا • وروي في الحديث
في غسل الجمعة على كل محتلم وانما امره به لانه لم يكن نواه وكان لا يبعد ان يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون
النية ولكن هذا يقدح في الوضو ايضا وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم احدث توضا ولم
يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك **الثالث** الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي في ثلاثة الكسوة والنظافة
وتطييب الرائحة اما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال
ابن مسعود رضي الله عنه من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه دا وادخل فيه شفا فان كان قد دخل الحمام في
الخميس او الاربعا فقد حصل المقصود وليتطيب في هذا اليوم باطيب طيب عنده ليغلب به الروائح الكريهة ويوصل بها
الروح والراحة الى مشام الحاضرين في جواره واحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي
ريحه روي ذلك في الاثر • قال الشافعي رحمه الله من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله واما الكسوة
فاحبها البياض من الثياب اذ احب الثياب الى الله تعالى البياض ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه
فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم
روى واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه قال ان الله وملائكته يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة فان اكربه
الحر فلا باس بنزعها قبل الصلوة وبعدها ولكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل الى الجمعة وفي وقت الصلاة وعند صعود
الامام المنبر في خطبته **الرابع** البكور الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلثة وليبكر ويدخل وقت
البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي ان يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف
في المسجد الى الصلاة قاصدا للمبادرة الى جواب نداء الله اياه الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه • وقد قال
صلى الله عليه وسلم من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب
بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن
راح في الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند
المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شي والساعة الاولى الى طلوع الشمس

والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حين ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال
وفضلهما قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لو يعلم الناس
ما فيهن لركضوا ركض الابل في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة قال احمد بن حنبل رحمه الله افضلهن الغدو
الى الجمعة وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون
الاول فالاول على مراتبهم وجاء في الاثار ان الملائكة يتفقدون العبد اذا تاخر عن وقته يوم الجمعة فيسال بعضهم
بعضا ما فعل فلان وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه وان
كان اخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك • وكان يرى في القرن الاول سحرا وبعد
الفجر الطرقات مملوة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كايام العيد حتى اندرس ذلك فقيل
اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع وكيف لا يستحي المومنون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى
البيع والكنايس يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الجامع للبيع والربح فلم لا يسابقهم طالب
الاخرة • ويقال ان الناس يكونون في قربهم عند النظر الى وجه الله على قدر بكورهم الى الجمعة • ودخل ابن مسعود
بكرة فراى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول لنفسه معاتبا اياها رابع اربعة وما رابع اربعة
ببعيد **الخامس** في هيئة الدخول بعد البكور ينبغي ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين ايديهم والبكور يسهل عليه
ذلك • فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو انه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس • وروى
ابن جريج مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم
فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله
قد جمعت معكم فقال او لم اراك تتخطى رقاب الناس اشار به الى انه احبط عمله • وفي حديث مسند انه قال له ما منعك
ان تصلي معنا فقال او لم ترني فقال رايتك اتيت واذيت اي تاخرت عن البكور واذيت الحضور ومهما كان الصف الاول
متروكا خاليا فله ان يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة • قال الحسن تخطوا رقاب الناس
الذين يقعدون على ابواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا لم يكن في المسجد الا من يصلي فينبغي ان لا يسلم فانه تكليف
جواب في غير محله **السادس** ان لا يمر بين يدي الناس ويجلس هو الى قريب من اسطوانة او حائط حتى لا يمرون بين يديه اعني
بين يدي المصلي فان ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يقف احدكم اربعين
خير له من ان يمر بين يدي المصلي • وقال عليه السلام لان يكون الرجل رمادا رميدا تذروه الرياح خير له من ان يمر
بين يدي المصلي وسوى في حديث اخر بين المار والمصلي حيث صلى في الطريق او قصر في الدفع فقال لو يعلم المار بين
يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان يقف اربعين خيرا له من ان يمر بين يديه والاسطوانة والحايط والمصلي المفروش
حد المصلي فمن اجتاز به فينبغي ان يدفعه • قال صلى الله عليه ليدفعه فان ابى فليدفعه فان ابى فليقاتله فانه
شيطان • وكان ابو سعيد الخدري يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان
فيخبره ان النبي صلى الله عليه امره بذلك فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيا طوله قدر ذراع ليكون ذلك
علامة لحده السابع ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه وفي الخبر من غسل واغتسل وبكر وابتكر
ودنا من الامام واستمع كان له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلثة ايام • وفي لفظ اخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى
وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل عند طلب الصف الاول عن ثلثة امور اولها انه ان كان يرى
قرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام او غيره او صلاة في سلاح كثير ثقيل شاغل او سلاح مذهب
او غير ذلك مما يجب عليه الانكار فالتاخر له اسلم واجمع للهم فعل ذلك جماعة من العلما طلبا للسلامة قيل
لبشر بن الحارث نراك تبكر وتصلي في اخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد واشار به الى ان
ذلك اسلم لقلبه • ونظر سفين الثوري الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى الخطبة من ابي جعفر فلما فرغ
من الصلاة قال شغل قلبي قربك من هذا هل امنت ان تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما احدثوا من
لبس السواد وقال يا عبد الله اليس في الخبر انصت واستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين فاما هولاء فكلما

تباعدت عنهم ولم ينظر اليهم كان اقرب الى الله عز وجل • وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب ابي الدردا فجعل يتاخر
في الصفوف حتى كنا في اخر صف فلما صلينا قلت له اليس يقال خير الصفوف اولها قال نعم الا ان هذه امة مرحومة منظور
اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد في صلاته غفر له ولمن وراه من الناس فانما تاخرت رجا ان يغفر لي بواحد
منهم ينظر الله اليه • وروى بعض الرواة انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك فمن تاخر على هذه النية
ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا باس وعند هذا يقال الاعمال بالنيات ثانيها ان لم يكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن
المسجد للسلطان فالصف الاول محبوب والا فقد كره بعض العلما دخول المقصورة • وكان الحسن وبكر المزني لا يصليان
في المقصورة وراوا انها قصرت على السلطان وهي بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المساجد والمسجد
مطلق لجميع الناس وقد انقطع ذلك على خلافه • وصلى انس بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرهاه لذلك لطلب
القرب ولعل الكراهة تختص بحالة التخصيص والمنع فاما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع لا يوجب كراهة ثالثها ان المنبر يقطع
بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذي في فنا المنبر وما على طرفيه مقطوع • وكان الثوري يقول
الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع ولا يبعد ان يقال
الاقرب الى القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلوة في الاسواق والرحاب الخارجة من المسجد وكان
بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب الثامن ان يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام ايضا بل يشتغل
بجواب الموذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام الموذنين ولم يثبت له اصل في اثر
ولا خبر لكنه ان وافق سجود تلاوة فلا باس ان يبدا الدعا لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب
لتحريمه وقد روي عن علي وعثمن رضي الله عنهما انهما قالا من استمع وانصت فله اجران ومن سمع ولغا فعليه وزران
ومن لم يسمع ولغا فعليه وزر واحد وقال صلى الله عليه من قال لصاحبه والامام يخطب انصت او صه فقد
لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على ان الاسكات ينبغي ان لا يكون باشارة او رمي حصاة لا بالنطق
وفي حديث ابي ذر لما سال ابيا والنبي صلى الله عليه يخطب فقال متى نزلت هذه السورة فاوما اليه ان اسكت فلما نزل عليه
السلم قال له ابي اذهب فلا جمعة لك فشكاه ابو ذر الى النبي صلى الله عليه فقال صدق ابي واطع ابيا وان كان
بعيدا من الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم وغيره بل يسكت لان ذلك يتسلسل ويفضي الى همهمة تنتهي الى المستمعين ولا
يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب واذا كان تكره الصلاة في وقت خطبة الامام
فالكلام اولى • قال علي رضي الله عنه تكره الصلاة في اربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة
والامام يخطب التاسع ان يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فاذا سمع قراة الامام لم يقرا سوى الفاتحة فاذا فرغ
من الجمعة قرا الحمد سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد والمعوذتين سبعا سبعا فروي عن بعض السلف ان من فعله
عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدي يا معيد
يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعا اغناه الله
عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان
يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة اربعا وروى علي وعبد الله ستا والكل صحيح في احوال مختلفة والاكمل
افضل العاشر ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان وقف الى المغرب فهو الافضل يقال من صلى العصر في الجامع
كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب عمرة فان لم يامن التصنع ودخول الافات عليه من نظر الخلق الى اعتكافه
او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا لله مفكرا في الايه شاكرا على توفيقه خايفا من تقصيره مراقبا
لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث
الدنيا • قال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في امر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة
فلا تجالسوهم

بيان الاداب والسنن الخارجة عن الترتيب

السابق الذي يعم جميع النهار وهي
سبعة الاول ان يحضر مجالس العلم بكرة او بعد الصلاة او بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا
ينبغي ان يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافقه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي ان يحضر

الحلق قبل الصلوة روى عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالما
بالله يذكر بايام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور والاستماع واستماع العلم
النافع في الاخرة افضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى ابو ذر ان حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة • قال
انس بن مالك في قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اما انه ليس لطلب دنيا ولكن
عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة اخ في الله وقد سمى الله تعالى العلم فضلا في مواضع • قال تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما • وقال تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا يعني العلم فتعلم العلم في هذا اليوم
وتعليمه من افضل القربات والصلاة افضل من مجالس القصاص اذ كانوا يرونها بدعة ويخرجون القصاص من الجامع • حضر
ابن عمر الى مجلسه في الجامع فاذا قاص يقص في موضعه فقال له قم عن مجلسي فقال لا اقوم وقد جلست وسبقتك اليه فارسل
ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه ولو كان ذلك من السنة لما حل اقامته وقد قال صلى الله عليه لا يقيمن احدكم اخاه من مجلسه
ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا • وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه • وروي ان
قاصا كان يجلس بفنا حجرة عايشة فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد اذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصى
على ظهره ثم طرده الثاني ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم
يسال الله تعالى فيها شيا الا اعطاه • وفي خبر اخر لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل
عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر واخذ في الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل
اخر وقت العصر اعني وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس • وكانت فاطمة تراعي ذلك الوقت وتامر خادمها ان تنظر الى
الشمس فيوذنها بسقوطها فتاخذ في الدعا والاستغفار الى ان تغرب الشمس وتخبر ان تلك الساعة هي المنتظرة وتاثره عن
ابيها صلوات الله عليه • وقال بعض العلما هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقيل
انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن
ينبغي ان يصدق بما قال عليه السلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من تلك الايام فينبغي ان
يكون العبد في جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشي من
تلك النفحات • وقد قال كعب الاحبار انها في اخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند غروب الشمس • وقال ابو هريرة
كيف تكون اخر ساعة وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة فقال كعب الم
يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو في الصلاة قال بلى قال فذلك صلاة فسكت ابو
هريرة • وكان كعب مايلا الى انها رحمة من الله تعالى للقايمين بحق اليوم واوان ارسالها عند الفراغ من تمام
العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعا فيهما الثالث يستحب ان يكثر الصلوة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال عليه السلم من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب
ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال يقول اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة
وان قلت اللهم صل على محمد وعلى ال محمد صلاة تكون لك رضى ولحقه ادا واعطه الوسيلة والمقام المحمود
الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه عنا افضل ما جزيت نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين
والصالحين يا ارحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته
صلى الله عليه فان اراد ان يزيد اتى بالصلاة الماثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرايف
زكواتك ورافتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قايد
الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون
والاخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم
اعط محمدا سوله وبلغه ماموله واجعله اول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وافلج حجته وارفع
في اعلا درجات المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته
واوردنا حوضه واسقنا بكاسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين

أمين رب العالمين وعلى الجملة كلما اتى به من الفاظ الصلاة ولو المسهون في التشهد كان مصليا وينبغي ان يضيف اليه
الاستغفار فان ذلك ايضا مستحب في هذا اليوم **الرابع** قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى
ابن عباس وابو هريرة رضي الله عنهما مرفوعا من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطي نورا من حيث يقرأها الى الجمعة
الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام
وفتنة الدجال ويستحب ان يختم القرآن في يوم الجمعة وليلتها ان قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر ان قرأ بالليل او في ركعتي
المغرب او بين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم • وكان العابدون يستحبون ان يقرأوا يوم الجمعة قل هو الله احد
الف مرة ويقال ان من قرأها في عشر ركعات او عشرين فهو افضل من ختمة • وكانوا يصلون على النبي الف مرة ويقولون
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وان قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة او ليلتها فذلك حسن
وليس يروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سورة باعيانها الا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة
قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكان يقرأ في صلاة العشاء الاخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين وروي
انه كان يقرأهما في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمن وسورة هل اتى على الانسان **الخامس**
الصلوات يستحب اذا دخل الجامع ان لا يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله احد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة
فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ولا يدع ركعتي التحية وان
كان الامام يخطب ولكن يخفف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك • وفي حديث غريب انه صلى الله عليه سكت
للداخل حتى فرغ فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاها • ويستحب في هذا اليوم او في ليلته ان يصلي اربع ركعات
باربع سور الانعام والكهف وطه ويس وان لم يحسن قرأ يس وسجدة لقمن وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة
هذه الاربع سور في ليلة الجمعة ففيه فضل كبير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة ختمة ويكثر من سورة الاخلاص
ويستحب صلاة التسبيح كما سيأتي في باب التطوعات • وروى انه صلى الله عليه قال لعمه العباس صلها في كل جمعة وكان
ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والاحسن ان يجعل وقتها الى الزوال للصلاة
وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعده الى المغرب للتسبيح والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا مكروه
وقال صالح بن احمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان الى جنب ابي فاعطى رجل ابي قطعة ولم يعرفه ايانا وله
اياها فلم يأخذها منه ابي • وقال ابن مسعود رضي الله عنه اذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سأل
على القرآن فلا تعطوه • ومن العلماء من كره الصدقة على سؤال الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا ان يسأل قائما او
قاعدا في مكان من غير تخطي • وقال بعض الاخيار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع
فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما ثم يقول اللهم اني اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم
لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه • وقال بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا
وابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسألك ان تغفر لي وترحمني وان تعافيني
من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له **السابع** ان يجعل يوم الجمعة للاخرة فيكف فيه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه
الاوراد ولا يبتدئ فيه السفر فقد روي ان من سافر ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام
الا اذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شرى الماء في المسجد من السقاء ليشربه او يسبله حتى لا يكون مبتاعا في
المسجد فان البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو اعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب او سبل في المسجد
وبالجملة ينبغي ان يزيد في يوم الجمعة اوراده وانواع خيراته فان الله تعالى اذا احب عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة
بفواضل الاعمال فاذا مقته استعمله في الاوقات الفاضلة بسيئ الاعمال ليكون ذلك اوجع في عقابه واشد لمقته
بحرمانه بركة الوقت وانتهاك حرمة الوقت • ويستحب في الجمعة دعوات وسيأتي في كتاب الدعوات ع

والاستعمار **السادس** الصدقة فيه مستحبة وهذا اليوم خاصة فانها تضاعف الا على سائل

الباب السادس

في مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد الى معرفتها فاما المسائل التي تقع نادرا فقد استقصيناها في كتب
الفقه **مسألة** الفعل القليل وان كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار او قتل

العقرب التي تخاف ويمكن قتله بضربة او ضربتين فاذا صار ثلاثا كثر وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهما
تأذى بهما كان له دفعهما وكذا حاجته الى الحك الذي يشوش عليه الخشوع • كان معاذ رضي الله عنه يأخذ القملة والبرغوث
في الصلاة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي يأخذها ويوهمها ولا شيء عليه ان قتلها
وقال ابن المسيب يأخذها فيخدرها ثم يطرحها قال مجاهد الاحب الي ان يدعها الا ان تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما
لا تؤذي ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب
وقال لا اعود نفسي ذلك فيفسد علي الصلاة وقد سمعت ان الفساق يصبرون بين يدي الملوك على اذى كثير ولا يتحركون ومهما
تثاوب فيضرون فلا بأس ان يضع يده على فيه فهو الاولى فان عطس حمد الله في نفسه ولم يحرك لسانه وان تجشأ فينبغي ان لا يرفع
رأسه الى السماء وان سقط رداؤه فينبغي ان لا يسويه وكذا طرف عمامته وكل ذلك مكروه الا لضرورة **مسألة** الصلاة في
النعلين جائزة وان كان نزع النعلين سهلا وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال
صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتاني فاخبرني ان بهما خبثا فاذا اراد احدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فان رأى خبثا فليمسحه
بالارض وليصل بهما • وقال بعضهم الصلاة في النعلين افضل لانه قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه سألهم ليبين لهم سبب
خلعه اذ علم انهم خلعوا على موافقته • وقد روى عبد الله بن السائب ان النبي صلى الله عليه خلع نعليه فاذا فعل كليهما فمن خلع فينبغي
ان لا يضع على يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليهما ولعل من رأى
الصلاة فيهما افضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليه • وروى ابو هريرة انه قال صلى الله عليه اذا صلى احدكم فليجعل
نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة لغيره اجعلها بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه على يساره وكان
اماما وللامام ان يفعل ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى ان لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن قدام رجليه ولعله المراد
بالحديث • وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين يديه بدعة **مسألة** اذا بصق في صلاته لم تبطل صلاته لانه فعل
قليل وما يحصل به من صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا انه مكروه فينبغي ان يحترز عنه الا كما اذن رسول الله
صلى الله عليه فيه اذ روى بعض الصحابة انه صلى الله عليه رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان في
يده فقال ائتوني بعبير فلطخ اثرها بزعفران ثم التفت الينا وقال ايكم يحب ان يبصق في وجهه قلنا لا احد قال ان احدكم اذا
دخل في صلاته فان الله عز وجل بينه وبين القبلة وفي لفظ اخر واجهه الله تعالى فلا يبصقن احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن
شماله او تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا ودلك بعضه ببعض **مسألة** لوقوف
المقتدي سنة وفرض اما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت
بجنب الامام لم يضر ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل على اليمين وهي خلف الرجل ولا يقف احد خلف
الصف منفردا بل يدخل في الصف او يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية • اما الفرض
فاتصال الصفوف وهو ان يكون بين المقتدي والامام رابطة جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا
لان المسجد بني لذلك فلا يحتاج الى اتصال الصف بل الى ان يعرف افعال الامام • صلى ابو هريرة على ظهر المسجد بصلاة الامام
واذا كان المأموم على فناء المسجد وفناء المسجد في طريق او صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة
سهم ويكفي بها رابطة اذ يصل فعل احدهما الى الاخر وانما يشترط اذا وقف في صحن دار على يمين المسجد او يساره وبابها لاصق
بالمسجد فالشرط ان يمتد صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع الى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم
عليه وهذا حكم الابنية المختلفة فاما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء **مسألة** المسبوق اذا ادرك
اخر صلاة الامام فهو اول صلاته فليوافق الامام وليبن عليه وليقنت في الصبح في اخر صلاة نفسه وان قنت مع الامام وان ادرك
مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبتدئ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتدال الركوع
فليتم فان عجز عن ذلك وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو
في السورة فليقطعها وان ادرك الامام في السجود او التشهد كبر للاحرام ولم يكبر اخرى بخلاف ما اذا ادركه في الركوع
فانه يكبر ثانيا في الهوي لان ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الاصلية في الصلاة لا للعوارض لسبب القدوة

لا ابطال الا في

ولا يكون مدركاً للركعة ما لم يطمئن في الركوع والامام بعد في حد الراكعين فان لم يتم طمانينته الا بعد مجاوزة الامام
حد الراكعين فاتته الركعة **مسئلة** من فاتته الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر اولاً ثم العصر فان ابتدا بالعصر اجزاه
ولكن ترك الاولى واقتحم شبهة الخلاف فان وجد اماماً فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالاداء اولى فان
صلى منفرداً في اول الوقت ثم ادرك جماعة صلى بالجماعة ونوى صلاة الوقت والله تعالى يحتسب بايهما شاء فان نوى فائتة او تطوعاً
جاز وان كان قد صلى بالجماعة فادرك جماعة اخرى فلينو الفائتة او النافلة فاعادة المؤداة في الجماعة مرة اخرى لا وجه له
وانما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة **مسئلة** من صلى ثم راى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلاة ولا يلزمه
ولو راى النجاسة في اثناء الصلاة في الثوب رمى الثوب واتم فالاحب الاستيناف واصل هذا قصة خلع النعلين حين اخبر
صلى الله عليه جبريل ان عليه نجاسة فانه صلى الله عليه لم يستانف الصلوة **مسئلة** من ترك التشهد الاول او القنوت
او ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه في التشهد الاول او فعل فعلاً سهواً وكان تبطل الصلاة بعمده او شك فلم يدر اصلى
ثلاثاً ام اربعاً اخذ اليقين ويسجد سجدتي السهو قبل التسليم فان نسي فبعد التسليم مهما تذكر على القرب فان سجد بعد التسليم والحدث
بطلت صلاته فانه لما رغب في السجود كانه جعل سلامه نسياناً في غير محله فلم يحصل التحلل به وعاد الى الصلاة فلذلك يستانف
التسليم بعد السجود وان ترك سجود السهو بعد خروجه من المسجد وبعد طول الفصل فقد فات **مسئلة** الوسوسة في
نية الصلاة سببها خبل في العقل وجهل بالشرع لان امتثال امر الله مثل امتثال امر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد
ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت ان انتصب تعظيماً لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلاً بدخوله
مقبلاً عليه بوجهي سفه في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظماً الا اذا قام لشغل اخر
او غفلة واشتراط كون الصلاة ظهراً اداء فرضاً في كونه امتثالاً كاشتراط كون القيام مقروناً بالدخول مع الاقبال بالوجه على
الداخل وانتفاء باعث اخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيماً فانه لو قام مدبراً عنه او صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن
معظماً ثم هذه الصفات لا بد ان تكون معلومة وان تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وانما
يطول نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظاً باللسان واما تفكراً بالقلب فمن لم يفهم نية الصلوة على هذا الوجه فكانه
لم يفهم النية فليس فيه الا انك دعيت الى ان تصلي في وقت فاجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود
وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الاحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس وتتاملها وفرق بين
حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب وللغفلة وان لم يكن مفصلاً فان من علم الحادث مثلاً
فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوماً هي حاضرة وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود
والمعدوم والتقدم والتاخر والزمان فان التقدم للعدم وان التاخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث
بدليل ان العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط او التاخر او العدم او تقدم العدم او تاخر الوجود او
الزمان المنقسم الى المتقدم والمتاخر فقال ما عرفته قط كان كاذباً وكان قوله مناقضاً لقوله اني اعلم الحادث ومن الجهل
بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه ان يحضر في قلبه الظهرية والادائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة
بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لاجل العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو
ان يعلم ان امتثال امر الله في النية كامتثال امر غيره ثم ازيد عليه على سبيل التسهيل والرخصة فاقول لو لم يفهم
الموسوس النية الا باحضار هذه الامور مفصلة ولم يتمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة واحضر جملة ذلك في اثناء
التكبير من اوله الى اخره بحيث لم يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا يكلفه ان يقرن الجميع باول
التكبير او اخره فان ذلك تكليف شطط ولو كان مأموراً به لوقع للاولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة
في النية فعدم وقوع ذلك دليل على ان الامر على التساهل فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغي ان يقنع بها حتى يتعود
ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيد فيه وقد ذكرنا في الفتاوى وجوهاً من
التحقيق في تفصيل العلوم والقصود المتعلقة بالنية يفتقر العلماء الى معرفته اما العامي فربما يضره سماعه
ويهيج عليه الوسواس فلذلك تركناه **مسئلة** لا ينبغي ان يتقدم المأموم على الامام في الركوع والسجود
والرفع منهما وفي سائر الاعمال ولا ينبغي ان يساويه بل يتبعه ويقفو اثره فهذا معنى الاقتدا فان ساواه عمداً لم

تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متاخر عنه وان تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف ولا يبعد ان يقضى بالبطلان تشبيهاً
كما لو تقدم في الموقف على الامام بل هذا اولى لان الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل اهم وانما شرط
ترك التقدم في الموقف تسهيلاً للمتابعة في الفعل وتحصيلاً لصورة التبعية اذ اللائق بالمقتدي ان لا يتقدم فالتقدم
عليه في الفعل لا وجه له الا ان يكون سهواً ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير وقال اما يخشى الذي
يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار واما التاخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بان يعتدل
الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التاخر الى هذا الحد مكروه فان وضع الامام جبهته على الارض وهو بعد
لم ينته الى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا ان وضع الامام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الاول
مسئلة حق على من حضر الصلاة اذا راى من غيره اساءة في صلاته ان ينكر ويغير عليه وان صدر عن جاهل رفق بالجاهل
وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من رفع راسه قبل الامام
الى غير ذلك من الامور وقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود من
راى من يسيء صلاته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها وعن بلال بن سعد انه قال الخطيئة اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها
فاذا ظهرت ولم تغير اضرت بالعامة وجاء في الحديث ان بلالاً كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن
عمر قال تفقدوا اخوانكم في الصلاة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا اصحاء فعاتبوهم والعتاب
انكار على ترك الجماعة ولا ينبغي ان يتساهل فيه وقد كان الاولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى باب
من تخلف عن الجماعة اشارة الى ان الميت هو الذي يتاخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي ان يقصد يمين الصف ولذلك
تزاحم الناس عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه فقيل له تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه من عمر ميسرة المسجد كان
له كفلان من الاجر ومهما وجد غلاماً في الصف ولم يجد لنفسه مكاناً فله ان يخرجه الى خلف ويدخل فيه اعني اذا
لم يكن بالغاً فهذا ما اردنا ان نذكره من المسائل التي تعم بها البلوى وستاتي احكام الصلوات المتفرقة في كتاب الاوراد ان
شا الله تعالى

الباب السابع في النوافل من الصلوات

اعلم ان ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم الى ثلثة اقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل
عن رسول الله صلى الله عليه المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لان السنة
عبارة عن الطريق المسلوكة ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلاة
الايام والليالي في الاسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وامثاله ونعني بالتطوعات ما وراء
ذلك مما لم يرد في عينه اثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله تعالى بالصلاة الذي ورد الشرع بفضلها
مطلقاً فكانه متبرع بها اذا لم يندب الى تلك الصلوات بعينها وان ندب الى الصلاة مطلقاً والتطوع عبارة عن
التبرع وسميت الاقسام الثلثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والمستحب
والسنة والتطوع اردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في
الالفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاتها في الفضل بحسب ما ورد فيها من الاخبار والاثار
المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه عليها وبحسب صحة الاخبار الواردة فيها واشتهارها
ولذلك نقول سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن الجماعة صلاة العيدين ثم الكسوف ثم الاستسقا
وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة
التي هي متعلقها تنقسم الى ما يتعلق باسباب كالكسوف والاستسقا والى ما يتعلق باوقات والمتعلق باوقات ينقسم
الى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة او بتكرر الاسبوع او بتكرر السنة فالجملة اربعة اقسام الاول ما يتكرر
بتكرر الايام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات الخمس وثلثة وراءها وهي صلاة الضحى واحيا ما بين العشائين
والتهجد الاول راتبة الصبح وهي ركعتان قال صلى الله عليه ركعتا الصبح خير من الدنيا وما فيها ويدخل وقتها بطلوع
الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسير في اوله الا ان يتعلم منازل القمر او يعلم
اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر

ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة اداؤهما قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلوة فليشتغل بالمكتوبة • قال صلى الله عليه اذا اقامت الصلاة فلا صلوة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انهما اداء ما وقعا قبل طلوع الشمس فانهما تبع في وقته • واما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتاخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادفها انقلب الترتيب وبقي اداؤه والمستحب ان يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتي التحية ثم يجلس ولا يصلي الى ان يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح الى طلوع الشمس الاحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة الثانية راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي ايضا سنة موكدة واربعة قبلها وهي ايضا سنة وان كانت دون الركعتين الاخريين • روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه انه قال من صلى اربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى الليل وكان عليه السلام لا يدع اربعا بعد الزوال يصليهن ويقول ان ابواب السماء تفتح في هذه الساعة فاحب ان يرفع لي فيها عمل رواه ابو ايوب الانصاري وتفرد به ودل عليه ايضا ما روي عن ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بنى الله له بيتا في الجنة ركعتين قبل الفجر واربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب • وقال ابن عمر حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكر ما ذكرته ام حبيبة الا ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن حدثتني اختي حفصة انه صلى الله عليه كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشا فصار الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الاربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الاشخاص المنتصبة مايلة الى جهة المشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب مستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال في علم الله وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه ياخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس اول الجدي ومنتهى قصره بلوغها اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن احسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون احد اضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر الى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين اي لا يكون الخط مايلا الى احد الضلعين ثم ينصب عودا على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة ح وهو بازاء القطب فيقع ظله في اول النهار مايلا الى جهة المغرب في صورة خط ا ثم لا يزال يميل الى ان ينطبق على خط ب ح بحيث لو مد راسه لانتهى على الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مايل الى احدهما فاذا بطل ميله الى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح الى الجانب الشرقي فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا في وقت هو قريب من اول الزوال في علم الله ثم يعلم على راس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العود دخل وقت العصر فهذا القدر لا باس بمعرفته في علم الزوال الثالثة راتبة العصر وهي اربع ركعات قبل العصر روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه انه قال رحم الله عبدا صلى اربعا قبل العصر ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه مستحب استحبابا موكدا فان دعوته مستجابة لا محالة ولم يكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر الرابعة راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما واما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامته على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبادة بن الصامت وابي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم رضي الله عنهم قال عبادة او غيره كان المؤذن اذا اذن لصلاة المغرب ابتدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه السواري يصلون ركعتين • وقال بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا قد صلينا فيسأل أصليتم المغرب وذلك

يدخل في عموم قوله صلى الله عليه بين كل اذانين صلاة لمن شاء وكان ابن حنبل يصليهما فعابه الناس فقال لم ار الناس يصلونهما فتركتهما وقال ان صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب المشرق • وقال صلى الله عليه اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصايم والاحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وان اخر واداها قبل غيبوبة الشفق وقع اداء ولكنه مكروه • اخر عمر رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة • واخر ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين الخامسة راتبة العشا اربع ركعات بعد الفريضة قالت عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشا الاخرة اربع ركعات ثم ينام فاختار بعض العلماء من مجموع الاخبار ان يكون عدد الرواتب سبع عشرة ركعة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح واربع قبل الظهر وركعتان بعده واربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشا هي الوتر ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيها فلا معنى للتقدير فيها فقد قال صلى الله عليه الصلاة خير موضوع فمن شاء اكثر ومن شاء اقل فاذا اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير وقد ظهر فيما ذكرناه ان بعضها آكد من بعض وترك الآكد ابعد لا سيما والفرايض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك ان لا يسلم له فريضة من غير جابر السادسة الوتر قال انس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه يوتر بعد العشا بثلاث ركعات يقرا في الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد • وجاء في خبر انه صلى الله عليه كان يصلي بعد الوتر جالسا ركعتين وفي بعضها متربعا • وفي بعض الاخبار اذا اراد ان يدخل الى فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يرقد يقرا فيهما اذا زلزلت وسورة الهاكم وفي رواية اخرى قل يا ايها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين • وقد اوتر رسول الله صلى الله عليه بركعة وثلاث وخمس وهكذا بالاوتار الى احدى عشرة والرواية مترددة في ثلث عشرة وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة وكانت هذه الركعات اعني ما سميناه جملته وترا صلاته بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة موكدة وسياتي فضلها في كتاب الاوراد وفي الافضل خلاف فقيل الايتار بركعة فردة افضل اذ صح انه صلى الله عليه كان يواظب على الايتار بركعة فردة وقيل الموصول افضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما الامام اذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشا او بعد فرض العشا نوى الوتر وصح لان شرط الوتر ان يكون في نفسه وترا وان يكون موترا لغيره مما سبق قبله وقد اوتر الفرض ولو اوتر قبل العشا لم يصح اي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم كما ورد به الخبر والا فركعة فردة صحيحة في اي وقت كان وانما لم يصح لانه خرق اجماع الخلق في الفعل ولانه لم يتقدم ما يصير به وترا فاما اذا اراد ان يوتر بثلث مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر فانه ان نوى بهما التهجد او سنة العشا لم يكن هو من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا وانما الوتر ما بعده ولكن الاظهر ان ينوي الوتر كما ينوي في الثلاث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان احدهما ان يكون في نفسه وترا والاخر ان ينشا ليجعل وترا لما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث الا ان وتريته موقوفة على الركعة الثالثة واذا كان هو على عزم ان يوترهما بثالثة كان له ان ينوي الوتر والركعة الثالثة وتر في نفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بانفسهما ولكنهما موتران بغيرهما والوتر ينبغي ان يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسياتي فضايل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الاوراد السابعة صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزايم الافعال وفواضلها اما عدد ركعاتها فاكثر ما نقل فيه ثماني ركعات روت ام هانئ اخت علي رضي الله عنهما انه صلى الله عليه صلى الضحى ثماني ركعات اطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا العدد غيرها فاما عايشة رضي الله عنها فانها ذكرت انه صلى الله عليه كان يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شاء الله فلم تحد الزيادة اي انه كان يواظب على الاربع ولا ينقص منها شيا وقد يزيد زيادات • وفي حديث مفرد ان النبي صلى الله عليه كان يصلي الضحى ست ركعات واما وقتها فقد روى عن علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه كان يصلي الضحى ستا في وقتين اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو اول الورد الثاني من اوراد النهار كما سياتي واذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى اربعا فالاول انما يكون اذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثاني اذا مضى من النهار ربعه بازاء صلاة العصر فان وقته ان يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع

الشمس الى الزوال كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال الى الغروب وهذا افضل الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال وقت الضحى على الجملة **الثامنة** احيا ما بين العشاءين سنة موكدة ومما نقل عدده من فعله عليه السلام بين العشاءين ست ركعات ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل انها المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقد روي عنه صلى الله عليه انه قال من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الاوابين ۝ وقال صلى الله عليه من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او قران كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وسيأتي بقية فضائلها في كتاب الاوراد **القسم الثاني** ما يتكرر بتكرر الاسابيع في صلوات ايام الاسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة اما الايام فنبتدئ فيها بيوم **الاحد** روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وامن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات واعطاه ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك اذفر ۝ وقد روى علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه انه قال وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الاحد فانه سبحانه احد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلاة الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة قرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين اخريين قرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله حاجته كان حقا على الله ان يقضي حاجته **يوم الاثنين** روى جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه انه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واية الكرسي مرة وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي صلى الله عليه عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها ۝ روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه انه قال من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله احد اثنتي عشرة مرة واستغفر الله اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة اين فلان ابن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله فاول ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة ويستقبله مائة الف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور يتلالا **الثلثا** روى يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه من صلى يوم الثلثا عشر ركعات عند انتصاف النهار ۝ وفي حديث اخر عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة **الاربعا** ابو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه من صلى يوم الاربعا اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنه شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي **الخميس** عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب مرة واية الكرسي مائة مرة وفي الثانية الفاتحة مرة وقل هو الله احد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من امن بالله وتوكل عليه حسنة **الجمعه** روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه انه قال في يوم الجمعة صلاة ما من عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قيد رمح او اكثر من ذلك فتوضأ فاسبغ الوضوء وصلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ومن صلى اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربعمائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله له الفا ومائتي حسنة ومحا عنه الفا ومائتي سيئة ورفع له في الجنة الفا ومائتي درجة ۝ وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى اربع ركعات قبل صلوة الجمعة قرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة او يرى له **السبت** روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه قال من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ اية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له

المرهونة لانه الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب الزكاة في الضال والمغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه فتجب زكاة ما مضى عند عوده ۝ ولو كان عليه دين مستغرق لماله فلا زكاة عليه فانه ليس غنيا به اذ الغنى ما يفضل عن الحاجة ۝ **الخامس** كمال النصاب اما الابل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة التي تكون في السنة الثانية او ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فان لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يوخذ وان كان قادرا على شرائها وفي ست وثلثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا واربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون **واما البقر** فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلثين ثم فيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في اربعين مسنة وفي كل ثلثين تبيع **واما الغنم** فلا زكاة فيها حتى تبلغ اربعين ففيها شاة جذعة من الضأن او ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه الى اربعمائة ففيها اربع شياه ثم استقر الحساب ففي كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصب فاذا كان بين رجلين اربعين من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلاثة نفر مائة وعشرون ففيها شاة على جميعهم ۝ وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط ان يرعيا معا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون انزاء الفحل معا وان يكونا جميعا من اهل الزكوة فلا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب ومهما نزل في واجب الابل عن سن الى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت مخاض في النزول ولكن يضم اليه جبران السن لسنة واحدة شاتين او عشرين درهما ولسنتين اربع شياه او اربعين درهما وله ان يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود وياخذ الجبران من الساعي من بيت المال ولا يوخذ في الزكوة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة ويوخذ من الكرام كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يوخذ من المال الاكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غذاء المال **النوع الثاني** زكوة المعشرات فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فيما دونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر ان يكون ثمانمائة من تمرا او زبيبا لا رطبا ولا عنبا ويخرج بعد التجفيف ويكمل مال احد الخليطين بمال الاخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة فيهم ثمانمائة من من زبيب فيجب على جميعهم ثمانين منا من زبيب بقدر حصصهم ولا تعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح او قناة فان كان يسقى بنضح او دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب معتبر **واما صفة الواجب** فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يوخذ عنب ولا رطب الا اذا حلت بالاشجار افة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الادراك فيوخذ الرطب ويكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع بل يرخص في مثل هذه الحاجة ووقت الوجوب ان يبدو الصلاح في الثمار وهو ان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف **النوع الثالث** زكاة النقدين فاذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو نقص من النصاب حبة فلا زكاة ويجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة ويجب الزكوة في التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا يجب في الحلي المباح ويجب في الدين الذي هو على ملي ولكن يجب عند الاستيفاء وان كان موجلا فلا يجب الا بعد حلول الاجل **النوع الرابع** زكاة التجارة وهي كزكاة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا او اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشرى وتؤدى الزكوة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ما به الشرى نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به اولى من نقد البلد ومن نوى التجارة في مال قنية لم ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكوة والاولى ان يودي زكاة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في اخر الحول وجبت الزكاة فيها بحول

رأس المال ولم يستأنف له حولا كما في النتاج وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات
وزكاة ربح مال القراض على العامل وإن كان قبل القسمة هذا هو الأقيس **النوع الخامس** الركاز والمعدن والركاز ما
دفن في الجاهلية ووجد في أرض لم يجر عليها في الإسلام ملك فعلى واجدها في الذهب والفضة الخمس والحول غير معتبر والأولى
أن لا يعتبر النصاب أيضا هذا هو الأقيس لأن إيجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتبار النصاب بعيد لأن مصرفه مصرف الزكوات
ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين **وأما المعادن** فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيهما بعد الطحن والتخليص
ربع العشر على أصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر الحول وفي النصاب قولان
والأشبه والعلم عند الله تعالى أن يلحق في قدر الواجب بزكاة التجارة فإنه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لأنه
عين الريع ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل ومن الكثير ومن غير النقدين أيضا خروجا عن شبهة
الخلاف فإنها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه **النوع السادس** صدقة الفطر
وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات
بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته وأفضل منه فإن اقتات الحنطة لم يجز الشعير
وإن اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن أيها أخرج أجزأه ● وقسمتها كقسمة زكاة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف
ولا يجوز إخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو في نفقته أعني من يجب
عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد ● قال صلى الله عليه أدوا صدقة الفطر عمن تمونون وتجب صدقة العبد المشترك
على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر وإن تبرعت الزوجة بالإخراج عن نفسها أجزأها وللزوج الإخراج عنها دون إذنها
وإن فضل عنده ما يؤدي عن بعضهم أدى عن بعضهم وأولاهم بالتقديم من كان نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه نفقة
الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم فهذه أحكام فقهية لا بد للغني من معرفتها وقد يعرض له وقائع نادرة خارجة
عن هذا فله أن يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار **الفصل الثاني في الأداء وشروطه**
الظاهرة والباطنة بيان الشروط الظاهرة ● اعلم أنه يجب على مؤدي الزكاة مراعاة خمسة أمور الأول النية وهو
أن ينوي بقلبه زكاة الفرض وليس عليه تعيين الأموال فإن كان له مال غائب فقال هذا عن مالي الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافلة
جاز لأنه لو لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية
المالك الممتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا أعني في قطع المطالبة عنه أما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن
يستأنف الزكاة وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لأن توكيله بالنية نية **الثاني** البدار
عقيب الحول وفي زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس آخر يوم من رمضان ووقت
تعجيلها شهر رمضان كله ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وإن أخر
لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز
تعجيل زكاة حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول أو ارتد أو صار غنيا بغير ما عجل إليه أو تلف مال المالك أو مات
فالمدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الأمر وسلامة العاقبة
الثالث أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزي ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد
عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة فما أبعده عن التحصيل
فإن سد الحاجة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ
والأغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا إذ لا حظ للجمرة في وصول الحصى إليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر
العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لأن ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص
الرق والعبودية إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لا لمعنى آخر وأكثر أعمال الحج كذلك ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ● تنبيها على أن ذلك إظهار للعبودية
بالانقياد بمجرد الأمر وامتثاله كما أمر من غير استئناس العقل بما يميل إليه ويحث عليه **والقسم الثاني** من واجبات
الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه

نظرة قضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة **القسم الرابع** من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا
ولا تتعلق بالمواقيت وهي تسعة صلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة وتحية المسجد وركعتا الوضوء وركعتان
بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر لذلك فنذكر فيها ما يحضرنا الآن **الأولى** صلاة الخسوف
قال رسول الله صلى الله عليه إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر
ذكر الله والصلاة قال ذلك لما مات ولده إبراهيم وكسفت الشمس فقال الناس إنما كسفت لموته والنظر في كيفيتها ووقتها
أما الكيفية فإذا خسفت الشمس في وقت مكروه أو غير مكروه نودي الصلاة جامعة وصلى الإمام بالناس في المسجد ركعتين وركع
في كل ركعة ركوعين أوائلهما أطول من أواخرهما ولا يجهر فيقرأ في الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية
الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة والمائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث
أراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام أجزأه ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء
ويسبح في الركوع الأول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود
قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل
بخسوف القمر إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية ● أما وقتها فعند ابتداء الخسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس
خاسفة وتفوت خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يبطل سلطان الليل ولا تفوت بغروبه في الليل خاسفا لأن الليل كله
سلطان القمر وإن انجلى في أثناء الصلاة أتمها مخففة ومن أدرك الركوع الثاني مع الإمام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل
هو الركوع الأول **الثانية** صلاة الاستسقاء فإذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو انهارت قناة فيستحب للإمام
أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم يوم الرابع
وبالعجائز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب إخراج الدواب لمشاركتهم في
الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج أهل
الذمة متميزين أيضا لم يمنعوا فإذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة وصلى بهم الإمام ركعتين مثل
صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية
أن يستدبر الإمام الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه
فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة
سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول في الدعاء اللهم إنك أمرتنا
بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك في
سقيانا وسعة رزقنا ولا بأس بالدعاء أدبار الصلوات في الأيام الثلاثة قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشرائط باطنة من التوبة
ورد المظالم وغيرها وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات **الثالثة** صلاة الجنازة وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء ما ورد
ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه
وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس
وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب
النار حتى قال عوف تمنيت أن أكون ذلك الميت ومن أدرك التكبيرة الثانية من صلاة الجنازة فينبغي أن يراعي ترتيب صلاة
نفسه ويكبر مع تكبيرات الإمام فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذي فات كفعل المسبوق فإنه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة
في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الأركان الظاهرة وجدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات هذا هو الأوجه عندي
وإن كان غيره محتملا ● والأخبار الواردة في فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطول بإيرادها وكيف لا يعظم فضلها
وهي من فرائض الكفايات وإنما يصير نفلا في حق من لم يتعين عليه بحضور غيره ثم ينال به فضل فرض الكفاية وإن لم يتعين لأنهم بجملتهم
قاموا بما هو فرض وأسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك نفلا لا يسقط به فرض عن أحد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا
بكثرة الهمم والأدعية واشتمالها على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس أنه قال مات ابن لي فقال يا كريب
انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال تقولهم أربعون قال قلت نعم قال أخرجوه

فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيا الا شفعهم الله فيه فاذا شيع الجنازة فوصل المقابر او دخلها ابتدا فقال السلم على اهل الديار من المومنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستاخرين وانا ان شا الله بكم لاحقون والاولى ان لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوي على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد اليك فارءف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح ابواب السما لروحه وتقبله بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في احسانه وان كان مسيا فتجاوز عنه

الرابعة تحية المسجد ركعتين فصاعدا سنة موكدة حتى انها لا تسقط وان كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعة مع تاكد وجوب الاصغا الى الخطيب ولو اشتغل بفرض او قضا تادت به التحية وحصل الفضل اذ المقصود ان لا يخلو ابتدا دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره ان يدخل المسجد على غير وضو فاذا دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات فيقال انها عدل ركعتين في الفضل ● ومذهب الشافعي انه لا يكره التحية في اوقات الكراهية وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روي انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت اصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فافاد هذا الحديث فايدتين احدهما ان الكراهة مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن اضعف الاسباب قضا النوافل اذ اختلف العلما في النوافل هل تقضى فاذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضا واذا انتفت الكراهة باضعف الاسباب فبالحري ان تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا تكره صلاة الجنازة اذا حضرت وصلاة الخسوف والاستسقا في هذه الاوقات لان لها اسبابا ● الفايدة الثانية قضا النوافل اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وفينا اسوة حسنة وقالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه اذا غلبه نوم او مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة ● وقد قال العلما من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضا واجاب وان كان المؤذن قد سكت ولا معنى الان لقول من يقول ان ذلك مثل الاول وليس بقضا اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه في وقت الكراهية نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي ان لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت اخر كيلا تميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه صلى الله عليه قال احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل فيقصد به ان لا يفتر دوام عمله ● وروت عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه انه قال من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله فليحذر ان يدخل تحت هذا الوعيد ● وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله فتركها ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت الملالة عليه

الخامسة ركعتان بعد الوضو مستحبتان لان الوضو قربة ومقصودها الصلاة والاحداث عارضة فربما يطرا الحدث قبل صلاة فينتقض الوضو ويضيع السعي فالمبادرة الى ركعتين استيفا لمقصود الوضو قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرايت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيا الا اني لا احدث وضوا الا اصلي عقيبه ركعتين او كما قال

السادسة ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه ● روى ابو مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السو واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السو ● وفي معنى هذا كل امر يبتدا به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام وركعتان عند ابتدا السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت وكل ذلك ماثور من فعله صلى الله عليه وسلم ● وكان بعض الصالحين اذا اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل امر يحدثه وبداية الامور ينبغي ان يتبرك فيها بذكر الله تعالى وهي على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبتدا فيها ببسم الله قال صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدا فيه ببسم الله فهو ابتر **الثانية** ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتدا النصيحة والمشورة فالمستحب فيها ان يصدرها بحمد الله سبحانه فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت النكاح ● وكانت عادة الصحابة في ابتداء اداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد **الثالثة** ما لا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشرا دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه الخروج من المنزل والدخول فانه نوع سفر خفيف

السابعة صلاة الاستخارة فمن هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان الخير في تركه او الاقدام عليه فقد امر رسول الله صلى الله

عليه ان يصلي ركعتين يقرا في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله فاقدره لي ثم يسره لي وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير اينما كان انك على كل شي قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القران وقال اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم ليسم الامر ويدعو بما ذكرناه ● وقال بعض الحكما من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب

الثامنة صلاة الحاجة فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روي عن وهيب بن الورد انه قال ان من الدعا الذي لا يرد ان يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة بام القران واية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي احصى كل شي بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول اسالك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد ثم يسال حاجته التي لا معصية فيها فيجاب ان شا الله تعالى

التاسعة صلاة التسبيح وهذه الصلاة ماثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة او الشهر فقد روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال صلى الله عليه للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبوك بشي اذا انت فعلته غفر الله ذنبك اوله واخره قديمه وحديثه خطاه وعمده سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراة في اول ركعة وانت قايم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة ● وفي رواية اخرى انه يقول في اول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراة وعشرا بعد القراة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجدة الاخيرة قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين ثلثماية تسبيحة فان صلى نهارا فتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فتسليمتين احسن اذ ورد ان صلاة الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه هي الصلاة الماثورة ولا يستحب شي من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا تحية المسجد وما اوردناه قبلها وما اوردناه بعد التحية من ركعتي الوضو وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لان النهي موكد وهذه الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقا والتحية ● وقد رايت بعض المتصوفة يصلي في الاوقات المكروهة ركعتي الوضو وهو في غاية البعد لان الوضو لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب للوضو فينبغي ان يتوضا للصلاة لا انه يصلي لانه توضا وكل محدث يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له الا ان يتوضا ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغي ان ينوي ركعتي الوضو كما ينوي ركعتي التحية بل اذا توضا صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضو وحديث بلال لم يدل على ان الوضو سبب كالخسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضو فيستحيل ان ينوي بالصلاة الوضو بل ينبغي ان ينوي بالوضو الصلاة وكيف ينتظم ان يقول في وضوه اتوضا لصلاتي وفي صلاته يقول اصلي لوضوي بل من اراد ان يحرس وضوه عن التعطل في وقت الكراهية فلينو قضا ان كان يجوز ان يكون في ذمته قضا صلاة تطرق اليها خلل لسبب من الاسباب فان قضا الصلوات في اوقات الكراهية غير مكروه ● فاما نية التطوع فلا وجه له ففي النهي في اوقات الكراهية مهمات ثلاث التوقي عن مضاهات عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين اذ قال صلى الله عليه ان الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلوات في هذه الاوقات ونبه به

بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهدا

اما الليالي ليلة الاحد فقد روى انس بن مالك في ليلة الاحد انه صلى الله عليه قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة قرا في كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله احد خمسين والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي مائة مرة وتبرا من حوله وقوته والتجا الى حول الله وقوته ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وان ادم صفوة الله وفطرته وابرهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمد حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه الله يوم القيمة مع الامنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين ليلة الاثنين روى الاعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات وقرا في الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله مرة وقل هو الله احد ثلثين مرة وفي الرابعة الحمد لله مرة وقل هو الله احد اربعين مرة ثم سلم وقرا قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة واستغفر لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على محمد خمسا وسبعين مرة ثم سال الله تعالى حاجته كان حقا على الله ان يعطيه سوله ما سال وهي تسمى صلاة الحاجة ليلة الثلثا يصلي ركعتين في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرا بعد التسليم خمس عشرة مرة اية الكرسي واستغفر الله خمس عشرة مرة ليلة الاربعا روت فاطمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ست ركعات يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك الى اخر الاية فاذا فرغ من صلاته يقول سبعين مرة جزا الله محمدا عنا ما هو اهله غفر الله له ذنوب سبعين سنة وكتب له براة من النار ليلة الخميس قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشا ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حق والديه عليه وان كان عاقا لهما واعطاه الله تعالى ما يعطي الصديقين والشهدا ليلة الجمعة قال جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشا اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد احدى عشرة مرة فكانما عبد الله اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها ۞ وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه من صلى ليلة الجمعة صلاة العشا الاخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرا في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكانما احيا ليلة القدر ۞ وقال النبي صلى الله عليه اكثروا من الصلاة علي في الليلة الغرا واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة ۞ ليلة السبت قال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشا اثنتي عشرة ركعة بني له قصر في الجنة وكانما تصدق على كل مومن ومومنة وتبرى من كل يهودي ويهودية وكان حقا على الله ان يغفر له قال رسول الله صلى الله عليه من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشا اثنتي عشرة ركعة بني له قصر في الجنة وكانما تصدق

القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين وهي اربعة صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان الاول صلاة العيدين وهي سنة موكدة وشعار من شعاير الدين وينبغي ان يراعى فيها سنة امور الاول التكبير ثلثا نسقا فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويفتتح التكبير ليلة الفطر الى الشروع في صلاة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى اخر النهار يوم الثالث عشر هذا اكمل الاقاويل ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرايض اكد الثاني اذا اصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في يوم الجمعة والردا والعمامة هو الافضل للرجال وليجتنب الصبيان الحرير والعجايز التزين عند الخروج الثالث ان يخرج من طريق ويرجع من طريق اخرى هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وكان رسول الله صلى الله عليه يامر باخراج العواتق وذوات الخدور الرابع المستحب الخروج الى الصحرا الا بمكة وبيت المقدس وان كان يوم مطير فلا باس بالصلاة في المسجد ويجوز في يوم الصحو ان يامر الامام رجلا يصلي بالضعفة في مسجد ويخرج الاقويا مكبرين الخامس ان يراعي الوقت فوقت العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين الى اخر اليوم

على العلة والثالث ان سالكي طريق الاخرة لا يزالون يواظبون على الصلاة في جميع الاوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملال ومهما منع ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الاوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الاوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملال بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع الى نوع اخر ففي الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار على شي واحد استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلوة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات من اعمال مختلفة واذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب على الشي الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت هذه امورا مهمة في النهي عن الاوقات المكروهة الى غير ذلك من اسرار اخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فالله ورسوله اعلم بها فهذه المهمات لا تترك الا باسباب مهمة في الشرع مثل قضا الصلوات وصلاة الاستسقا والخسوف وتحية المسجد فاما ما ضعف عنها فلا ينبغي ان يصادم بها مقصود النهي هذا هو الاوجه عندنا والله اعلم بالصواب

كتاب الزكوة من ربع العبادات

وهو الخامس من كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ الحمد لله الذي اسعد واشقى وامات واحيى واضحك وابكى واوجد وافنى وافقر واغنى واضر واقنى الذي خلق الحيوان من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى وافاض عليهم من نعمه ما ايسر به واستغنى واحوج اليه من اخفق في رزقه واكدى ۞ اظهارا للامتحان والابتلا ۞ ثم جعل الزكوة للدين مبنى وبين ان بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى اصحابه المخصوصين بالعلم والتقى وسلم كثيرا اما بعد فان الله تعالى جعل الزكوة احدى مباني الاسلام واردف بذكرها الصلاة التي هي اعلا الاعلام وقال اقيموا الصلاة واتوا الزكوة وقال صلى الله عليه بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتا الزكوة وشدد الوعيد على المقصرين فيه فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ۞ ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج حق الزكاة ۞ قال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر ابو ذر وقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي من قبل اقفائهم يخرج من جباههم وفي رواية اخرى يوضع على حلمة ثدي احدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال ابو ذر انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم فقال الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يودي زكاتها الا جات يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطاه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس ۞ فاذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فصار من مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكوة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغنى عن معرفتها مودي الزكاة وقابضها وينكشف ذلك في اربعة فصول ۞ الاول في انواع الزكوات واسباب وجوبها ۞ الثاني في ادابها وشروطها الظاهرة والباطنة ۞ الثالث في القابض وشروط استحقاقه واداب قبضه ۞ الرابع في صدقة التطوع وفضلها

الفصل الاول في انواع الزكوات واسباب الوجوب والزكوات واعتبار متعلقها بينة انواع زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة الفطر النوع الاول زكاة النعم ولا تجب هذه الزكوة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه ۞ فاما المال فشروطه خمسة ان يكون نعما سايمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال ۞ الشرط الاول كونه نعما فلا زكاة الا في الابل والبقر والغنم اما الخيل والحمير والمتولد من بين الظبا والغنم فلا زكوة فيها الثاني السوم فلا زكوة في معلوفة واذا اسيمت في وقت واعلفت في وقت تظهر مونته فلا زكاة فيها الثالث الحول قال صلى الله عليه لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى عن هذا نتاج المال فانه ينسحب عليها حكم المال وتجب الزكوة فيها بحول الاصول ومهما باع المال في اثنا الحول او وهب انقطع الحول الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكوة في الماشية

بين كتفيه ويروى عظامه

الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الاضحى لاجل الذبح وتاخير صلاة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم **السادس** في كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين في الطريق فاذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل وللناس التنفل ثم ينادي مناد الصلاة جامعة ويصلي الامام ركعتين يكبر في الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ويقول وجهت وجهي عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة الى ما ورا الثامنة ويقرا سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية والتكبيرات الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيرتي القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها. **السابعة** ان يضحي بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبش وذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر هذا عني وعن من لم يضح من امتي وقال من راى هلال ذي الحجة واراد ان يضحي فلا ياخذن من شعره ولا من اظفاره وقال ابو ايوب الانصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه بالشاة على اهل بيته فياكلون ويطعمون وله ان ياكل من الضحية بعد ثلاثة ايام فما فوق وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفين الثوري يستحب ان يصلي بعد عيد الفطر اثني عشرة ركعة وبعد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة **الثامنة** في التراويح وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة موكدة وان كانت دون العيدين واختلفوا في ان الجماعة فيها افضل ام الانفراد وخرج رسول الله صلى الله عليه فيها ليلتين او ثلثا للجماعة ثم لم يخرج وقال اخاف ان توجب عليكم وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحي فقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر ولان للاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرايض ولانه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد افضل لان هذه سنة ليست من الشعاير كالعيدين والحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد اولى ولم يشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بان يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل الصلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت وروي انه صلى الله عليه قال صلاة في مسجدي هذا افضل من ماية صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام افضل من الف صلاة في مسجدي وافضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يعلمهما الا الله وهذا لان الريا والتصنع ربما يتطرق اليه في الجمع ويامن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار ان الجماعة افضل كما رآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فان بعض النوافل قد شرع فيها الجماعة وهذا جدير بان يكون من الشعاير التي تظهر فاما الالتفات الى الريا في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث انها جماعة وكان قايله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الريا فليفرض المسالة فيمن يثق بنفسه انه لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فايهما افضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز ان يكون في تفضيل احدهما على الاخرى تردد ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الاخير من رمضان

اما صلاة الرغائب فقد روي باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي ما بين العشا والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرا في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله احد اثنا عشر مرة فاذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة ويقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى اله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملايكة والروح ثم يرفع راسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك انت العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسال الله حاجته في سجوده فانها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي احد هذه الصلاة الا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيمة في سبع ماية من اهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلاة مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين وان كان لا يبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلاة العيدين لان هذه الصلاة نقلها الاحاد ولكني رايت اهل القدس باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فاحببت ايرادها **اما صلاة شعبان** فليلة الخامس عشر منه يصلي ماية ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد عشر مرات وان شا صلى عشر ركعات يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة ماية مرة قل هو الله احد فهذا ايضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلوة ويسمون هذه الصلاة صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة روي عن الحسن انه قال حدثني ثلثون من اصحاب النبي صلى الله عليه ان من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله تعالى اليه سبعين

بعلة ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق او ببدل عنه عند رضاه تادى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما تشترك في دركهما جميع الناس **والقسم الثالث** هو المركب الذي يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي ان ينسى ادق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب اجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكاة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعي فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك ان المكلف يتعنى في تمييز اجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سياتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير ولكنه قادح في التعبد ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات ومن اوضحها ان الشرع اوجب في خمس من الابل شاة فعدل عن الابل الى الشاة ولم يعدل الى النقود والتقويم فان قدر ان ذلك لقلة النقود في ايدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين وان كانت الثياب والامتعة كلها في معناها فهذا وامثاله من التخصيصات يدل على ان الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والاذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا منشا الغلط فيه **الرابع** ان لا ينقل الصدقة الى بلد اخر فان اعين المساكين في كل بلدة تمتد الى اموالها وفي النقل تخييب للظنون فان فعل ذلك اجزاه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف اولى فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة ثم لا باس ان يصرف الى الغربا في تلك البلدة **الخامس** ان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين في بلده فان استيعاب الاصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله انما الصدقات للفقرا والمساكين فانه يشبه قول المريض انما ثلث مالي للفقرا والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التمليك والعبادات ينبغي ان يتوقى عن التهجم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في اكثر البلاد وهم المولفة والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد اربعة اصناف الفقرا والمساكين والغارمون والمسافرون اعني ابنا السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون بعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة اصناف مثلا قسم زكاة ماله بخمسة اقسام متساوية وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم ثلاثة اسهم فما فوقها اما متساوية او متفاوتة وليس عليه التسوية بين احاد الصنف فان له ان يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد واما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي ان ينقص كل صنف عن ثلثة ان وجد ولو لم يجب الا صاع للفطرة ووجد خمسة اصناف فعليه ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط ماله بمالهم او ليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهموا فيه فان ذلك لا بد منه

بيان دقائق الاداب الباطنة في الزكاة على مريد طريق الاخرة

بزكاته وظايف الاولى فهم وجوب الزكاة ومعناه ووجه الامتحان فيه وانه لم جعل من مباني الاسلام مع انه تصرف مالي وليس من عبادات الابدان وفيه ثلاث معان الاول ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفا به ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلايق لانها الة تمتعهم في الدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه لقا المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم فلذلك قال تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى الله تعالى والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم الناس الى ثلثة اقسام فقسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهده ونزلوا عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما وابوا ان يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكوة في مايتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا جا ابو بكر الصديق رضي الله عنه بجميع ماله وعمر رضي الله عنه بشطر ماله فقال صلى الله عليه ما ابقيت لاهلك

تعالى مثله وقال لابي بكر ما ابقيت لاهلك فقال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق
وفا بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله **القسم الثاني** من درجتهم دون درجة هذا
وهم الممسكون اموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة
دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهرت وجوهها وهولا لا يقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب
جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطا ومجاهد قال الشعبي بعد ان قيل له هل
في المال حق سوى الزكوة قال نعم اما سمعت قوله تعالى واتى المال على حبه الاية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم
ينفقون وانفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ باية الزكاة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب
على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة • والذي يصح في الفقه من هذا انه مهما ارهقت الحاجة
كانت ازالتها فرض الكفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان يقال ليس على الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا
يلزمه بذله بعد ان اسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل ان يقال يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقراض وهذا مختلف فيه
والاقراض نزول الى الدرجة الاخيرة من درجات العوام وهي درجة **القسم الثالث** الذين يقتصرون على اداء
الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهي اقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه
وضعف حبهم للاخرة قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا يحفكم اي يستقصي عليكم فكم بين عبد اشترى منه
ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا يستقصي عليه لبخله فهذا احد معاني امر الله سبحانه عباده ببذل الاموال
المعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات • قال صلى الله عليه ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه • وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسياتي في ربع المهلكات وجه
كونه مهلكا وكيفية التفصي منه وانما تزول صفة البخل بان تتعود بذل المال فحب الشي لا ينقطع الا بقهر النفس عن
عن مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته
بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى **المعنى الثالث** شكر النعمة فان لله تعالى
على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال • وما اخس من ينظر
الى الفقير وقد ضيق في الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يودي شكر الله على ان اغناه عن السوال واحوج
غيره اليه بربع العشر او العشر من ماله **الوظيفة الثانية** في وقت الادا ومن اداب ذوي الدين التعجيل عن وقت
الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال وايصالا للسرور الى قلوب الفقرا ومبادرة لعوائق الزمان ان تعوق عن
الخيرات وعلما بان في التاخير افات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية
الخير من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان
يعد الفقر ويامر بالفحشا والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاته ان كان يوديها جميعا
شهرا معلوما وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنما قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم
فانه اول السنة وهو من الاشهر الحرم او رمضان فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الخلق فيه وكان في
رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيا ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانه انزل فيه القران • وكان مجاهد يقول
لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسما الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكثيرة الفضل
فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق
وافضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذي الحجة العشر الاول **الوظيفة الثالثة** الاسرار
فان ذلك ابعد من الريا والسمعة • قال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال بعض العلما
ثلث من كنوز البر منها اخفا الصدقة وقد روي ايضا مسندا • وقال صلى الله عليه ان العبد ليعمل عملا في السر
فيكتبه الله له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب ريا • وفي
الحديث المشهور سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ما اعطت يمينه
وفي الخبر صدقة السر تطفي غضب الرب تعالى • وقال تعالى وان تخفوها وتوتوها الفقرا فهو خير لكم وفايدة الاخفا

والسمعة م

الاخلاص من افة الريا والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراي ولا منان والمتحدث
بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملا من الناس يبتغي الريا والاخفا والسكوت هو المخلص منه وقد بالغ في فضل
الاخفا جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطي فكان بعضهم يلقيه في يد اعمى وبعضهم يلقيه في طريق الفقير او في
موضع جلوسه بحيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصر في ثوب الفقير وهو نايم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير
على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط شانه ويوصيه بان لا يفشيه كل ذلك توصلا الى اطفا غضب الرب واحترازا
من الريا والسمعة ومهما لم يتمكن من الاخفا الا بان يعرفه شخص واحد فتسليمه الى وكيل ليسلم الى المسكين والمسكين لا يعرف
اولى اذ في معرفة المسكين الريا والمنة جميعا وليس في معرفة المتوسط الا الريا ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط
عمله لان الزكاة ازالة البخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه اشد استيلا على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في
الاخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقربا لداغا وصفة الريا تنقلب افعى من الافاعي وهو مامور بتضعيفهما
او قتلهما لدفع اذاهما او تخفيف اذاهما فمهما قصد الريا والسمعة فكانه جعل بعض اطراف العقرب قوة للحية فبقدر ما
ضعف من العقرب زاد في الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر اهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل
بمقتضى ضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فاي فايدة في ان يخالف داعي البخل ويجيب
داعي الريا فيضعف الادنى ويقوى الاقوى وسياتي اسرار هذه المعاني في ربع المهلكات **الوظيفة الرابعة** ان
يظهر حيث يعلم ان في الاظهار ترغيبا للناس في الاقتدا ويحرس سره عن داعية الريا بالطريق الذي سنذكره في معالجة
الريا في كتاب الريا فقد قال تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وذلك حيث يقتضي الحال الابدا اما للاقتدا واما لان
السايل انما سال على ملا من الناس فلا ينبغي ان يترك التصدق خيفة من الريا في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن
الريا بقدر الامكان وهذا لان في الاظهار محذورا ثالثا سوى المن والريا وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتاذى بان يرا
في صورة المحتاج فمن اظهر السوال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في اظهاره وهو كاظهار الفسق على من
تستر به فانه محظور والتجسس فيه والاغتياب بذكره منهي عنه فاما من اظهره فاقامة الحد عليه اشاعة ولكن
هو السبب فيها • ولمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه من القى جلباب الحيا فلا غيبة له • وقد قال تعالى وانفقوا مما
رزقناكم سرا وعلانية ندب الى العلانية ايضا لما فيه من فايدة الترغيب فليكن العبد دقيق التامل في وزن هذه الفايدة
بالمحذور الذي فيها فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان في بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل ومن
عرف الفوايد والغوايل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق بكل حال **الوظيفة الخامسة** ان لا يفسد
صدقته بالمن والاذى قال الله سبحانه لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واختلفوا في حقيقة المن والاذى فقيل
المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها • وقال سفين من من فسدت صدقته فقيل كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث به الاذى ان يعير الفقير به
وقيل المن ان يستخدمه بالعطا والاذى ان يعيره بالفقر • وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى ان ينتهره او
يوبخه بالمسالة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة منان • وعندي ان المن له اصل ومغرس هو
من احوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه احوال ظاهرة على اللسان والجوارح • واصله ان يرى نفسه محسنا
اليه ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا الى نفسه بقبول حق الله منه الذي هو طهرته ونجاته من النار
وانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة من الفقير اذ جعل كفه نايبا عن الله في قبض حق الله • قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تقع بيد الله تعالى قبل ان تقع في يد السايل فليتحقق انه مسلم الى الله حقه والفقير
اخذ من الله رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله تعالى ولو كان عليه دين لانسان فاحال به صاحب الدين عبده او خادمه
الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مودي الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن اليه هو المتكفل
برزقه اما هو فانما يقضي الدين الذي لزمه بشرا ما احبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني
الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكوة او احدها لم ير نفسه محسنا الا الى نفسه اما ببذل ماله اظهارا
لحب الله او تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد فكيفما كان طالبا للمزيد وكيفما كان
فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما جهل هذا الجهل بان يرى نفسه محسنا اليه تفرع منه على

ظاهر على ما ذكرناه في معنى المن وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه. **وأما الأذى** فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منبعه أمران أحدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فإن ذلك يضيق الخلق لا محالة والثاني رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير بسبب حاجته أخس رتبة منه وكلاهما منشأه الجهل أما كراهية تسليم المال فهو حمق لأن من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي ألفا فهو شديد الحمق ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله سبحانه والثواب في الدار الآخرة وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد وكيفما فرض فالكراهة لا وجه لها. وأما الثاني فهو أيضا جهل لأنه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام. ولذلك قال عليه السلام هم الأخسرون ورب الكعبة. قال أبو ذر من هم قال هم الأكثرون أموالا الحديث ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله سبحانه وتعالى متجرا له إذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم إليه فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عنه بتقليد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات إلى أن يموت فيأكله أعداؤه فإذا مهما انتفت الكراهة وتبدل بالسرور والفرح بتوفيق الله له بأداء الواجب وتقييضه للفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الأذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ المن والأذى. **فإن قلت** فرؤيته نفسه في درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه محسنا فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالأ عدوا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق فإن زاد فلم تخل صدقته عن شائبة المنة لأنه توقع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك. **فإن قلت** فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه فما دواؤه فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم الوجوب وأن الفقير هو المحسن إليه في تطهيره بالقبول. وأما الظاهر فالأعمال التي يتعاطاها متقلد المنة فإن الأفعال التي تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق كما سيأتي أسراره في الشطر الأخير من الكتاب. ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو رده. وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير فتكون يد الفقير هي العليا. وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفا إلى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله ويقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر رضي الله عنه وابنه عبد الله فهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم فلا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكاة تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها وهذا بقوله صلى الله عليه لا يقبل الله صدقة منان وبقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنه دون هذا الشرط فحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة. **الوظيفة السادسة** أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال قال الله تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا. ويقال إن الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله وقيل لا يتم المعروف إلا بثلاث تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والأذى فإنه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام وما لا يمكن المن والأذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل. أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كما ذكرنا في فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحيي منه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل من أين له المال وإلى ماذا يصرفه فالمال لله وله المنة عليه إذ أعطاه ثم وفقه

لذلك

لبذله فلم يستعظم في حق الله ما هو عين حق الله وإن كان مقامه يقتضي أن ينظر إلى الآخرة وأنه لم يبذله للثواب فلم يستعظم في حق الله بذل ما ينتظر عليه أضعافه وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بإمساك بقية ماله عن الله تعالى فيكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لأن المال كله لله وبذل جميعه هو الأحب عند الله تعالى وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله كما قال تعالى إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا. **الوظيفة السابعة** أن ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه وأحله وأطيبه فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع. وفي حديث أبان عن أنس طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية وإذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب إذ يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو أهله فيكون قد آثر على الله غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام في بيته لأوغر به صدره هذا إن كان نظره إلى الله وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى والذي يأكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل المعقول قصور النظر على العاجلة وترك الادخار. وقد قال تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه أي ما لا تأخذونه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلا تؤثروا به ربكم. وفي الخبر سبق درهم مائة ألف درهم وذلك بأن يخرجه الإنسان وهو من أحل ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل على أنه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه ولذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال سبحانه وتعالى ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا وقف بعض القراء على النفي تكذيبا لهم ثم ابتدأ وقال جرم أن لهم النار أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار. **الوظيفة الثامنة** أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية فإن في عمومهم خصوصا فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة. **الصفة الأولى** أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي وهذا لأن التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته بإعانتك إياه. وقال صلى الله عليه أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين. وفي لفظ آخر أضف بطعامك من تحبه في الله وكان بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا إن هؤلاء قوم همهم الله سبحانه فإذا طرقتهم فاقة تشتت هم أحدهم فلأن أرد همة واحد إلى الله تعالى أحب إلي من أن أعطي ألفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكي أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث إليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فإن التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون به. **الصفة الثانية** أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إعانة له على العلم والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال إني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء وإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل. **الصفة الثالثة** أن يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد فتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله تعالى وشكره ورأى النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله وهو أن يرى النعم كلها منه. وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله إذ سلط الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله تعالى في قلبه أن صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوي الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله تعالى خالق البواعث ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة اللسان وقل في الأكثر جدواه وإعانة مثل هذا الموحد لا تضيع فأما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة. وقد روي أنه صلى الله

عليه بعث بمعروف الى بعض الفقرا وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع
من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر رسول الله صلى الله عليه بذلك فسر
وقال علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده • وقال صلى الله عليه لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا
اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه عرف الحق لاهله • ولما نزلت براة عايشة رضي الله عنها في قصة الافك قال ابو بكر رضي
الله عنه قومي فقبلي راس رسول الله صلى الله عليه فقالت والله لا افعل ولا احمد الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه
دعها يا ابا بكر • وفي لفظ اخر انها قالت لابي بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه
ذلك مع ان الوحي وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه • ورؤية الاشيا من غير الله وصف الكافرين قال
الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون
ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسايط الا من حيث انهم وسايط فكانه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق الله
تعالى في تصفية توحيده عن كدورة الشرك وشوايبه **الوظيفة الرابعة** ان يكون مستترا مختفيا حاجته لا يكثر
البث والشكوى او يكون من اهل المروات ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى
يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسلون الناس الحافا اي لا يلحون في السوال لانهم اغنيا بانفسهم
اعزة بصبرهم وهذا ينبغي ان يطلب بالتفحص عن اهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب
صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسوال **الوظيفة الخامسة** ان يكون معيلا او محبوسا بمرض او
بسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق الاخرة لعيلة او ضيق
معيشة او صلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصوا الجناح مقيدوا الاطراف بهذه الاسباب كان
عمر يعطي اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان عليه السلم يعطي العطا على قدر العيلة • وسيل عمر رضي الله عنه
عن جهد البلا فقال كثرة العيال وقلة المال **الصفة السادسة** ان يكون من الاقارب وذوي الارحام فيكون صدقة
وصلة وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى قال علي رضي الله عنه لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان
اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الي من ان اتصدق بماية درهم ولان اصله بماية درهم احب الي
من ان اعتق رقبة والاصدقا واخوان الخير ايضا يتقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه
الدقايق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة هذه الصفات
فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك واصاب فله اجران وان اخطا فله اجر واحد فان احد
اجريه في تطهير نفسه عن صفة البخل وتاكيد حب الله في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوي في
قلبه شوقه الى لقا الله تعالى واليوم الاخر • الثاني ما يعود اليه من فايدة دعوة الاخذ وهمته فان قلوب الابرار
لها اثار في الحال والمال فان اصاب حصل الاجران وان اخطا حصل الاول دون الثاني فهذا معنى تضاعف اجر المصيب
في الاجتهاد هاهنا وفي ساير المواضع والله اعلم **الفصل الثالث** في القابض واسباب استحقاقه ووظايف
قبضه **بيان اسباب الاستحقاق** اعلم انه لا يستحق الزكاة الا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات
الاصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله تعالى فلا تصرف زكاة الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمي او مطلبي اما الصبي
والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض وليهما فلنذكر صفات الاصناف الثمانية **الصنف الاول** الفقرا والفقير هو الذي
ليس له مال ولا قدرة على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكن هو مسكين فان كان معه نصف
قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع
ذلك كما يليق بالفقرا فهو فقير لانه في الحال قد عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي ان يشترط في الفقير ان
لا يكون له كسوة سوى ستر العورة فان هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسوال
فلا يجعل السوال كسبا خلاف ما لو قدر على الكسب فان ذلك يخرجه عن الفقر فان قدر على الكسب بالة فهو فقير ويجوز
ان يشترى له الالة فان قدر على كسب لا يليق بمروته وبحال مثله فهو فقير وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب
عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وان كان متعبدا يمنعه الكسب من وظايف العبادات واوراد الاوقات

فليكتسب قدرته طلب الحلال لان الكسب اولى به قال صلى الله عليه وسلم الكسب طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وقال
عمر كسب في شبهة خير من مسالة وان كان مكتفيا بنفقة ابيه او من تجب عليه نفقته فهذا اهون من الكسب فليس بفقير **الصنف
الثاني المساكين** والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك الف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فاسا وحبلا وهو
غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا اثاث البيت اعني ما يحتاج اليه وذلك ما
يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة واذا لم يملك سوى الكتب فلا يلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب واثاث البيت
فانه يحتاج اليه ولكن ينبغي ان يحتاط في فهم الحاجة بالكتاب فالكتاب يحتاج اليه لثلاثة اغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة
اما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتنا كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وامثال ذلك مما لا ينفع في الاخرة ولا يجري في الدنيا الا مجرى
التفرج والاستيناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم المسكنة واما حاجة التعليم ان كان لاجل الكسب كالمودب
والمعلم والمدرس باجرة فهذه آلته فلا يباع في الفطرة كادوات الخياط وساير المحترفين وان كان يدرس للقيام بفرض الكفاية
فلا يباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لانها حاجة مهمة • واما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتاب طب
ليعالج به نفسه وكتاب وعظ ليطالع ويتعظ به فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه فان لم يكن فهو محتاج
اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغي ان يضبط مدة الحاجة والاقرب ان يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى
عنه فان من فضل من قوت يومه شي لزمه الفطرة فاذا قدرنا القوت باليوم فحاجة اثاث البيت وثياب البدن ينبغي ان يقدر
بالسنة فلا يباع ثياب الصيف في الشتا والكتب بالثياب والاثاث اشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة الى احديهما فان قال
احديهما اصح والاخرى احسن فانا محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح وبع الاحسن ودع التفرج والترفه وان كانت نسختان من علم واحد
احديهما بسيط والاخرى وجيز فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وان كان قصده التدريس فيحتاج اليهما اذ في كل واحدة
فايدة ليست في الاخرى وامثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وانما اوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر
على غيره فان استقصا هذه الصور غير ممكن اذ يتعدى مثل هذا النظر في اثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن
وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حد وعدد ولكن الفقيه يجتهد فيه رايه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقتحم
فيه خطر الشبهات والمتورع ياخذ بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقابلة
المتباعدة كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط **الصنف الثالث العاملون** وهم السعاة الذين يجمعون الزكاة سوى الخليفة
والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على اجر المثل فان فضل شي من الثمن عن اجر
مثلهم رد على بقية الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح **الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم** وهو الشريف اذا اسلم وهو مطاع
في قومه وفي اعطايه تقرير على الاسلام وترغيب نظرايه واتباعه **الصنف الخامس المكاتبون** فيدفع الى السيد سهم المكاتب
وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته الى مكاتب نفسه لانه بعد عبد له **الصنف السادس الغارمون**
والغارم هو الذي استقرض في طاعة او مباح وهو فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا
لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة واطفاء فتنة **الصنف السابع الغزاة** الذين ليس لهم مرسوم في ديوان
المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنيا اعانة لهم على الغزو **الصنف الثامن ابن السبيل** وهو الذي شخص عن بلده
مسافرا في غير معصية او اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد اخر اعطي بقدر بلغته • فان قلت فبما تعرف هذه
الصفات قلنا اما الفقر والمسكنة فبقول الاخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله اذا لم يعلم كذبه • واما
الغرم والسفر فهو امر مستقبل فيعطى بقوله اني غارم فان لم يف به استرد منه واما بقية الاصناف فلا بد فيها من البينة
فهذه شروط الاستحقاق فاما مقدار ما يصرف الى كل واحد فسياتي بيان وظايف القابض وهي خمسة • الاول ان
يفهم ان الله تعالى اوجب صرفه اليه ليكفي همه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله الخلق بان يكون همهم واحدا وهو
الله سبحانه واليوم الاخر وهو المعني بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن لما اقتضت الحكمة ان يسلط
على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفي الحاجات واكثر الاموال وصبها في ايدي
عباده لتكون الة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعتهم فمنهم من اكثر ماله لتجعله عليه فتنة وبلية فاقحمه في
الخطر ومنهم من احبه فحماه عن الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على يدي الاغنيا

لكون شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته منصبة الى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا يشغلهم عن التاهب الفاقة فهذا منتهى قدر النعمة لحق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه عنه اكثر من فضله فيما اعطاه كما سياتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه فلياخذ ما ياخذه من الله رزقا له وعونا على الطاعة فلتكن نيته فيه ان يتقوى على طاعة الله فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما اباحه الله سبحانه فان استعان به على معصية الله كان كافرا لنعمة الله مستحقا للبعد والمقت من الله تعالى **الثانية** ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله اليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله فقد قال صلى الله عليه من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد اثنى الله تعالى على عباده في مواضع على اعمالهم وهو خالقها وخالق القدرة عليها نحو قوله تعالى نعم العبد انه اواب الى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله تعالى قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في ارواح الشهداء وقال صلى الله عليه من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه ومن تمام الشكر ان يستر عيوب العطاء ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم لا تتعارض والنافع للمعطي ملاحظة اسباب التصغير ويضره خلافه والاخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله تعالى فان من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا **الثالثة** ان ينظر فيما ياخذه فان لم يكن من حله تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا ياخذ من اموال الاتراك والجنود وعمال السلاطين ومن اكثر كسبه من الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان ياخذ بقدر الحاجة فان فتوى الشرع في مثل هذا ان يتصدق به على ما سياتي بيانه في كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال فاذا اخذ لم يكن اخذه اخذ زكاة اذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام **الرابعة** ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما ياخذه فلا ياخذ الا القدر المباح ولا ياخذ الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان ياخذ بالكتابة او الغرامة فلا يزيد على قدر الدين وان كان ياخذ بالعمل فلا يزيد على اجرة المثل فان اعطي زيادة ابى وامتنع اذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به وان كان مسافرا لم يزد على الزاد وكرى الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم ياخذ الا ما يحتاج اليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان اخذ بالمسكنة فلينظر اولا الى اثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغني عنه بعينه او يستغني عن نفاسته فيمكن ان يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق وطرف اخر مقابل يتحقق معها انه غير مستحق وبينهما اوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الاخذ ظاهرا وللمحتاج في تقدير الحاجة مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل الى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا الى فنون من التوسع هو ممقوت في الشرع ثم اذا تحققت حاجته فلا ياخذ مالا كثيرا بل ما يتمم كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت اسباب الدخل ومن حيث ان رسول الله صلى الله عليه ادخر لعياله قوت سنة فهذا اقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهره او حاجة يومه فهو اقرب للتقوى ومذاهب العلماء في قدر الماخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد اوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسك بما روى سهل بن الحنظلية انه صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال صلى الله عليه غداؤه وعشاؤه وقال اخرون ياخذ الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكوة اذ لم يوجب الله تعالى الزكاة الا على الاغنياء فقالوا له ان ياخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكوة وقال قوم حد الغنى خمسون درهما لما روى بن مسعود انه صلى الله عليه قال من سال وله ما يغنيه جاء يوم القيمة في وجهه خموش قيل وما غناه قال خمسون او قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوي وقال قوم اربعون لما روى عطا بن يسار منقطعا انه صلى الله عليه قال من سال وله اوقية فقد الحف في السؤال وبالغ اخرون في التوسيع فقالوا له ان ياخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني بها طول عمره او يهيئ بضاعة ليتجر بها

ويستغني

ويستغني لان هذا هو الغنى وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا اعطيتم فاغنوا حتى ذهب قوم الى ان من افتقر فله ان ياخذ بقدر ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة الاف درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل ابا طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم اجعله في قرابتك فهو خير لك فاعطاه حسان وابا قتادة فحائط من نخل لرجلين كثير مغن واعطى عمر رضي الله عنه اعرابيا ناقة معها ظئرها فهذا ما حكي فيه فاما التقليل الى قوت اليوم او الاوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الابواب وذلك مستنكر وله حكم اخر بل التجويز الى ان يشتري ضيعة فيستغني بها اقرب الى الاحتمال وهو ايضا مائل الى الاسراف والاقرب الى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع استفت قلبك وان افتوك كما قال صلى الله عليه وسلم اذ الاثم حزاز القلوب فاذا وجد القابض في نفسه شيئا مما ياخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان لفتاويهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادة السالكين لطريق الاخرة **الخامسة** ان يسال صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا ياخذ منه لانه لا يستحق مع شريكه الا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف الى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على اكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة اما لجهل واما للتساهل وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسياتي مظان السؤال ودرجات الاحتمال في كتاب الحلال والحرام ان شاء الله تعالى

الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها واداب اخذها وعطائها ◦ فضيلة الصدقة من الاخبار قوله صلى الله عليه تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ◦ وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله عز وجل ياخذها بيمينه فيربيها له كما يربي احدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد ◦ وقال لابي الدرداء اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف ◦ وقال صلى الله عليه وسلم ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله تعالى له الخلافة على تركته وقال صلى الله عليه كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ◦ وقال صلى الله عليه الصدقة تسد سبعين بابا من السوء وقال صلى الله عليه صدقة السر تطفئ غضب الرب ◦ وقال صلى الله عليه ما المعطي من سعة افضل اجرا من الذي يقبل من حاجة ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تامل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان ◦ وقال صلى الله عليه يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندي دينارا فقال انفقه على نفسك فقال ان عندي اخر قال انفقه على زوجتك قال ان عندي اخر قال انفقه على ولدك قال ان عندي اخر قال انفقه على خادمك قال ان عندي اخر قال انت ابصر به ◦ وقال صلى الله عليه لا تحل الصدقة لال محمد انما هي اوساخ الناس وقال صلى الله عليه وسلم ردوا مذمة السائل ولو بمثل راس الطائر من الطعام ◦ وقال صلى الله عليه لو صدق السائل ما افلح من رده ◦ وقال عيسى عليه السلام من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة ايام ◦ وكان نبينا صلوات الله عليه لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده وقال ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا ◦ وقال صلى الله عليه ما من مسلم يكسو مسلما الا كان في حفظ الله عز وجل ما دامت عليه منه رقعة

الاثار قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين الفا وان درعها لمرقع وقال مجاهد في قول الله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما فقال وهم يشتهونه ◦ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون على اولي الحاجة منا ◦ وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه ◦ وقال ابن ابي الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها سبعين ضعفا وانها لتفك لحيي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا عبد الله سبعين سنة ثم اصاب فاحشة فاحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه

برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمله السبعين سنة ● وقال لقمن لابنه اذا اخطات خطيئة فاعط صدقة ● وقال يحيى بن معاذ ما اعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة ● وقال عبد العزيز بن ابي رواد كان يقال ثلاثة من كنوز البر كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان المصايب وروي مسندا ● وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكن ● وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم اني احب السكر ● وقال النخعي اذا كان الشي لله لا يسرني ان يكون فيه عيب ● وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيمة اجوع ما كانوا قط واعطش ما كانوا قط فمن اطعم لله اشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله ● وقال الحسن لو شا الله تعالى لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض ● وقال الشعبي من لم ير نفسه احوج الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته وضرب بها وجهه ● وقال مالك لا نرى بشرب المومن من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد باسا لانه انما جعل للعطشان من كان ولم يرد به اهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس اترضى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله عز وجل رضي في الحور العين بالفلس واللقمة

بيان اخفاء الصدقة واظهارها

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى ان الاخفا افضل ومال قوم الى الاظهار ونحن نشير الى ما في كل واحد من المعاني والافات ثم نكشف الغطا عن الحق فيه اما الاخفا ففيه خمسة معان الاول انه ابقا للستر على الاخذ فان اخذه ظاهرا هتك لستر المروة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف ● الثاني انه اسلم لقلوب الناس ولالسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه ويظنون انه اخذ مع الاستغنا او ينسبونه الى اخذ زيادة والحسد وسو الظن والغيبة من الذنوب الكبار وصيانتهم عن هذه الجرايم اولى ● وقال ايوب السختياني اني لاترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث في جيراني حسد ● وقال بعض الزهاد ربما اترك استعمال الشي من اجل اخواني يقولون من اين له هذا وعن ابرهيم التيمي انه راى عليه قميص جديد فقال بعض اخوانه من اين لك هذا فقال كسانيه اخي خيثمة ولو علمت ان اهله علموا به ما قبلته الثالث اعانة المعطي على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطا اكثر والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما اظهر هذا انكشف امر المعطي ● ودفع رجل الى بعض العلما شيا ظاهرا فرده ودفع اليه اخر شيا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب في اخفا معروفه فقبلته وذاك اسا ادبه في عمله فرددت عليه ● واعطى رجل بعض الصوفية شيا في الملا فرده فقيل له لم ترد على الله ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله فيما لله ولم تقنع بعين الله عز وجل فرددت عليك شركك ● وقبل بعض العارفين في السر شيا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله في الجهر فلم اكن عونا لك على المعصية واطعته بالاخفا فاعنتك على برك ● وقال الثوري لو علمت ان احدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلت صلته الرابع ان في الاظهار للاخذ ذلا وامتهانا وليس للمومن ان يذل نفسه ● كان بعض العلما ياخذ في السر ولا ياخذ في العلانية ويقول في اظهاره اذلال للعلم وامتهان لاهله فما كنت بالذي ارفع شيا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم من اهدي اليه هدية وعنده قوم فهم شركاوه فيها وبان يكون ورقا او ذهبا لا يخرج عن كونه هدية ● قال صلى الله عليه وسلم افضل ما اهدى الرجل الى اخيه ورقا او يطعمه خبزا فجعل الورق هديته بانفراده فما يعطي في الملا مكروه الا برضى جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم عن هذه الشبهة

واما الاظهار

والتحدث به ففيه معان اربعة الاول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراياة ● والثاني اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبريا ودعوى الاستغنا واسقاط النفس من اعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال ان كنت اخذا فانك لا تخلو من احد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه اسلم لدينك واقل لافات نفسك او رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق فذلك هو الذي يريد اخوك لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتوجر انت اذ كنت سبب مزيد ثوابه الثالث هو ان العارف لا نظر له الا الى الله والسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبا بدعا من ياخذ في السر ويرد في العلانية والا الى الخلق حضروا ام غابوا نقصان في الحال بل ينبغي ان يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد حكي ان بعض الشيوخ

كان

كان كثير الميل الى واحد من جملة المريدين فشق على الاخرين فاراد ان يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه احد فانفرد كل واحد منهم وذبح الا ذلك المريد فانه رد الدجاجة فسالهم فقالوا فعلنا ما امرنا الشيخ وقال ذلك المريد لم اقدر عليه فان الله سبحانه كان يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا الشان اميل اليه لانه لا يلتفت الى غير الله تعالى الرابع ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران للنعمة وقد ذم الله تعالى من كتم ما اتاه الله من فضله وقرنه بالبخل وقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله ● وقال صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله عز وجل على عبد نعمة احب ان يرى عليه ● واعطى رجل بعض العارفين شيا في السر فرفع به يده فقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل والسر في امور الاخرة افضل ● ولذلك قال بعضهم اذا اعطيت في الملا فخذ ثم اردد في السر والشكر محثوث عليه قال صلى الله عليه من لم يشكر الناس لم يشكر الله والشكر قايم مقام المكافاة حتى قال صلى الله عليه من اسدى اليكم معروفا فكافيوه فان لم تستطيعوا فاثنوا عليه خيرا وادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافيتموه ● ولما قالت المهاجرون في الشكر يا رسول الله ما راينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الاموال حتى خفنا ان يذهبوا بالاجر كله فقال صلى الله عليه وسلم كلما شكرتم لهم واثنيتم به عليهم فهو مكافاة ● فالان اذا عرفت هذه المعاني فاعلم ان ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسالة بل هو اختلاف حال فكشف الغطا في هذا انا لا نحكم حكما بان الاخفا افضل في كل حال او الاظهار افضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغي ان يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع اغلب في معاني الاخفا منه في الاظهار مع ان له دخلا في كل واحد منهما ● فاما مدخل الخداع في الاسرار فمن ميل الطبع اليه لما فيه من خفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن اعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدرا والى المعطي بعين المنعم المحسن اليه فهذا هو الداء الدفين ويسكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه امر واحد وهو ان يكون تالمه لانكشاف اخذه للصدقة كتالمه بانكشاف صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله فانه ان كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسو الظن او يتقي انتهاك الستر او اعانة المعطي على الاسرار او صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة اخيه فان كان انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف امر غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني اغاليط واباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال العلم محظور من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد او علم عمرو والغيبة محظورة من حيث انه تعرض لعرض مصون لا من حيث انه تعرض لعرض زيد على الخصوص ● ومن احسن ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ ● واما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب لقلب المعطي واستحثاث له على مثله واظهار عند غيره انه من المبالغين في الشكر حتى يرغبوا في اكرامه وتفقده وهذا داء دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين الا بان يروج عليه هذا الخبث في معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفا من الريا ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في عطاياه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفايها وعادتهم انهم لا يعطون الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور ثم اذا علم ان باعثه السنة فلا ينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطي فلينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي ان يخفي ولا يشكر لان قضاء حقه ان لا ينصره على الظلم وطلبه للشكر ظلم واذا علم من حاله انه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ● ولذلك قال صلى الله عليه للرجل الذي مدح بين يديه ضربت عنقه لو سمعها ما افلح مع انه صلى الله عليه كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد انه سيد اهل الوبر ● وقال صلى الله عليه في اخر اذا جاكم كريم قوم فاكرموه ● وسمع كلام رجل فاعجبه فقال ان من البيان لسحرا ● وقال اذا علم احدكم من اخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير ● وقال عليه السلام اذا مدح المومن ربا الايمان في قلبه ● وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس ● وقال ايضا ليوسف بن اسباط اذا اوليتك معروفا كنت انا اسر به منك ورايت ذلك نعمة من الله تعالى علي فاشكر والا فلا تشكر فدقايق هذه المعاني ينبغي ان يلحظها من يراعي قلبه فان اعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقايق

ضحكة للشيطان وسماته له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه ان تعلم مسئلة واحدة افضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم يحيى عبادة العمر وبالجهل به يموت عبادة العمر ويتعطل وعلى الجملة فالاخذ في الملا والرد في السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغي ان يدفع بالتزويقات الا ان تكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى

بيان الافضل من اخذ الصدقة والزكاة

كان ابرهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة افضل فان في اخذ الزكاة مزاحمة المساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا يكمل في اخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب واما الصدقة فالامر فيها اوسع قال قايلون ياخذ الزكوة دون الصدقة لانه اعانة على واجب ولو ترك المساكين كلهم اخذ الزكوات لاثموا ولانه لا منة فيها وانما هو حق واجب لله تعالى رزقا لعباده المحتاجين ولانه اخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا واخذ الصدقة اخذ بالدين فان الغالب ان المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا ولان موافقة المساكين ادخل في الذل والمسكنة وابعد عن التكبر اذ قد ياخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا يتميز عنده وهذا تنصيص على ذل الاخذ وحاجته والقول الحق في هذا ان هذا يختلف باحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النية فان كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي ان ياخذ الزكوة واذا علم انه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه في قضايه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين الزكوة وبين الصدقة فان كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم ياخذه هو فلياخذ الصدقة فان الزكوة الواجبة يصرفها صاحبها الى مستحقها ففي ذلك تكثير الخير وتوسيع للمساكين وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في اخذ الزكوة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما يتفاوت واخذ الزكاة اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال

كتاب اسرار الصوم

وهو السادس من ربع العبادات من جملة كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اعظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد امله وخيب ظنه اذ جعل الصوم حصنا لاوليايه وجنة وفتح لهم به ابواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان الى قلوبهم الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنة والصلاة على محمد قايد الخلق وممهد السنة وعلى اله واصحابه ذوي الابصار الثاقبة والعقول المرجحة وسلم كثيرا اما بعد فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله عليه السلام الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين ساير الاركان اذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وقد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضله قوله عليه السلم والذي نفسي بيده لخلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تعالى انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلي فالصيام لي وانا اجزي به وقال صلى الله عليه للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصايمون وهو موعود بلقاء الله في جزاء صومه قال عليه السلام للصايم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه وقال عليه السلم لكل شي باب وباب العبادة الصوم وقال صلى الله عليه وسلم نوم الصايم عبادة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه قال اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية هي ايام الصيام اذ تركوا فيها الاكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال ان الله تبارك وتعالى يباهي ملايكته بالشاب العابد فيقول ايها الشاب التارك شهوته لاجلي المبذل شبابه لي انت عندي كبعض ملايكتي وقال صلى الله عليه في الصايم يقول الله تعالى يا ملايكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلي وقيل في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فيفرغ للصايم افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان

الصوم انما كان له ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة الى نفسه والارض كلها له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه الا الله تعالى فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال صلى الله عليه لعايشة رضي الله عنها داومي قرع باب الجنة قالت بماذا قال بالجوع وسياتي فضايل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله ففي قمع عدو الله نصرة لله ونصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله ولذلك قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وانما التغيير بكسر الشهوات فهي مراتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم اليها وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله تعالى وكان محجوبا عن لقايه قال رسول الله صلى الله عليه لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السما فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلابد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر اركانه وسننه وشروطها الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول

الفصل الاول في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم

اما الواجبات الظاهرة فستة الاول مراقبة اول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فباستكمال ثلثين يوما من شعبان ونعني بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه واذا رأى الهلال ببلدة ولم ير باخرى وكان بينهما اقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان اكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب **الثاني** النية ولابد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى ان يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عنينا بقولنا كل ليلة فلو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذي عنيناه بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا او الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوي فريضة الله صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه فانها ليست بنية جازمة الا ان تستند نيته الى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل او كذبه لا يبطل الجزم او يستند الى استصحاب كالشك في الليلة الاخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية او يستند الى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان اصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره لانه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه التردد بل هو قاطع بانه من رمضان ولو نوى ليلا ثم اكل لم تفسد نيته ولو نوت في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها **الثالث** الامساك عن ايصال شي الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل في الاذن والاحليل الا ان يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق او ذبابة تسبق الى جوفه او ما يسبق الى جوفه في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ في المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذي اردنا بقولنا عمدا واما ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسي فانه لا يفطر اما من اكل عامدا في طرفي النهار ثم ظهر له انه اكل نهارا بالتحقيق فعليه القضا وان بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضا عليه ولا ينبغي ان ياكل في طرفي النهار الا بنظر واجتهاد **الرابع** الامساك عن الجماع وحده تغييب الحشفة فان جامع ناسيا لم يفطر وان جامع ليلا او احتلم فاصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر وهو مخالط اهله فنزع في الحال صح صومه فان صبر فسد صومه ولزمته الكفارة **الخامس** الامساك عن الاستمنا وهو اخراج المني قصدا بجماع او بغير جماع فان ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا ان يكون شيخا او مالكا لاربه فلا باس بالتقبيل وتركه اولى وان كان يخاف من التقبيل ان ينزل فقبل وسبق المني افطر لتقصيره **السادس**

الامساك عن اخراج القي فالاستقاء يفسد الصوم وان ذرعه القي لم يفسد صومه وان ابتلع نخامة من حلقه او صدره
لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى بها الا ان يبتلعه بعد وصوله الى فيه فانه يفطر عند ذلك **واما لوازم الافطار**
فاربعة القضا والكفارة والفدية والامساك بقية النهار تشبها بالصايمين اما القضا فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك
الصوم بعذر او بغير عذر فالحايض تقضي الصوم وكذلك المرتد اما الكافر والصبي والمجنون فلا قضا عليهم ولا يشترط
التتابع في قضا رمضان ولكن يقضي كيف شا متفرقا ومجموعا واما الكفارة فلا تجب الا بالجماع اما الاستمنا والاكل والشرب وما عدا
الجماع فلا تجب به كفارة والكفارة عتق رقبة فان اعسر فصوم شهرين متتابعين فان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا ه واما
الامساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ولا يجب على الحايض اذا طهرت بقية نهارها ولا على المسافر اذا قدم مفطرا
من سفر بلغ مرحلتين ويجب الامساك اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر افضل من الفطر لمن قوي عليه
الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في اوله ولا يوم يقدم اذا قدم صايما **واما الفدية** فتجب على الحامل والمرضع
اذا افطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضا والشيخ الهرم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا **واما
السنن** فستة تاخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر او الما قبل الصلوة وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان لما
سبق من فضايله في الزكاة ومدارسة القران والاعتكاف في المسجد لاسيما في العشر الاخير فهي عادة رسول الله كان اذا دخل
العشر الاواخر طوى الفراش وشد المئزر ودأب معه اهله اي اداموا النصب في العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب انها في
اوتارها واشبه الاوتار ليلة احدى وثلث وخمس وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف اولى فان نذر اعتكافا متتابعا او نواه
انقطع بالخروج تتابعه من غير ضرورة كالوخرج لعيادة او شهادة او جنازة او زيارة او تجديد طهارة وان خرج لقضا الحاجة لم ينقطع
وله ان يتوضا في البيت ولا ينبغي ان يعرج على شغل اخر كان عليه السلم لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسال عن المريض الا مارا
وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا باس في المسجد بالتطيب وعقد النكاح وبالاكل والنوم وغسل اليد في الطست
وكل ذلك قد يحتاج اليه في التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه ه كان رسول الله صلى الله عليه يدني راسه فترجله عايشه
ام المومنين رضي الله عنها وهي في الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضا حاجة واذا عاد ينبغي ان يستانف النية الا اذا كان قد نوى
اولا عشرة ايام مثلا والافضل مع ذلك التجديد

الفصل الثاني في اسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم
ان الصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج
عن قضا الشهوة كما سبق تفصيله ه واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وساير الجوارح عن الاثام
واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية ويحصل الفطر
في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الاخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد الاخرة وليس من الدنيا
حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله
وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبيا والصديقين والمقربين ولا نطول النظر في تفصيله قولا ولكن في تحقيقه عملا
فانه اقبال بكنه الهمة على الله سبحانه وتعالى وانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الاثام وتمامه بستة امور الاول غض البصر وكفه عن
الاتساع في النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله قال صلى الله عليه النظرة سهم مسموم من سهام
ابليس لمن تركها خوفا من الله اتاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه ه وروى جابر عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
خمس يفطرن الصايم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة **الثاني** حفظ اللسان عن الهذيان و
الكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفا والخصومة والمرا والزامه السكوت وشغله بذكر الله تعالى وتلاوة القران فهذا
صوم اللسان ه وقد قال سفين الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحرث عنه ه وروى الليث عن مجاهد خصلتان يفسدان
الصوم الغيبة والكذب وقد قال صلى الله عليه وسلم انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صايما فلا يرفث ولا يجهل وان
امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صايم اني صايم ه وجا في الخبر ان امراتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه فاجهدهما
الجوع والعطش من اخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه تستاذناه في الافطار فارسل اليهما
قدحا وقال قل لهما قيا فيه ما اكلتما فقاءت احديهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملاتاه

الناس من ذلك فقال النبي صلى الله عليه هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت احديهما الى
الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم **الثالث** كف السمع عن الاصغا الى كل مكروه لان كل ما حرم الله سبحانه
قوله حرم الاصغا اليه ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع وبين اكل السحت فقال سماعون للكذب اكالون للسحت ه وقال
لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت فالسكوت على الغيبة حرام ه وقال ايضا فلا تقعدوا معهم حتى
يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ه ولذلك قال صلى الله عليه المغتاب والمستمع شريكان في الاثم **الرابع** كف
بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو كف عن الطعام
الحلال ثم الافطار على الحرام فمثاله هذا الصايم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه
فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدوا خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام سم يهلك الدين
والحلال دوا ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه كم من صايم ليس له من صومه الا الجوع والعطش
فقيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ
جوارحه عن الاثام **الخامس** ان لا يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلي فما من وعا ابغض الى الله من بطن ملي من حلال
وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصايم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان
الطعام حتى استمرت العادات بان تدخر جميع الاطعمة لرمضان فيوكل من الاطعمة فيه ما لا يوكل في غيره في عدة اشهر ومعلوم
ان مقصود الصوم الخوا وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشا حتى هاجت
شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعثت من الشهوات ما عساها
كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسايل الشيطان في العود الى الشرور ولن
يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل اكلته التي كان ياكلها كل ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان ياكل ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلن
ينتفع بصومه بل من الاداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه
ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده واوراده فعسى الشيطان ان لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السما
وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شي من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ومن جعل
بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عن ملكوت السما محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل
همته عن غير الله وذلك هو الامر كله ومبدا جميع ذلك تقليل الطعام وسياتي له مزيد بيان في كتاب الاطعمة ان شا الله
السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجا اذ ليس يدري ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه
فهو من الممقوتين وليكن ذلك في اخر كل عبادة يفرغ منها نفسه ه روي عن الحسن البصري انه مر بقوم يوم العيد وهم
يضحكون فقال ان الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف
اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون اما والله لو
كشف الغطا لاشتغل المحسن باحسانه والمسي باسايته اي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه
باب الضحك ه وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال اني اعده لسفر طويل والصبر على طاعة
الله اهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج
وترك هذه المعاني فقد قال الفقها صومه صحيح فما معناه فاعلم ان فقها الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادلة هي اضعف
من هذه الادلة التي اوردناها في هذه الشروط الباطنة لاسيما الغيبة وامثالها ولكن ليس الى فقها الظاهر من التكليفات
الا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فاما علما الاخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول
الى المقصود ويفهمون ان المقصود من الصوم التخلق بخلق من اخلاق الله تعالى وهو الصمدية والاقتدا بالملايكة بالكف عن الشهوات
بحسب الامكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهايم بقدرته بنور العقل على كسر شهوته
ودون رتبة الملايكة لاستيلا الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط الى اسفل
السافلين والتحق بغمار البهايم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى اعلى عليين والتحق بافق الملايكة والملايكة مقربون من الله
والذي يقتدي بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب من الله تعالى كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل

بالصفات وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأي جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند
العشاء مع الانهماك في الشهوات الأخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى فأي معنى لقوله صلى الله عليه وسلم كم من صائم
ليس له من صومه إلا الجوع والعطش • ولهذا قال أبو الدرداء يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يعيبون صوم الحمقى
وسهرهم ولذرة من ذي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال العلماء كم من صائم
مفطر وكم من مفطر صائم فالمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذي
يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام
كمن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات فقد وافق في الظاهر العدد إلا أنه ترك المهم وهو الغسل فصلاته
مردودة عليه بجهله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة فصلاته متقبلة لا
الأصل وإن ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال وقد
قال صلى الله عليه وسلم إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته • ولما تلا قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى
أهلها وضع يديه على سمعه وبصره فقال السمع أمانة والبصر أمانة ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه فليقل إني صائم
إني أودعت لساني لأحفظه فكيف أطلقه بجوابك فإذا قد ظهر لك أن لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشورها درجات
ولكل درجة طبقات فإليك الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب

الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه • اعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة وفواضل
الأيام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها في كل شهر وبعضها في كل أسبوع أما في السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم
عاشوراء والعشر الأول من ذي الحجة والعشر الأول من المحرم وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم وهي أوقات فاضلة وكان
صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه من رمضان • وفي الخبر أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله تعالى
المحرم ولأنه أول ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته • وقال صلى الله عليه وسلم صوم يوم من شهر
حرام أفضل من صوم ثلثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام • وفي الحديث من صام ثلاثة أيام
من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له عبادة سبع مائة عام • وفي الخبر إذا كان النصف من شعبان فلا صوم
حتى رمضان ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما فإن وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه مرة
وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين وثلاثة إلا أن يوافق وردا له • وكره بعض الصحابة أن
يصام رجب كله حتى لا يضاهي بشهر رمضان فالأشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان • والأشهر الحرم ذو
القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاث سرد وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات
وذو القعدة من الأشهر الحرم وأشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج • وفي
الخبر ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه
يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا من عقر جواده وأهريق دمه • وأما
ما يتكرر في الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الأيام البيض وهو الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر • وأما
في الأسبوع فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة
هذه الأوقات وأما صوم الدهر فإنه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك إذ وردت فيه أخبار
تدل على كراهيته والصحيح أنه إنما يكره لشيئين أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله والآخر أن يرغب عن
السنة في الإفطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع أن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه فإذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه
في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم • وقال صلى الله عليه فيما رواه أبو موسى
الأشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم
نصف الدهر بأن يصوم يوما ويفطر يوما وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها وقد ورد في فضله أخبار لأن العبد
بين صبر يوم وشكر يوم وقال صلى الله عليه عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض فرددتها وقلت أجوع يوما
وأشبع يوما أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت وقال صلى الله عليه أفضل الصيام صوم أخي داود كان يصوم

يوما

يوما ويفطر يوما ومن ذلك منازلته صلى الله عليه لعبد الله بن عمرو في الصوم وهو يقول إني أريد أفضل من ذلك فقال صلى الله
عليه صم يوما وأفطر يوما فقال أريد أفضل من ذلك فقال عليه السلام لا أفضل من ذلك وقد روي أنه صلى الله عليه ما صام
شهرا كاملا قط إلا رمضان بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو أن يصوم يوما ويفطر
يومين فإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من أوسطه وثلاثة من آخره فهو ثلث وواقع في الأوقات الفاضلة وإن صام الاثنين
والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث فإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية
القلب وتفريغ الهمة لله عز وجل والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي
دوام الفطر وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم فإذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه
صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روي أنه صلى الله عليه كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم
وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات
وقد كره العلماء أن يوالي بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تقديرا بأيام العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقسي القلب
ويولد ردي العادات ويفتح أبواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لا سيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين
فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله أعلم

كتاب أسرار الحج ومهماته

وهو الكتاب السابع من إحياء علوم الدين من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا • وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا
وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا • وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا •
والصلاة على محمد نبي الرحمة وسيد الأمة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم كثيرا • أما بعد فإن الحج
من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين فيه أنزل الله تعالى قوله اليوم أكملت
لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا • وفيه قال صلى الله عليه من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا
وإن شاء نصرانيا فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال وتساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال وأجدر بها
أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله تعالى
في ثلاثة أبواب **الباب الأول** في فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل أركانها وشرائط وجوبها
الباب الثاني في أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع **الباب الثالث** في آدابها الدقيقة
وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة فلنبدأ **بالباب الأول** وفيه فصلان الفصل الأول في فضائل
الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة وشد الرحال إلى المشاهد العظام **فضيلة الحج** قال الله تعالى وأذن في
الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر قال قتادة لما أمر الله تعالى إبراهيم صلوات الله عليه أن يؤذن في الناس
بالحج نادى يا أيها الناس إن الله بنى بيتا فحجوه • وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في الموسم والأجر في الآخرة
ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة • وقيل في تفسير قوله تعالى لأقعدن لهم صراطك المستقيم أي طريق
مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس عنها • وقال صلى الله عليه وسلم من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من
ذنوبه كيوم ولدته أمه • وقال أيضا ما رئي الشيطان في يوم هو أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة
وما ذلك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إذ يقال إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف
بعرفة وقد أسنده جعفر بن محمد عن أبيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم • وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن
إبليس ظهر له في صورة شخص بعرفة فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي أبكى
عينك قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي أنحل جسمك قال
صهيل الخيل في سبيل الله ولو كانت في سبيلي كان أحب إلي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الناس على الطاعة ولو تعاونوا
على المعصية كان أحب إلي قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتا متى يعجب هذا

بعمله لخائف ان يكون قد فطن وقال صلى الله عليه من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجرى له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة ومن مات في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال صلى الله عليه حجة مبرورة خير من الدنيا بما فيها وحجة مبرورة ليس لها اجر الا الجنة وقال صلى الله عليه وسلم الحجاج والعمار وفد الله تعالى وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوه استجاب لهم وان شفعوا شفع لهم ● وفي حديث مسند من طريق اهل البيت اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله لم يغفر له ● وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه انه قال ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين ● وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فانه من اجل شي تجدونه في صحفكم يوم القيامة واغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة ● وفي الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه ويقال ان الله تعالى اذا غفر ذنبا للعبد في الموقف غفر ذلك الذنب لكل من اصابه في ذلك الموقف ● وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل اهل عرفة وهو افضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل قول الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا قال اهل الكتاب لو انزلت هذه الاية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه اشهد لقد انزلت هذه الاية في يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وهو واقف بعرفة ● وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج ● وروي ان علي بن الموفق حج عن رسول الله صلى الله عليه حججا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه في المنام فقال لي يا ابن الموفق حججت عني قلت نعم قال لي ولبيت عني قلت نعم قال فاني اكافيك بها يوم القيمة اخذ بيدك في الموقف وادخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب ● وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا ● وقال الحسن من مات عقيب رمضان او عقيب غزو او حج مات شهيدا ● وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحاج مغفور له ومن استغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشر من ربيع الاول ● وقد كان من سنة السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسالوهم الدعا لهم ويبادروا ذلك قبل ان يتدنسوا بالاثام ● ويروى عن علي بن الموفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة بت بمنى في مسجد الخيف فرايت في المنام كان ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه يا عبد الله فقال الاخر لبيك يا عبد الله قال اتدري كم حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا ادري قال حج بيت ربنا ستمائة الف فتدري كم قبل منهم قال لا قال قبل منهم ستة انفس قال ثم ارتفعا في الهوى فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل حج ستة انفس فاين اكون انا في ستة انفس فلما افضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت افكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا انا بالشخصين قد نزلا على هيئتهما فنادى احدهما صاحبه واعاد ذلك الكلام بعينه ثم قال اتدري ماذا حكم ربنا في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة الف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف ● وعنه ايضا قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لم يتقبل منه حجه فقلت اللهم اني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم يتقبل حجه قال فرايت رب العزة جل جلاله في النوم فقال يا علي تتسخى علي وانا خلقت السخا وانا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم اقبل حجه لمن قبلته

فضيلة البيت ومكة

قال رسول الله صلى الله عليه ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله تعالى بالملائكة وان الكعبة تحشر يوم القيامة كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه يقبله كثيرا ● وروي انه صلى الله عليه سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فراى عليا

رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن ها هنا تسكب العبرات فقال علي رضي الله عنه يا امير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله تعالى لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفا وعلى الكافر بالجحود ● قيل فذلك معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك ● وروي عن الحسن البصري ان صوم يوم فيها بمائة الف وصدقة درهم بمائة الف درهم وكذلك كل حسنة بمائة الف ويقال طواف سبعة اسابيع تعدل عمرة وثلث عمر تعدل حجة ● وفي الخبر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عمرة في رمضان تعدل حجة ● وقال صلى الله عليه انا اول من تنشق الارض عنه ثم اتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم اتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبر ان ادم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام ● وجاء في الاثر ان الله تعالى ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن راه طائفا غفر له ومن راه مصليا غفر له ومن راه قائما مستقبل الكعبة غفر له وكوشف بعض الاولياء قال رايت الثغور كلها تسجد لعبادان ورايت عبادان ساجدة لجدة ● ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع القران من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القران من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى بن مريم صلوات الله عليه فيقتل الدجال والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب تتوقع ولادتها ● وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة ● وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه انه قال قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا بدات ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره

فضيلة المقام بمكة وكراهته

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة الاول خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام ولهذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم ● ولذلك ايضا هم عمر رضي الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يانس الناس بهذا البيت ● الثاني تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس اي يثوبون ويترددون اليه مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا ● وقال بعضهم لان تكون في بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من ان تكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك في بلد اخر ● وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله تعالى ● الثالث الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطر وبالحري ان يورث مقت الله تعالى لشرف الموضع وروي عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر اصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله تعالى اشكو ثم اليك يا جبريل ما القى من الطائفين حولي من تفكههم بالحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه ● وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهمة قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه على مجرد الارادة ويقال ان السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات ● وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الالحاد في الحرم وقيل الكذب ايضا ● وقال ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركية احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطائف ولذلك لخوف انتهى بعض المقيمين الى انه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم اقام شهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء اجور دور مكة ولا تظنن ان كراهة المقام يناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام بها افضل اي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم اما ان يكون افضل من المقام مع الوفاء بحق البقعة فهيهات وكيف لا ● ولما عاد رسول الله صلى الله عليه الى مكة استقبل الكعبة وقال انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الي ولولا اني اخرجت منك ما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناها

فضيلة مدينة رسول الله على سائر البلاد

ما بعد مكة بقعة افضل من مدينة الرسول صلى الله

عليه فالاعمال فيها تتضاعف قال رسول الله صلى الله عليه صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ولذلك كل عمل بالمدينة بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلاة فيها بخمس مائة صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ولذلك سائر الاعمال ● وروى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه انه قال صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الاقصى بماية الف صلاة وقال صلى الله عليه لم يصبر على شدتها ولأوائها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وقال من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيه فضل ولذلك قال صلى الله عليه لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى ● وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصالحين وما تبين لي ان الامر كذلك بل الزيارة مامور بها ● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا والحديث ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد الا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر واما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله تعالى نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله ان يشد الرحل الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابراهيم وموسى ويحيى وغيرهم صلوات الله عليهم والمنع من ذلك في غاية الاحالة واذا جوز ذلك فقبور الاولياء والعلماء والصلحاء في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلماء في الحياة من المقاصد هذا في الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة علم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة فهو افضل المواضع له قال رسول الله صلى الله عليه البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر من بورك له في شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه ● وقال ابو نعيم رايت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه واخذ نعليه بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال الى بلد املا فيه جرابي بدرهم ● وفي حكاية اخرى بلغني عن قرية فيها رخص اقيم بها قال فقلت وتفعل هذا يا ابا عبد الله فقال نعم اذا سمعت ببلد فيه رخص فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكى عنه انه قال والله ما ادري اي البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل له فالشام قال يشار اليك بالاصابع اراد الشهرة قيل له فالعراق قال بلد الجبابرة قيل له فمكة قال مكة تذيب الكيس والبدن ● وقال له رجل عزمت على المجاورة بمكة فاوصني قال اوصيك بثلاث لا تصحبن قرشيا ولا تصلين في الصف الاول ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الاول من اجل الشهرة فيختلط بعمله التزين والتصنع

الفصل الثاني في شروط وجوب الحج واركانه وواجباته ومحظوراته

اما الشرائط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره واما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوفا على النسك ايام منى فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله باعمال منى واما شرط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان احرم الصبي او العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزاهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما الا دم شاة وتشترط هذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت واما شرط وقوع الحج تطوعا عن الحر البالغ فبراءة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام يتقدم ثم القضاء لمن افسده في حالة الوقوف ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه ● واما شرط لزوم الحج فخمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد دخول مكة لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة او حج ● واما الاستطاعة فنوعان احدهما المباشر ولذلك اسباب اما في نفسه فالصحة واما في الطريق فان يكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر واما في المال فان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه كان له اهل او لم يكن له اهل لان مفارقة الوطن شديد وان يملك نفقة من يلزمه نفقته في هذه المدة وان يملك ما يقضي به ديونه وان يقدر على راحلة او كرائها بمحمل او زاملة ان استمسك على الزاملة ● واما النوع الثاني فاستطاعة المعضوب بماله وذلك بان يستاجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام عن نفسه ويكفي نفقة الذهاب براملة في هذا النوع والابن اذا عرض طاعته على الاب الزمن صار بذلك مستطيعا وان عرض عليه ماله لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج لقي الله عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص كسائر ديونه وان استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله قال عمر رضي الله عنه وهو يومئذ امير المؤمنين لقد هممت ان اكتب الى الامصار بان تضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا ● وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت عليه ● وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه ● وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سال الرجعة الى الدنيا وقرا قول الله تعالى قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال الحج ● واما الاركان التي لا يصح الحج دونها فخمسة الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق بعدها على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف ● والواجبات المجبورة بالدم ستة الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمي فيه الدم قولا واحدا ● واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على احد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب واما وجوه اداء الحج والعمرة فثلاثة الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر وافضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا ان يتطوع ● الثاني القران وذلك ان يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما تندرج الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه محسوب من النسكين واما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض في الحج ان يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شيء عليه لانه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة ● الثالث التمتع وذلك ان يجاوز الميقات بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات في الاحرام الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمس شرائط احدها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة ● الثاني ان يقدم العمرة على الحج ● الثالث ان يكون عمرته في اشهر الحج ● الرابع ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج ● الخامس ان يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج قبل يوم النحر متفرقة او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن فان لم يصم الثلاثة حتى رجع الى الوطن صام العشرة متتابعة او متفرقة وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران ● واما محظورات الحج والعمرة فستة الاول لبس القميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فمكعبين وان لم يجد ازارا فسراويل ولا باس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا ينبغي ان يغطي راسه فان احرامه في الراس وللمراة ان تلبس كل مخيط بعد ان لا تستر وجهها بما يماسه فان احرامها في وجهها ● الثاني الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب او لبس فعليه دم شاة ● الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة ولا باس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر ● الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة او سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمه بدنة ولم يفسد حجه ● الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التي تنقض الوضوء مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد ● السادس قتل صيد البر اعني ما يؤكل او ما هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه

الباب الثاني

في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل

الجملة الاولى

في السنن من اول

الخروج الى الاحرام وهي ثمانية الاول في المال ينبغي ان يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من يلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودايع ويستصحب المال من الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه مع التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف او يكتريها فان اكترى فليظهر للمكاري كلما يريد ان يحمله من كثير وقليل ويحصل رضاه فيه الثانية في الرفيق ينبغي ان يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره ويودع المقيمين واخوانه فيودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل في ادعيتهم البركة والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينكم وامانتكم وخواتيم اعمالكم وكان عليه السلام يقول لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت الثالثة في الخروج من المنزل ينبغي اذا هم بالخروج من منزله ان يصلي اولا ركعتين يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله تعالى عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم انا نسألك ان تطوي لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا هذا سلامة الدين والبدن والمال وان تبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد عليه السلام اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك الرابعة فاذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او اضل او اذل او اذل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي اللهم لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الى لقائك فاذا مشيت فقل اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه الخامسة في الركوب فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اني وجهت وجهي كله اليك وفوضت امري كله اليك وتوكلت في جميع اموري كلها عليك انت حسبي ونعم الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور السادسة في النزول والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون له ذلك عونا على السفر ومهما اشرف على منزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسألك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر اهله وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم قل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل فليقل يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم السابعة ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نمت في ابتداء الليل فافرش ذراعيك وان نمت في آخر الليل فانصب ذراعيك واجعل رأسك في كفك هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه في اسفاره فانه ربما يستثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة افضل مما يناله من الحج والاحب بالليل ان يتناوب الرفيقان الحراسة فاذا نام احدهما حرس الآخر وذلك السنة فان قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله وقل هو الله احد والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برأفة ورحمة انك انت ارحم الراحمين الثامنة مهما علا شرفا او نشزا من الارض فيستحب ان يكبر ثلاثا ثم ليقل اللهم لك

الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت

الجملة الثانية آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة الاول ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام اعني اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه ويتمم غسله بالتنظيف ويسرح راسه ولحيته ويقلم اظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة الثاني ان يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوب الاحرام فيرتدي ويتزر بثوبين ابيضين فالافضل من الثياب البيض وهي احب الثياب الى الله تعالى ويتطيب في بدنه وثيابه ولا باس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام فقد رأى وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام الثالث ان يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا او يبتدي بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او بالعمرة قرانا او افرادا كما اراد ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك فان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك والعمل لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الرابع اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة فيستحب له ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني على اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك الذين رضيت وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لي اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعري وبشري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها الخامس يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا صوته بحيث لا يبح حلقه ولا يبهر فانه لا ينادي اصم ولا غائبا كما ورد في الحديث ولا باس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلثة فانها مظنة المناسك اعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما ساير المساجد فلا باس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان رسول الله صلى الله عليه اذا اعجبه شيء قال لبيك لبيك ان العيش عيش الآخرة ۝ هـ ۝

الجملة الثالثة في آداب دخول مكة الى الطواف وهو ستة الاول ان يغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغتسالات المستحبة المسنونة في الحج تسعة الاول للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلثة اغتسالات لرمي الجمرات الثلاث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي رحمه الله في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فيعود الى سبعة الثاني ان يقول عند الدخول في اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على النار وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك الثالث ان يدخل مكة من جانب الابطح وهي من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والاولى هي العليا الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى راس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي ابواب رحمتك وادخلني جنتك واعذني من الشيطان الرجيم الخامس اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك وعلى ابرهيم خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم اني اسألك في مقامي هذا في اول مناسكي ان تقبل توبتي وتتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك اسألك مسألة المضطر الخائف عقوبتك الراجي رحمتك الطالب مرضاتك السادس ان يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ويقبله ويقول اللهم امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته اشهد لي بالوفاء فان لم يستطع التقبيل فليقف في مقابلته وليقل ذلك ثم لا يعرج على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم الا ان يجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف

الجملة الرابعة في الطواف فاذا اراد افتتاح الطواف

كدى بفتح الكاف عند رسول الله صلى الله عليه [illegible]
من جادة الطريق الثانية فالثانية اولى [illegible]

وهو طواف القدوم الان يجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف اما القدوم او غيره لغيره فينبغي ان يراعي امورا ستة **الاول**
ان يراعي شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمطاف وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله تعالى
اباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتدا الطواف وهو ان يجعل وسط ازاره تحت ابطه اليمنى ويجعل طرفيه على منكبه الايسر فيرخي طرفا
وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتدا الطواف ويشتغل بالادعية التي سنذكرها **الثاني** اذا فرغ من الاضطباع
فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتدا طوافه وليجعل
بينه وبين البيت قدر ثلث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه افضل ولئلا يكون طايفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود
قد يتصل الشاذروان بالارض ويلتبس بها والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل من عرض جدار
البيت بعد ان ضيق اعلا الجدار ثم هو من هذا الموقف يبتدي الطواف **الثالث** ان يقول قبل مجاوزة الحجر في ابتدا الطواف بسم الله
والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفا بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه ويطوف فاول ما يجاوز الحجر
ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الامن امنك وهذا مقام العايذ بك من النار وعند ذكر
ذلك المقام يشير بعينيه الى مقام ابرهيم صلى الله عليه اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين فاعذني من النار ومن
الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار وامني من اهوال يوم القيامة واكفني مونة الدنيا والاخرة ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ
الركن العراقي فعنده يقول اللهم اني اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر في الاهل
والمال والولد فاذا بلغ الميزاب يقول اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم اسقني بكاس محمد صلى الله عليه شربة
لا اظما بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامي فليقل اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا
غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني فليقل اللهم اني اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من
الفقر واعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك من الخزي في الدنيا والاخرة وليقل من الركن اليماني الى الحجر
الاسود اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار فاذا بلغ الى الحجر الاسود قال اللهم اغفر لي
برحمتك اعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم له شوط واحد فيطوف كذلك سبعة
اشواط ويدعو بهذه الادعية في كل شوط **الرابع** ان يرمل في ثلثة اشواط ويمشي في الاربع الاخيرة على الهيئة المعتادة ومعنى
الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطا وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة
والجلادة والقوة هكذا كان القصد اولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة والافضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة
فالرمل مع البعد افضل فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل ثلثا ثم ليقرب الى البيت في المزدحم وليمش اربعا وان امكنه استلام الحجر
في كل شوط فهو الاحب وان منعته الزحمة اشار بيده وقبل يده وكذلك استلام الركن اليماني مستحب من بين سائر الاركان
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليماني ويقبله ويضع خده عليه ومن اراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر
في الركن اليماني على الاستلام اعني اللمس باليد فهو الاولى اذ هو الاشهر في الرواية **الخامس** اذا تم الطواف سبعا فليات الملتزم
وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعا وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده
الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يا رب البيت العتيق اعتق رقبتي من النار واعذني من الشيطان الرجيم واعذني من كل
سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما اتيتني اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العايذ بك من النار اللهم اجعلني من
اكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في ذلك الموضع وليصل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة
وليستغفر الله من كل الذنوب وقد كان بعض السلف الصالح في هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عني حتى اقر لربي بذنوبي **السادس**
اذا فرغ من ذلك ينبغي ان يصلي خلف المقام ركعتين يقرا في الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف قال
الزهري مضت السنة ان يصلي لكل اسبوع ركعتين وان قرن بين اسابيع وصلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وكل اسبوع
طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الاخرة والاولى اللهم اعصمني بالطافك
حتى لا اعصيك واعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك
الصالحين اللهم حببني الى ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين اللهم كما هديتني للاسلام فثبتني عليه بالطافك وولايتك
واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك واجرني من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال رسول الله صلى الله

عليه من طاف بالبيت اسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة هذا كيفية الطواف والواجب من جملته بعد وجوب شروط
الصلاة ان يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وان يبتدي بالحجر ويجعل البيت على يساره وان يطوف داخل المسجد وخارج
البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وان يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عداها فهو سنن وهيات
الجملة الخامسة في السعي فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع بين الركن اليماني والحجر الاسود
واذا خرج من ذلك الباب واتى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقي رسول الله صلى الله عليه
فيه حتى بدت له الكعبة وابتدا السعي من اصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة لكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغي ان لا يخلفها
وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي واذا ابتدا من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي ان يقبل على البيت
ويقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شي قدير لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم
الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره المشركون لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض
بعد موتها وكذلك تخرجون اللهم اني اسالك ايمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا واسالك العفو والمعافاة
في الدين والدنيا والاخرة ويصلي على محمد صلى الله عليه ويدعو الله بما شا من حاجته عقيب هذا الدعا ثم ينزل ويبتدي السعي وهو يقول
رب اغفر وارحم وتجاوز واعف عما تعلم انك انت الاعز الاكرم اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار
ويمشي على هينة حتى ينتهي الى الميل الاخضر وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة اذرع اخذ في السير السريع
وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى الهينة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا واقبل بوجهه على الصفا
ودعا بمثل ذلك الدعا وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في مواضع الرمل في
كل مرة ويسكن في مواضع السكون كما سبق في كل نوبة ويصعد الصفا والمروة فاذا فرغ من ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي
وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة خلاف الطواف فاذا سعى فينبغي ان لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي
بهذا ركنا فانه ليس من شروط السعي ان يتاخر عن الوقوف وانما ذلك شرط في طواف الركن بل من شرط كل سعي ان يقع بعد طواف
اي طواف كان **الجملة السادسة** في الوقوف وما كان قبله الحاج ان انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف
القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويامر الناس بالاستعداد
الى الخروج الى منا يوم التروية والمبيت بها والغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس اذ وقت الوقوف من
الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي ان يخرج الى منا ملبيا ويستحب له المشي من مكة في المناسك الى انقضاء حجه ان قدر عليه
والمشي من مسجد ابرهيم الى الموقف افضل واكد واذا انتهى الى منا قال اللهم هذا منا فامنن علي بما مننت به على اوليائك واهل
طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنا وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على
ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط واقربها من رضوانك وابعدها من سخطك اللهم اليك غدوت
واياك اعتمدت ووجهك اردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وافضل فاذا اتى عرفات فليضرب خباه بنمرة قريبا
من المسجد فثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته ونمرة هو بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف
فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد واخذ المؤذن في الاذان والامام في الخطبة الثانية ووصل
الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين وقصر الصلاة وراح
الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقف في وادي عرنة واما مسجد ابرهيم فصدره في الوادي واخرياته من عرفة فمن وقف في
صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والافضل ان يقف عند الصخرات
بقرب الامام مستقبل القبلة راكبا وليكثر من انواع التحميد والتهليل والتسبيح والثنا على الله والدعا والتوبة ولا يصوم
في هذا اليوم ليقوى على المواظبة في هذا النوع على الدعا ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الاحب ان يلبي تارة ويكب على الدعا
اخرى ولا ينبغي ان ينفصل من عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وان امكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند
امكان الغلط في الاهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج وعليه

ان يحلل من احرامه باعمال العمرة ثم يتوب دما لاجل الفوات ثم يقضي من العام الاتي ولكن اهم اشتغاله في هذا اليوم الدعا في
مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع يرجى اجابة الدعوات والدعا الماثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف في
يوم عرفة اولى ما يدعو به فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شي قدير
اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي امري وليقل اللهم رب لك الحمد
كما نقول وخيرا مما نقول لك صلواتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي واليك تراثي اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدور
وشتات الامر وعذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من شر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهار ومن شر ما تهب به الرياح وشر
بوايق الدهر اللهم اني اعوذ بك من تحول عافيتك وفجاة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الاخرة والاولى
يا خير مقصود وابر منزول عليه واكرم مسئول ما لديه اعطني العشية افضل ما تعطي احدا من خلقك وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين
اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر الارضين والسموات ضجت اليك الاصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات
وحاجتي اليك ان تذكرني في دار البلا اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا
يخفى عليك شي من امري انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه اسالك مسئلة المسكين وابتهل
اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعا الخائف الضرير دعا من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم
لك انفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رءوفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين الهي من مدح لك نفسه فاني
لائم نفسي الهي اخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الامل الهي اني اعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك
جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغني رحمتك التي وسعت
كل شي وانا شي الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما فهي صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي انت انت وانا انا العواد
الى الذنوب وانت العواد الى المغفرة الهي ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك عمدا
وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك علي واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي وفقري
اليك وغناك عني الا ما غفرت لي يا ارحم الراحمين يا خير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد
صلى الله عليه اتوسل اليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضي الحوائج وهب لي ما سالت وحقق رجائي فيما تمنيت
الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجا الذي عرفتنيه الهي ما انت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك
بذله مستكين بجرمه متضرع اليك من عمله تايب اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك في العفو عنه طالب
اليك في نجاح حوائجه راج اليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجا كل حي وولي كل مومن من احسن فبرحمتك يفوز ومن اساء
فبخطيئته يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنائك انخنا واياك املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن
عذابك اشفقنا ولبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فوقه
خالق يخشى ويا من ليس له وزير يوتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على السؤال الا كرما وجودا وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا
واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة
ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزا ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفة ولكل
متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجا لما
عندك فلا تخيب رجانا الهنا تابعت النعم حتى اطمانت النفوس بتتابع نعمك واظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك
وظاهرت المنن حتى اعترف اولياوك بالتقصير عن حقك واظهرت الايات حتى افصحت السموات والارضون بادلتك
وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شي لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اسا عبادك حلمت وامهلت واذا احسنوا تفضلت
وقبلت واذا عصوا سترت واذا اذنبوا عفوت وغفرت واذا دعونا اجبت واذا نادينا سمعت واذا اقبلنا اليك قربت
واذا ولينا عنك دعوت الهنا انك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وارضاك عنهم
الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد صلى الله عليه بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه
الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ من دخل في الاسلام الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق
ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فاعتقنا فانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وانت احق

بالتطول فتصدق علينا وقد وصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا وانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا انت
مولانا ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وليكثر من دعا الخضر صلى الله عليه وهو ان يقول
يا من لا يشغله شان عن شان ولا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات
يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا يضجره مسئلة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة رحمتك وليدع بما بدا له وليستغفر لنفسه
ولوالديه ولجميع المومنين والمومنات وليلح في الدعا وليعظم المسئلة فان الله لا يتعاظمه شي قال مطرف بن عبد الله وهو
بعرفة اللهم لا ترد الجميع من اجلي وقال بكر المزني قال رجل لما نظرت الى اهل عرفات ظننت انهم قد غفر لهم لولا اني كنت فيهم

الجملة السابعة

في بقية اعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف فاذا افاض من
عرفة بعد غروب الشمس فينبغي ان يكون على السكينة والوقار وليتجنب وجيف الخيل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله
صلى الله عليه نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا تطئوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما فاذا
بلغ المزدلفة فليغتسل لها فان المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل وان قدر على دخوله ماشيا فهو افضل واقرب الى توقير الحرم
ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة تسالك حوائج
مؤتنفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشا بمزدلفة في وقت العشا قاصرا باذان
واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشا والوتر بعد الفريضتين ويبدا بنافلة المغرب ثم بنافلة العشا كما
في الفريضتين هكذا يفعل الجامع في السفر فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر وتكليف ايقاعها في الاوقات اضرار
وقطع التبعية بينها وبين الفرائض واذا جاز ان يودي النوافل مع الفرض بتيمم واحد بحكم التبعية فبان يجوز اداوها على
حكم الجمع بالتبعية اولى فلا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض في جواز ادائه على الراحلة لما اوما اليه من التبعية والحاجة
ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها في النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحيا هذه
الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر على ذلك ثم مهما انتصف الليل ياخذ في التاهب للرحيل وليتزود الحصى منها
ففيها احجار رخوة فلياخذ سبعين حصاة فانه قدر الحاجة ولا باس بان يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولكن
الحصا خفافا بحيث تحذف على اطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ في السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو
اخر المزدلفة فيقف ويدعو الى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام
بلغ روح محمد صلى الله عليه وسلم منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل
طلوع الشمس حتى ينتهي الى موضع يقال له وادي محسر فيستحب له ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وان كان راجلا
اسرع في المشي ثم اذا اصبح يوم النحر خلط التكبير بالتلبية فيلبي تارة ويكبر اخرى فينتهي الى منى ومواضع الجمرات وهي
ثلاثة فيجاوز الاولى والثانية فلا شغل له فيهما يوم النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة
والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقيد رمح وكيفيته
ان يقف مستقبلا للقبلة وان استقبل الجمرة فلا باس ويرمي سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع
كل حصاة الله اكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية
والتكبير الا التكبير عقيب فرايض الصلوات من الظهر يوم النحر الى عقيب الصبح اخر ايام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعا عاد
بل يعود الى منزله وصفة التكبير ان يقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق الله وعده ونصر عبده و لا
اله الا الله والله اكبر ثم ليذبح الهدي ان كان معه والاولى ان يذبحه بنفسه وليقل بسم الله والله اكبر اللهم منك وبك ولك
تقبل مني كما تقبلت من ابراهيم خليلك والتضحية بالبدن افضل ثم بالبقر ثم بالشاة والشاة افضل من مشاركة ستة في البدنة
او البقرة والضان افضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضا افضل من الغبرا والسودا
وقال ابو هريرة البيضا افضل في الاضاحي من دم سوداوين وليأكل من ذبيحته ان كان هدي التطوع ولا يضحين بالجدعا
والعضبا والجربا والشرقا والخرقا والمقابلة والمدابرة والعجفا والجدع في الانف والاذن القطع منهما والعضب في
القرن وفي نقصان القوائم والشرقا المشقوقة الاذن من فوق والخرقا من اسفل والمقابلة المخروقة الاذن من قدام

والمدابر من خلف والتحفا المهولة التي لا تبقى أي لا تخرج لهامن المزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبدأ
بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي وليقل اللهم أثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بكل
شعرة سيئة وارفع لي بها درجة والمرأة تقصر الشعر والأصلع يستحب له إمرار الموسى على رأسه ومهما حلق بعد رمي الجمرة
فقد حصل له التحلل الأول وحل له كل المحظورات إلا النساء والصيد ثم ينهض إلى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف
طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن
يؤخر إلى أي وقت شاء ولكن يبقى مقيدا بعلقة الإحرام ولا تحل له النساء إلى أن يطوف فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الإحرام
بالكلية ولم يبق عليه إلا رمي أيام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الإحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف
مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم فإذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم وإن كان قد سعى
فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي أن يعيد السعي وأسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة
فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتأخير في هذه الثلاثة مع الذبح ولكن الأحسن أن يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف
والسنة للإمام في هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الحج أربع خطب خطبة
يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر وخطبة يوم النفر الأول وكلها عقيب الزوال وكلها أفراد إلا خطبة يوم عرفة
فإنها خطبتان بينهما جلسة ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للمبيت والرمي فليبت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن
الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فإذا أصبح اليوم الثاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الأولى
التي تلي عرفة وهي على يمين الجادة ويرميها بسبع حصيات فإذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة
وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى قدر قراءة
سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الأولى ويقف كما وقف في الأولى ثم يتقدم إلى جمرة
العقبة ويرميها بسبع ولا يعرج على شغل ولا يقف لدعاء بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة
النفر الأول ويصبح فإذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمى في هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذي
قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وإن صبر إلى الليل لم يجز له الخروج
بل لزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني إحدى وعشرين حصاة كما سبق وفي ترك المبيت والرمي إراقة دم فيتصدق
باللحم وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا يترك حضور
الفرائض مع الإمام في مسجد الخيف فإن فضله عظيم فإذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر
والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهي السنة رواه جماعة من الصحابة فإن لم يفعل فلا شيء عليه **الجملة الثامنة** في
صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع ومن أراد أن يعتمر بعد حجه أو قبله كيف ما أراد فليغتسل وليلبس ثياب الإحرام
كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد
مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فإذا دخل
المسجد ترك التلبية وطاف بالبيت سبعا وصلى ركعتي الطواف وسعى سبعا بين الصفا والمروة كما وصفناه فإذا فرغ
حلق رأسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر إلى البيت فإذا دخله فليصل بين
العمودين فهو الأفضل وليدخله حافيا موقرا ○ قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما أرى ب
القدمين أهلا للطواف حول بيته فكيف أراهما أهلا لأن أطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشتا وإلى أين مشتا وليكثر
شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني
الإخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له أي يشفي ما قصد
به **الجملة التاسعة** في طواف الوداع مهما عن له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فليفرغ أولا
أشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت ووداعه بأن يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع
فإذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك
والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني

على قضاء مناسكك فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك هذا أوان انصرافي إن أذنت لي
غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم أصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني
طاعتك ما أبقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وإن جعلته آخر
عهدي فعوضني عنه الجنة والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يتغيب عنه **الجملة العاشرة** في زيارة مسجد المدينة
وآداب الزيارة ○ قال صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي وقال عليه السلام من وجد سعة ولم
يفد إلي فقد جفاني وقال صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لا يهمه إلا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة
فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها فليقل اللهم هذا حرم رسولك
فاجعله لي وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس أفضل ثيابه
وأنظفها وليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج
صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه
الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد وليجتهد أن يصلي في المسجد الأول قبل أن يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه فيقف عند وجهه
وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل على رأسه القنديل
وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب إلى الاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام
عليك يا نبي الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام
عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا بشير
السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا أكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين
السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك
يا نبي الرحمة السلام عليك يا هادي الأمة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا
أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك الغافلون وصلى عليك في
الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من
العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه
وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فصلى
الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وكرم وشرف وعظم ○ وإن كان قد أوصي بتبليغ سلام فليقل السلام عليك من فلان بن
فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس
عمر رضي الله عنه عند منكب أبي بكر رضي الله عنهما ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول السلام عليكما
يا وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين في أمته بعده بأمور الدين تتبعان
في ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه بين
القبر والأسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله وليمجده وليكثر من الصلاة على رسوله صلى الله عليه ثم يقول اللهم إنك
قلت ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم إنا قد سمعنا
قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به إليك في ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا
وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر
لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين ثم يأتي الروضة
فيصلي فيها ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله صلى الله عليه ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ○ وقوله
صلى الله عليه منبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة التي كان رسول الله صلى الله عليه يضع يده
عليها عند الخطبة ويستحب له أن يأتي أحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلي الغداة في مسجد النبي صلى الله عليه ثم يخرج

ويعود الى المسجد لصلاة الظهر ولا يفوتك فريضة في جماعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه ويزور قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفيه ايضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وذلك كله بالبقيع ويستحب ان ياتي مسجد قبا في كل سبت ويصلي فيه لما روي ان رسول الله صلى الله عليه قال من خرج من بيته حتى ياتي مسجد قبا ويصلي فيه كان له عدل عمرة ويأتي بير اريس ويقال ان النبي صلى الله عليه تفل فيها وهي عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا ياتي سائر المساجد ويقال ان جميع المساجد والمشاهد بالمدينة ثلثون موضعا يعرفها اهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الابار التي كان رسول الله صلى الله عليه يتوضأ منها ويغتسل ويشرب من مائها وهي سبعة ابار طلبا للشفا وتبركا به وان امكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال صلى الله عليه لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة • وقال صلى الله عليه من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب ان ياتي القبر ويعيد دعا الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه ويسأل الله تعالى ان يرزقه العود اليه ويسأل السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه قبل ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط اوزاري بزيارته واصحبني في سفري ويسر رجوعي واجعلني من السالمين يا ارحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتتبع المساجد التي بين المدينة ومكة ويصلي فيها وهي عشرون مسجدا م

فصل في سنن الرجوع من السفر كان صلى الله عليه اذا قفل من غزو او حج او عمرة يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده • وفي بعض الروايات وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان يستعمل هذه السنة في رجوعه واذا اشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي ان يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد اولا وليصل فيه ركعتين فهي السنة كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله فلا ينبغي ان ينسى ما انعم الله تعالى به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه فيكفر تلك النعمة بان يعود الى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل من علامته ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت م

الباب الثالث في الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهي عشرة **الاول** ان تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله عز وجل والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعائره فقد روي في خبر من طريق اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس الى الحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة • وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص ولا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا باس ان ياخذ ما يبلغه ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك ينبغي ان يكون قصده زيارة بيت الله تعالى ومعاونة اخيه المسلم على اسقاط الفرض عنه • وفي مثله ينزل قوله صلى الله عليه يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلثة الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن اخيه ولست اقول لا تحل الاجرة او يحرم ذلك بعد ان اسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله عز وجل يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا • وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله عز وجل ويأخذ اجرا مثل ام موسى ترضع ولدها وتاخذ اجرها فمن كان مثاله في اخذ الاجرة على الحج مثال ام موسى فلا باس باخذه فانه اخذ ليتمكن من الحج والزيارة وليس يحج لياخذ الاجرة الا كما اخذت ام موسى صلى الله

عليه ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم **الثاني** ان لا يعاون اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين في الطرق فان تسليم المال اليهم اعانة على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا باس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق افضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة احدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفي ذلك ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ مني وانا مضطر فانه لو قعد في بيته او رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر اسباب الترفه فيكثر مطالبته ولو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه الى حالة الاضطرار **الثالث** التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف بل على الاقتصاد واعني بالاسراف التنعم باطايب الاطعمة والترفه بشرب انواعها على عادة المترفين فاما كثرة البذل فلا سرف فيه اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله تعالى والدرهم بسبعمائة • قال ابن عمر رضي الله عنه من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول افضل الحجاج اخلصهم نية وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل له يا رسول الله ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام **الرابع** ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي الى المحظور محظور والفسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه طيب الكلام مع اطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي ان يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهم من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله تعالى ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الاذى بل احتمال الاذى • وقيل سمي السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم انه يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا فقال ما اراك تعرفه **الخامس** ان يحج ماشيا ان قدر على ذلك فهو افضل اوصى عبد الله بن عباس رضي الله عنه عند موته بنيه فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة الى الموقف والى منى آكد منه في الطريق وان اضاف الى المشي الاحرام من دويرة اهله فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج قاله عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله • وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه ابعد عن ضجر النفس واقل لاذاه واقرب الى سلامته وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغي ان يفصل ويقال من سهل عليه المشي فهو افضل فان كان يضعف ويؤدي ذلك الى سوء خلق وقصور عن عمل فالركوب له افضل كما ان الصوم افضل للمسافر والمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق • وسئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها افضل او يكتري حمارا بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكرى افضل من المشي وان كان المشي اشد عليه كالاغنيا فالمشي له افضل وكانه ذهب فيه الى مجاهدة النفس وله وجه ولكن الافضل ان يمشي ويصرف ذلك الدرهم الى خير فهو اولى من صرفه الى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان لا يتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد **السادس** ان لا يركب الا زاملة اما المحمل فليجتنبه الا اذا كان يخاف على الزاملة ولا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان احدهما التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه والثاني اجتناب زي المترفين والمتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف صلى الله عليه على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال صلى الله عليه خذوا عني مناسككم وقيل ان هذه المحامل احدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها • وروى سفيان الثوري رضي الله عنه عن ابيه انه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل وما رأيت في جميعهم الا محملين • وكان ابن عمر اذا نظر الى ما احدث الحاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا من الحجاج **السابع** ان يكون رث الهيئة اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل الى اسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في المتكبرين

والمترفين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد أمر رسول الله صلى الله عليه بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهية. وفي الخبر إنما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتي قد جاؤوني شعثاً غبراً من كل فج عميق. وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الأظفار. وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد اخلولقوا واخشوشنوا أي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الأشياء وقد قيل زين الحجيج أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف وينبغي أن يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيف ما كان على العموم فقد روي أنه صلى الله عليه كان في سفر فنزل أصحابه منزلاً فسرحت الإبل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال صلى الله عليه أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الإبل. **الثامن** أن يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل. قال صلى الله عليه لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسناً إلى الدابة فيكون ذلك في حسناته ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري وكل من آذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب بذلك يوم القيامة قال أبو الدرداء لبعير له عند الموت يا أيها البعير لا تخاصمني عند ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك وعلى الجملة في كل كبد حرى أجر فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعاً وفي نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكاري قال رجل لابن المبارك احمل هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى أستأمر الجمال فإني قد اكتريت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وذلك طريق الحزم في الورع فإنه إذا فتح باب القليل انجر إلى الكثير يسيراً يسيراً. **التاسع** أن يتقرب بإراقة دم وإن لم يكن واجباً عليه ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه إن كان تطوعاً ولا يأكل إن كان واجباً قيل في تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله قال تحسينه وتسمينه وسوق الهدي من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس في شرائه فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والأضحية والرقبة فإن أفضل ذلك أغلاه ثمناً وأنفسه عند أهله. وروى ابن عمر رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه أهدى نجيبة فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه أن يبيعها ويشتري بثمنها بدناً فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد أم قل. سئل رسول الله صلى الله عليه ما بر الحج قال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن. روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه قال ما عمل آدمي يوم النحر أحب إلى الله عز وجل من إهراقه دماً وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها فإن الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفساً. وفي الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع في الميزان فأبشروا. **العاشر** أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدي وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن إن أصابه فإن ذلك من دلائل قبول حجه فإن المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة وذلك بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب فلا يضيع منه عند الله تعالى شيء. ويقال إن من علامة قبول الحج أن يترك ما كان عليه من المعاصي وأن يستبدل بإخوانه البطالين إخواناً صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة.

بيان الأعمال الباطنة

ووجه الإخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الاعتبار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره. اعلم أن أول الحج الفهم أعني فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق إليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الإحرام ثم شراء الدابة ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الإحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الأمور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف وإشارة للفطن فلنرمز إلى مفاتحها حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة علمه. أما الفهم فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات

فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولأجل هذا انفرد الرهابين في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعاً في الآخرة فأثنى الله عليهم في كتابه فقال ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عن ذلك بعث الله سبحانه محمداً صلى الله عليه لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه أبدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج. وسئل عليه السلام عن السائحين فقال هم الصائمون فأنعم الله تعالى على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه ونصبه مقصداً لعباده وجعل ما حوله حرماً لبيته تفخيماً لأمره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعثاً غبراً متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعاً لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأتم في إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف الله عليهم فيها أعمالاً لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فإن الزكاة إرفاق ووجهها مفهوم وللعقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة الشيطان عدو الله وفيه تفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله سبحانه بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل فأما ترددات السعي ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ النفس ولا أنس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها فلا يكون الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاً ما فيكون ذلك الميل معيناً للأمر وباعثاً معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً ولم يقل ذلك في صلاة وغيرها وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهيم أعمال الحج. وأما الشوق فإنما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائر له فإن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث إن العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وأنها إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ما له إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله تعالى فبالحري أن يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة فضلاً عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل. وأما العزم فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجهاً إلى زيارة بيت الله عز وجل فليعظم في نفسه قدر البيت لقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وأن من طلب عظيماً خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصاً لوجه الله عز وجل بعيداً عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص وأن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه وإخلاصه اجتناب كل ما فيه رياء وسمعة وليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير. وأما قطع العلائق فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي فإن كل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلبيبه ينادي عليه ويقول له إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له أو لا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فإن كنت راغباً في قبول زيارتك إياه فنفذ أوامره ورد

المظالم وتب إليه أولاً من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجهاً إليه بوجه قلبك كما أنك
متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولاً إلا النصب والشقا وآخراً إلا الطرد والرد وليقطع
العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدّر أنه لا يعود إليه وليكتب وصيته لأهله وأولاده فإن المسافر لعلى خطر إلا ما وقى
الله سبحانه وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فإن ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا
السفر فهو أطمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر
وأما الزاد فليطلبه من موضع حلال وإذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا
يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وأن زاده التقوى وأن ما عداه التقوى مما يظنه أنه
زاده يتخلف عنه عند الموت وكربه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيراً
محتاجاً لا حيلة له فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات
التقصير وأما الراحلة إذا أحضرها فليشكر الله عز وجل بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف
المشقة وليتذكر عند ذلك المركب الذي يركبه إلى الدار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فإن أمر الحج من وجه يوازي السفر إلى
الآخرة ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زاداً له لذلك السفر على ذلك المركب فما أقرب ذلك منه وما يدريه لعل
الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف
يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن وأما شرى ثوب
الإحرام فليتذكر عند ذلك الكفن ولفه فيه فإنه سيرتدي ويتزر بثوبي الإحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه
وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفاً عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله عز
وجل بعد الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيها مخيط ولا مخيط كما في الأكفان وأما
الخروج من البلد فليعلم عند ذلك أنه فارق الأهل والوطن متوجهاً إلى الله عز وجل في سفر لا يضاهي أسفار الدنيا فليحضر في قلبه
أنه ماذا يريد وأين يتوجه زيارة من يقصد وأنه متوجه إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوّقوا
فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذي فخّم أمره وعظّم شأنه ورفع
قدره تسلياً بلقاء البيت عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول
إلى القبول لا إدلالاً بأعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيق وعده لمن زار بيته وليرج
أنه إن لم يصل وأدركته المنية في الطريق لقي الله عز وجل وافداً إليه إذ قال جل جلاله ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم
يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا
بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع
البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته
وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوداً لمخاوف القبر وأما الإحرام والتلبية من الميقات فليعلم أن معناه إجابة
نداء الله تعالى فليرج أن يكون مقبولاً وليخش أن يقال له لا لبيك ولا سعديك وليكن بين الرجاء والخوف متردداً وعن حوله وقوته
متبرئاً وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلاً فإن وقت التلبية هو بداية الأمر وهو محل الخطر قال سفيان بن عيينة
حج علي بن الحسين فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له لم لا تلبي
فقال أخشى أن يقال لي لا لبيك ولا سعديك وليكن بين الرجاء والخوف فلما لبى غشي عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى
قضى حجه وقال أحمد بن أبي الحواري كنت مع أبي سليمان الداراني حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلاً فأخذته الغشية ثم أفاق
وقال يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام مر ظلمة بني إسرائيل أن يقلوا من ذكري فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة
ويحك يا أحمد بلغني أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فلا نأمن أن
يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الأصوات بالتلبية في الميقات إجابته لنداء الله سبحانه إذ قال وأذن في الناس بالحج ونداء
الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله تعالى ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين
ومقبولين ومردودين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله

أم لا وأما دخول مكة فليتذكر عند ذلك أنه قد انتهى إلى حرم الله آمناً وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله وليخش أن لا يكون
أهلاً للقرب فيكون بدخوله الحرم خائباً مستحقاً للمقت وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً فالكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق
الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع وأما وقوع البصر على البيت فينبغي أن يحضر عند ذلك عظمة البيت في القلب
وليقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وليرج أن يرزقه الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقه النظر إلى بيته العظيم
وليشكر الله تعالى على تبليغه إياه هذه الرتبة وإلحاقه إياه بزمرة الوافدين إليه وليذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى
جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين
ولا يغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما يراه فإن كل أحوال الحج دليل على أحوال الآخرة وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة
فأحضر قلبك من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلوة واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين
الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت
حتى لا تبتدي الذكر إلا منه ولا تختم إلا به كما تبتدي الطواف من البيت وتختم بالبيت واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب
بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الملكوت كما أن البدن
مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وأن عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم
الغيب والملكوت لمن فتح له الباب وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور في السموات بإزاء الكعبة وأن طواف
الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الإمكان
ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه
المكاشفون لبعض أولياء الله سبحانه وأما الاستلام فاعتقد عنده أنك مبايع لله سبحانه وتعالى على طاعته فصمم عند ذلك
على قيامك بالوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس عنه صلى الله عليه أنه قال الحجر الأسود يمين
الله في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام
طلب القرب حباً وشوقاً للبيت ولرب البيت وتبركاً بالمماسة ورجاء التحصن عن النار في كل جزء لا في البيت ولتكن نيتك في التعلق
بالأستار الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع إليه في عفوه عنه المظهر له أنه
لا ملجأ له منه إلا إليه ولا مفزع له إلا عفوه وكرمه وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن في المستقبل وأما
السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فإنه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائياً وذاهباً مرة بعد أخرى إظهاراً للخلوص
في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول أو
رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى وليتذكر عند تردده بين الكفتين
ناظراً إلى الرجحان والنقصان متردداً بين العذاب والغفران وأما الوقوف بعرفة فليذكر بما يرى من ازدحام الخلق
وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيراً بسيرهم عرصات القيامة
واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد
والقبول وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله تعالى فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وتحقق
رجاء الإجابة فالموقف شريف والرحمة إنما تصل من حضرة ذي الجلال إلى كافة الخلائق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض
ولا ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقات من الصالحين وأرباب القلوب فإذا اجتمعت هممهم وتجردت
للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين
بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب
أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من
أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في
وقت واحد على صعيد واحد وأما رمي الجمار فليقصد به الانقياد للأمر إظهاراً للرق والعبودية وانتهاضاً
لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس في ذلك ثم ليقصد به التشبه بإبراهيم صلى الله عليه حيث عرض له إبليس في
ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله تعالى أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله فإن خطر

لك ان الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه واما انا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وانه
الذي القاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه وانه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك
بالجد والتشمير في الرمي فبذلك ترغم انف الشيطان واعلم انك في الظاهر ترمي الحصى الى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه
الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثالك لامر الله سبحانه تعظيما لمجرد الامر من غير حظ للنفس ولا للعقل
في ذلك ❁ واما ذبح الهدي فاعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فاكمل الهدي واجزاه وليرج ان يعتق بكل جزء منه
جزءا من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكبر واجزاؤه اوفر كان الفداء به من النار اعم ❁ واما زيارة المدينة فاذا وقع بصرك
على حيطانها فتذكر انها البلدة التي اختارها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وجعل اليها هجرته وانها داره التي فيها شرع فرائض
ربه عز وجل وسننه وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه الله سبحانه وتعالى ثم جعل تربته فيها وتربة
وزيريه القائمين بالحق من بعده ثم تمثل في نفسك مواقع اقدام رسول الله صلى الله عليه عند تردده فيها وانه ما من موضع قدم
تطأه الا وهو موضع قدميه العزيزين فلا تضع قدمك عليه الا على سكينة ووجل وتذكر مشيه صلى الله عليه وتخطيه في سككها وتصور
خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحباطه عمل من هتك
حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تتذكر ما من الله على الذين ادركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه واعظم
تاسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة اصحابه رضي الله عنهم ثم تذكر انه قد فاتتك رؤيته في الدنيا وانك من رؤيته في الاخرة على خطر
فانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله اياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه يرفع الي اقوام فيقولون يا محمد يا محمد
فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق
فلا تامن ان يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته ولتعظم مع ذلك رجاؤك ان لا يحال بينك وبينه بعد ان رزقك الله الايمان به
واشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لمحض حبك له وتشوقك الى ان تنظر الى اثاره والى حائط قبره لاجل
زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لمحض حبك له وتشوقك الى ان تنظر الى اثاره والى حائط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك
لما فاتتك رؤيته فما اجدرك ان ينظر الله سبحانه اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التي اختارها الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه ولاول المسلمين وافضلهم عصابة وان فرائض الله سبحانه اول ما اقيمت في تلك العرصة وانها جمعت افضل
خلق الله تعالى حيا وميتا فليعظم املك في الله سبحانه ان يرحمك بدخولك تلك العرصة وادخل خاشعا معظما وما اجدر هذا المكان
ان يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكي عن ابي سليمن قال حج اويس القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب
المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه فغشي عليه فلما افاق قال اخرجوني فليس يلذ لي بلد فيه محمد مدفون ❁ واما زيارة رسول
الله صلى الله عليه فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفنا وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم
لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في ان لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقبيل
للمشاهد عادة النصارى واليهود واعلم انه صلى الله عليه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلواتك
فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بازائك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه عليه السلام ان الله
تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي
شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاته مشاهدة غرته الكريمة ❁ وقد قال صلى الله عليه من صلى علي
مرة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر الرسول صلى الله
عليه وتوهم صعود النبي عليه السلام المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية قائما على المنبر وقد احدق به المهاجرون والانصار
وهو صلى الله عليه يحثهم على طاعة الله تعالى بخطبته واسال الله عز وجل ان لا يفرق في القيمة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب
في اعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي ان يلزم قلبه الهم والحزن والخوف وانه ليس يدري اقبل منه حجه واثبت
في زمرة المحبوبين ام رد حجه والحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه واعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار
الغرور وانصرافا الى الانس بالله تعالى ووجد اعماله اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل الا من
احبه ومن احبه تولاه واظهر عليه اثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان
كان الامر بخلاف ذلك فيوشك ان يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله منه والله اعلم
ه

كتاب

كتاب اداب تلاوة القران

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل وكتابه المنزل الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد حتى اتسع على اهل الافكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم ❁ وهدي به الصراط المستقيم والافكار
بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور ❁ وبه النجاة من الغرور ❁ وفيه شفاء لما في الصدور ❁ من خالفه
من الجبابرة قصمه الله ❁ ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله ❁ هو حبل الله المتين ❁ ونوره المبين ❁ والعروة الوثقى ❁ والمعتصم الاوفى ❁ هو
المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير ❁ لا تنقضي عجائبه ❁ ولا تتناهى غرائبه ❁ لا يحيط بفوائده عند اهل الفهم تحديد ❁ ولا يخلقه
عند اهل التلاوة كثرة الترديد ❁ هو الذي ارشد الاولين والاخرين ❁ ولما سمعه الجن لم يلبثوا ان ولوا الى قومهم منذرين ❁ فقالوا
انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا ❁ فكل من امن به فقد وفق ❁ ومن قال به فقد صدق ❁ ومن تمسك به فقد
هدي ومن عمل به فقد فاز ❁ وقد قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ❁ ومن اسباب حفظه في القلوب والمصاحف تلاوته استدامة
والمواظبة على دراسته مع القيام بادابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة والاداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه
وتفصيله وتنكشف مقاصده في اربعة ابواب **الباب الاول** في فضل القران واهله **الباب الثاني**
في اداب التلاوة في الظاهر **الباب الثالث** في الاعمال الباطنة عند التلاوة **الباب الرابع** في فهم القران
وتفسيره بالراي وغيره

الباب الاول

في فضل القران واهله وذم المقصرين في
تلاوته فضيلة القران ❁ قال صلى الله عليه وسلم من قرا القران ثم راى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه
الله ❁ وقال صلى الله عليه ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيامة من القران لا نبي ولا ملك ولا غيره ❁ وقال عليه السلام ايضا
ان الله عز وجل قرا طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالفي عام فلما سمعت الملائكة القران قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى
لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا ❁ وقال عليه السلام خيركم من تعلم القران وعلمه ❁ وقال صلى الله عليه يقول الله صلى الله عليه وسلم
تبارك وتعالى من شغله قراءة القران عن دعائي ومسالتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين ❁ وقال ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك
اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القران ابتغاء وجه الله تعالى وام به قوما وهم به
راضون ❁ وقال صلى الله عليه اهل القران اهل الله وخاصته ❁ وقال ان القلوب تصدا كما يصدا الحديد فقيل يا رسول صلى الله عليه وسلم
الله ما جلاؤها فقال تلاوة القران وذكر الموت ❁ وقال صلى الله عليه لله اشد اذنا الى قارئ القران من صاحب القينة الى قينته

الاثار قال ابو امامة الباهلي اقرؤوا القران ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا وعى القران وقال
ابن مسعود اذا اردتم العلم فاثيروا القران فان فيه علم الاولين والاخرين ❁ وقال ايضا اقرؤوا القران فانكم توجرون عليه
بكل حرف منه عشر حسنات اما اني لا اقول الحرف الم ولكن اقول الالف حرف والميم حرف ❁ وقال ايضا لا يسال احدكم عن نفسه والام حرف
الا القران فان كان يحب القران ويعجبه فهو يحب الله ورسوله وان كان يبغض القران فهو يبغض الله ورسوله ❁ وقال عمرو
ابن العاص القران درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال ايضا من قرا القران فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى
اليه ❁ وقال ابو هريرة ان البيت الذي يتلى فيه كتاب الله اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين عز وجل
وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين ❁ وقال احمد بن حنبل
رايت الله عز وجل في المنام فقلت يا رب ما افضل ما تقرب به المتقربون اليك فقال بكلامي يا احمد قال قلت يا رب بفهم او
بغير فهم قال بفهم وبغير فهم ❁ وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القران من الرحمن يوم القيمة فكانهم لم يسمعوه
قط ❁ وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القران ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم وينبغي ان تكون
حوائج الخلق اليه وقال ايضا حامل القران حامل راية الاسلام لا ينبغي ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من
يلغو تعظيما لحق القران ❁ وقال سفين الثوري اذا قرا الرجل القران قبل الملك بين عينيه ❁ وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا
حين يصلي الصبح فقرا منه مائة اية رفع الله له مثل عمل جميع الدنيا ❁ وروي ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه
وقال اقرا علي فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية فقال له اعد فاعاد فقال والله ان له

حلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر . وقال الحسن والله ما دون القران من غنا ولا بعده من فاقة . وقال الفضيل من قرا خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهدا ومن قراها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهدا . وقال القسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ما هاهنا احد نستانس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا . وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقراة القران . **في ذم تلاوة الغافلين** قال انس بن ملك رب تال للقران والقران يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القران في جوف الفاجر . وقال ابو سليمن الداراني الزبانية اسرع الى حملة القران الذين يعصون الله تعالى منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا الله بعد القران . وقال بعض العلما اذا قرا ابن ادم القران ثم خلط ثم عاد فقرا قيل له ما لك ولكلامي . وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القران لانه بلغني ان اصحاب القران يسالون عما يسال عنه الانبيا يوم القيامة . وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القران ان يعرف بليله اذا الناس نايمون وبنهاره اذا الناس يفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكايه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغي لحامل القران ان يكون مستكينا لينا ولا ينبغي ان يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا . وقد قال صلى الله عليه اكثر منافقي هذه الامة قراوها . وقال صلى الله عليه اقرا القران ما نهاك فان لم ينهك فلست تقراوه . وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملايكة حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل له وكيف ذلك قال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته . وقال بعض العلما ان العبد ليتلو القران فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرا الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه الا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم . وقال الحسن انكم اتخذتم القران مراحل وجعلتم الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم راوه رسايل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار . وقال ابن مسعود انزل القران عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان احدهم ليقرا القران من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به . وفي حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا واحدنا يؤتى الايمان قبل القران فتنزل السورة على محمد فيتعلم حلالها وحرامها وامرها وزاجرها وما ينبغي ان يقف عنده منها ثم لقد رايت رجالا يؤتى احدهم القران قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما امره ولا زاجره وما ينبغي ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل . وقد ورد في التوراة يا عبدي اما تستحيي مني ياتيك كتاب بعض اخوانك وانت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقراه وتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شي منه وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتامل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه اومات اليه ان كف وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني اجعلتني اهون عندك من بعض اخوانك

الباب الثاني

في ظاهر اداب التلاوة وهي عشرة **الاول** في حال القاري وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون اما قايما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا راسه غير متربع ولا متكي ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقرا في الصلاة قايما وان يكون في المسجد فذلك من افضل الاعمال فان قرا على غير وضوء وكان مضطجعا في فراشه فله ايضا فضل ولكنه دون ذلك وقد قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى الله على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا في الفراش ايضا قال علي رضي الله عنه من قرا القران وهو قايم في الصلاة كان له بكل حرف ماية حسنة ومن قرا القران وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قراه في غير صلاة وهو على وضوء فله خمس وعشرون حسنة ومن قراه على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل لانه افرغ للقلب . وقال ابو ذر الغفاري ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام بالليل افضل

الثاني في مقدار القراة وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاقتصار فمنهم من يختم في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة واولى ما يرجع اليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه من قرا القران في اقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليه تمنع الترتيل وقد قالت عايشة رضي الله عنها لما سمعت رجلا يهذ القران هذا ان هذا ما قرا القران ولا سكت وامر النبي صلى الله عليه عبد الله بن عمر ان يختم القران في

يفطرون

الدقل رديء التمر

سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم يختمون القران في كل جمعة كعثمن وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب رضي الله عنهم وفي الختم اربع درجات الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في شهر كل يوم جزء من ثلثين وكانه مبالغة في الاقتصار كما ان الاول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احداهما في الاسبوع مرة والثانية في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلاث والاحب ان يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما ويختم ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب او بعدهما ليستقبل بختمته اول النهار واول الليل فان الملايكة تصلي عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي فيشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراة انه ان كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشغولين بنشر العلم فلا باس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القران فقد يكتفي في الشهر بمرة لكثرة حاجته الى كثرة الترديد والتامل **الثالث** في وجه القسمة اما من ختم في الاسبوع مرة فيقسم القران سبعة احزاب فقد حزب الصحابة القران احزابا فروي ان عثمن كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المايدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلثا بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعا بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس . وابن مسعود كان يقسمه سبعة اقسام لا على هذا الترتيب وقيل احزاب القران سبعة فالحزب الاول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلث عشرة سورة والسابع المفصل من ق فهكذا حزبه الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وكانوا يقرونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وهذا قبل ان تعمل الاخماس والعواشر والاجزا فما سوى هذا محدث **الرابع** في الكتبة يستحب تحسين كتابة القران وتبيينه ولا باس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانه تزيين وتبيين وصد عن الخطا واللحن لمن يقراه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران الاخماس والعواشر والاجزا . وروي عن الشعبي وابرهيم كراهية النقط بالحمرة والاجزا واخذ الاجر على ذلك وكانوا يقولون جردوا القران والظن بهولا انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من ان يودي الى احداث زيادات وحسما للباب وتشوقا الى حراسة القران عما يطرق اليه تغييرا واذا لم يود الى محذور واستقر الامر فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا باس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل في اقامة الجماعات في التراويح انها من محدثات عمر وانها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة ما صادم السنة القديمة او كاد يفضي الى تغييرها وبعضهم كان يقول اقرا في المصحف المنقوط ولا انقطه بنفسي . وقال الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير كان القران مجردا في المصاحف فاول ما احدثوا فيه النقط على البا والتا وقالوا لا باس به فانه نور له ثم احدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الاي فقالوا لا باس به يعرف به راس الاية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح . قال ابو بكر الهذلي سالت الحسن عن تنقيط المصاحف بالاحمر فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية قال اما اعراب القران فلا باس به . وقال خالد الحذا دخلت على ابن سيرين فرايته يقرا في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط . وقيل ان الحجاج هو الذي احدث ذلك واحضر القرا حتى عدوا كلمات القران وحروفه وسووا اجزاه وقسموه الى ثلثين جزا والى اقسام اخر **الخامس** الترتيل هو المستحب في هيئة القراة لانا سنبين ان المقصود من القراة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت ام سلمة قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي تنعت قراة مفسرة حرفا حرفا . وقال ابن عباس لان اقرا البقرة وال عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرا القران كله هذرمة . وقال ايضا لان اقرا اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرا البقرة وال عمران هذرا . وسيل مجاهد عن رجلين دخلا في صلاة فكان قيامهما واحدا الا ان احدهما قرا البقرة فقط والاخر القران كله فقال هما في الاجر سوا واعلم ان الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فان العجمي الذي لا يفهم معنى القران يستحب له ايضا في القراة الترتيل والتودة لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام واشد تاثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال **السادس** البكا مستحب مع القراة قال رسول الله صلى الله عليه اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا . وقال عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقران . وقال صالح المري قرات القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراة فاين البكا . وقال ابن عباس اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكا ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشا البكا . قال صلى الله عليه ان القران نزل بحزن فاذا

فاذا قرأتموه فتحازنوا ووجه احضار الحزن ان يتامل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتامل تقصيره
في اوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكا كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكا
فان ذلك اعظم المصايب **السابع** ان يراعي حق الايات فاذا مر باية سجود سجد وكذلك اذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد
التالي ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفي القران اربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة واقله ان يسجد بوضع جبهته
على الارض واكمله ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالاية التي قراها مثل ان يقرا قوله تعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم
لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك الكريم المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن
امرك او على اوليائك واذا قرا قوله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فليقل اللهم اجعلني من الباكين اليك
الخاشعين لك وكذلك في كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة
الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر سجد وقد قيل في كمالها انه يكبر رافعا يديه للاحرام ثم يكبر
للارتفاع ثم يسلم وزاد زايدون التشهد ولا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الامر بالسجود بدون التشهد ح
فليتبع فيه الامر وتكبيرة الهوي اقرب للبداية وما عدا ذلك فعنه بعد ثم الماموم ينبغي ان يسجد عند سجود الامام ولا يسجد
لتلاوة نفسه اذا كان ماموما **الثامن** ان يقول في مبتدا قراءته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك
من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرا قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة
صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي
القيوم وفي اثناء القراءة اذا مر باية تسبيح سبح وكبر وان مر باية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان مر باية مرجو
وسؤال سال وان مر باية مخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه وبقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم
ارحمنا قال حذيفة رضي الله عنه صليت مع رسول الله صلى الله عليه فابتدا بسورة البقرة فكان لا يمر باية عذاب الا
استعاذ ولا باية رحمة الا سال ولا باية تنزيه الا سبح واذا فرغ قال ما كان يقوله عند ختم القران اللهم ارحمني بالقران
واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته اناء الليل واطراف
النهار واجعله حجة لي يا رب العالمين **التاسع** في الجهر بالقراءة ولا شك في انه لا بد ان يجهر بها الى حد يسمع نفسه اذ
القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت واقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فاما
الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه اخر ويدل على استحباب الاسرار ما روي عن رسول الله صلى الله
عليه قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفي لفظ اخر الجاهر بالقران
كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك
قوله صلى الله عليه خير الرزق ما يكفي وخير الذكر ما خفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب
والعشا وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان
حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره ان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل
فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض وان كنت تريد الناس
فانهم لن يغنوا عنك من الله شيا فسكت عمر رضي الله عنهما وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ
امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روي عن رسول الله صلى الله عليه انه سمع جماعة من الصحابة يجهرون في صلاة
الليل فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بالقراءة فان الملايكة وعمار الدار
يستمعون قراءته ويصلون بصلاته ومر رسول الله صلى الله عليه على ثلثة من اصحابه مختلفي الاحوال فمر على ابي بكر
وهو يخافت فساله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني ومر على عمر وهو يجهر فساله عن ذلك فقال
اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرا اية من هذه السورة واية من هذه فساله عن ذلك
فقال اخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه كلكم قد احسن واصاب فالوجه في الجمع بين هذه الاحاديث ان
الاسرار ابعد عن الريا والتصنع فهو افضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش
الوقت على مصل اخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فايدته ايضا تتعلق بغيره والخير المتعدي افضل من

اللازم ولان الجهر يوقظ قلب القاري ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم برفع الصوت
ولانه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نايم فيكون هو سبب احيايه ولانه قد يراه بطال غافل
فينشط بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمهما حضره شي من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف
الاجر وبكثرة النيات تزكو اعمال الابرار وتتضاعف اجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشرة اجور
ولهذا نقول قراءة القران في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتامل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة في المصحف
بسبع لان النظر ايضا في المصحف عبادة وخرق عثمان مصحفين لكثرة قراءته فيهما وكان كثير من الصحابة رضي الله عنهم يقرءون من
المسجد المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا الى المصحف ودخل بعض فقها مصر على الشافعي في السحر وبين يديه مصحف
الصبح فقال شغلكم الفقه عن القران اني لاصلي العتمة واضع المصحف بين يدي فما اطبقه حتى الصبح **العاشر** تحسين القراءة
وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال صلى الله عليه زينوا القران باصواتكم وقال عليه
السلام ما اذن الله لشي اذنه لحسن الصوت بالقران وقال ليس منا من لم يتغن بالقران فقيل اراد به الاستغنا وقيل اراد به
الترنم وترديد الالحان به وهو اقرب عند اهل اللغة وروي ان رسول الله صلى الله عليه كان ليلة ينتظر عايشة فابطات
عليه فقال لها رسول الله صلى الله عليه ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام
عليه السلام حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله واستمع ايضا
ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان يقرا القران غضا طريا كما
انزل فليقراه على قراءة ابن ام عبد وقال رسول الله صلى الله عليه لابن مسعود اقرا فقال يا رسول الله اقرا وعليك انزل فقال
اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرا ورسول الله صلى الله عليه عيناه تفيضان واستمع صلى الله عليه الى قراءة ابي موسى الاشعري
فقال لقد اوتي هذا من مزامير ال داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك
تحبيرا وراى هيثم القاري النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال لي انت الهيثم الذي تزين القران بصوتك قلت نعم قال
جزاك الله خيرا وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرا سورة من القران
وقد كان عمر رضي الله عنه يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرا عنده حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال يا امير المومنين
الصلاة الصلاة فيقول اولسنا في صلاة اشارة الى قوله تعالى ولذكر الله اكبر وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى
اية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيمة وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالي هو
هو السبب فيه كان شريكا في الاجر الا ان يكون قصده الريا والتصنع

الباب الثالث في اعمال الباطن في تلاوة القران

وهي عشرة فهم اصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم
ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التاثر ثم الترقي ثم التبري **فهم عظمة الكلام وعلوه** وفضل الاول
الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه
الذي هو صفة قديمة قايمة بذاته الى افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر
اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله تعالى الا بوسيلة صفات انفسهم ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف
لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله تعالى موسى
صلوات الله تعالى عليه لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة
على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله في اللوح المحفوظ اعظم من جبل قاف وان
الملايكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه ويقله باذن الله تعالى
ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله تعالى طوقه ذلك واستعمله به ولقد تانق بعض الحكما في التعبير عن وجه اللطف في ايصال
معاني الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان وتدريجه مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض
الملوك الى شريعة الانبيا فساله الملك عن امور فاجاب بما احتمله فهمه فقال الملك ارايت ما ياتي به الانبياء اذا ادعت
انه ليس بكلام الناس وانه كلام الله فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا راينا الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض
الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها وراوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر

باصوات

عن انوار عقلهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز البهايم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهايم يضعونها لايقة لهم من النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتها التي يطيقون حملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعون بينهم من الاصوات التي يسمعون بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوة في تلك الصفات من ان شرف الكلام اي الاصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا وكما ان اجساد البشر تكرم وتعز بمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة ظاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العدل والشاهد المرتضى يامر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحيا به ابصارهم ويستدلون به على حوايجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغايب وجهه الشاهد امره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزاين النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت ودوا الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة فينبغي ان يقتصر عليه

الثاني التعظيم للمتكلم فالقاري عند البداية بتلاوة القران ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقراه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلام الله غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا عن كل رجس مستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فكذلك لا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وافعاله فاذا خطر بباله العرش والكرسي والسموات والارضين وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وان الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه الذي يقول هولا في الجنة ولا ابالي وهولا في النار ولا ابالي وهذا غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام

الثالث حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراته منصرف الهمة اليه عن غيره وقيل لبعضهم اذا قرات القران تحدث نفسك بشي فقال او شي احب الي من القران احدث به نفسي وكان بعض السلف اذا قرا السورة لم يكن قلبه فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستانس ولا يغفل عنه ففي القران ما يستانس به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والمتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان في القران ميادين وبساتين وعرايس وديابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القران والراآت بساتين القران والحاآت مقاصير القران والمسبحات عرايس القران والحواميم ديابيج القران والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل القاري الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرايس ولبس الديابيج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره

الرابع التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القران ولكنه يقتصر على سماع القران من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر يمكن من التدبر في الباطن قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر اية وقد اشتغل الامام باية اخرى كان مسيا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في اية قراها فهو وسواس فقد روي عن عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلاة فقيل افي امر الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في صدري احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي فانظر كيف عد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن قال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا وروي انه صلى الله عليه قرا بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وانما رددها عليه السلام لتدبره في معانيها وعن ابي ذر قال قام رسول الله صلى الله عليه بنا ليلة فقام باية يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الاية وقام تميم الداري ليلة بهذه الاية ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الاية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول كل اية لا افهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وحكي عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لاتلو الاية فاقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا اني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا ايضا يقول اقمت نفسي مقام الاجرا فانا اعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة

وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها صح

الخامس التفهم وهو ان يستوضح من كل اية ما يليق بها اذ القران يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر افعاله وذكر احوال الانبيا عليهم السلام وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفات الله تعالى فكقوله ليس كمثله شي وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتامل معاني هذه الاسما والصفات لتنكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار علي رضي الله عنه بقوله ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا كتمه عن الناس الا ان يوتي الله عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القران واعظم علوم القران تحت اسما الله وصفاته اذ لم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا لايقة بافهامهم ولم يعثروا على اغوارها واما افعاله فكذكره خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق راه في كل شي اذ كل شي فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شي ما خلا الله باطل وان كل شي هالك الا وجهه لا انه سيبطل في ثاني الحال بل هو الان باطل ان اعتبر ذاته من حيث هو الا ان اعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله تعالى وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدا من علم مبادي المكاشفة ولهذا ينبغي اذا قرا قوله تعالى افرايتم ما تحرثون افرايتم الما الذي تشربون افرايتم النار التي تورون افرايتم ما تمنون فلا يقصر نظره على الما والنار والحرث والمني بل يتامل في المني وهو نطفة متناسبة الاجزا ثم ينظر في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل الاعضا بها بالاشكال المختلفة من الراس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرهما ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيتامل هذه العجايب ليرتقي منها الى اعجب العجايب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة فيرى الصانع فاما احوال الانبيا فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغنا لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يوثر في ملكه واذا سمع نصرتهم في اخر الامر فليفهم قدرة الله تعالى وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه من ذلك الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واسا الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وساير ما في القران فلا يمكن استقصا ما يفهم من ذلك لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جينا بمثله مددا ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شيت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب والغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فاما الاستقصا فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القران ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا قال الله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطابع هي الموانع التي سنذكرها من التفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القران كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد

السادس التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القران لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجايب اسرار القران قال صلى الله عليه لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى الملكوت ومعاني القران من جملة الملكوت وكلما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق

نسخه قاهر

نسخه منعوا من

الحروف اخراجها عن مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله ولا يزال يحملهم على ترديد الحروف
يخيل اليهم ان الحروف لم تخرج من مخارجها فهذا يكون تامله مقصورا على مخارج الحروف فمتى تنكشف له المعاني فاعظم ضحكه
للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس **ثانيها** ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب
له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله
غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني الذي تباين مسموعه حمل عليه شيطان
التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد ابائك فيرى ان ذلك غرور الشيطان فيتباعد عنه ويحترز عن
مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد
كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور
البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلوب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد من الاستوا على العرش
التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك في
ولو استقر في نفسه لانجر الى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل
وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدا
ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الباطن والظاهر
في كتاب قواعد العقائد بالشرط **ثالثها** ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع
سبب ظلمة القلب وصداه وهي كالخبث على المراة فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب للقلب وبه حجب فان ذلك
الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت معاني الكلام اشد احتجابا وكل ما خف عن القلب اثقال الدنيا قرب
تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المراة والشهوات مثل الصدا ومعاني القران مثل الصور التي تتراءى في المراة والرياضة للقلب
باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمراة ولذلك قال صلى الله عليه اذا عظمت امتي الدنيا والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام
واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا فهم القران وقد شرط الله الانابة في الفهم
والتذكر فقال تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذي
اثر غرور الدنيا على نعيم الاخرة فليس من ذوي الالباب فلذلك لا ينكشف له اسرار الكتاب **رابعها** ان يكون قد قرا
تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القران الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم وان ما وراء ذلك
تفسير بالراي وان من فسر القران برايه فقد تبوا مقعده من النار فهذا ايضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير
بالراي في الباب الرابع وان ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه الا ان يوتي الله عبدا فهما في القران وانه لو كان المعنى
هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه **السابع** التخصيص وذلك ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القران فان سمع
امرا او نهيا قدر انه المنهي والمامور وان سمع وعدا او وعيدا فكمثل وان سمع قصص الاولين والانبياء علم ان السمر
غير مقصود وانما المقصود الاعتبار بذلك وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة في القران الا وسياقها
لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فوادك فليقدر العبد ان الله يثبت فواده
بما يقصه عليه من احوال الانبياء وصبرهم على الاذى وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله وكيف لا يقدر هذا والقران
ما نزل على رسول الله صلى الله عليه للرسول خاصة بل هو شفا وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله تعالى بشكر الكافه
نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه
ذكركم وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وقال كذلك يضرب الله للناس امثالهم واتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب
جميع الناس قصد الاحاد فهذا الواحد القارئ مقصود فما له ولسائر الناس فليقدر انه المقصود قال تعالى نعلمه
واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما كلمه الله واذا قدر ذلك لم
يتخذ دراسة القران عمله بل يقراه كما يقرا العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتامله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال
بعض العلماء هذا القران رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها

في

في الطاعات السنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القران في قلوبكم يا اهل القران ان القران ربيع المؤمن كما ان
الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس احد هذا القران الا قام بزيادة او نقصان قال الله تعالى هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا **الثامن** التاثر وذلك ان يتاثر قلبه باثار مختلفة بحسب اختلاف الايات فيكون له بحسب كل
فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الخوف والحزن والرجا وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب
على ايات القران فلا يرى ذكر الرحمة والمغفرة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى واني لغفار ثم اتبع ذلك
باربع شروط قوله تعالى لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب
من المحسنين والاحسان يجمع الكل وهكذا من تصفح القران من اوله الى اخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية
والحزن ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القران يومن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه
وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ
فلم نجد شيئا ارق للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن من قراءة القران وتفهمه وتدبره فتاثر العبد بالتلاوة ان يصير
بصفة الاية المتلوة فعند الوعيد تتشمر الخوف والرعب من جلال الله تعالى وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من
خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه
يتطاطا خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله كذكرهم ان لله ولدا وصاحبة يغض
صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم وفعالهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار
ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرا علي قال فافتتحت سورة النساء
فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا رايت عينيه تذرفان الدمع فقال لي حسبك
الان وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان من الخائفين من خر مغشيا عليه
عند سماع ايات الوعيد ومنهم من مات في سماع الايات فمثل هذه الاحوال يخرجه عن ان يكون حاكيا واذا قرا ولنصبرن
على ما اذيتمونا فليكن حاله الصبر او العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه
بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين
وفي قوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي قوله وهم في غفلة معرضون وفي قوله تعالى فاعرض
عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وفي قوله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى غير ذلك من
الايات وكان داخلا في معنى قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني التلاوة المجردة وفي قوله
وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون لان القران هو المبين لتلك الايات في السموات
والارض ومهما تجاوزها ولم يتاثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق القران فاذا قرا
القران ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ومثال العاصي اذا قرا
القران وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها
ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت
ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم بقراءة القران فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح
والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا القران ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت عليه جلودكم فاذا اختلفتم
فلستم تقرءونه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه قال الله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا
تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وقال صلى الله عليه ان احسن الناس صوتا بالقران الذي اذا سمعته يقرا رايت انه
يخشى الله عز وجل وقال ايضا لا يسمع القران من احد اشهى منه ممن يخشى الله تعالى فالقران يراد لاستجلاب
هذه الاحوال الى القلب والعمل به والا فالمونة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرات القران
على شيخ لي ثم رجعت لاقرا ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراءة علي عملا اذهب فاقرا على الله تعالى فانظر ماذا يامرك

في كلامه ماذا قال الحي
اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم ولم يكن خائفا
كان حاكيا واذا قال ربنا
عليك توكلنا واليك انبنا
واليك المصير ولم يكن حال
التوكل والانابة كان حاكيا
صح

وماذا ينفعك ولهذا كان شغل الصحابة في الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه عن عشرين الفا من الصحابة لم
يحفظ القران منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة وال عمران من
علمائهم ● ولما جا رجل من الصدر الاول الى رسول الله صلى الله ليتعلم العلم فلما انتهى الى باب المسجد سمع النبي صلى الله عليه وهو يقرا
قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال صلى الله عليه انصرف الرجل
وهو فقيه ● وانما المقصود مثل تلك الحالة التي يمن الله بها على قلب العبد عقيب فهم الاية فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى
بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة
اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبا بها فان المقصر في الامر
يقال انه نسي الامر ● وتلاوة القران حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل
وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتاثر بالانزجار والايتمار فاللسان واعظ والعقل مترجم والقلب متعظ
التاسع الترقي اعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراة ثلاثة **الاول** ادناها ان يقدر
العبد كانه يقرا على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السوال والتملق والتضرع
والابتهال **الثانية** ان يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه عند هذا التقدير الحيا
والتعظيم والاصغا والفهم **الثالثة** ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراته ولا الى
تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق في مشاهدة المتكلم
عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا
اخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال والله لقد تجلى الله تعالى لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون ● وقال ايضا وقد
سالوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الاية على قلبي حتى سمعتها
من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة وكذلك قال بعض الحكما
كنت اقرا القران فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه
فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل يلقيه على رسول الله صلى الله عليه ثم جا الله بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به فعندها
وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه ● وقال عثمن وحذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من قراة القران وانما قالوا ذلك لانها
بالطهارة ترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به عشرين
سنة ● وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين وبقوله ولا تجعلوا
مع الله الها اخر فمن لم يره في كل شي فقد راى غيره وكلما التفت اليه العبد تضمن التفاته شيا من الشرك الخفي بل التوحيد
الخالص ان لا يرى في كل شي الا الله **العاشر** التبري واعني به ان يتبرا من حوله وقوته ومن الالتفات الى نفسه بعين
الرضا عنها والتزكية فاذا تلا ايات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين
فيها ويتشوق الى ان يلحقه الله بهم واذا تلا ايات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب
خوفا واشفاقا ● ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر
فتلا قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف بن اسباط اذا قرات القران بماذا تدعو فقال بماذا ادعو استغفر
الله عن تقصيري سبعين مرة فاذا راى نفسه بصورة التقصير في القراة كان رويته لذلك من نفسه سبب قربه فان من شهد
البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراها ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن الذي
يفضيه الى درجة اخرى في القرب وراها ومن اشهد القرب في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين
الرضا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراته انكشف له الملكوت قال
سليمن بن ابي سليمن الداراني وعد ابن ثوبان اخا له ان يفطر عنده فابطا عليه حتى طلع الفجر فلقيه الاخ من الغد
فقال له وعدتني ان تفطر عندي فاخلفت فقال لولا ميعادك ما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر
قبل ان اجيك لاني لا امن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعا من الوتر رفعت لي روضة خضرا فيها انواع الزهر من الجنة
فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفة لا تكون الا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم

نخص

تخص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف فحيث يتلو ايات الرجا ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة الجنة
فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله يشتمل على السهل
اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب صفاته اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة
الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها
اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار
بلغ متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل ●

الباب الرابع

في فهم القران وتفسيره بالراي من غير نقل ● لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار القران وما ينكشف لارباب القلوب
الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار وعن هذا شنع
اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف من المنسوبين الى التصوف في تاويل كلمات القران على خلاف ما نقل عن ابن عباس
وساير المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله اهل التفسير فما معنى فهم القران سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك
فما معنى قوله عليه السلام من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقران الا ما ترجمه ظاهر
التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطي في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده
ومحطه بل الاخبار والاثار تدل على ان في معاني القران متسعا لارباب الفهم قال علي رضي الله عنه الا ان يوتي الله
تعالى عبدا فهما في القران فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما معنى ذلك الفهم وقال صلى الله عليه ان للقران ظهرا وبطنا
وحدا ومطلعا ويروى ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علما التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع
وقال علي رضي الله عنه لو شيت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معنى ذلك وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار ر
وقال ابو الدردا لا يفقه الرجل حتى يجعل للقران وجوها وقد قال بعض العلما لكل اية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر
وقال بعضهم القران يحوي سبعة وسبعين الف علم ومايتي علم اذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعا لكل واحد
ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون الا لتدبر
باطن معانيها والا فترجمتها وتفسيرها ظاهر ولا يحتاج مثله صلى الله عليه الى تكريره ● وقول ابن مسعود من اراد علم
الاولين والاخرين فليثور القران وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال الله
تعالى وصفاته وفي القران شرح ذاته وافعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القران اشارات الى مجامعها
النظار والمقامات في التعمق في تفصيله راجع الى فهم القران ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل على
الخلق النظار فيه في النظريات والمعقولات ففي القران رموز اليه ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركها فكيف
يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه اقروا القران والتمسوا غرايبه وقال عليه السلام في
حديث علي رضي الله عنه والذي بعثني بالحق لتفترقن امتي على اصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة
يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبا ما كان قبلكم ونبا ما ياتي بعدكم وحكم ما بينكم من
خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاوه النافع عصمة
لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم لا تنقضي عجايبه ولا يخلقه كثرة الترديد ● وفي حديث
حذيفة لما اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فما تامرني ان ادركت
ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه ثلاثا فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه
ففيه النجاة ● وقال علي رضي الله عنه من فهم القران فسر جمل العلم اشار به الى ان القران يشير الى مجامع العلوم
كلها ● وقال ابن عباس في قوله تعالى ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الفهم في القران ● وقال تعالى ففهمناها
سليمن وكلا اتينا حكما وعلما فسمى ما اتاهما حكما وعلما وخصص ما انفرد به سليمن بالتفطن له باسم الفهم وجعله
مقدما على العلم والحكمة فهذه الامور تدل على ان في فهم معاني القران مجالا رحبا ومتسعا بالغا فان المنقول من
ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه فاما قوله صلى الله عليه من فسر القران برايه ونهيه عليه السلام عن ذلك
وقول ابي بكر رضي الله عنه اي ارض تقلني واي سما تظلني اذا قلت في القران برايي الى غير ذلك مما ورد في الاثار والاخبار

من النهي عن تفسير القران بالراي فلا يخلو اما ان يراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم
او المراد به امر اخر وباطل قطعا ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القران الا بما يسمعه لوجوه احدها انه يشترط ان يكون
ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض القران فاما ما يقوله
ابن عباس وابن مسعود من انفسهما فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالراي لانهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وكذلك
غيرهما من الصحابة والثاني ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في بعض الايات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها
وسماع جميعها عن رسول الله صلى الله عليه محال ولو كان احدها مسموعا لترك الباقي فتبين قطعا ان كل مفسر قال في
المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في اوائل السور سبعة اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فقيل الر هي حروف
الرحمن وقيل الالف الله واللام لطيف والرا رحيم والثالث انه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس وقال اللهم فقهه في
الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك والرابع انه تعالى
قال لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم ان الاستنباط ورا السماع وجملة ما نقلناه من الاثار
في فهم القران يناقض هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع في التاويل وجاز لكل واحد ان يستنبط من القران بقدر فهمه وحد
عقله ۝ واما النهي فانه ينزل على احد وجهين احدهما ان يكون للمفسر في الراي اليه ميل من طبعه وهواه فيتاول القران
على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه في شي عرض له ولو لم يكن له ذلك الراي والهوى لكان لا يلوح له من القران
ذلك المعنى وذلك تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض ايات القران على تصحيح بدعته وهو يعلم انه ليس ذلك هو المراد
بالاية ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الاية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه
ويرجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون حينئذ قد فسر برايه وهواه اي رايه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رايه لما
كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القران ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد
به كمن يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله عليه السلام تسحروا فان في السحور بركة ويزعم ان المراد به
التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى اذهب
الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومي الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد
الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس
ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القران على وفق رايهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة به فهذه
الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالراي ويكون المراد بالراي الراي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح
والراي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الراي الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القران
بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القران وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة
وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني
بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في جملة من يفسر بالراي فالنقل والسماع لا بد منهما في ظاهر التفسير اولا ليتقي به
مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا باستماع فنون كثيرة ونحن نرمز
الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر اولا ولا مطمع في الوصول
الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القران ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ الى
صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعي فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر
التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم ولا بد فيها من استماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف
والاضمار كقوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه اية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى
ظاهر العربية يظن ان المراد به الناقة كانت مبصرة ولم تكن عميا ولا يدري انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم
او انفسهم ۝ وقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل فحذف الحب ۝ وقوله تعالى اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعف عذاب الاحيا وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل الاحيا
والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح اللغة ۝ وقوله تعالى واسال القرية التي كنا فيها والعير والاصل

وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا ح

وشي غيره

لموسى

مجازه في مصر ۝ وقوله تعالى ثقلت في السموات والارض معناه خفيت على اهل السموات والارض والشي اذا خفي ثقل فابدل اللفظ
به واقيمت في مقام على واضمر الاهل وحذف ۝ وقوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم ۝ وقوله تعالى واتنا ما وعدتنا
على رسلك اي على السنة رسلك فحذف الالسنة ۝ وقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر اراد القران وما سبق له ذكر ۝ وقال
حتى توارت بالحجاب اراد الشمس وما سبق لها ذكر ۝ وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اوليا ما نعبدهم الا ليقربونا معناه يقولون ما نعبدهم
وقوله تعالى فمال هولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا
يفقهون حديثا يقولون ما اصابك من حسنة فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله قل كل من عند الله وسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها
المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين اي طور سينا سلام على ال ياسين اي على الياس وقيل ادريس لان في حرف ابن مسعود سلام على
ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا ان يتبعون الا الظن
معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا الا الظن ۝ وقوله عز وجل قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا
لمن امن منهم معناه الذين استكبروا للمومنين من الذين استضعفوا ومنها المقدم والموخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل
ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه ولولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام ۝ وقوله تعالى
يسالونك كانك حفي عنها اي يسالونك عنها كانك حفي ۝ وقوله تعالى لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي فصارت الانفال
لك اذ انت خرجت وانت راض وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره ۝ وقوله تعالى حتى تومنوا
بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه ۝ وقوله عز وجل يسالونك كانك حفي عنها ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان
كلمة وحرف اما الكلمة فكالشي والقرين والامة والروح ونظائرها قال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي
اراد النفقة مما رزق وقال الله تعالى وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شي وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير
اي الامر بالعدل والاستقامة ۝ وقوله تعالى فان اتبعتني فلا تسالني عن شي اراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل
السوال عنها حتى يبتدي بها العارف في اوان الاستحقاق ۝ وقوله تعالى ام خلقوا من غير شي اي من غير خالق فربما يتوهم به انه
يدل على انه لا يخلق شي الا من شي ۝ واما القرين فقوله تعالى قال قرينه ربنا ما اطغيته اراد به الشيطان ۝ وقوله تعالى وقال
قرينه هذا ما لدي عتيد اراد به الملك الموكل به ۝ واما الامة فتطلق على ثمانية اوجه الامة الجماعة كقوله تعالى وجد عليه
امة من الناس يسقون والامة اتباع الانبياء كقولك نحن من امة محمد صلى الله عليه والامة الرجل الجامع للخير المقتدى به كقوله عز
وجل ان ابراهيم كان امة قانتا والامة الدين كقوله عز وجل انا وجدنا اباءنا على امة والامة الحين والزمان كقوله عز وجل الى
امة معدودة ۝ وقوله عز وجل وادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة اي القامة وامة رجل منفرد
بدين لا يشركه فيه احد قال رسول الله صلى الله عليه يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام يقال هذه امة زيد اي
ام زيد ۝ والروح ايضا ورد في القران لمعان كثيرة فلا نطول بايرادها وقد يقع الابهام في الحروف مثل قوله تعالى فاثرن به نقعا
فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات اي اثرن بالحوافر نقعا والثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا
فوسطن به جمعا جمع المشركين فاغاروا بجمعهم ۝ وقوله عز وجل فانزلنا به الما يعني السحاب فاخرجنا به من كل الثمرات يعني بالما
وامثال هذا في القران لا يحصر ومنها التدريج في البيان كقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران اذ لم يظهر فيه انه ليل
او نهار وبان بقوله عز وجل انا انزلناه في ليلة مباركة ولم يظهر اي ليلة هي وظهر بقوله عز وجل انا انزلناه في ليلة
القدر وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الايات فهذا وامثاله لا يغني فيه الا النقل والسماع والقران من اوله الى اخره غير
خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم
وتاخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القران ولم يستظهر بالسماع والنقل
في هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القران برايه مثل ان يفهم من لفظ الاية المعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورايه اليه فاذا سمعه
في موضع اخر مال رايه الى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثرة معانيه فهذا مما يمكن ان يكون منها دون الفهم
لاسرار المعاني كما سبق فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفي ذلك في
فهم معاني الحقائق ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو ان الله عز وجل قال وما رميت اذ رميت

اخبارا عن قول الحق تعالى

ولكن الله رمى وظاهره تنفيس واضح وحقيقته معناه غامض فانه اثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم
انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله سبحانه. وكذلك قوله عز وجل قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
فاذا كانوا هم المقاتلين فكيف يكون الله هو المعذب وان كان الله هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من
بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة وتفهم وجه
ارتباط القدرة الحادثة بقدرة الله تعالى حتى ينكشف بعد ايضاح علوم كثيرة غامضة صدق قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار هذه المعاني وما يرتبط بمقدماتها ولواحقها لانقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقها
وما من كلمة من القرآن الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم
وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي الى درجة منه فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان
البحر مدادا والشجر اقلاما فاسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الابحر قبل ان تنفد كلمات الله عز وجل فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق
في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثاله فهم بعض ارباب القلوب من قوله صلى الله
عليه وسلم في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من
بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقى الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه مما استحيى به
من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله عليه السلام لا احصي ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت
على نفسك فهذه خواطر تنفتح لارباب القلوب ثم لها اغوار وراء ذلك كثيرة وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة
من صفة بصفة ومنه به واسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول
الى لبابه عن ظاهره فهذا ما نريد بفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله اعلم

كتاب الاذكار والدعوات

وهو الكتاب التاسع من ربع العبادات من جملة كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الشامل رأفته العام رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال عز وجل اذكروني
اذكركم ورغبهم في السؤال والدعاء بامره فقال ادعوني استجب لكم واطمع المطيع والعاصي والداني والقاصي في الانبساط الى
حضرة جلاله برفع الحاجات والاماني بقوله تعالى فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان. والصلاة على محمد سيد انبيائه وعلى
آله واصحابه خيرة اصفيائه وسلم كثيرا. اما بعد فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان افضل من ذكر الله
عز وجل ورفع الحاجات بالادعية الصالحة الخالصة الى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في اعيان
الاذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة
لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر ابواب خمسة. الباب الاول في فضيلة الذكر وفائدته جملة
وتفصيلا. الباب الثاني في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.
الباب الثالث في ادعية مأثورة ومعزية الى اصحابها واسبابها. الباب الرابع في ادعية منتخبة محذوفة
الاسانيد من الادعية المأثورة. الباب الخامس في الادعية المأثورة عند حدوث الحوادث.

الباب الاول

في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الآيات والاخبار والآثار وفائدته ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات اما الآيات
فقوله سبحانه فاذكروني اذكركم قال ثابت البناني اني اعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك قال اذا ذكرته ذكرني
وقال الله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال عز وجل فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما
هداكم الآية وقال عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون
الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال ابن عباس
رضي الله عنه اي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال عز وجل
في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو

والآصال ولا تكن من الغافلين وقال عز وجل ولذكر الله اكبر قال ابن عباس رضي الله عنه له وجهان احدهما ان ذكر الله لكم
اكبر من ذكركم اياه والوجه الآخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الآيات. واما الاخبار فقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل
بين الفارين وقال ايضا ذاكر الله في الغافلين كالحي بين الاموات وقال صلى الله عليه يقول الله تعالى انا مع عبدي ما ذكرني او
تحركت بي شفتاه وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما عمل ابن آدم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله
ولا الجهاد في سبيل الله الا ان تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم
من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال ان تموت
ولسانك رطب بذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اصبح وامس ولسانك رطب بذكر الله عز وجل تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة
وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لذكر الله عز وجل بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا
وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال الله تعالى اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من
ملائه واذا تقرب الي شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الي هرولت اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة
وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم سبعة يظلهم الله عز وجل يوم لا ظل الا ظله وذكر من جملتهم رجلا ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه
من خشية الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب
وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما وقال
صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين.

واما الآثار فقد قال
الفضيل بلغنا ان الله عز وجل قال يا ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله عز وجل
يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال الحسن
الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما احسنه واعظم اجره وافضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله
عز وجل ويروى ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل ليس يتحسر اهل الجنة على شيء الا على
ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها.

فضيلة مجالس الذكر

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما جلس
قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال صلى الله عليه وعلى
آله وسلم ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد
بدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه فيه ولم يصلوا على النبي صلى
الله عليه الا كان عليهم حسرة يوم القيامة وقال داود صلى الله عليه الهي اذا رأيتني اجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين
فاكسر رجلي دونهم فانها نعمة تنعم بها علي وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن الفي الفي مجلس من مجالس
السوء وقال ابو هريرة ان اهل السماء ليتراءون بيوت اهل الارض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن
عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا
دعهم فانهم اذا تفرقوا اخذت باعناقهم اليك وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه دخل السوق فقال اراكم هاهنا وميراث محمد
صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا ابا هريرة ما رأينا ميراثا
يقسم قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرؤون القرآن قال فذلك ميراث محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة او ابي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال ان لله عز وجل ملائكة
سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى
السماء الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى على اي شيء تركتم عبادي يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك
فيقول تعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا اشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول
لهم من اي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون
لو رأوها لكانوا اشد هربا منها واشد نفورا فيقول عز وجل واي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها
فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا اشد حرصا عليها فيقول جل جلاله فاني اشهدكم اني قد

تعرض لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم

فضيلة التهليل

قال صلى الله عليه وعلى اله وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير • وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يأت احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك • وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم ما من عبد يتوضا فيحسن الوضوء ثم يرفع طرفه الى السماء فيقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء • وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور كاني انظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور • وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم لابي هريرة يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع في ميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كانت لا اله الا الله ارجح من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له ذلك • وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم يا ابا هريرة لقن الموتى شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلنا يا رسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء فقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم هي اهدم واهدم • وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة • وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم لتدخلن الجنة كلكم الا من ابى وشرد على الله عز وجل شرد البعير على اهله فقيل يا رسول الله ومن الذي يابى قال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة • وقال الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقيل الاحسان في الدنيا قول لا اله الا الله والاحسان في الاخرة الجنة • وكذلك قوله عز وجل للذين احسنوا الحسنى وزيادة • وروى البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كانت له عدل رقبة او نسمة • وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم قال من قال في يوم مائتي مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه احد كان قبله ولا يدركه احد كان بعده الا من عمل افضل من عمله • وقال عمر رضي الله عنه من قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب له الف الف حسنة ومحيت عنه الف الف سيئة وبني له بيت في الجنة • ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت على صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جانبها • وفي الصحيح عن ابي ايوب عن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم انه من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل صلى الله عليه وعلى اله وسلم • وفي الصحيح ايضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي غفر له او دعا استجيب له فان توضا وصلى قبلت صلاته

يحيي ويميت

فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار

قال صلى الله عليه وعلى اله وسلم من سبح دبر كل صلاة ثلثا وثلثين وحمد ثلثا وثلثين وكبر ثلثا وثلثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر • وروي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين انت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وما هي يا رسول الله فقال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح تاتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة لك ثوابه • وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم اذا قال العبد الحمد لله ملات ما بين السماء والارض واذا قال الحمد لله الثانية ملات ما بين السماء السابعة الى الارض واذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعطه • وقال رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع راسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم من صلاته قال لقد رايت بضعة وثلثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اولا وقال رسول الله صلى

وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر

عليه الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله وسبحان الله والحمد لله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله • وقال صلى الله عليه وسلم ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر • وروى النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الذين يذكرون الله من جلال الله وتسبيحه وتحليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر بصاحبه اولا يحب احدكم ان لا يزال عند الله عز وجل من يذكر به • وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه قال لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس وفي رواية وزاد ولا حول ولا قوة الا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها • وقال صلى الله عليه احب الكلام الى الله عز وجل اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدات رواه سمرة بن جندب • وروى ابو مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه كان يقول الطهور شطر الايمان والحمد لله تملا الميزان وسبحان الله والله اكبر يملآن ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقران حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها • وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم • وقال ابو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه اي الكلام احب الى الله عز وجل قال ما اصطفى الله عز وجل لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم • وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله اكبر فمثل ذلك وذكر الى اخر الكلمات • وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة • وعن ابي ذر قال قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم فقال صلى الله عليه وسلم اوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويضع احدكم اللقمة في في اهله فهي له صدقة وبضعه اهله فهي له صدقة قالوا يا رسول الله ياتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال صلى الله عليه وعلى اله وسلم ارايت لو وضعها في حرام لكان عليه فيها وزر لذلك ان وضعها في الحلال كان له فيها اجر • وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق اهل الاموال بالاجر يقولون ما نقول وينفقون ولا ننفق فقال صلى الله عليه وسلم افلا ادلك على عمل اذا انت فعلته ادركت من قبلك وفت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلاة ثلثا وثلثين وتحمد ثلثا وثلثين وتكبر اربعا وثلثين • وروت بسرة عن النبي صلى الله عليه انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات يعني بالشهادة في القيامة • وقال ابن عمر رضي الله عنه رايته صلى الله عليه وعلى اله وسلم يعقد التسبيح • وقد قال صلى الله عليه فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه قال اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله تعالى صدق عبدي لا اله الا انا لا شريك لي واذا قال لا اله الا الله لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدي لا حول ولا قوة الا بي ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار • وروى مصعب بن سعد عن ابيه عن النبي صلى الله عليه انه قال ايعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة فقيل له كيف ذلك فقال صلى الله عليه يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله بن قيس او يا ابا موسى او لا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله • وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل من كنوز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله تعالى اسلم عبدي واستسلم وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله تعالى ان يرضيه يوم القيامة • وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه • وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت فاذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ما سبيلكم على من هدي وكفي ووقي فان قلت فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار افضل وانفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره منه في علم المعاملة ان المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الاخبار ما يدل على ذلك ايضا وحضور القلب في لحظة مع الذكر والذهول

وبضعه

عن الله تعالى مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله عز وجل على الدوام في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وذلك هو غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول واخر فاوله يوجب الانس والحب واخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنهما والمطلوب هو ذلك الانس والحب فان المريد في بداية الامر قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله عز وجل فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات ان تذكر غايبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا الى كثرة الذكر اخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيا اكثر من ذكره ومن اكثر ذكر شي وان كان تكلفا احبه فكذلك اول الذكر متكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه اخرا فيصير الموجب موجبا والثمر مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القران عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا للطبع حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف وقد قيل النفس ما حملتها تتحمل اي ما كلفتها تتكلفه اولا ثم يصير لها طبعا اخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله عز وجل انقطع عن غير الله سبحانه وما سوى الله تعالى هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى معه الا ذكر الله سبحانه فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوايق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحيوة هي التي تصد عن ذكر الله سبحانه ولا يبقى بعد الموت عايق وكانه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال صلى الله عليه وعلى اله وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى ان تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله تعالى ويترقى من الذكر الى اللقا وذلك بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ۞ ولا ينكرن بقا ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول انه اعدم فكيف يبقى معه ذكر الله تعالى فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة ۞ وقال صلى الله عليه وسلم ارواح الشهدا في حواصل طيور خضر وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان قد سماهم صلى الله عليه وعلى اله وسلم باسمايهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له عمر رضي الله عنه يا رسول الله كيف يسمعون واني يجيبون وقد جيفوا فقال صلى الله عليه والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا والحديث في الصحيح هذا قوله في المشركين ۞ واما المومنون والشهدا فقد قال صلى الله عليه ان ارواحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما اشير بهذه الالفاظ اليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ۞ ولاجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ومعنى الخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله عز وجل والقلب مستغرق بالله تبارك وتعالى منقطع العلايق عن غيره فان قدر عبد على ان يجعل همه مستغرقا بالله تعالى فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في صف القتال فانه قد قطع عند ذلك الطمع عن مهجته واهله وماله وولده بل عن الدنيا كلها فانه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته ولا تجرد لله اعظم من ذلك في الشرع ولذلك عظم امر الشهادة وورد فيها من الفضايل ما لا يحصى فمن ذلك انه لما استشهد عبد الله الانصاري يوم احد قال رسول الله صلى الله عليه لجابر ابنه الا ابشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله عز وجل احيى اباك واقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال الله تعالى تمن علي يا عبدي ما شيت اعطيكه فقال يا رب تردني الى الدنيا حتى اقتل فيك وفي نبيك مرة اخرى فقال عز وجل سبق القضا مني بانهم اليها لا يرجعون ثم ان القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله تعالى ولهذا عظم خوف اهل المعرفة من سوء الخاتمة فان القلب وان الزم ذكر الله تعالى فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل في اخر الحال في قلبه امر الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا على هذه الحالة يوشك

ان

ان يتم استيلاوه عليه فيحيى بعد الموت على ذلك ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الاخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ۞ واسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال او يقال شجاع او غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله سبحانه واعلا كلمته فهذه الحالة التي عبر عنها بان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البايع الدنيا بالاخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصد مقصود له سوى الله عز وجل ولا معبود له سواه وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قايل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصد له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فامره في مشية الله عز وجل ولا يومن في حقه الخطر ولذلك فضل قول لا اله الا الله على ساير الاذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر ذلك في بعض المواضع مع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال فنسال الله تعالى ان يجعلنا في الخاتمة من اهل لا اله الا الله مخلصا ومعنى الاخلاص حالا ومقالا ظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقا الله عز وجل فان من احب لقا الله سبحانه احب الله سبحانه لقاه ومن كره لقا الله عز وجل كره الله عز وجل لقاه فهذه مرامز الى معاني الذكر لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة

بلغ

الباب الثاني في اداب الدعاء وفضله وفضل بعض الادعية الماثورة

فضيلة الدعا

قال الله عز وجل واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي ۞ وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ۞ وقال عز وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى ۞ وقال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ۞ وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدعا هو العبادة ثم قرا ادعوني استجب لكم ۞ وقال صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العبادة ۞ وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وعلى اله وسلم قال ليس شي اكرم على الله عز وجل من الدعا ۞ وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد لا يخطيه من الدعا احدى ثلث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له ۞ وقال ابو ذر يكفي من الدعا مع البر ما يكفي الطعام من الملح ۞ وقال صلى الله عليه وسلم سلوا الله تعالى من فضله فانه يحب ان يسال وافضل العبادة انتظار الفرج بالصبر

اداب الدعا وهي عشرة

الاول ان يترصد لدعايه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون ۞ ولقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله عز وجل كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول عز وجل من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ۞ وقيل ان يعقوب صلى الله عليه وعلى اله وسلم انما قال لبنيه سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام في وقت السحر يدعو واولاده يومنون خلفه فاوحى الله اليه اني قد غفرت لهم وجعلتهم انبيا

الثاني ان يغتنم الاحوال الشريفة قال ابو هريرة رضي الله عنه ان ابواب السما تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة المكتوبة فاغتنموا الدعا فيها ۞ وقال مجاهد ان الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعا خلف الصلوات ۞ وقال صلى الله عليه وسلم الدعا بين الاذان والاقامة لا يرد ۞ وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم الصايم لا ترد دعوته ۞ وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفا القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله سبحانه فهذا احد اسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود ايضا اجدر بالاجابة قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا من الدعا ۞ وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني نهيت ان اقرا القران راكعا وساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا فيه بالدعا فانه قمن ان يستجاب لكم

ار

الثالث ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه ۞ روى جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس ۞ وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا ۞ وروى انس انه صلى الله عليه كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعا ولا يشير باصبعه ۞ وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه مر على انسان وهو يشير باصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه

وعلى آله وسلم أحد أحد أي اقتصر على الواحدة ● وقال أبو الدرداء ارفعوا هذه الأيدي بالدعاء قبل أن تغل بالأغلال ثم ينبغي أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء، قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه ● وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه فهذه هيئات الأيدي ولا يرفع بصره إلى السماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم **الرابع** خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي أن أبا موسى الأشعري قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم ● وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها أي بدعائك وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكريا صلى الله عليه حيث قال إذ نادى ربه نداء خفيا وقال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية **الخامس** أن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء ● وقد قال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين قيل معناه التكلف للأسجاع ● والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فإنه إذا اعتدى في دعائه يسأل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء ● ولذلك روي عن معاذ رضي الله عنه في الخبر إن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء ● وقد قال صلى الله عليه إياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ● وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور ● ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أعلى الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمي يدعو ما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه ● وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ● ويقال إن العلماء والأبدال لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله عز وجل لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام لأن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة وإلا ففي الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد وأمثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليلتمس بلسان التضرع والخشوع والرهبة من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله **السادس** التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ● وقال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية ● وقال صلى الله عليه إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه **السابع** أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له ● وقد قال صلى الله عليه إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء ● وقال صلى الله عليه ادعوا الله عز وجل وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله تعالى أجاب دعاء شر الخلق إبليس إذ قال رب أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين **الثامن** أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان صلى الله عليه إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا وينبغي أن لا يستبطئ الإجابة لقوله صلى الله عليه وسلم يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فإذا دعوت فاسأل الله كثيرا فإنك تدعو كريما ● وقال بعضهم إني أسأل الله منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وأنا أرجو الإجابة سألت الله أن يوفقني لترك ما لا يعنيني ● وقال صلى الله عليه إذا سأل أحدكم مسألة فعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال **التاسع** أن يفتتح بذكر الله تعالى ولا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه يستفتح الدعاء إلا استفتحه فقال سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب ● وقال أبو سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله عز وجل فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة عليه فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو

أكرم من أن يدع ما بينهما ● وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا سألتم الله حاجة فابدءوا بالصلاة علي فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي أحدهما ويرد الأخرى رواه أبو طالب المكي **العاشر** وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الإجابة ● ويروى عن كعب الأحبار أنه قال أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى صلى الله عليه فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل يستسقي بهم فخرج موسى عليه السلام وهم معه فلم يسقوا ثم خرج ثلاث مرات فلم يسقوا فأوحى الله عز وجل إلى موسى صلى الله عليه وسلم إني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام فقال موسى صلى الله عليه يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فقال موسى صلى الله عليه لبني إسرائيل توبوا بأجمعكم من النميمة فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث ● وقال سعيد بن جبير قحط الناس في زمان ملك من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا فقال الملك ليرسلن الله علينا السماء أو لنؤذينه قيل له تقدر أن تؤذيه وهو في السماء قال أقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل الله عز وجل عليهم السماء ● وقال سفين الثوري بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال وكانوا يخرجون إلى الجبال يبكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم لو مشيتم إلي بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكل ألسنتكم عن الدعاء فإني لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم إلى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم ● وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني إسرائيل قحط فخرجوا مرارا فأوحى عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم إنكم تخرجون إلي بأبدان نجسة وترفعون إلي أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني إلا بعدا ● وقال أبو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان صلى الله عليه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم ● وقال الأوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر من حضر ألستم مقرين بالإساءة فقالوا اللهم نعم فقال اللهم إنا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا ● وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك قال إنكم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجارة ● وروي أن عيسى صلى الله عليه خرج يستسقي فلما ضجروا قال لهم عيسى صلى الله عليه من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه في المفازة إلا رجل واحد فقال له عيسى صلى الله عليه ما لك من ذنب فقال والله ما أعلمه من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلي فمرت بي امرأة فنظرت إليها بعيني هذه فلما جاوزتني أدخلت أصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له عيسى صلى الله عليه وسلم فادع حتى أؤمن على دعائك قال فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا ● وقال يحيى الغساني أصاب الناس قحط على عهد داود النبي صلى الله عليه وسلم فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال أحدهم اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعفو عمن ظلمنا اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا وقال الثاني اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعتق أرقاءنا اللهم إنا أرقاؤك فأعتقنا وقال الثالث اللهم إنك أنزلت في توراتك أن لا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر إلي فقال يا عطاء أهذا يوم النشور أو بعثر ما في القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطاء بقلوب أرضية أو بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال إلهي وسيدي ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آلائك إلا ما سقيتنا ماء غدقا فراتا تحيي به العباد وتروي به البلاد يا من هو على كل شيء قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول

نعم الزاهدون والعابدونا ● إذ لمولاهم أجاعوا البطونا ● أسهروا الأعين القريحة فيه ● فانقضى ليلهم وهم ساهرونا ● شغلتهم عبادة الله حتى ● قيل في الناس إن فيهم جنونا ● وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون وخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه

جلس الى جنبي فسمعته يقول الهي اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال وقد احتبست علينا غيث السماء
لتؤدب عبادك بذلك فاسالك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل
يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام واقبل المطر من كل مكان قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال لي اراك
كئيبا فقلت سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه. ويروى ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس رضي الله عنه اللهم
انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولن يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وعلى
اله وسلم وهذه ايدينا اليك بالذنوب ممدودة ونواصينا بالتوبة وانت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة
فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا
فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارخت السماء مثل الجبال **فضيلة الصلاة**
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله قال الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما. وروي انه صلى الله عليه جاء ذات يوم والبشرى يرى في وجهه فقال صلى الله
عليه وعلى اله وسلم جاءني جبريل صلى الله عليه وسلم فقال اما ترضى يا محمد الا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه
عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا. وقال صلى الله عليه من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل
عبد من ذلك او ليكثر. وقال صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بي اكثرهم علي صلاة. وقال صلى الله عليه بحسب المؤمن
من البخل ان اذكر عنده فلا يصلي علي. وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة. وقال
صلى الله عليه من صلى علي من امتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات. وقال صلى الله عليه من قال
حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه
الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي. وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم من صلى علي في
كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب. وقال صلى الله عليه ان في الارض ملائكة
سياحين يبلغوني عن امتي السلام. وقال صلى الله عليه وسلم ليس احد يسلم علي الا رد الله عز وجل روحي حتى ارد
عليه السلام. وقيل يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد. ويروى ان عمر بن الخطاب سمع بعد موت رسول الله صلى
الله عليه يبكي ويقول بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن
الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت اولى بالحنين اليك لما فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ
من فضيلتك عنده ان جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان اخبرك بالذنب فقال عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم
بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال عز وجل واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل
النار يودون ان يكونوا قد اطاعوك وهم من اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا بابي انت وامي
يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله عز وجل حجرا تتفجر منه الانهار فما ذلك باعجب من اصابعك حين نبع منها
الماء صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان سليمن اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما
ذلك باعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي انت
وامي يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم عليه السلام اعطاه الله احياء الموتى فما ذلك باعجب من الشاة المسمومة
حين كلمتك وهي مشوية وقالت لا تاكلني فاني مسمومة بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك
وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله لقد
اتبعك في قلة سنيك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد امن بك الكثير وما امن معه الا

قليل. بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تخالط الا كفوا لك ما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوا لك ما انكحت الينا ولو لم تواكل
الا كفوا لك ما واكلتنا فلقد والله واكلتنا وجالستنا وتزوجت الينا ولبست الصوف وركبت الحمار واردفت خلفك ووضعت
طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليك. وقال عصام كنت اكتب الحديث واصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم فيه ولا اسلم فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال صلى الله عليه اما تتم الصلاة علي في كتابك فما كتبت
بعد ذلك الا صليت وسلمت. وروي عن ابي الحسن الشافعي قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول
الله بما جزي الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال
صلى الله عليه وسلم جزي عني انه لا يوقف للحساب **فضيلة الاستغفار** قال الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة
او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم. وقال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في كتاب الله
عز وجل ايتان ما اذنب عبد ذنبا فقراهما واستغفر الله عز وجل الا غفر الله له والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم
الاية. وقوله عز وجل ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله الاية. وقال عز وجل والمستغفرين بالاسحار
وقال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم
وبحمدك اغفر لي انك انت التواب الرحيم. وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله عز وجل له
من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب. وقال صلى الله عليه اني لاستغفر الله سبحانه واتوب اليه في
اليوم سبعين مرة هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر. وقال صلى الله عليه وسلم
انه ليغان على قلبي حتى اني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة. وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين ياوي الى فراشه
استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ثلاث مرات غفر الله عز وجل ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وعدد رمل
عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا. وقال صلى الله عليه وسلم في حديث اخر من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان
فارا من الزحف. وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان يدخلني لساني النار فقال
النبي صلى الله عليه فاين انت من الاستغفار فاني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة. وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت بذنب فاستغفري الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار. وكان صلى الله عليه
وسلم يقول في الاستغفار اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي
وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني
انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير. وقال علي رضي الله عنه كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم حديثا نفعني الله عز وجل منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته ثم
وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم
فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل الا غفر الله تعالى له ثم تلا قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم
الاية. وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب
ونزع واستغفر صقل قلبه منها فاذا زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه كلا
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
سبحانه ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب انى لي هذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك. وروت
عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤوا استغفروا
وقال صلى الله عليه وسلم اذا اذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي يقول الله عز وجل اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له
ربا ياخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك. وقال صلى الله عليه ما اصر من استغفر
وان عاد في اليوم سبعين مرة. وقال صلى الله عليه ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لي ربا يا رب
اغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت لك. وقال صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا فعلم ان الله تعالى قد اطلع عليه
غفر له وان لم يستغفر. وعن سلمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عودوا السنتكم الاستغفار
فان الله لم يعلمكم الاستغفار الا وهو يريد ان يغفر. وقال صلى الله عليه يقول الله عز وجل يا عبادي كلكم مذنب

العظيم

الا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم ومن علم أني ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت كدبيب النمل ويروى أن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت فإنه لا يغفر الذنوب جميعا إلا أنت

الآثار

قال خالد بن معدان قال الله عز وجل إن أحب عبادي إلي المتحابون بحبي والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال قتادة القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تفسيرها أقلني وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خثيم لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله تعالى وهو لا يعلم وسمع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم إن استغفاري إياك مع إصراري للؤم وإن تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب إلي بالنعم مع غناك عني وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك يا من إذا وعد وفى وإذا توعد عفا أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك إذا دعوت بهذا الدعاء مخلصا إن شاء الله اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته في ضياء نهار وسواد ليل في ملإ أو خلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال إنه استغفار الخضر عليه السلام وقيل إنه استغفار آدم عليه السلام

الباب الثالث

في أدعية مأثورة معزاة إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحا ومساء أو بعقب كل صلاة فمنها دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس بعثني العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام فصلى من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلاة الفجر قال اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتن عني وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم أعطني إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن ضعف رأيي وقصر عملي وافتقرت إلى رحمتك فأسألك يا قاضي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم وما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه أمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فإني أرغب إليك فيه وأسألكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك سلما لأوليائك نحب بحبك من أطاعك من الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ذي الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي العز والقدرة والكرم سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا

دعاء عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعو

الصبر

بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا يا أرحم الراحمين

(في الحاشية: العز واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل)

دعاء فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله

دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق أن يقول اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليهم وسلم وبكل وحي أوحيته أو قضاء قضيته أو سائل أعطيته أو غني أفقرته أو فقير أغنيته أو ضال هديته وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى صلى الله عليه وسلم وأسألك باسمك الذي بثثت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذي وضعته على السماوات فاستقلت وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المبارك المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك أن ترزقني القرآن والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين

دعاء بريدة الأسلمي روي أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه ثم لم ينسه إياهن أبدا قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضاي وبلغني برحمتك الذي أرجو من رحمتك واجعل لي ودا في صدور الذين آمنوا وعهدا عندك يا أرحم الراحمين اللهم إني ضعيف فقوني وإني ذليل فأعزني وإني فقير فأغنني

دعاء قبيصة بن المخارق إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله عز وجل بها فقد كبرت سني وعجزت عن أشياء كنت أعملها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما الدنيا فإذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة إلا بالله فإنك إذا قلتهن أمنت من الغم والجذام والبرص والفالج وأما الآخرة فقل اللهم اهدني من عندك وأفض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وأنزل علي من بركاتك وانسخ أبواب عنا ثم قال صلى الله عليه وسلم أما إنه إذا وافى بهن عبد يوم القيامة ولم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء

دعاء أبي الدرداء قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه أدرك دارك وكانت النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك ثم أتاه آت فقال له إن النار لما دنت من دارك طفئت قال قد علمت ذلك فقيل له ما ندري أي قوليك أعجب قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهي هذه اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم

دعاء إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا أصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي إنك غفور رحيم ودود كريم قيل من دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه

دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني

دعاء الخضر عليه السلام يقال إن الخضر والياس عليهما السلام إذا التقيا في كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله كل نعمة فمن الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله من قالها ثلاثا إذا أصبح أمن من الخوف والغرق والحرق

وهذا دعاء معروف الكرخي قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن أرددها عليك كما رددها علي بكر بن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما أهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤوف عند المسألة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القوي عند الصراط حسبي الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روي عن أبي الدرداء

انه قال من قال في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله عز وجل ما اهمه من امر الآخرة صادقا كان بها او كاذبا **دعاء عتبة الغلام** وقد روي في المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا من الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين امين رب العالمين

دعاء آدم صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها لما اراد الله عز وجل ان يتوب على آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعا وهو ليس يومئذ مبني كل ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت علي ورضني بما قسمته لي فاوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت لك ولم ياتي احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا راغمة وان كان لا يريدها

دعاء علي بن ابي طالب رضي الله عنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يمجد نفسه كل يوم ويقول اني انا الله رب العالمين اني انا الله لا اله الا انا العلي العظيم • اني انا الله لا اله الا انا العلي العظيم اني انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد • اني انا الله لا اله الا انا العفو الغفور • اني انا الله لا اله الا انا مبدئ كل شيء واليّ يعود • اني انا الله لا اله الا انا العزيز الحكيم • اني انا الله لا اله الا انا الرحمن الرحيم • اني انا الله لا اله الا انا مالك يوم الدين • اني انا الله لا اله الا انا خالق الخير والشر • اني انا الله لا اله الا انا خالق الجنة والنار • اني انا الله لا اله الا انا الواحد الاحد • اني انا الله لا اله الا انا الفرد الصمد • اني انا الله لا اله الا انا الذي لم اتخذ صاحبة ولا ولد • اني انا الله لا اله الا انا الفرد الوتر • اني انا الله لا اله الا انا عالم الغيب والشهادة • اني انا الله لا اله الا انا الملك القدوس • اني انا الله لا اله الا انا السلام المؤمن المهيمن اني انا الله لا اله الا انا العزيز الجبار المتكبر • اني انا الله لا اله الا انا الخالق البارئ المصور • اني انا الله لا اله الا انا الكبير المتعال • اني انا الله لا اله الا انا اهل الثنا والمجد اني انا الله لا اله الا انا اعلم السر واخفى اني انا الله لا اله الا انا القادر الرزاق • اني انا الله لا اله الا انا فوق الخلق والخليقة فمن دعا بهذه الاسما فليقل انت الله الذي لا اله الا انت كذا وكذا ثم دعا بها كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا وابرهيم وموسى وعيسى والنبيين في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين

الحي القيوم

دعاء ابي المعتمر وهو سليمان التيمي وتسبيحاته روي ان يونس بن عبيد راى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال له ما افضل ما رايت من الاعمال قال رايت تسبيحات ابي المعتمر من الله بمكان وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سماواته وملء ارضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ورضى نفسه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسيم ونفس من الانفاس من ابد الى الابد ابد الدنيا وابد الآخرة واكثر من ذلك لا ينقطع اوله ولا ينفد اخره

دعاء ابراهيم بن ادهم روى ابرهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة اذا اصبح واذا امسى مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله عز وجل خاضعا ولسوى الله عز وجل من الالهة جاحدا والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله عز وجل منيبا اشهد الله واشهد ملائكته وانبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه وما هو خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى اله وسلم تسليما وان الجنة حق وان النار حق والحوض حق والشفاعة ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وعلى ذلك احيا وعليه اموت وعليه ابعث ان شاء الله عز وجل اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي

لاحسنها

لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك انا لك واليك استغفرك واتوب اليك امنت اللهم بما ارسلت من رسول وامنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي وعلى اله وسلم كثيرا خاتم كلامي ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله اجمعين رب العالمين اللهم اوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا رويا سائغا هنيئا لا نظمأ بعده ابدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شاني كله وثبتني بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم يا بار يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات باكنافها وسبحان من سبحت له الجبال باصواتها وسبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السما بابراجها وسبحان من سبحت له الشجر باصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن وسبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك سبحانك لا اله الا انت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا تموت بيدك الخير وانت على كل شيء قدير وصلى اللهم على محمد واله وسلم كثيرا

الباب الرابع

في ادعية ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه رضي الله عنهم محذوفة الاسانيد منتخبة من جملة ما جمعه ابو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمة الله عليهم • يستحب للمريد اذا اصبح ان يكون احد اوراده الدعا كما سيأتي في كتاب الاوراد فان كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك اعقاب صلواتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلث مرات وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه • وقل اللهم اني اسألك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين وقل اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت ثلث مرات وقل اللهم اني اسألك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك من غير ضرا مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكتسب خطيئة او ذنبا لا تغفره اللهم اني اسألك الثبات في الامور والعزيمة على الرشد واسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسألك قلبا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسألك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد اللهم اني اسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في اعلى جنة الخلد اللهم اني اسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسألك حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي اسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضرا مضرة وفتنة مضلة • اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين • اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصايب الدنيا اللهم املا وجوهنا منك حيا وقلوبنا منك خوفا واسكن في نفوسنا من عظمتك ما تذلل جوارحنا لخدمتك واجعل حبك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا واخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة واخره تكرمة الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم

في الرضا والغضب

صل على محمد وعلى آله وازواجه وذريته وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد
اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي رسول الامين واعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اولياء
المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا بما يرضيك عنا ووفقنا لمحابك منها وصرفنا بحسن اختيارك لنا نسألك
جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي انك انت التواب
الرحيم وبحلمك عني اعف عني انك انت الغفار وبعلمك بي ارفق بي انك انت الرحمن وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي
انك انت العلي الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك انت ربي انه لا يغفر الذنوب
الا انت اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله
مني اسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والاخرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب
لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك افرغ علينا صبرا وتوفني مسلما والحقني بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت
خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا
فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب
النار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل
علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا
على القوم الكافرين رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات
الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك انت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين وانا
اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل

انواع الاستعاذة المروية

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر
واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع وطمع من غير مطمع وطمع
حين لا مطمع اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها
بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن ومن الهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن
فتنة المحيا والممات اللهم انا نسألك قلوبا اواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم انا نسألك عزائم مغفرتك وموجبات
رحمتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من التردي واعوذ بك
من الهم والهرم والغرق واعوذ بك من ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك من ان اموت طالب دنيا اللهم
اني اعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء اللهم اني
اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين والفقر واعوذ
بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري ومن شر لساني وقلبي وشر منيي اللهم
اني اعوذ بك من جار السوء في دار البقاء ودار المقامة فان جار البادي يتحول اللهم اني اعوذ بك من جار السوء في دار
البقاء ودار المقامة فان جار البادي يتحول اللهم اني اعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ
بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص
وسيء الاسقام اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني اعوذ بك
من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال
واعوذ بك من المأثم والمغرم اللهم اني اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب
واعوذ بك من شر الغم وفتنة الصدر ومن ضيق الصدر اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء

الباب الخامس في الادعية المأثورة عنه في كل حادث من الحوادث

اذا اصبحت وسمعت الاذان نستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا ادعية دخول الخلاء والخروج منه
وادعية الوضوء في كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا وفي سمعي نورا واجعل

في بصري نورا وامامي نورا واجعل خلفي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل ايضا اللهم اني اسألك بحق
السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك
فاسألك ان تعيذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت وان خرجت من المنزل لحاجة فقل بسم الله رب اعوذ
بك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله التكلان على الله فاذا انتهيت الى
المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى في الدخول
واذا رأيت في المسجد من يبيع فيه او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك واذا رأيت من ينشد ضالة في المسجد فقل لا رد الله عليك امر
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا صليت ركعتي الصبح فقل اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء الى اخره
كما اوردناه عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ركعت فقل اللهم لك ركعت ولك خشعت
وبك آمنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين
وان احببت فقل سبحان ربي العظيم ثلث مرات او سبوح قدوس رب الملائكة والروح واذا رفعت رأسك من الركوع فقل
سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد احق ما قال العبد
كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد واذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك
آمنت ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي
وبك آمن فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي هذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت او تقول سبحان
ربي الاعلى ثلث مرات فاذا فرغت من الصلاة فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتدعو
بسائر الادعية التي ذكرناها فاذا قمت من مجلس واردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله
الا انت استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واذا دخلت السوق فقل لا
اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير بسم الله اللهم
اني اسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم اني اعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا
فاجرة او صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا
جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسألك من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له
واذا رأيت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت لا حول ولا قوة الا بالله
واذا رأيت الهلال فكبر ثلثا وقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ
عما تسخط ربي وربك الله وتقول هلال رشد وهلال خير آمنت بخالقك اللهم اني اسألك خير هذا الشهر وخير القدر
واعوذ بك من شر يوم الحشر وكبر قبل الدعاء ثلثا واذا هبت الريح فقل اللهم اني اسألك خير هذه الريح وخير ما فيها
وخير ما ارسلت به ونعوذ بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به واذا نعي اليك وفاة احد فقل انا لله وانا اليه
راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلف على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا
اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله واذا تصدقت بصدقة فقل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وتقول عند
الخسران عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون وتقول عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من
امرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وتقول عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا
عذاب النار تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا واذا سمعت صوت الرعد فقل سبحان من
يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته فاذا رأيت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك و
عافنا قبل ذلك فاذا امطرت السماء فقل اللهم سيبا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب
فاذا غضبت فقل اللهم اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم فاذا خفت قوما فقل اللهم انا
نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم واذا غزوت فقل اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل واذا طنت
اذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل ذكر الله بخير من ذكرني واذا رأيت استجابة دعائك فقل الحمد لله
الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات وان ابطأت فقل الحمد لله على كل حال واذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم

عند استقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك اسألك ان تغفر لي ● فاذا اصابك هم فقل اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك وانزلته في كتابك او اعطيته احدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران ربيع قلبي ونور صدري وجلا غمي وذهاب همي وحزني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال هذا الا اذهب الله عز وجل همه وابدله مكانه فرحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال صلى الله عليه وسلم بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها ● فاذا وجدت قرحة في جسدك او جسد غيرك فارق برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى الانسان قرحة او جرحا وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا باذن ربنا ● واذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل بسم الله ثلثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر ● واذا اصابك كرب فقل لا اله الا الله العلي العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات السبع والارض ورب العرش الكريم ● وان اردت النوم فتوضأ ثم توسد يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله اربعا وثلثين وسبحه ثلثا وثلثين واحمده ثلثا وثلثين ثم قل اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك اللهم لا استطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيا واموت اللهم رب السموات والارض ورب كل شي ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التورية والانجيل والفرقان اعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم انت الاول فليس قبلك شي وانت الاخر فليس بعدك شي وانت الظاهر فليس فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم انك خلقت نفسي وانت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم اني اسألك العافية باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم اسلمت نفسي اليك ووجهت وجهي اليك وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك امنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت وليكن هذا اخر دعائك فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك ● اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال اليك تقربني اليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا اسألك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي ● فاذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابرهيم صلى الله عليه وسلم حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور اللهم انا نسألك ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوءا او نجره الى مسلم فانك قلت وقولك الحق وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ● اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا انا نسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه ونعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله الرحمن الرحيم ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ● واذا امسى قال ذلك الا انه يقول امسينا ويقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ما ذرا وبرا ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة ربي اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ● واذا نظرت في المراة فقل الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين ● واذا اشتريت خادما او غلاما او دابة فخذ بناصيته وقل اللهم اني اسألك خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه ● واذا هنيت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير بسم الله اللهم جنبنا وجنب الشيطان ما رزقتنا ● واذا قضيت الدين فقل للمقضي له بارك الله لك في اهلك ومالك اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه ادعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من ادعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناه كله في كتاب الحج والصلاة والطهارة ● فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض وكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان كذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله عز وجل ان لا يحمل السلاح وقد قال عز وجل خذوا حذركم

وان

وان لا تنبت الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت بل ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الاول الذي هو كلمح البصر وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله عز وجل وذلك منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق انه لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله عز وجل وذلك الا عند المام حاجة وارهاق ملمة فان الانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء عليهم السلام ثم الاولياء الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله عز وجل ويمنع نسيانه واما الغنى فسبب للبطر في غالب الامور فان الانسان ليطغى ان راه استغنى فهذا ما اردنا ان نورده من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق للخير واما بقية الدعوات في الاكل والسفر وعيادة المريض وغيرها فسياتي في مواضعها ان شاء الله تعالى

بلغ

كتاب ترتيب الاوراد

وهو الكتاب العاشر من ربع العبادات من احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم ● نحمد الله تعالى على الائه حمدا كثيرا ● ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا ● ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ● ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا ● وعلى اله وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة وعشيا واصيلا وبكورا ● حتى اصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا ● اما بعد فان الله عز وجل جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودون منها زادا يحملهم في سفرهم الى دار قرارهم ● ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها ● فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد واخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤوس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم ● وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم ● فالغافل عن نفس من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ● ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرار الاوقات وظائف الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار ● فصار من مهمات علم طريق الاخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار الباب الثاني في كيفية احياء الليل وفضيلته وما يتعلق به

الباب الاول

في فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها

فضيلة الاوراد وبيان ان المواظبة عليها هو الطريق الى الله عز وجل

اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا نجاة الا في لقاء الله عز وجل وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله عز وجل وعارفا بالله تعالى وان المحبة والانس لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة على ذلك وان المعرفة لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله عز وجل وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار في وظائف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السامة والملال لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال وان الله عز وجل لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مائلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر اوقاته الى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الاخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها للطبع اذ يكون الوقت متساويا فانى يتقاومان والطبع

لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعد على امور الدنيا ويصفو في ذلك القلب ويتجرد وأما الرد الى العبادات
فتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا في بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته بالطاعة
ومن اراد ان يترجح كفة حسناته ويثقل ميزان خيراته فليستوعب في الطاعات اكثر اوقاته وان خلط عملا صالحا واخر سيئا
فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من اهله فانظر الى خطاب الله عز وجل
لرسوله صلى الله عليه وسلم واقتبسه بنور الايمان فقد قال تعالى لاقرب عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان لك في النهار
سبحا طويلا وقال تعالى واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار
النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم قيلا وقال تعالى ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى
وقال تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف ذكر الفائزين من عباده وبما
ذا وصفهم فقال عز وجل امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال
تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال
عز وجل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اى فسبحوا الله حين
تمسون وحين تصبحون وقال عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان
الطريق الى الله عز وجل مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تعالى وقد قال الشمس والقمر بحسبان وقال
عز وجل الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شا لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال
عز وجل والقمر قدرناه منازل وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فلا تظنن ان المقصود من سير الشمس
والقمر بحسبان منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امور الدنيا بل ليعرف بها مقادير
الاوقات فيشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الاخرة وان الدنيا فانية ويدلك على ذلك قول الله تعالى وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اى يخلف احدهما الاخر ليتدارك في احدهما ما فات في الاخر
وبين ان ذلك للذكر والشكر لا غيرهما وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة
لتبتغوا فضلا من ربكم وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة **بيان ترتيب الاوراد واحكامها** اعلم ان
اوراد النهار سبعة فيما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين
الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى الغروب وردان والليل ينقسم باوراد اربعة وردان من المغرب الى
وقت نوم الناس وردان في النصف الاخير من الليل الى طلوع الصبح ونوم ورد خامس وهو ورد النوم يختص الاذكار
والادعية فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق به **الورد الاول** ما بين طلوع الصبح الى طلوع
الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله عز وجل به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه عز وجل به
اذ قال فالق الاصباح وقال عز وجل قل اعوذ برب الفلق واظهار القدرة بقبض الظل فيه اذ قال تعالى ثم قبضناه
الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده عز وجل الى التسبيح فيه بقوله تعالى فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وبقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقوله تعالى ومن اناء الليل فسبح واطراف
النهار وقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا واما ترتيبه فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي
ان يبتدئ بذكر الله عز وجل فيقول الحمد لله الذي احيانا بعدما اماتنا واليه النشور الى اخر الادعية والايات
التي ذكرناها في دعا الاستيقاظ في كتاب الدعوات ويلبس ثوبه وهو في الدعا وينوي به ستر العورة امتثالا لامر الله واستعانا
على عبادته من غير قصد ريا ورعونة ثم يتوجه الى بيت الماء ان كان له حاجة ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي
ذكرناها في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضا مراعيا لجميع السنن والادعية التي ذكرناها
في كتاب الطهارة فانا انما قدمنا احاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط واذا فرغ من الوضو

[illegible]

صلى ركعتي الصبح اعني السنة وجه التركيب والترتيب فقط في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرا بعد
الركعتين اذا صلاهما في البيت او في المسجد الدعا الذي رواه ابن عباس فيقول اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى اخر الدعا
ثم يخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعا الخروج الى المسجد ولا يسعى ساعيا الى الصلاة بل يمشي وعليه السكينة والوقار كما
ورد به الخبر ولا يشبك بين اصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعا الماثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد
الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى الرقاب ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يصلهما في المنزل
ويشتغل بالدعا المذكور بعدهما وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والاحب التغليس بالجماعة فقد كان
النبي صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح ولا ينبغي ان يدع الجماعة في الصلوات عامة وفي الصبح والعشا خاصة فلهما زيادة فضل فقد
روى انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في صلاة الصبح من توضا ثم توجه الى المسجد يصلي فيه الصلاة
كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده
حسنة وانقلب بحجة مبرورة وان جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة الفي الفي حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة
مبرورة وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت ابا
هريرة رضي الله عنه قد سبقني فقال لي يا ابن اخي لاي شي خرجت من منزلك هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد
خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله او قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي كرم
الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة رضي الله عنها وهما نايمان فقال الا تصليان قال علي رضي الله عنه
قلت يا رسول الله انما انفسنا بيد الله عز وجل فاذا شا ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعته موليا يضرب
فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شي جدلا ثم ينبغي ان يشتغل بعد ركعتي الفجر والدعا بالاستغفار والتسبيح الى ان تقام الصلاة
فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة
مرة ثم يشتغل بالفريضة فيصلي ركعتي الفرض مراعيا جميع ما ذكرناه من الاداب الظاهرة والباطنة في الصلاة والقدوة فاذا
فرغ منها قعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله عز وجل كما سنرتبه فقد قال صلى الله عليه وسلم لان اقعد في مجلس اذكر الله عز
وجل فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعض الاخبار ويصلي ركعتين اي بعد الطلوع وقد روي في فضل
ذلك ما لا يحصى وروى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه عز وجل يقول يا ابن ادم اذكرني من بعد
صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة اكفك ما بينهما فاذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي ان
تكون وظيفته الى الطلوع اربعة انواع ادعية واذكار يكررها في سبحة وقراءة قران وتفكر **اما الادعية** فكلما
فرغ من صلاته فليبدا وليقل الحمد لله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام
حينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعا بما كان يفتتح به النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده
الخير وهو على كل شي قدير لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثنا الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين
ولو كره الكافرون ثم يبتدي بالادعية التي اوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الادعية فيدعو بجميعها ان قدر
عليه او يحفظ من جملتها ما يراه اوفق لحاله وارق لقلبه واخف على لسانه **واما الاذكار المكررة** فهي كلمات
ورد في تكرارها فضايل لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلثا او سبعا واكثرها مائة او سبعين
واوسط ذلك عشر فليكرر ذلك بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر والاوسط والافضل ان يكررها عشر
مرات فذلك اجدر بان يدوم وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة
افضل واشد تاثيرا في القلب من كثيرها مع غير مداومة ومثال القليل الدائم مثال قطرات من الماء تتقاطر على الارض على
التوالي فهي تحدث فيها حفرة لا محالة ولو وقعت على الحجر ومثال الكثير المتفرق مثال ما يصب دفعة واحدة او دفعات متفرقة
متباعدة الاوقات فلا يتبين لها اثر ظاهر وهذه الكلمات عشر **الاولى** قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير **الثانية** سبحان الله العظيم والحمد لله

ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **الثالثة** قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح **الرابعة**
قوله سبحان الله العظيم وبحمده **الخامسة** قوله استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة **السادسة** قوله
اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد **السابعة** قوله لا اله الا الله الملك الحق المبين **الثامنة**
قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم **التاسعة** اللهم صل على محمد عبدك ونبيك
ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد **العاشرة** قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اللهم اني اعوذ بك من همزات
الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ❁ فهذه العشر كلمات اذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من ان يكرر
ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل واحدة من هذه الكلمات فضلا على حيالها وللقلب بكل واحدة نوع تنبيه وتلذذ وللنفس في الانتقال
من كلمة الى كلمة نوع استراحة وامن من الملال **واما القراءة** فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الاخبار بفضلها وذلك
ان يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله تعالى آمن الرسول وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الآيتين وقوله
عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخرها وقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها وقوله تعالى الحمد لله
الذي لم يتخذ ولدا الآية وخمس آيات من اول الحديد وثلاث آيات من آخر سورة الحشر وان قرأ المسبعات العشر التي اهداها الخضر
عليه السلام الى ابراهيم التيمي ووصاه ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة
فقد روي عن كرز بن وبرة وكان من الابدال قال اتاني اخ لي من اهل الشام فاهدى لي هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية
فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اهدى لك هذه الهدية قال اعطانيها ابراهيم التيمي قلت افلم تسأل ابراهيم التيمي من اعطاه اياها
قال بلى كنت جالسا في فناء الكعبة وانا في التسبيح والتهليل والتحميد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم ار في زماني احسن
منه وجها ولا احسن منه ثيابا ولا اشد بياضا ولا اطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من انت ومن اين جئت فقال انا الخضر
فقلت في اي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله عز وجل وعندي هدية اريد ان اهديها لك فقلت ما هي فقال
هي ان تقرأ قبل طلوع الشمس وانبساطها على الارض وقبل الغروب الفاتحة وقل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق وقل
هو الله احد وقل يا ايها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبعا
وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعا وتقول اللهم
افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا ما نحن له اهل انك غفور رحيم جواد كريم
رؤوف رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه العطية العظيمة فقال
اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فسله عن ثوابها فانه
يخبرك بذلك فذكر ابراهيم التيمي انه رأى ذات ليلة في منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى ادخلته الجنة فرأى ما فيها
ووصف امورا عظيمة مما رآه في الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا كله فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل
من ثمرها وسقوه من شرابها قال فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل
ما بين المشرق والمغرب فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صلى الله
عليه وسلم صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله عز
وجل في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا او عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئا مما اعطيته فقال
والذي بعثني بالحق نبيا انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله سبحانه
عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من
خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا ❁ وكان ابراهيم التيمي مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد
هذه الرؤيا ❁ فهذه وظيفة القراءة فان اضاف اليها شيئا مما انتهى اليه ورده من القرآن واقتصر عليه فحسن فالقرآن جامع لفضل
الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضل ذلك وآدابه في كتاب آداب التلاوة **واما الافكار** فليكن
ذلك احد وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى فنين
احدهما ان يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائف يومه والذي بين يديه ويدبر
في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه

يا مولانا

بلغ

النيات الصالحة في اعماله ونفعه وفي معاملته للمسلمين ❁ والفن الثاني فيما ينفعه من علم المكاشفة وذلك بان يتفكر مرة في
نعم الله عز وجل وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها او في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته
بقدرة الله عز وجل واستغنائه ويزيد خوفه منه ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق
دون البعض وانما نستقصي ذلك في كتاب التفكر فهو اشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله سبحانه وزيادة امرين احدهما
زيادة المعرفة اذ التفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه ولا ينكشف عظمة
الله سبحانه وجلاله الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب افعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم
المحبة والذكر ايضا يورث الانس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة اقوى واثبت واعظم ❁ ونسبة محبة العارف
الى انس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن اخلاقه وافعاله وفضائله
وخصاله الحميدة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل
وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون على ذكر الله عز وجل بالقلب
واللسان الذين صدقوا بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله سبحانه الا امور جملية اعتقدوا
تصديقها بوصف المخبرين لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي اقوى من البصر
الظاهر لان احدا لم يحط بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع
له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التي استحقت ان تسمى نورا وكاد يظن الواصل اليها انه
قد تم وصوله الى الاصل سبعون حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادرك بصره وتلك الحجب ايضا مترتبة
وتلك الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو في الاول اصغرها ثم ما يليه وعلى ذلك اول
بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابراهيم صلى الله عليه وسلم في ترقيه فقال فلما جن عليه الليل اي اظلم عليه الامر
رأى كوكبا اي وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما اريد به هذه الاجسام المضيئة فان آحاد العوام لا
يخفى عليهم ان الربوبية لا تليق بالاجسام بل يدركون ذلك باوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام
والحجب المسماة انوارا ما اريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل اريد بها ما اريد بقوله تعالى الله نور السموات والارض
مثل نوره كمشكاة الآية ولنجاوز هذه المعاني فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقائقها الا الكشف التابع
للفكر الصافي وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد في علوم المعاملة وذلك ايضا مما يعز فائدته
ويعظم نفعه فهذه الوظائف الاربعة اعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر فينبغي ان تكون وظيفة المريد بعد طلوع الفجر بل
في كل ورد وبعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الاربعة ويقوى على ذلك بان ياخذ
سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع
الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح الى الطلوع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم
يشتغلون في هذا الوقت بالاذكار فهو الاولى الا ان يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا
بأس **الورد الثاني** ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار واعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال
وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان
زائدتان احدهما صلاة الضحى وقد ذكرنا في كتاب الصلاة ان الاولى ان يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس
وارتفعت قدر نصف رمح ويصلي اربعا او ستا او ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام بحر الشمس فوقت الركعتين
هو الذي اراد الله سبحانه بقوله يسبحن بالعشي والاشراق فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن
موازات البخارات والغبارات التي على وجه الارض فانها تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الاربع هو الضحى
الاعلى الذي اقسم الله عز وجل به فقال والضحى والليل اذا سجى ❁ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم
يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر على
مرة واحدة في صلاة الضحى فهذا الوقت افضل واذا كان اصل الفضل يحصل بالصلاة من طرفي وقت الكراهة
وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء فاسم الضحى ينطلق على

ومهما يئس التفكر

صح

قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله

الكل وكان ركعتي الاشراق تقع في مبدا وقت الاداء للصلاة وانقضاء الكراهة اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها ان ترتفع عن ركان الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب **الوظيفة الثانية** في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم ونحو ذلك فان لم يكن شي من ذلك عاد الى الوظايف الاربع التي قدمناها من الادعية والذكر والقراة والفكر والصلوات المتطوع بها ان شا فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الان فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظايف هذا الوقت لمن اراد واما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب ان يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالاذكار والقراة والدعا والفكر والذكر **الورد الثالث** من ضحوة النهار الى الزوال والضحوة نعني بها المنتصف وما قبله بقليل وكان بعد كل ثلث ساعات امر بصلاة فاذا انقضت ثلث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل منصفها صلاة الضحى فاذا مضت ثلث اخرى فالظهر فاذا مضت ثلث اخرى فالعصر فاذا مضت ثلث اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا ان الضحى لم يفترض لانه وقت اكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم فالوظيفة في هذا الوقت الاقسام الاربعة وتزيد امران احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق وامانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله عز وجل في جميع اشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان يكتسب في كل يوم لقوته فاذا حصلت كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه عز وجل وليتزود لاخرته فان الحاجة الى زاد الاخرة احوج واشد والتمتع به ادوم والاشتغال بكسبه اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا ينبغي ان يوجد المومن الا في ثلث مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس يقدرون فيما عنه بد انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشا فيصغون اليه ويجمعون ما لا ياكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه **الامر الثاني** وهي القيلولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة يستعان به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط اهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم احب اليه اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظايف المذكورة اذ في النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم ياتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم فكم من عابد احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال سفين الثوري كانوا يستحبون اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة فاذن نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل قربة ولكن ينبغي ان ينتبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضايل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله تعالى واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عز وجل عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله عز وجل ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احيا الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد معني قول الله عز وجل وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي يخلف احدهما الاخر في الفضل والثاني انه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في احدهما **الورد الرابع** ما بين الزوال الى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته وهو اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا كان قد توضا قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدا المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احيا ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي اراده الله تعالى بقوله وحين تظهرون وليصل في هذا الوقت اربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليم وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار نقل انها تصلى بتسليمة واحدة هكذا نقله بعض العلما ولكن طعن في تلك الرواية ومذهب الشافعي رحمه الله انه يفصل بتسليمة وهو الذي صحت الاخبار وليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح ابواب السما كما اوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوع وليقرا فيها سورة البقرة او سورة من المئين او اربعا من المثاني فهذه ساعات يستجاب فيها الدعا واحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد اربع ركعات طويلة كما سبق او قصيرة ولا ينبغي ان يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم اربعا اذ كره ابن مسعود ان تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرا في هذه النافلة اية الكرسي واخر البقرة والايات

التي اوردناها في الورد الاول ليكون ذلك جامعا بين الدعا والذكر والقراة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت **الورد الخامس** ما بعد ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة وفنون الخير ويكون في انتظار الصلاة معتكفا فمن فضايل الاعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوي النحل من التلاوة فان كان بيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت افضل في حقه واحيا هذا الورد وهو ايضا وقت غفلة الناس كاحيا الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلما ثلث يمقت الله عز وجل عليها الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن ادم ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذا الارواح كما ان الطعام غذا الابدان وكما ان العلم والذكر غذا القلب لم يكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر تدريجا فقد تمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد هو من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الاصال التي ذكرها الله عز وجل اذ قال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال فاذا سجد لله عز وجل الجمادات فكيف يجوز ان يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات **الورد السادس** اذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذي اقسم الله عز وجل به فقال والعصر هذا احد معنيي الاية وهو المراد بالاصال في احد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله تعالى وعشيا وفي قوله بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلاة الا اربع ركعات بين الاذانين كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى روس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذا منع من الصلاة تلاوة القران بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعا والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد الاقسام الثلثة **الورد السابع** اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وهذا هو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى واطراف النهار قال الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا واخره للاخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الاول مثل ان يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده ماخوذ من قوله عز وجل واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار على الاسما التي في القران احب كقوله استغفر الله انه كان غفارا استغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان يقرا قبل الغروب والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك الدعا كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب وبالغروب قد انتهت اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فان ساوى يومه امسه فيكون مغبونا وان كان شرا منه فيكون ملعونا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان راى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله عز وجل على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان يكن الاخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيات وليشكر الله على صحة جسمه وبقا بقية من عمره الى اول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر قلبه ان نهار العمر له اخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعده طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضا احادها **باب اوراد الليل** وهي خمسة **الاول** اذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحيا ما بين العشايين واخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق اعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت

الثلث الاخير وقد اقسم الله تعالى به فقال عز وجل فلا اقسم بالشفق والصلاة في ذلك الوقت هي ناشئة الليل لانه اول نشو
ساعاته وهو آن من الاناء المذكور في قوله عز وجل ومن اناء الليل فسبح وهي صلاة الاوابين وقيل هي المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم
عن المضاجع روى ذلك عن الحسن واسنده ابن ابي زياد الى النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية فقال صلى الله عليه
وسلم الصلاة بين العشائين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشائين فانها تذهب بملاغاة النهار ومهذبة آخره والملاغاة جمع ملغاة
من اللغو وسئل انس عمن ينام بين العشائين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع
وسياتي فضل ما بين العشائين في الباب الثاني ○ وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين اولا يقرا فيهما قل يا ايها الكافرون
وقل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي اربعا يطيلهن ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما يتيسر
له فان كان المسجد قريبا من المنزل فلا بأس ان يصليهن في بيته ان لم يكن عزمه على العكوف في المسجد وان عزم على العكوف في
انتظار العتمة فهو الافضل اذا كان آمنا من التصنع والريا **الورد الثاني** يدخل بدخول وقت العشا الى حد نوم
الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله عز وجل به اذ قال والليل وما وسق اي وما جمع الله من ظلمته وقال
تعالى الى غسق الليل فهناك يغسق الليل ويستوسق ظلمته ○ وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلثة امور **الاول** ان يصلي
سوى فرض العشاء عشر ركعات اربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم اربعا ويقرا فيها من القرآن
الايات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي واول الحديد وآخر الحشر وغيرها **الثاني** ان يصلي ثلث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه
الاكثر ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى به من الليل ○ والاكياس ياخذون اول الليل والاقويا من آخره والحزم اوقاتهم من
التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل افضل ثم ليقرا في هذه الصلاة
قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك
الملك والزمر والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور او بعضها قبل النوم فقد روي في ثلثة احاديث ما كان
يقرؤه النبي صلى الله عليه وسلم في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي اخرى انه كان
صلى الله عليه وسلم يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية افضل من الف آية ○ وكان العلما يجعلونها ستا ويزيدون سبح
اسم ربك الاعلى وكان صلى الله عليه وسلم يقرا في ثلث ركعات الوتر ثلث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وسورة
الاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلث مرات **الثالث** الوتر وليوتر قبل النوم ان لم يكن عادته القيام قال
ابو هريرة رضي الله عنه اوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انام الا على وتر وان كان معتادا لصلاة الليل فالتأخير
افضل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة ○ وقالت عائشة رضي الله عنها اوتر
رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الليل واوسطه وآخره فانتهى وتره الى السحر ○ وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلثة انحا
ان شئت اوترت من اول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني انه يصير وترا بما مضى وان شئت اوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت
اليها اخرى ثم اوترت من آخر الليل وان شئت اخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ما روي عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم
والطريق الاول والثالث لا بأس به واما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي ان ينقض وروي مطلقا انه عليه السلام قال
لا وتران في ليلة وان تردد في استيقاظه فليفعل ما استحسنه بعض العلما وهو ان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه
عند النوم كان النبي صلى الله عليه وسلم يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما اذا زلزلت والهاكم التكاثر لما فيهما من التحذير
والوعيد وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما فيها من التنزيه وافراد العبادة لله عز وجل فقيل ان استيقظ قامتا مقام
ركعة واحدة وكان له ان يوتر بواحدة في آخر صلاته فكانه صار ما مضى شفعا بهما وحسن استيناف الوتر فاستحسن هذا
ابو طالب المكي وقال فيه ثلثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر من آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر
انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك ولو لم يستيقظ وابطل وتر الاول فكونه مشفعا ان استيقظ غير مشفع ان نام فيه
نظر الا ان يصح من النبي صلى الله عليه وسلم ايثاره قبلها واعادته الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما وتر
بمعناهما فحسبت وترا ان استيقظ وشفعا ان لم يستيقظ ○ ثم يستحب بعد السلام من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس
رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت ○ وروي انه صلى الله
عليه وسلم ما مات حتى كان اكثر صلاته جالسا الا المكتوبة وقد قال صلى الله عليه وسلم للقاعد نصف اجر القائم وللنائم نصف

وانت افضل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه
من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ○ ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر
ان لم يكن قد صلى الوتر ○ ويستحب ان يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في
صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل
ينقص بالتدريج الى ثلث عشرة ركعة ○ وسئلت عائشة رضي الله عنها اكان يجهر النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ام يسر فقالت
ربما اسر وربما جهر ○ وقال النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال صلاة المغرب
اوترت صلاة النهار فاوتروا صلاة الليل واكثر ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلث عشرة ركعة ويقرأ في هذه
الركعات من ورده من القرآن او من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد الى قريب من السدس الاخير من الليل
الورد الخامس السدس الاخير من آخر الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقيل يصلون
لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد امر بهذا الورد سلمان
اخاه ابا الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره وان لاهلك عليك حقا فقال له نم فنام فلما كان عند
الصبح قال له سلمان قم الان فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذلك
ان امرأة ابي الدرداء اخبرت سلمان ان ابا الدرداء لا ينام الليل فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صلى الله عليه
وسلم صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب التسحر وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين
الصلاة فاذا طلع الفجر انقضت اوراد الليل ودخلت اوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهي المراد بقوله عز وجل ومن
الليل فسبحه وادبار النجوم ثم يقرا شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط الى آخرها ثم يقول وانا
اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي وديعة عند
الله احفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط بها عني وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى
القاك بها غير مبدل تبديلا ○ فهذا ترتيب الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور
صوما وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهادة جنازة ○ وفي الخبر من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر الله له وفي رواية
دخل الجنة وان اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا بشيء او
ببصلة او كسرة خبز لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله صلى الله عليه
وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة ○ ودفعت عائشة رضي الله عنها الى سائل عنبة واحدة فاخذها ونظر بعض الحاضرين الى بعض
فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثير وكانوا يكرهون رد السائل اذ كان من اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم انه ما سأله احد
شيئا فقال لا لكنه صلى الله عليه وسلم ان لم يقدر على شيء سكت ○ وفي الخبر يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني
كل مفصل وفي جسده ثلثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة
وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله
او تجمع لك ذلك كله **بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال** اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها
لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد
عن غيره **الاول** العابد وهو المتجرد للعبادة الله تعالى الذي لا شغل له اصلا غيرها ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب
اوراده ما ذكرناه اجل لا يبعد ان يختلف وظائفه بان يستغرق اكثر اوقاته اما في الصلاة او في القراءة او في التسبيحات فقد
كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنا عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلثون الفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة
الى ستمائة والى الف ركعة واقل ما نقل من اورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القرآن
وكان يختم الختم في اليوم مرة وروي عن بعضهم مرتين وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة في التفكر في آية واحدة يرددها
وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف كل يوم سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب
ذلك فكان عشر فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فذلك مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشر فراسخ ○ فان قلت
فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات من هذه الاوراد فاعلم ان قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع

ولكن ربما يعسر المواظبة على ذلك فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله سبحانه وايناسه به فلذلك فلينظر المريد الى قلبه فما يرى اشد تاثيرا فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك نرى الاصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال من نوع منها الى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد ايضا في ذلك تختلف ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع تسبيحة مثلا واحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا ۝ وقد روى عن ابرهيم بن ادهم عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح لله عز وجل بهذا التسبيح منذ خلقت فقلت ما اسمك فقال مهلهائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له وهو هذا ۝ سبحان الله العلى الديان ۝ سبحان الله الشديد الاركان سبحان الله الحنان المنان ۝ سبحان الله المسبح في كل مكان ۝ سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار ۝ سبحان من لا يشغله شان عن شان ۝ فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد في قلبه له وقعا وما وجد قلبه عنده وفتح له فيه فليواظب عليه **الثاني العالم** الذى ينفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف فترتيبه الاوراد يخالف العابد فانه يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لذلك لا محالة فان امكنه استغراق الاوقات في ذلك فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفي العلم المواظبة على ذكر الله عز وجل وتامل ما قال الله سبحانه وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الاخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضايعا وانما نعنى بالعلم المقدم على العبادة العلم الذى يرغب الناس في الاخرة ويزهدهم في الدنيا والعلم الذى يعينهم على سلوك طريق الاخرة اذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التى تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق ۝ والاولى بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا فان استغراق الاوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغى ان يخص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول وبعد الطلوع الى الضحوة في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الاخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر فيتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفا القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها الا في وقت اكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير او حديث او علم نافع ومن العصر الى الاصفرار ان يشتغل الاصفرار الى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان ووردة الثاني في عمل القلب بالفكر الى الضحوة ووردة الثالث الى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتبة ۝ ووردة الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح به العين واليد فان المطالعة والكتبة بعد العصر ربما اضر ذلك بالبصر وعند الاصفرار يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل بالجوارح مع حضور القلب في الجميع **واما الليل** فاحسن قسمة فيه قسمة الشافعى رضى الله عنه اذ كان يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلث للمطالعة وترتيب العلم وهو الاول وثلث للصلاة وهو الاوسط وثلث للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالى الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك الا اذا كثر النوم بالنهار فهذا ما يستحسنه من ترتيب اوراد العالم **الثالث المتعلم** والاشتغال بالعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد لكن يشتغل بالاستفادة حين يشتغل العالم بالافادة ويشتغل بالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب اوقاته كما ذكرناه وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ افضل من الاشتغال بالاوراد التى ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي ساير الاوقات ففي حديث ابى ذر رضى الله عنه ان حضور مجلس ذكر او علم افضل من صلاة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض ۝ وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا فيها قيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر ۝ وقال كعب الاحبار لو ان ثواب المجالس بدى للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذى امارة امارته وكل ذى سوق سوقه ۝ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال

اجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نايما **الورد الثالث** النوم ولا باس ان يعد ذلك في الاوراد فانه اذا روعيت اداته احتسب عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد على طهارة ذاكرا لله عز وجل كتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله عز وجل دعا له الملك واستغفر له ۝ وفي الخبر انه اذا نام العبد على طهارة رفعت روحه الى العرش هذا في العوام فكيف في الخواص العلماء وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون بالاسرار في النوم ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح ۝ وقال معاذ لابى موسى رضى الله عنهما كيف تصنع في قيام الليل فقال اقوم الليل اجمع فلا انام منه شيئا واتفوق القران فيه تفوقا فقال معاذ لكنى انام ثم اقوم واحتسب في نومتى ما احتسب في قومتى فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ افقه منك

واداب النوم عشرة **الاول** الطهارة والسواك قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت روياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هى المؤثرة في انكشاف حجب الغيب **الثاني** ان يعد عند راسه سواكه وطهوره وينوى القيام للعبادة عند التيقظ وكلما انتبه استاك اذلك كان يفعل بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها ۝ وان لم يتيسر لهم الطهارة كانوا يستحبون مسح الاعضاء بالتراب فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في الاء الله عز وجل وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل ۝ وقال صلى الله عليه وسلم من اتى فراشه وهو ينوى ان يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى **الثالث** ان لا يبيت من له وصية الا ووصيته تحت راسه مكتوبة عنده فانه لا يامن القبض في النوم فان من مات عن غير وصية لم يؤذن له في الكلام في البرزخ الى يوم القيامة يتزاورون الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات عن غير وصية وذلك مستحب خوفا من موت الفجاة وموت الفجاة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت مثقل الظهر بالذنوب بالمظالم **الرابع** ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال النبى صلى الله عليه وسلم من اوى الى فراشه لا ينوى ظلم احد ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم **الخامس** ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك او يقتصد فيه وكان بعض السلف يكرهون التمهيد ويرون ذلك تكلفا للنوم وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر لتواضع نفوسهم فمن لا تسمح بذلك نفسه فليقتصد **السادس** ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة على القيام في اخر الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ۝ وان غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدرى ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس رضى الله عنه يكره النوم قاعدا ۝ وفي الخبر لا تكابدوا الليل ۝ وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلى بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد ۝ وقال صلى الله عليه وسلم تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله عز وجل لا يمل حتى تملوا ۝ وقال صلى الله عليه وسلم خير هذا الدين ايسره وقيل له ان فلانا يصلى فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال صلى الله عليه وسلم لكنى اصلى وانام واصوم وافطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى ۝ وقال صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض اليك عبادة الله عز وجل **السابع** ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو المستلقى على قفاه واستقباله ان يكون وجهه واخماصه الى القبلة والثانى استقبال اللحد وذلك بان ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على الشق الايمن **الثامن** الدعا عند النوم فيقول باسمك ربى اللهم وضعت جنبى وباسمك ارفعه الى اخر الدعوات المأثورة التى اوردناها في كتاب الدعوات ويستحب ان يقرا الايات المخصوصة مثل اية الكرسى واخر البقرة وغيرها ويقرا قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم الى قوله لايات لقوم يعقلون يقال ان من قراها عند النوم حفظ عليه القران فلم ينسه ۝ ويقرا من سورة الاعراف هذه الاية ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة ايام واخر بنى

موكل
اسرافيل قل ادعوا الله الآيتين فانه يدخل في شعاره ملك يحفظه يستغفر له ويقرا المعوذتين وينفث بهما في يديه ويمسح
بهما وجهه وسائر جسده وكذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقرا عشرا من اول الكهف وعشرا من اخرها
وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي رضي الله عنه يقول ما ارى رجلا مستعملا عقله ينام قبل ان يقرا الآيتين من
اخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الاربع
مائة مرة **التاسع** ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع وفاة واليقظة نوع بعث قال الله عز وجل الله يتوفى الانفس حين
موتها والتي لم تمت في منامها فسماه توفيا وقال تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل فسماه توفيا وكما ان المستيقظ ينكشف له مشاهدا
لا تناسب احواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين
الدنيا والاخرة قال لقمن لابنه يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام فكذلك تموت وان كنت تشك في البعث فلا تنتبه بعد
نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة
وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم اخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه
ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه الدعا الى اخره كما ذكرناه في الدعوات
فحق على العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه انه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه او حب الدنيا
وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى وهو عليه فان المرء مع من احب ومع ما احب **العاشر**
الدعا عند التنبيه فليقل عند تيقظاته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله الواحد
القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون اخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى
واول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فذلك علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب
عليه فليجرب قلبه بذلك فانها علامة تكشف عن باطن القلب وانما استحبت هذه الاذكار لتستجر القلب الى ذكر الله تعالى
فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى اخر ما اوردناه من ادعية التيقظ **الورد
الرابع** يدخل بمضي النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص
بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه اقسم
الله تعالى فقال والليل اذا سجى اي اذا سكن وسكونه هدوه في هذا الوقت فلا يبقى عين الا نائمة سوى الحي القيوم الذي
لا تاخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم وسئل النبي صلى الله عليه وسلم اي الليل اسمع
فقال جوف الليل وقال داود صلى الله عليه وسلم الهي اني احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى الله عز وجل اليه
يا داود لا تقم اول الليل ولا اخره فانه من قام اوله نام اخره ومن قام اخره لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي
واخلو بك وارفع الي حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل افضل فقال نصف الليل الغابر يعني
الباقي وفي اخر الليل وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى سماء الدنيا وغير
ذلك من الاخبار وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية التي للاستيقاظ يتوضا وضوءا كما سبق بسننه وادابه
وادعيته ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبلا للقبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم يسبح
عشرا ويحمد عشرا ويهلل عشرا وليقل الله اكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبريا والعظمة والجلال والقدرة
وليقل هذه الكلمات فانها ماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك
الحمد انت بها السموات والارض ولك الحمد انت زين السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن
فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والبعث حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه
وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت
وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم ات نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم
اهدني لاحسن الاعمال لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها الا انت اسالك مسالة البائس المسكين
وادعوك دعا المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسؤولين واكرم المعطين وقالت
عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل و
اسرافيل

تمامه فاذا استمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه انصرف الى منزله ولم يبق عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلما فان الله
عز وجل لم يخلق على وجه الارض تربة اكرم من مجالس العلما وقال رجل للحسن اشكوا اليك قساوة في قلبي فقال ادنه من
مجالس الذكر ورأى عمار الزاهد مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة
فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجا الغنى فقال هيه فقالت ما تسال عمن ابيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذاك قالت
بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما يحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة ارفع
وانفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا **الرابع المحترف** الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان
يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن
ينبغي ان لا ينسى الله عز وجل في صناعته فيواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القران فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل
وانما الذي لا يتيسر مع العمل الصلاة الا ان يكون ناظورا فانه لا يعجز عن اقامة اوراد الصلاة مع ذلك ثم مهما فرغ من
كفايته ينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد وان داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فذلك افضل من سائر
الاوراد التي ذكرناها لان العبادة المتعدية فايدتها انفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية افضل
له ولانها عبادة له في نفسه تقربه الى الله تعالى ثم يحصل بها فايدة للغير وتنجر اليه بركات دعوات المسلمين فقضا
لحاجات المسلمين فيضاعف له الاجر **الخامس الوالي** مثل الامام والقاضي والمتولي امرا من امور المسلمين
فقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل
بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة والرواتب ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعله
اذ قال ما لي وللنوم لو نمت بالنهار لضيعت امر المسلمين ولو نمت بالليل لضيعت نفسي فقد فهمت بما ذكرناه
انه يتقدم على العبادات البدنية امران احدهما العلم والاخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف
عمل في نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات يتعدى فايدتهما وانتشارهما وانهما فكانا مقدمين على سائر العبادات
السادس الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي اصبح همه هما واحدا فلا يحب الا الله عز وجل ولا يخاف الا
منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء الا ويرى الله عز وجل فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة
لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات وردا واحدا وهو حضور القلب مع الله عز
وجل في كل حال ولا يخطر بقلبه امر ولا يقرع سمعه قارع ولا يلوح لبصره لائح الا كان له فيه عبرة وفكرة و
مزيد فلا محرك له ولا مسكن الا الله تعالى فهذا جميع احواله تصلح ان يكون سببا لازدياده فلا يتميز عنده الا الله
عبادة عن عبادة وهو الذي فر الى الله تعالى كما قال عز وجل لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله تعالى
واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته واليه الاشارة بقوله اني ذاهب
الى ربي سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا
طويلا فلا ينبغي ان يغتر المريد بما يسمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظايف عباداته وذلك علامته الا
يختلج في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا يزعجه هواجم الاحوال ولا يستفزه عظائم الاشغال
واني يرزق هذه الرتبة كل واحد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق الى الله
سبحانه قال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى
وفي الخبر الايمان ثلثمائة وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله عز وجل بالشهادة على طريقة منها دخل الجنة وقال
بعض العلما الايمان ثلثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الرسل كل مؤمن هو على خلق منها فهو سالك الطريق الى الله تعالى
فاذن الناس وان اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصراط اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
ايهم اقرب وانما يتفاوتون في درجات القرب لا في اصله واقربهم الى الله عز وجل اعرفهم به واعرفهم به لا بد ان
يكون اعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره والاصل في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منها
تغيير صفات الباطن واحاد الاعمال يقل اثرها بل لا يحس له تاثير وانما ترتب الاثار على المجموع فاذا لم يعقب العمل
الواحد اثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الاول وكان كالفقيه الذي يريد ان يكون فقيه النفس

فانه لا يصير بقية النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا او اسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا
فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لاثر فيه ولهذا السر قال النبي صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله
عز وجل ادومها وان قل ● وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان
اذا عمل عملا اثبته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عوده الله عز وجل عبادة فتركها ملالة مقته الله عز وجل وهذا
هو السبب في صلاته صلى الله عليه وسلم بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد فلم يزل صلى الله عليه
وسلم بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كي لا يقتدى به روت ذلك عائشة وام سلمة رضي الله عنهما
فان قلت فهل يجوز ان يقتدى به في ذلك مع ان الوقت وقت كراهية فاعلم ان المعاني الثلثة التي ذكرناها في الكراهية
في الاحتراز عن التشبيه بعبدة الشمس او السجود وقت ظهور قرن الشيطان او الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال
لا يتصور ذلك في حقه ولا يقاس عليه صلى الله عليه وسلم في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله لهما في غير المسجد حتى لا يقتدى به

الباب الثاني

في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشائين وكيفية
قسمة الليل **فضيلة احياء ما بين العشائين** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضي الله عنها
ان افضل الصلوات عند الله عز وجل صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة
النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله عز وجل له قصرين في الجنة قال الراوي لا ادري قال من ذهب
او قال من فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله عز وجل له ذنب عشرين سنة او قال اربعين سنة ● وروت
ام سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت
له عبادة سنة او كانه صلى ليلة القدر ● وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او قرآن كان حقا على الله عز وجل ان يبني
له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غرسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم ● وقال
صلى الله عليه وسلم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر رضي الله عنه اذن تكثر
قصورنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر وافضل او قال اطيب ● وعن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم فيما بين
ذلك بشيء من امر الدنيا ويقرا في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها والهكم
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض الى آخر الآية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ثم
يركع ويسجد ويقرا في الثانية فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
وثلث آيات من آخر البقرة من قوله عز وجل لله ما في السموات وما في الارض الى آخرها وقل هو الله احد خمس عشرة
مرة ووصف من ثوابها في الحديث ما يخرج عن الحصر ● وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر عليه السلام
علمني شيئا اعمله في ليلتي فقال اذا صليت المغرب فقم الى وقت صلاة العشاء مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل على صلاتك
التي انت فيها وسلم في كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلث مرات فاذا فرغت من
صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات في كل
ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم
يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين يا ارحم الراحمين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب
يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثانيا ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك
وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وادم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له احب ان تعلمني ممن سمعت
هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء واوحي اليه به فكنت عنده وكان ذلك بمحضر
مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية رأى النبي

صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى انه ادخل الجنة ورأى فيها
الانبياء ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه ● وعلى الجملة فما ورد في فضل احياء ما بين العشائين
كثير حتى قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان النبي عليه السلام يامر بصلاة غير المكتوبة قال ما
بين المغرب والعشاء ● وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الاوابين وقال
الاسود ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورأيته يصلي فسألته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان انس يواظب
عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيها نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع ● وقال احمد بن ابي الحواري
قلت لابي سليمان الداراني اصوم النهار واتعشى ما بين المغرب والعشاء احب اليك او افطر بالنهار واحيي ما بينهما
فقال اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر فقال افطر وصل ما بينهما **فضيلة قيام الليل** اما من الآيات
فقوله عز وجل ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الآية ● وقوله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطئا
وقوله سبحانه تتجافى جنوبهم عن المضاجع ● وقوله عز وجل امن هو قانت آناء الليل الآية ● وقوله عز وجل
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ● وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر
عليه على مجاهدة النفس **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية احدكم اذا هو
نام ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله عز وجل انحلت عقدة فان توضأ
انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان ● وفي الخبر انه
ذكر عنده صلى الله عليه وسلم رجل نام الليل حتى اصبح فقال ذلك بال الشيطان في اذنه ● وفي الخبر ان للشيطان
سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد ساء خلقه واذا العقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل
حتى يصبح ● وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا
ان اشق على امتي لفرضتهما عليهم ● وفي الصحيح عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الليل ساعة لا يوافقها
عبد مسلم يسأل الله خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية يسأل الله تعالى خيرا من امر الدنيا والآخرة وذلك كل ليلة
وقال المغيرة بن شعبة قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له يا رسول الله قد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ويظهر من معناه انه كناية عن طلب زيادة الرتبة
فان الشكر سبب المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اتريد ان تكون رحمة الله
عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا فقم من الليل فصل وانت تريد رضا ربك يا ابا هريرة صل في زوايا بيتك يكون نور بيتك
في السماء كنور الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا ● وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين
قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله تعالى وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم ● وقال صلى الله
عليه وسلم ما من امرئ يكون له صلاة بالليل فغلبه عليها نوم الا كتب له اجر صلاته وكان نومه صدقة عليه ● وقال
صلى الله عليه وسلم لابي ذر رضي الله عنه لو اردت سفرا اعددت له عدة فكيف سفر طريق القيامة الا انبئك يا ابا ذر
بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بابي انت وامي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة
القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين او كلمة حق تقولها او كلمة شر تسكت عنها ● وروي انه
كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل اذا اخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام فصلى ويقرأ القرآن ويقول
يا رب النار اجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فآذنوني فاتاه فاستمع فلما اصبح قال
يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله اني لست هناك ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث يسيرا حتى نزل جبريل صلى الله عليه
وسلم فقال اخبر فلانا ان الله عز وجل قد اجاره من النار وادخله الجنة ● ويروى ان جبريل صلى الله عليه وسلم قال
للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم
بعد على قيام الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود لصلاته ثم يقول يا نافع اسحرنا
فاقول لا فيعاود لصلاته ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول نعم فيقعد فيستغفر حتى يطلع الفجر ● وقال علي بن ابي الخير
شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى اصبح فاوحى الله يا يحيى اوجدت دارا خيرا لك من داري

ام وجدت جوارا خيرا لك من جواري فوعزتي يا يحيى لو اطلعت على الفردوس اطلاعة لذاب جسمك ولزهقت
نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب جسمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالليل فاذا اصبح سرق فقال صلى الله عليه وسلم سينهاه ما تقول
وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم ايقظ امراته فصلت فان ابت نضح في وجهها الما ورحم الله
امراة قامت من الليل فصلت ثم ايقظت زوجها فصلى فان ابى نضحت في وجهه الما ۞ وقال صلى الله عليه وسلم من استيقظ
من الليل وايقظ امراته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات ۞ وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصلوة
بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه او عن شي منه فقراه
بين صلاة الفجر والظهر كتب له كانما قراه من الليل **ومن الاثار** يروى ان عمر رضي الله عنه كان يمر بالاية
في ورده من الليل فيمرض حتى يعاد منها اياما كما يعاد المريض ۞ وكان ابن مسعود اذا هدات العيون قام فيسمع
له دوي كدوي النحل حتى يصبح ۞ ويقال ان سفين الثوري شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد في علفه زيد في عمله فقام
تلك الليلة حتى اصبح ۞ وكان طاوس اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما يتقلى الحبة في المقلى ثم يثب ويصلي الى الصباح
ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن ما نعلم عملا اشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال فقيل
له ما بال المتهجدين من احسن الناس وجوها قال لانهم خلوا بالرحمن تعالى فالبسهم نورا من نوره ۞ وقدم بعض
الصالحين من سفر فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف لا ينام بعده على فراش ابدا ۞ وكان عبد العزيز
ابن ابي رواد اذا جن عليه الليل ياتي فراشه فيمر يده عليه ويقول انك للين والله لفي الجنة الين منك فلا يزال
يصلي الليل كله ۞ وقال الفضيل اني لاستقبل الليل من اوله فيهولني طوله فافتتح القران فاصبح وما قضيت نهمتي وقال
الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل ۞ وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار
فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك ۞ وكان صلة بن اشيم يصلي الليل كله فاذا كان في السحر يقول الهي ليس مثلي يطلب
الجنة ولكن اجرني برحمتك من النار ۞ وقال رجل لبعض الحكما اني لاضعف عن قيام الليل فقال له يا اخي لا تعص الله
بالنهار ولا تقم بالليل ۞ وكان الحسن ابن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية وقالت
يا اهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المكتوبة فقالوا لا فرجعت الى الحسن
فقالت يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون الليل ردني فردها ۞ وقال الربيع بت في منزل الشافعي رحمه الله ليالي
كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيرا ۞ وقال ابو الجويرية لقد صحبت ابا حنيفة ستة اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه
وكان ابو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فسمعهم وهم يقولون ان هذا يحيي الليل كله فقال اني استحي ان اوصف بما لا افعل
فكان بعد ذلك يحيي كل الليل ۞ وصح عنه انه صلى الفجر بوضوء العشا اربعين سنة ويروى انه ما كان له فراش
بالليل ۞ ويقال ان مالك بن دينار قام يردد هذه الاية ليلة حتى اصبح ام حسب الذين اجترحوا السيات ان
نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية ۞ وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار يتوضا بعد
العشا ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار الهي قد علمت
ساكن الجنة من ساكن النار فاي الرجلين مالك واي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك دابه حتى طلع الفجر ۞ وقال مالك
ابن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فاذا انا في المنام بجارية كاحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي احسن
ان تقرا فقلت نعم فدفعت لي الرقعة فاذا فيها ۞ االهتك اللذائذ والاماني ۞ عن البيض الاوانس في الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها ۞ وتلهو في الجنان مع الحسان ۞ تنبه من منامك ان خيرا من النوم التهجد بالقران
وقيل حج مسروق فما بات ليلة الا ساجدا ويروى ان ازهر بن مغيث وكان من القوامين انه قال رايت في المنام
امراة لا تشبه نسا الدنيا فقلت لها من انت فقالت حورا فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني الى سيدي وامهرني
فقلت وما مهرك فقالت طول التهجد ۞ وقال يوسف بن مهران بلغني ان تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه
من لؤلؤ وصيصيته من زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القايمون
واذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا

وقال ليقم المصلون فاذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم ۞ ويقال ان وهب
ابن منبه اليماني ما وضع جنبه الى الارض ثلثين سنة وكان يقول لان ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى وسادة
لانها تدعوا الى النوم وكانت له مسورة من ادم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع
الى القيام ۞ وقال بعضهم رايت رب العزة جل جلاله في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى سليمان التيمي
فانه صلى الى الغداة بوضوء العشا الاخرة اربعين سنة ۞ ويقال كان مذهبه ان النوم اذا خامر القلب بطل الوضوء
وروي في بعض الكتب القديمة ان الله عز وجل يقول ان عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك **بيان**
الاسباب التي بها يتيسر قيام الليل اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا
وباطنا فاما الظاهرة فاربعة امور **الاول** ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام ۞ كان بعض
الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتخسروا عند الموت كثيرا وهذا هو
الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام **الثاني** ان لا يتعب نفسه بالنهار في الاعمال التي تعيى بها الجوارح وتضعف
بها الاعصاب فان ذلك ايضا مجلبة للنوم **الثالث** ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة للاستعانة على قيام الليل
الرابع ان يجتنب الاوزار بالنهار فان ذلك مما يقسي القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة ۞ قال رجل للحسن يا ابا سعيد
اني ابيت معافا واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك ۞ وكان الحسن اذا دخل السوق
فسمع لغطهم ولغوهم يقول اظن ليل هولاء ليل سوء فانهم لا يقيلون ۞ وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر
بذنب اذنبته قيل وما ذلك الذنب قال رايت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراي ۞ وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة
وهو يبكي فقلت له اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد فقلت وجع يؤلمك فقال اشد فقلت وما ذاك فقال بابي مغلق وستري
مسبل ولم اقرا حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب احدثته ۞ وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر
والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال ابو سليمان الداراني لا تفوت احدا صلاة الجماعة الا بذنب
وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد ۞ وقال بعض العلما اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى
اي شي تفطر فان العبد ليأكل الاكلة فيتقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حاله الاول فالذنوب كلها تورث قساوة
القلب وتمنع من قيام الليل واخصها بالتاثير تناول الحرام وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه الى الخير
ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع لذلك ولهذا قال بعضهم كم من اكلة
منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراة سورة وان العبد لياكل اكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلاة
تنهى عن الفحشا والمنكر فكذلك الفحشا تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات ۞ وقال بعض السجانين بدينور بقيت سجانا نيفا
وثلثين سنة اسال عن كل ماخوذ بالليل انه هل صلى العشا في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة
تمنع من تعاطي الفحشا والمنكر ۞ واما الميسرات الباطنة فاربع **الاولى** سلامة القلب عن الحقد على احد من المسلمين
وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام لا يتفكر في صلاته
الا في مهماته ولا يجول قلبه الا في وساوسه وفي مثله **يقال** وانت اذا استيقظت ايضا فنايم ۞
الثانية خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في اهوال الاخرة ودركات جهنم طار نومه
وعظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل
كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا ياتيه النوم وقيل
لغلام اخر وكان يقوم كل الليل مثل ذلك فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما اقدر ان
انام ۞ ولذي النون المصري ۞ منع القران بوعده ووعيده ۞ مقل العيون بليلها ان تهجعا
وانشدوا فهموا عن الملك الجليل كلامه ۞ فرقابهم ذلت اليه تخضعا
يا طول الرقاد والغفلات ۞ كثرة النوم تورث الحسرات ۞ ان في القبر ان نزلت اليه لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه ۞ بذنوب عملت او حسنات ۞ اامنت البيات من ملك الموت وكم نال امنا بيات
الثالثة ان تعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الايات والاخبار والاثار التي اوردناها حتى يستحكم بذلك رجاؤه

فتندموا كثيرا

قلبه

وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع من غزاته فمهدت امراته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد فلم يزل يصلي حتى اصبح فلما اصبح قالت زوجته لم يكن لنا فيك حظ قال والله ما ذكرتك ولقد كنت قد بت صليت الى الصبح اتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليلة فنسيت الزوجة والمنزل فبت طول الليل شوقا اليها. **الرابعة** وهي اشرف البواعث الحب لله عز وجل وقوة الايمان بانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه عز وجل وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات خطاب من الله تعالى معه فاذا احب الله عز وجل احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي ان يستبعد هذه اللذة اذ يشهد لها العقل والنقل اما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او لملك بسبب انعامه وامواله كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا ياتيه النوم طول الليل ليلته. فان قلت ان الجميل يتلذذ بالنظر اليه وان الله سبحانه لا يرى فاعلم انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر او كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع في امر آخر سوى ذلك وكان يتنعم باظهار حبه اليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك ايضا معلوما عنده. فان قلت انه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله عز وجل فاعلم انه وان كان يعلم انه لا يجيبه ويسكت عنه فالتذاذ باقية له ايضا في عرض احواله ورفع سريرته اليه فكيف والموقن يسمع من الله عز وجل كل ما يرد على خاطره في اثناء مناجاته فيتلذذ بذلك وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء انعامه والرجاء في حق الله سبحانه اصدق وما عند الله سبحانه ابقى وانفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات. واما النقل فيشهد له احوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال المحبوب حتى قيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تاملته بعد. وقال آخر انا والليل فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر. وقيل لبعضهم كيف الليل عليك قال ساعة انا فيها بين حالتين افرح فيها بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع وما تم فرحي به قط. وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني شيء سوى طلوع الفجر. وقال فضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي تعالى واذا طلعت حزنت لدخول الناس علي. وقال ابو سليمان اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا. وقال ايضا لو عوض الله سبحانه اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك اكثر لاعمالهم. وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة. وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا انما هي من الجنة اظهرها الله لاوليائه لا يجدها سواهم. وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا الا ثلاث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة في جماعة. وقال بعض العارفين ان الله عز وجل ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملاها انوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم الى قلوب الغافلين. وقال بعض العلماء من القدماء ان الله عز وجل اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبونني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكرونني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فمن بين صارخ وباك وبين متاوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والارض وما بينهما وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم افترى من اقبلت بوجهي عليه ايعلم احد ما اريد ان اعطيه. وقال مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عز وجل قال وكانوا يرون ان ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار من قرب الرب عز وجل من القلب وهذا له سر وتحقيق وسياتي الاشارة اليه في كتاب المحبة. وفي الاخبار عن الله يقول الله تعالى اي عبدي انا الذي اتقرب لقلبك وبالغيب رايت نوري. وشكا بعض المريدين الى استاذه [illegible] فقال له ان لله عز وجل نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات منه تعالى فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل ولا بالنهار. اعلم ان هذه النفحات بالليل ارجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله عز

وجل خيرا الا اعطاه اياه. وفي رواية اخرى يسال الله عز وجل خيرا من امر الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جميع الليل كليلة القدر في رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة.

بيان طرق القسمة لاجزاء الليل

اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب. **المرتبة الاولى** احياء كل الليل وهذا شان الاقوياء الذين تجردوا لعبادة الله عز وجل وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس بامور الدنيا وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء. حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن اربعين من التابعين وكان منهم من واظب على ذلك اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العباديان وحبيب ابو محمد وابو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقراه مرة اخرى وايضا من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم. **المرتبة الثانية** ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الافضل. **المرتبة الثالثة** ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل مستحب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه. قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى ياتيه بلال يؤذنه بالصلاة. وقالت عائشة رضي الله عنها ما الفيته السحر الا نائما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من اوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود عليه السلام. **المرتبة الرابعة** ان يقوم سدس الليل وخمسه وافضله ان يكون في النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه. **المرتبة الخامسة** ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ثم ربما يضطرب به ذلك في ليالي الغيم ولكنه يقوم من اول الليل الى ان يغلبه النوم فينام فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وذلك من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وقد كان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي طريقة ابن عمر رضي الله عنهما واولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين وكان بعض السلف يقول هي اول نومة فان انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله عيني. فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثيه او ثلثه او سدسه يختلف ذلك في الليالي يدل على ذلك قول الله عز وجل في الموضعين من سورة المزمل ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه. وقد قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه. وروي عن بعض الصحابة انه قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك به وتوضا وصلى حتى قلت قد صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت قد نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال اول مرة وفعل ما فعل اول مرة. **المرتبة السادسة** وهي الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب من جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة. فهذه طرق القسمة فليتخير المريد لنفسه ما رآه ايسر عليه وحيث يتعذر القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفي الليل وهذه هي المرتبة السابعة ومهما كان النظر الى المقدار فتترتب هذه المراتب

بحسب طول الوقت وقصره وأمّا في الرتبة الخامسة والسابعة فلم ينظر فيهما إلى المقدار وليس يجري أثرهما في التقديم والتأخير
على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة **بيان الليالي والأيام الفاضلة**
اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل الذي يتأكد فيها استحباب الإحيا في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي أن يغفل المريد عنها فإنها
مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن أفاضل الأوقات لم ينجح فستة من
الليالي في شهر رمضان خمس في أوتاد العشر الأخير إذ فيها يطلب ليلة القدر وليلة سبعة عشر من رمضان فهي ليلة صبيحة الفرقان
يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير هي ليلة القدر وأمّا الأخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشورا وأول التسع
ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة قال النبي صلى الله عليه وسلم
للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثني عشر ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد
في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شا من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائما فإن الله سبحانه يستجيب دعاه
كله إلا أن يدعو في معصية وأمّا ليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة سورة الإخلاص عشر مرات بعد
فاتحة الكتاب كانوا لا يتركونها كما أوردناه في صلاة التطوع وليلة عرفة وليلتا العيدين قال النبي صلى الله عليه وسلم
من أحيى ليلة العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب **وأمّا الأيام الفاضلة** فهي تسعة عشر يوما يستحب مواصلة
الأوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشورا ويوم سبع وعشرين من رجب له شرف عظيم روى أبو هريرة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب الله عز وجل له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط
فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة وعشرين من شهر رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم الجمعة ويوم النصف من شعبان
ويوم العيدين والأيام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة والأيام المعدودات وهي أيام التشريق وقد روى عن
أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة بعض
العلما من أخذ مهناه في الأيام الخمسة في الدنيا لم ينل مهناه في الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة ويوم عاشورا
ومن فواضل الأيام في الأسبوع الخميس والاثنين ترفع فيهما الأعمال إلى الله عز وجل وقد ذكرنا فضايل الأشهر والأيام
للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة إلى الإعادة والله تعالى أعلم تم كتاب ترتيب الأوراد وبتمامه تم الربع الأول المسمى
ربع العبادات والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه الطاهرين وسلم تسليما كثيرا دائما

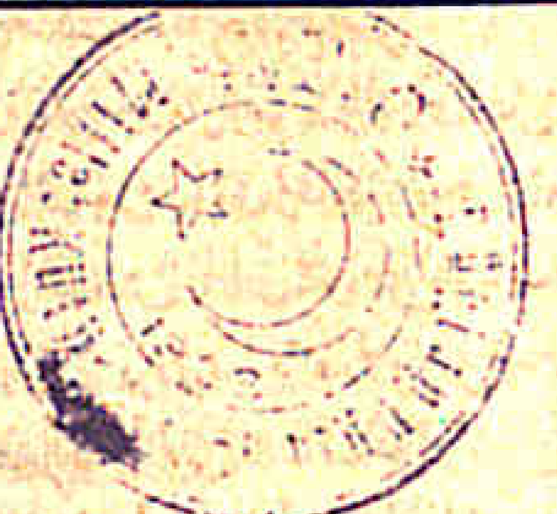
وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم وهو نعم المولى ونعم النصير
وعلى كل شي قدير
والإجابة

بلغ

ورق ١١٤



الجزء الثاني من إحياء علوم الدين



وهو
ربع العادات تأليف الشيخ الإمام
العلامة حجة الإسلام أبي حامد محمد
ابن محمد بن محمد الغزالي الطوسي
الشافعي قدس الله روحه

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم

كتاب آداب الأكل

اخبرنا الشيخ الامام زين الدين حجة الاسلام شرف الائمة ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي في رباط الصوفية بمدينة
بغداد في شعبان من سنة تسعين واربعمائة وانا اسمع واقرا قال رحمه الله الحمد لله الذي احسن تدبير الكائنات فخلق
الارض والسموات وانزل الماء الفرات من المعصرات فاخرج به الحب والنبات وقدر الارزاق والاقوات وحفظ بالماكولات قوى الحيوانات
واعان على الطاعات والاعمال الصالحات باكل الطيبات والصلاة على محمد ذي المعجزات الباهرات وعلى اله واصحابه صلاة تتوالى
على ممر الاوقات وتتضاعف بتعاقب الساعات وسلم كثيرا اما بعد فان مقصد ذوي الالباب لقاء الله سبحانه
وتعالى في دار الثواب ولا طريق الى الوصول الى اللقاء الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة
البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف ان الاكل من الدين
وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن يقدم على الاكل ليستعين به على العلم
والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه مهملا سدى يسترسل في الاكل استرسال البهائم في المرعى فما هو ذريعة الى
الدين ووسيلة اليه فينبغي ان تظهر انوار الدين عليه وانما انوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها
حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للاجر وان كان فيها اوفى
حظ النفس قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفعها الى فيه والى في امراته وانما ذلك اذا رفعها بالدين ولله
مراعيا فيه آدابه وسننه ووظائفه وها نحن نرشد الى وظائف الدين في الاكل ونوضح فرائضها وسننها وآدابها ومروءاتها
وهيآتها في اربعة ابواب وفصل في آخرها الباب الاول فيما لا بد للاكل من مراعاته وان انفرد بالاكل
الباب الثاني فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الاكل وهي سبعة الباب الثالث فيما يخص تقديم
الطعام الى الاخوان الزائرين الباب الرابع فيما يخص الدعوة والضيافة واسبابها الباب الاول
فيما لا بد للمنفرد منه وهي ثلثة اقسام قسم قبل الاكل وقسم مع الاكل وقسم بعد الفراغ منه القسم الاول في
الآداب التي تتقدم على الاكل وهي سبعة الاول ان يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا
للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى في مداهنة في دين على ما سياتي معنى الطيب المطلق
في كتاب الحلال والحرام وقد امر الله تعالى باكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الاكل بالباطل على القتل تفخيما لامر الحرام
وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الاية فالاصل في الطعام كونه طيبا حلالا وهو من الفرائض
واصول الدين الثاني غسل اليد قال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وفي رواية
ينفي الفقر قبل الطعام وبعده ولان اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الاعمال فغسلها اقرب الى النظافة والنزاهة ولان الاكل
لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بان يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلاة الثالث ان يوضع
الطعام على السفرة الموضوعة على الارض فهو اقرب الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا اتي بطعام وضعه على الارض فهذا اقرب الى التواضع فان لم يكن فعلى السفرة فانها تذكر السفر
ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته الى زاد الآخرة وقال انس رضي الله عنه ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
خوان ولا في سكرجة قيل فعلى ماذا كنتم تاكلون قال على السفر وقيل اربع احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الموائد والمناخل والاشنان والشبع واعلم انا وان قلنا الاكل على السفرة اولى فلسنا نقول الاكل على المائدة منهي
نهي كراهة او تحريم اذ لم يثبت فيه نهي وما يقال من انه ابدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما ابدع منهيا عنه بل المنهي بدعة
تضاد سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال اذا تغيرت الاسباب وليس
في المائدة الا رفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل وامثال ذلك مما لا كراهة فيه والاربع التي جمعت في انها مبتدعة
ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب للنظافة والاشنان اتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه
لانه ربما كان لا يعتاد عندهم او لا يتيسر او كانوا مشغولين بامور اهم من المبالغة في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد

ايضا وكان مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا واما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام
وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط واما المائدة فتيسير للاكل وهو ايضا مباح واما الشبع فهو اشد هذه الاربع
فانه يدعو الى تهييج الشهوات وتحريك الادواء في البدن فلتدرك التفرقة بين هذه المبتدعات الرابع ان يحسن الجلسة على
السفرة في اول جلوسه ويستديمها كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثا للاكل على ركبتيه وربما جلس على ظهر
قدميه وربما جلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لا آكل متكئا انا عبد آكل كما
ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد والشرب متكئا مكروه للمعدة ايضا ويكره الاكل نائما ومتكئا الا ما يتنقل به من الحبوب
وروي عن علي رضي الله عنه انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطحا على بطنه والعرب قد تفعله الخامس ان
ينوي باكله ان يتقوى به على طاعة الله ليكون مطيعا بالاكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالاكل قال ابرهيم بن شيبان منذ ثمانين
سنة ما اكلت شيئا بشهوتي ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل فانه اذا اكل لاجل قوة العبادة لم تصدق نيته الا باكل ما دون
الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وايثار القناعة على الاتساع قال صلى الله عليه
وسلم ما ملا ادمي وعاء شرا من بطن حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس
ومن ضرورة هذه النية ان لا يمد اليد الى الطعام الا وهو جائع فيكون الجوع احد ما لا بد من تقديمه على الاكل ثم ينبغي ان
يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسياتي فائدة قلة الاكل وكيفية التدريج في التقليل في كتاب كسر شهوة
الطعام من ربع المهلكات السادس ان يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة
وانتظار الادم بل من كرامة الخبز ان لا ينتظر به الادم وقد ورد الامر باكرام الخبز فكل ما يبقي الرمق ويقوي على العبادة فهو
خير كثير لا ينبغي ان يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلاة وان حضر فيهما اذا كان في الوقت سعة قال صلى الله عليه وسلم اذا حضر
العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء وكان ابن عمر ربما سمع قراءة الامام وهو لا يقوم من عشائه ومهما كانت النفس لا تتوق الى
الطعام ولم يكن في تاخير الطعام ضرر فالاولى تقديم الصلاة فاما اذا حضر الطعام واقيمت الصلاة وكان في التاخير ما
يبرد الطعام او يشوش امره فتقديمه احب عند اتساع الوقت تاقت النفس او لم تتق لعموم الخبر ولان القلب لا يخلو عن الالتفات
الى الطعام الموضوع وان لم يكن الجوع غالبا السابع ان يجتهد في تكثير الايدي على الطعام ولو من اهله وولده قال صلى الله
عليه وسلم اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال انس كان عليه السلام لا ياكل وحده القسم الثاني في
آداب حالة الاكل وهو ان يبدا ببسم الله في اوله وبالحمد في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن حتى لا يشغله الشره عن
ذكر الله ويقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره
وياكل باليمين ويبدا بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها لم يمد اليد الى الاخرى فان ذلك عجلة في الاكل
وان لا يذم ماكولا كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب ماكولا كان ان اعجبه اكله والا تركه وان ياكل مما يليه الا الفاكهة فان له ان
يجيل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم كل مما يليك ثم كان يدور على الفاكهة فقيل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا وان لا ياكل
من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام بل ياكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطع بالسكين ولا يقطع
اللحم ايضا فقد نهي عنه وقال انهشوه نهشا ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا ما يؤكل به قال صلى الله عليه وسلم اكرموا
الخبز فان الله انزله من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز وقال عليه السلام اذا وقعت لقمة احدكم فلياخذها وليمط ما كان بها
من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركة ولا يانف عن اكل ما انقط
من خاتمه ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله وياكل من التمر وترا سبعا او احدى عشرة او احدى
وعشرين او ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع من فيه على ظهر كفه ثم يلقيه وكذا كل ما له عجم وثفل
وان لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فياكله وان لا يكثر الشرب
في اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة او صدق عطشه فقد يقال ان ذلك مستحب في الطب وانه دباغ المعدة واما الشرب
فادابه ان ياخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا قال صلى الله عليه وسلم مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فان
الكباد من العب ولا يشرب قائما ومضطجعا فانه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائما وروي انه صلى الله عليه وسلم
شرب قائما ولعله كان لعذر ويراعي اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشى في الكوز

يختم عن فيه بالحمد ويبدأه بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا والكوز وكل ما يدار على قوم يدار يمنة شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا وابو بكر عن يساره واعرابي عن يمينه وعمر ناحيته فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن فالايمن ويشرب في ثلاثة انفاس يحمد الله في اواخرها ويسمي الله في اوايلها ويقول في اخر النفس الاول الحمد لله وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين ادبا في حال الاكل والشرب دلت عليه الاحاديث والاثار والاخبار

القسم الثالث

ما يستحب بعد الطعام وهو ان يمسك قبل الشبع ويلعق اصابعه ثم يمسحه بالمنديل ثم يغسله ويلتقط فتات الخبز والطعام قال عليه الصلاة والسلام من اكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده ويخلل اسنانه ولا يبلع كل ما يخرج من بين اسنانه بالخلال الا ما يجمع من اصول اسنانه بلسانه اما المخرج من الخلال يرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه اثر عن اهل البيت وان يلعق القصعة فقال من لعق القصعة وشرب ماءها كان له عتق رقبة وان التقاط الفتات مهور الحور العين وان يشكر الله تعالى بقلبه على ما اطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ومهما اكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا فاستعملنا صالحا وان اكل شبهة فيقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرا بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم من المائدة حتى ترفع ولو ان اكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصايمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملايكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما اكل من شبهة ليطفي بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها بقوله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وليس من ياكل ويبكي كمن ياكل ويلهو وليقل اذا اكل لبنا بارك الله لنا فيما رزقتنا وانت خير الرازقين وارزقنا خيرا منه وذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن لعموم نفعه ويستحب عقيب الطعام ان يقول الحمد لله اطعمنا وسقانا وكفانا واوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شي ولا يكفي منه شي اطعمت من جوع وامنت من خوف فلك الحمد اويت من يتم وهديت من ضلالة واغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دايما طيبا نافعا مباركا فيه كما انت اهله ومستحقه اللهم اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا اجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على معاصيك • واما غسل اليد بالاشنان فكيفيته ان يجعل الاشنان على كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلاث من اليد اليمنى اولا ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم ينعم غسل الفم باصبعه ويدلك ظاهر اسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل اصابعه عن ذلك بالماء ثم يدلك بقية الاشنان اليابس اما بعضها او بطنا ويستغني بذلك عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله

الباب الثاني

فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الاكل من الادب وهي سبعة **الاول** ان لا يبتدي بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي ان لا يطول عليهم الانتظار اذا اشرأبوا للاكل واجتمعوا اليه **الثاني** ان لا يسكتوا على الطعام فان ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها **الثالث** ان يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد ان ياكل زيادة على ما ياكل صاحبه فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي ان يقصد الايثار ولا ياكل تمرتين في دفعة الا اذا فعلوا ذلك او استاذنهم فان قلل رفيقه نشطه ورغبه في الاكل وقال له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلث مرات فان ذلك الحاح وافراط كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خوطب في شي ثلثا لم يراجع بعد ذلك • وكان عليه الصلاة والسلام يكرر الكلام ثلثا فليس من الادب الزيادة عليه فاما الحلف عليه بالاكل فممنوع • قال الحسن بن علي الطعام اهون من ان يحلف عليه **الرابع** ان لا يحوج رفيقه الى ان يقول له كل قال بعض الادباء احسن الاكلين اكلا من لا يحوج صاحبه الى ان يتفقده في الاكل وحمل عن اخيه مؤنة القول فلا ينبغي ان يدع شيا مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته في الوحدة ولكن يعود نفسه حسن الادب في الخلوة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع نعم لو قلل من اكله ايثارا للاخوان ونظرا لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان زاد في الاكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الاكل فلا باس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه ويقول من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى ويعطي من له فضل

نوى بعدده دراهم وذلك لكسر الحيا وزيادة النشاط في الانبساط • وقال جعفر بن محمد احب اخواني الي اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم علي من يحوجني الى تعاهده في الاكل وكل هذا اشارة الى الجري على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر ايضا تتبين محبة الرجل لاخيه بجودة اكله في منزله **الخامس** ان الغسل لليد في الطشت لا باس به وله ان يتنخم فيه ان اكل وحده وان كان معه غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك واذا قدم الطشت اليه غيره اكراما فليقبله ولا يرده • اجتمع انس بن مالك وثابت البناني فقدم انس الطشت اليه فامتنع فقال انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل • وروي ان هرون الرشيد دعا ابا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطشت فلما فرغ قال يا ابا معاوية تدري من صب على يدك فقال لا قال صبه امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله ولا باس ان يجتمعوا على غسل اليد في الطشت في حالة واحدة فهو اقرب الى التواضع وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي ان يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطشت قال صلى الله عليه وسلم اجمعوا وضوكم جمع الله شملكم قيل ان المراد به هذا • وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار لا ترفع طشت من بين يدي القوم الا مملوة ولا تشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود رضي الله عنه اجتمعوا على غسل اليد في طشت واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم والخادم الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم ان يكون قايما واحب ان يكون جالسا لانه اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروي انه صب على يدي واحد خادم جالسا فقام المصبوب على يده فقيل له لم قمت فقال احدنا لا بد وان يكون قايما وهذا اولى لانه ايسر للصب والغسل واقرب الى تواضع الذي يصب واذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فان العادة جارية بذلك ففي الطشت اذا سبعة اداب ان لا يبزق فيه وان يقدم به المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمنة وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قايما وان يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي في اول نزوله عليه وقال لا يريبك ما رايته مني فخدمة الضيف فرض **السادس** ان لا ينظر الى اصحابه ولا يراقب اكلهم فيستحيون بل يغض بصره ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في الابتدا وقلل الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم اخرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة فان امتنع لسبب فليعتذر اليهم دفعا للخجلة عنهم **السابع** ان لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم اليها راسه عند وضع اللقمة في فيه واذا اخرج شيا من فيه صرف وجهه عن الطعام واخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة فقد يكرهه غيره واللقمة التي قطعها باسنانه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات

الباب الثالث

في اداب تقديم الطعام الى الاخوان الزايرين **فضيلة** تقديم الطعام الى الاخوان له فضل كثير قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من اعماركم • وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها العبد الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله يستحيي ان يساله عن ذلك هذا مع ما ورد من الاخبار في الاطعام • قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الملايكة تصلي على احدكم ما دامت مايدته موضوعة بين يديه حتى ترفع • وروي عن بعض علما خراسان انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك الطعام فانا احب ان استكثر مما اقدمه اليكم لناكل فضل ذلك • وفي الخبر لا يحاسب العبد على ما ياكله مع اخوانه • وكان بعضهم يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقلل اذا اكل وحده • وفي الخبر ثلث لا يحاسب عليها العبد اكلة السحور وما افطر عليه وما اكل مع الاخوان • وقال علي رضي الله عنه لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة • وكان ابن عمر يقول من كرم الرجل طيب زاده في سفره وبذله لاصحابه • وكان الصحابة يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا يجتمعون على قراة القران ولا يتفرقون الا عن ذواق • وقيل الاجتماع على الكفاية مع الانس والالفة ليس هو من الدنيا • وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة يا ابن ادم جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول جاع اخوك المسلم فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني • وقال

عليه الصلاة والسلام إن في الجنة غرفاً يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام. وقال عليه السلام خيركم من أطعم الطعام. وقال عليه السلام من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام.

وأما آدابه فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام. أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوماً متربصاً لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهي عنه قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه يعني منتظرين حينه ونضجه. وفي الخبر من مشى إلى طعام ولم يدع إليه مشى فاسقاً وأكل حراماً. ولكن حق الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على الطعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له وإذا قيل له كل نظر فإن علم أنهم يقولون عن محبة لمساعدته فليساعد وإن كانوا يقولون حياء منه فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتعلل. أما إذا كان جائعاً فقصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يتربص وقت أكله فلا بأس به. فقد قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعاً والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام وهي عادة السلف. **وكان** عون بن عبد الله المسعودي له ثلاثمائة وستون صديقاً يدور عليهم في السنة ولآخرين يدورون في الشهر ولآخر سبعة وكان إخوانهم معلومهم بدلاً عن كسبهم وكان زيارتهم أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم. فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقاً بصداقته عالماً بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه إذ المراد من الإذن الرضا لا سيما في الأطعمة وأمرها على السعة فرب رجل يصرح بالإذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب. وقد قال تعالى أو صديقكم. ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل من طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وذلك لعلمه بسرورها بذلك. وكذلك يجوز أن يدخل الدار من غير استئذان اكتفاء بعلمه بالإذن فإن لم يعلم فلا بد من الاستئذان أولاً ثم الدخول. وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا كنا نفعل. وروي عن الحسن أنه كان قائماً يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسبة فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع تأكل من متاع الرجل بغير إذنه فقال يا لكع اتل علي آية الأكل فتلا إلى قوله أو صديقكم فقال من الصديق يا أبا سعيد فقال من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب. وجاء قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا. **وزار** قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه إلى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل له قد أخذه فلان فقال قد أحسن فلما لقيه قال يا أخي إن عادوا فعد. هذه آداب الدخول.

فأما آداب التقديم فترك التكلف أولاً وتقديم ما حضر فإن لم يحضره شيء ولم يملك شيئاً فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم. **وقال** بعض الصالحين على زاهد وهو يأكل فقال لولا أني أخذته بدين لأطعمتكم. وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة. **وكان** الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه. وقال بعضهم ما أبالي من أتاني من إخواني فإني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته. وقال بعضهم كنت أدخل على أخ لي فيتكلف لي فقلت له إنك لا تأكل وحدك هذا ولا أنا فما بالنا إذا اجتمعنا أكلنا ما لا تجري العادة به فإما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجيء فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه. ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم. **روي** أن رجلاً دعا علياً رضي الله عنه فقال أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئاً ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال. وكان بعضهم يقدم من كل ما في بيته شيئاً فلا يترك نوعاً إلا ويحضر شيئاً منه. وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزاً وخلاً وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم. وقال بعضهم إذا قصدت الزيارة فقدم ما حضر وإن استزرت فلا تبق ولا تذر. وقال سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا. وفي حديث يونس النبي صلى الله عليه وسلم أنه زاره إخوانه فقدم لهم كسراً وجز لهم بقلاً كان يزرعه ثم قال لهم كلوا لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم. وعن أنس بن مالك وغيره من

الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزراً الذي يحتقر ما يقدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه.

الأدب الثاني

وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه وربما يشق على المزور إحضاره فإن خيره أخوه بين طعامين فليختر أيسرهما ما لم يكن لما. وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحاً جريشاً فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان أطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته [واحد سعتر] فلما أكل قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة. هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح. فعل الشافعي ذلك مع الزعفراني إذ كان نازلاً عنده ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألحق بها لوناً آخر بخطه فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكر وقال ما أمرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعي ملحقاً بالرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي ذلك عليه. وقال أبو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت وأخذ يجعل نصفه في القدح فقلت له أيش تعمل أنا أشربه كله في مرة فضحك وقال هذا أفضل لك من حجك. وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع مع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالانبساط ومع أبناء الدنيا بالأدب.

الأدب الثالث

أن يشتهي المزور لخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جزيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله عز وجل. وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه من ثلاث جنان جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد.

الأدب الرابع

أن لا يقول له هل أقدم طعاماً بل يقدم إن كان. قال الثوري إذا زارك أخوك فلا تقل أتأكل أو أقدم إليك ولكن قدم فإن أكل وإلا فارفع. وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاماً فلا ينبغي أن يظهره عليهم أو يصفه لهم. قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تأكل فلا تحدثهم به ولا يرونه معك. وقال بعض الصوفية إذا دخل عليكم الفقراء فقدموا إليهم طعاماً وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة وإذا دخل القراء فدلوهم على المحراب.

الباب الرابع في آداب الضيافة

ومجامع الآداب فيها ستة الدعوة أولاً ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف. ولنقدم على شرحها فضيلة الضيافة. قال صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله. وقال عليه الصلاة والسلام لا خير فيمن لا يضيف. ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقاً حسناً فعل. **وقال** أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه نزل به ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيئاً من الدقيق إلى رجب فقال اليهودي والله لا أسلفته إلا برهن فأخبرته فقال والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني لأديته فاذهب بدرعي فارهنه عنده. وكان إبراهيم عليه السلام إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيها دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة. وقال قوام الموضع إنه لم يخل ليلة إلى الآن ليلة عن ضيف. وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان فقال إطعام الطعام وبذل السلام. وقال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام. وسئل عن الحج المبرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام. وقال أنس بن مالك كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة. والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تحصى فلنذكر الآن آدابها. **أما** الدعوة فينبغي للداعي أن يقصد بدعوته الأتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم أكل طعامك الأبرار في دعائه لمن دعا له. وقال لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي. ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء. وينبغي أن لا يهمل أقاربه في الضيافة فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم وكذلك يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إيحاشاً للباقين. وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الإخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب

المؤمنين وينبغي ان لا يدعو من يعلم انه يشق عليه الاجابة واذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الاسباب وينبغي ان لا يدعو الا من يحب اجابته • قال سفين الثوري من دعا احدا الى الطعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة فان اجاب المدعو فعليه خطيتان لانه حمله على الاكل مع كراهية ولو علم ذلك لما كان يأكله واطعام التقي اعانة له على الطاعة واطعام الفاسق تقوية له على الفسق • قال رجل خياط لابن المبارك انا اخيط ثياب السلاطين فهل تخاف ان اكون من اعوان الظلمة قال لا انما اعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة اما انت فمن الظلمة انفسهم **واما** الاجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدي الي ذراع لقبلت • وللاجابة خمسة آداب **الاول** ان لا يميز الغني بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه ولاجل ذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة وقال انتظار المرقة ذل وقال آخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي ومن المتكبرين من يجيب الاغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة كان عليه الصلاة والسلام يجيب دعوة الحر والعبد ودعوة المسكين • ومر الحسن بن علي بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا كسرا على الارض في الرمل وهم يأكلون وكان على بغلته فسلم عليهم فقالوا هلم الى الغداء يا ابن بنت رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد اجبتكم فاجيبوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم • واما قول القائل ان من وضعت يدي في قصعته ذلت له رقبتي فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فانه ذل اذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها منة وكان يرى ذلك يدا له عند المدعو ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعلمه بان الداعي له يتقلد منة اي نعمة ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة وهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به انه يستثقل الاطعام وانما يفعل ذلك مباهاة او تكلفا فليس من السنة اجابته بل الاولى التعلل ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وخلاصه منها • وقال سري السقطي آه على لقمة ليس لله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة فاذا علم المدعو انه لا منة فلا ينبغي ان يرد • قال ابو تراب النخشبي عرض علي طعام فامتنعت فابتليت بالجوع اربعة عشر يوما فعلمت انه عقوبته • وقيل لمعروف الكرخي كل من دعاك تمر اليه فقال انا ضيف انزل حيث انزلوني **الثاني** انه لا ينبغي ان يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة ولا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي ان يمتنع عنها • ويقال في التورية او بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلثة اميال اجب دعوة سر اربعة اميال زر اخا في الله وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة لان فيه قضاء حق الحي فهو اولى من الميت • وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع بالغميم لاجبت وهو على اميال من المدينة افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه وقصر حين مر به **الثالث** ان لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فان كان يسر اخاه افطاره فليفطر وليحتسب في افطاره بنية ادخال السرور على قلب اخيه ما يحتسب في الصوم وافضل وذلك في صوم التطوع وان لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر وان تحقق انه متكلف فليتعلل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك اخوك وتقول اني صائم • وقد قال ابن عباس من افضل الحسنات اكرام الجلساء بالافطار فالافطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب وقد قيل الكحل والدهن احد القراءين **الرابع** ان يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة او الموضع او البساط المفروش غير حلال او كان يقام في الموضع منكر من فرش ديباج او اناء فضة او تصوير حيوان على سقف او حائط او سماع شيء من المزامير والملاهي او التشاغل بنوع من اللهو والهزل واللعب فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها او كراهيتها وكذا اذا كان الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طلبا للمباهاة والفخر **الخامس** ان لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملا في ابواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة وذلك بان ينوي الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لو دعيت الى كراع لاجبت وينوي الحذر من معصية الله لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله وينوي اكرام اخيه المؤمن اتباعا لقوله صلى الله عليه وسلم من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله وينوي ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم من سر مؤمنا فقد سر الله عز وجل وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله اذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه التزاور والتباذل لله وقد حصل البذل من احد

للمائين

للمائين فيحصل الزيارة من جانبه ايضا وينوي صيانة نفسه عن ان يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بان يحمل على تكبر او سوء خلق او استحقار اخ مسلم او ما يجري مجراه فهذه ستة نيات تلحق اجابته بالقربات آحادها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول انا احب ان يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فالنية انما تؤثر في المباحات والطاعات اما المنهيات فلا فانه لو نوى ان يسر اخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر او حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز ان يقال الاعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذا المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنيات فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث **واما الحضور** فادبه ان يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ احسن الاماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل ان اشار اليه صاحب الدار بموضع لم يخالفه البتة فانه يكون قد رتب في نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم ان من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس ولا ينبغي ان يجلس في مقابلة باب حجرة النساء وسترهم ولا يكثر النظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل الشره ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه اذا جلس واذا دخل ضيفا للمبيت فليعرفه صاحب الدار عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرمه فحكمه ان يتقدم بالغسل وفي آخر الطعام يتأخر بالغسل لينتظر ان يدخل من يأكل معه واذا دخل فرأى منكرا غيره ان قدر والا انكر بلسانه وانصرف والمنكر فرش الديباج واستعمال اواني الذهب والفضة والتصوير وغير ذلك من المحرمات حتى قال احمد اذا رأى مكحلة رأسها مفضضة ينبغي ان يخرج ولم يأذن في الجلوس الا في ضبة • وقال اذا رأى كلة ينبغي ان يخرج فان ذلك تكلف بلا فائدة لا يدفع حرا ولا بردا ولا يستر شيئا وكذا قال يخرج اذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما يستر الكعبة وقال اذا اكترى بيتا فيه صورة او دخل الحمام ورأى صورة فينبغي ان يحكها فان لم يقدر خرج وكل ما ذكره صحيح واما النظر في الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينتهي الى التحريم اذ الحرير يحرم على الرجال فقال عليه السلام هذان حرامان على ذكور امتي وما على الحائط ليس منسوبا الى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الاولى اباحته بموجب قوله قل من حرم زينة الله لا سيما في وقت الزينة اذا لم يتخذ عادة للتفاخر وان تخيل ان الرجال ينتفعون بالنظر اليه فلا يحرم على الرجل الانتفاع بالنظر الى الديباج مهما لبسه الجواري والنساء فالحيطان في معنى النساء اذ ليس موصوفا بالذكورة **واما** احضار الطعام فله آداب خمسة **الاول** تعجيل الطعام فذلك من اكرام الضيف • وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومهما حضر الاكثرون وغاب واحد او اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل اولى من حق اولئك في التأخير الا ان يكون المتأخر فقيرا او ينكسر قلبه بذلك فلا بأس بالتأخير واحد المعنيين في قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم دل عليه قوله فما لبث ان جاء بعجل حنيذ • وقوله فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه عجله ولم يلبث • قال حاتم الاصم العجلة من الشيطان الا في خمس فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الطعام وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب ويستحب التعجيل في الوليمة وقيل الوليمة في اول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء **الثاني** ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة اولا ان كانت فذلك اوفق في الطب فانها اسرع استحالة فينبغي ان تقع في اسفل المعدة وفي القرآن **تنبيه** على تقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ثم قال ولحم طير مما يشتهون ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات دل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى في ضيف ابرهيم اذ احضر العجل الحنيذ اي المحنوذ وهو الذي اجيد نضجه وهو احد معنيي الاكرام اعني تقديم اللحم • وقال تعالى في وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن والسلوى المن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سيد الادام اللحم ثم قال

بعد ذكر المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم فالحلو والحلاوة من الطيبات قال أبو سليمان الداراني أكل الطيبات
يورث الرضا عن الله وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل قال المأمون شرب الماء بثلج
يخلص الشكر وقال بعض الأدباء إذا دعوت إخوانك وأطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد أكملت الضيافة
وأنفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء لم يكن يحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا فهو
كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين ويقال إن
الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل فذلك أيضا مستحب ولما فيه من التزيين بالخضرة وفي الخبر إن المائدة التي
أنزلت على بني إسرائيل كان عليها كل البقول إلا الكراث وكان عليها سمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف
زيتون وحب رمان فهذا إذا اجتمع حسن للموافقة **الثالث** أن يقدم من الألوان ألطفها حتى يستوفي منه من يريد ولا
يكثر الأكل بعده وعادة المترفهين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فإنه حيلة
في استكثار الأكل وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة ويصففون القصاع على المائدة ليأكل
كل واحد مما يشتهي وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه ويحكى عن بعض أرباب
المروءات أنه كان يكتب نسخة بما يحضر من الطعام والألوان ويعرض على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم إلى بعض
المشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا أخيرا فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فخجلت منه وقال
آخر كنا جماعة في ضيافة فقدم إلينا ألوان من الرؤوس المشوية طبيخا وقديدا فكنا لا نأكل ننتظر بعدها لونا أو حملا
فجاءنا بالطشت ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا إن الله تعالى يقدر أن يخلق رؤوسا بلا
أبدان قال وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا للسحور فلهذا يستحب أن يحضر الجميع أو يخبر بما عنده **الرابع** أن لا يبادر
إلى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدي عنها فلعل فيهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضر أو
بقي فيه حاجة للأكل فينغص عليه بالمبادرة وهو من التمكن على المائدة التي يقال إنه خير من لونين ويحتمل أن يكون المراد
قطع الاستعجال ويحتمل أن يراد به سعة المكان حكي عن السنوري وكان صوفيا مزاحا أنه حضر عند واحد من أبناء الدنيا
على مائدة وقدم إليهم حمل وكان صاحب المائدة بخيلا فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام
ارفع إلى الصبيان فرفع الحمل إلى داخل الدار فقام السنوري يعدو خلف الحمل فقيل له إلى أين فقال آكل مع الصبيان فاستحيا
الرجل وأمر برد الحمل ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم لأنهم يستحيون بل ينبغي أن يكون آخرهم أكلا
كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده إلى الطعام
وأكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله عليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه **الخامس** أن يقدم من الطعام
قدر الكفاية فإن التقليل عن الكفاية نقص في المروءة والزيادة عليه تصنع ومراياة لا سيما إذا كانت لا تسمح نفسه بأن يأكلوا
الكل إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ونوى أن يتبرك بفضلة طعامهم إذ في الحديث إنه لا يحاسب
عليه أحضر إبراهيم بن أدهم طعاما كثيرا على مائدته فقال له سفيان يا أبا إسحق أما تخاف أن يكون هذا سرفا فقال إبراهيم
ليس في الطعام سرف فإن لم يكن هذه النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود نهينا أن نجيب دعوة من يباهي
بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضلة طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع وينبغي أن يعزل أولا نصيب أهل
البيت حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان ألسنتهم ويكون
قد أطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما بقي من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذي تسميه
الصوفية الزلة إلا إذا صرح صاحب الطعام بالإذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بقرينة حاله وأنه يفرح به فإن
كان يظن كراهته فلا ينبغي أن يؤخذ وإذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي أن يأخذ الواحد
إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء **فأما الانصراف** فله آداب ثلاثة **الأول** أن يخرج
مع الضيف إلى باب الدار فهو سنة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر بإكرامه وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليكرم ضيفه وقال عليه السلام إن من سنة الضيف أن يشيع إلى باب الدار قال أبو قتادة قدم وفد النجاشي

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال إنهم كانوا لأصحابي
مكرمين وإنا أحب أن أكافئهم وتمام الإكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة قيل للأوزاعي
ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وقال يزيد بن أبي زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى إلا حدثنا حديثا حسنا وأطعمنا
طعاما حسنا **الثاني** أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله
عليه وسلم إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ودعي بعض السلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يصادفه
الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا أو فرغوا فخرج إليه صاحب المنزل وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا قال
فكسرة إن بقيت قال لم يبق قال فالقدر أمسحها قال قد غسلناها فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال قد أحسن الرجل دعانا
بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق وحكي أن أستاذ أبي القاسم الجنيد دعاه صبي إلى دعوة أبيه أربع مرات
فرده الأب في المرات الأربع وهو يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي بالحضور ولقلب الأب بالانصراف فهذه نفوس قد ذللت
بالتواضع لله فاطمأنت بالتوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينه وبين ربه فلا ينكسر بما يجري من العباد صاحبها
من إذلال كما لا تستبشر بما يجري منهم من إكرام بل يرون الكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم أنا لا أجيب الدعوة
إلا لأني أتذكر بها طعام الجنة أي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه **الثالث** أن لا يخرج إلا برضا صاحب
المنزل وإذنه ويراعي قلبه في قدر الإقامة وإذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام فربما يتبرم به ويحتاج إلى إخراجه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلاثة فما زاد فصدقة نعم لو ألح رب المنزل عن خلوص قلب فله المقام إذ ذاك ويستحب
أن يكون عنده فراش للضيف النازل قال صلى الله عليه وسلم فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان ٥

فصل يجمع آدابا ومناهي طبية وشرعية متفرقة **الأول** حكي عن إبراهيم النخعي أنه قال الأكل في السوق دناءة وأسنده
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده غريب وضده نقل عن ابن عمر أنه قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
نأكل ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام وروي عن بعض مشايخ الصوفية المعروفين أكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك أجوع
في السوق وآكل في البيت فقيل يدخل المسجد فقال أستحيي منه أن أدخل بيته للأكل ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكلف
من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه ويختلف ذلك بعادات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لا يليق بسائر أعماله
حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع أعماله وأحواله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا
الثاني قال علي رضي الله عنه من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل يوما سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة
في بطنه ومن أكل كل يوم لحما وعن بن زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والقسارجات
تعظم البطن وترخي الأليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النفساء بشيء أفضل من
الرطب والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل من غشيان النساء
وليخفف الرداء وهو الدين **الثالث** قال الحجاج لبعض الأطباء صف لي صفة آخذ بها ولا أعدوها قال لا تنكح من النساء إلا فتاة
ولا تأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشرب دواء إلا من علة ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها ولا تأكلن طعاما إلا أجدت مضغه وكل
ما أحببت من الطعام ولا تشرب عليه فإذا شربت فلا تأكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط والبول وإذا أكلت بالنهار فنم وإذا أكلت
بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة وفي معناه قول العرب تغد تمدد تعش تمش يعني تمدد كما قال تعالى ثم ذهب إلى أهله يتمطى
أي يتمطط ويقال إن حبس البول يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله إذا سد مجراه **الرابع** في الخبر قطع العروق مسقمة
وترك العشاء مهرمة والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة يعني الألية قال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج من منزلك حتى
تأخذ حلمك أي تتغدى فبه يبقى الحلم ويزول الطيش وهو أيضا أقل لشهوته مما يرى في السوق وقال حكيم لسمين أرى عليك
قطيفة من نسج أضراسك فمما هي قال أكل لباب البر وصغار المعز وأدهن بخام بنفسج وألبس الكتان **الخامس** الحمية تضر
بالصحيح كما يضر تركها بالمريض هكذا قيل وقال بعضهم من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العافية وهذا حسن في
حال الصحة ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمرا وإحدى عينيه رمدة فقال أتأكل التمر وأنت رمد فقال يا رسول
الله إنما أمضغ بالشق الآخر يعني جانب السليمة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم **السادس** يستحب أن يحمل طعام إلى أهل
الميت ولما جاء نعي جعفر بن أبي طالب فقال عليه السلام إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم فاحملوا إليهم ما يأكلون

ومدالاسنة واذا ادى ذلك الى الجمع حل الاكل منه الا ما هيا للنواح والمغنيات عليها بالبكا والجزع فلا ينبغي ان يوكل معهم **السابع** لا ينبغي ان يحضر طعام ظالم فان اكره فليقلل الاكل ولا يقصد الطعام الاطيب · رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رايتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه واجبر السلطان هذا المزكي على الاكل فقال اما ان اكل واخلي التزكية او ازكي ولا اكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه **الثامن** ان ذا النون المصري حبس فلم ياكل اياما في السجن فكانت له اخت في الله فبعثت اليه من غزلها طعاما على يد السجان فامتنع ولم ياكل فعاتبته المراة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاني على طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع **التاسع** حكي عن فتح الموصلي انه دخل على بشر الحافي زائرا فاخرج بشر درهما ودفعها الى احمد الجلا خادمه وقال اشتر بها طعاما جيدا وادما طيبا قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشي اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمته اليه فاكل واخذ الباقي فقال بشر تدرون لم قلت اشتر طعاما طيبا لان الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر تدرون لم لم يقل لي كل لانه ليس للضيف ان يقول لصاحب الدار كل تدرون لم حمل ما بقي منه لانه اذا صح التوكل لم يضر الحمل · وحكى ابو علي الروذباري رودبار بلد في خراسان عن رجل انه اتخذ ضيافة فاوقد فيها الف سراج فقال له رجل قد اسرفت فقال له ادخل فكل ما اوقدته لغير الله فاطفه فدخل الرجل فلم يقدر على اطفا واحد منها فانقطع · واشترى ابو علي الروذباري احمالا من السكر وامر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على اعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها **العاشر** قال الشافعي رحمه الله الاكل على اربعة انحا الاكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلث اصابع من السنة وباربع وخمس من الشره · واربع تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان · واربع توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الما على الريق وكثرة اكل الحموضة · واربع تقوي البصر الجلوس حيال الكعبة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجلس · واربع توهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المراة والقعود في استدبار القبلة · واربع تزيد في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل الاكبر واكل الفستق واكل الجرجير · والنوم على اربعة انحا فنوم على القفا وهو نوم الانبيا عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلما والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليتهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين · واربع تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلما واربع هن من العبادة لا يخطو خطوة الا على وضو وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراة القران · وقال ايضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يوخر الاكل بعد ان يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الاكل كيف لا يموت · وقال لم ار شيا انفع للوبا من البنفسج يدهن به ويشرب

كتاب اداب النكاح

وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من جملة كتاب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم · الحمد لله الذي لا تصادف سهام الاوهام في عجائب صنعه مجرى · ولا ترجع العقول اذا تفكرت فكرا عن اوائل بدائعها الا والهة حيرى · ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى فهي تتوالى عليهم اختيارا او قهرا · ومن بدائع الطافه ان خلق من الما بشرا فجعله نسبا وصهرا · وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الى الحراثة جبرا · واستبقى بها نسلهم اقهارا وقسرا · ثم عظم امر الانساب وجعل لها قدرا فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه ردعا وزجرا · وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وامرا امرا · وندب الى النكاح وحث عليه استحبابا وامرا · فسبحان من كتب الموت على عباده فاذلهم به هدما وكسرا ثم بث بذور النطف في اراضي الارحام وانشا منها خلقا وجعله لكسر الموت جبرا · تنبيها على ان بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا · والصلاة على محمد المبعوث بالانذار والبشرى · وعلى اله واصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا وحصرا · وسلم كثيرا · **اما بعد** فان النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين فما احراه بان تتحرى اسبابه وتحفظ سننه وادابه وتشرح مقاصده وارابه وتفصل فصوله وابوابه والقدر المهم من احكامه ينكشف في ثلثة ابواب **الباب الاول** في الترغيب فيه وعنه **الباب الثاني** في الاداب المرعية في العقد والعاقدين **الباب الثالث** في اداب المعاشرة بعد العقد الى الفراق

الباب الاول في الترغيب في النكاح والترهيب عنه

اعلم ان العلما قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله واعترف اخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس الى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو الى الوقاع · وقال اخرون الافضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ لم تكن الاكساب محظورة واخلاق النسا مذمومة ولا ينكشف الحق فيه الا بان يقدم اولا ما ورد من الاخبار والاثار في الترغيب فيه والترهيب عنه ثم نشرح القول في فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق من سلم من غوائله ومن لم يسلم

الترغيب في النكاح اما من الايات فقد قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهذا امر · وقال تعالى ولا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وهذا منع من العضل ونهي عنه · وقال في وصف الرسل ومدحهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فذكر ذلك في معرض الامتنان واظهار الفضل ومدح اوليا به بسوال ذلك في الدعا فقال والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الاية · ويقال ان الله لم يذكر في كتابه من الانبيا الا المتاهلين فقالوا ان يحيى عليه السلام قد تزوج ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر · واما عيسى عليه السلام فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له

واما الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فقد رغب عني · وقوله عليه الصلاة والسلام النكاح سنتي فمن احب فطرتي فليستن بسنتي · وقال ايضا تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيمة حتى بالسقط · وقال ايضا من رغب عن سنتي فليس مني وان من سنتي النكاح فمن احبني فليستن بسنتي · وقال صلى الله عليه وسلم من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع لا لاصل الترك · وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا يستطع فليصم فان الصوم له وجا وهذا يدل على ان سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجا هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم · وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وهذا ايضا تعليل للترغيب لخوف الفساد · وقال صلى الله عليه وسلم من نكح لله وانكح لله استحق ولاية الله · وقال صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني وهذا ايضا اشارة الى ان فضيلته لاجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد وكان المفسد لدين المرء في الاغلب فرجه وبطنه وقد كفي بالتزويج احدهما · وقال صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن ادم ينقطع الا ثلاث فذكر فيه ولد صالح يدعو له ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح

واما الاثار قال عمر رضي الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز او فجور فبين ان الدين غير مانع منه وحصر المانع في امرين مذمومين وقال ابن عباس لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج ويحتمل انه جعله من النسك وتتمة له ولكن الظاهر انه اراد به انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزويج ولا يتم النسك الا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما ادركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول ان اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان من قلبه · وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكيلا القى الله عزبا · وماتت امراتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وهذا منهما يدل على انهما رايا في النكاح فضلا لا من حيث التحرز من غائلة الشهوة · وكان عمر يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد وكان بعض الصحابة قد انقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تتزوج فقال يا رسول الله اني فقير لا شي لي وانقطع عن خدمتك فسكت ثم عاد ثانيا فاعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله لرسول الله اعلم بما يصلحني في دنياي واخرتي وما يقربني الى الله مني ولئن قال لي الثالثة لافعلن فقال له الثالثة الا تتزوج قال فقلت يا رسول الله زوجني قال اذهب الى بني فلان فقل ان رسول الله يامركم ان تزوجوني فتاتكم قال فقلت يا رسول الله لا شي لي فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به الى القوم فانكحوه فقال له اولم وجمع له من الاصحاب شاة للوليمة وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل انه توسم فيه الحاجة الى النكاح · وحكي ان بعض العباد في الامم السالفة فاق اهل زمانه في العبادة فذكر لنبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا انه تارك لشي من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسال النبي عن ذلك فقال انت تارك للتزويج فقال لست احرمه ولكني فقير وانا عيال على الناس قال فانا ازوجك ابنتي فزوجه النبي ابنته · وقال بشر بن الحارث فضل علي احمد بن حنبل بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا اطلبه لنفسي فقط ولاتساعه في النكاح وضيقه عني ولانه نصب اماما للعامة · ويقال ان احمد تزوج في اليوم الثاني من وفاة ام ولده عبد الله وقال اكره ان ابيت عزبا · **واما** بشر فانه لما قيل له ان الناس يتكلمون فيك لتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قل لهم هو مشغول بالفرض عن السنة · وعوتب مرة اخرى فقال انما يمنعني من التزويج الا قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف فذكر ذلك لاحمد فقال

بلغ

وأين مثل بشر انه قعد على مثل حد السنان. ومع ذلك فقد روي انه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رفعت
منازلي في الجنة واشرف بي على مقامات الانبياء ولم ابلغ منازل المتأهلين. وفي رواية اخرى قال لي ما كنت احب ان تلقاني عزبا
قال فقلنا له ما فعل ابو نصر التمار فقال رفع فوقي بسبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال بصبره على بناته والعيال وقال
سفيان بن عيينة كثرة النساء ليس من الدنيا لان عليا رضي الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة
وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق الانبياء. وقال رجل لابراهيم بن ادهم طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة
فقال لروعة منك بسبب العيال افضل من جميع ما انا فيه قال فما الذي يمنعك من النكاح فقال ما لي حاجة في امرأة وما اريد ان اغر
امرأة بنفسي. وقد قيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل افضل من سبعين ركعة من عزب.

واما ما جاء في الترغيب عن النكاح

فقد قال صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا
ولد وقال صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا
يطيق فيدخل المداخل التي يذهب بها دينه فيهلك. وفي الخبر قلة العيال احد اليسارين وكثرتهم احد الفقرين. وسئل ابو سليمان
الداراني عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار. وقال ايضا الوحيد يجد
من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل. وقال مرة ما رأيت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الاولى. وقال ايضا
ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امرأة او كتب الحديث. وقال الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم
يشغله باهل ولا مال. وقال ابن ابي الحواري تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على انه ليس معناه ان لا يكونا له بل معناه
ان يكونا له ولا يشغلانه عن الله وهو اشارة الى قول ابي سليمان الداراني ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك
مشؤوم. وبالجملة لم ينقل عن احد الترغيب عن النكاح مطلقا الا مقرونا بشرط. فلنكشف الغطاء عن حصر آفات النكاح وفوائده

واما الترغيب عن النكاح ورد مطلقا ومقرونا بالشرط

آفات النكاح وفوائده

وفيه فوائد خمسة الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام
بهن. **الفائدة الاولى** الولد وهو الاصل وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل وان لا يخلو العالم عن جنس
الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في اخراج البذر وبالانثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في السياقة
الى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت القدرة الازلية غير قاصرة
عن اختراع الاشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها اظهارا
للقدرة واتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم. وفي التوصل الى الولد قربة من
اربعة اوجه هي الاصل في الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة حتى لم يحب احدهم ان يلقى الله عزبا **الاول** موافقة محبة الله
بالسعي في تحصيل الولد لابقاء جنس الانسان **والثاني** طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته **والثالث**
طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده **والرابع** طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله. اما الوجه الاول فهو ادق
الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير وهو احقها واقواها عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمته
وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيأ له ارضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به
من يتقاضاه عليها فان تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان
مستحقا للمقت والعتاب من سيده والله سبحانه وتعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثى وخلق النطفة في الفقار وهيأ
لها في الانثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى
فهذه الافعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له هذا
ان لم يصرح به الخالق على لسان رسوله عليه السلام بالمراد حيث قال تناكحوا تكثروا. وكيف وقد صرح بالامر وباح بالسر
فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل لما خلق الله من الآلات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة
المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهي ليس برقم حروف واصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية
نافذة في ادراك دقائق الحكمة الازلية ولذلك عظم الشرع الامر في القتل للاولاد وفي الوأد لانه منع لتمام الوجود
واليه اشار من قال العزل احد الوأدين فالناكح ساع في اتمام ما احب الله تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله
ضياعه ولاجل محبة الله لبقاء النفوس امر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال من ذا الذي يقرض الله

حسنا

حسنا **فان قلت** قولك ان ابقاء النفس والنسل محبوب يوهم ان فناءها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالاضافة
الى ارادة الله ومعلوم ان الكل بمشيئة الله وان الله غني عن العالمين فمن اين يتميز عنده موتهم عن حياتهم وبقاؤهم عن فنائهم فاعلم
ان هذه كلمة حق اريد بها باطل فان كل ما ذكرناه لا ينافي اضافة الكائنات كلها الى ارادة الله خيرها وشرها نفعها وضرها ولكن المحبة
والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب والمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة
مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية اما الكفر والشر فلا نقول انه مرضي ومحبوب بل هو مراد
وقد قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وكيف يكون الفناء بالاضافة الى محبة الله وكراهته كالبقاء والله تعالى يقول ما ترددت في شيء
كترددي في قبض روح عبدي المسلم هو يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد له من الموت فقوله لا بد له من الموت اشارة الى سبق الارادة
والتقدير المذكور في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وفي قوله هو الذي خلق الموت والحياة ولا منافاة بين قوله قدرنا بينكم
الموت وبين قوله وانا اكره مساءته ولكن ايضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها فان
السابق الى الافهام منها امور تناسب ارادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله وصفات الخلق من البعد ما بين
ذاته وذاتهم وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدسة عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض
فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلة في علم المكاشفة ووراءه سر القدر الذي منع من افشائه
عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان احدهما مضيع نسلا ادام الله وجوده
من آدم عليه السلام عقبا بعد عقب الى ان انتهى اليه فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من وجود آدم على نفسه
فمات ابتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون زوجوني لا القى الله عزبا
فان قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه فاقول الولد يحصل بالوقاع
ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك امر لا يدخل في الاختيار وانما المتعلق باختيار العبد احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع
في كل حال فمن عقد فقد ادى ما عليه وفعل ما اليه والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا فان نهضات
الشهوة خفية لا يطلع عليها حتى ان الممسوح الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب ايضا في حقه على الوجه الذي يستحب
للاصلع امرار الموسى على رأسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الآن وقد كان
المراد منه اولا اظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين اظهروا الجلد سنة في حق من بعدهم ويضعف هذا
الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب في حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها
فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور
الشهوة **الوجه الثاني** السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بتكثير ما به مباهاته اذ قد صرح رسول
الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على مراعاة امر الولد جملة بالوجوه كلها ما روي عن عمر انه كان ينكح كثيرا ويقول انما انكح
للولد وما روي من الاخبار في مذمة المرأة العقيم اذ قال عليه الصلاة والسلام لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد
وقال خير نسائكم الولود الودود وقال سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وهذا يدل على ان طلب الولد ادخل في اقتضاء فضل
النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لان الحسناء اصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة **الوجه الثالث** ان
يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما ورد في الخبر ان جميع عمل ابن آدم ينقطع الا ثلاث. وفي الخبر ان الادعية تعرض على الموتى
على اطباق من نور وقول القائل ان الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فانه مؤمن والصلاح هو الغالب على اولاد ذوي الدين
لا سيما اذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لابويه مفيد برا كان او فاجرا فهو مثاب على دعواته
وحسناته فانه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته فانه لا تزر وازرة وزر اخرى ولذلك قال تعالى الحقنا بهم ذرياتهم
وما التناهم من عملهم من شيء اي ما نقصناهم من اعمالهم وجعلنا اولادهم مزيدا في احسانهم **الوجه الرابع** ان يموت الولد
قبله صغيرا فيكون له شفيعا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الطفل يجر بابويه الى الجنة. وفي بعض
الاخبار يأخذ بثوبه كما انا الآن آخذ بثوبك. وقال ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا
اي ممتلئا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة. وفي خبر آخر ان
الاطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة

فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون فأين آباؤنا وأمهاتنا فتقول الخزنة إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا أمثالكم
إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون بها قال فيتضاغون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله وهو
أعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا بأيدي
آبائكم فأدخلوهم الجنة. وقال صلى الله عليه وسلم من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار. وقال صلى الله عليه وسلم
من مات له ثلاث من الولد لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان. وحكي أن بعض
الصالحين كان يعرض عليه التزوج فيأبى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فسئل عن ذلك فقال
لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الموقف
وبي من العطش ما كاد أن يقطع عنقي وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فنحن كذلك إذا ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور
وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس فمددت يدي إلى
أحدهم وقلت اسقني فقد أجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد إنما نسقي آباءنا فقلت ومن أنتم فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين
وأحد المعاني المذكورة في قوله تعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم تقديم الأطفال إلى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة
أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا للولد. **الفائدة الثانية** التحصين عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة
وغض البصر وحفظ الفرج وإليه الإشارة بقوله من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر وإليه الإشارة بقوله عليكم
بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء وأكثر ما نقلناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى وهذا المعنى دون
الأول لأن الشهوة موكلة بتقاضي تحصيل الولد فإن النكاح كاف لشغله ودافع لجملة وصارف لشر سطوته
وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس
يجوز أن يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الأكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود
بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الإرهاق إلى الإيلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا
توازيها لذة لو دامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان إذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين في لذة
الجماع أو الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب فأحد فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة
الله فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التعبية الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة فالحياة
الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فإنه نوع من دوام الوجود. والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فإن هذه اللذة الناقصة
بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فتستحث على العبادة الموصلة إليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها
تيسر المواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الإنسان ظاهرا وباطنا بل من ذرات ملكوت السموات والأرض
إلا وتحتها من لطائف الحكم وعجائبها ما تحار العقول فيها ولكن إنما تنكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة
الدنيا وغرورها وأغوائها فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق فإن الشهوة
إن غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اقتحام الفواحش وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى إلا تفعلوه تكن
فتنة في الأرض وفساد كبير وإن كان ملجما بلجام التقوى فغايته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فأما
حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان
الموسوس إليه في أكثر الأوقات وقد يعرض له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من أمور الوقاع ما لو صرح به بين يدي أخس
الخلق لاستحيا منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ورأس الأمر للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة
على الصوم لا يقطع مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق إلا أن ينضاف إليه ضعف في البدن وفساد في المزاج ولذلك قال ابن عباس
لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها. قال قتادة في معنى قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو
الغلمة وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا في معنى قوله تعالى وخلق الإنسان ضعيفا إنه لا يصبر عن النساء. وقال فياض بن نجيح
إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه. وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق إذا
وقب قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة إذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهي مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين
كما سبق فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم وإليه أشار عليه الصلاة والسلام بقوله ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي

الألباب منكن وإنما ذلك لهيجان الشهوة. وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر مني وقال
أيضا أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين
يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث فأنكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله عز وجل جلسة أو وقف
بين يديه موقفا في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا ذلك كثيرا فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد
لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي إلا أنفذته لأستريح منه وأرجع إلى شغلي ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي معصية
وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين ما الذي تنكر منهم قال يأكلون كثيرا قال وأنت أيضا لو جعت كما يجوعون لأكلت
كما يأكلون قال ينكحون كثيرا قال وأنت أيضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون. وكان الجنيد
يقول أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجامع مع أهله لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس. وروى جابر أن النبي صلى الله
عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم
امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها. وقال عليه الصلاة والسلام لا تدخلوا على المغيبات أي التي غاب عنها زوجها
فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم. قال سفيان بن عيينة فأسلم أنا منه هذا
معناه فإن الشيطان لا يسلم. ولذلك يحكى عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل
وربما جامع قبل أن يصلي المغرب ثم يغتسل ويصلي وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج عدة الشيطان منه. وروي أنه جامع ثلاثا من
جواريه في شهر رمضان قبل العشاء الآخرة. وقال ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب
كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ولأجل فراغ القلب أبيح نكاح الأمة عند خوف العنت مع أن فيه إرقاق الولد وهو
نوع إهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين وليس فيه إلا تنغيص الحياة على الولد مدة وفي
اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخروية التي تستحقر الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيامها. وروي أنه انصرف الناس ذات يوم
من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح فقال له ابن عباس هل من حاجة قال نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس وأنا الآن أهابك
وأجلك فقال ابن عباس إن العالم بمنزلة الوالد فما أفضيت به إلى أبيك فأفض إلي به فقال إني شاب لا زوجة لي وربما خشيت العنت
على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فأعرض عنه ابن عباس ثم قال أف وتف ونكاح الأمة خير منه وهو خير من
الزنى وهذا تنبيه على أن العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور أدناها نكاح الأمة وفيه إرقاق الولد وأشد منه الاستمناء باليد
وأفحشه الزنى ولم يطلق ابن عباس الإباحة في شيء منها لأنهما محذوران يفزع إليهما حذرا من الوقوع في محذور أشد منه كما
يفزع إلى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح أهون الشرين في معنى الإباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس
قطع اليد المتآكلة من الخيرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على الهلاك فإذن في النكاح فضل من هذا الوجه لكن هذا لا
يعم الكل بل الأكثر فرب شخص فترت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيرهما فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ما سبق من أمر الولد
فإن ذلك عام إلا للممسوح وهو نادر ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها
الزيادة على الواحدة إلى الأربع فإن يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن وإلا فيستحب له الاستبدال فقد نكح علي رضي الله
عنه بعد وفاة فاطمة بسبع ليال. ويقال إن الحسن بن علي رضي الله عنهما كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتي امرأة وكان ربما
عقد على أربع في وقت واحد وربما طلق أربعا في وقت واحد واستبدل بهن وقد قال عليه الصلاة والسلام للحسن أشبهت خلقي
وخلقي وقال حسن مني وحسين من علي فقيل إن كثرة نكاحه أحد ما أشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتزوج
المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوما
فينبغي أن يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر إليه في الكثرة والقلة. **الفائدة الثالثة** ترويح النفس
وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهي عن الحق نفور لأنه على
خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثابت وإذا روحت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت و
في الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات في
المباحات ولذلك قال الله تعالى ليسكن إليها. وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب ساعة فإنها إذا أكرهت عميت

وفي الخبر على العاقل ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه
فان في هذه الساعة عونا على تلك الساعات ومثله بلفظ اخر لا يكون العاقل ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة في
غير محرم • وقال عليه الصلاة والسلام لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى • والشرة الجد
والمكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتداء الارادة والفترة الوقوف للاستراحة • وكان ابو الدرداء يقول اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو
لاتقوى بذلك فيما بعد على الحق • وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شكوت الى جبريل ضعفي عن الوقاع فدلني على
الهريسة وهذا ان صح لا محمل له الا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة لانه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم
الاكثر من هذا الجنس • وقال عليه الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فهذه ايضا فائدة
لا ينكرها من جرب اتعاب نفسه في الافكار والاذكار وصنوف الاعمال وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى انها تطرد في
حق الممسوح ومن لا شهوة له الا ان هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالاضافة الى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك واما
قصد الولد وقصد دفع الشهوة فمما يكثر ثم رب شخص يستانس بالنظر الى الماء الجاري والخضرة وامثالها ولا يحتاج الى ترويح النفس
بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الاحوال والاشخاص فليتنبه له **الفائدة الرابعة** تفريغ القلب عن تدبير المنزل
والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاواني وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر
عليه العيش في منزله وحده اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاعت اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمراة الصالحة المصلحة
للمنزل عون على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال ابو سليمان
الداراني الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للاخرة وانما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة • وقال محمد بن
كعب القرظي في معنى قول الله تعالى ربنا اتنا في الدنيا حسنة قال هي المراة الصالحة • وقال عليه الصلاة والسلام ليتخذ احدكم
قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على اخرته فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر • وفي بعض التفاسير
في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة الزوجة الصالحة • وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما اعطي احد بعد الايمان بالله خيرا من
امراة صالحة وان منهن غنما لا يحذى منه ومنهن غلا لا يفدى منه وقوله لا يحذى اي لا يعتاض عنه بعطاء • وقال عليه الصلاة
والسلام فضلت على ادم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجي اعوان لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني
مسلم لا يامر الا بخير فعد معاونتها على الطاعة فضيلة فهذه ايضا من الفوائد التي يقصدها الصالحون الا انها تخص بعض الاشخاص
الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا تدعو الى امراتين بل الجمع ربما ينغص المعيشة ويضطرب به امور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد
الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر فان ذلك مما يحتاج اليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك
قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فان الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع
للذل **الفائدة الخامسة** مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن واحتمال
الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية الاولاد فكل
هذه اعمال عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية والاهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وانما يحترز منها من يحترز خيفة
من القصور عن القيام بحقها والا فقد قال عليه الصلاة والسلام يوم من وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال الا كلكم
راع وكلكم مسئول عن رعيته وليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه
نفسه واراحها فمقاساة الاهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل علي احمد بن حنبل بثلاث احدها انه
يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه الصلاة والسلام ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها
الى في امراته • وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل اعطاني الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له اين انت من عمل الابدال
قال وما هو قال الكسب الحلال والنفقة على العيال • وقال ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو تعلمون عملا افضل مما نحن فيه
قالوا ما نعلم ذلك قال انا اعلم رجل متعفف ذو عيلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله
افضل مما نحن فيه • وقال عليه الصلاة والسلام من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة
كهاتين • وفي حديث اخر ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال • وفي الحديث اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها
وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الغم بالعيال • وفيه اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من الذنوب

ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة • وقال عليه الصلاة والسلام من كان له ثلث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن
الله عنه اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر له كان ابن عباس اذا حدث بهذا قال هو والله من غرائب الحديث وغرره
وروي ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبي واجمع
لهمي ثم قال رايت في المنام بعد جمعة من وفاتها كان ابواب السماء فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما
نزل واحد نظر الي وقال لمن وراءه هذا هو المشؤوم فيقول الاخر نعم ويقول الثالث كذلك فيقول الرابع نعم وخفت ان
اسالهم هيبة من ذلك الى ان مر بي اخرهم وكان غلاما فقلت له يا هذا من المشؤوم الذي تومئون فقال انت فقلت ولم ذلك قال
كنا نرفع عملك في اعمال المجاهدين في سبيل الله فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فلا ندري ما احدثت فقال لاخوانه زوجوني
زوجوني فلم يكن يفارقه زوجتان او ثلث • وفي اخبار الانبياء ان قوما دخلوا على يونس النبي صلى الله عليه وسلم فاضافهم
فكان يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه امراته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سالت الله عز وجل
وقلت ما انت معاقبي به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون
منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فان المنفرد بنفسه او المشارك لمن حسن خلقه لا تترشح منه خبائث
باطنه ولا تنكشف له بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الاخرة ان يجرب نفسه بالتعرض لامثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل
اخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع انه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة
في نفسها فهذه ايضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها الا احد رجلين اما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الاخلاق لكونه في بداية
الطريق فلا يبعد ان يرى هذا طريقا في المجاهدة وترتاض به نفسه واما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب
وانما عمله عمل الجوارح بصلاة او حج او غيره فعمله لاهله واولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم افضل له من العبادات
اللازمة في بدنه التي لا يتعدى خيرها الى غيره • واما الرجل المهذب الاخلاق اما بكفاية في اصل الخلقة او بمجاهدة سابقة اذا كان له سير في
الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات فلا ينبغي ان يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفي فيها واما العبادة بالعمل في
الكسب لهم فالعلم افضل من ذلك لانه ايضا عمل وفائدته اعم واشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح
في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة **اما افات النكاح** فثلث **الاولى** وهي اقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر
لكل احد لا سيما في هذه الاوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا في التوسع في الطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاكه
وهلاك اهله والمتعزب في امن من ذلك • واما المتزوج ففي الاكثر يدخل في مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ويبيع اخرته بدنياه
وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسال عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من اين
اكتسبه وفيما انفقه حتى تستغرق تلك المطالبة كل اعماله فلا يبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي اكل عياله حسناته في
الدنيا وارتهن اليوم باعماله • ويقال ان اول ما يتعلق بالرجل في القيامة اهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا
ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما كنا نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه • وقال بعض السلف اذا اراد
الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا انيابا تنهشه يعني العيال • وقال عليه الصلاة والسلام لا يلقى الله سبحانه وتعالى احد بذنب
اعظم من جهالة اهله فهذه افة عامة قل من يتخلص منها الا من له مال موروث او مكتسب من حلال يفي به وباهله وكان له من القناعة ما
يمنعه من الزيادة فان ذلك يتخلص من هذه الافة او من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات باحتطاب او اصطياد
او كان في صناعة لا تتعلق بالسلاطين ويقدر ان يعامل بها اهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال • وقال ابن
سالم وقد سئل عن التزويج فقال هو افضل في زماننا لمن ادركه شبق غالب مثل الحمار يرى الاتان فلا ينتهي عنها بالضرب
ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه اولى **الافة الثانية** القصور عن القيام بحقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال
الاذى منهن وهذه دون الاولى في العموم فان القدرة على هذا ايسر من القدرة على الاولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام
بحظوظهن اهون من طلب الحلال وفي هذا ايضا خطر لانه راع ومسئول عن رعيته • قال عليه الصلاة والسلام كفى بالمرء اثما ان
يضيع من يعول • وروي ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الابق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر
عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو بمنزلة هارب • وقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا امرنا ان نقيهم النار كما نقي
انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه واذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضافت الى نفسه نفس اخرى

والنفس امارة بالسوء ان كرث كثر الامر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن التزويج وقال انا مبتلى بنفسي فكيف اضيف اليها نفسا اخرى ۵ لن ينفع الفارة في جحرها علقت المكنسة من دبرها ۵ ولذلك اعتذر ابرهيم بن ادهم وقال لا اغر امراة بنفسي ولا حاجة لي فيهن اي من القيام بحقهن وتحصينهن وامتاعهن وانا عاجز عنه ۵ ولذلك اعتذر بشر وقال يمنعني من النكاح قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وكان يقول لو كنت اعول دجاجة خفت ان اصير جلادا على الجسر ۵ وروي سفين على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رايت ذا عيال افلح ۵ وكان سفين يقول ۵ يا حبذا العزبة والمفتاح ۵ ومسكن تخرقه الرياح ۵ لا صخب فيه ولا صياح ۵ فهذه افة عامة ايضا وان كانت دون عموم الاولى لا يسلم منها الا حكيم عاقل حسن الاخلاق بصير بعادات النسا صبور على لسانهن وقاف عند اتباع شهواتهن حريص على الوفا بحقهن يتغافل عن زللهن ويداري بعقله اخلاقهن والاغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة اسلم له **الافة الثالثة** وهي دون الاولى والثانية ان يكون الاهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا الى طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من اهل ومال وولد فهو مشوم على صاحبه ولست اعني بهذا ان يدعو الى محظور فان ذلك مما اندرج تحت الافة الاولى والثانية بل ان يدعوه الى التنعم بالمباح بل الى الاغراق في ملاعبة النسا ومؤانستهن والامعان في التمتع بهن ويثور من النكاح انواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في الاخرة والاستعداد لها ۵ ولذلك قال ابرهيم بن ادهم من تعود افخاذ النسا لم يجي منه شي ۵ وقال ابو سليمان من تزوج فقد ركن الى الدنيا اي يدعوه ذلك الى الركون الى الدنيا فهذه مجامع الافات والفوايد فالحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح او العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل تتخذ هذه الفوايد والافات معيارا ومحكا ويعرض المريد عليه نفسه فان انتفت في حقه الافات واجتمعت الفوايد بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج الى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يتمارى في ان النكاح افضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد وان انتفت الفوايد واجتمعت الافات فالعزوبة افضل له وان تقابل الامران وهو الغالب فينبغي ان يوزن بميزان القسط حظ تلك الفايدة في الزيادة من دينه وحظ تلك الافات في النقصان منه فاذا غلب على الظن رجحان احدهما حكم به واظهر الفوايد الولد وتسكين الشهوة واظهر الافات الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله تعالى فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول من لم يكن في اذية من الشهوة وكانت فايدة نكاحه في السعي لتحصيل الولد وكانت افة الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له اولى فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا يفي بنقصان هذين الامرين امر الولد لان النكاح للولد سعي في طلب حياة الولد وهي موهومة وهذا نقصان في الدين ناجز فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك اهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين راس المال وفي فساد الدين بطلان الحيوة الاخروية وذهاب راس المال ولا يقاوم هذه الفايدة احدى هاتين الافتين ۵ واما اذا انضاف الى امر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام التقوى في راسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له اولى لانه متردد بين ان يقتحم الزنا او اكل الحرام والكسب الحرام اهون الشرين وان كان يثق بنفسه انه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح له اولى لان النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دايما وفيه عصيانه وعصيان اهله والنظر يقع احيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنى العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو الى العفو اقرب من اكل الحرام الا ان يخاف افضا النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو ان يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب فالاولى ترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب وانما يراد فراغ القلب للعبادة ولا يتم عبادة مع الكسب الحرام واكله واطعامه فهكذا ينبغي ان توزن هذه الافات بالفوايد ويحكم بحسبها ومن احاط بهذا لم يشكل عليه شي مما نقل عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه اخرى اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح **فان قلت** فمن امن الافات فالافضل له التخلي لعبادة الله او النكاح فاقول يجمع بينهما لان النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله من حيث انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح ايضا افضل لان الليل واوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرق الاوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى اوقات المكتوبة

والنوم والاكل وقضا الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الاخرة الا بالصلاة النافلة او الحج او ما يجري مجراه من الاعمال البدنية فالنكاح له افضل لان في كسب الحلال والقيام بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على اخلاق النسا انواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات وان كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح افضل ۵ **فان قلت** فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وان كان الافضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسولنا عليه الصلاة والسلام فاعلم ان الافضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن قلت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل فرسولنا صلى الله عليه وسلم اخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة متخليا لعبادة الله وكان قضا الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضا الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير حتى لا يشتغلون في الظاهر بقضا الحاجة وقلوبهم مستغرقة بهممهم غير غافلة عن مهماتهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امراته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان يغير السواقي ما لا يغير البحر الخضم فلا ينبغي ان يقاس عليه غيره واما عيسى عليه السلام فانه اخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة يوثر فيها الاشتغال بالاهل او يتعذر معها طلب الحلال او لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة وهو اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم في طيب المكاسب واخلاق النسا وما على الناكح من غوايل النكاح وما له فيه ومهما كانت الاحوال منقسمة حتى يكون النكاح في بعضها افضل وتركه في بعضها افضل فحقنا ان ننزل افعال الانبيا على الافضل في كل حال

بلغ

الباب الثاني

فيما يراعى حالة العقد من احوال المراة وشروط العقد ۵ اما العقد فاركانه وشروطه ليعقد به ويفيد الحل اربعة **الاول** اذن الولي فان لم يكن فالسلطان **الثاني** رضا المراة ان كانت ثيبا بالغة او كانت بكرا ولكن يزوجها غير الاب والجد فلا بد من رضاها ايضا **الثالث** حضور شاهدين ظاهري العدالة فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة **الرابع** ايجاب وقبول متصل به بلفظ الانكاح او التزويج او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امراة سوا كان هو الزوج او الولي او وكيلهما

بالغه

واما ادابه فتقديم الخطبة مع الولي لا في حالة عدة المراة بل بعد انقضايها ان كانت معتدة ولا في حالة سبق غيره بالخطبة اذ نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخطبة على الخطبة **ومن ادابه** الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتك ابنتي فلانة على صداق كذا فيقول الزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما خفيفا والتحميد قبل الخطبة ايضا مستحب **ومن ادابه** ان يلقي امر الزوج الى سمع الزوجة فان كانت بكرا فذلك اولى بالالفة ولذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح فانه احرى ان يودم بينهما **ومن الاداب** احضار جمع من اهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ومنها ان ينوي بالنكاح اقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وساير الفوايد التي ذكرناها فلا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من اعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن عبد العزيز اذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يستحيل ان يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ويستحب ان يعقد في المسجد وفي شهر شوال قالت عايشة رضي الله عنها تزوجني عليه السلام في شوال وبنى بي في شوال فاما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان احدهما الحل والثاني لطيب المعيشة وحصول المقاصد **النوع الاول** ما يعتبر فيها الحل وهو ان تكون خلية عن موانع النكاح ۵ والموانع تسعة عشر **الاول** ان تكون منكوحة للغير **الثاني** ان تكون معتدة عن الغير سوا كانت عدة وفاة او طلاق او وطي شبهة او كانت في استبرا وطي عن ملك يمين **الثالث** ان تكون مرتدة عن الدين بجريان كلمة على لسانها هي من كلمات الكفر **الرابع** ان تكون مجوسية **الخامس** ان تكون وثنية او زنديقة لا تنسب الى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الاباحة فلا يحل نكاحهن وكذا كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده **السادس** ان تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل او بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني اسرائيل فاذا عدمت كلتا الفضيلتين لم يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف **السابع** ان تكون رقيقة والناكح حر قادر على طول الحرة او غير خايف من العنت **الثامن** ان تكون كلها او بعضها مملوكا للناكح ملك يمين **التاسع** ان تكون قريبة للزوج بان تكون من اصوله او فصوله او فصول اول اصوله او من اول فصل من كل اصل بعده اصل واعني باصوله الامهات والجدات وفصوله الاولاد والاحفاد وبفصول اول اصوله

الأخوة وأولادهم وبأول فصل من كل أصل بعد أصل العمات والخالات دون أولادهن **العاشر** أن تكون محرمة بالرضاع ويحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب من الأصول والفصول كما سبق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم **الحادي عشر** المحرم بالمصاهرة وهو أن يكون الناكح قد نكح ابنتها أو جدتها من قبل أو وطئهن بالشبهة في عقد أو وطئ أمها أو إحدى جداتها بعقد أو شبهة عقد فمجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ولا يحرم فروعها إلا بالوطء أو يكون أبوه أو ابنه نكحها من قبل **الثاني عشر** أن تكون المنكوحة خامسة أي يكون تحت الناكح أربع سواها إما في نفس النكاح أو في عدة الرجعة فإن كانت في عدة بينونة لم يمتنع نكاح الخامسة **الثالث عشر** أن يكون تحت الناكح أختها أو عمتها أو خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يجز بينهما نكاح فلا يجوز أن يجمع بينهما **الرابع عشر** أن يكون هذا الناكح قد طلقها من قبل ثلاثا فهي لا تحل له ما لم يطأها زوج آخر في نكاح صحيح **الخامس عشر** أن يكون الناكح قد لاعنها فإنها تحرم عليه أبدا بعد اللعان **السادس عشر** أن تكون محرمة بحج أو عمرة أو كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح إلا بعد تمام التحلل **السابع عشر** أن تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ **الثامن عشر** أن تكون يتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ **التاسع عشر** أن تكون من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها أو دخل بها فإنهن أمهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا **فهذه** هي الموانع المحرمات

وأما الخصال المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده فهي ثمانية الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وأن لا تكون قرابة قريبة **الأولى** أن تكون ذات دين فهذا هو الأصل وبه ينبغي أن يقع الاعتناء فإنها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها أزرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحمية والأنفة وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشد إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن لي امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها قال فإني أحبها قال أمسكها وإنما أمره بإمساكها خوفا عليه بأنه إن طلقها أتبعها نفسه وفسد هو أيضا معها فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فإن سكت ولم ينكر كان شريكا في المعصية مخالفا لقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا وإن أنكر وخاصم تنغص العمر ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك وفي حديث آخر من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال أيضا لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المرأة لدينها وإنما بالغ في الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عونا على الدين فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له **الثانية** حسن الخلق وذلك أصل مهم في طلب الفراغ والاستعانة على الدين فإنها إذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الأولياء قال بعض العرب لا تنكحوا من النساء ستة لا أنانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة أما الأنانة فهي التي تكثر الأنين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة فنكاح الممراضة أو نكاح المتمارضة لا خير فيه والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لأجلك كذا وكذا والحنانة التي تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر وهذا أيضا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه والبراقة تحتمل معنيين أحدهما أن تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالتصنع والثاني أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة يمانية يقولون برقت المرأة وبرق الصبي إذا غضب عنده والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام إن الله يبغض الثرثارين المتشدقين **ويروى** أن السائح الأزدي لقي إلياس عليه السلام في سياحته فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشز أما المختلعة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية المباهية بغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهي التي قال تعالى ولا متخذات أخدان والناشز التي تعلو على زوجها بالفعال والمقال والنشز العالي من الأرض وكان علي رضي الله عنه يقول شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فإن المرأة إذا كانت

بخيلة حفظت مالها ومال زوجها وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين مريب وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة في النكاح **الثالثة** حسن الوجه فذلك أيضا مطلوب إذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفي بالدميمة غالبا كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفترقان وما نقلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالها ليس زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فإن الجمال وحده في غالب الأمر يرغب في النكاح ويهون أمر الدين ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال أن الألفة والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر قبل العقد فقال إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما أي يؤلف بينهما من وقوع الأدمة على الأدمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وإنما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف وقال عليه الصلاة والسلام إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن قيل كان في أعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم إلا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الأعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم ومعلوم أن النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وإنما يعرف الجمال والقبح وروي أن رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا حسبناه شابا فأوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم وروي أن بلالا وصهيبا أتيا أهل بيت من العرب فخطبا إليهم فقيل لهما من أنتما فقال بلال أنا بلال وهذا أخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فأعتقنا الله وكنا عائلين فأغنانا الله فإن تزوجونا فالحمد لله وإن تردونا فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسكت فقد صدقت فأنكحك الصدق والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب إزالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيصاف فينبغي أن يقدم ذلك على النكاح ولا يستوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرط في الثناء ولا يحسدها فيقصر فالطباع مائلة في مبادئ النكاح ووصف المنكوحات إلى الإفراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد والخداع والإغراء أغلب والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا وإن كان قد يعين على الدين في حق بعض الأشخاص قال أبو سليمان الداراني الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجل العجوز إيثارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار يقول يترك أحدكم أن يتزوج يتيمة فيؤجر فيها إن أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني أبناء الدنيا فتشتهي الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا وأطعمني كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة فسأل من أعقلهما فقيل العوراء فقال زوجوني إياها فهذا دأب من لم يقصد التمتع فأما من لا يأمن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين وقد قيل إذا كانت المرأة حسناء خيرة الأخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فإن الله وصف نساء الجنة بهذه الصفة في قوله خيرات حسان أراد بالخيرات حسنات الأخلاق وفي قوله قاصرات الطرف وفي قوله عربا أترابا فالعروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم اللذة والحور البياض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعيناء واسعة العين وقال عليه الصلاة والسلام خير نسائكم التي إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله وإنما يسر بالنظر إذا كانت محبة للزوج **الرابعة** أن تكون خفيفة المهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا وقد نهي عن المغالاة في المهر تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من أدم حشوها ليف وأولم على بعض نسائه بمدين من شعير وعلى أخرى بمدي تمر ومدي سويق وكان عمر ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة على درهمين ثم حملها هو إليه ليلا فأدخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج من خلاف العلماء فلا بأس به وفي الخبر من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها أي

الولادة ونشر مفخرها • وقال ايضا ايمنهن اقلهن مهرا وكما يكره المغالاة في المهر من جهة المراة فيكره السؤال عن مالها
من جهة الرجل فلا ينبغي ان ينكح طمعا في المال • قال الثوري اذا تزوج الرجل وقال اي شي للمراة فاعلم انه لص واذا اهدى
اليهم شيا فلا ينبغي ان يهدي ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذلك اذا اهدوا اليه فنية طلب الزيادة فيه فاسدة فاما
التهادي فمستحب وهو سبب المودة قال عليه الصلاة والسلام تهادوا تحابوا وتضاعف الحب وتذهب بغوائل الصدر
واما طلب الزيادة فيدخل في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي تعطي لتطلب اكثر وتحت قوله تعالى وما اتيتم من ربا ليربوا في
اموال الناس فان الربا هو الزيادة وهذه طلب زيادة على الجملة وان لم يكن في الاموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة
في النكاح تشبه التجارة والقمار وتفسد مقاصد النكاح **الخامسة** ان تكون المراة ولودا فان عرفت بالعقر فليمتنع
من تزوجها قال عليه الصلوة والسلام عليكم بالولود الودود وان لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيراعى صحتها وشبابها
فانها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين **السادسة** ان تكون بكرا قال عليه الصلاة والسلام لجابر وقد نكح ثيبا
هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وفي البكارة ثلث فوايد احدها ان تحب الزوج وتالفه فيوثر ذلك في معنى الودود • وقد قال
عليكم بالودود والطباع مجبولة على الانس باول مالوف واما التي اختبرت الرجال ومارست الاحوال فربما لا ترضى
بعض الاوصاف التي تخالف ما الفته فتقلي الزوج • الثانية ان ذلك اكمل في مودته لها فان الطبع ينفر عن التي مسها غير
الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع مهما تذكر وبعض الطباع في هذا اشد نفورا • الثالثة انها لا تحن الا الى الزوج
الاول واكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا **السابعة** ان تكون نسيبة اعني ان تكون من اهل بيت الدين والصلاح
فانها ستربي بناتها وبنيها واذا لم تكن مودبة لم تحسن التاديب والتربية ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اياكم وخضرا
الدمن فقيل ما خضرا الدمن فقال المراة الحسنا في المنبت السوء • وقال عليه الصلاة والسلام تخيروا لنطفكم فان العرق
نزاع **الثامنة** ان لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكحوا القرابة
القريبة فان الولد يخلق ضاويا اي نحيفا وذلك لتاثيره في تضعيف الشهوة فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر
واللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد فاما المعهود الذي دام النظر اليه مدة فانه تضعف الحس عن تمام
ادراكه والتاثر به فلا تنبعث به الشهوة فهذه ايضا هي الخصال المرغبة في النسا ويجب على الولي ايضا ان يراعي خصال الزوج ولينظر
لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه او خلقه او ضعف دينه او قصر عن القيام بحقها او كان لا يكافيها في نسبها • قال عليه
الصلاة والسلام النكاح رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها
من الزوج والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما او فاسقا او مبتدعا او شارب خمر فقد جنى على
دينه وتعرض لسخط الله بما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار • قال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن ازوجها قال
ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها • وقال عليه الصلاة والسلام من زوج كريمته من فاسق فقد قطع
رحمها

الباب الثالث

في اداب المعاشرة وما يجري بينهما في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة اما الزوج فعليه مراعاة
الاعتدال والادب في اثني عشر امرا في الوليمة • والمعاشرة • والدعابة • والسياسة • والغيرة • والنفقة • والتعليم
والقسم • والتاديب بالنشوز • والوقاع • والولادة • والمفارقة بالطلاق **الادب الاول** الوليمة وهي
مستحبة قال انس راى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال ما هذا قال تزوجت
امراة على وزن نواة من ذهب قال بارك الله لك اولم ولو بشاة • واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بسويق
وتمر • وقال عليه الصلوة والسلام طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع
الله به ولم يرفعه الا زياد بن عبد الله وهو غريب ويستحب التهنية فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك
وجمع بينكما في خير • وروى ابو هريرة انه عليه الصلوة والسلام امر بذلك ويستحب اظهار النكاح قال عليه الصلاة
والسلام فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلنوا هذا النكاح واجعلوه
في المساجد واضربوا عليه بالدفوف • وعن الربيع بنت معوذ قالت جا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علي غداة
بني بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من ابائي الى ان قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما في
غد

غد فقال لها اسكتي عن هذه وقولي التي كنت تقولين قبلها **الادب الثاني** حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن
ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف • وقال في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا غليظا وقال
والصاحب بالجنب قيل هي المراة واخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي
كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النسا فانهن عوان عندكم وفي
ايديكم يعني اسرا اخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله • وقال عليه الصلاة والسلام من صبر على سوء خلق امراته
اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله مثل ثواب اسية امراة فرعون
واعلم انه ليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتدا برسول الله صلى الله عليه
وسلم فقد كان ازواجه يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امراة عمر في الكلام فقال اتراجعيني
يا لكعا فقالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان
راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة • ودفعت احداهن
في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها امها فقال عليه الصلاة والسلام دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك وجرى بينه
وبين عايشة رضوان الله عليها كلام حتى ادخل بينهما ابا بكر حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين او
اتكلم فقالت بل تكلم انت ولكن لا تقل الا حقا فلطمها ابو بكر رضي الله عنه حتى دمي فوها وقال يا عدية نفسها او يقول غير الحق
فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولم نرد هذا
منك • وقالت له مرة في كلام غضبت عنده انت الذي تزعم انك نبي الله وذلك في حال صباها فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم واحتمل ذلك منها حلما وكرما وكان يقول لها اني لاعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا
واله محمد واذا غضبت قلت واله ابرهيم قالت صدقت وانما اهجر اسمك ويقال اول حب وقع في الاسلام حب النبي
صلى الله عليه وسلم عايشة وكان يقول لها كنت لك كابي زرع لام زرع غير اني لا اطلقك وكان يقول لنسايه لا توذوني في
عايشة فوالله ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها • وقال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارحم الناس بالنسا والصبيان **الثالث** ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب
النسا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روي
انه كان يسابق عايشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الايام فقال عليه الصلوة والسلام هذه بتلك • وفي الخبر
انه كان من افكه الناس مع نسايه • وقالت عايشة سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون
يوم عاشورا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان تري لعبهم قالت نعم فارسل اليهم فجاوا وقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك واقول اسكت مرتين او ثلثا ثم قال يا عايشة حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وقال عليه الصلوة والسلام
خياركم خيركم لنسايه وانا خيركم لنساي • وقال عمر مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون في اهله مثل الصبي فاذا
التمسوا ما عنده وجد رجلا • وقال لقمان ينبغي للعاقل ان يكون في اهله كالصبي واذا كان في القوم وجد رجلا • وفي
تفسير الخبر المروي ان الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على اهله المتكبر في نفسه وهو احد ما قيل في معنى قوله
عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على اهله • وقال عليه الصلاة والسلام لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك
ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا اذا ولج سكوتا اذا خرج اكلا ما وجد غير سايل عما
فقد **الرابع** ان لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية
هيبته بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما راى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة
بل مهما راى ما يخالف الشرع والمروة تنمر وامتعض • قال الحسن والله ما اصبح رجل يطيع امراته فيما تهوى الا
اكبه الله في النار • وقال عمر خالفوا النسا فان في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن • وقد قال
عليه الصلاة والسلام تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا اطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله

ملكه للمراة فملكا نفسه فقد عكس الامر على النساء وقلب القضية واطاع الشيطان كما قال ولامرنهم فليغيرن خلق الله اذ
حق الرجل على النساء ان يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا فقال تعالى والفيا سيدها
لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المراة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا
وان ارخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها قال الشافعي رحمه الله ثلثة ان اكرمتهم
اهانوك وان اهنتهم اكرموك المراة والخادم والنبطي ۞ وقال بعض الحكما ثلثة ان لم تظلمهم ظلموك زوجتك وولدك
وخادمك صلاح حالهم التعدي عليهم اراد به ان يحفت الاكرام ولم يرخ غلطك لينك وفظاظتك رفقك ۞ وكانت نساء العرب
يعلمن بناتهن اختبار الازواج كانت المراة تقول لابنتها اختبري زوجك قبل الاقدام والجراة عليه انزعي زج رمحه فان سكت
لذلك فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان صبر فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك وعلى
الجملة فبالعدل قامت السموات والارض وكلما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي ان تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة
وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل
ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة ۞ قال عليه الصلاة والسلام مثل المراة الصالحة في النساء كمثل الغراب الاعصم بين
مائة غراب يعني الابيض البطن ۞ وفي وصية لقمان لابنه يا بني اتق المراة السوء فانها تشيبك قبل الشيب واتق شرار النساء
فانهن لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر ۞ وقال عليه الصلاة والسلام استعيذوا من الفواقر الثلث وعد منهن
امراة سوء فانها المشيبة قبل الشيب ۞ وفي لفظ اخر ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك ۞ وقد قال عليه الصلاة
والسلام في خيرات النساء انكن صواحبات يوسف يعني ان صرفكن ابا بكر من التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق الى الهوى وقال
تعالى حين افشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما اي مالت وقال ذلك في خير ازواجه وقال
عليه الصلاة والسلام لا يفلح قوم تملكهم امراة ۞ وزجر عمر امراته مرة لما راجعته وقال ما انت الا لعبة في جانب البيت ان
كانت لنا اليك حاجة والا جلست كما انت فاذن فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة
علاج الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل اولا الى اخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما
يصلحها كما يقتضيه حالها **الخامس** الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ
في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتبع عورات النساء ۞ وفي لفظ اخر ان
تبغت النساء ۞ ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء ليلا فخالفه رجلان
فسبقا فراى كل واحد في منزله ما يكره ۞ وفي الخبر المشهور المراة كالضلع ان قومته كسرته فدعه تستمتع به على عوج وهذا
في تهذيب اخلاقها ۞ وقال عليه الصلاة والسلام من الغيرة غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة ولان
ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم ۞ وقال علي رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك
واما الغيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغار والمومن يغار وغيرة الله ان ياتي
المومن ما حرم عليه ۞ وقال عليه الصلاة والسلام اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ولاجل غيرة الله
حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد
احب اليه المدح من الله عز وجل ومن اجل ذلك وعد الجنة ۞ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي في
الجنة قصرا وفيه جارية فقلت لمن هذا فقيل لعمر فاردت ان انظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال اعليك اغار
يا رسول الله ۞ وكان الحسن يقول اتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق قبح الله من لا يغار ۞ وقال عليه الصلاة
والسلام ان من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فاما الغيرة التي يحبها الله
فالغيرة في الريبة والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال
وعند الصدمة والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل ۞ وقال عليه الصلاة والسلام اني لغيور وما من
امرئ لا يغار الا منكوس القلب والطريق المغني عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج الى الاسواق ۞ وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة اي شيء خير للمراة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال
تعالى ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها ۞ وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الثقب والكوى في الحيطان

لئلا يطلع النسوان الى الرجال ۞ وراى معاذ امراته تطلع في الكوة فضربها وراى امراته دفعت الى غلام له تفاحة قد
اكلت بعضها فضربها ۞ وقال عمر رضي الله عنه اعروا النساء يلزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة
الرثة ۞ وقال ايضا عودوا نساءكم لا ۞ وقد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور المساجد والصواب
الان المنع الا العجايز بل استصوب ذلك في زمن الصحابة حتى قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما احدثت النساء
بعده لمنعهن من الخروج ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده
بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرا
على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر ۞ وكذلك كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد اذن لهن في الاعياد خاصة ان يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن والخروج الان ايضا
مباح للمراة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود اسلم وينبغي ان لا تخرج الا لمهم فان الخروج للنظارات والامور التي ليست
مهمة تقدح في المروة وربما تفضي الى الفساد واذا خرجت فينبغي ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في
حقها عورة كوجه المراة في حقه بل هو كوجه الصبي الامرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا
اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن متنقبات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء
لامروا بالتنقب او منعن من الخروج الا لضرورة **السادس** الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق
ولا ينبغي ان يسرف بل يقتصد ۞ قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ۞ وقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط ۞ وقال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله ۞ وقال صلى الله عليه وسلم دينار انفقته في سبيل الله ودينار
انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الذي انفقته على اهلك ۞ وقيل
كان لعلي رضي الله عنه اربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في كل اربعة ايام لحما بدرهم ۞ وقال الحسن رضي الله عنه كانوا في
الرجال مخاصيب وفي الاثاث والثياب مجاديب ۞ وقال ابن سيرين يستحب للرجل ان يعمل لاهله في كل جمعة فالوذجة
وكان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي ان يامرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد
لو ترك وهذا اقل درجات الخير وللمراة ان تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان يستاثر على اهله
بماكول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدر ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان عازما على ذلك فلياكله في خفية
بحيث لا يعرفه اهله ولا ينبغي ان يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه واذا اكل فيقعد العيال كلهم على مائدته فقد
قال سفيان بلغنا ان الله تعالى وملائكته يصلون على اهل بيت ياكلون في جماعة واهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق ان يطعمها
من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لاجلها فان ذلك جناية عليها لا مراعاة لها وقد اوردنا الاخبار الواردة في ذلك عند
ذكر افات النكاح **السابع** انه يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته
احكام الصلوة وما تقضي منها في الحيض وما لا تقضي فانه امر بان يقيها النار بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فعليه ان
يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة ان استمعت اليها ويخوفها بالله اذا تساهلت في امر الدين ويعلمها من احكام
الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة يطول فاما الذي لا بد من ارشاد النساء اليه في امر الحيض بيان الصلوات
التي تقضيها فانها مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار
ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا اقل ما يراعيه النساء فان كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء
وان قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها
ان تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الا برضاه ومهما اهملت المراة حكما من احكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل
خرج الرجل معها وشاركها في الاثم **الثامن** اذا كان له نسوة فينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر
واراد استصحاب واحدة منهن اقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ظلم امراة بليلتها قضى لها
فان القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك يطول ذكره ۞ وقد قال عليه الصلاة والسلام
من كان له امراتان فمال الى احداهما دون الاخرى وفي لفظ اخر ولم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وانما
عليه العدل في العطاء والمبيت اما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا

واخبرها بجواب المفتي فليس لها
الخروج فان لم يكن ذلك فلها
الخروج للسوال

بين النسا ولو حرصتم اي لا تعدلون في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهن في العطا والبيتوتة في الليالي ويقول اللهم هذا جهدي فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك يعني الحب والمودة وقد كانت عايشة احب نسايه اليه وساير نسايه يعرفن ذلك وكان يطاف به محمولا في مرضه في كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول اين انا غدا ففطنت امراة منهن فقالت انما يسال عن يوم عايشة فقلن يا رسول الله قد اذنا لك ان تكون في بيت عايشة فانه يشق عليك ان تحمل في كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك فقلن نعم قال فحولوني الى بيت عايشة ومهما وهبت واحدة منهن ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسايه فقصد ان يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعايشة وسالته ان يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسايه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعايشة ليلتين ولساير ازواجه ليلة ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان اذا تاقت نفسه الى الواحدة من النسا في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه وليلته على ساير نسايه فمن ذلك ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسايه في ليلة واحدة • وعن انس انه عليه الصلاة والسلام طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار

التاسع في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتيم امرهما فان كان من جانبهما جميعا او من الرجل فلا تتسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على اصلاحها فلا بد من حكمين احدهما من اهله والاخر من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما وان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وقد بعث عمر حكمين الى زوجين فعادا ولم يصلحا امرهما فعلاهما بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعادا الرجلان واحسنا النية وتلطفا في الامر فاصلحا بينهما واما اذا كان من المراة خاصة فالرجال قوامون على النسا فله ان يوديها ويحملها على الطاعة قهرا وكذلك اذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغي ان يتدرج في تاديبها وهو ان يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره في المضجع وانفرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت من ليلة الى ثلث ليال فان لم ينجع ضربها ضربا غير مبرح بحيث يولمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسما ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه • وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق المراة على الرجل قال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ولا يهجر الا في البيت وله ان يغضب عليها ويهجرها في امر من امور الدين الى عشر والى شهر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ارسل بهدية الى بيت زينب فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقمتك اذ ردت عليك هديتك اي اذلتك واستصغرتك فقال عليه الصلاة والسلام انتن اهون على الله ان تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن

العاشر في اداب الجماع ويستحب ان يبدا باسم الله تعالى ويقرا قل هو الله احد اولا ويهلل ويكبر ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج ذلك من صلبي • وقال صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اتى اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان واذا قربت من الانزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا الاية وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع اهل الدار بصوته ثم لينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطي راسه ويغض صوته ويقول للمراة عليك بالسكينة • وفي الخبر اذا جامع احدكم اهله فلا يتجردا تجرد العيرين اي الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل • قال عليه الصلوة والسلام لا يقعن احدكم على امراته كما تقع البهيمة ليكن بينهما رسول فقيل وما الرسول قال القبلة والكلام • وقال صلى الله عليه وسلم ثلث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم اسمه ونسبه والثاني ان يكرمه احد فيرد عليه كرامته والثالث ان يقارب الرجل جاريته او زوجته فيصيبها قبل ان يحادثها ويوانسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل ان تقضي حاجتها منه ويكره الجماع في ثلث ليال من الشهر الاول والاخر والنصف منه يقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال ان الشياطين يجامعون فيها وروي كراهة ذلك عن علي ومعوية وابي هريرة رضي الله عنهم ومن العلما من استحب الجماع يوم الجمعة تحقيقا لاحد التاويلين من قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من غسل واغتسل ثم اذا قضى وطره فليتمهل على اهله حتى تقضي هي ايضا نهمتها فان انزالها ربما تاخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها ايذا لها والاختلاف في طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا الى الانزال والتوافق في وقت الانزال الذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها فانها ربما تستحيي وينبغي ان ياتيها في كل اربع ليال مرة فهو اعدل اذ عدد النسا اربعة فقد جاز التاخير الى هذا الحد

ثم ينبغي ان يزيد وينقص بحسب حاجتها في التحصين فان تحصينها واجب عليه وان كان لا يثبت المطالبة بالوطي وذلك لعسر المطالبة والوفا بها ولا ياتيها في الحيض ولا بعد انقطاعه وقبل الغسل فانه محرم بنص الكتاب وقيل ان ذلك يورث الجذام في الولد وله ان يستمتع بجميع بدن الحايض ولا ياتيها في غير الماتي اذ حرم غشيان الحايض لاجل الاذى والاذى في غير الماتي دايم فهو اشد تحريما من اتيان الحايض • وقوله تعالى فاتوا حرثكم انى شيتم اي اي وقت شيتم وله ان يستمني بيديها وان يستمتع بما تحت الازار منها سوى الوقاع وينبغي ان تتزر المراة بازار من حقوها الى فوق الركبة في حالة الحيض فهذا من الادب وله ان يواكل الحايض ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها فان اراد ان يجامع ثانية بعد اخرى فليغسل فرجه اولا وان احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه او يبول ويكره الجماع في اول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فان اراد النوم او الاكل فليتوضا اولا وضوه للصلاة فهو سنة • قال ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضا ولكن فيه رخصة قالت عايشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم ينام جنبا لم يمس ماء ومهما عاد الى فراشه فليمسح وجه فراشه او لينفضه فانه لا يدري ما حدث بعده ولا ينبغي ان يحلق او يقلم او يستحد او يخرج الدم او يبين من نفسه جزا وهو جنب اذ ترد اليه ساير اجزايه في الاخرة فيعود جنبا ويقال ان كل شعرة تطالبه بجنابتها

ومن الاداب ان لا يعزل بل لا يسرح الا الى محل الحرث وهو الرحم فما من نسمة قدر الله كونها الا وهي كاينة هكذا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عزل فقد اختلف العلما في اباحته وكراهته على اربعة مذاهب فمن مبيح مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومنهم من قال يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكان هذا القايل يحرم الايذا دون العزل ومن قايل يباح في المملوكة دون الحرة والصحيح عندنا ان ذلك مباح واما الكراهة فانها تطلق لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث اي فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في المسجد ان يقعد فارغا لا يشتغل بذكر او صلاة وللحاضر في مكة مقيما بها ان لا يحج كل سنة والمراد بهذه الكراهة ترك الاولى والفضيلة فقط وهذا ثابت لما بينا من الفضيلة في الولد ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليجامع اهله فيكتب له من جماعه اجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له اجر التسبب اليه مع ان الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد والذي اليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك عند الامنا في الرحم وانما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لان اثبات النهي انما يمكن بنص او قياس على منصوص ولا نص ولا اصل يقاس عليه بل ها هنا اصل يقاس عليه وهو ترك النكاح اصلا او ترك الجماع بعد النكاح او ترك الانزال بعد الايلاج فكل ذلك ترك للافضل وليس بارتكاب نهي ولا فرق اذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها اربعة اسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر الى الانزال بعد الجماع ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الاسباب اقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والاول وليس هذا كالاجهاض والواد لان ذلك جناية على موجود حاصل وله ايضا مراتب واول مراتب الوجود ان تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المراة وتستعد لقبول الحياة وافساد ذلك جناية فان صارت مضغة وعلقة كانت الجناية افحش وان نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيا وانما قلنا مبدا سبب الوجود من حيث الوقوع في الرحم لا من حيث الخروج من الاحليل لان الولد لا يخلق من مني الرجل وحده بل من الزوجين جميعا اما من مايه ومايها او من مايه ودم الحيض قال بعض اهل التشريح ان المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وان الدم منها كاللبن من الرايب وان النطفة من الرجل شرط في خثور دم الحيض وانعقاده كالانفحة للبن اذ بها ينعقد الرايب وكيفما كان فما المراة ركن في الانعقاد كالانفحة للبن فيجري الماان مجرى الايجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن اوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الايجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما ان النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الاحليل ما لم يمتزج بماء المراة او دمها وهذا هو القياس الجلي **فان قلت** فان لم يكن العزل مكروها من حيث انه دفع لوجود الولد فلا يبعد ان يكره لاجل النية الباعثة عليه اذ لا يبعث عليه الا نية فاسدة فيها شي من شوايب الشرك الخفي **فاقول** النيات الباعثة على العزل خمس الاولى في السراري وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقا

لللك بترك الاعتاق ودفع الشبابه ليس بمنهي عنه **الثانية** استبقا جمال المراة وسمنها لدوام التمتع بها واستبقا حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا ايضا ليس منهيا عنه **الثالثة** الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الاولاد والاحتراز من الحاجة الى التعب والكسب ودخول مداخل السوء وهذا ايضا غير منهي عنه فان قلة الحرج معين على الدين نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله تعالى حيث يقول وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الافضل ولكن النظر الى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول انه منهي عنه **الرابع** الخوف من الاولاد الاناث لما في تزويجهن من المعرة كما كانت من عادة العرب في قتلهم الاناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها اصل النكاح واصل الوقاع اثم بها لا بترك النكاح والوطي فكذا في العزل والفساد في اعتقاده المعرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنزل منزلة امراة تركت النكاح استنكافا من ان يعلوها رجل وكانت تتشبه بالرجال فلا ترجع الكراهة الى ترك عين النكاح **الخامسة** ان تمتنع المراة لتعززها ومبالغتها في النظافة وتحترز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهم في استعمال المياه حتى كن يقضين صلوات ايام الحيض ولا يدخلن الخلا الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي فاسدة استاذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تاذن لها فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة **فان قلت** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلثا فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا اي ليس موافقا لنا في سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الافضل **فان قلت** فقد قال ابن عباس صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الوأد الخفي وقد قال تعالى واذا الموؤدة سئلت وهذا في الصحيح قلنا في الصحيح ايضا اخبار صحيحة في الاباحة وقوله الوأد الخفي كقوله الشرك الخفي وذلك يوجب كراهة لا تحريما **فان قلت** فقد قال ابن عباس رضي الله عنه العزل هو الوأد الاصغر وان الممنوع وجوده به هو الموؤدة الصغرى قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك انكره عليه علي رضي الله عنه لما سمع وقال لا تكون موؤدة الا بعد سبع اي سبعة اطوار وتلا الاية الواردة في اطوار الخلقة وهو قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى قوله ثم انشاناه خلقا اخر اي نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله تعالى في الاية الاخرى واذا الموؤدة سئلت واذا نظرت الى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس في الغوص على المعاني ودرك العلوم كيف ومن المتفق عليه في الصحيحين عن جابر انه قال كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران ينزل وفي لفظ اخر كنا نعزل فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا • وفيه ايضا عن جابر انه قال ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال عليه الصلوة والسلام اعزل عنها ان شئت فانه سياتيها ما قدر لها كل ذلك في الصحيح **الحادي عشر** في اداب الولادة وهي خمسة **الاول** ان لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدري ان الخيرة له في ايهما فكم من صاحب ابن يتمنى ان لا يكون له او يكون بنتا بل السلامة فيهن اكثر والثواب فيهن اجزل وقال صلى الله عليه وسلم من كانت له ابنة فادبها واحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاها واسبغ عليها من النعمة التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة • وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه الجنة • وقال انس قال عليه الصلاة والسلام من كانت له ابنتان او اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه • وعن انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمل طرفة من السوق الى عياله فكانما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدا بالاناث قبل الذكور فانه من فرح انثى فكانما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار • وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له ثلث بنات او اخوات فاحسن اليهن وصبر على لاوائهن وضرائهن وسرائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل وثنتان يا رسول الله فقال وثنتان فقال رجل او واحدة فقال او واحدة **الادب الثاني** ان يؤذن في اذن المولود اليمنى روى نافع عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم اذن في اذن الحسين حين ولدته فاطمة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسرى رفعت

عنه ام الصبيان ويستحب ان يلقنوه اول انطلاق لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه والختان في اليوم السابع ورد به خبر **الثالث** ان يسميه باسم حسن فذلك من حق الولد وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا سميتم فعبدوا وقال احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال العلماء كان ذلك في عصره اذ كان ينادي يا ابا القاسم والان فلا باس نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته قال عليه الصلاة والسلام لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي وقيل ان هذا كان ايضا في حياته وسمى رجل ابا عيسى فقال عليه الصلاة والسلام ان عيسى لا اب له فكره ذلك والسقط ينبغي ان يسمى قال عبد الرحمن ابن يزيد بن معوية بلغني ان السقط يصرخ يوم القيمة وراء ابيه فيقول انت ضيعتني وتركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف لا ندري انه غلام او جارية فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما حمزة وعمارة وطلحة وعتبة • وقال صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسمائكم ومن له اسم يكره يستحب تبديله • بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاصي بعبد الله وقال صلى الله عليه وسلم لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي وقيل ان هذا ايضا كان في حياته قال ابو هريرة كان اسم زينب برة فقال عليه الصلاة والسلام تزكي نفسها فسماها زينب وكذلك ورد نهي في اسم افلح ويسار ونافع وبركة لانه يقال ثم بركة فيقول لا **الرابع** العقيقة عن الذكر شاتين وعن الانثى شاة ولا باس بالشاة ذكرا كان او انثى روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر في الغلام بشاتين مكافئتين وعن الجارية بشاة وروي انه عق عن الحسن بشاة وهذا رخصة في الاقتصار على واحدة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الغلام عقيقته فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى ومن السنة ان يتصدق بوزن شعره ذهبا او فضة فقد ورد فيه خبر وروي انه عليه الصلاة والسلام امر فاطمة يوم سابع حسين ان تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة قالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم **الخامس** ان يحنكه بتمر او حلاوة روي عن اسماء انها قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقبا ثم اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شي دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان اول مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم **الثاني عشر** في الطلاق وليعلم انه مباح ولكنه ابغض المباحات الى الله وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه ايذاء بالباطل ومهما طلقها فقد اذاها ولا يباح ايذاء الغير الا بجناية من جانبها او بضرورة من جانبه قال تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا حيلة للفراق وان كرهها ابوه فليطلقها • قال ابن عمر كان تحتي امراة احبها وكان ابي يكرهها ويامرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امراتك فهذا يدل على ان حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر ومهما اذت زوجها وبذت على اهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق او فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة مهما بذت على اهله واذت زوجها فهي فاحشة وهذا اريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وان كان الاذى من الزوج فلها ان تفتدي ببذل مال ويكره للرجل ان ياخذ اكثر مما اعطى فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به فرد ما اخذته فما دونه لائق بالفداء فان سالت الطلاق بغير ما باس لم ترح رائحة الجنة • وفي لفظ فالجنة عليها حرام وقال صلى الله عليه وسلم المختلعات هن المنافقات ثم ليراع الزوج في الطلاق اربعة امور **الاول** ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فان الطلاق في الحيض والطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة فان فعل ذلك فليراجعها طلق ابن عمر في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وانما امره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط **الثاني** ان يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لان الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة ان ندم في العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق ثلثا ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه اعني زوجة المحلل بعد ان تزوج منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور ولست اقول الجمع حرام ولكنه مكروه لهذه المعاني

واعني بالكراهة تركه النظر لنفسه **الثالث** ان يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها
بهدية على سبيل الامتاع والجبر لقلبها لما فجعها به من اذى الفراق قال الله تعالى ومتعوهن وذلك واجب مهما لم يسم
لها مهر في اصل النكاح • كان الحسن بن علي مطلاقا منكاحا ووجه ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امراتين وقال قل لهما
اعتدا وامره ان يدفع الى كل واحدة عشرة الاف درهم ففعل فلما رجع قال ماذا فعلتا قال اما احداهما فنكست راسها وتنكست
واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول • متاع قليل من حبيب مفارق • فاطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امراة
بعدما فارقتها لراجعتها • ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة
نظير وبه ضربت المثل عايشة حيث قالت لو لم اسر مسيري ذلك لكان احب الي من ان يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحرث فدخل عليه في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه في مجلسه وقال الا ارسلت الي
فاجيئك فقال الحاجة لنا فقال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع راسه وقال والله ما على
وجه الارض احد يمشي عليها اعز منك ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني يسوءني ما ساءها ويسرني ما سرها وانت مطلاق فاخاف
ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك فانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان شرطت ان لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج وقال بعض اهل بيته سمعته وهو يمشي يقول ما اراد
عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي وكان علي رضي الله عنه يتضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على المنبر ويقول
في خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ما شا فان احب امسك وان
شا ترك فسر ذلك عليا فقال لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام وهذا دليل على ان من طعن في حبيبه من
اهل وولد لنوع حيا فلا ينبغي ان يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة ما امكن فان ذلك اسر لقلبه واوفق
لباطن رايه والقصد من هذا بيان ان الطلاق مباح وقد وعد الله الغنى في الفراق والنكاح جميعا فقال وان يتفرقا يغن الله
كلا من سعته وقال تعالى وايامكم ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله **الرابع** ان لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند ان لم
النكاح فقد ورد في افشا سر النسا في الخبر الصحيح وعيد عظيم • ويروى عن بعض الصالحين انه اراد طلاق امراة فقيل
له ما الذي يريبك منها فقال العاقل لا يهتك ستر امراته فلما طلقها قيل له لم طلقتها فقال ما لي ولامراة غيري فهذا بيان
ما على الزوج **القسم الثاني من الباب** النظر في حقوق الزوج عليها والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق
وهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج
عليها اخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة • وكان رجل قد خرج الى
سفر وعهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها في الاسفل فمرض فارسلت المراة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم تستاذن في النزول الى ابيها فقال عليه الصلوة والسلام اطيعي زوجك فمات ابوها فاستامرته فقال
اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها ان الله قد غفر لابيها بطاعتها لزوجها
وقال صلوات الله وسلامه عليه اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت
جنة ربها فاضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النسا فقال حاملات
والدات مرضعات رحيمات باولادهن لولا ما ياتين الى ازواجهن دخل مصلياتهن الجنة • وقال صلى الله عليه
وسلم اطلعت في النار فاذا اكثر اهلها النسا فقلن لم يا رسول الله فقال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج
المعاشر • وفي خبر اخر اطلعت في الجنة فاذا اقل اهلها النسا فقلت اين النسا فقيل شغلهن الاحمران الذهب
والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب • وقالت عايشة رضي الله عنها اتت فتاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا نبي الله اني فتاة اخطب واني اكره التزويج فما حق الزوج على المراة قال لو كان من فرقه الى قدمه صديد
فلحسته ما ادت شكره قالت فلا اتزوج اذا قال بلى تزوجي فانه خير • وقال ابن عباس اتت امراة من خثعم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت اني امراة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج قال ان من حق الزوج على الزوجة
اذا ارادها على نفسها وهي على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطي شيا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان
الوزر عليها والاجر له • ومن حقه ان لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها • ون

ومن حقه ان لا تخرج من بيته الا باذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب • وقال صلى الله عليه
وسلم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وفي الحديث والو الدلو الدم من عظم
حقه عليه • وقال عليه الصلاة والسلام اقرب ما تكون المراة من وجه ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن
دارها افضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها افضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في مخدعها افضل من
صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المراة عورة فاذا خرجت
استشرفها الشيطان • وقال ايضا المراة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر
القبر العشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة والستر والاخر ترك المطالبة
بما ورا الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كان عادة النسا في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امراته
او ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار • وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه
سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولي
رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق • وخطبت رابعة بنت اسمعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة و
قال لها والله ما لي همة في النسا لشغلي بحالي فقالت اني لاشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكني ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت
ان انفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون ذلك لي طريقا الى الله فقال حتى استاذن استاذي فرجع الى ابي سليمان
قال وكان ينهاني عن التزوج ويقول ما تزوج احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية الله هذا
كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلنا كر من جص ففني من غسل ايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل
بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى
ازواجك وكانت هذه تشبه في اهل الشام برابعة العدوية في البصرة **ومن الواجب عليها** ان لا تفرط في ماله بل
تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب الذي يخاف فساده فان
اطعمت عن رضاه كان لها مثل اجره وان اطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر • ومن حقها على الوالدين تعليمها
حسن المعيشة واداب العشرة مع الزوج كما روي ان اسما بنت خارجة الفزاري قال لابنته عند التزوج انك خرجت
من العش الذي فيه درجت فصرت الى فراش لم تعرفيه وقرين لم تالفيه فكوني له ارضا يكن لك سما وكوني له مهادا يكن
لك عمادا وكوني له امة يكن لك عبدا لا تلحي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك ان دنا فاقربي منه وان نا ي
فابعدي عنه واحفظي انفه وسمعه وعينه فلا يشم منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا • وقال رجل
لزوجته • خذي العفو مني تستديمي مودتي • ولا تنطقي في سورتي حين اغضب • يذهب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة • فانك لا تدرين كيف المغيب • فاني رايت الحب في القلب والاذى اذا اجتمعا لم يلبث الحب
والقول الجامع في اداب المراة من غير تطويل ان تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها لا يكثر صعودها واطلاعها قليلة
الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول تحفظ بعلها في غيبته وحضرته وتطلب مسرته في جميع امورها
ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها الا باذنه فان خرجت باذنه فمختفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع
والاسواق محترزة من ان يسمع غريب صوتها او يعرفها بشخصها لا تتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن
انه يعرفها همها صلاح شانها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها اذا استاذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل
حاضرا لم تستفهمه ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على
حق نفسها وحق سائر اقاربها متنظفة في نفسها مستعدة في الاحوال ليتمتع بها ان شا مشفقة على اولادها حافظة
للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الاولاد ومراجعة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم انا وامراة سفعا الخدين
كهاتين في الجنة امراة امت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى بانوا او ماتوا وقال صلى الله عليه وسلم حرم الله على
كل ادمي الجنة يدخلها قبلي غير اني انظر عن يميني فاذا امراة تبادرني الى باب الجنة فاقول ما لهذه تبادرني فيقال لي يا
محمد هذه امراة كانت حسنا جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ امرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك ومن
ادبها ان لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه فقد روي ان الاصمعي قال دخلت البادية فاذا

انما امراة من احسن الناس وجها تحت رجل من اقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه ارضين لنفسك ان تكوني تحت مثله فقالت يا هذا اسكت
اسات في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي اسات فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي
فاسكتتني ● وقال الاصمعي رايت في البادية امراة عليها قميص احمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت
ولله مني جانب لا اضيعه ● وللهو مني والبطالة جانب ● فمن اداب المراة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها ولا ينبغي ان تؤذي
زوجها بحال ● عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا توذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين
لا توذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا ● ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه
اكثر من اربعة اشهر وعشر وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت
والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على
ميت اكثر من ثلاثة ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى اخر العدة وليس لها الانتقال الى اهلها ولا
الخروج الا لضرورة ● ومن ادابها ان تقوم بكل خدمة في الدار بما تقدر عليه فقد روي عن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما
انها قالت تزوجني الزبير وما له في الارض من مال ولا مملوك ولا شي غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مونته و
اسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقي الما واخرز غربه واعجن وكنت انقل النوى على راسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بخادم
يكفيني سياسة الفرس فكانما اعتقني ● ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على راسي فقال
صلى الله عليه وسلم اخ اخ لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس
فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد استحييت فجيت الزبير فحكيت ما جرى فقال والله لحملك النوى على راسك اشد علي من
ركوبك معه فهذه جملة ما اوردناه في كتاب النكاح واداته وما يجب للزوج على الزوجة وعظم حقه عليها ● تم كتاب اداب النكاح

كتاب اداب الكسب والمعاش

وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من جملة كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم ● الحمد لله حمد موحد انمحق في توحيده ما سوى الواحد الحق وتلاشى ● ونمجده تمجيد من يصرح
بان كل شي ما سوى الله باطل ولا يتحاشى وان كل من في السموات والارض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا ● ونشكره
اذ رفع السما لعباده سقفا مبنيا ومهد الارض بساطا لهم وفراشا وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا
لينتشروا في ابتغا فضله ولينتعشوا به عن ضرعة الحاجات انتعاشا ● ونصلي على رسوله الذي يصدر المومنون من حوضه ريا
بعد ورودهم عليه عطاشا ● وعلى اله واصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكماشا ● وسلم كثيرا اما بعد
فان رب الارباب ومسبب الاسباب جعل الاخرة دار الثواب والعقاب ● والدنيا دار التمحل والاضطراب ● والتشمر
والاكتساب ● وليس التشمر في الدنيا مقصورا على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه فالدنيا
مزرعة الاخرة ومدرجة اليها والناس ثلثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن
معاشه فهو من الفايزين والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ولن ينال رتبة الاقتصاد
من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن ينتهض من طلب الدنيا وسيلة الى الاخرة وذريعة ما لم يتادب في طلبها باداب الشريعة
وها نحن نورد اداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة ابواب **الباب الاول**
في فضل الكسب والحث عليه **الباب الثاني** في علم صحيح البيع والشرا والمعاملات **الباب الثالث** في بيان العدل
واجتناب الظلم في المعاملة **الباب الرابع** في بيان الاحسان فيها **الباب الخامس** في شفقة التاجر على دينه

الباب الاول

في فضل الكسب والحث عليه اما من الكتاب فقوله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره
في معرض الامتنان ● وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها ● وقال تعالى
ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم ● وقال تعالى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله ● وقال تعالى فانتشروا
في الارض وابتغوا من فضل الله **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب
المعيشة ● وقال التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهدا ● وقال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا
حلالا تعففا عن المسالة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر ● وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع
اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال
صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسالة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان
يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة ● وفي
الخبر ان الله تعالى يحب المومن المحترف ● وقال صلى الله عليه وسلم احل ما اكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور ● وفي خبر اخر
احل ما اكل العبد كسب يد الصانع اذا نصح ● وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق ● وروي
ان عيسى عليه السلام راى رجلا فقال ما تصنع فقال اتعبد قال من يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك ● وقال نبينا صلى الله
عليه وسلم اني لا اعلم شيا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار الا امرتكم به ولا اعلم شيا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار
الا نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان ابطا عنها فاتقوا الله واجملوا في
الطلب امرنا بالاجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في اخره ولا يحملنكم استبطا شي من الرزق على ان تطلبوه بمعصية
الله فان الله عز وجل لا ينال ما عنده بمعصيته ● وقال صلى الله عليه وسلم الاسواق موايد الله عز وجل فمن اتاها اصاب منها
وقال صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من ان ياتي رجلا اعطاه الله من فضله فيساله اعطاه او منعه
وقال من فتح على نفسه بابا من السوال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر **اما الاثار** فقد قال لقمن الحكيم لابنه يا بني استغن
بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب في مروته واعظم
من هذه الثلاثة استخفاف الناس به ● وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علم ان السما
لا تمطر ذهبا ولا فضة ● وكان زيد بن مسلمة يغرس في ارضه فقال له عمر اصبت استغن عن الناس يكن اصون لدينك واكرم
لك عليهم كما قال صاحبكم احيحة من الابيات ● فلن ازال على الزورا اعمرها ان الكريم على الاخوان ذو المال ● وقال
ابن مسعود رضي الله عنه اني لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر اخرته ● وسيل ابراهيم عن التاجر الصدوق واهو
احب اليك ام المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد ياتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن
قبل الاخذ والعطا فيجاهده ● وخالفه الحسن البصري في هذا ● وقال عمر رضي الله عنه ما من موضع ياتيني الموت
فيه احب الي من موطن اتسوق فيه لاهلي ابيع واشتري ● وقال الهيثم ربما بلغني عن الرجل يقع في فاذكر استغنائي عنه فيهون
ذلك علي ● وقال ايوب كسب فيه شي احب الي من سوال الناس ● وجات ريح عاصفة في البحر فقال اهل السفينة لابراهيم بن
ادهم اما ترى هذه الشدة فقال ما هذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس ● وقال ايوب قال لي ابو قلابة الزم السوق فان
الغنى من العافية يعني الغنى عن الناس ● وقيل لاحمد ما تقول فيمن جلس في بيته او في مسجده وقال لا اعمل شيا حتى ياتيني
رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله صلى الله
عليه وسلم حين ذكر الطير فقال لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو
في طلب الرزق ● وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم اولى ● وقال
ابو قلابة لرجل لان اراك تطلب معاشك احب الي من ان اراك في زاوية المسجد ● وروي ان الاوزاعي لقي ابراهيم بن
ادهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال له يا ابا اسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا عمرو فانه بلغني
انه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة ● وقال ابو سليمان ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك و
غيرك يقوت لك ولكن ابدا برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد ● وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ينادي يوم القيامة اين
بغضا الله في ارضه فيقوم سوال المساجد فهذه مذمة في الشرع للسوال والاتكال على كفاية الاغنيا ومن ليس له مال موروث
فلا ينجيه من ذلك الا الكسب والتجارة فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين
ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ● وقيل لسلمان الفارسي اوصنا فقال من
استطاع منكم ان يموت حاجا او غازيا او عامرا لمسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خاينا فالجواب ان وجه الجمع

بين هذه الأخبار بتفصيل الأحوال فنقول لسنا نقول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية
أو الثروة والزيادة على الكفاية فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا ليصرف إلى الخيرات والصدقات
فهي مذمومة لأنه إقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة فإن كان مع ذلك خائنا فهو ظلم وفسق وهذا ما أراده سلمان بقوله
لا تمت تاجرا ولا جابيا وأراد بالتاجر طالب الزيادة فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم وغنائهم
عن السؤال فالتجارة تعففا عن السؤال أفضل وإن كان لا يحتاج إلى السؤال وكان يعطى عن غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إنما
يعطى لأنه سائل بلسان حاله ومنادي بين الناس بفقره فالتعفف والتستر أولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية
وترك الكسب أفضل لأربعة عابد مشتغل بالعبادات البدنية أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والمكاشفات
أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وأمثالهم أو رجل مشتغل بمصالح
المسلمين وقد تكفل أمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح أو الأوقاف
المسبلة على العلماء والفقراء فإقبالهم على ما هم فيه من الاشتغال بالكسب ولهذا أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سبح
بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعا لهذه المعاني الأربعة إلى زيادات لا يحيط بها
الوصف ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضي الله عنه بترك التجارة لما ولي الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان
يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك أولى ثم لما توفي أوصى برده إلى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولى
ولهؤلاء الأربع حالتان أخريان أحدهما أن تكون كفايتهم عند ترك الكسب من أيدي الناس وما يتصدق به عليهم من زكاة أو
صدقة من غير حاجة إلى سؤال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه أولى إذ فيه إعانة للناس على الخيرات وقبول منهم لما هو
حق عليهم وأفضل لهم **الحالة الثانية** الحاجة إلى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويناها في السؤال
وذمه تدل ظاهرا على أن التعفف عن السؤال أولى وإطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير غير
صحيح بل هو موكول إلى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بأن يقابل ما يلقى في السؤال من المذمة وهتك المروءة والحاجة إلى التثقيل
والإلحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص يكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم
والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص يكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم والعمل ويهون عليه بأدنى تعريض في السؤال
تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور فينبغي أن يستفتي المريد فيه قلبه وإن أفتاه المفتون
فإن الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال فلقد كان في السلف من له ثلاثمائة وستون صديقا ينزل على
كل واحد في سنة مرة واحدة في ليلة ومن له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بأن المتكفلين بهم يتقلدون
منه منة بقبولهم لمبراتهم وكان قبولهم لمبراتهم خيرا مضافا إلى عباداتهم فينبغي أن يدقق النظر في هذه الأمور فإن
أجر الآخذ كأجر المعطي مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعطي يعطيه عن طيبة قلب ومن اطلع على هذه المعاني
أمكنه أن يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته والله أعلم هذه فضيلة
الكسب وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعا لأربعة أمور الصحة والعدل والإحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد
في كل واحد بابا ونبتدئ بذكر أسباب الصحة في الباب الثاني إن شاء الله

الباب الثاني

في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات
التي هي مدار المكاسب اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم وإنما هو طلب
العلم المحتاج إليه والمكتسب يحتاج إلى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها وما
شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب إشكالها فيتوقف فيها إلى أن يسأل فإنه إذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جملي
فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا أقدم العلم ولكني أصبر إلى أن تقع لي الواقعة فعندها أتعلم وأستفتي
فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فإنه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة
فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور وموضع الإشكال عن موضع الوضوح ولذلك
روي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف في السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه وإلا أكل
الربا شاء أم أبى وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها وهي البيع والربا والسلم والإجارة

والشركة

والشركة والقراض فلنشرح شروطها **العقد الأول** البيع وقد أحل الله البيع وله ثلاثة أركان العاقد والمعقود
عليه واللفظ **الركن الأول** العاقد ينبغي للتاجر أن لا يعامل بالبيع أربعة الصبي والمجنون والأعمى لأن الصبي غير مكلف (والعبد)
وكذا المجنون وبيعهما باطل فلا يصح بيع الصبي وإن أذن فيه الولي عند الشافعي وما أخذ منهما مضمون عليه لهما وما سلمه في المعاملة
إليهما فضاع في أيديهما فهو المضيع له وأما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه إلا بإذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب
وغيرهم أن لا يعاملوا العبيد ما لم يأذن لهم السيد في معاملتهم وذلك بأن يسمع منه صريحا أو ينتشر في البلد أنه مأذون
له في الشراء لسيده والبيع له فيعول على الاستفاضة أو على قول عدل يخبره بذلك فإن عامله بغير إذن السيد فعقده باطل
وما أخذ منه مضمون عليه لسيده وما سلمه إليه إن ضاع في يد العبد لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له إلا المطالبة
به إذا عتق **وأما** الأعمى فإنه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا يصح فليأمره أن يوكل وكيلا بصيرا ليشتري له أو يبيع فيصح توكيله ويصح
بيع وكيله فإن عامله بنفسه فالمعاملة فاسدة وما أخذه منه مضمون عليه بقيمته وما سلمه إليه أيضا مضمون له بقيمته
وأما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا الأمة المسلمة ولا يباع منه السلاح إن كان من أهل
الحرب فإن فعل فهي معاملات مردودة وهو عاص بها ربه **وأما** الجندية من الأتراك والتركمانية والعرب والأكراد
والسراق والخونة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكثر ماله حرام فلا ينبغي أن يتملك مما في أيديهم شيئا لأجل أنها حرام إلا إذا عرف
شيئا بعينه أنه حلال وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام **الركن الثاني** في المعقود عليه وهو المال المقصود
نقله من أحد العاقدين إلى الآخر ثمنا كان أو مثمنا فيعتبر فيه ستة شروط **الأول** أن لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع
كلب وخنزير ولا بيع زبل وعذرة ولا بيع العاج والأواني المتخذة منه فإن العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح ولا يطهر
عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات الميتة التي لا تؤكل وإن كان يصلح للاستصباح
ولا بأس ببيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فيه فإنه يجوز الانتفاع به في غير الأكل وهو في عينه
ليس بنجس وكذلك لا أرى بأسا ببيع بزر القز فإنه أصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان فإنه أولى
من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فأرة المسك ويقضى بطهارتها إذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة **الثاني** أن
يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات والفأرة والحية ولا التفات إلى انتفاع المشعوذ بالحية وكذلك انتفاع أرباب الحلق
بإخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الهرة والنحل والفهد والأسد وما يصلح لصيد أو ينتفع بجلده
ويجوز بيع الفيل لأجل الحمل ويجوز بيع الطوطي وهي الببغاء والطاوس والطيور المليحة الصور وإن كانت لا تؤكل فإن
التفرج بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح وإنما الكلب هو الذي لا يجوز أن يقتنى إعجابا بصورته لنهي رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنه ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهي فإنه لا منفعة لها شرعا وكذا بيع الصور
المصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الأعياد للعب الصبيان فإن كسرها واجب شرعا وصور الأشجار يتسامح بها
وأما الثياب والأطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة
اتخذي منها نمارق ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة وإذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه **الثالث**
أن يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد أو مأذونا فيه من جهة المالك فلا يجوز أن يشتري من غير المالك انتظارا للإذن من المالك
بل لو رضي بعد ذلك وجب استئناف العقد ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا
من الولد مال الوالد اعتمادا على أنه لو عرف لرضي به فإنه إذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وأمثال ذلك مما يجري
في الأسواق فواجب على العبد المتدين أن يحترز منه **الرابع** أن يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا
فما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه كالآبق والسمك في الماء والجنين في البطن وعسب الفحل وكذلك بيع الصوف على
ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فإنه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون
والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعها أيضا وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الأم
لأن في تسليمه تفريقا بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع **الخامس** أن يكون المبيع معلوم العين والقدر
والوصف أما العلم بالعين فبأن يشير إليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع أي شاة أردت أو ثوبا من هذه
الثياب التي بين يديك أو ذراعا من هذا الكرباس وخذه من أي جانب شئت أو عشرة أذرع من هذه الأرض وخذه من أي طرف

ثبت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين الا ان يبيع شايعا مثل ان يبيع نصف الشيء او عشره فان ذلك
جائز واما العلم بالمقدار فانما يحصل بالكيل او الوزن او النظر اليه فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا
يدريان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل اذا لم تكن الصنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من
الحنطة او بعتك بهذه الصبرة من الدراهم او بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة
المقدار واما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الاعيان فلا يصح بيع الغايب الا اذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يغلب التغير فيها
والوصف لا يقوم مقام العيان هذا اشد المذهبين ولا يجوز بيع الثوب في المنسوج اعتمادا على الرقوم ولا بيع الحنطة في
سنبلها ويجوز بيع الارز في قشرته التي يحرزها وكذا بيع اللوز والجوز في القشر السفلي ولا يجوز في القشرين ويجوز بيع الباقلا
الرطب في قشره للحاجة ويتسامح ببيع الفقاع بجريان عادة الاولين به ولكن نجعله اباحة بعوض فلو اشتراه ليبيعه فالقياس
بطلانه لانه ليس مستتر الخلقة ولا يبعد ان يتسامح به اذ في اخراجه افساده كالرمان وما يستر خلقته **السادس** ان
يكون المبيع مقبوضا ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع
ما لم يقبض ويستوي فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه وباعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار
بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم الا بان يكاله فاما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلا بمعاو
ضة فهو جائز قبل القبض **الركن الثالث** لفظ العقد ولا بد من جريان ايجاب وقبول متصل به بلفظ دال على
المقصود مفهم اما صريح او كناية فلو قال اعطيتك هذا بذاك بدل قوله بعتك فقال قبلت جاز مهما قصدا به البيع لانه
قد يحتمل الاعارة اذا كان في ثوبين او دابتين والنية ترفع الاحتمال والصريح اقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك
والحل ايضا فيما يخصانه ولا ينبغي ان يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط ان يزيد شيئا اخر او ان يحمل المبيع الى
داره او اشترى الحطب بشرط النقل الى بيته كل ذلك فاسد الا اذا افرد استيجاره على النقل باجرة معلومة مفردة
عن الشرا المنقول ومهما لم يجر بينهما الا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعي اصلا وانعقد
عند ابي حنيفة ان كانت في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير فان رد الامر الى العادات فقد جاوز الناس المحقرات في
المعاطاة اذ يتقدم الدلال الى بزاز ياخذ منه ثوب ديباج قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله الى المشتري ويعود اليه
بانه ارتضاه فيقول له خذ عشرة فياخذ من صاحبه العشرة ويحملها الى البزاز فياخذه ويتصرف فيه ومشتري الثوب
يقطعه ولم يجر بينهما ايجاب وقبول اصلا لذلك ويجتمع المجهزون على حانوت البياع فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا
فمن يزيد فيقول هذا على بتسعين ويقول الاخر على بخمسة وتسعين ويقول الاخر بمائة فيقال له زن فيزن ويسلم وياخذ
المتاع من غير ايجاب وقبول وقد استمرت به العادات وهذه من المعضلات التي ليست تقبل العلاج اذ الاحتمالات
ثلثة الاول اما فتح باب المعاطاة مطلقا في الحقير والنفيس وهو محال اذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه وقد احل الله
البيع والبيع اسم للايجاب والقبول ولم يجر ولم يطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم عادي فبماذا يحكم بانتقال
الملك من الجانبين لا سيما في الجواري والعبيد والعقارات والدواب النفيسة ومما يكثر التنازع فيها اذ للمسلم ان يرجع
ويقول قد ندمت وما بعته اذ لم يصدر مني الا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع الاحتمال الثاني ان يسد الباب كما
قاله الشافعي من بطلان العقد وفيه اشكال من وجهين احدهما انه يشبه ان يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمان
الصحابة ولو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلا منتشرا
ولكان يشتهر وقت الاعراض بالكلية عن تلك العادة فان الاعصار في مثل هذا تتفاوت **الثاني** ان الناس
الان انهمكوا فيه فلا يشتري الانسان شيئا من الاطعمة وغيرها الا ويعلم ان البايع قد ملكه بالمعاطاة فاي فايدة في
تلفظه بالعقد اذا كان الامر كذلك **الاحتمال الثالث** ان يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله ابو حنيفة وعند ذلك يتعسر الضبط
في المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج الى تخريج قول للشافعي على وفقه وهو
اقرب الاحتمالات الى الاعتدال فلا باس لو ملنا اليه لمسيس الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على الظن
بان ذلك كان معتادا في الاعصار الاولى فاما الجواب عن الاشكالين فهو ان نقول اما الضبط في الفصل بين المحقرات
وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فان ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان اذ لا يخفى ان شرا البقل وقليل من الفاكهة

والخبز واللحم من المعتاد في المحقرات التي لا يعتاد فيها الا المعاطاة وطالب الايجاب والقبول فيه يعد مستقصيا
ويستبرد تكلفه لذلك ويستثقل وينسب الى انه يقيم الوزن لامر حقير ولا وجه له فهذا طرف الحقارة والطرف
الثاني الدواب والعبيد والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الايجاب والقبول فيها وبينهما
اوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة فحق ذي الدين ان يميل فيها الى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم
بالعادة كذلك ينقسم الى اطراف واضحة واوساط مشكلة واما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو ان يجعل الفعل
باليد اخذا وتسليما سببا اذ اللفظ لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في
العادة وانضم اليه مسيس الحاجة وعادة الاولين واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير ايجاب وقبول مع التصرف
فيها واي فرق بين ان يكون فيه عوض او لا يكون اذ الملك لا بد من نقله في الهبة ايضا الا ان العادة السالفة لم تفرق في الهدايا
بين الحقير والنفيس بل كان طلب الايجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما نراه اعدل
الاحتمالات وحق الورع المتدين ان لا يدع الايجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف ولا ينبغي ان يمتنع بان البايع قد
ملكه بغير ايجاب وقبول فان ذلك لا نعرفه تحقيقا فربما اشتراه بايجاب وقبول فان كان حاضرا عند شرائه واقر البايع به
فليمتنع منه وليشتر من غيره فان كان الشيء محقرا وهو اليه محتاج فليتلفظ بالايجاب والقبول فانه يستفيد به قطع الخصومة
في المستقبل معه اذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن **فان قلت** ان امكن هذا فيما يشتريه فكيف
يفعل اذا حضر في ضيافة او على مائدة وهو يعلم ان اصحابها يتبايعون بالمعاطاة في البيع والشرا او سمع منهم ذلك او
راه ايجب عليه الامتناع من الاكل ام لا **فاقول** يجب عليه الامتناع من الشرا اذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا
نفيسا ولم يكن من المحقرات واما الاكل فلا يجب عليه الامتناع منه فاني اقول ان ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك
فلا ينبغي ان لا نجعله دلالة على الاباحة فان امر الاباحة اوسع وامر نقل الملك اضيق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة
فتسليم البايع اذن في الاكل يعلم ذلك بقرينة الحال كاذن الحمامي في دخول الحمام والاذن في الاطعام لمن يدخل المشتري
فينزل منزلة ما لو قال ابحت لك ان تاكل هذا الطعام او تطعم من اردت فانه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم
اغرم لي عوضه يحل الاكل ويلزمه الضمان بعد الاكل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة اكل ملكه ومتلف
له فعليه الضمان وذلك في ذمته والثمن الذي سلمه ان كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله ان يتملكه مهما عجز عن
مطالبة من عليه وان كان زايدا على مطالبته فانما لا يتملك ما ظفر به من ملكه لانه ربما لا يرضى تلك العين ان يصرفها الى دينه
فعليه المراجعة واما هاهنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد ان يجعل الفعل دلالة على الرضا بان يستوفي
دينه مما سلم اليه فيأخذه بحقه لكن على الاحوال جانب البايع اغمض لان ما اخذه فقد يريد الملك فيه ليتصرف ولا يمكنه
التملك الا اذا تلف عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفتقر الى استيناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا
استفاده من الفعل دون القول فاما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد الا الاكل فهين فان ذلك يباح بالاباحة المفهو
مة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مساقه ان الضيف يضمن ما اكله وانما يسقط الضمان عنه اذا تملك البايع ما اخذ
من المشتري فيكون كالقاضي دينه والمتحمل عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها والعلم عند الله وهذه احتمالات
وظنون رددناها ولا يمكننا الفتوى الا على هذه الظنون واما الورع فانه ينبغي ان يستفتي قلبه ويتقي مواضع الشبه
العقد الثاني عقد الربا وقد حرمه الله تعالى وشدد الامر فيه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين
على النقدين وعلى المتعاملين على الاطعمة اذ لا ربا الا في نقد او طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة والفضل
اما النسيئة فانه لا يبيع شيئا من جواهر النقدين بشيء من جواهر النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض في المجلس
وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب وشرا الدنانير المضروبة به حرام من حيث النسا ومن
حيث ان الغالب انه يجري فيه تفاضل اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه **واما الفضل** فليحترز منه في ثلثة امور في
بيع المكسر بالصحيح فلا يجوز المعاملة فيهما الا مع المماثلة وفي بيع الجيد بالردي فلا ينبغي ان يشتري رديا بجيد دونه في
الوزن او يبيع رديا بجيد فوقه في الوزن اعني اذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والدنانير المخلوطة من الذهب والفضة
ان كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليه اصلا الا اذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فانا نرخص في المعاملة

عليه اذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس ان لم تكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليها لان المقصود منه النقرة وهي مجهولة وان كان نقدا رائجا في البلد رخصنا له في المعاملة لاجل الحاجة وخروج النقرة عن ان تقصد استخراجا ولكن لا تقابل بالنقرة اصلا وكذلك كل حلي من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي ان يشترى بمتاع اخر ان كان قدر الذهب منه معلوما الا اذا كان مموها بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها من النقرة وبما اريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصيرفي ان يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولا ان يبيعه بل بالفضة ان لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها **واما** المتعاملون على الاطعمة فعليهم التقابض في المجلس اختلف جنس الطعام المبيع بالمشترى او لم يختلف وان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة والمعتاد في هذا معاملة القصاب بان يسلم اليه الغنم ويشتري به اللحم نقدا او نسيئة وهو حرام ومعاملة الخباز بان يسلم اليه الحنطة ويشتري به الخبز نسيئة او نقدا فهو حرام ومعاملة العصار بان يسلم اليه الجوز والسمسم والزيتون وغير ذلك مما يتخذ منه الدهن ليؤخذ منه الادهان وهو حرام وكذا اللبان يعطى اللبن ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر اجزاء اللبن فلا يباع الطعام بغير جنسه الا نقدا وبجنسه الا نقدا ومماثلا وكل ما يتخذ من الشيء المطعوم فلا يجوز ان يباع به متماثلا ولا متفاضلا فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ولا بالعنب دبس وخل وعصير ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومصل وجبن والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن الطعام في كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب متماثلا ولا متفاضلا فهذه جملة مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفتي فيها اذا تشكك والتبس عليه واذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدري **العقد الثالث** السلم وليراع التاجر فيه عشرة شروط **الاول** ان يكون راس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه امكن الرجوع الى قيمة راس المال فان اسلم كفا من الدراهم جزافا في كر حنطة لم يصح في احد القولين **الثاني** ان يسلم راس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم **الثالث** ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف اوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والابريسم والالبان واللحوم ومتاع العطارين واشباهها ولا يجوز في المعجونات والمركبات وما تختلف اجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة اجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق اليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه **الرابع** ان يستقصي وصف هذه الامور القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتا لا يتغابن فيه الا ذكره فان ذلك هو القائم مقام الرؤية في البيع **الخامس** ان يجعل الاجل معلوما ان كان مؤجلا فلا يؤجل الى الحصاد والى ادراك الثمار بل الى الاشهر والايام فان الادراك قد يتقدم ويتاخر **السادس** ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا ينبغي ان يسلم في العنب الى اجل لا يدرك فيه وكذا سائر الفواكه فان كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب افة فله ان يمهله ان شاء او يفسخ ويرجع في راس المال ان شاء **السابع** ان يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كيلا يثير ذلك نزاعا **الثامن** ان لا يعلقه بعين فيقول من حنطة هذا الزرع او ثمرة هذا البستان فان ذلك يبطل كونه دينا نعم لو اضاف الى ثمرة بلد او قرية كبيرة لم يضر ذلك **التاسع** ان لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز مثلها او جارية حسناء معها ولدها او غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا **العاشر** ان لا يسلم في طعام مهما كان راس المال طعاما سواء كان من جنسه او لم يكن ولا يسلم في نقد اذا كان راس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربوا **العقد الرابع** الاجارة ولها ركنان الاجرة والمنفعة فاما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والاجرة كالثمن فينبغي ان يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه في المبيع ان كان عينا وان كان دينا فينبغي ان يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه عن امور جرت العادة بها وهو كراء الدار بعمارتها فذلك باطل اذ قدر العمارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المكري ان يصرفها الى العمارة لم يجز لان عمله في الصرف الى العمارة مجهول ومنها استئجار السلاخ على ان ياخذ الجلد بعد السلخ واستئجار حمال الجيف بجلد الجيفة واستئجار الطحان بالنخالة او ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الاجير فلا يجوز ان يجعل اجرة ومنها ان يقدر

فهو لبضاعة حرام

والنقر

المقصود

في اجرة الدور والحوانيت مبلغ الاجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر اشهر الاجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الاجارة **الركن الثاني** المنفعة المعقودة بالاجارة وهي العمل وحده ان كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة ولكنا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات وانما نشير الى ما تعم به البلوى فليراع في العمل المستاجر عليه امور خمسة **الاول** ان يكون متقوما بان يكون فيه كلفة وتعب فلو استاجر طعاما ليزين به الدكان او اشجارا ليجفف عليها الثياب او دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فان هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم وبر من الاعيان وذلك لا يجوز بيعها ولهذا لو استاجر بياعا على ان يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما ياخذ البياعون عوضا عن جاههم وحشمتهم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام اذ ليس يصدر منهم الا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها وانما يحل لهم اذا تعبوا اما بكثرة التردد او بكثرة الكلام في تاليف امر المعاملة ثم لا يستحقون الا اجرة المثل فاما ما تواطا عليه الباعة فهو ظلم وليس ماخوذا بالحق **الثاني** ان لا يتضمن الاجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاعه ولا اجارة المواشي للبنها ولا اجارة البساتين لثمارها ويجوز استئجار المرضعة ويكون اللبن تابعا لان افراده غير ممكن وكذا يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط لانهما لا يقصدان على حيالهما **الثالث** ان يكون العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الاخرس على التعليم وغيره وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سن سليمة او قطع عضو لا يرخص الشرع في قطعه او استئجار الحائض على كنس المسجد او المعلم على تعليم السحر والفحش او استئجار زوجة الغير على الارضاع دون اذن زوجها او استئجار المصور على صور الحيوانات او استئجار الصائغ على صنعة الاواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل **الرابع** ان لا يكون العمل واجبا على الاجير او لا يكون بحيث لا تجري النيابة فيها عن المستاجر فلا يجوز اخذ الاجرة على الجهاد وعلى سائر العبادات التي لا نيابة فيها اذ لا يقع ذلك عن المستاجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي اخذ الاجرة على امامة صلاة التراويح وعلى الاذان وعلى التصدي للتدريس واقراء القرآن خلاف اما الاستئجار على تعليم مسالة بعينها او تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح **الخامس** ان يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز اهماله وتفصيل ذلك يطول وانما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الاحكام ويتفطن به لمواقع الاشكال فيسال فان الاستقصاء شان المفتي لا شان العوام **العقد الخامس** القراض وليراع فيه ثلثة اركان **الركن الاول** راس المال وشرطه ان يكون نقدا معلوما مسلما الى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فان التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدراهم لان قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز لانه يضيق طريق التجارة **الركن الثاني** الربح وليكن معلوما بالجزئية بان يشترط له الثلث او النصف او ما شاء فلو قال على ان لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز اذ ربما لا يكون الربح اكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع **الركن الثالث** العمل الذي على العامل وشرطه ان يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتاقيت فلو شرط ان يشتري بالمال ماشية ليطلب نسلها فيقاسمان النسل او حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح لم يصح لان القراض ماذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورتهما فقط وهذه حرف اعني الخبز ورعاية المواشي ولو ضيق عليه وشرط ان لا يشتري الا من فلان او لا يتجر الا في الخز الاحمر او شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكيل يتصرف فيه بالغبطة تصرف الوكلاء ومهما اراد المالك الفسخ فله ذلك فاذا فسخ في حالة المال كله نقد ولم يخف وجه القسمة وان كان عروضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه ان يرده الى النقد لان العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وان قال العامل ابيعه وابى المالك البيع فالمتبوع راي المالك الا اذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على راس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار راس المال بجنس راس المال لا بنقد اخر حتى يتميز الفاضل ربحا مشتركا فيه وليس عليه بيع الفاضل على راس المال ومهما كان راس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لاجل الزكاة فاذا كان قد ظهر من الربح ... والاخير

ان زكاة نصيب العامل على العامل وانه يملك الربح بالظهور وليس للعامل ان يسافر بمال القراض دون اذن المالك فان فعل صحت تصرفاته ولكنه يضمن الاعيان والاثمان جميعا لان عدوانه بالنقل يتعدى الى الثمن المنقول وان سافر بالاذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما ان نفقة الوزن والكيل والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله على راس المال فاما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له ان ياخذ عليه اجرة وعلى العامل نفقته وسكناه في البلد وليس عليه اجرة الحانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض واذا رجع فعليه ان يرد بقايا الات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما **العقد السادس** الشركة وهي اربعة انواع ثلثة منها باطلة **الاول** شركة المفاوضة وهو ان يقولا تفاوضنا لنشترك في كل ما لنا وعلينا وما لاهما متميزان **الثاني** شركة الابدان وهو ان يتشارطا الاشتراك في اجرة العمل **الثالث** شركة الوجوه وهو ان يكون لاحدهما منزلة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة غيره العمل وانما الصحيح **الرابعة** المسماة شركة العنان وهو ان يخلطا مالا هما بحيث لا يتميز الا بقسمة ويأذن كل واحد منهما في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز ان يعين ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف على المعزول وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك والصحيح انه يجوز عقد الشركة على العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب والا اقتحم الحرام من حيث لا يدري **واما** معاملة القصاب والخباز والبقال فلا يستغني عنها المكتسب وغير المكتسب والخلل فيه من ثلثة وجوه من اهمال شروط البيع او اهمال شروط السلم او الاقتصار على المعاطاة اذ العادات جارية بكتب الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك مما ارى القضاء باباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على اباحة التناول مع انتظار العوض فيحل الاكل ولكن يجب الضمان باكله ويلزمه قيمته يوم الاتلاف فيجتمع في الذمة تلك القيم واذا وقع التراضي على مقدار فينبغي ان يلتمس منهم الابراء المطلق حتى لا يبقى عهدة ان تطرق اليه تفاوت في التقويم فهذا ما يجب القناعة به فان تكليف وزن الثمن لكل واحد من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الايجاب والقبول والتقدير من كل قدر يسير منه فيه عسر واذا اكثر كل نوع سهل تقويمه

الباب الثالث

في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة ٭ اعلم ان المعاملة قد تجري على وجه يحكم المفتي بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله اذ ليس كل نهي يقتضي فساد العقد وهذا الظلم نعني به ما استضر به الغير وهو ينقسم الى ما يعم ضرره والى ما يخص المعامل **القسم الاول** فيما يعم ضرره وهو انواع **الاول** الاحتكار فبايع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الاسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره ٭ وروى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه وقيل فكانما قتل نفسا ٭ وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام اربعين يوما قسا قلبه ٭ وعنه انه احرق طعام محتكر بالنار ٭ وروي في فضل ترك الاحتكار عنه صلى الله عليه وسلم من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفي لفظ اخر فكانما اعتق رقبة ٭ وقيل في قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ان الاحتكار من الظلم وداخل تحته في الوعيد ٭ وعن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم تدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق سعة في السعر فقال له التجار ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخره جمعة فربح فيه امثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وانك قد خالفت وما نحب ان نربح اضعافه بذهاب شيء من الدين وقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة وليتني انجو من اثم الاحتكار كفافا لا علي ولا لي **واعلم** ان النهي مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس اما الجنس فيطرد النهي في اجناس الاقوات اما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالادوية والعقاقير والزعفران والطيب وامثاله فلا يتعدى النهي اليه وان كان مطعوما واما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسدا يغني عن القوت في بعض الاحوال وان كان لا يمكن المداومة عليه فهو في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه اما الوقت فيحتمل ايضا طرد النهي في جميع الاوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السعر ويحتمل ان يخصص بوقت قلة الاطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون في تاخير بيعه ضرر ما فاما اذا اتسعت الاطعمة وكثرت

واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطا فليس في هذا اضرار واذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وامثالها اضرار فينبغي ان يقضى بتحريمه ويعول في نفي التحريم واثباته على الضرار فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام واذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية لانه ينتظر مبادي الضرر وهو ارتفاع الاسعار وانتظار مبادي الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه وانتظار عين الضرار ايضا هو دون الاضرار فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الاقوات مما لا يستحب لانه طلب ربح والاقوات اصول خلقت قواما والربح من المزايا فينبغي ان يطلب فيما هو خارج خلقت من جملة المزايا التي لا ضرورة للخلق اليها ٭ ولذلك اوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس والصنعتان ان يكون جزارا فانها صنعة تقسي القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة **النوع الثاني** ترويج الزيف من الدراهم في اثناء النقد فهو ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فسيروجه على غيره وكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الايدي ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه فانه الذي فتح ذلك الباب ٭ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة يعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيئا ٭ وقال بعضهم انفاق درهم زيف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة ومائتي سنة واكثر الى ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من اموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة يعذب بها في قبره ويسال عنها الى اخر انقراضها ٭ قال تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم اي نكتب ايضا ما اخروه من اثار اعمالهم كما نكتب ما قدموه ٭ وفي مثله قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر وانما اخر اثار اعماله من سنة سيئة عمل بها غيره وليعلم ان في الزيف خمسة امور **الاول** انه اذا رد عليه شيء منه فينبغي ان يطرحه في بئر بحيث لا تمتد اليه اليد واياه ان يروجه في بيع اخر وان افسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز **الثاني** انه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصي به لنفسه ولكن لكيلا يسلم الى مسلم زيفا وهو لا يدري فيكون اثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم **الثالث** انه ان سلم وعرف المعامل انه زيف لم يخرج عن الاثم لانه ليس ياخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في اخذه اصلا فانما يتخلص من اثم الضرر الذي يخص معامله فقط **الرابع** انه اذا اخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه في بئر وان كان عازما على ان يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض خير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء **الخامس** ان الزيف نعني به ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه او ما لا ذهب فيه اعني في الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه وقد راينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة او لم يعلم وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذه خمرا وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بامثال هذا في التجارة اشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها فلذلك قال بعضهم التاجر الصدوق افضل من المتعبد وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله انه قال حملت على فرسي لاقتل علجا فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لا اعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكس الراس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت راسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرايت في النوم كان الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك اردت ان تاخذ علي العلج ثلث مرات وانت بالامس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زائفا لا يكون هذا ابدا قال فانتبهت فزعا

قد عيب الى العلاف وابدلت ذلك الدرهم فهذا امثال ما يعم ضرره وليقس عليه امثاله القسم الثاني ما يخص
ضرره المعامل فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل ان لا يضر باخيه المسلم والضابط الكلي فيه ان لا يحب لاخيه الا ما يحب
لنفسه فكل ما لو عومل به شق عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا يعامل غيره به بل ينبغي ان يستوي عنده درهمه ودرهم غيره وقال
بعضهم من باع اخاه شيئا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه الا بخمسة دوانق فانه قد ترك النصح المامور به في المعاملة
ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه هذه جملته فاما تفصيله ففي اربعة امور ان لا يثني على السلعة بما ليس فيها وان لا يكتم من عيوبها
وخفايا صفاتها شيئا اصلا وان لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئا وان لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه اما
الاول فهو ترك الثنا فان وصفه للسلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب فان قبل فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا وان لم يقبل
فهو كذب واسقاط مروة اذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروة وان اثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام
لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه لانه لم يتكلم بها قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان
يثني على السلعة بما فيها ولا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصفه من خفي اخلاق العبيد والجواري والدواب فلا باس بذكر
القدر الموجود منه من غير مبالغة واطناب وليكن قصده منه ان يعرفه اخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته
ولا ينبغي ان يحلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا فقد جا باليمين الغموس وهي من الكباير التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقا
فقد جعل الله تعالى عرضة لايمانه وقد اسا فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة وفي الخبر
ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد وفي الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة
للبركة وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة لا ينظر الله اليهم يوم القيمة عتل مستكبر ومنان
بعطيته ومنفق سلعته بيمينه واذا كان الثنا على السلعة مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا
يخفى التغليظ في امر اليمين وقد روي عن يونس بن عبيد وكان خزازا انه طلب منه خز للشرا فاخرج غلامه سفط
الخز ونشره ونظر اليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف ان يكون ذلك
تعريضا بالثنا على السلعة فمثل هولا هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم بل علموا ان ربح الاخرة اولى
بالطلب من ربح الدنيا الثاني ان يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فان اخفاه
كان ظالما غاشا والغش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ومهما اظهر احسن وجهي الثوب
واخفى الثاني كان غاشا وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك اذا عرض احسن فردي الخف والنعل
وامثاله ويدل على تحريم الغش ما روي انه صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فراى بللا
فقال ما هذا فقال اصابته السما فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا ويدل على وجوب
النصح باظهار العيوب ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط
عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال ان شئت فخذ وان شئت
فاترك فقيل له انك اذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم
وكان واثلة بن الاسقع رضي الله عنه واقفا فباع رجل ناقة له بثلثماية درهم فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة
فسعى وراه وجعل يصيح به وقال يا هذا اشتريتها للحم او للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا قد رايته وانها لا
تتابع السير فعاد فردها فنقصها البايع ماية درهم وقال لواثلة رحمك الله افسدت علي بيعي فقال انا بايعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد ان يبيع بيعا
الا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا تبيينه فقد فهموا من النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضى لنفسه ولم يعتقدوا
ان ذلك من الفضايل وزيادة المقامات بل اعتقدوا انها من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا امر يشق
على اكثر الخلق فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس لان القيام بحقوق الله تعالى مع المخالطة والمعاملة
مجاهدة لا يقوم بها الا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد امرين احدهما ان تلبيسه
العيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه بل يمحقه ويذهب ببركته وما يجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة
واحدة فقد حكي ان واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الما ويبيع فجا سيل وغرق البقرة فقال بعض اولاده

ان تلك المياه المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت البقرة كيف وقد قال صلى الله عليه
وسلم اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما واذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما وفي الحديث يد الله على الشريكين البايعان
ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذا لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان
بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في
الدين والدنيا والالاف المولفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الافلاس منها ويراه
اصلح له في بعض احواله فيعرف معنى قولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمعنى الثاني الذي لا
بد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه ان يعلم ان ربح الاخرة وغناها خير من ربح الدنيا وان فوايد اموال الدنيا
تنقضي بانقضا العمر وتبقى مظالمها واوزارها فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير والخير
كله في سلامة الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم
يوثروا صفقة دنياهم على اخرتهم وفي لفظ اخر ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا فعلوا
ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله كذبتم لستم بها صادقين وفي حديث اخر من قال لا اله الا الله مخلصا دخل
الجنة قيل وما اخلاصها قال ان تحجزه عما حرم الله وقال ايضا ما امن بالقران من استحل محارمه ومن علم ان
هذه الامور قادحة في ايمانه وان ايمانه راس ماله في تجارة الاخرة لم يضيع راس ماله المعد لعمر لا اخر له بسبب
ربح ينتفع به اياما معدودة وعن بعض التابعين لو دخلت الجامع وهو غاص باهله وقيل لي من خير هولا لقلت
من انصحهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قالوا من شرهم قلت من اغشهم لهم فاذا قيل هذا قلت هو
شرهم والغش حرام في البيوع والصنايع جميعا فلا ينبغي ان يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما
ارتضاه لنفسه بل ينبغي ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب فبه يتخلص وسال رجل حذا بن
سالم فقال له كيف لي ان اسلم في بيع النعال فقال اجعل الوجهين سوا ولا تفضل اليمنى على الاخرى وجود الحشو
وليكن شيا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق احد النعلين على الاخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه احمد
من الرفو بحيث لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه ويخفيه وانما يحل للرفا اذا علم انه يظهره او انه لا يريده للبيع فان
قلت فلا تتم المعاملة مهما وجب على الانسان ان يذكر عيوب المبيع فاقول ليس كذلك اذ شرط
التاجر ان لا يشتري للبيع الا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو امسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا
يحتاج الى التلبيس وانما تعذر هذا لانهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير الا بالتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر
المعيب فان وقع في يده معيبا نادرا فليذكره وليقنع بقيمته وباع ابن سيرين شاة فقال للمشتري ابرا اليك من
عيب فيها انها تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري انها تنخمت عندنا مرة دما
فهكذا كانت سيرة اهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة وليوطن نفسه على عذاب الاخرة الثالث ان لا يكتم
في المقدار وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي ان يكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا
اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ولا يخلص من هذا الا بان يرجح اذا اعطى وينقص اذا
اخذ اذ العدل الحقيقي قل ما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه بكماله يوشك ان
يتعداه وكان بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة وكان
يقول ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والارض وما اخسر من باع طوبى بويل وانما بالغوا في الاحتراز منه لانها
مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات حتى يجمعهم ويودي حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيا قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وارجح ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يصرفه
ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه فقال يا بني فعلك هذا افضل من حجتين وعشرين عمرة وقال بعض السلف
عجبت للتاجر والبايع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان صلوات الله وسلامه عليه يا بني
كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين وصلى بعض الصالحين على مخنث فقيل له انه كان فاسقا
فسكت فاعيد عليه فقال كانك قلت لي كان صاحب ميزانين يعطي باحدهما وياخذ بالاخر اشار به الى ان فسقه مظلمة بينه

وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه ابعد والتشديد في امر الميزان عظيم والخلاص منه
يحصل بحبة ونصف حبة • وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ولا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن باللسان
ولا تخسروا الميزان اي لسان الميزان فان النقصان والرجحان يظهر بميله وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره
ولو في كلمة ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فان
تحريم ذلك في المكيل ليس لكونه مكيلا بل لكونه امرا مقصودا ترك العدل والنصفة فيه فهو جار في جميع الاعمال فصاحب
الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب ميزان في افعاله واقواله وخطراته فالويل له ان عدل عن العدل ومال عن
الاستقامة ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلا ينفك عبد
ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة ولولا تعذر هذا الا ان درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما فلذلك تتفاوت
مدة مقامهم في النار الى اوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم الف والوف سنين فنسال الله
تعالى ان يقربنا الى الاستقامة والعدل فان الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل غير مطموع فيه فانه ادق من
الشعر واحد من السيف ولولا الاستقامة على الصراط المستقيم لا يجوز العبد على الصراط يوم القيامة وكل من خلط بالطعام
ترابا او غيره ثم كاله فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن وقس
على هذا سائر التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى ارسل الثوب في وقت الذرع ولم يمده مدا واذا
باعه مده في الذرع ليظهر تفاوتا في القدر فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل **الرابع** ان يصدق في سعر
الوقت ولا يخفي منه شيئا فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان ونهى عن النجش اما تلقي الركبان فهو ان يستقبل الرفقة
ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تتلقوا الركبان ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد ان
يقدم السوق وهذا الشرا منعقد ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وان كان صادقا ففي الخيار خلاف لتعارض عموم
الخبر مع زوال التلبيس ونهى عليه السلام ايضا ان يبيع حاضر لباد وهو ان يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد ان
يتسارع الى بيعه فيقول له الحضري اتركه عندي حتى اغالي في ثمنه وانتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع
خلاف والاظهر تحريمه لعموم النهي ولانه تاخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولي المضيق • ونهى عن
النجش وهو ان يتقدم الى البائع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها انما يريد تحريك رغبة المشتري
فيها فهذا ان لم تجر مواطاة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وان جرى مواطاة ففي ثبوت الخيار خلاف
والاولى اثبات الخيار لانه تغرير بفعل يضاهي التغرير في المصراة وتلقي الركبان فهذه المناهي تدل على انه لا يجوز ان يلبس على
البائع والمشتري سعر الوقت ويكتم منه امرا لو علماه لما اقدما على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب
وقد حكي عن رجل من التابعين انه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد اصابته
آفة في هذه السنة فاشتر السكر فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين الفا فانصرف الى منزله فافكر ليلته فقال ربحت
ثلاثين الفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما اصبح غدا الى بائع السكر فدفع اليه ثلاثين الفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن
اين صارت لي فقال اني كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد اعلمتني الان وقد طيبتها
لك قال فرجع بها الى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيا مني فتركها لي فبكر اليه من الغد وقال عافاك الله خذ
مالك اليك فهو اطيب لقلبي فاخذ منه ثلاثين الفا فهذه الاخبار في المناهي والحكايات تدل على انه ليس له ان يغتنم فرصة وينتهز
غفلة صاحب المتاع ويخفي من البائع غلاء السعر ومن المشتري تراجع الاسعار فان فعل ذلك كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما
باع مرابحة بان يقول بعت بما قام علي او بما اشتريته فعليه ان يصدق ثم يجب ان يخبر بما حدث بعد العقد من عيب او نقصان
ولو اشترى الى اجل وجب ذكره ولو اشترى مسامحة من صديقه او ولده يجب ذكره لان المعامل يعول على عادته في الاستقصاء
انه لا يترك النظر لنفسه فاذا تركه بسبب من الاسباب فيجب اخباره اذ الاعتماد فيه على امانته

الباب الرابع

في الاحسان في المعاملة وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى
سلامة راس المال والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة فهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات

الدنيا براس ماله فكذا في معاملات الاخرة فلا ينبغي للمتدين ان يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع ابواب الاحسان
وقد قال الله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقال سبحانه وتعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وقال تعالى ان رحمت الله قريب
من المحسنين ونعني بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل في باب العدل وترك
الظلم وقد ذكرناه وتنال رتبة الاحسان بواحد من ستة امور **الاول** في المغابنة فينبغي ان لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن
به في العادة فاما اصل المغابنة فماذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشتري
زيادة على الربح المعتاد اما لشدة رغبته في المبيع او لشدة حاجته في الحال الى البيع او لقلة خبرته بالمبيع فينبغي ان يمتنع عن قبوله
فذلك من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن اخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب
الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن **يروى** انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان
ضرب قيمة كل حلة منها اربعمائة وضرب قيمتها مائتان فمر الى الصلاة وخلف ابن اخيه في الدكان فجاء اعرابي وطلب حلة
باربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها فمضى بها وهي على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته
فقال بكم اشتريت فقال باربعمائة فقال لا تساوي اكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وانا ارتضيها فقال
له يونس انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن اخيه وقاتله
وقال اما استحييت اما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما اخذها الا وهو راض بها قال فهلا رضيت له
ما ترضاه لنفسك وهذا ان كان فيه اخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث غبن المسترسل حرام وقال
كان الزبير بن عدي يقول ادركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم احد يحسن يشتري لحما بدرهم فغبن مثل هؤلاء المسترسلين حرام
وظلم وان كان من غير تلبيس فهو من ترك الاحسان وقل ما يتم هذا الا بنوع تلبيس واخفاء سعر الوقت وانما الاحسان المحض ما نقل
عن سري السقطي انه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتب في روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه وكان راى ان يربح على العشرة نصف
دينار فصار اللوز بتسعين فاتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه فقال بكم فقال بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من
الصالحين فقد صار اللوز بتسعين فقال السري قد عقدت عقدا لا احله لست ابيعه الا بثلاثة وستين فقال الدلال وانا
عقدت بيني وبين الله ان لا اغش مسلما لست آخذ منك الا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السري باعه فهذا محض
الاحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال • وروي عن محمد بن المنكدر انه كان له شقاق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة
فباع في غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الاعرابي المشتري طول النهار حتى وجده فقال
له ان الغلام قد غلط عليك فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال وان رضيت فانا لا نرضى لانفسنا
فاختر احدى ثلاث خصال اما ان تاخذ شقة من العشريات بدراهمك واما ان نرد عليك خمسة واما ان ترد شقتنا وتاخذ دراهمك
فقال اعطني خمسة فرد عليه خمسة فانصرف الاعرابي يسال ويقول من هذا الشيخ فقيل هذا محمد بن المنكدر فقال لا اله الا الله هذا
الذي نستسقي به في البوادي اذا قحطنا فهذا احسان في ان لا يربح على العشرة الا نصفا او واحدا على ما جرت به العادة
في مثل ذلك المتاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة كان
علي رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا
كثيره • وقيل لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما سبب يسارك قال بثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب مني حيوان فاخرت
بيعه ولا بعت بنسيئة ويقال انه باع الف ناقة فما ربح فيها الا عقلها باع كل عقال بدرهم فربح فيها الفا وربح من نفقته عليها ليومه
الفا **الثاني** في احتمال الغبن والمشتري ان اشترى طعاما من ضعيف او شيئا من فقير فلا باس ان يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به
محسنا وداخلا في قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله امرا سهل البيع سهل الشرا فاما اذا اشترى من غني تاجر يطلب من الربح زيادة
على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير اجر ولا حمد فقد ورد من حديث من طريق اهل البيت المغبون
لا محمود ولا ماجور • وكان اياس بن معاوية قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين كان يقول لست بخب والخب لا يخدعني ولا يخدع
كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يخدع • وكان الحسن والحسين وغيرهما من
خيار السلف يستقصون في الشرا ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم
تهب الكثير ولا تبالي فقال ان الواهب يعطي فضله وان المغبون يغبن عقله • وقال بعضهم انما اغبن عقلي وبصري فلا امكن

لك الا ما نرضاه

ابن سيرين ولا الحسن
ويخدع ابي يعني معاوية بن قرة
والكمال في ان لا تغبن ولا تغبن

الغابن منه واذا وهبت فاعطي به ولا استكثر له شيئا **الثالث** في استيفاء الثمن وساير الديون والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتاخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرا سهل البيع سهل الشرا سهل القضا سهل الاقتضا فليغتنم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم اسمح يسمح لك وقال صلى الله عليه وسلم من انظر معسرا او ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ اخر اظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني كنت رجلا اداين الناس فاقول لفتياني سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفي لفظ اخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله نحن احق بذلك منك فتجاوز الله عنه وغفر له وقال صلى الله عليه وسلم من اقرض دينا الى اجل فله بكل يوم صدقة الى اجله فاذا حل الاجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وقد كان من السلف من لا يحب ان يقضي غريمه الدين لاجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق بجميعه كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقيل في معناه ان الصدقة قد تقع بيد المحتاج وغير المحتاج ولا يحتمل ذل الاستقراض الا محتاج ونظر النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل يلازم رجلا بدين فاوما الى صاحب الدين بيده ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعطه وكل من باع شيا وترك ثمنه في الحال ولم يرهقه الى الطلب فهو في معنى القرض وروى ان الحسن البصري باع بغلة له باربع مائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا ابا سعيد قال قد اسقطت عنك ماية فقال له فاحسن يا ابا سعيد فقال قد وهبت لك ماية اخرى فقبض من حقه مايتي درهم فقيل يا ابا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الاحسان والا فلا وفي الخبر خذ حقك في عفاف واف او غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا **الرابع** في توفية الدين ومن الاحسان فيه حسن القضا وذلك بان يمشي الى صاحب الحق ولا يكلفه ان يمشي اليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم خيركم احسنكم قضا ومهما قدر على قضا الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وليسلم اجود مما شرط عليه واحسن وان عجز فلينو قضاه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم من ادان دينا وهو ينوي قضاه وكل به ملايكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاه صاحب الدين عند حلول الاجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم به اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالاحسان ان يكون الميل الاكثر من المتوسط الى من عليه الدين فان المقرض يقرض عن الغنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذا ينبغي ان يكون الاعانة للمشتري اكثر فان البايع راغب عن السلعة يبغي ترويجها والمشتري محتاج اليها هذا هو الاحسن الا ان يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه من تعديه واعانة صاحبه اذ قال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال منعك اياه من الظلم نصرة له **الخامس** ان يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع ولا ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار اخيه المسلم قال صلى الله عليه وسلم من اقال نادما صفقته اقاله الله عثرته يوم القيامة او كما قال **السادس** ان يقصد في معاملته جماعة من الفقرا بالنسية وهو في الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم يظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف من له دفتران للحساب احدهما ترجمته مجهول فيه اسما من لا يعرف من الضعفا والفقرا وذلك ان الفقير كان يرى الطعام او الفاكهة فيشتهيه فيقول احتاج خمسة ارطال من هذا مثلا وليس معي ثمنه فكان يقول خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل انما عد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه في الدفتر اصلا ولم يجعله دينا لكن يقول خذ ما تريد فان يسر لك فاقض والا فانت في حل منه وسعة فهذا طرق تجارات السلف وقد اندرست والقايم به محيي هذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه ولذلك قيل هذه الابيات

لا يغرنك من المرء قميص رقعه ... او ازار فوق كعب الساق منه رفعه

ولدى الدرهم فانظر غيه وورعه

ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل جيرانه في الحضر واصحابه في السفر وعاملوه في الاسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال ايتني بمن يعرفك فاتاه برجل فاثنى عليه خيرا فقال له عمر انت جاره الادنى الذي تعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق

فقال لا فقال عاملته بالدينار والدرهم الذي يتبين ورع الرجل فقال لا قال اظنك رايته قايما في المسجد يهمهم بالقران يخفض راسه طورا ويرفعه اخرى قال نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فايتني بمن يعرفك ه

الباب الخامس

في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم اخرته لا ينبغي للتاجر ان يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح في الاخرة لا يفي به ما يناله في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالاخرة بل العاقل ينبغي ان يشفق على دينه ونفسه وشفقته على نفسه بحفظ راس ماله وراس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف اولى الاشيا بالعاقل احوجه اليه في العاجل واحوج شي اليه في العاجل احمده عاقبة في الاجل وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في وصيته انه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وانت الى نصيبك من الاخرة احوج فابدا بنصيبك من الاخرة فخذه فانه سيمر على نصيبك من الدنيا فينتظمه وقال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس في الدنيا نصيبك منها للاخرة فانها مزرعة الاخرة وفيها تكتسب الحسنات والسيات وانما تتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة امور **الاول** حسن النية والعقيدة في ابتدا التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السوال وكف الطمع عن الناس استغنا بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين وان يحب لساير الخلق ما يحب لنفسه ولينو اتباع طريق العدل والاحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه ويتعد في السوق فاذا اضمر هذه العقايد والنيات كان عاملا في طريق الاخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وان خسر في الدنيا ربح في الاخرة **الثاني** ان يقصد القيام في صنعته او تجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك الخلق فانتظام امر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو اقبلوا كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة اي اختلاف هممهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها الى طلب التنعم والتزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما وضع ليزخرف به الدنيا فكل ذلك كرهه ذوو الدين فاما عمل الملاهي والالات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الابريسم للرجال وصياغة الصايغ مراكب الذهب وخواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والاجرة الماخوذة عليه حرام ولذلك اوجبنا الزكاة فيها وان كنا لا نوجب الزكاة في الحلي لانها اذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهياة للنسا لا يلحقها بالحلي المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا ان بيع الطعام وبيع الاكفان مكروه لانه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلا الاسعار ويكره ان يكون جزارا لما فيه من قساوة القلب وان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغنا الدلال عن الكذب والافراط في الثنا على السلعة لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى العمل بل الى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب وكرهوا شرا الحيوان للتجارة لان المشتري يكره قضا الله فيه وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة وحلوله وقيل بع الحيوان واشتر الموتان وكرهوا الصرف لان الاحتراز فيه عن دقايق الربا عسير ولانه طلب لدقايق الصفات فيما لا يقصد اعيانها وانما يقصد رواجها وقلما يتم للصيرفي ربح الا باعتماده جهالة معامله بدقايق النقد فقلما يسلم الصيرفي وان احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الدرهم الصحيح والدينار الا عند الشك في جودته او عند ضرورة قال احمد بن حنبل ورد نهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه في الصياغة من الصحاح وانا اكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري ذهبا ويصوغه واستحبوا تجارة البز قال سعيد بن المسيب ما من تجارة احب الي من البز ما لم يكن فيها ايمان وقد روي خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز وفي حديث اخر لو اتجر اهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف وقد كانت غالب اعمال الاخيار من السلف عشر صنايع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة قال عبد

الوهاب قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك فقلت الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك ثم
قال لي لا تكتب الا مواسطة واستبق الحواشي وظهور الاجزاء واربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الراي
الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول
تضعف العقول كما ان مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن مجاهد ان مريم مرت في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت
الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقرا وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاها
وكره السلف اخذ الاجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الموتى ودفنهم وكذا الاذان وصلوة
التراويح وان حكم بصحة الاستيجار عليه وكذا تعليم القران وتعليم علم الشرع فان هذه اعمال حقها ان يتجر بها للاخرة
واخذ الاجرة عليها استبدال بالدنيا عن الاخرة فلا يستحب ذلك **الثالث** ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الاخرة
واسواق الاخرة المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكوة وقال
تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فينبغي ان يجعل اول النهار الى وقت دخول السوق لاخرته فيلازم المسجد
ويواظب على الاوراد وكان عمر رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لاخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا
السلف يجعلوا اول النهار واخره للاخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤس الا الصبيان واهل الذمة لانهم
كانوا في المساجد بعد وفي الخبر ان الملايكة اذا صعدت بصحيفة العبد وفي اول النهار وفي اخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما
من سيء الاعمال وفي الخبر تلتقي ملايكة النهار والليل عند طلوع الفجر وعند صلوة العصر فيقول الله تعالى كيف تركتم
عبادي فيقولون تركناهم يصلون وجيناهم يصلون فيقول الله تعالى اشهدكم اني قد غفرت لهم ثم مهما سمع الاذان
في وسط النهار للاولى والعصر فينبغي ان لا يعرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه فما يفوته من فضيلة
التكبيرة مع الامام في اول الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلما وقد كان السلف
يبتدرون عند الاذان ويخلون الاسواق للصبيان واهل الذمة فكانوا يستاجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت وكان
ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا حدادين وخرازين فكان
احدهم اذا رفع المطرقة او غرز الاشفى فسمع الاذان لم يخرج الاشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة وقام الى الصلاة **الرابع**
ان لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل فذكر الله في السوق من الغافلين كالمقاتل خلف
الفارين وكالحي بين الاموات وفي لفظ اخر كالشجرة الخضرا بين الهشيم وقال صلى الله عليه وسلم من دخل السوق فقال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب
الله له الف الف حسنة وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا
الذكر وقال الحسن ذاكر الله تعالى في السوق يجي يوم القيمة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر
الله في السوق غفر الله له بعدد اهلها وكان عمر رضي الله عنه اذا دخل السوق يقول اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفسوق
ومن شر ما احاطت به السوق اللهم اني اعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة وقال ابو جعفر الفرغاني كنا يوما عند الجنيد
فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل
السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه ان يدخل المسجد وياخذ باذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه اني لاعرف رجلا
يدخل السوق ورده كل يوم ثلثماية ركعة وثلثون الف تسبيحة قال فسبق الى وهمي انه يعني نفسه فهكذا كانت تجارة من يتجر
لطلب الكفاية لا للتنعم في الدنيا فان من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الاخرة كيف يدع ربح الاخرة والسوق والمسجد والبيت
له حكم واحد وانما النجاة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين
كيف ما تقلبت بهم الاحوال وبه يكون حياتهم وعيشهم اذ فيه يرون تجارتهم وربحهم وقد قيل من احب الاخرة عاش ومن احب
الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش **الخامس** ان لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بان لا يكون
اول داخل واخر خارج وبان يركب البحر في التجارة فهما مكروهان يقال من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر
لا يركب البحر الا لحج او عمرة او غزو وكان عمرو بن العاص يقول لا تكن اول داخل الى السوق ولا اخر خارج منها فان بها
باض الشيطان وفرخ وروي عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر ان ابليس يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فات اصحاب

احاطت

الاسواق بين الحلف والكذب والخديعة والمكر والخيانة وكن مع اول داخل واخر خارج منها وفي الخبر شر البقاع
الاسواق وشر اهلها اولهم دخولا واخرهم خروجا وتمام هذا الحذر ان يراقب وقت كفايته فاذا حصل كفاية وقته
انصرف واشتغل بتجارة الاخرة هكذا كان صالحوا السلف فقد كان منهم من اذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان حماد بن
سلمة يبيع الخز في سفط بين يديه وكان اذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال ابرهيم بن بشار قلت لابرهيم بن ادهم امر اليوم
اعمل في الطين فقال يا ابن بشار انك طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب ما لا يفوتك اما رايت حريصا محروما وضعيفا
مرزوقا فقلت ان لي دانقا عند البقال فقال عز علي بك تملك دانقا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم
بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الاسبوع الا يوما او يومين وكانوا يكتفون به **السادس** ان لا يقتصر على اجتناب الحرام
بل يتقي مواضع الشبهة ومظان الريب ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتي قلبه فما وجد فيه حزازة اجتنبه واذا حمل اليه سلعة
رابه امرها سال عنها حتى يعرف والا اكل الشبهة وقد حمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من اين لكم هذا فقيل
من الشاة فقال ومن اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معاشر الانبياء امرنا ان لا ناكل الا طيبا ولا
نعمل الا صالحا وقال ان الله تعالى امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
فسال صلى الله عليه وسلم عن اصل الشيء وعن اصل اصله ولم يزد لان ما وراء ذلك يتعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام
موضع وجوب هذا السوال فانه كان عليه السلام لا يسال عن كل ما يحمل اليه وانما الواجب ان ينظر التاجر الى من
يعامله فكل منسوب الى ظلم او خيانة او سرقة او ربوا فلا يعامله وكذلك الاجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل
اصحابهم واعوانهم لانه معين بذلك على الظلم وحكي عن رجل انه تولى عمل سور لثغر من الثغور فقال وقع في
نفسي من ذلك شيء وان كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرايض الاسلام لكن كان الامير الذي تولى على يديه من الظلمة قال
فسالت سفيان فقال لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور في سبيل الله للمسلمين فقال نعم ولكن اقل ما يدخل عليك ان
تحب بقاهم ليوفوك اجرك فتكون قد احببت بقا من يعصي الله وقد جاء في الخبر من دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله
في ارضه وفي الحديث ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر اخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام
وقد دخل سفيان على المهدي وبيده درج ابيض فقال يا سفيان اعطني الدواة حتى اكتب فقال اخبرني اي شيء تكتب فان
كان حقا اعطيتك وطلب بعض الامرا من بعض العلما المحبوسين عنده ان يناوله طينا ليختم به الكتاب فقال ناولني الكتاب
اولا حتى انظر ما فيه هكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاونتهم اشد انواع الاعانة فينبغي ان يجتنبه
ذوو الدين ما وجدوا اليه سبيلا وبالجملة فينبغي ان ينقسم الناس عنده الى من يعامل والى من لا يعامل وليكن من يعامله اقل ممن
لا يعامله في هذا الزمان قال بعضهم اتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون لي ان اعامل
فيقال عامل من شئت ثم اتى زمان كانوا يقولون عامل من شئت الا فلانا وفلانا ثم اتى وقت اخر فكان يقال لا تعامل احدا
الا فلانا وفلانا واخشى ان ياتي زمان يذهب هذا ايضا وكانه قد كان الذي كان يحاذر ان يكون انا لله وانا اليه راجعون
السابع ينبغي ان يراعي جميع مجاري معاملته مع كل احد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب
والعقاب في كل فعلة وقولة انه لم اقدم عليها ولاجل ماذا فانه يقال انه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل باعه
شيئا وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عاملهم قال بعضهم رايت بعض التجار في النوم فقلت ماذا
فعل الله بك فقال نشر علي خمسون الف صحيفة فقلت اهذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد من كنت عاملته في
الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من اول المعاملة الى اخرها فهذا ما على المكتسب في معاملته من العدل والاحسان
والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين وان اضاف اليه الاحسان كان من المقربين فان راعى مع ذلك
وظايف الدين كما ذكرناه في الباب الخامس كان من الصديقين والله اعلم تم كتاب الكسب ويتلوه كتاب الحلال والحرام

بلغ

كتاب الحلال والحرام

وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال ثم ركب صورته في احسن تقويم

وانم اعتدال ثم غذاه في اول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغا كالماء الزلال ثم حماه بما اتاه من طيبات الرزق
عن دواعي الضعف والانحلال ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما افترضه عليه من طلب القوت
الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للاضلال ولقد كان يجري من ابن ادم مجرى الدم السيال فضيق عليه عزة
الحلال المجرى والمجال اذ كان لا يسترقه الى اعماق العروق الا الشهوات المائلة الى الغفلة والاسترسال فبقي لما زمت من زمام
الحلال خائبا خاسرا ما له من ناصر ولا وال والصلاة على محمد الهادي من الضلال وعلى اله خير ال **اما بعد**
فقد قال صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه بن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض
اعصاها على العقول فهما واثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله
اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود وان السبيل دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش
النابت في الموات وما عداه فقد اخبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذ تعذرت القناعة بالحشيش من
النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اصلا ولم يدركوا بين الاموال فرقا ولا فصلا
وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيف ما تقلبت الحالات
ولما كانت هذه البدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالارشاد الى مدرك
الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه في التحقيق والبيان لا يخرجه التضييق عن حيز الامكان ونحن نوضح
ذلك في سبعة ابواب **الباب الاول** في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام وكذا درجات الحلال والحرام
الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام **الباب الثالث** في البحث والسؤال
والهجوم والاهمال ومظانهما في الحلال والحرام **الباب الرابع** في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية **الباب
الخامس** في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم **الباب السادس** في الدخول على السلاطين
ومخالطتهم **الباب السابع** في مسائل متفرقة

الباب الاول

في الحلال والحرام وفيه فضيلة
الحلال ومذمة الحرام وبيان اصناف الحرام ودرجاته واصناف الحرام ودرجات الورع فيه **فضيلة الحلال ومذمة الحرام**
قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل وقيل ان المراد به الحلال وقال تعالى ولا
تاكلوا اموالكم بالباطل وقال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا
ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ثم قال فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ثم قال وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم
ثم قال ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون جعل الربا في اول الامر مؤذنا بمحاربة الله وفي اخره متعرضا للنار
والايات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الحلال فريضة على
كل مسلم ولما قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال بعض العلماء اراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل
المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا
في عفاف كان في درجة الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة
من قلبه على لسانه وفي رواية زهده الله تعالى في الدنيا وروى ان سعدا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسال الله تعالى
ان يجعله مجاب الدعوة فقال له اطب طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا قال رب
اشعث اغبر مشرد في الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فانى يستجاب لذلك
وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه
صرف ولا عدل فالصرف النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي
ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته ما دام عليه وقال صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به
وقال صلى الله عليه وسلم من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله من اين ادخله النار وقال صلى الله عليه وسلم
العبادة عشرة اجزاء فتسعة منها في طلب الحلال روي ذلك مرفوعا وموقوفا على بعض الصحابة ايضا وقال صلى الله
عليه وسلم من امسى وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له واصبح والله عنه راض وقال صلى الله عليه وسلم من
اصاب مالا من ماثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار وقال

صلى الله عليه وسلم خير دينكم الورع وقال صلى الله عليه وسلم من لقي الله ورعا اعطاه الله ثواب الاسلام كله
ويروى ان الله عز وجل قال واما الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال صلى الله عليه وسلم درهم من ربا اشد على
الله من ثلاثين زنية في الاسلام وفي حديث ابي هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة
صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعام من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت
الاساس وقوي استقام البناء وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع وقد قال الله تعالى افمن اسس
بنيانه على تقوى الاية وفي الحديث من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده
الى النار وقد ذكرنا جملة من الاخبار في كتاب اداب الكسب ما يشفع عن فضيلة كسب الحلال **واما الاثار** فقد
روي ان الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم ساله فقال تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصبعه في
فيه وجعل يقيء حتى ظننت ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفي
بعض الاخبار انه صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال او ما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا ولذلك شرب
عمر لبنا من ابل الصدقة غلطا فادخل اصبعه وتقيا وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة
الورع وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار لم يقبل ذلك منكم الا بورع
حاجز وقال ابرهيم بن ادهم لم يدرك الامر من ادرك الا من كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف
ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لابرهيم بن ادهم الا تشرب من ماء زمزم
قال لو كان لي دلو لشربت وقال سفيان الثوري من انفق الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول
والثوب لا يطهره الا الماء والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله تعالى ومفتاحها
الدعاء واسنانها لقم الحلال وقال ابن عباس لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقال سهل التستري لا
يبلغ حقيقة الايمان حتى يكون فيه اربع خصال اداء الفرائض بالسنة واكل الحلال بالورع واجتناب النهي من
الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال من احب ان يكاشف بايات الصديقين فلا ياكل الا الحلال ولا
يعمل الا في سنة او ضرورة ويقال من اكل الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهو تاويل قوله تعالى كلا بل ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة احب الي من ان اتصدق بمائة الف ومائة الف
حتى بلغ ستمائة الف وقال بعض السلف ان العبد ياكل اكلة فينقلب قلبه فينغل كما ينغل الاديم فلا يعود الى حاله
ابدا وقال سهل من اكل الحرام عصت جوارحه شاء ام ابى علم او لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا اطاعته جوارحه
ووفقت للخيرات وقال بعض السلف ان اول لقمة ياكلها العبد من حلال يغفر له بها ما سلف من ذنوبه ومن اقام
نفسه مقام ذل في طلب الحلال قطعت عنه ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر وروي في اثار السلف ان تساقطت
الواعظ كان اذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلاثا فان كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فانه عن لسان
الشيطان ينطق وان كان سيئ الطعمة فعن الهوى ينطق وان لم يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه اكثر مما يصلح
فلا تجالسوه وفي الاخبار المشهورة عن علي وغيره ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد اخرون
وشبهاتها عتاب وروي ان بعض الصالحين دفع طعاما الى بعض الابدال فلم ياكله فساله عنه فقال نحن لا ناكل
الا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف الملكوت ونشاهد الاخرة ولو اكلنا مما تاكلون
ثلاثة ايام لما رجعنا الى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل فاني اصوم الدهر واختم القران
في كل شهر ثلاثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة من لبن التي رايتني شربتها احب الي من ثلاثين ختمة في ثلثمائة ركعة من
اعمالك وكانت شربة لبن من ظبية وحشية وقد كان بين احمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة فهجره احمد
اذ سمعه يقول اني لا اسال احدا شيئا ولو اعطاني السلطان شيئا لاكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت امزح فقال
تمزح بالدين اما علمت ان الاكل من الدين قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا وفي الخبر مكتوب في التوراة من لم يبال من اين مطعمه لم يبال الله من اي ابواب النار ادخله وعن
علي رضي الله عنه انه لم ياكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاما الا مختوما حذرا من الشبهة واجتمع فضيل بن

عياض وابن عيينة وابن مبارك عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب الطعام الي الا
اني لا اكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها فقال ابن المبارك ان نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز قال وما
سببه قال ان اصول الضياع قد اختلطت بالصوافي فغشي على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل فقال ابن المبارك
ما اردت الا ان اهون عليه فلما افاق قال لله علي ان لا اكل خبزا ابدا حتى القاه وكان يشرب اللبن فاتته امه بلبن فسالها
فقالت هو من شاة بني فلان فسال عن ثمنها وانه من اين لهم فذكرت فلما ادناه من فيه قال بقي انها من اين كانت ترعى فسكتت
فلم يشربه لانها كانت ترعى في موضع للمسلمين فيه حق فقالت امه اشرب فان الله يغفر لك قال ما احب ان الله يغفر لي وقد
شربته فانال مغفرته بمعصيته ● وكان بشر الحافي من الورعين فقيل له من اين تاكل فقال من حيث تاكلون ولكن
ليس من ياكل ويبكي مثل من ياكل وهو يضحك وقال يد اقصر من يد ولقمة اصغر من لقمة فهكذا كانوا يحترزون عن الشبهات

اصناف الحلال والحرام ومداخله اعلم ان تفصيل الحلال والحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغني المريد عن تطويله
بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حله وكان لا ياكل من غيره فاما من يتوسع في الاكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم
الحلال والحرام كله كما فصلناه في كتب الفقه ونحن الان نشير الى مجامعه في سياق تقسيم وهو ان المال انما يحرم اما لمعنى
او لخلل في جهة اكتسابه **القسم الاول** الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله ان في عينه الخلل
الاعيان الماكولة على وجه الارض لا تعدو ثلاثة اقسام فانها اما ان يكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما او من
النبات او من الحيوان فاما المعادن وهي اجزاء الارض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم اكله والطين الذي يعتاد اكله لا
يحرم الا من حيث الضرر وفائدة قولنا انه لا يحرم مع انها لا تؤكل انه لو وقع شيء منها في مرقة او طعام لم يصر به محرما
واما النبات فلا يحرم منها الا ما يزيل العقل او يزيل الحياة او الصحة فمزيل العقل البنج والخمر وسائر المسكرات ومزيل
الحياة السموم ومزيل الصحة الادوية في غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع الى الضرر الا الخمر والمسكرات فان الذي لا يسكر
منها حرام ايضا مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة واما السم فاذا خرج عن كونه مضرا بقلته او بعجنه بغيره فلا
يحرم ● واما الحيوانات فتنقسم الى ما يوكل والى ما لا يوكل وتفصيله في كتاب الاطعمة والنظر يطول في تفصيله
لا سيما في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل اكلها فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا روعي فيه شروط
الذابح والالة والمذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد والذبائح وما لم يذبح ذبحا شرعيا او مات فهو حرام ولا
يحل الا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما يستحيل من الاطعمة كدود التفاح والجبن فان الاحتراز عنهما غير ممكن
فاما اذا افردت واكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة ولا سبب في تحريمها الا
الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره وان وجد شخص لا يستقذره لم يلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق بالخبائث لعموم
الاستقذار فيكره اكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك وليست الكراهة لنجاستها فان الصحيح انها لا تنجس بالموت
اذ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يمقل الذباب في الطعام اذا وقع فيه وربما يكون حارا ويكون ذلك
سبب موته ولو تهرت نملة او ذبابة في قدر لم يجب اراقتها والمستقذر يحرم اذا لم يكن له جرم ولم ينجس حتى
يحرم بالنجاسة وهذا يدل على تحريمه للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزء من ادمي ميت في قدر ولو وزن دانق
حرم الكل لا لنجاسته فان الصحيح ان الادمي لا ينجس بالموت ولكن لان اكله محرم احتراما لا استقذارا واما
الحيوانات الماكولة اذا ذبحت بشرط الشرع فلا يحل جميع اجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته
منه بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن ليس في الاعيان شيء محرم نجس الا من الحيوانات واما من النبات فالمسكرات
فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج وان نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشوف ومهما
وقعت قطرة من النجاسة او جزء من نجاسة جامدة في مرقة او طعام او دهن حرم اكله جميعه ولا يحرم الانتفاع به
لغير الاكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة في
نفسه **القسم الثاني** ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه وفيه يتسع النظر فنقول اخذ المال اما
ان يكون باختيار المالك او بغير اختياره فالذي ليس باختياره اما ان لا يكون من مالك كنيل المعادن او يكون من مالك كالارث والذي باختيار
والذي يوخذ من مالك فاما ان يوخذ قهرا او يوخذ تراضيا والماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك

او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يوخذ بعوض كالبيع
والصداق والاجرة واما ان يوخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا التقسيم ستة اقسام **الاول**
ما لا يوخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا
حلال بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة من الادميين فاذا انفك عن الاختصاصات ملكها اخذها وتفصيل ذلك
في كتاب احياء الموات **الثاني** الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك
حلال للمسلمين اذا اخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوها من كافر له حرمة وامان وعهد وتفصيل
هذه الشروط في كتاب السير وكتاب الفيء والغنيمة وكتاب الجزية **الثالث** ما يوخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من
وجب عليه فيوخذ دون رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه
واقتصر على القدر المستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض او سلطان او مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق
الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات اذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكاة والوقف وغيرها من الحقوق
فاذا استوفيت شرائطها كان الماخوذ حلالا **الرابع** ما يوخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط
العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين اعني الايجاب والقبول مما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط
الفاسدة وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والاجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة
والصلح والخلع والكتابة والصداق وسائر المعاوضات **الخامس** ما يوخذ بالرضا من غير عوض وهو
حلال اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يود الى ضرر بوارث او غيره وذلك
مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات **السادس** ما يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال اذ
كان المورث قد اكتسب من بعض الجهات الخمسة على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل بل
القسمة بين الورثة واخراج الزكاة والحج والكفارة ان كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض فهذه
مجامع مداخل الحلال اشرنا الى جملتها ليعلم المريد انه ان كانت طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغني
عن علم هذه الامور فكل ما ياكله من جهة من هذه الجهات ينبغي ان يستفتي عن علم هذه الامور فيه اهل العلم
ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لم خالفت علمك ويقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد ان
قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم **القسم الثالث** اعلم ان الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث
من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه اطيب واصفى من بعض وكما ان الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن
يقول بعضها حار في الدرجة الاولى كالسكر وبعضها في الثانية كالفانيذ وبعضها في الثالثة كالدبس وبعضها في
الرابعة كالعسل فكذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الاولى وبعضه في الثانية والثالثة والرابعة وكذا
الحلال يتفاوت درجات صفائه وطيبه ولنقتد باهل الطب في الاصطلاح على اربع درجات تقريبا وان كان التحقيق
لا يوجب هذا الحصر اذ يتطرق الى كل درجة من الدرجات ايضا تفاوت لا ينحصر وكم من سكر اشد حرارة من سكر
اخر فكذلك نقول الورع عن الحرام على اربع درجات ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط
العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء **الثانية**
ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في التناول بناء على الظاهر
فهو من مواقع الشبهة على الجملة ولنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية **الثالثة** ما
لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه اداؤه الى محرم وهو ترك ما لا باس به مخافة مما به باس
وهذا ورع المتقين قال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به
باس **الرابعة** ما لا باس به اصلا ولا يخاف منه ان يودي الى ما به باس ولكنه يتناول لغير الله ولا على نية
التقوي به على عبادة الله او يتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية او معصية والامتناع منه ورع الصديقين
فهذه درجات الحلال والحرام جملة الى ان نفصلها بالامثلة والشواهد **واما** الحرام الذي ذكرناه في الدرجة
الاولى وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة واطراح سمة الفسق فهي ايضا على درجات في الخبث فالماخوذ

يعقد واشد كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة المغصوب على سبيل القهر بل المغصوب اغلظ
اذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وايذا الغير وليس في المعاطاة ايذا وانما فيه ترك طريق التعبد فقط ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة
اهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتاكيده في بعض المناهي على ما سياتي في كتاب التوبة عند ذكر
الفرق بين الصغيرة والكبيرة بل الماخوذ ظلما من فقير او صالح او من يتيم اخبث واغلظ من الماخوذ من قوي او غني او فاسق لان
درجات الايذا تختلف باختلاف درجات المؤذى فهذه دقائق في تفاصيل الخبائث لا ينبغي ان يذهل عنها فلولا اختلاف درجات العصاة
لما اختلفت دركات النار واذا عرفت مثارات التغليظ فلا حاجة الى الحصر في ثلاث درجات او اربع فان ذلك جار مجرى التحكم
والتشهي وهو طلب حصر ما لا حاصر له ويدل على اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سياتي في تعارض المحذورات وترجيح بعضها
على بعض حتى اذا اضطر الى اكل ميتة او اكل طعام الغير او اكل صيد الحرم فانا نقدم بعض هذه على بعض

امثلة الدرجات الاربع في الورع وشواهدها

اما الدرجة الاولى وهي ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل من المداخل الستة التي
ذكرناها من مداخل الحرام لفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتحمه الى الفسق والمعصية وهو الذي
نريده بالحرام المطلق فلا يحتاج الى امثلة وشواهد ◦ واما الدرجة الثانية فامثلتها كل شبهة لا توجب اجتنابها ولكن
يستحب اجتنابها كما سياتي في باب الشبهات اذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها والورع
عنه ورع الموسوسين كمن يمتنع من الاصطياد خوفا من ان يكون الصيد قد افلت من انسان اخذه وملكه وهذا وسواس
ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ونحمله على
التنزيه وكذلك قوله عليه السلام كل ما اصميت ودع ما انميت والانما ان يجرح الصيد فيغيب عنك ثم يدركه ميتا اذ يحتمل
انه مات بسقطة او بسبب آخر فالذي نختاره كما سياتي ان هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله دع امر تنزيه اذ ورد
في بعض الروايات كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثر غير سهمك ولذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في الكلب
المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه على سبيل التنزيه لاجل الخوف اذ قال لابي ثعلبة الخشني كل منه
فقال وان اكل وذلك لان حالة ابي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا يحتمل هذا الورع وحال عدي كان يحتمله ◦ وحكي عن ابن سيرين
انه ترك لشريك له اربعة الاف درهم لانه حاك في قلبه شي مع اتفاق العلما على انه لا باس به وامثلة هذه الدرجة نذكرها
عند التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة ولا يجب اجتنابه فهو مثال لهذه الدرجة ◦ اما الدرجة الثالثة وهو ورع
المتقين فيشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس وقال عمر
رضي الله عنه كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة ان نقع في الحرام ◦ وقال ابو الدردا ان تمام التقوى ان يتقي العبد في مثقال ذرة
حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على انسان فحملها اليه
فاخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرى فكل ما يستوفيه يأخذه بنقصان حبة
وما يعطيه يزنه مع زيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح الناس به فان ذلك حلال
في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه ان ينجر الى غيره وتالف النفس الاسترسال فيترك ورعا فمن ذلك ما روي عن علي بن معبد
انه قال كنت ساكنا في بيت بكرا فكتبت كتابا واردت ان اخذ من تراب الحائط لاتربه واجففه ثم قلت الحائط ليس لي ثم قالت لي نفسي وما
قدر تراب الحائط فاخذت من التراب فلما نمت اذا انا بشخص واقف يقول يا علي سيعلم غدا الذين يقولون وما قدر تراب
حائط ولعل معنى ذلك انه يرى كيف يحط منزلته فان للتقوى منزلة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد انه يستحق عقوبة
على فعلها ومن ذلك ما روي ان عمر رضي الله عنه وجد مسك من البحرين فقال وددت لو ان امراة وزنت حتى اقسمه بين
المسلمين فقالت امراته عاتكة انا اجيد الوزن فقال لا احب ان تضعيه في الكفة ثم تقولين فيها هكذا يعني اثر الغبار فتمسحين بدي
بها عنقك فاصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك المسلمين فاخذ بانفه حتى لا تصيبه
الرائحة وقال وهل ينتفع منه الا بريحه لما استبعد ذلك منه واخذ الحسن بن علي رضي الله عنه تمرة من الصدقة وكان صغيرا
فقال صلى الله عليه وسلم كخ كخ اي القها ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه كان عند محتضر فمات ليلا فقال اطفئوا السراج فقد
حدث للورثة حق في الدهن ◦ وروى سليمان التيمي عن نعيم العطار قال كان عمر يدفع الى امراته طيبا من طيب المسلمين
قال فباعتها امراته فباعتني طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر باسنانها فتعلق باصبعها شي منه فقالت به هكذا باصبعها وتكسر

ثم مسحت به خمارها فدخل عمر فقال ما هذه الريح فاخبرته فقال طيب المسلمين تاخذينه فانتزع الخمار من راسها واخذ جرا من ما
فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في الخمار ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح ثم اتيتها مرة اخرى فلما التراب
وزنت علق باصبعها منه شي فادخلت اصبعها في فيها ثم مسحت به التراب فهذا من عمر ورع التقوى لخوف اداء ذلك الى غيره والا
فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب الى المسلمين ولكن اتلفه عليها زجرا وردعا وانقاء ان يتعدى الاثر ومن ذلك ما سئل احمد بن حنبل
رضي الله عنه عن رجل في المسجد فيحمل مجمرة لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال ينبغي ان يخرج من المسجد فانه لا ينتفع من العود
الا برائحته وهذا قد يقارب الحرام فان القدر الذي يعبق بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يبخل به ولا يدرى انه يتسامح
او لا وسئل احمد عمن سقطت منه ورقة من احاديث فهل لمن وجدها ان يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستاذن ثم يكتب وهذا ايضا
قد يشك في ان صاحبه يرضى به ام لا فما هو في محل الشك والاصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الاولى ومن ذلك التورع
عن الزينة لانه يخاف منها ان يدعو الى غيرها وان كانت الزينة مباحة في نفسها ◦ وقد سئل احمد بن حنبل عن النعال السندية
فقال اما انا فلا استعملها ولكن ان كان للطين فارجو واما من اراد الزينة فلا ◦ ومن ذلك ان عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة
كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة ان تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا باس به مخافة له
مما به باس اي مخافة الافضا اليه واكثر المباحات داعية الى المحظورات حتى استكثار الاكل واستعمال الطيب للمتعزب فانه
يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو الى الفكر والفكر الى النظر والنظر الى غيره وكذلك النظر الى دور الاغنياء وتجملهم مباح
في نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو الى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا المباحات كلها اذا لم تؤخذ
بقدر الحاجة وفي وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة اولا ثم بالحذر ثانيا فقل ما تخلو عاقبتها عن خطر وكذى كل
ما اخذ بالشهوة فقل ما يخلو عن خطر حتى كره احمد بن حنبل تجصيص الحيطان فاما تجصيص الارض فيمنع التراب واما تجصيص
الحائط فزينة لا فائدة فيه حتى انكر تجصيص المسجد وتزيينه واستدل بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل ان يكحل
المسجد فقال لا عريش كعريش موسى وانما هو شي مثل الكحل يطلى به ولم يرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكره
السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه رق دينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في المباحات الى غيرها
فان المحظور والمباح تشتهيهما شهوة واحدة واذا كانت الشهوة المسامحة استرسلت فاقتضى خوف التقوى الورع من هذا
كله فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو حلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف اداؤه الى معصية
البتة ◦ اما الدرجة الرابعة وهي ورع الصديقين فالحلال الطلق عندهم كل ما لا يتقدم في اسبابه معصية ولا يستعان يستعان
به على معصية ولا يقصد منه في الحال والمآل قضاء وطر بل يتناول لله تعالى فقط والتقوى على عبادته واستبقا الحياة
لاجله وهولاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهذه رتبة الموحدين المتجردين
عن حظوظ انفسهم المفردين لله تعالى بالقصد ولا شك في ان من يتورع عما يوصل اليه بمعصية او يستعان عليه بمعصية
يتورع لا شك عما يقترن بسبب اكتسابه معصية او كراهة فمن ذلك ما روي عن يحيى بن يحيى انه شرب الدوا فقالت
له امراته لو مشيت في الدار قليلا حتى يعمل الدوا فقال هذه مشية لا اعرفها وانا احاسب نفسي منذ ثلاثين سنة فكانه
لم تحضره نية في هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجوز الاقدام عليه ◦ وعن سري انه قال انتهيت الى حشيش في جبل
وما يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت الماء وقلت في نفسي ان كنت قد اكلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فهتف
بي هاتف ان القوة التي اوصلتك الى هذا الموضع من اين هي فرجعت وندمت ◦ ومن هذا ما روي عن ذي النون المصري
انه كان جائعا محبوسا فبعثت له امراة صالحة طعاما على يد السجان فلم ياكل ثم اعتذر بعد ذلك فقال جاءني على
طبق ظالم يعني ان القوة التي اوصلت الطعام الي لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع ◦ ومن ذلك ان بشرا
رضي الله عنه كان لا يشرب الماء من الانهار التي حفرها الامرا فان النهر سبب لجريان الماء ووصوله اليه وان
كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور باعمال الاجرا وقد اعطاهم اجرتهم من الحرام ولذلك امتنع بعضهم
من العنب الحلال من كرم حلال وقال لصاحبه افسدته اذ سقيته من ماء يجري في النهر الذي حفرته الظلمة وهذا
ابعد من الظلم من شرب نفس الماء لانه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء وكان بعضهم اذا مر في طريق الحج لم يشرب
من المصانع التي عملها الظلمة مع ان الماء مباح ولكنه بقي محفوظا بالمصنع والمصنع عمل بمال الحرام فكانه انتفع

به وامتناع ذي النون من يد السجان اعظم من هذا كله لان يد السجان لا توصف لانه حرام بخلاف الطبق المغصوب اذا حمل عليه ولكن وصل اليه بقوة الاسباب الخبيثة الحرام ولذلك نفى الصديق اللبن حيفة من ان يحدث الحرام فيه قوة مع انه شربه على جهل وكان لا يجب اخراجه ولكن تخلية الباطن عن الخبيث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخيط في المسجد فان احمد رضي الله عنه كره جلوس الخياط في المسجد ● وسئل عن المغازلي يجلس في قبة في المقابر في وقت يخاف من المطر فقال المقابر انما هي من امر الآخرة فهذه دقائق الورع عند سالكي طريق الآخرة والتحقيق فيه ان الورع له اول وهو الامتناع مما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله مما اخذ بشهوة او توصل اليه بمكروه او يتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط وكلما كان العبد اشد تشديدا على نفسه كان اخف ظهرا يوم القيامة واسرع جوازا على ظهر الصراط وابعد عن ان ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت دركات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث واذا علمت حقيقة الامر فاليك الخيرة فان شئت فاستكثر من الاحتياط وان شئت فترخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك تترخص والسلام

الباب الثاني

في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات واقع الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه فهذا الحديث نص في اثبات الاقسام الثلاثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فان ما لا يعرفه كثير قد يعرفه القليل فنقول الحلال المطلق هو الذي خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه وانحل عن اسبابه ما تطرق اليه تحريم او كراهية ومثاله الماء الذي يأخذه الانسان من المطر قبل ان يقع على ملك احد ويكون هو واقفا عند جمعه واخذه من الهواء في ملك نفسه او في ارض مباحة والحرام المحض ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة في الخمر والنجاسة في البول او حصل بسبب منهي عنه قطعا كالمحصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق امره ولكن احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فان صيد البر والبحر حلال ومن اخذ ظبية فيحتمل ان يكون قد ملكها صياد ثم افلتت منه وكذلك السمكة يتصور ان يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق الى ماء المطر المختطف من الهواء ولكنه في معنى ماء المطر والاحتراز منه وسواس فلنسم هذا الفن ورع الموسوسين حتى تلحق به امثاله وذلك لان هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فان كان قاطعا كما لو وجد حلقة في اذن السمكة او كان محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل ان تكون كيا لا يقدر عليه الا بعد الضبط ويحتمل ان يكون جرحا فهذا موضع الورع واذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم في دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه ● ومن هذا الجنس من يستعير دابة فيغيب عنه المعير فيخرج ويقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس اذ لم يدل على موته سبب قاطع او مشكك اذ الشبهة المحذورة ما تنشأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكا ● ولهذا نقول من شك انه صلى ثلاثا او اربعا اخذ بالثلاثة اذ الاصل عدم الرابعة ● ولو سئل الانسان ان صلاة الظهر التي اداها قبل هذا بعشر سنين كانت اربعا او ثلثا لم يتحقق قطعا انه اربع واذا لم يقطع جوز ان يكون ثلثا وهذا التجويز لا يكون شكا اذ لم يحضر سببا وجب اعتقاده كونه ثلاثا فليفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه بالوهم والتجويز بغير سبب فهذا يلحق بالحلال المطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وامكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواه فغاب عنه فقال يحتمل انه مات وقد انتقل الملك الي فآكله فاقدامه عليه اقدام على حرام محض لانه احتمال لا مستند له فلا ينبغي ان يعد هذا النمط من اقسام الشبهات وانما الشبهة نعني بها ما اشتبه علينا امره بان تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين ومثارات الشبهة خمس

المثار الاول الشك في السبب المحرم والمحلل وذلك لا يخلو اما ان يكون متعادلا او غلب احد الاحتمالين فان تعادل الاحتمال كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وان غلب احد الاحتمالين عليه بان صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا الا بالمثال والشواهد فلنقسمه الى اقسام اربع

القسم الاول ان يكون الحل معلوما من قبل ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها **مثاله** ان يرمي الى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري انه مات بالغرق او بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين فلا يترك اليقين بالشك كما في الاحداث والنجاسات وركعات الصلوات وغيرها وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لا تاكله فلعله قتله غير كلبك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا اتي بشيء اشتبه عليه انه صدقة او هدية سال عنه حتى يعلم ايهما هو ● وروي انه ارق ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يا رسول الله قال اجل وجدت تمرة فخشيت ان تكون من الصدقة وفي رواية اخرى فاكلتها فخشيت ● ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه قال كنا في سفر مع رسول الله فاصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينا القدور تغلي بها قال صلى الله عليه وسلم امة مسخت من بني اسرائيل فاخاف ان تكون هذه فاكفانا القدور ثم اعلمه الله تعالى بعد ذلك انه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا فكان امتناعه اولا لان الاصل عدم الحل وشك في كون الذبح محللا

القسم الثاني ان يعرف الحل ويشك في المحرم فالاصل الحل وله الحكم كما اذا نكح رجلان امراتين وطار طائر فقال احدهما ان كان هذا غرابا فامراتي طالق وقال الآخر ان لم يكن غرابا فامراتي طالق والتبس امر الغراب فلا نقضي بالتحريم في واحدة ولم يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما او تطليقهما حتى تحل لسائر الازواج وقد امر مكحول بالاجتناب في هذه المسالة وافتى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال احدهما للآخر انت حسود فقال الآخر احسدنا زوجته طالق ثلاثا فقال الآخر نعم واشكل الامر وهذا ان اراد به اجتناب الورع فصحيح وان اراد التحريم المحقق فلا وجه له اذ ثبت في المياه والنجاسات والاحداث والصلوات ان اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه فان قلت واي مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم انه لا يحتاج الى المناسبة فانه لازم من غير ذلك في بعض الصور فانه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له ان يتوضأ به فكيف لا يجوز له ان يشربه واذا جوز الشرب فقد سلم ان اليقين لا يترك بالشك الا ان هاهنا دقيقة وهو ان وزان الماء ان يشك في انه طلق زوجته ام لا فيقال الاصل انه ما طلق ووزان مسالة الطائر ان يتحقق نجاسة احد الاناءين ويشتبه عينه فلا يجوز له ان يستعمل احدهما بغير اجتهاد لانه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فبطل الاستصحاب فكذلك هاهنا قد وقع الطلاق على احدى الزوجتين قطعا والتبس عين الطلقة بغير المطلقة فنقول اختلف اصحاب الشافعي رحمة الله عليه في الاناءين على ثلاثة اوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد وقال المقتصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه ان يكون له زوجتان فيقول ان كان غرابا فزينب طالق وان لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد اذ لا علامة ونحرمهما عليه لانه لو وطئهما كان مقتحما للحرام قطعا وان وطئ احديهما وقال اقتصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افتراق حكم شخص واحد وشخصين لان التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين اذ كل واحد يشك في التحريم في حق نفسه فان قيل فلو كان الاناءان لشخصين فينبغي ان يستغني عن الاجتهاد ويتوضأ كل واحد باناء لانه تيقن طهارته وقد شك الآن فيه فنقول هذا محتمل في الفقه والارجح في الظن المنع وان تعدد الشخص هاهنا كاتحاده لان صحة الوضوء لا تستدعي ملكا بل وضوء الانسان بماء غيره في رفع الحدث كوضوئه من ماء نفسه فلا يتبين لاختلاف الملك واتحاده اثر بخلاف الوطء في زوجة الغير فانه لا يحل ولان للعلامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليدفع بها قوة يقين النجاسة للمقابلة ليقين الطهارة وابواب الاستصحابات والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصيناها في الكتب الفقهية ولسنا نقصد الان الا التنبيه على قواعدها

القسم الثالث ان يكون الاصل التحريم ولكن طرأ ما اوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فالذي نختاره فيه انه حل وان اجتنابه من الورع مثاله ان يرمي الى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه اثر سوى سهمه ولكن يحتمل انه مات بسقطة او بسبب آخر فان ظهر عليه اثر صدمة او جراحة اخرى التحق بالقسم الاول وان لم يظهر عليه فقد اختلف قول الشافعي في هذا القسم والمختار انه حلال لان الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والاصل انه لم يطرا عليه غيره فطريانه مشكوك فيه ولا يدفع اليقين بالشك فان قيل فقد قال ابن عباس كل ما اصميت

ودع ما ليس ورويت عايشة ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم بارنب فقال رميتي عرفت فيها سهمي فقال اصميت ام انميت فقال بل انميت فقال ان الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره الا الذي خلقه لعله اعان على قتله شيء وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي في كلبه المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه والغالب ان الكلب المعلم لا يسيء خلقه ولا يمسك الا على صاحبه ومع ذلك نهي عنه وهذا التحقيق وهو ان الحل انما يتحقق اذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بان تفضي الى الموت سليما من طريان غيره عليه وقد شك في تمام السبب حتى اشتبه ان موته على الحل او الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك فيما يطري عليه فالجواب ان نهي ابن عباس ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روي في بعض الروايات انه قال عليه السلام كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا غير سهمك وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه وهو انه ان وجد اثرا اخر فقد تعارض السبب فتعارض الظن واذا لم يجد سوى جرحه حصل عليه الظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها واما قول القايل اذا لم يتحقق موته على الحل فيكون شكا في السبب المحلل فليس كذلك بل السبب قد تحقق اذ الجرح سبب الموت فطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الاجماع على ان من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جارحه بل ان لم يغب يحتمل ان يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الانسان فجاة فينبغي ان لا يجب القصاص الا في الحز الرقبة والجرح المذفف لان العلل القاتلة في الباطن لا يومن ولاجلها يموت الصحيح فجاة ولا قايل بذلك مع ان القصاص مبناه على الشبهة وكذلك الجنين المذكى بحلال ولعله مات قبل الذبح الاصلي لا بسبب ذبح او لم ينفخ فيه الروح وغرة الجنين تجب ولعل الروح لم ينفخ فيه او كان قد مات قبل الجناية بسبب اخر ولكن يبنى على الاسباب الظاهرة فان الاحتمال الاخر اذا لم يستند الى دلالة تدل التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه فكذلك هذا واما قوله عليه السلام لعدي اخاف ان يكون انما امسك على نفسه فللشافعي في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لان السبب قد تعارض اذ الكلب المعلم كالالة والكلب يمسك على صاحبه فيحل ولو استرسل المعلم بنفسه فاخذ لم يحل لانه يتصور منه ان يصطاد لنفسه ومهما انبعث باشارته ثم اكل دل ابتدا انبعاثه على انه نازل منزلة الة وانه يسعى في وكالته ونيابته ودل اكله اخرا على انه امسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السبب الدال فتعارض الاحتمال والاصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كما لو وكل رجلا بان يشتري له جارية فاشترى جارية ومات قبل ان يبين انه اشتراها لنفسه او لموكله لم يحل للموكل وطيها لان للوكيل قدرة على الشرا لنفسه ولموكله جميعا ولا دليل يرجح والاصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الاول لا بالقسم الثالث

القسم الرابع ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب ويقضي بالتحريم اذ بان لنا ان الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له حكم مع غالب الظن ومثاله ان يودي اجتهاده الى نجاسة احد الانايين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما اوجب منع الوضوء به فكذا اذا قال ان قتل زيد عمرا او قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامراتي طالق فجرحه وغاب ووجد ميتا حرمت زوجته لان الظاهر انه منفرد به كما سبق وقد نص الشافعي ان من وجد في الغدران ماء متغيرا احتمل ان يكون بطول المكث او بالنجاسة يستعمله ولو راى ظبية بالت فيه ثم وجده متغيرا واحتمل ان يكون بالبول وبطول المكث لم يجز له استعماله اذ صار البول المشاهد دلالة معلنة لاحتمال النجاسة وهو مثال لما ذكرنا وهذا في غلبة ظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشي فقد اختلف قول الشافعي في ان اصل الحل هل يزال به اذا اختلف قوله في التوضي من اواني المشركين ومدمني الخمر والصلوة في المقابر المنبوشة والصلوة مع طين الشوارع اعني المقدار الزايد على ما يعسر الاحتراز عنه وعبر الاصحاب عنه بانه اذا تعارض الاصل والغالب فايهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من اواني مدمني الخمر والمشركين لان النجس لا يحل شربه فاذا ماخذ النجاسة والحل واحد والتردد في احدهما يوجب التردد في الاخر والذي اختاره ان الاصل هو المعتبر وان العلامة اذا لم تتعلق بعين المتناول لم يوجب رفع الاصل وسياتي بيان ذلك وبرهانه في المثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط فقد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه او ظن او حكم حرام شك في طريان محلل عليه او ظن وبان فرق بين ظن يستند الى علامة في عين الشي وبين ما لا يستند اليه فكل ما حكمنا في هذه الاقسام الاربعة بحله فهو حلال في الدرجة الاولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون في زمرة المتقين والصالحين بل من زمرة العدول الذين لا يقضي في فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة الا ما الحقناه برتبة الوسواس

فان الاحتراز عنه ليس من رتبة الورع اصلا

المثار الثاني للشبهة شك منشاه الاختلاط وذلك بان يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الامر ولا يتميز والخلط لا يخلوا اما ان يقع بعدد لا يحصر من الجانبين او من احدهما او بعدد محصور فان اختلط المحصور فلا يخلوا اما ان يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالاشارة كاختلاط المايعات او يكون اختلاط استبهام مع تميز الاعيان كاختلاط الاعبد والدور والافراس والذي يختلط بالاستبهام فلا يخلوا اما ان يكون مما يقصد عينه كالعروض او لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا التقسيم ثلثة اقسام

القسم الاول ان تستبهم العين بعدد محصور كما اذا اختلطت ميتة بذكية او بعشر مذكاة او يختلط رضيعة بعشر نسوة او يتزوج احدى الاختين ثم تلتبس فهذه شبهة يجب اجتنابها بالاجماع لانه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا واذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين ان يثبت حل فيطرى اختلاط المحرم كما لو اوقع الطلاق على احدى زوجتيه في مسئلة الطاير او يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة باجنبية فاراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق احدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو ان يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الحظر اغلب في نظر الشرع فلذلك رجح وهذا اذا اختلط حلال محصور بحرام عين محصور فلا يخفى ان وجوب الاجتناب اولى

القسم الثاني حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضيعة او عشر رضايع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز ان يعلل بكثرة الحلال اذ يلزم عليه ان يجوز النكاح اذا اختلطت واحدة بتسعة حلال ولا قايل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع له رضيع او قريب او محرم بمصاهرة او نسب من الاسباب لا يمكن ان ينسد عليه باب النكاح وكذلك من علم ان مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشرا والاكل فان ذلك حرج وما في الدين من حرج ويعلم هذا بانه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن وغل واحد في الغنيمة عباة لم يمتنع احد من شرا المجن والعباة في الدنيا وكذلك كان يعرف ان في الناس من يربي في الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم بالكلية وبالجملة ان الدنيا لا تنفك عن الحرام الا اذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال واذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط ايضا في بلد الا اذا وقع من جماعة محصورين بل اجتنابه من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك عن رسول الله ولا عن احد من الصحابة ولا يتصور الوفا به في ملة من الملل ولا في عصر من الاعصار فان قلت فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو اراد الانسان ان يحصر اهل بلد لم يقدر عليه ايضا ان يمكن منه فاعلم ان تحديد هذه الامور غير ممكن وانما تنضبط بالتقريب فنقول كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عددهم بمجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين اوساط متشابهة تلحق باحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استفتي فيه القلب فان الاثم حزاز القلوب وفي مثل هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك وكذلك الاقسام الاربعة التي ذكرناها في المثار الاول يقع فيها اطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات واوساط متشابهة فالمفتي يفتي بالظن وعلى المستفتي ان يستفتي قلبه فان حاك في صدره شيء فهو الاثم بينه وبين الله فلا ينجيه في الاخرة فتوى المفتي فانه يفتي بالظاهر والله سبحانه وتعالى يتولى السراير

القسم الثالث ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال في زماننا هذا فالذي ياخذ الاحكام من الصور قد يظن ان نسبة غير محصور الى غير المحصور كنسبة المحصور الى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هاهنا والذي نختاره خلاف ذلك وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط ان يتناول شيا بعينه احتمل انه حرام وانه حلال الا ان يقترن بتلك العين علامة تدل على انه من الحرام فان لم يكن في العين علامة تدل على انه من الحرام فتركه ورع واخذه حلال لا يفسق به اكله ومن العلامات ان ياخذه من يد سلطان ظالم الى غير ذلك من العلامات التي ستاتي ويدل على ما نحونا اليه الاثر والعبار اما الاثر فما علم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفا الراشدين من بعده اذ كانت اثمان الخمور ودراهم الربا من ايدي اهل الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم عن الربوا وقال اول ربا اضعه ربا العباس ما ترك الناس الربوا باجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر وساير المعاصي حتى روي ان بعض

اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر لعن الله فلانا هو اول من سن بيع الخمر اذ لم يكونوا فهموا ان تحريم الخمر تحريم لثمنه وقال صلى الله عليه وسلم ان فلانا يجر في النار عباءة قد غلها وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين قد غله وكذلك ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة الظلمة ولم يمتنع احد منهم عن الشراء في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبه اصحاب يزيد ثلثة ايام وكان من يمتنع من تلك الاموال مشارا اليه في الورع والاكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في ايام الظلمة ومن اوجب ما لم يوجبه السلف الصالحون وزعم انه تفطن من الشرع ما لم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل ولو جاز ان يزاد عليهم في امثال هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم ان الجدة كالام في التحريم وان ابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور تحريمه في القران والربوا جار فيما عدا الاشياء الستة وذلك محال كانهم اولى بفهم الشرع من غيرهم واما القياس فهو انه لو فتح هذا الباب لانسد باب التصرفات وخرب العالم اذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببها في شروط الشرع في العقود ويودي ذلك لا محالة الى الاختلاط • فان قيل فقد نقلتم انه صلى الله عليه وسلم امتنع من الضب وقال اخشى ان يكون مما مسخه الله وهو في اختلاط غير المحصور قلنا يحمل ذلك على الورع والتنزه او يقول الضب شكل غريب ربما يدل على انه من المسخ فهو دلالة في عين المتناول • فان قيل فهذا معلوم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هي الاقل بالاضافة الى الحلال فماذا تقول في زماننا وقد صار الحرام اكثر ما في ايدي الناس لفساد المعاملات واهمال شروطها وكثرة الربوا وكثرة السلاطين الظلمة فمن اخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم او التحليل فهو حرام ام لا فاقول ليس ذلك حراما واما الورع تركه وهذا الورع اهم من الورع اذا كان قليلا ولكن الجواب عن هذا ان قول القايل اكثر الاموال حرام في زماننا غلط محض ومنشاه الغفلة عن الفرق بين الكثير والاكثر فاكثر الناس بل اكثر الفقهاء يظنون ان ما ليس بنادر فهو الاكثر ويتوهمون انهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الاقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير واكثر ومثاله ان الخنثى فيما بين الخلق نادر واذا اضيف اليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة ومعلوم ان المرض ليس بنادر وليس بالاكثر ايضا بل هو كثير والفقيه اذا تساهل وقال المرض والسفر غالب فهو عذر عام اراد به انه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط فالصحيح والمقيم هو الاكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فاذا فهم هذا فنقول قول القايل الحرام اكثر باطل لان مستند هذا القايل اما ان يكون كثرة الظلمة والجندية او كثرة الربا والمعاملات الفاسدة او كثرة الايدي التي تكررت من اول الاسلام الى زماننا هذا على اصول الاموال الموجودة اليوم

اما المستند الاول فباطل فان الظلم كثير وليس بالاكثر فانهم الجندية اذ لا يظلم الا ذو غلبة وشوكة وهم اذا اضيفوا الى كل العالم لم يبلغوا عشر عشرهم فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة الف مثلا فيملك اقليما يجمع الف الف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددهم على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين اكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان يجب على واحد من الرعية ان يقوم بعشرة منهم مع تنعمهم في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من الف رعية وزيادة وكذى القول في السراق فان البلدة الكبيرة تشتمل منهم على عدد قليل

اما المستند الثاني وهو كثرة الربوا والمعاملات الفاسدة فهي ايضا كثيرة وليست بالاكثر اذ اكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هولا اكثر والذي يتعامل بالربوا وغيره فلو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد الا ان يطلب الانسان بوهمه في البلد مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الديانة حتى يتصور ان يقال معاملاته الفاسدة اكثر ومثل ذلك المخصوص نادرا وان كان كثيرا فليس بالاكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو ايضا من معاملة صحيحة تساوي الفاسدة او تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تامله وانما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها واستعظامها له وان كان نادرا حتى ربما يظن ان الربا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل انهم الاكثرون وهو خطا فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة

واما المستند الثالث وهو احيلها ان يقال الاموال انما تحصل من المعادن والنبات والحيوان والحيوان حاصل بالتوالد فاذا نظرنا الى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد اصولها الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يخلو ان يتطرق الى واحد من تلك الاصول غصب ومعاملة فاسدة فكيف يقدر ان تسلم اصولها

عن تصرف باطل الى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والفواكه يحتاج الى خمسمائة اصل او الف الى اول الشرع ولا يكون هذا حلالا الا ما لم يكن اصله واصل اصله وكذلك الى اول زمان النبوة حلالا **فاما المعادن** فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي اقل الاموال واكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج الا من دار الضرب وهي في ايدي الظلمة بل المعادن في ايدي الظلمة يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالاعمال الشاقة ثم ياخذونها منهم غصبا فاذا نظر الى هذا علم ان بقاء دينار واحد بحيث لم يتطرق اليه عقد فاسد او ظلم اليه وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربوا بعيد نادر او محال فلا يبقى اذا حلال الا الصيد والحشيش في الصحاري والمعادن والحطب المباح ثم من يحصله لا يقدر على اكله بل يفتقر الى ان يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل الا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو اشد الطرق تخييلا **فالجواب** ان هذه الغلبة لم تنشا من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الاصل والغالب اذ الاصل في هذه الاموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح له فيضاهي هذا محل القولين للشافعي في النجاسات والصحيح عندنا انه يجوز الصلاة في الشوارع اذا لم ير نجاسة وان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من اواني المشركين جايز والصلاة في المقابر المنبوشة جايز فنثبت هذا اولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضي عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع ان مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا فكيف تسلم اوانيهم من ايديهم بل نقول نعلم قطعا انهم كانوا يلبسون الفرا المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تامل احوال الدباغين والقصارين والصباغين علم ان الغالب عليهم النجاسة وان الطهارة في تلك الثياب محال او نادر بل نقول نعلم انهم كانوا ياكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع انها تداس بالبقر والدواب وهي تبول عليها وتروث وقل ما يخلص منها وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن امها وعليها رطوبات نجسة قد يزيلها الامطار وقد لا تزيلها وما كان يحترز عنها وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليه ويستنزهون منه ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وابوالها وكثرة الدواب وارواثها فلا ينبغي ان يظن ان الاعصار والامصار تختلف في مثل هذا حتى يظن ان الشوارع كانت تغسل في عصرهم او كانت تحرس عن الدواب هيهات فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل انهم لم يحترزون الا عن نجاسة مشاهدة او علامة على النجاسة دالة على العين فاما الظن الغالب الذي يستثار من رد الوهم الى مجاري الاحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعي وهو يرى ان القليل تحتمل من غير تغير اذ لم تزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضون من الحياض وفيها المياه القليلة والايدي المختلفة تغمس فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضي من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحق حكم الحل بحكم النجاسة **فان قيل** لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في امور الطهارات ويحترزون عن شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه **قلنا** ان اريد به انهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها معصية وهي عماد الدين فبيس الظن بل يجب ان يعتقد فيهم انهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وانما تسامحوا حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الاصل والغالب فبان ان الغالب الذي لا يستند الى علامة يتعلق بعين ما فيه النظر مطرح واما توسعهم في الحلال فانما هو بطريق التقوى وهو ترك ما لا باس به لان امر الاموال مخوف والنفس تميل اليها ان لم تضبط عنها وامر الطهارة ليس كذلك وقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة ان يشغل قلبه وقد حكي عن واحد انه احترز عن الوضوء من ماء البحر وهو الطهور المحض فالافتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي جمعنا فيه على انا نجري في هذا المستند على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين ولا نسلم ما ذكروه من ان الاكثر هو الحرام لان المال وان كثرت اصوله فليس بواجب ان يكون في اصوله حرام بل الاموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم الى اصوله بعضها دون بعض وكما ان الذي يغصب اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا يغصب ولا يسرق فكذلك كل مال في كل عصر وفي كل اصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول بالفساد في كل زمان بالاضافة الى غيره اقل وليس يدرى ان هذا الفرع بعينه من اي القسمين فلا نسلم ان الغالب تحريمه فانه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد ويكون فرع الاكثر لا محالة اكثر في كل عصر وزمان بل الغالب ان الحبوب المغصوبة تغصب للاكل لا للبذر وكذا الحيوانات

المغصوبة اكثرها تؤكل ولا تقتنى للتوالد فكيف يقال ان فروع الحرام اكثر ولم تزل اصول الحلال اكثر من اصول الحرام وليتعلم
المسترشد من هذا طريق معرفة الاكثر فانه مزلة قدم واكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا في المتولدات من الحبوب
والحيوانات فاما المعادن فانها مخلاة ياخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد تاخذ السلاطين بعضها منهم او لا تاخذ
الاقل لا محالة لا الاكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس عنه فاما ما ياخذ الاخذ منه فاخذه السلطان
باجرة والصحيح انه يجوز الاستنابة في اثبات اليد على المباحات والاستيجار عليه فالمستاجر على الاستقاء اذا حاز الماء دخل في
ملك المستقى له ويستحق الاجرة فكذا النيل فاذا فرعنا على هذا لم يحرم عين الذهب الا ان يقدر ظلمه بنقصان اجرة العمل وذلك
قليل بالاضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل تكون ظالما ببقاء الاجرة في ذمته واما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها
من اعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون اليه الذهب المسبوك او النقد الردي ويستاجرونهم
على السبك والضرب وياخذون مثل وزن ما سلموه الا شيئا قليلا يتركونه اجرة لهم على العمل وذلك جائز وان فرض دنانير مضروبة
من ذهب السلطان فهو بالاضافة الى مال التجار اقل لا محالة نعم السلطان يظلم اجراء دار الضرب بان ياخذ منهم ضريبة لانه
خصصهم بها من بين سائر الناس حتى يتوفر عليهم مال بحشمة السلطان فما ياخذه عوض عن حشمته وذلك من باب الظلم وهو
قليل بالاضافة الى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لاهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو
عشر العشر فكيف يكون هو الاكثر فهذه اغاليط سبقت الى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى يقبحوا الورع
ويسدوا بابه ويستقبحوا التمييز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال **فان قيل** فلو قدر غلبة الحرام
وقد اختلط غير المحصور بغير المحصور فماذا تقولون فيه اذا لم يكن في العين المتناول له علامة خاصة فنقول الذي نراه
ان تركه ورع وان اخذه ليس بحرام لان الاصل الحل ولا يرفع الا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائرها واقول لو
طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا انه لم يبق في الدنيا حلال لكنت اقول نستانف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف
ونقول ما جاوز حده انعكس الى ضده فمهما حرم الكل حل الكل وبرهانه انه اذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات
خمسة **احدها** ان يقال يدع الناس الاكل حتى يموتوا من عند اخرهم **الثاني** ان يقتصروا منها على قدر الضرورة
وسد الرمق يزجون عليها اياما الى الموت **الثالث** ان يتناولوا قدر الحاجة كيف شاؤوا سرقة وغصبا وتراضيا
من غير تمييز بين مال ومال وجهة **الرابع** ان يتبعوا شروط الشرع ويستانفوا قواعده من غير اقتصار
على الحاجة **الخامس** ان يقتصر مع شروط الشرع على قدر الحاجة اما الاول فلا يخفى بطلانه واما الثاني فباطل قطعا
لانه اذا اقتصر الناس على سد الرمق ورجوا او فاتهم مع الضعف فشى فيهم الموتان وبطلت الاعمال والصناعات وخربت
الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لانها مزرعة الاخرة واحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل اكثر احكام
الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين واما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة
عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضي وكيفما اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين
انواع الفساد فيمد الايدي بالغصب والسرقة وانواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه اذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد
باستحقاق عنا فانه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فان كان هو محتاجا فانا ايضا محتاجون وان
كان الذي اخذ في حقي زائدا فقد سرقته ممن هو زائد على حاجة يومه واذا لم نراع حاجة اليوم او السنة فما الذي على الحاجة
نراعي وكيف نضبط ويؤدي الى بطلان سياسة الشرع واغراء اهل الفساد بالفساد فلا يبقى الا الاحتمال **الرابع**
وهو ان يقال كل ذي يد على ما في يده وهو اولى به لا يجوز ان يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضي في
هو طريق الشرع واذا لم يجز الا بالتراضي فللتراضي ايضا منهاج في الشرع يتعلق به المصالح فلم يعتبر اصل التراضي
وتعطل تفصيله واما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من اصحاب
الايدي فهو الذي نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الاخرة ولكن لا وجه لايجابه على الكافة ولا ادخاله في
فتوى العامة لان ايدي الظلمة تمتد الى الزيادة على قدر الحاجة في ايدي الناس وكذا ايدي السراق وكل من غلب
سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لا حق له الا في قدر الحاجة وانا محتاج فلا يبقى الا ان يجب على السلطان
ان يخرج كل زيادة على الحاجة من ايدي الملاك ويستوعب بها اهل الحاجة ويدر على الكل الاموال يوما فيوما او سنة

فتنة

فتنة وفيه تكليف شطط وتضييع اموال اما تكليف الشطط فهو ان السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة
الخلق بل لا يتصور ذلك اصلا واما التضييع فهو ان ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي ان يلقى في
البحر او يترك حتى يتعفن فان الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجتهم
ثم يؤدي ذلك الى سقوط الحج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس اذا اصبح الناس لا
يملكون الا قدر حاجتهم وهو في غاية القبح بل اقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان لوجب عليه ان يستانف الامر
ويمهد تفصيل اسباب الاملاك بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الاموال حلالا من غير فرق
واعني بقولي يجب عليه اذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم اذ لا يتم الصلاح برد الكافة الى قدر الضرورة
والحاجة البتة فان لم يبعث للصلاح لم يجب هذا ونحن نجوز ان يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم
ويضلون في دينهم فانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويميت من يشاء ولكنا نقدر الامر جاريا على ما الف من سنة الله تعالى
في بعثه الانبياء لصلاح الدين والدنيا وما لي اقدر هذا وقد كان ما اقدره فلقد بعث نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة من
الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون الى مكذبين له من اليهود
وعبدة الاوثان والى مصدقين له قد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا الان والكفار مخاطبون بفروع الشريعة
والاموال كانت في ايدي المكذبين له والمصدقين اما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى واما المصدقون
فتساهلوا مع اهل التصديق كما تساهل الان المسلمون مع ان العهد بالنبوة اقرب فكانت الاموال كلها او اكثرها
او كثيرها حراما وعفى صلى الله عليه وسلم عما سلف ولم يتعرض له وخصص اصحاب الايدي بالاموال ومهد الشرع
وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالا لبعثة رسول الله ولا ينقلب حلالا لان يسلم الذي في يده الحرام فانا لا ناخذ
في الجزية من اهل الذمة ما نعرف بعينه انه ثمن خمر او مال ربا فقد كانت اموالهم في ذلك الزمان كاموالنا الان وامر
العرب كان اشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان ان الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس هو طريق
الورع بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الاخرة ونحن
الان نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين لا يقدر
على سلوكه الا الاحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير في الاخرة ولو اشتغل
كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنية والصناعات الخسيسة بطل النظام ثم يبطل ببطلانه الملك ايضا
فالمحترفون انما سخروا لينتظم الملك للملوك فكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لذوي الدين
وهو ملك الاخرة ولولاه ما سلم لذوي الدين ايضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم ان يعرض الاكثرون عن
طريقهم ويشتغلون بامور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الازلية واليه الاشارة بقوله تعالى ورفعنا
بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا **فان قيل** لا حاجة الى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال
فان ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك في ان البعض حرام وذلك البعض هو الاقل او الاكثر فيه نظر وما ذكرتموه
من انه الاقل بالاضافة الى الكل جلي ولكن لا بد من دليل محصل على تجويزه وليس من المصالح المرسلة ما ذكرتموه
من التقسيمات كلها مصالح مرسلة فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان العلماء
لا يقبل المصالح المرسلة **فاقول** ان سلم انه هو الاقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة
مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب وان قدر زمان يكون الاكثر هو الحرام فيحل التناول ايضا وبرهانه
ثلاثة امور **الاول** التقسيم الذي حصرناه وابطلنا منه اربعة واثبتنا القسم الخامس فان ذلك اذا جرى فيما
اذا كان الكل حراما كان اجرى فيما اذا كان الحرام هو الاكثر او الاقل وقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس
فان ذلك تخيل من تخيله في امور مظنونة وهذا مقطوع فانا لا نشك في ان مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع
وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون ولا نشك في ان رد كافة الخلق الى قدر الضرورة او الحاجة او الى الصيد
والحشيش مخرب للدنيا اولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فما لا يشك فيه لا يحتاج الى اصل يشهد له وانما يستشهد
على الخيالات المظنونة المتعلقة باحاد الاشخاص **البرهان الثاني** ان يطابق قياس محرر مردود الى اصل متفق

لها بعض
الحرام
اقسام

الفقها الانسون بالاقيسة الجزئية اليه وان كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين بالاضافة الى مثل ما ذكرناه من
الامر الكلي الذي هو ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم حتى لو حكم بتحريم حرب العالم والعباس الجزئي المحرر هو انه قد
تعارض اصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الامور التي ليست محصورة فحكم بالاصل لا بالغالب قياسا
على طين الشوارع وجرة النصرانية واواني المشركين وذلك قد استفاض من فعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات
المعينة احترازا عن الاواني التي تتطرق الاجتهاد اليها وقولنا ليست محصورة احترازا عن الالتباس وعن التباس الميتة
بالذكية والرضيعة والاجنبية فان قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الاصل ومن يسلم ان الاصل في الاموال
الحل بل الاصل فيها التحريم فنقول الامور التي لا تحرم لصفة في عينها تحرم كالخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد
لقبول المعاملات بالتراضي كما خلق الما مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق بين
الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه فلا فرق
والجواب الثاني ان اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب واقوى منه بدليل ان الشرع الحق
به اذ من ادعي عليه دين فالقول قوله لان الاصل براءة ذمته وهذا استصحاب للحال ومن ادعى عليه ملك في يده فالقول
ايضا قوله اقامة لليد مقام الاستصحاب وكل ما وجد في يد انسان فالاصل انه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة
البرهان الثالث هو ان ما يدل على حصر لا بحصر ولم يدل على عين لم يعتبر وان كان قطعا وبان لا يعتبر اذا دل
بطريق الظن اولى وبيانه ان ما علم انه ملك في يد مستحقه يمنع من التصرف فيه بغير اذنه ولو علم ان له مالكا في العالم
ولكن وقع الياس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل
على ان له مالكا محصورا في عشرة اشخاص مثلا او عشرين امتنع التصرف فيه فالذي يشك في ان له مالكا سوى صاحب
اليد ام لا لا يزيد على الذي يتيقن قطعا ان له مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في
الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضايع فقد مالكه يصرفه السلطان الى المصالح ومن المصالح
الفقرا وغيرهم فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه ولو سرقه منه سارق قطعت يده وكيف نفذ تصرفه في ملك الغير
ليس ذلك الا لحكمنا بان المصلحة تقتضي ان ينتقل الملك اليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة فان قيل ذلك يختص الصرف
فيه بالسلطان فنقول والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير اذنه لا سبب له الا المصلحة وهو انه لو
ترك لضاع فهو متردد بين تضييعه وصرفه الى مهم اصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما يشك فيه ولا نعلم تحريمه
ان نحكم بدلالة اليد ونترك على ارباب الايدي اذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي الى الضرر الذي
ذكرناه ووجهات المصلحة تختلف فان السلطان ربما يرى من المصلحة ان يبني بذلك المال القنطرة ويرى تارة ان يصرفه الى جند
الاسلام وتارة الى الفقراء ويدور مع المصلحة كيف ما دارت وكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج
من هذا ان اكثر الخلق غير ماخوذين في اعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة في تلك الاعيان كما لو اخذ
السلطان والفقرا الاحد ومنه بعلمه ان المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار اليه ولا فرق بين عين المالك
وبين عين الاملاك في هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر في امتزاج المايعات والدراهم او العروض
في يد مالك واحد وسياتي بيانه في بيان تفصيل طريق الخروج من المظالم المثار الثالث للشبهة ان يتصل بالسبب المحلل
معصية اما في قراينه او لواحقه واما في سوابقه او الى عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وابطال
السبب المحلل مثال المعصية في القراين البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوب والاحتطاب بالقدوم المغصوب
والبيع على بيع الغير والسوم على سومه وكل نهي ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فان الامتناع من جميع ذلك ورع
وان لم يكن المستفاد بهذه الاسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لان الشبهة في غالب الامر
تطلق لارادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه ها هنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة ايضا معلوم
ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحاصل من هذه الامور مكروه والكراهة تشبه التحريم فان اريد بالشبهة
هذا فتسمية هذا شبهة له وجه والا فينبغي ان يسمى هذه كراهة لا شبهة واذا عرف المعنى فلا مشاحة في الاسامي
فعادة الفقها التسامح في الاطلاقات ثم اعلم ان هذه الكراهة لها ثلاث درجات الاولى منها تقرب من الحرام

والورع عنه مهم والاخيرة تنتهي الى نوع من الورع من المبالغة فكاد يلتحق بورع الموسوسين وبينهما اوساط نازعة
الى الطرفين فالكراهة في صيد كلب مغصوب اشد منها من الذبيحة بسكين مغصوب او المقتنص بسهم مغصوب اذ الكلب
له اختيار وقد اختلف في ان الحاصل به لمالك الكلب او للصياد ويليه البذر المزروع في ارض مغصوبة فان الزرع لمالك
البذر ولكن فيه شبهة ولو اثبتنا حق الحبس لمالك الارض في الزرع لكان كالثمن الحرام ولكن الاقيس ان لا يثبت حق حبس
كما لو طحن بطاحونة مغصوبة او اقتنص بشبكة مغصوبة اذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب
بالقدوم المغصوب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين المغصوب اذ لم يذهب احد الى تحريم الذبح ويليه البيع في وقت النداء
فانه ضعيف التعلق بمقصود العقد وان ذهب قوم الى فساد العقد فليس فيه الا انه اشتغل بالبيع عن واجب كان
عليه ولو فسد البيع بمثله لفسد بيع كل من عليه زكاة درهم او صلاة فائتة وجوبها على الفور او في ذمته مظلمة دانق
فان الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة الا الوجوب بعد النداء وينجر ذلك الى ان لا يصح نكاح
اولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لانه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه الا انه من حيث ورد في يوم الجمعة نهي
على الخصوص ربما يسبق الى الافهام خصوصية فيه فتكون الكراهة اشد ولا باس بالحذر منه ولكن قد يجر الى الوسواس
حتى يتحرج عن نكاح بنات ارباب المظالم وسائر معاملاتهم • وقد حكي عن بعضهم انه اشترى شيئا من رجل فسمع انه
اشتراه يوم الجمعة فرده خيفة ان يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية المبالغة لانه رد بالشك ومثل هذا
الوهم في تعدي المناهي او المفسدات لا ينقطع عن تاريخ يوم السبت وسائر الايام والورع حسن والمبالغة فيه احسن
ولكن الى حد معلوم وقد قال عليه السلام هلك المتنطعون فليحذر من امثال هذه المبالغات فانها وان كانت لا تضر صاحبها
ربما اوهم عند الغير ان مثل ذلك مهم ثم يعجز عما هو ايسر منه فيترك اصل الورع وهو مستند اكثر الناس في زماننا هذا اذ
ضيق عليهم الطريق فيئسوا عن القيام به فاطرحوه فكما ان الوسواس في الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض
ف الموسوسين في الحلال يسبق الى اوهامهم ان مال الدنيا غالبه الحرام فتوسعوا وتركوا التمييز وهو عين الضلال
واما مثال اللواحق فهو كل تصرف يفضي في سياقه الى معصية واعلاه بيع العنب من الخمار وبيع الغلام من المعروف
بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قاطع الطريق وقد اختلف العلما في صحة ذلك وفي حل الثمن الذي يوخذ منه والاقيس
ان ذلك صحيح والماخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال ولكنه يعصي
عصيان الاعانة على المعصية اذ لا يتعلق ذلك بعين العقد فالماخوذ من هذا مكروه كراهة شديدة وتركه من الورع
المهم وليس بحرام • ويليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا وبيع السيف ممن يعرف بظلم ايضا لان
هيـ الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خيفة من ان يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الاول والكراهة
فيه اخف • ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة انه لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحروث
لانهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة فلا يباع منهم البقر والفدان وهذا ورع الوسوسة اذ ينجر
الى ان لا يباع من الفلاح طعام لانه يتقوى به على الحراثة ولا يسقى من الما العام لذلك وينتهي هذا الى حد التنطع المنهي
عنه وكل متوجه الى شي على قصد خير لا بد ان يسرف ان لم يزمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين
ليستضر الناس بعده بها وهو يظن انه مشغول بالخير ولهذا قال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى
رجل من اصحابي والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم ان يكونوا ممن قيل فيهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا وبالجملة لا ينبغي ان يشتغل الانسان بدقايق الورع الا بحضرة عالم متقن فانه اذا جاوز ما رسم
له وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده اكثر مما يصلحه • وقد روي عن سعيد بن ابي وقاص انه احرق كرما خوفا
من ان يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا اعرف له وجها ان لم يعرف هو سببا خاصا يوجب الاحتراز اذ ما احرق نخله
وكرمه من كان ارفع قدرا منه من الصحابة ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب
الى غير ذلك من الاحداث فاما المقدمات فلتطرق المعصية اليها ايضا ثلاث درجات الدرجة الاولى
التي تشتد الكراهة فيها ما بقي اثره في المتناول كالاكل من شاة اعتلفت بعلف مغصوب او رعت في مرعى حرام فان
ذلك معصية وقد كان سببا لبقايه وربما يكون الباقي من لحمه ودمه واجزايه من ذلك العلف وهذا الورع مهم وان

لم يكن واجبا ونقل ذلك عن جماعة من السلف وكان لابي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها كل يوم على رقبته الى الصحرا
ويرعاها وهو يصلي وكان ياكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم تستحل
اخذها فان قيل فقد روي عن عبد الله بن عمر وعبيد الله انهما اشتريا ابلا فبعثاها الى الحمى فرعتها ابلهما حتى سمنت
فقال عمر رعيتماها في الحمى فشاطرهما فهذا يدل على انه راى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب هذا الجنس
قلنا ليس كذلك فان العلف يفسد بالاكل واللحم خلق جديد وليس عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعا ولكن
غرمهما قيمة الكلا وراى ذلك مثل شطر الابل فاخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن ابي وقاص لما قدم من الكوفة وكذلك عمر
شاطر ابا هريرة اذ راى ان كل ذلك لا يستحقه العامل وراى ان شطر ذلك كافيا على حق عملهم وقدر بالشطر اجتهادا ه
والدرجة الوسطى ما نقل عن بشر من امتناعه عن ماء يساق من نهر الظلمة لان النهر موصل اليه وقد عصى الله بحفره وامتنع
اخر عن عنب كرم سقي بما قد جرى في نهر حفر ظلما وهذا امنع منه وابلغ في الورع وامتناع اخر من الشرب من مصانع
السلاطين في الطرق واعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال اوصل اليه على يد سجان وقوله انه جاءني على يد
ظالم ودرجات هذه الرتب لا تنحصر الدرجة الثالثة وهي قريبة من الوسواس والمبالغة ان يمتنع من حلال وصل
على يدي رجل عصى الله سبحانه بالزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من اخذ حلال وصل على يد
كافر وسواس بخلاف اكل الحرام اذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام فيجر هذا الى ان لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بغيبته
او كذبه وهو غاية التنطع والاسراف فلينضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر
وقوة اليد المستفادة بالغذاء الحرام ولو امتنع عن الشرب من كوز لان الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما
بضرب انسان او شتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة ساقها اكل حرام فهذا ابعد من يد السجان لان الطعام
بيد السجان والشاة تمشي بنفسها والسائق يمنعها عن العدول عن الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا
في بيان ما يتداعا اليه هذه الامور واعلم ان كل هذا خارج عن فتوى علم الظاهر فان فتوى الفقيه تختص بالدرجة
الاولى التي يمكن تكليف كافة الخلق به ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصديقين
والصالحين والمفتي في هذا ما قاله صلوات الله عليه لوابصة اذ قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك
وعرف ذلك اذ قال الاثم حزاز القلوب فكلما حاك في صدر المريد من هذه الاسباب فلو اقدم عليه مع حزازة القلب
استضر به واظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو اقدم على حرام في علم الله سبحانه وهو يظن انه حلال لم يؤثر
ذلك في قساوة قلبه ولو اقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره فانما الذي
ذكرناه في النهي على المبالغة اردنا به ان القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حزازة في مثل تلك الامور فان مال قلب
موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فاقدم مع ما يجده في قلبه فذلك يضره لانه ماخوذ في حق نفسه منه وبين
الله سبحانه بفتوى قلبه ولذلك يشدد على الموسوس في الطهارة ونية الصلاة فانه اذا غلب على قلبه ان الما لا يصل الى
جميع اجزا عضو الطهارة في ثلاث مرات لغلبة الوسوسة عليه فيجب ان يستعمل الرابع وصار ذلك حكما في حقه وان كان
مخطيا في نفسه اولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم ولذلك شدد على اصحاب موسى عليه السلام لما استقصوا
في السوال عن البقرة ولو اخذوا اولا بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لاجزاهم ولا تغفل عن هذه الدقائق
التي اوردناها لكما رايناها فان من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك ان يزل في نيل مقاصده ن
واما المعصية في العوض فلها ايضا درجات الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ان يشتري شيا في الذمة
ويقضي ثمنه من غصب او مال حرام فينظر فان سلم البائع اليه الطعام قبل قبض الثمن بطيبة قلب فاكله قبل
قضا الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالاجماع اعني قبل قضا الثمن ولا هو ايضا من الورع المؤكد فان قضا
الثمن بعد الاكل من الحرام فكانه لم يقض الثمن ولو لم يقضه اصلا لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة
بالدين ولا ينقلب ذلك حراما فان قضى الثمن من الحرام وابراه البائع مع العلم بانه حرام فقد برئت ذمته
ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام بصرفها الى البائع وان ابراه على ظن ان الثمن حلال فلا تحصل البراة
لانه يبريه مما اخذه ابرا استيفا ولا يصلح ذلك للايفاء فهذا حكم المشتري والاكل منه وحكم الذمة وان لم

وليس هذا كالوعصى باكل الحرام فان الموصل قوته الحاصلة من الغذا الحرام والزنا والقذف صح

اليد

تنبيه

تسلم اليه بطيب قلب ولكن اخذه فاكله حرام سوا اكله قبل توفية الثمن من الحرام او بعده لان الذي يقتضي الفتوى به ثبوت
حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه باقباض النقد كما تعين ملك المشتري وانما يبطل حق حبسه اما بالابرا واما بالاستيفا ولم
يجر شي منهما ولكنه اكل مال غيره وهو عاص بعصيان الراهن للطعام اذا اكله بغير اذن المرتهن وبينه وبين اكل طعام الغير
فرق ولكن الاصل التحريم فيشمل هذا كله اذا قبض قبل توفية الثمن اما بطيبة قلب البائع او بغير طيبة قلبه فاما اذا وفى الثمن
الحرام اولا ثم قبض فان كان البائع عالما بان الثمن حرام ومع هذا امضى المبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته اذ ما اخذه
ليس بثمن ولا يصير اكل المبيع حراما بسبب بقا الثمن فاما اذا لم يعلم انه حرام وكان بحيث لو علم لما رضي به ولا امضى المبيع فحق
حبسه لا يبطل بهذا التلبيس ولكنه حرام تحريم اكل المرهون الى ان يبريه او يوفي من حلال او يرضى هو بالحرام ويبري فيصح ابراوه
ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الاولى من الحل والحرمة فاما الامتناع منه فمن الورع المهم
لان المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل الى الشي اشتدت الكراهة فيه كما سبق واقوى الاسباب الموصلة الثمن ولولا
الثمن الحرام لما رضي البائع بتسليمه اليه فرضاه به لا يخرجه عن كونه مكروها كراهة شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول
به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلا ثوبا او ارضا في الذمة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسلمه الى
فقيه او غيره صلة او صدقة وهو شاك في انه سيقضي ثمنه من الحلال او الحرام فهذا اخف اذ وقع الشك في تطرق المعصية
الى الثمن وتتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبعضها اشد من بعض
والرجوع فيه الى ما ينقدح في القلب الرتبة الوسطى ان لا يكون العوض غصبا ولا حراما لكن تهيجا لمعصية كما لو سلم
عوضا عن الثمن عنبا والاخذ شارب خمر او سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما في مبيع اشتراه في الذمة ولكن
يقتضي فيه كراهة دون الكراهة التي في الغصب وتتفاوت درجات هذه الرتبة ايضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن
وندوره ومهما كان العوض حراما فبذله حرام وان احتمل تحريمه ولكن غلب الظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندي النهي عن
كسب الحجام وكراهته اذ نهى عليه السلام عنه مرات ثم امر بان يعلفه الناضح منه وما يسبق الى الفهم من ان سببه مباشرة
النجاسة والقذر فاسد اذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قايل به ولا يمكن طرده في القصاب اذ كيف يكون كسبه مكروها
وان قيل به
وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومباشرة القصاب للنجاسة اكثر منه للحجام والفصاد فان الحجام ياخذ الدم
بالمحجمة ويمسح بالقطنة ولكن السبب ان الحجامة والفصد جراحة هي تخريب لبنية الحيوان واخراج لدمه وبه قوام حياته
والاصل فيه التحريم وصون دمه عن الاراقة وانما يحل بالضرورة ونعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد وربما يظن انه نافع
ويكون ضارا فيكون حراما عند الله سبحانه ولكن يحكم بحله بالظن والحدس ولذلك لا يجوز للفصاد فصد عبد ولا صبي ولا
معتوه الا باذن وليه او قول طبيب ولولا انه حلال في الظاهر لما اعطى عليه السلام اجرة الحجام لما حجمه ابو طيبة ولولا
انه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين اعطايه ونهيه الا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغي ان نذكره في القرائن
المقرونة بالسبب فانه اقرب اليه والرتبة السفلى وهي درجة الوسواس وذلك ان يحلف انسان على ان لا يلبس من
غزل امه فباع غزلها واشترى بثمنه ثوبا فهذا لا كراهة فيه والورع عنه وسوسة وروي عن المغيرة انه قال
في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بانه عليه السلام قال لعن الله اليهود اذ حرمت عليهم الخمر فباعوها واكلوا اثمانها
وهذا غلط لان بيع الخمر باطل اذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا ان
يملك الرجل جارية وهي اخته من الرضاعة فباعها بجارية اجنبية فليس لاحد ان يتورع عنها وتشبيه ذلك ببيع الخمر
غاية السرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدرج فيها وان كانت تفاوت هذه الدرجات لا تنحصر
في ثلاث واربع ولا في عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهيم فان قيل فقد قال صلوات الله عليه
من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل له صلاة اربعين يوما ما كان عليه ثم ادخل ابن عمر اصبعيه
في اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة
بعينها لا في الذمة ولا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في اكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك توعد عليه بمنع قبول
الصلاة لمعصية يتطرق الى سببه وان لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشتري في وقت النداء وغيره المثار الرابع
الاختلاف في الادلة فان ذلك كالاختلاف في السبب لان السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل

والحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة الغير فلا فائدة لثبوته في نفسه وان جرى سببه في علم الله تعالى
وهي اما ان يكون لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامات الدالة او لتعارض التشابه **القسم الاول** ان تتعارض
ادلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن والسنة او تعارض قياسين او تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك
ويرجع فيه الى الاستصحاب والاصل المعلوم قبله ان لم يكن ترجيح فان ظهر ترجيح في جانب الحظر وجب الاخذ به وان
ظهر في جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه واتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد وان كان
المقلد يجوز له ان ياخذ بما افتى اليه مقلده الذي يظن انه افضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف افضل اطباء
البلد بالتسامع والقرائن وان كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي ان ينتقد من المذاهب احسنها عليه بل عليه ان يبحث
حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه ولا يخالفه اصلا نعم ان افتى له امامه بشيء ولامامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف
الى الاجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب
فلقد كان المفتون يفتون بحل اشياء ثم لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها وينقسم هذا ايضا على ثلاث
مراتب **المرتبة الاولى** ما يتأكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب
الآخر فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم اذا اكل وان افتى المفتي بانه حلال لان الترجيح فيه غامض وقد اخترنا ان ذلك
حرام وهو اقيس قولي الشافعي ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب ابي حنيفة او غيره من الائمة كان الورع
مهما وان افتى المفتي بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وان لم يختلف فيه قول الشافعي لان الآية ظاهرة في ايجابها
والاخبار متواترة فيه فانه عليه السلام قال لكل من سأله عن الصيد اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل ونقل
ذلك على التكرار وقد شهر الذبح بالتسمية وكل ذلك يقوي دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله عليه السلام المؤمن يذبح على
اسم الله سمى او لم يسم احتمل ان يكون هذا عاما موجبا صرف الآية وسائر الاخبار عن ظواهرها ويحتمل ان يخصص هذا
بالناسي ويترك الظواهر والآيات وكان حمله على الناسي ممكنا تمهيدا للعذر في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل
الآية ممكنا امكانا اقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الاولى الثانية
وهي تزاحم درجة الوسواس ان يتورع الانسان عن اكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح
في الصحاح من الاخبار حديث الجنين ان ذكاته ذكاة امه صحة لا يتطرق الاحتمال الى متنه ولا الضعف الى سنده وكذلك صح
ان اكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نقل ذلك في الصحيحين فاظن بابي حنيفة انه لم يبلغه هذه
الاحاديث ولو بلغته لقال بها ان انصف وان لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالفه
وعلم الشيء بخبر الواحد **المرتبة الثالثة** ان لا يشتهر في المسألة خلاف اصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر واحد
فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله وانا اتورع فان النقلة وان كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم
والكذب لغرض خفي جائز عليهم فان العدول ايضا قد يكذبون والوهم جائز عليهم فانه قد يسبق الى سمعهم خلاف ما
يقوله القائل وكذا الى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم اليه واما
اذا تطرقت شبهة بسبب خاص في دلالة معينة في حق الراوي فللتوقف وجه ظاهر وان كان عدلا وخلاف من
خالف في اخبار الآحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام في اصل الاجماع وقوله انه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا
الورع لكان من الورع ان يمتنع الانسان من ان ياخذ ميراث الجد الى الاب ويقول ليس في كتاب الله سبحانه ذكر الا
للبنين والحاق ابن الابن بالابن من اجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز اذ خالف النظام فيه
فهذا هوس ويتداعى الى ان يترك ما علم بعمومات القرآن اذ من المتكلمين من ذهب الى ان العمومات لا صيغة لها وانما
يفهم بما فهمه الصحابة منه بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس كاذب ولا طرف من اطراف الشبهات الا
وفيه غلو واسراف فليفهم ذلك ومهما اشكل امر من هذه الامور فليستفت فيه القلب والورع ان يدع ما يريبه
الى ما لا يريبه وليترك حزازات القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف باختلاف الوقائع ولكن ينبغي ان يحفظ
قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم الا بالحق ولا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولا يخلو عن الحزازة في مظان
الكراهة وما اعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد عليه السلام كل احد الى فتوى القلب وانما قال لوابصة لما كان

قد عرفه من حاله **القسم الثاني** ان تتعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد ينهب نوع من المتاع
في وقت ويندر وقوع مثله من غير النهب ويندر من غير المنهوب على انه حرام فيتعارض الامران وكذلك يخبر عدل · فيرما مثلا في بلد رجل من اهل الصلاح فيدل صلاحه على انه حلال ويدل نوع المتاع مع
بانه حرام وآخر بانه حلال او تتعارض شهادة فاسقين او قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب
وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسيأتي تفصيله في باب التعرف والبحث والسؤال **القسم الثالث** تعارض الاشباه
في الصفات التي تناط الاحكام بها مثاله ان يوصي بمال للفقهاء فيعلم ان الفاضل في الفقه داخل فيه وان الذي ابتدأ
التعلم منذ يوم او شهر لا يدخل وبينهما درجات لا تحصر يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب
وهذا اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتي فيها تحيرا لازما لا حيلة له فيه اذ يكون المتصف بالصفة في درجة متوسطة
بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله الى احدهما وكذلك الصدقات المصروفة الى المحتاجين فان من لا شيء له معلوم انه
محتاج ومن له مال كثير معلوم انه غني ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار واثاث وثياب وكتب فان قدر الحاجة منه
لا يمنع من الصرف اليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وانما تدرك بالتقريب ويتعدى منه النظر في مقدار سعة
الدار وابنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدونها وكذلك في نوع اثاث البيت اذا كان من
الصفريات لا من الخزف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما يحتاج اليه كل يوم وما يحتاج اليه كل سنة كآلات
الشتاء وما لا يحتاج اليه الا في سنتين وشيء من ذلك لا حد له والوجه في مثل هذا ما قاله عليه السلام اذ قال دع ما يريبك
الى ما لا يريبك وكل ذلك في محل الريب فان توقف المفتي فلا وجه الا التوقف وان افتى المفتي بظن وحدس وتخمين فالورع
التوقف وهو اهم مواضع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الاقارب وكسوة الزوجات وهبة الفقهاء
والعلماء على بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان احدهما قاصر والآخر زائد وبينهما امور متشابهة تختلف باختلاف الشخص
والحال والمطلع على الحاجات هو الله سبحانه وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل فاصر عن
الضخم وما فوق ثلاثة ارطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وهذا
جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب اذ العرب وسائر اهل اللغات لم يقدروا مسميات اللغات
بحدود محدودة تنقطع اطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانها لا تحتمل ما دونها وما فوقها من الاعداد وسائر
الفاظ الحساب والمقدرات فليست الالفاظ اللغوية كذلك ولا لفظ في كتاب الله سبحانه وسنة رسول الله الا ويتطرق
الشك الى اوساط في مقتضياتها تدور بين اطراف متقابلة وتعظم الحاجة الى هذا الفن في الوصايا والاوقاف
فالوقف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض وكذلك سائر الالفاظ
ونشير الى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص ليتعلم به طريق التصرف في الالفاظ والا فلا مطمع في استيفائها
فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة تجذب الى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها
اذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تدل على الظن او باستصحاب بموجب قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا
يريبك وبموجب سائر الادلة التي سبق ذكرها فهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد من بعض ولو تظاهرت
شبهات شتى على شيء واحد كان الامر اغلظ مثل ان ياخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار او بعد
النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام ليس هو اكثر ماله ولكنه قد صار مشتبها به فقد تؤدي ترادف
الشبهات الى ان يشتد الامر في اقتحامه فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح
من هذا الشرح اخذ به وما التبس فليجتنب عنه اذ الاثم حزاز القلوب وحيث قضينا باستفتاء القلب اردنا به حيث
اباح المفتي اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا نعول على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل
يطمئن الى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وانما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الاحوال فهو المحك
الذي يمتحن به خفايا الامور وما اعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلبه نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة
وليعرض عليه واقعته وجاء في الزبور ان الله اوحى الى داود قل لبني اسرائيل اني لا انظر الى صلاتكم ولا صيامكم
ولكن انظر الى من شك في شيء فتركه لاجلي فذلك الذي انظر اليه بنصري واباهي به ملائكتي **الباب الثالث** بلغ
في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانها اعلم ان كل من قدم اليك طعاما

او هدية او اردت ان تشتري منه او تتهب فليس لك ان تفتش عنه وتسال وتقول هذا مما لا اتحقق حله فلا آخذه بل افتش عنه وليس لك ايضا ان تترك البحث فتاكل كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله والقول الشافي فيه هو ان مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشا الريبة ومثارها اما امر يتعلق بالمال او يتعلق بصاحب المال

المثار الاول احوال المالك وله بالاضافة الى معرفتك ثلاثة احوال اما ان يكون مجهولا او مشكوكا فيه او معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة

الحالة الاولى ان يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الاجناد ولا ما يدل على صلاحه كثياب اهل التصوف والتجارة والعلم وغير ذلك من العلامات فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرايت رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسبه الى اهل صلاح او اهل فساد فهو مجهول واذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت رجلا خبازا او قصابا او غيره ولا علامة تدل على كونه مريبا او خائنا ولا ما يدل على نفيه فهذا مجهول ولا يدرى حاله ولا نقول انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان واكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدرى وبين ما يشك فيه وقد عرفت مما سبق ان الورع ترك ما لا يدرى قال يوسف بن اسباط منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء الا تركته وتكلم جماعة في اشد الاعمال فقالوا هو الورع فقال لهم حسان بن ابي سنان ما شيء عندي اهون من الورع اذا حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وانما نذكر الان حكم الظاهر فنقول حكم هذه الحالة ان المجهول ان قدم اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دليلان كافيان في الهجوم على اخذه وليس لك ان تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وان بعض الظن اثم وهذا المسلم يستحق باسلامه عليك ان لا تسيء الظن به فان اسات الظن به في عينه لانك رايت فسادا من غيره فقد جنيت عليه واثمت به في الحال نقدا من غير شك ولو اخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه انا نعلم ان الصحابة رضي الله عنهم في غزواتهم واسفارهم كانوا ينزلون في القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الاسواق وكان الحرام ايضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال الا عن ريبة وكان عليه السلام لا يسال عن كل ما يحمل اليه بل سال في اول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه اصدقة ام هدية لان قرينة الحال تدل عليه وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء فغلب على الظن ان ما يحمل اليهم بطريق الصدقة ثم اسلام المعطي ويده لا يدل على انه ليس بصدقة وكان يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسال اصدقة ام لا اذ العادة ما جرت بالتصدق في الضيافة ولذلك دعته ام سليم ودعاه الخياط الذي رواه انس رضي الله عنه وقدم اليه طعاما فيه قرع ودعاه الرجل الفارسي فقال انا وعايشة فقال لا فقال فلا فاجابه بعده فذهب هو وعايشة يتساوقان فقرب اليهما اهالة ولم ينقل السؤال في شيء من ذلك وسال ابو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من امره وسال عمر الذي سقاه من لبن ابل الصدقة اذ رابه وكان اعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يالفه كل مرة وهذه اسباب الريبة فكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا باجابته من غير تفتيش بل لو راى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له ان يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن اين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه اذا احتمل ان يكون ورث مالا او اكتسبه فهو بعينه يستحق احسان الظن به وازيد على هذا واقول ليس له ان يساله بل ان كان يتورع فلا يدخل جوفه الا ما يدري من اين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وان كان لا بد له من اكله فلياكل بغير سؤال اذ السؤال ايذاء وهتك ستر وايحاش وهو حرام بلا شك **فان قلت** لعله لا يتاذى فاقول لعله يتاذى فانت تسال حذرا من لعل فان قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس الاثم المحذور في ايذاء مسلم باقل من الاثم في اكل الشبهة والحرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز ان يسال من غيره من حيث يدري هو فان الايذاء في ذلك اكثر وان سال من حيث لا يدري هو ففيه اساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبث بالغيبة وان لم يكن ذلك صريحا وكل ذلك منهي عنه في اية واحدة قال سبحانه اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكم زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذي وانما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشهرة باكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم ان يتاذى اشد من خوفه على بطنه ان يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري اذ لم يكن

فاجابه بعده فذهب هو وعايشة

ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم ان طريق الورع الترك دون التجسس واذا لم يكن بد من الاكل فالورع الاكل واحسان الظن هذا هو المالوف من الصحابة رضي الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع ولن يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه ولو انفق ما في الارض جميعا كيف وقد اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة فقيل انه صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية ولم يسال عن المتصدق عليها فكان المتصدق مجهولا عنده ولم يمتنع

الحالة الثانية ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة اورثت شكا فلنذكر صورته ثم حكمه اما الصورة فهو ان يدل على تحريم ماله دلالة اما من خلقته او من زيه وثيابه او من فعله وقوله اما الخلقة فبان يكون على خلقة الاتراك والبوادي والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل الشارب وان يكون الشعر مفرقا على راسه على داب اهل الفساد واما الثياب فالقباء والقلنسوة وزي اهل الظلم والفساد من الاجناد وغيرهم واما الفعل والقول فهو ان يشاهد منه الاقدام على ما لا يحل فان ذلك يدل على انه يتساهل ايضا في المال وياخذ ما لا يحل فهذه مواضع الريبة فاذا اردت ان تشتري من مثل هذا شيئا او تاخذ منه هدية او تجيبه الى ضيافة وهو غريب مجهول عندك لم يظهر لك منه الا هذه العلامات فيحتمل ان يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالاقدام جائز والترك من الورع ويحتمل ان يقال ان اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فاورثت ريبة فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره ونفتي به لقوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك فظاهره امر وان كان يحتمل الاستحباب ولقوله الاثم حزاز القلوب وهذا له وقع في القلب ولان النبي صلى الله عليه وسلم سال اصدقة هو او هدية وسال ابو بكر غلامه وسال عمر وكل ذلك كان في موضع الريبة وحمله على الورع وان كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه الا بقياس حكمي والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فان دلالة اليد والاسلام وقد عارضتها هذه الدلالات اورث ريبة فاذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له وانما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند الى علامة كما اذا وجدنا الماء متغيرا واحتمل ان يكون بطول المكث فان راينا ظبية بالت فيه ثم احتمل التغير بها تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فان طول الشارب ولبس القباء وهيئة الاجناد تدل على الظلم بالمال اما القول والفعل المخالف للشرع فان تعلق بظلم المال فهو ايضا دليل ظاهر كما لو سمعه يامر بالظلم والغصب او يعقد العقود الفاسدة فاما اذا رآه قد شتم غيره في غضبه او اتبع نظره امراة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من انسان يتحرج في طلب المال ولا يكتسبه الا من الحلال ومع ذلك لا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن ان يضبط هذا بحد فليستفت العبد في مثل هذا قلبه واقول ان هذا ان رآه من مجهول فله حكم وان رآه ممن عرفه بالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر اذ تعارضت الدلالات وتساقطت وعاد الرجل كالمجهول اذ لست اعني بالمجهول الا من لا دلالة على حاله فكم من متحرج في المال لا يتحرج في غيره وكم من محسن للصلاة والوضوء والقراءة وياكل من حيث يجد فالحكم في هذه المواضع ما يميل اليه القلب فان هذا امر بين العبد وبين الله فلا يبعد ان يناط بسبب خفي لا يطلع عليه الا هو ورب الارباب وهو حكم حزازة القلب ثم لينتبه لدقيقة اخرى وهو ان هذه الدلالة ينبغي ان تدل على ان اكثر ماله حرام بان يكون جنديا او عامل سلطان او نائحة او مغنية فان دل على ان في ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع

الحالة الثالثة ان تكون حالته معلومة بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنا في حل المال وتحريمه مثل ان يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته في الظاهر وجوز ان يكون الباطن بخلافه فهاهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول فالاولى الاقدام والاقدام هاهنا ابعد من الشبهة من الاقدام على طعام المجهول فان ذلك بعيد من الورع وان لم يكن حراما واما اكل طعام اهل الصلاح فداب الانبياء والاولياء قال عليه السلام لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي فاما اذا علم انه جندي او مغن او مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب فهاهنا السؤال واجب لا محالة كما في موضع الريبة بل اولى

المثار الثاني ما يستند الشك فيه الى سبب في المال لا في حال المالك وذلك بان يختلط الحلال بالحرام كما اذا طرح في سوق احمال من طعام غصب واشتراها اهل السوق فليس يجب

من يشتري من ذلك البلد وتلك السوق ان يسال عما يشتريه الا ان يظهر ان اكثر ما في ايديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال
فان لم يكن هو الاكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد فالدليل على انه لا يجب السؤال والتفتيش
اذا لم يكن الاغلب الحرام ان الصحابة لم يمتنعوا عن الشرا في الاسواق وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا لا
يسالون في كل عقد وانما السؤال نقل عن احادهم نادرا في بعض الاحوال وهو محل الريبة في حق ذلك الشخص المعين
ولذلك كانوا ياخذون الغنايم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما اخذوا اموالهم واحتمل ان يكون في تلك الغنايم
شيء مما اخذوه من المسلمين وذلك لا يحل اخذه مجانا بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعي وصاحبه اولى به بالثمن عند
ابي حنيفة ولم ينقل قط التفتيش عن هذا • وكتب عمر رضي الله عنه الى اذربيجان انكم في بلاد يذبح فيها الميتة فانظروا ذكيه
من ميتة اذن في السؤال وامر به ولم يامر بالسؤال عن الدراهم التي هي اثمانها لان اكثر دراهمهم لم يكن اثمان الجلود فان كانت
هي ايضا تباع واكثر الجلود كان كذلك ولذلك قال ابن مسعود انكم في بلاد اكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكي من الميتة فخص
الاكثر الامر بالسؤال ولا يتضح مقصود هذا الباب الا بذكر صور وفرض مسايل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها مسئلة
تخص معين خالط ماله الحرام مثل ان يباع على دكانه يباع منه طعام مغصوب او مال منهوب ومثل ان يكون القاضي او
الريس او العامل او الفقيه الذي له ادرار على سلطان ظالم له ايضا مال موروث ودهقنة او تجارة او رجل تاجر
يعامل بمعاملات صحيحة ويربي ايضا معاملات فاسدة فان كان الاكثر من ماله حراما لم يجز الاكل في ضيافته ولا قبول
هديته وصدقته الا بعد التفتيش فان ظهر ان الماخوذ من وجه حلال فذاك والا ترك • وان كان الحرام اقل والماخوذ مشتبه
فهذا في محل النظر لانه على رتبة من الرتبتين اذ قضينا انه لو اشتبهت ذكية بعشر ميتات مثلا وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه
من وجه من حيث ان مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيما اذا لم يكن كثير المال مثل السلطان ويخالفه من وجه اذ الميتة يعلم
وجودها في الحال يقينا والحرام الذي خالط ماله يحتمل ان يكون قد خرج وليس موجودا في الحال فان كان المال قليلا وعلم
قطعا ان الحرام موجود في الحال فهو ومسئلة اختلاط الميتة الواحدة بذكيات واحد • فان كثر المال واحتمل ان يكون
الحرام غير موجود في الحال فهذا اخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كما في الاسواق والبلاد ولكنه اغلظ منه
لاختصاصه بشخص واحد ولا شك في ان الهجوم عليه بعيد من الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا منافيا للعدالة وهذا
من حيث المعنى غامض لتجاذب الاشباه ومن حيث النقل ايضا غامض لان ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع في مثل هذا وكذا
من السلف يمكن حمله على الورع ولا نصا دون فيه نص على التحريم وما ينقل من اقدام منهم على الاكل كاقدام ابي هريرة على طعام
معاوية مثلا ان قدر في جملة ما في يده حرام وذلك ايضا يحتمل ان يكون اقدامه بعد التفتيش والاستبانة ان عين ما ياكله
من وجه مباح والانقياد في هذا ضعيف الدلالة ومذاهب العلما المتاخرين مختلفة كما قال بعضهم لو اعطاني السلطان
شيئا لاخذته وطرد الاباحة فيما اذا كان الاكثر ايضا حراما مهما لم يعرف عين الماخوذ واحتمل ان يكون حلالا واستدل [كا]
اخذ بعض السلف جوائز السلاطين كما سياتي في باب بيان اموال السلطان فاما اذا كان الحرام هو الاصل واحتمل
ان لا يكون موجودا في الحال لم يكن الاكل حراما وان تحقق وجوده في الحال كما في مسئلة اشتباه الميتة بالذكية فهذا مما لا
ادري ما اقول فيه وهي من المتشابهات التي يتحير المفتي فيها لانها مترددة بين مشابه المحصور وغير المحصور والرضيع
اذا اشتبهت بقرية فيها عشرة وجب الاجتناب وان كان في بلدة فيها عشرة الاف لم يجب وبينهما اعداد لو سئلت عنها [بلسوه قريه]
لكنت لا ادري ما اقول فيها ولقد توقف العلما في مسايل هي اوضح من هذه اذ سئل احمد بن حنبل عن رجل رمى صيدا
فوقع في ملك غيره ان الصيد للرامي او لمالك الارض فقال لا ادري فروجع فيها مرات فقال لا ادري وكثير من ذلك
حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع المفتي طمعه عن درك الحكم في جميع الصور • وقد سال ابن المبارك صاحبه
من البصرة عن معاملة قوم يعاملون السلاطين فقال ان لم يعاملوا سوى السلطان فلا تعاملهم وان عاملوا
السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على المسامحة في الاقل ويحتمل المسامحة في الاكثر ايضا وبالجملة فلم ينقل عن
الصحابة انهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة قصاب وخباز وتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا ولمعاملته
السلطان مرة وتقدير ذلك فيه بعد والمسئلة مشكلة في نفسها **فان قيل** فقد روي عن علي بن ابي طالب
انه رخص فيه وقال خذ ما يعطيك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر من الحرام • وسئل

ابن مسعود عن ذلك فقال السائل ان لي جارا لا اعلمه الا خبيثا يدعونا ونحتاج فنستسلفه فقال اذا دعاك
فاجبه واذا احتجت فاستسلفه فان لك المهنا وعليه الماثم وافتى سلمان بمثل ذلك وقد علل علي بالكثرة وعلل
ابن مسعود بطريق الاشارة بان عليه الماثم لانه يعرفه ولك المهنا اي انت لا تعرفه وروي انه قال رجل لابن مسعود
ان لي جارا ياكل الربا فيدعونا الى طعامه افناتيه قال نعم وروي في ذلك عن ابن مسعود بروايات كثيرة مختلفة
واخذ الشافعي ومالك جوائز الخلفا والسلاطين مع العلم بانه قد خالط مالهم الحرام **قلنا** اما ما روي عن
علي فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فانه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له الا
قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره ولست انكر ان في رخصته صريح في الجواز وفعله محتمل للورع ولكنه ان
صح فمال السلطان له حكم اخر فانه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر وسياتي بيان ذلك وكذلك فعل الشافعي
ومالك يتعلق بمال السلطان وسياتي حكمه وانما كلامنا في احاد الخلق واموالهم قريبة من الحصر واما قول [نوقي]
ابن مسعود فقيل انه نقله خوات التيمي وانه ضعيف الحفظ والمشهور منه ما يدل على التوقي عن الشبهات اذ قال لا
يقولن احدكم اخاف وارجو فان الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال
اجتنبوا الحكاكات فانها الاثم **فان قيل** فلم قلتم اذا كان الاكثر حراما لم يجز الاخذ مع ان الماخوذ ليس
فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك على انه من قرن مال مثل هذا الرجل قطعت يده
والكثرة توجب ظنا مرسلا لا يتعلق بالعين فليغلب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور اذا كان
الاكثر هو الحرام ولا يجوز ان يستدل على هذا بعموم قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك لانه مخصوص
ببعض المواضع بالاتفاق وهو ان يريبه بعلامة في عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فان ذلك يوجب ريبة
ومع ذلك قطعتم بانه لا يحرمه **فالجواب** ان اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وانما تقوى اذا سلمت عن
معارض قوي فاذا تحققنا الاختلاط وتحققنا ان الحرام المختلط موجود في الحال والمال غير خال منه وتحققنا ان
الاكثر هو الحرام وكذلك في حق شخص معين يعرف ماله من الحصر ظهر وجوب الاعراض عن مقتضى اليد وان لم
يحمل قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك لا يبقى له محمل ولا يمكن ان يحمل على اختلاط قليل بمال غير محصور
اذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يدعه وعلى اي موضع حمل هذا كان هذا في معناه وحمله على الريبة صرف له
عن ظاهره بغير قياس كان تحريمه هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب وللكثرة تاثير في تحقيق الظن
وكذا الحصر وقد اجتمعا حتى قال ابو حنيفة لا يجتهد في الاواني الا اذا كان الطاهر هو الاكثر فشرط اجتماع
الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة ومن قال ياخذ اي انية اراد بالاجتهاد بنا على مجرد الاستصحاب
فيجوز الشرب ايضا فيلزمه التحريم ها هنا بمجرد علامة اليد ولا يجري ذلك في بول اشتبه بما او لا استصحاب [بسح الاقل]
فيه ولا نظر ايضا في ميتة اشتبهت بذكية اذ لا استصحاب في الميتة واليد لا تدل على انه غير ميتة • ويدل في الطعام
المباح على انه ملكه فهمنا اربعة متعلقات استصحاب وقلة في المخلوط او كثرة وانحصار او اتساع في المخلوط به
وعلامة خاصة في عين الشي يتعلق بها الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع الاربعة ربما يغلط فيشتبه بعض المسايل بما
لا يشبهه فحصل مما ذكرناه ان المخلوط في ملك شخص واحد اما ان يكون الحرام اقل او اكثر وكل واحد اما ان يعلم
يقينا او يظن عن علامة او توهم والسؤال يجب في موضعين وهو ان يكون الحرام اكثر يقينا او ظنا كما لو راى
تركيا مجهولا يحتمل ان يكون كل ماله من غنيمة وان كان الاكثر معلوما باليقين فهو محل التوقف ويكاد يشير
اكثر السلف وضرورة الاحوال الى الميل الى الرخصة فاما الاقسام الثلاثة الباقية فالسؤال فيها غير واجب
اصلا **مسئلة** اذا حضر طعام انسان علم انه دخل في يده حرام من ادرار كان قد اخذه او وجه اخر
ولا يدري انه بقي الان ام لا فله الاكل ولا يلزمه التفتيش وانما التفتيش فيه من الورع ولو علم انه قد بقي منه
شي ولكن لم يدر انه الاكثر او الاقل فله ان ياخذ بانه الاقل وقد سبق ان امر الاكثر مشكل وهذا يقرب [بنظر]
منه **مسئلة** اذا كان في يد المتولي للخزاين والاوقاف او الوصايا مالان يستحق هذا احدهما
ولا يستحق الثاني لانه غير موصوف بتلك الصفة فهل له ان ياخذ ما يسلمه اليه صاحب الوقف فان كانت

تلك الصفقة ظاهرة ويعرفها المتولي او كان المتولي ظاهر العدالة فله ان ياخذ بغير بحث لان الظن بالمتولي ان
لا يصرف اليه ما يصرفه الا من المال الذي يستحقه وان كانت الصفقة خفية او كان المتولي ممن عرف من حاله انه يخلط ولا
يبالي الا بعمل بغلبة السؤال اذ ليس هاهنا يد ولا استصحاب يعول عليه وهو وزان سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الصدقة والهدية عند تردده فيها لان اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة بالاستصحاب فلا ينجي منه الا السؤال
فان السؤال حيث اسقطناه في المجهول اسقطناه لعلامة اليد والاسلام حتى لو لم يعلم انه مسلم فاراد ان ياكل من
لحم من ذبيحته واحتمل ان يكون مجوسيا لم يجز له الاكل ما لم يعرف انه مسلم اذ اليد لا تدل في الميتة ولا الصورة
على الاسلام الا اذا كان اهل البلدة مسلمين فيجوز ان يظن بالذي ليس عليه علامة الكفر انه مسلم وان كان الظن مخطئا
فيه فلا ينبغي ان يلتبس المواضع التي تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد **مسئلة** له ان يشتري في البلد دارا
وان علم انها تشتمل على دور مغصوبة لان ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وان كان في سكة
عشر دور مثلا احدها مغصوبة او وقف لم يجز الشرا ما لم يتميز ويجب البحث عنها ومن دخل بلدة وفيها رباطات ومدارس
خصص بوقفها ارباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب وليس له ان يسكن ايها شا ويأكل من
وقفها بغير سؤال لان ذلك من باب اختلاط في المحصور فلا بد من التمييز ولا يجوز الهجوم مع الابهام لان الرباطات والمدارس
في البلد لا بد ان تكون محصورة **مسئلة** حيث جعلت السؤال من الورع فليس له ان يسأل صاحب الطعام والمال
اذا لم يأمن غضبه ولا يأمن قط غضبه وانما اوجبنا السؤال اذا تحقق ان اكثر ماله الحرام وعند ذلك لا يبالي بغضب
مثله اذ يجب ايذاء الظالم باكثر من ذلك والغالب ان مثل هذا لا يغضب من السؤال نعم ان كان يأخذ من يد وكيله او
غلامه او تلميذه او بعض اهله ممن هو تحت رعايته فله ان يسأل مهما استراب لانهم لا يغضبون من سؤاله ولان عليه ان
يسأل ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سأل ابو بكر غلامه وسأل عمر من سقاه من ابل الصدقة وسأل ابا هريرة ايضا لما
ان قدم عليه بمال كثير فقال ويحك أكل هذا طيب من حيث انه تعجب من كثرته وكان هو من رعيته لا سيما وقد رفع
صيغة السؤال ولذلك قال علي ليس شيء احب الى الله من عدل امام ورفقه ولا شيء ابغض اليه من جور امام وخرقه
مسئلة قال الحرث المحاسبي لو كان له صديق او اخ وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغي ان يسأله لاجل الورع
لانه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يؤدي الى البغضا وما ذكره حسن لان
السؤال اذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع في مثل هذه الامور احتراز عن هتك الستر واثارة للبغضا
وزاد على هذا فقال وان رابه منه شيء ايضا لم يسأله وظن به انه اطعمه من الطيب وجنبه الخبيث فان كان لا
يطمئن قلبه اليه فيحترز مطلقا ولا يهتك ستره بالسؤال لاني لم ار احدا من العلما فعله فهذا منه مع ما اشتهر به من
الزهد يدل على تسامحه فيما اذا خالط المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقق لان لفظ الريبة
يدل على التوهم بدلالة تدل عليه فلا نوجب اليقين فلنزع هذه الدقائق في السؤال **مسئلة** ربما يقول
القائل اي فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال ربما يكذب فان وثق بامانته فليثق بديانته في
الحلال **فاقول** مهما علم مخالطة الحرام لمال انسان وكان له غرض في حضورك ضيافة او قبولك
هدية فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة في السؤال عنه وينبغي ان يسأل من غيره وكذا ان كان بياعا وهو يرغب
في البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله انه حلال ولا فائدة في سؤاله عنه وانما يسأل غيره وانما يسأل
صاحب اليد اذا لم يكن متهما كما يسأل المتولي عن المال الذي يسلمه انه من اي جهة كما سأل عليه السلام عن الهدية
والصدقة فان ذلك لا يؤذي اكتساب المتولي السائل فيه وكذلك اذا اتهمه بانه ليس يدري طريق الحلال فلا يتهم في قوله
اذا اخبر عن طريق تحريم ولذلك يسأل العبد وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فههنا يفيد السؤال فاذا كان
صاحب المال متهما فليسأل من غيره فاذا اخبر عدل واحد قبله واذا اخبر فاسق يعلم من قرينة حاله انه
لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لان هذا امر بينه وبين الله سبحانه والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل
من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الاحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى عدالته
في ظاهره يصدق وانما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا نطلع عليها وقد قبل

ابو حنيفة شهادة الفاسق وكم من شخص تعرفه وتعرف انه قد يتهجم على المعاصي ثم اذا اخبرك بشيء وثقت به وكذلك اذا اخبر به
صبي مميز عرفته بالتثبت فقد يحصل الثقة بقوله فليعول عليه فاما اذا اخبره مجهول لا يدري من حاله شيء اصلا فهذا
هنا كالذي لا يدري دلالة اليد على ملكه ولا دلالة الاسلام ثم ان الاسلام دلالة ظاهرة على الصدق وهذا فيه نظر ولا
يخلو قوله عن اثر ما في القلب حتى لو اجتمع منهم جماعة تفيد ظنا قويا لان ذلك امر واحد فيه وفي غاية الضعف فلينظر
الى حد تأثيره في القلب فان المفتي هو القلب وللقلب في مثل هذا الموضع التفات ثان الى خبر تحسن عنها اطلاق النطق
بما تلاحظه ويدل على وجود الالتفات اليه ما روي عن عقبة بن الحارث انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني تزوجت امراة فجاءت امة سوداء فزعمت انها قد ارضعتنا وهي كاذبة فقال دعها فقال انها سوداء فصغر من شأنها
فقال وكيف وقد زعمت انها قد ارضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك وفي لفظ آخر كيف وقد قيل ومهما لم يعلم كذب
المجهول ولم يظهر امارة غرض له فيه كان له وقع في القلب لا محالة فلذلك تأكد الامر بالاحتراز فان اطمأن اليه القلب
كان الاحتراز حتما واجبا فيه **مسئلة** حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين
ويجوز ان يترجح في قلبه قول احد العدلين او احد الفاسقين ويجوز ان يترجح احد الجانبين بالكثرة او الاختصاص بالخبرة
والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره **مسئلة** لو نهب متاع مخصوص وصادف من ذلك المتاع متاعا في يد انسان
واراد ان يشتريه واحتمل ان لا يكون من المغصوب فان كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشرا وكان تركه من
الورع وان كان الرجل مجهولا لا يعرف منه شيئا فان كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله ان يشتري وان
كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة الا نادرا وانما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل الا اليد وقد عارضتها
علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه والامتناع عن شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة
ولست اقدر على ان احكم فيه بحكم الا ان ارده الى قلب المستفتي لينظر ما الاقوى في نفسه فان كان الاقوى انه مغصوب
لزمه تركه والا حل له شراؤه واكثر هذه الوقائع يلتبس الامر فيها فهي من المشتبهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها
فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه **مسئلة** لو قال قائل قد سأل
عليه السلام عن لبن قدم اليه فذكر له انه من شاة فسأل عن الشاة من اين هي فذكر له فترك السؤال فهل يجب السؤال
عن اصل المال ام لا وان وجب فعن اصل واحد او اثنين او ثلاثة وما الضبط فيه فاقول لا ضبط فيه ولا تقدير
بل ينظر الى الريبة المقتضية للسؤال اما وجوبا او ورعا ولا غاية للسؤال الا حيث ينقطع الريبة المقتضية له
وذلك يختلف باختلاف الاحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال
اشتريته انقطع بسؤال واحد وان قال من شاتي وقع الشك في الشاة فاذا قال اشتريتها انقطع السؤال وان
كانت الريبة من الظلم وذلك فيما بين العرب وسوالهم في ايديهم المغصوبة فلا ينقطع بقوله انه من شاتي ولا بقوله ان
الشاة ولدتها شاتي فان اسندها الى الوراثة من ابيه وحال ابيه مجهول انقطع السؤال وان كان يعلم ان جميع مال
ابيه حرام فقد ظهر التحريم وان كان يعلم ان اكثره حرام فبكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الارث اليه لا يغير
حكمه فلينظر الى هذه المعاني **مسئلة** سئل عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفي يد خادمهم
الذي يقدم الطعام اليهم وقف على ذلك المسكن ووقف اخر على جهة اخرى غير هؤلاء وهو يخلط وينفق الكل على
هؤلاء فاكل طعامه حرام او حلال او شبهة فقلت هذا ينبني على سبعة اصول **الاصل الاول** ان الطعام
الذي يقدم اليه في الغالب يشتريه بالمعاطاة والذي اخترناه صحة المعاطاة لا سيما في الاطعمة والمستحقرات فليس
في هذا الا شبهة الخلاف **الاصل الثاني** ان ينظر الى الخادم هل يشتريه بعين المال الحرام او في الذمة فان
اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وان لم يعرف فالغالب انه يشتري في الذمة ويجوز الاخذ بالغالب فليس في
هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو ان يقع بعين حرام **الاصل الثالث** انه من اين يشتريه فان اشتراه ممن
اكثر ماله حرام لم يجز وان كان اقل ماله ففيه نظر قد سبق واذا لم يعرف جاز له الاخذ بانه يشتريه ممن ماله
حلال او ممن لا يدري المشتري حاله فتبين كالمجهول وقد سبق جواز الشرا من المجهول لان ذلك هو الغالب فلا
يلزم من هذا تحريم بل شبهة احتمال **الاصل الرابع** انه يشتريه لنفسه او للقوم فان المتولي والخادم

كالنايب وله ان يشتري لهم ولنفسه ولكن يكون ذلك بالنية وصريح اللفظ واذا كان يجري بالمعاطاة فلا يجري اللفظ والغالب انه لا ينوي عند المعاطاة والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضر ومن يدفع عن جهته ويدخل في ملكه وهذا الاصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن يشتبه انهم ياكلون من ملك الخادم

الاصل الخامس ان الخادم يقدم اليهم ولا يمكن ان يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فانه لا يرضى بذلك وانما يقدم اعتمادا على عوضه من الوقف فهو معاوضة وليس ببيع ولا اقراض لانه لو اتهمهم مطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فاشبه ما ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب اعني هدية لا لفظ فيها من شخص يقتضي قرينة حاله انه يطمع في ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ما طمع الخادم في ان ياخذوا ما قدمه الاجرة من الوقف فيقضي به دينه من القصاب والخباز والبقال فهذا ليس فيه شبهة اذ لا يشترط اللفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وان كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة بقول من لا يصحح هدية في انتظار ثواب

الاصل السادس ان الثواب الذي يلزم فيه خلاف فقيل انه اقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى له ان لا يرضى باضعاف القيمة والصحيح انه يتبع رضاه فانه اذا لم يرض يوخذ ويرد عليه وههنا الخادم قد رضي بما ياخذ من حق السكان على الوقف فان كان لهم من الحق بقدر ما اكلوه فقد تم الامر وان كان ناقصا ورضي به الخادم صح ايضا وان علم ان الخادم لا يرضى لولا ان في يده الوقف الاخر الذي يلحق بقوت هولا السكان فكانه رضي في الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام والحرام لم يدخل في يد السكان فهذا كالحلال المتطرق الى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وانه متى يقتضي التحريم ومتى يقتضي الشبهة وهذا لا يقتضي تحريما على ما فصلناه فلا ينقلب الهدية حراما بما يتوصل المهدي بسبب الهدية الى حرام

الاصل السابع انه يقضي دين القصاب والخباز والبقال من ارتفاع الوقفين فان وفى بما اخذ من حقهم بقدر ما اطعمهم فقد صح الامر وان قصر عنه ورضي القصاب والخباز باي ثمن كان حراما كان او حلالا فهذا خلل يتطرق الى ثمن الطعام ايضا فينبني على ما قدمناه من الشرا في الذمة ثم قضا الثمن من حرام فهذا اذا علم انه قضاه من حرام فان احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة ابعد فقد خرج من هذا ان اكل هذا ليس بحرام ولكنه اكل شبهة وهو بعيد من الورع لان هذه الاصول اذا كثرت وتطرق الى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرته اقوى في النفس كما ان الخبر اذا طال اسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه اقوى مما اذا قرب اسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى وانما اوردناها لتعرف كيفية تخريج الوقايع الملتفة الملتبسة وانها كيف ترد الى الاصول فان ذلك يعجز عنه اكثر المفتين

الباب الرابع

كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم ان من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام واخراجه ووظيفة اخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما

النظر الاول في كيفية التمييز والاخراج اعلم ان كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب او وديعة او غيره فامره سهل فعليه تمييز الحرام وان كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو اما ان يكون في مال هو من ذوات الامثال كالحبوب والنقود والادهان واما ان يكون في اعيان متمايزة كالعبيد والثياب والدور فان كان في المتماثلات او كان شايعا في المال كله كمن اكتسب بتجارة يعلم انه كذب في بعضها في المرابحة وصدق في بعضها او من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه او فعل ذلك في الحبوب او الدراهم والدنانير فلا يخلو اما ان يكون معلوم القدر او مجهولا فان كان معلوم القدر مثل ان يعلم ان قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وان اشكل فله طريقان احدهما الاخذ باليقين والاخر الاخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلما في اشتباه ركعات الصلاة ونحن لا نجوز في الصلاة الا الاخذ باليقين لان الاصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير الا بعلامة قوية وليس في اعداد الركعات علامات يوثق بها اما ههنا فلا يمكن ان يقال الاصل ان ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الاخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع في الاخذ باليقين فان اراد الورع فطريق التحري والاجتهاد ان لا يستبقي الا القدر الذي يستيقن انه حلال ۝ وان اراد الاخذ بالظن فطريقه مثلا ان يكون في يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن ان النصف حلال وان الثلث مثلا حرام ويبقى السدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحري في كل مال وهو ان يقتطع القدر المتيقن من الجانبين في الحل والحرمة والقدر المتردد فيه ان غلب على ظنه التحريم اخرجه وان غلب الحل جاز له الامساك والورع اخراجه وهذا الورع اكد لانه صار مشكوكا فيه وكان اكله

اعتمادا

اعتمادا على انه في يده ليكون الحل اغلب عليه وقد صار مستيقنا بعد تيقن اختلاط الحرام ويحتمل ان يقال الاصل التحريم فلا ياخذ الا ما يغلب على ظنه انه حلال وليس احد الجانبين باولى من الاخر وليس يتبين لي في الحال ترجيح وهو من المشكلات

فان قيل هب انه اخذ باليقين لكن الذي يخرجه ليس يدري انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز ان يقال اذا اختلطت ميتة بتسع ذكية في العشر فله ان يطرح واحدة اي واحدة كانت وياخذ الباقي ويستحله ولكن يقال ان الميتة فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى الواحدة لم يحل لاحتمال انها الحرام فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا ان المال يحل بالاخراج البدل لتطرق المعاوضة اليه واما الميتة فلا تتطرق المعاوضة اليها فلنكشف الغطا عن هذا الاشكال بالفرض في درهم معين ليشتبه بدرهم اخر فيمن له درهمان احدهما حرام وقد اشتبه عينه فقد سيل احمد بن حنبل عن هذا فقال يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن انية فلما قضى الدين حمل المرتهن انيتين وقال لا ادري ايتك ايهما فتركهما فقال المرتهن هذا هو الذي لك وانما كنت اختبرتك فقضى دينه ولم ياخذ الرهن وهذا ورع ولكنا نقول انه غير واجب فلنفرض في درهم له مالك معين حاضر فنقول اذا رد احد الدرهمين اليه ورضي به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الاخر لانه لا يخلو اما ان يكون المردود في علم الله هو الماخوذ فقد حصل المقصود وان كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه فالاحتياط ان يتبايعا باللفظ فان لم يتبايعا وقع التقابض والتبادل بمجرد المعاطاة وكان المغصوب منه قد فات له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول الى عينه واستحق ضمانه فيما اخذ ووقع عن الضمان وهذا في جانبه واضح فان المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال في جانب الاخر انه لم يدخل في ملكه فنقول لانه ايضا ان كان قد سلم درهم نفسه فقد فات له ايضا درهم هو في يد الاخر وليس يمكن الوصول اليه فهو كالغايب فيقع هذا بدلا عنه في علم الله سبحانه ان كان الامر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله كما يقع التقاص لو اتلف رجلان كل واحد درهما على صاحبه بل في غير مسئلتنا لو اوقع كل واحد ما في يده في البحر او احرقه كان قد اتلفه ولم يكن عليه عهدة للاخر بطريق التقاص فكذا اذا لم يتلف فان القول بهذا اولى من المصير الى ان من اختلط بماله درهم حرام ويطرحه في الف الف درهم لرجل اخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا مذهب يودي اليه فانظر ما في هذا من البعد وليس فيما ذكرناه الا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لا يجعل ذلك بيعا فحيث يتطرق اليه احتمال اذا النقل يضعف دلالته وحيث يمكن التلفظ وههنا هذا التسليم والتسليم للمبادلة قطعا والبيع غير ممكن لان المبيع غير مشار اليه ولا معلوم في عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بالف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض

فان قيل فانتم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعا **قلنا** لا نجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب اذا اخذ مثله هذا اذا ساعد صاحب المال وان لم يساعد واصر وقال لا اخذ درهما اصلا الا عين ملكي فان اشتهى فاتركه ولا اهبه واعطل عليك مالك **فاقول** على القاضي ان ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فان هذا محض التعنت والتضييق والشرع لم يرد به فان عجز القاضي ولم يجده بحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فان عجز فيتولى هو بنفسه ويفرز على نية الصرف اليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقي وهذا في خلط المايعات اظهر والزم

فان قيل فينبغي ان يحل له الاخذ وينتقل الحق الى ذمته فاي حاجة الى الاخراج اولا ثم التصرف في الباقي **قلنا** قال قايلون يحل له ان ياخذ ما دام يبقى قدر الحرام ولا يجوز ان ياخذ الكل ولو اخذ لم يجز له ذلك وقال اخرون ليس له ان ياخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الابدال ۝ وقال اخرون يجوز الاخذ في الصرف ان اخذ منه واما هو فلا يعطى وان اعطي عصى هو دون الاخذ واخذنا جوز اخذ الكل وذلك لان المالك لو ظهر فله ان يطلب حقه من هذه الجملة بان يقول لعل المصروف الذي وقع عين حقي فهذا المالك يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو اقرب الى الحق يقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين على المثل فلذلك ما يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما لا يحتمل ولو جاز ههنا ان يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الاخر ان ياخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقك من موضع اخر اذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك احدنا بان يتلف فانا اولى من الاخر الا ان ينظر الى الاصل فيقدر انه فايت وينظر الى الذي خلط فيجعل بفعله متلفا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا وهنا

واضح في ذوات الامثال فانها تقع عوضا في الاتلافات من غير عقد اما اذا اشتبهت دار بدور او عبد بعبيد فلا
سبيل الى المصالحة والتراضي فان ابى ان ياخذ الا عين حقه ولم يقدر عليه واراد ان يعوق عليه جميع ملكه فان كانت
مماثلة القيم فالطريق ان يبيع القاضي جميع الدور ويوزع الثمن عليهم بقدر النسبة وان كانت متفاوتة اخذ من طالب
قيمة انفس الدور وصرف الى المبيع منه مقدار قيمة الاقل وتوقف في قدر التفاوت الى البيان او الاصطلاح لانه مشكل
وان لم يوجد القاضي فللذي بيده الجميع ان يتولى ذلك بنفسه فهذه هي المصلحة وما عداها من الاحتمالات
ضعيفة لا نختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا في الخلط ظاهر وفي النقود دونه وفي العروض اغمض اذ لا تقوم
البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج الى البيع ولنرسم مسائل بها تتم بيان هذا الاصل **مسئلة** اذا ورث مع
جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة هي لجميع الورثة ولو رد من الضيعة نصفا
وهو قدر حقه ساهمه الورثة فان النصف الذي لا يتميز حتى يقال هو المردود والباقي هو المغصوب ولا يصير مميزا بنية
السلطان وقصده حصر الغصب في نصيب الآخرين **مسئلة** اذا وقع في يده مال اخذ من سلطان ظالم ثم
تاب والمال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغي ان يحسب اجر مثله لطول تلك المدة وكذلك كل مغصوب له منفعة
او حصل منه زيادة فلا يصح توبته ما لم يخرج اجرة المغصوب وكل زيادة حصلت منه وتقوم اجرة العبد والثياب والاواني
وامثال ذلك مما لا يعتاد اجارتها مما يعسر ولا يدرك ذلك الا باجتهاد وتخمين وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد
وطريق الورع الاخذ بالاقصى وما وجد على المال المغصوب من عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه فهو ملك له
ولكن فيه شبهة اذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وان كان باعيان تلك الاموال فالعقود كانت فاسدة وقد قيل
تنفذ باجازة المغصوب منه للمصلحة فيكون للمغصوب منه اولى والقياس ان تلك العقود تنفسخ وتسترد الثمن
تبلغ بالفسخ شيئ
وترد الاعواض فان عجز عنه لكثرته فهي اموال حرام حصلت في يده فللمغصوب منه قدر راس ماله والفضل حرام
يجب اخراجه ليتصدق به فلا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده **مسئلة** من ورث
مالا ولم يدر ان مورثه من اين اكتسبه امن حلال ام من حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وان علم ان فيه
حراما وشك في قدره اخرج مقدار الحرام بالتحري وان لم يعلم ذلك ولكن علم ان مورثه كان يتولى اعمالا للسلاطين
واحتمل انه لم يكن ياخذ من عمله شيئا او كان قد اخذ ولم يبق في يده منه شي لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع
منها ولا يجب وان علم ان بعض ماله كان من الظلم فيلزمه اخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض العلماء لا يلزمه
بل الاثم على المورث واستدل بما روي ان رجلا ممن ولي عمل السلطان مات فقال صحابي الان طاب ماله اي لوارثه
وهذا ضعيف لانه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل فقد كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره
لحرمة الصحبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن اين يوجد هذا نعم اذا لم يتيقن يجوز
ان يقال هو غير ماخوذ بما لا يدري فيطيب لوارث لا يدري ان فيه حراما يقينا **النظر الثاني** في المصرف
فاذا اخرج الحرام فله ثلاثة احوال اما ان يكون له مالك معين فيجب الصرف اليه او الى وارثه وان كان غائبا فينتظر
حضوره او الايصال اليه فان كانت له زيادة ومنفعة فليجمع فوائده الى وقت حضوره واما ان يكون لمالك غير معين
وقع الياس عن الوقوف على عينه ولا يدري انه مات عن وارث ام لا فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى يتضح
الامر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وان قدر
فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على الف والفين فهذا ينبغي ان يتصدق به واما ان يكون من مال الفي والاموال
المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك الى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال هذه
الامور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الاول لا شبهة فيه
اما التصدق وبناء القناطر فينبغي ان يتولاه القاضي فليسلم اليه المال ان وجد قاضيا متدينا وان كان القاضي
مستحلا فهو بالتسليم اليه ضامن ولو ابتدأ به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه
بل يحكم من اهل البلد عالما متدينا فان التحكيم اولى من الانفراد فان عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه فان المقصود
الصرف واما عين الصارف فانما يطلب لمصارف دقيقة في المصالح فلا يترك اصل الصرف بسبب العجز عن صارف

هو اولى عند القدرة عليه **فان قيل** ما دليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة
الى ان ذلك غير جائز لانه حرام وحكي عن الفضيل انه وقع في يده درهمان فلما علم انهما من غير وجههما رمى بهما بين الحجارة وقال
لا اتصدق الا بالطيب ولا ارضى لغيري ما لا ارضاه لنفسي فنقول نعم ذلك له وجه واحتمال وانما اخترنا خلافه للخبر والاثر والقياس
اما الخبر فامره عليه السلام بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه فكلمته بانها حرام اذ قال اطعموها الاسارى ولما
للصديق
نزل قوله سبحانه وتعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون كذبه المشركون وقالوا للصحابة الا
ترون ما يقول صاحبكم يزعم ان الروم ستغلب فخاطرهم ابو بكر باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حقق الله صدقه جا
ابو بكر بما قامرهم به فقال عليه السلام هذا سحت فتصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله وكان قد نزل تحريم القمار بعد اذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر في المخاطرة مع الكفار واما الاثر فان ابن مسعود اشترى جارية فلم يظفر بمالكها لينقده
الثمن وطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه ان رضي والا فالاجر لي وسئل الحسن عن توبة الغال
بعد تفرق الجيش فقال يتصدق به وروي ان رجلا سولت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ثم اتى اميره ليردها عليه
فابى ان يقبضها وقال قد تفرق الناس فاتى معوية فابى ان يقبضها فاتى بعض النساك فقال ادفع خمسها الى معاوية وتصدق بما
بقي فبلغ معوية قوله فتلهف اذ لم يخطر له ذلك وقد ذهب احمد بن حنبل والحرث المحاسبي وجماعة من الورعين الى ذلك
واما القياس فهو ان هذا المال مردد بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير اذ قد وقع الياس عن مالكه وبالضرورة يعلم ان
صرفه الى خير اولى من القائه في البحر فانا ان رميناه في البحر فقد فوتناه على انفسنا وعلى المالك ولم يحصل منه فائدة واذا
رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الاجر للمالك بغير اختياره في
التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الخبر الصحيح ان للزارع والغارس اجرا في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره واما قول
القائل لا نتصدق الا بالطيب فذلك اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن الان نطلب الخلاص من المظلمة لا الاجر وترددنا
بين التضييع وبين التصدق ورجحنا جانب التصدق على جانب التضييع وقول القائل لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لانفسنا فهو
كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال اذ احله دليل الشرع واذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل
واذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول ان له ان يتصدق على نفسه وعياله اذا كان فقيرا اما عياله واهله فلا يخفى لان
الفقر لا ينتفي عنهم بكونهم من عياله واهله بل هم اولى من يتصدق عليهم واما هو فله ان ياخذ منه قدر حاجته لانه ايضا
فقير ولو تصدق به على فقير لجاز فكذا اذا كان هو الفقير ولنرسم في بيان هذا الاصل ايضا مسائل **مسئلة**
اذا وقع في يده مال من سلطان قال قوم يرده الى السلطان فهو اعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير له من
ان يتصدق به واختار المحاسبي ذلك وقال كيف يتصدق به ولعل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لجاز ان يسرق من
السلطان ويتصدق به وقال قوم يتصدق به اذا علم ان السلطان لا يرده الى المالك لان ذلك اعانة للظالم وتكثير
لاسباب ظلمه فالرد اليه تضييع لحق المالك والمختار انه اذا علم من عادة السلطان انه لا يرده الى مالكه فيتصدق به
لك
عن المالك فهو خير للمالك ان كان له مالك معين من ان يرد على السلطان لانه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق
المسلمين فرده على السلطان تضييع وان كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع واعانة للسلطان الظالم على
الظلم وتفويت لبركة دعاء الفقير للمالك وهذا ظاهر اذا وقع في يده ميراث ولم يتعد هو بالاخذ من السلطان فانه
شبيه باللقطة التي ييأس عن معرفة صاحبها وله ان يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له ان يتملكها وان كان
غنيا من حيث انه اكتسبه بجهة مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال بجهة مباح فيؤثر في منعه من التملك
ولا يؤثر في منعه من التصدق **مسئلة** الذي حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا له ان ياخذ قدر حاجته
لفقره فيقدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب اسرار الزكاة فقد قال قوم ياخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وان قدر
على شرا ضيعة او تجارة يكتسب بها لعياله فعل وهذا ما اختاره المحاسبي ولكنه قال الاولى ان يتصدق بالكل
ان وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله سبحانه ان يجري في الحلال فان لم يقدر فله ان يشتري ضيعة او يتخذ
راس مال يتعيش بالمعروف منه كل يوم وجد فيه حلالا امسك ذلك اليوم عنه فاذا فتح الله عليه فاذا وجد حلالا
تصدق بمثل ما انفقه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم ياكل الخبز ويترك اللحم ان قوي عليه والا اكل اللحم من

غير تنعيم وتوسيع وما ذكرناه لا مزيد عليه ولكن ما احتاله حيل ما اتفقه وضامنه فيه نظر ولا شك في ان الورع ان يجعله قرضا فاذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن لهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يبعد ان لا يجب عليه ايضا اذا اخذ بعقد لاسيما اذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعديا بغصبه وكسبه حتى يغلظ الامر عليه **مسئلة** اذا كان في يده حلال وحرام او شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لان الحجة عليه اكد في نفسه منه في عبده وعياله واولاده الصغار والكبار من اولاده يحرسهم من الحرام ان كان لا يفضي بهم الى ما هو اشد منه فان افضى فيطعمهم بقدر الحاجة وبالجملة كلما يحذر في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو انه يتناول مع العلم والعيال في نفسه ربما يعذر اذا لم يعلم اذ لم يتول الامر بنفسه فليبدا في الحلال بنفسه ثم بمن يعول واذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤن كاجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال والاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعهد الدابة وسجر التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فان ما يتعلق ببدنه ولا غنى به عنه هو اولى بان يكون طيبا واذا دار بين القوت واللباس فيحتمل ان يقال يخص القوت بالحلال لانه الممتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من حرام فالنار اولى به واما الكسوة ففائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والابصار عن بشرته وهذا هو الاظهر عند وقال الحارث المحاسبي يقدم اللباس لانه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روي انه لا يقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام وهذا محتمل ولكن امثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام فمراعاة اللحم والعظم ان ينبت من الحلال اولى ولذلك تقيا الصديق ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم يثبت ويبقى **فان قيل** واذا كان الكل منصرفا الى اغراضه فاي فرق بين نفسه وبين غيره ومن جهة وجه وما مدرك هذا الفرق **قلنا** عرف ذلك بما روي ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسئل عليه السلام عن ذلك فمنع من كسب الحجام فروجع مرات فمنع فقيل له ان له ايتاما فقال اعلفوه الناضح فهذا يدل على ان الفرق بين ما ياكله هو او دابته واذا انفتح سبيل الفرق فتبنى عليه التفصيل الذي ذكرناه **مسئلة** الحرام الذي في يده لو تصدق به على الفقراء فله ان يوسع عليهم واذا انفق على نفسه فليضيق ما قدر وما انفق على عياله فليقتصد وليكن وسطا بين التوسيع والتضييق فيكون الامر على ثلاث مراتب وان انفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وان كان غنيا فلا يطعمه الا اذا كان في برية او قدم ليلا ولم يجد شيئا فانه في ذلك الوقت فقير وان كان الفقير الذي حضر تقيا لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبر جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي ان يكرم اخاه بما يكره ولا ينبغي ان يعول على انه لا يدري فلا يضره لان الحرام اذا حصل في المعدة اثر في قساوة القلب وان لم يعرفه صاحبه ولذلك تقيا ابو بكر وعمر وكانا قد شربا على جهل وهذا وان افتينا بانه حلال للفقير احللناه بحكم الحاجة فهو كالخنزير والخمر اذا احللناه بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات **مسئلة** اذا كان الحرام او الشبهة في يد ابويه فليمتنع من مواكلتهما فان كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وان كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه ان الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف في الامتناع فان لم يقدر فليوافق وليقلل الاكل بان يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع فان ذلك عدوان والاخ والاخت قريب من ذلك لان حقهما ايضا موكد وكذلك اذا البسته امه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجتهد ان لا يصلي فيه الا عند حضورها فيصلي فيه صلاة المضطر وعند تعارض اسباب الورع ينبغي ان يتفقد هذه الدقايق وقد حكي عن بشر انه سالت اليه امه رطبة وقالت بحقي عليك ان تاكلها وكان يكرهه فاكل ثم صعد غرفة فصعدت امه وراءه فراته يتقيا فانه اراد ان يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة وقد قيل لاحمد بن حنبل سئل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال احمد هذا شديد فقيل له سئل محمد بن مقاتل العباداني عنها فقال بر والديك فما ذا تقول فقال احب ان تعفيني فقد سمعت ما قالا ثم قال ما احسن ان تداريهما **مسئلة** من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لانه مفلس ولا تجب الزكاة اذ معنى الزكاة ربع العشر مثلا وهذا يجب عليه اخراج الكل اما ردا على المالك ان عرفه او صرفا الى الفقراء ان لم يعرف المالك واما اذا كان مال شبهة يحتمل انه حلال فاذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لان كونه حلالا ممكن ولا يسقط الحج الا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله سبحانه ولله على الناس حج البيت واذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث يغلب تحريمه فالزكاة اولى بالوجوب

وان

وان لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليخلص بيقين وقد قال قوم عليه الجمع وقال قوم يلزمه الصوم دون الاطعام اذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي يكفيه الاطعام والذي نختاره ان كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها والزمناه اخراجها من يده لكون احتمال الحرام اغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم والاطعام اما الصوم فلانه مفلس حكما واما الاطعام فلانه قد وجب عليه التصدق بالجميع ويحتمل ان يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة **مسئلة** من في يده مال حرام امسكه للحاجة فاراد ان يتطوع بالحج ان كان ماشيا فلا باس فانه سياكل هذا المال في غير عبادة فاكله في عبادة اولى وان كان لا يقدر على ان يمشي ويحتاج الى زيادة للمركوب فلا يجوز الاخذ بمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز شرا المركوب في البلد وان كان يتوقع القدرة على حلال لو اقام بحيث يستغني به عن بقية الحرام فالاقامة في انتظار ذلك اولى من الحج ماشيا بالمال الحرام **مسئلة** من خرج لحج واجب بمال فيه شبهة فليجتهد ان يكون قوته من الطيب فان لم يقدر فمن وقت الاحرام الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد يوم عرفة ان لا يكون قيامه بين يدي الله سبحانه ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه حرام فليجتهد ان لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره فانا وان جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة وما الحقناه بالطيبات فان لم يقدر عليه فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر اليه من تناوله لما ليس بطيب فعساه ينظر اليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته **مسئلة** سئل احمد بن حنبل فقال له قائل مات ابي وترك مالا وكان يعامل من تكره معاملته فقال تدع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تقضي وتقضي قال افترى ذلك فقال اتدعه محتبسا بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على انه راى التحري باخراج مقدار الحرام اذ قال يخرج قدر الربح وانه راى ان اعيان ماله ملك له بدلا عما بذله في المعاوضات الفاسدة بطريق التقاص والتقابل مهما كثر التصرف وعسر الرد وعول في قضاء دينه على انه يقين فلا يترك بسبب الشبهة

الباب الخامس

في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم اعلم ان من اخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة امور في مدخل ذلك الى يد السلطان من اين هو وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار الذي ياخذه هل يستحقه اذا اضيف الى حاله وشركائه في الاستحقاق **النظر الاول** في جهات الدخل للسلطان وكل ما يحل للسلطان سوى الاحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان **القسم الاول** ماخوذ من الكفار وهو الغنيمة الماخوذة بالقهر والفيء وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال والجزية واموال المصالحة وهي التي توخذ بالشرط والمعاقدة **والقسم الثاني** الماخوذ من المسلمين فلا يحل منه الا قسمان المواريث وساير الاموال الضايعة التي لا يتعين لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها اما الصدقات فليس توجد في هذا الزمان وما سوى ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام فاذا كتب لفقيه او غيره ادرار او صلة او خلعة على جهة فلا يخلو من احوال ثمانية فانه اما ان يكتب على الجزية او على المواريث او على الاوقاف او على ملك احياه السلطان او على ملك اشتراه او على عامل خراج المسلمين او على بياع من جملة التجار او على الخزانة **فالاول** هي الجزية واربعة اخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات او على الاخماس الاربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط ان لا تكون الجزية الا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار او على اربعة دنانير فانه ايضا في محل الاجتهاد وللسلطان ان يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط ان يكون الذمي الذي يوخذ منه الجزية مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا صبيا ولا امراة اذ لا جزية عليهما فهذه امور تراعى في كمية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من يصرف اليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك **الثاني** المواريث والاموال الضايعة فهي للمصالح والنظر في ان الذي خلفه هل كان ماله حراما او اكثره او اقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراما بقي النظر في صفة من يصرف اليه بان يكون في الصرف اليه مصلحة ثم في المقدار المصروف **الثالث** الاوقاف ويجري مجرى النظر فيه كما يجري في الميراث مع زيادة امر وهو شرط الواقف حتى يكون الماخوذ موافقا له في جميع شرايطه **الرابع** ما احياه السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط اذ له ان يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء اي قدر شاء وانما النظر في ان الغالب انه احياه باكراه الاجراء

اوبان اجرتهم من حرام فان الاجير يعمل بحفر القناة والانهار وبناء الجدران وتسوية الارض ولا سيما تولاه السلطان
بنفسه فان كانوا مكرهين على العمل لم يملكه السلطان وهو حرام وان كانوا مستاجرين ثم قبضوا اجورهم من الحرام
فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها في تعلق الكراهة بالاعواض **الخامس** ما اشتراه السلطان في الذمة من ارض و
ثياب او خلعة او فرس او غيره فهو ملكه وله ان يتصرف فيه ولكنه سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم ان
والشبهة اخرى وقد سبق تفصيله **السادس** ان يكتب على عامل خراج المسلمين او من يجمع اموال القسمة والمصادرة
وهو الحرام المحض الذي لا شبهة فيه وهو الاكثر في الادرارات في هذا الزمان الا ما على اراضي العراق فانها وقف عند
الشافعي على مصالح المسلمين **السابع** ما يكتب على تاجر يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فماله كمال خزانة
السلطان وان كانت معاملته مع غير السلطان اكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسياخذ بدله من الحرام فالخلل
يتطرق الى العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام **الثامن** ما يكتب على الخزانة او على عامل يجتمع عنده من الحلال
والحرام فان لم يعرف السلطان دخل الا من الحرام فهو سحت محض وان عرف يقينا ان الخزانة تشتمل على مال حلال ومال
حرام واحتمل ان يكون ما يسلم اليه بعينه من الحلال احتمالا قريبا له وقع في النفس واحتمل ان يكون من الحرام وهو
الاغلب لان اغلب اموال السلاطين حرام في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم او عزيز وقد اختلف الناس
في هذا فقال قوم كل ما لا اتيقن انه حرام فلي ان اخذه ۰ وقال اخرون لا يحل ان يؤخذ ما لم يتحقق انه حلال فلا
على شبهة اصلا وكلاهما اسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بان الاغلب اذا كان حراما حرم واذا كان
الاغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق ۰ واحتج من جوز اخذ مال السلاطين اذا كان
فيها حلال وحرام مهما لم يتحقق ان عين الماخوذ حرام بما روي عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا ايام الائمة
الظلمة واخذوا الاموال منهم منهم ابو هريرة وابو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وابو ايوب وجرير بن عبد الله
وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك واخذ ابن عمر
وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وابرهيم النخعي والحسن وابن ابي ليلى واخذ الشافعي من
هرون الرشيد الف دينار في دفعة واحدة واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة ۰ وقال علي رضي الله عنه خذ
ما اعطاك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك من ترك العطاء منهم تورعا
مخافة على دينه ان يحمل على ما لا يحل الا ترى قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نحلة فاذا كان اثمان
دينكم فدعوه ۰ وقال ابو هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسأل ۰ وعن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة
كان اذا اعطاه معاوية سكت وان منعه وقع فيه ۰ وعن الشعبي عن ابن مسروق لا يزال العطاء باهل العطا
حتى يدخلهم النار اي يحملهم ذلك على الحرام لا انه في نفسه حرام ۰ وروى نافع عن ابن عمر ان المختار كان يبعث
اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسأل احدا ولا ارد ما رزقني الله واهدى اليه ناقة فقبلها وكان يقال لها ناقة
المختار ولكن هذا يعارضه ما روي ان ابن عمر لم يرد هدية احد الا هدية المختار والاسناد في رده اثبت وعن
نافع انه بعث ابن معمر الى ابن عمر ستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرض من بعض من اعطاه واعطى
السائل ۰ ولما قدم الحسن بن علي على معوية رضي الله عنهم فقال لاجيزنك بجائزة لم اجزها احدا قبلك من العرب
ولا اجيزها احدا بعدك من العرب فاعطاه اربع مائة الف فاخذها ۰ وعن حبيب بن ابي ثابت لقد رايت جائزة المختار
لابن عمر وابن عباس فقبلاها فقيل ما هي فقال مال وكسوة ۰ وعن الزبير بن عدي انه قال قال سلمان اذا كان
لك صديق عامل او تاجر يقارف الربا فدعاك الى طعام او نحوه او اعطاك شيئا فاقبل فان المهنا لك وعليه الوزر
وان ثبت هذا في المربي فالظالم في معناه ۰ وعن جعفر عن ابيه ان الحسن والحسين كانا يقبلان الجوائز من معاوية
وقال حكيم بن حزام مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاملا على اسفل الفرات فارسل الى العشارين اطعمونا مما عندكم
فارسلوا بطعام فاكل واكلنا معه ۰ وقال العلاء بن زهير الازدي اتى ابرهيم ابي وهو عامل على حلوان فاجازه فقبل
وقال ابرهيم لا باس بجائزة العمال ان للعمال مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما اعطاك فهو من طيب
ماله فقد اخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على اهل طاعتهم في معصية الله وزعمت هذه الفرقة

ان ما

ان ما نقل من امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وابي ذر وغيره من الزهاد فانهم
امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاؤه الى محذور ورعا وتقوى فاقدام هؤلاء يدل على الجواز
وامتناع اولئك لا يدل على التحريم ۰ وما نقل عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين الفا وما نقل
عن الحسن في قوله لا اتوضأ من ماء صرفي وان ضاق وقت الصلاة لاني لا ادري اصل ماله فكل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه
احسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع ايضا فهذه شبهة من يجوز اخذ مال السلطان الظالم
والجواب ان ما نقل من اخذ هؤلاء محصور قليل بالاضافة الى ما نقل من ردهم وانكارهم وان كان يتطرق الى امتناعهم
احتمال الورع فيتطرق الى اخذ من اخذ ثلثة احتمالات متفاوتة في الدرجات بتفاوتهم في الورع فان للورع في حق
السلاطين اربع درجات **الدرجة الاولى** ان لا ياخذ من مالهم شيئا اصلا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله
الخلفاء الراشدون حتى ان ابا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان اخذه من بيت المال فبلغ ستة الاف درهم فغرمها لبيت المال
وحكي ان عمر كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له واخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن
احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر اصبعه فاخرجه من فيها وطرحه
على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لال عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكنس ابو موسى الاشعري بيت المال
فوجد درهما فمر بني لعمر فاعطاه فرآه عمر في يد الغلام فساله فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان في اهل
المدينة بيت اهون عليك من آل عمر اردت ان لا يبقى من امة محمد احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال هذا مع
ان المال كان حلالا ولكن خاف ان لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله عليه السلام
دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله ومن تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه ولما سمعه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم من التشديد في الاموال السلطانية حتى قال عليه السلام حين بعث عبادة بن الصامت الى الصدقة اتق الله
يا ابا الوليد لا تجي يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء او بقرة لها خوار او شاة لها ثواج فقال يا رسول الله اهكذا
يكون قال نعم والذي نفسي بيده الا من رحم الله قال فوالذي بعثك بالحق لا اعمل على شيء ابدا ۰ وقال عليه السلام اني
لا اخاف عليكم ان تشركوا بعدي انما اخاف عليكم ان تنافسوا وانما اخاف التنافس في المال ولذلك قال عمر في حديث طويل
يذكر فيه مال بيت المال اني لم اجد يصلحني فيه الا كوالي مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت
بالمعروف ۰ وروي ان ابن طاوس افتعل كتابا على لسانه وارسله الى عمر بن عبد العزيز فاعطاه ثلاث مائة دينار فباع
طاوس ضيعة له وبعث بثمنها الى عمر هذا مع ان السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هي الدرجة العليا في الورع
الدرجة الثانية هو ان ياخذ مال السلطان ولكن انما ياخذ اذا علم ان ما ياخذه من جهة حلال واشتمال
يد السلطان على حرام اخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الاثار او اكثرها او ما اختص منها باكابر الصحابة والورعين
منهم مثل ابن عمر فانه كان من المبالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من اشدهم انكارا عليهم واشد
ذما لاموالهم وذلك انهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه واشفق على نفسه من ولايته وكونه ماخوذا عند
الله بها فقيل له انا لنرجو لك الخير حفرت الابار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ما ذا تقول يا ابن عمر
فقال اقول ذلك اذا طاب المكسب وزكت النفقة وسترد فترى ۰ وفي حديث اخر انه قال ان الخبيث لا يكفر
الخبيث وانك قد وليت البصرة ولا احسبك الا وقد اصبت منها شرا فقال له ابن عامر الا تدعو لي فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول وقد وليت البصرة فهذا قوله
فيما صرفه الى الخيرات ۰ وعن ابن عمر انه قال في ايام الحجاج ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار الى يومي هذا
وروي عن علي رضي الله عنه انه كان له سويق في اناء مختوم يشرب منه فقيل له اتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه
فقال اما اني لا اختمه بخلا به ولكن اكره ان يجعل فيه ما ليس منه واكره ان يدخل بطني غير طيب فهذا هو المألوف
منهم ۰ وكان ابن عمر لا يعجبه شيء الا خرج عنه ۰ وطلب منه خادمه ثلاثين الفا فقال اني اخاف ان تفتنني دراهم
ابن عامر وكان هو الطالب اذهب فانت حر ۰ وقال ابو سعيد الخدري ما منا احد الا وقد مالت به الدنيا
الا ابن عمر فهذا استبان انه لا يظن به ومن كان في منصبه انه ياخذ ما لا يدري انه حلال **الدرجة الثالثة**

ان اخذه ليتصدق به على الفقرا ويفرقه على المستحقين فان ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه فاذا كان السلطان ان لم يوخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظلمه فقد نقول اخذه منه وتفرقته اولى من تركه في يده وهذا قد راه بعض العلما وسياتي وجهه وعلى هذا ينزل ما اخذه اكثرهم ولذلك قال ابن المبارك ان الذين ياخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعايشة وغيرهما ما يقتدون بهم لان ابن عمر ما اخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين الفا وعايشة فعلت مثل ذلك وجابر بن زيد قبل فتصدق به وقال رايت ان اخذ منهم واتصدق احب الي من ان ادعها في ايديهم وهكذا فعل الشافعي بما قبله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى انه لم يمسك لنفسه حبة واحدة

الدرجة الرابعة ان لا يتحقق انه حلال ولا يفرق بل يستنفق ويأخذ من سلطان اكثر ماله حلال وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن اكثر مالهم حراما ويدل عليه تعليل علي رضي الله عنه حيث قال فانما ياخذ من الحلال اكثر وهذا مما قد جوزه جماعة من العلما تعويلا على الاكثر ونحن توقفنا فيه في احاد الناس ومال السلطان اشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد ان يودي اجتهاد مجتهد الى جواز اخذ ما لم يعلم انه حرام اعتمادا على الاغلب وانما منعنا اذا كان الاكثر حراما فاذا فهمت هذه الدرجات تحققت ان ادرارات الظلمة في زماننا لا تجري مجراه وانها تفارقه من وجهين قاطعين احدهما ان اموال السلاطين في عصرنا حرام كلها او اكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والفي والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل منها شي في ايدي السلاطين ولم يبق الا الجزية وانها توخذ بانواع من الظلم لا يحل اخذها فانهم يجاوزون حدود الشرع في الماخوذ والماخوذ منه والوفا له بالشرط ثم اذا نسبت ذلك الى ما انصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشره الوجه الثاني ان الظلمة في العصر الاول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوفين الى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوايزهم وكانوا يبعثون اليهم من غير سوال واذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به فكانوا ياخذون منهم ذلك ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في اغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم عليهم فما كان يحذر ان يصيبوا من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم ولم يكن باخذهم باس فاما الان فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية الا لمن طمعوا في استخدامه والتكثر بهم والاستعانة به على اغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعا والثنا والتزكية والاطرا في حضورهم ومغيبهم فلو لم يذل الاخذ نفسه بالسوال اولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالثنا والدعا ثالثا وبالمساعدة له على اغراضه عند الاستعانة به رابعا وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا وباظهار الحب والموالاة والمناصرة له على اعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوي افعاله سابعا لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي مثلا فاذا لا يجوز ان يوخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم انه حلال لافضائه الى هذه المعاني فكيف ما يعلم انه حرام او يشك فيه فمن استجرا على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين ففي اخذ المال منهم حاجة الى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثنا عليهم والتردد الى ابوابهم وكل ذلك معصية على ما سنبين في الباب الذي يلي هذا فاذا قد تبين مما تقدم مداخل اموالهم وما يحل منها وما لا يحل فلو تصور ان ياخذ الانسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق اليه ذلك لا يحتاج فيه الى تفقد عامل وخدمته ولا الى الثنا عليهم وتزكيتهم ولا الى مساعدتهم فلا يحرم الاخذ ولكن يكره لمعان سننبه عليها في الباب الذي يلي هذا ان شا الله

النظر الثاني من هذا الباب في قدر الماخوذ وصفة الاخذ ولنفرض المال في اموال المصالح كاربعة اخماس الفي والمواريث فان ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من وقف او صدقة او خمس في او خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان مما احياه او اشتراه فله ان يعطي ما شا لمن شا وانما النظر في الاموال الضايعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه الا الى من فيه مصلحة عامة او هو محتاج عاجز عن الكسب فاما الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلما قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر ما يدل على ان لكل مسلم حقا في مال بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الاسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم

المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى امرا يقوم به تتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلما كلهم اعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراة حتى يدخل فيه المعلمون والموذنون وطلبة هذه العلوم ايضا يدخلون فيه فانهم ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن اهل العداوة واهل البغي واعدا الاسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلا وكل من يحتاج اليه في ترتيب ديوان الخراج اعني العمال على الاموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة اما ان تتعلق بالدين او بالدنيا فبالعلما حراسة الدين وبالاجناد حراسة الدنيا والدين والملك توامان فلا يستغني احدهما عن الاخر والطبيب ايضا وان كان لا يرتبط بعلمه امر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز ان يكون له ولمن يجري مجرى العلما في العلوم المحتاج اليها في مصلحة الابدان او مصلحة البلاد ادرار من هذه الاموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين اعني من يعالج منهم بغير اجرة وليس يشترط في هولا الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع الغنى فان الخلفا الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر ايضا بمقدار بل هو الى اجتهاد الامام وله ان يوسع ويغني وله ان يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد اخذ الحسن من معوية في دفعة اربع مائة الف وقد كان عمر يعطي لجماعة اثني عشر الف درهم نقرة في السنة واثبت عايشة رضي الله عنها في هذه الجريدة ولجماعة عشرة الاف درهم ولجماعة ستة الاف وهكذا فهذا مال لهولا فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شي فان خص كل واحد منهم بمال كثير فلا باس وكذلك للسلطان ان يخص من هذا المال ذوي الخصايص بالخلع والجوايز فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي ان يلتفت فيه الى المصلحة ومهما خص عالم او شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فايدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وانما النظر في السلاطين الظلمة في شيين احدهما ان السلطان الظالم عليه ان يكف عن ولايته وهو اما معزول او واجب العزل فكيف يجوز ان ياخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان والثاني انه ليس يعم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للاحاد ان ياخذوا افيجوز لهم الاخذ بقدر حصتهم ام لا يجوز اصلا ام يجوز ان ياخذ كل ما اعطي اما الاول فالذي نراه انه لا يمنع اخذ الحق لان السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة ثايرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الامرا وقد ورد في الامر بطاعة الامرا والمنع من سل اليد عن مساعدتهم اوامر وزواجر فالذي نراه ان الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بني العباس وان الولاية نافذة للسلاطين في اقطار البلاد المبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب المستظهري المستنبط من كتاب كشف الاسرار وهتك الاستار تاليف القاضي ابي بكر بن الطيب رضي الله عنه في الرد على اصناف الروافض من الباطنية ما يشير الى وجه المصلحة فيه والقول الوجيز انا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات الان لبطلت المصالح راسا فكيف يفوت راس المال في طلب الربح بل الولاية الان لا تتبع الا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في اصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضا في اقطار الارض ولاية نافذة الاحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في احكام الامامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلسنا نطول الان به واما الاشكال الاخر وهو ان السلطان اذا لم يعمم بالعطا كل مستحق فهل يجوز للواحد ان ياخذ منه فهذا مما اختلف العلما فيه على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال كل ما ياخذه فالمسلمون كلهم فيه شركا ولا يدري ان حصته منه دانق او حبة فليترك الكل وقال قوم له ان ياخذ قدر قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم انه ياخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم

منه وقسمته حتى مات هولاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطي الفقرا حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الاصناف بمنع حقهم هذا اذا لم يصرف اليه كل المال بل صرف اليه من المال ما لو صرف اليه بطريق الايثار والتفضيل مع تعميم الاخرين لجاز له ان ياخذه والتفضيل جايز في العطا سوى ابو بكر فراجعه عمر فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ وفضل عمر في زمانه فاعطى عايشة اثني عشر الفا وزينب عشرة الاف وجويرية ستة الاف وكذا صفية واقطع عمر لعلي خاصة واقطع عثمان ايضا من السواد خمس جنات واثر عثمان عليا فقبل منه ولم ينكر وكل ذلك جايز فانه في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي اقول فيها ان كل مجتهد مصيب وهي كل مسالة لا نص فيها عينها ولا على مسالة تقرب منها فتكون في معناها بقياس جلي هذه المسالة ومسالة حد الشرب فانهم جلدوا اربعين وثمانين والكل سنة وحق وان كل واحد من ابي بكر وعمر مصيب باتفاق الصحابة ان المفضول ما رد في زمان عمر شيا الى الفاضل مما كان قد اخذه في زمان ابي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا ان كل واحد من الرايين صواب احقا فليوخذ هذا الجنس وستورد الاختلافات التي يصوب فيها كل مجتهد فاما كل مسالة شذ عن مجتهد فيها نص او قياس جلي لغفلة او سوء راي وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب بل المصيب من اصاب النص او ما في معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا ان من وجد من اهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين او الدنيا واخذ من السلطان خلعة او ادرارا على التركات او الجزية لم يصر فاسقا بمجرد الاخذ وانما يفسق بخدمته لهم ومعاونته اياهم ودخوله عليهم وثنايه واطرايه لهم الى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا الا بها كما سنبينه

الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم اموالهم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم بلغ

اعلم ان لك مع الامرا والعمال الظلمة ثلاثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية وهي دونها ان يدخلوا عليك والثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك اما الحالة الاولى وهي الدخول عليهم فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الاخبار والاثار فننقلها لتعلم ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم اما الاخبار فلما وصف عليه السلام الامرا الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم وذلك لان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن لم يسلم من عذاب ونقمة ان نزل بهم لكن من المنابذة والمنازعة وقال عليه السلام سيكون بعدي امرا يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد علي الحوض وروى ابو هريرة انه عليه السلام قال ابغض القرا الى الله الذين يزورون الامرا وفي الخبر خير الامرا الذين ياتون العلما وشر العلما الذين ياتون الامرا وفي الخبر العلما امنا الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس رضي الله عنه واما الاثار فقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامرا يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلطان فانك لا تصيب من دنياهم شيا الا اصابوا من دينك مثله او افضل منه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القرا الزايرون للملوك وقال الاوزاعي ما من شي ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال سحنون ما اسمج بالعالم ان يوتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال انه عند الامير وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك لا انا مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال عبادة بن الصامت حب القاري الناسك للامرا نفاق وحب الاغنيا ريا وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله تعالى واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا فقيل كان عاملا للحجاج فعزله فقال

نسخه سمنون

الرجل انما عملت له على شي يسير فقال عمر حسبك بصحبته يوما او بعض يوم شوما وشرا وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول ان في هذا لغنى عن هولاء السلاطين وقال وهيب بن الورد هولاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قاري على باب هولاء الظلمة ولما خالط الزهري السلطان كتب اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد شغلت عن شكر نعمه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلما فقال سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يود حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا يدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلايهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلما ويقتادون بك قلوب الجهال فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يومنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة الاية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهي زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما والسلام فهذه الاخبار والاثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وانواع الفساد ولكنا نفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على السلطان متعرض لان يعصي الله سبحانه اما بفعله او بسكوته او بقوله او باعتقاده ولا ينفك عن احد هذه الامور اما الفعل فالدخول اليه في غالب الاحوال يكون الى دار مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير اذن المالك حرام ولا يغرنك قول القايل ان ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة او لباب خبز فان ذلك صحيح في غير المغصوب اما المغصوب فلا لانه ان قيل ان كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهي في محل التسامح وكذلك الاجتياز فيجري هذا في كل واحد فيجري في المجموع والغصب انما تم بفعل الجميع وانما يتسامح به اذا انفرد اذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فاما اذا كان ذلك طريقا الى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على الكل فلا يجب ان يوخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا على ان كل واحد انما يخطو خطوة لا تنقص الملك لان المجموع يفوت الملك وهو كضرب خفيف في التعليم مباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع ان كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لا توجب قصاصا فان فرض الظالم في موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة او مظلة من ماله فهو حرام والدخول اليه غير جايز لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان فرض كل ذلك حلالا فلا يعصي بالدخول من حيث انه دخول ولا بقوله السلام عليك ولكن ان سجد او ركع او مثل قايما في سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بسبب ولايته التي هي الة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لغني ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى اخر يقتضي التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحنا في الخدمة فهو معصية الا عند خوف او لامام عادل او لعالم او لمن يستحق ذلك بامر ديني قبل ابو عبيدة بن الجراح يد عمر بن الخطاب لما لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنعوا عن رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقارا لهم من محاسن القربات فاما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغي ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم واذا كان اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل فاما السكوت فانه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرير واواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من راى سيية وسكت عليها فهو شريك في تلك السيية بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وايذا والسكوت على جميع ذلك حرام غير جايز فيجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستغن عن ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا اقول من علم فسادا في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي ان يحترز عن مشاهدته واما القول فهو ان يدعو

للظالم او يثني عليه او يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك راسه او باستبشار في وجهه او يظهر له الحب
والموالاة والاشتياق الى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه
هذه الاقسام اما دعاؤه فلا يحل له الا ان يقول اصلحك الله او وفقك الله للخيرات او طول الله عمرك في طاعته وما يجري
هذا المجرى . فاما الدعا بالحراسة وطول البقا واسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال
عليه السلام من دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله في ارضه فان جاوز الدعا الى الثناء فسيذكر ما ليس فيه فيكون به
كاذبا ومنافقا ومكرما للظالم وهذه ثلاث معاص وقد قال عليه السلام ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي
خبر اخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق له فيما يقول والتزكية والثنا اعانة على
المعصية وتحريك للرغبة فيه كما ان التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية
ولو بشطر كلمة . ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه يموت فان
ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان يثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه فان جاوز ذلك الى اظهار الحب والشوق الى
لقائه وطول بقائه فان كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقا ظالم وحقه ان
يبغضه في الله ويمقته فالبغض في الله واجب ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص
بمحبته وان احبه لسبب اخر فهو عاص من حيث انه لم يبغضه وكان الواجب عليه ان يبغضه وان اجتمع في شخص خير وشر وجب
ان يحب لاجل ذلك الخير ويبغض لاجل ذلك الشر وسياتي في كتاب الاخوة والمتحابين في الله وجه الجمع بين البغض والحب فان
سلم من ذلك كله وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق الى قلبه فانه ينظر الى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون
مقتحما نهيه عليه السلام حيث قال يا معشر المهاجرين والانصار لا تدخلوا على اهل الدنيا فانها مسخطة للرزق هذا مع ما
فيه من اقتدا غيره به في الدخول ومن تكثير سواد الظلمة بنفسه وتجميله اياهم ان كان ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات
واما محظورات . دعي سعيد بن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف
الليل والنهار فان النبي عليه السلام نهى عن بيعتين فقيل ادخل من الباب واخرج من الباب الاخر فقال والله لا يقتدي بي
احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح . ولا يجوز الدخول عليهم الا بعذرين احدهما ان يكون من جهتهم امر الزام
لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب امر السياسة فيجب عليه الاجابة
طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية . والثاني ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه او
عن نفسه اما بطريق الحسبة او بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني عليهم ولا يدع نصيحة
يتوقع لها قبولا هذا حكم الدخول **الحالة الثانية** ان يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لا بد منه
واما القيام والاكرام له فلا يحرم مقابلة له على اكرامه فانه باكرام العلم والدين مستحق للاحماد كما انه بالظلم مستحق
للابعاد فالاكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الاولى ان لا يقوم ان كان معه في خلوة ليظهر له بذلك عز الدين
وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين واعراضه عمن اعرض الله عنه . وان كان الداخل في جمع فمراعاة حشمة
ارباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا باس بالقيام على هذه النية وان علم ان ذلك لا يورث فسادا في الرعية ولا يناله
اذى من غضبه فترك الاكرام بالقيام اولى ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقا ان ينصح فان كان يقارف ما لا يعرف تحريمه
من الزور والظلم وهو يتوقع ان يتركه اذا عرف فليعرفه فذلك واجب وكذا ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من السرف
والظلم فلا فائدة فيه بل عليه ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن ان التخويف يؤثر فيه وعليه ان يرشده الى [صح نسخه]
طريق المصلحة ان كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل فيه غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن [المصلحه الظالم]
الوصول الى غرضه بالظلم فاذا يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجر عليه والارشاد
الى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم فهذه ثلاثة امور يلزمه اذا توقع للكلام فيه اثرا وهو ايضا لازم على
كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر او بغير عذر . وعن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في
البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرا فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضا منها فبينا انا عنده اذ
دق داق الباب فاذا هو محمد بن سليمان فاذن له ودخل وجلس بين يديه ثم قال ما لي اذا رايتك امتلات منك

رعبا

رعبا قال حماد لانه عليه السلام قال ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وان اراد ان يكنز به الكنوز
هاب من كل شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تاخذها وتستعين بها قال ارددها الى من ظلمته بها قال والله ما
اعطيك الا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتاخذها فتقسمها قال لعلي ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم
يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فياثم فازوها عني **الحالة الثالثة** ان يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه وهو
الواجب اذ لا سلامة الا فيه فعليه ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم
ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتاسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله امرهم وان غفل
عنهم فهو الاحسن واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا
يجدون لذته واني واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم وما عسى ان يكون في اليوم وما قال ابو الدرداء
اذ قال اهل الاموال ياكلون وناكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها
وننظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من احاط علمه بظلم ظالم وبمعصية عاص فينبغي ان يحط
ذلك من درجته في قلبه وهذا واجب عليه لان من صدر منه ما يكره ينقص من رتبته في القلب لا محالة والمعصية ينبغي
ان تكره فانها اما ان يغفل عنها او يرضى بها او يكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن
جناية كل احد على حق الله كجنايته على حقك **فان قلت** الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف يجب
قلنا ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فان من لا يكره معصية
الله من لا يحب الله وانما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة واذا احب كره ما يكرهه واحب
ما احبه تعالى وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا **فان قلت** فلقد كان علما السلف يدخلون
على السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكي ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة
فلما دخلها قال ايتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا فقال من التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما
دخل عليه خلع نعليه ولم يسلم بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك ولم يكنه ولكن جلس بازائه وقال كيف [بحاشيه بساطه]
انت يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال
له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال خلعت نعليك بحاشية
بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم علي بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني
وقلت كيف انت يا هشام فقال له اما ما خلعت نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم
خمس مرات فلا يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله
عنه يقول لا يحل لرجل ان يقبل يدي احد الا امراته من شهوة او ولده من رحمة واما قولك لم تسلم بامرة المؤمنين
فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكنني فان الله سبحانه سمى انبياءه باسمائهم وقال يا داود
يا يحيى يا عيسى وكنى عدوه فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب [اعدايه]
يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال هشام عظني فقال سمعت [يقول]
من امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل
في رعيته ثم قام وهرب . وعن سفيان الثوري قال ادخلت على ابي جعفر بمنى فقال ارفع الينا حاجتك فقلت
له اتق الله فقد ملات الارض ظلما وجورا قال فطاطا راسه ثم رفع وقال ارفع الينا حاجتك فقلت انما انزلت
هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال
فطاطا راسه ثم رفع وقال ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه كم انفقت
فقال بضعة عشر درهما وارى هاهنا امورا لا تطيقها الجمال فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين اذا اكرهوا
فكانوا يغررون بارواحهم في الانتقام لله من ظلمهم . ودخل ابن ابي شميلة على عبد الملك بن مروان فقال
له تكلم فقال ان الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومراراتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط
نفسه فبكى عبد الملك وقال لاجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ما عشت . ولما استعمل عثمان بن عفان عبد الله

ابن عامر أتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عنه أبو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال أبو ذر
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه ۝ ودخل مالك بن دينار على أمير
البصرة فقال أيها الأمير قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول من أحمق من السلطان ومن أجهل ممن عصاني ومن أعز ممن اعتز بي أيها
الراعي السوء دفعت إليك غنما سمانا صحاحا فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع فقال له والي البصرة
أتدري ما الذي جرأك علينا وجنبنا عنك قال لا قال قلة الطمع فيما لدينا وترك الإمساك لما في أيدينا ۝ وكان عمر بن عبد العزيز
واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدم الرحل فقال عمر هذا صوت رحمته
فكيف إذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان إلى الناس فقال ما أكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا أمير المؤمنين فقال سليمان
ابتلاك الله بهم ۝ وحكي أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه
قال له سليمان يا أبا حازم ما لنا نكره الموت قال لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب قال
يا أبا حازم كيف القدوم على الله قال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم به على
مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعري ما لي عند الله قال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال إن الأبرار لفي نعيم
وإن الفجار لفي جحيم قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا أبا حازم أي عباد الله أكرم قال
أهل المروءة والتقى قال فأي الأعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأي الدعاء أسمع قال قول الحق عند
من يخاف ويرجو قال فأي المؤمنين أكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها قال فأي المؤمنين أخسر قال رجل
خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان فما تقول فيما نحن فيه قال أو تعفيني قال لا ولكن
نصيحة تلقيها إلي قال يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين
ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه
بئس ما قلت قال أبو حازم إن الله سبحانه قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال فكيف لنا
أن نصلح هذا الفساد قال أن تأخذ المال من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر عليه فقال من يطلب الجنة ويخاف
من النار فقال سليمان ادع لي فقال أبو حازم اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة وإن كان عدوك
فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى فقال سليمان أوصني فقال أوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك
أو يفقدك حيث أمرك ۝ وقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم عظني فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر ما تحب
أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فلعل تلك الساعة قريبة ۝ ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم
يا أعرابي فقال يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته قال يا أعرابي إنا لنجود
إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه قال الأعرابي يا أمير المؤمنين إنه قد تكنفك رجال أساؤوا الاختيار
لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك حرب للآخرة وسلم للدنيا
فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فإنهم لن يألوا في الأمانة تضييعا وفي الأمة خسفا وعسفا وأنت مسؤول عما اجترحوا
وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال
سليمان أما إنك يا أعرابي قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك قال أجل يا أمير المؤمنين ولكن لك لا عليك ۝ وحكي
أن أبا بكرة دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي لا تزداد من الدنيا
إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علم لا تجوزه فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك
ما يلحق بك وإنا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن صائرون إليه باق إن خيرا فخير وإن شرا فشر فهكذا كان دخول أهل العلم
على السلاطين أعني علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون بدقائق
الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم وإن تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الإصلاح بل اكتساب
الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى أحدهما أن يظهر أن قصدي في الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ
وربما يلبسون على أنفسهم ذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في
طلب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه من العلماء ووقع موقع القبول وظهر به أثر الصلاح

فخذ به الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة صح

فينبغي أن يفرح به ويشكر الله على كفاية هذا المهم كمن وجب عليه أن يعالج مريضا ضائعا فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم
به فرحه فإن كان يصادف في قلبه ترجيح كلامه على كلام غيره فهو مغرور والثاني أن يزعم أني أقصد الشفاعة لمسلم في دفع مظلمة
وهذا أيضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم ذكره وإذ ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم في الأحوال العارضة في مخالطة
السلاطين ومباشرة أخذ أموالهم مسائل **مسألة** إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فإن كان له مالك
معين فلا يحل أخذه وإن لم يكن بل كان حكمه أنه يجب التصدق به على المساكين كما سبق فلك أن تأخذه وتتولى التفرقة ولا تعصي
بأخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعند هذا ننظر في الأولى فنقول الأولى أن تأخذه إن أمنت ثلاث غوائل **الغائلة
الأولى** أن يظن السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت تمد إليه اليد ولا تدخله في ضمانك فإن كان
كذلك فلا تأخذه فإن ذلك محذور ولا يفي الخير في مباشرتك التفرقة بما يحصل له من الجراءة على كسب الحرام **الغائلة الثانية**
أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال فيعتقدون أنه حلال فيقتدون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون فهذا أعظم من
الأول فإن جماعة يستدلون بأخذ الشافعي على جواز الأخذ ويغفلون عن تفرقته والأخذ على نية التفرقة فالمقتدى
والمتشبه به ينبغي أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فإنه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير ۝ وقد روى وهب بن منبه
أن رجلا أتي به إلى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على لحم الخنزير فلم يأكل فقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل فقيل
له في ذلك فقال إن الناس قد اعتقدوا أني طولبت بلحم الخنزير فإذا خرجت سالما وقد أكلت فلا يعلمون ماذا أكلت ۝ ودخل وهب بن منبه
وطاوس على محمد بن يوسف أخي الحجاج وكان عاملا وكان في غداة باردة فقال لغلامه هلم ذلك الطيلسان وألقه على
أبي عبد الرحمن أي طاوس وكان قد قعد على الكرسي فألقي عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى الطيلسان عنه وغضب
محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن أن تغضبه لو أخذت الطيلسان وتصدقت به قال نعم لولا أن يقول
من بعدي أخذه طاوس فلا يصنع به ما أصنع به إذا لفعلت **الغائلة الثالثة** أن يتحرك قلبك إلى حبه لتخصيصه
إياك وإيثاره لك بما أنفذه إليك فإن كان كذلك فلا تقبل فإن ذلك هو السم القاتل والداء الدفين أعني ما يحبب
الظلمة إليك فإن من أحببته لا بد أن تحرص عليه وتداهن فيه ۝ قالت عائشة جبلت القلوب على حب من أحسن إليها
وقال عليه السلام اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي بين أن القلب لا يكاد يمتنع من ذلك ۝ وروي أن بعض
الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف فأخرجها كلها فأتاه محمد بن واسع فقال ما صنعت بما أعطاك هذا
المخلوق فقال سل أصحابي فقالوا أخرجه كله قال أنشدك الله أقلبك أشد حبا له الآن أم قبل أن أرسل إليك
فقال لا بل الآن فقال إنما كنت أخاف هذا وقد صدق فإنه إذا أحبه أحب بقاءه وكره عزله ونكبته وموته وأحب
اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم ۝ قال سلمان وابن مسعود من رضي بأمر
وإن غاب عنه كان كمن شهده وقال سبحانه ولا تركنوا إلى الذين ظلموا قيل لا ترضوا بأعمالهم فإن كنت في القوة
بحيث لا تزداد حبا لهم بذلك فلا بأس بالأخذ ۝ وقد حكي عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالا ويفرقها فقيل له ألا
تخاف أن تحبهم فقال لو أخذ رجل بيدي وأدخلني الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قلبي لأن الذي سخره للأخذ بيدي هو
الذي أبغضه لأجله شكرا له على تسخيره إياه وبهذا تبين أن أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك المال بعينه من وجه
حلال فهو محذور ومذموم لأنه لا ينفك عن هذه الغوائل **مسألة** إن قال قائل إذا جاز أخذ ماله وتفرقته
فهل يجوز أن يسرق ماله أو يخفي وديعته ويجحد ويفرق على الناس فنقول ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين
وهو على عزم أن يرده عليه وليس هذا كما يبعثه إليك فإن العاقل لا يظن به أن يتصدق بما يعلم مالكه فيدل تسليمه
على أنه لا يعرف مالكه فإن كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز أن يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك ثم كيف يسرق ويحتمل
أن يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته فإن اليد دلالة على الملك فهذا لا سبيل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن
ما جهة جندي واحتمل أن يكون له بشراء في الذمة أو غيره وجب الرد عليه فإذا لا يجوز سرقة ما لهم لا منهم ولا
ممن أودع عنده ولا يجوز إنكار وديعتهم ويجب الحد على سارق مالهم إلا إذا ادعى السارق أنه ليس ملكا لهم فعند
ذلك يسقط بالدعوى **مسألة** المعاملة معهم حرام لأن أكثر أموالهم حرام فما يؤخذ عوضا فهو حرام فإن
أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم إليهم فإن علم أنهم يعصون الله سبحانه به كبيع الديباج منهم

أكل

فهو يعلم انهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار وانما الخلاف في الصحة وان امكن ذلك وامكن ان يلبسها نساهم
فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصى في عينه من الاموال وفي معناه بيع الفرس منهم لاسيما في وقت ركوبهم الى قتال المسلمين او
جباية اموالهم فان ذلك اعانة قريبة وهي محظورة فاما بيع الدراهم والدنانير منهم وما يجري مجراه مما لا يعصى في عينه بل
توصل به فهو مكروه لما فيه من اعانتهم على الظلم لانهم يستعينون على ظلمهم بالاموال والدواب وساير الاسباب وهذه
الكراهة جارية في الاهدا اليهم وفي العمل لهم من غير اجرة حتى في تعليمهم وتعليم اولادهم الكتابة والترسل والحساب
واما القران فلا يكره الا من حيث اخذ الاجرة فان ذلك حرام الا من وجه يعلم حله ولو انتصب وكيلا لهم يشتري لهم في
السوق من غير جعل ولا اجرة فهو مكروه من حيث الاعانة وان اشترى لهم ما يعلم انهم يقصدون به المعصية كالغلام
والديباج للبس والفرس للركوب الى الظلم والقتل فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر
واحتمل حكم الحال ودلالة عليه حصلت الكراهة **مسئلة** الاسواق التي بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة
ولا يجوز سكناها فان سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه وللناس ان يشتروا منهم
ولكن لو وجدوا سوقا اخرى فالاولى الشرا منها فان ذلك اعانة لسكانها وتكثير لكرى حوانيتهم وكذلك معاملة السوق
التي لا خراج لهم عليها احب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى لم يجوزوا معاملة الفلاحين واصحاب
الاراضي التي عليها خراج لانهم ربما يصرفون ما ياخذون الى الخراج فيحصل به الاعانة وهذا غلو في الدين وحرج على
المسلمين فان الحرام قد عم الاراضي ولا غنى بالناس عن ارتفاع الارض فلا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم على المالك
زراعة الارض حتى لا يطلب خراجه وذلك مما يطول ويتداعى الى حسم باب المعاش **مسئلة** معاملة قضاتهم
وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل اشد اما القضاة فلانهم ياخذون من اموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم
ويغرون الخلق بزيهم فانهم على زي العلما ويختلطون بهم وياخذون من اموالهم والطباع مجبولة على التشبه
والاقتداء بذوي الجاه والحشمة فهم سبب انقياد الخلق اليهم واما الخدم والحشم فاكثر اموالهم من الغصب
الصريح ولا يقع في ايديهم مال مصلحة وجزية وميراث و وجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال باموالهم
قال طاوس لا اشهد عندهم وان تحققت لاني اخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة انما فسدت الرعية
بفساد الملوك وفسد الملوك بفساد العلما ولولا القضاة السوء والعلما السوء لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم
ولذلك قال عليه السلام لا تزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه ما لم تمالي قراؤها امراءها وانما ذكر القرا لانهم كانوا
هم العلما وانما كان علمهم بالقران ومعانيه المفهومة بالسنة وما وراء ذلك من العلوم محدثة بعدهم وقد
قال سفيان لا تخالط السلطان ولا من يخالطهم وقال صاحب القلم والدواة وصاحب القرطاس وصاحب
الليطة بعضهم شركا بعض وقد صدق فان النبي صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر وقال
ابن مسعود اكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد عليه السلام وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ابن سيرين لا تحمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان من مناولة الخليفة
في زمانه دواة بين يديه وقال حتى اعلم ما تكتب فيه فكل من حواليهم من خدمهم وظلمتهم يجب بغضهم في الله جميعا وروي
عن عثمان بن زائدة انه ساله واحد من الجنود وقال اين الطريق فسكت واظهر انه صمم وخاف ان يكون متوجها الى
ظلم فيكون هو بارشاده الى الطريق معينا له وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكة
والحجامين واهل الحمامات والصاغة والصباغين وارباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع الكفار
من اهل الذمة وانما هذا في الظلمة خاصة الاكلين لاموال اليتامى والمساكين والمواظبين على ايذاء المسلمين والذين
تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعايرها وهذا لان المعصية منقسمة الى لازمة ومتعدية فالفسق لازم لا
يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله سبحانه وحسابه على الله واما معصية الولاة بالظلم فهو متعد
وانما يغلظ امرهم لذلك وبقدر عموم الظلم وعموم التعدي يزدادون من الله مقتا فيجب ان يزداد منهم
اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال عليه السلام يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار وقال عليه
السلام ان من اشراط الساعة رجالا معهم سياط كاذناب البقر فهذا حالهم ومن عرف بذلك ومن لم يعرف

بلغ مقابلة

فعلامته

فعلامته القبا وطول الشوارب وساير الهيات المشهورة فمن رئي على تلك الهيئة يجب اجتنابه ولا يكون ذلك
من سوء الظن لانه الذي جنا على نفسه اذ تزيا بزيهم ومساواة الزي يدل على مساواة القلب فلا يتجانن الا مجنون
ولا يتشبه بالفساق الا فاسق نعم الفاسق قد يلتبس ويتشبه باهل الصلاح واما الصالح فليس له ان يتشبه باهل
الفساد لان ذلك يكثر لسوادهم وانما نزل قوله سبحانه ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم في قوم من المسلمين
كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة وقد روي ان الله سبحانه اوحى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك
اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال يا رب ما بال الخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا
يؤاكلونهم ويشاربونهم وبهذا يتبين ان بغض الظلمة والغضب لله عليهم واجب وروى ابن مسعود عنه
عليه السلام ان الله لعن علماء بني اسرائيل اذ خالطوا الظالمين في معايشهم **مسئلة** المواضع التي بناها
الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي ان يحتاط فيها وينظر اما القنطرة فيجوز العبور عليها
للحاجة والورع الاحتراز ما امكن وان وجد عنها معدلا تاكد الورع وانما جوزنا العبور وان وجد عنها معدلا
لانه اذا لم يعرف لتلك الاعيان مالكا كان حكمها ان ترصد للخيرات وهذا خير فاما اذا عرف ان الاجر والحجارة
قد نقلت من دار معلومة او مقبرة او مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه اصلا الا لضرورة يحل بها مثل ذلك من
مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه واما المسجد فان بني من ارض مغصوبة او خشب مغصوب
من مسجد اخر او مال معين فلا يجوز دخوله اصلا ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف الامام
وليقف خارج المسجد فان الصلاة في الارض المغصوبة تسقط الفرض وتنعقد في حق الاقتدا وان عصى صاحبه
بالوقوف في المغصوب وان كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد اخر ان وجد فان لم يجد غيره
فلا يترك الجمعة والجماعة به لانه يحتمل ان يكون من ملك الذي بناه ولو على بعد وان لا يكون له مالك معين فهو
لصالح المسلمين ومهما كان في المسجد الكبير بنا لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد اعني من
الورع قيل لاحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج الى الصلاة ونحن بالعسكر فقال حجتي الحسن وابرهيم التيمي
خافوا ان يفتنهم الحجاج وانا اخاف ان افتتن ايضا واما الخلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول فانه غير متقوم
به انما هو زينة والاولى ان لا ينظر اليه واما البواري التي فرشوها فان كان لها مالك معين حرم الجلوس
عليها والا فبعد ان رصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها ولكن الورع العدول عنها فانها محل شبهة واما
السقاية فحكمها ما ذكرناه فليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول فيها الا اذا كان يخشى فوات الصلاة
فيتوضا وكذا مصانع طريق مكة واما الرباطات والمدارس فان كانت الرقبة مغصوبة او الاجر منقولا من موضع
معين يمكن الرد الى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وان التبس المالك فقد ارصد لجهة من الخير والورع اجتنابه
ولكن لا يلزم الفسق بدخوله وهذه الابنية ان صدرت من خدم السلاطين فالامر فيه اشد اذ ليس لهم صرف الاموال

لـ

الضايعة الى المصالح ولان الحرام اغلب على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك للولاة وارباب
الامر **مسئلة** الارض المغصوبة اذا جعلت شارعا لم يجز ان يتخطى البتة وان لم يكن لها مالك معين
جاز والورع العدول ان امكن فان كان الشارع مباحا وفوقه ساباط جاز العبور ويجوز الجلوس تحت
الساباط على وجه لا يحتاج فيه الى السقف كما يقف في الشارع لشغل فان انتفع بالسقف في دفع حر الشمس
او المطر او غيره فهو حرام لان السقف لا يراد الا لذلك وهكذا الحكم فيمن يدخل مسجدا او ارضا مباحة سقف
وحوط بغصب فانه بمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف الا اذا كان له فايدة في الحيطان
والسقف بحر او برد واستتر عن بصر او غيره فذلك حرام لانه انتفاع بالحرام اذ لم يحرم الجلوس على
الغصب لما فيه من المماسة بل للانتفاع والارض تراد للاستقرار والسقف للاستظلال فلا فرق بينهما

الباب السابع

في مسايل متفرقة يكثر مسيس الحاجة اليها وقد يسال عنها في الفتاوى **مسئلة** سئل عن خادم
الصوفية يخرج الى السوق ويجمع طعاما او نقودا ويشتري به طعاما فمن الذي يحل له ان ياكل منه وهل يختص

بالصوفية ام لا فقلت اما الصوفية فلا شبهة في حقهم اذا اكلوه واما غيرهم فيحل لهم اذا اكلوه برضا
الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة   اما الحل فلان ما يعطى خادم الصوفية انما يعطاه بسبب الصوفية ولكنه والمعطى
لا الصوفية فهو كالرجل المعيل يعطى بسبب عياله لانه متكفل لهم وما ياخذه يقع ملكا له لا للعيال وله ان يطعم
غير العيال اذ يبعد ان يقال لم يخرج عن ملك المعطى ولا تسلط للخادم على الشراء به والتصرف فيه لان ذلك مصير
الى ان المعاطاة لا تكفي وهو ضعيف ثم لا صائر اليه في الصدقات والهدايا ويبعد ان يقال زال الملك الى الصوفية
الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخانقات اذ لا خلاف ان له ان يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم او واحد
منهم لم يجب صرف نصيبه الى وارثه ولا يمكن ان يقال وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لان ازالة الملك الى الجهة
لا يوجب تسليط الاحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا يحصرون بل يدخل فيه من يولد الى القيامة فانما يتصرف فيه
الولاة والخادم لا يجوز ان ينتصب نائبا عن الجهة فلا وجه الا ان يقال هو ملكه وانما يطعم الصوفية بو لا شرط
التصوف والمروة فان منعهم منه منعوه من ان يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع رفعه كما ينقطع عمن مات
عياله   **مسئلة**   سئل عن مال اوصى به للصوفية لمن ذا الذي يجوز ان يصرف اليه فقلت التصوف امر باطن
لا يطلع عليه فلا يمكن ربط الحكم بحقيقته بل بامور ظاهرة يعول عليها اهل العرف في اطلاق اسم الصوفي والضابط
الكلي ان كل من هو بصفة اذا نزل في خانقاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو
داخل في غمارهم   والتفصيل ان يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح   والفقر   وزي الصوفية   وان لا يكون
مشتغلا بحرفة وان يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة في الخانقاه ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال
الاسم وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لان الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من اهل الصلاح
بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وان كان على زيهم لا يستحق ما اوصى به للصوفية ولسنا نعتبر فيه
الصغائر   واما الحرفة والاشتغال بالكسب فيمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في
حانوته او داره والاجير الذي يخدم باجرة كل هؤلاء لا يستحقون ولا ينجبر هذا بالزي والمخالطة   فاما الوراقة
والخياطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيها فاذا تعاطاها لا في حانوت ولا على جهة الاكتساب وحرفة
فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجبر بمساكنته اياهم مع بقية الصفات   واما القدرة على الحرفة من غير
مباشرة فلا تمنع   واما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف اذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة والفقر
اذ لا تناقض ان يقال صوفي مقرئ وصوفي واعظ وصوفي عالم ومدرس ويتناقض ان يقال صوفي دهقان
وصوفي تاجر وصوفي عامل   واما الفقر فان زال بغنى مفرط ينسب الرجل به الى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه
اخذ وصية الصوفية وان كان له مال ولا يفي دخله بخرجه لم يبطل فقره وكذا اذا كان له مال قاصر عن وجوب
الزكاة وان لم يكن له خرج فهذه امور لا دليل لها الا العادات   واما المخالطة معهم ومساكنتهم فلها اثر
ولكن من لا يخالطهم وهو في داره او في مسجد على زيهم ومتخلق باخلاقهم فهو شريك لهم في سهمهم وكان ترك
المخالطة يجبرها ملازمة الزي فان لم يكن على زيهم ووجدت بقية الصفات فلا يستحق الا اذا كان مساكنا لهم في
الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية فالمخالطة والزي ينوب كل واحد منهما عن الاخر والفقيه الذي ليس على
زيهم هذا حكمه فان كان خارجا لم يعد صوفيا وان كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد ان
ينسحب بالتبعية عليه حكمهم   واما لبس المرقعة من يد شيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعدمه
لا يضر مع وجود الشرائط المذكورة واما المتاهل المتردد بين الرباط والمسكن فلا يخرج من جملتهم   **مسئلة**
ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالامر فيه اوسع مما اوصى به للصوفية لان معنى الوقف الصرف الى مصالحهم
فلغير الصوفي ان ياكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة او مرتين فان امر الاطعمة مبناه على التسامح حتى جاز
الانفراد به في الغنائم المشتركة وللقوال ان ياكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح
معايشهم   وما اوصى به للصوفية لا يجوز ان يصرف الى القوال الصوفية بخلاف الوقف وكذلك من احضره
من العمال والتجار والقضاة والعلماء والفقهاء ممن لهم غرض في استمالة قلوبهم يحل لهم الاكل برضاهم

كان الواقف لا يقف الا معتقدا فيه ما جرت عليه عادة الصوفية فينزل على العرف ولكن ليس هذا على الدوام فلا
يجوز لمن ليس صوفيا ان يسكن معهم على الدوام ويأكل وان رضوا به اذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم
واما الفقيه اذا كان على زي الصوفية واخلاقهم فله النزول عليهم وكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس بشرط
في التصوف عند من يعرف التصوف ولا يلتفت الى خرافات بعض الحمقاء ان العلم حجاب فان الجهل هو الحجاب وقد ذكرنا
تاويل هذه الكلمة في كتاب العلم وان الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود وذكرنا المذموم والمحمود وشرحهما   واما
الفقيه اذا لم يكن على زيهم واخلاقهم فله منعه من النزول عليهم وان رضوا بنزوله فيحل له الاكل معهم بطريق التبعية
وكان عدم الزي يجبره المساكنة ولكن برضا اهل الزي وهذه امور تشهد لها العادات وفيها امور متقابلة لا يخفى اطرافها
في النفي والاثبات وتتشابه اوساطها فمن احترز في موضع الاشتباه فقد استبرأ لدينه وعرضه كما نبهنا عليه في باب
الشبهات   **مسئلة**   عن الفرق بين الرشوة والهدية مع ان كل واحدة منهما تصدر عن رضا ولا تخلو عن غرض
وقد حرمت احداهما دون الاخرى   **فقلت**   باذل المال لا يبذله قط الا لغرض اما اجل كالثواب واما عاجل
والعاجل اما مال واما فعل واعانة على مقصود معين واما تقرب الى قلب المهدى اليه بطلب محبته اما للمحبة في عينها
واما للتوصل بالمحبة الى غرض وراءها فالاقسام الحاصلة من هذا خمسة   **الاول**   ما غرضه الثواب في الاخرة
وذلك اما ان يكون المصروف اليه محتاجا او عالما او منتسبا بنسب ديني او صالحا في نفسه متدينا فما علم الاخذ انه
يعطى لحاجته لا يحل له اخذه وان لم يكن محتاجا وما علم انه يعطى لشرف نسبه لا يحل له ان علم انه كاذب في دعوى
النسب وما يعطى لعلمه فلا يحل ان ياخذ الا ان يكون في العلم كما يعتقده المعطى فان كان خيل اليه كمال في العلم حتى بعثه
ذلك على التقرب ولم يكن كاملا لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له ان ياخذه ان كان فاسقا في الباطن فسقا
لو علمه المعطي لما اعطاه وقل ما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة اليه وانما ستر الله الجميل
هو الذي يحبب الخلق الى الخلق والمتورعون وكلوا في الشراء من لا يعرف انه وكيلهم حتى لا يتسامحوا في البيع حذرا من ان يكون
ذلك اكلا بالدين فان ذلك مخطر والتقوى خفي لا كالعلم والنسب والفقر فينبغي ان يجتنب الاخذ بالدين ما امكن
القسم الثاني   ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدي الى الغني طمعا في خلعته فهذه هبة بشرط الثواب
لا يخفى حكمها وانما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود   **الثالث**   ان يكون
المراد اعانة بفعل معين كالمحتاج الى السلطان يهدي الى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده فهذه هبة
بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فان كان حراما كالسعي في تنجيز ادرار حرام
او ظلم انسان او غيره حرم الاخذ وان كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه او شهادة متعينة فيحرم
ما ياخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وان كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف لجاز
الاستئجار عليه فما ياخذه حلال مهما وفى بالغرض وهو جار مجرى الجعالة كقوله اوصل هذه القصة الى يد السلطان
ولك دينار وكان بحيث يحتاج الى تعب وعمل متقوم او قال اقترح على فلان ان يعينني في غرض كذا او ينعم علي بكذا
وافتقر في تنجيز غرضه الى كلام طويل فذلك جعل كما ياخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضي فليس بحرام اذا كان
لا يسعى في حرام وان كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه او تلك الفعلة من
ذي الجاه مفيد كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان او كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا
حرام لانه عوض عن الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهي عنه في هدايا الملوك
واذا كان لا يجوز العوض عن اسقاط الشفعة والرد بالعيب وادخال الاغصان في هواء الملك وجملة من الاغراض
مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا اخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على
دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبات يقلع البواسير او غيره فلا يذكره الا بعوض فان عمله في التلفظ
به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز اخذ العوض عليه ولا على علمه اذ ليس ينتقل علمه الى غيره وانما يحصل لغيره
مثل علمه ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في الصناعة كالصيقل مثلا الذي يزيل اعوجاج السيف
او المراة بدقة واحدة لحسن معرفته بموقع الخلل ولحذقه باصابته فقد يزيد بدقة واحدة مالا كثيرا في قيمة السيف

والمراة فهذا لا ارى باسا باخذ الاجرة عليه لان مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل الثالث ما يقصد به المحبة وجلبها من قلب المهدى اليه لا لغرض معين ولكن طلبا للاستيناس وتاكيدا للصحبة وتوددا الى القلوب فذلك مقصود العقلاء ومندوب اليه في الشرع قال عليه السلام تهادوا تحابوا وعلى الجملة فلا يقصد الانسان في الغالب ايضا محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة في محبته ولكن اذا لم تتعين تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين يبعثه في الحال او المال سمى ذلك هدية وحل اخذها الرابع ان يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل محبته لا لمحبته ولا للانس به من حيث انه انس فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض له ينحصر جنسها وان لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدى اليه فان كان جاهه لاجل علم او نسب فالامر فيه اخف واخذه مكروه فان فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها وان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء او عمل او ولاية صدقة او جباية مال او غيره من الاعمال السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى اليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية اذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لامر ينحصر جنسه اذ ما يمكن التوصل اليه بالولايات حتى لا يخفى انه لا يبتغي المحبة انه لو ولى في الحال غيره لسلم المال الى غيره فهذا مما اتفقوا على ان الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما والمعنى فيه متعارض فانه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة المبذولة في مقابلة جاه محض في غرض معين واذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الاخبار والاثار احدهما تعين الميل اليه وقد دلت الاخبار على تشديد الامر فيها قال عليه السلام ياتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البرئ ليوعظ به العامة وسئل ابن مسعود عن السحت فقال يقضي الرجل الحاجة فيهدى له الهدية ولعله اراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها او تبرع بها الا على قصد اجرة فلا يجوز ان ياخذ بعده شيئا في معرض العوض وشفع مسروق شفاعة فاهدى له جارية فغضب فردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت واخذ عمر ربح مال القراض الذي اخذه ولداه من مال بيت المسلمين وقال انما اعطيتما لمكانكما مني وعلم انه اعطى لاجل جاه الولاية واهدت امراة ابي عبيدة بن الجراح الى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافاتها بجوهر فاخذه عمر فباعه واعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه في بيت مال المسلمين وقال جابر وابو هريرة هدايا الملوك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كانت له هدية ولنا رشوة اي كان يتقرب اليه لنبوته لا لولايته ونحن انما نعطى للولاية واعظم من ذلك كله ما روى ابو حميد الساعدي انه عليه السلام بعث واليا الى صدقات الازد فلما جاء امسك بعض ما معه وقال هذا ما لكم وهذا لي هدية فقال عليه السلام الا جلست في بيت ابيك وبيت امك حتى تاتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال ما لي استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذه هدية لي الا جلس في بيت امه ليهدى له والذي نفسي بيده لا ياخذ احد منكم شيئا بغير حقه الا اتى الله يحمله فلا ياتين احدكم يوم القيمة ببعير له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رايت بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت واذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي ان يقدر نفسه في بيت امه وابيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت امه يجوز له ان ياخذه في ولايته وما علم انه يعطى لولايته فحرام اخذه وما اشكل عليه في اصدقائه انهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه

كتاب اداب الصحبة والاخوة

وهو الكتاب الخامس من ربع العادات من جملة كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص تطولا وامتنانا والف بين قلوبهم فاصبحوا بنعمته اخوانا ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا اصدقاء واخدانا وفي الاخرة رفقاء وخلانا والصلاة على محمد المصطفى وعلى اله واصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا واحسانا اما بعد فان التحاب في الله سبحانه والاخوة في دينه من افضل القربات والطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله وفيها حقوق

بمراعاتها تصفو الاخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب الى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة ابواب الباب الاول في فضيلة الالفة والاخوة في الله وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها الباب الثاني في حقوق الصحبة واداﺑﻬا ولوازمها الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الاسباب

الباب الاول

في فضيلة الالفة والاخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها فضيلة الالفة اعلم ان الالفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتالف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله به نبيه اذ قال وانك لعلى خلق عظيم وقال عليه السلام اكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق وقال اسامة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان فقال خلق حسن وقال عليه السلام بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وقال عليه السلام اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وقال ايضا ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فتطعمه النار وقال ايضا يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق فقال وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك ولا يخفى ان ثمرة الخلق الحسن الالفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة كيف وقد ورد في الثناء على نفس الالفة لا سيما اذا كانت الرابطة هي الدين والتقوى وحب الله من الايات والاخبار والاثار ما فيه كفاية ومقنع قال سبحانه مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الالفة لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا اي بالالفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال سبحانه واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله لعلكم تهتدون وقال عليه السلام المؤمن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وقال عليه السلام في الثناء على الاخوة في الدين من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال ايضا مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وما التقى مؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا وقال ايضا في الترغيب في الاخوة في الله من اخا اخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ اني احبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعته عليه السلام يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش ومنابر من نور [illegible] عليها يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله ورواه ابو هريرة فقال فيه ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله وقال عليه السلام ما تحاب اثنان في الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه ويقال ان الاخوين في الله اذا كان احدهما اعلى مقاما من صاحبه في الاخرة رفع الاخر معه الى مقامه وانه يلحق به كما تلحق الذرية بالابوين والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة اذا اكتسبت في الله لم تكن دون اخوة الولادة وقد قال سبحانه الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء وقال عليه السلام ان الله يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من اجلي وقال ايضا ان الله سبحانه يقول يوم القيامة اين المتحابون لجلالي اليوم اظلهم في ظل عرشي يوم لا ظل الا ظلي وقال ايضا سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امراة ذات حسب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقال ايضا ما زار رجل رجلا في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه

ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة • وقال ايضا ان رجلا زار اخا في الله فارصد الله له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ان ازور اخي فلانا فقال الحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فبنعمة له عندك قال لا قال فبم قال احبه في الله قال فان الله ارسلني اليك يخبرك بانه يحبك لحبك اياه وقد اوجب لك الجنة • وقال ايضا اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله • ويروى ان الله سبحانه اوحى الى نبي من الانبيا اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت بي ولكن هل عاديت في عدوا او واليت في وليا • وروي ان الله سبحانه اوحى الى عيسى عليه السلام لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيا • وقال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس فقال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الاخرة عمله • وروي في الاخبار السالفة ان الله سبحانه اوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو • واوحى الله الى داود يا داود ما لي اراك منتبذا وحدانا فقال الهي قليت الخلق من اجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا فكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني • وفي اخبار داود ايضا انه قال يا رب كيف لي ان يحبني الناس كلهم واسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس باخلاقهم واحسن فيما بيني وبينك • وفي بعضها خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الاخرة باخلاق الاخرة • وقال نبينا عليه السلام ان احبكم الى الله الذين يالفون ويولفون وان ابغضكم الى الله المشاوون بالنميمة المفرقون بين الاخوان • وقال ايضا ان لله ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج يقول اللهم كما الفت بين الثلج والنار كذلك الف بين قلوب عبادك المومنين • وقال ايضا ما احدث عبد اخا في الله الا احدث الله له درجة في الجنة • وقال ايضا المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمرا في راس العمود سبعون الف غرفة يشرفون على اهل الجنة يضي حسنهم لاهل الجنة كما يضي الشمس لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انطلقوا بنا ننظر الى المتحابين في الله فيضي حسنهم لاهل الجنة كما تضي الشمس لاهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله

الاثار قال علي رضي الله عنه عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والاخرة الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم • وقال عبد الله بن عمر لو صمت النهار لا افطره وقمت الليل لا انامه وانفقت مالي علقا علقا في سبيل الله اموت يوم اموت وليس في قلبي حب لاهل طاعة الله وبغض لاهل معصية الله ما نفعني ذلك شيا • وقال ابن السماك عند موته اللهم انك تعلم اني اذا كنت اعصيك كنت احب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي اليك • وقال الحسن على الضد يا ابن ادم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الاعمال او كلها لا ينفع • وقال الفضيل في بعض كلامه ها ه تريد ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهدا والصالحين باي عمل عملته باي شهوة تركتها باي غيظ كظمته باي رحم قاطع وصلتها باي زلة لاخيك غفرتها باي قريب باعدته في الله باي بعيد قاربته في الله • ويروى ان الله سبحانه اوحى الى موسى عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال الهي ذكرتك وصليت لك وصمت وتصدقت وزكيت فقال ان الصلوات لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والذكر نور فاي عمل عملت لي فقال الهي دلني على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عاديت لي عدوا قط فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله • وقال ابن مسعود لو ان رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيمة مع من يحب • وقال الحسن مصارمة الفاسق قربان الى الله • وقال رجل لمحمد بن واسع اني احبك في الله فقال احبك الذي احببتني له ثم حول وجهه وقال اللهم اني اعوذ بك ان احب فيك وانت لي مبغض • ودخل رجل على داود الطاي فقال له ما حاجتك فقال زيارتك فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي اذا قيل لي من انت فتزار امن الزهاد انت لا والله امن العباد انت لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول

كنت في الشبيبة فاسقا فلما تحسرت صرت مرايا والله للمراي اشد من الفاسق • وقال عمر اذا اصاب احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقل ما يصيب ذلك • وقال مجاهد المتحابون في الله اذا التقوا فكشر بعضهم الى بعض تحاتت عنهم الخطايا كما تحات ورق الشجر في يوم عاصف وقيل كما تحات ورق الشجر في الشتا اذا يبس • وقال الفضيل نظر الرجل الى وجه اخيه على المودة والرحمة عبادة

بيان معنى الاخوة في الله وتمييزها عن الاخوة في الدنيا اعلم ان الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطا عنه بما نذكره وهو ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار او بسبب الاجتماع في المكتب او في المدرسة او في السوق او على باب السلطان او في الاسفار والى ما ينشا اختيارا ويقصد وهو الذي نريد بيانه اذ الاخوة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب الا فيها • والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غيره الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ولا يقصد مخالطته والذي يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب ومقصود وراه واما ان يحب للتوصل به الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالاخرة واما ان يكون متعلقا بالله سبحانه فهذه اربعة اقسام • اما القسم الاول وهو حبك الانسان لذاته فذلك ممكن وهو ان يكون هو في ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برويته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ في حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملاحة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون هي الصورة الظاهرة اعني حسن الخلقة واما ان يكون هي الصورة الباطنة اعني كمال العقل وحسن الاخلاق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب بل في ايتلاف القلوب امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة ولا حسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشي ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها وعنه عبر عليه السلام حيث قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والايتلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف • وفي بعض الالفاظ فان الارواح تلتقي فتتشام في الهوا • وكنى بعض العلما عن هذا بان قال ان الله خلق الارواح ففلق بعضها فلقا واطافها حول العرش فاي روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا في الدنيا • وقال عليه السلام ان ارواح المومنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما راى احدهما صاحبه قط • وروي ان امراة بمكة كانت تضحك النسا وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عايشة فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث • والحق في هذا ان المشاهدة والتجربة تشهد للايتلاف عند التناسب والتناسب في الاخلاق والطباع باطنا وظاهرا امر مفهوم • واما الاسباب التي اوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذيان المنجم ان يقول اذا كان طالعه على تسديس طالع غيره او تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فيقتضي التناسب والتوادد واذا كان على مقابلته او تربيعه اقتضى التباغض والتباعد والعداوة وهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله تعالى في خلق السموات والارض لكان الاشكال فيه اكثر من الاشكال في اصل التناسب فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما اوتينا من العلم الا قليلا ويكفينا في التصديق بذلك التجربة والمشاهدة وقد ورد الخبر بذلك قال عليه السلام لو ان مومنا دخل الى مجلس فيه ماية منافق ومومن واحد لجا حتى يجلس اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه ماية مومن ومنافق واحد لجا حتى يجلس اليه وهذا يدل على ان شبه الشي منجذب اليه بالطبع وان كان هو لا يشعر به • وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة الا وفي احدهما وصف من الاخر وان اشكال الناس كاجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران الا وبينهما مناسبة قال فراى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا ونزلا فاذا هما اعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكما كل انسان يانس الى شكله

كما ان كل طير مع جنسه واذا اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتناسبا في الحال فلا بد ان يفترقا وهذا معنى خفي تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم ✿ وقائل كيف تفرقتما فقلت قولا فيه انصاف لم يك من شكلي ففارقته والناس اشكال والاف ✿ فقد ظهر من هذا ان الانسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه في حال او مال بل لمجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والاخلاق الخفية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فان الصور الجميلة مستلذة في عينها وان قدر فقد اصل الشهوة حتى يستلذ النظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشوب بالحمرة والى الماء والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله الا انه ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما كحب الصور الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها وان لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم اذ الحب اما محمود واما مذموم واما مباح لا يحمد ولا يذم

القسم الثاني ان يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوبة وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق الى المحبوب محبوب ولذلك احب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما اذ لا يطعم ولا يلبس ولكنهما وسيلة الى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث انه وسيلة الى المقصود اذ يتوصل به الى نيل جاه او مال او علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بجاهه او ماله ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصور الفائدة على الدنيا لم يكن من جملة الحب في الله وان لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكن ليس يقصد به الا الدنيا كحب التلميذ لاستاذه فهو ايضا خارج عن الحب لله فانه انما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب الى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه المال والجاه والقبول والعلم وسيلة اليه والاستاذ وسيلة الى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله اذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله اصلا ثم ينقسم هذا ايضا الى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل الى مقاصد مذمومة من قهر الاقران وحيازة اموال اليتامى وظلم الرعاة بولاية القضاء وغيره كان الحب مذموما وان كان يقصد به التوصل الى مباح فهو مباح وانما يكتسب الوسيلة الصفة من المقصد المتوسل اليه فانها تابعة غير قائمة بنفسها

القسم الثالث ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى حظوظه في الاخرة فهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الاخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به الى درجة التعظيم في ملكوت السماء اذ قال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذا آلة في تحصيل هذا الكمال فان احبه لانه آلة اذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذي هو سبب ترقيه الى رتبة العظمة في ملكوت السماء فهو محب في الله بل الذي يتصدق باموال لله ويجمع الضيفان ويهيء لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله فاحب طباخا لحسن صنعته في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذلك لو احب الذي يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين فقد احبه في الله بل نزيد على هذا ونقول اذا احب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم او للعمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله بل نزيد على هذا ونقول اذا احب من ينفق عليه ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع اغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل للتقرب الى الله سبحانه فهو محب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من اولي الثروة وكان المواسي والمواسى جميعا من المتحابين في الله بل نزيد عليه ونقول من نكح امراة صالحة ليتحصن بها عن وساوس الشيطان ويصون بها دينه او ليولد له ولد صالح يدعو له واحب زوجته لانها آلة الى هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله ولذلك وردت الاخبار بوفور الاجر والثواب على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امرأته بل نقول كل من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه في الدار الاخرة فاذا احب غيره كان محبا في الله لانه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله سبحانه بل ازيد على هذا واقول اذا اجتمع في قلبه

محبتان

محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح ان يتوسل به الى الله والى الدنيا فاذا احبه لصلاحه للامرين فهو من المحبين في الله كمن يحب استاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فاحبه من حيث ان في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الاخرة وهو وسيلة اليهما فهو محب في الله وليس من شرط حب الله ان لا يحب في العاجل حظا البتة اذ الدعا الذي امر به الانبيا فيه جمع بين الدنيا والاخرة فمن ذلك قولهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ✿ وقال عيسى عليه السلام في دعائه اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي فدفع شماتة الاعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل ولا تجعل الدنيا اصلا من همي بل قال لا تجعلها اكبر همي وقال نبينا صلوات الله عليه في دعائه اللهم اني اسالك رحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة وقال عليه السلام اللهم عافني من بلاء الدنيا وبلاء الاخرة ✿ وعلى الجملة فاذا لم يكن حب السعادة في الاخرة مناقضا لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضا لحب الله تعالى فحب الله والدنيا والاخرة عبارة عن حالتين احداهما اقرب من الاخرى فكيف يتصور ان يحب الانسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وانما يحبها غدا لان الغد سيصير حالا راهنة فالحال الراهنة لا بد ان يكون مطلوبة ايضا الا ان الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوظ الاخرة ويمنع منها وهي التي احترز عنها الانبياء والاولياء وامروا بالاحتراز عنها والى ما لا يضاد وهي التي لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح واكل الحلال وغير ذلك فما يضاد حظوظ الاخرة فحق على العاقل ان يكرهه ولا يحبه اي انه يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم انه لو اقدم عليه لقطعت يده او حزت رقبته لا بمعنى ان الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو اكله فان ذلك محال ولكن على معنى انه يزجر عقله عن الاقدام عليه ويحصل فيه كراهة الضرر المتعلق به والمقصود من هذا انه لو احب استاذه لانه يواسيه ويعلمه او تلميذه لانه يتعلم منه ويخدمه واحدهما حظ عاجل والاخر آجل لكان في زمرة المتحابين في الله ولكن بشرط واحد وهو ان يكون بحيث لو منعه العلم مثلا او تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقده هو لله وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس بمستنكر ان تشتد حبك لانسان لجملة اغراض ترتبط لك به فان امتنع بعضها نقص حبك وان زاد ازداد الحب وليس حبك للذهب كحبك للفضة اذا تساويا ومقدارهما لان الذهب يوصل الى اغراض هي اكثر مما توصل اليه الفضة فاذا يزيد الحب بزيادة الغرض وما يحتمل اجتماع الاغراض الدنيوية والاخروية فهو داخل في جملة الحب لله وحده وحقيقته هو ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الاخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله ولذلك كل زيادة في الحب لولا الايمان بالله واليوم الاخر لم يتصور وجودها لم يكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب لله فذلك وان دق فهو عزيز قال الجريري تعامل الناس في القرن الاول بالدين حتى رق الدين وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء والثالث بالمروة حتى ذهبت المروة ولم يبق الا الرغبة والرهبة

القسم الرابع ان يحب لله وفي الله لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته فهذا اعلى الدرجات وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان من اثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه واحب من يثني عليه محبوبه واحب من يتسارع الى رضا محبوبه حتى قال بقية بن الوليد ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في احوال العشاق وتدل عليه اشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال

امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا ✿ وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

فاذا المشاهدة والتجربة تدل على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب الى ما يحيط به ويتعلق باسبابه ويناسبه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط الحب واصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من المحبوب الى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق باسبابه بحسب افراط المحبة وقوتها وكذلك حب الله سبحانه اذا قوي وغلب على القلب استولى عليه حتى انتهى الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود سواه فان كل موجود سواه اثر من اثار

قدرته ومن احب انسانا احب خطه وصنعته وجميع افعاله ولذلك كان عليه السلام اذا حمل اليه باكورة
الثمر مسح بها عينيه واكرمها وقال انه قريب العهد بربنا وحب الله سبحانه تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما
يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة لما سلف من اياديه وصنوف نعمته وتارة لذاته لا لامر آخر وهو ادق ضروب المحبة
واعلاها وسيأتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربع المنجيات وكيفما انبعثت محبة الله فاذا قويت تعدت الى كل
متعلق به ضربا من التعلق حتى تتعدى الى ما هو في نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الاحساس بالالم
والفرح بفعل المحبوب وقصده اياه بالايلام يغمر ادراك الالم وذلك كالفرح بضربة من المحبوب او قرصة فيها
نوع معاتبة فان قوة المحبة تثير فرحا يغمر الالم فيه وقد انتهت محبة الله بقوم الى ان قالوا لا نفرق بين البلاء
والنعمة فان الكل من الله ولا يفرح الا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا اريد ان انال مغفرة الله بمعصية الله
وقال سمنون ولیس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب
المحبة والمقصود ان حب الله اذا قوي اثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم او عمل واثمر حب كل من فيه
صفة هي مرضية عند الله من خلق حسن او تأدب بآداب الشرع وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله الا اذا
اخبر عن حال رجلين احدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق الا وجد في نفسه ميلا الى العالم العابد
ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف ايمانه وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الميل حاصل
وان كانا غائبين عنه بحيث يعلم انه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الميل هو حب في الله
سبحانه ولله من غير حظ فانه انما يحبه لان الله يحبه ولانه مرضي عند الله ولانه يحب الله ولانه مشغول
بعبادة الله الا انه اذا ضعف لم يظهر اثره ولا يظهر به ثواب ولا اجر واذا قوي حمل على الموالاة والنصرة
والذب بالنفس والمال واللسان ويتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله ولو كان الحب مقصورا على
حظ ينال من المحبوب في الحال او المآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد من الصحابة والتابعين بل
الانبياء المتقدمين صلوات الله عليهم اجمعين وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بغضبه
عند طعن اعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لانهم خواص
عباد الله ومن احب ملكا او شخصا جميلا احب خواصه وخدمه واحب من احبه الا انه يمتحن الحب بالمقابلة
بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال
اريد وصاله ويريد هجري فأترك ما اريد لما يريد وقول من قال وما لجرح اذا ارضاكم ألم
وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بان يشاطر محبوبه في ماله او ثلثه او
في عشره فمقادير الاموال موازين المحبة اذ لا تعرف درجة المحبوب الا بمحبوب يترك في مقابلته فمن استغرق
الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانه لم يترك لنفسه
اهلا ولا مالا فسلم ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله قال ابن عمر بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس
وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال اذ نزل جبريل عليه السلام فاقراه من الله السلام وقال
يا رسول الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها عليه بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال فاقرئه من الله السلام
وقل له يقول لك ربك أراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر وقال
يا ابا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فبكى ابو بكر وقال اعلى
ربي اسخط انا عن ربي راض فيحصل من هذا ان كل من احب عالما او عابدا او احب شخصا راغبا في العلم او في
العبادة او في خير فانما احبه في الله ولله وله فيه من الاجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله
ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله ولكن نزيده بيانا

بيان البغض في الله

اعلم ان من يحب في الله
لا بد ان يبغض في الله فانك ان احببت انسانا لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلا بد ان تبغضه
لانه عاص لله وممقوت عند الله ومن احب بسبب فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل
احدهما عن الآخر وهو يطرد في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض دفين في القلب

وانما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالفة والموافقة فاذا
ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة ولذلك قال سبحانه هل واليت فيّ وليا وهل عاديت فيّ عدوا كما نقلناه وهذا واضح
في حق من لم يظهر لك الا طاعاته اذ تقدر على ان تحبه او لم يظهر لك الا فسقه وفجوره واخلاقه السيئة فتقدر على ان تبغضه
وانما المشكل اذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف اجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض ثمرتهما
من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فاقول ذلك غير متناقض في حق الله سبحانه كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية
فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تبغضه من وجه وتحبه من وجه فمن له زوجة حسناء
فاجرة او ولد ذكي خدوم ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين اذ لو فرض
له ثلاثة اولاد احدهم ذكي بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار او ذكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة
احوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي ان تكون حالك بالاضافة الى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة
ومن اجتمعا فيه متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بان تعطي كل صفة حظها من البغض والحب والاعراض والاقبال والصحبة
والقطيعة وسائر الافعال الصادرة منه فان قلت فكل مسلم فاسلامه طاعة منه فكيف ابغضه مع
الاسلام فاقول تحبه لاسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال كافر او فاجر لادركت
التفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للاسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله والطاعة له كالجناية على حقك
والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال وبين
الاقبال والاعراض وبين التودد اليه والتوحش منه فلا تبالغ في اكرامه مبالغتك في اكرام من يوافقك في جميع
اغراضك ولا تبالغ في اهانته مبالغتك في اهانة من خالفك في جميع اغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله
الى طرف الاهانة عند غلبة المخالفة وتارة الى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي ان يكون
فيمن يطيع الله ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه اخرى فان قلت فبماذا يمكن اظهار البغض
فاقول اما في القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول
اخرى واما في الفعل فبقطع السعي في اعانته مرة وبالسعي في اساءته وافساد مآربه اخرى وبعض هذا اشد من بعض وهو
بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه اما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم انه متندم عليها ولا يصر
عليها فالاولى فيه الاغماض والستر واما ما يصر عليه من صغيرة او كبيرة فان كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة وصحبة
فله حكم آخر وسيأتي وفيه خلاف بين العلماء واما اذا لم تتأكد اخوته وصحبته فلا بد من اظهار اثر البغض اما في الاعراض
والتباعد عنه وقلة الالتفات اليه واما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا اشد من الاعراض وهو بحسب غلظ
المعصية وخفتها وكذلك في الفعل ايضا رتبتان احداهما قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو اقل الدرجات والاخرى
السعي في افساد اغراضه عليه كفعل الاعداء المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية اما ما
لا يؤثر فيه فلا ومثاله رجل عصى الله بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا فيها بالمال والجمال
والجاه الا ان ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا في بعث وتحريض عليه فاذا قدرت على اعانته ليتم له مقصوده وقدرت
على تشويش امره ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه اما الاعانة فلو تركتها اظهارا للغضب عليه في معصيته فلا بأس
وليس يجب تركها اذ ربما يكون لك نية في ان تتلطف باعانته واظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن
وان لم يظهر لك ذلك منه ولكن رأيت ان تعينه على غرضه قضاء لحق اسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الاحسن ان كانت
معصيته بالجناية على حقك او حق من يتعلق بك وفيه نزل قوله سبحانه وتعالى ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة
الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم اذ تكلم مسطح في واقعة الافك فحلف ابو بكر ان يقطع عنه رفقه وكان يواسيه
بالمال فنزلت الآية واية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله واطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها
الا ان الصديق كان كالمجني عليه في نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والاحسان الى من اساء من اخلاق الصديقين
وانما يحسن الاحسان الى من ظلمك فاما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان اليه لان في الاحسان الى الظالم
اساءة الى المظلوم وحق المظلوم اولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم احب الى الله من تقوية قلب الظالم

فاما اذا كنت انت المظلوم فالاحسن في حقك العفو والصفح وطرق السلف قد اختلفت في اظهار البغض مع اهل المعاصي وكلهم اتفقوا على اظهار البغض على الظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه الى غيره فاما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان احمد بن حنبل يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله اني لا اسال احدا شيا ولو حمل السلطان الي شيا لاخذته وهجر الحرث المحاسبي في تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال انك تورد اولا شبهتهم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور في تاويله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته وهذا امر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان الغالب على القلب النظر الى اضطرار الخلق وعجزهم وانهم مسخرون لما قدروا له اورث هذا تساهلا في المعاداة والبغض وله وجه ولكن قد تلتبس به المداهنة واكثر البواعث على الاغضاء على المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبي الاحمق بانه ينظر بعين الرحمة ومحك ذلك ان ينظر اليه بعين الرحمة ان جنى على خاص حقه ويقول انه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد تصح له نية في الاغماض عن الجناية على حق الله تعالى وان كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهو مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه لها

فان قلت فاقل الدرجات في اظهار البغض الهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه فاقول لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب فانا نعلم ان الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى من يغلظ القول ويظهر البغض والى من يعرض عنه ولا يتعرض له والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يوثر المقاطعة والمباعدة فهذه دقايق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الاخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الاحوال في هذه الامور اما مكروهة او مندوبة فتكون في رتبة الفضايل ولا تنتهي الى التحريم والايجاب فان الداخل تحت التكليف اصل المعرفة لله واصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المحبوب الى غيره وانما المتعدي افراط الحب واستيلاوه وذلك لا يدخل في الفتوى وتحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق اصلا

بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم

فان قلت اظهار العداوة والبغض بالفعل ان لم يكن واجبا فلا شك انه مندوب اليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا ام لا فاعلم ان المخالف لامر الله سبحانه لا يخلو اما ان يكون مخالفا في عقده او في عمله والمخالف في العقد اما مبتدع او كافر والمبتدع اما داع الى بدعته او ساكت اما بعجزه او باختياره فاقسام الفساد في الاعتقاد ثلثة

الاول الكفر والكافر ان كان محاربا فهو مستحق للقتل والارقاق وليس بعد هذين اهانة واما الذمي فانه لا يجوز ايذاوه الا بالاعراض عنه والتحقير له بالاضطرار الى اضيق الطرق وترك المفاتحة له بالسلام واذا قال السلام عليك قل وعليك والاولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته فاما الانبساط معه والاسترسال اليه كما يسترسل الى الاصدقا فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي منها ما يقوى الى حد التحريم قال سبحانه لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون الاية وقال عليه السلام المومن والمشرك لا تتراءى ناراهما وقال سبحانه يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا

الثاني المبتدع الذي يدعو الى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي لانه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وان كان ممن لا يكفر فيها فامره بينه وبين الله اخف من امر الكافر لا محالة ولكن الامر في الانكار عليه اشد منه على الكافر لان شر الكافر غير متعد فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون الى قوله اذ لا يدعي لنفسه الاسلام واعتقاد الحق واما المبتدع الذي يدعو الى بدعته ويزعم ان ما يدعو اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فالاستحباب في اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد وان سلم في خلوة فلا باس برد جوابه وان علم ان الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه بدعته ويوثر في زجره فترك الجواب اولى لان جواب السلام وان كان واجبا فيسقط بادنى غرض حتى يسقط بكون الانسان في الحمام او في قضا حاجته وغرض الزجر اهم من هذه الاغراض وان كان في ملا فترك الجواب اولى لتنفير الناس عنه وتقبيحا لبدعته في اعينهم وكذلك

الاولى كف الاحسان اليه والاعانة عنه لا سيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام من انتهر صاحب بدعة ملا الله قلبه امنا وايمانا ومن اهان صاحب بدعة امنه الله يوم الفزع الاكبر ومن الان له واكرمه او لقيه ببشر فقد استخف بما انزل على محمد عليه السلام

الثاني المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتدا به فامره اهون فالاولى ان لا يبادر بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تاكد الاستحباب في الاعراض وان علم ان ذلك لا يوثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض اولى لان البدعة اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها واما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو اما ان يكون بحيث يتاذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وامثالها او كان مما لا يقتصر عليه ويوذي غيره وذلك ينقسم الى ما يدعو غيره الى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنسا ويهيي اسباب الشرب والفساد لاهل الفساد او لا يدعو غيره كالذي يشرب ويزني وهذا الذي لا يدعو غيره اما ان يكون عصيانه بكبيرة او بصغيرة وكل واحد فاما ان يكون مصرا عليه او غير مصر فهذه التقسيمات يحصل منها ثلثة اقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها اشد من بعض فلا يسلك بالكل مسلك واحد

القسم الاول وهو اشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهولا الاولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لان المعصية شديدة فيما يرجع الى ايذا الخلق ثم هولا ينقسمون الى من يظلم في الدما والى من يظلم في الاموال والى من يظلم في الاعراض وبعضها اشد من بعض والاستحباب في اهانتهم والاعراض عنهم موكد جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجر لهم او لغيرهم كان الامر فيه اكد واشد

الثاني صاحب الماخور الذي يهيي اسباب الفساد ويسهل طرقه على الخلق فهذا لا يوذي الخلق في دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم وان كان على وفق رضاهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف منه فان المعصية بين العبد وبين الله الى العفو اقرب ولكنه من حيث انه متعد على الجملة الى غيره فهو شديد وهذا ايضا يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك السلام وجواب السلام اذا ظن ان فيه نوعا من الزجر له او لغيره

الثالث الذي يفسق في نفسه بشرب خمر او ترك واجب او مقارفة محظور يخصه فالامر فيه اخف ولكنه في وقت مباشرته ان صودف يجب منعه بما يمتنع منه ولو بالضرب والاستخفاف فان النهي عن المنكر واجب واذا فرغ منه وعلم ان ذلك من عادته وهو مصر عليه فان تحقق ان نصحه يمنعه من العود وجب النصح وان لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالافضل النصح والزجر بالتلطف او بالتغليظ اذا كان هو الانفع فاما الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم انه يصر وان النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلما فيه مختلفة والصحيح ان ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الاعمال بالنيات اذ في الرفق والنظر بعين الرحمة الى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والاعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب فما يراه اميل الى هواه ومقتضى طبعه فالاولى ضده اذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلبه للوصول به الى غرض او لخوف من تاثير وحشته ونفرته في جاه او مال بظن قريب او بعيد وكل ذلك مردود على اشارات الشيطان وبعيد عن اعمال اهل الاخرة فكل راغب في اعمال اهل الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقايق ومراقبة هذه الاحوال والقلب هو المفتي فيه وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يخطي وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظان انه عامل لله وسالك طريق الاخرة وسياتي بيان هذه الدقايق في كتاب الغرور من ربع المهلكات ويدل على تخفيف الامر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روي ان شارب خمر ضرب مرات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال عليه السلام لا تكن عونا للشيطان على اخيك او لفظ هذا معناه وكان هذا اشارة الى ان الرفق اولى من العنف والتغليظ

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل ولا بد ان يتميز بخصال يرغب بسببها في صحبته وتشترط تلك الخصال بحسب الفوايد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول الى المقصود فبالاضافة الى

المقصود تظهر الشروط وبطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية فالانتفاع بالمال او الجاه او مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من غرضنا واما الدينية فيجتمع فيها اغراض مختلفة اذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن ايذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات في طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الاحوال ومنها التبرك بمجرد الدعا ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك ويروى في غريب التفسير في قوله ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال اذا غفر للعبد شفع في اخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكره العزلة والانفراد فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطا لا تحصل بها ولا يخفى تفصيلها اما على الجملة فينبغي ان يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا اما العقل فهو راس المال وهو الاصل فلا خير في صحبة الاحمق والى الاحمق والوحشة يرجع عاقبتها وان طالت قال علي رضي الله عنه فلا تصحب اخا الجهل واياك واياه

فكم من جاهل اردى حليما حين آخاه يقاس المرء بالمرء اذا ما المرء ماشاه وللشيء من الشيء مقاييس واشباه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر اني لآمن من عدو عاقل واخاف خلا يعتريه جنون

فالعقل فن واحد وطريقه احرى فارصد والجنون فنون ولذلك قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله سبحانه وقال الثوري النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الامور على ما هي عليه اما بنفسه واما اذا فهم وعلم واما حسن الخلق فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشيا على ما هي عليه ولكن اذا غلبه غضب او شهوة او جبن اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير في صحبته واما الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض قال سبحانه ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا وقال فاتبع سبيل من اناب الي وفي مفهوم هذا زجر عن الفاسق واما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شومها اليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته وقد قال عمر في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال عليك باخوان الصدق تعش في اكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امورك الذين يخشون الله واما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة قال يا بني ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان راى منك حسنة عدها وان راى منك سيئة سدها اصحب من اذا سألته اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك وان صلت شد صولتك من لا تاتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق وان حاولتما امرا امرك وان تنازعتما آثرك فكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة وشرط ان يكون قائما بجميعها قال ابن اكثم قال المأمون فاين هذا فقيل له تدري لم اوصاه بذلك قال لا قال لانه اراد ان لا يصحب احدا وقال بعض الادبا لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقال علي رجزا ان اخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك ومن اذا ريب الزمان صدعك شتت شمل نفسه ليجمعك وقال بعضهم الناس اربعة فواحد حلو كله فلا يشبع منه وآخر مر كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل ان ياخذ منك

وآخر

وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب والاحمق فانك لست منه على شيء يريد ان ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع بك احوج ما تكون اليه والجبان فانه يسلمك ويفر عنه عند الشدة والفاسق فانه يبيعك باكلة او باقل منها فقيل وما اقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها وقال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الي من ان يصحبني قارئ سيء الخلق وقال بعض العلما لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا من امر دينك فينفعك او رجل تعلمه شيئا من امر دينه فيقبل منه والثالث فاهرب منه وقال ابن ابي الحواري قال لي استاذي ابو سليمان يا احمد لا تصحب الا احد رجلين رجل ترتفق به في دنياك او رجل تزيد معه وتنتفع به في آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير وقال سهل بن عبد الله اجتنب صحبة ثلاثة من اصناف الناس الجبابرة الغافلين والقرا المداهنين والمتصوفة الجاهلين واعلم ان هذه الكلمات اكثرها غير محيط بجميع اغراض الصحبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالاضافة اليها فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطا في الصحبة للآخرة والاخوة كما قال بشر الاخوة ثلاثة اخ لآخرتك واخ لدنياك واخ لتأنس به وقل ما تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة وقد قال المأمون الاخوان ثلاثة احدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع وقد قيل مثل جملة الناس مثل الشجر والنبات فمنها ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فان نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ما له ثمر وظل جميعا ومنها ما ليس له واحد منهما كأم غيلان تمزق الثياب ولا طعم فيها ولا شراب ومثاله من الحيوانات الفار والعقرب كما قال سبحانه يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وقال الشاعر الناس شتى اذا ما انت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوي الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقته وذاك ليس له طعم ولا ثمر فاذا لم يجد رفيقا يؤاخيه ويستفيد به احدى هذه المقاصد فالوحدة اولى به قال ابو ذر الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة واما الديانة وعدم الفسق فقد قال سبحانه واتبع سبيل من اناب الي ولان مشاهدة الفسق والفساق تهون امر المعصية على القلب ويبطل نفرة القلب عنها قال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة فتحبط اعمالكم الصالحة بل هو لا سلامة في مخالطتهم وانما السلامة في الانقطاع عنهم كما قال سبحانه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي سلامة والالف بدل من الهاء ومعناه انا سلمنا من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا فهذا ما اردنا ان نذكره من معاني الاخوة وشروطها وفوائدها فلنشرع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بها واما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري فمجالسة الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين في الآخرة قال علي كرم الله وجهه احيوا الطاعات بمجالسة من يستحيى منه وقال احمد بن حنبل ما اوقعني في بلية الا صحبة من لا احتشمه وقال لقمن لابنه يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب تحيى بالحكمة كما تحيى الارض الميتة بوابل المطر

الباب الثاني في حقوق الاخوة والصحبة

اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح فكذا عقد الاخوة فلاخيك عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو وبالدعاء وبالاخلاص وبالوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق

الاول المال قال عليه السلام مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وانما شبههما باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان انما تتم اخوتهما اذا ترافقا على مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المآل والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساة بالمال مع الاخوة على ثلاث مراتب ادناها ان تنزله منزلة عبدك او خادمك فتقوم بحاجته من فضل مالك فاذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك اعطيته ابتداء ولم تحوجه

الى السؤال فان احوجته الى السؤال فهو غاية التقصير في حق الاخوة الثانية ان تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته
اياك في مالك وتنزله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال قال الحسن كان احدهم يشق ازاره لاخيه بابين الثالثة
وهي العليا ان تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار
هذه الرتبة الايثار بالنفس ايضا كما روي انه سعي بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفا فامر بضرب رقابهم وفيهم ابو الحسن
النوري فبادر الى السياف ليكون هو اول مقتول فقيل له في ذلك فقال احببت ان اوثر اخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان
ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة فان لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع اخيك فاعلم ان الاخوة لم
تنعقد بعد في الباطن وانما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضي
من الاخوان بترك الافضال فليواخ اهل القبور واما الدرجة الدنيا فليست ايضا مرضية عند ذوي الدين روي ان
عتبة الغلام جاء الى منزل رجل كان قد اخاه فقال احتاج من مالك الى اربعة الاف فقال خذ الفين فاعرض عنه وقال اثرت الدنيا
على الله اما استحييت من الله ان تدعي الاخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الاخوة فينبغي ان لا تعامله في الدنيا
قال ابو حازم اذا كان لك اخ في الله فلا تعامله في امور دنياك فانما اراد به من هو في الرتبة واما الرتبة العليا فهي
التي وصف الله بها المومنين في قوله سبحانه وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون اي كانوا خلطا في الاموال
لا يميز بعضهم رحله من بعض وكان فيهم من لا يصحب من قال نعلي لانه اضافها الى نفسه وجاء فتح الموصلي الى منزل اخ
له وكان غايبا فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتحه واخذ حاجته فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت
حرة لوجه الله سرورا بما فعل وجاء رجل الى ابي هريرة فقال اني اريد ان اواخيك في الله فقال اتدري ما حق الاخا
قال عرفني قال ان لا تكون احق بدينارك ودرهمك مني قال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن الحسين رضي الله
عنهما لرجل هل يدخل احدكم يده في كم اخيه او كيسه فياخذ منه ما يريد بغير اذنه قال لا قال فلستم باخوان ودخل
قوم على الحسن فقالوا يا ابا سعيد اصليت قال نعم قالوا فان اهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن ياخذ دينه من اهل
السوق لقد بلغني ان احدهم يمنع اخاه الدرهم قاله كالمتعجب منه وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم وهو يريد بيت
المقدس فقال له اني اريد ان ارافقك فقال له ابرهيم على ان اكون املك لشيئك منك قال لا قال اعجبني صدقك وكان
ابرهيم بن ادهم اذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب الا من يوافقه وصحبه رجل شراك فاهدى رجل الى ابرهيم في بعض
المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه واخذ حزمة من شراك فجعلها في القصعة وردها الى صاحب الهدية فلما جاء
رفيقه قال اين الشراك قال تلك الثريد التي اكلتها ايش كانت قال تعطيه شراكين او ثلاثة فقال اسمح يسمح لك واعطى مرة
حمارا كان لرفيقه بغير اذنه رجلا راه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك قال ابن عمر اهدي لرجل من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال اخي فلان احوج مني اليه فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى اخر فلم يزل
يبعث به واحد الى اخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله تسعة وروي ان مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على اخيه
خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما اخى
عليه السلام بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع اثره بالنفس والمال فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما فاثره بما اثره
به وكانه قبله ثم اثره به وذلك مساواة والبداية ايثار والايثار افضل من المساواة وقال ابو سليمان الداراني رضي الله
عنه لو ان الدنيا كلها لي فجعلتها في فم اخ من اخواني لاستقللتها له وقال ايضا اني لالقم اللقمة اخا من اخواني
فاجد طعمها في حلقي ولما كان الانفاق على الاخوان افضل من الصدقة على الفقرا قال علي رضي الله عنه لعشرون درهما
اعطيها اخي في الله احب الي من ان اتصدق بماية درهم على المساكين وقال ايضا لان اصنع صاعا من طعام واجمع
عليه من اخواني في الله احب الي من ان اعتق رقبة واقتدا الكل في الايثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دخل
غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والاخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول
الله كنت احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سيل عن صحبته هل اقام فيها حق الله
او اضاعه فاشار بهذا الى ان الايثار هو القيام بحق الله تعالى في الصحبة وخرج عليه السلام الى بير يغتسل عندها
فامسك حذيفة بن اليمان بالثوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وستره حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل

فتناول

فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة من الناس فابى حذيفة وقال بابي وامي انت يا رسول
الله لا تفعل فابى عليه السلام الا ان يستره بالثوب حتى اغتسل وقال عليه السلام ما اصطحب اثنان الا وكان
احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه وروي ان مالك بن دينار ومحمد بن واسع رضي الله عنهما دخلا منزل الحسن وكان غايبا
فاخذ محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل ياكل فقال له مالك كف يدك حتى يجي صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى
قوله واقبل على الاكل وكان ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن فقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض حتى ظهرت
انت واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط في بيوت الاخوان من الصفا في الاخوة كيف وقد قال الله سبحانه او صديقكم وقال
او ما ملكتم مفاتحه اذ كان الاخ يدفع مفتاح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف كما يريد وكان يتحرج من الاكل بحكم التقوى
حتى انزل الله سبحانه هذه الاية واذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقا **الحق الثاني** في الاعانة
بالنفس في قضا الحاجات والقيام بها قبل السوال وتقديمها على الحاجات الخاصة وهذه ايضا لها درجات كما للمواساة بالمال
وادناها القيام بالحاجة عند السوال والقدرة ولكن مع البشاشة واظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم اذا استقضيت
اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها فكبر عليه اربعا واقرا هذه الاية والموتى يبعثهم الله
وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض اخوانه كبيرة فجاءه بهدية فقال ما هذا فقال لما اسديته الي فقال خذ مالك عافاك الله اذا سالت
اخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضا للصلاة وكبر عليه اربع تكبيرات وعده في الموتى وقال جعفر بن محمد اني
لاتسارع الى قضا حوائج اعدائي مخافة ان اردهم فيستغنوا عني هذا في الاعداء فكيف في الاصدقا وكان في السلف
من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم من ماله فكانوا لا
يفقدون الا عينه بل كانوا يرون منه ما لا يرون من ابيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد الى باب اخيه ويسال ويقول هل
لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وبهذا تظهر الشفقة والاخوة فاذا لم تثمر الشفقة
حتى يشفق على اخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته وقال
عليه السلام الا وان لله اواني في ارضه وهي القلوب فاحب الاواني الى الله اصفاها واصلبها وارقها اصفاها من الذنوب
واصلبها في الدين وارقها على الاخوان وبالجملة فينبغي ان تكون حاجة اخيك مثل حاجتك واهم من حاجتك وان تكون
متفقدا لاوقات الحاجة غير غافل عن احواله كما لا تغفل عن احوال نفسك وتغنيه عن السوال واظهار الحاجة الى الاستعانة
بل تقوم بحاجته كانك لا تدري انك قمت بها ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بل تتقلد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك
بامره ولا ينبغي ان تقتصر على قضا الحاجة بل تجتهد في البداية بالاكرام في الزيادة والايثار والتقديم على الاقارب والولد
كان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهلنا واولادنا لان اهلنا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالاخرة وقال
الحسن من شيع اخاه في الله بعث الله ملايكة من تحت عرشه يوم القيمة يشيعونه الى الجنة وفي الاثر ما زار رجل اخا
في الله شوقا الى لقايه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال عطا تفقدوا اخوانكم بعد ثلاث فان
كانوا مرضى فعودوهم او مشاغيل فاعينوهم او كانوا نسوا فذكروهم وروي ان ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله عن ذلك فقال احببت رجلا فانا اطلبه ولا اراه فقال عليه السلام اذا
احببت احدا فسله عن اسمه واسم ابيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا اعنته وفي رواية وعن
اسم جده وعشيرته وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل فيقول اعرف وجهه ولا اعرف اسمه تلك معرفة النوكى
وقيل لابن عباس من احب الناس اليك قال جليسي وقال ما اختلف رجل الى مجلسي ثلاثا من غير حاجة له الي فعلمت ما
مكافاته من الدنيا وقال سعيد بن العاص لجليسي علي ثلاث اذا دنا رحبت به واذا حدث اقبلت عليه واذا جلس
اوسعت له وقد قال سبحانه وتعالى رحما بينهم اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام
لذيذ او بحضور في مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بالانفراد عن اخيه **الحق الثالث** في اللسان بالسكوت
مرة وبالنطق اخرى اما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه
فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه وان يسكت عن التجسس والسوال عن احواله واذا راه في طريق او في حاجة ولم يفاتحه
بذكر غرضه ومصدره ومورده فلا يساله عنه فربما يثقل عليه ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه وان يسكت عن

التجسس اسراره التي بثها اليه فلا يبثها الى غيره البتة ولا الى اخص اصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة
والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وان يسكت عن القدح في احبابه واهله وولده وان يسكت عن حكاية
قدح غيره فيه فان الذي سبك من بلغك قال الصادق عليه السلام لا تواجه احدا بشيء تكرهه والتاذي اولا يحصل من المبلغ
ثم من القائل نعم لا ينبغي ان يخفي ما يسمع من الثناء عليه فان السرور به اولا من المبلغ للمدح ثم من القائل واخفاء ذلك من الحسد
وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه النطق في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم يجد رخصة
في السكوت فاذ ذاك لا يبالي بكراهته فان ذلك احسان اليه في التحقيق وان كان يظن انها اساءة في الظاهر اما ذكر
مساويه وعيوبه ومساوي اهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه امران احدهما ان تطالع احوال
نفسك فان وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهون على نفسك ما تراه من اخيك وقدر انه عاجز عن قهر نفسه في
تلك الخصلة الواحدة كما انك عاجز فيما انت مبتلى به ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فاي الرجال المهذب وكل
ما لا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من اخيك في حق نفسك فليس حقك عليه باكثر من حق الله عليك والامر
الثاني ان تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب لاعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه اصلا فما من الناس احد
الا وله محاسن ومساو فاذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والمنتهى فالمؤمن الكريم ابدا يحضر في نفسه محاسن
اخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام واما المنافق اللئيم فانه ابدا يلاحظ المساوي والعيوب وقال
ابن المبارك المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات وقال الفضيل الفتوة العفو عن زلات الاخوان ولذلك
قال عليه السلام استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان راى خيرا ستره وان راى شرا اظهره وما من شخص الا
ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه ايضا روي ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلام انت بالامس تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه
بالامس وما كذبت عليه اليوم انه ارضاني بالامس فقلت احسن ما علمت فيه واغضبني اليوم فقلت اقبح ما علمت فيه
فقال ان من البيان لسحرا وكانه كره ذلك فشبهه بالسحر وكذلك قال في خبر اخر البذاء والبيان شعبتان من النفاق
وفي حديث اخر ان الله يكره لكم البيان كل البيان ولذلك قال الشافعي ما احد من المسلمين يطيع الله فلا يعصيه ولا احد يعصي
الله فلا يطيعه فمن كانت طاعاته اغلب من معاصيه فهو عدل واذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فبان تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى
اخوتك اولى وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن فسوء الظن
غيبة بالقلب وهو منهي عنه ايضا وحده ان لا تحمل فعله على وجه فاسد ما امكن ان تحمله على وجه حسن فاما ما انكشف
بيقين ومشاهدة فلا يمكنك ان لا تعلمه وعليك ان تحمل ما تشاهده على سهو ونسيان ان امكن وهذا الظن ينقسم الى ما يسمى
تفرسا وهو الذي يستند الى علامة فان ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا تقدر على دفعه والى ما منشؤه سوء اعتقادك
فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه على ان تنزله على الوجه الارد من غير علامة تخصصه به وذلك
جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن اذ قال عليه السلام ان الله تعالى حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه
وان يظن به ظن السوء وقال عليه السلام اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وسوء الظن يدعو الى التجسس والتحسس
وقد قال عليه السلام لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا والتجسس في تطلع الاخبار
والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة اهل الدين ويكفيك تنبيها على كمال الرتبة في ستر
القبيح واظهار الجميل ان الله سبحانه وصف به في الدعاء فقيل يا من اظهر الجميل وستر القبيح والمرضي عند الله من تخلق باخلاقه
فانه ستار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز انت عمن هو مثلك او فوقك وما هو بكل حال لا
عبدك ولا مخلوقك وقد قال عيسى عليه السلام كيف تصنعون اذا رايتم اخاكم نائما فكشفت الريح عنه ثوبه قالوا نستر
ونغطيه فقال بل تكشفون عورته فقالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال يسمع احدكم في اخيه الكلمة فيزيد عليها ويشيعها
باعظم منها واعلم انه لا يتم ايمان المرء ما لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه واقل درجات الاخوة ان يعامل اخاه بمثل ما يحب
ان يعامله به ولا شك انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوي والعيوب ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظر
اشتد عليه غيظه وغضبه فما ابعده اذا كان ينتظر منه ما لا يضمر له ولا يعزم عليه لاجله وويل له في نص كتاب الله

سبحانه حيث يقول ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون وكل من التمس
من الانصاف اكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الاية ومنشا التقصير في ستر العورة او السعي في كشفها الداء الدفين
في الباطن وهو الحقد والحسد فان الحقود والحسود يملا باطنه بالخبث ولكنه يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد
له مجالا واذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء وترشح الباطن بخبثه الدفين فمهما انطوى الباطن على حقد وحسد
فالانقطاع اولى قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود الا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على
مسلم فايمانه ضعيف وامره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله سبحانه وقد روى عبد الرحمن بن جبير عن ابيه قال
كنت باليمن ولي جار يهودي يخبرني عن التوراة فقدم علي اليهودي من سفر فقلت ان الله قد بعث فينا نبيا فدعانا الى الاسلام
فاسلمنا وقد انزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكنكم لا تستطيعون ان تقوموا بما جاءكم به انا نجد
نعته ونعت امته في التوراة انه لا يحل لامرئ ان يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على اخيه المسلم ومن ذلك ان يسكت
عن افشاء سره الذي استودعه وله ان ينكره وان كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب
نفسه واسراره وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل ذلك في حق اخيه فان اخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان
الا بالبدن هذه حقيقة الاخوة ولذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيا وخارجا عن اعمال السر الى اعمال العلانية فان معرفة
اخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام من ستر عورة اخيه ستره الله في الدنيا والاخرة وفي
خبر اخر كانما احيا موؤدة من قبرها وقال عليه السلام اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو امانة وقال المجالس
بالامانة الا ثلاثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله وقال
عليه السلام انما يتجالس المتجالسان بالامانة لا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره وقيل لبعض الادباء كيف حفظك
للسر قال انا قبره وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه
اي لا يستطيع الاحمق اخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الاحمق والتوقي من صحبته بل من
مشاهدته وقد قيل لاخر كيف تحفظ السر قال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال اخر استره واستر اني استره وعبر
عنه ابن المعتز فقال ومستودعي سرا تبوات كتمه فاودعته صدري فصار له قبرا وقال اخر واراد الزيادة
عليه وما السر في صدري كثاو بقبره لاني ارى المقبور ينتظر النشرا ولكنني انساه حتى كانني بما كان منه لم احط ساعة خبرا
ولو كان كتم السر بيني وبينه عن السر والاحشاء لم تعلم السرا وافشى بعضهم سرا له الى اخيه ثم قال له احفظت فقال
بل نسيت وكان ابو سعيد الثوري يقول اذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يساله عنك وعن اسرارك
فان قال خيرا او كتم سرك فاصحبه وقيل لابي يزيد من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما بحاله
يستر الله وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يراك الا معصوما ومن افشى السر عند الغضب فهو اللئيم لان اخفاءه
عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند اربع عند غضبه وعند
رضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي ان يكون صدق الاخوة ثابتا على اختلاف هذه الاحوال ولذلك قيل
ترى الكريم اذا تصرم وصله يخفي القبيح ويظهر الاحسانا وترى اللئيم اذا تقضى وصله يخفي الجميل ويظهر البهتانا
وقال العباس لابنه عبد الله اني ارى هذا الرجل يعني عمر يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن
عنده احدا ولا يجربن عليك كذبا ولا تعصين له امرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس
خير من الف كلمة ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة عن كل ما يتكلم به اخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها
فيؤذيك ولا حليما فيقليك وقد قال عليه السلام من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن تركه
وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة هذا مع ان تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب المحق النفل اعظم لان السكوت
عن الحق اشد على النفس من السكوت على الباطل وانما الاجر على قدر النصب واشد الاسباب لاثارة نار الحقد
من الاخوان المماراة والمناقشة فانها عين التدابر والتقاطع فان التقاطع يقع اولا بالاراء ثم بالاقوال ثم بالابدان
وقد قال عليه السلام لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو
المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب المؤمن من الشر ان يحقر اخاه المسلم واشد الاحتقار المماراة فان من

ردّ على غيره كلامه فقد نسبه الى الجهل والحمق او الى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار
وايغار للصدر وايحاش وفي حديث ابي امامة الباهلي قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى
فغضب ثم قال ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان وقال بعض السلف
من لاحى الاخوان وماراهم قلت مروته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن اياك ومماراة الرجال فانك لن تعدم
مكر حليم او مفاجاة لئيم وقال بعض السلف اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع ما ظفر به منهم وكثرة
المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة الف رجل وعلى
الجملة فلا باعث على المماراة الا اظهار التميز بزيادة العقل والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله وهذا يشتمل
على التكبر والاحتقار والايذاء والشتم بالحمق والجهل ولا معنى للمعاداة الا هذا فكيف تضامه الاخوة والمصافاة وقد
روى ابن عباس عنه عليه السلام انه قال لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقد قال عليه السلام
انكم لا تسعون الناس باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق والمماراة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى
السلف في الحذر من المماراة الى حد لم يروا السؤال ايضا وقالوا اذا قلت لاخيك قم فقال الى اين فلا تصحبه بل قالوا ينبغي
ان يقوم ولا يسال وقال ابو سليمان الداراني كان لي اخ بالعراق فكنت اجيئه في النوائب فاقول اعطني من مالك شيئا فكان
يلقي الي الكيس فاخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخائه من قلبي وقال
آخر اذا طلبت من اخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الاخاء واعلم ان قوام الاخوة بالموافقة في الكلام
والفعل وبالشفقة قال ابو عثمان الحيري موافقة الاخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال

الحق الرابع

على اللسان بالنطق فان الاخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضي ايضا النطق بالمحاب بل هو اخص بالاخوة لان من قنع بالسكوت
صحب اهل القبور وانما تراد الاخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن اذاهم والسكوت معناه كف الاذى فعليه ان يتودد
اليه بلسانه ويتفقده في احواله التي يحب ان يتفقد فيها كالسؤال عن عارض ان عرض له واظهار شغل القلب بسببه واستبطاء
العافية عنه وكذا جملة احواله التي يكرهها ينبغي ان يظهر بلسانه وافعاله كراهتها وجملة احواله التي يسر بها ينبغي ان
يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فمعنى الاخوة المساهمة في السراء والضراء وقد قال عليه السلام اذا احب احدكم اخاه
فليخبره وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان عرف انك تحبه احبك بالطبع لا محالة فاذا عرفت ايضا انه يحبك
زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين
ولذلك علم فيه الطريق عليه السلام فقال تهادوا تحابوا ومن ذلك ان تدعوه باحب اسمائه اليه في غيبته وحضوره قال
عمر ثلاث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه ومن ذلك ان
تثني عليه بما تعرف من محاسن احواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فان ذلك من اعظم الاسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء
على اولاده واهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك
من غير كذب وافراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين والاهم من ذلك ان تبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح به فان اخفاء ذلك
محض الحسد ومن ذلك ان تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وان لم يتمم قال علي من لم يحمد اخاه على حسن النية لم يحمده
على حسن الصنيعة واعظم من ذلك تاثيرا في جلب المودة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء او تعرض لعرضه بكلام صريح او
تعريض فحق الاخوة التشمر في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه فالسكوت عن ذلك موغر للصدر
ومنفر للقلب وتقصير في حق الاخوة وانما شبه عليه السلام الاخوين باليدين تغسل احداهما الاخرى لينصر احدهما الاخر
وينوب عنه وقد قال عليه السلام المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه وهذا من الاسلام والخذلان لان اهماله
لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه فاخسس باخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحمك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية
للدفع عنك وتمزيق الاعراض اشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى باكل لحم الميتة فقال ايحب احدكم ان
ياكل لحم اخيه ميتا والملك الذي يمثل في المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالامثلة المحسوسة يمثل الغيبة باكل
لحم الميتة حتى ان من يرى انه ياكل لحم ميتة فانه يغتاب الناس لان ذلك الملك في تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء
وبين مثاله في المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصورة فاذا حماية الاخوة بدفع ذم الاعداء وتعنت المتعنتين

واجب في عقد الاخوة فقد قال مجاهد لا تذكر اخاك في غيبته الا بما تحب ان يذكرك في غيبتك فاذا لك معياران احدهما ان
تقدر ان الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك حاضرا ما الذي كنت تحب ان يقوله اخوك فيك فينبغي ان تعامل المتعرض لعرضه به والثاني
ان تقدر انه حاضر من وراء جدار يستمع عليك ويظن انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمسمع منه
ومرأى فينبغي ان يكون في غيبته كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر اخ لي بغيب الا تذكرته جالسا فقلت فيه ما يحب ان يسمعه لو حضر
وقال اخر ما ذكر لي اخ الا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما احب ان يقال في وهذا من صدق الاسلام وهو ان لا
يرى لاخيه الا ما يراه لنفسه ونظر ابو الدرداء الى ثورين يحرثان في فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الاخر فبكى
وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا وقف احدهما وافقه الاخر وبالموافقة يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا في اخائه
فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف والتفاوت ذت
في شيء من ذلك مماذقة في المودة وهو دخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع
والعزلة اولى به من المواخاة والمصاحبة فان حق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق فلا جرم اجره جزيل لا يناله الا موفق
ولذلك قال عليه السلام احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا فانظر كيف جعل
الايمان جزاء الصحبة والاسلام جزاء الجوار والفرق بين فضل الايمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق
الجوار والقيام بحق الصحبة فان الصحبة تقتضي حقوقا كثيرة في احوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضي الا
حقوقا قريبة في اوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة اخيك الى العلم باقل من حاجته الى
المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه في الدين والدنيا والاخرة فان علمته وارشدته
فلم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وذلك بان تذكر له افات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والاخرة
لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي ان يكون ذلك في سر لا يطلع عليه احد فما
كان على الملا فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة اذ قال عليه السلام المؤمن مرآة المؤمن اي يرى
منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على
عيوب صورته الظاهرة وقيل للمسعر اتحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحني فيما بيني وبينه فنعم وان قرعني في الملا
فلا وقد صدق فان النصح على الملا فضيحة والله سبحانه وتعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه وفي ظل ستره
فيقفه على ذنوبه سرا وقيل يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا باب الجنة اعطوه
الكتاب مختوما ليقراه واما اهل المقت فينادون على رؤوس الاشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون
بذلك خزيا وافتضاحا فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر والفرق بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار والاعلان
كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك واجتلاب شهواتك
وسلامة جاهك فانت مداهن وقال ذو النون لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع
النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة **فان قلت** اذا كان النصح ذكر العيوب ففيه ايحاش
للقلب فكيف يكون ذلك من حق الاخوة فاعلم ان الايحاش انما يحصل بذكر عيب يعلمه اخوك من نفسه فاما تنبيهه
على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة للقلوب اعني قلوب العقلاء واما الحمقى فلا يلتفت اليهم فان من ينبهك
على فعل مذموم تعاطيته او صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية او عقرب
تحت ذيلك وقد همت باهلاكك فان كنت تكره ذلك فما اشد حمقك والصفات المذمومة عقارب وحيات وهي اشدهم
في الاخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والارواح والمها اشد مما يلدغ الظواهر والاجساد وهي مخلوقة من نار الله
الموقدة التي تطلع على الافئدة ولذلك كان عمر يستهدي ذلك من اخوانه ويقول رحم الله امرا اهدى الى اخيه عيوبه ولذلك
قال لسلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما تكره فاستعفى فالح عليه فقال بلغني ان لك حلتين تلبس احداهما بالنهار
والاخرى بالليل وبلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة واحدة فقال اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال
لا وكتب حذيفة المرعشي الى يوسف بن اسباط بلغني انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم هذا
فقال بسدس فقلت له لا بثمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن راسك قناع الغافلين وانتبه من رقدة الموتى

واعلم ان من قرا القران ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن ان يكون بآيات الله من المستهزئين وقد وصف الله الكاذبين ببغضهم
للناصحين اذ قال ولكن لا تحبون الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه فاما ما علمت انه يعلمه من نفسه وانما هو مقهور عليه من
طبعه فلا ينبغي ان تكشف فيه ستره ان كان يخفيه وان كان يظهره فلا بد من التلطف في النصح بالتعريض مرة وبالتصريح اخرى
الى حد لا يؤدي الى الايحاش فان علمت ان النصح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار عليه فالسكوت عنه اولى
وهذا كله فيما يتعلق بمصالح اخيك في دينه او دنياه اما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح
والتعامي عنه فالتعرض لذلك ليس من النصح في شيء نعم ان كان بحيث يؤدي استمراره عليه الى القطيعة
فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل اذ ينبغي
ان يكون قصدك من اخيك اصلاح نفسك بمراعاتك اياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق
منه ● قال ابو بكر الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبته يوما شيئا على ان يزول ما في قلبي فلم يزل فاخذت بيده
يوما الى البيت وقلت له ضع رجلك على خدي فابى فقلت له لا بد ففعل فزال ذلك من قلبي ● وقال ابو علي الرباطي
صحبت عبد الله الرازي وكان يدخل البادية فقال على ان تكون انت الامير او انا فقلت بل انت فقال وعليك الطاعة
فقلت نعم فاخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فاذا قلت له اعطني قال الست انا الامير فعليك الطاعة
فاخذنا المطر ليلة فوقف على راسي الى الصباح وعليه كساء وانا جالس يمنع عني المطر فكنت اقول مع نفسي ليتني مت قبل ان
اقول انت الامير

الحق الخامس

العفو عن الزلات والهفوات وهفوة الصديق لا تخلو اما ان تكون في دينه
بارتكاب معصية او في حقك بتقصيره في الاخوة اما ان يكون في الدين بارتكاب معصية والاصرار عليها فعليك التلطف
في نصحه بما يقيم اوده ويجمع شمله ويعيد الى الورع والصلاح حاله فان لم تقدر وبقي مصرا فقد اختلفت طرق
الصحابة والتابعين في ادامة حق مودته او مقاطعته فذهب ابو ذر الى الانقطاع وقال اذا انقلب اخوك عما كان
عليه فابغضه من حيث احببته وراى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة
رضي الله عنهم اجمعين فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك
فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى ● وقال ابرهيم النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فانه يرتكبه اليوم
ويتركه غدا ● وقال ايضا لا تحدثوا الناس بزلة العالم فان العالم يزل الزلة ثم يتركها ● وفي الخبر اتقوا زلة
العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته ● وفي حديث عمر وقد سال عن اخ كان آخاه فخرج الى الشام فسال عنه بعض
من قدم عليه وقال ما فعل اخي فقال ذاك اخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر قال اذا اردت
الخروج فآذني فكتب عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرا الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع
وحكي ان اخوين ابتلي احدهما بهوى فاظهر عليه اخاه وقال اني قد اعتللت فان شئت ان لا تعقد على محبتي لله فافعل
فقال ما كنت لاحل عقد اخوتك لاجل خطيئتك ابدا ثم اعتقد اخوه بينه وبين الله ان لا ياكل ولا يشرب حتى يعافي الله
اخاه من هواه فطوى اربعين يوما في كلها يساله عن حاله فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو ينحل من الغم
والجوع حتى زال الهوى عن قلب اخيه بعد الاربعين فاخبره بذلك فاكل وشرب بعد ان كاد ان يتلف ضرا ● وكذلك حكي عن
اخوين من السلف انقلب احدهما عن الاستقامة فقيل لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال احوج ما كان الي في هذا الوقت
لما وقع في عثرته ان آخذ بيده واتلطف له في المعاتبة وادعو له بالعود الى ما كان عليه ● وروي في الاسرائيليات
ان اخوين عابدين في جبل نزل احدهما ليشتري من المصر لحما بدرهم فراى بغيا عند اللحام فرمقها بعينه وعشقها
فواقعها ثم اقام عندها ثلثا واستحيى ان يرجع الى اخيه حياء من جنايته قال فافتقده اخوه واهتم بشانه فنزل المدينة فلم
يزل يسال عنه حتى دل عليه فدخل اليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وانكر انه يعرفه لفرط استحيائه
منه فقال قم يا اخي فقد علمت شانك وقصتك وما كنت قط احب الي ولا اعز من ساعتك هذه فلما راى ان ذلك
لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه فهذه طريقة قوم وهي الطف وافقه من طريقة ابي ذر وطريقته احسن واسلم
ولم قلت هذا الطف وافقه ومقارف هذه المعصية لا يجوز مواخاته ابتداء فلتجب مقاطعته انتهاء

لان الحكم اذا ثبت بعلة فالقياس ان يزول بزوالها وعلة عقد الاخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية
واقول اما كونه الطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتلطف المفضي الى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة
ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة اصر واستمر واما كونه افقه فمن حيث ان الاخوة عقد ينزل منزلة القرابة فاذا انعقدت
تاكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء به ان لا يهمل ايام حاجته وفقره وفقر الدين اشد من فقر المال وقد اصابته
جائحة والمت به آفة افتقر بسببها في دينه فينبغي ان يراقب ويرعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من الواقعة
التي المت به فالاخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من اشد النوائب والفاجر اذا صحب تقيا وهو ينظر الى خوفه
ومداومته فيرجع لا محالة على قرب ويستحيي من الاصرار بل الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه ● قال جعفر بن سليمان
مهما فترت في العمل نظرت الى محمد بن واسع واقباله على الطاعة فيرجع الي نشاطي الى العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه اسبوعا
وهذا التحقيق وهو ان الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز ان يهجر بالمعصية ولذلك قال الله سبحانه لنبيه عليه
السلام في عشيرته فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون ولم يقل اني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب والى
هذا اشار ابو الدرداء لما قيل له الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله والا فهو اخي واخوة الدين اوكد من
اخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقا وكان الحسن يقول
كم من اخ لم تلده امك ولذلك قيل القرابة تحتاج الى المودة والمودة لا تحتاج الى قرابة ● وقال جعفر الصادق مودة يوم
صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله فاذا الوفاء بعقد الاخوة اذا سبق انعقادها واجب
وهذا جوابنا عن ابتداء المواخاة مع الفاسق فانه لم يتقدم له حق فان تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي ان يقاطع بل يجامل
والدليل عليه ان ترك المواخاة والصحبة ابتداء ليس بمذموم ولا مكروه بل قال قائلون الانفراد اولى فاما قطع الاخوة
عن دوامها فمنهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته الى تركها ابتداء كنسبة الطلاق الى ترك النكاح والطلاق ابغض الى الله
من ترك النكاح قال عليه السلام شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة ● وقال بعض السلف في زلات
الاخوان ود الشيطان ان يلقي على اخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فماذا اتقيتم من محبة عدوكم وهذا لان التفريق بين
الاحباب من محاب الشيطان كما ان مقارفة العصيان من محابه فاذا حصل للشيطان احد غرضيه فلا ينبغي ان يضاف اليه الثاني
واليه الاشارة بقوله عليه السلام في الذي شتم الرجل الذي اتى الفاحشة اذ قال مه وزجره لا تكونوا عونا للشيطان على
اخيكم فبهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لان مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الاخوان والاحباب ايضا محذورة
وليس من سلم عن معارضة غيره كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فراينا ان المهاجرة والتباعد هو الاولى وفي الدوام تعارضا
فكان الوفاء بحق الاخوة اولى هذا كله في زلته في دينه اما زلته في حقه بما يوجب ايحاشه فلا خلاف في ان الاولى العفو والاحتمال
بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب او بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغي ان تستنبط
لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا
فلا تقبله فانت المعيب لا اخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي ان لا تغضب ان قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال
الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا و
استرض قلبك بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون شيطانا ان لم تقبل ● وقال الاحنف حق الصديق ان تحتمل منه
ثلاثا ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة ● وقال آخر ما شتمت احدا قط لانه ان شتمني كريم فانا احق من غفرها
له او لئيم فلا اجعل عرضي له غرضا ثم تمثل وقال
واغفر عوراء الكريم ادخاره ... واعرض عن شتم اللئيم تكرما
وقد قيل خذ من خليلك ما صفا ودع الذي فيه الكدر ● فالعمر اقصر من معاتبة الخليل على الغير ● ومهما اعتذر اليك اخوك
صادقا او كاذبا فاقبل عذره ● وقال عليه السلام من اعتذر اليه اخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل اثم صاحب المكس وقد
قال عليه السلام المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فلم يصفه بانه لا يغضب وكذا قال الله سبحانه وتعالى والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لان العادة لا تنتهي الى ان يجرح الانسان فلا يتالم بل تنتهي الى ان يصبر عليه
ويحتمل وكما ان التالم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتالم باسباب الغضب طبع للقلب لا يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه
والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي التشفي والانتقام والمكافاة وترك العمل بمقتضاه ممكن وقد قال الشاعر

ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اى الرجال المهذب ۞ قال ابو سليمان لاحمد بن ابى الحوارى اذا واخيت اخا فى هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تامن ان ترى فى جوابك ما هو شر من الاول قال فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة وينبغى ان لا يبالغ فى البغض عند القطيعة قال سبحانه عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ۞ وقال عليه السلام احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما ۞ وقال عمر لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو ان تحب تلف صاحبك مع هلاكك **الحق السادس** الدعا للاخ فى حيوته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولاهله وكل متعلق به فيدعو له كما يدعو لنفسه ولا يفرق بين نفسه وبينه فان دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال عليه السلام اذا دعا الرجل لاخيه فى ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك ۞ وفى لفظ اخر يقول الله سبحانه بك ابدا يا عبدى ۞ وفى الحديث يستجاب للرجل فى اخيه ما لا يستجاب له فى نفسه ۞ وفى الحديث دعوة الاخ لاخيه فى الغيب لا ترد وكان ابو الدردا يقول انى لادعو لسبعين من اخوانى فى سجودى واسميهم باسمائهم ۞ وكان محمد بن يوسف الاصفهانى يقول واين مثل الاخ الصالح اهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت يدعو لك فى ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى ۞ وكان الاخ الصالح يقتدى بالملائكة اذ جاء فى الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون له بما قدم ويسالون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت اخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كانه شهد جنازته وصلى عليه ۞ وروى عنه عليه السلام انه قال مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شى ينتظر دعوة من ولد او والد او قريب وانه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعا للاموات بمنزلة الهدايا للاحيا فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحى بالهدية **الحق السابع** الوفا والاخلاص ومعنى الوفا الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده واصدقايه فان الحب انما يراد للاخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعى ولذلك قال عليه السلام فى السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه فذكر فيهم رجلين اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ۞ وقال بعضهم قليل الوفا بعد الوفاة خير من كثيره فى حال الحياة ولذلك روى انه عليه السلام اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان كرم العهد من الدين فمن الوفا مراعاة جميع اصدقايه واقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم اوقع فى قلب الصديق من مراعاة الاخ نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر اذ لا يدل على قوة الشفقة والحب الا تعديهما من المحبوب الى كل من يتعلق به حتى الكلب الذى على باب داره ينبغى ان يميز فى القلب عن ساير الكلاب ومهما انقطع الوفا بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين فى الله ومتحابين فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما قال تعالى وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن ان الشيطان ينزغ بينهم وقال مخبرا عن يوسف عليه السلام من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ويقال ما تواخى اثنان فى الله فتفرق بينهما الا بذنب يرتكبه احدهما ۞ وكان بشر يقول اذا قصر العبد فى طاعة الله سلبه الله من يونسه وذلك لان الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الذ الاشيا مجالسة الاخوان والانقلاب الى كفاية والمودة الدائمة هى التى تكون فى الله وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ومن ثمرات المودة فى الله الا تكون مع حسد فى دين ولا دنيا وكيف يحسده وكل ما هو لاخيه فاليه ترجع فايدته وبه وصف الله المحبين فى الله تعالى ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفا ان لا يتغير حاله فى التواضع مع اخيه وان ارتفع شانه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لوم ۞ ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كان يالفهم بالمنزل الخشن ۞ واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بنى لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك ۞ وقال بعض الحكما اذا ولى اخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير وحكى الربيع ان الشافعى اخا رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولى السيبين فتغير له عما كان عليه فكتب الشافعى اليه هذه الابيات اذهب فودك من فوادى طالق ابدا وليس طلاق ذات البين فان ارعويت فانها تطليقة ويدوم ودك لى على ثنتين

وان امتنعت شفعتها بمثالها فيكون تطليقتين فى حيضتين ۞ فاذا الثلاث اتاك منى بتة لم تغن عنك ولاية السيبين واعلم انه ليس من الوفا موافقة الاخ فيما يخالف الحق فى امر يتعلق بالدين بل من الوفا له المخالفة فقد كان الشافعى رضى الله عنه اخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمنى بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعى وقال مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذرى عليه ۞ واتى الحبيب يعودنى فبريت من نظرى اليه ۞ وظن الناس لصدق مودتهما انه يفوض امر حلقته اليه بعد وفاته فقيل للشافعى فى علته التى مات فيها الى من نجلس بعدك يا ابا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند راسه ليومى اليه فقال الشافعى سبحان الله ايشك فى هذا ابو يعقوب البويطى فانكسر لها محمد ومال اصحابه الى البويطى مع ان محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن البويطى كان افضل واقرب الى الزهد والورع فنصح الشافعى لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يوثر رضا الخلق على رضا الله سبحانه فلما توفى انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع الى مذهب ابيه ودرس الى كتب مالك وهو من كبار اصحاب مالك رحمه الله واثر البويطى الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس فى الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الام الذى ينسب الان الى الربيع بن سليمن ويعرف به وانما صنفه البويطى ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف واظهره والمقصود ان الوفا بالمحبة من تمامها ۞ قال الاحنف بن قيس الاخا جوهرة رقيقة ان لم تحرسها كانت معرضة للافات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك والرضى حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من اخيك التقصير ومن اثار الصدق والاخلاص وتمام الوفا ان يكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع من اسبابها كما قيل وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الاخوان هينة الخطب وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل الى ان حسرتهم ذهبت من قلبى ومن الوفا ان لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر اولا انه محب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقى الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقايق الحيل فى التضريب ومن لا يحترز منه لم تدم مودته اصلا ۞ قال واحد لحكيم قد جئت خاطبا مودتك قال ان جعلت مهرها ثلاثا فعلت لا تسمع على بلاغة ولا تخالفنى فى امر ولا توطينى عشوة ۞ ومن الوفا ان لا يصادق عدو صديقه قال الشافعى اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا فى عداوتك **الحق الثامن** التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه ان يحمله شيئا من اعبايك ولا تستمد منه من جاه ومال ولا تكلفه التواضع لك والتفقد والقيام بحقوقك بل لا يقصد بمحبته الا الله سبحانه تبركا بدعايه واستيناسا بلقايه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله بالقيام بحقوقه وتحمل مونته ۞ قال بعضهم من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد اتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم وقال بعض الحكما من جعل نفسه عند الاخوان فوق قدره اثم واثموا ومن جعل نفسه فى قدره تعب واتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطى بساط التكلف حتى لا يستحى منه فيما لا يستحى من نفسه ۞ قال الجنيد ما تواخى اثنان فى الله فاستوحش احدهما من صاحبه او احتشم الا لعلة فى احدهما ۞ وقال على رضى الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراته والجاك الى اعتذار ۞ وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهما اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه ۞ وقالت عايشة رضى الله عنها المومن اخو المومن لا يغتمه ولا يحتشمه ۞ وقال الجنيد صحبت اربع طبقات من هذه الطايفة كل طبقة ثلاثون رجلا الحرث المحاسبى وطبقته وحسن المسوحى وطبقته وسرى السقطى وطبقته وابن الكرنبى وطبقته فما تواخى اثنان فى الله واحتشم احدهما من صاحبه او استوحش الا لعلة فى احدهما ۞ وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مونة التحفظ ۞ وكان جعفر بن محمد يقول اثقل اخوانى على من يتكلف لى واتحفظ منه واخفهم على قلبى من اكون معه كما اكون وحدى ۞ وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سوا وانما قال هذا لان به يتخلص عن التكلف والتحفظ والا فالطبع يحمله على ان يتحفظ منه اذا علم ان ذلك ينقصه عنده ۞ وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شيت ۞ وقال اخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسات ويحمل عنك مونة نفسك ويكفيك مونة نفسه وقايل هذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس وليس الامر كذلك بل ينبغى ان تواخى كل متدين عاقل ويعزم على ان يقوم بهذه الشروط ولا يكلفه هذه الشروط حتى تكثر اخوانه اذ به يكون مواخيا

الله الا كانت مواخاة بحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان في هذا الزمان اين اخ لي في الله فاعرض الجنيد عنه حتى اعاده ثلاثا فلما اكثر قال ان اردت اخا يكفيك مؤنتك ويتحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان اردت اخا في الله تحمل انت مؤنته وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم لك فسكت الرجل واعلم ان الناس ثلاثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ورجل لا تقدر ايضا على ان تنفعه وتتضرر به وهو الاحمق او السيئ الخلق فهذا الثالث ينبغي ان تتجنبه فاما الثاني فلا تجتنبه لانك تنتفع في الاخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام بحقه وقد اوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام ان اطعتني فما اكثر اخوانك اي ان واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لاني كنت معهم على نفسي ومن هذه شيمته كثر اخوانه ومن التخفيف وترك التكلف ان لا يعترض في نوافل العبادات لان طائفة من الصوفية يصحبون على شرط المواساة بين اربع معان ان اكل احدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم ويستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الريا والتحفظ لا محالة ● وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته ● وقال بعض الصحابة ان الله سبحانه لعن المتكلفين ● وقال عليه السلام انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف ● وقال بعضهم اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد تم انسه به اذا اكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال بقيت خامسة وهي ان يحضر مع الاهل في بيت اخيه ويجامعها لان البيت يتخذ للاستخفاء بهذه الامور الخمسة والا فالمساجد اروح لقلوب المتعبدين فاذا فعل هذه الخمسة فقد تم الاخاء وارتفعت الحشمة وتأكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير الى ذلك اذ يقول احدهم مرحبا واهلا وسهلا اي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان ولك عندنا اهل تأنس بهم فلا وحشة منا ولك عندنا سهولة في كل ذلك اي لا يشتد علينا شيء مما تريد ولا يتم التخفيف وترك التكليف الا بان يرى نفسه دون اخوانه ويحسن الظن بهم ويسيء الظن بنفسه فاذا راهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم بنفسه ● قال ابو معوية الاسود اخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك قال كلهم يرى الفضل لي عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني وقد قال عليه السلام المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له فهذه اقل الدرجات وهي النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للاخ ولذلك قال سفيان اذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فانت شر الناس اي ينبغي ان تكون معتقدا ذلك في نفسك ابدا وسيأتي وجه ذلك في كتاب العجب والكبر وقد قيل معنى التواضع رؤية الفضل للاخوان

وقد قيل: تذلل لمن ان تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله ● وجانب صداقة من لا يزال مع الاصدقاء يرى الفضل له

وقال آخر: كم صديق عرفته بصديق صار احظى من الصديق العتيق ● ورفيق رايته في طريق صار عندي هو الصديق الحقيقي

ومهما راى الفضل لنفسه فقد احتقر اخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم ● قال عليه السلام بحسب المؤمن من الشر ان يحقر اخاه المسلم ومن تتمة الانبساط وترك التكلف ان يشاور اخوانه في كل ما يقصده ويقبل اشاراتهم فقد قال عليه السلام سبحانه وتعالى وشاورهم في الامر ولا ينبغي ان يخفي عنهم شيئا من اسراره كما روي عن يعقوب بن اخي معروف قال جاء اسود بن سالم الى عمي معروف وكان مواخيا له فقال ان بشر بن الحارث يحب مواخاتك وهو يستحيي ان يشافهك بذلك وقد ارسلني اليك يسألك ان تعقد له فيما بينك وبينه اخوة يحتسبها ويعتد بها الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب ان يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف اما انا فلو اخيت احدا لم احب مفارقته ليلا ونهارا ولزرته في كل وقت ولآثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب في الله احاديث كثيرة ثم قال فيها وقد اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فشاركه في العلم وقاسمه البدن وانكحه افضل بناته واحبهن اليه وخصه بذلك لمواخاته وانا اشهدك اني قد عقدت له اخوة بيني وبينه وعقدت اخاه في الله لرسالتك ولمسئلتك على ان لا يزورني ان كره ذلك ولكني ازوره متى احببت ومره ان يلقاني في مواضع نلتقي بها ومره ان لا يخفي علي شيئا من شانه وان يطلعني على جميع احواله فاخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضي وسر به فهذا جامع حقوق الصحبة وقد اجملناه مرة وفصلناه اخرى ولا يتم ذلك الا بان تكون على نفسك للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك اما البصر فبان تنظر اليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر

الى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت اقبالهم عليك وكلامهم معك ● روي انه عليه السلام كان يعطي كل من جلس اليه نصيبا من وجهه وما اصطفاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسالته وتوجهه للجالس اليه وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وامانة وكان عليه السلام اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما يحدثون به وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام ● واما السمع فان تسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ومنازعة ومداخلة واعتراض فان ارهقك عارض اعتذرت اليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون ● واما اللسان فقد ذكرنا حقوقه وان القول فيه يطول ومن ذلك ان لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم الا بما يفهمون ● واما اليدان فان لا يقبضهما عن معونتهم في كل ما يتعاطى باليد ● واما الرجلان فان يمشي بهما وراءهم مشي الاتباع لا مشي المتبوعين ولا يتقدمهم الا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم الا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم اذا اقبلوا ولا يقعد الا بقعودهم ويقعد حيث يقعد متواضعا ومهما تم الاتحاد خفت جملة من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصحبة وفي ضمنها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوي بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به الا مسلك نفسه لان هذه الاداب الظاهرة عنوان اداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب استغنى عن اظهار ما فيها ومن كان نظره الى صحبة الخلق فانه تارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان نظره الى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها اعلى انواع الخدمة لله اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة الصائم القائم وزيادة

خاتمة لهذا الباب نذكر جملا من اداب العشرة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقير في غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع امورك في اوسطها فكلا طرفي قصد الامور ذميم ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك في انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شعرك وتصنيفك وسائر ما يخصك ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان راوه قليلا هنت عليهم وان كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم واعنفهم في غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيديك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث على ركبتيك واذا هدأ غيظك فتكلم وان قربك سلطان فكن منه على حد السنان وان استرسل اليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ولا يحملنك لطفه بك ان تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل بين الملك واهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصديق العافية فانه اعدى الاعداء ولا تجعل مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا فالادب البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون اقرب الى التواضع وان تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان جلست فادبه غض البصر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف وعون الضعيف وارشاد الضال ورد السلام واعطاء السائل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد لموضع البصاق فلا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فان فعلت فادبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والاعراب في الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان ظهرت المودة وان لا تتجشأ بحضرته ولا تتخلل بعد الاكل عنده وعلى الملك ان يحتمل كل شيء الا افشاء السر والقدح في الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فادبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجري في سوء الفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم واياك ان تمازح لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك

عليك لأن المزاح يخرق الهيبة ويذهب ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرّي السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون ويميت القلب ويباعد عن الرب ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح إلا من سخف أو بطر ومن بلي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه قال عليه السلام من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك

الباب الثالث

في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الأسباب

اعلم أن الإنسان إما أن يكون وحده أو مع غيره وإذا تعذر عيش الإنسان وحده إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن بد من تعلم آداب المخالطة وكل مخالط ففي مخالطته أدب والأدب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة إما القرابة وهي أخصها أو أخوة الإسلام وهي أعمها وينطوي في معنى الأخوة الصداقة والصحبة وإما الجوار وإما صحبة السفر والمكتب والدرس وإما الصداقة والأخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد وللمحرم حق ولكن حق الوالدين آكد وكذلك حق الجار يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى إن البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل آكد منه والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في الدرس والمكتب آكد من حق صحبة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فإنها إذا قويت صارت أخوة فإن ازدادت صارت محبة فإن ازدادت صارت خلة والخليل أقرب من الحبيب والمحبة ما تتمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فأما كون الخلة فوق الأخوة فمعناه أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة وتعرفه من قوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن إذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع أنه اتخذ عليا أخا فقال علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة فعدل بعلي عن النبوة كما عدل بأبي بكر عن الخلة فشارك أبو بكر عليا في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة وأهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال فإنه نبه على ذلك بقوله لاتخذت أبا بكر خليلا وكان عليه السلام خليل الله وحبيبه ويروى أنه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال إن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا فأنا خليل الله وأنا حبيب الله فإذا ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصحبة والأخوة ويدخل فيه ما وراءهما من المحبة والخلة وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت رتب المحبة والأخوة حتى ينتهي أقصاها إلى أن يوجب الإيثار بالنفس والمال كما آثر أبو بكر نبينا عليه السلام وكما آثر طلحة ببدنه إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز فنحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الإسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك أعني ملك اليمين فإن ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح

حقوق المسلم وهو أن يسلم عليه إذا لقيه ويجيبه إذا دعاه ويشمته إذا عطس ويعوده إذا مرض ويشهد جنازته إذا مات ويبر قسمه إذا أقسم عليه وينصح له إذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب إذا غاب ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ورد جميع ذلك في الأخبار والآثار وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم وقال ابن عباس في معنى قوله سبحانه رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له **ومنها** أن يحب للكافة ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى وروى أبو موسى عنه عليه السلام أنه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا **ومنها** أن لا يؤذي أحدا من المسلمين بفعل ولا

قول

المسلم م

قول قال عليه السلام من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال عليه السلام في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل فإن لم تقدر فدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها على نفسك وقال أيضا أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال عليه السلام أتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله أعلم فقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه فقال رجل يا رسول الله ما الإسلام قال أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادي يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقال هذا بما كنت تؤذي المؤمنين وقال عليه السلام لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي الناس وقال أبو برزة يا رسول الله علمني شيئا أنتفع به فقال اعزل الأذى عن طريق المسلمين وقال عليه السلام من زحزح عن طريق المسلمين ما يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب له حسنة أوجب الله له بها الجنة وقال عليه السلام لا يحل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه وقال أيضا لا يحل لمسلم أن يروع مسلما وقال عليه السلام إن الله يكره أذى المؤمن وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله **ومنها** أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله لا يحب كل مختال فخور وقال عليه السلام إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله سبحانه لنبيه عليه السلام خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن ابن أبي أوفى كان عليه السلام لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجتهما **ومنها** أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال عليه السلام لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن أحمد من نم إليك نم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك **ومنها** أن لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه قال أبو أيوب الأنصاري قال عليه السلام لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وقد قال عليه السلام من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة وقال عكرمة قال الله سبحانه ليوسف بعفوك عن إخوتك رفعت ذكرك في الذاكرين وقالت عائشة رضي الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا وقال عليه السلام ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزا وما من أحد تواضع لله إلا رفعه الله **ومنها** أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الأهل وغير الأهل روى علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف إلى أهله فإن لم تصب أهله فأنت أهله وبإسناده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر وقال أبو هريرة كان عليه السلام لا يأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها ولم يكن يرى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه **ومنها** أن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثا فإن لم يؤذن له انصرف قال أبو هريرة قال عليه السلام الاستئذان ثلاث فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون **ومنها** أن يخالق الجميع بخلق حسن ويعامله بحسب طريقته فإنه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم واللاهي بالفقه والغبي بالبيان آذى وتأذى **ومنها** أن يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال جابر قال عليه السلام ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا واللطف بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه فيحملون فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك أنت وراءه ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يحملوك وكان عليه السلام يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول لا تزرموا الصبي حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور أهله فيه لئلا يروا أنه تأذى ببوله فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعدهم وقال عليه السلام من إجلال الله

اكرام ذي الشيبة المسلم ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذن قال جابر قدم وفد جهينة عليه
عليه السلام فقام غلام ليتكلم فقال عليه السلام مه فاين الكبر • وفي الخبر ما وقر شاب شيخا لسنه الا قيض الله له
سنه من يوقره وهذه اشارة لدوام الحياة فليتنبه له فلا موفق لتوقير الشيوخ الا من قضي له بطول العمر • قال عليه السلام
لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ويفيض المال فيضا ويغيظ الكرام غيظا ويجترى الصغير على الكبير واللئيم
على الكريم **ومنها** ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا قال عليه السلام تدرون على من حرمت النار
قالوا الله ورسوله اعلم قال على الهين اللين السهل القريب • وقال ابو هريرة قال عليه السلام ان الله يحب السهل الطلق
وقال بعضهم يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام • وقال
عبد الله بن عمر البر شي هين وجه طليق وكلام لين • وقال عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة
طيبة • وقال عليه السلام ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقال اعرابي لمن هي يا رسول
الله فقال لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام • وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفا بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم
ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح قال انس عرضت لنبي الله امراة وقالت لي معك حاجة وكان معها ناس من اصحابه
فقال اجلسي في اي نواحي السكك شيت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضت حاجتها • وقال وهب الله بن منبه ان
رجلا من بني اسرايل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة ايام فسال الله ان يريه كيف يغوي الشيطان الناس فلما طال عليه
ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فارسل الله اليه
ملكا فقال له ان الله ارسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به احب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح
الله بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض فاذا ليس احد من الناس الا والشياطين حوله كالذباب فقال
اي رب من ينجو من هذا فقال الورع اللين **ومنها** ان لا يعد مسلما بوعد الا ويفي به قال عليه السلام العدة عطية
وقال العدة دين • وقال ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وذكر ذلك **ومنها** ان ينصف الناس من نفسه
ولا ياتي اليهم الا بما يحب ان يوتى اليه قال عليه السلام لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من
الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام • وقال ايضا من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتاته منيته وهو
يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليات الى الناس ما يحب ان يوتى اليه • وقال ايضا لابي الدردا يا ابا الدردا
احسن مجاورة من جاورك تكن مومنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما • وقال الحسن اوحى الله سبحانه الى ادم
عليه السلام اربع خصال وقال فيهن جماع الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة
بينك وبين الخلق فاما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيا واما التي لك فعملك اجزيك به افقر ما تكون اليه واما التي بيني
وبينك فعليك الدعا وعلي الاجابة واما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالتي تحب ان يصحبوك به • وسال موسى ربه
فقال اي رب اي عبادك اعدل فقال من انصف من نفسه **ومنها** ان يزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على علو
منزلته فينزل الناس منازلهم • روي ان عايشة كانت في سفر فنزلت منزلا فوضعت طعاما فجا سايل فقالت
ناولوا هذا المسكين قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه الى الطعام فقيل لها تعطين المسكين وتدعين هذا الغني
فقالت ان الله قد انزل الناس منازل لا بد لنا من ان ننزلهم تلك المنازل هذا المسكين يرضا بقرص وقبيح بنا ان نعطي
هذا الغني على هذه الهيئة قرصا • وروي انه عليه السلام دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى دحس البيت وامتلا
فجا جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف عليه السلام رداه والقاه اليه وقال له اجلس على
هذا فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني فنظر النبي يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه
وروي ان ظير رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداه ثم قال لها مرحبا بامي ثم اجلسها
على الردا ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت قومي فقال اما حقي وحق بني هاشم فهو لك فقام الناس من كل
ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد واخدمها ووهب لها سهمانه بحنين فبيع ذلك من عثمان رضي الله عنه

غاية الفقه زهرهم ولما اتاه صلى الله عليه وسلم من ياتيه وهو على وساده مجالس فلا يكون فيها سعة يجلس معه وان لم يكن فيها
سعة فيدفعها ويضعها تحت الذي يجلس اليه فان ابى عزم عليه حتى يفعل **ومنها** ان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد
اليه سبيلا • قال عليه السلام الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد
ذات البين هي الحالقة • وقال ايضا افضل الصدقة اصلاح ذات البين • وعن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بابي انت وامي ما الذي اضحكك قال رجلان من امتي جثوا بين يدي الله تعالى
فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من هذا فقال الله رد على اخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شي فقال الله للطالب
كيف تصنع باخيك لم يبق من حسناته شي قال يا رب فليحمل عني من اوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبكا وقال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال يقول الله سبحانه اي للمتظلم ارفع بصرك
في الجنان فقال يا رب ارى مداين من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللولو لاي نبي هذا او لاي صديق او لاي شهيد
هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك قال انت تملكه قال بماذا يا رب قال بعفوك عن اخيك قال يا رب
قد عفوت عنه قال الله خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال عليه السلام اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله
يصلح بين المومنين يوم القيمة • وقد قال عليه السلام ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا وهذا يدل على وجوب
الاصلاح لان ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب الا بواجب اكد منه • وقال عليه السلام كل الكذب مكتوب الا
الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكذب بين اثنين فيصلح بينهما او يكذب لامراته ليرضيها **ومنها** ان
يستر عورات المسلمين كلهم قال عليه السلام من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والاخرة • وقال عليه السلام لا يستر
عبد عبدا الا ستره الله يوم القيمة • وقال ابو سعيد الخدري قال عليه السلام لا يرى امرو من اخيه عورة فيسترها
عليه الا دخل الجنة • وقال عليه السلام لماعز لما اخبره الرجل لو سترته بثوبك كان خيرا لك فاذا على المسلم ان يستر
عورة نفسه فحق اسلامه واجب عليه كحق اسلام غيره • قال ابو بكر رضي الله عنه لو اخذت شاربا لاحببت ان يستره
الله • وروي ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فراى رجلا وامراة على فاحشة فلما اصبح قال للناس
ارايتم لو ان اماما راى رجلا وامراة على فاحشة فاقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا انما انت امام فقال علي
رضي الله عنه ليس لك ذلك اذا يقام عليك الحد ان الله لم يامن على هذا الامر اقل من اربعة شهدا ثم تركهم ما شا
الله ان يتركهم ثم سالهم فقال القوم مثل مقالتهم الاولى وقال علي مثل مقالته وهذا يشير الى ان عمر كان مترددا في
ان الوالي هل له ان يقضي بعلمه في حدود الله فلذلك راجعهم في معرض التقوى لا في معرض الاخبار خيفة من ان لا يكون
له ذلك فيكون قاذفا باخباره ومال راي علي الى انه ليس له ذلك وهذا من اعظم الادلة على طلب الشرع لستر
الفواحش فان افحشها الزنا وقد نيط باربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمرود في المكحلة وهذا
قط لا يتفق وان علمه القاضي تحقيقا لم يكن له ان يكشف عنه فانظر الى الحكمة في حسم باب الفاحشة باعجاب الرجم الذي
هو اعظم العقوبات ثم انظر الى كثيف ستر الله فيه كيف اسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فنرجو ان
لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السراير ففي الحديث ان الله اذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها في الاخرة
وان كشفها في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها في الاخرة وان كشفها في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها مرة اخرى • وعن عبد
الرحمن بن عوف قال حرست مع عمر ليلة بالمدينة فبينا نحن نمشي اذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نومه فلما دنونا اذا باب مغلق
على قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدي وقال اتدري بيت من هذا قلت لا قال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف
وهم الان شرب فما ترى قلت ارى انا اتينا ما نهانا الله عنه قال تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر وتركهم فهذا يدل على
وجوب الستر وترك التتبع • وقد قال عليه السلام لمعوية انك ان اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت تفسدهم
وقال ايضا يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا الناس ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة
اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته • وقال ابو بكر الصديق لو رايت
احدا على حد من حدود الله سبحانه ما اخذته ولا دعوت له احدا حتى يكون معي غيري • وقال بعضهم كنت قاعدا مع
عبد الله بن مسعود اذ جاءه رجل باخر فقال هذا نشوان فقال عبد الله استنكهوه ففعلوا فوجدوه نشوان فحبسه

حتى ذهب شكره ثم دعا بسوط فكسر ثمرته ثم قال الجلد وارفع يدك واعط كل عضو حقه فجلده وعليه قبا او فرطق
فلما فرغ قال للذي جاء به ما انت منه قال عمه قال له عبد الله ما ادبت فاحسنت الادب ولا سترت الحريمة انه ينبغي للامام
اذا اتي اليه حد ان يقيمه ان الله عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا ثم قال لاذكر اول رجل قطعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتي بسارق فقطعه فكانما اسف وجهه فقالوا يا رسول الله كانك كرهت قطعه قال وما يمنعني لا تكونوا كرهت
عونا للشيطان على اخيكم انه ينبغي للسلطان اذا اتي اليه حد ان يقيمه ان الله عفو يحب العفو وليعفوا وليصفحوا الا تحبون
ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ● وفي رواية فكانما سفي في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدة تغيره
وروي ان عمر كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امراة وعنده خمر فقال
يا عدو الله اظننت ان الله يسترك وانت على معصية فقال وانت يا امير المؤمنين فلا تعجل ان اكن عصيت الله واحدة فقد
عصيت الله ثلاثا قال الله سبحانه ولا تجسسوا وقد تجسست وقال ليس البر ان تاتوا البيوت من ظهورها وقد تسورت
علي ● وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الاية وقد دخلت بيتي بغير اذن ولا سلام فقال عمر هل عندك من خير ان عفوت
عنك قال نعم والله يا امير المؤمنين لئن عفوت عني لا اعود لمثلها ابدا فعفى عنه وخرج وتركه ● وقال رجل لعبد الله بن
عمر يا ابا عبد الرحمن كيف سمعت النبي عليه السلام يقول في النجوى يوم القيمة فقال سمعته يقول ان الله ليدني منه المؤمن
فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول نعم يا رب حتى اذا قرره بذنوبه وراى
في نفسه انه قد هلك قال له يا عبدي اني لم استرها عليك في الدنيا الا وانا اريد ان اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته
واما الكافرون والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ● وقال عليه السلام
كل امتي معافى الا المجاهرين وان المجاهرة ان يعمل الرجل سوءا ثم يخبر به وقال ايضا من استمع سر قوم وهم له كارهون صب
في اذنيه الانك يوم القيمة ● ومنها ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم عن
الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال سبحانه ولا تسبوا الذين يدعون من دون
الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ● وقال عليه السلام كيف ترون من يسب ابويه فقال نعم يسب ابا غيره فيسبون ابويه
وقد روى انس انه عليه السلام كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه فقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله
من كنت اظن فيه فاني لم اكن اظن فيك فقال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وزاد في رواية اخرى اني خشيت ان
يقذف في قلبكما شيئا وكانا رجلين فقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته في العشر الاواخر من رمضان
وقال عمر من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل يكلم امراة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة
فقال يا امير المؤمنين انها امراتي فقال هلا حيث لا يراك الناس ● ومنها ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من
له عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر قال عليه السلام اني اوتى واسال وتطلب الي الحاجة وانتم عندي فاشفعوا
لتوجروا ويقضي الله على يدي نبيه ما احب ● وقال معوية قال عليه السلام اشفعوا الي توجروا اني اريد الامر فاوخره
كي تشفعوا الي فتوجروا ● وقال عليه السلام ما من صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك يا رسول الله
قال الشفاعة تحقن بها الدم وتجر بها المنفعة الى الاخر ● وروى عكرمة عن ابن عباس ان زوج بريرة كان عبدا يقال
له مغيث كاني انظر اليه خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال عليه السلام للعباس الا تعجب من شدة حب مغيث
لبريرة وشدة بغض بريرة مغيثا فقال عليه السلام لو راجعته فانه ابو ولدك فقلت يا رسول الله اتامرني فافعل
فقال لا انما انا شافع ● ومنها ان يبدا كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال عليه السلام
من بدا بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدا بالسلام ● وقال بعضهم دخلت عليه عليه السلام ولم اسلم ولم استاذن
فقال ارجع فقل السلام عليكم وادخل ● وروى جابر قال قال عليه السلام اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها فان
الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته ● وقال انس خدمته عليه السلام ثماني حجج فقال لي يا انس اسبغ الوضوء
يزد في عمرك وسلم على من لقيته من امتي تكثر حسناتك واذا دخلت منزلك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقال
انس قال عليه السلام اذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة وتسعون لاحسنهما بشرا وقال سبحانه
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ● وقال عليه السلام والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤ

حتى تحابوا افلا ادلكم على عمل ان عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله قال افشوا السلام بينكم وقال ايضا اذا سلم
المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة ● وقال ايضا الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا
يسلم عليه ● وقال عليه السلام يسلم الراكب على الماشي واذا سلم من القوم واحد اجزا عنهم ● وقال قتادة كانت
تحية من كان قبلكم السجود فاعطى الله هذه الامة السلام وهي تحية اهل الجنة ● وكان ابو مسلم الخولاني يمر على
قوم فلا يسلم عليهم ويقول ما يمنعني الا اني اخشى ان لا يردوا فتلعنهم الملائكة ● والمصافحة ايضا سنة مع السلام
وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك فقال عشر حسنات فجاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته فقال عشرون حسنة ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون حسنة ● وكان
انس يمر على الصبيان فيسلم عليهم ● ويروى ان رسول الله فعل ذلك ● وروى عبد الحميد بن بهرام انه عليه
السلام مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم واشار عبد الحميد بيده للحكاية ● وقال
عليه السلام لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم في طريق فاضطروهم الى اضيقه ● وعن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصافحوا اهل الذمة ولا تبدؤهم بالسلام واذا
لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه ● قالت عايشة ان رهطا من اليهود دخلوا عليه عليه السلام
فقالوا السام عليك فقال عليكم فقالت عايشة بل عليكم السام واللعنة فقال يا عايشة ان الله يحب الرفق في كل
شيء قالت عايشة الم تسمع ما قالوا قال فقد قلت عليكم ● وقال عليه السلام يسلم الراكب على الماشي والماشي
على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير ● وقال ايضا لا تشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود
بالاشارة بالاصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالكف قال ابو عيسى اسناده ضعيف ● وقال عليه السلام اذا
انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرة
وقال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المؤمنان وتصافحا قسمت بينهم سبعون
رحمة تسعة وستون لاحسنهم بشرا ● وقال عمر سمعته عليه السلام يقول اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد
منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشر ● وقال الحسن المصافحة
تزيد في الود ● وقال ابو هريرة قال عليه السلام تمام تحياتكم بينكم المصافحة وقال ايضا قبلة المؤمن اخاه
المصافحة ولا باس بقبلة يد المعظم في الدين تبركا به وتوقيرا له ● روي عن ابن عمر قال قبلنا يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبتي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده ● وروي ان
اعرابيا قال يا رسول الله ايذن لي فاقبل راسك ويدك قال فاذن له ففعل ● ولقي ابو عبيدة عمر فصافحه
وقبل يده وتنحيا يبكيان ● وعن البراء بن عازب انه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضا فلم
يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ورد عليه ومد يده اليه فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت اظن هذا الا من
اخلاق الاعاجم فقال ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما ● وعنه عليه السلام انه قال اذا
مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه
رد عليه ملا خير منهم واطيب او قال وافضل والانحناء عند السلام منهي عنه قال انس قلنا يا رسول الله
اينحني بعضنا لبعض قال لا قال افيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيتصافح قال نعم والالتزام والتقبيل قد
ورد به الخبر عند القدوم من السفر قال ابو ذر ما لقيته عليه السلام الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن في
البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت اجود واجود والاخذ بالركاب في توقير العالم ورد
به الاثر فعل ابن عباس ذلك بزيد بن ثابت واخذ عمر بغرز زيد حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحاب زيد
والقيام مكروه ● قال انس ما كان شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا
لما يعلمون من كراهيته لذلك ● وروي انه قال مرة اذا رايتموني فلا تقوموا كما يصنع الاعاجم ● وقال ايضا
من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوا مقعده من النار ● وقال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس
فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وكانوا يحترزون من ذلك بهذا النهي وقال ايضا اذا اخذ القوم مجالسهم فان

دعا رجل اخاه فاوسع له فليأته فانما هي كرامة اكرمه بها اخوه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فليجلس فيه ۞
وروي انه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يجبه فيكره السلام على من يقضي حاجته ويكره ان يقول
ابتداء عليك السلام فانه قاله رجل لرسول الله فقال ان عليكم السلام تحية الميت قالها ثلاثا ثم قال اذا لقي احدكم اخاه
فليقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ويستحب للداخل اذا سلم ولم يجد مجلسا ان لا ينصرف بل يقعد وراء الصف كان
عليه السلام جالسا يوما في المسجد اذ اقبل ثلاثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله فاما احدهما فوجد فرجة فجلس فيها واما الاخر
فجلس خلفهم واما الثالث فادبر ذاهبا فلما فرغ عليه السلام قال الا اخبركم عن النفر الثلاثة اما احدهم فاوى الى الله فاواه الله
واما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه واما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه ۞ وقال عليه السلام ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان
الا غفر لهما قبل ان يتفرقا ۞ وسلمت ام هاني عليه فقال من هذه فقيل له ام هاني فقال مرحبا بام هاني ومنها ان يصون
عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره ۞ روى ابو الدردا ان رجلا
قال في رجل عند رسول الله فرد عنه رجل فقال عليه السلام من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار ۞ وقال عليه السلام
ما من امرء مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ۞ وعن انس انه عليه السلام قال
من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره الا ادركه الله بها في الدنيا والاخرة ۞ ومن ذكر عنده اخوه المسلم
فنصره نصره الله بها في الدنيا والاخرة ۞ وقال ايضا من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيمة
من النار ۞ وقال جابر وابو طلحة سمعناه عليه السلام يقول ما من امرى ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل
حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصره وما من امرى خذل مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته الا خذله الله في موضع
يحب فيه نصره ومنها تشميت العاطس قال عليه السلام في العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته
يرحمكم الله ويرد العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم وشمت عليه السلام عاطسا ولم يشمت اخر فقال انه حمد الله
وانت سكت ۞ وقال ابن مسعود كان عليه السلام يعلمنا نقول اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك
فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قال ذلك فليقل يغفر الله لكم ۞ وقال عليه السلام شمت المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد
فهو زكام ۞ وروي انه شمت عاطسا ثم عطس اخرى فقال انك مزكوم ۞ وقال ابو هريرة كان عليه السلام اذا عطس
غض صوته واستتر بثوبه او يده وروي خمر وجهه ۞ وقال ابو موسى الاشعري كان اليهود يتعاطسون عنده عليه السلام
رجا ان يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله ۞ وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان رجلا عطس خلف النبي صلى الله
عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضاه ربنا وبعد ما يرضى والحمد لله على كل حال
فلما سلم عليه السلام قال من صاحب الكلمات فقال انا يا رسول الله ما اردت بهن الا خيرا فقال لقد رايت اثني عشر ملكا
كلهم يبتدرونها ايهم يكتبها ۞ وقال عليه السلام من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته ۞ وقال ايضا
العطاس من الله والتثاوب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال اه اه فان الشيطان يضحك
من جوفه ۞ وقال ابرهيم النخعي اذا عطس في قضا الحاجة فلا باس بان يذكر الله ۞ وقال الحسن يحمد الله في نفسه وقال
كعب قال موسى يا رب اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فقال انا جليس من ذكرني فقال فانا نكون على حال
نجلك ان نذكرك عليها كالجنابة والغائط اذكرني على كل حال ومنها انه اذا بلي بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه
قال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر ۞ وقال ابو الدردا
انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهي مع من يخاف شره قال تعالى ادفع بالتي هي
احسن السيئة اي الفحش والاذى بالسلام والمداراة وقيل في معنى قوله سبحانه ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
قال بالرغبة والرهبة والحيا والمداراة ۞ وقالت عايشة استاذن رجل على رسول الله فقال ائذنوا له فبئس
رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم
النت له القول فقال يا عايشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه ۞ وفي الخبر
ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة ۞ وفي الاثر خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بقلوبهم ۞ وقال محمد بن
الحنفية ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا ومنها ان

يجتنب مخالطة الاغنيا ويخالط المساكين ويحسن الى الايتام كان عليه السلام يقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
واحشرني في زمرة المساكين ۞ وكان سليمان عليه السلام في ملكه اذا دخل المسجد وراى مسكينا جلس اليه وقال مسكين
جالس مسكينا وقيل ما كان من كلمة يقال لعيسى عليه السلام احب من ان يقال له يا مسكين ۞ وقال كعب الاحبار ما في القران
من يا ايها الذين امنوا فهو في التوراة يا ايها المساكين ۞ وقال عبادة بن الصامت ان للنار سبعة ابواب ثلاثة للاغنيا وثلاثة
للنسا وباب للفقرا والمساكين ۞ وقال الفضيل بلغني ان نبيا من الانبيا قال يا رب كيف لي ان اعلم رضاك عني قال انظر
كيف رضا المساكين عنك ۞ وقال عليه السلام اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال الاغنيا ۞ وقال
موسى عليه السلام الهي اين ابغيك قال عند المنكسرة قلوبهم ۞ وقال عليه السلام لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري
الى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا ۞ واما اليتيم فقد قال عليه السلام من ضم يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغني
فقد وجبت له الجنة ۞ وقال عليه السلام انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وهو يشير باصبعيه ۞ وقال عليه
السلام من وضع يده على راس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر يده عليها حسنة ۞ وقال ايضا خير بيت من المسلمين
بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يسا اليه ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في
ادخال السرور على قلبه ۞ قال عليه السلام المؤمن يحب للمؤمن كما يحب لنفسه ۞ وقال ايضا لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه
ما يحب لنفسه ۞ وقال ايضا من اقر عين مؤمن اقر الله عينه ان احدكم مراة اخيه فاذا راى به شيئا فليمطه عنه ۞ وقال
عليه السلام من قضى حاجة لاخيه فكانما خدم الله عمره ۞ وقال ايضا من اقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم القيامة
وقال من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين ۞ وقال من فرج
عن مغموم او اعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة ۞ وقال انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره
ظالما فقال تمنعه من الظلم ۞ وقال ايضا ان من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على المؤمن او يفرج عنه غما او يقضي عنه
دينا او يطعمه من جوع ۞ وقال ايضا من حمى مؤمنا من منافق يعنته بعث الله اليه ملكا يحمي لحمه يوم القيمة من نار جهنم
وقال خصلتان ليس فوقهما شي من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شي من البر الايمان
بالله والنفع لعباد الله ۞ وقال من لم يهتم للمسلمين فليس منهم ۞ وقال معروف الكرخي من قال اللهم ارحم امة محمد كل يوم كتبه
الله من الابدال ۞ وفي رواية اخرى اللهم اصلح امة محمد اللهم اصلح امة احمد اللهم فرج عن امة محمد كل يوم ثلاث مرات
كتبه الله من الابدال ۞ وبكى علي بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك فقال ابكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله
وسيل عن ظلمه ولم يكن له حجة ومنها ان يعود مرضاهم والمعرفة والاسلام كافيان في اثبات هذا الحق ونيل فضله
وادب العائد خفة الجلسة وقلة السوال واظهار الرقة والدعا بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وعند
الاستيذان ان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقل انا اذا قيل من ولا يقل يا غلام لكن يحمد ويسبح ۞ وقال عليه
السلام تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويساله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة ۞ وقال
ايضا من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة حتى اذا قام وكل به سبعون الف ملك يصلون عليه حتى الليل وقال
عليه السلام اذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فاذا قعد عنده قرت منه ۞ وقال ايضا اذا عاد المسلم اخاه
وزاره قال الله سبحانه طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلا في الجنة ۞ وقال اذا مرض العبد بعث الله اليه ملكين
فقال انظرا ماذا يقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك الى الله سبحانه وهو اعلم فيقول
لعبدي علي ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه
سياته ۞ وقال عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه ۞ وقال عثمن مرضت فعادني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من
شر ما تجد قالها مرارا ۞ ودخل عليه السلام على علي بن ابي طالب وهو مريض فقال له قل اللهم اني اسالك تعجيل
عافيتك او صبرا على بليتك او خروجا من الدنيا الى رحمتك فانه سيعطي احداهن ويستحب للعليل ايضا ان يقول اعوذ
بعزة الله وقدرته من شر ما اجد ۞ وقال علي اذا اشتكى احدكم بطنه فليسال امراته شيئا من صداقها فيشتري
به عسلا فيشربه بما السماء فيجمع له الهنا والمرى والشفا المبارك وجملة اداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى

والضجر والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء وقال عليه السلام يا ابا هريرة الا اخبرك بامر هو حق
من تكلم به في اول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال تقول لا اله الا الله يحيي ويميت وهو حي
لا يموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه على كل حال الله اكبر كبيرا كبرياء ربنا وجلاله
وقدرته بكل مكان اللهم ان انت امرضتني لتقبض روحي في مرضي فاجعل روحي في ارواح من سبقت لهم منك الحسنى

ومنها ان يشيع جنائزهم قال عليه السلام من شيع جنازة فله قيراط وان وقف حتى تدفن فله قيراطان وفي
الخبر القيراط مثل احد ولما روى ابو هريرة هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا في قراريط كثيرة والقصد من
التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار وكان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة
وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكي ويقول والله لا
تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلمه ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي
لحزن القوم كلهم ونظر ابراهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال
ثلاثة وجه ملك الموت قد راى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن وقال عليه السلام يتبع الميت
ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله **ومنها** ان يزور قبورهم
والمقصود الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال عليه السلام ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر
خرجنا معه عليه السلام فاتى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكينا فقال ما يبكيكم فقلنا بكينا
لبكائك قال هذا قبر امنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنته في ان استغفر لها فابى علي
فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان القبر اول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال
مجاهد اول ما يكلم ابن ادم حفرته فتقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت
لك فما اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدرداء يقعد الى
القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان قمت لم يغتابوني وقال حاتم الاصم من مر
بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال عليه السلام ما من ليلة الا وينادي مناد يا
اهل القبور من تغبطون فيقولون نغبط اهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله
ولا نذكره وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر
النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قسوة دخل فيه ومكث ساعة ثم قال رب
ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقول يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل ان لا ترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن
عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور ابائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا
في لذاتهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واصاب الهوام من ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن
صار الى هذه القبور وقد امن عذاب الله وادب المعزى خفض الجناح واظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم
وادب تشييع الجنازة دوام الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر في الموت والاستعداد له وان
يمشي امام الجنازة بقربها والاسراع بالجنازة سنة فهذه جمل تنبه على اداب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة
الجامعة فيه ان لا تستصغر منهم احدا حيا كان او ميتا فتهلك لانك لا تدري لعله خير منك فانه وان كان
فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة
عند الله صغير ما فيها ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تبذل لهم
دينك لتنال من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي
هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الامر عليك في المعاداة ويذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب
دينهم فيك الا اذا رايت منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله
وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فما لك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم لك وثنائهم

وجهك وحسن بشرهم لك فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة الا واحدا وربما لا تجده ولا تشك اليهم
احوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية فذلك طمع كاذب وانى تظفر به ولا
تطمع فيما في ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة
على التكبر باظهار الاستغناء واذا سالت احدا منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد وان لم يقض فلا تعاتبه فيصير
عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك وليكن
وعظك عرضا وارسالا من غير تنصيص على الشخص ومهما رايت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ
بالله ان يكلك اليهم واذا بلغك عنهم غيبة او رايت منهم شرا او اصابك منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله
واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي
واعتقد انك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم والله المحبب والمبغض الى القلوب وكن فيهم
سميعا لحقهم اصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا
يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون
ويؤاخذون على الخطا والنسيان ولا يعفون يغرون الاخوان على الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم
خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا
يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون
لصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجابهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعول
على من لم تختبر حق الخبرة بان تصحبه مدة في دار او موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره او تسافر
معه او تعامله في الدينار والدرهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه الاحوال فاتخذه ابا لك
ان كان كبيرا او ابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلك فهذه جملة اداب المعاشرة مع اصناف الخلق

حقوق الجوار

اعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل
مسلم وزيادة اذ قال عليه السلام الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار
الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار
المسلم له حق الاسلام وحق الجوار واما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد
الجوار وقد قال عليه السلام احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال عليه السلام ما زال جبريل يوصيني
بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وقال لا يؤمن عبد حتى
يامن جاره بوائقه وقال اول خصمين يوم القيامة جاران وقال اذا انت رميت كلب جارك فقد اذيته
وروي ان رجلا جاء الى ابن مسعود فقال له ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال هي في النار
وروى الزهري ان رجلا اتى النبي عليه السلام يشكو جاره فامر ان ينادي على باب المسجد الا ان اربعين دارا
جار قال الزهري اربعون هكذا واربعون هكذا واومى الى اربع جهات وقال عليه السلام اليمن والشوم
في المراة والمسكن والفرس فيمن المراة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشومها غلاء مهرها وعسر نكاحها
وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه ضيقه وسوء جوار اهله ويمن الفرس ذله وحسن
خلقه وشومه صعوبته وسوء خلقه واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار ايضا
قد كف اذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال
ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ويقول رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني وبلغ
ابن المقفع ان جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذا بحرمة ظل داره ان باعها
معدما فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها وشكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال
اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فاكون قد احببت لهم ما لا احبه لنفسي وجملة حق الجار
ان يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم

معه في العزا ويهنيه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب من فنايه ولا يضيق طريقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نايبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلامه ويغض بصره عن حرمته ولا يديم النظر الى خادمه ويتلطف لولده في كلمته ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التي ذكرناها للمسلمين ♦ وقد قال عليه السلام اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استنصرك نصرته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنيته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبنا فتحجب عنه الريح الا باذنه واذا اشتريت فاكهة فاهد له وان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عنه عليه السلام قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمرو وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه ♦ وقال هشام كان الحسن لا يرى باسا ان يطعم الجار اليهودي من اضحيته ♦ وقال ابو ذر اوصاني خليلي عليه السلام وقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها ♦ وقالت عايشة قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل ببابه والاخر ناء ببابه عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا فقال المقبل عليك ببابه ♦ ورأى الصديق ولده عبد الرحمن وهو يماظ جاره فقال لا تماظ جارك فان هذا يبقى والناس يذهبون ♦ قال الحسن بن عيسى النيسابوري سالت عبد الله بن المبارك فقلت الرجل المجاور ياتيني فيشكو غلامي انه اتى اليه امرا والغلام ينكر فاكره ان اضربه ولعله بري واكره ان ادعه فيجد علي جاري فكيف اصنع قال ان غلامك لعله ان يحدث حدثا يستوجب فيه الادب فاحفظه عليه فاذا شكاه جارك فادبه على ذلك الحدث فتكون قد ارضيت جارك وادبته على ذلك الحدث وهذا تلطف في الجمع بين الحقين ♦ وقالت عايشة خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن احب صدق الحديث وصدق الناس واعطا السايل والمكافاة بالصنايع وصلة الرحم وحفظ الامانة والتذمم للجار والتذمم للصاحب وقرى الضيف وراسهن الحيا ♦ وقال ابو هريرة قال عليه السلام يا نسا المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة ♦ وقال عليه السلام ان من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني ♦ وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسات قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم يقولون قد اسات فقد اسات ♦ وقال جابر قال عليه السلام من كان له جار في حايط او شريك فلا يبيعه حتى يعرضه عليه ♦ وقال ابو هريرة قضى عليه السلام ان الرجل يضع جذعه في حايط جاره شا ام ابى ♦ وقال ابن عباس قال عليه السلام لا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبة في جداره ♦ وكان ابو هريرة يقول ما لي اراكم عنها معرضين والله لارمينها بين اكتافكم وقد ذهب بعض العلما الى وجوب ذلك وقال عليه السلام من اراد الله به خيرا عسله قيل وما عسله قال يحببه الى جيرانه

حقوق الاقارب

قال عليه السلام يقول الله سبحانه انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته ♦ وقال عليه السلام من سره ان ينسا له في اثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه ♦ وفي رواية اخرى من سره ان يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه ♦ وقيل له عليه السلام اي الناس افضل قال اتقاهم لله واوصلهم لرحمه وامرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر ♦ وقال ابو ذر اوصاني خليلي عليه السلام بصلة الرحم وان ادبرت وامرني ان اقول الحق وان كان مرا ♦ وقال عليه السلام ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل المكافي ولكن الواصل الذي اذا انقطعت رحمه وصلها ♦ وقال عليه السلام ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونون فجارا فتنمى اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم ♦ وقال زيد بن اسلم لما خرج عليه السلام الى مكة عرض له رجل فقال ان كنت تريد النسا البيض

والنوق

والنوق الادم فعليك ببني مدلج فقال ان الله قد منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم وقالت اسما بنت ابي بكر قدمت علي امي فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي مشركة افاصلها قال نعم ♦ وفي رواية افاعطيها قال نعم صليها ♦ وقال عليه السلام الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ♦ ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق بحايط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول الله هو في سبيل الله والفقرا والمساكين فقال وجب اجرك فاقسمه في اقاربك ♦ وقال عليه السلام افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وهو في معنى قوله عليه السلام افضل الفضايل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك ♦ وروي ان عمر كتب الى عماله مروا الاقارب ان تزاوروا ولا تجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم

حقوق الوالدين

والولد لا يخفى انه اذا تاكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها الولادة فيتضاعف تاكد الحق فيها وقد قال عليه السلام لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال عليه السلام بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله ♦ وقال ايضا من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن امسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحدا ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن امسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحدا وان ظلما وان ظلما وان ظلما ♦ وقال ايضا الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وانه قال بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك ♦ ويروى ان الله سبحانه اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته بارا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا ♦ وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فاوحى الله اليه اتتعاظم ان تقوم لابيك وعزتي لا اخرجت من صلبك نبيا ♦ وقال عليه السلام ما على احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شي ♦ قال مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر ابوي شي ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما ♦ وقال عليه السلام ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه ♦ وقال عليه السلام بر الوالدة على الوالد ضعفان ♦ وقال ايضا دعا الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط ♦ وساله رجل فقال يا رسول الله من ابر فقال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق ♦ وقال عليه السلام رحم الله والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله على العقوق بسوء عمله وقد قيل ولدك ريحانتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك او شريكك ♦ قال انس قال عليه السلام الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة زوجه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الاخرة ♦ وقال عليه السلام من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه ♦ وقال ايضا كل غلام رهين او رهينة بعقيقته تذبح يوم السابع ويحلق راسه ♦ وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها فاستقبلت بها اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه الخيط ثم يغسل راسه ويحلق بعد ♦ وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال انت افسدته ويستحب الرفق بالولد ♦ راى الاقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم ♦ وقالت عايشة قال عليه السلام يوما اغسلي وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انفه فضرب يدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية ونظر للحسن وهو على منبره فنزل فحمله وقرا قوله سبحانه انما اموالكم واولادكم فتنة ♦ وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاءه الحسن فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فلما قضى صلاته قالوا قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته ♦ وقال عليه السلام ريح الولد من ريح الجنة ♦ وقال يزيد بن معوية ارسل ابي الى الاحنف بن قيس فلما وصل اليه قال له يا ابا بحر ما تقول في الولد فقال يا امير المو

منين

ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معوية لله انت يا احنف لقد دخلت علي وانا مملو غيظا وغضبا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بمايتي الف درهم ومايتي ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بماية الف درهم وماية ثوب قاسمه اياها على الشطر فهذه هي الاخبار الدالة على تاكيد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما يعرف مما ذكرناه في حق الاخوة فان هذه الرابطة اكد من الاخوة بل تزيد ههنا امران احدهما ان اكثر العلما على ان طاعة الابوين واجبة في الشبهات وان لم تجب في الحرام المحض حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تاكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم ولذلك ليس لك ان تسافر في مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذي هو فرض الاسلام نفل لانه على التاخير والخروج لطلب العلم نفلة الا اذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتدا في بلد ليس فيه من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين • قال ابو سعيد الخدري هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال له عليه السلام هل باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك قال لا قال فارجع الى ابويك فاستاذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير مما تلقى الله به بعد التوحيد • وجا اخر اليه عليه السلام ليستشيره في الغزو فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة عند رجليها • وجا اخر وطلب البيعة على الهجرة وقال ما جيتك حتى ابكيت والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما • وقال عليه السلام حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده • وقال عليه السلام اذا استصعبت على احدكم دابته او سا خلق زوجته او احد من اهل بيته فليوذن في اذنه

حقوق المملوك

اعلم ان ملك النكاح قد سبقت حقوقه في اداب النكاح واما ملك اليمين فهو ايضا يقتضي حقوقا في المعاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من اخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبدلوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شا لملككم اياهم • وقال عليه السلام للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق • وقال ايضا لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خاين ولا سي الملكة • وقال عبد الله بن عمر جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت عنه ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة وكان عمر يذهب الى العوالي كل يوم سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه • ويروى عن ابي هريرة انه راى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله فانما هو اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه • وقالت جارية لابي الدردا اني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيا فقال لم فعلت ذلك قالت اردت الراحة منك قال اذهبي فانت حرة لوجه الله • وقال الزهري متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر • وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ اتته خادم له بسفود عليه شوا فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال لا يسكن روع هذه الجارية الا العتق انت حرة لا باس عليك • وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك مولاك يعصي مولاه وانت تعصي مولاك واغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر • وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشا فجات مسرعة ومعها قصعة مملوة فعثرت واراقتها على راس سيدها ميمون فقال يا جارية احرقتني قالت يا معلم الخير ومودب الناس ارجع الى ما قال الله سبحانه قال وما قال الله قالت قال والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله يقول والله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله • وقال ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسالك بالله اسالك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما راى السيد رسول الله امسك يده فقال سالك بوجه الله فلم تعفه فلما رايتني امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار • وقال عليه السلام العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لي اجران فذهب احدهما وقال عليه السلام عرض علي اول ثلاثة يدخلون الجنة واول ثلاثة يدخلون النار فاما اول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة الله ونصح لسيده ومتعفف ذو عيال واول ثلاثة يدخلون النار امير مسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله وفقير فخور • وعن ابي مسعود الانصاري قال بينما انا اضرب غلاما لي سمعت صوتا من خلفي اعلم ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله فالقيت السوط فقال والله لله اقدر عليك منك على هذا • وقال عليه السلام اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شي يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه رواه معاذ • وقال ابو هريرة قال عليه السلام اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه وان لم يفعل فليناوله لقمة • وفي رواية اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومونته وقربه اليه فليجلسه وليأكل معه فان لم يفعل فلياخذ لقمة فليروغها واشار بيده فليضعها في يده وليقل كل هذه ودخل على سلمان رجل وهو يعجن فقال يا ابا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا ان نجمع عليه عملين وقال عليه السلام من كانت له جارية فعالها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فذلك له اجران وقد قال عليه السلام كلكم راع وكلكم مسول عن رعيته فجملة حق المملوك ان يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدرا وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته او بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله وتقصيره في طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته • وروى فضالة بن عبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا تسال عنهم رجل فارق الجماعة وعصى امامه فمات عاصيا فلا تسال عنه وامراة غاب عنها زوجها وقد كفاها مونة الدنيا فتبرجت بعده فلا تسال عنها وثلاثة لا تسال عنهم رجل نازع الله رداه ورداوه الكبريا وازاره العز ورجل في شك من الله والقنوط من رحمة الله

كتاب العزلة

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي اعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته • بان صرف هممهم الى مؤانسته • واجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة الايه وعظمته • وروح اسرارهم بمناجاته وملاطفته • وحقر في قلوبهم النظر الى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته • كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستانس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته • واستوحش بذلك عن الانس بالانس وان كان من اخص خاصته • والصلوة على محمد سيد انبيا الله وخيرته • وعلى اله واصحابه سادة الحق وايمته

اما بعد فان للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل احداهما على الاخرى مع ان كل واحدة منهما لا تنفك عن غوايل تنفر عنها وفوايد تدعو اليها وميل اكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمواخاة والموالفة يكاد يناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة وكشف الغطا عن الحق من ذلك مهم ويحصل ذلك برسم بابين الباب الاول في نقل المذاهب والحجج فيها الباب الثاني في كشف الغطا عن الحق بحصر الفوايد والغوايل

الباب الاول

اما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفين الثوري وابرهيم بن ادهم وداود الطاي والفضيل بن عياض وسليمن الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي رضي الله عنهم اجمعين وقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان للتالف والتحبب الى المومنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل وجماعة رضي الله عنهم اجمعين • والماثور عن العلما من الكلمات ينقسم الى كلمات مطلقة تدل على الميل الى احد الراين والى كلمات مقرونة بما يشير الى علة الميل فلننقل الان مطلقات تلك الكلمات لتتبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للغوايل والفوايد فنقول قد روي عن عمر انه قال خذوا بحظكم من العزلة • وقال ابن سيرين العزلة عبادة • وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقران مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا • وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطايي عظني فقال صم عن الدنيا واجعل فطرك الاخرة وفر من الناس

فأرادت من الأسد. وقال الحسن كلمات أحفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروته صبر قليلا فتمتع طويلا. وقال وهيب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس. وقال يوسف بن مسلم العابد لعلي بن بكار ما أصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وأنا شاب أصبر على أشد من هذا كنت أجالس الناس ولا أكلمهم. وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت. وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع لا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فأنشأ يقول

قليل الهم لا ولد يموت ... ولا أمر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا وأفاد علما ... فغايته التفرد والسكوت

وقال إبراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم. وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الإخوان حقوقهم فترك ذلك كله واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا يتهيأ للمرء أن يخبر بكل عذر له. وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله سبحانه. وقال الفضيل إني لأجد للرجل عندي يدا إذا لقيني أن لا يسلم علي وإذا مرضت أن لا يعودني. وقال أبو سليمان الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته. وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق. وقال يوسف بن أسباط سمعت سفيان الثوري يقول والله الذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة. وقال بشر بن عبد الله أقل من معرفة الناس فإنك لا تدري ما يكون يوم القيامة فإن تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا. ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له ألك حاجة قال نعم قال ما هي قال لا تراني ولا أراك. وقال رجل لسهل أريد أن أصحبك فقال إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر فليصحبه الآن. وقيل للفضيل إن عليا ابنك يقول لوددت أني في مكان أرى الناس ولا يروني فبكى الفضيل وقال يا ويح علي أفلا أتمها فقال لا أراهم ولا يروني. وقال الفضيل من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه. وقال ابن عباس أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه أقاويل المائلين إلى العزلة.

ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها

احتج هؤلاء بقوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وبقوله تعالى فألف بين قلوبهم فامتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لأن المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة والمراد بالألفة نزع الغوائل من الصدور وهي الأسباب المثيرة للفتن والمحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله عليه السلام المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وهذا أيضا ضعيف فإنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق الذي يمتنع بسببه المؤالفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي إن خالط ألف وألف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه أو طلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله عليه السلام من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية وبقوله عليه السلام من شق عصا المسلمين والمسلمون في إسلام دامج فقد خلع ربقة الإسلام وهذا ضعيف لأن المراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغي وذلك مخالفة بالرأي وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق إلى إمام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر فالمخالفة فيها تشويش مثير للفتنة وليس في هذا تعرض للعزلة واحتجوا بنهيه عليه السلام عن الهجر فوق ثلاث إذ قال من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار. وقال عليه السلام لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة. وقال أيضا من هجر أخاه ستة أيام فهو كسافك دمه فقالوا والعزلة هجر بالكلية وهذا ضعيف لأن المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب مع أن الهجر فوق الثلاث جائز في موضعين أحدهما أن يرى فيه استصلاحا للمهجور في الزيادة والثاني أن يرى لنفسه سلامة فيها والنهي وإن كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين بدليل ما روي عن عائشة أنه عليه السلام هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر. وروى عمر أنه عليه السلام اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد إلى غرفة له وهي خزانته فلبث فيها تسعا وعشرين فلما نزل قيل له إنك كنت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعا وعشرين. وروت عائشة أنه عليه السلام قال لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا يؤمن بوائقه فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن حيث قال هجران الأحمق قربة إلى الله فإن ذلك يدوم إلى الموت إذ الحماقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم سعد بن أبي وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر حتى ماتا وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة. وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى مات وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة. واحتجوا بما روي أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الإسلام خير من عبادة أحدكم أربعين عاما والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الإسلام بدليل ما روي عن أبي هريرة أنه قال غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن أفعل ذلك حتى أذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته في أهله ستين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فإنه من قاتل في سبيل الله فواق ناقة أدخله الله الجنة. واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه عليه السلام قال إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاذة إياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسيأتي أن ذلك ينهى عنه إلا لضرورة.

ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة

احتجوا بقوله سبحانه حكاية عن إبراهيم عليه السلام وأعتزلكم وما تدعون من دون الله الآية ثم قال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له الآية إشارة إلى أن ذلك ببركة العزلة وهذا ضعيف لأن مخالطة الكفار لا فائدة فيها إلا دعوتهم إلى الدين وعند اليأس من إجابتهم فلا وجه إلا هجرهم وإنما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة إذ روي أنه عليه السلام قيل له الوضوء من جر مخمر أحب إليك أم من هذه المطاهر التي يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المطاهر التماسا لبركة أيدي المسلمين. وروي أنه عليه السلام لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها فإذا التمر المنقع في حياض الأدم قد مغثه الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه فقال العباس إن هذا النبيذ قد مغث وخيض بالأيدي أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا في جر مخمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس ألتمس بركة أيدي المسلمين فشرب منه فإذا كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا بقول موسى عليه السلام وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون وأنه فزع إلى العزلة عند اليأس منهم. وقال سبحانه في أصحاب الكهف وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله الآية أمرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا عليه السلام قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة ثم تلاحقوا به إلى المدينة بعد أن أعلى الله كلمته وهذا أيضا اعتزال عن الكفار عند اليأس منهم فإنه عليه السلام لم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار وإنما النظر في العزلة من المؤمنين واحتجوا بقوله عليه السلام لعبد الله بن عامر الجهني لما قال يا رسول الله ما النجاة فقال ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك. وروي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أفضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره. وقال عليه السلام إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر فأما قوله عليه السلام لعبد الله بن عامر فلا يمكن تنزيله إلا على ما عرفه عليه السلام بنور النبوة من حاله وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم من المخالطة فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال عليه السلام الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره وهذه إشارة إلى شرير بطبعه يتأذى الناس بمخالطته وقوله عليه السلام إن الله يحب التقي الخفي إشارة إلى إيثار الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل يعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل

لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لامر لا يتعلق بالعزلة واحتجوا بما روي انه عليه السلام قال لاصحابه الا انبئكم بخير الناس قالوا بلى فاشار بيده نحو المغرب وقال رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار عليه الا انبئكم بخير الناس بعده واشار بيده نحو الحجاز وقال رجل في غنيمة يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس فاذا ظهر ان هذه الادلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها ان شاء الله

الباب الثاني

في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها اعلم ان اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص بحسب ما فصلناه من افات النكاح وفوائده وكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوائد العزلة وهي تنقسم الى فوائد دينية ودنيوية والدينية تنقسم الى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم والى التخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض لها الانسان بالمخالطة كالريا والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة من جلساء السوء واما الدنيوية فتنقسم الى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته والى التخلص من محظورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر الى زهرة الدنيا واقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروته بالمخالطة والتأذي بسوء خلق الجليس في مرائه او سوء ظنه او نميمته او محاسدته او التأذي بثقله وتشويه خلقته فالى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد **الفائدة الاولى** الفراغ للعبادة والفكر والاستيناس بمناجاة الله سبحانه عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله في امر الدنيا والاخرة وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة الى ذلك ولذلك قال بعض الحكما لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله والمتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ولا شك في ان هولا تمنعهم المخالطة من الفكر والذكر فالعزلة اولى بهم ولذلك كان عليه السلام في ابتدا امره يتبتل في جبل حرا وينعزل اليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبونه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله حتى كان الناس يظنون ان ابا بكر رضي الله عنه خليله فاخبر عن استغراق همه بالله فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله ولن يتسع للجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال على الله سرا الا قوة النبوة فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد ان تنتهي درجة بعض الاوليا اليه فقد نقل عن الجنيد انه قال انا اكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون اني اكلمهم وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك وذلك غير منكر ففي المستهترين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول ولا ما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهمته ملمة تشوش عليه امرا من امور دنياه فقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم لشدة استغراقه وامر الاخرة اعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الاولى بالاكثرين الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكما ما الذي ارادوا بالخلوة واختيار العزلة فقال يستدعون بذلك دوام الفكر وتثبيت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما اصبرك على الوحدة فقال ما انا وحدي انا جليس الله اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه واذا شئت ان اناجيه صليت وقيل لبعض الحكما الى اي شي افضى بهم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت ابرهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت له يا ابرهيم تركت خراسان فقال ما تهنات بالعيش الا ههنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن يراني يقول موسوس او جمال او ملاح وقيل لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة اخوانك فقال اني اصبت راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي وقيل للحسن يا ابا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسا الا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رايتموه فاخبروني فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي اخبرناك به واشاروا اليه فمضى اليه الحسن وقال يا عبد الله اراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال امر شغلني

عن

عن الناس قال فما يمنعك ان تاتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال امر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له وما ذلك الشغل يرحمك الله قال اني اصبح وامسي بين نعمة وذنب فرايت ان اشغل نفسي بشكر الله على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن انت يا عبد الله افقه عندي من الحسن فالزم ما انت عليه وقيل بينما اويس القرني جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس ما جاء بك قال جئت لانس بك فقال اويس ما كنت ارى ان احدا يعرف ربه فيانس بغيره وقال الفضيل اذا رايت الليل مقبلا فرحت به وقلت اخلو بربي واذا رايت الصبح ادركني استرجعت كراهية لذلك وان يجيئني من يشغلني عن ربي وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الاخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الاخرة وقال ذو النون المصري سرور المومن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يانس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك ما احسن حال من انقطع الى الله ويروى عن بعض الصالحين انه قال بينما انا اسير في بعض بلاد الشام اذا انا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر الي تنحى الى اصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر اليك فقال يا هذا اني اقمت في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصبر عن الدنيا واهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسالت الله ان لا يجعل حظي من ايامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب والفه الوحدة والانفراد فلما نظرت اليك خفت ان اقع في الامر الاول فاليك عني فاني اعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال اليك عني يا دنيا لغيري فتزيني واهلك فغري ثم قال سبحان من اذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع اليه ما الهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان فاذا في الخلوة انس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي مثل ذلك قيل

واني لاستغشي وما بي غشية لعل خيالا منك يلقى خياليا
واخرج من بين الجلوس لعلني احدث عنك النفس بالسر خاليا

ولذلك قال بعض الحكما انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه فاذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقد قيل الاستيناس بالناس من علامة الافلاس فاذا هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الانس بالله او بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له افضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات وثمرة المعاملات ان يموت الانسان محبا لله سبحانه عارفا بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة الا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة **الفائدة الثانية** التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي اربعة الغيبة والنميمة والريا والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا اما الغيبة فاذا عرفت من كتاب افات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت ان التحرز منها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها الا الصديقون فان عادة الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها وهي طعمتهم ولذتهم واليها يستريحون من وحشتهم في الخلوة فان خالطتهم ووافقتهم اثمت وتعرضت لسخط الله وان سكت كنت شريكا والمستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة الى غيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف والشتم واما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من اصول الدين وهو واجب كما سياتي بيانه في اخر هذا الربع ان شاء الله ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى الله بسكوته وان انكر تعرض لانواع من الضرار وربما يجره طلب الخلاص منها الى معاص هي اكبر مما نهى عنه ابتداء وفي العزلة خلاص من هذا فان الامر في اهماله شديد والقيام به شاق وقد قام ابو بكر خطيبا فقال ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانكم تضعونها في غير مواضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا راى الناس المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقابه وقد قال عليه السلام ان الله ليسال العبد حتى يقول له ما منعك اذ رايت المنكر في الدنيا ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس وهذا اذا خاف من ضرب او امر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الامر بالمعروف اثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل

وكم سقت في اثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المتنصح

ومن جرب الامر بالمعروف ندم عليه غالبا فانه كجدار مائل يريد الانسان ان يقيمه فيوشك ان يسقط عليه فاذا سقط عليه

فيقول ليتني تركته مايلا نعم لو وجدا اعوانا امسكوا الجدار حتى يحكم بدعامة استقام وانت اليوم لا تجد الاعوان
فدعهم وافرغ براسك ◦ واما الريا فهو الدا العضال الذي يعسر على الاوتاد والابدال الاحتراز منه فكل من خالط الناس
داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا واقل ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت
متعاديين فلم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت من شرار الناس قال عليه السلام
تجدون من شر الناس ذا الوجهين الذي ياتي هولا بوجه وهولا بوجه واقل ما يجب من مخالطة الناس اظهار الشوق والمبالغة
فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما في الاصل واما في الزيادة واظهار الشفقة بالسوال عن الاحوال بقولك كيف انت وكيف
اهلك وانت في الباطن فارغ القلب من همومه وذلك نفاق محض قال سري لو دخل علي اخ فسويت لحيتي بيدي لدخوله
لخشيت ان اكتب في جريدة المنافقين ◦ وكان الفضيل يوما جالسا وحده في المسجد الحرام فجا اليه اخ له فقال له ما جا بك
قال المؤانسة يا ابا علي فقال هي والله بالمواحشة اشبه هل تريد الا ان تتزين لي واتزين لك وتكذب لي واكذب لك اما ان
تقوم عني واما ان اقوم عنك ◦ وقال بعض العلما ما احب الله عبدا الا احب ان لا يشعر به ◦ ودخل طاوس على الخليفة
هشام فقال كيف انت يا هشام فغضب عليه وقال لم لم تخاطبني بامرة المومنين فقال لان جميع المسلمين ما اتفقوا على
خلافتك فخشيت ان اكون كاذبا فمن امكنه ان يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس والا فليرض باثبات اسمه في جريدة المنافقين
فقد كان السلف يلتقون ويحترزون في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سوالهم عن احوال الدين لا
عن احوال الدنيا ◦ قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك قال سلامة وعافية فكره حاتم جوابه وقال يا حامد
السلامة من ورا الصراط والعافية في الجنة ◦ وكان عيسى عليه السلام اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت لا املك تقديم
ما ارجو ولا استطيع دفع ما احاذر واصبحت مرتهنا بعملي والخير كله بيد غيري فلا فقير افقر مني ◦ وكان الربيع بن خثيم اذا
قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفا مذنبين نستوفي ارزاقنا وننتظر اجالنا ◦ وكان ابو الدردا اذا قيل له كيف اصبحت
قال اصبحت بخير ان نجوت من النار ◦ وكان سفين الثوري اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحنا نشكر ذا الى ذا ونذم ذا الى
ذا ونفر من ذا الى ذا ◦ وقيل لاويس القرني كيف اصبحت فقال كيف يصبح رجل اذا امسى لا يدري انه يصبح واذا
اصبح لا يدري انه يمسي ◦ وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت فقال اصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد ◦ وقيل لبعض الحكما كيف اصبحت
فقال اصبحنا كل رزق ربي واطيع عدوه ابليس ◦ وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت فقال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الاخرة
مرحلة ◦ وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت فقال اصبحت اشتهي عافية يوم الى الليل فقيل له الست في عافية في كل الايام
فقال العافية يوم لا اعصي الله فيه ◦ وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد
ويدخل قبرا موحشا بلا مونس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة ◦ وقيل لحسان بن ابي سنان ما حالك فقال ما حال من يموت ثم
يبعث ثم يحاسب ◦ وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمسمائة درهم دينا وهو معيل فدخل ابن سيرين
منزله فاخرج له الف درهم فدفعها اليه وقال خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عد بها على عيالك ولم يكن عنده غيرها
ثم قال والله لا اسال احدا عن حاله ابدا وانما فعل ذلك لانه خشي ان يكون سواله من غير اهتمام بامره فيكون بذلك مرائيا منافقا
فقد كان سوالهم عن امور الدين واحوال القلب في معاملة الله سبحانه فان سالوا عن امور الدنيا فعن اهتمام وعزم
على القيام بما يظهر لهم من الحاجة ◦ وقال بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم احدهم على صاحبه بجميع ما
يملكه لم يمنعه واري الان اقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم لحبة من مال صاحبه
لمنعه فهل هذا الا مجرد الريا والنفاق واية ذلك انك ترى هذا يقول كيف انت ويقول الاخر كيف انت فالسائل لا
ينتظر الجواب والمسئول يشتغل بالسوال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بان ذلك عن ريا وتكلف ولعل القلوب لا تخلو
عن ضغاين واحقاد والالسنة تنطق بالسوال قال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليك اذا سلمت والله القلوب
فاما الان فكيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك الله فان اخذنا بقولهم كانت بدعة لا ولا كرامة فان شاوا
غضبوا علينا وان شاوا لا وانما قال ذلك لان البداية بقولك كيف اصبحت بدعة ◦ وقال رجل لابي بكر بن عياش كيف
اصبحت فما اجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقالوا انما حدث هذا في زمن الطاعون الذي كان يدعى طاعون
عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقى اخاه غدوة فيقول كيف اصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول
كيف

كيف امسيت والمقصود ان الالتقا في غالب العادات ليس يخلو عن انواع من التصنع والريا والنفاق وكل ذلك مذموم
بعضه محظور وبعضه مكروه وفي العزلة الخلاص من ذلك فان من لقي الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه و
اغتابوه وتشمروا لايذايه فيذهب دينهم منه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم واما مسارقة الطبع لما يشاهده
من اخلاق الناس واعمالهم فهو دا دفين قل ما يتنبه له العقلا فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع
كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته لادرك بينهما تفرقة في النفرة عن الفساد واستثقاله اذ
يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه له وانما الوازع عنه شدة وقعه في
القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان يحل القوة الوازعة ويذعن الطبع الى الميل اليه او لما دونه
ومهما طالت مشاهدته للكباير من غيره استحقر الصغاير من نفسه ولذلك يزدري الناظر الى الاغنيا نعمة الله عليه
ويوثر مجالستهم في ان يستصغر ما عنده ويوثر مجالسته الفقرا في استعظام ما اتيح له من النعم وكذلك النظر
الى المطيعين والعصاة هذا تاثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين في العبادة والتنزه
عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار وما دام يرى نفسه مقصرا فلا
يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتدا ومن نظر الى الاحوال الغالبة على اهل الزمان دفها
واعراضهم عن الله سبحانه واقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصي استعظم امر نفسه باذني رغبة في الخير يصا
من قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في تغير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة تعرف
سر قوله عليه السلام عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وانما الرحمة دخول الجنة ولقا الله وليس ينزل عند الذكر
عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتدا بهم والاستنكاف عما هو ملابس
له من القصور والتقصير ومبدا الرحمة فعل الخير ومبدا فعل الخير الرغبة ومبدا الرغبة ذكر احوال الصالحين فهذا
معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من نطقه وهو ان عند ذكر الفاسقين تنزل
اللعنة لان كثرة ذكرهم يهون على الطبع امر المعاصي واللعنة هي البعد ومبدا البعد من الله هي المعاصي والاعراض عن
الله بالاقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع ومبدا المعاصي والاعراض عن الله
تكرير الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة على الوجه المشروع ومبدا المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب
ومبدا سقوطه ذلك وقوع الانس بها بكثرة السماع واذا كان هذا اثر ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم
بل قد صرح عليه السلام حيث قال مثل الجليس السو كمثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه فكما ان الريح يعلق
بالثوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك
ان لم يهب لك منه تجد ريحه ولهذا اقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين احداهما انها غيبة والثانية
وهي اعظمهما ان حكايتها تهون على المستمعين امر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامهم للاقدام عليها فيكون
ذلك سببا لتهوين تلك المعصية فانه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف نستبعد هذا منا
وكلنا مضطرون الى مثله حتى العلما والعباد ولو اعتقد ان مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر
لشق عليه الاقدام فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه
قبحها ويزعم ان الصحابة لم ينزهوا انفسهم عن حب الرياسة وربما استشهد بقتال علي ومعوية ويخمن في نفسه
ان ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد الخطا يهون عليه امر الرياسة ولوازمها من المعاصي والطبع
اللئيم يميل الى اتباع الهفوات والاعراض عن الحسنات بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة
ليتعلل بذلك وهو من دقايق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله المراغمين للشيطان فيها بقوله الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه وضرب عليه السلام لذلك مثلا فقال مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يحمل الا شر ما يسمع كمثل
رجل اتى راعيا فقال له يا راعي اجزرني شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فاخذ باذن كلب
الغنم وكل من ينقل هفوات الايمة فهذا مثاله ومما يدل على سقوط وقع الشي عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان
اكثر الناس اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعادا يكاد يفضي الى اعتقادهم كفره

وهم يشاهدون من يخرج الصلوات عن اوقاتها فلا ينفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تاخير الصوم مع ان صلاة
واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضي ذلك ولا سبب له
الا ان الصلوات تتكرر والتساهل فيها يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير
وخاتما من ذهب او شرب من اناء فضة استبعدته النفوس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم الا
بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه ذلك والغيبة اشد من الزنا فكيف لا يكون اشد من لبس الحرير ولكن كثرة سماع
الغيبة ومشاهدة المغتابين اسقط عن القلوب وقعها وهون على النفوس امرها فتفطن لهذه الدقائق وفر من
الناس فرارك من الاسد فانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الاخرة ويهون عليك
المعصية وتضعف رغبتك في الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك الله صورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه
ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق ان الجليس الصالح خير من الوحدة وان الوحدة خير من الجليس
السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت الى حال من اردت مخالطته لم يخف عليك ان الاولى
التباعد عنه بالعزلة او التقرب اليه بالمخالطة واياك ان تحكم مطلقا على العزلة او المخالطة بان احدهما اولى اذ كل
مفصل فاطلاق القول فيه بلا او نعم خلف من القول محض ولا حق في المفصل الا التفصيل **الفايدة الرابعة**
الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها وقلما تخلو البلاد عن
تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة من ذلك قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر عليه السلام
الفتن ووصفها وقال اذا رايت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه قلت
فما تامرني قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك
امر العامة • وروى ابو سعيد الخدري انه عليه السلام قال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف
الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن • وروى عبد الله بن مسعود انه عليه السلام قال سياتي على الناس
زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر كالثعلب
الذي يروغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة
قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزوج قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان
لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن له فعلى يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه
بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة وهذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة
منه اذ لا يستغني المتاهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة الا بمعصية الله ولست اقول هذا اوان ذلك
الزمان فلقد كان هذا باعصار قبل هذا العصر ولاجله قال سفيان الثوري والله لقد حلت العزلة • وقال ابن مسعود ذكر
عليه السلام الفتنة وايام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يامن الرجل جليسه قلت فيم تامرني ان ادركت ذلك
الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت ارايت يا رسول الله ان دخل علي داري قال فادخل بيتك قلت
فان دخل علي بيتي قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربي الله حتى تموت • وقال سعد لما دعي
الى الخروج ايام معاوية فقال لا الا ان تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فاقتله وبالمؤمن
فاكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبينما هم كذلك يسيرون اذ هاجت ريح عجاجة فضلوا
الطريق والتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فاخذوا فيها فتاهوا وضلوا • وقال بعضهم
الشمال فاخذوا فيها فتاهوا وضلوا واناخ اخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبينت الطريق فسعد وجماعة
معه فارقوا الفتن ولم يخالطوا الا بعد زوالها • وعن ابن عمر انه لما بلغه ان الحسين توجه الى العراق لحقه
على مسيرة ثلاثة ايام فقال له اين تريد فقال العراق واذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا
تنظر الى كتبهم ولا اتيانهم فابى فقال اني محدثك حديثا ان جبرئيل اتى النبي عليهما السلام فخيره بين الدنيا والاخرة
فاختار الاخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله والله لا يليها احد منكم ابدا وما صرفها عنكم الا الذي
هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر فبكى وقال استودعك الله من قتيل وكان في الصحابة عشرة الاف

ما تخلف في الفتنة اكثر من اربعين رجلا • وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الائمة
ولما بنى عروة قصره بالعقيق لزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله فقال رايت مساجدكم لاهية واسواقكم
لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هنالك عما انتم فيه عافية فاذا الحذر من الخصومات ومثارات الفتن
احدى فوايد العزلة **الفايدة الرابعة** الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن
والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة او الكذب فربما يرون منك من
الاقوال او الاعمال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت يظهر فيه فرصة للشر
فاذا اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض الحكماء لغيره اعلمك شعرين خيرا من عشرة الاف
درهم فقال وما هما فقال اخفض الصوت ان نطقت بليل والتفت بالنهار قبل المقال
ليس للقول رجعة حين يبدو بقبيح يكون او بجمال • ولا شك ان من اختلط بالناس وشاركهم في اعمالهم لم
ينفك عن حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم انه يستعد لمعاداته ونصب المكيدة عليه وتدسيس غايلة وراءه
فان الناس مهما اشتد حرصهم على امر يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا
فلا يظنون بغيرهم الا الحرص عليها والميل اليها • وقال المتنبي اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده
من توهم وعادى محبيه بقول عداته واصبح في شك من الليل مظلم • وقد قيل معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار
وانواع الشر التي يلقاها الانسان من معارفه وممن يختلط به كثيرة لسنا نطول بتفصيلها وفيما ذكرناه اشارة
الى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها فالى هذا اشار الاكثر من اختار العزلة وقال ابو الدرداء اخبر تقله • وقال
الشاعر • من حمد الناس ولم يبلهم ثم بلاهم ذم من يحمد • وصار بالوحدة مستانسا يوحشه الاقرب والابعد
وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرين السوء • وقيل لعبد الله بن الزبير الا تاتي المدينة فقال ما بقي فيها
الا حاسد نعمة او فرح بنقمة • وقال ابن السماك كتب صاحب لنا اما بعد فان الناس كانوا دواء يتداوى بهم
فصاروا داء لا دواء لهم ففر منهم فرارك من الاسد • وكان بعض الاعراب يلازم شجرة ويقول هو نديم فيه
ثلاث خصال ان يسمع مني لم ينم علي وان تفلت في وجهه احتمل وان عربدت عليه لم يغضب فسمع كلامه
الرشيد فقال زهدني في الندماء • وكان بعضهم قد لزم الدفاتر والمقابر فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم
من الوحدة ولا اوعظ من قبر ولا جليس امتع من دفتر • وقال الحسن اردت الحج فسمع بذلك ثابت البناني وكان
ايضا من اولياء الله فقال بلغني انك تريد الحج فاحببت ان اصطحبك فقال له الحسن ويحك دعنا نتعاشر بستر
الله اني اخاف ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه وهذه اشارة الى فايدة اخرى في العزلة وهي
بقاء الستر على الدين والمروة والاخلاق والفقر وساير العورات وقد مدح الله تعالى المتسترين فقال يحسبهم
الجاهل اغنياء من التعفف **وقال الشاعر** ولا عار ان زالت عن الحر نعمة ولكن عارا ان يزول التجمل •
ولا يخلو الانسان في دينه ودنياه واخلاقه وافعاله عن عورات الاولى في الدين والدنيا سترها ولا تبقى
السلامة مع انكشافها • وقال ابو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق
فيه واذا كان هذا حكم زمانه وهو في اواخر القرن الاول فلا ينبغي ان الاخير شر • وقال سفيان
بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد مماته اقلل من معرفة الناس فان التخلص
منهم شديد ولا احسب رايت ما اكره الا ممن عرفت • وقال بعضهم جئت الى مالك بن دينار وهو قاعد
وحده واذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت اطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يؤذي وهو
خير من الجليس السوء • وقيل لبعضهم ما حملك على ان تعتزل الناس قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر
وهذه اشارة الى مسارقة الطبع من اخلاق القرين السوء • وقال ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس
فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه • وقال بعضهم
اقلل المعارف فانه اسلم لدينك وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانك كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق
وعسر القيام بالجميع • وقال بعضهم انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف **الفايدة الخامسة** ان

مرنوعم

ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فاما انقطاع طمع الناس ففيه كل الجدوى فان رضا الناس غاية لا
تدرك فاشتغال المرء بصلاح نفسه اولى ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور الولائم و
الاملاكات وفيها تضييع الاوقات والتعرض للافات ثم قد يعوق عن بعضها عوائق ويستقبل فيها معاذير ولا يمكن اظهار
كل الاعذار فيقال له قمت بحق فلان وضيعت حقنا وقصرت فيه فيصير ذلك سبب عداوة وقد قيل من لم يعد مريضا
في وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله اذا صح على تقصيره ومن عم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو
خص استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد لطول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين او دنيا
قال عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء ، وقال ابن الرومي عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب ، وقال الشافعي اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام واما
انقطاع طمعك عنهم فهو ايضا فائدة جزيلة فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص
طمعه ولا يرى الا الخيبة في اكثر الاحوال فيتاذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع
ولذلك قال سبحانه ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ، وقال عليه السلام انظروا الى من هو دونكم
ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم ، وقال عون بن عبد الله كنت اجالس الاغنياء
فلم ازل مغموما كنت ارى ثوبا احسن من ثوبي ودابة افره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت ، وحكي ان المزني رحمه الله
خرج من باب جامع الفسطاط وقد اقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما راى من حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال بلى اصبر وارضى وكان فقيرا مقلا فالذي هو في بيت لا يبتلى بمثل هذه الفتن
فان من شاهد زينة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه فيصبر فيحتاج الى ان يتجرع مرارة الصبر وهي امر من الصبر او
تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا اما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في اكثر الاوقات فليس كل
من يطلب الدنيا تتيسر له واما في الاخرة فبايثاره متاع الدنيا على ذكر الله والتقرب اليه ولذلك قال ابن الاعرابي
اذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت الى العلا من جانب الفقر ، اشار الى ان الطمع يوجب في الحال ذلا ن
الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة خلقهم واخلاقهم فان رؤية
الثقيل هي العمى الاصغر ، قيل للاعمش مم عمشت عيناك قال من النظر الى الثقلاء ، ويحكى انه دخل عليه ابو
حنيفة فقال له في الخبر من سلب الله كريمتيه عوضه الله عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك فقال في معرض
المطايبة عوضني عنهما انه كفاني رؤية الثقلاء وانت منهم ، وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل
مرة فغشي علي ، وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء ، وقال الشافعي ما جالست ثقيلا الا وجدت
الجانب الذي يليه من بدني كانه اثقل علي من الجانب الاخر وهذه الفوائد ما سوى الاوليين متعلقة بالمقاصد الدنيوية
الحاضرة ولكنها تتعلق ايضا بالدين فان الانسان مهما تاذى برؤية ثقيل لم يلبث ان يغتابه وان يستنكر ما هو صنع
الله فاذا تاذى من غيره بغيبة او سوء ظن او محاسدة او نميمة او غير ذلك لم يصبر عن مكافاته وكل ذلك يجر الى فساد
الدين وفي العزلة سلامة من جميع ذلك فليفهم **آفات العزلة** اعلم ان من المقاصد الدينية والدنيوية
ما يستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من
آفات العزلة فانظر الى فوائد المخالطة والدواعي اليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتاديب
والتادب والاستيناس والايناس ونيل الثواب وانالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب
من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فانها من فوائد المخالطة وهي سبع **الفائدة الاولى** التعليم
والتعلم وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما اعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الا ان
العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج الى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وان
تعلم الفرض وكان لا يتاتى منه الخوض في العلوم وراى الاشتغال بالعبادة فليعتزل وان كان يقدر على التبرز في
علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل
قبل التعلم فهو في الاكثر مضيع اوقاته بنوم او فكر في هوس وغايته ان يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها

ولا يشك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري ولا يشك في اعتقاده
في الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويانس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة للشيطان
وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو اصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال اعني من لا يحسن العبادة في الخلوة
ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فمثال النفس مثال المريض يفتقر الى طبيب متلطف ليعالجه فالمريض الجاهل اذا خلا
بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه فلا تليق العزلة الا بالعالم واما التعليم
ع ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المتعلم والمعلم ومهما كان القصد اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع
فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه
فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب الا لكلام مزخرف يستميل به العوام في معرض الوعظ او
جدل معقد يتوصل به الى افحام الاقران ويتقرب به الى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة
واقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوصل الى التقدم على الامثال وتولي الولايات واجتلاب
الاموال وهؤلاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب لله ومتقرب بالعلم الى الله فاكبر
الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف في بلد كبير اكثر من واحد او اثنين ان صودف ولا ينبغي
ان يغتر الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون
الى الله وانظر الى اواخر اعمار الاكثرين منهم واعتبرهم انهم ماتوا وكلهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبون
عليها او راغبون عنها وزاهدون فيها وليس الخبر كالمعاينة واعلم ان العلم الذي اشار اليه سفيان هو علم
الحديث وتفسير القران ومعرفة سير الانبياء والصحابة والصالحين فان فيها التخويف والتحذير وهو سبب لاثارة
١ الخوف من الله فان لم يؤثر في الحال اثر في المال فاما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل
الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا الى الله بل لا يزال متماديا في حرصه الى اخر عمره ولعل
ما اودعناه هذه الكتب ان تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز ان يرخص فيه اذ يرجى ان ينزجر به في اخر عمره
فانه مشحون بالتخويف بالله وبالترغيب في الاخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الاحاديث وتفسير القران
ولا يصادف في كلام ولا خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي ان يخادع الانسان فيه نفسه فان المقصر العالم بتقصيره
اسعد حالا من الجاهل المغرور او المتجاهل المغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون غرضه القبول
والجاه وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فافة العلم الخيلاء كما قال عليه
السلام ولذلك حكي عن بشر انه دفن سبع عشرة قمطرة من كتب الاحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول اني
اشتهي ان احدث ولذلك لا احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت وان قال حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا قال
الرجل حدثنا فانما يقول اوسعوا لي ، وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري نعم الرجل انت لولا رغبتك في الدنيا
قال وفيماذا رغبت قالت في الحديث ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج او كتب الحديث او اشتغل بالسفر
فقد ركن الى الدنيا وهذه افات قد نبهنا عليها في كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الاصحاب
ما امكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له ان كان عاقلا في هذا الزمان ان يترك ذلك فلقد
صدق ابو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال
اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا
خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه
والمال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك
ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك
لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا
ظه خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ، ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه وان خالف بعض الالفاظ
وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم كانه يهدي تحفة

اليهم فيرى حقه واجبا عليهم وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل له برزق على الادرار ثم ان المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله الى ان يسلم اليه ما يورثه نعمة مستانفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على اصحابه ان سوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور عن دركه مصادفات الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاساود والاساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطالبة ما ياخذه وتفرقه في العقبى والعجب انه مع هذا البلاء كله يمني نفسه بالاباطيل ويدليه بحبل الغرور ويقول له لا تفترن عن صنيعك فانما انت بما تفعله مريد وجه الله ومذيع شرع رسول الله وناشر علم دين الله وقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح واي مصلحة اكبر من تكثير اهل العلم فبهم يظهر الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادنى تامل ان فساد الزمان لا سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين ياكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فيلحظهم اعين الجهال ويستجرئون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لاثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية الا بفساد الملوك وما فسد الملوك الا بفساد العلماء فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الذي ليس له دواء

الفائدة الثانية

النفع والانتفاع اما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتاتى الا بالمخالطة والمحتاج اليه مضطر الى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة ان طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب وان كان معه مال لو اكتفى به قانعا لاقنعه فالعزلة افضل له اذا انسدت طرق المكاسب في الاكثر الا من المعاصي الا ان يكون غرضه الصدقة بكسبه فاما اذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو افضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بافضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة الله سبحانه ومعرفة علوم الشرع ولا الاقبال بكنه الهمة على الله والتجرد بها لذكر الله اعني من حصل له انس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن اوهام وخيالات فاسدة ◦ واما النفع فهو ان ينفع الناس اما بماله او ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهي افضل له من العزلة ان كان لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة

الفائدة الثالثة

التاديب والتادب ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وذلك افضل من العزلة في حق من لم تتهذب بعد اخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم واهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهممهم الى الله وكان هذا هو المبدا في الاعصار الخالية والان قد خالطته الاغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مالت سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثر بالاستتباع والتذرع الى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ولو الى القبر وان كانت النية رياضة النفس فذلك خير من العزلة في حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج اليه في بداية الارادة فبعد حصول الارتياض ينبغي ان يفهم ان الدابة لا تطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها ان تتخذ مركبا يقطع بها المراحل ويطوى على ظهرها الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الاخرة وفيها شهوات ان لم يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول عمره بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها الا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة والدابة انما تراد لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من الم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغي ان يقنع بذلك كالراهب الذي قيل له يا راهب فقال ما انا براهب انما انا كلب عقور حبست نفسي حتى لا اعقر الناس وهذا حسن بالاضافة الى من يعقر ولكن لا ينبغي ان يقتصر عليه فان من قتل ايضا نفسه لم يعقر الناس بل ينبغي ان يتشوق الى الغاية

المقصودة

المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى الى الطريق وقدر على السلوك استبان له ان العزلة اعون على ذلك من المخالطة فالافضل لمثل هذا الشخص المخالطة اولا والعزلة اخرا ◦ واما التاديب فانما نعني به ان يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه حكمه ويتطرق اليه من دقائق الافات والرياء ما يتطرق الى نشر العلم الا ان مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض ابعد منها من طلبة العلم ولذلك ترى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة فينبغي ان يقيس ما يتيسر له مع الخلوة بما يتيسر له مع المخالطة وتهذيب القوم ويقابل احدهما بالاخر وليوثر الافضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا اثبات

الفائدة الرابعة

الاستئناس والايناس وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والانس وهذا يرجع الى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته او على وجه مباح وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك فيمن يستانس بمشاهدة احواله واقواله في الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة انس يروح القلب فهو اولى اذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولهذا قال عليه السلام ان الله لا يمل حتى تملوا وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تالف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها الملازمة تنفير وهو الذي تغلبه فان هذا الدين متين والايغال فيه برفق داب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم اجالس الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا انيس بها وهل يفسد الناس الا الناس فلا يستغني المعتزل اذا عن رفيق يستانس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد في ساعته تلك عليه سائر ساعاته فقد قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء في امور الدين وحكايات احوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء الى الرشد ففي ذلك متنفس ومستروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول باصلاح نفسه فانه لا ينقطع شكواه ولو عمر اعمارا طويلة والراضي عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستيناس في بعض اوقات النهار ربما يكون افضل من العزلة في حق بعض الاشخاص فليتفقد فيه احوال القلب واحوال الجليس اولا ثم ليجالس

الفائدة الخامسة

في نيل الثواب وانالته اما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين اما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة في سائر الصلوات ايضا لا رخصة الا في تركه الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق الا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث انه ادخال سرور على قلب مسلم واما انالته فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او يعزوه في المصائب او يهنوه على النعم فانهم ينالون بذلك ثوابا وكذلك اذا كان من العلماء واذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغي ان يزن ثواب هذه المخالطات بافاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز بل كانوا احلاس بيوتهم ولا يخرجون الا الى الجمعة وزيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل

الفائدة السادسة

من المخالطة التواضع فانه من افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله منزلة فاوحى الله الى نبيه قل لفلان انك قد ملات الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض وقال الان قد بلغت محبة ربي فاوحى الله الى نبيه قل له انك لم تبلغ رضاي قال فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم واكل الطعام بينهم ومشى في الاسواق معهم فاوحى الله اليه الان قد بلغت رضاي فكم من معتزل في بيته وباعثه التكبر ومانعه من المحافل ان لا يوقر ولا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من ان تظهر مقابحه لو خالطهم فلا يعتقد فيه الزهد

والاشتغال بالعبادة فيحذر من البيت سترا على مقابحه ابقا على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق
وقت في الخلوة بذكر او فكر وعلامة هولاء انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتقرب العوام
والسلاطين اليهم واجتماعهم على ابوابهم وطرقهم وتقبيلهم ايديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه
هو الذي بغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض عليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جيتني
الا لتتزين لي واتزين لك ● وعن حاتم الاصم اذ قال للامير الذي زاره حاجتي ان لا اراك ولا تراني فمن ليس
مشغولا في بيته بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس لان قلبه متجرد الى الالتفات الى نظرهم
اليه بعين الوقار والاحترام والعزلة لهذا السبب جهل من وجوه **احدها** ان التواضع والمخالطة لا تنقص من
منصب من هو كبير بعلمه او دينه اذ كان علي رضي الله عنه يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول لا ينقص الكامل
من كماله ما جر من نفع الى عياله ● وكان ابو هريرة وحذيفة وابي وابن مسعود يحملون حزم الحطب وجراب الدقيق
وغيره على ظهورهم وكان ابو هريرة يقول وهو وال والحطب على راسه طرقوا لاميركم وكان سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم يشتري الشي فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطني احمله فيقول صاحب المتاع
احق بحمله وكان الحسين بن علي يمر بالسوال وبين ايديهم كسر فيقولون هلم الى الغدا يا ابن رسول الله فكان
ينزل ويجلس على الطريق وياكل معهم ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المستكبرين **الوجه الثاني** ان الذي
شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقاد الناس فيه مغرور لانه لو عرف حق المعرفة علم ان الخلق
لا يغنون عنه من الله شيا وان ضرره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضى الناس ومحبتهم
بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تدرك فرضى الله اولى بالطلب ولذلك
قال الشافعي رحمه الله ليونس بن عبد الاعلى والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل
فانظر ما يصلحك فافعله ولذلك قيل ● من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور ● ونظر سهل
الى رجل من اصحابه فقال له اعمل كذا وكذا لشي امره به فقال يا استاذ لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت الى اصحابه
وقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد تسقط الناس عن عينه فلا يرى في الدنيا الا
خالقه وان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه ● وقال
الشافعي ليس من احد الا له محب ومبغض فاذا كان هكذا فكن مع اهل طاعة الله ● وقيل للحسن يا ابا سعيد ان
قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك في السوال فتبسم وقال للقايل هون
على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان
خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم ● وقال موسى عليه السلام يا رب احبس عني السنة الناس
فقال هذا شي لم اصطفيه لنفسي فكيف افعله بك ● واوحى الله سبحانه الى عزير ان لم تطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه
الماضغين لم اكتبك عندي من المتواضعين فاذا من حبس نفسه في بيت ليحسن اعتقاد الناس فيه واقوالهم فيه فهو في عنا
حاضر في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون فاذا لا تستحب العزلة الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا
وعبادة وعلما بحيث لو خالط الناس لضاعت اوقاته وكثرت افاته وتشوشت عليه عباداته فهذه غوايل خفية
في اختيار العزلة ينبغي ان يتقى فانها مهلكات في صورة منجيات **الفايدة السابعة** التجارب فانه يستفاد
من مخالطة الخلق ومجاري احوالهم والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهم مصالح الدين والدنيا وانما تفيدها التجربة
والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي ان يشتغل بالتعلم ويحصل
له في مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الاحوال فلا يحتاج الى
المخالطة ومن اهم التجارب ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلا
يسر وكل غضوب او حقود او حسود اذا خلي ونفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في انفسها يجب اماتتها
او قهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلي بالقيح والمدة
وقد لا يحس صاحبه بالمه ما لم يتحرك او يمسه غيره فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصر صورته ولم يكن معه من

يحركه او يمسه غيره فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه او يمسه ربما ظن بنفسه السلامة
ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام لانفجر منه القيح وفار فوران الشي
المختنق المحتقن اذا احتبس عن الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وساير الاخلاق الذميمة
انما تنفجر منه خبايثه اذا حرك وعن هذا كان السالكون طريق الاخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون انفسهم فمن كان يستشعر
من نفسه كبرا كان يحمل قربة من ما او نحوها بين الناس على ظهره او حزمة حطب على راسه ويتردد في الاسواق ليجرب نفسه بذلك
فان غوايل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ولذلك حكي عن بعضهم انه قال اعدت صلاة ثلاثين سنة مع اني
كنت اصليها في الصف الاول ولكن تخلفت يوما لعذر فما وجدت في الصف الاول موضعا فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر
الناس الي وقد سبقت الصف الاول فعلمت ان جميع الصلوات التي كنت صليتها كانت مشوبة بالريا ممزوجة بلذة نظر الناس
الي ورويتهم اياي في زمرة السابقين الى الخير فالمخالطة لها فايدة ظاهرة في استخراج الخبايث واظهارها ولذلك قيل
السفر يسفر عن الاخلاق فانه نوع من المخالطة الدايمة وستاتي غوايل هذه المعاني ودقايقها في ربع المهلكات فان
بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك لم يفضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون
العلم بالصلاة ولا يراد الا للصلاة افضل من الصلاة فانا نعلم ان ما يراد لغيره فذلك الغير اشرف منه وقد قضى الشرع
بتفضيل العالم على العابد حتى قال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فمعنى تفضيل العلم
يرجع الى ثلاثة اوجه احدها ما ذكرناه والثاني عموم نفعه اذ يتعدى فايدته والعمل لا يتعدى فايدته والوجه الثالث
ان يراد بها العلم بالله وصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل مقصود الاعمال صرف القلوب عن الخلق الى الخالق
لتنبعث بعد الانصراف اليه لمعرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل مرادان لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط
له واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب هو هذا العلم
والعمل كالحمال الرافع له الى مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام فلنرجع
الى المقصود فنقول اذا عرفت فوايد العزلة وغوايلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطا
بل ينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفايت بسبب مخالطته من هذه
الفوايد المذكورة ويقاس الفايت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعي هو فصل الخطاب
اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرنا السو فكن بين المنقبض والمنبسط
وكذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوايد والافات يتبين الافضل
هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز
ان يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو ان الصوفي
لا يتكلم الا عن حاله فلا جرم تختلف اجوبتهم في المسايل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر
الى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فان الحق واحد ابدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصر ولذلك
سيل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا واجاب بجواب سوى جواب الاخر وكل ذلك حق بالاضافة الى حاله وليس
بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ● ولذلك قال ابو عبد الله الجلا وقد سيل عن الفقر فقال اضرب بكمك
الحايط وقل ربي الله فهو الفقر ● وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسال ولا يدخر ● وقال اخر هو ان لا يكون
لك فاذا كان لك لا يكون لك ومن حيث لم يكن لك لم يكن لك ● وقال ابرهيم الخواص هو ترك الشكوى واظهار
اثر البلوى والمقصود انه لو سيل منهم مايه لسمع منهم مايه جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان وذلك كله حق
من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت احدهما لصاحبه قدما في
التصوف او يثني عليه بل كل واحد منهم يدعي انه الواصل الى الحق لان اكثر ترددهم على مقتضى الاحوال التي تعرض
لقلوبهم فلا يشتغلون الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطا
ورفع الاختلافات ومثل نظرهم ولا ما رايت من نظر قوم في ادلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف
قدمان وحكى عن اخر انه نصف قدم واخر يرد عليه وانه في الشتا سبعة اقدام وحكى عن اخر انه خمسة

اقدام واخبر دعليه فهذا اشبه اجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هولا اخبر عن الظل الذي راه ببلد نفسه فصدق في قوله واخطا في تخطية صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده او هو مثل بلده كما ان الصوفي لا يحكم على العالم الا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر باحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها ظل وفي بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها يقصر فهذا ما اردنا ان نذكره من فضل العزلة والمخالطة **فان قلت** فمن اثر العزلة وراها افضل له واسلم فما ادابه في العزلة فنقول انما يطول النظر في اداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب اداب الصحبة واما اداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شره عن الناس اولا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من افة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا فهذه اداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيتشوش وقته وليكف عن السوال عن اخبارهم وعن الاصغاء الى اراجيف البلد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلاة او الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض فلا بد ان ينبت وتتفرع عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى بعض واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله والاخبار ينابيع الوسواس واصولها وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه من اذى الجيران وليسد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او قدح فيه بترك الخلطة فان كل ذلك يوثر في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد ان يكون واقفا عن سيره في طريق الاخرة فان السير اما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب واما بالفكر في جلال الله وصفاته وافعاله وملكوت سماواته وارضه واما بالتامل في دقائق الاعمال ومفسدات القلوب وطلب طرق التخلص منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والاصغاء الى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له اهل صالحة او جليس صالح لتستريح نفسه اليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر على العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الاجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يانس به لا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وان من انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا بفضل الله عليه ورحمته كما قال سبحانه في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما ادركه الموت فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح بذلك عليه السلام والجهاد الاكبر جهاد النفس كما قال الصحابة رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر م

كتاب اداب السفر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي فتح بصائر اوليائه بالحكم والعبر واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب صنعه في الحضر والسفر فاصبحوا راضين بمجاري القدر منزهين قلوبهم عن التلفت الى منتزهات البصر الا على سبيل الاعتبار بما يسنح في مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر والصلاة على محمد سيد البشر وعلى اله واصحابه المقتفين لاثاره في الاخلاق والسير وسلم كثيرا **اما بعد** فان السفر وسيلة الى الخلاص من مهروب عنه او الوصول الى مرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن الى الصحارى والفلوات وسفر بسير القلب عن

اسفل السافلين الى ملكوت السماوات واشرف السفرين السفر الباطن فان الواقف على الحالة التي نشا عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه من الاباء والاجداد لازم درجة القصور وقانع برتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء جنة عرضها السماوات والارض ظلمة السجن وضيق الحبس ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام الا ان هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه فانقطعت فيه الرفاق وخلت عن الطائفين متنزهات الانفس في الملكوت والافاق واليه دعا سبحانه بقوله سنريهم اياتنا في الافاق وبقوله وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وبقوله وكاين من اية في السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السماوات والارض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة الا اذا بدت للمسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون انفسهم ومن لم يوهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في منتزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة الدنيا او ذخيرة للاخرة فان كان مطلبه العلم والدين او الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الاخرة وكان له في سفره شروط واداب ان اهملها كان من عمال الدنيا واتباع الشيطان وان واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الاخرة ونحن نذكر ادابه وشروطه في بابين

الباب الاول في الاداب من اول النهوض الى اخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان

الفصل الاول في فوائد السفر وفضله ونيته اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله افات كما ذكرناه في كتاب اداب الصحبة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب او طلب فان المسافر اما ان يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه واما ان يكون له مقصد ومطلب والمهروب عنه اما امر له نكاية في الامور الدنيوية كالطاعون والوبا اذا ظهر ببلد او خوف سببه فتنة او خصومة او غلا سعر وهو اما عام كما ذكرناه او خاص كمن يقصد باذية في بلدة فيهرب منها واما امر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال واتساع اسباب تصده عن التجرد لله فيوثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه او كمن يدعى الى بدعة قهرا او الى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه واما المطلوب فهو اما دنيوي كالمال والجاه او ديني والديني اما علم واما عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما علم باخلاق نفسه وصفاته على سبيل التجربة واما علم بايات الارض وعجائبها كسفر ذي القرنين وتطوافه في نواحي الارض والعمل اما عبادة واما زيارة والعبادة هي الحج والعمرة والجهاد والزيارة ايضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فان الرباط بها قربة وقد يقصد بها الاولياء والعلماء وهم اما موتى فتزار قبورهم واما احياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى احوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي اقسام الاسفار ويخرج من هذه القسمة اقسام

القسم الاول السفر في طلب العلم وهو اما واجب واما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا او نفلا وذلك العلم اما علم بامور دينية او علم باخلاقه في نفسه او علم بايات الله في ارضه وقد قال عليه السلام من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع وفي خبر اخر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الى اقصى اليمن في كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى ما كان سفره ضايعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغهم عن عبد الله بن انس الانصاري يحدث به عن رسول الله حتى سمعوه وقل مذكور في العلم محصل من زمان الصحابة

الى زماننا الا وحصل العلم بالسفر وسافر لاجله · واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق الاخرة لا يمكن سلوكها الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على اسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وانما السفر هو الذى يسفر عن الاخلاق ولذلك قال عمر للذى زكى عنده رجلا هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك تعرفه وكان بشر يقول يا معشر القرا سيحوا تطيبوا فان الما اذا ساح طاب واذا طال مقامه فى موضع تغير فبالجملة فالنفس فى الوطن مع مواتاة الاسباب لا تظهر خبائث اخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المالوفات المعهودة فاذا حملت وعثا السفر وصرفت عن مالوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا فى كتاب العزلة فوايد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق · واما ايات الله فى ارضه ففى مشاهدتها فوايد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبحار والبرارى وانواع الحيوان والنبات وما من شى منها الا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع وهو شهيد واما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون ولا يسمعون لانهم عن السمع معزولون وعن ايات ربهم محجوبون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وما اريد بالسمع السمع الظاهر فان الذين اريدوا به ما كانوا معزولين عنه وانما اريد به السمع الباطن فان السمع الظاهر لا يدرك به الا الاصوات ويشارك فيه الانسان سائر الحيوانات فاما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال وهو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القايل حكاية لكلام الوتد والحايط قال الجدار للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فلم يتركنى فان الحجر الذى وراى لم يتركنى ورأى وراء الحجر الذى وراى وما من ذرة فى السموات والارض الا ولها انواع شهادات لله بالوحدانية هى توحيدها وانواع شهادات لصانعها بالتقدس هى تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لانهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر الى فضا سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال الى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا المسير لما كان سليمان مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى مختصا بسماع كلام الله تعالى الذى يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والاصوات ومن سافر ليستقرى هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر فى موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من احاد الذرات فما له وللتردد فى الفلوات وله غنية فى ملكوت السموات والشمس والقمر والنجوم المسخرات وهى الى ابصار ذوى البصاير مسافرات فى الشهر والسنة مرات كل هى دائبة فى الحركة على توالى الاوقات · فمن الغرايب ان يداب فى الطواف باحاد المساجد من امرت الكعبة ان تطوف به ومن الغرايب ان يطوف فى اكناف الارض من يطوف به اقطار السما ثم ما دام المسافر مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد فى المنزل الاول من منازل السايرين الى الله والمسافرين الى حضرته وكانه معتكف على باب الوطن لم يفض به المسير الى متسع الفضا ولا سبب لطول المقام فى هذا المنزل الا الجبن او القصور ولذلك قال بعض ارباب القلوب ان الناس ليقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا وانا اقول غمضوا اعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق الا ان القايل الاول مخبر عن المنزل الاول القريب من الوطن والثانى مخبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التى لا يطاها الا مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين وربما ياخذ التوفيق بيده فيرشده الى سوا السبيل والهالكون فى التيه هم الاكثرون من ركاب هذا الطريق ولكن الناجون السالمون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب قل المساعد ثم الذى يهلك اكثر من الذى يملك فلا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الاجسام وما اودع الله العز والملك فى الدنيا والدين الا فى متن الخطر وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم · فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر الباطن لمطالعة ايات الارض فلنرجع الى الغرض الذى كنا بصدده ·
والنوع القسم الثانى وهو ان يسافر لاجل العبادة

اما لجهاد او حج فقد ذكرنا فضل ذلك وادابه واعماله الظاهرة والباطنة فى كتاب اسرار الحج ويدخل فى جملته زيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلما والاوليا وكل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان ذلك فى المساجد لانها متماثلة بعد هذه المساجد والا فلا فرق بين زيارة قبور الانبياء والاوليا والعلما فى اصل الفضل وان كان يتفاوت فى الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله وبالجملة زيارة الاحيا اولى من زيارة الاموات والفايدة من زيارة الاحيا طلب بركة الدعاء وبركة النظر فان النظر الى وجوه العلما والصالحين عبادة وفيه ايضا حركة الرغبة فى الاقتدا بهم والتخلق باخلاقهم وادابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوايد العلمية المستفادة من انفاسهم وافعالهم كيف ومجرد زيارة الاخوان فى الله فيه فضل كما ذكرناه فى كتاب الصحبة · وفى التوراة سر اربعة اميال زر اخا فى الله واما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها فالحديث ظاهر فى انه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع الا الى المساجد الثلاثة وقد ذكرنا فضايل الحرمين فى كتاب الحج وبيت المقدس ايضا له فضل كبير · خرج ابن عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد الى المدينة · وقد سال سليمان ربه ان من قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلاة فيه الا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته امه فاعطاه الله ذلك

القسم الثالث

ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلايق والاسباب فان ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يتم الا بقلب فارغ من غير الله فان لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب فى الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون والحمد لله الذى لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار والاعباء بل قبل المخف بفضله وشملته سعة رحمته والمخف هو الذى ليست الدنيا اكبر همه وذلك لا يتيسر فى الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علايقه فلا يتم مقصوده الا بالغربة والخمول وقطع العلايق التى لا بد منها حتى يروض نفسه مدة ثم ربما يمده الله بمعونته فينعم عليه بما يقوى به نفسه ويطمئن به قلبه فيستوى عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الاسباب والعلايق وعدمها فلا يصده شى منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وانما يسعد بهذه القوة الانبيا والاوليا والوصول اليها بالكسب شديد وان كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل ايضا ومثال تفاوت القوة الباطنة فى ذلك مثال تفاوت القوة الظاهرة فى الاعضا فرب رجل قوى ذى مرة سوى شديد الاعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه الف رطل مثلا فلو اراد الضعيف المريض ان ينال رتبته بممارسة الحمل والتدرج فيه قليلا قليلا لم يقدر على ذلك ولكن الممارسة والجهد يزيد فى قوته زيادة ما وان كان ذلك لا يبلغه درجته فلا ينبغى ان يترك الجهد عند الياس من الرتبة العليا فان ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف مفارقة الوطن خيفة الفتن · قال سفيان الثورى هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف على المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف فى موضع تحول الى غيره · وقال ابو نعيم رايت سفيان الثورى وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت له الى اين يا ابا عبد الله فقال قد بلغنى عن قرية فيها رخص اريد ان اقيم بها فقلت له وتفعل هذا قال نعم اذا بلغك عن قرية ان فيها رخصا فاقم بها فانه اسلم لدينك واقل لهمك وهذا هرب من غلاء الاسعار · وكان سرى السقطى يقول للصوفية اذا خرج الشتا فقد خرج اذار واورقت الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا · وقد كان الخواص لا يقيم فى بلد اكثر من اربعين يوما وكان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحا فى التوكل وسياتى اسرار الاعتماد على الاسباب فى كتاب التوكل ان شا الله

القسم الرابع

السفر هربا مما يقدح فى البدن كالطاعون او فى المال كالغلا او ما يجرى مجراه فلا حرج فى ذلك بل ربما يجب الفرار فى بعض المواضع وربما يستحب فى بعض بحسب وجوب ما يترتب

عليه من الفوائد واستحبابها ولكن يستثنى منها الطاعون فلا ينبغي له ان يفر منه اذ ورد النهي فيه ٥ قال اسامة بن زيد
قال عليه السلام ان هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقي بعد في الارض فيذهب المرة ويأتي الاخرى فمن سمع
به في ارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجه الفرار منه ٥ وقالت عائشة قال عليه السلام ان فنا امتي بالطعن و
الطاعون فقلت هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير تأخذهم في مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم
عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف ٥ وعن مكحول عن ام ايمن قالت اوصى عليه السلام بعض
اهله لا تشرك بالله شيئا وان عذبت او خوفت اطع والديك وان امراك ان تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه لا تترك الصلاة
عمدا فان من ترك الصلاة عمدا فقد برئت منه ذمة الله اياك والخمر فانها مفتاح كل شر اياك والمعصية فانها تسخط الله لا تفر
من الزحف وان اصاب الناس موتان وانت فيهم فاثبت فيهم انفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم اخفهم في
الله فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون منهي عنه وكذلك القدوم عليه وسيأتي شرح ذلك في كتاب التوكل
فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منها ان السفر ينقسم الى مذموم والى محمود والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام كاباق
العبد وسفر العاق والى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل
مسلم والى مندوب اليه كزيارة العلما ومشاهدتهم ومن هذه الاسباب تتبين النية في السفر فان معنى النية الانبعاث للسبب
الباعث والانتهاض لاجابة الداعية ولكن نية الاخرة في جميع اسفاره وذلك ظاهر في الواجب والمندوب ومحال في
المكروه والمحظور واما المباح فمهما كان قصده بطلب المال مثلا التعفف عن السؤال ورعاية ستر المروة على الاهل والعيال
والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من اعمال الاخرة ولو خرج الى الحج وباعثه الريا والسمعة
خرج عن كونه من اعمال الاخرة لقوله عليه السلام الاعمال بالنيات عام في الواجبات والمندوبات والمباحات دون المحظورات
فان النية لا تؤثر في اخراجها عن كونها محظورة وقد قال بعض السلف ان الله قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الى مقاصدهم
فيعطي كل واحد على قدر نيته فمن كانت نيته الدنيا اعطي منها ونقص من اخرته اضعافها وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة
شغله ومن كانت نيته الاخرة اعطي من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكر والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة
واستغفرت واما النظر في ان السفر هو الافضل او الاقامة فذلك يضاهي النظر في ان الافضل هو العزلة او المخالطة
وقد ذكرنا منهاج ذلك في كتاب العزلة فليفهم هذا منه فان السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت
القلب في حق الاكثرين والافضل في هذا ما هو الاعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله وتحصيل
الانس بذكر الله والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر
هو المعين على التعلم في الابتدا والاقامة هي المعينة على العمل بالعلم في الانتها ٥ واما السياحة في الارض على الدوام من
المشوشات للقلب الا في حق الاقويا فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف
على نفسه وماله وتارة بمفارقة ما الفه واعتاده في اقامته وان لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو من الطمع والاستشراف
الى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام اسباب الطمع فلا ينبغي ان يسافر المريد الا في طلب علم او
مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته وتستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق
الفكر والعمل فالسكون اولى به الا ان اكثر متصوفة هذه الاعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الافكار ودقائق الاعمال
ولم يحصل لهم انس بالله وبذكره في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد الفوا البطالة واستثقلوا العمل
واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسخروا
الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم واديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة الا الريا والسمعة
وانتشار الصيت واقتناص الاموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الاتباع فلم يكن لهم في الخانقاه حكم نافذ ولا تأديب
للمريدين نافع ولا حجر عليهم قاهر فلبسوا المرقعات واتخذوا من الخانقاه متنزهات وربما تلقفوا الفاظا مزخرفة
من الطامات فينظرون الى انفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي ادب ظاهر من
سيرتهم فيظنون بانفسهم خيرا ويحسبون ان كل سودا تمرة ويتوهمون ان المشاركة في الظواهر توجب المساهمة في
الحقائق وهيهات فما اغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضا الله فان الله يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم

على السياحة الا الشباب والفراغ الا من يسافر للحج او عمرة من غير ريا ولا سمعة او يسافر لمشاهدة شيخ يقتدى
به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الان والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت الا التصوف فانه قد انمحق بالكلية
وبطل لان العلوم لم تندرس بعد والعالم وان كان عالم سوء فانما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه
والعمل غير العلم واما التصوف فانه عبارة عن تجرد القلب لله سبحانه واستحقار ما سوى الله وحاصله يرجع الى عمل القلب
والجوارح ومهما فسد العمل فات الاصل وفي اسفار هؤلاء نظر للفقها من حيث انه اتعاب النفس بلا فائدة ٥ وقد يقال ان
ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا ان يحكم بالاباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة وهذه
الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس المتحركين لهذه الحظوظ ايضا خسيسة ولا بأس باتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق
به ويعود اليه فهو المتأذي وهو المتلذذ والفتوى تقتضي تسييب العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر فالسائحون من غير
مهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج في البلاد كالبهائم المترددة في الصحاري فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم
ولم يلبسوا على الخلق حالهم وانما عصيانهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوف والاكل من الاوقاف التي وقفت على الصوفية
لان الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات اخر ورا الصلاح ومن اقل احوال هؤلاء اكلهم اموال السلاطين
واكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقيه يهودي وكما
ان الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي ايضا عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي تحصل به العدالة
وكذلك من نظر الى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم واعطاهم من ماله على سبيل التقرب الى الله حرم عليهم الاخذ وكان
ما اكلوه سحتا واعني به اذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن احوالهم ما اعطاهم واخذ المال باظهار التصوف من غير
اتصاف بحقيقته كاخذه باظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ومن زعم انه علوي وهو كاذب
واعطاه مسلم مالا لحبه اهل بيت رسول الله ولو علم انه كاذب لم يعطه شيئا فاخذه على ذلك حرام وكذلك الصوفي
ولهذا احترز المحتاطون عن الاكل بالدين فان المبالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه عن عورات لو انكشفت للراغب
في مواساته لفترت رغبته عن المواساة فلا جرم كانوا لا يشترون شيئا بانفسهم مخافة ان يتسامحوا لاجل دينهم فيكونوا
اكلين بالدين وكانوا يوكلون ويشترطون على الوكيل ان لا يظهر انه لمن يشترى نعم انما يحل اخذ ما يعطى لاجل الدين
اذا كان الاخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه ما يعلمه الله لم يقتض ذلك فتورا في رأيه فيه والعاقل المنصف يعلم من نفسه
ان ذلك ممتنع او عزيز والمغرور الجاهل بنفسه احرى ان يكون جاهلا بامر دينه فان اقرب الاشيا الى قلبه قلبه فاذا
التبس عليه امر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة ان لا ياكل الا من كسبه ليأمن من هذه
الغائلة او لا ياكل الا من مال من يعلم قطعا انه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك من مواساته فان اضطر طالب
الحلال ومريد طريق الاخرة الى اخذ مال غيره فليصرح له وليقل انك ان كنت تعطيني لما تعتقده في من الدين فلست
مستحقا لذلك ولو ستر الله ستره لم ترني بعين التوقير بل اعتقدت اني شر الخلق او من شرارهم فان اعطاه مع ذلك
فليأخذ فانه ربما يرضى منه بهذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بترك الدين وعدم استحلاله للاخذ بالدين ولكن ههنا
مكيدة للنفس ومخادعة فليتفطن لها وذلك انه قد يقول ذلك مظهرا انه متشبه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم دهم
لها ونظرهم اليها بعين المقت والازدرا فيكون صورة الكلام صورة القدح والازدرا وباطنه وروحه هو المدح والا طرا
فكم من ذام لنفسه وهو لها مادح بعين ذمه فذم النفس في الخلوة مع النفس هو المحمود فاما الذم في الملا فهو عين
الريا الا اذا اورده ايرادا يحصل للمستمع يقينا بانه مقترف للذنوب ومعترف بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الاحوال
ويمكن تلبيسه بقرائن الاحوال والصادق بينه وبين الله يعلم ان مخادعته لله او مخادعته لنفسه محال فلا تعذر عليه
الاحتراز عن امثال ذلك فهذا هو القول في اقسام السفر ونية المسافر وفضيلته **الفصل الثاني**
في اداب المسافر من اول نهوضه الى اخر رجوعه وهي احد عشر ادبا **الاول** ان يبدا برد المظالم وقضا الديون
واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ورد الودائع ان كانت عنده ولا ياخذ لزاده الا الطيب الحلال وليأخذ قدرا
يوسع به على رفقائه قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في السفر ولا بد في السفر من طيب الكلام واطعام الطعام
ومن اظهار مكارم الاخلاق فان السفر يخرج خبايا الباطن ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح في

الحضر من لا يصلح في السفر ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسفر
من اسباب الضجر ومن احسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق والا فعند مساعدة الامور على وفق الغرض قل ما يظهر سوء الخلق وقد
قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر الصائم والمريض والمسافر وتمام حسن خلق المسافر الاحسان الى المكاري ومعاونة الرفقة بكل ممكن
والرفق بكل منقطع بان لا يجاوزه الا باعانة بمركوب او زاد او توقف لاجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة في بعض الاوقات
من غير فحش ولا معصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه **الثاني** ان يختار رفيقا فلا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن
رفيقه ممن يعينه على الدين ويذكره اذا نسي ويعينه ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل الا برفيقه وقد نهى عليه
السلام عن ان يسافر الرجل وحده وقال الثلاثة نفر وقال ايضا اذا كنتم ثلاثة في سفر فامروا احدكم وكانوا يفعلون ذلك
ويقولون هذا اميرنا امره رسول الله وليؤمروا احسنهم اخلاقا وارفقهم بالاصحاب واسرعهم الى الايثار وطلب الموافقة وانما
يحتاج الى الامير لان الاراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام الا في الوحدة ولا فساد الا من الكثرة وانما
انتظم امر العالم لان مدبر الكل واحد ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومهما كان المدبر واحدا انتظم التدبير واذا
كثرت المدبرون فسدت الامور في الحضر والسفر الا ان مواطن الاقامة لا تخلو عن امير عام كامير البلد وعن امير خاص كرب
الدار واما السفر فلا يتعين له امير الا بالتامير فلهذا وجب التامير ليجمع شتات الآراء ثم على الامير ان لا ينظر الا لمصلحة
القوم وان يجعل نفسه وقاية لهم كما نقل عن عبد الله المروزي انه صحبه ابو علي الرباطي فقال على ان تكون انت الامير ام انا
فقال بل انت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره وامطرت السماء ليلة فقام عبد الله طول الليل على راس رفيقه
وفي يده كساء يمنع المطر عنه فكلما قال له لا بالله لا تفعل يقول له الم تقل ان الامارة مسلمة لك فلا تحكم علي ولا ترجع عن قولك
حتى قال ابو علي وددت اني مت ولم اقل انت الامير فهكذا ينبغي ان يكون الامير وقد قال عليه السلام خير الاصحاب اربعة
وتخصيص الاربعة من بين سائر الاعداد لا بد ان يكون له فائدة والذي ينقدح فيه ان المسافر لا يخلو عن رحل يحتاج الى حفظه
وعن حاجة يحتاج الى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد في الحاجة واحدا فيتردد في السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر
وعن ضيق قلب لفقد انس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرحل وحده فلا يخلو ايضا عن خطر ولا عن ضيق قلب
فما دون الاربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الاربعة يزيد فلا يجمعهم رابطة واحدة ولا ينعقد بينهم الترافق لان الخامس زيادة
بعد الحاجة ومن يستغني عنه لا تنصرف الهمة اليه فلا تتم الموافقة معه نعم في كثرة الرفقاء فائدة الامن من المخاوف ولكن
الاربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفقاء لا يكلم ولا يخالط الى آخر الطريق للاستغناء
عنه **الثالث** ان يودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من مكة الى المدينة فلما اردت ان افارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول قال لقمان ان الله اذا استودع شيئا حفظه واني استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وروى زيد
بن ارقم عنه عليه السلام انه قال اذا اراد احدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله جاعل له في دعائهم البركة وعن عمرو
بن شعيب عن ابيه عن جده انه عليه السلام كان اذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك الى
الخير حيث توجهت فهذا دعاء المقيم للمودع وقال موسى بن وردان اتيت ابا هريرة اودعه لسفر اردته فقال
الا اعلمك يا ابن اخي شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع فقلت بلى قال قل استودعك الله الذي
لا يضيع ودائعه وعن انس ان رجلا اتاه عليه السلام وقال اني اريد سفرا فاوصني فقال له في حفظ الله وكنفه
زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت او اينما كنت شك فيه الراوي وينبغي اذا استودع الله ما
يخلفه ان يستودع الجميع ولا يخصص فقد روي ان عمر كان يعطي الناس عطاياهم اذ جاءه رجل معه ابن له فقال له
عمر ما رايت احدا اشبه باحد من هذا بك فقال الرجل احدثك عنه يا امير المؤمنين باني اردت ان اخرج الى سفر
وامه حامل به فقالت تخرج وتدعني على هذه الحال فقلت استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هي قد ماتت
فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت والله ان كانت
لصوامة قوامة فاخذت المعول حتى انتهينا الى القبر فحفرنا فاذا سراج واذا هذا الغلام يدب فقيل لي ان هذه وديعتك
ولو كنت استودعت امه لوجدتها فقال عمر لهو اشبه بك من الغراب بالغراب **الرابع** ان يصلي قبل السفر

صلاة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلوة ووقت الخروج يصلي لاجل السفر فقد روى انس ان رجلا اتاه عليه
السلام وقال اني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فالى اي الثلاثة ادفعها الى ابني ام اخي ام ابي فقال ما استخلف عبد في اهله
من خليفة احب الى الله من اربع ركعات يصليهن في بيته اذا شد عليه ثياب سفره يقرا فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله احد
ثم يقول اللهم اني اتقرب بهن اليك فاخلفني بهن في اهلي ومالي فهو خليفته في اهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع الى
اهله **الادب الخامس** اذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اعوذ
بك من ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك
اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك
وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت وليدع بهذا الدعاء في كل منزل
يرحل عنه واذا ركب على الدابة فليقل بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء
الله كان وما لم يشا لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون فاذا استوت الدابة تحته
فليقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور
الادب السادس ان يرحل من المنزل بكرة روى جابر انه عليه السلام رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك
وبكر وقال اللهم بارك لامتي في بكورها ويستحب ان يبتدي بالخروج يوم الخميس فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن ابيه قال
قلما كان عليه السلام يخرج الى سفر الا يوم الخميس وروى انس انه عليه السلام قال اللهم بارك لامتي في بكورها يوم
الخميس وكان عليه السلام اذا بعث سرية بعثها اول النهار وروى ابو هريرة انه عليه السلام قال اللهم بارك لامتي
في بكورها يوم خميسها وقال عبد الله بن عباس اذا كان لك الى رجل حاجة فاطلبها منه نهارا ولا تطلبها ليلا
واطلبها بكرة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم بارك لامتي في بكورها ولا ينبغي ان يسافر بعد طلوع
الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب اليها فكان اوله من اسباب وجوبها والتشييع للوداع
مستحب وهو سنة قال عليه السلام لان اشيع مجاهدا في سبيل الله فاكنفه على رحله غدوة او روحة احب الي من الدنيا
وما فيها **الادب السابع** ان لا ينزل حتى يحمى النهار فهي السنة ويكون اكثر سيره بالليل قال عليه السلام عليكم
بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن
ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين ومن اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما اجرين
اسالك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه واصرف عني شر شرارهم فاذا نزل
المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق
واذا جن عليه الليل فليقل يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من
شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو
السميع العليم ومهما علا نشزا من الارض في وقت السير فينبغي ان يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على
كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات
بالعزة والجبروت **الادب الثامن** ان يحتاط بالنهار ولا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او
ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان عليه السلام اذا نام في ابتداء الليل في السفر افترش ذراعه واذا نام
في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه والغرض من هذا ان لا يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو نائم
ولا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة اكثر مما يطلبه بسفره والمستحب بالليل ان يتناوب الرفقاء بالحراسة فاذا نام واحد
حرسه آخر فهي السنة ومهما قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرا آية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين
وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي بالخيرات الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء
الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز
تحصنت بالله العلي العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بكنفك الذي لا يرام
اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك ورافة برحمتك

انك ارحم الراحمين **الادب التاسع** ان يرفق بالدابة ان كان راكبا ولا يحملها ما لا تطيق ولا يضرب في وجهها فان ذلك منهي عنه ولا ينام عليها فانه يثقل بالنوم وتتاذى به الدابة • كان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة • وقال عليه السلام لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فذلك سنة وفيه آثار عن السلف • وكان بعض السلف يكتري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا الى الدابة ويوضع في ميزان حسناته لا في ميزان المكاري ومن آذى البهيمة بضرب او حمل ما لا تطيق طولب بذلك في القيامة اذ في كل كبد حرى اجر • وقال ابو الدرداء لبعير له عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اك احملك فوق طاقتك وفي النزول ساعة صدقتان احدهما ترويح الدابة والاخرى ادخال السرور على قلب المكاري وفيه فائدة اخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الاعصاب بطول الركوب وينبغي ان يقرر مع المكاري ما يحمله شيئا شيئا ويعرضه عليه ويستاجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثور بينهما نزاع يؤذي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام فما يلفظ العبد من قول الا لديه رقيب عتيد فليحترز من كثرة الكلام واللجاج مع المكاري ولا ينبغي ان يحمل فوق المشروط شيئا وان خف فان القليل يجر الكثير ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه • قال رجل لابن المبارك وهو على دابة احمل لي هذه الرقعة الى فلان فقال حتى استامر الجمال فاني لم اشارطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت الى قول الفقهاء ان هذا مما يتسامح به لكنه سلك طريق الورع **الادب العاشر** ينبغي ان يستصحب ستة اشياء قالت عائشة كان عليه السلام اذا سافر حمل معه خمسة اشياء المراة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط وفي رواية اخرى عنها ستة المراة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط • وقالت ام سعد الانصارية كان عليه السلام لا يفارقه في السفر المراة والمكحلة • وقال صهيب قال عليه السلام عليكم بالاثمد عند مضجعكم فانه مما يزيد في البصر وينبت الشعر • وروي انه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية انه اكتحل لليمنى ثلاثا ولليسرى اثنتين وقد زاد الصوفية الركوة والحبل • وقال بعض الصوفية اذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وانما زادوا هذا لما راوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثياب المغسولة ولنزح الماء وكان الاولون يكتفون بالتيمم ويغنون انفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضا عمر يوما من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالارض والجبال عن الحبل ويفرشون الثياب المغسولة عليها فهذه بدعة الا انها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة ما تصادم السنن الثابتة اما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحسن وقد ذكرنا احكام المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وان المتجرد لامر الدين لا ينبغي ان يترك طريق الرخصة بل يحتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك من عمل افضل منه وقيل كان الخواص من المتوكلين وكان لا يفارقه اربعة اشياء في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة بخيوطها والمقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا **الادب الحادي عشر** في اداب الرجوع من السفر كان عليه السلام اذا قفل من غزو او حج او عمرة او غيره يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده واذا اشرف على مدينته فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغي ان يطرقهم ليلا فقد ورد النهي عن ذلك • وكان عليه السلام اذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ودخل البيت واذا دخل قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا وينبغي ان يحمل لاهل بيته ولاقاربه تحفة من مطعوم او غيره على قدر امكانه فهي سنة • وقد روي انه ان لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجرا وكان هذا مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة لان الاعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتاكد الاستحباب في تاكيد فرحهم واظهار التفات القلب في السفر الى ذكرهم بما يستصحبه في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة فاما الآداب الباطنة ففي الفصل الاول بيان جملة منها وجملة ذلك ان لا يسافر الا اذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا الى نقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي ان يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلد ان يرى شيوخها ويجتهد ان يستفيد من كل واحد منهم ادبا او

كلمة لينتفع بها لا ليحكي عنه ويظهر انه لقي المشايخ ولا يقيم ببلد اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان يامره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الاقامة الا الفقراء الصادقين وان كان قصده زيارة اخ فلا يزيد على ثلاثة ايام فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة ولا يشغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وكلما يدخل البلد فلا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ فان كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستاذن عليه الى ان يخرج فاذا خرج تقدم اليه بادب ولا يتكلم بين يديه الا ان يساله فاذا ساله اجاب بقدر السؤال ولا يساله عن مسالة ما لم يستاذن اولا واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر اطعمة البلدان واسخيائها ولا اصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته الا بقدر الضرورة ومع من يقدر على ازالتها ويلازم في طريقه الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع الى ما كان عليه فان برمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس واذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي ان يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان عليه في الحضر فليعلم ان سفره معلول وليرجع اذ لو كان بحق لظهر اثره وقال رجل لابي عثمان المغربي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن ان يذل نفسه واشار بهذا القول الى من ليس له في السفر زيادة في دين والا فعز الدين لا ينال الا بذل الغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة اما عاجلا واما آجلا

الباب الثاني

فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره الى ان يتزود لدنياه ولآخرته اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من النفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا باس به اذا كان سفره في قافلة او بين قرى متصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا او عشرا مثلا او يقدر على ان يجتزي بالحشيش فله ذلك وان لم تكن له قوة على الصبر على الجوع ولا قدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه القى بنفسه في التهلكة ولهذا سر سياتي في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله ملكا يصب الماء في فيه فان كان حفظ الحبل والدلو لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول الى المشروب فحمل عين الطعام والمشروب حيث لا ينتظر له وجود اولى بان لا يقدح فيه وستاتي حقيقة التوكل في موضعها ان شاء الله فانه ملتبس الا على المحققين من علماء الدين • واما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج اليه في طهارته وصومه وصلاته وعبادته فلا بد ان يتزود منه اذ السفر تارة يخفف عليه امورا فيحتاج الى معرفة القدر الذي يحققه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد عليه امورا كان مستغنيا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلوات فانه في البلد مكتفي بغيره من محاريب المساجد واذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج الى ان يعرف بنفسه فاذا ما يفتقر الى تعلمه ينقسم الى قسمين **القسم الاول** العلم برخص السفر والسفر يفيد في الطهارات رخصتين مسح الخفين والتيمم وفي صلاة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل رخصتين اداؤه على الراحلة واداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع رخص **الرخصة الاولى** المسح على الخفين قال صفوان بن عسال امرنا عليه السلام اذا كنا مسافرين او سفرا ان لا ننزع خفافنا ثلاثة ايام ولياليهن ان كان مسافرا ويوما وليلة ان كان مقيما ولكن بخمسة شروط **الاول** ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وادخلها الخف ثم غسل اليسرى وادخلها الخف لم يجز له المسح عند الشافعي حتى ينزع خف الايمن ويعيد لبسه **الثاني** ان يكون الخف قويا يمكن المشي فيه ويجوز المسح على الخف وان لم يكن منعلا اذ العادة جارية بالتردد عليه في المنازل لان فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوف فانه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف **الثالث** ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق فان تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح عليه وللشافعي قول قديم انه يجوز ما دام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك ولا باس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر

للخرز في السفر في كل وقت والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترا لا تبدو بشرة القدم من خلاله وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق بشرج لان الحاجة تمس الى جميع ذلك فلا يعتبر الا ان يكون ساترا الى فوق الكعبين كيف كان فاما اذا استتر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز المسح عليه الرابع ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان نزعه فالاولى استئناف الوضوء وان اقتصر على غسل القدمين جاز الخامس ان يمسح على الموضع المحاذي لمحل فرض الغسل لا على الساق واقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف واذا مسح بثلاث اصابع خرج من شبهة الخلاف واكمل المسح ان يمسح اعلاه واسفله دفعة واحدة من غير تكرار لذلك نقل عليه السلام ووصفه ان يبل اليدين ويضع رؤس اصابع اليمنى من يده اليمنى على رؤس اصابع اليمنى من رجله ويمسحها بان يجر اصابعه الى جهة نفسه ويضع رؤس الاصابع من يده اليسرى على العقب من اسفل الخف ويمدها الى راس القدم ومهما مسح مقيما ثم سافر او مسافرا ثم اقام غلب حكم الاقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الايام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج واحدث في السفر وقت الزوال مسح ثلاثة ايام ولياليهن من وقت الزوال الى الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس اليوم الرابع لم يكن له ان يصلي الا بعد غسل الرجلين فليغسل رجليه وليعد لبس الخف وليراعي وقت الحدث وليستانف الحساب من وقت الحدث ولو احدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله ان يمسح ثلاثة ايام لان العادة تقتضي اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فاما اذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لمن يريد لبس خف في حضر او سفر ان ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من عقرب او حية او شوكة فقد روي عن ابي امامة انه قال دعا عليه السلام بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما الرخصة التاسعة التيمم والتراب بدل عن الماء عند العذر وانما يتعذر الماء بان يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح واستغاث وهو البعد الذي لا يعتاده اهل المنزل في ترددهم لقضاء حاجاتهم وكذا ان نزل على الماء عدو او سبع فيجوز التيمم وان كان الماء قريبا وكذا ان احتاج اليه لعطشه في يومه او بعد يومه لفقد الماء من بين يديه فله التيمم وكذا ان احتاج اليه لعطش حيوان من رفقائه فلا يجوز له الوضوء ولزمه بذله اما بثمن او بغير ثمن ولو كان يحتاج اليه للعذر حتى يطبخ مرقة او احتاج اليه ليجمع به الكعك او ليطبخ به اللحم لم يجز التيمم بل عليه ان يجزي بالكعك اليابس ويترك تناول المرقة ومهما وهب له الماء وجب قبوله وان وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه الشراء وان بيع بغبن لم يلزمه واذا لم يكن معه ماء واراد التيمم فاول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول اليه بالطلب وذلك بالتردد حول المنزل والتردد على الرحل وطلب البقايا من الاواني والمطاهر فان نسي الماء في رحله او نسي بئرا بالقرب منه لزمه اعادة الصلاة لتقصيره في الطلب وان علم انه يجد الماء في آخر الوقت فالاولى ان يصلي بالتيمم في اول الوقت فان العمر لا يوثق به واول الوقت رضوان الله وتيمم ابن عمر فقيل له اتتيمم وجدران المدينة تنظر اليك فقال او ابقى الى ان ادخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لم تبطل صلاته ولم يلزمه الوضوء واذا وجده قبل الشروع في الصلاة لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب عليه كفيه بعد ضم اصابعه ضربة فيمسح بهما وجهه وليضرب ضربة اخرى بعد نزع الخاتم وتفريج الاصابع ويمسح بهما يديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربة واحدة جميع ساعديه ضرب ضربة اخرى وكيفية التلطف في ذلك ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم اذا صلى به فريضة واحدة فله ان يتنفل ما شاء بذلك التيمم وان اراد الجمع بين فرضين فعليه ان يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلي فرضين الا بتيممين ولا ينبغي ان يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فان فعل وجب عليه اعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلاة ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما الرخصة الثالثة في الصلاة المفروضة القصر وله ان يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلاثة الاولى ان يؤديها في اوقاتها فلو صارت قضاء فالاظهر لزوم الاتمام الثاني ان ينوي القصر فلو نوى الاتمام لزمه الاتمام ولو شك في انه نوى القصر او الاتمام لزمه الاتمام الثالث ان لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر متم فان فعل لزمه الاتمام بل ان شك في ان امامه مقيم او مسافر لزمه الاتمام وان تيقن بعد انه مسافر لان شعار المسافر لا يخفى فليكن

مخففا عند النية وان شك في ان امامه هل نوى القصر ام لا بعد ان عرف انه مسافر لم يضره ذلك لان النيات لا يطلع عليها وهذا كله اذا كان في سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه اشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الاقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجاوز خراب البلد وبساتينه التي يخرج اهل البلد اليها للتنزه واما القرية فالمسافر منها ينبغي ان يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحوطة ولو رجع المسافر الى البلد لاخذ شيء نسيه لم يترخص ان كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران وان لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص اذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه واما نهاية السفر فباحد امور ثلاثة الاول الوصول الى العمران من البلد الذي عزم على الاقامة به الثاني العزم على الاقامة ثلاثة ايام فصاعدا اما في بلد او صحراء الثالث صورة الاقامة وان لم يعزم كما اذا اقام على موضع واحد ثلاثة ايام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وان لم يعزم على الاقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم نجازه ولكنه يتعوق عليه ويتاخر فله ان يترخص وان طالت المدة على اقيس القولين لانه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب ولا فرق بين ان يكون هذا الشغل قتالا او غيره ولا بين ان تطول المدة او تقصر ولا بين ان يتاخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلاثة ايام او لغيره اذ ترخص عليه السلام في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد وظاهر الظن انه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه اذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما على موضع واحد والظاهر ان قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر واما السفر الطويل فهو ان يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة اميال وكل ميل اربعة آلاف خطوة ومعنى المباح ان لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه ولا تكون المرأة هاربة من زوجها ولا ان يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق او قتل انسان او طلب ادرار مال حرام من سلطان او سعي بالفساد بين المسلمين وبالجملة فلا يسافر الانسان الا لغرض والغرض هو المحرك فان كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص واما الفسق في السفر كشرب الخمر وغيره فلا يمنع الترخص بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان احدهما مباح والآخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث المحظور لكان الباعث المباح مستقلا بتحريكه وكان لا محالة يسافر لاجله فله الترخص والمتصوفة الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار ان لهم الترخص الرخصة الرابعة الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشاء في وقتيهما فذلك ايضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازه في السفر القصير قولان ثم ان قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم اولا ان كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما باكثر من تيمم واقامة فان قدم العصر لم يجز وان نوى الجمع عند التحرم لصلاة العصر جاز عند المزني وله وجه في القياس اذ لا مستند لايجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وانما الرخصة في العصر فيكفي النية فيها واما الظهر فجار على القانون ثم اذا فرغ من الصلاتين فينبغي ان يجمع بين سنن الصلاتين اما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر اما راكبا او مقيما لانه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر لانقطعت الموالاة وهي واجبة على وجه وان اراد ان يقيم الاربع المسنونة قبل الظهر والاربع المسنونة قبل العصر فليجمع بينهن قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر اولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد الفرض ولا ينبغي ان يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها اكثر مما يناله من الربح لا سيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له اداءها على الراحلة كي لا يتعوق عن الرفقة بسببها وان اخر الظهر الى العصر فيجري على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر بعد العصر في الوقت المكروه لان ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر اذا قدم او اخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر وان خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على ادائه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لانه انما يخلو عن هذه النية اما بنية الترك او بنية التاخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وان لم يتذكر الظهر حتى خرج وقتها اما للنوم او للشغل فله ان يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لان السفر

كما يشغل عن فعل الصلاة وقد يشتغل عن ذكرها ويحتمل ان يقال ان الظهر انما يقع اداء اذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها لان المطهران وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر اذا طهرت قبل الغروب ولذلك يتقدح ان لا يشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تاخير الظهر اما اذا قدم العصر على الظهر لم يجز لان ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتا للعصر اذ يبعد ان يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر او على تاخيره وعذر المطر يجوز الجمع كعذر السفر وترك الجمعة ايضا من رخص السفر وهي متعلقة بفرائض الصلوات ولو نوى الاقامة بعد ان صلى العصر فادرك وقت العصر في الحضر فعليه اداء العصر وما مضى انما كان مجزيا بشرط ان يبقى العذر الى خروج وقت العصر

الرخصة الخامسة في التنفل راكبا كان عليه السلام يصلي على راحلته ايماء ايما توجهت به دابته واوتر على الراحلة وليس على المتنفل الراكب في الركوع والسجود الا الايماء وينبغي ان يجعل سجوده اخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء الى حد يتعرض به الى خطر بسبب الدابة وان كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فانه قادر عليه ○ واما استقبال القبلة فلا يجب لا في ابتداء الصلاة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلاته اما مستقبلا للقبلة او متوجها في صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته الا اذا حرفها الى القبلة ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم تبطل وان طال ففيه خلاف وان جمحت الدابة فانحرفت لم تبطل لان ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو اذ الجماح غير منسوب اليه بخلاف ما لو حرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالايماء

الرخصة السادسة التنفل للماشي جائز في السفر ويومي بالركوع والسجود ولا يقعد للتشهد لان ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب لكن ينبغي ان يتحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة لان الانحراف في لحظة لا عسر فيه بخلاف الراكب لان في تحريف الدابة وان كان العنان بيده نوع عسر وربما تكثر الصلاة فيطول عليه ذلك ولا ينبغي ان يمشي في نجاسة رطبة عمدا فان فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو وطئت دابة الراكب نجاسة وليس عليه ان يشوش المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو عنها الطرقات غالبا وكل هارب من عدو او سيل او سبع فله ان يصلي الفريضة راكبا وماشيا كما ذكرناه في التنفل

الرخصة السابعة الفطر وهو في الصوم فللمسافر ان يفطر الا اذا اصبح مقيما ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم وان اصبح مسافرا صائما ثم اقام فعليه الاتمام وان قام مفطرا فليس عليه الا الامساك بقية نهاره وان اصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له ان يفطر اذا اراد والصوم افضل من الفطر والقصر افضل من الاتمام للخروج عن شبهة الخلاف لانه ليس عهدة القضاء بخلاف الفطر فانه في عهدة القضاء وربما يتعذر عليه ذلك بعائق فيبقى في ذمته الا اذا كان الصوم يضر به فالافطار افضل فهذه سبع رخص تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل وهو القصر والفطر والمسح ثلاثة ايام وتتعلق اثنان بالسفر طويلا كان او قصيرا وهو سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند اداء الصلاة بالتيمم ○ واما الصلاة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والاصح جوازه في القصير والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والاظهر اختصاصه بالطويل ○ واما صلاة الفرض راكبا وماشيا للخوف فلا يتعلق بالسفر وكذا اكل الميتة ولذا اداء الصلاة في الحال بالتيمم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت اسبابها

فان قلت فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر او يستحب له ذلك فاعلم انه ان كان عازما على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الرخص في ذلك لان الترخص ليس بواجب عليه واما علم رخصة التيمم فيلزمه لان فقد الماء ليس اليه الا ان يسافر على شط نهر يوثق ببقاء مائه او يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة فله ان يؤخر الى وقت الحاجة اما اذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لا محالة **فان قلت** التيمم يحتاج اليه لصلاة لم يدخل بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب وربما لا تجب فاقول من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع الا في سنة فيلزمه قبل اشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم المناسك لا محالة اذا كان يظن

انه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لان الاصل الحياة واستمرارها وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب وكلما يتوقع وجوبه توقعا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل اليه الا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم الشرط لا محالة كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا جرم لا يحل للمسافر ان ينشئ السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وان كان عازما على سائر الرخص فعليه ان يتعلم ايضا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وان كان عازما على سائر الرخص وسائر الرخص فانه اذا لم يتعلم القدر الجائز لرخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه **فان قلت** فان لم يتعلم كيفية التنفل ماشيا وراكبا ماذا يضره وغايته اذا صلى ان تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون علمها وجوبا فاقول من الواجب ان لا يصلي النفل على نعت الفساد فالتنفل مع الحدث والنجاسة والى غير القبلة ومن غير اتمام شروط الصلاة واركانها حرام فعليه ان يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا من الوقوع في المحظور فهذا بيان علم ما يخف على المسافر في سفره

القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر وهو علم القبلة والاوقات وهو ايضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعي الوقت يغنيه عن طلب الوقت والمسافر قد تشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بادلة القبلة والمواقيت ○ اما ادلة القبلة فهي ثلاثة اقسام ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى والانهار او هوائية كالاستدلال بالرياح بشمالها وجنوبها وصباها ودبورها او سماوية وهي النجوم فاما الارضية والهوائية فتختلف بالبلاد فرب طريق فيها جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او وراءه او قدامه فليتعلم ذلك وليفهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ولسنا نقدر على استقصاء ذلك اذ لكل بلد واقليم له حكم اخر ○ واما السماوية فادلتها تنقسم الى نهارية والى ليلية اما النهارية فالشمس فلا بد ان يراعي قبل الخروج من البلد ان الشمس عند الزوال اين تقع منه اهي بين الحاجبين او هي على العين اليمنى او اليسرى او تميل الى الجبين ميلا اكثر من ذلك فان الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه المواقع فاذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعي موقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين يحتاج الى القبلة بالضرورة وهذا ايضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه ○ واما القبلة وقت المغرب فانما تدرك بموضع الغروب وذلك بان يحفظ ان الشمس تغرب عن يمين المستقبل او هي مائلة الى وجهه او قفاه وبالشفق ايضا تعرف القبلة للعشاء الاخرة وبمشرق الشمس تعرف القبلة لصلاة الصبح فكأن الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فان المشارق والمغارب كثيرة وان كانا محصورين في جهتين فلا بد من تعلم ذلك ايضا ولكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه ان يستدل على القبلة فعليه ان يراعي موضع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدي فانه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه وذلك اما ان يكون على قفا المستقبل او على منكبه الايمن من ظهره او منكبه الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها يقع في مقابلة المستقبل فليتعلم ذلك وما عرفه في بلده فليعول عليه في الطريق كله الا اذا طال السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع الشمس وموضع القطب وموقع المشارق والمغارب الا انه ينتهي في اثناء سفره الى بلاد فينبغي ان يسأل اهل البصيرة او يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فمهما تعلم هذه الادلة فله ان يعول عليها فان بان له انه اخطأ من جهة القبلة الى جهة اخرى من الجهات الاربع فينبغي ان يقضي وان انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد اورد الفقهاء خلافا في ان المطلوب جهة الكعبة او عينها واشكل معنى ذلك على قوم اذ قالوا ان قلنا ان المطلوب العين فمتى يتصور هذا مع بعد الديار وان قلنا ان المطلوب الجهة فالواقف في المسجد ان استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف في انه لا تصح صلاته وقد طولوا في تاويل معنى الخلاف فالجهة والعين فلا بد اولا من فهم معنى مقابلة العين او مقابلة الجهة ومعنى مقابلة العين ان يقف موقفا لو اخرج خط مستقيم من

بين عينيه الى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانب الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج
من موقف المصلي قدر انه خارج من بين عينيه هذه صورته مقابلة العين فاما مقابلة الجهة فيجوز فيها ان يتصل طرف الخط
الخارج من بين العينين الى الكعبة من غير ان تتساوى الزاويتان من جنبي الخط بل لا تتساوى الزاويتان الا اذا انتهى الخط الى نقطة
معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على استقامة الى سائر النقط من يمينها او شمالها كانت احدى الزاويتين اضيق فيخرج عن مقابلة
العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر الكعبة
على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لا لعينها وحد تلك خارجين من العين
يلتقي طرفاهما في داخل الراس بين العينين على زاوية قائمة فما يقع من الخطين الخارجين من
العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخطين تتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته



واذا فهم معنى الجهة والعين فاقول الذي يصح عندنا في الفتوى ان المطلوب العين ان
كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها وان كان يحتاج الى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفي استقبال
الجهة فاما طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه واما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل
عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة والقياس اما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
اي نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولى وجهه شطرها واما السنة فما روي عنه عليه السلام انه قال
لاهل المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة والمغرب يقع على يمين اهل المدينة والمشرق على يسارهم فجعل جميع ما بينهما قبلة
ومساحة الكعبة لا تفي بما بين المشرق والمغرب وانما يعني بذلك جهتها وروي هذا اللفظ ايضا عن عمر وابنه واما
فعل الصحابة فما روي ان اهل مسجد قبا كانوا في صلاة الصبح مستقبلين بيت المقدس مستدبرين الكعبة لان المدينة
بينهما فقيل لهم قد حولت القبلة الى الكعبة فاستداروا في اثناء الصلاة من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم وسمي
مسجدهم ذا القبلتين ومقابلة العين من المدينة الى مكة لا يعرف الا بادلة هندسية يطول النظر فيها فكيف ادركوا
ذلك على البديهة في اثناء الصلاة وفي ظلمة الغلس ويدل ايضا من فعلهم انهم بنوا المساجد حوالي مكة وسائر بلاد
الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحاريب ومقابلة العين لا تدرك الا بدقيق نظر الهندسة واما
القياس فهو ان الحاجات تمس الى الاستقبال وبناء المساجد في جميع اقطار الارض ولا يمكن مقابلة العين الا بعلوم
هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها فكيف ينبني امر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة
للضرورة واما دليل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في اربع فقوله عليه السلام في ادب قضاء
الحاجة لا تستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا وقال هذا بالمدينة والمشرق على يسار
المستقبل لها والمغرب على يمينه فنهى عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك اربع جهات ولم يخطر بالبال احد ان
جهات العالم يمكن ان يفرض ستا او سبعا او عشرا وكيف ما كان فما حكم الباقي بل الجهات تبنى في الاعتقادات بناء على
خلقة الانسان وليس له الا اربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالاضافة الى الانسان في ظاهر
النظر اربعا والشرع لا ينبني الا على مثل هذه الاعتقادات فظهر ان المطلوب الجهة وذلك يسهل امر الاجتهاد فيها
ونعلم به ادلة القبلة فاما مقابلة العين فانما تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستوا ومقدار درجات
طولها وهو بعدها عن اول عمارة في المشرق ثم يعرف ذلك ايضا في موقف المصلي ثم يقابل احدهما بالاخر ويحتاج فيه الى
الات واسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فاذا القدر الذي لا بد من تعلمه هو ادلة القبلة وموقع الشرق
والغرب والزوال وموقع الشمس وقت العصر فبهذا يسقط الوجوب فان قلت فان خرج المسافر من قبل ان
يتعلم ذلك هل يعصي فاقول ان كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب او كان معه في الطريق بصير بادلة القبلة
موثوق بعدالته وبصيرته يقدر على تقليده فلا يعصي وان لم يكن معه شيء من ذلك فهو عاص لانه سيتعرض لوجوب الاستقبال
ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الادلة واستبهم عليه الامر بغيم مظلم او ترك
التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فعليه ان يصلي في الوقت على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء اصاب او اخطا
والاعمى ليس له الا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته ان كان مقلده مجتهدا في القبلة وان كانت القبلة ظاهرة فله

اعتماد

اعتماد قول كل عدل يخبره بذلك في حضر او سفر وليس للاعمى ولا للجاهل ان يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف
ادلة القبلة بحيث يحتاج الى الاستدلال كما ليس للعامي ان يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه
الهجرة الى حيث يجد من يعلمه دينه وكذا ان لم يكن في البلد الا فقيه فاسق فعليه الهجرة ايضا اذ لا يجوز له اعتماد فتوى
فاسق بل العدالة شرط في جواز قبول الفتوى كما في الرواية وان كان معروفا بالفقه مستور الحال في العدالة والفسق
فله القبول مهما لم يجد من هو عدل ظاهر العدالة لان المسافر في البلاد لا يقدر ان يبحث عن عدالة المفتين فان رآه لابسا
للحرير او ما يغلب عليه الابريسم او راكبا دابة عليها مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره
وكذلك اذا رآه ياكل على مائدة سلطان اغلب ماله حرام او ياخذ منه ادرارا او صلة من غير ان يعلم ان الذي ياخذه من
وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة واما معرفة اوقات الصلوات
الخمس فلا بد منها ووقت الظهر يدخل بالزوال فان كل شخص لا بد ان يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب
ثم لا يزال ينقص الى وقت الزوال ثم ياخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يتزايد الى الغروب فليقم المسافر في موضع
او لينصب عودا مستقيما وليعلم على راس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت
الصلاة وطريقه في معرفة ذلك ان ينظر في البلد وقت اذان المؤذن المعتمد ظل قامته فان كانت مثلا ثلاثة اقدام
يقدم بقدمه فمهما صار كذلك في السفر واخذ في الزيادة صلى فاذا زاد عليه ست اقدام ونصف دخل وقت العصر اذ
ظل كل شخص بقدمه ست اقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم ان كان سفره من اول الصيف وان كان
من اول الشتاء ينقص كل يوم واحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر وليتعلم اختلاف الظل به
في كل وقت وان عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان سفره ذلك في موضع ظهرت له القبلة
فيه بدليل اخر فيمكنه ان يعرف الوقت بالشمس بان تصير بين عينيه مثلا ان كانت كذلك في البلد واما وقت المغرب فيدخل
بالغروب ولكن قد تحجب الجبال الغروب عنه فينبغي ان ينظر الى جانب المشرق فمهما ظهر سواد الافق مرتفعا من الارض
قيد رمح فقد دخل وقت المغرب واما العشاء فيعرف بغيبوبة الشفق وهو الحمرة فان كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه
بظهور الكواكب الصغار وكثرتها فان ذلك يكون بغيبوبة الشفق واما الصبح فيبدو في الاول مستطيلا كذنب
السرحان فذلك لا حكم له الى ان ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر ادراكه بالعين لظهوره فهو اول الوقت
قال عليه السلام ليس الصبح هكذا وجمع كفيه وانما الصبح هكذا ووضع احدى سبابتيه على الاخرى وفتحهما اشار
بذلك الى انه معترض وقد يستدل عليه بالمنازل وذلك تقريب لا تحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض
عرضا لان قوما ظنوا ان الصبح يطلع قبل الشمس باربع منازل وهذا خطا فان ذلك هو الفجر الكاذب والذي ذكره
المحققون انه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب ولكن لا اعتماد عليه فان بعض المنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر
زمان طلوعها وبعضها منتصبة فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافا يطول ذكره نعم تنفع
المنازل لان يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده فاما حقيقة اول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين اصلا وعلى الجملة
فاذا بقيت اربع منازل الى طلوع قرص الشمس بمقدار منزلة يتيقن انه الصبح الكاذب واذا بقي قريب من منزلتين يتحقق
طلوع الصبح الصادق او الكاذب ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه انه من وقت الصبح الصادق او
الكاذب وهو مبتدا ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه فمن وقت الشك ينبغي ان يترك الصائم السحور ويقدم
القائم الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى ينقضي مدة الشك فاذا تحقق صلى ولو اراد مريد ان يقدر على التحقيق
وقتا معينا يشرب فيه متسحر ويقوم عقيبه ويصلي الصبح متصلا به لم يقدر على ذلك وليس معرفة ذلك في قوة البشر
اصلا بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتماد الا على العيان ولا اعتماد في العيان الا على ان يصير الضوء
منتشرا في العرض حتى يبدو مبادي الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت ويدل عليه
ما روى ابو عيسى الترمذي في جامعه باسناده عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا
ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الاحمر وهذا صريح في رعاية الحمرة قال ابو عيسى وفي
الباب عن عدي بن حاتم وابي ذر وسمرة وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند اهل العلم وقال ابن عباس

كلوا واشربوا مادام الضوء ساطعًا قال صاحب الغريبين اي مستطيلًا فاذا لا ينبغي ان يعول الا على ظهور الصفرة وكانها مبادي الحمرة وانما يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات لانه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول او قبل النوم حتى يستريح فان وطن نفسه على تاخير الصلاة الى ان يتيقن فيسمح بفوات فضيلة اول الوقت ويتجشم كلفة النزول وكلفة تاخير النوم الى اليقين استغنى عن تعلم علم الاوقات فان المشكل اوايل الاوقات لا اواسطها والله اعلم

كتاب السماع والوجد

وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي احرق قلوب اوليايه بنار محبته واسترق هممهم وارواحهم بالشوق الى لقايه ومشاهدته ووقف ابصارهم وبصايرهم على ملاحظة جمال حضرته حتى اصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى واصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى فلم يروا في الكونين شيا سواه ولم يذكروا في الدارين الا اياه ان سنحت لابصارهم صورة عبرت الى المصور بصايرهم وان قرعت اسماعهم نغمة سبقت الى المحبوب سرايرهم وان ورد عليهم صوت مزعج او مقلق او مطرب او محزن او مبهج او مشوق لم يكن انزعاجهم الا اليه ولا طربهم الا به ولا قلقهم الا عليه ولا حزنهم الا فيه ولا شوقهم الا الى ما لديه ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم الا حواليه فمنه سماعهم واليه استماعهم فقد اقفل عن غيره ابصارهم واسماعهم اوليك الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم من بين اصفيايه وخاصته والصلوة على محمد المبعوث برسالته وعلى اله واصحابه ايمة الحق وقادته وسلم كثيرا اما بعد فان القلوب والسراير خزاين الاسرار ومعادن الجواهر وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر واخفيت كما اخفي الما تحت التراب والمدر ولا سبيل الى استثارة خفاياها الا بقداح السماع ولا منفذ الى القلوب الا من دهليز الاسماع فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها او مساويها فلا يظهر من القلب عند التحريك الا ما يحويه كما لا يترشح الانا الا بما فيه فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا يصل نفس السماع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه واذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للاسماع حتى ابدت بوادرها من مكامنها وكشفت به عن مساويها ومحاسنها وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوايد والافات وما يستحب فيهما من الاداب والهيات وما يتطرق اليهما من خلاف العلما في انهما من المحظورات او المباحات ونحن نوضح ذلك في بابين الباب الاول في اباحة السماع الباب الثاني في ادابه واثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعقة وتمزيق الثياب

الباب الاول

في ذكر اختلاف العلما في اباحة السماع وكشف الحق فيه بيان اقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه اعلم ان السماع هو اول الامر ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب واما موزونة فتسمى التصفيق والرقص فلنبدا بحكم السماع وهو الاول وننقل فيه الاقاويل المعربة عن المذاهب فيه ثم نذكر الدليل على اباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القايلون بتحريمه فاما نقل المذاهب فقد حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وابي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا استدل بها على انه راى تحريمه وقال الشافعي في كتاب ادب القضاء ان الغنا لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي ابو الطيب استماعه من المراة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند اصحاب الشافعي بحال سوا كانت مكشوفة او من ورا حجاب وسوا كانت حرة او مملوكة وقال قال الشافعي في كتاب ادب القضاء صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال حكي عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القران وقال الشافعي ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد اكثر مما يكره من اللعب بشي من الملاهي ولا احب اللعب بالشطرنج واكره كل ما يلعب به الناس لان اللعب ليس من صفة اهل الدين ولا المروة واما مالك فقد نهى عن الغنا وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب ساير اهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده واما ابو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغنا من الذنوب وكذلك ساير اهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وابراهيم والشعبي وغيرهم وهذا كله نقله القاضي ابو الطيب الطبري ونقل ابو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة وقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في افضل ايام السنة وهي الايام المعدودات التي امر الله سبحانه عباده فيها بذكره كايام التشريق ولم يزل اهل المدينة مواظبين كاهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا ابا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد اعدهن للصوفية قال وكان لعطا جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لابي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون رضي الله عنهم يستمعون فقال كيف انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني وقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما انكر اللهو واللعب في السماع وروي عن يحيى بن معاذ انه قال فقدنا ثلاثة اشيا فما نراها ولا اراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخا مع الوفا ورايت في بعض الكتب هذا بعينه محكيا عن الحرث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشمره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها سماع وحكي عن بعضهم انه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا ابو القاسم ابن بنت منيع وابو بكر ابن داود وابن مجاهد في نظرايهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في ان يسمع فقال ابن داود حدثني ابي عن احمد بن حنبل انه كره السماع وكان ابي يكرهه وانا على مذهب ابي فقال ابو القاسم ابن بنت منيع اما جدي احمد بن بنت منيع فحدثني عن صالح بن احمد ان اباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن داود دعني انت من ابيك وقال لابن بنت منيع دعني انت من جدك اي شي تقول يا ابا بكر فيمن انشد بيت شعر اهو حرام فقال ابن داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان انشده وقصر منه الممدود ومد المقصور يحرم عليه قال انا لم اقو لشيطان واحد فكيف اقوى لشيطانين قال وكان ابو الحسن العسقلاني الاسود من الاوليا يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه وحكي عن بعض الشيوخ انه قال رايت ابا العباس الخضر عليه السلام فقلت ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفا الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء وحكي عن ممشاد الدينوري انه قال رايت النبي عليه السلام في النوم فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيا فقال ما انكر منه شيا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقران ويختمون بعده بالقران وحكي عن طاهر بن بلال الهمداني الوراق وكان من اهل العلم انه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرايت يوما طايفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرايت النبي عليه السلام تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه ابو بكر الصديق واذا ابو بكر يقول شيا من القول والنبي يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد لذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي ان انكر على اوليك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله يستمع وابو بكر يقول فالتفت الي رسول الله وقال هذا حق بحق او قال حق من حق انا اشك فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطايفة في ثلاثة مواضع عند الاكل لانهم لا ياكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون في مقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له ايوتى به يوم القيامة في جملة حسناتك او سياتك فقال لا في الحسنات ولا في السيات لانه شبيه باللغو قال سبحانه لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق بالتقليد فمهما استقصى تعارضت عنده الاقاويل فيبقى متحيرا او مايلا الى بعض الاقاويل بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي ان يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره

بيان الدليل على اباحة السماع

اعلم ان قول القايل

السماع حرام معناه ان الله يعاقب عليه وهذا الامر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة
في النص والقياس على المنصوص واعني بالنص ما اظهره عليه السلام بقوله او فعله وبالقياس المعنى المفهوم من الفاظه
وافعاله فان لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات
ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن ادلة المائلين الى التحريم ومهما تم الجواب عن ادلتهم كان ذلك
مسلكا كافيا في اثبات هذا الغرض بل لكن نستفتح ونقول قد دل القياس والنص جميعا على اباحته اما القياس
فهو ان الغنا اجتمع فيه معان ينبغي ان يبحث عن افرادها ثم عن مجموعها فان فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم
المعنى محرك للقلب فالوصف الاعم انه صوت طيب ثم الطيب ينقسم الى الموزون وغيره والموزون ينقسم الى المفهوم
كالاشعار والى غير مفهوم كاصوات الجمادات وسائر الحيوانات اما سماع الصوت الطيب من حيث انه طيب
فلا ينبغي ان يحرم بل هو حلال بالنص والقياس اما القياس فهو انه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص
به فللانسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة ادراك وفي مدركات تلك الحواس ما يستلذ فلذة النظر في المبصرات
الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الالوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الالوان
الكدرة القبيحة وللشم الروايح الطيبة وهي في مقابلة الانتان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة
والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة والمزازة المستبشعة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في
مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة وكذلك الاصوات
المدركة بالسمع تنقسم الى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها فما اظهر
قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها واما النص فيدل على اباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله
سبحانه على عباده اذ قال يزيد في الخلق ما يشاء فقيل هو حسن الصوت وفي الحديث ما بعث الله نبيا الا
حسن الصوت وقال عليه السلام لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقران من صاحب القينة الى قينته
وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور
حتى كان يجتمع الانس والجن والوحش والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه اربع مائة جنازة وما يقرب منها
في الاوقات وقال عليه السلام في مدح ابي موسى الاشعري لقد اعطي مزمارا من مزامير آل داود وقال
سبحانه ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز ان يقال انما ابيح ذلك
بشرط ان يكون في القران للزمه ان يحرم صوت العندليب لانه ليس يقرا القران واذا جاز سماع صوت غفل لا
معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة وان من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت
من حيث انه طيب حسن الدرجة **الثالثة** النظر في الصوت الطيب الموزون فان الوزن وراء الحسن فكم
من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب والاصوات الموزونة باعتبار مخارجها
ثلاثة فانها اما ان تخرج من جماد كصوت المزامير والاوتار وصوت القضيب والطبل وغيره واما ان تخرج من
حنجرة حيوان وذلك الحيوان اما انسان واما غيره فصوت العنادل والقماري وذوات السجع من الطيور
مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها والاصل في الاصوات حناجر الحيوانات
وانما وضعت المزامير على صوت الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة وما من شيء توصل اهل الصناعات بصناعتهم
الى تصويره الا وله مثال في الخلقة التي استاثر الله سبحانه باختراعها فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء
وشرح ذلك يطول فسماع هذه الاصوات يستحيل ان يحرم لكونها طيبة او موزونة فلا ذاهب الى تحريم صوت
العندليب وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغي ان يقاس على صوت العندليب
الاصوات الخارجة من سائر الاجسام باختيار الادمي كالذي يخرج من حلقه او من القضيب والطبل والدف وغيره ولا يستثنى الخارجة
من هذه الا الملاهي والاوتار والمزامير اذ ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها اذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به
الانسان ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الامر في الابتدا الى كسر
الدنان فحرم معها ما هو شعار اهل الشرب وهي الاوتار والمزامير فقط وكان تحريمها من قبيل الاتباع كما حرمت

الخلوة

الخلوة لانها مقدمة الجماع وحرم النظر الى الفخذ لاتصاله بالسوءتين وحرم قليل الخمر وان كان لا يسكر لانه
يدعو الى السكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له
وحظارا مانعا حوله كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فهي محرمة تابعة لتحريم الخمر
لثلاث علل **احداها** انها تدعو الى شرب الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر
الثانية انها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الانس بالشرب فهي سبب الذكر والذكر سبب انبعاث
الشوق وانبعاث الشوق اذا قوي فهو سبب الاقدام ولهذه العلة نهي عن الانتباذ في المزفت والحنتم وفي الاواني
التي كانت مخصوصة بها بعينها فان مشاهدة صورتها تذكر بها وهذه العلة تفارق الاولى اذ ليس فيها اعتبار
لذة في الذكر اذ لا لذة في رؤية القنينة واواني الشرب لكن من حيث التذكر بها فان كان يذكر الشرب تذكيرا يشوق
الى الخمر عند من الف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع لخصوص هذه العلة فيه **الثالثة** الاجتماع عليها
لما ان صارت من عادة اهل الفسق فيمنع من التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة نقول
بترك السنة مهما صارت شعارا لاهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهي
طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها من عادة المخنثين ولولا ما في ذلك من التشبه لكان مثل
طبل الحجيج والغزو وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا واحضروا آلات الشرب واقداحه وصبوا
فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فياخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم
بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك وان كان المشروب مباحا في نفسه لان فيه تشبها باهل الفساد بل لهذا ينهى عن
لبس القباء وترك الشعر على الراس قزعا في بلاد صار القباء فيها من لباس اهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء
النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والرباب
والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب
وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب لان كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر
بها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بارباها فلم يكن في معناها فبقي على اصل الاباحة قياسا على اصوات الطير
وغيرها بل اقول سماع الاوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام ايضا وبهذا يتبين انه ليس العلة
في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله فساد قال سبحانه قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده الاية فهذه الاصوات لا تحرم من حيث انها اصوات موزونة وانما تحرم لعارض آخر
كما سياتي في العوارض المحرمة **الدرجة الثالثة** الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج
الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحته لانه ما زاد الا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب
الموزون غير حرام فاذا لم يحرم الاحاد فمن اين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محظور
حرم نثره ونظمه وحرم التصويت به سواء كان بالحان او لم يكن فيه الحان والحق فيه ما قال الشافعي اذ قال
الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت والحان جاز مع الالحان فان افراد
المباحات اذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا ومهما انضم مباح الى مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محظورا لا
تتضمنه الاحاد ولا محظور ههنا وكيف ينكر انشاد الشعر وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عليه السلام ان من الشعر لحكمة **وانشدت** عائشة رضي الله عنها
ذهب الذين يعاش في اكنافهم ◦ وبقيت في خلف كجلد الاجرب ◦ وروي في الصحيحين عن عائشة
انها قالت لما قدم عليه السلام المدينة وعك ابو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت يا ابه كيف تجدك ويا بلال كيف
تجدك فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول ◦ كل امرئ مصبح في اهله ◦ والموت ادنى من شراك نعله ◦
وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول ◦ الا ليت شعري هل ابيتن ليلة ◦ بواد وحولي اذخر وجليل
وهل اردن يوما مياه مجنة ◦ وهل يبدون لي شامة وطفيل ◦ قالت عائشة فاخبرته عليه السلام فقال
اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وقد كان عليه السلام ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول هذا الحمال

لاحمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر وقال ايضا مرة اخرى اللهم ان العيش عيش الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة وهذا في الصحيحين وكان عليه السلام يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن النبي وينافح ويقول عليه السلام ان الله ليؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله ولما انشد النابغة شعره قال لا يفضض الله فاك وقالت عايشة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون عنده الاشعار وهو يتبسم وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت عليه السلام مائة قافية من قول امية بن ابي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال ان كاد في شعره ليسلم وعن انس انه عليه السلام كان يحدى له في السفر وان انجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال عليه السلام يا انجشه كيف سوقك بالقوارير ولم يزل الحدا ورا الجمال من عادة العرب في زمنه عليه السلام وزمان الصحابة وما هو الا اشعار تودى باصوات طيبة والحان موزونة ولم ينقل عن احد من الصحابة انكاره بل كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز ان يحرم من حيث انه كلام مفهوم موزون مستلذ يودى باصوات طيبة والحان موزونة **الدرجة الرابعة** النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فاقول لله سبحانه سر في مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتى انها لتؤثر فيها تاثيرا عجيبا فمن الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والراس ولا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتاثيره مشاهد في الصبي في مهده فانه يسكنه الصوت الطيب عن بكايه وينصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحدا تاثرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراها اذا طالت عليها البوادي واعتراها الاعيا والكلال تحت المحامل اذا سمعت منادي الحدا تمد اعناقها وتصغي الى الحادي ناصبة اذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع احمالها ومحاملها وربما تتلف انفسها في شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى ابو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبايل العرب فاضافني رجل منهم فادخلني خباه فرايت في الخبا عبدا اسود مقيدا بقيد ورايت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كانه ينزع روحه فقال لي الغلام انت ضيف ولك حق فتشفع في الى مولاي فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فعساه يحل القيد عني قال فلما احضروا الطعام امتنعت وقلت لا اكل ما لم اشفع في هذا العبد فقال ان هذا العبد قد افقرني واهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال ان له صوتا طيبا واني كنت اعيش من ظهور هذه الجمال فحملها احمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلثة ايام في ليلة من طيب نغمته فلما حطت عنها احمالها ماتت كلها الا هذا الجمل الواحد ولكن انت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فاحببت ان اسمع صوته فلما اصبحنا امره ان يحدو على جمل يستقي الماء من بير هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت انا على وجهي فما اظن اني سمعت صوتا اطيب منه فاذا تاثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مايل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زايد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على ساير البهايم فان جميعها يتاثر بالنغمات الموزونة ولذلك كانت الطير تقف على راس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تاثيره في القلوب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالاحوال والاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال ابو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه لكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لاغراض مخصوصة ترتبط بها اثار في القلب وهي سبعة مواضع **الاول** غنا الحجيج فانهم يدورون اولا في البلاد بالطبل والشاهين والغنا وذلك مباح لانها اشعار ترتبط بوصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وساير المشاعر ووصف البادية وغيرها وتاثير ذلك يهيج الشوق الى حج بيت الله واشتعال نيرانه ان كان ثم شوق حاصل او استثارة الشوق واجتلابه ان لم يكن حاصلا واذا كان الحج قربة والشوق اليه محمود كان

الشوق

التشويق اليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ ان ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس الى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فان الوزن اذا انضاف الى السجع صار الكلام اوقع في القلب فاذا اضيف اليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فان اضيف اليه الطبل والشاهين وحركات الايقاع زاد التاثير وكل ذلك جايز ما لم يدخل فيه المزامير والاوتار التي هي شعار الاشرار نعم ان قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج الى الحج كالذي اسقط الفرض عن نفسه ولم ياذن له ابواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه الى الخروج بالسماع وبكل كلام يشوق الى الخروج وكذا اذا كانت الطرق غير امنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق **الثاني** ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك ايضا مباح كما للحاج ولكن ينبغي ان تخالف اشعارهم وطرق الحانهم لان استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالاضافة اليه بالاشعار المشجعة مثل **قول المتنبي** فالا تمت تحت السيوف تكرما تمت وتقاسي الذل غير مكرم **وقوله** ترى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللييم وامثال ذلك وطرق الاوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة فهذا ايضا مباح في وقت يباح فيه الغزو ومندوب اليه في وقت يستحب فيه الغزو ولكن في حق من يجوز له الخروج الى الغزو **الثالث** الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقا وفيه المدح بالشجاعة والنجدة وذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب وكان اوقع في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين واهل الذمة وكل قتال محظور لان تحريك الدواعي الى المحظور محظور وكل منقول عن شجعان الصحابة كعلي وخالد وغيرهما ولذلك نقول ينبغي ان يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فان صوته يرقق ويحزن فيحل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق الى الاهل والوطن ويورث الفتور في القتال وكذلك ساير الاصوات والالحان المرققة للقلب فالالحان المرققة للقلب المحزنة تباين الالحان المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتغيير الاراء عن القتال المندوب فهو عاص ومن فعله على قصد التغيير عن القتال المحظور فهو بذلك مطيع **الرابع** اصوات النياحة ونغماتها وتاثيرها في تهييج الحزن والبكا وملازمة الكابة والحزن وهي قسمان محمود ومذموم اما المذموم فكالحزن على ما فات قال الله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والحزن على الاموات من هذا القبيل فانه تسخط لقضا الله سبحانه وتاسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما ولذلك ورد النهي الصريح عن النياحة واما الحزن المحمود فهو حزن الانسان على تقصيره في امور دينه وبكاه على خطاياه والبكا والتباكي والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكا ادم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لانه يبعث على التشمير للتدارك ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة اذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكا بسبب الخطايا والذنوب فقد كان عليه السلام يحزن ويبكي حتى كانت الجنايز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بالفاظه والحانه وذلك محمود لان المفضي الى المحمود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت ان ينشد على المنبر بالحانه الاشعار المحزنة المرققة للقلب ولا ان يبكي ويتباكى ليتوصل بذلك الى تبكية غيره واثارة حزنه **الخامس** السماع في اوقات السرور تاكيدا للسرور وتهييجا له وهو مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغنا في ايام الاعياد وفي العرس وفي وقت قدوم الغايب وفي الوليمة ووقت العقيقة وذلك عند ولادة الولد وعند ختانه وعند حفظه للقران فكل ذلك معتاد لاظهار السرور ووجه جوازه ان من الالحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز اثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل انشادهم بالدف والالحان عند قدومه عليه السلام طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع فهذا اظهار السرور لقدومه عليه السلام وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات ايضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا في سرور اصابهم كما سياتي في احكام الرقص وهو جايز في قدوم كل قادم يجوز الفرح

به وفي كل سبب مباح من اسباب السرور ٭ ويدل على هذا ما روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت رايته عليه السلام يسترني بردائه وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد حتى اكون انا الذي اسامه فاقدروا
قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو اشارت الى طول مدة وقوفها ٭ وروى البخاري ومسلم في حديث
عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في ايام منى يدففان ويضربان
والنبي عليه السلام متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف النبي عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد
وقالت عائشة رايته عليه السلام يسترني وانا انظر الى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر فقال عليه
السلام امنا بني ارفدة يعني من الامن ٭ وفي حديث عمرو بن الحرث عن ابن شهاب نحوه وفيه يغنيان ويضربان
وفي حديث ابي الطاهر عن ابن وهب والله لقد رايته عليه السلام يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم
في مسجد رسول الله وهو يسترني بردائه لكي انظر الى لعبهم ثم يقوم من اجلي حتى اكون انا الذي انصرف ٭ وروي
عن عائشة قالت كنت العب بالبنات عنده عليه السلام وكان ياتيني صواحب لي وكن يتقنعن من رسول الله وكان
يسربهن الي فيلعبن معي ٭ وفي رواية انه عليه السلام قال لها ما هذا قالت بناتي قال فما هذا الذي ارى في وسطهن
قالت فرس قال ما هذا عليه قالت جناحان فقال فرس له جناحان قالت او ما سمعت انه كان لسليمان بن داود
خيل لها اجنحة قالت فضحك حتى بدت نواجذه والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ اللعب من الخرق
والرقاع من غير تكميل صورة بدليل ما روي في بعض الروايات ان الفرس كان له جناحان من رقاع ٭ وقالت عائشة
دخل علي عليه السلام وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل ابو بكر
فانتهرني وقال مزمار الشيطان عند رسول الله فاقبل عليه رسول الله وقال دعهما فلما غفل غمزتهما
فخرجتا وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما سالت رسول الله واما قال اتشتهين
تنظرين فقلت نعم فاقامني وراءه وخدي على خده ويقول دونكم يا بني ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم
قال فاذهبي ٭ وفي صحيح مسلم فوضعت راسي على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا الذي انصرف فهذه
الاحاديث كلها في الصحيحين وهي نص صريح في ان الغناء واللعب ليس بحرام وفيها دلالة بينة على انواع من الرخص
الاول اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب ٭ والثاني فعل ذلك في المسجد ٭ والثالث قوله عليه
السلام دونكم يا بني ارفدة وهو امر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حراما ٭ الرابع منعه لابي بكر من الانكار
والتغيير وتعليله بانه يوم عيد اي هو وقت سرور وهذا من اسباب السرور ٭ الخامس وقوفه عليه
السلام طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة وفيه دليل على ان حسن الخلق في تطييب قلوب النساء
والصبيان بمشاهدة اللعب احسن من خشونة الزهد والتقشف في الامتناع والمنع منه ٭ السادس قوله
عليه السلام ابتداء لعائشة اتشتهين ان تنظري ولم يكن عن اضطرار الى مساعدة الاهل خوفا من غضب
او وحشة فان الالتماس اذا سبق ربما كان الرد سبب الوحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فاما
ابتداء السؤال فلا حاجة فيه ٭ السابع الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع انه شبهه ذلك بمزمار
الشيطان وفيه بيان ان المزمار المحرم غير ذلك ٭ الثامن انه عليه السلام كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو
مضطجع ولو كان يضرب بالاوتار في موضع لما جوز الجلوس ثم ليقرع صوت الاوتار سمعه فيدل على هذا
على ان صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير ثم انما يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص
تدل على اباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر الى رقص الحبشة والزنوج
في اوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فانه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة
والختان ويوم القدوم من السفر وساير اسباب الفرح وهو كل ما يجوز الفرح به شرعا ويجوز الفرح بزيارة
الاخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام او كلام فهو ايضا مظنة السماع ٭ السادس
سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس فان كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تاكيد
اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق وان كان ايضا فيه نوع لذة اذا انضاف اليه رجاء الوصال

فان الرجاء لذيذ والياس مولم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء المرجو ففي هذا السماع
تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال مع الاطناب في وصف حسن المحبوب وهذا حلال
ان كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته او سريته فيصغي الى غنائها لتتضاعف لذته في لقائها
فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع الاذن ويفهم لطايف معاني الوصال والفراق القلب فتترادف اسباب اللذة
فهذا نوع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وهذا منه ٭ وكذلك ان
غصبت منه جارية او حيل بينه وبينها لسبب من الاسباب فله ان يحرك بالسماع شوقه وان يستثير به لذة رجاء
الوصال فان باعها او طلقها حرم عليه ذلك بعد اذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصل واللقاء
واما من يتمثل في نفسه صورة صبي او امراة لا يحل له النظر اليها وكان ينزل ما يسمع على ما يتمثل في نفسه فهذا حرام
لانه محرك للفكر في الافعال المحظورة ومهيج للداعية الى ما لا يباح الوصول اليه واكثر العشاق والسفهاء من
الشباب في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن اضمار شيء من ذلك وذلك ممنوع في حقهم لما فيهم من الداء الدفين
لا لامر يرجع الى نفس السماع ولذلك سيل بعض الحكماء عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ الانسان يزيله
الجماع ويهيجه السماع ٭ السابع سماع من احب الله سبحانه وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شيء الا راه
فيه ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه او فيه فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه ووجده ومور زناد
قلبه ومستخرج منه احوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل
حسه عن ذوقها وتسمى تلك الاحوال بلسان الصوفية وجدا ماخوذا من الوجود والمصادفة اي صادف
من نفسه احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الاحوال اسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها
فتنقيه عن الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات
ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله سبحانه ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفضي اليها من جملة القربات لا من جملة
المعاصي والمباحات وحصول هذه الاحوال للقلب بالسماع سببه سر لله في مناسبة النغمات الموزونة للارواح
وتسخير الارواح لها وتاثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب في تاثر الارواح
بالاصوات من دقايق علوم المكاشفات والبليد الجامد القاسي المحروم من لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع
ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبي
من لذة الرياسة واتساع اسباب الجاه وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله ومعرفة جلاله وعظمته وعجايب صنعته
ولكل ذلك سبب واحد وهو ان اللذة نوع ادراك والادراك يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة فمن لم
تكمل قوة ادراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الالحان
من فقد السمع او لذة المعقولات من فقد العقل فكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت الى
السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب من فقدها عدم لا محالة لذته ولعلك تقول كيف يتصور العشق في
حق الله سبحانه حتى يكون السماع محركا له فاعلم ان من عرف الله احبه لا محالة ومن تاكدت معرفته تاكدت
محبته بقدر تاكد معرفته والمحبة اذا تاكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا محبة مؤكدة مفرطة ٭ ولذلك
قالت العرب ان محمدا قد عشق ربه لما راوه يتخلى للعبادة في جبل حراء ٭ واعلم ان كل جمال محبوب عند مدرك
ذلك الجمال والله جميل يحب الجمال ولكن الجمال ان كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون ادرك بحاسة البصر
وان كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والاخلاق وارادة الخيرات لكافة
الخلق وافاضتها عليهم على الدوام الى غير ذلك من الصفات الباطنة ادرك بحاسة القلب ولفظ الجمال
قد يستعار ايضا لها فيقال ان فلانا جميل وحسن ولا يراد صورته وانما يعنى به انه جميل الاخلاق محمود
الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما تحب الصورة الظاهرة
وقد تتاكد هذه المحبة فتسمى عشقا وكم من الغلاة في حب ارباب المذاهب كالشافعي ومالك وابي حنيفة
حتى بذلوا اموالهم وارواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدون على كل عاشق في الغلو والمبالغة

ومن العجب ان يعقل عشق شخص لم يشاهد قط صورته اجميل هو ام قبيح وهو الان ميت ولكن لجمال صورته الباطنة
وسيرته الرضية والخيرات الحاصلة من علمه لاهل الدين وغير ذلك من الخصال ثم لا يعقل عشق من لا خير ولا جمال
ولا محبوب في العالم الا وهو حسنة من حسناته واثر من اثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في
العالم ادرك بالعقول والابصار والاسماع وساير الحواس من مبتدا العالم الى منقرضه ومن ذروة الثريا
الى منتهى الثرى فهو ذرة من خزاين قدرته ولمعة من انوار حضرته فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه
وكيف لا يتاكد عند العارفين باوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون اطلاق اسم العشق عليه ظلما في حقه لقصوره عن
الانباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الابصار باشراق نوره ولولا
احتجابه بسبعين حجابا من نوره لاحرقت سبحات وجهه ابصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا ان ظهوره سبب
خفايه لبهتت القلوب ودهلت العقول وتخاذلت القوى وتناثرت الاعضا ولو ركبت القلوب من الحجارة
والحديد لاصبحت تحت مبادي انوار تجليه دكا دكا فانى يطيق كنه نور الشمس ابصار الخفافيش وسياتي تحقيق
هذه الاشارة في كتاب المحبة ويتضح ان محبة غير الله قصور وجهل بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله اذ ليس في
الوجود تحقيقا الا الله وافعاله ومن عرف الافعال من حيث انها افعال فلم يجاوز معرفة الفاعل الى غيره فمن عرف
الشافعي وعلمه وتصنيفه من حيث انه تصنيفه لا من حيث انه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة
عربية فقد عرفه ولم يجاوز معرفته الشافعي الى غيره ولا جاوزت محبته الى غيره وكل موجود سوى الله سبحانه فهو تصنيف
الله وفعله وبديع افعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله فراى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حيث التصنيف
فضل المصنف وجلالة قدره كانت محبته ومعرفته مقصورة على الله سبحانه غير مجاوزة الى سواه ومن حد
هذا العشق انه لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة اذ كل محبوب سواه فيتصور له نظير
اما في الوجود واما في الامكان فاما هذا الجمال فلا يتصور له ثان في الامكان ولا في الوجود فكان اسم
العشق على حب غيره مجاز محض لا حقيقة له نعم الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظ
العشق الا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الاجسام وقضا شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغي
ان لا يستعمل معه لفظة العشق والشوق والوصال والانس بل يجنب هذه الالفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة
النرجس والريحان ويخص بالقت والحشيش واوراق القضبان فان الالفاظ انما يجوز اطلاقها في حق الله سبحانه
اذا لم يكن موهمه معنى يجب تقديس الله عنه والاوهام تختلف باختلاف الافهام فلتتنبه لهذه الدقيقة في
امثال هذه الالفاظ بل لا يبعد ان ينشا من مجرد السماع لصفات الله سبحانه وجد غالب ينقطع بسببه نياط
القلب فقد روى ابو هريرة عنه عليه السلام انه ذكر غلاما كان في بني اسرايل على جبل فقال لامه من خلق
السموات قالت الله قال فمن خلق الارض قالت الله قال فمن خلق الجبال قالت الله قال فمن خلق الغيم قالت الله فقال
اني اسمع لله شانا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع وهذا كانه سمع ما دل على جلال الله وتمام قدرته فطرب لذلك
ووجد في نفسه من الوجد ما وجد وما انزلت الكتب الا ليطربوا بذكر الله سبحانه ورايت في الانجيل غنينا
لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا اي شوقناكم لذكر الله فلم تشتاقوا فهذا ما اردنا ان نذكره من اقسام
السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع اباحته في بعض المواضع والندب اليه في بعض المواضع
فان قلت وهل له حالة يحرم فيها فاقول انه يحرم بخمسة عوارض عارض في المسمع وعارض
في آلة الاسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس المستمع او في مواظبته لان اركان السماع هي المسمع
والمستمع وآلة الاسماع العارض **الاولى** ان يكون المسمع امراة لا يحل النظر اليها وتخشى الفتنة من سماعها
وفي معناها الصبي الذي تخشى فتنته وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لاجل الغنا بل لو كانت
المراة بحيث يفتتن بصوتها في المحاورة من غير الحان فلا يجوز محادثتها ولا سماع صوتها في القران ايضا وكذا
الصبي الذي يخاف فتنته **فان قلت** فهل تقول ان ذلك حرام بكل حال حسما للباب او لا يحرم الا
حيث يخاف الفتنة فاقول هذه مسالة محتملة من حيث الفقه تجاذبها اصلان **احدهما** ان الخلوة

الاجنـ

بالاجنبية والنظر الى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة او لم تخف لانها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع
بحسم الباب من غير التفات الى الصور **والثاني** ان النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة فلا يلحق
الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال وصوت المراة داير بين هذين الاصلين فان قسناه على النظر
اليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق اذ الشهوة تدعو الى النظر في اول هيجانها ولا
تدعو الى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو اشد وصوت المراة في غير
الغنا ليس بعورة فلم تزل النسا في زمن الصحابة يكلمن الرجال في السلام والاستفتا والسوال والمشاورة
وغير ذلك ولكن للغنا مزيد اثر في تحريك الشهوة فقياس هذا على النظر الى الصبيان اولى لانهم لم يومروا بالاحتجاب
كما لم يومر النسا بستر الاصوات فينبغي ان يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم على ذلك هذا هو الاقيس عندي ويتايد
بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عايشة اذ يعلم انه عليه السلام كان يسمع اصواتهما ولم يحترز منهما ولكن لم
تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فاذا يختلف هذا باحوال المراة واحوال الرجل من كونه شابا او شيخا
ولا يبعد ان يختلف الامر في مثل هذا بالاحوال فانا نقول للشيخ ان يقبل زوجته وهو صايم وليس للشاب
ذلك لان القبلة تدعو الى الوقاع في الصوم وهو محظور والسماع يدعو الى النظر والمقاربة وذلك حرام
فيختلف ذلك ايضا بالاشخاص العارض **الثاني** في الالة بان تكون من شعار اهل الشرب او المخنثين وهي المزامير
والاوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة انواع وما عداها يبقى على اصل الاباحة كالدف وان كان فيه الجلاجل
وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وساير الالات **العارض الثالث** في نظم الصوت وهو الشعر
فان كان فيه شي من الخنا والفحش والهجو او كذب على الله تعالى او على رسوله عليه السلام او على الصحابة كما رتبه الروافض
في هجو الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بالحان وبغير الحان والمستمع شريك القايل وكذلك ما فيه وصف امراة
بعينها فانه لا يجوز وصف المراة بين يدي الرجال فاما هجو الكفار واهل البدعة فذلك جايز فقد كان حسان بن ثابت
ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجي الكفار وامره عليه السلام بذلك فاما النسيب وهو التشبيب
بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وساير اوصاف النسا فهذا فيه نظر والصحيح انه لا يحرم نظمه
وانشاده بلحن وغير لحن وعلى المستمع ان لا ينزله على امراة معينة وان نزله نزله على من يحل له من زوجته وجاريته
فان نزله على اجنبية فهو العاصي بالتنزيل واجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغي ان يجتنب السماع راسا فان من غلب
عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سوا كان اللفظ مناسبا له او لم يكن اذ ما من لفظ الا ويمكن تنزيله على معان بطريق
الاستعارة فالذي يغلب على قلبه حب الله سبحانه يتذكر بسواد الصدغ مثلا ظلمة الكفر وبنضارة الخدود نور الايمان
ويتذكر الوصال لقا الله وبذكر الفراق الحجاب عن الله في زمرة المردودين وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال
عوايق الدنيا وافاتها المشوشة لدوام الانس بالله سبحانه ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة
بل يسبق المعاني الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ كما روي عن بعض الشيوخ انه مر في السوق فسمع قايلا يقول
الخيار عشرة بحبة فغلبه الوجد فسيل عن ذلك فقال اذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الاشرار واجتاز
بعضهم سمع قايلا يقول يا سعتر بري فغلب عليه الوجد فقيل له على ماذا كان وجدك فقال سمعته كانه يقول
اسع تر بري حتى ان العجمي قد يغلب عليه الوجد على الابيات المنظومة بلغة العرب فان بعض حروفها توازن حروف
العجمية فيفهم منها معاني اخر **انشد بعضهم** وما زارني في الليل الا خياله فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا
فتواجد على ذلك رجل عجمي فسيل عن سبب وجده فقال انه يقول ما زاريم وهو كما يقول فان لفظ زار يدل في
العجمية على المشرف على الهلاك فتوهم انه يقول كلنا مشرفون على الهلاك واستشعر عند ذلك خطر هلاك الاخرة
والمحترق في حب الله وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر ولغته
فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الاخرة فجدير بان يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه
اعضاوه فاذا ليس في تغيير اعيان الالفاظ كبير فايدة بل الذي غلب عليه عشق مخلوق ينبغي ان يحترز من السماع
باي لفظ كان والذي غلب عليه حب الله سبحانه فلا تضره الالفاظ ولا تمنعه من فهم المعاني اللطيفة المتعلقة

بحاري همته الرفيعة **العارض الرابع** في المستمع وذلك بان تكون الشهوة غالبة عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة اغلب عليه من غيرها فالسماع عند ذلك حرام عليه سوا غلب على قلبه حب شخص معين او لم يغلب فانه كيف ما كان فلا يسمع الصدغ والخد والوصال والفراق الا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة ويحرك بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذي هو حزب الله وهو نور العقل والقتال في القلب دايم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله وهو نور العقل الا في قلب قد فتحه احد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فيحتاج ان يستانف اسباب القتال لازعاجها فكيف يجوز تكثير اسلحتها وتشحيذ سيوفها وسنانها والسماع مشحذ لاسلحة جنود الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستضر به **العارض الخامس** ان يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة فيكون في حقه محظورا ولكنه ابيح في حقه كساير انواع اللذات المباحة الا انه ان اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه اكثر اوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فان المواظبة على اللهو جناية وكما ان الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فكذلك بعض المباحات بالمداومة تصير صغيرة وذلك كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر الى لعبهم على الدوام فانه ممنوع وان لم يكن اصله ممنوعا اذ فعله عليه السلام ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج مباح ولكن المواظبة عليه مكروه كراهة شديدة ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك انما يباح لما فيه من ترويح القلب اذ راحة القلب معالجة له في بعض الاوقات لتنبعث دواعيه وتشتغل في ساير الاوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة وفي الدين كالصلاة والقراة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد ولو استوعبت الخيلان الوجه لما اقبح ذلك فيعود الحسن قبحا بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام فهذا المباح كساير المباحات **فان قلت** فقد ادى مساق هذا الكلام الى انه مباح في بعض الاحوال دون بعض فلم اطلقت القول اولا بالاباحة اذ اطلاق القول في المفصل بلا او نعم خلف وخطا فاعلم ان هذا غلط لان الاطلاق انما يمتنع لتفصيل ينشا من عين ما فيه النظر فاما ما ينشا من الاحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الاطلاق الا ترى انا اذا سيلنا عن العسل هو حلال ام لا قلنا انه حلال مع انه حرام على المحرور الذي يستضر به واذا سيلنا عن الخمر قلنا انها حرام مع انها تحل لمن غص بلقمة ان يشربها مهما لم يجد غيرها ولكن هي من حيث انها خمر حرام وانما ابيحت لعارض الحاجة والعسل من حيث انه عسل حلال وانما حرم لعارض الضرورة وما يكون لعارض فلا يلتفت اليه فان البيع حلال ويحرم لعارض الوقوع في وقت الندا يوم الجمعة ونحوه من العوارض فالسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت موزون طيب مفهوم وانما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته واذا انكشف الغطاء عن دليل الاباحة فلا يبالى بمن خالف بعد ظهور الدليل واما الشافعي رحمه الله فليس تحريم الغنا من مذهبه اصلا وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذه صناعة لا تجوز شهادته وذلك لانه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ومن صنعه كان منسوبا الى السفاهة وسقوط المروة وان لم يكن محرما بين التحريم وان كان لا ينسب نفسه للغنا ولا يوتى لذلك ولا ياتي لاجله وانما يعرف بانه قد يطرب في الحال فيترنم فيها لم تسقط هذا مروته ولم يبطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا يغنيان في بيت عايشة ● وقال يونس بن عبد الاعلى سالت الشافعي عن اباحة اهل المدينة للسماع فقال لا اعلم احدا من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان منه في الاوصاف فاما الحدا وذكر الاطلال والمرابع وتحسين الصوت بتحسين الاشعار فمباح وحيث قال انه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو صحيح ولكن اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو ● وقد كان عليه السلام ينظر اليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يواخذ الله به ان عنى به انه فعل لا فايدة فيه فان الانسان لو وظف على نفسه انه يضع يده على راسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فايدة له ولا

يحرم بل قال الله سبحانه لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم فاذا كان ذكر اسم الله على الشي والحالف فيه مع انه لا فايدة فيه لا يواخذ به فكيف يواخذ بالشعر والرقص ● واما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاده تحريمه بل لو قال هو باطل صريحا لما دل على التحريم وانما يدل على خلوه عن الفايدة فالباطل ما لا فايدة له فقول الرجل لزوجته مثلا بعت نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام الا اذا قصد التمليك المحقق الذي منع الشرع منه واما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع التي ذكرناها او ينزل على التنزيه فانه نص على اباحة لعب الشطرنج وذكر اني اكره كل لعب وتعليله يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوي الدين والمروة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه ايضا بل قد ترد الشهادة بالاكل في السوق وما يخرم المروة بل الحياكة مباحة وليس من صنايع ذوي المروة وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة فتعليله يدل على انه اراد بالكراهة التنزيه وهذا ايضا هو الظن بغيره من اكابر الايمة وان ارادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم **بيان حجة القايلين بتحريم السماع والجواب عنها** احتجوا بقوله سبحانه ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي ان لهو الحديث هو الغنا وروت عايشة ان الله سبحانه حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها فنقول اما القينة فالمراد بها الجارية التي تغني للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا ان غنا الاجنبية للفساق ومن يخاف عليه الفتنة حرام وهم لا يقصدون بالفتنة الا ما هو محظور فاما غنا الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل يجوز لغير مالكها عند عدم الفتنة بدليل ما روي في الصحيحين من غنا الجاريتين في بيت عايشة واما شرا لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غنا بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله وهو المراد في الاية ولو قرا القران ليضل به عن سبيل الله لكان حراما **حكي** عن بعض المنافقين انه كان يوم الناس ولا يقرا الا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقتله فالاضلال بالشعر والغنا اولى بالتحريم واحتجوا بقوله سبحانه افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون قال ابن عباس هو الغنا بلغة حمير يعني السمد فنقول ينبغي ان يحرم الضحك وعدم البكا ايضا لان الاية تشتمل على ذلك **فان قيل** ان ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لاسلامهم فهذا ايضا مخصوص باشعارهم وغنايهم في معرض الاستهزا بالمسلمين كما قال سبحانه والشعرا يتبعهم الغاوون واراد به شعرا الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه واحتجوا بما روى عن جابر انه عليه السلام قال كان ابليس اول من ناح واول من تغنى فقد جمع بين النياحة والغنا قلنا لا جرم كما استثني من ذلك نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغنا الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه بل استثني غنا الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغناهم عند قدومه بقولهم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع واحتجوا بما روى ابو امامة عنه عليه السلام انه قال ما رفع احد صوته بغنا الا بعث الله اليه شيطانين على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يمسك قلنا هو منزل على بعض انواع الغنا الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوق فاما ما يحرك الشوق الى الله والسرور بالعيد وحدوث الولد او قدوم الغايب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة والاخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجويز في موضع واحد نص في الاباحة والمنع على الف موضع محتمل للتاويل ومحتمل للتنزيه اما الفعل فلا تاويل له اذ ما حرم فعله انما يحل بعارض الاكراه فقط وما ابيح فعله يحرم لعوارض كثيرة حتى النيات والقصود ● واحتجوا بما روى عقبة بن عامر انه عليه السلام قال كل شي يلهو به الرجل فهو باطل الا تاديبه فرسه ورميه بالقوس وملاعبته امراته قلنا فقوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفايدة وقد يسلم ذلك على ان التلهي بالنظر الى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام بل يلحق بالمحصور قياسا كقوله عليه السلام لا يحل دم امرى مسلم الا باحدى ثلاث فانه يلحق به رابع وخامس فكذلك ملاعبته امراته لا فايدة له الا التلذذ وفي هذا دليل على ان التفرج في البساتين وسماع اصوات الطير وانواع المداعبات مما يلهو به الرجل

لا يحرم شيئا منها وان جاوز وصفه بانه باطل واحتجوا بقول عثمان ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري
بيميني منذ بايعت بها رسول الله قلنا فليكن التمني ومس الذكر باليد اليمنى حراما ان كان هذا دليل تحريم الغناء فمن اين ثبت
ان عثمان كان لا يترك الا الحرام واحتجوا بقول ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ورفعه
بعضهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح قالوا ومر على ابن عمر قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال
الا لا اسمع الله لكم الا لا اسمع الله لكم وعن نافع انه قال كنت مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه
في اذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع اتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج اصبعيه وقال هكذا رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم صنع ۝ وقال الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا وقال بعضهم الغناء رائد من رواد الفجور
وقال يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر
فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا فنقول قول ابن مسعود ينبت النفاق اراد به في حق
المغني فانه في حقه ينبت النفاق اذ غرضه كله ان يعرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتودد الى
الناس ليرغبوا في غنائه وذلك ايضا لا يوجب تحريما فان لبس الثياب الجميلة وركوب الخيول المهملجة وسائر انواع الزينة
والتفاخر بالحرث والانعام والزرع ينبت الرياء والنفاق في القلب ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في
ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق اكثر تاثيرا ولذلك نزل عمر عن فرس هملج تحته
وقطع ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته فهذا النفاق من المباحات واما قول ابن عمر الا لا اسمع الله لكم
فلا يدل على التحريم من حيث انه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من مخايلهم ان سماعهم لم
يكن لوجد وشوق الى زيارة بيت الله بل لمجرد اللهو فانكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالاضافة الى حالهم وحال
الاحرام وحكايات الاحوال يكثر فيها وجوه الاحتمال واما وضعه اصبعيه في اذنيه فيعارضه انه لم يامر نافعا
بذلك ولا انكر سماعه وانما فعل هو ذلك لانه راى ان ينزه سمعه في الحال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو
ويمنعه عن فكر كان فيه او ذكر هو اولى منه وكذلك فعله عليه السلام مع انه لم يمنع ابن عمر لا يدل ايضا على التحريم
بل يدل على ان الاولى تركه ونحن نرى ان الاولى تركه في اكثر الاحوال بل اكثر مباحات الدنيا الاولى تركها اذا علم
ان ذلك يؤثر في القلب فقد خلع عليه السلام بعد الفراغ من الصلاة ثوب ابي جهم اذ كانت عليه اعلام
شغلت قلبه افترى ان ذلك يدل على تحريم الاعلام على الثوب فلعله عليه السلام كان في حالة كان صوت زمارة الراعي
تشغله عن تلك الحالة كما شغله العلم عن الصلاة بل الحاجة الى استثارة الاحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع
قصور بالاضافة الى من هو دائم الشهود للحق وان كان كمالا بالاضافة الى غيره ولذلك قال الحصري ماذا
اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى ان السماع من الله سبحانه هو الدائم فالانبياء على الدوام في
لذة السمع والشهود فلا يحتاجون الى التحريك بالحيلة ۝ واما قول الفضيل هو رقية الزنا وكذلك ما عداه من
الاقوال القريبة منه فهو منزل على سماع الفساق المغتلمين من الشباب ولو كان ذلك عاما لما سمع من
الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما القياس فغايته ما يذكر فيه ان يقاس على الاوتار وقد
سبق الفرق او يقال هو لعب ولهو وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لعب ولهو قال عمر لزوجته انما انت لعبة
في زاوية البيت وجميع الملاعبة مع النساء لهو الا الحراثة التي هي سبب لوجود الولد وكذلك المزح الذي لا
فحش فيه حلال نقل ذلك عنه عليه السلام وعن الصحابة كما سياتي تفصيله في كتاب آفات اللسان واي لهو
يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم وقد ثبت النص باباحته على اني اقول اللهو مروح للقلب ومخفف عنه
اعباء الفكر والقلوب اذا اكرهت عميت وترويحها اعانة لها على الجد فالمواظب على التفقه مثلا ينبغي ان يتعطل يوم الجمعة
لان عطلة يوم تبعث على النشاط في سائر الايام والمواظب على نوافل الصلاة في سائر الاوقات ينبغي ان يتعطل في بعض الاوقات
ولاجله كرهت الصلاة في بعض الاوقات فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد ولا يصبر على الجد المحض والحق المر
الا نفوس الانبياء صلوات الله عليهم فاللهو دواء للقلب من داء الاعياء والملال فينبغي ان يكون مباحا ولكن لا
ينبغي ان يستكثر من الدواء فاذا اللهو على هذه النية يصير قربة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة

يطلب

يطلب تحريكها بل ليس له الا اللذة والاستراحة المحضة فينبغي ان يستحب له ذلك ليتوصل به الى المقصود الذي
ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال بل الكامل هو الذي لا يحتاج ان يروح نفسه بغير الحق ولكن
حسنات الابرار سيئات المقربين ومن احاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها لسياقتها الى الحق علم قطعا ان
ترويحها بامثال هذه الامور دواء نافع لا غنى عنه

الباب الثاني

في آثار السماع وآدابه ۝ اعلم ان درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر الفهم الوجد
ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلاثة **المقام الاول** في الفهم وهو يختلف
باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربع احوال **احدها** ان يكون سماعه بمجرد الطبع اي لا حظ له في السماع الا
استلذاذ الالحان والنغمات وهذا مباح وهو اخس رتب السماع اذ الابل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم بل لا
يستدعي هذا الذوق الا الحياة فلكل حيوان نوع تلذذ بالاصوات الطيبة **الحالة الثانية** ان يسمع بفهم
ولكن ينزله على صورة مخلوق اما معين واما غير معين وهو سماع الشباب وارباب الشهوات ويكون تنزيلهم
للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى احوالهم وهذه الحالة اخس من ان نتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي
عنها **الثالثة** ان ينزل ما يسمعه على احوال نفسه في معاملته لله وتقلب احواله في التمكن مرة والتعذر
اخرى وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين فان للمريد لا محالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة الله ولقاؤه
والوصول اليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مثابر
عليها وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب او خطاب او قبول او رد او وصل او هجر او قرب
او بعد او تلهف على فائت او تعطش الى منتظر او شوق الى وارد او طمع او ياس او وحشة او استيناس او وفاء
بالوعد او نقض للعهد او خوف فراق او فرح وصال او ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب او هطول العبرات
او ترادف الحسرات او طول الفراق او عزة الوصال او غير ذلك مما يشتمل على وصفه الاشعار فلا بد ان يوافق
بعضها حال المريد في طلبه فيجري ذلك مجرى القدح الذي يوري زناد قلبه ويشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث
الشوق وهيجانه وتهجم بسببه عليه احوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب في تنزيل الالفاظ على
احواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذي فهم في اقتباس المعاني
منه حظ ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم امثلة كيلا يظن الجاهل ان المستمع لابيات فيها ذكر الفم والخد
والصدغ انما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا الى ذكر كيفية فهم المعاني من الابيات ففي حكايات اهل السماع ما
يكشف عن ذلك فقد حكي ان بعضهم سمع قائلا يقول قال الرسول غدا نزور فقلت تعقل ما تقول فاستفزه
القول واللحن وتواجد وجعل يكرر ذلك وجعل مكان الياء نونا فيقول قال الرسول غدا نزور حتى غشي عليه
من شدة الفرح واللذة والسرور فلما افاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قوله عليه السلام ان اهل
الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة ۝ وحكى الرقي عن ابن الدراج انه قال كنت انا وابن الفوطي مارين على
دجلة بين البصرة والابلة واذا بقصر حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول كل يوم تتلون
غير هذا بك اجمل واذا شاب تحت المنظرة بيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال يا جارية بالله وبحياة مولاك
الا اعدت علي هذا البيت فاعادت فكان الشاب يقول والله هذا تلوني مع الحق في حالي وشهق شهقة فمات
قال فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية انت حرة لوجه الله قال ثم خرج اهل البصرة وصلوا
عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر اشهدكم ان كل شيء لي في سبيل الله وكل جواري احرار وهذا القصر
للسبيل قال ثم رمى بثيابه واتزر بازار وارتدى باخر ومر على وجهه والناس ينظرون اليه حتى غاب عن اعينهم
وهم يبكون فلم يسمع له بعد هذا خبر والمقصود ان هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله ومعرفته عجزه
عن الثبوت على حسن الادب في المعاملة وتاسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق
حاله سمعه من الله سبحانه كانه يخاطبه ويقول له كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل ومن كان سماعه من الله سبحانه
وعلى الله وفيه فينبغي ان يكون قد احكم قانون العلم في معرفة الله ومعرفة صفاته والا خطر له في السماع في

حق الله ما يستحيل عليه ويكفر به ففي سماع المريد المبتدي خطر الا اذا لم ينزل ما يسمع الا على حالة من
حيث لا يتعلق بوصف الله ومثال الخطا في ذلك مثال هذا البيت بعينه لو سمعه في نفسه وهو مخاطب به ربه
تعالى فيضيف التلون الى الله فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل
ساقه اليه نوع من التحقيق وذلك بان يرى تقلب احوال قلبه بل تقلب سائر احوال العالم من الله سبحانه وذلك
حق فانه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يغلسه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة
يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله ومن تصدر منه افعال مختلفة في اوقات متقاربة
فقد يقال له في العادة انه ذو بداوات وانه متلون ولعل الشاعر لم يرد الا نسبة محبوبه الى التلون في
قبوله ورده وتقريبه وابعاده وهو هذا المعنى وسماع هذا كذلك في حق الله كفر محض بل ينبغي ان يعلم ان الله سبحانه
يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليد ايماني ويحصل
للعارف البصير بيقين كشفي حقيقي وذلك من اعاجيب اوصاف الربوبية وهو التغيير من غير تغير ولا يتصور
ذلك الا في حق الله سبحانه بل كل مغير سواه فلا يغير ما لم يتغير ومن ارباب الوجد من يغلب عليه حال مثل
السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله ويستنكر اقتداره للقلوب وقسمته للاحوال الشريفة على تفاوت
فانه المستصفي لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع
ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا امد الانبياء بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة
ولكنه قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين وقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فان خطر ببالك انه لم اختلفت
السابقة وهم في ربقة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لا تجاوز حد الادب فانه لا يسال
عما يفعل وهم يسالون ولعمري تادب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الاكثرون واما تادب السر عن اضمار
الاستبعاد لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد والاشقاء والاسعاد مع بقاء السعادة والشقاء في
ابد الاباد فلا يقوى عليه الا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل في المنام
عن السماع انه الصفاء الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء لانه محرك لاسرار القلوب ومكامنها
ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذي كاد يحل عقدة الادب عن السر الا من عصمه الله بنور هدايته
ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع راسا براس فهذا الفن من السماع خطر
يزيد على خطر السماع على مخلوق بالشهوة فان غاية ذلك معصية وغاية الخطا هنا كفر واعلم ان الفهم
قد يختلف باحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد واحدهما مصيب في الفهم والاخر مخطي
او كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالاضافة الى اختلاف احوالهما لا يتناقض
كما حكي عن عتبة الغلام انه سمع رجلا يقول سبحان جبار السماء ان المحب لفي عنا فقال صدقت وسمعه
رجل اخر فقال كذبت فقال بعض ذوي البصائر اصابا جميعا وهو الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من
المراد بل مصدود ومتعب بالصد والهجر والتكذيب كلام مستانس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط
حبه غير متاثر او كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا يستشعر خطر الصد في المال وذلك لاستيلاء
الرجاء وحسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الاحوال يختلف الفهم وحكي عن ابي القاسم بن مروان
وكان قد صحب ابا سعيد الخراز وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر في دعوة فقال بعضهم وانشد
واقف في الماء عطشان ولكن ليس يسقى فقام القوم فتواجدوا فلما سكنوا سالهم عن معنى ما وقع لهم
في معنى البيت فاشاروا الى التعطش الى الاحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور اسبابها فلم يقنعه
ذلك فقيل له فماذا عندك فيه فقال ان يكون في وسط الاحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة
وهذه اشارة الى اثبات حقيقة وراء الاحوال والكرامات الاحوال سوابقها والكرامات تسنح في مباديها
والحقيقة بعد لم يقع الوصول اليها ولا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكروه الا في تفاوت رتبة المتعطش اليه

فان المحروم عن الاحوال الشريفة ولا يتعطش اليها وان مكن منها تعطش الى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في
الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين وكان الشبلي كثيرا ما يتواجد على هذا البيت وداد كم هجر وحبكم قلى ووصلكم صرم وسلمكم حرب
وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل واظهرها ان يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا
باسرها بل في كل ما سوى الله سبحانه فان الدنيا مكارة خداعة لاربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الود
فما امتلات دار منها حبرة الا امتلات عبرة كما ورد في الخبر وكما قال الثعالبي في وصف الدنيا

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها ومكروهها اما تاملت راجح
لقد قال فيها القائلون فاكثروا وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها ذعاف ومركب شهي اذا استلذته فهو جامح
وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ولكن له اسرار سوء قبائح

والمعنى الثاني ان ينزله على احوال نفسه في حق الله
سبحانه فانه اذا تفكر فمعرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره وطاعته رياء اذ لا يتقي الله حق تقاته وحبه معلول اذ
لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن اراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه راى مصداق هذا البيت في نفسه وان
كان على الرتبة بالاضافة الى الغافلين ولذلك قال عليه السلام لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال
اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان استغفاره عن احوال هي درجات قرب بالاضافة الى
ما قبلها ولكنها بعد بالاضافة الى ما بعدها وان كانت قربا بالاضافة الى ما قبلها فلا قرب الا ويبقى وراءه قرب لا
نهاية له اذ سبيل السلوك الى الله غير متناه والوصول الى اقصى درجات القرب محال والمعنى الثالث ان
ينظر في مبادي احواله فيرتضيها وينظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا الغرور فيها فيرى ذلك من
الله تعالى فيستمع البيت في حق الله شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت الا ويمكن تنزيله
على معان وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه الحالة الرابعة سماع من جاوز الاحوال والمقامات
فعزب عن فهم ما سوى الله سبحانه حتى عزب عن نفسه واحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في عين
الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى بهتن
وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة يعبر الصوفية بانه قد فني عن نفسه ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره افنى
فكانه فني عن كل شيء الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه فانه
شاهد فقد غفل عن المشهود فالمستهتر بالمرئي لا التفات له في حال استغراقه الى رؤيته والى عينه التي بها
رؤيته ولا الى قلبه الذي به لذته فالسكران لا خبر له من سكره والمتلذذ لا خبر له من التذاذه وانما خبره من الملتذ
به فقط ومثاله العلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرا في حق المخلوقين فتطرا ايضا
في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم فان دام لم تطقه القوة البشرية
فربما اضطرب تحت اعبائه اضطرابا تهلك فيه نفسه كما روي عن ابي الحسين النوري انه حضر مجلسا فسمع هذا
البيت ما زلت انزل في ودادك منزلا تتحير الالباب عند نزوله فقام وهام وتواجد وهام على
وجهه فوقع في اجمة قصب قد قطع وبقيت اصوله مثل السيوف فكان يعدو فيها ويعيد البيت الى الغداة
والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماه وساقاه وعاش بعد ذلك اياما ومات رحمه الله فهذه درجة
الصديقين في الفهم والوجد وهي اعلى الدرجات لان السماع على الاحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية
نوع قصور وانما الكمال ان يفنى بالكلية عن نفسه واحواله اعني انه ينساها فلا يبقى له التفات اليها كما لم يكن
للنسوة التفات الى الايدي والسكاكين فيسمع بالله ولله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق
وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء اصلا بل
خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته الى صفات البشرية راسا ولست اعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه
ولست اعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو
من امر الله سبحانه عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر
فيه فاذا حضر فيه غيره فكانه لا وجود الا للحاضر ومثاله المراة المجلية اذ ليس لها لون في نفسها بل لونها

لون الحاضر فيها وكذلك الزجاجة فانها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الالوان ويقرب من هذه الحقيقة في سر القلب ن بالاضافة الى ما يحضر فيه **قول الشاعر** رق الزجاج ورقت الخمر وتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر وهذه معاصة من مقامات علوم المكاشفة منها نشا خيال من ادعا الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحولها يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت او تدرعه بها او حلوله فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو خطا محض يضاهي غلط من يحكم على المراة بصورة الحمرة اذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلتها واذا كان هذا غير لايق بعلم المعاملة فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات **المقام الثاني** بعد الفهم وتنزيل الوجد وللناس كلام طويل في حقيقة الوجد اعني الصوفية والحكما الناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلننقل من اقوالهم الفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه اما الصوفية فقد قال ذو النون المصري في السماع انه وارد حق جاء يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق فكانه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب الى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمى السماع وارد حق وقال ابو الحسين الدراج مخبرا عما وجده في السماع والوجد عبارة عما يوجد عند السماع قال جال بي السماع في ميادين البها فاوجدني وجود الحق عند العطا فسقاني بكاس الصفا فادركت به منازل الرضى واخرجني الى رياض النزهة والصفا وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع العبرة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الارواح لاهل المعرفة لانه وصف يدق عن ساير الاعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفايه ولطفه عند اهله وقال عمرو بن عثمان المكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لانه سر عند عبادة المومنين الموقنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال ابو سعيد الاعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وايناس المفقود وهو فناوك انت من حيث انت وقال ايضا الوجد اول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال ايضا الذي يحجب عن الوجد رويه اثار النفس والتعلق بالعلايق والاسباب لان النفس محجوبة باسبابها فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجعت الموعظة فيه وحل من المناجاة في محل قريب وخوطب وسمع الخطاب باذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لانه قد وجد ما كان معدوما عنه وقال ايضا الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق او توبيخ على زلة او محادثة بلطيفة او اشارة الى فايدة او شوق الى غايب او اسف على فايت او ندم على ماض او استجلاب الى حال او داع الى واجب او مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك السعي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر اذ كان هو المبتدي بالنعم والمتولي واليه يرجع الامر كله فهذا ظاهر علم الوجد واقوال الصوفية فيه من هذا الجنس كثير واما الحكما فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة تعذر على قوة النطق اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت سرت وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر وقال بعضهم نتايج السماع استنهاض العاجز من الراي واستجلاب العازب من الافكار وحدة الكال من الافهام والارا حتى يثور ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل راي ونية فيصيب ولا يخطي ويانى ولا يبطي وقال اخر كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى العالم الروحاني وقال بعضهم وقد سيل عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن الالحان والايقاعات فقال ذلك عشق عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج الى ان يناغي معشوقه بالمنطق الجرمي بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق اجمع الا انها روحانية واما العاشق البهيمي فانه يستعمل النطق

غذاء الارواح

الحرى ليعبر عنه ويموه ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الداثر وقال اخر من حزن فليسمع الالحان فان النفس اذا دخلها الحزن خمد نورها واذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفايه ونقايه من الغش والدنس والاقاويل المعروفة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار من ايرادها فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي الوجد عبارة عنه فنقول انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو من قسمين فانها اما ان ترجع الى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات واما ان ترجع الى تغيرات واحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض وهذه الاحوال يهيجها السماع ويقويها فان ضعف بحيث لم يوثر في تحريك الظاهر او تسكينه او تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته او يطرق او يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمي وجدا اما ضعيفا او قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك والى المعنى الاول اشار ابو سعيد بن الاعرابي حيث قال في الوجد انه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد ان يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل باسباب منها التنبيه والسماع منبه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورود **ومنها** صفا القلب والسماع موثر في تصفية القلب والصفا سبب الكشف **ومنها** انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان يقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت كما ان عمل البعير حمل الاثقال فبواسطة هذه الاسباب يكون السماع سببا للكشف بل القلب اذا صفا ربما تمثل له الحق في صورة مشاهدة او في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة وبالرويا اذا كان في المنام وذلك جز من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وذلك كما روي عن محمد بن مسروق البغدادي انه قال خرجت ليلة في ايام جاهليتي وانا نشوان وكنت اغني هذا البيت
بطور سينا كرم ما مررت به الا تعجبت ممن يشرب الماء فسمعت قايلا يقول
وفي جهنم ما ما تجرعه حلق فابقى له في الجوف امعاء قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة فانظر كيف اثر الغنا في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ موزون منظوم وقرع ذلك سمعه الظاهر وروي عن مسلم العباداني قال قدم علينا صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الاسواري فنزلوا على الساحل فهيات لهم ذات يوم طعاما فدعوتهم اليه فجاوا فلما وضعت الطعام بين ايديهم اذا قايل يقول رافعا صوته
وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيها غير نافع قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعنا الطعام وما ذاقوا والله منه لقمة وكما يسمع صوت الهاتف عند صفا القلب يشاهد ايضا صورة الخضر عليه السلام بالبصر فانه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملايكة للانبيا عليهم السلام اما على حقيقة صورتها واما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة وقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليهما السلام في صورته مرتين واخبر عنه بانه سد الافق وهو المراد بقوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى الى اخر هذه الايات وفي مثل هذه الاحوال من الصفا يقع الاطلاع على ضماير القلوب وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس ولذلك قال عليه السلام اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله وقد حكي ان رجلا من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول ما معنى قوله عليه السلام اتقوا فراسة المومن فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك حتى اتى الى بعض المشايخ من الصوفية فساله

قاطع

فقال معناه ان تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه فاسلم وقال الان قد
عرفت انك مؤمن وان ايمانك حق • وكما حكي عن ابرهيم الخواص قال كنت ببغداد في جماعة من الفقرا في الجامع فاقبل
شاب طيب الرايحة حسن الوجه فقلت لاصحابنا يقع لي انه يهودي فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم
رجع اليهم وقال ايش قال الشيخ فيّ فاحتشموه فالح عليهم فقالوا قال انك يهودي قال فجاني واكب على يدي واسلم
وقال نجد في كتبنا ان الصديق لا تخطي فراسته فقلت امتحن المسلمين فتاملتهم فقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه
الطايفة لانهم يقولون حديثه سبحانه اي يعرفون القران فلبست عليكم فلما اطلع علي الشيخ وتفرس فيّ علمت انه صديق
قال وصار الشاب من كبار الصوفية والى مثل هذا الكشف الاشارة بقوله عليه السلام لولا ان الشياطين يحومون
على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السما وانما تحوم الشياطين على القلوب اذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة
فانها مرعى الشياطين ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه واليه الاشارة بقوله
سبحانه الا عبادك منهم المخلصين وبقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والسماع سبب لصفاء القلب وهو
شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما روي ان ذا النون المصري دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفيه
ومعهم قوال فاستاذنوه في ان يقول شيا فاذن لهم في ذلك فانشا يقول • صغير هواك عذبني فكيف به اذا احتنكا
وانت ملكت من قلبي هوى قد كان مشتركا • فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام رجل اخر فقال ذو النون
الذي يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل وذلك اطلاع من ذي النون على قلبه انه متكلف متواجد فعرفه ان الذي يراه حين
يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله ولو كان الرجل صادقا لما جلس فاذا قد رجع حاصل الوجد الى مكاشفات والى
حالات واعلم ان كل واحد منهما ينقسم الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والى ما لا يمكن العبارة عنه اصلا
ولعلك تستبعد حالة او علما لا تعلم حقيقته ولا تستبعد ذلك فانك تجد في احوالك القريبة لذلك شواهد اما
العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسلتان متشابهتان في الصورة فيدرك الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا في الحكم فاذا
كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير عنه وان كان من افصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير
عنه وادراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا شك ان لوقوعه في قلبه سببا وله عند الله حقيقة ولا يمكنه
الاخبار عنها لا لقصور في لسانه بل لدقة المعنى في نفسه عن ان تناله العبارة وهذا مما يتفطن له المواظبون على النظر
في المشكلات • واما الحال فكم من انسان يدرك في قلبه بالوقت الذي يصبح قبضا او بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر
الانسان في شي فيؤثر في نفسه اثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الاثر في نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التي يحسها
سرورا ثبتت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور او حزنا فينسى المتفكر فيه ويحس بالاثر عقيبه وقد تكون تلك
الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود بل
ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون تختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب
الذوق بحيث لا يشك فيها اعني التفرقة بين الموزون والمزحف ولا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا
ذوق له وفي النفس احوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور انما يحصل في السماع
عن غنا مفهوم فاما الاوتار وساير النغمات التي ليست مفهومة فانها تؤثر في النفس تاثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير
عن عجايب تلك الاوتار وقد عبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق اليه فهو عجيب والذي اضطرب
قلبه بسماع الاوتار والشاهين وما اشبهه ليس يدري الى ماذا يشتاق ويجد في نفسه حالة كانها تتقاضى امرا
ليس يدري ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب ادمي ولا حب الله سبحانه وهذا له سر وهو
ان كل شوق فله ركنان احدهما صفة للمشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه والثاني معرفة المشتاق
اليه ومعرفة صورة الوصول اليه فان وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه كان الامر
ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت تلك الصفة واشتعلت نارها اورث
ذلك دهشة وحيرة لا محالة ولو نشا ادمي وحده حيث لم ير صورة النسا ولا عرف صورة الوقاع ثم
راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولا يدري انه يشتاق الى الوقاع لانه ليس يدري

صورة

صورة الوقاع ولا يعرف صورة النسا فكذلك في نفس الادمي مناسبة مع العالم الاعلى واللذات التي وعد بها في
سدرة المنتهى والفراديس العلى الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسما كالذي سمع لفظ الوقاع واسم النسا
ولم يشاهد صورة امراة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المراة ليعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشوق
والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه وانساه ربه وانساه مستقره الذي اليه حنينه واشتياقه بالطبع
فتقاضاه قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق الخلاص
فهذا وامثاله من الاحوال التي لا يدرك تمام حقايقها ولا يمكن المتصف بها ان يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد الى ما
يمكن اظهاره والى ما لا يمكن • واعلم ايضا ان الوجد ينقسم الى هاجم والى متكلف ويسمى التواجد وهو
التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الريا واظهار الاحوال الشريفة مع الافلاس منها ومنه ما
هو محمود وهو التوصل الى استدعا الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخلا في جلب
الاحوال الشريفة ولذلك امر عليه السلام من لم يحضره البكا في قراة القران ان يتباكى ويتحازن فان هذه الاحوال
قد تتكلف مباديها ثم تتحقق اواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في ان يصير التكلف بالاخرة طبعا وكل من يتعلم القران
اولا يحفظه تكلفا ويقروه تكلفا من غير تمام تامل واحضار ذهن قد يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجري
به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرا تمام السورة وتثوب نفسه اليه بعد انتهايه الى اخرها ويعلم انه قراها
في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب في الابتدا بجهد شديد ثم تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتبة له طبعا فيكتب
اوراقا وهو مستغرق القلب بفكر اخر فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل الى اكتسابه الا بالتكلف
والتصنع اولا ثم يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة فكذلك الاحوال الشريفة لا
ينبغي ان يقطع الياس منها عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره فلقد شوهد في العادات من
اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر اليه ويقرر على نفسه
الاوصاف المحبوبة والاخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره
واشتهى بعد ذلك الخلاص منه ولم يتخلص فكذلك حب الله سبحانه والشوق الى لقايه والخوف من سخطه وغير ذلك
من الاحوال الشريفة اذا فقدها الانسان فينبغي ان يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة احوالهم
وتحسين صفاتهم في النفس وبالجلوس معهم في السماع والدعا والتضرع الى الله في ان يرزقه الله تلك
الحالة بان ييسر له اسبابها • ومن اسباب العلاج مجالسة الصالحين والخايفين والمحبين والمشتاقين
والخاشعين فمن جالس شخصا سرت اليه صفاته من حيث لا يدري ويدل على امكان تحصيل الحب وغيره من
الاحوال بالاسباب قوله عليه السلام في دعايه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني
الى حبك فقد فزع عليه السلام الى الدعا في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد الى مكاشفات والى
احوال وانقسامه الى ما يمكن الافصاح عنه والى ما لا يمكن وانقسامه الى المتكلف والى المطبوع
فان قلت فما بال هولا لا يظهر وجدهم عند سماع القران وهو كلام الله ويظهر على الغنا وهو
كلام الشعرا فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القران اولى به
من الغنا فنقول الوجد الحق هو ما ينشا من فرط حب الله وصدق ارادته والشوق الى لقايه وذلك
يهيج بسماع القران ايضا وانما الذي لا يهيج بسماع القران حب الخلق والعشق للمخلوقين • ويدل على ذلك
قوله سبحانه الا بذكر الله تطمين القلوب وقوله مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله وكلما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمانينة والاقشعرار
والخشية ولين القلب كل ذلك وجد • وقد قال سبحانه انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
وقال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله فالوجل والخشوع وجد من
قبيل الاحوال وان لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال
عليه السلام زينوا القران باصواتكم وقال لابي موسى لقد اوتي مزمارا من مزامير ال داود • وانما

الحكايات الدالة على ان ارباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القران فكثيرة كقوله عليه السلام
شيبتني هود خبر عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد وروي ان ابن مسعود قرا
عليه عليه السلام سورة النسا فلما انتهى الى قوله تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا
شهيدا قال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدمع وفي رواية انه عليه السلام قرى عنده ان لدينا انكالا
وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق ۞ وفي رواية انه عليه السلام قرا ان تعذبهم فانهم عبادك
فبكى وكان عليه السلام اذا مر باية رحمة دعا واستبشر والاستبشار وجد وقد اثنى الله على اهل الوجد
بالقران فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وروي
انه عليه السلام كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل ۞ واما ما نقل من الوجد بالقران عن الصحابة والتابعين
فكثير فمنهم من صعق ومنهم من بكى ومنهم من غشي عليه ومنهم من مات في غشيته ۞ روي ان زرارة بن
اوفى وكان من التابعين كان يوم الناس بالرقة فقرا اية فصعق ومات في محرابه ۞ وروي ان عمر قرا ان عذاب
ربك لواقع ما له من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا وكان ابو جرير
من التابعين فقرا عليه صالح المري فشهق ومات ۞ وسمع الشافعي قاريا يقرا هذا يوم لا ينطقون فغشي عليه
وسمع علي بن الفضيل بن عياض قاريا يقرا يوم يقوم الناس لرب العالمين فسقط مغشيا عليه فقال الفضيل شكر
لك الله ما قد علمه منك ۞ ولذلك نقل عن جماعة منهم ولذلك الصوفية فقد كان الشبلي في مسجده ليلة من
رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرا الامام ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فزعق الشبلي زعقة ظن
الناس انه قد طارت روحه واحمر وجهه وارتعد وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب ويردد ذلك
مرارا ۞ وقال الجنيد دخلت على سري السقطي فرايت بين يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي هذا رجل قد سمع
اية من القران فغشي عليه فقلت اقروا عليه تلك الاية فقرى فافاق فقال من اين قلت هذا فقلت رايت يعقوب
كان عماه من اجل مخلوق فبمخلوق ابصر ولو كان عماه من اجل الحق ما ابصر بمخلوق فاستحسن ذلك ويشير
الى ما قاله الجنيد **قول الشاعر** وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها ۞ وقال بعض
الصوفية كنت اقرا ليلة هذه الاية كل نفس ذايقة الموت فجعلت اردها واذا هاتف يهتف بي كم تردد
هذه الاية فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السما منذ خلقوا ۞ وقال ابو علي المغازلي للشبلي
ربما تطرق سمعي اية من كتاب الله فتجذبني الى الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس فلا ابقى على ذلك
فقال ما طرق سمعك من القران فاجتذبك به اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى
نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك التبري من الحول والقوة في التوجه اليه ۞ وسمع رجل من
اهل التصوف قاريا يقرا يايتها النفس المطمينة ارجعي الى ربك فاستعادها من القاري وقال كم اقول لها
ارجعي وليست ترجع ثم تواجد وزعق زعقة خرجت نفسه ۞ وسمع بكر بن معاذ قاريا يقرا وانذرهم يوم
الازفة فاضطرب ثم صاح ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشي عليه ۞ وكان ابرهيم
ابن ادهم اذا سمع احدا يقرا اذا السما انشقت اضطربت اوصاله حتى كان يرتعد ۞ وعن محمد بن صبيح قال كان
رجل يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشط يقرا وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل الرجل يضطرب حتى
غرق ومات ۞ وذكر ان سلمان الفارسي ابصر شابا يقرا فاتى على اية فاقشعر جلده فاحبه سلمان وفقده
فسال عنه فقيل انه مريض فاتاه يعوده فاذا هو في الموت فقال يا ابا عبد الله ارايت تلك القشعريرة التي
كانت مني فانها اتتني على احسن صورة فاخبرتني ان الله قد غفر لي بها كل ذنب ۞ وبالجملة لا يخلو صاحب
القلب عن وجد عند سماع القران فان كان القران لا يوثر فيه اصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعا
ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون بل صاحب القلب يوثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها ۞ وقال جعفر الخلدي
دخل رجل من اهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال متى يستوي عند العبد حامده وذامه فقال
بعض الشيوخ اذا دخل المارستان وقيد بقيدين فقال الجنيد ليس هذا من شانك ثم اقبل على الرجل فقال اذا

تحقق

تحقق انه مخلوق فشهق الرجل شهقة وخرج **فان قلت** فان كان سماع القران مفيدا للوجد
فما بالهم يجتمعون على سماع الغنا من القوالين دون القارين فكان ينبغي ان يكون اجتماعهم وتواجدهم في
حلق القرا لا حلق المغنين وكان ينبغي ان يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قاري لا قوال فان كلام الله افضل
من الغنا لا محالة فاعلم ان الغنا اشد تهييجا للوجد من القران من سبعة اوجه **الاول** ان جميع ايات القران
لا يناسب حال المستمع ولا يصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له فمن استولى عليه حزن او شوق او ندم فمن اين يناسب
حاله قوله سبحانه يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقوله والذين يرمون المحصنات وكذلك جميع
الايات التي فيها بيان احكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها وانما المحرك لما في القلب ما يناسبه والابيات انما
نظمها الشعرا اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج الى تفهم الحال منها الى تكلف نعم من يستولي عليه حال غالبة
قاهرة لم يبق فيه متسعا لغيرها ومعه تيقظ وذكا ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة من الالفاظ فقد يخرج وجده على
كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت المحوج الى الوصية وان كل انسان لا بد
ان يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك احد المحبوبين للثاني ويهجرهما فيغلب عليه الخوف والجزع او يسمع ذكر
الله في قوله يوصيكم الله فيدهشه مجرد الاسم عما قبله وبعده او يخطر له رحمة الله لعباده وشفقته بان تولى
قسم مواريثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول اذ نظر لاولادنا بعد موتنا فلا نشك في انه ينظر
لنا فيهيج منه حال الرجا ويورثه ذلك استبشارا وسرورا او يخطر له من قوله سبحانه للذكر مثل حظ الانثيين تفضيل
الذكر لكونه رجلا على الانثى وان الفضل في الاخرة لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وان من الهاه غير الله
عن الله فهو من الاناث لا من الرجال تحقيقا فيخشى ان يحجب او يوخر في نعيم الاخرة كما اخرت الانثى في اموال الدنيا فامثال
هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان **احدهما** حالة غالبة مستغرقة قاهرة **والاخر** تفطن بليغ وتيقظ
كامل للتنبيه بالامور القريبة على المعاني البعيدة وذلك مما يعز فلاجل ذلك يفزع الى الغنا الذي هو الفاظ مناسبة
للاحوال حتى يتسارع هيجانها ۞ وروي ان ابا الحسين النوري كان مع جماعة في دعوة فجرت بينهم مسالة في العلم
وابو الحسين ساكت ثم رفع راسه **وانشدهم** رب ورقا هتوف بالضحى ذات شجو صدحت في فنن ۞
فبكاي ربما ارقها وبكاها ربما ارقني ۞ ذكرت الفا ودهرا صالحا فبكت حزنا فهاجت حزني ۞
ولقد تشكو فما افهمها ولقد اشكو فما تفهمني ۞ غير اني بالجوى اعرفها وهي ايضا بالجوى تعرفني ۞
قال فما بقي احد من القوم الا قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وان كان
العلم جدا وحقا **الوجه الثاني** ان القران محفوظ للاكثرين ومتكرر على الاسماع والقلوب وكلما سمع
اولا عظم اثره في القلب وفي الكرة الثانية يضعف اثره وفي الثالثة يكاد يسقط اثره ولو كلف صاحب الوجد
الغالب ان يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم او اسبوع لم يمكنه ذلك
ولو ابدل ببيت اخر لتجدد له اثر وان كان دالا على ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالاضافة الى
الاول يحرك النفس وان كان المعنى واحدا اذ ليس يقدر القاري على ان يقرا قرانا غريبا في كل وقت ودعوة
لان القران محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ ومتكرر ۞ والى ما ذكرناه اشار الصديق حيث راى
الاعراب يقدمون فيسمعون القران ويبكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا ولا تظنن ان قلب
الصديق كان اقسى من قلوب الاجلاف من العرب وانه كان اخلى عن حب الله وحب كلامه من قلوبهم ولكن
التكرر على قلبه اقتضى المرون عليه وقلة التاثر به لما حصل له من الانس بكثرة سماعه اذ محال في العادة ان يسمع
السامع اية لم يسمعها قبل فيبكي ثم يدوم بكاوه عليها عشرين سنة ثم يرددها ويبكي ولا يفارق الاول الاخر
الا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لذة ولكل طاري صدمة ومع كل مالوف انس يناقض الصدمة ولهذا
هم عمر ان يمنع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت ان يانس الناس بهذا البيت اي يانسوا به ومن قدم
حاجا فراى البيت اولا بكى وزعق وربما غشي عليه اذا وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس
من ذلك في نفسه اثرا فاذا المغني يقدر على الابيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر على ذلك في الايات

الوجه الثالث ان لوازم الكلام بذوق الشعر تأثيرًا في النفس وليس الصوت الموزون الطيب كالصوت
الذي ليس بموزون وانما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولو زحف المغني البيت الذي ينشده او لحن فيه
مثلا او مال عن حد تلك الطريقة في اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة
واذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن اذا موثر فلذلك طبع الشعر **الوجه الرابع** ان الشعر
الموزون يختلف تأثيره في النفس بالالحان التي تسمى الطرق والاستنانات وانما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور
وقصر الممدود والوقف في اثنا الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القران
الا التلاوة كما انزل فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام ومكروه
واذا رتل القران كما انزل سقط عنه الاثر الذي سببه وزن الالحان وهو سبب مستقل بالتأثير وان لم يكن
مفهومًا كما في الاوتار والمزامير وسائر الاصوات التي لا تفهم **الوجه الخامس** ان الالحان الموزونة
تعضد وتوكد بايقاعات واصوات اخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لان الوجد
الضعيف لا يستثار الا بسبب قوي وانما يقوى بمجموع هذه الاسباب ولكل واحد منها حظ في التأثير وواجب
ان يصان القران عن مثل هذه القراين لان صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب والقران جد كله عند
الخلق ولا يجوز ان يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة اللهو عند الخاصة وان كانوا لا
ينظرون اليها من حيث انها لهو بل ينبغي ان يوقر القران فلا يقرا على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في حال
الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفا بحرمة القران في كل حال فيعدل الى الغنا الذي لا يستحق هذه
المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراة القران ليلة العرس وقد امر عليه السلام بضرب الدف في
العرس وقال اظهروا النكاح ولو بضرب الغربال او لفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشعر دون القران ولذلك لما
دخل عليه السلام بيت الربيع بنت معوذ وعندها جواري يغنين فسمع احداهن تقول وفينا نبي يعلم ما في غد على
وجه الغنا فقال دعي هذا وقولي ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها الى الغنا الذي
هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فاذا يتعذر بسببه تقويه الاسباب التي بها يصير السماع محركا
للقلب فواجب في الاحترام العدول الى الغنا عن القران كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة
الى الغنا **الوجه السادس** ان المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال المستمع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي
غيره فليس كل كلام موافقًا لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات على القاري فربما يقرى اية لا توافق حالهم
اذ القران شفا للناس كلهم على اختلاف احوالهم فايات الرحمة شفا الخائف وايات العذاب شفا المغرور والامن
وتفصيل ذلك مما يطول فاذا لا يومن ان لا يوافق المقرو الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام
الله سبحانه من حيث لا يجد سبيلا الى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب اذ لا يجد الخلاص
عنه الا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله الا على ارادة الله سبحانه واما قول الشاعر فيجوز تنزيله على
وفق الحال ولا يجب صيانته عن ذلك هذا ما سنح لي في علل انصراف الشيوخ الى سماع الغنا عن سماع القران
في حالة الجمع والاوقات وههنا وجه سابع ذكره ابو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال القران
كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لانه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف
للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة
الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما في الابيات
من الاشارات واللطائف شاكل بعضها بعضًا فكان اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق للمخلوق
فما دامت البشرية باقية فنحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والاصوات الطيبة فانبساطنا بمشاهدة
بقاء هذه الحظوظ الى القصائد اولى من انبساطنا الى كلام الله الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدا واليه
يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره ◉ وعن ابي الحسن الدراج حكي عنه انه قال قصدت يوسف
ابن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الري كنت اسال عنه فكل من سالته قال ايش تعمل

بذلك

بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جئت هذا الطريق كله فلا اقل من
ان اراه فلم ازل اسال عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المحراب وبين يديه مصحف وهو يقرا فاذا هو
شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت فاقبل علي وقال من اين اقبلت فقلت من بغداد فقال وما الذي جاء بك فقلت
قصدتك للسلام عليك فقال لو ان في بعض هذه البلدان قال لك انسان اقم عندنا حتى نشتري لك دارًا وجارية
اكان يقعدك ذلك عن المجي فقلت ما امتحنني الله بشي من ذلك ولو امتحنني ما كنت ادري كيف اكون ثم قال لي احسن
ان تقول شيئًا فقلت نعم فقال هات فانشدت اقول ◉ رايتك تبني دائما في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
كاني بكم والليت افضل قولكم الا ليتنا كنا اذ الليت لا يغني ◉ قال فاطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته
وابتل ثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ثم قال يا بني تلوم اهل الري يقولون يوسف زنديق من صلاة الغداة هو ذا اقرا
في المصحف لم يقطر من عيني قطرة وقد قامت علي القيامة بهذين البيتين فاذا القلوب وان كانت محترقة في حب الله
سبحانه فان البيت الغريب يهيج منها ما لا يهيج تلاوة القران وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ولكونه مشاكلا
للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر واما القران فنظمه خارج عن اساليب الكلام ومناهجه وهو لذلك معجز لا يدخل
في نوع البشر لعدم مشاكلته لطبعه ◉ روي ان اسرافيل استاذ ذي النون المصري دخل عليه رجل فراه وهو ينكت
في الارض باصبعه ويترنم فقال هل تحسن ترنم بشي فقال لا فقال انت بلا قلب اشارة الى ان من له قلب وعرف طباعه
علم انه يحركه الابيات والنغمات تحريكا لا يصادف في غيرها فيتكلف طريق التحريك اما بصوت نفسه او بغيره فقد
ذكرنا حكم المقام الاول في فهم المسموع وتنزيله وحكم المقام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب فلنذكر الان
اثر الوجد اعني ما يترشح منه الى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره فنقول **المقام الثالث**
في السماع نذكر فيه اداب السماع ظاهرًا وباطنًا وما يحمد من اثار الوجد وما يذم **فاما الاول** فهي خمس جمل
الاولى مراعاة الزمان والمكان والاخوان قال الجنيد السماع يحتاج الى ثلاثة اشيا والا فلا يسمع الزمان
والمكان والاخوان ومعناه ان الاشتغال به في وقت حضور طعام او خصام او صلاة او صارف من الصوارف
مع اضطراب القلب لا فايدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعي حالة فراغ القلب والمكان فقد يكون شارعًا مطروقًا
او موضعًا كريه الصورة او فيه سبب يشغل فيجتنب ذلك واما الاخوان فسببه انه اذا حضر غير الجنس من منكري
السماع متزهد الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستثقلا في المجلس واشتغل القلب به وكذا اذا حضر متكبر من اهل
الدنيا يحتاج الى مراقبته او مراعاته او متكلف متواجد من اهل التصوف يرى بالوجد والرقص وتمزيق الثوب فكل
ذلك مشوش فترك السماع عند فقد هذه الشروط اولى ففي هذه الشروط نظر للمستمع **الثاني** وهو نظر
الحاضرين ان الشيخ اذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغي ان يسمع في حضورهم فان سمع فليشغلهم بشغل
اخر والمريد الذي يستضر بالسماع احد ثلاثة اقلهم درجة هو الذي لم يدرك من الطريق الا الاعمال الظاهرة ولم
يكن له ذوق السماع فاشتغاله عند ذلك بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فانه ليس من اهل اللهو فيلهو ولا من اهل الذوق
فيتنعم بذوق السماع فليشتغل بذكر او خدمة والا فهو تضييع لزمانه ◉ الثاني هو الذي له ذوق سماع ولكن فيه
بقية من الحظوظ والالتفات الى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارًا تومن غوائله فربما يهيج
السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال ◉ الثالث ان يكون قد انكسرت
شهوته وامنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف اسماء الله وصفاته
وما يجوز عليه وما لا يجوز وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع نزل المسموع في حق الله على ما يجوز وعلى ما لا يجوز فيكون
ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر اعظم من نفع السماع ◉ قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا
يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وشهوة المحمدة والثنا ولا لمن يسمع لاجل التلذذ والاستطابة
بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع مزلة قدم يجب
حفظ الضعفا عنه ◉ قال الجنيد رايت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشي قال نعم في وقتين وقت السماع
ووقت النظر فاني ادخل عليهم به فقال بعض الشيوخ لو رايته انا لقلت ما احمقك من سمع منه اذا سمع ونظر اليه اذا

نظر كيف تطفيه قال الجنيد صدقت **الادب الثالث** ان يكون مصغيا الى ما يقول القائل حاضر القلب
قليل الالتفات الى الجوانب متحرزا عن النظر الى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه
ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من الرحمة في سره متحفظا عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم بل يكون ساكن
الظاهر هادي الاطراف متحرزا عن التنحنح والتثاوب ويجلس مطرقا راسه كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه متماسكا
عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراياة ساكتا عن النطق في اثناء القول بكل ما عنه
بد فان غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع اليه الاختيار فليعد الى هدوه
وسكونه ولا ينبغي ان يستديمه حيا من ان يقال انقطع وجده على القرب ولا ان يتواجد خوفا من ان يقال هو قاسي
القلب عديم الصفا والرقة **حكي** ان شابا كان يصحب الجنيد وكان اذا سمع شيئا من الذكر يزعق فقال له الجنيد
يوما ان فعلت ذلك مرة اخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ما ولا يزعق
فحكي انه اختنق يوما لشدة ضبطه نفسه فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه ۞ وروي ان موسى عليه السلام
قص في بني اسرائيل فمزق رجل منهم ثوبه او قال قميصه فاوحى الله الى موسى قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثيابك
وقال ابو القاسم النصراباذي لابي عمرو بن نجيد انا اقول اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خير من ان
يغتابوا فقال ابو عمرو فان الريا في السماع وهو ان ترى من نفسك حالات ليست فيك شر من ان يغتاب ثلاثين
سنة او نحو ذلك **فان قلت** الافضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يوثر في ظاهره او الذي يظهر عليه
فاعلم ان عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن
لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح وهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال
كلها فلا يتبين للسماع مزيد تاثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الاحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد
دايم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الاحوال ولا يبعد ان يكون الاشارة بقول
الصديق هكذا كنا ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت وصارت تطيق ملازمة الوجد في كل
الاحوال فنحن في سماع معاني القران على الدوام فلا يكون القران جديدا في حقنا طاريا علينا حتى نتاثر به فاذا قوة
الوجد تحرك وقوة العقل التماسك تضبط الظواهر وقد يغلب احدهما الاخر اما لشدة قوته واما لضعف ما يقابله
ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظنن ان الذي يضطرب بنفسه على الارض اتم وجدا من الساكن باضطرابه بل
رب ساكن اتم وجدا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شي اشارة الى ان القلب مضطرب جايل في
الملكوت والجوارح متادبة في الظاهر ساكنة ۞ وقال ابو الحسن محمد بن احمد وكان بالبصرة صحبت سهل بن عبد الله ستين
سنة فما رايته تغير عند شي كان يسمعه من الذكر والقران فلما كان في اخر عمره قرا رجل بين يديه فاليوم لا يوخذ
منكم فدية الاية فرايته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حالته سالته عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك
سمع مرة قوله سبحانه الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فساله ابن سالم وكان من اصحابه فقال قد ضعفت فقيل
له فان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال ان لا يرد عليه وارد الا يبتلعه بقوة حاله فلا تغيره الواردات
وان كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استوا الاحوال بملازمة الشهود كما حكي
عن سهل انه قال حالي قبل الصلاة وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذهن مع الله في كل حال فكذلك يكون
قبل السماع وبعده اذ يكون وجده دايما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يوثر السماع في زيادته كما روي ان ممشاد
الدينوري اشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في اذني ما شغل
همي ولا شفى بعض ما بي ۞ وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم من فضل الوجد **فان
قلت** فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم ان من هولاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر الا نادرا لمساعدة
اخ من الاخوان وادخالا للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس الكمال بالوجد الظاهر
فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا على الاقتدا به في صيرورته طبعا لهم وان اتفق حضورهم

مع غير ابنا جنسهم فيكونون معهم بابدانهم نايين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون في غير سماع مع
غير جنسهم باسباب عارضة تقتضي الجلوس وبعض من نقل عنه ترك السماع ونظن انه زهد كان سبب تركه
استغناه عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من اهل
اللهو فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان ۞ قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع
من **الادب الرابع** ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكا وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص
او تباكى فهو مباح اذا لم يقصد به المرايا لان التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشا ط
فكل سرور مباح فانه يجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عايشة الى الحبشة معه عليه السلام وهم يزفنون
هذا لفظ عايشة في بعض الروايات ۞ وقد روي عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا لما ورد عليهم سرور اوجب
ذلك وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن ابي طالب واخوه جعفر وزيد بن حارثة فتشاحوا في تربيتها
فقال النبي لعلي انت مني وانا منك فحجل علي وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل ورا حجل علي وقال لزيد انت
اخونا ومولانا فحجل ورا حجل جعفر ثم قال صلى الله عليه وسلم هي لجعفر لان خالتها تحته والخالة والدة
وفي بعض الروايات انه عليه السلام قال لعايشة اتحبين ان تنظري الى زفن الحبشة والزفن والحجل هو الرقص وذلك
يكون لفرح او شوق فحكمه حكم مهيجه ان كان فرحه محمودا والرقص يزيده ويوكده فهو محمود وان كان مباحا فهو
مباح وان كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق ذلك بمناصب الاكابر واهل القدوة لانه في الاكثر يكون عن
لهو ولعب وما له صورة اللعب في اعين الناس فينبغي ان يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر في اعين الخلق فيترك الاقتدا
به ۞ واما تمزيق الثوب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر عن الاختيار ولا يبعد ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه
وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه او يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته
صورة المكره اذ يكون له في الحركة والتمزيق متنفس فيضطر اليه اضطرار المريض الى الانين ولو كلف الصبر عنه
لم يقدر عليه مع انه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل
بالارادة ولو كلف الانسان نفسه ان يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه الى ان يختار التنفس فلذلك الزعقة
وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السري حديث الوجد الغالب فقال نعم
يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد ان ينتهي الى هذا الحد فاصر على قوله ولم يرجع
معناه انه في بعض الاحوال قد ينتهي الى هذا الحد في بعض الاشخاص **فان قلت** فما تقول في تمزيق
الصوفية للثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فانهم يمزقونها قطعا صغارا ويفرقونها
على القوم ويسمونها الخرقة فاعلم ان ذلك مباح اذا قطع ومزق قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجا دات
فان الكرباس يمزق حتى يخيط منه القميص ولا يكون تضييعا لانه تمزيق لغرض وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن الا
بالقطع الصغار وذلك مقصود والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود فهو مباح ولكل مالك ان يقطع كرباسه
مائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين ولكن ينبغي ان يكون القطع بحيث يمكن ان ينتفع بها في الرقاع وانما منعنا في السماع
التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار **الادب الخامس**
موافقة القوم في القيام اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير ريا وتكلف او قام باختيار من غير اظهار
وجد وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من اداب الصحبة وكذلك ان جرت عادة طايفة بتنحية العمامة
على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او خلع الثياب اذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقة في هذه
الامور من حسن الصحبة والعشرة اذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالقة الناس باخلاقهم كما ورد
في الخبر لا سيما اذا كانت اخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة وقول القائل ان ذلك بدعة
لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم باباحته منقولا عن الصحابة وانما المحذور ارتكاب بدعة تراغم سنة ماثورة ولم
ينقل النهي عن شي من هذا والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة لا يقومون
لرسول الله في بعض الاحوال كما رواه انس ولكن اذا لم يكن فيه نهي عام فلا نرى به باسا في البلاد التي جرت العادة فيها

باكرام الداخل بالقيام فان المقصد منه الاحترام والاكرام وتطييب القلب وكذلك سائر انواع المساعدة
اذا قصد بها طيبة للقلب واصطلح عليها جماعة فلا باس بمساعدتهم عليها بل الاحسن المساعدة الا فيما ورد
فيه نهي لا يقبل التاويل ومن الاداب ان لا يقوم للرقص مع القوم ان كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم احوالهم
اذ الرقص من غير اظهار التواجد مباح والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه اثر التكلف ومن يقوم عن صدق لا تستثقله
الطباع فقلوب الحاضرين اذا كانوا من ارباب القلوب محك للصدق والتكلف • سئل بعضهم عن الوجد الصحيح
فقال صحته قبول قلوب الواجدين له اذا كانوا اشكالا لا غير اضداد **فان قلت** فما بال الطباع تنفر عن الرقص
ويسبق الى الافهام انه باطل ولهو ومخالف للدين فما يراه ذو جد في الدين الا وينكره **فاعلم** ان الجد
لا يزيد على جد رسول الله عليه السلام وقد راى الحبشة يزفنون في المسجد وما انكره لما كان في وقت لائق به وهو العيد
ومن شخص لائق به وهم الحبشة نعم نفرة الطباع عنه لانه يرى غالبا مقرونا باللهو واللعب واللهو واللعب
مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن اشبههم وهو مكروه لذوي المناصب لانه لا يليق بهم وما كره
لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز ان يوصف بالتحريم فمن سال فقيرا شيئا فاعطاه رغيفا كان ذلك طاعة
مستحسنة ولو سال ملكا فاعطاه رغيفا او رغيفين لكان ذلك منكرا عند الناس كافة ومكتوبا في تواريخ
الاخبار من جملة مساويه ويعير به اعقابه واشياعه ومع هذا فلا يجوز ان يقال ما فعله حرام لانه من حيث انه
اعطى خبزا لفقير حسن ومن حيث انه بالاضافة الى منصبه كالمنع بالاضافة الى الفقير مستقبح فكذلك الرقص
وما يجري مجراه من المباحات ومباحات العوام سيئات الابرار وحسنات الابرار سيئات المقربين ولكن هذا
من حيث الالتفات الى المناصب فاما اذا نظر اليه في نفسه وجب الحكم بانه في نفسه لا تحريم فيه والله اعلم فقد
خرج من هذا التفصيل ان السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مستحبا وقد يكون
مكروها اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم الا ما هو
الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة واما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذه عادة
له في اكثر الاوقات على سبيل اللهو واما المباح فهو لمن لا حظ له منه الا التلذذ بالصوت الحسن واما المندوب
فهو لمن غلب عليه حب الله ولم يحرك السماع منه الا الصفات المحمودة والسلام

• كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهو الكتاب التاسع من ربع العادات من احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب الا بحمده • ولا تستمنح النعم الا
بواسطة كرمه ومجده • والصلاة على سيد الانبياء محمد رسوله وعبده • وعلى آله الطيبين واصحابه
الطاهرين من بعده **اما بعد** فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين
وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين اجمعين • ولو طوي بساطه واهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة • واضمحلت
الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة • وشاعت الجهالة • واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد
ولم يشعروا بالهلاك الى يوم التناد • وقد كان الذي خفنا ان يكون انا لله وانا اليه راجعون اذ قد اندرس
من هذا القطب عمله وعلمه • وانمحت بالكلية حقيقته ورسمه • فاستولت على القلوب مداهنة الخلق • وانمحت
عنها مراقبة الحق واسترسل الناس في اتباع الهوى استرسال البهائم وعز على بسيط الارض مؤمن صادق لا تاخذه
في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة • وسد هذه الثلمة • اما متكفلا بعملها • او متقلدا لتنفيذها • محددا
لهذه السنة الداثرة ناهضا باعبائها • ومتشمرا في احيائها • كان مستاثرا من بين الخلق باحياء سنة افضى
الزمان الى اماتتها • ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها • وها نحن نشرح علم ذلك
في اربعة ابواب **الباب الاول** في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته
الباب الثاني في اركانه وشروطه **الباب الثالث** في مجاريه وبيان المنكرات المالوفة

في العادات **الباب الرابع** في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر **الباب الاول**
في وجوب الامر بالمعروف وفضيلته والمذمة في اهماله واضاعته ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه واشارات
العقول السليمة اليه الآيات والاخبار والآثار اما الآيات فقوله سبحانه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ففي الآية بيان الايجاب فان قوله ولتكن امر وظاهر الامر الايجاب وفيها بيان ان
الفلاح منوط به اذ حصر وقال واولئك هم المفلحون وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به امة سقط
الفرض عن الآخرين اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم امة يدعون فاذا مهما قام به واحد او
جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين له وان تقاعد عنه الخلق اجمعون عم الحرج
كافة القادرين عليه لا محالة وقال سبحانه ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل
وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك
من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الآخر حتى اضاف اليهم الامر بالمعروف والنهي
وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة
فقد نعت المؤمنين بانهم يامرون بالمعروف فالذي هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه
الآية • وقال سبحانه لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد اذ علق استحقاقهم
اللعنة بتركهم النهي عن المنكر • وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واذ بين انهم كانوا به خير امة اخرجت للناس • وقال
تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون
فبين انهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب ايضا وقال الذين ان مكناهم في الارض
اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين
والمؤمنين • وقال سبحانه وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهذا امر جزم
ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبيل الشر والعدوان بحسب الامكان • وقال
سبحانه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين انهم
اثموا بترك النهي • وقال سبحانه فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون الآية فبين انه اهلك جميعهم
الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد في الارض • وقال يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء
لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وذلك هو الامر بالمعروف للوالدين والاقربين • وقال لا
خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله
فسوف نؤتيه اجرا عظيما • وقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الآية والاصلاح نهي
عن البغي واعادة الى الطاعة فان لم يفعل فقد امر الله بقتاله فقال فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله وذلك
هو النهي عن المنكر **واما الاخبار** فمنها ما روي عن ابي بكر الصديق انه قال في خطبة خطبها ايها
الناس انكم تقرؤون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تاويلها يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على
ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده • وروي عن ابي ثعلبة الخشني انه سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن
المنكر فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك
ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي انتم عليه اجر خمسين منكم قيل
بل منهم يا رسول الله قال بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا ولا يجدون عليه اعوانا • وسئل
ابن مسعود عن تفسير هذه الآية فقال ان هذا ليس زمانها انها اليوم مقبولة ولكن قد اوشك ان ياتي

زمانًا تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا ويقولون فلا تقبل منكم تحسبه عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم ● وقال عليه السلام لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا
خياركم فلا يستجاب لهم معناه تسقط مهابتهم عن اعين الاشرار فلا يخافونهم ● وقال ايضًا يا ايها الناس
ان الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم ● وقال ايضًا ما اعمال البر عند
الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر الا كنفثة في بحر لجي ● وقال ايضًا ان الله ليسأل العبد ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله
العبد حجته قال يا رب وثقت بك وفرقت من الناس ● وقال ايضًا اياكم والجلوس على الطرقات قالوا وما لنا بد
انما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غض البصر
وكف الاذى ورد السلام وامر بالمعروف ونهي عن المنكر او ذكر الله سبحانه ● وقال ايضًا ان الله لا يعذب الخاصة
بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه ● وروى ابو امامة الباهلي
عنه عليه السلام انه قال كيف انتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول
الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا لم تأمروا
بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا
وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم
والذي نفسي بيده واشد منه سيكون يقول الله سبحانه بي حلفت لاتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران ● وعن
عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقفن عند رجل يقتل مظلومًا فان اللعنة
تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلومًا فان الرحمة تنزل على من حضره
قال وقال عليه السلام لا ينبغي لامرئ شهد مقامًا فيه حق الا تكلم فيه فانه لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقًا
هو له وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر
فيها ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على من حضر ولا يجوز له مشاهدة هذا المنكر من غير حاجة
اعتذارًا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الاسواق والاعياد
والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجر للخلق ولهذا قال عمر بن عبد العزيز ما ساح السياح
وخلوا دورهم واولادهم الا بمثل ما نزل بنا حين راوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس وراوا انه لا يقبل ممن
تكلم وراوا الفتن ولم يأمنوا ان تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلموا منه فراوا ان مجاورة
السباع واكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم ثم قرا ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين قال
ففر قوم فلولا ما جعل الله في النبوة لقلنا ما هم بافضل من هؤلاء فيما بلغنا ان الملائكة لتلقاهم فتصافحهم
والسحاب والسباع تمر باحدهم فيناديها فتجيبه ويسالها اين امرت فتخبره وليس بنبي ● وقال ابو هريرة
قال عليه السلام من حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكانه حضرها ومعنى الحديث
ان يحضر لحاجة او يتفق جريان ذلك بين يديه فاما الحضور قصدًا فممنوع بدليل الحديث الاول ● وقال ابن
مسعود قال عليه السلام ما بعث الله نبيًا قط الا وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم
بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وبسنة نبيهم فاذا انقرضوا
كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رايتم ذلك فحق على
كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك اسلام ● وقال
ابن مسعود كان اهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم اربعة نفر ينكرون ما يعملون فقام احدهم فقال
انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن اعمالهم
فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل وقال اللهم اني نهيتهم فعصوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم
فغلبوني ثم ذهب ثم قام الاخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني نهيتهم فلم

يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه
فاعتزل عنهم ثم قال اللهم اني نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب
ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم لعصوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب
قال ابن مسعود وكان الرابع ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله ● وقال ابن عباس قيل يا رسول الله اتهلك القرية
وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله تعالى وقال جابر
ابن عبد الله قال عليه السلام اوحى الله الى ملك من الملائكة ان اقلب مدينة كذا وكذا على اهلها فقال يا رب
ان فيهم عبدك فلانًا لم يعصك طرفة عين فقال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط
وقالت عائشة رضي الله عنها قال عليه السلام عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفًا عملهم عمل الانبياء
قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ● وعن عروة
عن ابيه قال قال موسى عليه السلام يا رب اي عبادك احب اليك قال الذي يتسرع الى هواي كما يتسرع النسر
الى هواه والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي والذي يغضب اذا اتيت محارمي كما يغضب
النمر لنفسه فان النمر اذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس ام كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة
الخوف ● وقال ابو ذر الغفاري قال ابو بكر يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال نعم يا ابا بكر ان لله
مجاهدين في الارض افضل من الشهداء احياء مرزوقين يمشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة
كما تزينت ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله من هم قال هم الامرون بالمعروف والناهون
عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات
فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلاثمائة باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم
ليزوج بثلاثمائة الف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له اتذكر يوم
كذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وكلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف ونهى فيه عن
منكر ● وقال ابو عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الشهداء اكرم على الله قال رجل قام الى وال جائر فامره
بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش ● وقال
الحسن البصري قال عليه السلام افضل شهداء امتي رجل قام الى امام جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر
فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر ● وقال عمر سمعته عليه السلام يقول بئس القوم
قوم لا يامرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم
ظالمًا لا يجل كبيركم **واما الاثار** فقد قال ابو الدرداء لتامرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليسلطن
الله عليكم سلطانًا ظالمًا لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعوا عليه خياركم فلا يستجاب لهم وينتصرون
فلا ينصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم ● وسئل حذيفة عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا
بلسانه ولا بقلبه ● وقال مالك بن دينار كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى منزله الرجال والنساء يعظهم
ويذكرهم بايام الله فراى بعض بنيه يومًا وقد غمز بعض النساء فقال مهلًا يا بني مهلًا قال فسقط من سريره
فانقطع نخاعه واسقطت امراته وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله الى نبي زمانه ان اخبر فلانًا الحبر اني لا اخرج
من صلبك صديقًا ابدًا اما كان من غضبك لي الا ان قلت مهلًا يا بني مهلًا ● وقال حذيفة يأتي على الناس
زمان لان يكون جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يامرهم وينهاهم ● واوحى الله تعالى الى يوشع بن نون اني
مهلك من قومك اربعين الفًا من خيارهم وستين الفًا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار
قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم ● وقال بلال بن سعد ان المعصية اذا اخفيت لم تضر
الا صاحبها فاذا اعلنت فلم تغير اضرت بالعامة ● وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك من
قومك قال حسنة قال كعب ان التوراة لتقول غير ذلك قال وما تقول قال تقول ان الرجل اذا امر
بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب ابو مسلم ● وكان عبد الله

ابن عمر ياتي العمال ثم قعد عنهم فقيل له لو اتيتهم فلعلهم يجدون في انفسهم قال ارهب ان تكلمت ان يروا ان الذي بي غير الذي بي وان سكت رهبت ان اثم وهذا يدل على ان من عجز عن الامر بالمعروف فعليه ان يبعد من ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه • وقال علي بن ابي طالب اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف وينكر المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله • وقال سهل بن عبد الله ايما عبد عمل في شي من دينه بما امر به او نهي عنه وتعلق به عند فساد الامور وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قد قام لله في زمانه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام بها وانكر احوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقه • وقيل للفضيل الا تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال ان قوما امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يصبروا على ما اصيبوا • وقيل للثوري الا تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انبثق البحر فمن يقدر ان يسكره فقد ظهر بهذه الادلة ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وان فرضه مع القدرة لا يسقط الا بقيام قائم به فلنذكر الان شروطه وشروط وجوبه

الباب الثاني

في اركان الامر بالمعروف وشروطه اعلم ان الاركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر اربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه اربعة اركان ولكل واحد منها شروط

الركن الاول المحتسب وله شروط وهو ان يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز ويدخل فيه احاد الرعايا وان لم يكونوا ماذونين ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمراة فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما اطرحناه اما الشرط الاول وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه امر وما ذكرناه اردنا به انه شرط الوجوب فاما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي الا العقل حتى ان الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهي واذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلاة والامامة فيها وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتناه للعبد واحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبي ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر **واما الشرط الثاني** وهو الايمان فلا يخفى وجه اشتراطه لان هذه نصرة للدين فكيف يكون من اهلها من هو جاحد لاصل الدين وعدو له **واما الشرط الثالث** وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يامر بما لا يفعله مثل قوله سبحانه اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون • وبما روي عنه عليه السلام انه قال مررت ليلة اسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن الشر وناتيه • وبما روي ان الله اوحى الى عيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وربما استدلوا من طريق القياس بان هداية الغير فرع للاهتداء فكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والاصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود اعوج وكل ما ذكروه خيالات وانما الحق ان للفاسق ان يحتسب وبرهانه هو ان نقول هل يشترط في الاحتساب ان يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فان شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب اذ لا عصمة للصحابة فضلا عمن دونهم والانبياء قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقران دال على نسبة ادم عليه السلام الى المعصية وكذا جماعة من الانبياء ولهذا قال سعيد بن جبير ان لم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يامر احد بشيء فاعجب مالكا ذلك من سعيد بن جبير وان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير ان يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول هل لشارب الخمر ان يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الايتام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله ولا بعده فان قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل له المنع من القتل ام لا فان قالوا لا قلنا

فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب كالشرب بالنسبة الى لبس الحرير فلا فرق وان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بان كل مقدم على شيء لا يمنع عن مثله ولا عما دونه وانما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد ان يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن اين يبعد ان يمنع الزاني من الشرب بل من اين يبعد ان يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ويقول يجب على الانتهاء والنهي فمن اين يلزمني بالعصيان في احدهما ان اعصي الله في الثاني اذ كان النهي واجبا علي فمن اين سقط وجوبه باقدامي اذ يستحيل ان يقال يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فاذا شرب سقط عنه النهي **فان قيل** فيلزم على هذا ان يقول القائل الواجب علي الوضوء والصلاة وانا اتوضا وان لم اصل واتسحر وان لم اصم لان المستحب لي السحور والصوم جميعا ولكن يقال احدهما مرتب على الاخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدا بنفسه ثم بمن يعول **والجواب** ان التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره فلا ينفك عن ذلك الغير واصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير فالقول بترتيب احدهما على الاخر تحكم واما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم من توضا ولم يصل كان مؤديا امر الوضوء وكان عقابه اقل من عقاب من ترك الوضوء والصلاة جميعا فليكن من ترك النهي والانتهاء اكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة فاما الحسبة فليست شرطا في الانتهاء والائتمار ولا اشتراط بينهما **فان قيل** فيلزم على هذا ان يقال اذا زنى رجل بامراة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فاخذ الرجل يحتسب في اثناء الزنا ويقول انت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وما انا بمحرم لك فاستري وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستبشعه كل طبع سليم **والجواب** ان الحق قد يكون شنيعا وان الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الاوهام والخيالات فانا نقول قوله لها في تلك الحالة لا تكشفي وجهك واجب او مباح او حرام فان قلتم انه واجب فهو الغرض لان الكشف معصية والنهي عن المعصية حق وان قلتم مباح فاذا له ان يقول ما هو مباح وما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وان قلتم انه حرام فنقول كان هذا واجبا فمن اين حرم باقدامه على الزنا ومن الغريب ان يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام اخر واما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لشيئين احدهما انه ترك الاهم واشتغل بما هو مهم وكما ان الطباع تنفر عن ترك المهم الى ما لا يعني فتنفر ايضا عن ترك الاهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربا وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور لان الشهادة بالزور اشد وافحش من الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق فيه المخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على ان ترك الغيبة ليس بواجب وانه لو اغتاب او اكل لقمة من حرام لم يزد بذلك عقوبته فلذلك ضرره في الاخرة من معصيته اكثر من ضرره من معصية غيره فاشتغاله بالاقل عن الاكثر مستنكر بالطبع من حيث انه ترك الاكثر لا من حيث انه اتى بالاقل فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت منه الطباع وترى شيئا وقد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر ولكن ترك طلب الفرس وهو منكر وانصرافه عن الفرس الى اللجام وهو منكر وشدة الانكار في هذا الثالث فاشتد الانكار لتركه الاهم بما دونه فلذلك الحسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على ان حسبته من حيث انها حسبة مستنكرة الثاني ان الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ اولا ونحن نقول من علم ان قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ اذ لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في اسقاط فائدة الوعظ الى كلامه ثم اذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فاما اذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر ان يكون بالفعل والحجة جميعا واذا كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال فانت لم تقدم على ذلك الفعل فينفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن احاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا

عن دفعه عن المسلم عن كونه حقا فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه حسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لم يتعظ واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك ايضا ورجع الكلام الى ان احد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق في اراقة الخمور وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه وهذا غاية الانصاف والكشف في المسئلة ● واما الايات التي استدلوا بها فهي انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث امرهم ولكن امرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم اشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقوله سبحانه لم تقولون ما لا تفعلون اراد به الوعد الكاذب وقوله وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا غيرهم ولكن ذكر امر الغير استدلالا به على علمهم وتاكيدا للحجة عليهم ● وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا ان وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحي مني فلا تترك الاهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ اباك ثم جارك والا فاستحي **فان قيل** فليجز للكافر الذمي ان يحتسب على المسلم اذا رآه يزني لان منعه من ذلك حق في نفسه فمحال ان يكون حراما عليه بل ينبغي ان يكون مباحا او واجبا قلنا الكافر ان منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع منه من حيث انه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث انه نهي عن الزنا ولكن من حيث انه اظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه اذلال للمحتكم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن لا من الكافر الذي هو اولى بالذل منه فهذا وجه منعنا اياه من الحسبة والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث انه نهي بل نقول اذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه ان راينا خطاب الكفار بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات وليس يليق بغرضنا الان **الشرط الرابع** كونه ماذونا له من جهة الامام والوالي فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الايات والاخبار التي رويناها تدل على ان كل من راى منكرا فسكت عليه عصى اذ يجب نهيه اينما رآه وكيفما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف ما لم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء احسن رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاؤوا الى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من يد من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم حقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل في الامر بالمعروف اثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي ان لا يثبت لآحاد الرعية الا بتفويض من الوالي وصاحب الامر فنقول اما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل لا يستحق ان ينال عز الحكم على المسلم ● واما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج الى تفويض كعز التعليم والتعريف اذ لا خلاف في ان تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج الى اذن الوالي وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين فكذلك النهي ● وشرح القول في هذا ان الحسبة لها خمس مراتب كما سياتي بيانه **الاولى** التعريف **والثانية** الوعظ بالكلام اللطيف **والثالثة** السب والتعنيف ولسنا نعني بالسب الفحش بل ان نقول يا جاهل يا احمق الا تخاف من الله وما يجري هذا المجرى **والرابعة** المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي واراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من لابسه واستلاب الثوب المغصوب منه ورده على صاحبه **والخامسة** التخويف والتهديد بالضرب او مباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر ذلك الى القتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الامام

الا المرتبة الخامسة فيها نظر سياتي بيانه واما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام واما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف من الله سبحانه وما يجري مجرى ذلك فهو كلام صدق والصدق مستحق بل افضل الدرجات كلمة حق عند امام جائر كما ورد في الحديث فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه ولذلك كسر الملاهي ومنع شرب الخمر فانه تعاطي ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يحتج الى الامام واما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فذلك قد يجر الى فتنة عامة ففيه نظر سياتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالي راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الائمة كما روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة يوم العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان ترك ذلك يا فلان فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج الى اذنهم ● وروي ان المهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله ابن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينه وبينه من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال اعبد الله ابن مرزوق قال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع عليه بها في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره الفرس فلين الله له الفرس قال ثم صيروه في بيت واغلق عليه واخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان ياكل البقل فاوذن به المهدي فقال له من اخرجك قال الذي حبسني قال فضج المهدي وصاح وقال ما تخاف ان اقتلك فرفع عبد الله راسه يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة او موتا قال فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع الى مكة قال وكان جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحر مائة بدنة ● وروي عن حبان بن عبد الله قال تنزه هارون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن ابي جعفر فقال له هرون قد كانت لك جارية تغني تحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها فقال لها ما شانك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئها بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ راسه فراى العود فاخذه فضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع وقال احتفظ بهذا فانه طلبة امير المؤمنين فقال له اسمع ما اقول لك ثم دخل على هرون فقال اني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع راسه فراى العود فاخذه فضرب به الارض فكسره فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمي به في دجلة قال لا ولكن نبعث اليه ونناظره اولا فجاء الرسول فقال اجب امير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون قد جاء الشيخ فقال للندماء اي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى مجلس اخر فقالوا نقوم الى مجلس اخر اصلح فقاموا الى مجلس اخر ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم اطرح هذا وادخل على امير المؤمنين فقال من هذا عشائي الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائك فقال هرون له اي شيء تريد منه فقال في كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على امير المؤمنين فقال دعه لا يطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال واي شيء صنعت وجعل هرون يستحي ان يقول كسرت عودنا فلما اكثر عليه قال اني سمعت اباك واجدادك يقرؤون هذه الاية على المنبر ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ورايت منكرا فغيرته فوالله ما قال الا هذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة وقال له اتبع الشيخ فان رايته يقول قلت لامير المؤمنين وقال لي

فلا نعطه شيئا وارايته لا يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت
فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول لك امير المومنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المومنين يردها من حيث
اخذها ◌ ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على النواة يعالج قلعها من الارض وهو يقول
ارى الدنيا لمن هي في يديه ◌ هموما كلما كثرت لديه ◌ تهين المكرمين لها بصغر ◌ وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شي فدعه ◌ وخذ ما انت محتاج اليه ◌ ويروى عن سفيان قال حج المهدي في سنة ست
وستين ومايه فرايته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه
حدثنا ايمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة يوم
النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا اليك اليك وها انت يخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا فقال لرجل
من هذا فقال سفيان الثوري فقال يا سفيان لو كان المنصور ما احتملك على هذا قال سفيان الثوري فقلت لو
اخبرك المنصور بما لقي لقصرت عما انت فيه قال فقيل له انه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا امير المومنين فقال
اطلبوه فطلب سفيان فاختفى ◌ وقد روي عن المامون انه بلغه ان رجلا محتسبا يمشي في الناس يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ولم يكن مامورا من عنده بذلك فامر بان يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له انه بلغني انك
رايت نفسك اهلا للامر بالمعروف من غير ان نامرك وكان المامون جالسا على كرسي ينظر في كتاب او قصة فاغفله
فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر فقال المحتسب ارفع قدمك عن اسماء الله ثم قل ما شيت فلم يفهم
المامون مراده فقال ماذا تقول حتى اعاد ثلاثا فلم يفهم عنه فقال اما رفعت او اذنت لي حتى ارفع فقال قد
اذنت فنظر المامون تحت قدميه فراى الكتاب فاخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تامر بالمعروف وقد جعل
الله ذلك الينا اهل البيت ونحن الذين قال الله فيهم الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقال صدقت يا امير المومنين انت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكين
غير انا اعوانك واولياوك فيه ولا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله وسنة نبيه قال تعالى والمومنون والمومنات
بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر الاية ◌ وقال عليه السلام المومن للمومن كالبنيان
يشد بعضه بعضا وقد مكنت في الارض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان انقدت لهما شكرت لمن اعانك
بحرمتهما وان استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فان الذي اليه امرك وبيده عزك وذلك قد شرط
انه لا يضيع اجر من احسن عملا فقل الان ما شيت فاعجب المامون بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له ان يامر
بالمعروف فامض على ما كنت عليه بامرنا وعن راينا فاستمر الرجل على ذلك فيني شيا وفي هذه الحكايات بيان الدليل على
الاستغناء عن الاذن **فان قلت** افتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على السيد والزوجة
على الزوج والتلميذ على الاستاذ والرعية على الوالي مطلقا كما تثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج
على الزوجة والاستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية او بينهما فرق فاعلم ان الذي نراه انه يثبت اصل الولاية
ولكن بينهما فرق في التفاصيل ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قد رتبنا للحسبة خمس مراتب وللولد
الحسبة بالرتبتين الاوليين وهو التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد
ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الاخريان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث يودي الى اذى الوالد وسخطه
هذا فيه نظر وهو بان يكسر مثلا عوده ويريق خمره ويحل الخيوط المنسوجة بالحرير من ثيابه ويرد الى الملاك ما
يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه او سرقه او اخذه عن ادرار ورزق من ضريبة المسلمين اذا كان صاحبه
متعينا ويبطل الصور المنقوشة من حيطانه والمنقورة في خشب بيته ويكسر اواني الذهب والفضة فان
فعله في هذه الامور ليس يتعلق بذات الاب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتاذى به ويسخط بسببه الا
ان فعل الولد حق وسخط الاب منشوه حبه للباطل وللحرام والاظهر في القياس انه يثبت للولد ذلك بل يلزمه
ان يفعل ذلك ولا يبعد ان ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه
عليه قريبا كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كان له

انية من بلور او زجاج على صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجري
هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله محل النظر **فان قيل** من اين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف
والضرب والارهاق الى ترك الباطل والامر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص ◌ واما
النهي عن التافيف والاذى فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات فنقول قد ورد في حق
الاب على الخصوص ما يوجب الاستثناء عن العموم اذ لا خلاف في ان الجلاد ليس له ان يقتل اباه حدا في الزنا ولا ان يباشر
اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل ابيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له ان يوذيه في مقابلته وقد
ورد في ذلك اخبار وثبت بعضها بالاجماع فاذا لم يجز له ايذاوه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاوه
بعقوبة هي منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل اولى وهذا الترتيب ايضا ينبغي ان يجري في العبد والزوجة مع
السيد والزوج فهما قريبان من الوالد في لزوم الحق وان كان ملك اليمين اكد من ملك النكاح ولكن في الخبر انه لو
جاز السجود لمخلوق لامرت المراة بالسجود لبعلها وهذا يدل على تاكد الحق ايضا ◌ واما الرعية مع السلطان فالامر
فيه اشد من الوالد فليس لها معه الا التعريف والنصح فاما المرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث ان الهجوم على اخذ
الاموال من خزاينه وردها الى الملاك وعلى تحليل خيوط الحرير من ثيابه وكسر الخمور من بيته يكاد يفضي الى خرق
هيبته واسقاط حشمته وذلك محذور ورد الشرع النهي عنه كما ورد عن السكوت على المنكر وقد تعارض
فيه ايضا محذوران والامر فيه موكول الى اجتهاد منشوه النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته
بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه ◌ واما التلميذ والاستاذ فالامر فيما بينهما اخف لان المحترم
هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه
روي انه سيل الحسن عن الولد كيف يحتسب على الوالد فقال يعظه ما لم يغضب فان غضب سكت عنه
الشرط الخامس كونه قادرا ولا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه
وينكرها ◌ قال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا
واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى
العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع فليلتفت الى معنيين احدهما عدم افادة الانكار
امتناعا والاخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين اربعة احوال **احدها** ان يجتمع المعنيان بان يعلم
انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر
مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا في حاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك
البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد ويحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فيلزمه الهجرة
ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه **الحالة الثانية** ان
ينتفي المعنيان جميعا بان يعلم ان المنكر يترك بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الانكار وهذه هي
القدرة المطلقة **الحالة الثالثة** ان يعلم انه لا يفيد انكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب الحسبة لعدم
فايدتها ولكن تستحب لاظهار شعاير الاسلام وتذكير الناس بامر الدين **الحالة الرابعة** عكس هذه وذلك
ان يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على ان يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق
الخمر او يضرب العود الذي في يده ضربة مختطفة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا المنكر ولكنه يعلم انه
يرجع اليه فيضرب راسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي اوردناه في فضل
كلمة حق عند امام جاير ولا شك في ان ذلك مظنة الخوف ◌ ويدل عليه ايضا ما روي عن ابي سليمان
الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر عليه وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان
في ملا من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص في الفعل **فان قيل** فما معنى قوله
سبحانه ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قلنا لا خلاف في ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل
وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الاية وليس كذلك فقد قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل

ترك النفقة في طاعة الله اي من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه ۞ وقال البراء بن عازب التهلكة هو ان يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب علي ۞ وقال ابو عبيدة هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك واذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا ذلك في الحسبة ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه على الصف او العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم اية التهلكة وانما جاز له الاقدام اذا علم انه يقتل الى ان يقتل او علم انه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فتنكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له ان يعرض نفسه للضرب والقتل اذا كان لحسبته اثر في رفع المنكر او في كسر جاه الفاسق او في تقوية قلوب اهل الدين فاما ان راى فاسقا متغلبا وحده وعنده سيف وبيده قدح وعلم انه لو انكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا ارى للحسبة فيه وجها وهو عين الاهلاك فان المقصود من الحسبة ان يوثر في الدين اثرا ويفديه بنفسه فاما تعريض النفس للهلاك من غير اثر فلا وجه له في الدين بل ينبغي ان يكون هذا حراما وانما يستحب له الانكار اذا قدر على ابطال المنكر او ظهر لعمله فائدة وذلك بشرط ان يقتصر المكروه عليه فان علم انه يضرب معه غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لانه عجز عن دفع المنكر الا بان يفضي ذلك الى منكر اخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم انه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر اخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر لان المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لا من زيد او عمرو وذلك بان يكون مثلا مع انسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو اراقه لشرب صاحبه الخمر او شرب اولاده الخمر لاعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لاراقة ذلك ويحتمل ان يقال انه يريق ذلك ويكون هو مبطلا للمنكر واما شربه للخمر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب الى هذا ذاهبون وليس ببعيد فان هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم الا بظن ولا يبعد ان يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذي يفضي اليه الحسبة والتغيير فانه اذا كان يذبح شاة لغيره لياكلها وعلم انه لو منعه من ذلك لذبح انسانا واكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه من ذبح الانسان او قطع طرفه بحمله على اخذ ماله فذلك له وجه فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقائق نقول العامي لا ينبغي ان يحتسب الا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فاما ما يعلم كونه معصية بالاضافة الى ما يطيف به من الافعال ويفتقر الى الاجتهاد فالعامي ان خاض فيه كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وعن هذا يتاكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين الوالي اذ ربما ينتدب لها من ليس اهلا لها لقصور معرفته او قصور ديانته فيودي ذلك الى وجوه من الخلل وسياتي كشف الغطاء عن ذلك ان شاء الله فان قيل وحيث اطلقتم القول بانه يصيبه مكروه او لانه لا يفيد حسبته فلو كان بدل العلم ظنا فما حكمه قلنا الظن الغالب في هذه الابواب مثل العلم وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم اذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في موضع اخر وهو انه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث يعلم قطعا انه لا يفيد فان كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل انه يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا في وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعمومات الامر بالمعروف تقتضي الوجوب بكل حال ونحن انما نستثني عنه بطريق التخصيص ما اذا علم انه لا فائدة فيه اما باجماع او بقياس ظاهر وهو ان الامر ليس يراد لعينه بل للمامور فاذا علم الياس عنه من المامور فلا فائدة فيه فاما اذا لم يكن ياس فينبغي ان لا يسقط الوجوب فان قيل فالمكروه الذي يتوقع اصابته اذا لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا او كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل ان يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند اليقين بانه لا يصيبه مكروه ام يجب في كل حال الا اذا غلب في ظنه انه يصاب بمكروه قلنا ان غلب على ظنه انه يصاب لم يجب وان غلب انه لا يصاب وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة وان شك فيه

من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات وانما يسقط بمكروه والمكروه هو الذي يظن او يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر ويحتمل ان يقال انه انما يجب عليه اذا علم انه لا ضرر فيه عليه او ظن انه لا ضرر عليه والاول اصح نظرا الى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف فان قيل فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الامل حتى انه لا يصدق به الا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فان الجبن ضعف وهو مرض في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل في المزاج بتفريط او افراط فمن اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراءة قد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جراته جهله وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشرور ودوافعها ولكن يعمل الشر البعيد في تخذيله وتحليل قوته عن الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع ولا التفات الى الطرفين وعلى الجبان ان يتكلف ازالة الجبن بازالة علته وعلته جهل او ضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا اذ المبتدي في المناظرة والوعظ مثلا قد يجبن عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فارقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول على راي لا يجب ركوب البحر لاجل حجة الاسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الامر في وجوب الحسبة فان قيل فالمكروه المتوقع ما حده فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة وما من شخص يامر بالمعروف الا ويتوقع منه نوعا من الاذى وقد يكون منه ان يسعى به الى السلطان او ان يقدح فيه في مجلس يتضرر بقدحه فما حد المكروه الذي يسقط الوجوب به قلنا هذا ايضا فيه نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر اقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع الى اربعة امور اما في النفس فالعلم واما في البدن فالصحة والسلامة ۞ واما في المال فالثروة ۞ واما في قلوب الناس فقيام الجاه فاذا المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك القلوب كما ان معنى الثروة ملك الدراهم لان قلوب الناس وسيلة الى الاغراض كما ان ملك الدراهم وسيلة الى جمع ما في الدنيا من المطالب وسياتي معنى حقيقة الجاه وسبب ميل الطبع اليه في ربع المهلكات وكل واحد من هذه الاربعة يطلبها الانسان لنفسه ولاقاربه والمختصين به ويكره في هذه الاربعة امران احدهما زوال ما هو حاصل موجود والاخر امتناع ما هو منتظر مفقود اعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر الا في فوات حاصل وزواله او تعوق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن الحصول والممكن حصوله كانه حاصل وفوات امكانه كانه فوات حصوله فرجع المكروه الى قسمين احدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي ان يكون مرخصا في ترك الامر بالمعروف اصلا ولنذكر مثاله في المطالب الاربعة ۞ اما العلم فمثاله ترك الحسبة على من يختص باستاذه خوفا من ان يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه ۞ واما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لابس حريرا خوفا من ان يتاخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة ۞ واما المال فتركه الحسبة على السلطان واصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من ان يقطع ادراره في المستقبل ويترك مواساته واما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل خيفة من ان لا يحصل له الجاه او خيفة من ان يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة فان هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وانما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى عن هذا شيء الا ما تدعو اليه الحاجة ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما اذا كان محتاجا الى طبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم ان في تاخره شدة الضنى وطول المرض وقد

يفضي الى الموت واعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول الى التيمم واذا انتهى الى هذا
الحد لم يبعد ان يرخص في ترك الحسبة واما في العلم فمثل ان يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا
وعلم ان المحتسب عليه قادر على ان يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعا له او مستمعا لقوله فاذا
الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يبعد ان يترجح احدهما ويختلف ذلك بتفاحش
المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين واما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو
قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه لقطع رزقه وافتقر في تحصيله الى طلب
ادرار حرام او مات جوعا فهذا ايضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد ان يرخص له في السكوت واما الجاه فهو ان
يؤذيه شرير ولا يجد سبيلا الى دفع شره الا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل اليه الا بواسطة
شخص يلبس الحرير او يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه
اذى الشرير فهذه الامور كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب
حتى يستفتي فيها قلبه ويزن احد المحذورين بالآخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فان رجح بموجب الدين
سمي سكوته مداراة وان رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة وهو امر باطن لا يطلع عليه الا بنظر دقيق ولكن
الناقد بصير فحق على كل متدين ان يراقب قلبه ويعلم ان الله يطلع على باعثه وصارفه انه الدين او الهوى وستجد
كل نفس ما عملت من خير او شر محضرا عند الله ولو في فلتة خاطر او لفتة ناظر من غير ظلم ولا جور وما الله بظلام
للعبيد **واما القسم الثاني** وهو فوات الحاصل فهو مكروه معتبر في جواز السكوت في الامور الاربعة
الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر احد على سلب العلم من غيره وان قدر على سلب
الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا احد اسباب شرف العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في
الآخرة فلا انقطاع له ابد الآباد واما الصحة والسلامة ففواتها بالضرب فكل من علم انه يضرب ضربا مؤلما
يتأذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وان كان يستحب له ذلك كما سبق فاذا فهم هذا في الايلام بالضرب فهو
في الجرح والقطع والقتل اظهر واما الثروة فذلك بان يعلم انه ينهب داره ويخرب بيته ويسلب ثيابه
فهذا ايضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا باس بان يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب
والنهب حد في القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيفة المؤلمة في الضرب وحد في الكثرة
يتعين اعتبارهما ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين ان يجتهد في ذلك ويرجح جانب
الدين ما امكن واما الجاه ففواته بان يضرب ضربا غير مؤلم او يسب على ملأ من الناس او يطرح منديله في
رقبته ويدار به في البلد او يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح في الجاه
ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب ان ينقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد
حاسرا حافيا بين الناس فهذا يرخص له في السكوت لان المروءة مأمور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب
الا يزيد على الم الضربات المتعددة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض
وعلو الرتبة فان الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذا الركوب للخيول فلو علم انه لو احتسب لكلف المشي في السوق
في ثياب لا يعتاد هو مثلها او كلف المشي راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليس المواظبة على حفظها
محمودة وحفظ المروءة محمود فلا ينبغي ان يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفي معنى هذا ما لو خاف ان
يتعرض له باللسان اما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة الى الرياء والنفاق واما في غيبته بانواع الغيبة
فهذا لا يسقط الوجوب اذ ليس فيه الا زوال فضلات الجاه التي ليس اليها كبير حاجة ولو ترك الحسبة بلوم
لائم او باغتياب فاسق او شتمه او تعنيفه او سقوط المنزلة عن قلبه وقلب امثاله لم يكن للحسبة وجوب
اصلا اذ لا تنفك الحسبة عن ذلك الا اذا كان المنكر هو الغيبة وعلم انه لو انكر لم يسكت المغتاب ولكن
اضافه اليه وادخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لانها سبب زيادة المعصية وان علم
انه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لان غيبته ايضا معصية في حق المغتاب

ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الايثار وقد دلت العمومات على تأكد
وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابله الا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس
والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها واما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق اولاده واقاربه
فهو في حقه دونه لان تأذيه بامر نفسه اشد من تأذيه بامر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لان له ان يسامح
في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره فاذا ينبغي ان يمتنع فانه ان كان ما يفوت من حقوقهم يفوت
على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لانه دفع منكر يفضي الى منكر وان كان يفوت
لا بطريق المعصية فهو ايذاء لمسلم ايضا وليس له ذلك الا برضاهم فاذا كان يؤدي ذلك الى اذى
قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له اقارب اغنياء فانه لا يخاف على ماله ان احتسب على السلطان
ولكنه يقصد اقاربه انتقاما منهم بواسطته فاذا كان يتعدى الاذى من حسبته الى اقاربه وجيرانه
فليتركها فان ايذاء المسلمين محذور كما ان السكوت على المنكر محذور نعم ان كان لا ينالهم اذى في
مال او نفس ولكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الامر فيه بدرجات المنكرات في
تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض **فان قيل** فلو قصد الانسان
قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عن ذلك الا بقتال ربما يؤدي الى قتله فهل يقاتله عليه فان قلتم يقاتل
فهو محال لانه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف ايضا قلنا يمنعه
عنه ويقاتله اذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكرات والمعاصي وقتله في الحسبة
ليس بمعصية وقطعه طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم فان ذلك يجوز ولكن قصد
اخذ مال المسلم معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وانما المقصود دفع المعاصي **فان قيل**
فلو علمنا انه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي ان نقتله في الحال حسما لباب المعصية قلنا
ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا اذا رأيناه في حالة مباشرة القطع دفعناه
فان قابلنا قابلناه ولم نبال بما يأتي على روحه فاذا المعصية لها ثلاثة احوال **احدها** ان تكون متصرمة
فالعقوبة على ما تصرم منها حد او تعزير وهو الى الولاة لا الى الآحاد **الثانية** ان تكون المعصية راهنة
وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وامساكه العود والخمر فابطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم
تؤد الى معصية افحش منها او مثلها وذلك يثبت للآحاد والرعية **الثالثة** ان يكون المنكر متوقعا
كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه
اذ ربما يعوق عنه عائق ولا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما
بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان الا اذا كانت تلك المعصية معلومة منه بالعادة
المستمرة وقد اقدم على السبب المؤدي اليه ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار
وذلك كوقوف الاحداث على ابواب حمامات النساء للنظر اليهن عند الدخول والخروج فانهم وان لم
يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم باقامتهم من الموضع ومنعهم من الوقوف بالتعنيف
والضرب وكان تحقيق هذا اذا بحث عنه يرجع الى ان هذا الوقوف في نفسه معصية وان كان مقصده
المعاصي وراءه كما ان الخلوة في نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية
ونعني بالمظنة ما يتعرض الانسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فاذا هو على التحقيق
حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة **الركن الثاني** للحسبة ما فيه الحسبة وهو كل منكر
موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط فلنبحث
عنها **الاول** كونه منكرا ونعني به كونه محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية الى هذا
لان المنكر اعم من المعصية اذ من رأى صبيا او مجنونا يشرب الخمر فعليه ان يريق خمره ويمنعه وكذلك اذا
رأى مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة فعليه ان يمنعه منه وليس ذلك لفحش صورة الفعل وظهوره بين الناس

بل لو صادف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون اذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر ادل عليه واعم من لفظ المعصية وقد ادرجنا في عموم هذه الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالاجنبية واتباع النظر الى النسوة والاجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سياتي في كتاب التوبة

الشرط الثاني ان يكون موجودا في الحال وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس الى الاحاد بعد ان انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله انه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه الا بالوعظ وان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا فيه فان ذلك اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وذلك ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه

الشرط الثالث ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر معصية في داره واغلق بابه فلا يجوز ان يتجسس عليه وقد نهى الله سبحانه عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد اوردناها في كتاب اداب الصحبة وكذلك ما روي ان عمر تسلق دار رجل فراه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال يا امير المؤمنين ان كنت عصيت الله من وجه فقد عصيته من ثلاثة اوجه فقال ما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال واتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة وهو على المنبر وسالهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد فاشار علي بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد وقد اوردنا هذه الاخبار في باب حق المسلم من كتاب اداب الصحبة فلا نعيدها **فان قلت** فما حد الظهور والاستتار فاعلم ان من اغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه لتعرف المعصية الا ان يظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كاصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذلك اذا ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات المالوفة بينهم بحيث يسمعه اهل الشوارع فهذا اظهار موجب للحسبة فاذا يدرك مع تغطية الحيطان صوت او رائحة فاذا فاحت رائحة الخمر فان احتمل ان يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالاراقة وان علم بقرينة الحال انها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فاذا رئي فاسق وتحت ثوبه شيء لم يجز ان يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فان فسقه لا يدل على ان الذي معه خمر اذ الفاسق محتاج ايضا الى الخل وغيره ولا يجوز ان يستدل باخفائه وانه لو كان خلا لما اخفاه لان الاغراض في الاخفاء مما يكثر وان كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر ان له الاحتساب لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في مثل هذه الامور وكذلك العود ربما يعرف بشكله اذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد امرنا بان نستر ما ستر الله وننكر على من ابدى لنا صفحته والابداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن ان نخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس ايضا تفيد العلم فاذا انما يجوز ان يكسر ما تحت الثوب اذا علم انه خمر وليس له ان يقول ارني لاعلم ما فيه فان هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الامارات المعرفة والامارات المعرفة ان حصلت واورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فاما طلب الامارات المعرفة فلا رخصة فيه اصلا

الشرط الرابع ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي ان ينكر على الشافعي اكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي ان ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام وجلوسه في دار اخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم

لو

لو راى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطا زوجته فهذا في محل النظر والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب احد من المحصلين الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذي ادى اجتهاده في التقليد الى شخص راه افضل العلماء ان له ان ياخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذا مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه يلزم من هذا امر اغمض منه وهو ان يجوز للحنفي ان يعترض على الشافعي اذا نكح بغير ولي اذ يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فانت مبطل بالاقدام عليه مع اعتقادك ان الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وان كان صوابا عند الله وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي اذا شاركه في اكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له اما ان تعتقد ان الشافعي اولى بالاتباع ثم تقدم عليه او لا تقدم عليه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا الى امر اخر في المحسوسات وهو ان يجامع الاصم امراة على قصد الزنا وعلم المحتسب ان هذه امراته زوجه اياها ابوه في صغره ولكنه ليس يدري وعجز عن تعريفه ذلك لصممه او لكونه غير عالم بلغته فهو في الاقدام مع اعتقاده انها اجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الاخرة فينبغي ان يمنعه منها مع انها زوجته وهو بعيد من حيث انه حلال في علم الله قريب من حيث انه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك في انه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلا من مشيئة او غضب او غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فاذا راه يجامعها فعليه المنع اعني باللسان لان ذلك زنا الا ان الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بانها طلقت منه ثلاثا وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا انه يمنع منه فاذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وان لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم من هذا عكسه وهو ان يقال ما ليس بمنكر عند الله تعالى وانما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الاظهر والعلم عند الله فيحصل من هذا ان الحنفي لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي وان الشافعي يعترض على الشافعي فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وانما افتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطا المخالف فيها ان راى انه لا يجري الاحتساب الا في معلوم على القطع وقد ذهب اليه ذاهبون وقالوا لا حسبة الا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما ولكن الاشبه عندنا ان الاجتهاد مؤثر في حق المجتهد اذ يبعد غاية البعد ان يجتهد في القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع عنها لاجل ظن غيره اذ ربما يظن غيره ان الاستدبار هو الصواب وراي من راى انه يجوز لكل مقلد ان يختار من المذاهب ما اراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب اليه اصلا فهذا مذهب لا يثبت وان ثبت فلا يعتد به **فان قلت** فاذا كان لا يعترض على الحنفي في النكاح بلا ولي لانه يرى انه حق فلا ينبغي ان يعترض على المعتزلي في قوله ان الله لا يرى ولا في قوله ان الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الحشوي في قوله ان الله جسم وله صورة وانه مستقر على العرش بل لا ينبغي ان يعترض على الفلسفي في قوله الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس لان هؤلاء ايضا ادى اجتهادهم الى ما قالوه وهم يظنون ان ذلك هو الحق **فان قلت** بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح ايضا ظاهر وكما ثبت بظواهر النصوص ان الله سبحانه يرى والمعتزلي ينكر ذلك بالتاويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي كمسالة النكاح بلا ولي ومسالة شفعة الجوار ونظائرها فاعلم ان المسائل تنقسم الى ما يتصور ان يقال فيها كل مجتهد مصيب وهي احكام الافعال في الحل والحرمة وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه اذ لا يعلم خطؤهم قطعا بل ظنا والى ما لا يتصور ان يكون المصيب فيه الا واحدا كمسالة الرؤية والقدر

وقدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستقرار عن الله فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعاً ولا يبقى لخطائه الذي هو جهل محض عذر فاذاً البدع كلها ينبغي ان تحسم ابوابها وتنكر على المبتدعين بدعتهم وان اعتقدوا انها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وان كانوا يعتقدون ان ذلك حق لان خطاهم معلوم على القطع بخلاف الخطا في مظان الاجتهاد **فان قلت** فمهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدري ايضاً في قولك الشر من الله وكذلك في قولك ان الله يرى وفي سائر المسائل اذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل مدع انه محق ومنكر كونه مبتدعاً فكيف يتم الاحتساب فاعلم انا لاجل هذا التعارض نقول ينظر الى البلدة التي فيها اظهرت تلك البدعة فان كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير اذن السلطان وان انقسم اهل البلد الى اهل البدعة واهل السنة وكان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للاحاد الحسبة في المذاهب الا بنصب السلطان فاذا راى السلطان الراي الحق ونصره واذن لواحد ان يزجر المبتدعة عن اظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الاحاد فيتقابل الامر فيه وعلى الجملة فالحسبة في البدع اهم من الحسبة في كل المنكرات ولكن ينبغي ان يراعى فيه هذا التفصيل الذي ذكرناه كي لا يتقابل الامر فيها ولا ينجر الى تحريك الفتنة بل لو اذن السلطان مطلقاً في منع كل من يصرح بان القران مخلوق او ان الله لا يرى او انه مستقر على العرش مماس له او غير ذلك من البدع لتسلط الاحاد على المنع من ذلك ولم يتقابل الامر فيه وانما يتقابل عند عدم راي السلطان فقط

الركن الثالث المحتسب عليه وشرطه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكراً واقل ما يكفي في ذلك ان يكون انساناً ولا يشترط كونه مكلفاً اذ بينا ان الصبي لو شرب الخمر منع من ذلك واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزاً اذ بينا ان المجنون لو كان يزني بمجنونة او ياتي بهيمة لوجب منعه من ذلك نعم من الافعال ما لا يكون منكراً في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره ولكنا لسنا نلتفت الى اختلاف التفاصيل فان ذلك ايضاً مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح وغرضنا الاشارة الى الصفة التي بها يتهيا لتوجه اصل الانكار عليه لا لما بها يتهيا للتفاصيل **فان قلت** فلتكف بكونه حيواناً ولا تشترط كونه انساناً فان البهيمة لو كانت تفسد زرعاً لانسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة فاعلم ان تسمية ذلك حسبة لا وجه له اذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة لحق الله ولذا منع الصبي من شرب الخمر والانسان اذا اتلف زرع غيره منع منه لحقين احدهما حق الله فان فعله معصية والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل احداهما عن الاخرى ولو قطع طرف غيره باذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه باذنه فتثبت الحسبة والمنع باحدى العلتين والبهيمة اذا اتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع باحدى العلتين ولكن فيه دقيقة وهو انا لسنا نقصد باخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم اذ البهيمة لو اكلت ميتة او شربت من اناء فيه خمر او ما هو مشوب بالخمر لم نمنعها منه بل يجوز اطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم اذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظاً للمال بل لو وقعت جرة الانسان من علو وتحتها قارورة لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة من السقوط لانا لا نقصد منع الجرة وحراستها بل من ان تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة وشرب الخمر ولذا الصبي لا صيانة للبهيمة المأتية او الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيهاً له من حيث انه انسان محترم فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن لها الا المحققون ولا ينبغي ان يغفل عنها ثم فيما ينبغي تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر اذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك وسنتعرض لما نشير اليه في الباب الثالث **فان قلت** فكل من راى بهائم قد استرسلت في زرع انسان فهل يجب عليه اخراجها وكل من راى مالاً لمسلم اشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه فان قلتم ان ذلك واجب فهذا تكليف شطط يودي الى ان يصير الانسان مسخر الغير طول عمره وان قلتم لا يجب فلم يجب

الاحتساب على كل من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير فنقول هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه ان نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير ان يناله تعب في بدنه او خسران في ماله او نقصان في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلم بل هو اقل درجات الحقوق والادلة الموجبة لحقوق المسلم كثيرة وهذا اقل درجاتها وهو اولى بالايجاب من رد السلام فان الاذى في هذا اكثر من الاذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في ان مال الانسان اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق اليه لوجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه فاما ان كان عليه تعب او ضرر في مال او جاه لم يلزمه ذلك لان حقه مرعي في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه ان يفدي غيره بنفسه نعم الايثار مستحب وتجشم المصاعب لاجل المسلمين قربة فاما ايجابه فلا فاذا كان يتعب باخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه السعي في ذلك ولكن اذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع من نومه او باعلامه يلزمه ذلك فاهمال تعريفه وتنبيهه كاهمال تعريف القاضي بالشهادة وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن ان يراعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال ان كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله باخراج البهائم الا قدر درهم مثلاً وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيرجح جانبه لان الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الالف حفظ الالف فلا سبيل الى المصير الى ذلك فاما اذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب او قتل عبد مملوك هو للغير فهذا يجب المنع منه وان كان فيه تعب ما لان المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الانسان ان يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه ان يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وانما الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس وهذا غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه ما ذكرناه في درجات المحذورات التي يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين تقربان من غرضنا احداهما ان الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا ان يفصل ويقال ان كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها او يتركها كما لو كانت في مسجد او رباط يتعين من يدخله وكلهم امناء فلا يلزمه الالتقاط وان كانت في مضيعة نظر فان كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج الى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه انساناً محترماً والملتقط ايضاً انسان وله حق في ان لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله وان كانت اللقطة ذهباً او ثوباً او شيئاً لا ضرر عليه فيه الا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي ان يكون في محل الوجهين فقائل يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك الا ان يتبرع فيلتزم طلباً للثواب وقائل يقول ان هذا القدر من التعب مستصغر بالاضافة الى مراعاة حقوق المسلمين فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر الى بلدة اخرى الا ان يتبرع بذلك واذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعباً في غرض اقامة الشهادة واداء الامانة وان كان في الطرف الاخر من البلد واحوج الى الحضور في الهاجرة وعند شدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فاذاً الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في انه لا يبالى به وطرف في الكثرة لا يشك في انه لا يلزم احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون ابداً في محل الشبهة والنظر وهو من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر ازالتها اذ لا علة تفرق بين اجزائها المتقاربة لكن المتقي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذا نهاية الكشف عن هذا الاصل

الركن الرابع نفس الاحتساب وله درجات واداب اما الدرجات فاولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان وجمع الجنود

اما الدرجة الاولى وهي التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرنا

فلا ينبغي ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا ان يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا
ان يمس ما في ثوب انسان ليعرف شكل المزمار ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو
اخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بان فلانا يشرب الخمر في داره او بان في داره خمرا استعده للشرب فله اذ
ذاك ان يدخل داره ولا يلزمه الاستيذان ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل الى دفع المنكر ككسر راسه
بالضرب للمنع مهما احتاج اليه وان اخبره عدلان او عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته دون شهادته
ففي جواز الهجوم على داره بقولهم نظر واحتمال والاولى ان يمتنع لان له حقا في ان لا يدخل الى داره بغير
اذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه الا بشاهدين فهذا اولى ما يجعل مردا فيه وقد قيل انه
كان نقش خاتم لقمن الستر لما عاينت احسن من اذاعة ما ظننت **الدرجة الثانية** التعريف فان المنكر
قد يقدم عليه المقدم بجهله واذا عرف انه منكر تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم
ان ذلك لجهله واذا عرف انه منكر تركه كالسوادي يصلي ان هذه ليست بصلاة ولو رضي بان لا يكون مصليا
لترك اصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لان في ضمن التعريف نسبة الى الجهل والحمق
والتجهيل ايذاء وقل ما يرضى الانسان ان ينسب الى الجهل بالامور لا سيما بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب
عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطا والجهل وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من ان
ينكشف عورة جهله والطباع احرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لان الجهل قبح في
صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع الى صورة البدن والنفس اشرف
من البدن وقبحها اشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لانه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في
اختياره ازالته وتحسينه والجهل قبح يمكن ازالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تالم الانسان
بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا
للعورة مؤذيا للقلب فلا بد ان يعالج دفع اذاه بلطف الرفق ويقول له ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا
ايضا جاهلين بامور الصلاة فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية عن اهل العلم او عالمها مقصر في شرح الصلاة
وايضاحها انما شرط الصلاة الطمانينة في الركوع والسجود فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير ايذاء
فان ايذاء المسلم حرام محظور كما ان تقريره على المنكر محظور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم او بالبول
ومن اجتنب محظور السكوت على المنكر واستبدل عنه محظور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل
الدم بالبول على الحقيقة فاما اذا وقفت على خطا في غير امر الدين فلا ينبغي ان ترده عليه فانه يستفيد منك
علما ويصير لك عدوا الا اذا علمت انه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا **الدرجة الثالثة** النهي بالوعظ
والنصح والتخويف بالله وذلك فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا او فيمن اصر عليه بعد ان عرف
كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب او على الظلم او على اغتياب المسلمين او ما يجري مجراه فينبغي ان يوعظ
ويخوف بالله ويورد عليه الاخبار الواردة بالوعيد في ذلك ويحكى له سيرة السلف وعادة المتقين وكل
ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية
مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة وههنا آفة عظيمة ينبغي ان يتوقاها فانها مهلكة وهو ان
العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الادلال واظهار التميز
بشرف العلم واذلال صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر اقبح في نفسه من
المنكر الذي يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل
وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل انسان الا من عرفه الله عيوب نفسه
وفتح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين احدهما من جهة دالة العلم
والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع الى الرياء وطلب الجاه وهي الشهوة الخفية الداعية
الى الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي ان يمتحن به المحتسب نفسه وهو ان يكون امتناع ذلك الانسان

عن المنكر بنفسه او باحتساب غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة
على نفسه وهو يود ان يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه
وانزجاره بزجره احب اليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى نفسه ومتوسل الى اظهار جاه
نفسه بواسطة حسبته فليتق الله وليحتسب اولا على نفسه وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام
يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقيل لداود الطائي ارايت رجلا
دخل على هؤلاء الامراء فامرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر قال اخاف عليه السوط قيل له انه يقوى عليه
قال اخاف عليه السيف قيل له انه يقوى به قال اخاف عليه الداء الدفين وهو العجب **الدرجة الرابعة**
السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل اليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي
الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول ابرهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله
افلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة الى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل ان يخاطبه بما فيه مما
لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا احمق يا جاهل الا تخاف الله وكقوله يا سوادي يا غبي وما يجري هذا
المجرى فان كل فاسق فهو احمق وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو احمق والكيس
من شهد له عليه السلام بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من
اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ولهذه الرتبة ادبان احدهما ان لا يقدم عليه الا عند الضرورة والعجز عن
اللطف والثاني ان لا ينطق الا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه بل يقتصر
على قدر الحاجة فان علم ان خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي ان يطلقه بل يقتصر على اظهار
الغضب والاستحقار له والازراء بمحله لاجل المعصية وان علم انه لو تكلم ضرب ولو اكفهر واظهر الكراهة
بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه ان يقطب وجهه ويظهر الانكار به **الدرجة
الخامسة** التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمر وخلع الحرير عن راسه وعن بدنه ومنعه
من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير واخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله واخراجه من المسجد
اذا كان جالسا فيه وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون البعض فاما معاصي اللسان
والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وفي
هذه الدرجة ادبان احدهما ان لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فاذا امكنه
ان يكلفه المشي في الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي ان يدفعه او يجره واذا قدر على ان يكلفه
اراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي ان يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد
الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاط بنفسه كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله الثاني ان يقتصر
في طريق التغيير على القدر المحتاج اليه وهو ان لا ياخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله اذا قدر على جره بيده فان
زيادة الاذى في ذلك مستغنى عنه وان لا يمزق الثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب
الذي اظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر ان يصير الى حال يحتاج في
استيناف اصلاحه الى تعب يساوي تعب الاستيناف من الخشب ابتداء وفي اراقة الخمور يتوقى كسر الاواني
ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وتسقط قيمة الظرف وتقومه
بسبب الخمر اذ صار حائلا بينه وبين الوصول الى الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب والجرح
ليتوصل الى اراقة الخمر فاذا لا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كانت الخمر في قوارير ضيقة
الرؤوس ولو اشتغل باراقتها طال عليه الزمان وادركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وان كان لا
يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع فيه زمانه ويتعطل عليه اشغاله فله كسرها فليس عليه ان
يضيع منفعة بدنه وغرضه من اشغاله لاجل ظروف الخمر وحيث تكون الاراقة متيسرة بلا كسر فاذا كسره
لزمه الضمان **فان قلت** فهلا جاز الكسر لاجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل في الاخراج

عن الارض المغصوبة ليكون ذلك ابلغ في الزجر فاعلم ان الزجر انما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون عن الماضي والدفع عن الحاضر الراهن وليس الى احاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد على قدر الاعدام فهو اما عقوبة على جريمة سابقة او زجر عن لاحق وذلك الى الولاة لا الى الرعية نعم الوالي له ان يفعل ذلك اذا راى المصلحة فيه واقول له ان يامر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجرا وقد فعل ذلك في زمانه عليه السلام تاكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة الى الزجر والفطام شديدة فاذا راى الوالي باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك وان كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لاحاد الرعية **فان قلت** فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف اموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويعصون واحراق اموالهم التي بها يتوصلون الى المعاصي فاعلم ان ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركها بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها فانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا احاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو اريقت الخمور اولا فلا يجوز كسر الاواني بعدها وانما جاز كسرها تبعا للخمر فاذا خلت عنها فهو اتلاف مال الا ان تكون ضارية بالخمر لا تصلح الا لها فكان الفعل المنقول عن العصر الاول كان مقرونا بمعنيين احدهما شدة الحاجة الى الزجر والاخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن راي صاحب الامر لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر وذلك ايضا مؤثر فلا سبيل الى الغائه فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة الى معرفتها

الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا والا كسرت راسك او لاضربن رقبتك او لامرن بك وما اشبهه وهذا ينبغي ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه والادب في هذه الرتبة ان لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لانهبن دارك او لاضربن ولدك او لاسبين زوجتك وما يجري مجراه بل ان قال ذلك عن عزم فهو حرام وان قاله عن غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه الى حد معلوم يقتضيه الحال وله ان يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن اذا علم ان ذلك يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحظور بل المبالغة في مثل ذلك معتادة وهي في معنى مبالغة الرجل في اصلاحه بين شخصين وتاليفه بين الضرتين وذلك مما قد رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص والى هذا المعنى اشار بعض الناس انه لا يقبح من الله ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف في الوعيد كرم وانما يقبح ان يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضي عندنا فان الكلام القديم لا يتطرق اليه الخلف وعدا كان او وعيدا وانما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك اذ الخلف في الوعيد ليس بحرام

الدرجة السابعة مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للاحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغي ان يكف والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس فان اصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على اداء الحق وكونه معاندا فله ان يلزمه الاداء بالضرب على التدريج اذا احتاج اليه وكذلك المحتسب يراعي التدريج فان احتاج الى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله ان يتعاطى ذلك كما لو قبض فاسق مثلا على امراة او كان يضرب بمزمار معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل او جدار مانع فلياخذ قوسه ويقول له خل عنها او لارمينك فان لم يخل عنها فله ان يرميه وينبغي ان لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما اشبهه ويراعي فيه التدريج وكذلك يسل السيف ويقول اترك هذا المنكر او لاضربنك فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله سبحانه وما يتعلق بالادميين وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالادميين فلا حسبة فيه الا بالكلام او بالضرب لكن للامام لا للاحاد

الدرجة الثامنة ان لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه الى اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه ويؤدي ذلك الى ان يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه الى اذن

الامام فقال قائلون لا يستقل احاد الرعية بذلك لانه يؤدي الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال اخرون لا يحتاج الى الاذن وهو الاقيس لانه اذا جاز للاحاد الامر بالمعروف واوائل درجاته تجر الى ثوانيه وقد ينتهي لا محالة الى التضارب والتضارب يدعو الى التعاون فلا ينبغي ان يبالي بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله سبحانه ودفع معاصيه ونحن نجوز للاحاد من الغزاة ان يجتمعوا ويقاتلوا من ارادوا من فرق الكفار قمعا لاهل الكفر فكذلك قمع اهل الفساد جائز لان الكافر لا باس بقتله والمسلم ان قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا باس بقتله والمحتسب المحق ان قتل مظلوما فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر في الحسبة فلا يغير به قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله ان يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وباعوانه فالمسالة اذا محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الاحتساب فلنذكر ادابها

بيان اداب المحتسب

قد ذكرنا تفاصيل الاداب في احاد الدرجات ونذكر الان جملها ومصادرها فنقول جميع اداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب العلم والورع وحسن الخلق اما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها فيقتصر على حد الشرع فيها والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزائد على الحد الماذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض وليكون كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزا به اذا احتسب ويورث ذلك جراة واما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه والعلم والورع لا يكفي فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبول له بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه في دين الله والا فاذا اصيب عرضه او نفسه بشتم او ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات وان فقدت لم يندفع المنكر وربما كانت الحسبة ايضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الاداب قوله عليه السلام لا يامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يامر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون فقيها مطلقا بل فيما يامر به وينهى عنه وكذا الحلم وقال الحسن البصري اذا كنت ممن يامر بالمعروف فكن من اخذ الناس به والا هلكت وقد قيل

لا تلم المرء على فعله ... وانت منسوب الى مثله

من ذم شيئا واتى مثله ... فانما يزري على عقله

ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط اثره عن القلوب بظهور فسقه للناس وقد روي عن انس قال قلنا يا رسول الله لا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله واوصى بعض السلف بنيه فقال ان اراد احدكم ان يامر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب لم يجد مس الاذى فاذا من اداب الحسبة توطين النفس على الصبر ولذلك قرن الله الصبر بالامر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمان يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك **ومن الاداب** تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة فقد روي عن بعض المشايخ انه كان له سنور وكان ياخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فراى على القصاب منكرا فدخل الدار اولا واخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا اعطيك بعد هذا شيئا لسنورك فقال ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع في ان تكون قلوب الناس عليه طيبة والسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر له الحسبة قال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال ان التوراة تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر سات

منزلته عند قومه فقال له ابو مسلم صدقت التوراة وكذب ابو مسلم ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المامون اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فليكن اقتدا المحتسب في الرفق بالانبيا عليهم السلام فقد روى ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اتاذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال عليه السلام دعوه قال ادنوا مني فدنا حتى جلس بين يديه وقال اتحبه لامك فقال لا جعلني الله فداك فقال فكذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم اتحبه لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم اتحبه لاختك وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل ذلك لا جعلني الله فداك وهو يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما اعني ابن عوف والراوي الاخر فوضع عليه السلام يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شي ابغض اليه منه يعني من الزنا وقيل لفضيل بن عياض ان سفيان بن عيينة قبل جوايز السلطان فقال فضيل ما اخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان يا ابا علي ان لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين وقال حماد بن سلمة ان صلة بن اشيم مر عليه رجل قد اسبل ازاره فهم اصحابه ان ياخذوه بشدة فقال دعوني انا اكفيكم فقال يا ابن اخي ان لي اليك حاجة قال وما حاجتك يا عم فقال احب ان ترفع من ازارك فقال نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو اخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم وقال محمد بن زكريا الغلابي شهدت عبد الله بن محمد بن عايشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله واذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امراة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر اليه ابن عايشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن اخي فقال الي يا ابن اخي فاستحيا الغلام فجاء اليه فضمه الى نفسه ثم قال امض معي فمضى معه حتى صار الى منزله وادخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فاذا افاق من سكره فاعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تاتيني به فلما افاق وذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكا وهم بالانصراف فقال الغلام قد امر ان تاتيه فادخله عليه فقال له اما استحييت لنفسك اما استحييت لشرفك اما ترى من ولدك فاتق الله وانزع عما انت عليه فبكى الغلام منكسا راسه ثم رفع راسه وقال عاهدت الله عهدا يسالني عنه يوم القيمة اني لا اعود لشرب النبيذ ولا لشي مما كنت فيه وانا تايب فقال ادن مني فقبل راسه وقال احسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب الحديث وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال ان الناس يامرون بالمعروف ويكون معروفهم منكرا عليكم بالرفق في جميع اموركم تنالون به ما تطلبون وعن الفتح بن شخرف قال تعلق رجل بامراة وتعرض لها وبيده سكين لا يدنو منه احد الا عقره وكان الرجل شديد البدن فبينا الرجل والمراة تصيح من يده اذ مر بشر ابن الحرث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل الى الارض ومضى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا ومضت المراة بحالها فسالوه ما حالك فقال ما ادري ولكني حاكني رجل وقال لي ان الله ناظر اليك والى ما تعمل فضعفت لقوله قدماي وهبته هيبة شديدة لا ادري من ذلك الرجل فقالوا له ذلك بشر بن الحرث فقال واسوتاه كيف ينظر الي بعد اليوم وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع فهكذا كانت عادة اهل الدين في الحسبة وقد نقلنا فيها اثارا واخبارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب اداب الصحبة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الاحتساب وادابها

الباب الثالث

في المنكرات المالوفة في العادات نشير الى جمل منها ليستدل بها على امثالها اذ لا مطمع في حصرها واستقصايها فمن ذلك منكرات المساجد اعلم ان المنكرات تنقسم الى مكروهة والى محظورة فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب ذكره له فان الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه الى من لا يعرفه واذا قلنا منكر محظور او قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا فمما يشاهد كثيرا في المساجد اساة الصلاة بترك الطمانينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهي عنه الا عند الحنفي الذي يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة الصلاة اذ لا ينفع النهي عنها معه فمن راى مسيا في صلاته فسكت عنه فهو شريكه هكذا ورد به الاثر وفي الخبر ما يدل عليه اذ ورد في الغيبة ان المستمع شريك القايل وكذلك كل ما يقدح في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها او انحراف عن القبلة بسبب ظلام او عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه **ومنها** قراة القران باللحن يجب النهي عن ذلك ويجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف في المسجد يضيع اكثر اوقاته في امثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فان هذا افضل له من الذكر وتطوعه لان هذا فرض وهي قربة تتعدى فايدتها فهي افضل من النافلة تقتصر عليه فايدتها وان كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلا او عن الكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان كان يحتاج الى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القران ان كان قادرا على التعلم فليمتنع من القراة قبل التعلم فانه عاص بذلك وان كان لا يطاوعه اللسان فان كان اكثر ما يقروه لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وان كان الاكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا باس له ان يقرا ولكن ينبغي ان يخفض بالقراة حتى لا يسمع غيره ولمنعه سرا منه ايضا وجه ولكن اذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له انس بالقراة وحرص عليها فلست ارى بذلك باسا والله اعلم **ومنها** تراسل المؤذنين في الاذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين وانفراد كل واحد منهم باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع الاذان الاخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الاذان لتداخل الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها فان صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها وكذلك اذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي ان يمنع من الاذان بعد الصبح فان ذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس الا اذا عرف انه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على اذانه في صلاة وترك تسحر او كان معه مؤذن اخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح ومن المكروهات ايضا تكثير الاذان مرة بعد اخرى بعد طلوع الشمس في مسجد واحد في اوقات متقاربة متعاقبة اما من واحد او من جماعة فانه لا فايدة فيه اذ لم يبق في المسجد نايم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف **ومنها** ان يكون الخطيب لابسا لثوب اسود يغلب عليه الابريسم او ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب فاما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ احب الثياب الى الله البيض ومن قال انه مكروه وبدعة اراد انه لم يكن معهودا في العصر الاول ولكنه اذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي ان يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للاحب **ومنها** كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص ان كان يكذب في اخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب ولذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه الا على قصد اظهار الرد عليه اما للكافة ان قدر على ذلك او لبعض الحاضرين حوله فان لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة قال سبحانه لنبيه عليه السلام فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومهما كان كلامه مايلا الى الارجا وتجرية الناس على المعاصي وكان الناس يزدادون بكلامه جراة وبعفو الله ورحمته وثوقا يزيد بسببه رجاوهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه منه لان فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجايهم فذلك اقرب والبق بطباع الخلق فانهم الى الخوف احوج وانما العدل تعديل الخوف والرجا كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنسا في ثيابه وهيته كثير الاشعار والاشارات والحركات وقد حضر مجلسه النسا فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه اكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه بقراين احواله بل لا ينبغي ان يسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع وهيته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال ويجب ان يضرب بين الرجال والنساء حايل يمنع من النظر فان ذلك ايضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النسا من حضور المساجد للصلاة ومجالس الذكر اذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عايشة فقيل لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله

ما احدث النسا بعده لمنعهن واما اجتياز المراة المسجد مستترة فلا يمنع منه الا ان الاولى ان لا تتخذ المسجد
مجازا اصلا وقراة القران بين يدي الوعاظ مع التمديد والالحان على وجه يغير نظم القران ويجاوز حد التنزيل منكر
مكروه شديد الكراهة انكره جماعة من السلف ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات
وقيام السؤال وقراتهم للاشعار وما يجري مجراه فهذه الاشيا منها ما هو حرام لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين
من طرقية الاطبا وكاهل الشعبذة والتلبيسات وكذا ارباب التعويذات في الاغلب يتوصلون الى بيعها بالتلبيس
على الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس
واخفا عيب عن المشتري فهو حرام ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الادوية والكتب والاطعمة
فهذا في المسجد ايضا لا يحرم الا بعارض وذلك بان يضيق المكان على المصلين ويشوش عليهم صلاتهم فان لم
يكن شي من ذلك فليس بحرام والاولى تركه ولكن شرط اباحته ان يجري في اوقات نادرة وايام معدودة
فان اتخذ المسجد دكانا على الدوام حرم عليه ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة
كما ان الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الاصرار فان كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف منه ان يجر الى الكثير
فليمنع منه وليكن هذا المنع الى الوالي او الى القيم بمصالح المسجد من جهة الوالي لانه يدرك ذلك بالاجتهاد
وليس للاحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوف ان ذلك يكثر ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى
في المسجد ولا باس بدخول الصبي اذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت على لعبه الا ان يتخذ
المسجد ملعبا ويصير ذلك عادة له فيجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله
ما روي في الصحيح انه عليه السلام وقف لاجل عايشة حتى نظرت الى الحبشة يلعبون ويزفنون بالدف
والحراب يوم العيد في المسجد ولا شك في ان الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك
على الندور والقلة منكرا حتى نظر اليه ثم امرهم عليه السلام لتبصرهم عايشة تطييبا لقلبها اذ قال
دونكم يا بني ارفدة كما نقلناه في كتاب السماع واما المجانين فلا باس بدخولهم المسجد الا ان يخشى تلويثهم
او شتمهم ونطقهم بما هو فحش او تعاطيهم لما هو منكر في صورته ككشف العورة ونحوه فاما المجنون
الهادي الساكت الذي قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب اخراجه من المسجد والسكران في معنى
المجنون فان خيف منه القذف اعني القي والايذا باللسان وجب اخراجه وكذا ان كان مضطرب العقل
فانه يخاف ذلك منه وان كان قد شرب ولم يسكر والرايحة منه فايحة فهو منكر مكروه شديد الكراهة
وكيف لا وقد نهى عليه السلام عن اكل الثوم والبصل عن حضور المسجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والامر
في الخمر اشد فان قال قايل ينبغي ان يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا قلنا لا بل ينبغي
ان يلزم القعود في المسجد ويدعا اليه ويومر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا فاما ضربه للزجر
فليس ذلك للاحاد بل هو الى الوالي وذلك عند اقراره او شهادة شاهدين فاما بمجرد الرايحة فلا نعم
اذا كان يمشي بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعا له عن اظهار اثر
السكر فان اظهار الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر اثارها فان
كان مستترا مخفيا لاثره فلا يجوز ان يتجسس عليه والرايحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الخمر
وبوصول الخمر الى الفم دون الابتلاع فلا ينبغي ان يعول على ذلك **منكرات الاسواق** من المنكرات المعتادة
في الاسواق الكذب في المرابحة واخفا العيب فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة واربح فيها درهما
وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك ان يخبر المشتري بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البايع كان شريكا له في
الجناية وعصى بسكوته وكذا اذا علم به عيبا فيلزمه ان ينبه المشتري عليه والا كان راضيا بضياع مال
اخيه المسلم وذلك حرام وكذلك التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه
او رفعه الى الوالي حتى يغيره ومنها ترك الايجاب والقبول والاكتفا بالمعاطاة ولكن ذلك في محل
الاجتهاد فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها

بانها فاسدة للعقود وكذا في الربويات كلها وهي غالبة وكذلك ساير التصرفات الفاسدة ومنها بيع
الملاهي وبيع اشكال الحيوانات المصورة في ايام العيد لاجل الصبيان فذلك يجب كسره والمنع من بيعه
كالملاهي وكذلك بيع الاواني المتخذة من الذهب والفضة وكذا بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب واعني بالحرير
ما لا يصلح الا للرجال ويعلم بعادة البلد انه لا يلبسه الا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من
يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التي تلتبس على الناس بقصارتها ابتذالها واستعمالها ويزعم انها
جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثوب بالرفو وما يودي الى الالتباس
وكذلك جميع انواع العقود المودية الى التلبيسات وذلك يطول احصاوه فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره
منكرات الشوارع فمن المنكر المعتاد في الشوارع وضع الاساطين وبنا الدكاكين متصلا بالابنية المملوكة
وغرس الاشجار واخراج الرواشن والاجنحة ووضع الخشب واحمال الحبوب وغيرها على الطرقات فكل ذلك منكر ان
كان ذلك يودي الى تضييق الطريق واستضرار المارة فان لم يود الى ضرر اصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز
وضع الحطب واحمال الاطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك في الحاجة اليه الكافة ولا يمكن
المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وتنجس المجتازين منكر يجب المنع منه الا بقدر حاجة
النزول والركوب وهذا لان الشوارع مشتركة المنفعة وليس لاحد ان يختص بها الا بقدر الحاجة والمرعي هي الحاجة
التي تراد الشوارع لاجلها في العادة دون ساير الحاجات ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق
ثياب الناس فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث لا يمزق الثياب او امكن العدول بها الى موضع واسع والا
فلا منع اذ حاجة اهل البلد تمس الى ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة نقلها وكذلك
تحميل الدواب من الاحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه وكذلك ذبح القصاب على باب دكانه وتلويث
الطريق بالدم منكر يجب المنع منه بل حقه ان يتخذ في دكانه مذبحا فان ذلك تضييق للطريق واضرار بالناس بسبب
ترشش النجاسة واضرار بسبب استقذار الطباع لذلك وكذلك طرح الكناسة على جواد الطرق وتبديد قشور
البطيخ او رش الما بحيث يخشى منه التزلق والسقوط فكل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال الما من الميازيب المخرجة من
الحايط الى الطريق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب او يضيق الطريق ولا يمنع منه في الطرق الواسعة اذ العدول عنه ممكن
فاما ترك مياه المطر والاوحال والثلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين الا الثلج
الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والما الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح
الطريق وان كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للاحاد فيها الا الوعظ فقط
وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يوذي الناس فيجب منعه منه وان كان لا يوذي الا بتنجيس الطريق وكان
يمكن الاحتراز من نجاسته لم يمنع منه وان كان يضيق الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من ان ينام
على الطريق او يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه اولى بالمنع **منكرات الحمامات** من ذلك الصور التي تكون
على باب الحمام فذلك منكر يجب ازالته على كل من دخل الحمام او راى الصور ان قدر عليها فان كان الموضع مرتفعا
لا يصل اليه يده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام اخر فان مشاهدة المنكر غير جايزة ويكفيه ان
يشوش وجوهها بحيث يبطل به تصويرها ولا يمنع من تصوير الاشجار وساير النقوش سوى صور الحيوانات ومنها
كشف العورات والنظر اليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها
ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حرام كالنظر اليها ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك
لتغميز الاعجاز والافخاذ فهذا مكروه وان كان مع حايل ولكن لا يكون محظورا اذا لم يخش من حركة الشهوة وكذلك
كشف العورة للحجام الذمي من الفواحش فان المراة لا يجوز لها ان تكشف بدنها للذمية في الحمام فكيف يجوز لها
كشف العورة للرجال ومنها غمس الايدي والاواني النجسة في المياه القليلة وغسل الازار والاواني النجسة
في الحوض وماوه قليل فانه ينجس الما الا على مذهب مالك فانه لا يجوز الانكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية
والشافعية فان اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف

وذلك بان يقول له انا محتاج الى الماء لغسل يدك او لانغمسها في الماء واما انت فتستغني عن ايذائي وتفويت
الطهارة على هذا وما يجري مجراه فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر **ومنها** ان يكون في مداخل
بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملس مزلقة تزلق بها الغافلون فهو منكر يجب قلعه وازالته وينكر
على الحمامي اهماله فانه يفضي الى السقطة وقد تؤدي السقطة الى انكسار عضو او انخلاعه وكذلك ترك السدر
والصابون المزلق على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك وتركه وخرج فزلق به انسان وانكسر عضو من اعضائه
وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز منه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي اذ على الحمامي تنظيف
الحمام والوجه ايجاب الضمان على تاركه في اليوم الاول وعلى الحمامي في اليوم الثاني اذ عادة تنظيف الحمام
كل يوم معتاد والرجوع في مواقيت اعادة التنظيف الى العادات فليعتبر بها وفي الحمام امور اخر مكروهة
ذكرناها في كتاب الطهارة فلا ننظر الى عادتها **منكرات الضيافة** فمن ذلك فرش الحرير للرجال فهو
حرام ولذلك تبخير البخور في مجمرة ذهب او فضة وكذلك الشرب منهما او استعمال ماء الورد منهما او مما رأسه
منهما ولذلك تعليق الستور وعليها الصور ومنها سماع الاوتار او سماع القينات ومنها اجتماع
النساء على السطح للنظر الى الرجال مهما كان في الرجال شبان يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره
ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة في الجلوس مع مشاهدة المنكرات واما الصور على
النمارق والزرابي المفروشة فليس منكرا وكذا على الاطباق والقصاع الا الاواني المتخذة على شكل الصور فانه
لا يجوز وقد يكون بعض رؤوس المجامر على شكل طائر فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة
من الفضة خلاف وقد حكي ان احمد بن حنبل خرج عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما او كان الموضع
مغصوبا او كانت الثياب المفروشة حراما فذلك من اشد المنكرات فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده
فلا يجوز الحضور اذ لا يحل حضور مجالس الشرب وان كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة
مباشرته للفسق وانما النظر في مجالسته بعد ذلك وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب
البغض والحب في الله وكذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير او خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير
ضرورة فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح ان ذلك منكر ويجب نزعه عنه ان كان مميزا
لعموم قوله عليه السلام هذان حرامان على ذكور امتي وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن
لانه يأنس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتاده فيكون ذلك
بذرا للفساد يبذر في صدره فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ اما الصبي الذي لا
يميز فيضعف معنى التحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم فيه عند الله والمجنون في معنى الصبي الذي
لا يميز نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف ولا ارى رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل
تعليق حلق الذهب فيها فان ذلك جرح مؤلم موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة
والختان والتزين بالحلق غير مهم بل من التقريط تعليقه على الاذن وفي المخانق والاسورة كفاية عنه
فهذا وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب والاستئجار عليه غير صحيح والاجرة الماخوذة عليه حرام
الا ان يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى الان فيه رخصة **ومنها** ان يكون في الضيافة مبتدع
يتكلم في بدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وان
كان فيها مضحك بالحكايات وانواع النوادر فان كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور معه وعند
الحضور يجب الانكار وان كان ذلك مزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح اعني ما يقل منه فاما اتخاذه صنعة
وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد منه التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الانسان
مثلا طلبتك اليوم مائة مرة واعدت عليك القول الف مرة وما يجري هذا المجرى مما يعلم انه ليس
يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد به الشهادة وسياتي حد المزاح المباح والكذب
المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات **ومنها** الاسراف في الطعام والبناء فانه منكر وفي

المال منكران احدهما الاضاعة والاخر الاسراف فالاضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها
كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال الى النائحة
والمضحك والمطرب وفي انواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة واما الاسراف
فانه يطلق لارادة صرف المال الى النائحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات
في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم يملك الا مائة
دينار مثلا وله عيال واولاد ولا معيشة لهم سواه فانفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه
من ذلك قال سبحانه ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا انزل هذا في رجل كان بالمدينة
قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء وقال تعالى ولا تبذر تبذيرا
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وقال سبحانه والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكانت له قوة
في التوكل صادقة فله ان ينفق جميع ماله في ابواب البر ومن له عيال او كان عاجزا عن التوكل فليس له ان
يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله الى نقوش حيطانه بالنقوش وتزيين بنيانه فهو ايضا اسراف
محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين
وتنقش ابوابها وسقوفها مع ان نقش الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة وكذا الدور وكذلك
القول في التجمل بالثياب والاطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته و
امثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه منكرات الجوامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين
ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الاسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه او محظور
واستقصاء جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع اصولا وفروعا فلنقتصر على هذا
القدر منها **المنكرات العامة** اعلم ان كل قاعد في بيته اينما كان فليس خاليا في هذا
الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فاكثر الناس
جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم الاعراب
والاكراد والتركمانية وسائر اصناف الخلق وواجب ان يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم
الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج
الى ما يجاور بلده من اهل السواد ومن الاعراب والاكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم
ويستصحب مع نفسه زادا ياكله ولا ياكل من اطعمتهم فان اكثرها يكون شبهة فان قام بهذا الامر
واحد سقط الحرج عن الاخرين والا عم الحرج الكافة اجمعين اما العالم فلتقصيره في الخروج واما
الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه ان يعرف غيره والا فهو
شريك في الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع وانما يجب التبليغ على اهل العلم فكل من
علم مسالة واحدة فهو من اهل العلم بها ولعمري الاثم على الفقهاء اشد لان قدرتهم فيه اظهر
وهو بصناعتهم اليق لان المحترفين لو تركوا حرفهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا امرا لا بد منه
في صلاح الخلق وشان الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العلماء
هم ورثة الانبياء وليس للانسان منهم ان يقعد في بيته ولا يخرج الى المسجد لانه يرى الناس لا يحسنون
الصلاة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذلك كل من تيقن ان في السوق منكرا
يجري على الدوام او في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له ان يسقط ذلك عن نفسه بالقعود
في البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير البعض وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على تغيير
البعض لزمه الخروج لان خروجه اذا كان لاجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر
على تغييره وانما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح فحق على كل مسلم ان يبدا بنفسه فيصلحها

بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهله واقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى
اهل محلته ثم الى اهل بلده ثم الى السواد المكتنف ببلده ثم الى اهل البوادي ثم من الاكراد والعرب وغيرهم
وكذلك الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد والا حرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا
ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على ان يسعى اليه بنفسه
او بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر دينه يشغله عن تجزئة الاوقات في التفريعات النادرة
والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا الا فرض عين او فرض كفاية هو اهم
منه والله اعلم

الباب الرابع

في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف
وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من
ذلك على السلاطين الرتبتان الاوليان وهما التعريف والوعظ واما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية
مع السلطان فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور اكثر واما التخشين في
القول كقولك يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره
لم يجز وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فلقد كان من عادة السلف التعرض للاخطار
والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة قال
عليه السلام خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامره ونهاه في ذات الله فقتله على
ذلك ● وقال ايضا افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ● ووصف عليه السلام عمر رضي الله عنه
فقال قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم تركه قوله الحق ما له من صديق ● ولما علم المتصلبون في الدين
ان افضل الكلام كلمة حق عند ذي سلطان جائر وان صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار اقدموا على
ذلك موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين لانواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله ومحتسبين لما يبذلونه من
مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد اوردنا
جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام ونقتصر الان على حكايات تعرف وجه الوعظ
وكيفية الانكار عليهم فمنها ما روي من انكار ابي بكر الصديق رضي الله عنه على اكابر قريش حين قصدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ما روي عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو ما اكثر ما رايت قريشا
نالت من رسول الله فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر فذكروه عليه
السلام فقالوا ما راينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه احلامنا وشتم اباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا
وسب الهتنا ولقد صبرنا منه على امر عظيم او كما قالوا فبيناهم في ذلك اذ طلع عليه السلام فاقبل يمشي حتى استلم
الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجهه عليه السلام ثم مضى
فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال
اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح قال فاطرق القوم حتى ما منهم رجل الا كانما
على راسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه باحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف
يا ابا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قط قال فانصرف حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال
بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم منه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم في ذلك اذ طلع عليه
السلام فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون انت الذي تقول كذا انت الذي تقول كذا لما كان
بلغهم عنه من عيب الهتهم ودينهم فيقول نعم انا الذي اقول ذلك قال فلقد رايت منهم رجلا اخذ بمجامع
ردائه قال وقام ابو بكر دونه يقول ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه فان
ذلك لاشد ما رايت قريشا بلغت منه قط صلى الله عليه ● وفي رواية اخرى عن عبد الله بن عمر قال بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله فلف

ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عنه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد
جاءكم بالبينات من ربكم ● وروي ان معاوية حبس العطاء فقام اليه ابو مسلم الخولاني فقال له يا معاوية انه ليس من كدك
ولا كد ابيك ولا كد امك قال فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم وغاب عنهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل
فقال ان ابا مسلم كلمني بكلام اغضبني واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان
خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليغتسل واني دخلت فاغتسلت وصدق ابو مسلم انه ليس من
كدي ولا كد ابي فهلموا الى عطائكم ● وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال كان علينا ابو موسى الاشعري اميرا
بالبصرة فكان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه انشا يدعو لعمر قال فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت
له اين انت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر يشكوني يقول ان ضبة بن محصن العنزي يتعرض
لي في خطبتي فكتب اليه عمر ان اشخصه الي قال فاشخصني اليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج الي فقال من انت فقلت
انا ضبة بن محصن العنزي فقال لا مرحبا ولا اهلا فقلت اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ولا مال فبماذا استحللت
يا عمر اشخاصي من مصري بلا ذنب اذنبته ولا شيء اتيته قال فما الذي شجر بينك وبين عاملي قلت الان اخبرك انه كان اذا خطبنا
حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه انشا يدعو لك فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت له اين انت عن صاحبه تفضله عليه
فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكوني قال فاندفع عمر باكيا وهو يقول انت والله اوفق منه وارشد فهل انت غافر
لي ذنبي يغفر الله لك قلت غفر الله لك يا امير المؤمنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من ابي بكر ويوم خير
من عمر وال عمر فهل لك ان احدثك بليلته ويومه قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله لما اراد الخروج من مكة
هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه ابو بكر فجعل مرة يمشي امامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال له
ما هذا يا ابا بكر ما اعرف هذا من افعالك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك
ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك ولا امن عليك فمشى عليه السلام ليلته على اطراف اصابعه حتى حفيت فلما راى
ابو بكر انها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله ثم قال والذي بعثك بالحق لا تدخله
حتى ادخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيئا فحمله فادخله وكان في الغار خرق فيه حيات وافاعي
فالقمه ابو بكر قدمه مخافة ان يخرج منها شيء الى رسول الله فيؤذيه فنهشته حية وجعلت دموع ابي بكر تنحدر
على خديه من الم ما يجده ورسول الله يقول يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته الطمانينة لابي بكر فهذه
ليلته ● واما يومه فلما توفي عليه السلام وارتدت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نزكي فاتيته لا الوه نصحا فقلت
يا خليفة رسول الله تالف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية خوار في الاسلام فبماذا اتالفهم قبض
رسول الله وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان
والله رشيد الامر فهذا يومه ثم كتب الى ابي موسى يلومه ● وعن الاصمعي قال دخل عطاء بن ابي رباح على عبد الملك
ابن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر
به قام اليه واجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا ابا محمد قل حاجتك فقال يا امير المؤمنين اتق الله
في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله في اولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا
المجلس واتق الله في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد امور المسلمين فانك وحدك المسئول عنهم واتق
الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له افعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال
يا ابا محمد انما سالتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك فقال ما لي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك
هذا وابيك الشرف هذا وابيك الشرف ● وروي ان الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فاذا مر بك
رجل فادخله علي ليحدثني فخرج الحاجب فوقف على الباب مدة فمر به عطاء بن ابي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل
الى امير المؤمنين فانه امر بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال
السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال ويلك امرتك ان تدخل الي رجلا يحدثني ويسامرني فادخلت
الي رجلا لم يرض ان يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي فقال له حاجبه ما مر بي غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم اقبل عليه يحدثه

وكان فيما حدثه عطا ان قال له بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هبهب اعده الله لكل امام جاير في حكمه فصعق الوليد
من قوله وكان جالسا بين عتبتي باب المسجد فوقع على قفاه الى جوف المسجد مغشيا عليه فقال عمر لعطا قتلت امير المومنين
فقبض عطا على ذراع عمر بن عبد العزيز انه قال مكثت سنة اجد الم غمزته في ذراعي • وكان ابن ابي شميلة يوصف بالعقل
والادب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك تكلم فقال بم اتكلم وقد علمت ان كل كلام تكلم به المتكلم
عليه وبال الا ما كان لله فبكى عبد الملك ثم قال يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون فقال الرجل يا امير المومنين
ان الناس في القيمة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال
لا جرم لاجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما دمت حيا • وروي عن ابن عايشة ان الحجاج دعا فقها البصرة وفقها
الكوفة قال فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري اخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بابي سعيد الي الي ثم دعا بكرسي فوضع
الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسلنا اذ ذكر علي رضي الله وجهه فنال منه ونلنا مقاربة له وفرقا من
شره والحسن ساكت عاض على ابهامه فقال يا ابا سعيد ما لي اراك ساكتا قال ما عسيت ان اقول قال اخبرني برايك
في ابي تراب قال سمعت الله سبحانه يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم فعلي ممن هدى الله من اهل
الايمان واقول ابن عم النبي وختنه على ابنته واحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع
انت ولا احد من الناس ان يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها واقول انه كانت لعلي هنات والله حسيبه والله ما
اجد فيه قولا اعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال
عامر الشعبي فاخذت بيد الحسن فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره قال اليك عني يا عامر يقول
الناس عامر الشعبي عالم اهل الكوفة انت شيطان من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رايه ويحك يا عامر
هلا اتقيت ان سيلت فصدقت وان سكت فسلمت قال عامر يا ابا سعيد قد قلتها وانا اعلم ما فيها قال الحسن فذلك
اعظم في الحجة عليك واشد في التبعة قال وبعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال انت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا
عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما اخذ الله على العلما من المواثيق ليبيننه للناس
ولا يكتمونه قال انا الحسن امسك لسانك واياك ان يبلغني عنك ما اكره فافرق بين راسك وجسدك • ويحكى ان
حطيطا الزيات جي به الى الحجاج فلما دخل عليه قال انت حطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله عند المقام
على ثلاث خلال ان سيلت لاصدقن وان ابتليت لاصبرن وان عوفيت لاشكرن قال فما تقول في قال اقول انك من
اعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في امير المومنين عبد الملك بن مروان قال اقول انه
اعظم جرما منك وانما انت خطية من خطاياه قال الحجاج ضعوا عليه العذاب فانتهى به العذاب الى ان شققوا له
القصب ثم جعلوه على لحمه ثم شدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيا
فقيل للحجاج انه في اخر رمق فقال اخرجوه فارموا به في السوق قال جعفر فاتيته انا وصاحب له فقلنا حطيط
الك حاجة قال شربة ما فاتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثماني عشرة سنة رحمه الله • وروي ان عمر بن هبيرة
دعا بفقها اهل البصرة واهل الكوفة واهل المدينة واهل الشام وقراها فجعل يسالهم وكلم عامر الشعبي فجعل
لا يساله عن شي الا وجد عنده فيه علما ثم اقبل على الحسن البصري فساله ثم قال هما هذان هذا رجل اهل الكوفة
يعني الشعبي وهذا رجل اهل البصرة يعني الحسن وامر الحاجب فاخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فاقبل على الشعبي
وقال يا ابا عمرو اني امين امير المومنين على العراق وعامله عليها ورجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني
حقهم فانا احب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يبلغني عن العصابة من اهل الديار الامر اجد
عليهم فيه فاقبض طايفة من عطايهم فاضعه في بيت المال ومن نيتي ان ارده عليهم فيبلغ امير المومنين اني قبضته
على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا استطيع رد امره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل مامور على الطاعة فهل
علي في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور والنية فيها على ما ذكرت قال الشعبي فقلت اصلح الله الامير انما السلطان
والد يخطي مرة ويصيب اخرى قال فسر بقول واعجبه ورايت البشر في وجهه قال فلله الحمد ثم اقبل على الحسن فقال

ما تقول يا ابا سعيد فقال قد سمعت قول الامير يقول انه امين امير المومنين على العراق وعامله عليه ورجل مامور
على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك
ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعى رعية فلم يحفظها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة ويقول اني انما قبضت
عطاياهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ امير المومنين اني قبضتها على ذلك النحو فيكتب
الي ان لا ترده فلا استطيع امره رد امره ولا استطيع انفاذ كتابه وحق الله الزم من حق امير المومنين والله احق
ان يطيع ولا طاعة في معصية الله فاعرض كتاب امير المومنين على كتاب الله فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وان
وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك ان ياتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن
سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل
على عملك يا ابن هبيرة وان الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وان امر الله فوق كل امر وانه لا طاعة
في معصية الله واني احذرك باس الله الذي لا يرده عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة اربع على ظلعك ايها الشيخ و
اعرض عن ذكر امير المومنين فان امير المومنين صاحب العلم وصاحب الحلم وصاحب الفضل وانما ولاه الله ولاية
امر هذه الامة لعلمه به وما يعلم من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من وراءك سوط بسوط وغضب
بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة والله انك ان تلقى من ينصح لك في دينك ويحملك على امر اخرتك خير من ان تلقى رجلا
يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت
صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة
واستخف بنا وجفينا فكان اهلا لما ادى اليه وكنا اهلا ان يفعل ذلك بنا فما رايت مثل الحسن فيمن رايت من العلما
الا مثل الفرس العربي بين المقاريف وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال الله وقلنا مقاربة لهم قال عامر
الشعبي وانا اعاهد الله اني لا اشهد سلطانا بعد هذا المجلس فاحابيه • ودخل محمد بن واسع على بلال بن ابي بردة
فقال له ما تقول في القدر قال جيرانك اهل القبور تفكر فيهم فان فيهم شغلا عن القدر • وقال الشافعي حدثني عمي
محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس امير المومنين ابي جعفر وفيه ابن ابي ذيب قال وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال واتى
الغفاريون فشكوا الى ابي جعفر شيا من امر الحسن بن زيد فقال الحسن يا امير المومنين سل عنهم ابن ابي ذيب قال
فساله فقال ما تقول فيهم يا ابن ابي ذيب فقال اشهد انهم اهل تحطم في اعراض الناس كثير والاذى لهم فقال ابو جعفر
قد سمعتم فقال الغفاريون يا امير المومنين سله عن الحسن بن زيد فقال يا ابن ابي ذيب ما تقول في الحسن بن زيد فقال
اشهد عليه انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن ابي ذيب وهو الشيخ الصالح فقال
يا امير المومنين سله عن نفسك فقال ما تقول في قال تعفيني يا امير المومنين قال اسالك بالله الا اخبرتني قال تسالني
بالله كانك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير اهله
واشهد ان الظلم ببابك فاش قال فجا ابو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن ابي ذيب فقبض عليه ثم قال
له اما والله لولا اني جالس هاهنا لاخذت فارس والروم والترك بهذا المكان منك فقال ابن ابي ذيب يا امير المومنين
قد ولي ابو بكر وعمر فاخذا الحق وقسما بالسوية واخذا باقفا فارس والروم واصغرا اناقهم قال فخلى ابو جعفر قفاه
وخلى سبيله وقال والله لولا اني اعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن ابي ذيب والله يا امير المومنين اني لانصح لك من
ابنك المهدي قال فبلغنا ان ابن ابي ذيب لما خرج من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري رضي الله عنه فقال له يا ابا
الحرث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن سانى قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك انا عبد الله كلنا
مهدي كلنا كان في المهد • وعن الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي ابو جعفر المنصور امير المومنين وانا بالساحل
فاتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي بطا بك عنا يا اوزاعي قلت وما
الذي تريد مني يا امير المومنين قال اريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قال قلت فانظر يا امير المومنين ان لا تجهل
شيا مما اقول لك قال وكيف اجهله وانا اسالك عنه وفيه وجهت اليك واقدمتك له قلت اجهله ان تسمعه

ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع واهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة
فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت يا امير المومنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت عليه حجة من الله
ليزداد بها اثما ويزداد الله عليه بها سخطا يا امير المومنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير المومنين من كره الحق فقد كره الله ان الله
هو الحق المبين ان الذي لين قلوب امتكم لكم حين ولاكم امورهم لقرابتكم من نبيكم وقد كان بهم روفا رحيما مواسيا
لهم بنفسه وذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم
ساترا لا تغلق عليك دونهم الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما اصابهم من سوء يا
امير المومنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت تملكهم احمرهم واسودهم مسلمهم
وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فيام وراء فيام ليس منهم احد الا وهو
يشكو بلية ادخلتها عليه او ظلامة سقتها اليه يا امير المومنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت
بيد رسول الله جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبريل عليهما السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة
التي كسرت بها قلوب امتك وملات قلوبهم رعبا فكيف من شقق ابشارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم
واجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يا امير المومنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة
انه عليه السلام دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فاتاه جبريل فقال يا محمد ان الله لم يبعثك
جبارا ولا متكبرا فدعا عليه السلام الاعرابي فقال الاعرابي اقتص مني فقال الاعرابي قد احللتك بابي انت وامي وما
كنت لافعل ذلك ابدا ولو اتيت على نفسي فدعا له بخير يا امير المومنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك
وارغب في جنة عرضها السموات والارض التي يقول فيها رسول الله عليه السلام لقيد قوس احدكم من الجنة خير من
الدنيا وما فيها يا امير المومنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك يا امير المومنين
تدري ما جاء في تاويل هذه الاية عن جدك ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الصغيرة
التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا امير المومنين بلغني ان عمر بن الخطاب قال
لو ماتت سخلة على شاطي الفرات ضيعة لخشيت ان اسال عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يا امير المومنين
تدري ما جاء في تاويل القران هذه الاية عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق
ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال يا داود اذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في احدهما هوى
فلا تتمنين في نفسك ان يكون الحق له فيفلح على صاحبه فامحوك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة يا داود انما جعلت
رسلي الى عبادي رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلا
والماء يا امير المومنين انك بليت بامر لو عرض على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن منه يا امير المومنين
حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الانصاري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الانصار
على الصدقة فراه بعد ايام مقيما فقال له ما منعك من الخروج الى عملك اما علمت ان لك مثل اجر المجاهد في سبيل
الله قال لا قال وكيف ذلك قال لانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ولي شيا من امور الناس
الا اتي به يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه فيوقف على جسر من النار فينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل
عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيا انخرق به ذلك الجسر
فيهوي به في النار سبعين خريفا فقال له عمر ممن سمعت هذا قال من ابي ذر وسلمان فارسل اليهما عمر فسالهما
فقالا نعم سمعناه من رسول الله عليه السلام فقال عمر واعمراه من يتولاها بما فيها فقال ابو ذر من سلت الله
انفه والصق خده بالارض قال فاخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى ابكاني ثم قلت يا امير المومنين
قد سال جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم امارة على مكة او الطايف او اليمن فقال له يا عباس يا عم النبي
نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه واخبره انه لا يغني عنه من الله شيا اذ اوحى الله

اليه وانذر عشيرتك الاقربين فقال يا عباس يا صفية عمي النبي يا فاطمة بنت محمد اني لست اغني عنكم من الله شيا لي عملي
ولكم عملكم وقال عمر بن الخطاب لا يقيم امر الناس الا حصيف العقل اريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يخنق منه على
حرة ولا تاخذه في الله لومة لايم وقال الامرا اربعة فامير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل
الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وامير فيه ضعف ظلف نفسه وارتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك الا ان
يرحمه الله وامير ظلف عماله وارتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال عليه السلام فيه شر الرعا الحطمة فهو الهالك
وحده وامير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقد بلغني يا امير المومنين ان جبريل اتى النبي عليهما السلام فقال
اتيتك حين امر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيمة فقال له يا جبريل صف لي النار فقال
ان الله امر بها فاوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اصفرت ثم اوقد عليها الف عام حتى
اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضي لهبها ولا جمرها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار اظهر
لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان دلوا من شرابها صب في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا
من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الارض لذابت وما استقلت ولو ان رجلا ادخل النار ثم اخرج منها
لمات اهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى عليه السلام وبكى جبريل لبكايه فقال اتبكي يا محمد
وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا قال ولم بكيت يا جبريل وانت الروح
الامين امين الله على وحيه قال اخاف ان ابتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على
منزلتي عند ربي فاكون قد امنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله قد امنكما
ان تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملايكة وقد بلغني يا امير المومنين
ان عمر بن الخطاب قال اللهم ان كنت تعلم اني لا ابالي اذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب
او بعيد فلا تمهلني طرفة عين يا امير المومنين ان اشد الشدة القيام لله بحقه وان اكرم الكرم عند الله التقوى
وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله واعزه ومن طلبه بمعصية الله اذله الله ووضعه فهذه نصيحتي
والسلام ثم نهضت فقال لي الى اين فقلت الى الولد والوطن باذن امير المومنين ان شا الله فقال قد اذنت
لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه اتوكل وهو حسبي
ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك اياي بمثل هذا فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة قلت افعل ان
شا الله قال محمد بن مصعب فامر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال انا في غنا عنه وما كنت لابيع
نصيحتي بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك وعن ابن المهاجر قال قدم امير
المومنين المنصور حاجا فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في اخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فاذا
طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجا المودنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فيخرج فيصلي بالناس فخرج ذات
ليلة حين اسحر فبينما هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي
والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فاسرع المنصور في مشيته حتى ملا
مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد فارسل اليه فدعاه فاتاه الرسول فقال له اجب امير المومنين
فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك تقوله
من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت
مسامعي ما امرضني واقلقني فقال يا امير المومنين ان امنتني على نفسي انباتك بالامور من اصولها والا
اقتصرت على نفسي فلي فيها شغل شاغل فقال له انت امن على نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى حال بينه
وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض انت قال ويحك كيف يدخلني الطمع والصفرا والبيضا
على يدي والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك من الطمع يا امير المومنين ان الله
استرعاك امور المومنين واموالهم فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبينهم
حجابا من الجص والاجر وابوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك في

جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزرا واعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان احسنت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح وامرت ان لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تامر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما راى هولاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وامرت ان لا يحجبوا عنك تجبي الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا فأتمروا ان لا يصل اليك من علم اخبار الناس الا ما ارادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف لهم امرا الا اقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم وكان اول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليقووا بها على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هولاء القوم شركاءك في سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك وان اراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سالوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كان للمتظلم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا جهد واخرج وظهرت ثم صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا يكون نكالا لغيره وانت تنظر فلا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام واهله على هذا وقد كانت بنو امية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل ياتي من اقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا اهل الاسلام فيبتدرونه ما لك ما لك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف لهم ولقد كنت يا امير المومنين اسافر الى ارض الصين وبها ملك فقدمتها وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراوه ما لك تبكي لا بكت عيناك فقال اما اني لست ابكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن لمظلوم بالباب يصرخ فلا اسمع صوته ثم قال اما ان كان قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس الا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل في طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا امير المومنين مشرك بالله قد غلبت رافته بالمشركين ورافته على شح نفسه في ملكه وانت مومن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رافتك بالمسلمين على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال الا لواحد من ثلاثة ان قلت اجمعها لولدي فقد اراك الله عبرا في الطفل الصغير يسقط من بطن امه وما له على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ولست الذي تعطي بل الله يعطي من يشا وان قلت اجمع الاموال لاشد سلطاني فقد اراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد ابيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين اراد الله بكم ما اراد وان قلت اطلب المال لطلب غاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيه الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح يا امير المومنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك باشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما انت فيه من ملك الدنيا وهو سبحانه لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك واضمرته جوارحك فما تقول اذا انتزع الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك عنده شي مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكى المنصور بكاء شديدا وانتحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم اك شيئا ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم ار من الناس الا خائنا قال يا امير المومنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلما قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع الظالم وخذ الشي مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن عن من هرب منك ان ياتوك فيعاونوك على صلاح امرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسي عليك بالرجل ان لم تاتني به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا اذ لم يوجد فخرج الحرسي يطلب الرجل فبينا هو يطوف اذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال يا ذا الرجل اما تتقي الله قال بلى قال اما تعرفه قال بلى قال فانطلق معي فقد آلى ان يقتلني ان لم آته بك قال ليس الى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال وكيف قال تحسن تقرأ قال لا قال

فاخرج

فاخرج من مزود كان معه رقا فيه مكتوب شي قال خذه فاجعله في جيبك فان فيه دعا الفرج قال وما دعا الفرج قال لا يرزقه الا الشهدا قلت يرحمك الله قد احسنت الي وان رايت ان تخبرني هذا الدعا وما فضله قال من دعا به مسا وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاوه وبسط له في رزقه واعطي امله واعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا تقول اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفا وعلوت بعظمتك على العظما وعلمت ما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شي لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والاخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك امنا واسالك مستانسا وانك المحسن الي واني المسي الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي واتبغض اليك ولكن الثقة بك حملتني على الجراة عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك انت التواب الرحيم قال فاخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير امير المومنين فدخلت فسلمت عليه فرفع راسه ونظر الي وتبسم ثم قال بلى ويلك او تحسن السحر فقلت لا والله يا امير المومنين وقصصت عليه امري مع الشيخ فقال هات الرق الذي اعطاك فنظر فيه ثم جعل يبكي وقال قد نجوت وامر بنسخه واعطاني عشرة الاف درهم ثم قال لي اتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام ● وعن ابي عمران الجوني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره العلما فهنوه بما صار اليه وفيه وفتح بيوت الاموال فاقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلما والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان بن سعيد الثوري قديما فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هرون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبا بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هرون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد الى اخيه سفيان اما بعد يا اخي فقد علمت ان الله واخى بين المومنين وجعل ذلك فيه وله واعلم اني واخيتك مواخاة لم اصرم منها حبلك ولم اقطع منها ودك واني منطو لك على افضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لاتيتك ولو حبوا لما اجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله انه ما بقي من اخواني واخوانك احد الا وقد زارني وهناني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال واعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني واني استبطاتك فلم تاتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديدا وقد علمت يا ابا عبد الله ما جاء في فضل المومن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي هذا فالعجل العجل قال فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان وخشونته فقال علي برجل من الباب فادخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال له يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فاذا رايته فالق كتابي هذا اليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يكون فاحص عليه دقيق امره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسال عن القبيلة فارشد اليها ثم سال عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال عباد فاقبلنا الى المسجد فلما راني قام قائما ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واعوذ بك اللهم من طارق يطرقنا الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما راني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت الصلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساوه قعود قد نكسوا رووسهم كانهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من العقوبة فسلمت فما رفع احد منهم الي راسه وردوا السلام علي برووس الاصابع فبقيت واقفا ما منهم احد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فعلمت ان المصلي هو سفيان فرميت الكتاب اليه فلما راى الكتاب ارتعد وتباعد عنه كانه حية عرضت له في محرابه فركع وسلم وادخل يده في كمه ولفها بعباءته واخذه وسجد فقلبه بيده ثم دفعه الى من كان خلفه وقال ياخذه بعضكم يقروه فاني استغفر الله ان امس شيئا مسه ظالم بيده قال عباد فمد بعضهم يده اليه حلة كانه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقراه واقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا الى الظالم في ظهره فقيل له يا ابا عبد الله انه خليفه فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به

وان كان اكتسبه من حرام فعقوق يصلى به ولا يبقى شي منه ظالم عندنا فعليه وعلينا دينا فقيل له ما نكتب
فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد المسيء سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري الى العبد المغرور بالامال هرون
الذي سلب حلاوة الايمان اما بعد فاني قد كتبت اليك اعلمك اني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك
وانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فانفقته في غير حقه وانفذته
بغير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وانت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني على نفسك اما اني قد شهدت عليك انا واخواني
الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله سبحانه يا هرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم
هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في ارض الله والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك
حملة القران واهل العلم والارامل والايتام هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هرون مئزرك واعد للمسئلة
جوابا وللبلاء جلبابا واعلم انك سوف تقف بين يدي الحكم العدل وتفكر في نفسك اذ سلبت حلاوة
الايمان والرشد ولذة القران ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما يا هرون
قعدت على السرير ولبست الحرير واسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم اقعدت اجنادك
الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني
ويسرقون ويقطعون السارق افلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون
غدا اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم اين الظلمة واعوان الظلمة فقدمت بين يدي
الله ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وانت لهم سابق وامام الى
النار كاني بك يا هرون قد اخذت بضيق الخناق ووردت المساق وانت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات
غيرك في ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها
واعلم اني قد نصحتك وما ابقيت لك في النصح غاية فاتق الله يا هرون في رعيتك واحفظ محمدا في امته واحسن
الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل باهلها
واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه واخرته واني احسبك يا هرون ممن خسر
دنياه واخرته واياك ثم اياك ان تكتب الي كتابا بعد هذا فلا اجيبك عليه والسلام قال عباد فالقى الي الكتاب
منشورا غير مطوي ولا مختوم فاخذته واقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت يا اهل
الكوفة فاجابوني فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله فاقبلوا الي بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة
لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فاتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس التي كنت البسه مع
امير المؤمنين فاقبلت اقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت احمله حتى اتيت باب امير المؤمنين هرون حافيا راجلا فهزئ
بي من كان على باب الخليفة ثم استؤذن لي فلما دخلت مجلسه وبصر بي هرون على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل
يلطم راسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا مالي وللملك يزول
عني سريعا ثم القيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الي فاقبل هرون يقرؤه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال
بعض جلسائه يا امير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان ولو وجهت اليه فاثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله
عبرة لغيره فقال هرون اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من اهلكتموه ان سفيان امة وحده
فاتركوا سفيان وشانه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا
نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق ۞ وعن
عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فاقام بها اياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون
فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به اذ اقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما
جاء هرون نادى باعلى صوته يا امير المؤمنين يا امير المؤمنين فكشف السجاف بيده عن وجهه وقال لبيك يا بهلول لبيك يا
بهلول فقال يا امير المؤمنين حدثنا ايمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم
منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا امير المؤمنين خير من
تكبرك

تكبرك وتجبرك فبكى هرون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا امير المؤمنين
رجل اتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله من الابرار قال احسنت يا بهلول مع الجائزة
قال اردد الجائزة على من اخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيناه قال يا امير المؤمنين هؤلاء
اهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجمعت اراؤهم ان قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك او
يقيمك قال فرفع بهلول راسه الى السماء ثم قال يا امير المؤمنين انا وانت من عيال الله فمحال ان يذكرك وينساني فاسبل
هرون السجاف ومضى ۞ وعن ابي العباس الهاشمي من ولد صالح بن المامون قال دخلت على الحارث المحاسبي فقلت له
يا ابا عبد الله حاسبت نفسك قال هذا كان مرة قلت له فاليوم قال انا اكاتم حالي اني لاقرا اية من كتاب الله فاضن بها ان
تسمعها نفسي ولولا ان يغلبني بها فرح ما اعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فاذا انا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة
فسلم علي ثم قعد بين يدي فقلت له من انت قال انا واحد من السائحين اقصد المتعبدين في محاريبهم ولا ارى لك اجتهادا
فاي شي عملك قال قلت له كتمان المصائب واستجلاب الفوائد قال فصاح وقال ما علمت ان احدا بين جنبي المشرق
والمغرب هذه صفته قال حارث فاردت ان ازيد عليه فقلت له اما علمت ان اهل القلوب يخفون احوالهم ويكتمون
اسرارهم ويسالون الله كتمان ذلك عليهم فمن اين تعرفهم قال فصاح صيحة غشي عليه فمكث عندي يومين لا يعقل
ثم افاق وقد احدث في ثيابه فعلمت ازالة عقله فاخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفني قد اثرتك به فاغتسل واعد
صلواتك فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التف بالثوب وخرج فقلت له اين تريد فقال لي قم فلم يزل يمشي حتى دخل
على المامون امير المؤمنين فسلم عليه ثم قال له يا ظالم وانا ظالم ان لم اقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك اما
تتقي الله فيما ملكك وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج وانا جالس بالباب فاقبل عليه المامون وقال من انت فقال
انا رجل من السائحين فكرت فيما عمله الصديقون قبلي فلم اجد لنفسي فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلي الحقهم قال
فامر بضرب عنقه واخرج وانا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فلياخذه قال الحارث
فاختبات عنه فاخذه اقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا اعلمهم بحاله فاقمت في مسجد في المقابر محزونا على الفتى فغلبتني
عيناي فاذا هو بين وصائف لم ار احسن منهن وهو يقول يا حارث انت والله من الكاتمين الذين يخفون احوالهم ويطيعون
ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك فنظرت الى جماعة ركبان فقلت من انتم قالوا احزاب هذا الذي كلامك له فلم يكن في
قلبه مما وصفت شي فخرج الامر والنهي وان الله انزله معنا وغضب لجنده ۞ وعن احمد بن ابرهيم المقرئ قال كان ابو الحسن
النوري قليل الفضول لا يسال عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا راى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه
فنزل ذات يوم الى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة اذ راى زورقا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها
بالقار لطف فقراه وانكره لانه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه
الدنان فقال وايش عليك امض لشغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له
احب ان تخبرني ايش في هذه الدنان فقال الملاح انت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد ان يتمم به مجلسه
فقال النوري هذا خمر قال نعم قال احب ان تعطيني ذلك المردي فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه اعطه المردي
حتى انظر ما يصنع فلما صار المردي في يده صعد الى الزورق فلم يزل يكسرها دنا دنا حتى اتى على اخرها الا دنا واحدا
والملاح يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر وهو يومئذ مونس فقبض على النوري واشخصه الى حضرة المعتضد
وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال ابو الحسن فدخلت عليه وهو جالس على كرسي
حديد وبيده عمود يقلبه فلما راني قال من انت قلت محتسب قال من ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة
ولاني الحسبة يا امير المؤمنين قال فاطرق الى الارض ساعة ثم رفع راسه الي وقال ما الذي حملك على ما صنعت فقلت
شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فاطرق مفكرا في كلامي ثم رفع راسه وقال
كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة اخبر بها امير المؤمنين ان اذن فقال هات خبرني
فقلت يا امير المؤمنين اني اقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف
المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فاقدمت عليها بهذه الحال الى ان صرت الى هذا الدن فوجدت في نفسي كبرا على

انى قد اقدمت على مثلك فهبتك ولو اقدمت عليه بالحال الاول وكانت على الدنيا دنانير لكسرتها ولم ابال فقال المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك فغير ما احببت ان تغير من المنكر قال فقلت يا امير المومنين تبغضت التغيير لانى كنت اغير عن الله وانا الان اغير عن شرطى فقال ما حاجتك فقلت تامر باخراجى سالما فامر له بذلك وخرج الى البصرة فكان اكثر ايامه بها خوفا من ان يسال حاجة يسالها المعتضد فاقام بالبصرة الى ان توفى المعتضد ثم رجع الى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله ان يحرسهم ورضوا بحكم الله ان يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا لله النية اثر كلامهم فى القلوب القاسية فلينها وازال قساوتها واما الان فقد قيدت الاطماع السن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه عليهم ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان على كل حال

كتاب اداب المعيشة واخلاق النبوه

وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق كل شى فاحسن خلقه وترتيبه وادب نبيه محمدا فاحسن تاديبه وزكى اوصافه واخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للاقتدا به من اراد تهذيبه وحرم عن التخلق باخلاقه من اراد تخييبه وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى اله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا اما بعد فان اداب الظواهر عنوان اداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والاداب رشح المعارف وسراير القلوب هى مغارس الافعال ومنابعها وانوار السراير هى التى تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الاداب النبويه ولقد كنت عزمت على ان اختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لاداب المعيشة ليلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رايت كل كتاب من ربع العبادات وربع العادات قد اتى على جملة من الاداب فاستثقلت تكريرها واعادتها فان كل الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرايت ان اقتصر فى هذا الكتاب على ذكر اداب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه الماثورة عنه بالاسناد فاسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الاسناد ليجتمع فيه مع جمع الاداب تجديد الايمان وتاكيده بمشاهدة اخلاقه الكريمة التى تشهد احادها على القطع بانه اكرم خلق الله واعلاهم رتبة واجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم اضيف الى ذكر اخلاقه عليه السلام ذكر خلقته ثم معجزاته التى صحت بها الاخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الاخلاق والشيم ومنتزعا عن اذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم والله ولى التوفيق للاقتدا بسيد المرسلين فى الاخلاق والاحوال وساير معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين ولنذكر فيه اولا بيان تاديب الله سبحانه اياه بالقران ثم بيان جوامع من محاسن اخلاقه ثم بيان جملة من ادابه واخلاقه فى الناس ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان اغضائه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وباسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته واياته عليه السلام

بيان تاديب الله حبيبه وصفيه محمدا بالقران

كان عليه السلام كثير الضراعة والابتهال دايم السوال من الله سبحانه ان يزينه بمحاسن الاداب ومكارم الاخلاق فكان يقول فى دعايه اللهم حسن خلقى وخلقى ويقول اللهم جنبنى منكرات الاخلاق فاستجاب الله دعاه وفا بقوله ادعونى استجب لكم فانزل عليه القران وادبه به فكان خلقه القران قال سعد بن هشام دخلت على عايشة فسالتها عن اخلاق رسول الله فقالت اما تقرا القران قلت بلى قالت كان خلقه القران وانما ادبه بالقران بمثل قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشا والمنكر وبقوله واصبر على ما اصابك

ان ذلك من عزم الامور وبقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وبقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وبقوله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وبقوله ادفع بالتى هى احسن السيه وبقوله ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وبقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وبقوله اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما كسرت رباعيته وشج يوم احد جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله سبحانه ليس لك من الامر شى تاديبا له على ذلك وامثال هذه التاديبات فى القران لا تحصر وهو عليه السلام المقصود الاول بالتاديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه ادب بالقران وادب الخلق به عليه السلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق فى محاسن الاخلاق بما اوردناه فى كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق فلا نعيده ثم لما اكمل الله خلقه اثنى عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه واتم امتنانه انظر الى عميم فضله كيف اعطى ثم اثنى فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم اضاف اليه ذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم ثم انه عليه السلام بين للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها قال على كرم الله وجهه عجبا لرجل مسلم يجيه اخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغى له ان يسارع فى مكارم الاخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل افسمعته من رسول الله فقال نعم وما هو خير منه لما اتى بسبايا طى وقفت جارية من السبى فقالت يا محمد ان رايت ان تخلى عنى ولا تشمت بى احيا العرب فانى بنت سيد قومى وان ابى كان يحمى الذمار ويفك العانى ويشبع الجايع ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد صاحب حاجة قط انا ابنة حاتم طى فقال يا جارية هذه صفة المومنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق والله يحب مكارم الاخلاق فقام ابو بردة بن دينار فقال يا رسول الله الله يحب مكارم الاخلاق فقال والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل عنه عليه السلام ان الله حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان او فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاور مسلما كان او كافرا وتوقير ذى الشيبة المسلم واجابة الطعام والدعا عليه والعفو والاصلاح والجود والكرم والسماحة والابتدا بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واذهب الاسلام اللهو والباطل والغنا والمعازف كلها وكل ذى وتر وكل ذحل والكذب والغيبة والبخل والشح والجفا والمكر والخديعة والنميمة وسو الظن وقطيعة الارحام وسو الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغى والعدوان والظلم قال انس فلم يدع نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها وامرنا بها ولم يدع غشا او قال عيبا او قال شينا الا حذرناه ونهانا عنه ويكفى من ذلك كله هذه الاية ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقال معاذ اوصانى عليه السلام فقال يا معاذ اوصيك باتقا الله وصدق الحديث والوفا بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه فى القران وحب الاخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وانهاك ان تسب حكيما او تصدق كاذبا او تكذب صادقا او تطيع اثما او تعصى اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك باتقا الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا ادب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب

بيان جملة من محاسن اخلاقه

التى جمعها بعض العلما والتقطها من الاخبار فقال كان عليه السلام احلم الناس واشجع الناس واعدل الناس واعف الناس لم تمس قط يده يد امراة لا يملك رقها او عصمة نكاحها او تكون ذات محرم وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم

يجد من يعطيه ويجنه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت
عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع ذلك في سبيل الله لا يسأل شيئا إلا أعطاه ثم يعود على تساوم
قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء وكان يخصف النعل ويرقع الثوب
ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهن وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد يجيب
دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل
الصدقة ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وإن عاد
ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان
واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال أنا لا أنتصر بالمشركين أو قال بمشرك ووجد من فضلاء أصحابه
وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه
لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرة يأكل ما حضر لا يرد ما وجد ولا
يتورع من مطعم حلال إن وجد تمرا دون خبز أكله وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله
وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به وإن وجد بطيخا أو رطبا أكله لا يأكل متكئا
ولا على خوان منديله باطن قدميه لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله إيثارا على نفسه لا فقرا
ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس أشد الناس تواضعا
وأسكنهم في غير كبر وأبلغهم من غير تطويل وأحسنهم بشرا لا يهوله شيء من أمور الدنيا ويلبس ما وجد
فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف وما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في
خنصره الأيمن وربما في الأيسر يردف خلفه عبده أو غيره يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة
بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في أقصى المدينة
يحب الطيب ويكره الرائحة الردية ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف
أهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي الرحم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم لا يجفو على أحد يقبل معذرة
المعتذر يمزح ولا يقول إلا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره يسابق أهله وترفع الأصوات
عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في
مأكل ولا ملبس لا يمضي له وقت في غير عمل لله سبحانه أو فيما لا بد له منه من صلاح نفسه يخرج إلى بساتين أصحابه
لا يحقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحدا قد جمع
الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ نشأ في بلاد الجهل والصحاري
في فقره وفي رعاية الغنم يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار
الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب
وترك الفضول وفقنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في فعله آمين آمين رب العالمين **بيان جملة أخرى
من أخلاقه وآدابه** مما رواه أبو البختري قالوا ما شتم أحدا من الناس بشتيمة إلا جعل لها كفارة ورحمة
وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة وقيل له وهو في القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال إنما بعثت
رحمة ولم أبعث لعانا وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه
ودعا له وما ضرب بيده أحدا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن
ينتهك حرمة لله وما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد
الناس من ذلك وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته وقال أنس والذي بعثه
بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا لامني أحد من أهله إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر
قالوا وما عاب مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض وقد وصفه الله تعالى في
التوراة قبل أن يبعثه في السطر الأول محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق

ولا

ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابا وملكه بالشام يأتزر على
وسطه هو ومن معه رعاة للقرآن والعلم يتوضأ على أطرافه وكذلك نعته في الإنجيل وكان من خلقه
أن يبدأ من لقيه بالسلام ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما أخذ أحد بيده فيرسل
يده حتى يرسلها الآخذ وكان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشابكه ثم شد
قبضته وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته و
أقبل عليه فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا
ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه لأنه كان حيثما انتهى به المجلس
جلس وما رئي قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعا لا ضيق فيه
وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة
ولا رضاع يجلسه عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى
يفعل وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان
مجلسه وحديثه وسمعه ولطيف مجلسه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة
قال الله سبحانه فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد كان يدعو أصحابه
بكناهم إكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكني من لم يكن له كنية فكان يدعى بما كناه به وكان يكني أيضا النساء
اللاتي لهن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن الكنى ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان أبطأ
الناس غضبا وأسرعهم رضا وكان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس ولم
ترفع في مجلسه الأصوات وكان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت
أستغفرك وأتوب إليك ثم يقول علمنيهن جبريل **بيان كلامه** كان أفصح الناس منطقا العرب
وأحلاهم كلاما ويقول أنا أفصح الناس وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بكلام بلغة محمد عليه السلام
وكان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم قالت عائشة كان
عليه السلام لا يسرد الكلام سردكم هذا كان كلامه نزرا وأنتم تنثرون الكلام نثرا قالوا وكان
أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل عليه السلام وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد وكان يتكلم بجوامع
الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير
الصوت أحسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا
والغضب إلا الحق ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره وكان إذا سكت تكلم
جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فإنه
أنزل على وجوه وكان أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه
بهم ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له قالوا ولقد
جاءه أعرابي يوما وهو متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابي فإنا ننكر لونه فقال
دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا أن المسيح يعني الدجال يأتي
الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا أفترى بأبي أنت وأمي أن أكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى أهلك هزلا
أم أضرب في ثريده حتى إذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك
الله بما يغني به المؤمنين قالوا وكان من أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر
الساعة أو يخطب بخطبة عظة أو يحين الصلاة أو يغشاه عارض وكان إذا سر ورضي فهو أحسن
الناس رضا وإن وعظ وعظ بجد وإن غضب ولم يكن يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان
في أموره كلها وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم
أرني الحق حقا فأتبعه وأرني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشتبه علي فأتبع هواي بغير

هدي منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك
انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم **بيان اخلاقه وادابه** عليه السلام في الطعام كان ياكل ما وجد وكان احب
الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها
نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة • وكان كثيرا اذا جلس ياكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي الا ان الركبة تكون
فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل الحار ويقول
انه غير ذي بركة وان الله لم يطعمنا نارا فابردوه وكان ياكل مما يليه وياكل باصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة
ولم يكن ياكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشيطان او قال الشياطين • وجاءه عثمان بفالوذج فاكل منه وقال ما
هذا يا ابا عبد الله فقال بابي انت وامي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم ناخذ مخ الحنطة اذا
طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فياتي كما ترى فقال ان هذا طعام طيب • وكان ياكل خبز الشعير
غير منخول وكان ياكل القثاء بالرطب والملح وكان احب الفواكه الرطبة اليه البطيخ والعنب وكان ياكل البطيخ بالخبز وبالسكر
وربما اكله بالرطب ويستعين باليدين جميعا • واكل يوما رطبا كان في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فاشار
اليها بالنوى فجعلت تاكل في كفه اليسرى وهو ياكل بيمينه • وكان ربما اكل العنب خرطا يرى زؤانه على لحيته كخرز
اللؤلؤ وهو الماء الذي يتقطر منه وكان اكثر طعامه التمر والماء وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان
احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والاخرة ولو سالت ربي ان يطعمنيه
كل يوم لفعل • وكان ياكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع وكان يقول انها شجرة اخي يونس قالت عائشة كان
يقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين وكان ياكل لحم الطير الذي يصاد وكان لا
يتبعه ولا يصيده ويحب ان يصاد له ويؤتى به فياكله وكان اذا اكل اللحم لم يطاطئ راسه اليه ويرفعه الى فيه رفعا
ثم ينتهشه انتهاشا وكان ياكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل
ومن التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان يحب من البقول الهندبا والباذروج
والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول وكان لا ياكل من الشاة سبعة الذكر والانثيين والمثانة
والمرارة والغدد والحياء والدم ويكره ذلك وكان لا ياكل الثوم ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط لكن ان اعجبه
اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما وكان يلعق الصحفة ويقول
اخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة
ويقول انه لا يدري في اي الاصابع البركة واذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت واشبعت وسقيت وارويت لك
الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل
الماء على وجهه وكان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي اخرها ثلاث تحميدات وكان يمص الماء مصا ولا يعبه
عبا وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وكان يدفع فضل سؤره الى من على
يمينه فان كان من على يساره اجل رتبة قال للذي على يمينه السنة ان تعطي فان احببت اثرتهم • واتي باناء فيه عسل
ولبن فابى ان يشربه وقال شربتان في شربة وادامان في اناء واحد ثم قال لا احرمه ولكني اكره الفخر والحساب بفضول
الدنيا غدا واحب التواضع فان من تواضع لله رفعه الله وكان في بيته اشد حياء من العاتق لا يسالهم طعاما ولا
يتشهاه عليهم ان اطعموه اكل وما اعطوه قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام فاخذ ما ياكل وما يشرب بنفسه
بيان ادابه واخلاقه في اللباس كان يلبس من الثياب ما وجد من ازار او رداء او قميص او جبة او غير ذلك وكان
يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض ويقول البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو
للحرب وغير المحشو وكان له قباء سندس يلبسه فيحسن خضرته على بياض لونه وكان ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون
الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في الصلاة وغيرها وكانت
له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره وكان له كساء
ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وربما

لبس

لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه وربما ام به الناس على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار
الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى بالليل في الازار ويرتدي
ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك ولقد كان له كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابي انت
وامي ما فعل ذلك الكساء الاسود قال كسوته فقالت ما رايت شيئا قط كان احسن من بياضك على سواده قال انس وربما
رايته يصلي الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يستذكر به الشيء وكان يختم به على
الكتب الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من راسه فجعلها
سترة بين يديه ثم يصلي وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على راسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها
لعلي فربما طلع علي فيها فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم علي في السحاب وكان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله
الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه خرج من مياسره وكان له ثوب لجمعته خاصة سوى ثيابه
لغير الجمعة وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثوبه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا
كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراعان او نحوه وعرضه
ذراع وشبر او نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره و
كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه فكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار
وكان له سيف يقال له المخذم واخر يقال له الرسوب واخر يقال له القضيب وكانت قبيعة سيفه من فضة وكان
يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من فضة وكان اسم قوسه الكتوم واسم جعبته الكافور وكان اسم ناقته
القصواء وهي التي يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة
وكان له مطهرة من فخار يتوضا فيها ويشرب منها فيرسل الناس اولادهم الصغار الذين قد ميزوا فيدخلون عليه
فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم واجسادهم يبتغون بذلك البركة
بيان عفوه مع القدرة صلى الله عليه كان احلم الناس وارغبهم في العفو مع القدرة حتى انه اتي
بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال يا محمد والله لئن امرك الله ان تعدل
فما اراك تعدل فقال ويحك فمن يعدل عليك بعدي فلما ولى قال ردوه علي رويدا • وروى جابر انه كان يقبض
للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا نبي الله اعدل فقال ويحك فمن يعدل اذا لم اعدل فقد خبت
اذا وخسرت ان كنت لا اعدل فقام عمر فقال الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي
وكان في حرب فراى من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على راس رسول الله بالسيف فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف
من يده فاخذه عليه السلام السيف وقال من يمنعك مني فقال كن خير اخذ فقال قل اشهد ان لا اله الا الله فقال لا غير
اني لا اقاتلك ولا اكون معك ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس • وروى
انس ان يهودية اتته بشاة مسمومة لياكل منها فجيء بها اليه فسالها عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال ما كان
الله ليسلطك على ذلك قالوا افلا نقتلها قال لا وسحره رجل من اليهود فاخبره جبريل بذلك حتى استخرجه وحل العقد
فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي وما اظهره عليه قط • وقال علي بعثني انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا
حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ فقلنا اخرجي الكتاب
قالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لننزعن الثياب فاخرجته من عقاصها فاتيناه به فاذا فيه من حاطب بن ابي
بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم امرا من امر رسول الله فقال يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت
امرا ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك
منهم من النسب ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا
عن ديني فقال صدقكم فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله قد اطلع على اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم • وقسم قسمة فقال رجل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك اخي
له عليه السلام فاحمر وجهه وقال رحم الله اخي موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر • وكان يقول لا يبلغني احد منكم عن

اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر **بيان اغضائه** عما كان يكرهه عليه السلام كان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان اذا اشتد وجده اكثر من مس لحيته وكان لا يشافه احدا بما يكره دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها ولم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه يعني الصفرة وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به اصحابه فقال لا تزرموه اي لا تقطعوا عليه البول ثم قال له ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلا وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاء اعرابي يوما يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك فقال لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابي وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي منك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال عليه السلام ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها هوى هوى حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار

بيان سخائه وجوده صلى الله عليه وسلم كان اجود الناس واسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا وكان علي اذا وصفه عليه السلام قال كان اجود الناس كفا واجرا الناس صدرا واصدق الناس لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله وما سئل شيئا قط على الاسلام الا اعطاه وان رجلا اتاه فسأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيئا قط فقال لا وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره عليه السلام ذلك فقال الرجل انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم عليه السلام حتى عرف السرور في وجهه ولما قفل من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف وقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا

بيان شجاعته كان انجد الناس واشجعهم قال علي لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقال ايضا كنا اذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه وقيل كان قليل الكلام قليل الحديث فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد الناس بأسا وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله كتيبة الا كان اول من يضرب فيها قالوا قوي البطش ولما غشيه المشركون نزل فجعل يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فما رئي يومئذ احد كان اشد منه

بيان تواضعه كان اشد الناس تواضعا في علو منصبه قال ابن عمر رأيته يرمي الجمرة على ناقة صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع مع اهله في حاجتهم وكان اصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم واتي برجل فارعد من هيبته فقال له هون عليك فلست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تاكل القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم كانه احدهم فياتي الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت له عائشة كل جعلني الله فداك متكئا فانه اهون عليك قال فاصغى براسه حتى كاد ان يصيب جبهته الارض ثم قال بل اكل كما ياكل العبد

واجلس كما يجلس العبد وكان لم ياكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله وكان لا يدعوه احد من اصحابه وغيرهم الا قال لبيك وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا في معنى الاخرة اخذ معهم وان تحدثوا في طعام وشراب تحدث معهم وان تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشياء من امر الجاهلية ويضحكون فيبتسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام

بيان صورته وخلقته كان من صفته عليه السلام في خلقته انه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو الى الربعة ويقول جعل الخير كله في الربعة واما لونه فقد كان ازهر اللون ولم يكن بالآدم ولا الشديد البياض والازهر هو الابيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الالوان ونعته عمه ابو طالب فقال

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

ونعته بعضهم بانه مشرب بحمرة فقيل انه كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والازهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب منه وكان عرقه في وجهه كاللؤلؤ الرطب وريحه اطيب من المسك الاذفر واما شعره فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط كان اذا امتشطه بالمشط يأتي كحبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه واكثر الرواية انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا يخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على اذنيه فيبدو سوالفه تتلألأ وكان شيبه في الراس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك وكان احسن الناس وجها وانورهم لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه ابو بكر رضي الله عنه حيث يقول

امين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكان واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما وكان ابلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة المخلصة وكانت عيناه نجلاوين ادعجهما وكان في عينيه تمزج من حمرة وكان اهدب الاشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان اقنى العرنين اي مستوى الانف وكان مفلج الاسنان اي متفرقها وكان اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا تلالا وكان من احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم وكان سهل الخدين صلتهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفي لحيته ويأخذ من شاربه وكان من احسن الناس عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكانه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلالا في بياض الفضة وفي حمرة الذهب وكان عريض الصدر لا يعدو لحم بعضه بعضا كالمراة في استوائها وكالقمر في بياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلاث يغطي الازار منها واحدة ويظهر اثنتان وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس اي رؤس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها بطيب او لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على راسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في اخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السمن واما مشيه فكان يمشي كانما يتقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشي الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطا وكان يقول انا اشبه الناس بآدم وكان ابي ابراهيم اشبه الناس بي خلقا وخلقا وكان يقول ان لي عند ربي عشرة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت الناس جميعا وانا قثم قال ابو البختري والقثم الكامل الجامع

بيان معجزاته واياته الدالة على صدقه عليه السلام اعلم ان من شاهد احواله واصغى الى سماع اخباره المشتملة على

اخلاقه وافعاله واحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتالفهم اصناف
الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجايب اجوبته في مضايق الاسولة وبدايع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن
اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقها والعلما والعقلا عن ادراك اوايل دقايقها في طول اعمارهم لم يبق له ريب
ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك الا بالاستمداد من تاييد سماوي
وقوة الاهية وان ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمايله واحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان
الاعرابي الغر كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب وكان يشهد له بالصدق بمجرد شمايله فكيف من شاهد
اخلاقه ومارس احواله في جميع مصادره وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه صلى الله عليه لتعرف محاسن الاخلاق
وليتنبه لصدقه وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله اذ اتاه الله جميع ذلك وهو رجل امي لم يمارس العلم
ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن
اين حصل له محاسن الاخلاق والاداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفته
بالله سبحانه وملايكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن اين لقوة البشر الاستقلال بذلك فلو
لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة لكان فيها كفاية وقد ظهر من اياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل فلنذكر
من جملتها ما استفاضت به الاخبار واشتملت عليه الكتب الصحاح اشارة الى مجامعها من غير تطويل حكاية بلا
تفصيل فقد خرق الله سبحانه العادة على يده غير مرة اذ شق له القمر بمكة لما سالته قريش اية ❁ واطعم النفر الكثير
في منزل جابر وفي منزل ابي طلحة ويوم الخندق ومرة ثمانين من صاع شعير وعناق والعناق من اولاد المعز
دون العتود ومرة اكثر من ثمانين رجلا من اقراص شعير حملها انس في يده ومرة اهل الجيش من تمر يسير حملته
بنت بشير في يدها فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ❁ ونبع الماء من بين اصابعه فشرب اهل العسكر
كلهم وكانوا عطاشا وتوضوا من قدح صغير ضاق عن ان يبسط يده فيه واهراق وضوه في عين تبوك ولا ما
فيها ❁ ومرة اخرى في بير الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك اهل الجيش وهم الوف حتى رووا وشرب
من بير الحديبية الف وخمس ماية ولم يكن فيها قبل ذلك ما ❁ وامر عمر ان يزود اربع ماية راكب من تمر كان
في اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه ❁ ورمى الجيش بقبضة من تراب
فعميت عيونهم ونزل بذلك القران في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ❁ وابطل الله الكهانة بمبعثه
فعدمت وكانت ظاهرة موجودة ❁ وحن الجذع الذي كان يخطب اليه لما عمل المنبر حتى سمع منه جميع اصحابه
مثل حنين الابل فضمه اليه فسكن ❁ ودعا اليهود الى تمني الموت واخبرهم بانهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك فعجزوا
عنه وهذه الاية مذكورة في سورة يقراها في جميع جوامع اهل الاسلام من شرق الارض الى غربها يوم الجمعة
جهرا تعظيما للاية التي فيها ❁ واخبر عن الغيب وانذر عليه السلام بان عثمان تصيبه بلوى بعدها الجنة وبان
عمارا تقتله الفئة الباغية وان الحسن يصلح الله به بين فيتين من المسلمين عظيمتين ❁ واخبر عن رجل قاتل في سبيل
الله انه من اهل النار فظهر ذلك بان قتل ذلك الرجل نفسه وهذه كلها اشيا لا تعرف البتة بشي من وجوه
تقدمة المعرفة لا بنجوم ولا بكتف ولا بخط ولا بزجر لكن باعلام الله له ووحيه اليه ❁ واتبعه سراقة بن جعشم
فساخت قوايم فرسه في الارض واتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلقت الفرس ❁ وانذر بان سيوضع
في ذراعيه سوارا كسرى فكان ذلك ❁ واخبر بمقتل الاسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعا اليمن
واخبر بمن قتله ❁ وخرج على مائة من قريش وهم ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه ❁ وشكا اليه
البعير بحضرة اصحابه وتذلل له ❁ وقال لنفر من اصحابه مجتمعين احدكم في النار ضرسه مثل احد فماتوا كلهم على
استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا ❁ وقال لاخرين منهم اخركم موتا يموت في النار فسقط اخرهم موتا في نار
فاحترق فيها فمات ❁ ودعا شجرتين فاتتاه واجتمعتا ثم امرهما فافترقتا ❁ ودعا النصارى الى المباهلة فامتنعوا
واخبر انهم ان فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا ❁ واتاه عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس
وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك

اربد بصاعقة احرقته ❁ واخبر انه سيقتل ابي بن خلف الجمحي فخدشه يوم احد خدشا لطيفا فكان فيه
منيته ❁ واطعم السم فمات الذي اكله معه وعاش هو بعده اربع سنين وكلمه الذراع المسموم ❁ واخبر
يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع ❁ وانذر
عليه السلام ان طوايف من امته تغزو في البحر فكان كذلك ❁ وزويت له الارض فارى مشارقها ومغاربها
واخبر ان ملك امته سيبلغ ما زوي له منها فكان كذلك كما اخبر فقد بلغ ملكهم من اول المشرق من بلاد
الترك الى اخر المغرب من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال كما اخبر سوا بسوا ❁
واخبر فاطمة ابنته بانها اول اهله لحاقا به فكان كذلك ❁ واخبر نساءه بان اطولهن يدا اسرعهن لحاقا به
فكانت زينب بنت جحش الاسدية اطولهن يدا بالصدقة واولهن لحاقا به ❁ ومسح ضرع شاة حايل لا لبن لها
فدرت فكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود وفعل ذلك مرة اخرى في خيمة ام معبد الخزاعية ❁ وندرت عين
بعض اصحابه فسقطت فردها بيده فكانت اصح عينيه واحسنهما ❁ وتفل في عين علي وهو ارمد يوم خيبر فصح من
وقته وبعثه بالراية وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه ❁ واصيب رجل بعض اصحابه فمسحها بيده فبرات
من حينها ❁ ونفد زاد جيش كان معه فدعا بجميع ما بقي معهم من الزاد فاجتمع شي يسير جدا فدعا فيه بالبركة
ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعا في العسكر الا ملي من ذلك ❁ وحكى الحكم بن العاص مشيته مستهزيا فقال
عليه السلام كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات ❁ وخطب امراة فقال ابوها ان بها برصا امتناعا
من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال فلتكن كذلك فبرصت وهي ام شبيب بن البرصا الشاعر الى
غير ذلك من اياته ومعجزاته وانما اقتصرنا على المستفيض ومن يستريب في انخراق العادة على يديه ويزعم
ان احاد هذه الوقايع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القران فقط فهو كمن يستريب في شجاعة علي وسخا حاتم
ومعلوم ان احاد وقايعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقايع تورث علما ضروريا ثم لا يتمارى في تواتر القران
وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه اذ تحدى بها عليه السلام بلغا الخلق
وفصحا العرب وجزيرة العرب حينيذ مملوة بالالاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم
وكان ينادي بين اظهرهم ان ياتوا بمثله او بعشر سور مثله او بسورة مثله ان شكوا فيه وقال لهم لين اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك تعجيزا
لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا انفسهم للقتل ونساهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا
ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في اقطار الارض شرقا وغربا قرنا
بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمس مائة سنة فلم يقدر احد على معارضته
فاعظم بغباوة من ينظر في احواله ثم في اقواله ثم في افعاله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار
شرعه الى الان ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه
ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق من امن به وصدقه واتبعه في كل ورد وصدر
فنسال الله ان يوفقنا للاقتدا به في الاخلاق والافعال والاحوال والاقوال بمنه وسعة جوده انه
سميع قريب والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما مقيما

❁ تم الجزو الثاني المسمى العادات ويتلوه الجزو الثالث ❁
المسمى بالمهلكات وكان الفراغ من كتابته في سلخ شهر
ربيع الاول عام سنة تسع وستين وثمان ماية ❁
❁ احسن الله تعالى عقباها في خير وعافية
❁ انه على ما يشا قدير وبالاجابة ❁
❁ جدير ❁
وحسبنا الله تعالى
❁



الجزء الثالث من احياء علوم الدين





وهو
ربع المهلكات تأليف الامام
العلامة حجة الاسلام ابي حامد
محمد بن محمد بن محمد الغزالي
قدس الله روحه ونور
ضريحه

الجزء الثالث من احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتاب شرح عجائب القلب

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر، وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر، المطلع على خفيات السرائر، العالم بمكنونات الضمائر، المستغني في تدبير ملكه عن المشاور والموازر، مقلب القلوب، وغفار الذنوب، وستار العيوب، وكاشف الكروب، والصلاة على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين، وعلى آله الطيبين الطاهرين. اما بعد فشرف الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق استعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره، وفي الآخرة عدته وذخره، وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب اليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة والقلب هو المقبول عند الله سبحانه اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا كان مستغرقا بغير الله وهو المطالب والمخاطب وهو المعاتب والمعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله سبحانه فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه، وهو المطيع بالحقيقة لله وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله وانما الساري الى الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء يرشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم وان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه من مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوي مرة الى اسفل سافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح عليه وفيه من خزائن الملكوت فهو ممن قال الله سبحانه فيهم ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقته واوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ قد فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد ان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح صفات القلب واخلاقه وكتابا في رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الافهام

بيان معنى القلب والروح والنفس والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي

اعلم ان هذه الاربعة الاسامي تستعمل في هذه الاجزاء ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعاني هذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشؤها الجهل بمعاني هذه الاسامي واشتراكها بين مسميات مختلفات ونحن نشرح من معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا. **الاول** لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين **احدهما** اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته فلا يتعلق به الاغراض الدينية وانما يتعلق به اغراض الاطباء وهذا القلب موجود في البهائم والميت ونحن اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين. **والمعنى الثاني** هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاقب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر

الخلق في ادراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين **احدهما** انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا شرح علوم المعاملة **والثاني** ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح وما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها. **الثاني** لفظ الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين **احدهما** جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان انوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا الروح ارادوا به هذا المعنى **وهو** بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس من غرضنا شرحه اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان فاما غرض اطباء الدين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فلا يتعلق بشرح هذا الروح اصلا **الثاني** هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احدى معنيي القلب وهو الذي اراده الله سبحانه بقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني تعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته. **الثالث** لفظ النفس وهو ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان **احدهما** انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سياتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة في الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله عليه السلام اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك. **المعنى الثاني** هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله سبحانه يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله سبحانه وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة مولاها قال الله سبحانه ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال سبحانه وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان اعني ذاته وحقيقته العالمة بالله سبحانه وبسائر المعلومات. **اللفظ الرابع** العقل وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان **احدهما** انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب **والثاني** انه قد يطلق والمراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله عليه السلام اول ما خلق الله العقل فان العلم لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له الله تعالى اقبل فاقبل وقيل له ادبر فادبر الحديث فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعقل العلمي وهذه اربعة معان يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم الاختلاف في هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسامي ولاجل كشف الغطاء عنها قدمنا شرح

هذه الاسما وحيث ما ورد في القران والسنة القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشيا وقد
يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصية فانها وان كانت متعلقة بساير البدن
ومستعملة له فانها وان كانت متعلقة بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محل مملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك
شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا تظن انه يرى انه
عرش الله سبحانه وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش
والكرسي بالنسبة الى الله سبحانه ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه

بيان جنود القلب

قال الله سبحانه وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب والارواح وغيرها
من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الان نشير الى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق
بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصاير وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدام والاعوان
وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وساير الاعضا الظاهرة
والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع
له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم
الحكم به تكلم وكذا ساير الاعضا وتسخر الاعضا والحواس للقلب يشبه من وجه تسخر الملايكة لله سبحانه فانهم جبلوا على
طاعته لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وانما يفترقان في شي وهو ان الملايكة
عالمة بطاعتها وامتثالها لربها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخر ولا خبر لها من نفسها
ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو
السفر الى الله سبحانه وقطع المنازل الى لقايه فلاجله خلقت القلوب قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وانما مركبه البدن وانما زاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح
وليس يمكن ان يصل العبد الى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول
الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الاخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلين فاضطر
الى ان يتزود منها هذا القلب من هذا العالم والبدن مركبه الذي به يصل الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه
وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذا وغيره وان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه اذ يمكنه من اسباب الهلاك
فافتقر القلب لاجل جلب الغذا الى جندين باطن وهي الشهوة وظاهر وهي الاعضا الجالبة للغذا فخلق في القلب من الشهوات
ما احتاج اليه وخلقت الاعضا التي هي الات الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي
يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهي اليد والرجل الذي به يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة
من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذا اذا لم يعرف الغذا لم ينفعه شهوة الغذا والفه فافتقر للمعرفة الى
جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر وهي العين والاذن والانف وغيرها
وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ذكره ولا يجزي ذلك مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير
منه في كتاب الشكر وليقنع به فجملة جنود القلب يحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب الموافق النافع
كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضا الى
تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في ساير الاعضا لا سيما العضلات منها
والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشيا كالجواسيس وهو قوة البصر والشم والذوق والسمع وغيرها
وهي مبثوثة في اعضا معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة
وهي الاعضا المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت الات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش
بالاصابع وقوة البصر انما تدرك الشي بالعين وكذا ساير القوى ولسنا نتكلم الان في الجنود الظاهرة اعني الاعضا
فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الان فيما ايدت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث هو المدرك
من هذه الجملة وينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس

والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رويته للشي يغمض عينه فيدرك
صورته ما راى في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شي يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه
فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات
ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله سبحانه قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان
يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل فلذلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام
جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفا يطول ومقصودنا بمثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقويا والفحول
من العلما ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفا بضرب من الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينانه على طريقه التي
يسلكها وتحسن مرافقتهما له في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصا بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه
وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند اخر وهو العلم والحكمة
والتفكر كما سياتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله سبحانه على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان
بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا
وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضا الشهوة وكان ينبغي ان تكون
الشهوة مسخرة للعقل فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلاثة امثلة

المثال الاول

ان نقول
مثل نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها
ومستقرها ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير
العاقل والشهوة لها كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب شرطة والعبد الجالب
للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهايل والسم القاتل وديدنه وعادته
منازعة الوزير الناصح في كل تدبير يدبره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في ارايه ساعة فكما ان الوالي في مملكته
اذا كان مستعينا في تدبيراته بوزيره ومستشيرا له ومعرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل يستدل باشارته في
ان الصواب بنقيض رايه وادب صاحب شرطته واساسه لوزيره وجعله موتمرا له ومسلطا من جهته على هذا
العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سايسا ومامورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر
بلده وانتظم العدل بسبب ذلك فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وادبت الحمية الغضبية وسلطتها على
الشهوة واستعانت باحداهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة
بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت اخلاقها ومن عدل
عن هذه الطريقة كان كمن قال الله سبحانه فيه افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع
هواه فمثله كمثل الكلب وقال سبحانه فيمن نهى النفس عن الهوى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وسياتي كيفية
مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس

المثال الثاني

البدن كالمدينة والعقل
اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاوه
كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار
بدنه كثغر ورباط ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد
الى الحضرة كما قال سبحانه فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل
رعيته ذم اثره وانتقم منه عند لقاء الله سبحانه فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن
ولم تؤو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم للصحابة رضي الله عنهم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

المثال الثالث

مثل العقل
كفارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مودبا معلما
كان جديرا بالنجح وان كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا

ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو جدير بان يعطب فضلا عن ان ينال ما طلب وانما مثال خرق الفارس مثال
جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة وخصوصا غلبة شهوة البطن والفرج وعقر
الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه **بيان خاصية قلب الانسان** اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله به
على سائر الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى
الذئب بعينها وتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله
عظم شرفه واستاهل القرب من الله سبحانه وذلك راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية
والحقايق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل
اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم
انه لم يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زايد على ما ادركه الحس فاذا فهمت هذا في هذا العلم الظاهر
الضروري فهو في سائر النظريات اظهر واما الارادة فهو انه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه
انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى تعاطي اسبابها وارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون
على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعقل يريدها ويطلبها ويبذل المال عليها والشهوة تميل الى
لذايذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف لعاقبة
الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضا على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التحقيق فاذا اختص قلب الانسان
بعلوم وارادة ينفك عنها ساير الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه عند البلوغ
واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حال الصبا ثم الصبي في حال حصول هذه العلوم
فيه درجتان **احداهما** ان يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجايزات
الظاهرة فتكون العلوم النظريات فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان في الحصول ويكون حاله بالاضافة
الى البالغ كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة
ولم يبلغها بعد **الثانية** ان يحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر وتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله
حال العارف الحاذق بالكتابة اذ يقال كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته عليها وهذه غاية درجة الانسانية
ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطرق
تحصيلها اذ يحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعض القلوب بتعلم واكتساب ثم قد يكون
ذلك سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلما والحكما والاوليا والانبيا ودرجات
الترقي في ذلك غير محصورة اذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة النبي عليه السلام الذي تنكشف
له كل الحقايق او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله
سبحانه قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السايرين الى الله سبحانه
ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين
يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجود ذلك ولكن لا
يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا
المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف عاقل ما افتتح على اولياء الله سبحانه وانبيايه من مزايا
لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه غير مضنون
بها على احد ولكن انما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات الله سبحانه كما قال عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا
لها والتعرض لها بتطهير القلوب وتزكيتها عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتي بيانه والى هذا
الجود الاشارة بقوله عليه السلام ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له الحديث وبقوله سبحانه
حكاية عن ربه لقد طال شوق الابرار الى لقاي واني الى لقائهم اشد شوقا وبقوله سبحانه من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا
وكل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم تحجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت

بخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت الاواني ممتلية بالماء لا يدخلها الهوا فالقلوب
المشغولة بغير الله لا يدخلها المعرفة بجلال الله والى هذه الاشارة بقوله عليه السلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني
ادم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلوم هو العلم
بالله سبحانه وصفاته وافعاله ففيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجمال والجلال فالبدن
مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته لاجلها خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار في قوة
الحمل ويختص الفرس بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى
حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في امور ويفارقهما في امور هي خاصيته ولاجلها خلق
وتلك الخاصية من صفات الملايكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين البهايم والملايكة فان الانسان من
حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيواني ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على
الحايط وانما خاصيته معرفة حقايق الاشيا فمن استعمل جميع اعضايه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل
فقد تشبه بالملايكة فحقيق ان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال سبحانه ان هذا الا ملك كريم ومن صرف
همته الى اتباع الشهوات واللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض البهايم فيصير اما غمرا كثور
واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب وسنور او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله
كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حس من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله سبحانه
كما سياتي بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله في ذلك فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة
في ذلك ان يجعل لقاء الله مقصده والدار الاخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضا خدمه فيستقر
هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ
مجرى صاحب بريده اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها موخر الدماغ مجرى
خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري الاعضا المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل
كل واحد باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروايح
وكذلك سايرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويردونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد
ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهو الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته
واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا
سعيدا شاكرا لنعم الله سبحانه واذا عطل هذه الجملة او استعملها لكن في مراعاة اعدايه وهي الشهوة والغضب وساير
الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره في الاخرة كان مخذولا
شقيا كافرا لنعم الله مضيعا لجنود الله ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله ويستحق المقت والابعاد في المنقلب
والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثل الذي ذكرناه اشار كعب الاحبار حيث قال دخلت على عايشة فقلت الانسان
عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده
فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب ان لله سبحانه في
ارضه انية وهي القلوب فاحبها الى الله ارقها واصفاها واصلبها ثم فسر ذلك فقال اصلبها في الدين واصفاها
في اليقين وارقها على الاخوان وهذه اشارة الى قوله سبحانه اشدا على الكفار رحما بينهم وقوله سبحانه مثل نوره كمشكاة
فيها مصباح قال ابي بن كعب معناه مثل نور المومن في قلبه وقوله سبحانه او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق
وقال زيد بن اسلم في لوح محفوظ هو قلب المومن وقال سهل مثل الصدر والقلب كمثل الكرسي والعرش فهذه
امثلة القلب **بيان مجامع اوصاف القلب وامثاله** اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع
شوايب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية
فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والايذاء ومن
حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهايم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني

كما قال سبحانه قل الروح من امر ربي فهو يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والاستبداد بالاشيا كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقايق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلا بالقهر على جميع الخلايق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص عن البهايم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط الحيل ووجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اي الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب وكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقور وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه الكلب وحرص الخنزير وسبقه فالخنزير يدعوا بالشره الى الفحشا والمنكر والسبع يدعوا بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت السياسة فان فعل ذلك وقدر عليه فقد اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن واستقام الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرهم قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دايبا في عبادة كلب وخنزير وعلى هذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم البطر والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه ان ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطا عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثلت له حقيقة حاله كما تمثل للمكاشفين اما في النوم واما في اليقظة لراى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا له اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شي من شهواته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته اذ راى نفسه ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه منه ويلتمسه مدققا للفكر في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى لو انصف نفسه الا ساعيا طول نهاره في عبادة هولاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلا وقد سخره لخدمة هولاء فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هولاء الثلاث صفات تتراكم عليه حتى يصير طبعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والريا والهتك والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها ● واما طاعة كلب الغضب فينتشر منها الى القلب صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزا والاستخفاف والجراة وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيره واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والحيلة والخداع والدها والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخب وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحلم والرحم والشفقة والحيا والحكم واليقين والاحاطة بحقايق الاشيا ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلا على الكل بقوة العلم واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلالة الاستغنا عن عبادة الشهوة والغضب في اجرائهما على الاعتدال فالذي يسري الى القلب لنا من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل اجتناب البدعة والعفة والقناعة والاعتدال والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحيا والصدق والمساعدة وامثالها ويحصل من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى الحد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال

والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مراة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الاثار على التوالي واصلة الى القلب ● اما الاثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مراة القلب اشراقا ونورا وضيا حتى يتلالا فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله عليه السلام اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله عليه السلام من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب واما الاثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مراة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله سبحانه وهو الطبع والرين قال سبحانه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى ان لو نشا اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالاخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها واذا قرع سمعه امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من اذن اخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اوليك الذين يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القران والسنة قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سودا فان هو نزع وتاب صقل فان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال عليه السلام قلب المومن فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب ومعصيته مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحى اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمراة التي يتنفس فيها ثم يمسح ويتنفس ثم يمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقد قال عليه السلام القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المومن وقلب اسود منكوس وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الما الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به ● وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلا القلب وابصاره يحصل بالذكر فانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا والتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله سبحانه

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة

اعلم ان محل العلوم هو القلب اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع الاعضا وهي بالاضافة الى حقايق المعلومات كالمراة بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المراة ويحصل بها فكذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مراة القلب ويتضح فيها وكما ان المراة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المراة غير فهي ثلاثة امور فلذلك هاهنا ثلاثة امور القلب وحقايق الاشيا وحصول نفس الحقايق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقايق الاشيا والمعلوم عبارة عن حقايق الاشيا والعلم عبارة عن حصول المثال في المراة وكما ان القبض مثلا يستدعي قابضا ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فلذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما كان السيف موجودا واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد فاذا القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمراة اولى لان عين الانسان لا تحصل في المراة وانما يحصل مثال مطابق له فكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما ان المراة لا تنكشف فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل والثاني لخبثها وصداها وكدورتها وان كانت تامة الشكل والثالث لكونها معدولا بها عن وجه الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة ورا المراة والرابع لحجاب مرسل بين المراة والصورة

والخامس الجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسبب ذلك أن تحاذي بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها نقصان في ذات القلب كقلب الصبي فإنه لا ينجلي له بحقيقة الحق في الأمور كلها وإن خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة والثاني للكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فإن ذلك يمنع صفا القلب وجلاه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه وإليه الإشارة بقوله عليه السلام من قارف ذنبا فارقه عقل لم يعد إليه أبدا أي حصل في قلبه كدورة لا يزول أثرها أبدا إذ غايته أن يتبع الذنب بحسنة يمحوه فلو جاء بالحسنة ولم يقارن السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا وهذا خسران ونقصان لا حيلة فيه فليس المرآة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح المصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق والإقبال على طاعة الله سبحانه والإعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم والثالث أن يكون معدولا عن جهة الحقيقة المطلوبة فإن قلب المطيع الصالح وإن كان صافيا فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس يحاذي بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون العبد مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية ولا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكرا في ذلك ومصالح المعيشة إن كان متفكرا فيها وإذا كان تقييد الهم بالأعمال وتفصيلات الطاعات مانعا من انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم إلى شهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي والرابع الحجاب فإن المطيع القاهر لشهواته المتجرد للفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق إليه في مبدأ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فإن ذلك يحول بينه وبين حقائق الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد فهذا أيضا حجاب عظيم حجب به أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت عليه نفوسهم ورسخت في قلوبهم فصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق الخامس الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب فإن طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فإن العلوم المطلوبة ليست فطرية لا تقتنص إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والأنثى وذلك إذا وقع بينهما الالتئام كما أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار أو بعير وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الذكر والأنثى وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم له أصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان مثلا أن يرى قفاه في المرآة فإنه إن رفع المرآة بإزاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وإن رفعها وراء القفا وبإزائه كان قد عدل بالمرآة عن عينيه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المرآتين حتى ينطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المرآة في المرآة الأخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه في المرآة ويعز على بسيط الأرض من يهتدي إلى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور وإلا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر شريف رباني وإنما فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف وإليه الإشارة بقوله سبحانه إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال إلى وحملها الإنسان إشارة إلى أن له خاصية يميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار مطيقا لحمل أمانة الله سبحانه وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها في الأصل ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها ولذلك قال عليه السلام كل

كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقال عليه السلام لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجب بين القلب وبين الملكوت وإليه الإشارة بما روي عن ابن عمر قال قيل يا رسول الله أين الله في الأرض أو في السماء قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر أنه قيل من خير الناس قال مؤمن مخموم القلب قيل وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا حسد ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأى قلبي ربي إذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين ربه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها عرض السموات والأرض أما جملتها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بإدراك البصائر فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله سبحانه لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلوب وتزكيتها وجلاؤها وقد أفلح من زكاها ومراد تزكيتها حصول أنوار الإيمان فيها أعني إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله سبحانه فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب المرتبة الأولى إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض والثاني إيمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام والثالث إيمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات الأولى أن يخبرك به من جربت صدقه ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته بالقول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فإنهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله سبحانه وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل إليهم وصدقهم وما جاءوا به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من المقربين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما سمعوه من آبائهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقي إليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن لأنه ألقي إليهم كلمة الحق المرتبة الثانية أن تسمع كلام زيد وصوته في الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فإنك إذا قيل لك إن زيدا في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لأن الصوت يدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص فهذا إيمان ممزوج بدليل فالخطأ أيضا ممكن أن يتطرق إليه إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا الثالثة أن تدخل الدار فتنظر إليه بعينك وتشاهده فهذه معنى المعرفة والحقيقة والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين من النبيين والصديقين لأنهم مؤمنون عن مشاهدة فينطوي في إيمانهم إيمان العوام والمتكلمين ويتميزون عنهم بمزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ نعم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف أما الدرجات فمثاله أن يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت إشراق الشمس فيكمل له إدراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أو في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكنه لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للأمور الإلهية وأما مقادير العلوم فهو أن يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغيرهم وآخر لا يرى إلا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حالة القلب بالإضافة إلى العلوم الدينية والدنيوية بيان

حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية

اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقايق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية ۞ اما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزة العقل ولا يوجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدري من اين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين وان الشي الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى حصلت له ومن اين حصلت اعني انه لا يدري فيها سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله سبحانه هو الذي خلقها والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا ۞ وقال علي رضي الله عنه العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله عليه السلام ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله لعلي اذا تقرب الناس الى الله سبحانه بانواع البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد في الاعمى وتوجد في البصير وان كان قد غمض العين او جن عليه الليل والعلم الحاصل في القلب جار مجرى قوة ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشيا وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبا الى اوان التمييز او البلوغ يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها الى المبصرات والقلم الذي به سطر الله العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيا بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله سبحانه جعله الله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله سبحانه علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله سبحانه لا يشبه اقلام خلقه كما ان وصفه سبحانه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما انه سبحانه ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصيرة الظاهرة صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المذكورة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الاخر ولموازنة بصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماها الله باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما راى فسمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابرهيم حتى يذكر في معرض الامتنان ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال سبحانه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي ۞ اما العلوم الدينية فهي الماخوذة بطريق التقليد من الانبيا صلوات الله عليهم وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله سبحانه وسنة رسوله عليه السلام وفهم معانيهما بعد السماع وبذلك كمال صفات القلب وبه سلامته عن الادواء والامراض والعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطبا او مجرد العقل لا يهتدي الى ذلك ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القران والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر بالغذا مهما فاته الدوا فكذلك امراض القلوب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي وظايف العبادات والاعمال التي ركبها الانبيا عليهم السلام لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذا وظن من ظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القايل ربما يناقض عنده بعض العلوم بعضا فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذي دخل دارا فعثر باواني الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت على الطريق لا ترد الى مواضعها فقيل له

هذه الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك فالعجب منك لا تحيل عثرتك على عماك وتحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العلوم العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وساير الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وافات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله كما فصلنا ذلك في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الاخر على الاكثر ولذلك ضرب علي عليه السلام للدنيا والاخرة ثلاثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احداهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور الاخرة والاكياس في دقايق علوم الاخرة جهالا في الاكثر بعلوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال عليه السلام اكثر اهل الجنة البله اي البله في امور الدنيا ۞ وقال الحسن ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو ادركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل الكياسة في ساير العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب وكذلك يجري امر الدنيا والاخرة ولذلك قال سبحانه ان الذين لا يرجون لقانا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها الاية ۞ وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ۞ وقال سبحانه فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدين والدنيا لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله تعالى لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبيا المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية فقلوبهم تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها ۞ اما قلوب ساير الخلق فانها اذا اشتغلت بامر انصرفت من الاخرة وقصرت عن الاستكمال فيه

بيان الفرق بين الالهام والتعلم

والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار ۞ اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كانما القيت فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي استفاد منه ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا وتختص به الانبيا والاول يختص به الاوليا والاصفيا والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلما وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشيا كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحايل بين مراة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله سبحانه الى يوم القيمة وتجلي حقايق العلوم من مراة اللوح في مراة القلب يضاهي انطباع صورة من مراة في مراة تقابلها والحجاب بين المراتين تارة يزال باليد واخرى تزول بهبوب رياح تحركه فكذلك قد تهب رياح الالطاف فتكشف الحجب عن اعين القلوب فيتجلى فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر فيه ما سيكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجب بالموت وبه ينكشف الغطا وفي اليقظة ايضا قد يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله سبحانه فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شي من غرايب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور وان لم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه في جهة زوال الحجاب وان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شي من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملايكة واليه الاشارة بقوله سبحانه وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلايق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله سبحانه ومهما حصل ذلك كان الله سبحانه هو المتولي لقلب عبده

والتكفل بتنويره بانوار العلوم واذا تولى الله سبحانه امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية وليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله سبحانه من الرحمة اذ الانبياء والاولياء انكشف لهم الامور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة بل بالزهد في الدنيا والتبري عن علائقها وتفريغ القلب عن شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله سبحانه فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا انقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيها وجود ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى ان يمحى اثرها عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كأنه لازم فيه لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله سبحانه بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى له الا الانتظار لما يفتح الله من رحمته كما فتحها على الانبياء والاولياء بهذه الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائها كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عادت فقد تثبت وقد تكون مختطفة وان ثبتت فقد يطول ثباتها وقد لا يطول وقد يتظاهر امثالها على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اولياء الله فيها لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط • واما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء كذلك ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤوا ثمرته واستبعدوا اجتماع اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حال فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب • قال عليه السلام قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر في غليانها • وقال عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى ان يزول والعمر ينقضي دون النجاح في ذلك فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ولكن صار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرار وتعليق وانا ايضا ربما انتهي بالرياضة الى ذلك ومن ظن هذا فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا قالوا فلا بد اولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم ان عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس فتضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفاء بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق الماء اليه من فوقه بانهار تفتح اليه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمس مثل الانهار ويمكن ان تساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن ان تسد عنه هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله فان قلت كيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجائب اسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقائق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين كما ان المهندس يسطر صورة ابنية الدور في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى آخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة اخرى الى الحس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره فانه يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كأنه ينظر اليهما ولو انعدمت السماء والارض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والارض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتأدى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكأن للعالم اربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على الوجود الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الموجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها اشد روحانية من بعض وهذا اللطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع اكنافها ثم يسري من وجوده في الحس وجود في الخيال ثم يسري منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر بما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب اكثر الخلق جاهلة بانفسها وبعجائبها فلنرجع الى المقصود فنقول

القلب يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الماء اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك من التفجر من الارض وكما ان من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الغيب وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك واما انفتاحه الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله سبحانه قال عليه السلام سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله سبحانه وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال عليه السلام في وصفهم اخبارا عن الله سبحانه ثم اقبل عليهم بوجهي اترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي شيء اعطيه ثم قال اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الانبياء والاولياء وبين علوم الحكماء والعلماء هذا وهو ان علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت • وعلم الحكماء يأتي من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعلمك الفرق بين مداخل العلمين • والمثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين اعني عمل الاولياء وعمل العلماء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلوب واولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط فقد حكي ان اهل الصين واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة

النقش والصور فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق منهم على الآخر ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ فقيل لهم وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم منا ارفعوا الحجاب فرفعوا فإذا بجانبهم يتلألأ فيه عجائب صنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذ كان قد صار كالمرآة المجلية لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفاء فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلوب وجلائها وتزكيتها وصفائها حتى يتلألأ فيها جلية الحق بنهاية الإشراق كفعل أهل الصين وعناية العلماء والحكماء باكتساب نقش العلوم وتحصيل نقشها في القلوب وكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر وإليه أشار الحسن بقوله التراب لا يأكل محل الإيمان ويكون وسيلة القربة له إلى الله سبحانه أما ما حصله من نفس العلم أو ما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم ولا سعادة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى إلا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزائن المملوءة غني وتتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والإيمان كما تتفاوت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعارف أنوار ولا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله سبحانه إلا بأنوارهم قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وقد ورد في الخبر إن بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على إبهام قدميه فيضيء مرة ويطفى أخرى فإذا أضاء قدم قدمه فمشى وإذا طفي قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي أعطي نوره على إبهام قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق أخرى ويجر رجلا ويعلق أخرى وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح وهذا أيضا هو قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السراج كلها لرجح فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم كنور الشمع وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدور بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر إنه يقال يوم القيمة أخرجوا من النار من في قلبه مثقال من إيمان ونصف مثقال وربع وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وإن هذه المقادير من الإيمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقال فإنه لا يدخل النار فإنه لو دخل النار لأمر بإخراجه أولا وإن من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله عليه السلام ليس شيء خير من ألف مثله إلا الإنسان إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله المؤمن الموقن وأنه خير من قلوب ألف من عوام الناس وقد قال الله سبحانه وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال سبحانه يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم وهذا يدل على أن اسم المؤمن يقع على المقلد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس قوله والذين أوتوا العلم درجات قال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبع مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وقال عليه السلام أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي وفي رواية كفضل القمر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد تعرف تفاوت درجات أهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيمة يوم التغابن إذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمرحوم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم إلى الغني الذي يملك الأرض من المشرق إلى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما أعظم الغبن الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخسر حظه منه والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم أن من انكشف له ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات أما الشواهد فقوله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر في القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو من طريق الكشف والإلهام وقال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل يجعل له مخرجا من الإشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال سبحانه يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشهوات ولذلك أكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه سؤال النور فقال اللهم أعطني نورا وزدني نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا حتى قال في شعري وبشري ولحمي ودمي وسئل عليه السلام عن قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح قال هو التوسعة إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال عليه السلام لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي عليه السلام إلينا إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء الفهم في كتاب الله وقال سبحانه ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال عليه السلام اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وإلى ذلك يشير قوله سبحانه إن في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من أسرار الله يقذفه في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقال عليه السلام إن من أمتي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم وقرأ ابن عباس وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم قال تعالى وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظ صار جاهلا إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع أن كل علم من لدنه تعالى ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد الشرع ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر إذ ظهر ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن بعدهم قال أبو بكر رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها إنما هما أختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته يا سارية الجبل إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة وقال أنس دخلت على عثمان بن عفان وكنت لقيت امرأة في الطريق فنظرت إليها شزرا وتأملت محاسنها فقال يدخل علي أحدكم وآثار الزنا ظاهرة في عينيه أما علمت أن زنا العين النظر لتتوبن أو لأعزرنك فقلت له أوحي بعد رسول الله فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على أبي الخير التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده إذا به خلفي وقد حمل

طبقاً عليه طعام فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير مشهوراً بالكرامات
وقال ابرهيم الرقي قصدته مسلماً عليه فصلى صلاة المغرب ولم يقرأ فاتحة الكتاب مستوياً فقلت في نفسي ضاعت
سفرتي فلما سلم خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدني فخرج وصاح على الاسد
وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى وتطهرت فلما رجعت قال لي اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الاسد
واشتغلنا بتقويم القلوب فخافنا الاسد وقال ابو سعيد الخراز دخلت المسجد الجامع فرأيت فقيراً عليه خرقتان
فقلت في سري هذا واشباهه كل على الناس فناداني وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه
فاستغفرت الله في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني فلم اره وقال
زكريا دخل ابو العباس ابن مسروق على ابي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يكن له سبب قال
فلما قمت قلت في نفسي من اين ياكل هذا الرجل قال فصاح بي يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله سبحانه الطافاً
خفية • وعن احمد النقيب قال دخلت على الشبلي فقال مفتونا يا احمد فقلت ما الخبر فقال كنت جالساً فجرى بخاطري
انك بخيل فقلت ما انا بخيل فعاد مني خاطري فقال بل انك بخيل فقلت ما فتح اليوم على شيء الا دفعته الى اول فقير يلقاني قال
فما استتم خاطري حتى دخل علي صاحب لمونس الخادم ومعه خمسون ديناراً فقال اجعلها في مصالحك قال
فاخذتها وقمت وخرجت فاذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال
اعطها المزين فقلت ان جملتها دنانير فقال اوليس قلنا لك انك بخيل قال فناولتها المزين فقال المزين عقدنا لما جلس
الفقير بين يدينا ان لا ناخذ عليه اجراً فرميت الدنانير في دجلة وقلت ما اعزك احد الا اذله الله وما يحكى
عن تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما يحكى عنهم من مشاهدة
الخضر والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع
الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على
جحده امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل
ايضاً في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس عن اشتغالها بالمحسوسات وكم من مستغرق
غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بامور في
المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبي عليه السلام جاز لغيره اذ النبي عبارة عن
شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في الوجود شخص كوشف بالحقائق
ولا يشتغل باصلاح الخلق فهو لا يسمى نبياً بل يسمى ولياً ومن آمن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة
ان يقر بان للقلب بابين باب الى الخارج وهو باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام
والنفث في الروع والوحي واذا اقر بهما لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المالوفة بل
يجوز ان تكون المجاهدة سبيلاً اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجائب تردد القلب بين عالم الشهادة
وعالم الملكوت • واما السبب في انكشاف الامور في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة
بصور مختلفة للانبياء والاولياء فذلك ايضاً من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر
على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها وقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك
فسالني ان املي عليه شيئاً من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملاً ونحن نحب ان نصعد
لك بعمل تتقرب به الى الله تعالى فقلت اولستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فحسبكما ذلك وهذه اشارة الى ان
الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب وانما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سالت بعض
الابدال عن مسالة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول
رحمك الله ثم اطرق الى صدره ساعة وقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسالته عن التفاته
فقال لم يكن عندي في المسالة علم عتيد فسالت صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب اليمين وهو اعلم
منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فسالته فحدثني بالذي اخبرتك واذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله عليه

السلام ان في امتي محدثين وان عمر منهم **ومن الآثار** ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت
الغالب فيه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه • وقال ابو سليمان الداراني
القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب
الى جهة الملكوت والملا الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم يتجلى لهم امور صادقة
وقال بعض العلماء يد الله على افواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت
ان الله سبحانه يطلع الخاشعين على بعض سره **بيان تسلط الشيطان على القلب** بالوسواس ومعنى الوسوسة
وسبب غلبتها اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال قبة مضروبة لها ابواب تنصب اليه الاحوال من كل باب
ومثاله ايضاً مثال هدف تنصب اليه السهام من كل الجوانب او هو مثال مرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف
الصور المختلفة فيرى فيها صورة بعد صورة ولا يخلو عنها او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار
مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من
الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئاً حصل
منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الاكل او بقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان
كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل
القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتاثر دائماً من هذه الاسباب واخص الآثار
الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكات وعلوماً
اما على سبيل التذكر واما على سبيل التجدد فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلاً
عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال
لا محالة فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية والنية تحرك الاعضاء والخواطر
المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع
في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاماً والخاطر
المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواساً ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ولكل حادث لا بد له من
سبب ومهما اختلفت الحوادث دلت على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله سبحانه في ترتيب
المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت
ان سبب السواد غير سبب الاستنارة كذلك لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر
الداعي الى الشر يسمى شيطاناً واللطف الذي به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقاً والذي به يتهيأ
لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلاناً فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة
عن خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه الله
وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند
الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان
واليه الاشارة بقوله سبحانه ومن كل شيء خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله سبحانه فانه لا
مقابل له بل هو الله الواحد الحق الخالق للازواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان وبين الملك وقد قال عليه السلام في
القلب لمتان لمة من الملك وعد الخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله سبحانه فليحمد ولمة من العدو ايعاد
بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء
الآية وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله سبحانه وهم من العدو فرحم الله عبداً وقف عند همه فما كان
لله امضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المتسلطين قال عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين
من اصابع الرحمن والله سبحانه متعال ان يكون له اصبع مركبة من لحم وعظم ودم منقسمة بالانامل ولكن معنى الاصبع

سرعة التقلب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصها بل لفعلها في التقليب والترديد وكما انك تتعاطى
الافعال ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول اثار الملائكة ولقبول اثار
الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الاخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات
والاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش
الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق
الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو القلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير
ذلك من صفات البشرية المنشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل القلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك
قال عليه السلام ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامر
الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله تعالى على شهوته حتى صار لا ينبسط الا
حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر والشيطان المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر
الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله سبحانه ارتحل الشيطان وضاق
مجاله واقبل الملك والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشيطان وتملكتها فامتلات
بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الاخرة ومبدا استيلائها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد
ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله سبحانه الذي هو مطرح اثر الملائكة
قال جرير بن عبد الله العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي
يمر به اللصوص فان كان فيه شي عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال
سبحانه ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه اشارة الى ان الهوى الهه معبوده فهو عبد
الشيطان لا عبد الله وقال عثمان بن ابي العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وبين قراءتي فقال ذلك شيطان
يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر
ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر شي سوى ما
يوسوس به لانه اذا احضر في القلب ذكر انعدم عنه ما كان فيه قبل ولكن كل شي ما سوى الله سبحانه وسوى ما يتعلق به
فيجوز ان يكون ايضا مجالا للشيطان ولا يعالج الشي الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله سبحانه بالاستعاذة
والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله وذلك لا يقدر عليه
الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله سبحانه وانما الشيطان يطوف عليهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة
قال الله سبحانه ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله
تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله سبحانه خنس وانقبض واذا غفل انبسط
على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلمة وبين الليل والنهار ولتطاردهما
قال تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
واضع خطمه على قلب ابن ادم فان ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا
بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم
الادمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال عليه السلام ان
الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات
ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى حكاية عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من
بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال عليه السلام ان الشيطان قعد لابن ادم بطرق فقعد له بطريق
الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماءك
فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل وتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه
فجاهد فقال عليه السلام فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فقد ذكر عليه السلام معنى الوسوسة وهي

هذه

هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس
معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه ادمي
وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه السلام ما من احد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار
معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم
لطيف او ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الان غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال
الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين
الجهل فمصادفة الخواطر الباعثة على الشر قد عرفت ودل ذلك انه عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل
عدو وقد عرف العدو فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرفنا الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز منه
فقال سبحانه ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال سبحانه الم اعهد
اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن اصله
ونسبه ومسكنه نعم ينبغي للعبد ان يسال عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الشهوات والهوى وذلك
كاف للعاملين فاما معرفة صفة ذاته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات
ولا يحتاج في المعاملة الى معرفته نعم ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة
والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او لمة الشيطان فان من
مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على
دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من
الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله سبحانه تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم
الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة
خلق الله الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع
بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال
يقرر ذلك عنده وهو في اثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بالعلم والنظر الى الخلق
بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك
بسببه ويظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر
وباقوام لا خلاق لهم في الاخرة والخلاق النصيب ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال قل لا اله الا
الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له ايضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى
وبها هلك العباد والعلماء والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكره ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم
الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور من اخر هذا الربع ولعلنا ان امهلنا
الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص والاعتقاد نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الان تلبيسه في البلاد والعباد
والمذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد ان
يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه من لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر في ذلك بنور التمييز لا بهوى
من الطبع ولا يطلع على ذلك الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال سبحانه ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان
تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي انكشف لهم الاشكال فاما من لم يروض نفسه بالتقوى
فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر في ذلك غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم
قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واعظم واغمض
انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله
الخلق واشتغلوا بالعلوم تستجر اليهم الوساوس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز منه ولا ينجي
من كثرة الوساوس الا سد ابواب الخواطر وابوابها من خارج الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في

في بيت مظلم بسد ابواب الحواس والتجرد عن المال والاهل بتقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله سبحانه ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهي عن ذكر الله فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا اخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد من الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى الانسان بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن المجاهدة والمدافعة ما دام الدم يجري فيه فانه ما دام حيا فابواب الشيطان مفتوحة الى قلبه لا تغلق وهي الشهوة والغضب والحقد والحسد والطمع والشره وغيرها كما سياتي شرحه ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص للمؤمن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته كما قال عليه السلام ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر • وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الان مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبني بذكر الله واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشيطان وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الواحد بهذه الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هي القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هي العلم الغزير المستفاد من كتاب الله سبحانه وسنة رسوله عليه السلام فيما يهدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة قال ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله الاية يعني تلك الخطوط فبين عليه السلام كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهي التي يخدع بها العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الادمي الى سلوكه وذلك كما روي عنه عليه السلام انه قال كان راهب من بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتي بها الى الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فوسوس اليه وقال الان تفتضح ياتيك اهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه عنها فقال ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان فقال له انا الذي اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال الله سبحانه فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الان الى حيله واضطرار الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله عليه السلام من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

اعلم ان القلب مثاله مثال الحصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن وسواس الشيطان امر واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان • فمن ابوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على شيء اعماه حرصه واصمه اذ قال عليه السلام حبك الشيء يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة وحمل فيها من كل زوجين اثنين كما امر راى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي وابدانهم معك فقال نوح له اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلاث ولا احدثك باثنين فاوحى الى نوح انه لا حاجة لك الى الثلاث مره يحدثك بالاثنين فقال هما الاثنتان اللتان لا يكذباني ولا يخلفاني بهما اهلك الناس الحسد والحرص فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا مريدا وبالحرص ابيح لادم الجنة كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص **ومن ابوابه** العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسى عليه السلام فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت وانا اريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان يتوب علي فقال موسى نعم فدعا موسى ربه فاوحى اليه يا موسى قد قضيت حاجتك فمره ان يسجد لقبر ادم حتى يتاب عليه فلقي موسى ابليس وقال له امرت ان تسجد لقبر ادم ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا واسجد له ميتا ثم قال يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلاث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان روحي في قلبك وعيني في عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني اتي ابن ادم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة ليست لك بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار بهذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لادم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله وقال بعض الانبياء لابليس باي شيء تغلب ابن ادم قال اخذه عند الغضب والهوى • وظهر ابليس لراهب فقال له اي اخلاق بني ادم اعون لك عليهم قال الحدة ان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه **ومن ابوابه** العظيمة حب التزين في الاثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا راى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها والى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره فاذا اوقعه فيها فقد استغنى عن ان يعود اليه ثانيا فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شيء الى شيء الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه **ومن ابوابه** العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان روي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا فراى عليه معاليق من كل شيء فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصيب بها بني ادم قال فهل لي فيها شيء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املا بطني من طعام ابدا قال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا **ومن ابوابه** العظيمة الطمع في الناس فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن له التزين والتصنع لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيل التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر • وقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا اعلمك فقال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا قبلت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسال احدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت ولا تغضب فاني املك بك اذا غضبت **ومن ابوابه** العجلة وترك التثبت في الامور وقال عليه السلام العجلة من الشيطان والتاني من الله وقال الله سبحانه وكان الانسان عجولا وقال ولا تعجل بالقران وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصر يحتاج الى تامل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدري العبد • روي انه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا حاضرها الا هذا فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني ادم من قبل العجلة والخفة **ومن ابوابه** العظيمة

الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعثت من قلبه عشرة شهوات تحتاج كل واحدة إلى مائة دينار فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن وجد مائة وظن أنه صار غنيا بها وقد صار محتاجا إلى تسعمائة ليشتري دارا ويعمرها ويشتري جارية ويشتري أثاث البيت ويشتري ثيابا فاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم ولا آخر لها سواه • قال ثابت لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر عظيم فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤوا وقالوا ما ندري قال إبليس أنا آتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث محمد قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي عليه السلام فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فينمحي ذلك عنهم فقال إبليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فهنالك تصيبون حاجتكم منهم • وروي أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به إبليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه من تحت رأسه ورمى به وقال هذا لك مع الدنيا • وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه فإن القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده لا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا يتحرك رغبته في النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط هذا لعبادة الله سبحانه • ومن أبوابه البخل وخوف الفقر فإن ذلك هو الذي يمنع من الإنفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الأليم هو الموعد للكانزين كما نطق به القرآن • قال خيثمة بن عبد الرحمن إن الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن آدم فلن يغلبني على ثلاث أن آمره بأخذ المال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه ومنعه من حقه • وقال سفيان ليس للشيطان سلاح على الإنسان مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ من الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء • ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع الأموال والأسواق هي معششة الشياطين • وروي عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يا رب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال الأسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء • ومن أبوابه التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فإن الطعن في الناس والاشتغال بذكر مساويهم ونقصانهم صفة مجبولة في طبع الإنسان من الصفات السبعية فإذا خيل الشيطان إليه أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همه وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين ترى أحدهم متعصبا لأبي بكر رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب والغيبة ومتعاطٍ لأنواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان هو أول عدو له إذ موالي أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته أن يضع حجرا في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فمن أين لهذا الفضولي أن يدعي ولاءه ومحبته ولا يسير بسيرته وترى فضوليا آخر متعصبا لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسغ فترى الفاسق لابسا لثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من أخذ ولدا عزيزا عند إنسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقاريض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كان أحب إلى أبي بكر وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم من الأهل والولد بل من نفوسهم والمعتمرون لمعاصي الشرع

هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون بذلك إلى إبليس عدو الله وعدو أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمة رسول الله لاستحيوا من أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبيح أفعالهم ثم إن الشيطان يخيل إليهم أن من مات محبا لأبي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله يقول لولده فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة منه اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئا وهذا مثال أوردناه في جملة الأهواء وهكذا أيضا حكم المتعصبين للشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الإمام هو خصمه إذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا لأجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي سيرتي ومسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت إلى الله سبحانه ثم ادعيت مذهبي كاذبا فهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلمت المنابر لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان في ذلك بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فنسأل الله أن يتوب علينا وعليهم • قال الحسن بلغنا أن إبليس قال سولت لأمة محمد المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الأهواء وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات • قال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله سبحانه فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس إياهم يريد فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد إبليس منهم • ومن أبوابه حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله سبحانه وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يخيل إليهم في الله سبحانه خيالا تعالى الله عنه فيصير به كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج لما وقع في صدره يظن أن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله وأشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا في عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وظنه وأحرصهم على السؤال من العلماء قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله فيقول من خلق الله فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر في علاج هذا الوسواس بالبحث فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم ويتركوا العلم إلى العلماء فالعامي لو زنا أو سرق كان خيرا له من أن يتكلم في العلم فإنه من تكلم من غير إتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وإنما قصدنا بما أوردناه المثال • ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين ولذلك قال سبحانه يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ومن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه أو ينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال عليه السلام اتقوا مواضع التهم حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم احترز من ذلك روي عن علي بن الحسين أن صفية بنت حيي أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا قالت فأتيته فحدثته فلما أمسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الأنصار فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال إنها صفية بنت حيي قالا يا رسول الله نظن بك إلا خيرا قال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يدخل عليكما فانظر كيف أشفق على دينهما فحرسهما وكيف أشفق عليه السلام على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثلي لا يظن به إلا الخير إعجابا منه بنفسه فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم

لا ننظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ♦ وعين الرضى عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا ♦ فيجب الاحتراز عن عين السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا
الشر فمهما رايت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى غيره
من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل
الشيطان الى القلوب ولو اردت استقصاء جميعها لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة
مذمومة الا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله **فان قلت** فما العلاج في دفع الشيطان وهل
يكفي فيه ذكر الله سبحانه وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاعلم ان علاج ذلك سد هذه المداخل
وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من المهلكات بيان علاج الصفات المهلكة
المهلكات ويحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سياتي نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب
اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله سبحانه لان حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب الا بعد
عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع
سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
خصص ذلك بالمتقين ومثال الشيطان مثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم ولا خبز فهو ينزجر بان
تقول له اخسأ بمجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع هجم على اللحم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب
الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه الشيطان بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر
الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية عن الهوى
والصفات المذمومة يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر لله سبحانه فاذا عادت الى
الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله سبحانه فاستعذ بالله من الشيطان وسائر الايات والاخبار الواردة
في الذكر قال ابو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا
شيطان المؤمن مهزول اشعث اغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك قال انا مع رجل اذا اكل سمى
فاظل جائعا واذا شرب سمى فاظل عطشان واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى فاظل عريانا فقال شيطان
الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه ♦ وكان محمد بن واسع يقول
كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا يرانا هو وجنوده
من حيث لا نراهم اللهم فايسه منا كما ايسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه
كما باعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفني
قال ومن انت قال انا اللعين قال وما تريد قال اريد الا تعلم احدا هذه الاستعاذة قال والله لا امنعها ممن
ارادها فاصنع الان ما شئت ♦ وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم
بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرا ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل فقال قل اعوذ بكلمات الله
التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها
ومن فتن الليل والنهار وطوارق الليل الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فطفئت شعلته وخر على وجهه ♦ وقال
الحسن نبئت ان جبريل اتى النبي عليهما السلام فقال له ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي
وقال عليه السلام لقد اتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت
برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان لاصبح طريحا ♦ وقال عليه السلام ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان
فجا غيره وهذا لان هذه القلوب مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان
عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن يطمع ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ
الاطعمة ويطمع ان ينفعه كما ينفع الذي يشربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب
عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في المعدة

اذا كانت المعدة خالية عن الاطعمة قال الله سبحانه ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب الاية وقال تعالى كتب عليه
انه من تولاه فانه يضله الاية ومن ساعد الشيطان فقد تولاه وان كنت تقول الحديث ورد مطلقا بان الذكر يطرد
الشيطان ولم يفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر الى نفسك وليس
الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك صلواتك فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان
الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر ما قد نسيته
من فضول الدنيا الا في صلاتك فلا يزدحم الشياطين على قلبك الا اذا صليت والصلاة محك القلوب فيها تظهر
مساويها ومحاسنها فالصلاة لا تقبل القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان بل ربما
يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان اردت الخلاص من الشيطان فقدم
الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدوام الذكر فعند ذلك يفر الشيطان منك كما كان يفر من عمر ولذلك قال
وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له ♦ وقال بعضهم
يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله سبحانه قال ادعوني
استجب لكم وانت تدعوا فلا يستجاب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر
والدعا قيل لابرهيم بن ادهم ما لنا ندعوا فلا يستجاب لنا وقد قال الله سبحانه ادعوني استجب لكم قال
لان قلوبكم ميتة قالوا وما الذي اماتها قال ثماني خصال عرفتم الله سبحانه فلم تقوموا بحقه وقراتم القران فلم
تعملوا به ولا بحدوده وقلتم نحب رسول الله ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال الله
سبحانه ان الشيطان لكم عدو فواطاتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار وارهقتم ابدانكم فيها ♦ وقلتم نحب
الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم ♦ وقدمتم عيوب الناس امامكم
فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم **فان قلت** فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين
مختلفون فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسال عن صفته كل البقل ولا
تسال عن المبقلة ولكن الذي يستضيء بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي
شيطانا يخصه ويدعو اليه فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف
المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان **واما الاخبار** فقد قال
مجاهد خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور
فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما
الاعور فهو صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل
الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم ♦ واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين
وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد ورد في ذلك اخبار كثيرة وكما ان
الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وسنذكر في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم
بعمل يعمله فقد قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة ملك يذبون عنه ما لم
يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو
بدا لكم لرايتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يديه فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفه
الشيطان ♦ وقال يونس بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من الجن ثم ينشؤن معهم ♦ وقال جابر بن عبد الله
ان ادم عليه السلام لما اهبط قال رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة ان لا تعني عليه لا اقوى عليه
قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد
قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال ابليس رب هذا العبد الذي كرمته علي
ان لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون
صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وعن

ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلاثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش
الارض وصنف كالريح في الهوى وصنف عليهم الحساب والعقاب • وخلق الله الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهايم ثم
قال سبحانه لهم قلوب لا يفقهون بها الى بل هم اضل وصنف اجسادهم اجساد بني ادم وارواحهم ارواح الشياطين
وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله • وقال وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليه السلام فقال
له انصحك قال لا اريد ولكن اخبرني عن بني ادم قال هم عندنا على ثلاثة اصناف صنف منهم هم اشد الاصناف علينا
نقبل على احدهم حتى نلقيه في الذنب فيفرح منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شي ادركنا منه ثم
نعود اليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء • واما الصنف الاخر فهم مثلك معصومون
لا نقدر منهم على شي • واما الصنف الثالث فهم في الدنيا بمنزلة الكرة في ايدي الصبيان نتلقفهم كيف شينا وقد كفونا
انفسهم **فان قلت** فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون بعض واذا راى صورته فهي صورته على الحقيقة
او هو مثال له يتمثل به وان كانت صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين
وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما
ولا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة فما راى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل صلى الله عليه في صورته
الا مرتين وذلك انه ساله ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بحرا فطلع له جبريل فسد الافق من المشرق الى
المغرب وراه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الادمي غالبا وكان
يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الصورة والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من ارباب القلوب
بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه باذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما
ينكشف في المنام لاكثر الصالحين واما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا
عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما روي عن عمر بن عبد العزيز ان رجلا سال
ربه سبحانه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن ادم فراى في النوم جسد رجل يشبه البلور يرى داخله من خارجه
وراى الشيطان في صورة ضفدع قاعدا على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله
من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس ومثل هذا قد يشاهده بعينه في اليقظة وقد راه بعض
المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثل الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة
صورته الحقيقية فان القلب لا بد ان يظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على وجهه
الذي يقابل به عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل بالاخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم
الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم
الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كله متخيل الا ان الخيال تارة يحصل من الباطن الى ظاهر
عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن
قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت
على باطن سر القلب فلا تكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا
جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى
الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير
في النوم على انسان خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع ابواب التعبير وهذه اسرار
عجيبة من عجائب علوم القلب ولا يليق ذكرها بعلوم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان
ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك وتارة يكون بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في المنام وتارة
بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة
محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم **بيان ما يواخذ العبد به**
من وساوس القلب وهمه وخواطره ومقصوده وما يعفى عنه ولا يواخذ به اعلم ان هذا امر

غامض وقد وردت فيه اخبار وايات متعارضة يلتبس طريق الجمع بينهما الا على سماسرة العلماء روي عن النبي
عليه السلام انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه
سبحانه اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها
حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب
وهمه بالسيئة • وفي لفظ اخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبع
مائة ضعف ومن هم بسيئة لم تكتب عليه وان عملها كتبت له واحدة • وفي لفظ اخر واذا تحدث بان يعمل
سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وعلى ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المواخذة فقوله سبحانه ان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله • وقال ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اولئك
كان عنه مسئولا فدل على ان عمل الفواد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه • وقال سبحانه ولا تكتموا الشهادة
ومن يكتمها فانه اثم قلبه • وقال سبحانه لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم
والحق في هذه المسالة عندنا لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدا ظهورها الى
ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امراة وانها وراء
ظهره في الطريق لو التفت اليها لراها والثاني هيجان الرغبة وهي حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من
الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس الثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي
ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حيا او خوف
من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتامل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا
اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا
نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدا ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول
حتى طالت مجاذبته للنفس تاكد هذا الهم وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد
الجزم فيترك العمل وربما لا يغفل لعارض فلا يعمل به ولا يلتفت وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا
اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر الاول وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول تحتم
اما الخاطر فلا يواخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما ايضا لا يدخلان تحت
الاختيار وهما المرادان بقوله عليه السلام عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر
التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما العزم والهم فلا يسمى حديث نفس بل حديث النفس ما روي
عنه عليه السلام في حديث عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا
ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا خصاء امتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني ان
اترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو وجدته
لاكلته ولو سالت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل من حديث النفس ولذلك شاور رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه
ينبغي ان يفعل فهذا مردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يواخذ
به والاضطراري لا يواخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يواخذ به الا انه ان لم يعمل نظر فان
تركه خوفا من الله وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على
وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده
في مخالفة الطبع هو العمل لله سبحانه اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة
لانه رجح جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق او تركه لعذر لا خوفا من الله سبحانه
كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في
لفظ الحديث قال عليه السلام قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه

فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جراي اي من خوفي وحيث قال
لم يعملها اراد به تركها لله سبحانه واما اذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب او بغفلة فكيف تكتب له حسنة
وقد قال عليه السلام انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني بامراة
فمات من ليلته مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع في ذلك ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا
القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما
فكيف يظن ان الله سبحانه لا يؤاخذ بالنية والهم وكل ما دخل تحت اختيار العبد فهو ماخوذ به الا ان يكفره بحسنة
ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتب حسنة • فاما فوات المراد بعائق فليس بحسنة • واما الخواطر وحديث
النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل
قوله سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال لعلكم
تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله سبحانه الفرج بقوله لا يكلف
الله نفسا الا وسعها فظهر بذلك ان كل ما لا يدخل تحت الاختيار للوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ
به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من ظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث نفس ولم يفرق
بين هذه الاقسام الثلاثة فلا بد ان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلب والكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد
وجملة الخبائث من اعمال القلوب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا اي ما يدخل تحت
الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير محرم لم يؤاخذ به فان اتبعه نظرة ثانية كان مؤاخذا به لا محالة
لانه مختار وكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال عليه السلام التقوى
ههنا واشار الى القلب ثم قرا لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال عليه السلام
الاثم حواز القلوب وقال عليه السلام البر ما اطمان اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول
اذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا صار مثابا على فعله بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى
ثم تذكر انه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله وان ترك ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امراة فظن انها زوجته لم
يعص بوطئها وان كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية عصى بوطئها وان كانت زوجته كل ذلك نظرا الى
القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا

اعلم ان العلماء المراقبين
للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسالة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة
تنقطع بذكر الله سبحانه لان النبي عليه السلام قال اذا ذكر الله خنس والخنوس هو السكوت فكانه يسكت
وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان
محجوبا عن التاثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت
فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكانه يوسوس من بعد وعلى ضعف
وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن
لتقاربها انها متساوقة وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانك اذا ادرتها بسرعة رايت النقط دوائر بسرعة
تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا
وقالت فرقة الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام تساوقا لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى في
حالة واحدة بعينيه شيئين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال عليه السلام ما من عبد الا وله
اربع اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي
والصحيح عندنا في هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر
كل واحد الى صنف واحد من الوساوس واخبر عنه والوسواس اصناف **الاول** ان يكون من جهة
التلبيس للحق فان الشيطان قد يلبس الحق فيقول للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن
اللذات طول العمر المه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظم حق الله سبحانه وعظم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن
الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه
ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول ليست النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول
ان المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك وينقطع وسواسه ولذلك يوسوس اليه بالعجب
في عمله ويقول له اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد ان
معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه التي بها عمله وعلمه وكل ذلك من خلق الله سبحانه فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان
اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان يدفعه وهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين
بنور الايمان والمعرفة **الصنف الثاني** ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما
يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك
ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى المجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة
ولكنها مدفوعة غير غالبة **الصنف الثالث** ان يكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة
والتفكر في غير الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود ويتعاقب الذكر
والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كانهما
في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال عليه السلام
من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك
الا في قلب قد استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى المستوعب القلب بعدو قد تاذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين
وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذلك المستغرق بالحب المستهتر قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه
ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله حديث غير محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه احد لكان كانه لا
يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة
ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله سبحانه واليوم الاخر فاذا تاملت جملة هذه الاقسام واصناف الوسواس
علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة او ساعة
غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد وهو محال في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر
وهيج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى
بذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وقال نظرة اليه
ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وطراز الثوب وكان ذلك
قبل تحريم الذهب ولذلك لبسه ثم رماه ولا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالرمي والمفارقة
فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا لا يدعه الشيطان في صلاته عن الفكر في ديناره انه كيف
يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به احد او كيف يظهره حتى يباهي به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشب
مخالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه وذلك محال
فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب كثيرة • قال حكيم من الحكماء الشيطان
ياتي ابن ادم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى
يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى
يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعندها تشتد الحاجة فانها اخر
درجة ويعلم انه لو جاوزها افلت الى الجنة

بيان سرعة تقلب القلوب وانقسامها في التغير والثبات

اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الاثار والاحوال من الابواب
التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه من جانب شيء تاثر به اصابه من جانب

نزل الملك به

اخر ما يضاده فيغير وصفه فان نزل الشيطان به ودعاه الى الهوى التفت العقل اليه وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان اخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه اخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله سبحانه ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاعه عليه السلام على عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشا وفي لفظ اخر ان شا ان يقيمه اقامه وان شا ان يزيغه ازاغه وضرب له عليه السلام ثلاثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجيب صنع الله في تقلبها من حيث لا يهتدى اليها لا يعرفها الا المراقبون لقلوبهم والمراعون احوالهم مع الله سبحانه والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة قلب عمر بالتقوى وزكي بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقره ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله سبحانه فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شي من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان من بعيد ويوحي زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف والرجا والفقر والزهد والعفة والمحبة والرضا والشوق والتوكل والذكر والتفكر والمحاسبة والمراقبة ونحو ذلك وهو القلب الذي اقبل الله سبحانه عليه بوجهه وهو القلب المطمين المراد بقوله سبحانه يا ايتها النفس المطمينة ارجعي

القلب الثاني قلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب الملائكة ومبدا الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب منه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولي النفس وتساعد على ذلك فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الاخرة اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملا جوانبه حتى ينطفي انواره فيصير العقل كالعين التي ملا الدخان اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوات بالقلب حتى لا يبقى للعقل مكان للتوقف والاستبصار ولو بصره واعظ او اسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى وظهرت المعصية الى عالم الملك والشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله سبحانه وقدره والى مثل هذه الاشارة بقوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا الى قوله سبيلا وبقوله سبحانه لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وبقوله سوا عليهم انذرتهم الاية ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى جميع الشهوات ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعضها كالذي يتورع عن بعض الاشيا ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك نفسه وعينه وقلبه وطاش عقله وسقط امساك قلبه وكذلك فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة التثبت عند ظهور اسبابه وكالذي لا يملك نفسه

عند الغضب مهما استحقر او ذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفي منه انوار البصيرة وينطفي نور الحيا والمروة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان

القلب الثالث قلب تبدو فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشيطان فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتوذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك ملاذ الدنيا لهم يتمتعون فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى شقيا محروما مضحكة لاهل زمانك اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني لا يحترز عن فعل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة فتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل الم الصبر على النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم للشيطان مع ان عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك ارايت لو كنت في يوم صايف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس او تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشيطان معرضا عن حزب الله سبحانه واوليايه ومساعدا لحزب الشيطان واعدايه وجرى على جوارحه سابق القدر ما هو سبب بعده عن الله سبحانه وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الاخرة بل مال الى حزب الله سبحانه وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضا على جوارحه وقلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات تعرف بها ارباب القلوب سابق القضا فمن خلق للجنة يسرت له الطاعات واسبابها ومن خلق للنار يسرت له ابواب المعصية واسبابها وتسلط اقران السو والقى في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغتر الحمقى بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله سبحانه بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله سبحانه وقدر فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السما ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المومنون فهو الهادي وهو المضل يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بطاعته وخلق النار وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار وعلامة اهل الجنة فقال سبحانه ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال هولاء في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسال عما يفعل وهم يسالون فلنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاها لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منها ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزئ بالقشور عن اللباب بل يتشوف الى معرفة حقايق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية ومقنع

كتاب رياضة النفس

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذى صرف الامور بتدبيره • وعدل تركيب الخلق فاحسن فى تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره • وحرسه عن الزيادة والنقصان فى شكله ومقاديره • وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره • واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره • وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره • وامتن عليهم بتسهيل عسيره • والصلاة على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره • الذى كان يلوح نور النبوة من بين اساريره • ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره • وعلى اله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره • وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره

اما بعد فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق الحسنة هى الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق السيئة هى السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازى الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها فى سلك الشيطان اللعين • والاخلاق الخبيثة هى الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هى الابواب المفتوحة الى جوار الرحمن ونعيم الجنان والاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الابد واين منه المرض الذى لا يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس فى مرضها الا فوت حياة فانية فالعناية بضبط قوانين علاج القلوب وفيها فوت حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذى لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنق فى معرفة عللها واسبابها ثم الى تشمير فى علاجها واصلاحها فمعالجتها على الجملة هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دساها ونحن فى هذا الكتاب نشير الى جمل من امراض القلوب وكيفية القول فى معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج مخصوص الامراض فان ذلك يأتى فى بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الان النظر الكلى فى تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا لها ليقرب من الافهام دركها ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الخلق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التى بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطريق التى بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى اول النشء ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهى احدى عشر فصلا تجمع مقاصد الكتاب ان شاء الله تعالى

بيان معرفة فضيلة حسن الخلق

ومذمة سوء الخلق قال الله سبحانه لنبيه عليه السلام مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله خلقه القرآن وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال عليه السلام هو ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال عليه السلام اثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن • وجاء رجل اليه عليه السلام من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشؤم فقال سوء الخلق وقال له رجل اوصنى فقال اتق الله حيث كنت قال زدنى قال اتبع السيئة الحسنة قال زدنى قال خالط الناس بخلق حسن • وسئل عليه السلام اى الاعمال افضل فقال حسن الخلق وقال عليه السلام ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار • وقال عليه السلام فى تفسير خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين هو ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك • وقالت الحكماء الخلق الحسن الصالح مجمع المحاسن وعنه تنتشر الخصال المحمودة وصاحبه فى ظل ظليل من رضا العامة عنه • وقال الحكيم اخر حسن الخلق ان تحمل اثقال الخلق ولا تحمل عليهم ثقله • وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها فقال لا خير فيها هى من اهل النار • وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع فى الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قونى فقواه بحسن الخلق والسخاء • ولما خلق الكفر قال اللهم قونى فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال عليه السلام ان الله استخلص هذا الدين لنفسه فلا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما • وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله الاعظم • وقيل يا رسول الله اى المؤمنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا • وقال عليه السلام انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال عليه السلام سوء الخلق يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لى رسول الله انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا • وعن ابى سعيد الخدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى • وعن عبد الله ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء يقول اللهم انى اسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كرم المؤمن دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه • وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطى العبد قال خلق حسن • وقال عليه السلام ان احبكم الى واقربكم منى مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا تعتدن بشئ من عمله تقوى تحجزه عن معاصى الله او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به فى الناس • وكان من دعائه عليه السلام فى افتتاح الصلاة اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق فلا يهدى لاحسنها الا انت واصرف عنى سيئها فلا يصرف عنى سيئها الا انت • وقال انس بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد • وقال من سعادة المرء حسن الخلق وقال عليه السلام اليمن حسن الخلق وقال عليه السلام لابى ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ام حبيبة لرسول الله ارأيت المرأة منا يكون لها زوجان فى الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لايهما تكون قال لاحسنهما خلقا كان عندها فى الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة • وقال عليه السلام ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته • وفى رواية يدرك درجة الظمآن فى الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من امتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن الخلق فادخله على الله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة • وروى ان عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر يا رسول الله اضحك الله سنك بابى انت وامى يا رسول الله فقال عجبت لهؤلاء اللاتى كن عندى لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال انت كنت احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال اى عدوات انفسهن اتهبننى ولا تهبن رسول الله قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله فقال عليه السلام ايها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك • وقال عليه السلام سوء الخلق ذنب لا يغفر الله وسوء الظن خطيئة تفوح • وقال عليه السلام ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم

الاثار

قال لقمان لابنه يا ابت اى الخصال من الانسان خير

قال الدين قال فاذا كانا اثنين قال الدين والمال والعقل قال كانت ثلاثا قال الدين والمال والحيا قال فاذا كانت
اربعا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق والسخا قال
فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخصال الخمس فهو نقي تقي لله سبحانه وولي من الشيطان بري • وقال الحسن
من ساء خلقه عذب نفسه • وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء
خلقه اسفل درك في جهنم وهو عابد • وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق • وقال وهب بن منبه
مثل السيء الخلق مثل الفخار المكسور لا يرقع ولا يرد طينا • وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي
من ان يصحبني عابد سيء الخلق • وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى
فقيل له في ذلك فقال ارحم عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه • وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعلى الدرجات
وان قل علمه وعمله الحلم والتواضع والسخا وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق
من زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال
وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات
وسيل ابن عباس ما الكرم فقال ما بين الله في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل له فما الحسب قال احسنكم خلقا
افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس بنيان الاسلام حسن الخلق وقال ابن عطا ما ارتفع من ارتفع
الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى واقرب الخلق الى الله السالكون اثار حسن الخلق **بيان
حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق** اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن وانه ما هو وما تعرضوا
لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا
في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حقيقته وحده المحيط بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول
الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى واحتمال المؤن • وقال الواسطي هو ان لا يخاصم
ولا يخاصم من شدة معرفته بالله سبحانه • وقال شاه الكرماني كف الاذى واحتمال المؤن • وقال بعضهم ان
يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا • وقال الواسطي مرة هو ارضا الخلق في السرا والضرا • وقال ابو
عثمن هو الرضا عن الله سبحانه • وسيل سهل عن الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم
والاستغفار له والشفقة عليه • وقال مرة ان لا يتهم مولاك في الرزق فتثق به وتسكن الى الوفا بما ضمن وتطيع
مولاك ولا تعصيه في جميع الامور فيما بينك وبين الله سبحانه وفيما بينك وبين الخلق وقال علي رضي الله عنه
حسن الخلق في ثلاث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسيع على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يوثر
فيك جفا الخلق بعد مطالعتك للحق وقال ابو سعيد الخراز هو ان لا يكون لك هم غير الله سبحانه فهذا وامثاله كثير وهو
تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه وحقيقته ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات فلنكشف الغطا عن الحقيقة اولى
من نقل الاقاويل المختلفة **فنقول** الخلق الحسن والخلق الحسن عبارتان مستعملتان معا يقال
فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة
وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة
وصورة اما قبيحة واما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم
الله سبحانه امرها بالاضافة الى نفسه فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين فنبه بذلك على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله سبحانه والمراد بالنفس
والروح في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة وتيسير
من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا بسهولة
سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعالا قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا
انها هيئة راسخة لان من يصدر عنه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخا ما لم يثبت ذلك
في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان لا تصدر منه الافعال بسهولة من غير حاجة الى فكر وروية لان من

تكلف

تكلف بذل المال او السكون عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخا والحلم فههنا اربعة امور احدها
فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة النفس التي بها تميل الى احد الجانبين
وتيسر عليها احد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخا ولا يبذل
اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل المال لباعث او لريا وليس عبارة عن القوة لان نسبة
القوة الى الامساك والاعطا بل الى الضدين واحدة وكل انسان خلق بالفطرة قادر
على الامساك والاعطا وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخا وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق
بالجميل والقبيح على وجه واحد هو عبارة عن المعنى الذي بها وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منها
الامساك او البذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة مطلقا لا يتم
بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك ايضا في الباطن اربعة
اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل
حسن الخلق وهي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث اما قوة العلم فحسنها
وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها ادراك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات
وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا انصلحت هذه القوة حصل منها ثمرة راس الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة
وهي التي قال الله سبحانه فيها ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر انقباضها و
انبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك قوة الشهوة حسنها وصلاحها في ان يكون تحت اشارة الحكمة
اعني اشارة الدين والعقل واما قوة العدل فهو في ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع و
العقل منزلته الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب
هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يودب حتى يكون استرساله وتوقفه
بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثل الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون
مروضا مودبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فذلك هو حسن الخلق مطلقا
ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء
وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة الغضبية
واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي ذلك تهورا وان مالت
الى الضعف والنقصان سمي ذلك جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها وان مالت
الى النقصان سمي ذلك جمودا والجود هو الوسط وهي الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل
اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور • واما الحكمة فيسمى افراطها عند
الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبا او جربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة
فاذا امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها
تدرك الصواب من الخطا في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة
وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاهما ونعني بالشجاعة كون
قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تادب قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع
فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يصدر حسن
التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن لدقايق الاعمال وخفايا افات النفوس
ومن افراطه تصدر الجربزة والمكر والخداع والدها ومن تفريطه يصدر البله والغمارة والحمق
والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرا في شي دون
شي والفرق بين الجنون والحمق ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه للطريق فاسد فلا يكون له روية
صحيحة في طريق الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل اختياره

واختيار كاشدا واما خلق الشجاعة فانه يصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكبر النفس والاحتمال والحلم
والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق مذمومة واما افراطها وهو التهور فانه يصدر
منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطه فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة
وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب ولما خلق العفة فيصدر منه السخا والحيا والصبر والمسامحة
والقناعة والورع والطلاقة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميله الى الافراط والتفريط فيصدر منه
الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والريا والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة
والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء ونحو ذلك وامهات محاسن الاخلاق هذه الفضايل الاربع وهي الحكمة
والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه
وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق
ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الاقوال والافعال ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق
كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد تقرب من الشيطان الرجيم اللعين المبعد فينبغي
ان يبعد كما ان الاول تقرب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال وقد اشار القرآن الى هذه الاخلاق في اوصاف المومنين فقال انما المومنون
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون
فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو
السخا الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب
على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله سبحانه الصحابة رضي الله عنهم فقال اشدا على الكفار
رحما بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل
حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه **بيان قبول الاخلاق**
للتغير بطريق الرياضة اعلم ان بعض من غلبت عليه البطالة استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال
بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يعترف بان ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم
ان الاخلاق لا يتصور تغيرها واعتل بان الطباع لا تتغير واستدل على ذلك بامرين **احدهما** ان الخلق
هو صورة الباطن والخلقة الظاهرة لا تقدر على تغيرها فالطويل لا يمكن ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير
يقدر على ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى
والثاني انهم قالوا احسن الخلق انما يقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا
ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه لا ينقطع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان لغير فايدة فان
المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده **فنقول** لو كانت الاخلاق
لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال عليه السلام حسنوا اخلاقكم وكيف
ينكر هذا في حق الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل
من الصيد الى الادب والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغير الاخلاق
والقول الكاشف للغطا عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للاختيار للادمي
في اصله وتفصيله كالسما والكواكب بل اعضا البدن داخلا وخارجا من ساير اعضاء الحيوانات وبالجملة
كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة قبول الكمال
بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النوى ليس بتفاح ولا نخل الا انه خلق خلقة
يمكن ان يصير نخلا ان انضافت اليه التربية ولا يصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا كانت النواة مما تتاثر
بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية
حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقهرهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا على ذلك

منها

منهما وقد امرنا بذلك وصار فيه نجاتنا ووصولنا الى الله سبحانه نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة
للقبول وبعضها بطيئة ولاختلافها سببان **احدهما** قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود
فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها عن التغير قوة
الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدا الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما تخلق
له الغضب وبعد ذلك تخلق له قوة التمييز **والسبب الثاني** ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه و
الطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب **الاول** هو الانسان الغفل
الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تتم ايضا شهوته
باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم مرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة
فيحسن خلقه في اقرب زمان **الثاني** ان يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له
سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رايه لاستيلا الشهوة عليه لكن علم تقصيره في
عمله فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في قلبه من كثرة التعود للفساد
وان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير
وحزم **الثالث** ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى
على ذلك وترباعليه فهذا يكاد يمتنع معالجته ولن يرجا صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب
الضلال **الرابع** ان يكون مع وقوع نشوه على الراى الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في
كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع من قدره عنده وهذا في اصعب المراتب وفي
مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب والاول من هولا جاهل فقط والثاني جاهل وضال فقط والثالث
جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الاخر الذي استدلوا به
وهو قولهم ان الادمي ما دام حيا فلا ينقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وساير هذه الاخلاق
فهذا غلط وقع لطايفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة
خلقت لفايدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع
لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومتى بقي اصل الشهوة
فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك
بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط والمطلوب من صفة الغضب
حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة تحتاج ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا
للعقل ولذلك قال سبحانه اشدا على الكفار رحما بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب
ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلام
لم ينفكوا عن ذلك قال عليه السلام انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه
فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال الله سبحانه والكاظمين
الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل
ولا يغلبانه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي
الشهوة على الانسان بحيث لا تقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد
الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل عليه دلالة لا شك فيها والذي يدل على ان
المطلوب الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخا خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير
والتقتير وقد اثنى الله سبحانه بذلك فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
وقال سبحانه ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب من شهوة الطعام
الاعتدال دون الشره والجوع قال سبحانه كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال في الغضب اشدا على

ظين

اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال عليه السلام خير الامور اوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله سبحانه الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا وشرط سلامة القلب ان يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال فلا يكون حريصا على امساكه ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب اليه فكان كمال القلب في ان يصفو عن الوصفين واذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي قصد الامور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب راسا ويذم امساك المال راسا ولا يرخص له في شيء منهما لانه لو رخص له في ادنى شيء منهما لاتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه واذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب ان يطلب قلع الاصل حتى يتيسر القدر المقصود ولا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة

قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير بغير معلم عالما وبغير مؤدب مؤدبا كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وكذا سائر الانبياء عليهم السلام ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما خلق بخلافه فيحصل فيه ذلك بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني به حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف فعل الاجواد وهو بذل المال فلا يزال مواظبا عليه متكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا وعادة ويتيسر عليه فيصير جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وترك جميع العادات السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فذلك لنقصان ولا ينال كمال السعادة بها نعم المواظبة على ذلك بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذلك قال سبحانه وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله بالرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك سئل عليه السلام عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله سبحانه ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا هي مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب وانما يتاكد اثارها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقلع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله سبحانه فلا يكون شيء احب اليه من لقاء الله سبحانه فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه الذي يوصله اليه سبحانه وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به ومستلذا له ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلاة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب اعجب من ذلك فانا نرى الملوك والمتنعمين في احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح والسرور بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس

بغير القمار مع ان القمار ربما سلب ماله وخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويتلذذ به وذلك لطول الفه وصرفه نفسه اليه مدة مديدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به الى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه ويقطع احدهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حالة المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه حتى يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين العلماء والملوك وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل الى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف والزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي المواظبة على اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميله الى الحكمة وحب الله سبحانه ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الشراب والطعام فهو مقتضى طبع القلب فان القلب امر رباني وميله الى مقتضى الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله سبحانه ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببا حياتها وكل قلب مال الى حب شيء سوى حب الله سبحانه فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا قد عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء ليصير ذلك طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى تتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الاخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر في الابتداء منه تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انخفض من النفس الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير له ذلك بالعادة طبعا فلا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن عطلة يوم واحد يدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تانس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا فيفوتها فضيلة الفقه فكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تاثيره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تاثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعات فان الجملة الكبيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فلها لا محالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذا المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما يوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه وهكذا يستهين بصغائر المعاصي

ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي اما ان تختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه فتتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعوا الى الكثير ويصير القلب مقيدا بسلاسل الدنيا وهي الشهوات ولا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله سبحانه وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الاية ولذلك قال علي رضي الله عنه ان الايمان يبدو في القلب نكتة بيضا وكلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق يبدو في القلب نكتة سودا وكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا قد عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرنا الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرنا السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله سبحانه وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذايل والاخلاق الردية عنها وجلب الفضايل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وجلب الصحة اليه فكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري المعدة المضرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه اي بالتعود والتعلم يكتسب الرذايل وكما ان البدن في الابتدا لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذا فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشانه جلب الصحة اليه فكذا النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفا فينبغي ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدوا وشدة الصبر عن الشهوات المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فلا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر عليها لمداواة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله عذاب يدوم بعد الموت ابد الاباد وكما ان كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد من معيار يعرف به مقدار النافع والضار منه فان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقيض الذي يعالج به الاخلاق لا بد له من معيار وكما ان معيار الدوا ماخوذ من معيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج العليل ما لم يعرف ان العلة حرارة او برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي ضعيفة ام قوية فاذا عرف ذلك التفت معه الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وساير احواله ثم يعالج بحسب ذلك فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على جميع المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه ونيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته فان كان المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام او مقارفا لمعصية امره اولا بتركها فاذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقراين الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه الى الخيرات

وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان راى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فامره ان يخرج الى الاسواق للكدية والسوال فان عزة الرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السوال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعزه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذا الرعونة وان راى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب وراى قلبه مايلا الى ذلك فرحا به ملتفتا اليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة او ملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار ولا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله سبحانه فقد حجب نفسه عن الله ومن راعى في ثوبه شيا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطايف الرياضة ان النفس اذا كانت لا تسخو بترك الرعونة راسا او بترك صفة اخرى ولم تسمح بضدها دفعة فينبغي ان ينقل من الخلق المذموم الى خلق اخر مذموم اخف منه في الذم كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم ولذلك يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان ونحوه ثم ينقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك الى الترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الاخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل الى جاه اخف مما هو فيه وكذلك ساير الصفات وكذلك ان راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الطعام ولا ثم كلفه ان يهي الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا ياكلها حتى يقوى بذلك نفسه ويتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا راه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن النكاح امره بالصوم وربما لا تسكن الصوم شهوته فيامره ان يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادام راسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته ولا علاج في مبادي الارادة انفع من الجوع واذا راى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويامره بخدمة من ساء خلقه ويمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستاجر من يشتمه على ملا من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب واراد ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتا عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كانت نفسه تكسل عن القيام فالزم نفسه على راسه طول الليل لتسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورماه في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والريا في البذل فهذه الامثلة تعرفك اصلحك الله طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دوا لكل مرض فان ذلك سياتي ان شا الله في بقية الكتب وانما الغرض الان التنبيه على الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله جميع ذلك طلبه في كتابه في كلمة واحدة فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى والاصل المهم في المجاهدة الوفا بالعزم فاذا عزم على ترك الشهوة فقد تيسرت اسبابها ويكون ذلك من الله ابتلا واختبارا فينبغي ان يصبر نفسه ويستمر فانه ان عود نفسه نقض العزم الفت ذلك وفسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد بذلك الرياضة بالكلية

بيان علامات امراض القلوب وعلامات عودها الى الصحة والسلامة اعلم ان كل عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض القلب هو ان يتعذر عليه فعله الخاص الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله سبحانه وعبادته والتلذذ بمناجاته وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضا عليه قال الله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو فايدة وفايدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للادمي ما يتميز به عن البهايم ولم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع او بالابصار او غيرها بل بمعرفة الاشيا على ما هي عليه واصل الاشيا وموجدها ومخترعها الذي

جعلها اشياء هو الله سبحانه فلو عرف كل شي ولم يعرف الله سبحانه فكانه لم يعرف شيا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله احبه وعلامة المحبة ان لا يوثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال سبحانه قل ان كان اباوكم وابناوكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره فمن كان عنده شي احب اليه من الله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء وسقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامة المرض وبهذا يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شا الله الا ان من الامراض ما لا يعرفه صاحبه ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوايه فان دواه مخالفة الشهوات وذلك نزع الروح وان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلما وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات و باطنها عادات ومراياة فهذا علامة اصل المرض فاما علامة عوده الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فانه الداء المهلك المبعد من الله سبحانه وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير ايضا داء ويكون كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة وذلك ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب من البذل الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط من ذلك وفي غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب منه الا امساكه لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد جاء الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن ساير الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشي مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا وتنقطع علايقها منها ويكون ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمينة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اولايك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعرة واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الاخرة وقل ما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق وقال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين كان قربهم الى الصراط اقرب اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجبت الفاتحة في كل ركعة وراى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك فقال لقوله عليه سبحانه فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليتعهدها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب

بيان الطريق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه

اعلم ان الله سبحانه اذا اراد بعبد خيرا بصره عيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج

ولكن

ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى في عين غيره ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربعة طرق **الاول** ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الافات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه شيخه او استاذه عيب نفسه ومعرفة طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده **الثاني** ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما كره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليها فهكذا كان يفعل الاكابر من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرا اهدى الي عيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه لما قدم عليه وقال ما الذي بلغك عني مما كرهته فاستعفى فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على مايدة واحدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال فهل بلغك غير هذا قال لا قال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسال حذيفة ويقول انت صاحب سر رسول الله في المنافقين فهل ترى علي شيا من اثار النفاق فهذا عمر على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه وكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد ولا يزيد على قدر الواجب ولا يكاد يخلو في اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا اعتزل داود الطائي عن الناس فقيل له لم لا تخالط الناس قال ماذا اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فقد كانت شهوة ذوي الدين ان ينبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد ال الامر في هذا الى امثالنا ان ابغض الخلق الينا من نصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوب احدنا عقربا او حية لتقلدنا منه منة وفرح به واشتغل بابعاد العقرب وقتلها وانما نكاية العقرب على البدن بدوم المها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الذميمة الرذيلة على صميم القلب ويخشى ان تدوم بعد الموت ابدا الاباد والافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليه ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته ونقول ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلك العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان فنسال الله تعالى ان يعرفنا رشدنا ويبصرنا عيوب انفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله **الثالث** ان يستفيد عيوب نفسه من لسان عدوه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوب نفسه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عليه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدايه فان مساويه لا بد ان تنتشر على السنتهم **الرابع** ان يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق يطالب نفسه به وينسبها اليه فان المومن مراة المومن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الاخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شي منه فيتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المودب قيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فاجتنبته وهذه كلها حيل من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا بعيوب النفس ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله نصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

بيان شواهد النقل من ارباب البصاير وشواهد الشرع

على ان الطريق في معالجة امراض القلوب ترك الشهوات وان مادة امراضها هو اتباع الشهوات اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين وان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراه قال الله سبحانه يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات الى الله سبحانه ولم يطلع على سر

وسببه فهو من الذين آمنوا وإذا اطلع على ما ذكرنا من أغوار الشهوات وأسرارها فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصى قال الله سبحانه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى وقال سبحانه أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها حب الشهوات وقال عليه السلام المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين أن النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة وقال النبي عليه السلام لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر فقالوا وما الجهاد الأكبر يا رسول الله قال جهاد النفس وقال عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب وقال عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه في الله وقال عليه السلام كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله إذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا إلا أن يعفو الله ويستر وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا أشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان أبو العباس الموصلي يقول يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأني بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس ألا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس بأسياف الرياضة والرياضة بالصبر على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفا والصبر على الأذى وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترز من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها ومنع قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد اجتمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم وقال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهب ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب بن الورد من أراد شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ما ملك خزائن الأرض يا يوسف إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف قال الله سبحانه إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وقال الجنيد أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فقعدت فلم أطق القعود فخرجت فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بي قال يا أبا القاسم إلى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سألت مقلب القلوب أن يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك فقال متى يصير داء النفس دواءها فقلت إذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه وقال اسمعي فقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد قال فانصرفت وما عرفته وقال يزيد الرقاشي السلام على الماء البارد ما دمت في الدنيا لعلي لا أحرمه في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى أتكلم قال إذا اشتهيت الصمت قال فمتى أصمت قال إذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في الأسواق فإذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما أمنعك إلا من كرامتك علي فإذا قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا في الأكل والنكاح والمسكن والملبس وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فإنه لو تمتع بشيء من ذلك أنس به وألفه وإذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع إلى الدنيا إلا من لا حظ له في الآخرة بحال

والإخلاص عن ذلك إلا بأن يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر في ذلك وما تيسر من الدنيا على ما يدفع عوائق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة رجال رجل استغرق ذكر الله قلبه ولا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة **والثاني** من استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله ذكر في قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين **والثالث** رجل اشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله سبحانه على قلبه **والرابع** رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وإن كان ذكر الدنيا أغلب عليه وربما يقول القائل إن التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله سبحانه فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا أيضا وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال إبراهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا إبراهيم قلت كيف عرفتني قال من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت له أرى لك حالا مع الله فلو سألته أن يحميك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله فلو سألته أن يحميك شهوة الرمان فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير إنما يجد ألمه في الدنيا فتركته ومضيت وقال الشبلي منذ عشرين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزة في دبس فما أطعمتها إياه وإذا لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الله سبحانه ما لم يمنع النفس عن التنعم بالمباح فإن النفس إذا لم يمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه من الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت إلا عن المهمات حتى يموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين النظر إلى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر إلى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهي به الحلال هو الذي بعينه يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منع النفس من الحرام فإن لم يعودها الاقتصاد على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذه إحدى آفات المباحات ووراءها آفة أعظم منها وذلك أن النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن إليها وتطمئن بها أشرا وبطرا حتى تصير ثملة بها كالسكران الذي لا يفيق من سكره وكذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال تعالى وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع فأولو العزم من أرباب البصائر جربوا قلوبهم في حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة عن التأثر بذكر الله سبحانه واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا أن حلالها حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوسلوا إلى الحرية والملك في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله سبحانه والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي إذا قصد تأديبه ونقله عن توثبه وتوحشه إلى الانقياد والتأدب فإنه يحبس أولا في بيت مظلم وتخاط عيناه ثم يحصل بذلك الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما كان ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه إلفا إذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع إليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الأنس بذكر الله سبحانه عوضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات فذلك يثقل عليها في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وذلك يشتد عليه إذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عليه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسا يوما ويوما وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير ذلك طبعا له فلو رد إلى الثدي لم يرجع إليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك

الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن الانسراح الذي الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم تانس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تودب النفس كما تودب الطير والدواب وتاديبها بان يمنع من الاشر والبطر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت فيقال لها احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علمت انه من احب شيئا يلزمه فراقه شقي لا محالة بفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله سبحانه فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلائل فالعمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الاخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها ذلك شهرا ليتنعم به سنة وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطرق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل واحد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع من شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الاخرة لا ينقص بالمنع فكره ذلك وتالم به فهو ممن فرح بالحيوة الدنيا واطمان بها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله سبحانه والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا لا يزول الا بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد اخر الا الموت

بيان علامات حسن الخلق

اعلم ان كل انسان فهو جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما ظن بنفسه ادنى مجاهدة انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه صفات المومنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة منها ليعلم بحسن الخلق فقد قال الله سبحانه قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون ● وقال تعالى التائبون العابدون الى قوله وبشر المومنين وقال تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المومنون حقا وكذلك قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى اخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المومن يحب لاخيه المومن ما يحب لنفسه وقال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات الايمان هي حسن الخلق وقال اكمل المومنين ايمانا احسنهم اخلاقا ● وقال عليه السلام اذا رايتم المومن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة وقال من سرته حسنته وساته سيئته فهو مومن ● وقال لا يحل لمومن ان يشير الى اخيه بنظرة توذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكرهه وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال ان يكون كثير الحيا قليل الاذى كثير الصلاح قليل الفساد صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا راضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشا بشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق ● وسيل عليه السلام عن علامة المومن والمنافق فقال ان المومن همه في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همه في الطعام والشراب كالبهيمة ● وقال حاتم الاصم المومن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمومن ايس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمومن امن من كل احد الا من الله والمنافق خايف من كل احد الا من الله والمومن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه

دون ماله والمومن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمومن يحب الوحدة والخلاء والمنافق يحب الخلطة والملا والمومن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمومن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفاء ومن شكا من سوء خلق غيره دل على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي انه عليه السلام كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذب ثوبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية فقال انس حتى نظرت الى عنقه قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة الجذب ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه فضحك ثم امر له بعطاء ولما اكثر قومه ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله سبحانه وانك لعلى خلق عظيم ● وحكي عن ابرهيم بن ادهم انه خرج الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال له انت عبد قال نعم قال اين العمران فاشار الى المقبرة فقال الرجل انما اردت العمران فقال هي المقبرة فاغضبه ذلك فضرب راسه بالسوط فشجه موضحة ورده الى البلد فاستقبله اصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي فقالوا هذا ابرهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل لابرهيم لم قلت انا عبد فقال انه لم يسالني انت عبد من بل قال انت عبد قلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب راسي سالت الله سبحانه له الجنة فقيل له انه ظلمك فكيف سالت الله له الجنة فقال علمت اني اوجر على هذا فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ● ودعي ابو عثمان الحيري الى دعوة وكان الداعي يريد تجربته فلما بلغ منزله قال ليس لي وجه فرجع ابو عثمان فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانية فقال ارجع على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاءه الثالثة حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان لم يتغير فقال انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ابو عثمان الذي رايت مني هو خلق الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر ● وروي انه اجتاز يوما بسكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل له الا زبرتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز ان يغضب ● وروي ان علي بن موسى الرضا كان لونه يميل الى السواد اذ كانت امه سوداء وكان له في نيسابور على باب داره حمام فكان اذا اراد دخول الحمام اخلي له فدخل ذات يوم فاغلق الحمام ومر الحمامي الى بعض حوائجه فتقدم انسان رستاقي الى باب الحمام ونزع ثيابه ودخل الحمام فقال له قم فاحمل الي الما فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما امره به ورجع الحمامي فراى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى سال عن الحمامي فقيل له انه خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي ان يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوداء ● وروي ان عبد الله الخياط كان يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة وكان اذا خاط له شيئا حمل اليه دراهم زيوفا وكان عبد الله ياخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها اليه فقضي ان عبد الله قام من الحانوت يوما لبعض حاجته فقدم المجوسي الى تلميذه فاسترجع منه ما خاطه ودفع اليه درهما زايفا فلما نظر فيه التلميذ رده عليه فلما عاد عبد الله اخبره بذلك فقال له بيس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ مدة وانا اصبر عليه فاخذ الدراهم والقيها في البير كي لا يغر بها مسلما ● وقال يوسف ابن اسباط علامة حسن الخلق عشرة اشيا قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه وفوقه ● وسيل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ● وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق قال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شوا فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لا روعة عليك انت حرة لوجه الله فهذا ما رايت من حلمه ● وقيل كان اويس القرني اذا راه

الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول يا اخوتاه ان كان ولا بد فبالصغار كيلا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلاة وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال ان كان قد بقي في قلبك شي فقله كيلا يسمعك بعض سفهاء الحي فيجيبوك وروي ان عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال له اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال له امض فانت حر لوجه الله وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لاتعلم عليه الحلم فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت من الغش والغل والحسد بواطنها فاثمرت الرضا بكل ما قدره الله سبحانه وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الحق ولا يرضى به فهو غاية سوء الخلق فهولاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو

ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشا عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومودب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله سبحانه قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبان يصونه عن نار الاخرة اولى وصيانته بان يوديه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه عن القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امراة صالحة متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما بدت فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحيا فانه اذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشيا قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحي من شي دون شي وهذه هدية من الله سبحانه اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفا القلب وذلك مبشر بكمال العقل عند البلوغ والصبي المستحي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تاديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يودب فيه مثل ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه وان يقول بسم الله عند اخذه وان ياكل مما يليه وان لا يبادر الى الطعام قبل غيره ولا يحدق النظر الى الطعام ولا الى من ياكل ولا يسرع في الاكل ويمنع من ان يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه كل من يكثر الاكل بالبهائم ويذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتادب القليل الاكل ويحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان ويحبب اليه من الثياب البيض دون الملونة والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شان النسا والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم او ملونا فينبغي ان يستنكره ويذم ذلك ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة ويحفظ عن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل في ابتدا نشوه خرج في الاكثر ردي الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التاديب ثم ينبغي ان يشتغل في المكتب فيتعلم القران واحاديث الاخيار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس حب الصالحين في قلبه ويحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ عن مخالطة الادبا الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله لا سيما اذا

ستره

ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك فان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا وان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطية حتى تتصلب اعضاوه ولا يستخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في الفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف بعض اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشي مما يملكه والداه او بشي من مطاعمه وملابسه او لوحه ودواته ويعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من ان ياخذ من الصبيان شيا بدا له حشمة ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في الاعطا لا في الاخذ وان الاخذ لوم وخسة وان كان من اولاد الفقرا فيعلم ان الاخذ طمع والطمع مهانة ومذلة وان ذلك من داب الكلاب فان الكلب يتبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان افة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اكثر من افة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبزق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وانه من عادة ابنا اللئام ويمنع الايمان راسا صادقها وكاذبها حتى لا يتعود ذلك في الصغر ويمنع من ان يبتدي بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السوال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شي من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرنا السو واصل تاديب الصبيان الحفظ عن القرنا السو وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر له ان ذلك داب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ داب المماليك والنسوان وينبغي ان يوذن له بعد الفراغ من الكتاب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاه وينغص عليه عيشه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومودبه وطاعة كل من هو اكبر منه سنا من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويومر بالصيام في بعض الايام من شهر رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسباب هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان بها على العبادة فان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقا لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الاخرة دار مقر لا دار ممر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للاخرة حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا في القلب موثرا ناجعا يثبت فيه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبو الجدار عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي خلق بجوهره قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه

قال سهل التستري كنت ابن ثلاث سنين وكنت اقوم بالليل انظر الى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي خالي يوما الا
تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف اذكره قال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي
الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة احدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقعت في
قلبي حلاوة فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والاخرة فلم
ازل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو الناظر اليه والشاهد
عليه ايعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو بنفسي فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا
المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى المكتب فحفظت القران وانا ابن ست سنين او سبع سنين
وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسئلة وانا ابن ثلاث عشرة سنة فسالت اهلي
ان يبعثوا بي الى البصرة لاسال عنها فجئت البصرة وسالت عنها فلم يكشف عني احد شيئا فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف
بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه واتادب بادبه ثم رجعت الى
تستر فجعلت قوتي اقتصارا على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن لي ويخبز فافطر كل ليلة عند السحر على اوقية
واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا
ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت
اقوم الليل كله

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة

اعلم ان من شاهد الاخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الاخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها
مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت عنده خرزة فراى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته
في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الاخرة ولا طالبا للقاء الله سبحانه فذلك لعدم ايمانه بالله ورسوله واليوم
الاخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادتين من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي من صدق بان
الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد
لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة
والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه
والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الاخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم
وغاصوا في بحر هواهم وخطوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك
الطريق بجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة
والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله سبحانه عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل
مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه او من
تنبيه غيره وانبعثت له ارادة في حرث الاخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا ولا بد من تقديمها في بداية
الارادة وله معتصما لا بد من التمسك به وله حصنا لا بد له من التحصن فيه ليامن من اعدائه والقطاع لطريقه
وله وظائف لا بد له من ملازمتها في وقت سلوك الطريق **واما الشروط** التي لا بد من تقديمها في الارادة فهو
فهو رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق
قال الله سبحانه وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الاية والسد بين المريد والحق اربعة اشياء المال
والجاه والتقليد والمعصية وانما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما
دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله سبحانه وانما يرتفع حجاب الجاه
بالبعد عن موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق عنه
وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله تصديق ايمان
ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله سبحانه واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك
انكشف له حقيقة الامور في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من

المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في قلبه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من
شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم
وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر
المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القران وتفسيره
وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة عربية القران لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منها الى اسرار معانيه
فكذا لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا واخرا ثم الترقي الى اسرارها واغوارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة
وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضا ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام
يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين
غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة فمن سلك
البوادي المهلكة بنفسه من غير خفير فقد خاطر بنفسه واهلكها ويكون المريد المستقل بنفسه كالشجرة التي
تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة
شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه في ورده
ولا صدره ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطا شيخه لو اخطا اكثر من نفعه في صواب
نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه
قواطع الطريق وهو اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر فهذا احصن من القواطع
فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه **اما الجوع** فانه ينقص دم القلب ويبيضه
وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب
الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق فيه مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات قال
عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل ما صار الابدال
ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير
القلب امر ظاهر تشهد له التجربة وسياتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين واما السهر
فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره ويضاف ذلك الى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب
الدري والمراة المصقولة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد به رفيع الدرجات في الاخرة واحتقار
الدنيا فيتم بذلك رغبته عن الدنيا واقباله على الاخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع
غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون حينئذ سبب المكاشفة لاسرار
الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم الخواص
اجتمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء **واما الصمت** فانه تسهله العزلة
ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير امره فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر
الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر
والفكر والصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى **واما الخلوة** ففائدتها دفع الشواغل وضبط
السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة كدرة قذرة من انهار الحواس
ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اصل الحوض فيخرج منه الماء
اللطيف الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حالة اكثر مما
ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن مكان
مظلم فليلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة
الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له يا ايها
المزمل قم يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن يدفع عنه القواطع ويمنع العوارض القاطعة للطريق

فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله سبحانه الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي تلك الصفات اعني اسرار العلائق التي قطعها في اول الارادة وآثارها اعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي ولا بد ان يخلي الباطن عن آثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفي ذلك تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص مكفي قد كفي اكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله سبحانه بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه ● وقال الشبلي للحصري ان كان يخطر على قلبك من الجمعة الى الجمعة التي تاتي غير الله فحرام عليك ان تاتيني وهذا التجرد لا يتصور الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله سبحانه على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت حلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا واحدا من الاذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله او سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب على ذلك الذكر حتى تسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كانها جارية على لسانه من غير تحريك ثم لا يزال يواظب حتى يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ عن كل ما سوى ذلك لان القلب اذا شغل بشيء خلا عن غيره اي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله سبحانه وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا فليجتهد في دفعه ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر او بدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك والوساوس منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله سبحانه منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في القلب ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله سبحانه ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا الآية والى ما يشك فيه فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات الى علقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه وان يستره عن غيره ولا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتامل في ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح مما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه واشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة من قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطا كان من الهالكين ولذلك قال عليه السلام عليكم بدين العجائز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولهذا يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا دينا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم

ان

ان المريد المتجرد لذكر الله وللفكر تقطعه عوائق كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال وبما يبدو له من اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حالة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار لو افيضت عليه ويدوم على ذلك وراس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة وقال بعض السائحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق قال ان تكون في الدنيا كانك عابر طريق وقال لي مرة دلني على عمل اعمله اجد فيه قلبي مع الله سبحانه في كل وقت على الدوام فقال لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه لعله قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله سبحانه على الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذا منتهى الرياضة ان يجد قلبه مع الله سبحانه على الدوام ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غير الله ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله سبحانه ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا واذا انكشف للمريد شيء من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس في ذلك لذة ليس وراءها لذة فتدعو تلك اللذة الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع والشيطان ربما يخيل اليه ان هذا منك احياء لقلوب الموتى الغافلين عن الله وانما انت واسطة بين الله وبين الخلق بدعوة عباده اليه وما لك في ذلك نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون احسن كلاما واجزل لفظا واقدر على جلب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه لا محالة عقرب الحسد ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله الى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه فيقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن وازرني على اصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا ان يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد معينه والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح به وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتحت اوائل الطريق فان ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال سبحانه بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته في التدرج الى لقاء الله سبحانه اما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي فان اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعني الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس بهما واحب الدنيا ولا يتمكن منهما الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك ولم تسمح نفسه بترك الدنيا راسا تمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب ● كتاب في كسر شهوة البطن والفرج ● وكتاب في آفات اللسان ● وكتاب في ذم الحسد والحقد ● وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها ● وكتاب في كسر حب المال وذم البخل ● وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه ● وكتاب في الكبر والعجب ● وكتاب في مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات ان شاء الله فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانه ياتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى ● وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل ●

كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه • المستحق للتحميد والتقديس والتنزيه •
القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه • المنعم
عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بامانيه • فهو الذي يرشده ويهديه • وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا
ضعف فهو يقويه • وهو الذي يوفقه للطاعة ثم يرتضيه • وهو الذي يطعمه ويسقيه • ويحفظه عن الهلاك ويحميه • ويحرسه
بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه • ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه • حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه
ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه • فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه • هذا بعد ان يوسع عليه مما يلتذ به ويشتهيه • ويكثر
عليه مما يهيج بواعثه ويحرك به دواعيه • كل ذلك يمتحنه ويبتليه • فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره
عن نواهيه • ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه • والصلاة على محمد عبده ونبيه النبيه ورسوله الوجيه • صلاة
تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه • وعلى الابرار من عترته واقربيه • والاخيار من صحابته وتابعيه • **اما بعد**
فاعظم المهلكات لابن ادم شهوة البطن فبها اخرج ادم وحوا من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن
الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سواتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات • ومنبت الادوا والافات
اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات • ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه • اللذين
هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات • ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات
والمحاسدات ثم يتولد من ذلك افة الريا وغائلة التفاخر والتكاثر والتكبر والكبريا ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد
والعداوة والبغضا ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشا وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر
الشبع والامتلا ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الرحمن ولم تسلك سبيل البطر
والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل التكالب على الدنيا واذا عظمت
افة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وافاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه
على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح افة شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله سبحانه في فصول يجمعها
وهي بيان فضيلة الجوع ثم فوائد الجوع وذم الشبع ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام و
التاخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الريا في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج
ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال عليه السلام جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس
من عمل احب الى الله من جوع وعطش • وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السموات من
ملا بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال عليه السلام سيد
الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا و
اشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة • وقال الحسن قال عليه السلام الفكر نصف العبادة وقلة
الطعام هي العبادة • وقال الحسن قال عليه السلام افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله
كل نؤوم واكول شروب • وفي الخبر ان النبي عليه السلام كان يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك وقال عليه السلام
ان الله يباهي الملائكة بمن قل طعامه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما ك
اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة • وقال عليه السلام لا تميتوا القلوب
بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الما • وقال عليه السلام ما ملا ابن ادم وعاء شرا
من بطن حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه • وفي حديث
اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة الطويل ذكر فضل الجوع اذ فيه ان اقرب الناس يوم القيمة من الله سبحانه من طال جوعه
وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفيا الاتقيا الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض
وتحف بهم ملائكة السما نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله سبحانه افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع
الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها هم تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الله على كل بلدة ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا

على

على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم دا وما بهم دا
ويقولون قد خولطوا او ذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى من اذهب عنهم الدنيا فهم عند
اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الاخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم
انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا
عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمان فافعل فانك تدرك بذلك شرف
المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار • وروى الحسن عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا الازر وكلوا واشربوا في انصاف البطون تدخلوا
في ملكوت السما • وقال عيسى عليه السلام اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله سبحانه وروي
مثل ذلك ايضا عن نبينا ايضا عليه السلام رواه طاوس وفي التورية مكتوب ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن
يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجل ذلك قال ابن مسعود ان الله يبغض القارى السمين
وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش • وفي الخبر ان الاكل
على الشبع يورث البرص • وقال عليه السلام المومن ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعا اي ياكل سبعة اضعاف المعا
ما ياكله المومن او تكون شهوته سبعة امثال شهوته ويكون المعى كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل
الطعام وتاخذه كما ياخذ المعا وليس المعنى زيادة امعا الكافر على معى المومن • وروى الحسن عن عائشة رضي الله
عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ادبموا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة
قال بالجوع والظما • وروي ان ابا جحيفة تجشا في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال له اقصر من جشائك فان اطول
الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا • وكانت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله لم يمتلئ قط شبعا
وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع وامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما
يقوتك منها ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم واجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي
دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شي احب الي من اللحوق باخواني وخلاني
قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى • وعن انس قال جات فاطمة رضي الله
عنها بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك منه
بهذه الكسرة فقال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام • وقال ابو هريرة ما اشبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهله ثلاثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا • وقال عليه السلام ان اهل الجوع في الدنيا هم
اهل الشبع في الاخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملا وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة
واما الاثار فقد قال عمر رضي الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل في الحياة ونتن في الممات • وقال شقيق العبادة
حرفة وحانوتها الخلوة والتها المجاعة • وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضا
عن العبادة • وقال الفضيل بن عياض لنفسه اي شي تخافين اتخافين ان تجوعي لا تخافي ذلك انت اهون على الله من ذلك انما
يجوع محمد واصحابه وكان كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليالي اجلستني فباي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان
فتح الموصلي اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فباي عمل اودي شكر ما انعمت
به علي • وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس
فقال لي يا ابا يحيى طوبى لمن امسى جائعا واصبح جائعا وهو عن الله راض والله عنه راض • وكان الفضيل يقول الهي اجعتني
واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فباي منزلة نلت هذا منك • وقال يحيى بن معاذ
جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة
وفي التوراة اذكر الله اذا شبعت فاذكر الجائع • وقال ابو سليمان لان اترك لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة

الى الصبح ۞ وقال ايضا الجوع عند الله في خزانته لا يعطيه الا لمن احبه ۞ وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوزن في القيامة عمل بر افضل من ترك فضول الطعام والاقتدا بالنبي عليه السلام في اكله وقال لم ير الاكياس شيا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيا اضر على طلاب الاخرة من الاكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع ۞ وقال ما عبد الله بشي افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقال في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسيل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاخذ ويكون اذا جاع ليلة سال الله سبحانه ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال ايضا انما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والسهر والصمت والخلوة وقال راس كل بر من السماء والارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع ۞ وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله على العبد بالجوع والسقم والبلا الا من شا الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد وقال ما مر على وجه الارض احد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم من المعصية وان شكر الله فكيف بالشبع من الطعام ۞ وسيل حكيم باي قيد يقيد النفس قال بالجوع والعطش وتذليلها باخمال الذكر وترك العز وتصغيرها بوضعها تحت ارجل ابناء الاخرة وكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وبنجوها من افاتها بدوام سو الظن بها واصحابها خلاف هواها ۞ وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله ما صافى احدا الا بالجوع ۞ وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلي فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام ۞ وقال ابو بكر بن عبد الله ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل الاكل وقليل النوم وقليل الراحة ۞ وروى ان عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه سبحانه ستين صباحا لم ياكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع فقعد يبكي لفقد المناجاة واذا شيخ قد اطله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي ۞ وروي ان موسى عليه السلام لما قربه الله تعالى نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما

بيان فوايد الجوع وافات الشبع

لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتاذى به الانسان من ضرب نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشيا الكريهة وما يجري مجراها فاعلم ان هذا يشابه قول من شرب دوا فانتفع به فظن ان منفعته لمرارة الدوا وكراهيته فاخذ يتناول كل ما هو مرارة وهو كريه المذاق وذلك غلط منه بل نفعه بخاصية في الدوا وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطبا فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلما ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع وان لم تعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدوا انتفع به وان لم يعرف وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوايد

الفايدة الاولى صفا القلب وايقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجولان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا كثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي الفهم والادراك ۞ قال ابو سليمان عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوي ۞ وقال عليه السلام احيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة كالسحاب والحكمة كالمطر ۞ وقال صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه ۞ وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال ان لكل شي زكاة وزكاة البدن الجوع ۞ وقال الشبلي ما جعت لله سبحانه يوما الا رايت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقايق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحري ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضا عن العبادة ۞ وقال ابو يزيد الجوع سحاب فاذا جاع العبد امطر القلب الحكمة ۞ وقال النبي صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة الى الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفي نور الحكمة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح

الفايدة الثانية رقة القلب وصفاوه الذي به يتهيا لادراك لذة المناجاة والتاثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتاثر عنه حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تاثره بالذكر ويلتذ بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر في ذلك ۞ قال ابو سليمان احلا ما اكون العبادة اذا التصق ظهري ببطني ۞ وقال الجنيد يجعل احدكم بينه وبين الله مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة ۞ وقال ابو سليمان القلب اذا جاع وعطش صفا ورق واذا شبع عمي ومات فاذا تاثر القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهي فايدة ثانية

الفايدة الثالثة الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله سبحانه ولا تنكسر النفس ولا تذل بشي كما تذل بالجوع فعند ذلك تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تاخرت عنها وما لم يشاهد ذل نفسه وعجزها لا يرى عزة مولاه وقهره وانما سعادة المرء في ان يكون دايما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر وليكن دايما جايعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزاينها قال لا اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخر

الفايدة الرابعة ان لا ينسى بلاء الله سبحانه وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجايعين وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر بلاء الاخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيمة ومن جوعه جوع اهل النار حتى انهم ليجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل ولا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الاخرة والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن له في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الاخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في بلاء او في مشاهدة بلاء واولى ما يقاسيه من البلا بلاء الجوع فان فيه فوايد جمة سوى تذكر عذاب الاخرة وهذا احد الاسباب التي اقتضت اختصاص البلا بالانبياء والاوليا والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزاين الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجايع فذكر الجايعين والمحتاجين احدى فوايد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله سبحانه والشبعان في غفلة عن الم الجايع

الفايدة الخامسة وهي من كبار الفوايد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلا على النفس الامارة بالسوء فان منشا المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الانسان نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع وتضعفها فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولان احمله على الشدايد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او هممت بمعصية ۞ وقالت عايشة اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فايدة واحدة بل هي خزاين الفوايد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزاين الله واول ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا تتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من افات اللسان كالغيبة والنميمة والفحش والكذب وغيره فيمنعه الجوع عن كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس على مناخرهم في جهنم الا حصايد السنتهم واما شهوة الفرج فلا يخفى غايلتها والجوع يكفي شرها فاذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعه التقوى فلا يملك عينه والعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض التقوى فلا يملك فكره فتخطر له الافكار الرديه وحديث النفس باسباب

التهوع بما يتشوش به مناجاته وربما حرض في اثناء الصلوة وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي
الاعضا السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط معه
شيا من الشهوات وياكل بنصف بطنه رفع الله عنه مونة النسا **الفايدة السادسة** دفع النوم ودوام السهر فان
من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك كان يقول بعض الشيوخ يقول لاصحابه عند حضور الطعام معاشر
المريدين لا تاكلوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء
وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد
فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها ومهما غلب النوم فان تهجد
لم يجد حلاوة التهجد والعبادة ثم ان المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل
اما بالماء البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره الى التهجد ثم يحتاج الى
مونة الحمام وفيه ربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها في الطهارة وكل ذلك اثر الشبع
وقد قال ابو سليمان الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الآفات
والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له **الفايدة السابعة** تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادة
لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شرا الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال
ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه الامور لو صرفها الى الذكر والمناجاة وساير العبادات
لكثر ربحه وقال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا قال اني حسبت ما بين المضغ الى
الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل نفس
من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي ان يستوفي منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته
ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن
جملة ما يتعذر عليه الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف وقت
شغل الاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا
بالحيوة الدنيا واطمانوا بها يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الداراني
الى ست آفات اخر فقال من شبع دخلت عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة وتعذر عليه حفظ الحكمة وحرم الشفقة
على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الناس كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان ساير المومنين يدورون
حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل **الفايدة الثامنة** من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض
فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب
ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدوا والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مون ونفقات
لا يخلو الانسان منها بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشبهات وفي الجوع ما يمنع عنه كل ذلك حكي ان
الرشيد جمع اربعة اطبا هندي ورومي وعراقي وسوادي فقال ليصف كل واحد منكم الدوا الذي لا داء فيه فقال
الهندي الدوا الذي لا داء فيه الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي هو
الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج الاسود يعفص المعدة وهذا دا وحب الرشاد يزلق
المعدة وهذا دا والما الحار يرخي المعدة وهذا دا قالوا فما عندك قال الدوا الذي لا دا فيه عندي ان لا تاكل
الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر بعض الفلاسفة من اطبا اهل
الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في
قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال عليه السلام البطنة اصل الدا والحمية اصل الدوا وعود وا
كل بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذلك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا
بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال تاكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض افاضل
الاطبا في ذم الاستكثار من الاكل ان انفع ما يدخل الانسان بطنه الرمان واضر ما يدخل معدته الملح

ولان

ولان يتعلل من الملح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل
صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما **الفايدة التاسعة** خفة المونة فان من
تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما له ملازما ياخذ بمخنقه كل يوم فيقول
ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل وربما احتاج الى ان
يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والمهانة والمومن خفيف المونة وقال بعض الحكما اني لاقضي عامة حوايجي
بالترك فيكون ذلك اروح لقلبي وقال آخر اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من
نفسي فتركت الشهوة فهو خير غريم لي وكان ابرهيم بن ادهم يسال اصحابه عن الشي الماكول فيقال له انه غال فيقول
ارخصوه بالترك قال سهل الاكول مذموم في ثلاثة احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا
يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شي فلا ينصف الله من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب
حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهي ابواب النار
وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال عليه السلام ادمنوا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في ساير الشهوات
ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله سبحانه وتجارة الآخرة فيكون من الرجال
الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانه انما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة
الفايدة العاشرة ان يتمكن به من الايثار والتصدق بما فضل من الطعام على اليتامى والمساكين فيكون يوم
القيمة في ظل صدقته كما ورد في الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله سبحانه وليس للعبد
من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع كان
الحسن اذا قرا قوله سبحانه انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الاية الى جهولا قال عرضها على السموات
السبع الطباق الطرايق اللاتي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها
قال ان احسنت جزيت وان اسات عوقبت قالت لا ثم عرضها على الارض كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الصم الشوامخ البواذ خ
الصعاب الصلاب فقيل لها هل تحملين الامانة قالت وما فيها فذكر الجزا والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها
انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه سبحانه فقد رايناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا الآفا فما صنعوا
فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وسمنوا براذينهم وهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم
بالغدو والرواح الى باب هذا السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية يقول احدهم يبيعني ارض كذا وكذا
وازيدك كذا وكذا يتكي احدهم على شماله وياكل من غير ماله حديثه سخر وماله حرام حتى اذا اخذته الكظة ونزلت
به البطنة قال يا غلام ايتني بشي اهضم به طعامي يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة واين اليتيم
اين المسكين الذي امرك الله بهم وهذه اشارة الى هذه الفوايد وهو صرف فاضل الطعام الى الفقرا ليدخر به الاجر
فذلك خير من ان ياكله حتى يتضاعف عليه الوزر ونظر عليه السلام الى رجل سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه
وقال لو كان هذا في غير هذا المكان لكان خيرا لك اي لو قدمته لآخرتك واثرت به غيرك وعن الحسن قال والله
لقد ادركنا اقواما ان كان احدهم ليمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شا لاكله فيقول والله لا اجعل هذا
كله في بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوايد في الجوع يتشعب عن كل واحدة فوايد لا تحصر ولا تتناهى فالجوع
خزانة عظيمة لفوايد الآخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا
وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوايد تدرك معاني تلك الاخبار
ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كان لك رتبة المقلدين في الايمان **بيان طريق
الرياضة في كسر شهوة البطن** اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع وظايف الاولى ان لا ياكل الا حلالا
فالعبادة مع اكل الحرام كالبنيان على امواج البحر وقد ذكرنا ما تجب رعايته من درجات الورع في كتاب الحلال
والحرام وبقي ثلاث وظايف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطا والسرعة
وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات وتركها **الوظيفة الاولى** في تقليل الطعام وسبيل

الرياضة فيه التدريج فمن تعوّد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته
فينبغي أن يتدرج إليه قليلاً قليلاً وذلك بأن ينقص قليلاً قليلاً من طعامه المعتاد فإن كان يأكل رغيفين مثلاً وأراد أن يرد نفسه
إلى رغيف فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف وذلك أن ينقص منه جزءاً من ثمانية وعشرين جزءاً أو جزءاً من ثلاثين جزءاً فيرجع إلى
رغيف في شهر ولا يستضر به ولا يظهر أثره فإن شاء فعل ذلك بالوزن وإن شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصها
عما أكله بالأمس ثم هذا فيه أربع درجات **الدرجة الأولى** أعلاها أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه
وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري إذ قال إن الله استعبد الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فإن خاف
العبد على اثنين منها وهي الحياة والعقل أكل وأفطر إن كان صائماً وتكلف الطلب إن كان فقيراً وإن لم يخف عليهما بل على
القوة فإنه ينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى يصلي قاعداً ورأى أن صلاته قاعداً مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائماً مع كثرة
الأكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يتقوت به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبساً وبدرهم سمناً
وبدرهم دقيق الأرز فأسوّيه مختلطاً ثلاثمائة وستين كرة آخذ كل ليلة كرة أفطر عليها فقيل له فالساعة كيف تأكل قال لا حد
ولا توقيت وحكي عن الرهابين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام **الدرجة الثانية** أن يرد نفسه
بالرياضة في اليوم والليلة إلى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الأربعة منه منّاً ويشبه أن يكون هذا ثلث البطن في حق
الأكثر من الناس كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لأن هذه الصيغة في الجمع للقلة فهي لما
دون العشرة وكان ذلك عادة عمر رضي الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم **الدرجة الثالثة** أن يرد نفسه بالرياضة
إلى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد ينتهي إلى ثلثي البطن
ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الألفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس **الدرجة الرابعة** أن يزيد على
المد إلى المنّ ويشبه أن يكون ما وراء المنّ إسرافاً مخالفاً لقوله سبحانه ولا تسرفوا أعني في حق الأكثرين فإن مقدار الحاجة
إلى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو أن
يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب أن من لم يقدر مع نفسه رغيفاً أو رغيفين
فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك عليه بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات **أحدها**
أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الخبز وحده بشهوة أي خبز كان فمهما طلبت خبزاً بعينه أو طلبت أدماً فليس ذلك بالجوع وقد
قيل من علاماته أن يبزق فلا يقع الذباب على بزاقه أي لا يبقى فيه دهونة ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة
ذلك غامض والصواب للمريد أن يقدّر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فإذا انتهى إليه
وقف وإن بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص نعم كان قوت جماعة
من الصحابة صاعاً من حنطة في كل جمعة فإذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعاً ونصفاً وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون
في كل يوم قريباً من نصف مد وهو ما ذكرنا أنه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج إلى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان
أبو ذر رحمه الله يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه حتى
ألقاه فإني سمعته يقول أقربكم مني مجلساً يوم القيامة وأحبكم إلي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في إنكاره
على بعض الصحابة قد غيرتم تنخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين أدمين واختلف عليكم بألوان الطعام
وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت أهل الصفة
مداً من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن يقول المؤمن مثل العنز يكفيه
الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعاً بلعاً وسرطاً سرطاً لا يطوي
بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله وجهوا هذه الفضول أمامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دماً عبيطاً كان قوت المؤمن
منها حلالاً لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط **الوظيفة الثانية** في وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه
أيضاً درجات **الدرجة الأولى** وهي العليا أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة إلى الطي لا
إلى المقدار حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين وأربعين يوماً وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني
وعبد الرحمن بن إبراهيم ودحيم وإبراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير

وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله وإبراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة
أيام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة أيام وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعاً وروي أن الثوري
وإبراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثاً ثلاثاً كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة قال بعض العلماء من طوى أربعين
يوماً عن الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت أي كوشف ببعض الأسرار الإلهية وقد حكي أن بعض هذه الطائفة مر على راهب
فذاكره بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير إلى أن قال له الراهب إن المسيح كان
يطوي أربعين يوماً وإنها معجزة لا تكون إلا لنبي أو صديق فقال له الصوفي فإن طويت خمسين يوماً تترك ما أنت عليه
وتدخل في الإسلام وتعلم أنه حق وأنك على باطل قال نعم فقعد لا يبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوماً فقال
أزيدك أيضاً فطوى إلى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحداً دون رتبة النبوة يجاوز المسيح وكان
ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها إلا مكاشف محمول شغل بمجاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى
نفسه في لذته وأنساه جوعه وحاجته **الدرجة الثانية** أن يطوي يومين إلى الثلاثة وليس ذلك خارجاً عن العادة
بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة **الدرجة الثالثة** وهي أدناها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة
واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد
من السنة وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد
وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال عليه السلام لعائشة إياك والإسراف فإن أكلتين في يوم من السرف فكان
أكلتان في يوم سرف وأكلة واحدة في يومين إقتار وأكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله سبحانه ومن
اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب أن يأكلها سحراً قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له
جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى
المعلوم فلا ينازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله قيامكم هذا قط وإن كان
ليقوم حتى ترم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير أنه قد أخر الفطر إلى السحر وفي حديث عائشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل إلى السحر فإن كان يلتفت قلب الصائم إلى الطعام بعد المغرب وكان ذلك يشغله
عن حضور القلب في التهجد فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فإن كان رغيفين مثلاً أكل رغيفاً عند الإفطار ورغيفاً
عند السحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه ولا يشتد بالنهار جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغيف الأول على
التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوماً ويفطر يوماً فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه
وقت السحر فهذه هي الطرق في مواقيت الأكل وتقاربه وتباعده **الوظيفة الثالثة** في نوع الطعام وترك الإدام
وأعلى الطعام مخ البر فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والحلاوة
وأدناه الملح والخل وأوسطه المزورات بالأدهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع عن الإدام على الدوام
بل الامتناع عن الشهوات فإن كل لذيذ يشتهيه الإنسان فأكله اقتضى ذلك بطراً في نفسه وقسوة في قلبه وأنساً
لقلبه بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله سبحانه وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجناً وإذا منع
النفس عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجناً عليه ومضيقاً واشتهت نفسه الانفلات
منها فيكون الموت إطلاقها وإلى ذلك أشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا أنفسكم لوليمة الفردوس
فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من آفات الشبع فإنها تجري في أكل الشهوات وتناول اللذات
فلا نطول بإعادته ولذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال عليه السلام شرار
أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يعص ومن داوم عليه فلا
يعصي بتناوله ولكن تربى نفسه بالنعيم وتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى في طلبها فيجرها ذلك إلى المعاصي فهم شرار الأمة
لأن مخ الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور وتلك الأمور معاصي وقال عليه السلام شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت
عليه أجسامهم وإنما همتهم ألوان الطعام وأنواع اللباس يتشدقون في الكلام وأوحى الله إلى موسى عليه السلام
اذكر أنك ساكن القبر فليمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة وتمرين

النفس عليها وراوا ان ذلك من علامة الشقاوة وراوا منع الله سبحانه ذلك عنهم غاية السعادة حتى روي عن وهب
ابن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما للاخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي
وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسر اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا
امتنع عمر من شربة ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله اعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك
اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع ان ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة
فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف فشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال
للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها حتى وجدتها فاشتريتها
بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها قال لفها وادفعها اليه فقال الغلام للسائل هل لك ان تاخذ درهما وتعطيني السمكة قال
نعم فردها ووضعها بين يديه وقال قد اعطيته درهما واخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثر بها على نفسه غفر الله له وقال عليه
السلام اذا اشتدت كلب الجوع برغيف وكوز من ماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار بهذا الى ان المقصود
رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا ♦ وبلغ عمر ان يزيد بن ابي سفيان ياكل انواع الطعام فقال
عمر لمولى له اذا علمت انه حضر عشاؤه فاعلمني فلما كان ذلك اعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فجاؤه بثريد ولحم فاكل
معه عمر ثم قرب الشوا فبسط يزيد يده وكف عمر يده ثم قال الله الله يا يزيد بن ابي سفيان اطعام بعد طعام والذي
نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم ♦ وعن يسار بن عمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا
له عاص ♦ وروي ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيا في الاخرة
الشوا والطعام الطيب وكان ياخذ الكوز فيغرف من جب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو اعطيتني
دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا ام فلان قد شددت عني كلب الجوع ♦ وعن شقيق بن ابراهيم قال لقيت
ابراهيم بن ادهم بمكة في سوق الليل عند مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من الطريق يبكي فاتيت اليه و
قعدت عنده وقلت اي شيء هذا البكاء يا ابا اسحق فقال خير فعاودته مرة واثنين وثلاثا فلما اكثرت عليه قال يا شقيق استر
علي فقلت يا اخي قل ما شئت فقال لي اشتهت نفسي سكباجا منذ ثلاثين سنة فمنعتها جهدي فلما كان البارحة كنت جالسا
وقد غلبني النعاس اذ انا بفتى شاب بيده قدح اخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتي عنه فقربه الي
وقال يا ابراهيم كل فقلت ما اكل شيئا قد تركته لله سبحانه فقال لا ان اطعمك الله فكل فما كان لي جواب الا ان بكيت فقال لي
كل يرحمك الله فقال ابراهيم قلت له قد امرنا ان لا نطرح في وعائنا الا من حيث نعلم فقال لي كل عافاك الله فانما اعطيت
وقيل لي يا خضر اذهب بهذا واطعم نفس ابراهيم بن ادهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما تحملها من منعها اعلم يا ابراهيم
اني سمعت الملائكة يقولون من اعطي فلم ياخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان كذلك فها انا بين يديك لا احل العقد مع الله
ثم التفت فاذا انا بفتى اخر ناوله شيئا وقال يا خضر لقمه انت فلم يزل يلقمني حتى نعست فانتبهت وحلاوته في في
قال شقيق ارني كفك فاخذت بكفه وقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح في
الضمير اليقين يا من يشفي قلوبهم من محبته اترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد ابراهيم الى السماء وقلت بقدر هذه اليد
عندك وبقدر صاحبها وبالجود الذي وجدته منك جد على عبدك الفقير بفضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك
قال فقام ابراهيم ومشى حتى دخلنا المسجد الحرام ♦ وروي عن مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم ياكله
واهدي اليه يوما رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة ♦ وقال احمد بن ابي الحواري
اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف واقبل يبكي ثم قال عجلت
الي شهوتي بعد اطالة جهدي واشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله سبحانه
وقال مالك بن ضيغم مررت في سوق البصرة فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطعمتني الليلة من هذا فاقسمت ان لا
اطعمها اياه اربعين ليلة ♦ ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما اكل رطبة لاهلها ولا بسرة قط وقال
يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة فما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم وقال

مالك

مالك بن دينار طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمها اياه حتى الحق بالله
وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم
اشتهيت تمرا فاليت الا تاكليه ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ♦ ومر ابو حازم بالسوق فراى فيها من الفا
فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا
ممنوعة فلما اشتراها واتاه بها قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقته
فبعث به الى يتامى من الفقراء ♦ وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة فما اطعمتها ♦ وعن
احمد بن خليفة قال نفسي منذ عشرين سنة ما تطلب مني الا الماء حتى تروى فما ارويتها ♦ وروي ان عتبة الغلام
اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال قد استحييت من نفسي ان ادفعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة
فاشترى قطعة لحم على خبز وشواها فلقي صبيا فقال الست انت ابن فلان وقد مات ابوك فقال بلى فناوله اياها
واقبل يبكي ويقول ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ولم يذقه بعد ومكث يشتهي تمرا سنين فلما كان
ذات ليلة اشترى تمرا بقيراط ورفعه حتى يفطر عليه قال فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع الناس فقال عتبة هذا
لجراتي وشرائي التمر بالقيراط وقال لنفسه ما اظن اخذ الناس الا بذنبك علي الا ذقته وترك التمر واشترى داود
الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا فاقبل ليلته يقول يا داود ما اطول حسابك يوم القيمة ولم يكن ياكل الا قفارا
وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها من قلبي فقال لانك تاكل مع خبزك تمرا
وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال انا ان تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض
اصحابه لا ابكى الله عينك اعلى التمر تبكي فقال له عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك
فهو اذا ترك شيئا لم يعاود فيه ابدا ♦ وقال جعفر بن نصير امرني الجنيد ان اشتري له التين الوزيري فاشتريته
فلما افطر اخذ واحدة ووضعها في فمه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي هاتف
اما تستحي تركته من اجلي ثم تعود اليه ♦ وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي اني متكلف لك شيئا فلا ترد علي كرامتي
قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدي بشربة من سويق قد لتته بسمن وعسل وقلت له لا تبرح حتى يشربها
فشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فاتيته فلمته وقلت سبحان الله رددت علي كرامتي
فلما راى وجدي لذلك قال لا يسؤك هذا انا قد شربتها اول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها
فلم اقدر على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما
هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت وقلت في نفسي انا في واد وانت في واد اخر ♦ وقال السري
ان نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها ♦ وقال ابو بكر الجلاء اعرف انسانا تقول له
نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام
ولكن اتركي هذه الشهوة ♦ وروي ان عابدا دعى بعض اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل اخوه يقلب الارغفة
ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شيء تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة
وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والشمس والارض
والبهائم وبنو ادم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه لا ترضى به ♦ وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع
بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعا اولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي
تزجر السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض واخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها ♦ وقال بعضهم اتيت قاسما الجوعي فسالته عن الزهد اي شيء هو فقال اي شيء سمعت فيه فعددت
اقوالا فسكت فقلت وانت اي شيء تقول فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبمقدار ما يملك من بطنه يملك من
الزهد وبمقدار ما يملكه بطنه تملكه الدنيا ♦ وكان بشر بن الحارث قد اعتل فسال عبد الرحمن بن المتطبب
عن شيء يوافقه من الماكول فقال تسالني فاذا وصفت لك شيئا لم تقبل مني فقال صفه لي حتى اسمع قال اشرب سكنجبينا
وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيدناجا فقال له بشر تعلم شيئا اقل من السكنجبين قال لا قال انا اعرف هو

الخرنوب الشامي قال فتعرف اقل ثمنا من الاسفيدباج ويقوم مقامه قال لا قال انا اعرف ما الخص ثمن البقل في مغاباه فقال عبد الرحمن بات احلم مني بالطب فلم تسالني فقد عرفت ان هولاء كيف امتنعوا من اكل الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوايد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات لانهم كانوا لا يصفوا لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي رضي الله عنه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اكل اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل لتنشط على الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو القلب لذلك ولكن ليصل او يجلس فيذكر الله فانه اقرب الى الشكر من النوم وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزءا من القران عقيب كل اكلة وكان سفيان الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده ومرة يقول اشبع الحمار وكده ومهما اشتهى شيئا من طيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكلها بدلا عنه لتكون قوتا ولا يكون نقلا ولئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدا بالتمر فان قامت كفايتك به والا اخذت من الخبز بعده حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطافته وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال ابن عمر ما ياتينا من العراق فاكهة احب الينا من الخبز وراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال النفس في الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الاخرة بشهواته قال بعض اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها واشتد تجاهدي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك فقال لا احسن اصف لك ما تلقاني به ربي سبحانه من النعم والكرامة وكان اول شيء استقبلني به خبز ارز وسمك فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا قد اسلفوا ترك الشهوات ولهذا قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود هو الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية فبالحري ان يعلم انه لا ينتهي الى الغاية وان اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع قد بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يوثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام والم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محماة على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو

الوسط

الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص واشبه احواله بهم البعد عن الاطراف وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله خير الامور اوساطها واليه اشار قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسر له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع فاما في بداية الامر اذا كانت النفس جموحا مشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت رجع بها الى الاعتدال وترك تعذيبها وايلامها ولاجل هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وهو لا يمتنع منها لانه قد فرغ من تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشهوة والامتناع عن العبادة كان الاصلح لها الجوع الذي يحس بالمه في اكثر الاحوال لتنكسر والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء ايضا الى الاعتدال وانما يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الاخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور الاحمق فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته لنفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متباعدة عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها كان عليه السلام يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذا اصوم وكان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج عليه السلام يوما وقال اني صائم فقالت عائشة قد اهدي الينا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكي ان سهلا قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التبن ثلاث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له كيف انت في وقتك قال اكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد اني اكل كثيرا اي لا اقدر بمقدار واحد ما اكله وكان معروف يهدى اليه طيبات الطعام فياكل فقيل له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فقال اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت ما لي والاعتراض والتمييز ودفع ابراهيم بن ادهم لبعض اخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواريا فقال يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال له الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث فالذي اخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابراهيم بن ادهم ويسمع عن مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح بيتي منذ عشرين سنة وعن سري السقطي انه منذ اربعين سنة اشتهي ان اغمس جزرة في دبس فلم افعل فيراه متناقضا او يتحير او يقطع بان احدهما مخطئ والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال المختلفة ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط وغبي مغرور فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي وليست نفسي باطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهما من الممتنعين من الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول وما نفسي باعصى من نفس معروف الكرخي وابراهيم بن ادهم فاقتدي بهما وارفع التقدير عن ماكولي فانا ايضا ضيف في دار مولاي فما لي والاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وفي توقيره او في ماله وجاهه بطرفة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان

مع الجمع بل دفع التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله سبحانه علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله في اكله وافطاره وينبغي ان يتعلم الحزم من عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل وياكله ثم لم يعود نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء مبرد بالعسل جعل يدير الاناء في كفه ويقول اشربها فتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها وهذه اسرار لا ينبغي ان يكاشف الشيخ بها مريده بل ينبغي ان يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا في قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل والذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابرهيم الخواص ان يخوض مع المريدين في كل رياضة كان يامرهم بها كيلا يخطر ببالهم ان الشيخ لم يامرهم بما لا يفعله ويتوهم ذلك في رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما مادوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم بالكلية اقتار وهذا بين ذلك قواما

بيان آفة الريا المتطرق الى من ترك اكل الشهوات وقلل الاكل

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات احداهما ان لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فيشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة وياكل في الخلوة ما لا ياكله في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي • سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت فقيل له هل تعلم به باسا فقال ياكل في الخلوة ما لا ياكل في الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهر ذلك فانه صدق الحال وهو يدل على فوات المجاهدة فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى الله تعالى منه الا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد الله سبحانه امر المنافقين فقال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر والمنافق كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا اخر لانه استخف بنظر الله الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل المعاصي ولا يبتلون بالريا والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله سبحانه ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين وانما يبغي به تلبيس حاله فنهاية الزاهد في الزهد اظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذه ايضا هي طريق من ياخذ ما يعطى جهرا ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرته اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه اهم له من غيره فهو انما يقصد الريا المجرد ويروجه عليه الشيطان في معرض اصلاح غيره ولذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل ولا ينزجر باعتقاده انه تارك الشهوات

الآفة الثانية

ان يقدر على ترك الشهوة ولكن يفرح بان يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وذلك هو الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة الطعام فلياكل فهو اولى • قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وكنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها • وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الي شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا وهذه طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الريا كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الريا اضر كثيرا من شهوة الطعام

القول في شهوة الفرج

اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين احداهما ان يدرك لذته فيقيس بها لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والامها اعظم من الام الجسد والترغيب والترهيب يسوقان العباد الى سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق **الفائدة الثانية** بقا النسل ودوام الوجود وهذه فائدة ولكن فيها من الافة ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال • وقد قيل في قوله سبحانه ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وهيجان الشهوة • وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر وقد اسنده بعضهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل • وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله • وكان عليه السلام يقول اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومني وقال النسا حبايل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنسا سلطنة على الرجال • وروي ان موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه فقال السلام عليك فقال من انت قال انا ابليس قال فلا حياك الله ما جا بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال به اختطف قلوب بني ادم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلاثا لا تخل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفا بها ثم ولى وهو يقول يا ويله علم موسى ما يحذر به بني ادم • وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس منه ابليس ان يهلكه بالنسا ولا شي اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح • وقال بعضهم ان الشيطان قال للمراة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف الغضب واعظم الشهوات شهوة النسا وهذه الشهوة ايضا لها افراط وتفريط واعتدال والافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنسا والجواري فيحرج عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم لاستكثار الوقاع كما قد يتناول بعض الناس ادوية تقوي المعدة لعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن ابتلي بسباع ضارية وبهايم عادية فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهيجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق الام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص **فان قلت** فقد روي في غريب الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوت الى جبريل ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه كان تحته تسع نسوة ووجب عليه احصانهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتنعم **والامر الثاني** انه قد ينتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهايم لان المتعشق لا يقنع باراقة شهوة الجماع وهي اقبح الشهوات واجدرها ان يستحيى منها حتى ما اتفق حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة حيث اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وما العشق الا افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز من اوايله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك

عشق المال والجاه والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على
طايفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق في اول انبعاثه مثال من يصرف
عنان الدابة عن توجهها الى باب لتدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال علاجها بعد استحكامها ان تترك الدابة
حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها فيجرها الى ورا فما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر فليكن
الاحتياط في بدايات الامور فاما في اواخرها فلا يقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح فاذا افراط الشهوة
ان يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم
وانما المحمود ان يكون معتدلا ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع والصوم
قال عليه السلام معاشر الشباب عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجا

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله

اعلم ان المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل
يمنعه عن السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله فانه كان
لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع ما في الدنيا فلا تقاس الملايكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج
فقد ركن الى الدنيا وقال ما رايت مريدا تزوج فثبت على ما كان عليه وقيل له ما احوجك الى امراة تستانس بها فقال
لا انسني الله بها اي ان الانس بالله يمنع الانس بغيره وقال ايضا ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو
عليك مشوم وكيف يقاس غير رسول الله به وقد كان استغراقه بحب الله بحيث كان يجد احتراقه فيه واشتغاله الى حد
كان يخشى في بعض الاحوال ان يسري ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عايشة احيانا ويقول
كلميني يا عايشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله سبحانه وكان
انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا بها
يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ حاله عليه السلام في مثل هذا فهو مغرور لان الافهام
تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله عليه السلام فشرط المريد العزبة في ابتدايه الى ان يقوى في المعرفة هذا
اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدايم فان لم تنقمع الشهوة بذلك
وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فهما لم
تحفظ عينه لم يحفظ فكره وتتفرق همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغاير وهو يودي
على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى
عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت فتنة
داود من اجل نظرة وقال داود لابنه عليهما السلام يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المراة
وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بدو الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هو قوسي القديمة
وسهمي الذي لا اخطي به يعني النظر وقال عليه السلام ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقال
النظرة سهم من سهام ابليس ومن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال اتقوا فتنة الدنيا
فان اول فتنة بني اسرايل كانت من النساء وقال سبحانه قل للمومنين يغضوا من ابصارهم الاية وقال عليه
السلام لكل عضو من اعضاء بني ادم حظه من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان وزناهما البطش
والرجلان زناهما المشي والفم يزني وزناه القبل والقلب يهم ويشتهي ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقالت
ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احتجبا
فقلنا اليس باعمى لا يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت العادة
به في المآتم والولايم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة
وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه من النساء ولم
يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه
الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتاثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث

يدرك

يدرك التفرقة بينه وبين القبيح لم يحل له النظر اليه **فان قلت** كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح
لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة لا محالة قلت لست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة
كادراكه التفرقة بين شجرة خضرا ويابسة وماء صاف وماء كدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت
اوراقها فانه يميل الى احداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار
ولا تقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح
ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك التفرقة
بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة والسقوف المزخرفة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به
الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون وقال بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار
يخوف عليه من غلام امرد يجلس اليه وقال سفيان لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجله يريد الشهوة لكان
لواطا وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون
وصنف يعملون فافة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته
بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها الجوع وقال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدو ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى
الله سبحانه فرايت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت
بردها في فوادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال عني ما بي وبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة
بالله تعالى فجاءني شخص في المنام فقال اتحب ان تذهب بما تجد واضرب عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من
نور فضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك واشد منه فرايت شخصا يخاطبني
فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسال الله رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي
ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدايه فالنية الحسنة
وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا ذلك في اداب النكاح فلا نطول
باعادته وامارة صدقه وصدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية
كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها
لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك كله وقد قال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون الرجل
باربع خصال والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق
والورع وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق تزوج بعض المريدين فلم يزل يخدمها حتى استحيت
المراة وشكت الى ابيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلا قط الا وحمل
الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم امراة ذات جمال فلما قرب الزفاف اصاب المراة الجدري فاشتد حزن اهلها
لذلك خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل انه رمد ثم اذهب بصره حتى زفت اليه المراة وزال عن اهلها ذلك
الخوف والحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال تعمدته لاجل اهلها حتى لا يحزنوا
فقيل له قد سبقت اصحابك بهذا الخلق وتزوج بعض الصوفية امراة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له
لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر على خلقها فيتاذى فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان
قدر على الترك فهو له اولى اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله
كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك غلة ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى اهل البصرة وعلمايها في امراة
يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله سبحانه قد ملكني من غلة
الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وما تمضي الايام والليالي حتى اتمها ماية الف وانا اصير لك مثلها ومثلها فاجيبي
فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن
فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياك فيقسموا ميراثك
وصم الدهر واجعل فطرك الموت واما انا فلو ان الله خولني مثل الذي خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل

عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى ان كل ما شغل عن الله فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده
في العزبة فهو الاقرب وان عجز فالنكاح اولى به فدوا هذه الشهوات ثلاثة امور الجوع وغض البصر والاشتغال
بشغل يستولي على القلب فان لم ينفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون
الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من شي الا اتاه من قبل النساء وقال سعيد
وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شي اخوف عندي من النسا وعن عبد الله
ابن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جيته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت
بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني
ولا املك الا درهمين او ثلاثة ومن يزوجني على هذا فقال انا فقلت وتفعل فقال نعم فحمد الله وصلى على نبيه وزوجني
على درهمين او ثلاثة قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح وجعلت افكر ممن اخذ وممن استدين فصليت المغرب
وانصرفت الى منزلي واسرجت وكنت وحدي صايما فقدمت عشاي افطر وكان خبزا وزيتا فاذا بابي يقرع فقلت
من هذا فقال سعيد قال ففكرت في كل انسان اسمه سعيد في المدينة الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين
سنة الا بين بيته والمسجد فقمت وخرجت فاذا سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت
الي فاتيتك قال لا انت احق ان توتى قلت وما تامر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة
وحدك وهذه امراتك فاذا هي قايمة من خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحيا
فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت الى السطح
فرميت الجيران فجاوني فقالوا ما شانك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وجاء بها الليلة على غفلة
فقالوا سعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ امي الخبر فجاءت وقالت وجهي من وجهك
حرام ان مسستها الى ثلاثة ايام قبل ان اصلحها قال فاقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل النساء واذا هي احفظ
الناس لكتاب الله واعلمهم بسنة رسوله واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا اتيه فلما كان قرب الشهر
اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان
فقلت بخير يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو فقال ان رابك شي فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين
الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه
العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه ماية سوط في يوم بارد وصب عليه جرة
ماء والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد تلك الليلة في الزفاف يعرفك غايلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين
الى تطفية نارها بالنكاح

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم ان هذه الشهوة اغلب
الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه وامتناع
اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحيا او لمحافظة على حشمة وليس في شي من ذلك ثواب فانه ايثار حظ
من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه العوايق فايدة وهي دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع
عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع
وتيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال عليه السلام من عشق فعف
فكتم فمات فهو شهيد وقال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات
حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة تعرفك
ذلك وقد اثنى الله سبحانه بذلك عليه في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة
وروي ان سليمان بن يسار كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسالته نفسه فامتنع عليها وخرج
هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرايت في المنام يوسف عليه السلام وكاني اقول له انت يوسف قال
نعم انا يوسف الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهم اشارة الى قوله سبحانه ولقد همت به وهم بها لولا
وعن سليمان ايضا ما هو اعجب منه وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى نزلوا الابواء فقام

رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيا وقعد سليمان في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها واورعهم
فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فلما رات جماله وحسنه انحدرت وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت بين يديه فاسفرت
عن وجه لها كانه فلقة قمر فقال الفتى فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا
انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك والله الى ابليس ثم وضع راسه بين كميه وجعل يبكي فلم يزل يبكي فلما
رات ذلك سدلت البرقع على وجهها ورجعت راجعة حتى رجعت الى خيمتها وجاء رفيقه وقد انتفخت عيناه من البكا وانقطع
حلقه قال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي فقال لا الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث او نحوها فلم
يزل به رفيقه حتى اخبره بشان المراة الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكا شديدا فقال له سليمان وانت ما
يبكيك قال انا احق بالبكا لاني اخشى لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف
وسعى اتى الحجر فاحتبى بثوبه فنعس فاذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورايحة طيبة فقال له سليمان
من انت رحمك الله قال انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شانك وشان امراة العزيز لشانا عجيبا
فقال له يوسف شانك وشان صاحبة الابوا اعجب وروي عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم
الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم اللهم كان لي ابوان شيخان
كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا ولدا فناى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما
فوجدتهما نايمين فكرهت ان اوقظهما وكرهت ان اغبق قبلهما اهلا او ولدا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما
حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك
ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيا لا يستطيعون الخروج منه وقال الاخر اللهم كانت لي ابنة عم
وكانت احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها ماية
وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت
من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت تعلم اني فعلت ذلك
ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم
استاجرت اجرا واعطيتهم اجرتهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجرته حتى كثرت منه الاموال فجاءني
بعد ذلك فقال يا عبد الله هات اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله
لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله واستاقه فلم يترك منه شيا اللهم ان كنت فعلت ذلك
ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف
ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدا الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان
به ولا يعظم الخوف فيه والافات كلها تنشا منه والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يواخذ بها والثانية يواخذ
بها قال عليه السلام لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلا بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة
فان النظر يزرع في القلب شهوة وقل ما يخلو الانسان في ترددانه من وقوع البصر على النسا والصبيان
ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر على نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل
لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يلتذ
به وتالم لانه قصد قصد اللذة فقد فعل ما المه فلا يخلو في كل حال عن معصية وعن الم وتحسر ومهما
حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن غاية القوة ونهاية التوفيق وروي عن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا
ولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها في حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت
لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تايبا فاصابه
العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرايل فساله ما لك قال العطش قال تعال
حتى ندعو الله حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل فادعو قال فانا ادعو وامن انت فدعا

الرسول وامن هو فاطلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول
زعمت انه ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان
التايب من الذنب بمكان ليس لاحد من الناس مكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد
لازم المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت
به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل
ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها قال فاطرق
مليا ثم قال لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن
معاذ الله ان يشرف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذه الامور بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس
كثير وانتم معاشر العباد في مثال القوارير ادنى شيء يعيبها وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في امري و
امرك قال فمضى الشاب الى منزله واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمراة وقفه
في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة ان الله سبحانه اذا عصي حلم
واذا عاد العبد الى المعصية ستر واذا لبس لها ملابسها غضب الله لنفسه غضبا تضيق له السموات والارض والجبال
والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوما تكون السماء كالمهل وتكون الجبال
كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم فاني والله قد عجزت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت
حقا فاني ادلك على طبيب يداوي الكلوم المرضة والاسقام المرضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسئلة
فاني مشتغل عنك بقوله وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع الى
اخر الاية فاين المهرب من هذه الاية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت
له على طريقه فلما راها من بعيد اراد الرجوع من منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا الا بين
يدي الله تعالى وبكت بكاء شديدا وقالت اسال الله الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته وقالت
له امنن علي بموعظة احملها واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك ما من حبسك
واذكرك قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء شديدا اشد من بكائها
الاول ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا وكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها فيقال
له مم بكاؤك وانت قد ايستها فيقول اني قطعت طمعها مني في اول امرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله وانا استحي
من الله ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده

كتاب آفات اللسان

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه به وجمله
وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم
امده بلسان يترجم عما حواه القلب وتضمنه ويكشف عنه ستره الذي اسبله واطلق بالحق مقوله وافصح بالشكر
عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله صلى الله عليه وعلى اله واصحابه ومن قبله ما كبر عبد وهلله
اما بعد فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطايف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته
وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم انه ما من موجود او معدوم
خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله
العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في بقية الاعضاء
فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير
الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد فله في الخير مجال رحب
وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى

شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس في جهنم على مناخرهم الا حصائد السنتهم ولا ينجو من
شر اللسان الا من يقيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله واجله
وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان
اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز من افاته وغوائله والحذر من مصائده
وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع افات
اللسان ونذكرها واحدة واحدة منها بحدها واسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الاخبار
والاثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر افة الكلام فيما لا يعنيك ثم افة فضول الكلام ثم افة الخوض في
الباطل ثم افة المراء والمجادلة ثم افة الخصومة ثم افة التقعر في الكلام ثم افة الخوض في الباطل بالتشدق وتكلف
السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم افة الفحش والسب وبذاءة
اللسان ثم افة اللعن اما لحيوان او جماد او لانسان ثم افة الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء
وما يحل فلا نعيده ثم افة المزاح ثم افة السخرية والاستهزاء ثم افة افشاء السر ثم افة الوعد الكاذب ثم افة
الكذب في القول واليمين ثم افة الغيبة ثم افة النميمة ثم افة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد
منهما بكلام يوافقه ثم افة المدح ثم افة الغفلة عن دقائق الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ثم
ويرتبط باصول الدين ثم افة السوال اعني سوال العوام عن صفات الله وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة
وهي تمام الافات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون افة

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم
ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال عليه السلام من
صمت نجا وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله
اخبرني عن الاسلام بامر لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاومى بيده الى لسانه
وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل
ابن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال صلى الله
عليه وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات
الثلاث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر افات اللسان لما فرغنا من ذكر افة الشهوتين البطن والفرج وقد
سئل عليه السلام عن اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان
الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم افة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد البطن لانه منفذه وقال معاذ
قلت يا رسول الله انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم
وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي
فاخذ بلسانه ثم قال هذا وروي ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال
انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه
ولا يدخل الجنة رجل لا يامن جاره بوائقه وقال عليه السلام من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضاء كلها تذكر اللسان اي تقول له اتق الله
فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي ان عمر اطلع على ابي بكر الصديق وهو يمد لسانه فقال
ما تصنع يا خليفة رسول الله قال ان هذا اوردني الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد
الا يشكو الى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم او اصمت تسلم
من قبل ان تندم فقيل له يا ابا عبد الرحمن اهذا شيء تقوله او سمعته فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
اكثر خطايا ابن ادم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن
ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل عذره وروي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني قال
اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت انباتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه

وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق. وقال ابو هريرة قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت. وقال الحسن ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم. وقال سفيان قالوا لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير. وقال سليمان بن داود عليهما السلام ان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب. وعن البراء قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمان وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير. وقال عليه السلام اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان. وقال عليه السلام ان الله سبحانه عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول. وقال عليه السلام اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة. وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله سبحانه والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل. وقال عليه السلام ان لسان المؤمن من وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه. وقال عليه السلام العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس. وقال عيسى عليه السلام من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به.

الآثار

كان الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه يمنع به نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه وكان يقول هذا اوردني الموارد. وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شيء احوج الى طول سجن من لسان. وقال طاوس لساني سبع ان اطلقته اكلني. وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه. وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه. وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد فانه من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه او قال فيما لا ينفعه. وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه. وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال يونس بن عبيد ما من احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن تكلموا عند معاوية والاحنف ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت. وقال ابو بكر بن عياش اجتمع اربعة ملوك على ذم الكلام ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الاخر اني اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت اليه كلمته ضرته وان لم ترجع اليه لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت. وقيل ان منصور بن المعتمر لم يتكلم بعد عشاء الاخرة اربعين سنة. وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا وقلما وكلما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء.

فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطا والكذب والنميمة والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع والشيطان فالخائض فيها قل ما يقدر على ان يزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم كما سياتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت السلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الاخرة قال سبحانه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة اما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة ارباع

الكلام وبقي ربع وهذا الربع ايضا فيه خطر اذ يمتزج بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره عليه السلام هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله ونحن الآن نذكر آفات اللسان ونبتدئ باخفها ونترقى الى الاغلظ منها قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون آفة

الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك

اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك عن جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والكذب والرياء والنفاق وغيره وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك ومستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله وسبحته وذكرته كان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله سبحانه واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم ياثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله سبحانه فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قال عليه السلام بل رأس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره. وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتألية على الله قال هي امي يا رسول الله فقال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه ومعناه انما تتهنا الجنة من لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهنا له الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب. وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عملك في نفسك ترجو به الخير فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني. وقال ابو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك. وقال مجاهد سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضول ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا غاب عنك بما تحب ان يذكرك به اذا غبت واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجرام. وقد قيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني. وقال مورق العجلي امر انا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني. وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله سبحانه وحده. وحد ما لا يعنيك ان تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تاثم ولم تتضرر في حال ولا مآل مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي لهم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تاثم ولم تتضرر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله سبحانه فانت مع ذلك كله مضيع

زمانك وأنى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك وأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضييع هذا إذا كان الشيء المسؤول عنه مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسولة فيها آفات فإنك تسأل غيرك عن عبادته فتقول هل أنت صائم فإن قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا وإن سكت كان مستحقرا لك وتأذيت به وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما حدث به غيره فتقول ماذا تقول وفيم أنتم وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فربما يمنعه مانع من ذكره فإن ذكره تأذى به واستحيى وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها والمسؤول ربما لا تسمح نفسه بأن يقول لا أدري فيجيب عن غير بصيرة ولست أعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الأجناس فإن هذا يتطرق إليه ضرر وإنما مثال ما لا يعني ما روي أن لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع فجعل يتعجب مما يرى فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فأمسك عن ذلك ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أي حصل العلم له من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك ولم يسأل فهذا وأمثاله من الأسولة إذا لم يكن فيها ضرر أو هتك ستر أو توريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الإسلام فهذا حده وأما سببه الباعث عليه فالحرص على ما لا حاجة به إليه والمباسطة بالكلام على سبيل التودد أو ترجية الوقت بحكايات أحوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وأنه مسؤول عن كل كلمة وأن أنفاسه رأس ماله وأن لسانه شبكة يقدر أن يقتنص بها الحور العين فإهماله ذلك وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يضع حجرا في فيه وأن يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل صعب شديد جدا

الآفة الثانية فضول الكلام وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني على قدر الحاجة فإن من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أي فضلة عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر قال عطاء بن أبي رباح إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله سبحانه وسنة رسوله وأمرا بمعروف ونهيا عن منكر أو نطقا لحاجة في معيشته لا بد لك منها أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين وعن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد أما يستحيي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال إن الرجل ليكلمني بالكلمة لجوابه أشهى إلي من الماء البارد إلى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضلا من الكلام ۞ وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للحمار والكلب اللهم اخزه وما أشبه ذلك ۞ واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله سبحانه قال تعالى لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس وقد قال عليه السلام طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل القول وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أشار إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها ۞ وقال ابن مسعود رضي الله عنه أنذركم فضول الكلام حسب امرئ ما بلغ به حاجته وعن مجاهد قال إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب عليه كذبه ۞ وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك فأمل ما شئت وأقلل أو أكثر ۞ وروي أن سليمان بن داود بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فأخبروه أنه مر في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذي أسفل منهم ما أسرع ما يملون ۞ وقال إبراهيم التيمي المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان له تكلم وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا ۞ وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه ۞ وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال عليه السلام كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسناني فقال أما كان في ذلك ما يرد كلامك ۞ وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثني عليه فاستهتر في الكلام فقال ما أوتي رجل شرا من فضل لسانه ۞ وقال عمر بن عبد العزيز إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة ۞ وقال بعض الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكتا فأعجبه السكوت فليتحدث وقال يزيد بن أبي حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع وإن وجد من يكفيه فلا يتكلم فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيينا وزيادة ونقصانا ۞ وقال ابن عمر إن أحق ما طهر الرجل لسانه ۞ ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها ۞ وقال إبراهيم يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني

الآفة الثالثة الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام وأما الكلام فيما لا يعني أو أكثر مما يعني فهو ترك الأولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن أن يحصى لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منه إلا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع من الكلمات ما يهلك صاحبها وهو يستحقرها وقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم القيامة قال وكان علقمة يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث ۞ وقال عليه السلام إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها في النار أبعد من الثريا ۞ وقال أبو هريرة إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم سبعين خريفا وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها في الجنة ۞ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم في الدنيا خوضا في الباطل وإليه الإشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ۞ وقال سلمان أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في معصية الله ۞ وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضؤوا فإن بعض ما تقولون شر من الحدث وهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكايات ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل

الآفة الرابعة المراء والجدال وذلك منهي عنه وقد قال عليه السلام لا تمار رجلا ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه ۞ وقال صلى الله عليه وسلم ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته ۞ وقال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ۞ وعن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول ما عهد إلي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال أيضا ما ضل قوم إلا أوتوا الجدل ۞ وقال أيضا لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقا ۞ وقال أيضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتعجيل الصلاة في يوم الدجن والصبر على المصيبات وإسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق ۞ وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فإنك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة ۞ وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل ۞ وقال مسلم بن يسار إياكم والمراء فإنها ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته ۞ وقيل ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدل وقال مالك بن أنس رحمه الله ليس هذا الجدال من الدين بشيء وقال أيضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك ۞ وقال بلال بن سعد إذا رأيت الرجل مماريا معجبا برأيه لجوجا فقد

تمت حسناته وقال سفيان لو خالفت اخي في رمانة فقلت حامضة وقال حلوة لسعى بي الى السلطان وقال ايضا صاف من شئت ثم اغضبه بالمرا فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن ابي ليلى لا امارى صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدردا كفا بك اثما ان لا تزال مماريا وقال النبي صلى الله عليه وسلم تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حيا من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضى بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن سا خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا يفارقك اخ لك قال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المرا والجدال كثير وحد المرا هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المرا بترك الاعتراض والانكار فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل من جهة النحو او من جهة اللغة والعربية او من جهة النظم والترتيب لسو تقديم وتاخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى فبان يقول ليس كما تقول وقد اخطات فيه من وجه كذا واما في قصده مثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجرى مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسلة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السوال في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والنكادة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن وانما المجادلة عبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه واية ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل بل يحب ان يكون هو المظهر له خطاه ليبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا ياثم به لو سكت عنه واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان اما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهو من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبريا وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الغير فهو مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويوذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المرا والجدال فالمواظب على المرا والجدال مقو لهاتين الصفتين المهلكتين وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو معصية مهما حصل فيه ايذا الغير ولا تنفك المماراة عن الايذا وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قايله بكل ما يتصور فيثور التشاجر بين المتمارين كما يثور التهارش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه وايجامه

واما علاجه فهو بان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سياتي ذلك في كتاب ذم الكبر وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المرا ما ذكرناه ثم المواظبة عليها تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه وروى ان ابا حنيفة قال لداود الطاي لم آثرت الانزوا فقال لاجاهد نفسي بترك المجالسة فقال له احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رايت مجاهدة اشد علي من ذلك وهو كما قال لان من سمع من غيره خطا وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر جدا ولذلك قال عليه السلام من ترك المرا وهو محق بني له بيت في اعلا الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقايد فان المرا طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطا محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة فان راى مبتدعا تلطف في نصحه على الخلوة لا بطريق المجادلة فان المجادلة تخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدال وتتاكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال عليه السلام رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه قال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة مدة واثنى عليه الناس ووجد لنفسه عزا بسببه وقبولا تقوت فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلاطين الكبر والغضب والريا وحب الجاه والتعزز بالفضل واحاد هذه الصفات

يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها

الآفة الخامسة

الخصومة وهي ايضا مذمومة وهي ورا المرا والجدال فالمرا طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفى به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتدا وتارة يكون اعتراضا والمرا لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم قط ورع في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رايت شيا اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من خصومة قال فقمت لارجع فقال لي خصمي ما لك فقلت لا اخاصمك قال عرفت انه حقي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب شيا هو لك

فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يعرف ان الحق في اي جانب هو يتوكل في الخصومة من اي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذا ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات موذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما رميته في بير ولا ابالي وهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم جدا اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة ومن غير قصد الايذا والعناد ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد منهما بمساة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه ومن ابتدا بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات واقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب فيه والخصومة مبدا كل شر وكذلك الجدال والمرا فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته فيسلم عن الاثم ولا تذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون اثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمرا والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال عليه السلام يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا لان الله سبحانه يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها اعدها الله سبحانه لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وروي ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل له يا روح الله تقول هذا لخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقد قال نبينا عليه السلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجد فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شي هين وجه طلق وكلام لين وقال بعض الحكما كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين وقال بعض الحكما الكلام اللين يغسل الضغاين المستكنة في الجوارح هذا كله في فضل الكلام الطيب ويضاده الخصومة والمرا واللجاج والجدال فانه الكلام المستكره الموحش الموذي للقلب والمنغص للعيش والمهيج للغضب والموغر للصدر

الآفة السادسة

التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف

والسجع والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم وهو التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والاتقيا من امتي برآء من التكلف. وقال عليه السلام ان ابغضكم الى الله وابعدكم مني مجلسا يوم القيمة الثرثارون المتفيهقون المتشدقون. وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام. وقال عليه السلام الا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصا. وقال عمر ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان. وجا عمر بن سعيد الى ابيه يساله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام مثل ما كنت من حاجتك قط ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقر الكلا بالسنتها وكانه انكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من افات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العادة وكذلك تكلف السجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال عليه السلام اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر التصنع والتكلف بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شي على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب لان المقصود منها تحريك القلوب وتشويق النفوس وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو لايق به فاما المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الريا واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه

الافة السابعة الفحش والسب وبذاة اللسان وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللوم قال عليه السلام اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش. ونهى عليه السلام عن ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هولاء فانه لا يخلص اليهم شي مما تقولون وتوذون الاحيا الا ان البذا لوم. وقال عليه السلام ليس المومن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي. وقال عليه السلام الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها. وقال صلى الله عليه وسلم اربعة يوذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد اذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة بذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث. وقال عليه السلام يا عايشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سو. وقال عليه السلام البذا والبيان شعبتان من شعب النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان هنا كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين وفي صفات الله سبحانه فان القا ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره بالبذي مقرونا يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان. وقال عليه السلام ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق. وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وابي امامي فقال صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شي وان احسن الناس اسلاما احاسنهم اخلاقا. وقال ابرهيم بن ميسرة يحشر الفاحش المتفحش يوم القيمة في صورة كلب او في جوف كلب. وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوا الدا اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش. فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها. قال ابن عباس ان الله سبحانه كريم يعفو ويكني كني باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الجماع ليست بفاحشة وعنه عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلفت بعادة البلاد واوايلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضا الحاجة عن البول والغوط اولى من لفظ الغوط والخراة وغيرها

فان هذا ايضا مما يخفى ويستحيى منها فلا ينبغي ان يذكر الفاظها الصريحة فانه فحش ولذلك يستحسن في العادة الكناية عن النسا فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة او قيل من ورا الستر او قالت ام الاولاد كذا فالتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من افات اللسان. وقال العلا بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت ابطه خراج فاتيناه نساله ما ذا نقول فقلنا من اين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخبث واللوم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرو عيرك بشي يعلمه فيك فلا تعيره بشي تعلمه فيه يكون وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيا من خلق الله قال فما سببت شيا بعده. وقال عياض بن حماد قلت يا رسول الله الرجل من قومي يشتمني وهو دوني هل علي باس ان انتصر منه فقال المستبان شيطانان يتعاويان ويتكاذبان ويتهاتران. وقال عليه السلام سباب المومن فسوق وقال عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال عليه السلام سباب المومن فسوق وقتاله كفر. وقال ملعون من سب والديه. وفي رواية من اكبر الكباير ان يسب الرجل والديه فقالوا يا رسول الله وكيف يسب والديه فقال يسب ابا الرجل فيسب اباه

الافة الثامنة اللعن اما لحيوان واما لجماد واما لانسان وذلك مذموم قال عليه السلام المومن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم. وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن الحصين بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اذ امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال عليه السلام خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال وكاني انظر الى تلك الناقة تمشي في الناس لا يعرض لها احد وقال ابو الدردا ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله. وعن عايشة رضي الله عنها قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا ابا بكر لعانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر يوميذ بعض رقيقه وجا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود فقال عليه السلام ان اللعانين لا يكونوا شفعا ولا شهدا يوم القيمة وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال عليه السلام يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله سبحانه وذلك غير جايز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله سبحانه وهي الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين لعنة الله على الكاذبين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله سبحانه بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله سبحانه ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلاث الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحد على ثلاث مراتب **الاولى** اللعن بالوصف الاعم كقوله لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة **والثاني** اللعن باوصاف اخص منها كقوله لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والخوارج والروافض او على الزناة والظلمة واكلي الربا وكل ذلك جايز ولكن في لعن اصناف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامض فما لم يرد فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا **والثالث** اللعن لشخص واحد معين وهذا فيه نظر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا فيجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هولاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر لانه ربما يسلم فيكون مقربا عند الله سبحانه فكيف يحكم بكونه ملعونا **فان قلت** يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سوال الكفر وهو في نفسه كفر بل الجايز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق او في زيد المبتدع

اولى ولعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب عن الاعيان الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه يجوز ان
يعلم من يموت على الكفر ولذلك كان يقول في دعايه اللهم عليك ابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا
من الكفار ببدر حتى ان من لم تعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عن ذلك اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بير معونة
في قنوته شهرا فنزل قوله سبحانه ليس لك من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم يعني انهم ربما يتوبون فمن اين تعلم
انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز
كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطايف فقال هذا قبر رجل كان
عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص بن وايل فغضب ابنه عمرو وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان
اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال عليه السلام
اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابنا للابا
فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر مرات وحد مرات في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعض اصحابه
لعنه الله ما اكثر ما يوتى به فقال عليه السلام لا تكن عونا للشيطان على اخيك ونهاه عن ذلك فهذا يدل
على ان لعنة فاسق معين غير جايز وعلى الجملة في لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعنة
ابليس فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعنة يزيد لكونه قاتل حسين او امرا به قلنا هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان
يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال
قتل ابن ملجم عليا رضي الله عنه وقتل ابو لولوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى مسلم
بكبيرة بفسق او كفر من غير تحقيق قال عليه السلام لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم
يكن صاحبه كذلك وقال عليه السلام ما شهد رجل على رجل بكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان
لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه انه يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان
مخطيا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا
والتعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت على عايشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت
رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا
وقال ايضا لا تسبوا الاموات فتوذوا الاحيا وقال ايضا ايها الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري
ولا تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل حسين لعنه الله او الامر
بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل حسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة
فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان
يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر واذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت
خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم
دون الاشخاص المعينين والاشتغال بذكر الله اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابراهيم كنا عند
ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابا عون انما نذكره
لما ارتكبه منك فقال ابن عون انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيمة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان
يخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان يخرج لعنه الله وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال
اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المومن
يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد ان روى هذا لو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة قال كان
يقال من لعن مومنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن
الدعا على الانسان بالشر حتى الدعا على الظالم كقول الانسان لا اصح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري
مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضله يوم
القيمة **الافة التاسعة** وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغنا وما يحل فلا نعيد

واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال عليه السلام لان يمتلي بطن احدكم قيحا حتى يريه
خير من ان يمتلي شعرا وعن مسروق انه سيل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسيل
بعضهم عن شي من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام
اذا لم يكن فيه كلام مكروه وقال عليه السلام ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد
يدخلها الكذب وقد امر عليه السلام حسانا بهجو الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب
كقول الشاعر ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سايله فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخا فان لم
يكن صاحبه سخيا كان كذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشد بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اشعار ولو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منه قالت عايشة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت اغزل فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل جبينه يعرق
وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر الي فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل
عرقك يتولد نورا فلو راك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول يا عايشة ابو كبير الهذلي فقلت يقول
ومبرا من كل غبر حيضة وفساد مرضعة ودا مغيل واذا نظرت الى اسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل
قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يديه وقام الي فقبل ما بين عيني وقال جزاك الله يا عايشة خيرا
ما سررت مني كسروري منك ولما قسم الغنايم امر للعباس بن مرداس باربع قلايص فاندفع يشكو في شعر له
وفي اخره وما كان حصن ولا حابس يسودان مرداس في مجمع وما كنت دون امري منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال عليه السلام اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار له مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقول في الشعر فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي يا رسول الله اني لاجد
للشعر دبيبا على لساني مثل دبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم عليه السلام وقال
لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين **الافة العاشرة المزاح** واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا
يستثنى منه قال عليه السلام لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة ايذا لان فيها تكذيبا للاخ والصديق
او تجهيلا واما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيبة قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه والمداومة
عليه اما المداومة فلانها اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة واما الافراط فيه
فانه يورث كثرة الضحك وكثرته تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو
عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ومثله عليه
السلام يقدر على ان يمازح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان
وقد قال عليه السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساه يهوي بها في النار ابعد من الثريا وقال عمر
رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شي عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن
كثر سقطه قل حياوه ومن قل حياوه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الاخرة
وقال عليه السلام لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد
النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قال فما روي ضاحكا حتى مات وقال يوسف
ابن اسباط اقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل ان عطا السلمي لم يضحك اربعين سنة ونظر وهيب بن الورد
الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هولاء قوم غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر لهم فما هذا
فعل الخايفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول لنفسه اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال
ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رايت رجلا في الجنة يبكي الست
تعجب من بكايه قال بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ما يصير هو اعجب منه فهذه افة الضحك والمذموم
منه ان يستغرق ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع فيه الصوت لذلك كان ضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال القسم مولى معوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب

فسلم وجعل كلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يساله يعرب به وجعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه فيفعل ذلك مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد وقصه فقتله فقال نعم وافواههم ملاى من دمه. واما اذا ادى المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به. وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي لا تمازح الصبيان فتهون عليهم. وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترئ عليك. وقال عمر ابن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والممازحة فانها تورث الضغينة وتجر الى القبيحة تحدثوا بالقران وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق وقيل لكل شي بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للبها ومقطعة للاصدقا. فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه فنقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور مع الزنوج ابدا لينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لعايشة رضي الله عنها في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطا اذ من الصغاير ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا. نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا. وقال عطا ان رجلا سال ابن عباس فقال اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال انه عليه السلام كسا ذات يوم امراة من نسائه ثوبا واسعا فقال البسيه واحمدي الله وجري منه ذيلا كذيل العروس. وروى انس انه عليه السلام كان من افكه الناس. وروى انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله سبحانه انا انشاناهن انشا فجعلناهن ابكارا عربا اترابا. وروي زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جات الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال ومن هو اهو الذي بعينيه بياض فقالت والله ما بعينيه بياض فقال ان بعينيه بياضا فقالت لا والله فقال ما من احد الا بعينيه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة. وجاءت امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال احملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال وهل من بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح بذلك. وقال انس كان لابي طلحة ابن يقال له ابو عمير وكان عليه السلام ياتيهم فيقول ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به وهو ولد العصفور. وقالت عايشة خرجت معه عليه السلام في غزوة بدر فقال تعالي حتى اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه فاستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جا يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية قد بعثني ابي بشي فقال اعطينيه فابيت وسعيت فسعى على اثري فلم يدركني. وقالت سابقني فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك. وقالت رضي الله عنها كان عندي عليه السلام وسودة فصنعت حريرة وجيت بها فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلن او لالطخن وجهك فقالت ما انا بذايقته فاخذت من الصحفة شيا فلطخت وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيا فمسحت به وجهي وجعل عليه السلام يضحك. وروي ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له ان عندي امراتين احسن من هذه الحميرا افلا انزل لك عن احداهما فتتزوجها وعايشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت اهي احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم فضحك عليه السلام من جواب عايشة اياه لانه كان دميما. وروى علقمة عن ابي سلمة انه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسين بن علي رضي الله عنهما فيرى الصبي لسانه فيهش له. وقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن عندي الابن رجلا قد تزوج وبقل وجهه وما رايته قط فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم. واكثر هذه المطايبات منقولة عنه عليه السلام مع النسا والصبيان وكان ذلك معالجة منه لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل. وقال عليه السلام لصهيب وبه رمد وهو ياكل تمرا اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالشق الاخر فتبسم عليه السلام قال بعض الرواة حتى نظرت

الى

الى نواجذه. وروى ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى لحاجته ثم طلع عليه فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال وكنت بعد ذلك افر منه كلما رايته حيا منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت افر منه حتى لحقني وهو على حمار وقد جعل رجليه من شق واحد فقال ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال قلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله. وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيوتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعليه ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال عليه السلام لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة عسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جا بها الى النبي عليه السلام ويقول هذا اهديته لك فاذا جا صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جا به الى النبي عليه السلام ويقول يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول او لم تهده لنا فيقول والله يا رسول الله انه لم يكن عندي ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب.

الافة الحادية عشر

السخرية والاستهزا وهذا محرم مهما كان موذيا قال الله سبحانه لا يسخر قوم من قوم الاية ومعنى السخرية الاستحقار والا والتنبيه على العيوب والنقايص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايما واذا كان بحضرة المستهزا به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عايشة حكيت انسانا فقال النبي عليه السلام ما احب اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا. وقال ابن عباس في قوله سبحانه ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزا بالمومن والكبيرة القهقهة بذلك وهو اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرايم والذنوب. وعن عبد الله بن زمعة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك احدكم مما يفعل. وقال عليه السلام ان المستهزيين بالناس ليفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجي بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فلا يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما ياتيه. وقال معاذ ابن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله سبحانه عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا تستحقره استصغارا ولعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتاذى به فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح بان يسخر به كانت السخرية في حقه من جملة المزح وقد سبق القول فيما يذم منه وما يمدح وانما المحرم منه استصغار يتاذى به المستهزا به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط فيه ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جملة ذلك من السخرية المنهي عنها.

الافة الثانية عشر

وهو منهي عنه لما فيه من الايذا والتهاون بحق المعارف والاصدقا قال عليه السلام اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهو امانة وقال مطلقا الحديث بينكم امانة. وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك. وروي ان معوية اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابت ان امير المومنين اسر الي حديثا وما اراه يطوي عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال قلت يا ابت وان هذا ليدخل بين الرجل وابنه قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر قال فاتيت معوية فاخبرته فقال يا وليد اعتقك اخي من رق الخطا فافشا السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولوم ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب اداب الصحبة فلا نعيده.

الافة الثالثة عشر الوعد الكاذب

فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفا فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال الله سبحانه يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود. وقال عليه السلام العدة عطية. وقال الولي مثل الدين وافضل والولي الوعد وقد اثنى الله سبحانه على نبيه اسمعيل فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا

بنيا فقال انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمرو
الوفاة قال انه كان خطب الي ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق اشهدوا
اني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن ابي الحمسا قال بايعت النبي عليه السلام توعدته ان اتيه بها في مكانه ذلك فنسيت
يومي والغد فاتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك وقيل لابرهيم
الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجي قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلاة التي تجي وكان عليه السلام اذا وعد
وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شا الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا
بد من الوفا الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا من النفاق قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا
اوتمن خان وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق ومن كانت فيه خلة منهن
كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على
من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفا من غير عذر فاما من عزم على الوفا وعن له عذر منعه من الوفا لم يكن منافقا
وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه
معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي انه عليه السلام وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتي بثلاثة من السبي فاعطى
اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة تطلب منه خادما وهي تقول الا ترى اثر الرحا بيدي فذكر موعده
لابي الهيثم فاثر بها على فاطمة لما سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحا بيدها الضعيفة ولقد كان عليه
السلام جالسا يقسم غنايم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال
صدقت فاحكم بما شئت فقال احكم بثمانين ضانية وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي لك ولقد احكمت
يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت احزم منك واجزل حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمي
على ان تردني شابة وادخل معك الجنة قال فكان الناس يضعفون ما احتكمه حتى جعل مثلا فقيل اشح من صاحب
الثمانين والراعي وقد قال عليه السلام ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ اخر اذا وعد
الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه

الافة الرابعة عشر

وهو من قبايح الذنوب
وفواحش العيوب قال اسمعيل بن اوسط سمعت ابا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع
الفجور وهما في النار وقال ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من ابواب النفاق وقال الحسن
كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب
وقال صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق وانت له به كاذب وقال ابن مسعود
قال صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر عليه السلام برجلين
يتبايعان شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الاخر والله لا ازيدك على كذا وكذا
فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما الاثم والكفارة وقال عليه السلام الكذب ينقص الرزق
وقال عليه السلام ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله قد احل الله البيع قال نعم ولكنهم يحلفون ويأثمون
ويحدثون فيكذبون وقال عليه السلام ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته
والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال عليه السلام ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل
جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يحبهم الله
رجل كان في فية فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه وعلى اصحابه ورجل كان له جار سوء يوذيه فصبر على اذاه
حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان مع قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض
فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤهم الله التاجر او البياع الحلاف والفقير المختال
والبخيل المنان وقال عليه السلام ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال عليه السلام

رايت كان رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قايم والاخر جالس بيد القايم كلوب من حديد
يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الاخر فيمده فاذا مده رجع الاخر كما كان فقلت
للذي اقامني ما هذا قال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد انه سال النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا نبي الله هل يزني المومن قال قد يكون ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المومن فقال لا ثم اتبعها هذه الكلمة
انما يفتري الكذب الذين لا يومنون وقال ابو سعيد سمعته عليه السلام يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق
وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال عليه السلام ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب
اليم شيخ زان وملك كذاب وعايل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا
وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال لاعطيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة وقال عليه السلام لو افاء الله علي نعما عدد
هذا الحصا لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا وقال عليه السلام وكان متكيا الا انبيكم
باكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبلوا الي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي قال اذا حدث احدكم فلا يكذب
واذا وعد فلا يخلف واذا اوتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال عليه
السلام ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا اما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم
وخطب عمر بن الخطاب بالجابية فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي
ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال عليه
السلام من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال من حدث عني حديثا يرى انه كاذب فهو
احد الكاذبين وقال عليه السلام من حلف على يمين اثما ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه
غضبان وروي انه عليه السلام رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال عليه السلام كل خصلة يطبع او يطوى
عليها المومن الا الخيانة والكذب وقالت عايشة رضي الله عنها ما كان من خلق اشد عند اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب
فما ينجلي من صدره حتى يعلم انه قد احدث لله توبة وقال موسى عليه السلام يا رب اي عبادك خير عملا قال
من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمان لابنه اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور
عما قليل يقلاه صاحبه وقال عليه السلام في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من
الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال ابو بكر رضي الله عنه في خطبته بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله مقامي هذا عام اول ثم بكى فقال عليكم بالصدق فانه مع
البر وهما في الجنة وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله واداء الامانة
ووفا بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح **واما الاثار** فقد قال علي رضي الله عنه اعظم الخطايا
عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت
علي ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا
فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن ميمون بن ابي شبيب قال جلست اكتب
كتابا فمررت بحرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنادى مناد من جانب البيت
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في
النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة وقيل لخالد بن صبيح
من يكذب كذبة واحدة هل يسمى كاذبا قال نعم وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ما من خطيب الا وتعرض
خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال

ايضا الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه ۞ وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شي فقال له كذبت فقال له عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه **بيان ما يرخص فيه من الكذب** اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشي على خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة والكذب يحصل لذلك الجهل فيكون مادونا فيه وربما كان واجبا ۞ قال ميمون بن مهران ان الكذب في الموضع خير ارايت لو ان رجلا سعى واخر وراه بالسيف ودخل دارا فانتهى طالبه (بعض) اليك فقال ارايت فلانا ما كنت قايلا الا لست اقول لم اره وما يصدق هذا الكذب واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان دم المسلم واجب مهما كان في الصدق (بعصمة) سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب او اصلاح ذات البين واستمالة قلب المجني عليه الا بالكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز منه ما امكن لانه اذا فتح باب الكذب يخشى ان يتداعا به ذلك الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر فيه على حد الضرورة فكان الكذب في الاصل حرام الا لضرورة والذي يدل على الاستثنا ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شي من الكذب الا في ثلاث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها حديث ۞ وقالت ايضا قال عليه السلام ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ۞ وقالت اسما بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل كذب بين اثنين ليصلح بينهما ۞ وروي عن ابي كاهل انه قال وقع بين رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثنا ولقيت الاخر فقلت مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو يعني الكذب ۞ وقال عطا بن يسار قال رجل للنبي عليه السلام اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك ۞ ويروى ان ابن ابي عذرة الدولي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلع النسا اللتي يتزوج بهن فطار له في الناس من ذلك احدوثة يكرهها فلما علم بذلك قام بعبد الله بن الارقم حتى ادخله بيته فقال لامراته انشدك الله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك الله قالت نعم فقال لابن الارقم اتسمع ثم انطلقا الى عمر فقال انكم لتحدثون اني اظلم النسا واخلعهن فسال ابن الارقم فاخبره فارسل الى امراة ابن ابي عذرة فجات هي وعمتها فقال انت التي تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت اني اول من تاب وراجع امر الله انه ناشدني فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المومنين قال نعم فاكذبي وان كانت احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت التي تبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب ۞ وعن ابن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين فيصلح بينهم او يحدث امراته يرضيها (شحنا) ۞ وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم او دفع عنه ضرر ۞ وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله فلان اخر من السما احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه ثلاث ورد فيها صريح الاستثنا وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له او لغيره اما ما له فمثل ان ياخذه ظالم ويساله عن ماله فله ان ينكره او ياخذه سلطان فيساله عن فاحشة بينه وبين الله سبحانه ارتكبها فله ان ينكرها ويقول ما زنيت ولا سرقت ۞ وقال عليه السلام من ارتكب شيا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى فللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يوخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يساله عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسايه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه او كانت امراته لا تطيعه الا بوعد ما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها (من الاخرى) او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد فيه ان الكذب محظور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محظور فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزنهما بالميزان القسط فاذا علم ان المحظور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود

الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيهما فالميل حينئذ الى الصدق اولى لان الكذب يباح لضرورة او حاجة مهمة فاذا شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فليرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب مهما امكنه ذلك ومهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا يجوز المسامحة بحق الغير والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هي لزيادات المال والجاه ولامور ليس فواتها محظورا حتى ان المراة لتحكي عن زوجها ما تتفاخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسما سمعت امراة تسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل اضارها بذلك فهل لي فيه شي قال المتشبع بما لا يعط كلابس ثوبي زور ۞ وقال عليه السلام من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له وقال اعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه ورواية الحديث الذي لم يتثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق بالنسا الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد وتخويف كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح قد يكتب ايضا ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفا عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغنى عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا والحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما يودي الى سفك دم وارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضايل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطا محض اذ قال صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار وهذا لا يترك الا لضرورة ولا ضرورة ههنا اذ في الصدق مندوحة عن الكذب فيما ورد من الايات والاخبار لغاية عن غيرهما وقول القايل ان ذلك تكرر على الاسماع فسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم وهذا هوس اذ ما هذا من الاغراض التي تقاوم محظور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله سبحانه ويودي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا فالكذب على رسول الله من الكباير التي لا يقاومها شي ۞

بيان الحذر عن الكذب بالمعاريض وقد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه اما في المعاريض ما يكفي الرجل من الكذب وروي ذلك عن ابن عباس وغيره وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض فقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله ۞ وقال ابرهيم اذا بلغ الرجل عنك شي فكرهت ان تكذب فقل ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شي فيكون قولك ما حرف نفي عند المستمع وعندك للابهام وكان معاذ عاملا لعمر فلما رجع قالت امراته ما جيت به مما ياتي به العمال من هدية الى اهلهم وما كان قد جا بشي فقال كان معي ضاغط فقالت كنت امينا عند رسول الله وابي بكر فبعث معك عمر ضاغطا فقامت بذلك في نسايها واشتكت عمر فلما سمع عمر ذلك دعا معاذا فقال ابعثت معك ضاغطا فقال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيا فقال ارضها به وقوله ضاغطا يعني به ربه سبحانه وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك كذا بل يقول ارايت لو اشتريت لك فانه ربما لا يتفق وكان ابرهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس ههنا كي لا يكون كاذبا ۞ وكان الشعبي اذا طلبه من يكرهه وهو في البيت خط دايرة ويقول للجارية ضعي اصبعك فيها وقولي ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم الكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساك امير المومنين فكنت اقول جزا الله امير المومنين خيرا فقال لي ابي يا بني اتق الله اياك والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقرير للوهم على الكذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل ولا فايدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله عليه السلام لا يدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض ونحملك على ابن البعير ۞ فاما الكذب الصريح كما فعله

نعيمان الأنصاري مع عثمان في قصة الضرير إذ قال له أبو نعيمان وكما يعتاده الناس في ملاعبة الحمقى بتغريرهم بأن امرأة قد
رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر ويؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا مطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكنه
ينقص ذلك من درجة إيمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى
يجتنب الكذب في مزاحه وأما قوله عليه السلام إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوي بها في النار أبعد من الثريا أراد
به ما فيه غيبة مسلم وإيذاء قلبه دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله
قلت لك كذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة فإنه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فإن لم يكن طلبه إلا مرة
واحدة كان كاذبا وإن كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وإن لم يبلغ مائة مرة وبينهما درجات يتعرض مطلق
اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل فيه أن يقال كل الطعام فيقول لا أشتهيه وذلك منهي
عنه وهو حرام إن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة
قالت فاستحيت الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه قالت فأخذته على حياء فشربت منه ثم قال
ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء لا أشتهيه وهي
تشتهيه أيعد ذلك كذبا فقال إن الكذب ليكتب حتى يكتب الكذيب كذيبة وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل
هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن المسيب ترمصان حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو
مسحت هذا الرمص فيقول فأين قول الطبيب لا تمس عينيك فأقول لا أفعل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركها انسل
لسانه عن اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة لبني له مريضا فانكبت عليه
فقالت كيف أنت يا بني فجلس الربيع فقال أرضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخي فصدقت ومن العادة أن
يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم
وربما يكذب في حكاية المنام والإثم فيه عظيم وقال عليه السلام إن من أعظم الفرى أن يدعي الرجل إلى غير أبيه أو يري
عينه في المنام ما لم تريا أو يقول علي ما لم أقل وقال عليه السلام من كذب في حلمه كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين

الآفة الخامسة عشر الغيبة

والنظر فيها طويل فنذكر أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع
وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال ولا يغتب بعضكم بعضا إلى قوله فكرهتموه وقال
صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين الدم
والمال وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا
عباد الله إخوانا وعن جابر وأبي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا
إن الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه وقال أنس قال
عليه السلام مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء الذين
يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم وقال سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا
ينفعني الله به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تصب من دلوك في إناء المستقي وأن تلقى أخاك ببشر حسن وإذا
أدبر فلا تغتابه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال يا معشر من آمن بلسانه
ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته
يفضحه في جوف بيته وأوحى الله سبحانه إلى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة
ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم يوم وقال
لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فأذن لي لأفطر
فأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من أهلي ظلتا صائمتين وإنهما يستحيان
أن يأتياك فأذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ثم عاوده فأعرض عنه ثم قال إنهما لم يصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل
لحوم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن يستقيئا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع إلى

النبي

النبي عليه السلام فأخبره فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار وفي رواية أنه لما أعرض عنه جاءه
بعد ذلك وقال يا رسول الله إنهما والله لقد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال عليه السلام ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس
أو قدح فقال لإحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للأخرى قيئي كذلك فقال إن هاتين صامتا عما
أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس خطبنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين
زنية يزنيها الرجل وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على
قبرين يعذب صاحباهما فقال أما إنهما لا يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس وفي رواية وكان يمشي بالنميمة
وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله ودعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر فقال عليه
السلام أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم ييبسا ولما رجم عليه السلام الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه
هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر النبي عليه السلام معهما بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما
أصبتما من أخيكما أنتن من هذه وكان الصحابة يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل
الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال أبو هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه أي لحم نفسه في الآخرة
فقال له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله فيضج ويكلح وروي ذلك مرفوعا وروي أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما
رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شيء فأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فجال في أنفسهما ما قالا
فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وأمرهما إن كانا صائمين أن يقضيا صيام ذلك اليوم وعن مجاهد في
قوله سبحانه ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا أن
عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة وقال الحسن والله للغيبة أسرع فسادا
في دين المؤمن من الأكلة في جسده وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن
في الكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال أبو هريرة
يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وكان الحسن يقول يا ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة
الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فإذا فعلت ذلك كان شغلك
في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام والحواريون على جيفة
كلب فقال الحواريون ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عيسى ما أشد بياض أسنانه كأنه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم
على أنه ينبغي أن لا يذكر شيء من خلق الله إلا أحسنه وسمع علي بن الحسين رجلا يغتاب آخر فقال إياك والغيبة فإنها
إدام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء

بيان معنى الغيبة وحدها

حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه أو نسبه أو خلقه
أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه وحتى في ثوبه وفي داره ودابته أما البدن فكذكرك العمش والحول
والقرع والطول والقصر والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه وأما النسب فأن تقول
أبوه هندي أو نبطي أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو شيء مما يكرهه كيف كان وأما الخلق فأن تقول سيء
الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه وأما في أفعاله المتعلقة
بالدين فكقولك سارق وكذاب وشارب وخائن وظالم ومتهاون بالصلاة وبالزكاة ولا يحسن الركوع ولا السجود
ولا يحترز من النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكاة مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه من الرفث
والغيبة والتعرض لأعراض الناس وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك إنه قليل الأدب متهاون بالناس لا يرى لأحد
عليه حقا ويرى لنفسه حقا على الناس وإنه كثير الكلام كثير الأكل وإنه نؤوم وينام في غير وقته ويجلس في غير
موضعه وأما في ثوبه فأنه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقد قال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم ما
ذمه الله فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روي أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وكثرة صومها
وصلاتها لكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكرت امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال فما خيرها إذا وهذا فاسد لأنهم

كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم لتعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكره فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة فكل هذا وان كنت صادقا فيه فانت مغتاب عاص لربك واكل لحم اخيك بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ان تذكر اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ۞ وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال عليه السلام قد اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عايشة انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة اقسام الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله سبحانه اما الغيبة فان تقول ما فيه والبهتان ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابرهيم النخعي ولم يقل الاعور وقالت عايشة رضي الله عنها لا يغتابن منكم احد احدا فاني قلت لامراة مرة وانا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت مضغة من لحم

بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض في ذلك كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايما والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قول عايشة رضي الله عنها دخلت علينا امراة فلما ولت اومات بيدي اي قصيرة فقال عليه السلام قد اغتبتها ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في الضرر ولانه اعظم من التصوير والتفهيم ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة حكت قال ما يسرني اني حاكيت ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شي من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي بيانه ۞ واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي واما ميت ومن الغيبة ان تقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رايناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور ما يحصل به التفهيم فاما اذا لم يفهم عنه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان شيا قال ما بال اقوام يقولون كذا وكذا وكان لا يعين فقولك بعض من قدم من السفر او بعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة يفهم عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القرا المرايين فانهم يفهمون المقصود على طريقة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الريا والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحيا فنسال الله ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعا وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادة ولكن اعتراه فتور وابتلي بما نبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره وان يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرايا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو بجهله يظن انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ولذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر بهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول يا سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي الى المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر الله ويستعمل اسمه الة له في تحقيق خبثه وهو يمن على الله بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول لقد ساني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف فنسال الله ان يروح سره ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعا بل لو قصد الدعا لاخفاه في خلوة عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بافة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعا والله سبحانه مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو بجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت الله اعظم مما تعرض الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغا الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها فكانه

تستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجبت ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الان الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلايه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال عليه السلام المستمع احد المغتابين فقد روي عن ابي بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه فلان نووم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم لياكلاه مع الخبز فقال عليه السلام قد ايتدمتما فقالا لا ما نعلمه فقال بلى انكما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وقد كان القايل احدهما والاخر المستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا ان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام اخر فلم يفعل لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال عليه السلام من اذل عنده مومن وهو يقدر على ان ينصره اذله الله يوم القيمة على روس الخلايق وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيمة وقال عليه السلام من ذب عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم بالغيبة وفي فضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب اداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بالاعادة

بيان الاسباب الباعثة على الغيبة

اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد في حق العامة وثلاثة تختص باهل الدين والخاصة اما الثمانية **فالاول** تشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن دين وازع وقد يمتنع من تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغيظ في الباطن ويصير حقدا ثابتا فيكون سببا دايما لذكر المساوي والحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة **الثاني** موافقة الاقران ومجاملة الرفقا ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انها مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاوه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر المساوي والعيوب فيهلك **الثالث** ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت **الرابع** ان ينسب الى شي فيريد ان يتبرا منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبري نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله **الخامس** ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك **السادس** الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثنا عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثنا الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق **السابع** اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب **الثامن** السخرية والاستهزا استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور ويجري ايضا في الغيبة ومنشاه التكبر واستصغار المستهزا به واما الاسباب الثلاثة التي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور خباها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر **الاولى** ان تنبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر والخطا في الدين فيقول ما اعجب ما رايت من فلان فانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في ذكر تعجبه

فصار به مغتابا من حيث لا يدري وأيما ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل الثاني الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذلك تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري والتعجب والترحم يمكن بدون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه الثالث الغضب فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فإنهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي روي عن عامر بن واثلة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا لله فقال أهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لنعلمنه قم يا فلان رجل منهم فأدركه فأخبره بما قال فأدركه رسوله فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قاله وسأله أن يدعوه فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك فقال عليه السلام لم تبغضه فقال أنا جاره وأنا به خبير والله ما رأيته يصلي قط إلا هذه المكتوبة قال فسله يا رسول الله هل رآني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع والسجود فسأله فقال لا قال والله ما رأيته قط يعطي سائلا ولا مسكينا ولا رأيته ينفق من ماله شيئا في سبيل الخير إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله هل رآني نقصت شيئا أو ماكست فيها طالبها الذي يسألها فسأله فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك

بيان الأسباب الباعثة على الغيبة

(في الحاشية بالحمرة: بيان العلاج الذي يمنع)

اعلم أن مساوي الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله سبحانه بغيبته بهذه الأخبار التي رويناها وأن يعلم أنها تحبط حسناته فإنه تنقل في القيمة حسناته إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فإن لم يكن له حسنات نقل إليه من سيئاته وهو مع ذلك متعرض لمقت الله سبحانه ومشبه عنده بآكل الميتة وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن يغتابه فيحصل الرجحان ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات أن ينقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال عليه السلام ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي أن رجلا قال للحسن بلغني أنك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي فمهما آمن العبد بما وردت به الأخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله عليه السلام طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي أن يستحي أن يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يعلم أن عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه إن كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وإن كان طبعا فالذم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم الصانع لها قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح فقال ما كان خلق وجهي إلي فأحسنه وإن لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله سبحانه ولا يلوث نفسه بأعظم العيوب فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له وإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية وأما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فإن علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الأسباب أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول إن أمضيت غضبي لعل الله يمضي غضبه علي بسبب الغيبة إذ نهاني عنها فاستجرأت على نهيه واستخففت زجره وقد قال عليه السلام إن لجهنم بابا لا يدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله وقال من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيمة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء وفي بعض كتب الله يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق وأما الموافقة فبأن تعلم أن الله سبحانه يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك

فترك

فتترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله وذلك لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رفقائك إذا ذكروه بالسوء فإنهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهي الغيبة وأما تنزيه النفس بنسبة الخيانة إلى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوقين وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة أو تخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله لك نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان وأما عذرك كقولك إني إن أكلت الحرام ففلان يأكله وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فإن من خالف أمر الله سبحانه لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك فما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت منه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر إلى المعز تردى نفسها من الجبل فهي أيضا تردي نفسها ولو كان لها لسان ناطق وصرحت بالعذر وقالت المعز أكيس مني وقد أهلكت نفسها فكذلك أفعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبغي أن تعلم أنك بما ذكرته أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الله يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنوا عنك من الله شيئا وأما الغيبة للحسد فهو جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت إليه عذابا في الآخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك أيضا خاسرا في الآخرة لتجمع لنفسك بين النكالين فقد قصدت محسودا فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذن أنت صديقه لا حسوده وعدو نفسك إذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه إذ تنقل الله إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته ولا ينفعك فقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل وإذا أراد الله نشر فضيلة أتاح لها لسان حسود وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حسرتك وحيائك وخجلك وخزيك يوم القيمة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فإنك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك بأن يأخذ بيدك يوم القيمة على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار إلى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك مسرورا بنصرة الله إياه وتسليطه على الانتقام منك وأما الرحمة له على إثمه فهو حسن ولكن حسدك إبليس فاستنطقك بما تنقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فهو جبر لإثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب أنت مستحقا لأن تكون مرحوما إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة فإنما حبب إليك الشيطان الغيبة ليحبط أجر غضبك ويصير معرضا لغضب الله بالغيبة وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فينبغي أن تتعجب من نفسك أنك كيف أهلكت دينك بدين غيرك أو بدنياه وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر أخيك فإذا علاج ذلك المعرفة فقط والتحقيق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوي إيمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة

(في الحاشية: جميع)

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول وكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك أن تحدث نفسك بذلك وتسيء الظن بأخيك ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنها بل الشك أيضا معفو عنه ولكن المنهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن النفس إليه ويميل إليه القلب وقد قال الله سبحانه اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم وسبب تحريمه أن أسرار القلب لا يعلمها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءا إلا إذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التأويل فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فإنما الشيطان يلقيه إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال سبحانه يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا الآية فلا يجوز تصديق إبليس وإن كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن يصدق به وإن كان يتصور أن يصدق الفاسق في خبره حتى إن من استنكهه فوجد فيه رائحة الخمر لا يجوز أن يحد إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض به ومجه

وما سريرته او حمل عليه قهرا فكل دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقد قال عليه السلام ان الله حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بيقين مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم يكن ذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان فان ما رايته منه يحتمل الخير والشر **فان قلت** فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث **فاقول** امارة عقد الظن ان يتغير القلب عليه عما كان فينفر عنه نفورا ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال عليه السلام ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته وعلته فاما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بواحد وتسيء بالاخر نعم ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه وقد رد الشرع شهادة الاب العدل للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك ان تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور كان حاله عندي في ستر من الله سبحانه وكان امره محجوبا وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق وان كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الناس ومهما خطر لك خاطر سوء فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستصغار وترتفع عنه بدالة الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه لذلك من غير نصحك احب اليك من تركه له بنصيحتك واذا انت فعلت ذلك فقد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهذا ايضا منهي عنه قال سبحانه ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عن جميعها في اية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك كان اسلم لقلبك ولدينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن التجسس وحقيقته

بيان الاعذار المرخصة في الغيبة

اعلم ان المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع اثم الغيبة وهي ستة امور **الاول** التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به وقد قال عليه السلام لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته **الثاني** الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة فسلم عليه فلم يرد فذهب الى ابي بكر وذكر له ذلك فجاء ابو بكر اليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم ولذلك لما ذكر لعمر ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الاية فتاب ولم ير عمر ممن قاله غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباحة ذلك بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما **الثالث** الاستفتاء كما يقول للمفتي قد ظلمني ابي او اخي او زوجتي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او اخوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا العذر لما روي عن هند انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح

لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي افاخذ من غير علمه فقال لها خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله اذ كان قصدها الاستفتاء **الرابع** تحذير المسلمين من الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له عن بدعته او فسقه مهما كان الباعث لك الخوف على سراية البدعة او الفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او الفسق او بعيب اخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضررا وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن ان علم مطعنا وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة فان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح ذلك فهو الواجب وان علم انه لا يترك الا بالتصريح بالعيب فله ان يصرح به قال عليه السلام اترعوون عن ذكر الفاجر حتى تعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه **الخامس** ان يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول ذلك روى ابو الزناد عن الاعرج وسليمان عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل ذلك العلماء لضرورة التعريف ولانه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص **السادس** ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من ان يذكر به ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكر منه ما يتظاهر به فلا اثم قال عليه السلام من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر بن الخطاب ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر المعلن بفجوره دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له قال لا غيبة له ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق والامام الجائر وهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج

بيان كفارة الغيبة

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتاسف على ما فعله ليخرج من حق الله سبحانه ثم يستحل من المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متاسف نادم على ما فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما احتج في ذلك بما روى انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الغيبة فقال تمشي الى صاحبك فتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسات فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف وثبتت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحلها منه قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته وقالت عائشة لامراة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتها فاستحليها فلا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات **فان قلت** فالتحليل هل يجب **فاقول** لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف لا يحلل الظالم قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال

اني لم احرمها عليه فاحللها ان الله سبحانه حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله تعالى ابدا ، **فان قلت** فما معنى قوله عليه السلام ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرم الله غير ممكن **فنقول** المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل في الغيبة فانه لا يجوز له ان يحل لغيره **فان قلت** فما معنى قوله عليه السلام ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اني تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق به وان تصدق به فهل يباح تناوله ان كان لا ينفذ صدقته فما معنى الحث عليه **فاقول** معناه اني لا اطلب مظلمة في القيامة منه ولا اخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالا له ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم وان رجع وخاصم كان قياس سائر الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا جثت الامم بين يدي الله سبحانه يوم القيمة نودوا ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا في دنياه من مظلمة في الدنيا وقد قال الله تعالى خذ العفو الاية فقال رسول الله يا جبريل ما هذا قال ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك ، وقد روي عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا عليه رطب وقال بلغني انك قد اهديت الى حسناتك فاردت ان اكافيك عليها واني لا اقدر ان اكافيك على التمام

الآفة السادسة عشر

[في الهامش: النميمة]

وقد قال سبحانه هماز مشاء بنميم الى قوله عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك هو ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث واشار به الى كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة يدل على انه ولد زنا استنباطا من قوله سبحانه عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي ، وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة الهمزة النمام وقال حمالة الحطب كانت نمامة للحديث ، وقال سبحانه فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قال كانت امراة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح تخبر انه مجنون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام ، وفي حديث اخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات ، وقال عليه السلام الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب ، وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله في النار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال عليه السلام ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بري ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله ان يذيبه بها يوم القيمة في النار ، وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم شهادة ليس لها باهل فليتبوا مقعده من النار ، ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم لم يف به ، وروى كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى مرات فما اجيب فاوحى الله اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا ، ويقال اتبع رجل حكيما سبع مائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي اتاك الله من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه قال البهتان على البري اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم

بيان حد النميمة وما يجب في ردها

اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما يقول فلان يتكلم فيكم بكذا وكذا وليست النميمة مخصوصة به بل حد النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول

او بالكتابة او بالرمز او بالايماء وسواء كان المنقول من الاقوال او من الاعمال وسواء كان عيبا او نقصا على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا فيما في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا راى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود له فاما اذا راه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصا او عيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة والباعث على النميمة اما ارادة السوء للمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث او الخوض في الفضول وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا او فعل فيك كذا وكذا او هو يدبر في افساد امرك او في ممالاة عدوك او تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور **الاول** ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله سبحانه يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة **الثاني** ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له ما فعله قال سبحانه وامر بالمعروف وانه عن المنكر **الثالث** ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله **الرابع** ان لا تظن باخيك الغائب السوء لقوله سبحانه اجتنبوا كثيرا من الظن **الخامس** ان لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتحقق ذلك لقوله سبحانه ولا تجسسوا **السادس** ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت ما عنه نهيت ، وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الاية ان جاءكم فاسق بنبا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الاية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا ، وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطات عن الزيارة واتيتني بثلاث جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة ، وروي ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي اخبرني صادق فقال الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت اذهب بسلام ، وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذه اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن سعى في قطع ما امر الله به ان يوصل ، قال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم ، وقال عليه السلام ان من شرار امتي من اتقاه الناس لشره والنمام منهم ، وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل هو القاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم ، وروي عن علي رضي الله عنه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال اقلني يا امير المؤمنين ، وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المؤمن اوضع له فقال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول كلام كل احد ، وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا اقطع عنك الوصال ، وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنك بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس الا منهم ، وقال مصعب بن الزبير نحن نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقا لكان في صدقه اثما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال عليه السلام الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال ، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستاذن في الكلام فقال اني مكلمك يا امير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال قل فقال يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصغ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يالوا في الامة خسفا والامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤول عما اجترموا وليسوا مسؤولين عما اجترمت فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس غبنا بائع اخرته بدنيا غيره

وسعى رجل بزياد بن زياد الاعجمي الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل وقال
وانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا فخنت واما قلت قولا بلا علم فانت من الامر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم
وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله ان الاسواري ما زال يذكرك بسوء في قصصه فقال له عمر ما رعيت حق مجالسة
الرجل حين نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حين ابلغتني عن اخي ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والله تعالى يحكم بيننا
وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب على ظهرها
السعاية قبيحة وان كانت صحيحة الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان لابنه يا بني
اوصيك بخلال ان تمسكت بها لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك
وصل اقاربك وامنهم من قبول قول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك
لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم
لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة
فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا فقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت
فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من
قفاه عند نومه شعرات حتى اسحره لك فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف
فتناوم فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تقتله فقام فقتلها فجاء اولياؤها فقتلوه ووقع القتال بين القبيلتين وطال الامر

الآفة السابعة عشر كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقل ما يخلو عنه من
يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق وقال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا
كان له لسانان في النار يوم القيمة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم
القيامة ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء وفي لفظ اخر الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء
بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله وقال مالك بن دينار قرات في التوراة بطلت الامانة
والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال رسول الله صلى الله عليه
ابغض خليقة الله اليه يوم القيمة الكذابون المستكبرون والذين يكنزون البغضاء لاخوانهم في صدورهم واذا لقوهم تملقوا
لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا
يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات
كثيرة وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له
عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله ولا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم فقال انشدك الله انا منهم ام لا
فقال اللهم لا ولا آمن منها احدا بعدك **فان قلت** فبماذا يصير ذا اللسانين وما حد ذلك فاقول
اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا اللسانين فان الواحد قد يصادق
متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرناه في
كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد الى الاخر فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة اذ يصير نماما بان
ينقل من احد الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين جميعا فهو شر من النمام وان لم ينقل كلاما ولكن
حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهو ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بانه ينصره
وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين
ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره
قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير
وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه
وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو فاسق و
هذا معنى قوله عليه السلام حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء

ومراعاتهم

ومراعاتهم ومراآتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء
انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضي الله عنها استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل الان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم النت له
القول فقال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن ورد هذا في الاقبال وفي الكشر والتبسم فاما الثناء
فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا
تحريك الراس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر بلسانه وبقلبه فان لم يقدر فليسكت
بلسانه وينكر بقلبه

الآفة الثامنة عشر المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة
والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح واثنتان في الممدوح فاما المادح فانه قد يفرط
فينتهي به الافراط الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او احدا بما ليس فيه على رؤوس الاشهاد بعثه الله يوم القيمة
يتعثر بلسانه **الثانية** انه قد يدخله الريا فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما
يقوله فيصير به مرائيا منافقا **الثالثة** انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي ان
رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح
ثم قال ان كان لا بد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه
كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد
وخير وما يجري مجراه اما اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله
انه عدل رضا فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنة سمع عمر رجلا يثني على رجل فقال
اسافرت معه قال لا قال اخالطته في المعاملة قال لا قال اخالطته في المبايعة قال لا قال فانت جاره تعرف
صباحه ومساه قال لا قال والله الذي لا اله الا هو لا تعرفه **الرابعة** انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق
وذلك غير جائز قال عليه السلام ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بالبقاء فقد احب
ان يعصى الله فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره المدح من وجهين **احدهما**
انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن كان عمر قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود
فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك
يا امير المؤمنين فقال ما لي ولك اما قد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان
اطاطئ منك **الثاني** انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه
قل تشميره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا اطلقت الالسن بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال
عليه السلام قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح وقال عليه السلام اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على
حلقه الموسى وقال ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء او مدحة الا تصاغرت
الى نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع من تواضع
قال ابن المبارك لقد صدقا كلاهما اما ما ذكر زياد فذلك قلوب العوام واما ما قال مطرف فذلك قلوب الخواص وقال
عليه السلام لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح
هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور ولان المدح يورث الكبر والعجب
وهو مهلكان كالذبح ولذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس بل ربما
كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان ابي بكر بايمان
العالمين لرجح وقال في عمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه قال عن صدق وبصيرة و
كانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر قال
عليه السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصد الناس بالثناء على انفسهم وذلك
لان افتخاره كان بالله وبقربه من الله لا بكونه مقدما على ولد ادم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر

بقبوله اياه وبه يفرح لا يتقدمه على بعض رعاياه وتفصيل هذه الافات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال عليه السلام وجبت لما اثنوا على بعض الموتى ثم قال انتم شهداء الله في الارض وقال مجاهد ان لبني ادم جلساء من الملائكة فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة يا ابن ادم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله اذ ستر عورتك فهذه افات المدح

بيان ما على الممدوح

اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز من افة الكبر والعجب وافة الفتور والريا ولا ينجو منهم الا بان يعرف نفسه ويتامل في خطر الخاتمة ودقائق الريا وافات الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح واليه الاشارة بقوله عليه السلام احثوا التراب في وجوه المداحين قال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثني على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هولاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال اخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال ابو بكر رضي الله عنه لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون واثني رجل على عمر رضي الله عنه فقال اهلكتني واهلكت نفسك واثني رجل على علي رضي الله عنه في وجهه وقد بلغه انه يقع فيه فقال انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك

الافة التاسعة عشر في الغفلة عن دقائق الخطا في فحوى الكلام

لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين ولا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلما الفصحا فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله سبحانه يعفو عنه لجهالته

مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق بالواو تشريكا او تسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الامور فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابرهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم ان يقول اللهم اعتقنا من النار وقال العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد فقال حذيفة ان الله يغني المومنين عن شفاعة محمد ويكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابرهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيمة احمارا رايتني خلقته اخنزيرا رايتني خلقته وعن ابن عباس ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولا هو لسرقنا الليلة وقال عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم قال عمر والله ما حلفت بها منذ سمعتها وقال عليه السلام لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي امتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اما الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقل المملوك ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي كلكم عبيد والرب واحد وقال عليه السلام لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال عليه السلام من قال انا بري من الاسلام فان كان كاذبا فهو كما قال وان كان صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من افات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله عليه السلام من صمت نجا لان هذه الافات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حاجز ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين

الافة العشرون

سوال العوام عن صفات الله سبحانه وعن كلامه وعن الحروف هل هي قديمة او محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القران الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلوم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلما واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام الاشتغال

بالعبادات

العبادات والايمان بما ورد به القران والتسليم لما جات به الرسل من غير بحث وسوالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سو ادب يستحقون به المقت من الله سبحانه ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسوال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب العقوبة وكل من يسال عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال عليه السلام ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسوالهم واختلافهم على انبيائهم فما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وقال انس سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسالوني عن شي الا انباتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله انا في الجنة او في النار فقال لا بل في النار فلما راى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا عنه فقام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا فقال اجلس يا عمر يرحمك الله انك ما علمت لموفق وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وكثرة السوال واضاعة المال وقال عليه السلام يوشك الناس يتسالون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله احد حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت اية التلاعن الا لكثرة السوال وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السوال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شي فلما سال عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تواخذني بما نسيت فلما لم يصبر حتى سال ثلاثا قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسوال العوام عن غوامض الدين من اعظم الافات وهي من المثيرات للفتن فيجب زجرهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القران يضاهي اشتغال من كتب اليه الملك كتابا يرسم له فيه امورا فلم يشتغل بشي منها وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق ام حديث فيستحق به العقوبة لا محالة فكذا تضييع العامي حدود القران واشتغاله بحروفه انها قديمة او محدثة ولذلك سائر صفات الله تعالى والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبامره قامت الارض والسموات وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم افضل الصلوات وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

كتاب افة الغضب والحقد والحسد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته الا الراجون ولا يحذر سو غضبه وسطوته الا الخائفون الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن بحبهم ليعلم به صدقهم فيما يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شي مما يسرون وما يعلنون وحذرهم ان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والصلاة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون وعلى اله واصحابه الذين هم الائمة المهديون والسادة المرضيون صلاة يوازي عددها عدد كل من خلق الله وما سيكون ويحظى ببركتها الاولون والاخرون اما بعد فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها المستكنة في طي الفواد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان المنصوص عليها في القران حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان من شان الطين السكون والوقار وشان النار التلظي والاستعار والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد وموضعهما مضغة اذا صلحت صلح بها سائر الجسد واذا كان الحقد والحسد مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه فليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف

الطريق الذي به يدفع الشر ونقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وافات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان
ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب
المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر
الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول
في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال
والاقران والاخوة وبني الاعمام والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدوا الذي به ينفي مرض
الحسد عن القلب ثم بيان الدوا القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

بيان ذم الغضب

قال الله سبحانه اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين
ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المومنين بما انعم عليهم من السكينة وروى
ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا واقلل لعلي اعقله فقال لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الى لا تغضب
وعن عبد الله بن عمر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود
قال عليه السلام ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب
وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال
ابن عمر قال عليه السلام من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود عليهما السلام اياك يا بني وكثرة الغضب
فان كثرة الغضب يستخف فواد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله سبحانه وسيدا وحصورا السيد الذي لا
يغلبه الغضب وقال ابو الدردا قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام
لا تغضب فقال لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا عسى وقال عليه السلام الغضب
يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عليه السلام ما غضب احدكم الا اشفى على جهنم وقال رجل لرسول

الاثار

الله صلى الله عليه وسلم اي شي اشد قال غضب الله قال فما يبعدني منه قال لا تغضب قال
الحسن يا ابن ادم كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة تقع في النار وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملايكة فقال
علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن ادم حين يغضب فرد الغضب
بالكظم وسكنه بالتودة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطات حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا
تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا كان في صومعته فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاءه
حتى ناداه فقال افتح فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح قال الراهب
فان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جيتنا اليوم بغير ذلك
لم نقبله منك قال فقال انما هو الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطع فجيتك لتسالني عما شيت فاخبرك
قال ما اريد ان اسالك عن شي قال فولى مدبرا فقال له الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني ادم اعون
لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة يقول الشيطان وكيف
يغلبني ابن ادم واذا رضي جيت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه وقال جعفر بن محمد الغضب
مفتاح كل شر وقال بعض الحكما راس الحمق الحدة وقايده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين
ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما اعجزني فيه بنو
ادم فلن يعجزوني في ثلاث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث شينا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب
قال بما لا يعلم وعمل بما يندم عليه واذا بخل بما في يديه وتمنيه بما لا يقدر عليه وقيل
لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك
والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل
وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب

وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا
سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ رجل من قريش على عمر بن عبد
العزيز فاطرق عمر طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا لا والله لا كان ذلك ابدا اذهب
فقد عفوت عنك وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس
غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للاخرة كان حلما وعلما وقد قيل الغضب عدو العقل والغضب
غول العقل وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في خطبته افلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب وقال
بعضهم من اطاع غضبه وشهوته قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين و
ايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطا في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة
وان لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر
المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يعنف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه
منه في عنا والناس منه في رخا وقيل لعبد الله بن المبارك اجمع لنا حسن الخلق في كلمة واحدة فقال ترك الغضب وقال
نبي من الانبيا لمن معه من تكفل لي ان لا يغضب فيكون في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد
فقال الشاب انا ووفى بذلك فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي بهذا الاسم لانه تكفل ان لا يغضب
ووفى به وقال وهب بن منبه الكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

بيان حقيقة الغضب

اعلم ان الله سبحانه لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة منه انعم عليه
بما يحميه من الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه اما الاسباب الداخلة فانه ركبه من الرطوبة
والحرارة وجعل بين الرطوبة والحرارة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها حتى تصير اجزاوها
بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذا يجبر ما انحل وتبخر من اجزايها لفسد الحيوان فخلق الله الغذا
الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذا كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون
ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان
وساير المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه بدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من
النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته فمهما قصد في غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار
الغضب وثارت ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما
يرتفع الما الذي يغلي في القدر ولذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفايها تحكي لون ما وراها
من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه
فان صدر الغضب على من هو فوقه وكان معه ياس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف
القلب وصار حزنا واسفا ولذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير يشك في الانتقام منه تردد
الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب وانما توجه هذه
القوة عند ثورانها الى دفع الموذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام هو قوت هذه
القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في اول الفطرة من التفريط و
الافراط والاعتدال اما التفريط فلفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له
ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا فهو
ناقص جدا وقد وصف الله اصحاب نبيه عليه السلام بالشدة والحمية فقال اشدا على الكفار وقال تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من اثار قوة الحمية وهو الغضب
واما الافراط فهو ان تغلب عليه هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معه
بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير بصورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية فرب
انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته بالفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج

ما نال مني غدا

القلب لان الغضب من النار كما قال عليه السلام وانما برودة المزاج هي التي تطفئه وتكسر سورته. واما الاسباب
الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول احدهم
انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ
في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها
اعمى صاحبه واصمه عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زيدته الموعظة غضبا وان اراد ان يستضيء بنور عقله و
راجع نفسه لم يقدر على ذلك اذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ و
يتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم الى الدماغ يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى
الى معادن الحس فيظلم عليه حتى لا يرى بعينيه وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضرمت فيه
نار واسود جوه وحمي مستقره وامتلأت بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ وانمحى نوره فلا يثبت
فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق
جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما يقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب
فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فيتشقق وتنهد اعاليه على اسافله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من
القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب
الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها
وينظر اليها ويسوسها ويدبرها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن
آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب
الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حال
غضبه قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن
اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالمثمر فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان
فانطلاقه بالشتم والفحش وقبائح الكلام الذي يستحي منه ذوو العقول ويستحي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط
النظم واضطراب اللفظ. واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة
فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه
وقد يضرب بيده وبدنه على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما سقط صريعا لا يطيق العدو
والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض
وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين ويشتم البهيمة والجماد ويخاطبه ويقول الى متى منك يا كيت
وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس هو ايضا الدابة ويقابلها بذلك. واما اثره في القلب مع
المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك
الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط. واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يانف
منه من التعرض للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وذلك ايضا مذموم اذ من
ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال عليه السلام ان سعدا لغيور وانا اغير منه والله اغير مني وانما خلقت الغيرة
لحفظ الانساب ولو تسامح الناس في ذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت
الصيانة في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال عليه السلام خير امتي احداؤها
يعني في الدين. وقال سبحانه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ انما تتم الرياضة
بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما
المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال
هي الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور
اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الضيم والذل في غير محله

فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي
ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهذا الصراط المستقيم وهو ادق من
الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال سبحانه ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم
فلا تميلوا كل الميل وليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع
من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته

بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا

اعلم انه قد ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن آخرون انه
اصل لا يقبل العلاج وهذا راي من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرايين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره
وهو انه ما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغضب والغيظ وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد
ان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه
غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم على ثلاثة اقسام **الاول** ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت
والمسكن والملبس وصحة بدنه فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد ان يغضب وكذلك اذا قصد اخذ ثوبه الذي
يستر عورته و كذلك اذا اخرج من داره التي هي مسكنه او اريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو
الانسان عن كراهة زوالها ولا يخلو عن غيظ على من يتعرض لها **الثاني** ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال
الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب
والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في الوقت فهذا الجنس مما يتصور
ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه واذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز
ان يكون بصيرا بامور الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها
لغضب بالضرورة باخذها فاكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة
بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فهو لا محالة يغضب اذا زاحمه من اخرجه عن الصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك ولا يبالي
لو جلس في صف النعال لم يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الردية هي التي اكثرت محاب الانسان ومكارهه
فاكثرت غضبه وكل ما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص
فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب
الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الردية ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انك لا تحسن اللعب
بالشطرنج واللعب بالحمام ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل
والغضب من هذا الجنس ليس بضروري **الثالث** ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب
مثلا للعالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه او يغرقه وكذلك ادوات الصناعات في حق المكتسب
الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري المحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا
يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من اصبح آمنا في سربه
معافى في بدنه له قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلمت له
هذه الثلاثة يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها **اما القسم الاول**
فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله
في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال
مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا. فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير
ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه بالمجاهدة الى ان لا
يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا
يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم
بالصبر عليه **واما القسم الثاني** فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج

حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وانما الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك فهو عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن القلب ولو كان للانسان كلب لا يحبه لم يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب والرياضة في هذا تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون **فان قلت** الضروري من القسم الاول التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لم يغضب على احد وان كان يحصل معه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فالانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله فلا يغضب على احد من خلق الله سبحانه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم ولا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله سبحانه فيندفع الغضب لغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله وذلك بان يرى الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يعلم ان الخيرة في الفصد فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غاية التوحيد الى هذا الحد انما يكون كالبرق الخاطف يغلب في احوال مختطفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او لعنته فاجعلها مني عليه صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ◐ وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي اكتب عنك كلما قلت في الغضب والرضا قال اكتبه فوالذي بعثني بالحق نبيا ما يخرج منه الا الحق واشار الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب ◐ وغضبت عائشة مرة فقال لها عليه السلام ما لك جاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فاعانني عليه فاسلم فلا يامر الا بالخير فلم يقل لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر ◐ وقال علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكل من غضب في الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من غضب على من ياخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له منها في دينه فانما غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من غضب عليه فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم رجل فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول ◐ وسب رجل ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره ◐ وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكانه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه ◐ وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقوال دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون ذلك قد اثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا يتصور فقد الغضب والغيظ اما باشتغال القلب عنه بمهم آخر او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله سبحانه يحب منه ان لا يغضب فيطفئ شدة حبه لله سبحانه غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة فقد عرفت بهذا ان طريق الخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سياتي في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب الدنيا عن قلبه تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه

فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه

بيان الاسباب المهيجة للغضب

وقد عرفت ان علاج كل علة حسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسبابها وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالتها باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك كما سياتي في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد وانما اختلفوا بالفضل الا بالانتساب فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب والكبر اكبر الرذائل وهي راسها واصلها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفتها واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك سعادة الآخرة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزأ بك واما التعيير فالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على فضول المال وتنعم على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة واما التعيير فتزيله بالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث للغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب في القلب بسبب ذلك وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل محض بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية ذلك انه لضعف النفس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمراة والصبي اسرع غضبا من الرجل والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال عليه السلام ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان تتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك والفضلاء وضد ذلك منقول عن الاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

اعلم ان ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور **الاول** ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال ويرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام فينطفي غيظه ◐ قال مالك بن اوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان يتامل الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرا قوله سبحانه والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خله **الثاني** ان يخوف نفسه بعقاب الله وذلك بان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم آمن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيمة احوج ما اكون الى العفو وقد قال سبحانه في بعض الكتب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث عليه السلام وصيفا في حاجة فابطا عليه فلما جاء قال

لولا القصاص لا وجعلك اى القصاص في القيمة وقيل كان في بني اسرايل ملك ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة وفيها ارحم المساكين واخش الموت واذكر الاخرة فكان يقروها حتى يسكن غضبه **الثالث** ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمير العدو لمقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصايبه وهو لا يخلو عن المصايب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف في الاخرة وهذا يرجع الى تسلط شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الاخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض الا ان يكون يحذر ان يتشوش عليه في الدنيا فراغه للعلم والعمل وما يعينه على الاخرة فيكون حينيذ مثابا على ذلك **الرابع** ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه الكلب الضاري والسبع الضاري ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للانبياء والحكما والعلما ويخير نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالانبياء والعلما في عاداتهم لتميل نفسه الى حب الاقتدا بهولاء ان كان قد بقي معه مسكة من عقل **الخامس** ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد ان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك يا نفس تانفين من الاحتمال الان ولا تانفين من خزي يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري في اعين الناس ولا تحذرين ان تصغري عند الله سبحانه وعند الملايكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه الله سبحانه وذلك يعظمه عند الله فماله وللناس وذل من ظلمه يوم القيمة اشد من ذله الان لو انتقم منه افلا يحب ان يكون هو القايم اذا نودي يوم القيمة ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وامثاله من معارف الايمان ينبغي ان يكررها على قلبه **السادس** ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشي على وفق مراد الله سبحانه لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله ويوشك ان يكون غضب الله عليه اعظم من غضبه **واما العمل** فان يقول بلسانه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر عليه السلام ان يقال عند الغيظ وكان اذا غضبت عايشة اخذ بانفها وقال لها يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن ويستحب ان يقول ذلك فان لم يزل فاجلس ان كنت قايما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وقد قال عليه السلام ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد من ذلك احدكم شيا فان كان قايما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فتوضا بالماء البارد واغتسل فان النار لا يطفيها الا الما فقد قال عليه السلام اذا غضب احدكم فليتوضا بالماء فان الغضب من النار وانما اطفا النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان النبي عليه السلام اذا غضب وهو قايم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال ابو سعيد الخدري قال النبي عليه السلام الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيا فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضا من اذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروى ان عمر غضب يوما فدعا بما فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي وليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السما فوقك والى الارض تحتك ثم اعظم خالقهما وروي ان ابا ذر قال لرجل يا ابن الحمرا في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه فقال نعم فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قايما فاقعد وان كنت قاعدا فاتك وان كنت متكيا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحايف واعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غيظي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطى الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن

عنـ

غضبه فاعطي الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السما فاعطي الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذلك اي لا تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضبن لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله **فضيلة كظم الغيظ** قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح وقال عليه السلام من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا بعد المقدرة وقال من كظم غيظا ولو شا ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيمة رضا وفي رواية ملا الله قلبه امنا وايمانا وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغا وجه الله تعالى وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفا غيظه بمعصية الله وقال عليه السلام ما من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملا الله جوفه ايمانا وقال عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلايق ويخيره في اي الحور شا **الاثار** قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون وقال لقمن لابنه يا بني لا تذهب ما وجهك بالمسالة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ابو حازم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجتمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الم تسمع قول الله سبحانه خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفيت وقال محمد بن كعب القرظي ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجا رجل الى سلمان فقال يا عبد الله اوصني قال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك **فضيلة الحلم** اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب فهو الحلم الطبيعي وهو دلالة على كمال العقل واستيلايه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتدا التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال عليه السلام انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتق الشر يوقه واشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم ولينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلما فيغلب جهلكم على علمكم اشار بهذا الى ان التجبر والتكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعايه عليه السلام اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال ابو هريرة قال عليه السلام ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال عليه السلام خمس من سنن المرسلين الحيا والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي كرم الله وجهه قال النبي عليه السلام ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصايم القايم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيون الي ويجهلون علي واحلم عنهم قال ان كان كما تقول فكانما تسفهم الملل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك الملل يعني الرماد الحار وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيا فهو عليه صدقة فاوحى الله سبحانه الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قد غفرت له وقال عليه السلام ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل كان فيمن كان قبلكم اذا اصبح يقول اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني من عبادك وقيل في قوله سبحانه ربانيين اي حلما وعلما وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطا بن ابي رباح يمشون على الارض هونا اي حلما وقال ابن ابي حبيب في قوله وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد في قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما اي

او قال غلب نفسه

رجل

ع

ابن ابي حنظلة

اذا اوذوا واصفحوا • وقد روي ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابرهيم
ابن ميسرة وهو الراوي واذا مروا باللغو مروا كراما • وقال عليه السلام اللهم لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه
العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب • وقال عليه السلام ليلني منكم ذوو الاحلام
والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق • وروي انه اتى النبي عليه
السلام الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله فقال يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله ورسوله قال وما
هما بابي انت وامي يا رسول الله قال الحلم والاناة فقال خلقان تخلقتهما وخلقان جبلتهما فقال بل خلقان جبلك الله عليهما
فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله • وقال عليه السلام ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض
الفاحش البذي السائل الملحف • وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا
يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس • وقال اذا جمع
الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة
فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا
واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين

الاثار

قال عمر تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم • وقال علي كرم الله وجهه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك
ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة ربك واذا احسنت حمدت الله واذا اسات استغفرت
الله • وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم • وقال اكثم بن صيفي دعامة العقل الحلم وجماع الامر
الصبر • وقال ابو الدرداء ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان
تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك • وقال علي كرم الله وجهه ان اول عوض الحليم من
حلمه ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل • وقال معاوية لا يبلغ الرجل مبلغ الراي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا
يبلغ ذلك الا بقوة الحلم • وقال معوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه وقال اي الرجال اسخا قال
من بذل دنياه لصلاح دينه • وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله عظيم
هو الرجل الذي يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا يغفر الله لك وان كنت صادقا فيغفر الله لي • وعن بعضهم قال
شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا • وشتم رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل
للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحيى • وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين فقال
ليس تقبل شهادتك • وعن علي بن الحسين رضي الله عنهم انه سبه رجل فرمى اليه بخميصة كانت عليه وامر له بالف
درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله وحمله على الندم
والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير • وقال معوية لعرابة بن اوس بم
سدت قومك يا عرابة قال يا امير المؤمنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي
فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه • وقال رجل لجعفر بن محمد رحمه الله انه قد وقع
بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر رحمه الله انما الذليل الظالم
• وقال الخليل بن احمد رحمه الله كان يقال من اسيء اليه فاحسن فقد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اساءته • وقال
الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم • وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب
ومن يعجل يخطي ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ
ومن يحذر الله يامن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن لا يكن مع الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر
وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء فقال اذا انت اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت اليك
حسناتي • وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى تسمى به • وقال رجل لبعض الحكماء والله لاسبنك
سبا يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لا معي • ومر المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا

فقال

فقال خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده • وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون
الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند حاجتك اليه • ودخل على
بعض الحكماء صديق له فقدم اليه طعاما فخرجت امراة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة واقبلت على شتم الحكيم
فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة وافسدت ما عليها
فلم يغضب احد منا فقال نعم قال فاحسب هذه مثل تلك الدجاجة فسري عن الرجل وانصرف وقال صدق الحكيم يشفي
من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب

وقال محمود الوراق

سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وان كثرت منه علي الجرائم
وما الناس الا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف قدره ... واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي دوني فان قال صنت عن ... اجابته عرضي وان لام لائم
واما الذي مثلي فان زل او هفا ... تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام

اعلم ان كل ظلم صدر من شخص لا يجوز مقابلته
بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا سائر المعاصي وانما
القصاص والغرم على ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه واما السب فلا يقابل بمثله قال عليه السلام ان امرؤ
عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه • وقال عليه السلام المستبان شيطانان يتهاتران • وشتم رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدا
لينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك
فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في موضع فيه الشيطان • وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه
ونهيه عليه السلام عن مقابلة التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي بفعله والذي يرخص فيه ان يقول من انت
وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل وقال ابن مسعود وهل انت الا من بني امية ومثل
قوله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض • وقال ابن عمر في حديث طويل
حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله ولذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك
قوله يا سيء الخلق يا صفيق الوجه وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت واخزاك الله بما فعلت
وانتقم منك فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان بين خالد بن الوليد وسعد
كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان ياثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء
فكيف يجوز ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والسب والفحش وما روت عائشة
ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ارسلن الي فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله ارسلني ازواجك يسالنك العدل في (العدل)
ابنة ابي قحافة والنبي عليه السلام نائم فقال يا بنية اتحبين ما احب قالت نعم قال فاحبي هذه فرجعت اليهن فاخبرتهن
بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت بنت ابي
بكر وبنت ابي بكر فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر ان ياذن لي رسول الله في الجواب فاذن لي فسببتها حتى جف لساني
فقال عليه السلام كلا انها ابنة ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب
عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق • وقال عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم (يعتدي)
فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هؤلاء وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق
وما يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجره الى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على مقدار الحق فيه والسكوت عن
اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه
في فور الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم
كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود
وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الغيرة والحمية وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم • وفي الخبر

المومن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك ۞ وقال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان ۞ وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني ادم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال يهيج ويوثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما تعدى الواجب ولانه ربما يكون شافيا لغيظه ومريحا لنفسه فيكون صاحب خطر فيه وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه ۞ وراى عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المومنين لما شتمك تركته قال لانه اغضبني ولو اني عزرته لكان ذلك تعصبا لنفسي وما احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي ۞ وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك

القول في الحقد وقبايحه وفضيلة العفو والرفق

اعلم ان الغيظ اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى ۞ وقد قال عليه السلام المومن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور **الاول** الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة اذا نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسياتي ذمه **الثاني** ان يزيد على اضمار الحسد في الباطن فيشمت بما يصيبه من البلا **الثالث** ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك **الرابع** وهو دونها ان تعرض عنه استصغارا له **الخامس** ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشا سر وهتك ستر وغيره **السادس** ان تحكيه استهزاء به وسخرية منه **السابع** ايذاوه بالضرب وما يولم بدنه **الثامن** ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام فاقل درجات الحقد ان يحترز من الافات الثمانية المذكورة ولا يخرج بسبب الحقد الى ما يعصي الله به ولكن يستثقله في الباطن ولا ينتهي قلبه عن بغضه حتى يمتنع عما كان يتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له او بترك الدعا له او الثنا عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجته في الدين ويحول بينه وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضه لعقاب ۞ ولما حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه لما تكلم في واقعة الافك نزل قوله سبحانه ولا ياتل اولو الفضل منكم والسعة ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله الى قوله ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان يبقى على ما كان عليه فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة لنفسه وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهو من فضايل اعمال المقربين وللمحقود ثلاثة احوال عند القدرة **احدها** ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ولا نقصان وهو العدل **والثاني** ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل **الثالث** ان يظلمه بما لا يستحقه وهو الجور وهو اختيار الارذال والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجات الصالحين ولنذكر الان فضيلة العفو والاحسان

فضل العفو

اعلم ان العفو ان يستحق حقا فتسقطه وتبرا عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه ۞ وقال سبحانه خذ العفو الاية وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى ۞ وقال عليه السلام ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حالفا لحلفت عليهن ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل باب مسالة الا فتح الله عليه باب فقر ۞ وقال عليه السلام التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله ۞ وقالت عايشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط منتصرا من مظلمة ظلمها ما لم ينتهك من محارم الله شي فاذا انتهك من محارم الله شي كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن ماثما ۞ وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ۞ وقال عليه السلام قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا ۞ ولذلك سيل ابو الدردا من اعز الناس قال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله ۞ وجا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فامره ان يجلس واراد ان ياخذ له بمظلمته فقال عليه السلام ان المظلومين هم المفلحون يوم القيمة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث ۞ وقالت عايشة قال عليه السلام من دعا على من ظلمه فقد انتصر ۞ وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلق يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض ۞ وعن ابي هريرة ان رسول الله لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قال نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام ۞ وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ۞ وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا الفا يدخلونها بغير حساب ۞ وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يوتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا الاية ۞ وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شا من ادى دينا خفيا وقرا في دبر كل صلوة قل هو الله احد عشر مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر او احداهن يا رسول الله قال او احداهن

الاثار

قال ابرهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشغل قلبه بتعرضه لمعصية الله بالظلم وانه يطالب يوم القيمة به فلا يكون له جواب ۞ وقال بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ۞ ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه وقد اقتصصتها ۞ وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله سبحانه يقول ان اخر عليك انك ظلمته فان شيت استجبنا لك واستجبنا عليك وان شيت اخرتكما الى يوم القيامة فيسعكما عفوي ۞ وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على من ظلمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعايك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن الا يفعل ۞ وعن ابن عمر عن ابي بكر انه قال بلغنا ان الله سبحانه يامر مناديا يوم القيمة ينادي من كان له عند الله شي فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم عن الناس ۞ وقال هشام بن محمد اتي النعمان بن المنذر برجلين احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفا عنه والاخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه ۞ وقال تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها ولقد تعاقب في اليسير وليس ذلك لجهلها الا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها ۞ وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر فكنت عنده اذ اتي برجل فامر بقتله فقلت تقتل رجلا من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المومنين الا احدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فيقول من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لسمعته من الحسن فقلت والله لسمعته من الحسن فقال خليا عنه ۞ وقال معوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى يمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال ۞ وروي ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين كان نبيا فقال لا ولكن انما اعطي ما اعطي لاربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد ۞ وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا ۞ وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب ۞ واتي هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المومنين قال الله سبحانه يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله ولا نتكلم كلاما قال هشام بلى ويحك فتكلم ۞ وروي ان سارقا دخل على عمار بن ياسر بصفين

فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل اتركه عليه لعل الله يستر علي يوم القيمة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون على من اخذها اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها اللهم افعل به كذا فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حمله على الذنب فاجعله اخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت احدا ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي فقال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله سبحانه فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب وهو على البصرة امير ليلا وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا معه الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النسا ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به اداله منهم ورفع ذكره واعلى منزلته وجعله على خزائن الارض فماذا صنع حين اكمل له امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه قال الحكم وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى صديق له يساله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتي عبد الملك بن مروان باسارى من ابن الاشعث فقال لرجا بن حيوة ما ترى قال ان الله قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط ما يحب من العفو فعفى عنهم وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ اخا له فقال له ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارايت ان جئتك بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا اتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين موسى وابرهيم ثم تلى قوله سبحانه ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته وقيل مكتوب في التورية من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

فضيلة الرفق

اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة ونتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاوه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة انه من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من خير الدنيا والاخرة وقال اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال ان الله تعالى ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا قد حرموا محبة الله وقال ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال يا عائشة ارفقي فان الله اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال ايما وال ولي فلان ورفق رفق الله به يوم القيمة وقال تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال الرفق يمن والخرق شوم وقال التاني من الله والعجلة من الشيطان وروي انه عليه السلام اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين او ثلاثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص مرتين او ثلاثا قال نعم قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته وعن عايشة انها كانت معه عليه السلام في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال يا عايشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شي الا زانه ولا ينزع من شي الا شانه

الاثار

بلغ عمر بن الخطاب ان جماعة من عماله اشتكوا فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ايها الرعاة ان للرعية عليكم حقا فاعلموا انه لا حلم احب الى الله ولا اعم من حلم امام ورفقه وليس جهل ابغض الى الله ولا اعم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من ياخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه وقال وهب الرفق ثني الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق

والده

والده واللين اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شي الى شي مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان يكون ذا اناة وتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضرك وقال سفيان الثوري لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى الحدة والعنف اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر فلذلك كثر ثنا الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد هكذا قاله عمر بن عبد العزيز وروي ان عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه في التاني فكتب اليه معوية اما بعد فان التفهم في الخير زيادة رشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطي او كاد ان يكون مخطيا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابن عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة الين منها تجري مجراها وقال ابو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيئا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متان وليس كحاطب ليل فهذا ثنا اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر

القول في ذم الحسد وفي حقيقته

واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته

بيان ذم الحسد

اعلم ان الحسد ايضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرع الغضب والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال عليه السلام الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال عليه السلام في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الان من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينطف لحيته من وضوئه وقد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال عليه السلام مثل ذلك القول فطلع ذلك الرجل وقال في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو فقال له اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلاثا فان رايت ان تؤويني اليك حتى تمضي فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله سبحانه ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مرت الثلاث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذاك قال ما هو الا ما رايت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد على احد من المسلمين في نفسي غشا ولا احسد احدا على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وقال عليه السلام ثلاث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلاثة لا ينجو منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال عليه السلام دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد

والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج. وقال عليه السلام لا تظهر الشماتة باخيك فيرحمه الله ويبتليك. وروي ان موسى عليه السلام لما تعجل الى ربه راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة. وقال زكريا عليه السلام قال الله سبحانه الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي. وقال عليه السلام اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون. وقال عليه السلام استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود. وقال ان لنعم الله اعداء قيل ومن ذلك فقال الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله. وقال ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله ومن هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد

الاثار قال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس ادم على رتبته ان يسجد له فحمله على المعصية. وحكي ان عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء قال وما ذاك قال اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ثم قرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم الاية واياك والحرص فانه الذي اخرج ادم من الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض ياكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها فاخرجه الله من الجنة ثم قرا اهبطا منها الى اخر الاية واياك والحسد فان ابن ادم انما قتل اخاه حين حسده ثم قرا واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق الاية واذا ذكر اصحاب رسول الله فامسك واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكر النجوم فاسكت. وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيكه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول يزعم ان الملك ابخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك فانه اذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيكه مساويه فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا وقد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل فقال العامل في كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في امري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعل الكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له فقال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما قلت قال فلم وضعت يدك على انفك قال كان اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء مساويه. وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار. وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما انساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا. وقال ابو الدرداء ما اكثر احد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده. وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل كل العداوة قد ترجى اماتتها الا عداوة من عاداك من حسد. وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرا وحسب الحسود ما يلقى. وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه. وقال الحسن يا ابن ادم لا تحسد اخاك فان كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار. وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا

بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه

اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان **احداهما** ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه بها. **الحالة الثانية** ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه الحالة تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين بدل الاخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني. وقال عليه السلام المؤمن يغبط والمنافق يحسد. فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث انها آلة الافساد ولو امنت فساده لم يغمك تنعمه ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله سبحانه في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك فيه مضرة والى هذا اشار القران بقوله سبحانه ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة متلازمان. وقال سبحانه لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد. وقال تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله سبحانه حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم فقالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة الى يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيهم له وساءهم ذلك فاحبوا ازالته عنه فغيبوه عنه. وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا تضيق صدورهم ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد. وقال تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله. وقال كان الناس امة واحدة الى قوله بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا. وقال سبحانه وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته فامرهم ان يتالفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض. قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي عليه السلام اذا قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي عليه السلام من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم فقال سبحانه وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا. وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة فهذا حكم الحسد في التحريم. واما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوب اليها واما مباحة وقد تستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالاه ان يؤمرهما على الصدقة قالا لعلي حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجك فاطمة فالمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله سبحانه وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. وقال سبحانه سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة حين خوف الفوت وذلك كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد منهما ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح عليه السلام بذلك وقال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانصاري فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل اتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان لي مال فلان كنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما كان له من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل اتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مال فلان كنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ماله فاذا لا حرج على من يغبط غيره بنعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة فهذه المنا

وابنه وهو ان يحب ان يكون مثله لانه ان لم يحب ذلك كان راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم فيها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيه كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والاخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهي انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وزوال نقصانه اما بان ينال مثل ما نال او بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين يكاد القلب ان لا ينفك عن شهوة الطريق الاخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك اشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره يسعى بازالة النعمة عنه فيعفى عنه ما يجده في طبعه من ارتياحه الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك في نفسه بعقله ودينه ولعله المعني بقوله عليه السلام ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي اذا وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة له ترجيحا له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط منه لانه موضع غلط وخطر وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقاربه من يحب ان يساويه ويكاد يجره ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به ان شاء الله وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه

واما مراتبه فاربع **الاولى** ان يحب زوال النعمة عنه وان كانت لا تنتقل اليه وهذا غاية الخبث **الثانية** ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امراة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها **الثالثة** ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما **الرابعة** ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثالثة اخف من الثانية والاول مذموم محض وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم قال سبحانه ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم

بيان اسباب الحسد والمنافسة

اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله سبحانه وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الان في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة ابواب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة على غيره اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له اما بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث ان يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوت مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب **السبب الاول** العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان من اذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من

الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى منه بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان وربما احال ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصابت عدوه بلية فرح بذلك وظن انها مكافاة من جهة الله لعدوه على بغضه وان ذلك اصابه لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله سبحانه حيث لم ينتقم له من عدوه الذي اذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم تستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال سبحانه واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم الى تسوءهم الاية وقال سبحانه ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض وربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه **السبب الثاني** التعزز وذلك ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكنه لا يرضى بترفعه عليه **السبب الثالث** ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته وربما يتشوف الى مساواته او الى ان يترفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار لرسولنا عليه السلام اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطئ له رؤوسنا فقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال سبحانه يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم **السبب الرابع** التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله سبحانه بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النعمة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب اخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة قال تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم **السبب الخامس** الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له على الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة من قلب الابوين للتوصل بذلك الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه على نيل المنزلة في قلبه للتوصل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال من القبول عندهم وكذلك العالمان المتزاحمان على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل به الى اغراضه **السبب السادس** حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثنا واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة في شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده به وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوت مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين احاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان يبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم **السبب السابع** خبث النفوس وشحها بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا بكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم به عليه شق ذلك عليه واذا وصف له

اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح بذلك فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعم الله سبحانه على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته وقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله سبحانه على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع وضعت عليه الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت لسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع هذه الاسباب او اكثرها في شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفا والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات ان يجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال

اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم يجتمع جملة من هذه الاسباب وتتظاهر فيهم اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متباعدتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه يثور بقية اسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب اخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه في ذلك بزاز اخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض ولذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود واحد اخص واصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين ولذلك كثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الاخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله سبحانه ومعرفة صفاته وملايكته وانبيايه وملكوت ارضه وسمايه لا يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد منهم بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله سبحانه وذلك بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق فيما عند الله لان اجل ما عند الله من النعيم لذة لقايه وليس في ذلك ممانعة ولا مزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلما بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الاخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلا قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر ونقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واما اذا امتلا قلب بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك ان يمتلي قلب غيره بها وان يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن

اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه والمال اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت ارضه وسمايه صار ذلك الذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زيد لذته بمؤانسته فتكون لذة هولاء في مطالعة عجايب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يامن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه متغذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فما ظنك بهم عند انكشاف الغطا ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال الا بمعرفة الله سبحانه التي لا مزاحمة فيها ايضا في الدنيا فاهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والاخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان الرجيم اللعين وذكر من صفاته انه حسد ادم على ما خص به من الاجتبا ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفا بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السما ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السما ولكن السما لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم وتحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعيما لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله سبحانه ومعرفة صفاته وافعاله وعجايب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الاخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله ولم تجد لذتها وفتر عنها رايك وضعفت فيها رغبتك فانت في ذلك معذور فان العنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والطفل لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة ايضا لا يختص بادراكها الا الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

بيان الدوا الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والاخرة وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدين والدنيا ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة واما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضا الله سبحانه وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد
حيد
وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف الى ذلك انك غششت رجلا من المسلمين وتركت نصيحته وفارقت اوليا الله وانبياه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وساير الكفار في محبتهم للمومنين البلايا وزوال النعم وهي خبايث القلب تاكل حسنات القلب كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتالم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداوك لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتالم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق الصدر كما تشتهيه لاعدايك وكما يشتهي اعداوك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تومن بالبعث والحساب

لما ان مقتضي الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب ومساته مع عدم النفع فكيف وانت عالم
بما في الحسد من العذاب الشديد في الاخرة فما اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم
يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة واما كونه لا ضرر فيه على المحسود في دينه ولا دنياه فذلك واضح
لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله من اقبال ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله سبحانه فلا حيلة في
دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبيا من امراة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله اليه
فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل فلا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضا بدوام
اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا كان عليه اثم في الاخرة ولعلك تقول ليت
النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل لانه بلا تشتهيه اولا لنفسك لانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك
فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق الله عليك نعمة وعلى الخلق ولا نعمة الايمان ايضا لان الكفار يحسدون المومنين على الايمان
قال سبحانه ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل
بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان يسلب نعمة الايمان
بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية
الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهي ان يخص بهذه الخاصية ولست اولى من غيرك فنعمة الله عليك في
ان لم تزل النعمة عنك بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح
اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك
ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه يعني انك بذلك تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيمة مفلسا محروما
من النعم في الاخرة كما حرمت في الدنيا فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليك نعمة اذ وفقك للحسنات
فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة • واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض
الخلق مساة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وتعذيبهم وكونهم مغمومين معذبين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الحسد وغاية
اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وتكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي
عدوك موتك بل يشتهي ان تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد والغم لتنظر الى نعمة الله عليه وينقطع قلبك حسدا
ولذلك قيل

لا مات اعداوك بل خلدوا • حتى يروا منك الذي يكمد
لا زلت محسودا على نعمة • فانما الكامل من يحسد

مات قيل

ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية
عنده فما انت فيه تلازمه من غم الحسد الا ما يشتهيه عدوك فاما اذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك
اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والاخرة وما انتفع به عدوك في الدنيا والاخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق
شقيا في الحال والمال ونعمة المحسود دائمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال
اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدا اعدائك لانه لما راك محروما عن نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص
عدوك عليك خاف ان تحب له ذلك فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير الى المسلمين كان شريكا في الخير ومن
فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبد من
صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا يلحقه بحبك كما لا تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله
عليه وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من احب • وقام اعرابي ورسول الله يخطب فقال متى الساعة
فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت
قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر بغيتهم كان حب الله ورسوله قال
انس نحب رسول الله وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو ان نكون معهم • وقال ابو موسى الاشعري قلت يا رسول
الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشيا فقال هو مع من احب • وقال رجل لعمر
بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما وان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما وان لم تستطع

ان

ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الان كيف حسدك
ابليس فيفوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع بذلك حتى بغضه اليك وحملك على الكراهة حتى اثمت وكيف لا وعساك تحسد
رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطي في دين الله وينكشف خطوه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا
يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذا فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الاخرة
وقد جاء في الحديث اهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض
والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس عن المداخل الثلاثة حتى لا يدخل اليك البتة فقد نفذ فيك حسد ابليس وما نفذ
حسدك في عدوك بل في نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من
يرمي حجرا الى عدوه ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود
ثانيا فيرمي رمية ثانية اشد من الاولى فيرجع على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيرجع الرمية على
راسه فتشجه وعدوه سالم في كل حال والضرر اليه راجع مرة بعد اخرى واعداوه حواليه يفرحون به ويضحكون
عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشياطين منه لا بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الحجر العائد الى راسه لم يفوت
الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوق الى غضب
الله سبحانه والى النار فلان تذهب عينه في الدنيا خير من ان تبقى له عين يدخل بها في النار فيقلعها لهب النار فانظر كيف
انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن المحسود فلم تزل عنه بل زالت عن الحاسد نعمته اذ السلامة من الاثم
نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عن الحاسد تصديقا لقوله سبحانه ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وربما
يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقل ما يشمت شامت بمساة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها ما تمنيت
لعثمان شيا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف بما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود
الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعدا وهو الدا الذي به هلك الامم فهذه هي الادوية العلمية
فمهما يذكر الانسان فيها بفهم صاف وقلب حاضر انطفا من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه و
مسخط ربه ومنغص عيشه • واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم بمخالفة الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل
فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له والثنا عليه وان حمله على التكبر
عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام عليه
فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه منه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد واحبه وتولد بينهما
الموافقة بذلك حتى تنقطع مادة الحسد لان التواضع والثنا والمدح واظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم
ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه فيصير
ما تكلفه اولا طبعا اخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت عليه حمله العدو على العجز او
على النفاق او الخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من خداع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كانت
او طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب الى التالف والتحاب وبذلك تستريح
القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن النفع
في المر فمن لم يصبر على مرارة الدوا لم ينل حلاوة الشفا وانما تهون مرارة هذا الدوا اعني التواضع للاعدا
والتقرب اليهم بالمدح والثنا بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضى بقضا الله سبحانه
وحب ما احبه الله وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شي على خلاف مرادها وعند ذلك تريد ما لا يكون
اذ لا مطمع في ان يكون ما تريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين
اما بان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني
فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدوا الكلي فاما الدوا
المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسياتي تفصيل مداواة هذه
الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم يقمع المادة لم يحصل بما

ذكرناه الا تنكره وتطفئه ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مراده فانه ما دام محبا
للجاه فلا بد وان يحب من استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه
ولا يظهره بلسانه ويده فاما الخلو عنه راسا فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن اذاك فلا يمكنك الا ان تبغضه فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى
يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة فلا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد
له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت
اذا حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه
الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله سبحانه فلا يجدون في صدورهم حاجة مما
اوتوا وقال تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة وكذب
وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس هو مظلمة
يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما
اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما
في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك
في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما يتيسر لهما من نعمة
او ينصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا
بحب الله مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي
عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع
القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهة
الزم بها قلبه فقد ادى ما كلفه وذهب ذاهبون الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن
انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ثلاث في المؤمن له منهن مخرج ومخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون
فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي ومن الايذاء
فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهرها على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب
لا عن الافعال فكل من يحب مساءة المسلمين فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد
والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد في ارادته مساءة
المسلمين واشتمال قلبه على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلاثة احوال **احدها** ان
تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة
في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه **الثاني** ان تحب ذلك وتظهر
الفرح بمساءته اما بلسانك واما بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا **الثالث** وهو بين الطرفين ان
تحسد بقلبك من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد
في مقتضاها وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله اعلم

كتاب ذم الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها • وكشف لهم عن
عيوبها وعوراتها • حتى نظروا في شواهدها وآياتها • ووزنوا بحسناتها سيئاتها • فعلموا انه يزيد منكرها
على معروفها • ولا يفي مرجوها بمخوفها • ولا يسلم طلوعها من كسوفها • ولكنها في صورة امراة جميلة تستميل

الناس بجمالها • ولها اسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها • ثم هي فرارة عن طلابها • شحيحة باقبالها
واذا اقبلت لم يؤمن شرها ووبالها • ان احسنت ساعة اساءت سنة • وان اساءت مرة جعلتها سنة • فدوائر
اقبالها على التقارب دائرة • وتجارة بنيها خاسرة بائرة • وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة • ومجاري
احوالها بذل طالبيها ناطقة • فكل مغرور بها الى الذل مصيره • وكل متكبر بها الى التحسر مصيره • شانها الهرب من طالبها
والطلب لهاربها • من خدمها فاتته • ومن اعرض عنها واتته • لا يخلو صفوها عن شوائب المكدرات • ولا ينفك
سرورها عن المنغصات • سلامتها تعقب السقم • وشبابها لا يسوق الا الى الهرم • ونعيمها لا يثمر الا الحسرة
والندم • فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها • حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن
انيابها • وشوشت عليهم مناظم اسبابها • وكشفت لهم عن مكنون عجائبها • فاذاقتهم قواتل سمامها •
ورشقتهم بصوائب سهامها • بينما اصحابها منها في سرور وانعام • اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام •
ثم عكفت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد • ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد • ان ملكت واحدا منهم جميع
ما طلعت عليه الشمس • جعلته حصيدا كان لم يغن بالامس • تمني اصحابها سرورا • وتعدهم غرورا
حتى يأملوا كثيرا • ويبنوا قصورا • فتصبح قصورهم قبورا • وجمعهم بورا • وسعيهم هباء منثورا • وكان
امر الله قدرا مقدورا • والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا • وعلى كل من كان

اما بعد

من آله واصحابه له في الدين ظهيرا • وعلى الظالمين نصيرا وسلم كثيرا • فان الدنيا عدوة لله
وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ
خلقها • واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها • وعمتهم بزهرتها ونضارتها • حتى تجرعوا مرارة الصبر
في مقاطعتها • واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها • واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا
بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد • ثم حرمتهم من السعادة
ابد الآباد • فهم على فراقها يتحسرون • ومن مكايدها يستغيثون فلا يغاثون • بل يقال لهم اخسؤوا فيها ولا
تكلمون اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون • فاذا عظمت غوائل
الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة حقيقة الدنيا ما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها
وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه • ويوشك ان يقع فيه • ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل
معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله سبحانه بسبب
التشاغل بفضولها ان شاء الله

بيان ذم الدنيا

اعلم ان الآيات الواردة في ذم الدنيا وامثلتها
كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود بعثة الانبياء فلم
يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد
روي انه عليه السلام مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على صاحبها قالوا نعم فقال والذي
نفسي بيده للدنيا اهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا
منها شربة • وقال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر • وقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان
لله منها • وقال ابو موسى الاشعري قال عليه السلام من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه
فآثروا ما يبقى على ما يفنى • وقال حب الدنيا راس كل خطيئة • وقال زيد بن ارقم كنا مع ابي بكر فدعا بشراب فاتي
بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى حتى ابكى اصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لم يقدروا
على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرايته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا تمثلت
لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك • وقال صلى الله عليه وسلم
يا عجبا كل العجب من مصدق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور • وروي انه وقف على مزبلة وقال هلموا
الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينتها

ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي تواريها ستصير مثل تلك العظام وقال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم
فيها فناظر كيف تعملون ان بني ادم بسطت لهم الدنيا ومهدت لهم فتاهوا في الحلية والنسا والطيب والثياب وقال
عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه بني اسرائيل
الافة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الافة وقال ايضا يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا
تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان الله يعصى فيها ومن خبثها ان الاخرة لا تدرك الا بتركها فاعبروا الدنيا ولا
تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة اورثت صاحبها حزنا طويلا وقال ايضا
بطحت لكم الدنيا واجلستكم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الا الملوك والنسا اما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن
يعرضوا لكم ما تركتموهم واما النسا فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الاخرة
تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وصاحب الدنيا تطلبه الاخرة حتى يجي الموت فياخذه بعنقه وقال موسى
ابن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها
وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والانس والجن عن يمينه ويساره بعابد من
عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله ملكا عظيما قال فسمعه سليمان فقال لتسبيحة في صحيفة مومن
خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال نبينا عليه السلام الهاكم التكاثر يقول
ابن ادم مالي مالي وما لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال الدنيا دار
من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها
يسعى من لا يقين له وقال من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شي والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع
عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي واديا
من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رووس اناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الرووس كانت تحرص حرصكم
وتامل املكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها
ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح
تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا
حتى اشتد بكاونا وروي ان الله سبحانه لما اهبط ادم الى الارض قال ابن للخراب ولد للفنا وقال داود
ابن هلال مكتوب في صحف ابرهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في
قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون علي منك كل شانك صغير حقير والى الفنا تصيرين اني قضيت
عليك يوم خلقتك ان لا تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين
اطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضمائرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزا اذا وفدوا
الي من قبورهم والنور يسعى امامهم والملائكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال عليه السلام
الدنيا موقوفة بين السما والارض منذ خلقها الله سبحانه لا ينظر اليها وتقول يوم القيمة رب اجعلني لادنى اوليائك
نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شي اني لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وروي في اخبار ادم عليه
السلام انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شي من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة
فلذلك نهي عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله سبحانه ملكا يخاطبه فقال له اي شي تريد قال ادم اريد ان
اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان تضعه اعلى الفرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت
ظلال الاشجار هل ترى ها هنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال عليه السلام ليجين يوم القيمة اقوام
واعمالهم كجبال تهامة فيومر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلون قال نعم كانوا يصلون ويصومون وياخذون
هنات من الليل فاذا عرض لهم من الدنيا شي وثبوا عليه وقال في بعض خطبه المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى
لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه

لاخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للاخرة والذي نفسي بيده ما بعد
الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والاخرة
في قلب مومن كما لا يستقيم الما والنار في انا واحد وروي ان جبريل قال لنوح عليهما السلام يا اطول الانبيا عمرا
كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت
بيتا فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا عليه السلام احذروا الدنيا فانها اسحر من هروت وماروت
وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى
ويجعله بصيرا قالوا بلى الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر
امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل
والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو
يقدر على الغنى وصبر للبغضا وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه
الله ثواب خمسين صديقا ويروى ان عيسى عليه السلام اشتد عليه الريح والمطر والبرق يوما فجعل يطلب شيئا
يلجا اليه فرفعت له خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع
يده على راسه وقال الهي لكل شي ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى الله اليه ماواك في مستقر من رحمتي لازوجنك يوم
القيمة مائة حورا خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة الاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولامرن مناديا ينادي اين الزهاد
في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم وقال عيسى ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق
بها وتخذله ويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ويل لمن اصبحت الدنيا همه
والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل اوحى الله الى موسى عليه السلام يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست
لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم
حتى اخذ منه للمظلوم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت
الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى عليه السلام انصرف فتعرضوا
له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشي قالوا اجل يا رسول
الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من
كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال لا تشغلوا
قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال حماد بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا اهلها
موتى في الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هولا ماتوا عن سخط ولو ماتوا عن غير ذلك تدافنوا فقالوا يا
روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسال ربه فاوحى الله اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز من
الارض ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم فقال بتنا في عافية واصبحنا في
الهاوية قال وكيف ذلك قال لحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت
فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملائكة
غلاظ شداد قال فكيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على
شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على
المزابل كثير مع عافية الدنيا والاخرة وقال انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضبا لا تسبق فجا اعرابي
بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله انه حق على الله ان لا يرفع شيا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى
عليه السلام من ذا الذي يبني على امواج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل له علمنا علما واحدا يحبنا الله
عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله سبحانه وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم
كثيرا ولضحكتم قليلا ولهانت عليكم الدنيا ولاثرتم الاخرة ثم قال ابو الدردا من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم

الى السعداء تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن
قلوبكم ذكر الاخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا تعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا
تدع هواها مخافة مما في عاقبته ضر ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوائكم الا خبث
سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم تناصحون في امر الدنيا ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر اخرته
ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الاخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لاثرتم طلب الاخرة لانها
املك باموركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم لا تدعون العاجل من الدنيا للاجل تكدون انفسكم بالمعيشة
والاحتراق في طلب ما لعلكم لا تدركونه فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما تعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في
شك مما جاءكم به محمد عليه السلام فاتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم
فنعذركم انكم تستبينون صواب الراي في دنياكم وتاخذون بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه
وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم وتظهر على السنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها الماتم
وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ولا يتبين ذلك في وجوههم ولا تتغير حالهم اني لارى الله قد تبرا منكم يلقى بعضهم بعضا
بالسرور وكلهم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن
وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم
خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم ❁ وقال عيسى عليه السلام
يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا ❁ قيل

اري رجالا بادني الدين قد قنعوا ❁ وما اراهم رضوا في العيش بالدون ❁
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما ❁ استغنى الملوك بدنياهم عن الدين ❁

وقال عيسى عليه السلام ما طالب الدنيا ليبر تركك للدنيا ابر ❁ وقال نبينا عليه السلام لياتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم
كما تاكل النار الحطب ❁ واوحى الله الى موسى يا موسى لا تركن الى حب الدنيا فلن تاتي بكبيرة هي اشد عليك منها ❁ ومر برجل
وهو يبكي ويضج وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه
ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا **الاثار** قال علي رضي الله عنه من جمع ست خصال
لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه و
عرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الاخرة فطلبها ❁ وقال الحسن رحم الله اقواما كانت الدنيا
عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا ❁ وقال ايضا من نافسك في دينك فنافسه ومن
نافسك في دنياه فالقها في نحره ❁ وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني ان الدين بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك
فيها التقوى وحشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك ناج وما اراك ناجيا ❁ وقال الفضيل طالت
فكرتي في هذه الاية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا الى جرزا ❁ وقال بعض الحكماء انك لن
تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا
تهلك نفسك في اكلة وصم الدنيا وافطر على الاخرة فان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار ❁ وقيل لبعض الرهبان
كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية ويبعد الامنية قيل فما حال اهله قال من
ظفر به تعب ومن فاته نصب وقد قيل ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمري عن قريب يلومها
❁ اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها ❁ وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم اكن
فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة
زائلة او بلية نازلة او منية قاضية ❁ وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما ان
تزيد واما ان تنقص ❁ وقال سفيان اما ترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها ❁ وقال ابو
سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر منه ومن طلب الاخرة على المحبة
لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر منه فليس لها غاية ولا لهذا نهاية ❁ وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب

الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما اتاك الله منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا
وانما قال هذا لانه لو واخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها ❁ وقال يحيى بن معاذ الدنيا
حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجي في طلبك فياخذك ❁ وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة من خزف بغي م
يبقى لكان ينبغي اولى بالايثار فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى ❁ وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني
انه يوقف العبد يوم القيمة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقر الله ❁ وقال ابن مسعود ما اصبح احد
من الناس الا وهو ضيف وماله عارية ❁ وزار رابعة اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت لهم
اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر من ذكره ❁ وقيل لابراهيم
ابن ادهم كيف انت فقال ❁ نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
❁ فطوبى لعبد اثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع **وقيل**
تهدما اري طالب الدنيا وان طال عمره ونال من الدنيا سرورا وانعما كبان بنى بنيانه فاقامه فلما استوى ما قد بناه
❁ هب الدنيا تساق اليك عفوا اليس مصير ذاك الى انتقال
❁ وما دنياك الا مثل فيء اظلك ثم اذن بالزوال ❁ ❁ وقال
لقمان لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك تخسرهما جميعا ❁ وقال مطرف بن الشخير لا
تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم ❁ وقال ابن عباس ان
الله سبحانه جعل الدنيا ثلاثة اجزاء جزء للمؤمنين وجزء للمنافقين وجزء للكفار فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين
والكافر يتمتع ❁ وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب ❁ وقيل في ذلك
❁ يا طالب الدنيا الي تعنيها تنح عن خطبتها تسلم
❁ ان التي تخطب غدارة قريبة العرس من الماتم ❁ ❁ وقال ابو الدرداء من
من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها **وقيل**
❁ وما الناس الا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق ❁
❁ اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق ❁
يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا افنى القرون التي كانت منعمة كر الليالي اقبالا وادبارا
ابكار ام امن يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سفارا هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق في الفردوس
ابكارا ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك ان لا تامن النارا ❁ وقال ابو امامة الباهلي لما بعث محمد عليه السلام
اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبونها ما ابالي
ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلاث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن
حقه والشر كله لهذا تبع ❁ وقال رجل لعلي رضي الله عنه يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما اصف لك من دار
من صح فيها ما امن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها
العذاب وهي مخلوقة للخراب ❁ وقيل له في ذلك مرة اخرى فقال اطول ام اقصر فقيل اقصر فقال حلالها حساب
وحرامها عذاب ❁ وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا ❁ وقال ابو سليمان
اذا كانت الاخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها واذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الاخرة لان الاخرة كريمة والدنيا
لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو ان يكون ما ذكره سنان بن الحكم اصح اذ قال الدنيا والاخرة يجتمعان في القلب
فايهما غلب كان الاخر تبعا له ❁ وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الاخرة من قلبك وبقدر ما تحزن
للاخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله عيسى عليه السلام الدنيا والاخرة ضرتان فبقدر ما ترضي
احداهما تسخط الاخرى ❁ وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذي
يمشون عليه ما يبالون اشرقت الدنيا ام غربت ذهبت الى ذا ام ذهبت الى ذا ❁ وقال رجل للحسن ما تقول في
رجل اتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه ايحسن فيه ان يتنعم يعني التنعم فقال لا لو كانت الدنيا

بحذافيرها كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها في الآخرة لكنت اقذرها كما يقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل قدم عمر الشام فاستقبله ابو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه وساله عن حاله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله يعني جهاز ناقته فقال له عمر لو اتخذت متاعا فقال يا امير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا وقال وهب قرات في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمن لابنه يا بني انك قد استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد عنها وقال سعيد بن مسعود اذا رايت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب الشيطان به وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص وهو على المنبر والله ما رايت قوما قط ارغب فيما كان رسول الله يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله ثلاث الا والذي عليه اكثر من الذي هو له وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا من قال ذا قاله من خلقها من هو اعلم بها واعلم اياها وحذركم منها وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشتغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن ادم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذه من حله حوسب بنعمته وان اخذه من حرام عذب به مسكين ابن ادم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر سلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل وقال الفضيل الدخول في الدنيا هين لكن الخلاص منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معوية رجل من نجران عمره مايتا سنة فساله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلا وسنيات رخا يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها قال له سل ما شيت قال عمر مضى فترده او اجل قد حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال فلا حاجة لي اليك وقال داود الطاي ابن ادم تفرح ببلوغ املك وانما بلغته بنقصان اجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك وقال بشر من سال الله الدنيا فانما ساله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شي يسرك الا وقد الصق به شي يسوؤك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن ادم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنى قال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال ابو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري اي عذاب الله ينزل بنا وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنا منها لمن اهانها وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد اعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يدعو ويقول يا ممسك السما ان تقع على الارض امسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر ارايت لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يوتى به يوم القيمة فيقال ان هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عنده عظيمة مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم اشتدت مونة الدنيا والآخرة فاما مونة الآخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مونة الدنيا فانك لن تضرب بيدك الى شي منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة بين السما والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شي وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشي من الدنيا فقد اخطا الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله

ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة ضيع نفسه قيل له انه كان يفعل ويفعل وذكر ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل له الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والآخرة والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدين وعظ اخا له في الله وخوفه من الله فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صاير وساكنها الى القبور زاير شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف والاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله وارض برزق الله لا تستسلف من دار بقايك في دار فنايك فان عيشك في زايل وجدار مايل اكثر من عملك واقصر من املك وقال ابرهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة قال دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الاخرة كانك تحبه في اليقظة وعن اسمعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرا فيقولون اليك عنا يا خنزير فلو وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال يحيى بن معاذ العقلا ثلاثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا يبلغ من شومها ان تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفي النار بالتبن وقال بندار اذا رايت ابنا الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في سخرية الشيطان وقال ايضا من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن اقبل على الله تعالى احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال علي رضي الله عنه انما الدنيا ستة اشيا مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات الما يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المراة وهي مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسن شي منها ويراد اقبح شي منها واشرف المشمومات المسك وهو دم حيوان

بيان المواعظ في صفة الدنيا وذمها

قال بعضهم ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمين اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوايقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل او هل الى الطبيب من سبيل فتدعى لك الاطبا ولا يرجى لك الشفا ثم يقال فلان اوصى وماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبتت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان ومنعت الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضا وانتزعت نفسك من الاعضا ثم عرج بها الى السما فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع افة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تاتي سلطانه فتهدمه او تاتي بنيانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بما هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم الاخذة لما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي تبسط كفها بالاعطا اذ بسطتها بالاسترداد تعقد التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سوا عليها ذهاب ما ذهب وبقا ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري الى عمر

ابن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما انزل ادم اليها عقوبة فاحذرها يا امير المو
فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه
فكن فيها كالمداوي جرحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدوا مخافة طول البلا فاحذر هذه الدار الغدارة
الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بامالها وتشوفت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية
العيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة وللرشا على احبابها
قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الاخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله حين اخبره عنها مذكر فكم عاشق لها
قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد والبلى فشغل بها لبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت
حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت تالمه وحسرات الفوت تغصصه ومن رغب فيها لم يدرك منها ما طلب
ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المومنين وكن اسر ما تكون فيها
احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمان منها الى سرور اشخصته الى مكروه والسار فيها لاهلها غار
والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخا منها بالبلا وجعل البقا فيها الى الفنا فسرورها مشوب بالاحزان
لا يرجع منها ما ولى وادبر ولا يدري ما هو ات فينتظر امانيها كاذبة وامالها باطلة وصفوها كدر
وعيشها نكد وابن ادم فيها على خطر ان عقل ونظر وهو من النعما على خطر ومن البلا على حذر فلو كان
الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت النايم ونبهت الغافل فكيف وقد جا
من الله سبحانه فيها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله قدر ولا نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك بمفاتيحها
وخزاينها لا ينقصه عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله امره او يحب ما ابغض خالقه
او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها على اعدايه اغترارا افيظن المغرور بها المقتدر
عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم اذ شد الحجر على بطنه ولقد جات الرواية عن
الله سبحانه انه قال لموسى عليه السلام اذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا
فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شيت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام اذ يقول
ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاي في الشتا مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي
وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض ابيت وليس لي شي واصبح وليس لي شي وليس على الارض احد اغنى مني وقال
ابن منبه لما بعث الله موسى وهارون عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان
ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما متع به منها فانما هي زهرة الحيوة
الدنيا وزينة المترفين فلو شيت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما
لفعلت ولكن ارغب بكما عن ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليايي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي
الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة وما ذلك لهوانهم
علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا وانما يتزين لي اوليايي بالذل والخشوع والخوف والتقوى
تثبت في قلوبهم فيظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون
ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاوهم الذي اياه ياملون ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا
لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة
ثم انا الثاير له يوم القيمة وخطب علي رضي الله عنه يوما فقال في خطبته اعلموا انكم ميتون ومبعوثون
من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فانها بالبلا محفوفة وبالفنا
معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولن
يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها في رخا وسرور اذ هم منها في بلا وغرور احوال مختلفة
وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخا فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم
بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم

فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد اثارا فاصبحت اصواتهم
هامدة خامدة واجسادهم من بعد طول تقلبها بالية وديارهم خالية واثارهم عافية استبدلوا بالقصور المشيدة
والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطية الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل
عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من
قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلا واكلتهم الجنادل والثرى فاصبحوا بعد الحياة
امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب فظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها
كلمة هو قايلها ومن ورايهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلا والوحدة في دار الثوا وضمكم
ذلك المستودع فكيف بكم لو قد عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور ووقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل
فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار فظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى
كل نفس بما كسبت ان الله سبحانه يقول ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب
فترى المجرمين مشفقين مما فيه الاية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليايه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله
انه حميد مجيد وقال بعض العلما الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وايامه
فكيف بقاك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقصان لاستوحشت
من كل يوم ياتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار في السلو عن غوايل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها
لامر من العلقم اذا عجمها الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها بظاهر افعالها وما تاتي به من العجايب اكثر مما يحيط به الواعظ
نستوهب الله رشدا الى الصواب وقال بعض الحكما وقد استوصف الدنيا وقدر بقايها الدنيا وقتك الذي يرجع اليك
فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يات فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته
واحداثه تتوالى على الانسان بالتغير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل
والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب عمر بن عبد العزيز فقال ايها الناس انكم خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون
عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق ولا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهونها
فاعملوا لما انتم صايرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكا ونزل وقال علي رضي الله عنه في خطبته اوصيكم عباد الله
بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها
كمثل سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكانهم اكثر منكم عسى ان يجري المجرى حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى
ان يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبوسها وضرايها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعيمها
فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم اهل الفضل والعلم
والمعرفة والادب ان الله سبحانه قد اهان هذه الدنيا وانه لم يرضها لاوليايه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر اصحابه منها ومن فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا
ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه مما سد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها فانية
والى الاخرة بعين انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة ونظروا الى الاخرة بقلوبهم
فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فلو تحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرحلون اليها بابدانهم صبروا قليلا
وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب وكرهوا ما كره لهم

بيان صفة الدنيا بالامثلة

اعلم ان الدنيا مثال الظل سريعة الفنا قريبة الانقضا تعد بالبقا ثم تخلف في الوفا تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي
سايرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمين اليها وانما يحس عند انقضايها
ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما
ذكرت الدنيا عند الحسن البصري انشا يقول

احلام نوم او كظل زايل ... ان اللبيب بمثلها لا يخدع

وكان الحسن بن علي يتمثل ويقول هذه الابيات

يا اهل لذات دنيا لا بقا لها ... ان اغترارا بظل زايل حمق

ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فقلعوا الخيمة فاصابته الشمس

فانتبه وجعل يقول الا انما الدنيا كظل بنيته ولا بد يوما ان ظلك زايل وفي مثل ذلك قيل
وان امرأ دنياه اكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور مثال اخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها
بعد افلاتها تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام قال عليه السلام الدنيا حلم واهلها عليها مجازون ومعاقبون
وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي والدنيا الا كرجل نام فراى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك
الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس في ايديهم شي مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لحكيم اي شي اشبه بالدنيا قال احلام
النايم مثال اخر للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها بنيها اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا
والتوصل الى الاهلاك اخرا وهي كامراة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا
فراها في صورة عجوز هتما عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت
بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بوسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا واحدا
ولا يكونون منك على حذر مثال اخر للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها اعلم ان الدنيا مزينة الظاهر قبيحة
السراير وهي تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم
قبايحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلاء بن زياد رايت في النوم عجوزا
كبيرة متغضنة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها متعجبون ينظرون اليها فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها
واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت او ما تعرفني قلت لا ادري من انت قالت انا الدنيا فقلت اعوذ بالله من شرك
قالت فان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم وقال ابو بكر بن عياش رايت الدنيا في النوم عجوزا شوها شمطا تصفق
بيدها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذاي اقبلت الي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك ما صنعت
بهولاء ثم بكى ابو بكر وقال رايت هذا قبل ان اقدم الى بغداد وقال الفضيل قال ابن عباس يوتى بالدنيا يوم القيمة في صورة عجوز
شمطا زرقا انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلايق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال
هذه الدنيا التي تناحرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادي اي رب
اين اتباعي واشياعي فيقول الله سبحانه وتعالى الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه الى
السما فاذا امراة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والحلل واذا لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شي
يراها الناس واذا اقبلت كانت اقبح شي يراها الناس عجوز شمطا زرقا عمشا قال فقلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك
الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت من انت قالت انا الدنيا مثال اخر للدنيا وعبور الانسان بها اعلم ان الاحوال
ثلاثة حالة لم تكن فيها شيا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهي ما بعد موتك الى الابد وحالة
متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حيوتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه
اقل من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال عليه السلام ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صايف
فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر
وضيق او سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي عليه السلام وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وراى
بعض اصحابه يبني بيتا من جص فقال ارى الامر اعجل من هذا وانكر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة
فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان حيوة الدنيا معبر الى الاخرة من المهد الى اللحد والمهد هو الميل الاول على راس
القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع
ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بد له من العبور فالبنا على القنطرة وتزيينها باصناف
الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان مثال اخر للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها اعلم ان
اوايل امور الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخايض فيها ان حلاوة الخروج منها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فالخوض في الدنيا
سهل والخروج والسلامة منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي بمثالها فقال مثل الحية لين مسها
ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون
فيها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور اشخصته عنه مكروه والسلام مثال اخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها

الدنيا

بعد الخوض فيها قال عليه السلام انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الماشي في الماء ان لا تبتل قدماه
وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلايقها عن بواطنهم منقطعة
وذلك مكيدة الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة
يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال
عيسى عليه السلام بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة المرض كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة
ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب اذا
لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم يتخرق او يشن يوشك ان يكون وعا للعسل كذلك
القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او تقسها النعيم فسوف تكون اوعية للحكمة وقال نبينا عليه السلام انما بقي
من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله مثال
اخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ثوب شق من
اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع مثال اخر لتادية علايق الدنيا بعضها الى
بعض حتى الهلاك قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ما البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله
مثال اخر لمخالفة اخر الدنيا اولها ونضارة اوايلها وخبث عواقبها اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة
كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة
اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل
شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره
واخذ ماله وولده واهله تكون مصيبته والمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته في ذلك الشي المفقود وحبه له وحرصه عليها
فكلما كان في الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وامر وما للموت معنى الا فقد ما في الدنيا وقد روي انه عليه السلام
قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست توتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والما قال بلى قال فالى م يصير قال
الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله قد ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن ادم وقال ابي بن كعب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن ادم فانظر الى ما يخرج من ابن ادم وان قزحه وملحه الى ما يصير وقال عليه
السلام ان الله سبحانه ضرب الدنيا لمطعم ابن ادم مثلا وضرب مطعم ابن ادم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه وقال الحسن
قد رايتم تطيبونها بالافاويه والطيب ثم ترمون بها حيث رايتم وقد قال سبحانه فلينظر الانسان الى طعامه وقال
ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر اني اريد ان اسالك فاستحي قال فلا تستحي واسال قال اذا قضى احدنا حاجته وقام
ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر الى هذا ما بخلت به انظر الى ما صار وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى
اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم مثال اخر في نسبة
الدنيا الى الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع
اليه مثال اخر للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الاخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم
ان اهل الدنيا في غفلتهم مثلهم كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضا الحاجة وحذرهم
المقام فيها وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته ثم انصرف وبادر الى السفينة
فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى انوارها وازهارها
العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربتها واحجارها وجواهرها
ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجدها وعجايب صورها
ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار
واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ضيقا وصارت
ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذها ولم يقدر على رميها ولم يجد مكانا لوضعها فحملها في السفينة على عنقه وهو متاسف على
اخذها وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج في الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه حتى لم يبلغه ندا الملاح

هادرها

لاشتغاله بأكل تلك الثمار والشم لتلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من النكبات والسقطات ولا ينفك عن شوك ينشب بثيابه وعود يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه من الانصراف لو أراده فلما بلغهم نداء الملاح انصرف بعضهم مثقلاً بما معه ولم يجد في المركب موضعاً فبقي في الشط حتى مات جوعاً وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة وأما من وصل إلى المركب بثقل ما معه من الحجارة المزرحة فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكمدت ألوان تلك الأحجار فظهر نتن روائحها فصار مع كونها مضيقة عليه مؤذياً بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هرباً منها وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح فما بلغ إلا سقيماً مدنفاً ومن رجع قريباً ما فاته إلا سعة المحل فتأذى بتضييق المكان مدة ولكن لما وصل الوطن استراح ومن رجع أولاً وجد المكان الأوسع ووصل الوطن سالماً فهذا مثال أصناف أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمرهم وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلاً ووبالاً عليه وهو في الحال شاغل له بالحذر والخوف عليه وهذا حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله

مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف إيمانهم بقوله سبحانه في تحذيرهم إياهم غوائل الدنيا قال الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي أنفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر رأسه ماء فقالوا إن هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى إليهم قال يا هؤلاء قالوا نعم يا هذا فقال علام أنتم فقالوا على ما ترى قال أرأيتكم إن هديتكم إلى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئاً فقال أعطوني عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئاً قال فأوردهم ماء رواء ورياضاً خضراً فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا نعم يا هذا قال الرحيل قالوا إلى أين قال إلى ماء ليس كمائكم وإلى رياض ليست كرياضكم فقال أكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أن لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تعصوه شيئاً وقد صدقكم في أول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقتيل

مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ داراً وزينها وهو يدعو إلى داره قوماً على الترتيب واحداً بعد واحد فدخل واحد فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه وظن أنه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالماً برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر فكذلك من عرف سنة الله سبحانه في الدنيا علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي أن تجتنب منها وما الذي لا تجتنب منها فلا بد أن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله سبحانه ما هي فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك والقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلا أن جميع ما لك إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام

القسم الأول ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط وأعني بالعلم العلم بالله سبحانه وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت أرضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه عليه السلام وأعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله سبحانه وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الأشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لأنه أشهى عنده من جميعها فقد صار حظاً عاجلاً في الدنيا ولكنا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلاً بل قلنا إنه من الآخرة وكذلك

العابد قد يأنس بعبادة الله فيستلذها بحيث لو منعت منه لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال عليه السلام حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لأن كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا إلا أنا في هذا الكتاب لسنا نتعرض إلا إلى الدنيا المذمومة فنقول هذا ليس من الدنيا

القسم الثاني وهو المقابل للقسم الأول على الطرف الأقصى وهو كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً كالتلذذ بالمعاصي والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث والغلمان والجواري والسراري والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الأطعمة فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولاً أو في محل الحاجة نظر طويل إذ روي عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفاً أنفق عليه درهمين فكتب إليه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أذن الله بخرابها فإذا أتاك كتابي هذا فقد سيرتك أنت وأهلك إلى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضلاً من الدنيا فتأمل فيه

القسم الثالث وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل فهذا ليس من الدنيا وهو كالقسم الأول لأنه معين عليه ووسيلة إليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولاً للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أعني طهارته عن أدناس الدنيا وأنسه بذكر الله سبحانه وحبه لله وصفاء القلب وطهارته لا تحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله سبحانه إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله سبحانه كما ورد في الأخبار أن أعمال العبد تناضل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث وأما الأنس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد إلى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسروراً سليماً من الموانع آمناً من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذباً وهو لم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه فما حال من كان له واحد يؤخذ منه ذلك الواحد وليس الموت عدماً إنما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله سبحانه فإذاً سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض إليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال إلا بالقوت والملبس والمسكن ويحتاج كل واحد منها إلى أسباب والقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاث إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يعرض صاحبه لعذاب الله سبحانه في الآخرة ويسمى ذلك حراماً وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالاً والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضاً عذاب ومن نوقش الحساب فقد عذب إذ قال عليه السلام حلالها حساب وحرامها عذاب وقد قال أيضاً حلالها عذاب إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو أيضاً عذاب وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك على ذلك حسرة مع علمك بأنها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمها

وتنقطع الهموم دون غاياتها فكل من تنعم بالدنيا ولو بسماع صوت من طائر او بالنظر الى خضرة او شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة اضعافه وهو المعنى بقوله عليه السلام لعمر هذا من النعيم الذي تسأل عنه اشار الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر اعزلوا عني حسابها حيث كان عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فاداره في كفه ثم امتنع من شربه فالدنيا قليلها وكثيرها وحلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان منه على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلام وضع تحت راسه حجرا تحت راسه ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذيذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذيذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها اشد ولهذا زوى الله سبحانه الدنيا عن نبينا عليه السلام فكان يطوى اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الاولياء والانبياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفوق ولده لذائذ الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجا[مة] شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا

فان قلت فما الذي هو لله فاقول الاشياء ثلاثة اقسام فمنها ما لا يتصور ان يكون لله سبحانه وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله سبحانه ويمكن ان يجعل لغير الله وهي ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من طلب العلم الشرف وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال والحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله ومنها ما صورته حظ النفس ويمكن ان يجعل معناه لله وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاء الانسان وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال عليه السلام من طلب الدنيا حلالا مكاثرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف هذا بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشار قوله سبحانه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله سبحانه في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي منها تحصل هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله سبحانه زين للناس حب الشهوات الى قوله ذلك متاع الحيوة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله فليس هو من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس فهو لله ان قصد به وجه الله سبحانه والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويسا القرني كان اهله يظنون انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان ياتي عليه السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجها وكان يخرج اول الاذان وياتي الى منزله بعد عشاء الآخرة وكان طعامه ان يلتقط النوى وكلما اصاب من الحشف خبأه لافطاره فان اصاب ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى فان لم يصب ما يقوته الحشف تصدق والنوى فان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته وكان لباسه ان يلتقط الى المزابل فيلتقط قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه فكان ربما مر الصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول يا اخوتاه ان كنتم ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان تدموا عقبي فيحضر الصلاة ولا اصيب الماء فهكذا كانت احوال سيرته ولهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جهة اليمن اشارة اليه ولما ولي عمر قال ايها الناس من كان منكم من اهل العراق فليقم

فقام جماعة فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فليقم فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجلا واحدا فقال له عمر اقرني انت فقال نعم قال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما تسأل عن ذلك يا امير المؤمنين والله ما فينا احمق منه ولا اجن منه ولا احوج منه ولا ادنى منه فبكى عمر ثم قال ما قلت الذي قلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر قال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر قدمت الى الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويسا القرني واسال عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الراس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه مهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد علي ونظر الي فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي اياه ورقتي عليه اذ رايت من حاله ما رايت حتى بكيت وبكى ثم قال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي قال قلت الله قال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين عرفني ولا والله ما رايته قبل ذلك ولا رآني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وان لم يلتقوا ويتعارفون وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله ولكن رأيت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو مما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرأ علي آية من القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية احفظها منك فاني احبك في الله حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم ثم شهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان واوشك ان تموت فاما الى الجنة واما الى النار ومات ابوك آدم وماتت امك حواء ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن يا ابن حيان ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد عليهم اجمعين السلام ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب اخي وصفيي ثم قال يا عمراه يا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال انا وانت في الموتى كانه قد كان ثم صلى على النبي عليه السلام ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي اليك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت الي نفسي ونفسك وعليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل النار يوم القيمة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله لا اراك بعد اليوم رحمك الله ان تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيا فلا تسال عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم ارك وتراني فاذكرني وادع لي فاني ساذكرك وادعو لك ان شاء الله تعالى انطلق انت ها هنا حتى انطلق انا ها هنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقته فبكى وابكاني فجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة ابناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق من بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله سبحانه من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما اريد به الله سبحانه مما يؤخذ بقدر الدنيا لاجل قوة طاعة الله فذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج

الضرورة

لا يشتغل بغير الحج متجرداً له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحاج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولاً بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع فيه مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا واذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان منحرفاً عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة ايام طاوياً فسمعت في الليلة الثامنة منادياً وانا بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك

بيان حقيقة الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم

اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله سبحانه وتعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات وللتداوي واما المعادن فيطلبها الآدمي للآلات والاواني كالحديد والنحاس والرصاص وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فتطلب لحومها للاكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الآدمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان وليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله سبحانه في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليواقيت والخيل المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها

العلاقة الثانية مع البدن وهي اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله سبحانه واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الدابة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا لضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما شغل الناس عن الله سبحانه هو البطن فان القوت ضروري واما المسكن والملبس فهما اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت عليهم اشغال الدنيا واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله سبحانه وكيف انستهم انفسهم وانستهم عاقبة امورهم فنقول ان الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق منكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع اسباب الهلاك عن المال والاهل

ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحاً بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق الله ذلك للبهائم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في ابدانها فتستغني عن البناء وتقنع بالصحراء ولباسها جلودها وشعورها فتستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل ايضاً للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله سبحانه من صيد او معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي وهذا الذي نعنيه بالاقتناص ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات انما تؤخذ اما من النبات وهي الاخشاب او من المعادن كالرصاص والحديد وغيره او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيفما كان وبالحداد كل من يعمل في جواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما آحاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس وتربية الولد وغير ذلك فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش لذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد منهم بصناعة فان الشخص الواحد لا يستقل بالفلاحة وحده لانه يحتاج الى الآلات وتحتاج الآلات الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك لا يمكنه الانفراد بتحصيل الملبس لانه يفتقر الى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت بمنزل بما معهم من الآلات والاثاث فالمنازل تدفع الحر والبرد وتدفع الجيران من اللصوصية وغيرها ولكن جميع المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص خارج المنزل فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى القوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت واما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد ايضاً فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة لعمى او مرض او هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو تركوا ضائعين لهلكوا ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخر فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الارض ليمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوسط لفصل الخصام ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله سبحانه في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلاً لتعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت لتعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس لذلك فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم وارزاقهم الاموال الضائعة التي لا مالك لها ان كانت او يصرف اليهم الغنائم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل الديانة والورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم

ليمدوهم بالحراسة فيحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع الاموال عنده ليحفظها الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابط لانخرم النظام فيحدث من ذلك الحاجة الى ملك يدبرهم والى امير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد منهم ما يليق به ويرعى النصفة في اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الكاتب والخازن والحاسب والجابي والعامل ثم هؤلاء ايضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالفلاحة فيحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثاني الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالث المترددون بين الطائفتين في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتدا الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا يتناهى الى غير حد محصور وكانها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع به واعلاها الاغذية ثم الامكنة التي ياوي الانسان اليها وهي الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والته ثم الات الالات وقد يكون في الالات ما هو حيوان كالكلب الة الصياد والبقر الة الحراثة والفرس الة الحرب ثم يحدث من بعد ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها الة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهم الى ان يبذل ما عنده للاخر حتى ياخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذا بالته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى الالة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الالة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع الة كل صناعة ليترصد بها صاحبها ارباب الحاجات والى ابيات يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريها منهم صاحب الابيات ليترصد بها ارباب الحاجات فيظهر لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها الى انتظار ارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات فينقلونها ويتعيشون بها لينتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا يوجد فيها كل الة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث من ذلك التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم على جميع ذلك حرص جمع المال فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار لاغراض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي ياكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظم بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس كلهم وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا وهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فيحدث معاملة بينه وبين صاحب الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقدين فان من يريد ان يشتري طعاما بثوب من اين يدري ان المقدار الذي يساوي من الطعام كم هو والمعاملة تجري في اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة وكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه

الحرف لا يمكن مباشرتها الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به او يمنعه منه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان ياكل مما يسعى فيه غيره فيحدث من ذلك حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم الى استنباط الحيل والتدبيرات اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطرقات كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الجاري بحسب ما تنتجه الافكار المصروفة الى استنباطها واما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره قيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك وللبطالة فلا نعطيك شيئا فافتقروا الى الحيل في استخراج الاموال وتمهيد الاعذار لانفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعا والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون افعالا واقوالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها حتى يسخو برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت او الذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق او يسلم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشائش التي يتخيل بائعها انها ادوية فيخدع بها الصبيان والجهال وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل من العلم وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم وما بهم فضلوا وتاهوا وسبق الى قلوبهم الضعيفة بعد ان كدرها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت اراؤهم على عدة اوجه فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى ناكل فياكلون ليكتسبوا ويكتسبون لياكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوات الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذيذ الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادات فشغلهم ذلك عن الله سبحانه واليوم الاخر وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغنا بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دابهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر بها من ياكلها في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبها ووبالها وللاكل لذتها ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك في اشباههم وامثالهم وهم لا يعتبرون وطائفة ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروة فهؤلاء يتعبون في كسب المعايش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع اموالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة فهمتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات

وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بذلك على طائفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم
فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذه اغلب الشهوات على قلوب المتغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع
الناس لهم عن التواضع لله سبحانه وعن عبادته وعن الفكر في آخرتهم ومعادهم ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها وتزيد على نيف
وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا وضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن فنسوا
ما يراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم اوائل اسبابها الى اواخرها وتداعت بهم الى مهاو لم يمكنهم
الترقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو
عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه من ذلك وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك
فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد لها وان تعدى به قدر
الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية
الدنيا فلا يبالي الله باي واد اهلكه فهذا شان المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان
ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة وان الآخرة دار سعادة
لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب في ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا والى ذلك
ذهب طوائف من عباد الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق وغيره ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا
وبلائها وظنت طائفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية وقلعها عن نفسه بالكلية وان السعادة
في قطع الشهوة والغضب وغيره من الصفات البشرية ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم لشدة
الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسدت عليه طرق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية
وظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد والزندقة والكفر هنا وظهر لبعضهم ان هذا
التعب كله لله وان الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة عابد فعادوا الى الشهوات
وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله مستغن
عن عبادة العباد • وظنت طائفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله سبحانه
فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع
محلهم في معرفة الله عن ان يمتهنوا بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة
يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي التي الزمت ما كان عليه رسول الله
واصحابه وذلك ان لا تترك الدنيا بالكلية اما الدنيا فيؤخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع
والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم
مقصود كل ما خلق الله من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن
ما يحفظه عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله بكنه همه واشتغل
بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الشرع والتقوى ولا يعلم
تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال الناجي منها
فرقة واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال اهل السنة والجماعة قيل ومن اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي
وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا
يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط ولا افراط بل كان امرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل
والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله سبحانه كما سبق ذكره في مواضع تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله رب العالمين

كتاب ذم حب المال

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط • وكاشف الضر بعد القنوط • الذي خلق

الخلق ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال • وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال • ورددهم فيها بين اليسر
والعسر والغنى والفقر والطمع واليأس • والثروة والافلاس • والعجز والاستطاعة • والحرص والقناعة • والبخل والجود
والفرح بالموجود • والاسف على المفقود • والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير • والرضا باليسير
واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا •
واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا • والصلاة على محمد الذي نسخ بملته مللا • وطوى بشريعته اديانا ونحلا • وعلى آله واصحابه
الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم كثيرا **اما بعد** فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة
الارجاء والاكناف • لكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها
فان فقد حصل منه الفقر الذي كاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة امره الا خسرا • وبالجملة
فهو لا يخلو من الفوائد والآفات وفوائده من المنجيات وآفاته من المهلكات • وتمييز خيرها من شرها من المعوصات التي
لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين • وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما
ذكرناه من كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء
الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو
بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات
وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده صفة الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم
للفاقد حالتان الحرص والقناعة واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي الناس
وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق
واحد منهما مذموم والآخر محمود وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف
الغطاء عن الغموض فيها مهم فنشرحه في فصول وهي **اربعة عشر فصلا** وهي بيان ذم المال ثم مدحه • ثم تفصيل
فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء وحكايات الاسخياء ثم ذم البخل
ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح
الفقر

بيان ذم المال وكراهة حبه

قال الله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون • وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال سبحانه من كان
يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال الهاكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان
النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلام ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب
المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال هلك الاكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل
يا رسول الله اي امتك شر قال الاغنياء وقال سيأتي بعدي قوم يأكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها
ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين
على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم
يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم
ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام • وقال عليه السلام دعوا الدنيا لاهلها
من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر • وقال عليه السلام يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك
الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت • وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت فقال هل
معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المرء مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان
يتخلف معه • وقال عليه السلام اخلاء ابن آدم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي
يتبعه الى قبض روحه ماله والذي يتبعه الى قبره اهله والذي يتبعه الى محشره عمله • وقال الحواريون لعيسى عليه
السلام ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم فقالوا حسنة قال لكنهما
عندي والمدر سواء وكتب سلمان الى ابي الدرداء يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد
اديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله
في فلا يزال كذلك حتى يدعوا بالويل والثبور وكلما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في مدح الفقر وذم الغنى يرجع جميعه الى ذم
المال فلا نطول بتكريره وكذلك كلما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما
نذكر الان ما ورد في المال خاصة ❁ وقال عليه السلام اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال
عليه السلام لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا **الآثار** روي ان رجلا نال من ابي الدرداء فقال اللهم من فعل
بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم بطول العمر لانه لابد ان يفضي
الى الطغيان ❁ ووضع علي رضي الله عنه درهما على كفه فقال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي ان عمر ارسل الى
زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا فقالوا ارسله اليك عمر قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته صررا وقسمته
في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول الله لحوقا به
وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احد الا اذله الله ❁ وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما
على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا ❁ وقال سميط بن عجلان ان الدنانير والدراهم ازمة المنافقين
يقادون بها الى النار ❁ وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل
وما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه ❁ وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله
من شرك قالت فابغض الدرهم لان الدينار والدرهم هما الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا
ولذلك قيل ❁ اني رايت فلا تظنوا غيره ❁ ان التورع عند هذا الدرهم
وقيل ❁ فاذا قدرت عليه ثم تركته ❁ فاعلم ان تقاك تقوى المسلم
لا يغرنك من المرء قميص رقعه ❁ او ازار فوق عظم الساق منه رفعه ❁ او جبين لاح فيه اثر قد قلعه ❁ ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه
وروي عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركت
ولدك ليس لهم دينار ولا درهم وعنده ثلاثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه فقال اما قولك لم ادع لهم دينارا
ولا درهما فاني لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين
واما عاص فلا ابالي على ما وقع ❁ وروي ان محمد بن كعب القرظي اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني
ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي ❁ ويروى ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير
فخرج ابو عبد ربه من مائة الف درهم ❁ وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والاخرون بمثلهما للعبد في ماله عند
موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله **بيان مدح المال** والجمع بينه وبين الذم اعلم ان الله
سبحانه قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية الاية وقال عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح
وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به وقال سبحانه ويستخرجا كنزهما
رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال صلى الله عليه وسلم
كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وافاته
وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس خدم
بخير محض ولا بشر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير
المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم
والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الاخرة والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس واكيسهم قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادة
لا تنال الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة
والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وساير الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة اخسها
والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان

لذاتهما اذ النفس هي الجوهر النفيس اللطيف المطلوب سعادتها فانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصيلها
صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود
من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم وحسن الخلق ومن عرف
هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة في بقاء
البدن الذي هو ضرورة في كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية
ملتفتا اليها غير ناظر لها فقد احسن وانتفع وكل ما حصل له الغرض محمود في حقه فاذا المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح
ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة ده
عن سعادة الاخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذا محمود مذموم محمود بالاضافة الى المقصود المذموم فمن اخذ من
الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات
القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من
شره حتى قال نبينا عليه السلام اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال اللهم احيني مسكينا
وامتني مسكينا ❁ واستعاذ ابراهيم خليل الرحمن فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ❁ وفي بعض التفاسير انه عنى
هذين الحجرين الذهب والفضة اذ درجة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان تعتقد الالهية في شيء من الحجارة وانما عنى بعبادتهما
حبهما والاغترار بهما والركون اليهما ❁ وقال نبينا عليه السلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش
واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم و
ذلك شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقل ما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النمل
وشرك جلي يوجب الخلود في النار **بيان تفصيل آفات المال وفوائده** اعلم ان المال مثل حية
فيها سم وترياق ففوائده ترياقها وغوائله سمومها فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شره ويستدر
منه خيره اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف
الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها ❁ واما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة انواع **النوع الاول** ان ينفقه على
نفسه اما في عبادة او استعانة على عبادة اما العبادة فهو كالاستعانة على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما
من امهات القربات والفقير محروم من فضلهما واما ما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات
المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب منصرفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به
فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة
على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط **النوع الثاني** ما يصرفه الى الناس وذلك اربعة اقسام الصدقة والمروة
ووقاية العرض والاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب سبحانه وقد ذكرنا فضائلها واما المروة
فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجرى ذلك فان هذه لا تسمى صدقة بل
الصدقة ما تسلم الى المحتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب
صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا
مما يعظم الثواب فيه وقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة
في مصارفها ❁ واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم و
ذلك ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال عليه السلام ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة
وكيف لا يكون كذلك وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في
المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لها اسباب كثيرة ولو
تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر اللذين هما اعلى مقامات السالكين ومن لا
مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه
وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر

والذكر وما لا يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران **النوع الثالث** ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة الفوائد المالية في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب وكل ذلك مما يقتضيه المال في الحظوظ الدنيوية **واما الآفات** فدينية ودنيوية اما الدينية فثلاث **الاولى** انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعاصي ومن العصمة ان لا يقدر ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته اليها فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت الداعية والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء **الثانية** انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن على ذلك نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ويجر البعض منه الى البعض فاذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراءاة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الرديئة لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم من الآفة الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة وينبني على ذلك الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا تخلو عن التعدي ايضا الى الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه **الثالثة** وهي التي لا ينفك عنها احد وهي انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله سبحانه وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلاث آفات ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله قال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله سبحانه وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين ايضا في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه المال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدينية سوى ما تقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها فاذا درياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وآفات

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في ايدي الناس اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريص على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره فلا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثرة وطول الامل فاتته القناعة وتدنس بالطمع لا محالة وذل بالحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن ابي واقد الليثي قال كان عليه السلام اذا اوحي اليه اتيناه يعلمنا مما اوحي اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله سبحانه يقول انا انزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو ان لابن آدم واديا من ذهب لاحب ان يكون له ثان ولو كان له الثاني لاحب ان يكون اليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو

موسى

موسى الاشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال عليه السلام منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال يهرم ابن آدم ويشب منه اثنتان الامل وحب المال او كما قال ولما كانت هذه جبلة الآدمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله سبحانه ورسوله على القناعة فقد قال عليه السلام طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس ونهى عليه السلام عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب من الدنيا الا ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى عليه السلام سأل ربه سبحانه فقال اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى عليه السلام عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما في ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله قلنا اوليس قد بايعناك يا رسول الله قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسأل احدا ان يناوله اياه

الآثار قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وانه من يئس عما في ايدي الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفي مثل ذلك قال بعضهم فيه هذه الابيات

العيش ساعات تمر وخطوب ايام تكر ... اقنع بعيشك ترضه واترك هواك وانت حر

فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء وياكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به منها ما خرج من ايديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله سبحانه قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأت احدكم الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره وانما ياتيه ما قسم له او ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم عليه الا رفع اليه بعض حوائجه اليه فكتب اليه ابو حازم قد رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء اي الاشياء اسر للعاقل وايها اعون على دفع الحزن قال اسرها اليه ما قدم من صالح الاعمال واعونها على دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهنأهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط **وقد قيل**

ارفه بال فتى يمسي على ثقة ... ان الذي قسم الارزاق يرزقه

فالعرض منه مصون لا يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه

ان القناعة من يحلل بساحتها ... لا يلق في ظهرها هما يؤرقه

وقيل

حتى متى انا في حل وترحال ... وطول سعي وادبار واقبال

ونازح الدار لا انفك مغتربا ... عن الاحبة لا يدرون ما حالي

بمشرق الارض طورا ثم مغربها ... لا يخطر الموت من حرصي على بالي

ولو قنعت اتاني الرزق في دعة ... ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه الا اخبركم بما استحل من مال الله حلتان لشتائي وقيظي وما يحملني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم فوالله ما ادري ايحل لي ذلك ام لا كانه شك في ان هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة

حتى اتيهم

يخلقه

مالي

بما وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا **وقيل**
اراك يزيدك الاثرا حرصا على الدنيا كانك لا تموت ۞ فهل لك غاية ان صرت يوما اليها قلت حسبي قد رضيت ۞
وقال الشعبي حكي ان رجلا صاد قبرة فقالت له ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك واكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلاث خصال هي خير لك من اكلي اما واحدة فاعلمك اياها وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هاتي الاولى قالت لا تلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هاتي الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف وقال هاتي الثالثة فقالت انت قد نسيت اثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون انا ولحمي ودمي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الادمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون انه يكون ۞ وقال ابن السماك ان الرجا حبل في قلبك وقيد في رجلك فاخرج الرجا من قلبك يخرج القيد من رجلك ۞ وقال ابو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما راني تبسم فقلت فائدة اصلح الله امير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني امية فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما ثالثا **فانشدني**
اذا سد عنك باب من دون حاجة ۞ فدعه لاخرى ينفتح لك بابها ۞
فان قراب البطن يكفيك ملوه ۞ ويكفيك سوات الامور اجتنابها ۞ ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب ۞ ركوب المعاصي يجتنبك عقابها ۞
وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج فقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشي فيطلبه فيذهب عليه دينه واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان يفوتها شي ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شا واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال له هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان ۞ وقال بعض الحكما من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقا في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال ۞ وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت من اين تاكل فقال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا يأتيها بالطحين واوما بيده الى رحا اضراسه **بيان علاج الحرص والطمع**
والدوا الذي تكتسب به صفة القناعة اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور **الاول** وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد عن نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا بد منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه على ذلك وان كان له عيال فيرد كل واحد منهم الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر باد ني جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة هو اصل القناعة ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال عليه السلام ان الله يحب الرفق في الامر كله ۞ وقال ما عال من اقتصد ۞ وقال ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب ۞ وروي ان رجلا ابصر ابا الدردا يلتقط حبا من الارض وهو يقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس قال النبي عليه السلام الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضعة وعشرين جزءا من النبوة ۞ وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال عليه السلام من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله احبه الله وقال اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من اهم الامور **الثاني** انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب للاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لا بد ان ياتيه وان لم يشتد حرصه فيه وان شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله اذ قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك

لان الشيطان يعده الفقر ويامره بالفحشاء ويقول له ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال ولا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل هذه الابيات
ومن ينفق الساعات في جمع ماله ۞ مخافة فقر فالذي فعل الفقر ۞ وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر عليه السلام بابن مسعود وهو حزين فقال لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق ياتك وقال عليه السلام الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بالعلم بحسن الثقة بتدبير الله سبحانه في تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق العبد من حيث لا يحتسب اكثر قال سبحانه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي ان يضطرب قلبه لاجله قال عليه السلام ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب ۞ وقال سفيان اتق الله فما رايت تقيا محتاجا اي لا يترك التقي محتاجا فاتق الضرورة بل يلقي الله في قلوب المسلمين ان يوصلوا اليه رزقه ۞ وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي من اين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندري لم نعش وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شي منهما هو لي فلن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشي منهما هو لغيري فذلك لم انله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي اي هذين افني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر **الثالث** ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص من الذل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب الاخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والماثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان وقال النبي صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واحسن الى من شئت فانت اميره **الرابع** ان يكثر تامله في تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقى من الاكراد والاعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الخلق او على الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير فانه ان تنعم بالاكل فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم بالوقاع فالخنزير اعلى منه رتبة وان تزين في اللبس والخيل ففي اليهود من هو اعلى منه رتبة وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته الا الاولياء والانبياء **الخامس** ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه في افات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن والفراغ ويتامل ما ذكرناه من افات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنياء واخرج عن جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان ابدا يصرف نظره في الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والمشارب والملابس ويصرف نظره في الدين الى من هو دونه فيقول لم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك وهو لا يخاف الله ويقول والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عنهم قال ابو ذر اوصاني خليلي عليه السلام ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي اي في الدنيا وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبمعرفة هذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام قلائل للتمتع دهورا

يكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفا

بيان فضيلة السخاء

اعلم ان المال ان كان مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله الايثار والسخا واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخا من اخلاق الانبيا وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر عليه السلام حيث قال السخا شجرة في الجنة اغصانها متدلية الى الارض من اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله سبحانه ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخا وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية اخرى فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله اولياه الا على السخا وحسن الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله اي الايمان افضل قال الصبر والسماحة وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما الله فالسخا وحسن الخلق واما اللذان يبغضهما الله فالبخل وسوء الخلق واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشا السلام وحسن الكلام وقال ابو هريرة قال عليه السلام السخا شجرة في الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال ابو سعيد الخدري قال النبي عليه السلام يقول الله سبحانه اطلبوا الفضل من الرحما من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ورضاي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله ليباهي بمطعم الطعام الملايكة وقال عليه السلام ان الله جواد يحب الجواد ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسال على الاسلام شيا قط الا اعطاه فاتاه رجل فساله فامر له بشا كثير بين جبلين من شا الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطا من لا يخشى الفقر وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع وامسكها عن العباد نقلها الله عنه وحولها الى غيره وعن الهلالي قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم باسارى من بني العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي بن ابي طالب يا رسول الله الرب واحد والدين واحد فما بال هذا من بينهم فقال نزل علي جبريل فقال اقتل هولا واترك هذا فان الله يشكر له سخا فيه وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شي ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دوا وطعام البخيل دا وقال عليه السلام من عظمت نعمة الله عنده عظمت مونة الناس اليه فمن لم يحتمل المونة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شي لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخيا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عالم بخيل وادوا الدا البخل وقال عليه السلام اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت اهله وقال صلى الله عليه وسلم ان بدلا امتي لا يدخلون الجنة بصلاة ولا بصيام ولكن يدخلونها بسخا الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي به اهلها وقال عليه السلام كل معروف صدقة وكلما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال كل معروف فعلته الى غني او فقير فهو صدقة وروي ان الله سبحانه اوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركايب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت

الاثار

قال علي رضي الله عنه اذا اقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف وان تولت فاحرى ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف

وسال معوية الحسن بن علي عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهة واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السوال والاطعام في المحل والرافة بالسايل مع بذل النايل ورفع رجل الى الحسن بن علي رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك قال يسالني الله عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرا رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه ولين كلامه وسيل بعض الاعراب فقيل له من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سايلنا واغضى عن جاهلنا وقال علي بن الحسين من وصف ببذل ما له لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدي بحقوق الله في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر لها وقيل للحسن البصري ما السخا فقال ان تجود بمالك في الله قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله سبحانه يقول اني جواد كريم لا يجاورني لييم واللوم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته وراى الاحنف بن قيس رجلا وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي قال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وقيل في معناه انت للمال اذا امسكته فاذا انفقته فالمال لك وسمي واصل بن عطا الغزال لانه كان يجلس في الغزالين فاذا راى امراة ضعيفة اعطاها شيا وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي رضوان الله عليهم يعتب عليه في اعطا الشعرا فكتب اليه خير المال ما وقى العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخا فقال السخا البر بالاخوان والجود بالمال ووهب عبد الرحمن بن الحرث خمسين الف درهم تبعث بها الى الاخوان صررا وقال قد كنت اسال الله لهم الجنة في صلاتي فابخل عليهم بالدنيا وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكما من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت ايادي عنده وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل مكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شيبة كيف رايت الناس في داري فقال يا امير المومنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر بهذين البيتين فقال

ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها لله او لذوي القرابة او دع

فقال عبد الله ان هذين البيتين يبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت له اهلا

حكايات الاسخياء

عن محمد بن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عايشة فقالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال في غرارتين قال انه كان ثمانين ومائة الف فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل ان يضار عبد الله بن عباس فاتى وجوه قريش فقال لهم يقول لكم عبد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملوا عليه الدار فقال عبد الله ما هذا فاخبر الخبر فامر عبد الله بشرا الفاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموايد فاكلوا حتى صدروا فقال عبد الله لوكلايه اموجود لنا كلما اردت مثل هذا قالوا نعم قال فليتغد عندنا هولا كل يوم وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لاخيه الحسن لا تلقاه ولا تسلم عليه فلما خرج معوية قال الحسن ان علينا دينا ولا بد من اتيانه فركب في اثره فلحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمر عليه بختي عليه ثمانون الف دينار وقد اعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معاوية ما هذا فذكر له ذلك فقال اصرفوه بما عليه الى ابي محمد ليسوقه الى المدينة ويوفي به دينه وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثنا ابي انه رفع رقعة الى المامون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المامون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان سخا وحيا اما السخا فهو الذي اطلق ما في يديك واما الحيا فهو الذي يمنعك تبليغ ما انت فيه الينا وقد امرت لك بماية الف درهم فان اصبت فازدد في بسط يدك وان لم اكن اصبت فجنا

يتك

على نفسك واستحلفني وكتب على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق الواقدي عن الزهري وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي بالحديث احب الي من الجائزة ومن مائة الف اخرى وسال رجل الحسن بن علي حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام لما اتكلف من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر العطية واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من ثلاث مائة الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعلت بالخمس مائة دينار قال هي عندي قال فاحضرها ودفع الدراهم والدنانير الى الرجل فقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليهما الحسن رداءه كرا الحمل فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكن ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم ۞ واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج بنته من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله ابن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا واخرج منه ست بدر وقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفنا اعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم اولياء الله ففعل وفعلوا ۞ وحكي انه لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد اميرهم قال والله لاعلمن الشيطان اني عدوه فعال محاويجهم الى ان اخصب الناس ورخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه الف الف درهم ورهنهم حلي نسائهم وقيمته خمسة الاف الف درهم فلما تعذر عليه ارتجاعه كتب اليهم ببيعه ودفع الفاضل منه عن حقوقهم الى من لم تنله صلاته ليقسموها ۞ وكان ابو طالب بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق علي بن ابي طالب لما وهبت لي نخلك بموضع كذا قال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك اضعاف ما طلب الرجل ۞ وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي بعشرة الاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة الاف واخرج ابو مرثد من الحبس ۞ وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة يريد الدخول على معن فلم يتهيا له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا من الشعر على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن على راس الماء فلما بصر بالخشبة التقطها واخذها وقراها واذا فيها مكتوب ۞ ايا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي الى معن سواك شفيع فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فانشد البيت فامر له بعشر بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرج الخشبة من تحت البساط وقراها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان ياخذ منه ما اعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قراها ودعا بالرجل ودفع اليه عشر بدر فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان ياخذ منه ما اعطاه وخرج فلما كان في اليوم الرابع قراها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار ۞ وقال ابو الحسن المدايني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها منفردة فقالوا هل من شراب او فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام فقالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم فذبحها وكشطها ثم هيات لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون اليك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته خبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة الجاتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة واذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث اليها غلامه فدعاها وقال لها يا امة الله اتعرفيني يوم كذا وكذا فقالت العجوز بابي انت وامي انت هو قال نعم ثم امر فاشترى لها من شياه الصدقة الف شاة وامر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك الحسن اخي قالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين ايضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر

فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين فقالت الف شاة والف دينار لكل واحد منهما فامر لها عبد الله بالفي شاة والفي دينار وقال لها لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف شاة واربعة الاف دينار ۞ وخرج عبد الله بن عامر ابن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ بالله ان يطير اجنابك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف دينار فدفعها اليه وقال استنفق هذه فنعم ما ادبك اهلك ۞ وحكي ان قوما من العرب جاوا الى قبر بعض اسخيائهم للزيارة فنزلوا عنده وكان قد جاوا من سفر بعيد فباتوا عند القبر فراى رجل منهم صاحب القبر وهو يقول له هل لك ان تبادلني بعيرك بنجيبي وكان قد خلف الميت نجيبا معروفا به وكان لهذا الرجل بعير سمين فقال له الرجل وهو في النوم نعم فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم يخرج من نحر البعير فقام اليه فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان في اليوم الثاني وهم يسيرون في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل من ذلك الركب من منكم فلان بن فلان باسم ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر فقال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول ان كنت ابني فادفع نجيبي لفلان بن فلان وسماه ۞ وقدم رجل من قريش من سفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك فابكاني واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء في دار خالد فقال لاهله ما لهؤلاء فقالوا يبكون لدارهم فقال يا غلام ايتهم واعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا وقيل انفذ هرون الرشيد الى مالك بن انس رضي الله عنه خمس مائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون وقال اعطيته انا خمس مائة واعطيته انت الفا وانت من رعيتي فقال يا امير المومنين ان لي كل يوم من غلتي الف دينار فاستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكي انه لم تجب عليه زكاة قط مع ان دخله كل يوم الف دينار ۞ وروي ان امراة سالت الليث بن سعد شيئا من عسل فامر لها بزق فقيل له في ذلك فقال انها سالت على قدرها ونعطيها على قدر النعمة علينا ۞ وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينا ۞ وقال الاعمش اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسالني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة اكثر من ثلاثمائة دينار من بره وانا استغفر الله لاني تمنيت ان الشاة لم تبرا ۞ وقال عبد الملك بن مروان لاسماء بن خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها فقال هي من غيري احسن منها مني قال عزمت عليك لتحدثني بها فقال يا امير المومنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما فدعوت اليه قوما الا كانوا امن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل قط وجهه يسالني شيئا فاستكثرت شيئا اعطيته اياه ۞ ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيئا كتب لمن يساله الصكاك على نفسه حتى يخرج عطاوه فلما نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت اني سمعت مع الصباح مناديا يا من يعين على الفتى المعوان ثم قال ما حاجتك قال ديني قال وكم هو قال ثلاثون الف دينار قال لك دينك ومثله ۞ وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطا اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا ينادي من كان لقيس عليه حق فهو منه في حل قال فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده ۞ وعن ابي اسحق قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من اهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث ابن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلى في مسجده بحلة ونعلين ۞ وقال ابو سعيد الحركوشي النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي الحجازي بمكة يقول كان بمصر رجل كان يجمع للفقراء شيئا فولد لبعض الفقراء ولد قال فجئت اليه فقلت ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجا الى قبر رجل كان يعرفه وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم وطلبت جماعة في شيء لمولود فلم يفتح لي بشيء ثم قام واخرج

دينارا فكسرته نصفين وما ولي نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يتيح لك شيء فاخذته وانصرفت واصلحت ما اتفق لي به فراى ذلك المحتسب تلك الليلة وذلك الشخص صاحب القبر في منامه وهو يقول قد سمعت جميع ما قلت وليس اذن لي في الجواب ولكن احضر منزلي وقل للاولاد يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قراية فيها خمسماية دينار فاحملها الى هذا الرجل قال فلما كان الغد تقدم الى منزل الميت وقص القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لروياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ونحن لا نتسخى احياء فلما الحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر القصة قال فاخذ منها دينارا فكسره نصفين فاعطاه النصف الذي اقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفيني هذا تصدق به على الفقراء قال ابو سعيد فلا ادري اي هولاء اسخى. وروي ان الشافعي رضي الله عنه لما مرض مرض موته قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ايتوني بتذكرته فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي سبعون الف درهم دينا فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه اي انما اراد هذا. قال ابو سعيد الواعظ الحركوشي لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة من احفاده وذريته فزرتهم فرايت فيهم سيما الخير واثار الفضل فقلت بلغ اثره في الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستندا الى قوله سبحانه وكان ابوهما صالحا. وقال الشافعي لا ازال احب حماد بن ابي سليمان لشيء بلغني عنه انه كان يوما راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان ينزل اليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت وقام اليه فسوى زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه من قلتها وانشد الشافعي رضي الله عنه لنفسه

يا لهف قلبي على مال اجود به على المقلين من اهل المروات
ان اعتذاري الى من جاء يسالني ما ليس عندي من احدى المصيبات

وعن الربيع بن سليمان قال اخذ رجل بركاب الشافعي فقال يا ربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني. وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعا الى مكة بعشرة الاف دينار فضرب خباه في موضع خارج من مكة ونثر الدنانير على ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه يقبض قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء. وعن ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيا من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال قال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها ولكن بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ينزلون فيه

وانشد الشافعي

اري نفسي تتوق الى امور يقصر دون مبلغهن مالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل ومالي لا يبلغني فعالي

وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابي على المامون فوصله بماية الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر بذلك المامون فلما عاد اليه عاتبه في ذلك فقال يا امير المومنين منع الموجود سوء الظن بالمعبود فوصله بماية الف درهم اخرى. وقام رجل الى سعيد بن العاص فساله فامر له بماية الف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك فقال ابكي على الارض ان تاكل مثلك فامر له بماية الف اخرى. ودخل ابو تمام على ابرهيم بن شكلة بابيات فوجده عليلا فقبل منه المدحة وامر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه

ان حراما قبول مدحتنا وترك ما نرتجي من الصفد
كما الدنانير والدراهم في البيع حرام الا يدا بيد

فلما وصلت الى ابرهيم البيتان قال لحاجبه كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلاثين الفا وجيء بدواة وكتب اليه

اعجلتنا فاتاك عاجل برنا قلا ولو امهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كانك لم تسل ونكون نحن كاننا لم نفعل

وروي انه كان لعثمن على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم فخرج عثمن يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيا مالك فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروتك. وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرايت منه ثقلا فقلت ما لك فقال قد اجتمع عندي مال قد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسالت الخادم كم كان فقال اربع ماية الف. وجاء اعرابي الى طلحة فساله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه الرحم ما سالني بها احد قبلك ان لي ارضا قد اعطاني بها عثمن ثلاث ماية الف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمن ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمن ودفع اليه الثمن. وقيل بكى علي رضي الله عنه يوما فقيل له ما يبكيك فقال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني. واتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جاء بك قال علي اربع ماية درهم دين فوزن اربع ماية درهم واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت له امراته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي به

بيان ذم البخل

قال الله سبحانه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون. وقال سبحانه ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الاية. وقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل الاية. وقال عليه السلام اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم. وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم. وقال عليه السلام لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان. وقال عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه. وقال عليه السلام ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال. وقال مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيئا الا اتسعت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع. وقال خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق. وقال اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر. وقال اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا. وقال عليه السلام شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع. وقتل رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال عليه السلام وما يدريك انه شهيد فلعله قد كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه. وقال جبير بن مطعم بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت به الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداه فوقف فقال اعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا. وقال عمر رضي الله عنه قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هولاء كانوا احق به منهم فقال انهم خيروني بين ان يسالوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل. وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بما قالا فقال لكن فلان اعطيته ما بين عشرة الى ماية ولم يقل ذلك ان احدكم ليسالني فينطلق في مسالته متابطها وهي نار فقال عمر ولم تعطيهم ما هو نار فقال يابون الا ان يسالوني ويابى الله لي البخل. وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله فجودوا يجد الله لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل اسمه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل اصله راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار. وقال عليه السلام السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل. وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال واي داء ادوا من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح. وفي رواية قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنرى منه البخل فقال واي داء ادوا من البخل ليس ذلكم سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء. وقال علي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي الجهول احب الى الله من العالم البخيل. وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد. وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق. وقال لا ينبغي للمومن ان يكون بخيلا ولا جبانا. وقال قايل يقول كانكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اعظم عند الله من الشح حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل. وروي انه عليه السلام كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي فقال عليه السلام وما ذنبك صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السايل لياتيني ليسالني فكانما يستقبلني

بنخلة من نار فقال الملك حتى لا تحرقني ببارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام الف الف عام وبكيت حتى يجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لكبك الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله سبحانه يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وقال ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون

الاثار قال ابن عباس رضي الله عنه لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال وعزتي وجلالي لا اسكنك بخيلا وقالت اخت عمر بن عبد العزيز اف للبخيل اف للبخل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله انا نجد باموالنا ما يجد البخلا ولكنا نصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي في خطبته انه سياتي على الناس زمان عضوض يعض المومن على ما في يديه ولم يومر بذلك قال الله سبحانه ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يدي غيره حتى ياخذه ويشح بما في يديه فيمسكه والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في جهنم البخل او الكذب وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي العمل بالحزم مجتهدا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقرا ومن لا يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله سبحانه انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله ايديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان ينادیان اللهم عجل لكل ممسك تلفا ولمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا بالبخل لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكانما يرى السائل اذا راه ملك الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة رحمه الله لا ارى ان اعدل بخيلا لانه يحمله البخل على الاستقصا فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة وقال علي رضي الله عنه والله ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلا واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له وقال عليه السلام لرجل انك لبخيل وقد مدحت امراة عنده فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقا البخلا كرب على قلوب المومنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخيا الا حبا ولو كانوا فجارا وللبخلا الا بغضا ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز اغل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المومن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى ما اخبرتك

حكايات البخلا قيل كان بالبصرة رجل بخيل فدعاه بعض جيرانه وقرب اليه طباهجة ببيض فاكل منها فاكثر وجعل يشرب الما فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت وجعل يتلوى فلما جهده الامر وصف حاله لطبيب فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض الموت ولا اتقياها وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القران شيا قال نعم وقرا والتين والزيتون وطور سينين فقال واين التين قال تحت كسايك ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلي وحكي ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسيل نسيب له كان يعرفه عنه وقيل له صف مائدته قال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قيل له فما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقيل له سوءاه انت خاص به وثوبك مخرق فقال اني والله ما اقدر على ابرة اخيط بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوا ابرا ثم جاءه يوسف يطلب منه ابرة ليخيط بها قميصه الذي قد قد من دبر ما فعل وقيل كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم فاذا قرم اليه ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله فقيل له نراك لا تاكل الا الروس في الصيف والشتا فلم تختار ذلك قال نعم الراس اعرف سعره فامن خيانة الغلام فيه ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس هو كلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا اكل عينيه لونا واذنيه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفى مونة طبخه فقد اجتمع لي فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجايزة قال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق واشترى لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار كان لا يزال يعرض عليه المنزل يقول لو دخلت فاكلت كسرة وملحا فيابى عليه فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال مر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فبينا هو ياكل اذ وقف سائل بالباب فقال رب المنزل بورك فيك فاعاد المسالة فقال بورك فيك فاعاد المسالة ثلاثا فقال اذهب والا خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش وقال اذهب ويحك فوالله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يعدني كسرة وملحا فلا والله ما زادني عليهما

بيان الايثار وفضله اعلم ان السخا والبخل كل واحد منهما ينقسم الى درجات فارفع درجات السخا الايثار وهو الجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخا عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او غير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخا قد ينتهي الى ان يسخو الانسان على غيره مع الاحتياج فكذلك البخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال فيمرض ولا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لاكلها فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يوثر على نفسه غيره مع انه به حاجة الى المال فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشا وليس بعد الايثار درجة في السخا وقد اثنى الله سبحانه على الصحابة به فقال ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال عليه السلام ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وقالت عايشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شينا لشبعنا ولكنا كنا نوثر على انفسنا ونزل به ضيف فلم يجد عند اهله شيا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب به الى اهله فوضع بين يديه طعاما وامر اهله باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الى ضيفكم ونزل قوله ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخا خلق من اخلاق الله سبحانه والايثار اعلى درجات السخا وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله عظيما فقال وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلام رب ارني بعض درجات محمد وامته قال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله عظيمة جليلة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السماء فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله سبحانه قال رب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بين جميع الخلق وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبواته من جنتي حيث يشا وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته ودخل الحايط كلب فدنا من الغلام فرمى اليه بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكلها وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جايعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله الام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحايط والغلام وما فيه من الالات فاعتق الغلام ووهبه له وقال عمر اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي كان احوج مني اليه فبعث به اليه فلم يزل يبعث به الواحد الى الاخر حتى تداوله سبعة ابيات ثم رجع الى الاول وبات علي على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله سبحانه الى جبريل وميكايل اني اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الاخر فايكما يوثر صاحبه بالحيوة فاختارا كلاهما الحيوة واحباها فاوحى الله سبحانه اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب اخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويوثره بالحيوة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند راسه وميكايل عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملايكة فانزل الله سبحانه ومن الناس من يشري نفسه

ابتغاء مرضات الله ۝ وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لم تسع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع اذا الطعام بحاله ولم ياكل احد منهم شيا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة جاه سايل ولم يكن عنده شي فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه اياها ثم اعتذر اليه ۝ وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شي من الماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك ماء فاشار ان نعم فلما هم ان يشرب اذا رجل يقول اه فاشار ابن عمي ان انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به اخر فقال اه فاشار هشام ان انطلق به اليه فجيته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هشام قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات ۝ وقال عياش بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحرث فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه اياه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرطوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع خال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم رجع بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجا الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تاكلها وذلك الكلب رابض ينظر اليها حتى اكلتها وبقيت العظام ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجا الى تلك العظام فاكل مما بقي عليها ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واحوال الاولياء في كتاب الفقر والزهد فلا نعيده

بيان حد السخا والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هو بخل ويقول قوم ليس هو من البخل وما من انسان الا وهو يجد في نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك احد عن البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخا الذي يستحق العبد به صفة السخاوة وثوابها **فنقول** قد قال قايلون حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز الى الخباز بنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها عليه او تمرة اكلوها من ماله يعد بخيلا ايضا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه ياكل معه فاخفاه عنه عد بخيلا وقال قايلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهذا القول ايضا قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقها فان اريد به ان يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطا بلا من واسعاف من غير روية وقيل الجود عطا من غير مسالة على روية التقليل وقيل الجود السرور بالسايل والفرح بالعطا بما امكن وقيل الجود عطا على روية ان المال لله سبحانه والعبد لله فيعطي عبد الله مال الله على غير روية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى لنفسه البعض فهو صاحب سخا ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وذلك ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي ان يكون السخا والجود عبارة عنه اذ لم يومر عليه السلام الا بالسخا فقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال سبحانه والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه **فان قلت** فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب فيه البذل **فاقول** الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع ادا الزكاة ويمنع عياله واهله النفقة او يوديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف او الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروة فهو ترك المضايقة والاستقصا في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فالذي كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل من المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب ويستقبح مع الجار والصاحب ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح فيما سواه من المبايعة والمعاملة فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما فيه المضايقة من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شرا الكفن مثلا او شرا الاضحية او شرا خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك يختلف بمن معه المضايقة من صديق واخ وقريب وزوجة وولد واجنبي وكذلك يختلف ايضا بمن منه المضايقة من صبي وامراة وشيخ وشاب وعالم وجاهل وموسر وفقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث لا ينبغي ان يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان صيانة الدين اهم من صيانة المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم من حفظ المال فالمضايق في الدقايق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة اخرى وهو ان يكون الرجل ممن يودي الواجب ويحفظ المروة ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوايب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الاخرة فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس بخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساك المال لدفع نوايب الزمان مهما وانما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكاة الواجبة وليس علي غير ذلك ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروة اللايقة به فقد تبرا من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخا ما لم يبذل على ذلك زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس اجود من بعض واصطناع المعروف ورا ما توجبه العادة والمروة هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا يكون عن طمع ورجا خدمة او مكافاة او شكر او ثنا فان من طمع في الشكر والثنا فهو تاجر وليس بجواد لانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل المال من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله سبحانه واما الادمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشي الا لغرض ولكنه اذا لم يكن له غرض الا الثواب في الاخرة او اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجا مثلا او من ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اعراض معجلة له عليه فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اساله عن مسالة فقالوا لها سلي عما شيت واشاروا الى حبان بن هلال فقالت ما السخا عندكم قال العطا والبذل والايثار قالت هذا السخا في الدنيا فما السخا في الدين قال ان نعبد الله سبحانه وانفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدا واخذتم عشرا فباي شي تسخيتم قالوا لها فما السخا عندك يرحمك الله قالت السخا عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشا الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيا بشي ان ذلك في الدنيا لقبيح ۝ وقال بعض المتعبدات اتحسبون ان السخا في الدرهم والدينار فقط قيل لها ففيم قالت السخا عندي في المهج ۝ وقال المحاسبي رحمه الله السخا في الدين ان تسخو بنفسك تتلفها لله ويسخو قلبك ببذل مهجتك واراقة دمك لله سماحة من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا اجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب لكن يغلب على ظنك حسن كمال السخا ترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا تحسن تختار لنفسك

بيان علاج البخل

اعلم

ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم او شهر او سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاهم كبقا نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجي الرزق قوي البخل لا محالة **السبب الثاني** ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصد واقتصر على ما جرت عادته بنفقته وتفضل عن ذلك الاف وهو شيخ كبير ولا ولد له ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع او ياخذها اعداوه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان ياكل او يتصدق وهذا مرض للقلب عظيم عسر العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجا علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل بالرسول فان الدينار رسول يبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب كانه محبوب في نفسه وذلك غاية الضلال بل من راى بين الحجر وبين الذهب فرقا فهو جاهل الا من حيث قضا حاجته به فالفاضل عن قدر الحاجة والحجر متشابهة واحدة فهذه اسباب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله يكفيه وان كان فاسقا فهو يستعين بماله على المعصية ويرجع مظلمته عليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخا وما توعد الله به على البخل من العقوبات العظيمة ومن الادوية النافعة ايضا كثرة التامل في احوال البخلاء ونفور الطبع عنهم واستقباحه لهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه ويعلم انه مستثقل مستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب بذله فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والاخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه فيصده عنه يروى انه كان ابو الحسن البوشنجي في الخلا فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم امن على نفسي ان تتغير وقد خطر لي الان بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا فارقه تكلفا وصبر عنه مدة تسلى قلبه وكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الماء كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطايف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخا فيبذل على قصد الريا حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الريا ولكن ينعطف بعد ذلك على الريا ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى للعب ولكن ليشتغل عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما يسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والريا فيبدل الاقوى بالاضعف وان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فايدة فيه فانه يقلع من علة ويزيد في اخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل الريا فبذلك يتبين ان الريا اغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الريا فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل اغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض مثال ما يقال من ان الميت تستحيل جميع اجزايه دودا ثم ياكل بعضها بعضا حتى يقل عددها ويكبر ما بقي منها فلا تزال ياكل بعضها بعضا حتى ترجع الى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تتقاتلان الى ان تغلب احداهما الاخرى فتاكلها وتسمن بها ثم لا تزال تبقى وحدها جايعة الى ان تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن

ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وذلك بمنع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات المذمومة ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا واذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصارت صفة البذل طبعا وسقط التعب فيه فاذا علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة افة البخل وفايدة الجود والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بافته واذا لم يتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة ولم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدوا وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توهم في مريد فرحا بزاويته وما فيها نقله الى زاوية اخرى ونقل عنه الى زاويته واخرجه من جميع ما يملكه واذا راه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها امره بتسليمها الى غيره والبسه ثوبا خليعا لا يميل اليه قلبه فبهذا ونحوه يتجافى القلب عن متاع الحيوة الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب ولذلك اذا سرق منه واحد امتحنه المتاع بمصيبة بقدر حبه له فاذا مات اصيب الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب منه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك **حكي** انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له نظير ففرح الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكما عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا قال وكيف قال ان انكسر كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر فاتفق ان القدح انكسر يوما فعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان اسباب جميع الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة لاولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزاين والحراس والخزاين والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف افة المال لم يانس به ولم ياخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة لم يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه ويبذله بل يكون عنده كالماء على شط دجلة اذ لا يبخل به احد لقناعة الناس منه بقدر الحاجة

بيان مجموع الوظايف التي على العبد في ماله

اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية ياخذها الراقي ويستخرج منها الترياق وياخذها الجاهل فتقتله بسمها من حيث لا يدري ولا يسلم احد من سم المال الا بالمحافظة على خمس وظايف **الاول** ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب منه الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه **الثانية** ان يراعي جهة مداخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ونحوها ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة كالهدايا التي فيها شوايب الرشوة وكالسوال الذي فيه الذل وهتك المروة وما يجري مجراه **الثالثة** في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعيار الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات ادنى واوسط واعلى فما دام مايلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجي من جملة المحقين نعم القيمة وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا اخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد **الرابعة** مراعاة جهة المخرج والاقتصاد في الانفاق وان يكون غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه او الوضع في غير حقه سوا **الخامسة** ان يصلح نيته في الاخذ والترك والامساك والانفاق فياخذ ما ياخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له فاذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة او ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضا الحاجة وهما معينان على العبادة واذا كان ذلك قصدك بهما صارت عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان تكون نيتك في كل ما تحفظه من

فيمن او ازار او فراش او انية لان كل ذلك مما قد يحتاج اليه في الدين وما فضل عن الحاجة فينبغي ان يتصدق به ان ينتفع به عبد من عباد الله سبحانه ولا يمنعه منه عند حاجته ثم فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتاتى ذلك الا لمن قد رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنياء الصحابة مثل الصبي الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج درياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها مستحسنا لصورتها وشكلها ومستلينا جلدها فاخذها اقتداء به فتقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت المجسة لانت وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال

بيان ذم الغنى ومدح الفقر

اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك في كتاب الزهد والفقر وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب نذل على ان الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره المحاسبي في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي من اعلم الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وافات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال في بعض كلام له في الرد على علماء السوء وبلغنا ان عيسى عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم اخرتكم بصلاح دنياكم وصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة فاي الناس اخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سواتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم

ثم قال الحارث المحاسبي اخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها واثروها على الاخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الاخرة هم الخاسرون او يعفو الكريم بفضله وبعد فاني رايت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصي والى التلف والبوار مصيره فرح الهالك برجائه فلم تسلم له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والاخرة الا ذلك هو الخسران المبين فيالها من مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها الا فراقبوا الله اخواني ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الانس بالحجج الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم اموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ان احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك لتهلك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة ارادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى وافضل من تركه فقد ازريت بمحمد صلى الله عليه وسلم والمرسلين ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال الحلال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعته ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله لم ينصح امته اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله لقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا نعم ومتى زعمت ان جمع المال الحلال افضل فقد زعمت ان الله سبحانه لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم او زعمت ان الله لم يعلم ان الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار وكانك اعلم بموضع الفضل والخير من ربك سبحانه وتعالى

عن

من جهالك ايها المفتون تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك وما ينفعك الاحتجاج بمال ابن عوف وقد ود ابن عوف انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحي جمل فاخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به واخبره الخبر واقبل ابو ذر يقص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم انه لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو احد وانا معه فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا ابا ذر قلت نعم يا رسول الله بابي انت وامي قال ما يسرني ان لي مثل احد ذهبا انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت واترك منه قيراطين قلت او قنطارين يا رسول الله قال بل قيراطين ثم قال يا ابا ذر انت تريد الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله يريد هذا وانت تقول يا ابن اليهودية لا باس بما ترك عبد الرحمن كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفا حتى خرج وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من الشام فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة ما هذا قيل لها عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسالها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني رايت الجنة فرايت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رايته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وارقاؤها احرار لعلي ادخلها معهم سعيا وبلغنا انه عليه السلام قال لعبد الرحمن اما انك من يدخل الجنة من اغنياء امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا ويحك ايها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله وبشراه له بالجنة ايضا يوقف في عرصة القيامة واهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فانفق منه قصدا واعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في اثارهم حبوا فما ظنك بامثالنا الغرقى في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على اوساخ الناس وتتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن بن عوف وتزعم انك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليائه وساصف لك احوالك واحوال الصحابة لتعرف فضائحك وفضائل الصحابة لعمري لقد كان لبعض الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة اثروا الله على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم

وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر امنين وبالله في ارزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها فبالله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم قالوا ذنب عجلت عقوبته وحزنوا واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح وعند عياله شيء اصبح حزينا كئيبا واذا لم يكن عندهم شيء اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا كان عندهم شيء فرحوا وانت لست كذلك فقال اني اذا اصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت اذ كان لي برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الان تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله اكذلك انت انك لبعيد الشبه بالقوم وساصف احوالك ايها المفتون ضدا لاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وانت تانف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله سبحانه وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسادهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ليجيئن يوم
القيمة اقوام يطلبون حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وانت في نعمة قد حرمت نعيم الآخرة
بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وغشاك بجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا
ليكاثر بها او ليفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وانت غير مكترث بما حل بك من غضب الله حين اردت التكاثر والعلو نعم
وغشاك تاسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنيا فاتته اقترب من
النار مسيرة سنة وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفر دنياك
وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر بها
ذهب خوف الآخرة من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم قال انك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب على فرحك
بالدنيا اذا قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله وغشاك تعنى بامور دنياك اضعاف ما تعنى بامور
آخرتك وغشاك ترى ان مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك وخوفك من ذهاب مالك اكثر من خوفك
من الذنوب وغشاك ترضي المخلوقين بمساخط الله كيما تبر وتكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله في الآخرة لك اهون عليك
من احتقار الناس اياك في الدنيا نعم وغشاك تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكانت الفضيحة
عند الله اهون عليك من الفضيحة في الناس وكان العبيد اعلى عندك قدرا من الله سبحانه وتعالى عن جهلك فكيف تنطق
عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك اف لك متلوث في الاقذار وتحتج بمال الابرار الاتقياء الاخيار هيهات هيهات
ما ابعدك عن السلف والله لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم وان الذي لا بأس به عندكم كان من الموبقات
عندهم وكانوا للزلة الصغيرة اشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات اموالهم
وليتك اشفقت من سيئاتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل وليت صومك على مثل افطارهم وليت اجتهادك في العبادة
على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة انه قال غنيمة
الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن لذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة
فيا سبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق في خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق امثالكم في السفالة او يعفو
الكريم بفضله **وبعد** فان زعمت انك متاس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر امرك ويحك
هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا هم في دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض
الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام افتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب
الكعبة ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب
الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترأ على الشبهات اوشك ان
يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله سبحانه من
اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان ادع درهما واحدا مخافة ان
لا يكون حلالا خير لي من ان اتصدق بالف دينار من شبهة لا ادري احل لي ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان
تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت مبالغا في الورع فلا تتعرض
للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسألة بلغنا ان بعض الصحابة قال ما يسرني ان اكتسب كل يوم الف دينار
من حلال وانفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة جماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله قال لاني غني عن مقام
يوم القيمة فيقول عبدي من اين اكتسبت وفي اي شيء انفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود
لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم خير المال بشره وانت من نهاية الامة والحلال في دهرك مفقود
تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال ويحك فاين الحلال فتجمعه **وبعد** فلو كان الحلال موجودا لديك
اما تخاف من ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه افتطمع
ان يكون قلبك اتقى من قلوب الصحابة فلا تزول عن شيء من الحق في امرك واحوالك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك
الامارة بالسوء ويحك اني لك ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب عذب وقال يؤتى بالرجل يوم القيمة وقد جمع مالا من حرام وانفقه
في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وانفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى
برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حلال
فيقال له قف لعلك اضررت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها او فرطت في شيء من ركوعها وسجودها
ووضوئها فيقال لا يا رب كسبت من حلال وانفقته في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت علي فيقال له لعلك اختلت في هذا
المال في شيء من مركب او مطعم او ثوب باهيت به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك منعت حق احد
امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال
ولم اضيع شيئا مما فرضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه قال فيجيء اولئك فيخاصمونه
فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وخولته وجعلته من اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم ولم يضيع مع ذلك
شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال قف الآن هات شكر نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او نعمة او لذة فلا يزال
يسال ويحك فمن الذي يتعرض لهذه المسألة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بحقوق الحقوق واداء
الفرائض كلها بجميع حدودها ثم حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها
وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسألة يخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها فلك
ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف
والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شيء من
سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل الفضول كي تعتزل ذوي
الاسباب اذا وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى لا تحبس عليك للمسألة والحساب فاما سلامة
واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين الجنة قبل اغنيائهم فيتنعمون ويأكلون
والآخرون جثاة على ركبهم فيقول الله قبلكم طلبتي انتم حكام الناس وملوكهم فاروني ماذا صنعتم فيما اعطيتكم وبلغنا
ان بعض اهل العلم قال ما يسرني ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل الاول مع محمد وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق
مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجل المتقون
لقد بلغنا ان بعض الصحابة عطش فاستسقى فاتي بشربة ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع
عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما اكثر البكاء قيل له اكل هذا البكاء من اجل هذه الشربة قال نعم بينا انا يوما
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معنا احد في البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه ويقول اليك عني فقلت له فداك
ابي وامي ما ارى بين يديك احدا فمن تخاطب قال هذه الدنيا تطاولت الي بعنقها وراسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت
اليك عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لا ينجو مني من بعدك فاخاف ان تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا قوم فهؤلاء الاخيار بكوا وجلا ان يقطعهم عن رسول الله شربة من حلال ويحك وانت تتخبط في انواع
النعم والشهوات من مكاسب السحت والشهوات لا تخشى الانقطاع اف لك ما اعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيامة
عن محمد المصطفى واصحابه البررة الاتقيا لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملائكة والانبيا ولئن قصرت عن السباق
ليطولن عليك اللحاق ولئن اردت الكثير لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل
وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال المخلطين لتقطعن عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن
نعيم المتنعمين ولئن خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين فتدبر ويحك ما سمعت **وبعد**
فان زعمت انك مثل خيار السلف قنع بالقليل زاهد في الحلال بذول لماله مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر
شيئا لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو
والرفعة قوي في امرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله واحكمت امورك كلها على ما وافق رضوان
الله ولن توقف للمسألة ولا يحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ايها المغرور
تدبر الامر واحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكار

والقرب والإيثار أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسائلة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضعافاً. بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلاً في حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله سبحانه لكان الذاكر أفضل. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أبر به. وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طالب الدنيا حلالاً فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه وأما الآخر فإنه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فأيهما أفضل قال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها. ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمال أن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنعم لعيشك وأرضى لبالك وأقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وأنت بترك المال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر نعم وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل.

وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تتأسى بنبيك صلى الله عليه وسلم إذ هداك الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا. ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين أن السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقاً إلى جنة المأوى فإنه بلغنا أنه عليه السلام قال سادات المؤمنين في الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضاً وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه ولم يقدر على أن يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضياً عن ربه فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. ألا يا أخي متى جمعت المال من بعد هذا البيان فإنك مبطل فيما ادعيت أنك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفاً من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرمة تجمعه ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال. ويحك راقب الله واستحي من دعواك أيها المغرور. ويحك إن كنت مفتوناً بحب المال والدنيا فكن مقراً أن الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال مزرياً على نفسك معترفاً بإساءتك وجلاً من الحساب فذلك أنجى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجج والمعاذير لجمع المال. إخواني اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجوداً وكانوا مع ذلك من أورع الناس وأزهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت والمسكن وستر العورة فأما جمع المال في دهرنا فأعاذنا الله وإياكم من ذلك.

وبعد فأين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا بمثل ضمائرهم وحسن نياتهم دهينا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود فيا سعادة المخفين يوم النشور والحزن الطويل لأهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته. هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الزهد والفقر ويشهد له أيضاً ما روي عن أبي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني قال يا ثعلبة أما لك في مالا
رسول الله أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن قال عليه السلام اللهم ارزق ثعلبة مالاً فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات في الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار وسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة ثلاثاً ثم أنزل الله فيه خذ من أموالهم صدقة وأنزل فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من جهينة ورجلاً من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتاباً بأخذ الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة وسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلي فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام إلى خيار إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا لا يجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك قال بلى فخذوه فإن نفسي طيبة وإنما هي لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للسلمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي فأنزل الله في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن إلى قوله بما كانوا

يكذبون

يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال له لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثي التراب على رأسه فقال له رسول الله هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل منه شيئاً رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله جاء بها إلى أبي بكر الصديق فأبى أن يقبلها وجاء بها إلى عمر فأبى أن يقبلها وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان. فهذا طغيان المال وشؤمه قد عرفته من هذا الحديث ولأجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولأهل بيته حتى روي عن عمران بن الحصين أنه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاهاً فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بأبي أنت وأمي فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران بن الحصين قالت والذي بعثك بالحق نبياً ما علي إلا عباءة فقال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعاً على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع فبكى عليه السلام وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران فقال آسية سيدة نساء أهل عالمها ومريم سيدة نساء أهل عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة. فانظر الآن إلى حال فاطمة وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وتركت المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه مع أداء الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال الهم بإصلاحه عن ذكر الله سبحانه إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال. وقد روي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف قال لا أدري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم بإذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال ما أدري ثم انتهيا إلى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال لا أدري قال فانتهيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى يجمع تراباً أو كثيباً ثم قال كن ذهباً بإذن الله فصار ذهباً فقسمه ثلاثة أثلاث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف قال أنا أخذت الرغيف قال فكله لك وفارقه عيسى فانتهى إليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثاً قال فابعثوا أحدكم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاماً فبعثوا أحدهم فقال الذي بعث لأي شيء أقاسم هؤلاء هذا المال لكني أضع في هذا الطعام سماً فأقتلهما قال ففعل وقال ذانك الرجلان لأي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام وهم على تلك الحال فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحذروها. وحكي أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس في أيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبوراً فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعاها البهائم وقد قيض لهم في ذلك معايش من نبات الأرض فأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال أجب الملك ذا القرنين فقال ما لي إليه حاجة فأقبل إليه ذو القرنين وقال إني أراكم على هذه الحال التي لم أر أحداً من الأمم عليها قال وما ذلك قال ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا اتخذتم من الذهب والفضة واستمتعتم بها قالوا إنما كرهناها لأن أحداً لم يعط منها شيئاً إلا تاقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبوراً فإذا أصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملتنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل قال وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم

بها فقال كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن ادم ادنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله سبحانه وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما اتاني الله من هذا المال قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا احد يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من قلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدل على افات الغنى مع ما قدمناه من قبل

كتاب ذم الجاه والريا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا الغيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الريا والشرك وصفا فانه المنفرد بالملكوت والملك فهو اغنى الاغنياء عن الشرك والصلاة على محمد واله وصحبه المبرئين من الخيانة والافك وسلم كثيرا اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الريا والشهوة الخفية والريا من الشهوات الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السودا على الصخرة الصما في الليلة الظلما ولذلك عجز عن الوقوف على غوائله سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الاخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح وطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليها بعين التعظيم والوقار فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الخالق وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركها الشهوات وتوقيها الشبهات وتحملها مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رايه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس واثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا اليه في اغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهي تظن ان حياتها بالله وبعبادتها المرضية وانما حياتها بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول الناقدة القوية وترى انه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبتت اسمها في جريدة المنافقين وهي تظن انها عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل اخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واذا كان الريا هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين

الشطر الاول في ذم حب الجاه والشهرة وفيه بيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف احوال الناس في المدح والذم فهي اثنا عشر فصلا منها تنشأ معاني الريا فلا بد من تقديمها

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وذلك مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه او دنياه وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه او دنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم ولقد ذكر الحسن للحديث تاويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي رضي الله عنه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وقال خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة قام وراى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ راه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه الناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قل ما يلبث معه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقى هذا من قلب المؤمن وروي ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني قال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسال ولا تسال فافعل وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثير فقال لولا اني اعلم ان الله تعالى يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار الناهق يشير به الى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث اوصني فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل مستكبر جواظ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه به الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتلجلج في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله تبارك وتعالى الجنة لاعطاه اياها ولو ساله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياه الا لهوانها عليه رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وروي ان عمر دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الريا شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لازم لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم في دعائهم اذ

اذ جاء رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين واوجز فيهما ثم بسط يديه فقال رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاه حتى تغشت السما بالغيم ومطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحب المطر حتى عرف منزله ثم بكر اليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة فقال ماهي قال تخصني بدعوة قال سبحان الله انت انت وتسالني ان اخصك بدعوة قال ما الذي بلغك ما رايت قال اطعت الله فيما امرني ونهاني فسالته فاعطاني . وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفوا في اهل السما وتخفوا في اهل الارض . وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان اغبط اوليائي عبد مومن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة احسن عبادة الله واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع ثم صبر على ذلك فقد نجا قال ثم نقر عليه السلام بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه . وقال عبد الله بن عمر واحب عباد الله الى الله الغربا قيل ومن الغربا قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيمة الى عيسى بن مريم عليه السلام . وقال الفضيل بلغني ان الله سبحانه وتعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل ابن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك . وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غربا اصحاب قوت وعبا . وقال ابرهيم بن ادهم ما قرت عيني قط في الدنيا الا مرة نزلت في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد . وقال الفضيل ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله فهذه الاخبار والاثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة انتشار الصيت وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشا كل فساد . **فان قلت** فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وائمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم هو طلب الشهرة فاما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهو كالغريق الضعيف يغرق اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليهم

بيان ذم الجاه

قال الله سبحانه تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الاخرة للخالي عن الارادتين جميعا . وقال سبحانه من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون فهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه لانه اعظم لذات الحيوة الدنيا واكثر زينة في زينتها . وقال صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق كما ينبت الما البقل . وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم . وقال علي عليه السلام انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثنا

بيان معنى الجاه وحقيقته

اعلم ان المال والجاه هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضا الشهوات وساير حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه ومقاصده ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كاملا في نفسه بل يكفي ان يكون كاملا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس بكمال كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقا والعبيد فطالب الجاه

ايضا يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان صاحب المال يملك العبد قهرا والعبد عاص بطبعه ولو خلي ورايه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على ارباب القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطرا فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير والمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه اثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او حسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شي مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله في القلوب فيكون سببا لقيام الجاه

بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع

حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وساير انواع المال محبوبة هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانهما اذ لا تصلح لمطعم ولا منكح ولا ملبس وانما هي والحصبا بمثابة سوا ولكنها محبوبة لانها وسيلة الى المحاب وذريعة الى قضا الحوائج والشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى ساير اغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في هذا السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احب من المال وملك القلوب يترجح على ملك المال من ثلاثة اوجه **الاول** ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم والزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقدت القلوب فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب **الثاني** هو ان المال معرض لان يسرق ويغصب وتطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحراس والحفظة والخزاين ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب فانها اذا ملكت لم تتعرض لهذه الافات فهي على التحقيق خزاين عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها ايدي الغصاب واثبت المال العقار ولا يومن عليه الغصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ واما خزاين القلوب فهي محفوظة بانفسها وذو الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيه نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال او تغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ويتيسر على محاوله فعله **الثالث** ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فتصف ما تعتقده لغيرها وتقتنص القلوب ايضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيا فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمايه الا بتعب ومقاساة والجاه ابدا في النما ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثنا استحقرت الاموال في مقابلة ذلك فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح **فان قلت** فالاشكال قايم في الجاه والمال جميعا فلا ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه جميعا نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم والمشرب او كالمبتلى بمرض او عقوبة اذ كان لا يتوصل

الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو
محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع المال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن
وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار
الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطؤها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليعطوه او ليبروه بمال
او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع الياس من ذلك كله فانه يتلذذ به غاية التلذذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد
يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا ينفك عنه القلوب
وله سببان احدهما جلي تدركه الكافة والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما
عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا
لا يكاد يقف عليها الا الغواصون فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع
والانسان وان كان مكتفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج
الى غيره واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه
ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر
امكان جائحة ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو
كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك
لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم المال
ومنهوم العلم ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو
عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان
ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من
الامن عن هذا الخوف واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني وبذلك وصفه الله سبحانه
اذ قال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانيا من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في
اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل
والوقاع والى صفات سبعية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول مختلفة يطول
شرح تفصيلها وهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود
على سبيل الاستقلال فصار الكمال من نعوت الالهية وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد بالوجود
فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى لكان
ذلك نقصانا في حقها اذ لم تكن منفردة بكمال الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله سبحانه اذ ليس معه موجود
سواه فان ما سواه اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب
المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته فكما ان اشراق
نور الشمس في الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها
في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون
معا فاذا معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد
بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي طبعه في باطنه ما صرح به فرعون من
قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر للنفس والربوبية محبوبة بالطبع
وذلك للنسبة الربانية التي اومى اليها قوله سبحانه قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى
الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال وكل
موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال بعد ان يسلم له
التفرد بالوجود في الاستيلا على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن مستوليا

عليه فصار الاستيلا على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب
كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلا بالقدرة على الشي بالتاثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا
يردده كيف يشا فاحب الانسان ان يكون له الاستيلا على كل الاشيا الموجودة معه الا ان الموجودات تنقسم
الى ما لا يقبل التغير في نفسها كذات الله سبحانه وصفاته والى ما يقبل التغير ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق
كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت
الجبال والبحار والى ما يقبل التغير بقدرة العبد كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان
ومن جملتها قلوب الناس لانها قابلة للتاثير والتغير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات
الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر كذات الله سبحانه والملائكة والسموات احب
الانسان ان يستولي على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم
المحاط بعلمه كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك احب ان يعرف الله سبحانه والملائكة والافلاك
والكواكب وجميع عجائب السموات وعجائب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلا نوع
كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه
قد يشتهي ان يعرف اللعب به وانها كيف وضعت وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل
او غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه لكنه مشتاق الى معرفة كيفيته فهو متالم ببعض
ومتلذذ بكمال العلم ان علمه واما القسم الثاني وهو الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانها يحب
بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجساد وارواح فالاجساد الدراهم
والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشا من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك
قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان
كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص
الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما
لا تعتقد كماله حتى يصير محبوبا ويقوم منزلته فيها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من القدرة القسم
الثاني نفوس الادميين وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة
عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بالصفات الربوبية
والقلوب انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من صفات الالهية والصفات
الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني وهو من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا
يتسلط عليه التراب فياكله لانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله سبحانه والساعي اليه فاذا
معنى الجاه تسخير القلوب ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال
وهو من اوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب
القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا ينقضي
والنقصان لا يزول ولذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان الحديث فاذا مطلوب القلب الكمال
والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه
من الكمال فهذا هو كون السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل
التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا
يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم
في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم نوع استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات
الربوبية فكان هو محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها بيان الكمال
الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا في

العلم والقدرة ولكن الكمال فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم لله سبحانه وذلك من ثلاثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات ولذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله سبحانه والثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله سبحانه باتم انواع الكشف على ما هي عليه فلذلك مهما كان علم العبد اوضح واتقن واصدق واوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله سبحانه والثالث من حيث بقاء العلم ابد الاباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله باق لا يتصور ان يتغير وكذلك مهما كان علم العبد متعلقا بالمعلوم بحيث لا يقبل التغير والانقلاب كان اقرب الى الله سبحانه والمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما المتغيرات فمثال العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان وينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا له وتصور ان ينقلب المعتقد فيه كما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وتعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وسائر ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلومها مثل الزيبق يتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب والقسم الثاني هي المعلومات الازلية وهي جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله سبحانه وما يجب له وما يستحيل في صفاته وما يجوز في افعاله فالعلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السماوات والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله سبحانه ويبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي تكون هذه المعرفة راس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يكون ذلك سببا لزيادة النور بسراج اخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج فلا مطمع له في ذلك فاذا من ليس معه اصل معرفة الله لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها فاذا لا سعادة الا في معرفة الله سبحانه واما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة له اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيرهم ومنها ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله سبحانه كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القران ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القران من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريقة تزكية النفس تفيد في استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله سبحانه كما قال سبحانه قد افلح من زكاها وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله وانما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله ويندرج فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله وان هذا حكم ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله سبحانه هذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لائقا باحكام الجاه والرياء ولكن اوردناه لاستيفاء اقسام الكمال واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة لله سبحانه وما يحدث من الاشياء عقيب ارادته وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله سبحانه كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وفي كتاب التوحيد والتوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله سبحانه واما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى الة للتوصل بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل بها الى المطعم والمشرب والملبس والمسكن وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله سبحانه فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل والخلق اكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه فلما احبوه

طلبوه

ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ومن ملائكته وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرناه من معرفة الله سبحانه واما الحرية فالخلاص من اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوات ولا تستهويهم الغضب فاذا دفع اثر الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذي هو من صفة الملائكة ومن صفات الكمال لله استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التأثر والتغير بالعوارض ابعد كان الى الله اقرب وبالملائكة اشبه ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده في اقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم ونقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة ذاتية وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات فاذا الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعددنا الانقياد لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية واعني به عدم العبودية للشهوات واللذات وارادات الاسباب الدنيوية وكمال القدرة وللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان ينقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل يبقى كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله سبحانه فانظر كيف انقلب الجاهلون واكبوا على وجوههم اكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا يبقى واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهولاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله سبحانه المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله سبحانه حيث يقول انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح الاية وقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا الى قوله تذروه الرياح فكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منهما ليكون عونا الى الكمال الحقيقي

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم

مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الاخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن ان يتزود منه للاخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب السلطان ما يحثه على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبين بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس بحب لبيت الماء وكل ما يراد به التوصل الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل اليه وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع في بيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما انه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به ومن يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول وكذلك المال والجاه قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوصل الى مهمات البدن غير مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل به الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل به الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي فان قلت طلب الجاه والمنزلة في

قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيف ما كان او مباح الى حد مخصوص وعلى وجه مخصوص **فاقول** يطلب ذلك على ثلاثة اوجه وجهان منه مباح ووجه منه محظور اما الوجه المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهو حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول واما بالفعل واما المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه **الثاني** ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم ولا يزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس بتلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظور ان يحسن الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وكذلك يجري مجرى اكتساب المال من غير فرق وكما لا يجوز له ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال

بيان السبب في حب المدح والثنا وارتياح النفس به وميل الطبع اليه وبغضه للذم ونفرته عنه

اعلم ان لحب المدح والتذاذ القلب به اربعة اسباب **الاول** وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي مدح به لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اولى ولكن لا يخلو عن لذة كثناء عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث اللذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثنا عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور وتطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثنا من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة فان صدر ممن يجازف في الكلام او لا يكون بصيرا في ذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به في ذلك كما ذكرناه في المدح **السبب الثاني** ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثنا ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر وتضعف مهما كان المثني ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتالم به القلب فاذا كان من الاكابر كانت نكايته له اعظم لان الفايت به اعظم واكثر **السبب الثالث** ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملا فلا جرم كل ما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس **السبب الرابع** ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثنا عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثنا اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فيندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه ذو نسب او سخي او عالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال ويبقى لذة الاستيلا على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات وان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وبقي لذة الاستيلا بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتالمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك لتعرف طريق العلاج لحب الجاه ولحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض

بيان علاج حب الجاه

اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمرايا لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله واعماله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراياة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال صلى الله عليه وسلم انه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل والنفاق هو مخالفة الباطن للظاهر بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة وهو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فاخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الاخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حيث كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت وقد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن وكانك بالاخرة لم تزل فهؤلاء التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين واستحقروا الجاه والمال في الدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى وقال سبحانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة فمن هذا حاله فينبغي ان يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالافات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الاخرة فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه لم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويانس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم عن اعين الناس فيسلموا من افة الجاه الا ان هذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن انه يشرب الخمر ويسقط من الاعين وهذا في جواز نظر

من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما عالجوا انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما راوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط
منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج ووقف في الطريق
حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس
والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد التي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما
يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عليه عما اعتقدوه فيه وذموه ونسبوه
الى امر غير لائق به لجزعت نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك
عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمحب المال بل هو
شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه
او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس راسا اصبح الناس كلهم عنده كالجمادات فلا يبالي اكان له منزلة في قلوبهم او لم يكن كما
لا يبالي بذلك في قلوب الذين هم في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى
عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في قلوبهم وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع
ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو عن ذلة او قلة او علة
وينظر في احوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الاخرة **بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم**

اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق
رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح
ويكره الذم **اما السبب الاول** فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك و
تقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما ان تكون صفة تستحق بها المدح
كالعلم والورع واما صفة لا تستحق المدح كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كانت من الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح
بنبات الارض التي تصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل **يقول**
اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ۞ فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان
فرح فلا ينبغي ان يفرح بذكر المادح لها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها فلا عجب ان يفرح به بل سبب وجودها هو
الله تعالى فهو المستحق للمدح ثم ان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة
وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا
دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم
والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله سبحانه لا من المدح والمدح تابع له فلم
ينبغي ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون
ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول له سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي تخرج منه اذا
قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح به فكذلك اذا اثنى عليك بالصلاح والورع ففرحت
به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فان المادح ان صدق فليكن
فرحك بصفتك التي هي من فضل الله عليك وان كذب فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح به **واما السبب الثاني** فهو
دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب اخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه
معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله وبان يعلم ان طلب المنزلة في قلوب الناس وفرحه به يسقط منزلته
عند الله فكيف تفرح به **واما السبب الثالث** وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح وهو ايضا يرجع الى
قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بها بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب لاجله كما نقل ذلك عن السلف
لان افة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب افات اللسان ۞ قال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من
ان يدخل في بطنه ۞ وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال لك بئس الرجل انت فانت والله بئس
الرجل ۞ وروي في بعض الاخبار فان صح فهو قاصم الظهور ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار ۞ وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قطعت
ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيامة ۞ وقال ايضا الا لا تمادحوا واذا رايتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا
كانت الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به حتى ان بعض الخلفاء سأل رجلا عن شيء
فقال انت يا امير المؤمنين خير مني واعلم فغضب وقال اني لم امرك بان تزكيني ۞ وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير
ما ابقاك الله فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا ۞ وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك فاشهدك
على مقته وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق وكان اشتغال قلوبهم باحوالهم عند الله
يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح بالحقيقة هو المقرب الى الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد عن الله الملقى في النار مع
الاشرار فهذا الممدوح ان كان من اهل النار عند الله فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان
يفرح الا بفضل الله سبحانه وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الاجال والارزاق بيد الله قل التفاته الى
مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه **بيان علاج كراهة الذم** قد
سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو
من ثلاثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة واما ان يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت
او يكون كاذبا فان كان صادقا فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلد منته فان من اهدى اليك عيوبك
فقد ارشدك الى المعرفة بالمهلك حتى تتقيه فينبغي ان تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت
عليها فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك له فانه غاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله
اذ ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان
كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيحت لك اسبابها
بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك
لخفت ان تحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك
بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الاخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان تغتنمه واما قصد
العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة من الله عليك ارادها الله لك والاعمى ينبهك انت ممن توحي اليه فهذه
رتبة لك عند الله فلم تغضب عليه من قول انتفعت انت به وتضرر هو به **الحالة الثالثة** ان يفتري عليك بما انت بريء منه
عند الله سبحانه فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة امور **احدها** انك ان خلوت من ذلك العيب فلا
تخلو عن امثاله واشباهه وما ستره الله من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بريء
منه **والثاني** ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت منه بريء وطهرك من ذنوب انت
ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن
لهدايا الحسنات التي تقربك الى الله زلفى وانت تزعم انك تحب القرب من الله **واما الثالث** فهو ان المسكين قد جنى على نفسه
جناية حتى سقط من عين الله واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت
الشيطان به ولا تقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم للكفار
يوم احد اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ۞ ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة فقيل له في ذلك فقال علمت اني ماجور
بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة الذم قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك
لم يعظم امر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان حب المال
والجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين
ولا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه وحب المدح وبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا **بيان الخلاف**
الناس في الذم والمدح اعلم ان للناس اربع احوال بالاضافة الى الذام والمادح **الحالة الاولى** ان
يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية
درجات المعصية في هذا الباب **والثانية** ان يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته

ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله
كمال **الحالة الثالثة** وهو اول درجات الكمال ان يستوي ذامه ومادحه عنده فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة
وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلامته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام
عند تطويل الجلوس عنده اكثر مما يجده في المادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما
يجده في قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري
له اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من اعدائه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان
لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال
هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا
يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول له الذام قد
عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف تسوي بينهما فانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس
فان العابد لو تفكر لعلم ان في الناس من ارتكب من كبار المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم
ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجدها بمذمة نفسه والمذمة من حيث انها
معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم ان الشيطان يخيل اليه انه من الدين
حتى يعتقد على الله بهواه ويزيد بذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته تعب ضائع تفوت
عليه الدنيا ويخسر في الآخرة وفيهم قال الله سبحانه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا **الحالة الرابعة** وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر
مضرة له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته وقد قال عليه السلام
راس التواضع ان يكره ان يذكر بالبر والتقوى وقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روي انه عليه
السلام قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض
المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على
الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل **فاما الحالة الثالثة** وهي التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيه
ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية لم نف بها فانها لا بد ان تتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل
عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حاجاته ولا نقدر على ان نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سريرة القلب
ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت
الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من الرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان
من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات
لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين جدا ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات
ولا بمباشرة المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان
يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل له ليتوصل الى نيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها
ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى
الرتبة التي قبلها وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور على نفسه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر
المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر ولم يغتم ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان
قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته
ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يري
من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب
واخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا من في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها
الكاذبة وتلبيسها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا

سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده
اذ صار بالمذمة اوضع في عيون الناس حتى لا يبتلي بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم يتعب فيها فعساه يكون جبرا لعيوبه
التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوي ذامه ومادحه
لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شي
منها الا بالمجاهدة الشديدة والعمر الطويل **الشطر الثاني** من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو
الريا وفيه بيان ذم الريا وبيان حقيقة الريا وما يرايا فيه وبيان درجة الريا وبيان الريا الخفي وبيان ما يحبط العمل
من الريا وما لا يحبطه وبيان دوا الريا وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب
وبيان ترك الطاعات خوفا من الريا والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب روية الخلق وبيان ما يجب
على المريد ان يلزم قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول **بيان ذم الريا** اعلم ان الريا حرام والمرائي
عند الله ممقوت وقد شهد لذلك الآيات والاخبار والآثار اما الآيات فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون الذين هم يراؤن وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال
مجاهد هم اهل الريا وقال سبحانه انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة
سوى وجه الله سبحانه والريا ضده وقال سبحانه فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا نزلت فيمن يطلب الاجر والحمد بعباداته واعماله **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم حين سأله
رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وروى ابو هريرة في حديث
الثلثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقاري لكتاب الله كما اوردناه في كتاب الاخلاص وان الله سبحانه يقول
لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقول فلان قاري فاخبر عليه السلام انهم لم يثابوا وان رياهم هو الذي احبط اعمالهم
وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رايا رايا الله به يوم القيمة ومن سمع سمع الله به وفي آخر حديث
طويل ان الله يقول للملائكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم
الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الريا يقول الله سبحانه يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم
اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزا وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله
من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقرا المرائين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه
من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بري وانا اغنى الاغنيا عن الشرك وقال عيسى عليه السلام اذا
كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن
شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثنا كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عملا فيه
مقدار ذرة من ريا وقال عمر لمعاذ بن جبل لما راه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ان ادنى الريا شرك وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم الريا والشهوة الخفية وهي
ايضا ترجع الى خفايا الريا ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجل تصدق
بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفا وقال صلى الله
عليه وسلم ان المرائي ينادى يوم القيمة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك
ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رايت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك قال اني تخوفت على
امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم وقال عليه السلام لما
خلق الله الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من
الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله الماء فاطفا النار وامر الريح فكدرت
الماء فاختلفت الملائكة فقالوا نسال الله فقالت يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله سبحانه لم اخلق شيا هو
اشد من ابن آدم حين يتصدق بيمينه صدقة فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته وروى عبد الله بن
المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ حدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ

حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معاذ قلت له لبيك بأبي أنت وأمي رسول
الله قال إني أحدثك بحديث إن أنت حفظته نفعك وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ إن الله
خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها وقد جللها
عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى أن أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا طلعت به إلى سماء الدنيا زكته فكثرته فيقول
الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني إلى غيري
قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتمر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان
يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الذي له دوي مبتهج نورا من صدقة
وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة
بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به إلى السماء الرابعة فيقول
لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع
عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان إذا عمل عملا أدخل العجب فيه قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به إلى
السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد من الناس من يتعلم ويعمل مثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من
العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من
صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني
ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة
واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة
فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا على قلبه إني أحجب عن
ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي إنه أراد بعمله غير الله إنه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا
في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال
وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله وتشيعه ملائكة
السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله لهم أنتم
الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه
لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول
الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتد بي وإن كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في إخوانك
من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا
في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك كي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع
عنك خير الدنيا والآخرة ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله سبحانه والناشطات نشطا
تدري ما هن يا معاذ قلت ما هي بأبي أنت وأمي قال كلاب في النار تنشط اللحم عن العظم قلت بأبي أنت وأمي فمن يطيق
هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ إنه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رأيت أحدا أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر
مما في هذا الحديث **وأما الآثار** فروي أن عمر رأى رجلا يطأطئ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك
ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب ورأى أبو أمامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت أنت
لو كان هذا في بيتك وقال علي رضي الله عنه للمرائي ثلاث علامات يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس
ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص إذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به

الله ومحمدة الناس قال لا شيء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة إن الله يقول أنا أغنى
الأغنياء عن الشرك الحديث وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال أحدنا يصطنع المعروف ويحب أن يحمد به الحديث
وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال أحدنا ويؤجر فقال له أتحب أن تمقت قال لا قال فإذا عملت لله عملا فأخلصه
وقال الضحاك لا يقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقل هذا لله وللرحم فإن الله لا شريك له وضرب عمر
رجلا بالدرة ثم قال اقتص مني فقال لا بل أدعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا إما أن تدعها لي فأعرف ذلك
أو تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده قال فنعم إذا وقال الحسن لقد صحبت أقواما إن كان أحدهم لتعرض له الحكمة
لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة وإن كان أحدهم ليمر فيرى الأذى على الطريق
فما يمنعه أن ينحيه إلا مخافة الشهرة ويقال إن المرائي ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر
يا خاسر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا وقال الفضيل كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم
يراءون بما لم يعملوا وقال عكرمة إن الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن النية لا رياء فيها وقال
الحسن المرائي يريد أن يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء ويريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون ذلك
وقد حل من ربه محل الأردياء فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه وقال قتادة إذا راءى العبد يقول الله سبحانه انظروا
إلى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وإن محمد بن واسع من قراء
الرحمن وقال الفضيل من أراد أن ينظر إلى مراء فلينظر إلي وقال محمد بن المبارك الصوري أظهر السمت بالليل
فإنه أشرف من سمتك بالنهار لأن السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال أبو سليمان التوقي على
العمل أشد من العمل وقال ابن المبارك إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قيل له وكيف ذلك قال يحب أن
يذكر أنه مجاور بمكة وقال إبراهيم بن أدهم ما صدق الله من أراد أن يشتهر **بيان حقيقة الرياء
وما يراءى به** اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب
الناس بإراءتهم خصال الخير إلا أن الجاه والمنزلة يطلب في القلوب بأعمال سوى العبادات ويطلب بالعبادات واسم الرياء
مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها فحد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله
فالمرائي هو العابد والمراءى له هم الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هي الخصال التي
قصد المرائي إظهارها والرياء هو قصد إظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه **خمسة أقسام** وهي مجامع ما
يتزين العبد به للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والأتباع والأشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا
يراءون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات
الأول الرياء في الدين من جهة البدن وذلك بإظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن
على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الأكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الحزن في الدين وكذلك
يراءى بتشعث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الأسباب مهما ظهرت
استدل الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعو النفس إلى إظهارها لنيل تلك الراحة
ويقرب منها خفض الصوت وغور العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم وأن وقار
الشرع هو الذي خفض من صوته أو ضعف الجوع هو الذي أضعف قوته ومن هذا قال عيسى عليه السلام إذا صام
أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روي عن أبي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان
بالرياء ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مراءاة أهل الدين بالبدن فأما أهل الدنيا فيراءون
بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسبها **الثاني**
الرياء بالزي والهيئة أما الهيئة فبتشعيث شعر الرأس وحلق الشارب وإطراق الرأس في المشي والهدوء في الحركة
وإبقاء أثر السجود على الوجه ونظافة البدن وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشمير الثوب إلى قريب نصف
الساق وقصر الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة ومقتد
فيه بعباد الله الصالحين ومنه لبس المرقعات والصلاة على السجادات ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع

الافلاس من حقايق التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة واسبال الردا على العينين ليرى انه
انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان
يلبسه وهو خال عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراوون بالزي على طبقات منهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح
باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بقصرها وغلظها ووسخها وتخرقها ولو كلف
ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسونه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقال قد بدا له من الزهد
ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا • وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من
الملوك والتجار لو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القرا ولو لبسوا الثياب المخرقة الفاخرة ازدرتهم النازلة ازدرتهم
اعين الملوك والاغنيا فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية
الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها وقيمة ثوب احدهم قيمة ثوب الاغنياء وهيئته ولونه هيئة
ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهولاء لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان ذلك عندهم كالذبح خوفا
من السقوط من اعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الديبقي والكتان الدقيق الابيض او المقصب المعلم وان كانت قيمته
دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل صاحب طبقة منهم راى
منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه او ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا
فمراياتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل بالملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيول و
الثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر من الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد
عليهم لو برزوا للناس في تلك الثياب ما لم يبالغوا في الزينة **الثالث** الريا بالقول ورياء اهل الدين بالوعظ
والذكر والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والاثار لاجل الاستعمال في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على
شدة العناية باقوال السلف الصالح وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد
الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس المعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق
الصوت بقراءة القران ليدل بذلك على الحزن والخوف وادعا حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والرد على من يروي
الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار
الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والريا بالقول كثير وانواعه لا
تنحصر • واما اهل الدنيا فمراياتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب
للاغراب به على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب **الرابع** المراياة بالعمل كمراياة المصلي
بطول القيام ومده وتطويل الركوع والسجود واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدو والسكون و
تسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة واطعام الطعام وبالاخبات في المشي عند
اللقا كارخاء الجفون وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه
واحد من اهل الدين رجع الى الوقار واطراق الراس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فاذا غاب الرجل عاد
الى عجلته فاذا راه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون مجددا للخشوع بل لاطلاع انسان عليه يخشى
ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيا من ان تخالف مشيته في الخلوة مشيته بمراى
من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا راه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه تخلص به عن الريا
وقد تضاعف به رياوه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملا لا لخوف
من الله وحياء منه • واما اهل الدنيا فمراياتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ باطراف
الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة **الخامس** المراياة بالاصحاب والزائرين
والمخالطين كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال ان
اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه وملكا من الملوك او عاملا من العمال ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته
في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته تترشح منه

عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ
وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراوون وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع
بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما
خباته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره او صومعته لتشوش قلبه
ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه
عن اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في اسبابه فانه نوع قدرة واستيلاء وكمال في الحال
وان كان سريع الزوال ولا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته في
القلوب بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالحمد والثناء ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة
اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يديه ليقوم له بها جاه عند العامة
ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام الدنيا وكسب المال ولو من الاوقاف واموال اليتامى وغير ذلك
من الحرام وهولاء شر طبقات المرائين الذين يراوون بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الريا وما به يقع الريا
فان قلت فالريا حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل **فاقول** فيه تفصيل فان الريا هو
طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من
حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان
كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الافات محمود وهو
الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع ودرياق نافع فكذلك الجاه وكما
ان كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله والدار الاخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا
لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على
مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدا الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب المال
والجاه على ترك معاصي القلب واللسان وغيرهما ابدا واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام
بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفا الراشدين ومن بعدهم من
علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا القول تحسين الثوب
الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراياة وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على
هذا كل تجمل للناس وتزين لهم من قول وفعل والدليل عليه ما روي عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اراد ان يخرج يوما الى اصحابه فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت او تفعل ذلك
يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى
الله عليه وسلم عبادة لانه كان مامورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط
من اعينهم لم يرغبوا في اتباعه وكان يجب عليه ان يظهر لهم من محاسن احواله لئلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام
الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به
ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا
اذ للانسان ان يحترز من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يانس بهم
فاذا المراياة بما ليس من العبادات قد تكون مباحا وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض
المطلوب بها ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن
ليعتقد الناس انه سخي فهذه مراياة وليست بحرام وكذلك امثاله اما العبادات كالصدقة والصلاة والغزو
والحج فللمرائي فيه حالتان **احداهما** ان لا يكون له قصد الا الريا المحض دون الاجر فهذا يبطل عبادته لان الاعمال
بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي
بذلك وياثم كما دلت عليه الاخبار والاثار والمعنى فيه امران **احدهما** يتعلق بالعبادة وهو التلبيس والمكر

والمكر لانه يخيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس في امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دينا
لجماعة عليه ويخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر والثاني
يتعلق بالله سبحانه وهو انه مهما قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله
انظروا الى عبدي كيف يستهزئ بي ومثاله ان يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدمة وانما
وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل
قصد بذلك عبدا من عبيده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا
وهل ذلك الا لانه ظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله
مقصود عبادته واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشرك الاصغر نعم بعض درجات الريا اشد من بعض كما سياتي في درجات الريا ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب
ما به المراءاة ولو لم يكن في الريا الا انه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله
لعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الريا هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يسجد
ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك
الا انه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهار من نفسه صورة التعظيم لله فهذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك
غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله ومصالح
حاله وماله اكثر مما يملكه الله سبحانه فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم واقبل بقلبه عليهم يستميل به قلوبهم ولو وكله
الله اليهم في الدنيا والاخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم
ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده شيئا بل يقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف
يستبدل الجاهل عن ثواب الاخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان يشك في
ان المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد
جميعا في صدقته او صلاته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما نقلناه من الاثار
قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت ان لا اجر فيه اصلا

بيان درجات الريا

اعلم ان بعض ابواب
الريا اشد من بعض واغلظ واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلاثة المراءى به والمراءى لاجله
ونفس قصد الريا

الركن الاول نفس قصد الريا وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة الله والثواب
واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان تكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف او مساويا
لارادة العباد فتكون الدرجات اربعا

الدرجة الاولى وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي
بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الريا فهو الممقوت عند الله
سبحانه وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداها فهذا في الدرجة
العليا من الريا **الثانية** ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا
يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الريا يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة
قصد ثواب اذ لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم **الثالثة** ان يكون قصد الثواب وقصد
الريا متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة او كان كل
واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فيرجوا ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه او يكون
له من الثواب مثل ما عليه من العقاب فظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص **الرابعة**
ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الريا وحده لما اقدم فالذي
نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه ويعاقب على مقدار قصد الريا ويثاب على مقدار قصد
الثواب واما قوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الريا ارجح

الركن الثاني المراءى به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الريا باصول العبادات والى الريا باوصافها القسم

الاول

الدرجة الاولى

الاول وهو الاغلظ الريا بالاصول وهو على ثلاث درجات **الثانية** الريا باصل الايمان وهذا
اغلظ ابواب الريا وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر
الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى من كتابه كقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول
الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال سبحانه
ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد
فيها الاية وقال سبحانه واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ الاية وقال تعالى
يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والايات فيهم كثيرة وكان النفاق كثيرا في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر
الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار
الاخرة ميلا الى قول الملحدة او يعتقد طي بساط الاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه
فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الريا ريا وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا
بين كفر الباطن ونفاق الظاهر **الثانية** الريا باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله
ولكن هو دون الاول ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو
كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة وهو في جمع فيصلي وعادته ترك الصلاة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان
وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه او يبر والديه لا
عن رغبة في الثواب لكن خوفا من الناس او يغزو او يحج كذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود
سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون
منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عذاب الله ورغبته في
محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان
من حيث الاعتقاد **الثانية** ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكن يرائي بالسنن والنوافل التي لو تركها لم يعص
ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب فيبعثه الريا على
فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام
يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله سبحانه
منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفريضة فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله اثر حمد الخلق
على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب
الخالق واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف
عقابه فهذا هو الريا باصول العبادات **القسم الثاني** الريا باوصاف العبادات لا باصولها وهي ايضا على ثلاث
درجات **الدرجة الاولى** ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود
ولا يطول القراءة فاذا راه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال
ابن مسعود من فعل ذلك فهي استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع ادمي
عليه احسن الصلاة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكئا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان
ذلك منه تقديما للغلام على سيده واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلاة في الملا دون الخلوة
وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكاة من الدنانير الرديئة ومن الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرجها من الجيد خوفا
من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل الخلق لا لاكمال عبادة الصوم فهذا ايضا من الريا المحظور
لان فيه تقديم الخلق على الخالق ولكنه دون الريا باصول العبادات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم
عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم والغيبة فانما
قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة الشيطان وتلبيس وليس الامر كذلك فان ضررك من
نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكانت شفقتك

على نفسك اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدى وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يقلده اياها فيهديها اليه وهي
عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلامه
وذلك محال بل من راعى جانب غلام الملك ينبغي ان يكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان احداهما ان
يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين
الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة واذاني الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة
دفع ذمهم ولا ارجوا عليه ثوابا فهو خير من ان ترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة وهذا فيه
ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن الصلاة ويخلص فان لم تحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته في
الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراءاة بطاعة الله سبحانه فان ذلك استهزا كما سبق الدرجة الثانية ان
يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد
القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة
المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكاة واعتاق الرقبة
العالية في الكفارة كل ذلك مما لو خلا ونفسه لكان لا يقدم عليه الدرجة الثالثة ان يرائي بزيادات خارجة
عن نفس النوافل ايضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه
وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالاضافة
الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم الركن الثالث المرائي لاجله فان للمرائي مقصود
لا محالة فانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلاث درجات الدرجة الاولى
وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع
بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء والاوقاف والوصايا او
اموال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوات او الصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها او يودع الودائع
فياخذها ويجحدها او يسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فياخذ بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع
الحجيج ويتوصل بقوتهم الى المقاصد الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام
الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امراة او غلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم
والتذكير وحلق القران يظهرون الرغبة في سماع العلم والقران وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان ويخرج
احدهم الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امراة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله سبحانه لانهم
جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها الة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وان
كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى
لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل
مال غيره ولذلك من ينسب الى الفجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى الرتبة
الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي يظهر
الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد اما امراة
بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة كالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في
تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح
في نفسه الرتبة الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من ان
ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي في طريق فيطلع عليه
الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك يسبق الى الضحك
او يبدو منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول
ما اعظم غفلة الادمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر اليه لا

بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح ويتهجدون او يصومون الاثنين والخميس او يتصدقون
فيوافقهم خيفة من ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا منه وكالذي يعطش في يوم
عرفة او عاشوراء او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم واذا ظنوا به الصوم امتنع
من الاكل لاجلهم او يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح باني صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين
خبيثين لانه يرى انه صائم ثم يرى انه مخلص ليس بمراء وانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان
يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا او تعريضا فيتعلل بمرض
يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا
يظن انه يعتذر رياء ولكنه يصبر قليلا ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد
الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي
ضعيفة القلب مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني ان اصوم فهذا وما يجري مجراه من علامات
الرياء فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في الباطن واما المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه وان لم
يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد ان يعتقد غيره فيه ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان
كان له رغبة في الصوم لله تعالى قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك
رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسياتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب اصناف
المرائين وجميعهم تحت مقت الله سبحانه وغضبه وهو من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هي اخفى
من دبيب النملة كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلة بافات النفوس وغوائل القلوب

بيان الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل

اعلم ان الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي
يبعث على العمل ويحمل عليه لا لقصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه
يخفف العمل الذي اريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا دخل عليه الضيفان نشط
وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا
بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن ان
يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد
الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه
شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يترشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر
سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع
الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية صار ذلك قوتا
وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه
بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا
وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق واثار
الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر
بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا راى الناس احب ان يبادؤه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان
يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع والشراء وان يوسعوا له المكان فان
قصر فيه مقصر ثقل على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي
اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبقت منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما
لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفي من
الرياء اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن
علي رضي الله عنه انه قال ان الله سبحانه يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبدؤن

بالسلام الركن يعني لكم للحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان نخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان يقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص له لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلا بالناس فقال السائح ما هذا قيل الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفي حديث اخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان تخلص اعمالهم فيجازيهم الله سبحانه في القيامة باخلاصهم على ملا من الخلق اذ علموا ان الله لا يقبل في القيامة الا الخالص وعلموا اشد حاجتهم وفاقتهم في القيامة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون والامر يومئذ لله تعالى ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد منهم نفسي نفسي فضلا عن غيرهم وكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم ان ارباب البوادي لا يروج عندهم الزيف والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يتزودونه من التقوى فاذا شوائب الرياء الخفي كثيرة ومهما ادركت النفس تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم والصبيان الرضع او غابوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق واجل وزيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل **فان قلت** فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله او بعضه محمود فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة **الاول** ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله سبحانه ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم عليه واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به **الثاني** ان يستدل باظهار الله الجميل وستر القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به في الاخرة اذ قال صلى الله عليه وسلم ما ستر الله على عبد في الدنيا الا ستر عليه في الاخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل **الثالث** ان يظن رغبة المطلعين في الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر اخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة **الرابع** ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده او يذمه ويهزأ به او ينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه واما المذموم فهو الخامس وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط

فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد وارد الرياء فلا يخلو اما ان يرد عليه بعد فراغه من العمل او قبل فراغه فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرا بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا ما حل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الاخبار والاثار ما يدل على انه يحبط العمل فقد روي عن ابن مسعود انه سمع رجلا يقول قرات البارحة البقرة قال ذلك حظه منها يعني ليس حظه الا ما احب من الحمد وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله وابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصد له لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرا بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراياته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل واما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الرياء فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط اجره **ومثاله** ان يكون في تطوع فتجددت نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد قال صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء اذا طاب اخره طاب اوله اي النظر الى خاتمته وروي من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهو منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منها مفرد فما يطرا يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلاة فاما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلاته ففرح بحضورهم وانعقد الرياء وقصد تحسين صلاته لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادات والثواب وصار قصد العبادات مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرا ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء اصل قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب الحارث الى الاحباط في امر هو اهون منه وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو حب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى انه يحبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد في العمل ولا امن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس فيه والاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل قد قال الحسن انهما حالتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وروي انه صلى الله عليه وسلم قال له رجل يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني فقال لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الاثر والخبر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لا يضره ان لا يدع العمل ولا يضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا اعتقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة اوجه **احدها** انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ **والثاني** انه اراد ان يسر به للاقتداء به او لسرور اخر محمود من مثل ما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له اجرا ولا ذاهب من الامة الى ان السرور بالمحمدة اجر وغايته ان يعفى عنه وكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران **والثالث** انه قال اكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل الى ابي هريرة بل اكثرهم يوقفه على ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء اولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل اظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغي ان يفسد الصلاة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي وجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الان فلنرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ او بعد الفراغ **القسم**

الثالث الذي يقارب حال العقد ان ينعقد الصلاة على قصد الريا فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يقضي ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه في اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الريا فليستانف وقالت فرقة يلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد صلاته دون تحريم الصلاة لان التحريم عقد والريا خاطر في قلبه فلا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شي بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتداها على الاخلاص وختم بالريا لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضية فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولو اقترن به عارض الريا ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الاخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارتا افعالا زائدة في الصلاة فتبطل الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الاخر فهو ايضا ضعيف لان الريا يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الريا في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد الافتتاح ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل واذا راى الناس تحرم وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلاة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لو لم يكن الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهرت له الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة او في قراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلاة او حج فان كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الريا واطاع باجابة باعث الثواب ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعليه عقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الاخر وان كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا فان كانت نفلا فحكمها ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذا اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من يصلي التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الريا باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس ولو خلا في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وان كان له قصد اخر فهو به عاص فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد منهما لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الريا لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشا صلاة تطوعا لاجل الريا فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة في الدار المغصوبة فانه مطيع بامتثال الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه تعارض الاحتمال في تعارض البواعث في اصل الصلاة اما اذا كان الريا في المبادرة مثلا دون اصل الصلاة مثل من بادر الى الصلاة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدي صلاة لاجل الريا فهذا مما نقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض عنه لان باعث اصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد عن القدح في النية هذا في ريا يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد ان يفسد الصلاة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسالة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والله اعلم

بيان دواء الريا ومعالجة القلب فيه

قد عرفت بما سبق ان الريا محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله وانه من كبائر المهلكات وما كان هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الريا في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك احد عن الحاجة الى هذه المعالجة والمجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف اخرا وفي علاجه مقامان **احدهما** قلع عروقه واصوله التي منها انشعابه **والثاني** دفع ما يخطر منه في الحال

المقام الاول في قلع عروقه واستئصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلاثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار من المذمة والطمع لما في ايدي الناس ويشهد للريا بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو طلب الحمد باللسان فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملا دفتي رحله ورقا وقال عليه السلام من غزا لا يبتغي الا عقالا فله ما نوى فهذه اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكنه يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كي لا يبخل ويذم وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل يكون بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة كي لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على الم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلاثة هي التي تحرك المرائي الى الريا وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الان ما يخص الريا وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشي ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المال فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المال سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الريا وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه من التوفيق في الحال وفي الاخرة من المنزلة عند الله سبحانه وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤوس الاشهاد يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الحياة الدنيا راقبت قلوب العباد واستهزات بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت عندهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الاخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا افسد بالريا حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الريا الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الريا ورد الى الصف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضي به فريقا يسخط به فريقا ورضا بعضهم في سخط بعض ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه ولم يرض الناس وسخطهم عليه ايضا ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده مدحهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع فيما في ايديهم فعلاجه بان يعلم ان الله سبحانه هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطي واذا اصاب فلا تفي لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا ما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل اجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله والعباد كلهم عجزة لا يملكون

لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا اقدر في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فتر رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الريا واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراء ممقوت عند الله ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق الالسنة بمدحه والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذلك الله لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي شر لك في ذم الناس وانت عند الله محمود وفي زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الريا ومقاساة قلوب الخلق وانعطفت من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطائف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحلت عنه داعية الريا وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة لمغارس الريا ۞ واما الدوا العملي فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به ۞ وقد روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له ابو حفص اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص له في اظهار هذا القدر لان في ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دوا للريا مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله التوفيق والهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما

المقام الثاني في دفع العارض منه في اثناء العبادة

وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الريا من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من اعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الريا ولا ينقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد ان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الريا وخواطر الريا ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة **والثالث** فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان يقول ما لك وللخلق علموا او لم يعلموا اذ الله عالم بحالك فاي فائدة في علم غيره واذا هاجت الرغبة الى لذة الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من قبل آفة الريا وتعرضه للمقت عند الله في القيامة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الريا فمعرفة آفة الريا تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة اقواهما واغلبهما فاذا لا بد في رد الريا من ثلاثة امور المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الريا فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليهما وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الريا وشؤم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد وخوف الذم وهو كالذي حدث نفسه بالحلم وذم الغضب وعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم جرى من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابق عزمه ويمتلي قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل عنه فلذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل حرارة الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا وكذا الشهوات التي تهجم على القلب فجاة هذا اللون

اذ تنسي معرفة مضرة الداخلة في عقد الايمان ومهما نسيت المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له هو خاطر الريا الذي يعرضه لسخط الله سبحانه ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته تغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة او يتشاغل عن الفكر في ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى النطق به الا الريا الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه اوكد اذ قبل داعي الريا مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ولا ينفعه معرفته اذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الريا ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة ان تصرف عن الفعل فاذا لا فائدة الا في اجتماع الثلاثة وهي المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التامل في آفات الحياة الدنيا وعظم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغمر القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وانوار العلوم **فان قلت** فمن صادف من نفسه كراهة الريا وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه ولميله اليه وغير مجيب له فهل يكون في زمرة المرائين فاعلم ان الله لم يكلف العبد الا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينازع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلف ويدل على ذلك من الاخبار ما روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا اشيا لان نخر من السما فتخطفنا الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم بها فقال او قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة له ولا يمكن ان يقال اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والريا وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله واذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع ضرر الاصغر اولى وكذلك روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس انه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة ۞ وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة للريا هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا ان للشيطان هنا مكيدة وهو انه اذا عجز عن حمله على قبول الريا خيل اليه ان صلاح قلبه بالاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه به ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله والمتخلصون عن الريا في دفع خواطر الريا على اربع مراتب **الاولى** ان يرد على الشيطان مكيدته ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك **الرتبة الثانية** ان يعرف ان القتال والجدال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته **الثالثة** ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الريا وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة **الرابعة** ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسده عند جريان اسباب الريا فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله تعالى واخفا الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب ياسه وقنوطه حتى لا يرجع ۞ وروي عن الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا يذكرك فقال والله لاغيظن من امره قيل من امره قال الشيطان ثم قال اللهم اغفر له اي

لا يغبطه فان اطيع الله فيه ۞ وقال ابرهيم التيمي مهما عرف الشيطان من انسان هذه العادة كف عنه خيفة ان يزيد
في حسناته ۞ وقال ابرهيم ايضا ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطيعه وليحدث عند ذلك خيرا واذا
راه كذلك تركه ۞ وقال ايضا اذا راك الشيطان مترددا طمع فيك واذا راك مداوما ملك وقلاك ۞ وضرب الحارثي
لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا
وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف ان يعرفوا الحق فقدم الى واحد منهم ليمنعه ويصرفه عنه و
دعاه الى مجلس ضلال فابى عليه فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن ان في ذلك مصلحته
وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تاخره فلما مر الثاني نهاه واستوقفه فوقف فدفعه في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال
واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل
استمر على ما كان عليه فخاب منه رجاؤه بالكلية ومر الرابع فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد في عجلته وترك
التاني في المشي فيوشك ان عاودوا ومروا عليه مرة اخرى ان يعاود الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعاوده خيفة
من ان يزداد فائدة باستعجاله **فان قلت** والشيطان اذا كان لا يؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل
حضوره للحذر منه انتظارا لوروده ام يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة
عنه **قلنا** اختلف الناس فيه على ثلاثة اوجه فذهبت فرقة من اهل البصرة الى ان الاقوياء قد استغنوا عن
الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله سبحانه واشتغلوا بحبه واعتزلهم الشيطان ويئس منهم وخنس عنهم كما
خنس من ضعفاء العباد في الدعوة الى الخمر والزنا فصارت ملاذ الدنيا عندهم وان كانت مباحة كالخمر والخنزير
وادخلوا من حبها بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل ولا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من اهل الشام
الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن ايقن بان لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره
ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس اليه امر ولا يكون الا ما اراده الله فهو الضار والنافع والعارف يستحيي منه سبحانه
ان يحذر غيره واليقين بالوحدانية معينة على الحذر ۞ وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره
البصريون من ان الاقوياء استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية والدنيا هي وسيلة الشيطان فكاد
يكون غرورا اذ الانبياء لم يتخلصوا من وساوس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وساوس الشيطان
من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله سبحانه واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغيره ولا ينجو احد من الخطر
ولذلك قال سبحانه وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان
ثم يحكم الله اياته ۞ وقال عليه السلام انه ليغان على قلبي مع ان شيطانه قد اسلم ولا يامر الا بخير فمن ظن ان اشتغاله
بحب الله اكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء فهو مغرور ولم يامنوا ذلك من كيد الشيطان
ولذلك لم يسلم منه ادم وحوا في الجنة التي هي دار الامن والسرور وبعد ان قال الله سبحانه ان هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى ومع انه لم ينه الا عن شجرة
واحدة واطلق له ما وراء ذلك مما اراد فاذا لم يامن نبي من الانبياء وهو في الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان
فكيف يجوز لغيره ان يامن في دار الدنيا وهي منبع الفتن والمحن ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها ۞ وقال موسى عليه
السلام فيما اخبر عنه القران هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله سبحانه منه جميع الخلق فقال سبحانه يا بني ادم
لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ۞ وقال تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقران من
اوله الى اخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الامن منه واخذ الحذر حيث امر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله
سبحانه فان من الحب له امتثال امره وقد امر بالحذر من العدو كما امر بالحذر من الكافر فقال سبحانه وليأخذوا حذرهم
وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واذا لزمك بامر الله الحذر
من العدو الكافر وانت تراه فبان يلزمك الحذر من العدو الذي يراك ولا تراه اولى ولذلك قال ابن محيريز صيد
تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك واشار الى الشيطان ثم وليس في الغفلة
عن عداوة الكافر الا قتل هو شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال

الله الاعراض عما حذر الله وبهذا يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم ان ذلك قادح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح
وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله
منه والحذر مما امر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب
بالكلية وقوله سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض امتثال التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار
النافع والمحيي المميت هو الله سبحانه فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي هو الله تعالى ويرى الاسباب
وسائط مسخرة كما ذكرناه في كتاب التوكل وهذا ما اختاره المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما
قبله يشبه ان يكون من كلام العباد الذين لا يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من
الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذ
حذرنا الله العدو فلا ينبغي ان يكون شيء اغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة
يوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان
منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه
ربما عارض من حيث لا نحتسبه وان تجردنا للذكر كنا قد اهملنا ذكر الله سبحانه فالجمع اولى وقال العلماء
المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله فلا يخفى غلط هؤلاء وانما امرنا بالحذر
من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك
الى خلو القلب عن نور ذكر الله فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله وقوة الاشتغال به فيوشك
ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يؤمر بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى
اذ جمعت في القلب بين ذكر الله وبين الشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينتقص من ذكر الله وقد امر الله
الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته
فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه اشتغل بذكر الله واكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا
اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع
من التيقظ عند نزغه الشيطان بل الرجل قد ينام وهو خائف على ان يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر
وينام على ان ينتبه في ذلك الوقت فينتبه في الليل مرات قبل اوانه لما اسكن قلبه من الحذر مع انه في النوم غافل عنه
فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله
فدامت منه الهوى واحيي منه نور العقل والعلم واما ظلمة الشهوات فاهل البصيرة استغرقوا قلوبهم عداوة الشيطان
وترصدوا والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاءوا بنور الذكر
حتى ابصروا خواطر العدو فمثال القلب مثال بير اريد تطهيرها من الماء المقذر ليتفجر منها الماء الصافي فالمشتغل
بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكن
تركه جاريا اليها من جانب اخر فيطول تعبه ولا يجف البير عن الماء القذر والبصير هو الذي حصل لمجرى الماء القذر
سدادا وملاها بالماء الصافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب **بيان
الرخصة في قصد اظهار الطاعات** اعلم ان في الاسرار بالاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار
فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه افة الرياء ۞ قال الحسن قد علم المسلمون ان الاسرار احرز العملين ولكن
في الاظهار ايضا فائدة ولذلك اثنى الله سبحانه على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والاخر بالتحدث بما عمل **القسم الاول**
اظهار نفس العمل كالصدقة في الملا لترغيب الناس فيها كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية
لما راوه فقال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر من اتبعه عليها ثم تجري سائر
الاعمال هذا المجرى من الصلاة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء في الطباع في الصدقة اغلب نعم الغازي
اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله من اعمال

العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلاة الليل لينبه جيرانه واهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوايب الريا واما ما يمكن اسراره كالصلاة والصدقة فان كان اظهار الصدقة يوذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذا حرام وان لم يكن فيه ايذا فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة فهي افضل من السر ويدل على ذلك ان الله سبحانه امر انبياءه باظهار العمل للاقتدا وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله عليه السلام فله اجرها واجر من عمل بها ۝ وقد روي في بعض الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوايب الريا وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من ظهور الريا ومهما حصلت شايبة الريا لم ينفعه اقتدا غيره به وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احداهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدي به اهله دون جيرانه وربما يقتدي به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدي به اهل محلته وانما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الريا والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فايدة وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو اهل القدوة وعلى من هو في محل الاقتدا به **الثانية** ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الريا الخفي فيدعوه الى الاظهار بعلة الاقتدا وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقويا المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخادع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقا فرحمهم فاقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلك وهلكوا والغرق في الدنيا بالما ساعة وليت كان الهلاك بالريا مثله لا بل عذابه دايم مدة مديدة وهذه مزلة اقدام العباد والعلما فانهم يتشبهون بالاقويا في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط اجورهم بالريا والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد اخر من اقرانك ولك في السر مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الريا دون طلب الاجر واقتدا الناس به ورغبتهم في الخير اذ قد نالوا الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظة اعين الخلق ومراياتهم فليحذر العبد خداع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقل ما تسلم الاعمال الظاهرة من الافات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شي والسلامة في الاخفا وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليها امثالنا فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفا **القسم الثاني** ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا اشد لان مونة النطق خفيفة على اللسان وقد يجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوي عظيمة الا انه لو تطرق اليه الريا لم يوثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه اهون والحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه حتى استوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتدا به والرغبة في الخير بسببه فهو جايز بل مندوب اليه ان صفت النية وسلمت من جميع الافات لانه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل ذلك عن جماعة من السلف الاقويا وقال سعد بن معاذ ما صليت صلاة قط منذ اسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قايلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق ۝ وقال عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ وقال عمر رضي الله عنه ما ابالي اصبحت على عسر او على يسر لاني لا ادري ايهما خير لي ۝ وقال ابن مسعود ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها ۝ وقال شداد بن اوس ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى ازمها واخطمها الا هذه وكان قد قال لغلامه ايتنا بالسفرة نعبث بها حتى نصيب الغدا ۝ وقال ابو سفيان لاهله حين حضرته الوفاة لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت ۝ وقال عمر بن عبد العزيز ما قضى الله لي بقضا فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله فهذا كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراياة

اذا صدرت ممن يرايي بها وهو غاية الترغيب اذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتدا جايز للاقويا بالشروط التي ذكرناها ولا ينبغي ان يسد باب اظهار الاعمال فالطباع مجبولة على التشبه والاقتدا بل اظهار المرايي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه ريا فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرايي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتدا بمن هو مراي عند الله سبحانه وقد روي انه كان الاجتياز في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقران من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقايق الريا فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرايي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياوه ولن الله يويد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض المرايين ممن يقتدى به منهم

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم

اعلم ان الاصل في الاخلاص استوا السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا امير المومنين وما عمل العلانية قال اذا اطلع عليك غيرك لم تستحي منه ۝ وقال ابو مسلم الخولاني ما عملت عملا قط ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغايط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر من الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفايه عن العبيد ربما يظن انه ريا محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع وانه خايف من الله مع انه ليس كذلك وهذا هو ستر المرايي واما الصادق الذي لا يرايي فله ان يستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه **الاول** هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك ستره في القيامة اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستر الله عليه في الاخرة وهذا غم ينشا من قوة الايمان **الثاني** انه قد علم ان الله سبحانه يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه من محبة ما احبه الله وهذا ايضا ينشا من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصي وآية الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه **الثالث** ان يكره ذم الناس له من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله فان الطبع يتاذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان **الرابع** ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتاذى طبعه فان الذم مولم للقلب كما ان الضرب مولم للبدن وتالم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الناس ولا يتالم به نعم كمال الصدق في ان يزول عنه رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع تتالم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تالم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهدا الله وذمهم يدل على ذم الله سبحانه وعلى النقصان في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم لفوات الحمد بالورع فانه يحب ان يحمد بالورع ولا يجوز ان يحب ان يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غير الله فان وجد ذلك من نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهته للذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يولم واما الذم فانه مولم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال واما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله وذمه له اكثر **الخامس** ان يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله به وهذا ايضا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره ايضا وهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع **السادس** ان يستر ذلك كيلا يقصد بسوء اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم مولم من حيث يشعر القلب بنقصانه وان كان ممن يومن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه لسبب من الاسباب وله ان يستر ذلك حذرا منه **السابع** مجرد الحيا

فانه نوع المروءة الى الذم والقصد بالستر وهو خلق كريم ينشأ في اول الصبا مهما اشرق عليه نور العقل فيستحي القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود قال صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله وقال الحياء شعبة من الايمان وقال الحياء لا يأتي الا بخير وقال ان الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس قد جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء وهو اشد حالا ممن يفسق ويستتر ويستحي الا ان الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء انه يستحي وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل قد يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه يستحي من رده ويعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب ثواب فله عند ذلك احوال ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي ان ينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحي اما ان يتعلل او يقرض فان اقرض فيتصور له ثلاثة احوال احدها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي بان ينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له ان يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء او ينبغي ان تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى على هذه الصفة فقد اعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء الثاني ان يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه الثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته حتى انه لو طالبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من الم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحي منه من الاجانب والاراذل لرده وان كثر الحمد او الثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحي من المباحات ايضا حتى انه يكون مستعجلا في المشي فيعود الى الهدو او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حياء وذلك عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الصلاة وهو في النساء والصبيان محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحي من شيبته ان تنكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن واحسن منه ان تستحي من الله فلا تضيع الامر بالمعروف فالقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي تجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب الثامن ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجري عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به ولهذه العلة ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر الذنوب ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى اذا احب عبدا حببه في القلوب عباده والمذموم ان تحب حمدهم وحبهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحبك ذلك كحب المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما في الحكم

بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات

اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الطاعات وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينه كالصلاة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة ومجاهدات وانما تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق

كالخلافة

كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلاة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة

القسم الاول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث احداها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الرياء بالحياء ويقول لها الا تستحيين من مولاك لا تسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل لاجل عباده حتى اندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله فليشتغل بالعمل بل ينبغي ان يزيد في العمل عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل الثانية ان ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها من الزام كراهة الرياء والاباء عن القبول الثالثة ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجبه واشتغلت بالعمل دعاك الى الرياء فان لم تجبه بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضائع فاي فائدة لك في اتعاب نفسك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته لذلك فقد حصلت له غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن يسلم اليه مولاه حنطة فيها زوان وقال خلصها من الزوان ونقها منه تنقية بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت بها لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من اجله هو ترك الاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا من الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون الله به فهذا من مكائد الشيطان لانه اولا اساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادات وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا انه مراء او قالوا انه مخلص واي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكائد من الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الان يقول الناس انك تركت العمل ليقال انه مخلص لا يشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك حلاوة معرفة الناس بزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه الا بان تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو انه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله اذ دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانت تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انت مراء فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك منه وحيائك من الله فان لم تجد في قلبك له كراهة ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد ممن يشرع في العمل لله فانه لابد ان يبقى معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن قوم ترك العمل مخافة الشهرة روي ان ابراهيم النخعي دخل عليه انسان فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرأ كل ساعة وقال ابراهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن ان كان احدهم ليمر بالاذى في الطريق ما يمنعه من دفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد ورد في مثل هذا آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ اقرب الى خوف الشهرة من البكاء واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه مخافة الرياء وارباب الاعمال قد يعالجون

انفسهم غلاف الانجيل لسد الخوف والاقتدا ينبغي ان يكون بالاقوياء واما اطباق ابرهيم النخعي للمصحف فيمكن ان يكون لعلمه انه
سيحتاج الى ترك القراة عند دخوله عليه واستينافها بعد خروجه للاشتغال بالمكالمة فرى ان الاخفاء فى القراة ابعد عن الريا
فهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك واما ترك رفع الاذى عن الطريق فذلك بما خاف على نفسه الشهرة
واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هى اكثر واجل من دفع عود عن الطريق فيكون ترك ذلك لهذا لا لمجرد خوفه
الريا واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت فيجوز ان يكون قد اراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها
فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور وانما هو عدول من مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام الحق
المندوب اليه فلم يشر عليه على ان الافة مما تعظم فى الكلام فهو واقع فى القسم الثاني واما كلامنا فى العبادات الخاصة ببدن العبد
مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الافات ثم كلام الحسن فى تركهم للبكا واماطة الاذى لخوف الشهرة وربما كان حكاية
احوال الضعفا الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس من افة الشهرة وزجرا عن
طلبها **القسم الثاني** ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الافات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس
والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة فهي من افضل العبادات اما اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله
عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة توازي يوم منها عبادة ستين سنة
وقال صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة ثلاثة فذكر منهم الامام المقسط وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال عليه السلام اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة امام عادل رواه
ابو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من اعظم العبادات ولم يزل المتقون يحترزون منها ويتركونها ويهربون من تقلدها
وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلا ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ
الدنيا واذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته
وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة
بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر يقول من ياخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من
وال عشرة الا جاء يوم القيمة يده مغلولة الى عنقه لا يفكها الا عدله وفي رواية اخرى اطلقه عدله او اوبقه جوره
رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا امير المومنين اشر علي فقال اجلس واكتم علي وروى الحسن ان رجلا ولاه النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اختر لي فقال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم
يا عبد الرحمن لا تسل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسالة اعنت عليها وان اعطيتها عن مسالة وكلت اليها وقال ابو بكر
لرافع بن عمر لا تامرن على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع الم تقل لي لا تامرن على اثنين وانت قد وليت
امة محمد صلى الله عليه وسلم قال بلى وانا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة
يرى ما ورد من فضل الامارة مع ما ورد في النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقويا في الدين لا ينبغي ان
يمتنعوا من تقلد الولايات وان الضعفا لا ينبغي ان يدوروا بها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع
ولا ياخذه في الله لومة لايم وهم الذين سقط الخلق من اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم
وملكوها وقمعوا الشيطان وايس منهم فهولا لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيه ارواحهم فهم اهل
نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة يحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فوجدها
صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولاية ولكن خاف عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ
نفاذ الامر فتكره العزل فتداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلما في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال
قايلون لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قوية في ملازمة الحق وترك لذات
النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها ان
تتغير عند الولاية فكيف اذا اظهرت التردد والامتناع من قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع والعزل مولم
وهو كما قيل طلاق الرجال فاذا شرع فيها لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوي به في
قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت او العزل فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس الى

طلب

طلب الولاية وحملته على السوال والطلب لها فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا لا نولي امرنا من سالنا
فاذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف عرفت ان نهي ابي بكر لرافع عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض واما القضا
فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناهما فان كل ذي ولاية امير اي له امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب
في القضا عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الامارة ينبغي ان يتركه
الضعفا وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الاقويا في الدين الذين لا ياخذهم في الله لومة لايم ومهما كان السلاطين
ظلمة ولم يقدر القاضي على القضا الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم ويعلم انه لو حكم
عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء وان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف
العزل عذرا مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله فان لم
تسمح به نفسه فهو اذا يقضي لاتباع الشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار
واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث والاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر في القلوب
فافته ايضا عظيمة مثل افة الولايات وقد كان الخايفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا
يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي ودفن بشر كذا وكذا قمطرا من الحديث وقال
اني اشتهي ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتاثر قلوب الناس وتلاحق بكا
الناس وزعقاتهم ورغباتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف
يروج عند العوام وان كان باطلا ونفر عن كل كلام يستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى
ما يحرك قلوب العوام وتعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا ويكون فرحه به من حيث انه يصلح لان
يذكر على راس المنبر وكان ينبغي ان يكون فرحه به من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به
ثم يقول اذا انعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة اقصها لاشارك في نفعها اخواني المسلمين فهذا ايضا مما
يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر
فينبغي ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان ترتاض نفسه وتقوى في الدين منته ويامن على نفسه الفتنة فعند ذلك
يعود اليه **فان قلت** مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق
فنقول قد نهى عليه السلام عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة
وندامة الا من اخذها بحقها وقال نعمت المرضعة وبيست الفاطمة ومعلوم ان السلطان والامارة لو تعطلت لبطل
الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك وضرب
عمر ابي بن كعب حين راى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول ابي سيد المسلمين وكان يقرا عليه القران فمنع ان يتبعوه وقال
ذلك فتنة للمتبوع ومذلة على التابع وعمر بنفسه كان يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستاذن رجل عمر ان يعظ
الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال امنعني من نصح المسلمين فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ راى فيه
مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس اليه في دينهم كالوعظ والتدريس
والفتوى وفي كل واحد منها فتنة ولذة فلا فرق بينهما واما قول القايل نهيك عن ذلك يودي الى اندراس العلم فهو
غلط اذ نهيه عليه السلام عن القضا لم يود الى تعطيل القضا بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وكذلك
حب الرياسة لا تترك العلوم تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلم الذي فيه
القبول والرياسة لافلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله سبحانه ان يويد هذا الدين
باقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم اني اقول مع هذا اذا كان
في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الخوف الا امتناع بعضهم والا فيعلم ان كلهم لا يمتنعون
ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته
وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست اقدر على نفسي فنقول

استقل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك لهلك الناس كلهم اذ لا قايم به غيره ولو واظب عليه وعرضه للجاه فربما هلك
وحده وسلامة دين الجميع احب عندنا من سلامة دينه وحده فيجعله فدا للقوم ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا
بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما احدثه الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار
مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرية على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم
نواب الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد
غيره وفيما اوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله وقد
قال عيسى عليه السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون
فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول
لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم
يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم
جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة
فاي الناس اخس منكم لو كنتم تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل
الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم
كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار
كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم وتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم
ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة حفاة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم
وقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا
في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجلة عار وشين وفي الآخرة هم
الخاسرون او يعفو الكريم **فان قلت** فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب
كثيرة حتى قال عليه السلام لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها ۝ وقال عليه السلام ايما
داع دعا الى الهدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي ان يقال للعالم
اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خطر له الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن تمم العمل وجاهد نفسك فاعلم خالطه
ان فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في
نفس العلم آفة وانما الآفة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الاحاديث ولا نقول له ايضا
اتركه ما دمت تجد في نفسك باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاما اذا لم يحركك الا الرياء فاتركه لان ترك الاظهار
اذ ذاك انفع لك واسلم وكذلك نوافل الصلاة اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها فاما اذا خطرت له وساوس
الرياء في اثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لان آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات
وفي التصدي للمناصب العظيمة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلث **الاولى** الولايات والآفات فيها عظيمة
وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة **الثانية** الصلاة والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها اقوياء
السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها
مع اتمام العمل لله بادنى قوة **المرتبة الثالثة** وهي متوسطة بين المرتبتين وهو التصدي لمنصب
الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات والصلاة ينبغي
ان لا يتركها القوي والضعيف ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي ان يتركها الضعفاء اصلا دون الاقوياء و
مناصب العلم بينهما ومن جرب مناصب العلم علم انها بالولاية اشبه وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم والله اعلم
وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلابا للثناء
وفي ادخال السرور على قلب الناس لذة للنفس والآفات فيها ايضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم

امسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد افضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد
تركها قربة الى الله سبحانه ۝ وقال ابو الدرداء ما يسرني اني قمت على درج مسجد دمشق اصيب كل يوم خمسين دينارا
اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشراء ولكني اريد ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف
العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل وقال
قوم الجلوس في دوام ذكر الله افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل والاخذ والاعطاء شغل عن الله ۝ وقد
قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا ليبر تركك لها ابر ۝ وقال اقل ما فيه ان يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله
افضل واكبر وهذا فيمن سلم من الآفات فاما من تعرض لآفة الرياء فتركه لها والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه افضل
وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهي مثار الآفات والاحب ان يعمل ويدفع الآفة فان عجز فلينظر وليجتهد
وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة
ما يجده على قلبه اخف فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد
ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات وهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه
لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجهال فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين
البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب
ان الافضل ترك الكسب والانفاق والتجرد للذكر او الكسب الحلال والانفاق في الخيرات لما في الكسب من الآفات فاما المال
الحاصل الحلال فتفرقته افضل لكل حال من امساكه **فان قلت** فباي علامة يعرف العالم والواعظ انه
صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس ام هو على خلاف ذلك فاعلم ان لذلك علامات **احداها** انه لو
ظهر من هو احسن منه وعظا واغزر منه علما والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا باس بالغبطة وهو
ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر الى
الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة
يطول احصاؤها ۝ وقد روي عن سعيد بن ابي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض
ابواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة احفل
من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى
له عن ناحية من مجلسه قال سعيد وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس
للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد
فقلت في نفسي لابلون الحسن اليوم ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب اليه او يحمله هيبة
الحجاج ان ينقص منه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الحسن الى آخر كلامه وهو غير
مكترث ورفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها
حلقا وعادة فانه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من امور الناس ما
غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق
فقام فجاء رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين الا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني
اغزو فاكلف فرسا وبغلا واكلف فسطاطا وان لي ثلثمائة درهم من العطاء وان لي سبع بنات من العيال فشكا من حاله
حتى رق له الحسن واصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن راسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا
عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة
وعلى البغال السباقة واذا اغزى اخاه اغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده فقام رجل
من اهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان اتته رسل الحجاج فقالوا
اجب الامير فقام الحسن واشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يتبسم
وقلما رايته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون

الناس الأمانة كأنهم يظنون أن الخيانة ليست إلا في الدينار والدرهم، إن الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطمئن إلى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا إلى الشرطة منا، أرأيت هذا الرجل يقول أقصر عليك من لسانك وقولك إذا غزا عدو الله عز أبكذا وإذا أعز أخاه أعزه كذا، ألا إنك تعرض الناس علينا، أما أنا على ذلك لا أتهم نصيحتك فأقصر عليه من لسانك. قال فدفعه الله عني. وركب الحسن حمارًا يريد منزله فبينما هو يسير إذ التفت فرأى قومًا يتبعونه فوقف وقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء وإلا فارجعوا فما يبقي هذا من قلب العبد. فبهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن. ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتواسون ولا يتعاونون ويتحابون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون ؏

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح

اعلم أن الرجل قد يبيت في موضع مع القوم فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فإذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده أو يصلي مع أنه كان لا يعتادها أصلًا، وكذلك قد يقع في موضع قد يصوم أهله فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط، فهذا ربما يظن أنه رياء وأن الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل، لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال وغلبة التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة، فربما تكون مشاهدة هذا الغير سبب زوال هذه الغفلة إذ تندفع العوائق والاشتغال في بعض المواضع فينبعث النشاط، فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير وتمكنه من التمتع بزوجته والمحادثة مع أهله وأقاربه والاشتغال بأولاده ومطالعة حساب له مع معامليه، فإذا وقع في منزل غريب اندفعت هذه العوائق وأكثرها والشواغل التي تفتر رغبته في الخير، وحصلت أسباب باعثة على الخير كمشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا، فإنه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للدنيا والرياء، وربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع أو بسبب آخر فيغتنم زوال النوم، وفي منزله ربما يغلبه النوم، وينضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائمًا إلا وقتًا قليلًا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق، وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه أطايب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم، فإن الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فإذا سلم منها قوي الباعث، فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم، والشيطان عند ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فإنك تكون مرائيًا، أو إذ كنت لا تعمل في بيتك فلا تزيد على صلاتك المعتادة. وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفًا من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لا سيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل فإن نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته، وعند ذلك قد يقول الشيطان صلّ فإنك مخلص ولست تصلي لأجلهم بل لله، وإنما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق، وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم، وهذا أمر مشتبه إلا على ذوي البصائر، فإذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغي له أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لأنه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله، وإن كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق، وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلاة وهم لا يرونه، فإن سخت نفسه فليصل فإن باعثه الحق، وإن كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فإن باعثه الرياء، وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك بسبب تحرك النشاط بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله، وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس إلى حب الحمد، فمهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل لما يجده من حب الحمد بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة، ولذلك قد يبكي جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفًا من الله لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب، وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يراهم يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفًا وذلك

محمود

محمود، وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على قلبه القساوة فيتباكى أم لا، فإن لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فإنما خوفه من أن يقال إنه قاسي القلب فينبغي أن يترك التباكي. قال لقمان لابنه: لا تري الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر. وكذلك الصيحة والنفس والأنين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجاري الأحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة تكون من مشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف النفس والأنين ويتحازن، وذلك مذموم، وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الخوف ليعرف بذلك، فإن تجردت هذه الرغبة فهي الرياء، وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه، وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله به. وقد يكون أصل الأنين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور فإنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء، فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تحزين الصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى ينظر إليه بعد أن استرسلت لخشية الله، ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء، وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحي أن يقال إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيصعق ويتواجد تكلفًا ليرى أنه سقط لكونه مغشيًا عليه، وقد كان ابتداء السقطة عن صدق، وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعًا فيجزع نفسه أن يقال حالته غير ثابتة وإنما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله، وكذلك قد يفيق بعد الصعق ولكن يزول ضعفه سريعًا فيجزع أن يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم إظهار الضعف والأنين فيتكئ على غيره ليرى أنه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطا ليظهر أنه ضعيف عن سرعة المشي، فهذه كلها مكائد الشيطان ونزغات النفس، فإذا خطرت فعلاجها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه، ولكن الله مطلع على ضميره وهو له أشد مقتًا، كما روي عن الجنيد أنه قام وزعق فقام معه شيخ رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذي رآك حين تقوم، فجلس الشيخ، وكل ذلك من أعمال المنافقين. ۵ وقد جاء في الخبر: تعوذوا بالله من خشوع النفاق، وإنما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع. ومن ذلك القلب الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه، فإن ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه، وقد يكون للمراءاة، فهذه خواطر ترد على القلب مترادفة متضادة ومتقاربة وهي مع تقاربها متشابهة، فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو، فإن كان لله فامضه، واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل، وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا لخوفك على الإخلاص فيها، واحذر أن يتجدد لك خاطر الركون إلى حمدهم بعد الشروع بالإخلاص، فإن ذلك مما يكثر جدًا، فإذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته لك، وتذكر ما قاله أحد النفر الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال: يا أيوب أما علمت أن العبد يضل عنه علانيته التي كان يخادع بها نفسه ويجزى بسريرته. ۵ وقول بعضهم: أعوذ بك أن يرى الناس أني أخشاك وأنت لي ماقت. ۵ وكان من دعاء الحسن بن علي: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما أخلو سريرتي، محافظًا على رياء الناس من نفسي ومضيعًا ما أنت مطلع عليه مني، أبدي للناس أحسن أمري وأفضي إليك بأسوأ عملي، تقربًا إلى الناس بحسناتي وفرارًا منهم إليك بسيئاتي، فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك، أعذني من ذلك يا رب العالمين. وقد قال أحد الثلاثة لأيوب عليه السلام: يا أيوب إن الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم. فهذه جمل آفات الرياء، فليراقب العبد قلبه ليقف عليها. ۵ وفي الخبر: إن للرياء سبعين بابًا. وقد عرفت أن بعضه أغمض من بعض حتى إن بعضه مثل دبيب النملة وبعضه أخفى من دبيب النملة، وكيف يدرك ما هو أخفى من دبيب النملة إلا بشدة التفقد والمراقبة، وليته أدرك بعد بذل المجهود، فكيف يطمع في إدراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها.

بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه

اعلم أن أولى ما يلزم المريد قلبه في سائر أوقاته القيام بعلم الله في جميع طاعاته، ولا يقنع بعلم الله إلا من لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله، وأما من خاف غيره ورجاه فإنه يشتهي

القناعة صح

الاطلاع على محاسن احواله فان كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض
للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره وان النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشاء
وتقول مثل هذا العمل العظيم والخوف العظيم والبكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف
ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففي مثل هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه ويتذكر ما في
مقابلة عظيم عمله ملك الاخرة ونعيم الجنة ودوامها ابد الاباد وعظيم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده وعلم
ان اظهاره لغيره تحبب اليهم وسقوط عند الله واحباط العمل العظيم فيقول وكيف اتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون
لا يقدرون لي على رزق واجل فيلزم قلبه ذلك ولا ينبغي ان ياس عن الاخلاص فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقوياء فاما
المخلصون فليس ذلك من شانهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخلص طاعته نامية والمخلط لا يخلو فرايضه عن النقصان
والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم يسلم صار ماخوذا بالفرايض وهلك بسبب ذلك فالمخلط الى الاخلاص احوج وقد روى تميم
الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسب العبد يوم القيمة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع
اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار فياتي المخلط يوم القيمة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده
في جبران الفرايض وتكفير السيات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من
حسناته ما يترجح على سياته فيدخل الجنة فاذا ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد
الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره فاذا فعل جميع ذلك فينبغي ان يكون وجلا من عمله خايفا انه ربما دخله من الريا الخفي ما لم يقف
عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجوزا ان يكون الله قد احصى عليه من نيته الخفية ما قد مقته بها ورد عمله بسببها
ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتدايه بل ينبغي ان يكون متيقنا في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا
الله سبحانه حتى يصح عمله فاذا شرع في العمل ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شايبة خفية
احبطت عمله من رياء او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل باخلاص وشك في انه هل
افسده برياء فيكون رجاء القبول اغلب ولذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والريا شك وخوفه لاجل
ذلك الشك جدير ان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله بالسعي في حوايج الناس وافادة العلم
ينبغي ان يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون
شكر ومكافاة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل او خدمة
او مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه او ترددا منه في حاجة فقد اخذ اجره ولا ثواب له عليه نعم ان لم يتوقع
هو ولم يقصد الا الثواب على عمله الذي عمله بعلمه ليكون له مثل اجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجوا
ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون
من ذلك حتى ان بعضهم وقع في بير فجاء قوم وادلوا الحبل ليخرجوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرا عليه اية من القران
او سمع منه حديثا خيفة من ان يحبط ذلك اجره وقال البلخي اهديت لسفيان الثوري ثوبا فرده علي فقلت له يا ابا عبد الله
لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي قال علمت ذلك ولكن اخوك يسمع مني الحديث فاخاف ان يلين قلبي لاخيك اكثر مما
يلين لغيره وجاء رجل الى سفيان ببدرة او ببدرتين وكان ابوه صديقا لسفيان وكان سفيان ياتيه كثيرا فقال له يا
ابا عبد الله في نفسك من ابي شي فقال يرحم الله اباك كان وكان فاثنى عليه فقال له يا ابا عبد الله قد عرفت كيف صار الي
هذا المال واحب ان تاخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فرده علي
فرجع فقال احب ان تاخذ مالك فلم يزل حتى رده عليه وكانه كانت اخوته مع ابيه في الله فكره ان ياخذ ذلك قال ولده فلما خرج
لم املك نفسي ان جيت اليه فقلت له ويلك اي شي قلبك هذا حجر كانه ليس لك عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتي اما ترحم
عيالنا فاكثرت عليه فقال لي يا مبارك تاكلها هنيا مريا واسال عنها انا فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب
الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم قلبه طلب حمد الله وثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند
المعلم وعند الخلق وربما يظن ان له ان يرائي بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطا لان ارادته بطاعته غير الله
خسران في الحال والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جايز بل ينبغي ان يتعلم

لله ويعبد لله ويخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا ان لا يعبدوا الا الله
ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدم لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضا الله في رضا الوالدين
ولا يجوز له ان يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن ريايه ويسقط منزلته
من قلوب الوالدين ايضا واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة
الناس بزهده واستعظامهم لمحله وهو لا يدري انه المخفف للعمل عليه قال ابرهيم بن ادهم تعلمت المعرفة من راهب يقال له
سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم انت في صومعتك فقال منذ سبعين سنة قلت وما طعامك قال يا
حنيفي وما دعاك الى هذا قلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال
ترى الدير الذي بحذايك قلت نعم قال انهم ياتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما
تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد
فوقرت في قلبي المعرفة فقال حسبك او ازيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى الي ركوة فيها عشرون حمصة
فقال لي ادخل الدير فقد راوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت علي النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى اليك
الشيخ قلت من قوته قالوا وما تصنع به ونحن احق به قلت ساوموا قالوا اشتر ثم قلت عشرين دينارا فاعطوني عشرين دينارا
ورجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطات لو ساومتهم عشرين
الف دينار لاعطوك هذا عز من لا تعبده فكيف يكون عز من تعبده يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب والجية والمقصود
ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة
سلامته ان يكون الخلق عنده والبهايم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم فيه لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة
ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه وانه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا
ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل
والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل السرور بالركون اليه فيرجى له ان لا يخيب سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع
والانقباض كيلا ينبسطوا اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد يكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل
بطلب الانقباض فليطالبها في دعواها بصدق الانقباض بموثق من الله غليظ وهو لو علم ان انقباضهم عنه انما يحصل بان
يعدو ويرقص او ياكل كثيرا او يضحك لم تسخ نفسه بذلك واذا لم تسخ وتسخت نفسه بالعبادة فليشبه ان يكون مرادها
المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك الا من يتقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على الارض
وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة
الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والاخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه
لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له لذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه
الى مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراء او طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في الرغبة في الاخرة ويحبب الى القلوب
المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح الى الغني اكثر مما استروح الى الفقير وقد حكي ان الاغنيا لم
يروا في مجلس اذل منهم في مجلس الثوري كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء في
مجلسه نعم لك زيادة اكرام الغني اذا كان اقرب اليك وكان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون
بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله من الغني
وايثارك له لا يكون الا طمعا في غناه ورياء له ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع
للغني اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك رياء خفي او طمع خفي كما قال ابن السماك لجارية له ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي
الحكمة قالت الطمع يشحذ خاطرك ويطلق لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق به عند
الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد الشيطان وخباياه في هذا الفن لا تحصر ولا
ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات
متصرمة في ايام متقاربة متقضية وتكون في الدنيا كملك من الملوك في الدنيا قد امكنته الشهوات وساعدته

اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو احتمى وجاهد نفسه دام عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحارف الصيادلة وعوّد نفسه شرب الأدوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة أكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه في شهوة تفكر في توالي الآلام والأوجاع عليه وأداء ذلك إلى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة أعدائه ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعمته في عيش هني وبدن صحيح وبال رخي وأمر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزأ منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذاب الله فخف عليه ذلك كله عند شدة يقينه وعند شدة إيمانه وبعينه بعاقبة أمره وبما أعد له من النعيم المقيم في رضوان الله سبحانه أبد الآباد ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤوفا وعليهم عطوفا ولو شاء لأغناهم عن التعب والنصب ولكن أراد أن يبلوهم ويعرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلا ثم إن المريد إذا تحمل التعب في بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الأعباء وسهل عليه الصبر وحبب إليه الطاعة ورزقه من لذة المناجاة ما يلهيه ذلك عن سائر اللذات ويقويه على إماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمده بمعونته فإن الكريم لا يضيع أجر الراجي ولا يخيب أمل المحب وهو الذي يقول من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ويقول لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقائهم أشد شوقا فليظهر العبد في البداية جده وصدقه وإخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته. تم كتاب ذم الجاه والرياء والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا

كتاب ذم الكبر والعجب

بسم الله الرحمن الرحيم ◦ الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع ◦ الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع ◦ وكل متكبر في جناب عزه مسكين خاشع فهو القهار الذي لا يدافعه عن مراده دافع ◦ الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع ◦ القادر الذي بهر أبصار الخلائق بهاؤه وجلاله ◦ وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه ◦ وحصر ألسن الأنبياء وصفه وثناؤه ◦ وارتفع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه ◦ فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه ◦ وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه ◦ وقصر أيدي القياصرة عظمته وكبرياؤه ◦ فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه ◦ ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه ◦ جل جلاله وتقدست أسماؤه ◦ والصلاة على محمد الذي أنزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه ◦ وعلى آله وأصحابه الذين هم أولياء الله وأحباؤه ◦ وخيرته وأصفياؤه ◦ وسلم كثيرا

أما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته ◦ وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح المهلكات وجب إيضاح الكبر والعجب فإنهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي بيانهما في الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب **الشطر الأول** من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر ◦ وبيان ذم الاختيال ◦ وبيان فضيلة التواضع ◦ وبيان حقيقة الكبر وآفته ◦ وبيان المتكبر عليه ودرجات الكبر ◦ وبيان ما به التكبر ◦ وبيان البواعث على التكبر ◦ وبيان أخلاق المتواضعين ◦ وما فيه يظهر الكبر وبيان علاج الكبر ◦ وبيان امتحان النفس في خلق الكبر ◦ وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم فيه

بيان ذم الكبر

قد ذم الله سبحانه وتعالى الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال سبحانه سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وقال سبحانه كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ◦ وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى إن الله لا يحب المستكبرين إلى غير ذلك من الآيات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ◦ وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو على المروة فتوقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن قال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه ◦ وقال عليه السلام لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب ◦ وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والجن والإنس والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين ◦ وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله سبحانه للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى ◦ وعن ثابت قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت ◦ وقال عبد الله بن عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال إني آمركما باثنين وأنهاكما عن اثنين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وآمركما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتها ◦ وقال عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا ◦ وقال نبينا عليه السلام أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المقلون ◦ وقال صلى الله عليه وسلم إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال هم المتكبرون ◦ وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الأنيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار ◦ وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه ◦ وقال عليه السلام إن في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم ◦ وقال صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال عليه السلام من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول

الآثار

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير ◦ وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر ◦ وقال الأحنف بن قيس كنت أجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الأحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ◦ وقال الحسن العجب لابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وقد قيل في معنى قوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون إنه سبيل الغائط والبول ◦ وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر ◦ وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر ◦ وقال النعمان بن بشير على المنبر إن للشيطان مصالي وفخوخا وإن

مصالح الشيطان وفرحه البطر بأنعم الله والفخر بمعاصي الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله ع

بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا. وقال عليه السلام بينما رجل يتبختر في بردته قد أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة. وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أي بني ارفع إزارك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء. وروي أنه عليه السلام بزق يوما على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول الله سبحانه ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة. وقال صلى الله عليه وسلم إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض. قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال. وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان.

الآثار

عن أبي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بأنفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه أي حميق أنت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها والمؤدي حق الله منها والله أن يمشي أحدهم طبيعته أن يتلجلج تلجلج المجنون في كل عضو من أعضائه لله عليه نعمة وللشيطان لعنة فسمعه ابن الأهتم فرجع يعتذر إليه فقال لا تعتذر إلي وتب إلى ربك أما سمعت قوله ولا تمش في الأرض مرحا الآية. ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم. وروي أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها. ورأى محمد بن واسع ولده يختال في مشيته فدعاه فقال له أتدري من أنت أما أمك فاشتريتها بمائتي درهم وأما أبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله. ورأى ابن عمر رجلا يجر إزاره فقال إن للشيطان إخوانا كررها مرتين أو ثلاثا. ويروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفني فقال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك. وقال مجاهد في قوله سبحانه ثم ذهب إلى أهله يتمطى أي يتبختر. وإذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضل التواضع

بيان فضيلة التواضع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله. وقال عليه السلام ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فإن هو رفع نفسه جذباها وقالا اللهم ضعه وإن وضع نفسه قالا اللهم ارفعه. وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع من غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة. وعن أبي سلمة المديني عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما فأتيناه عند إفطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال أما إني لا أحرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله. وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه على فخذه ثم قال اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها. وقال صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفيي من الملائكة جبريل فرفعت رأسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا. وأوحى الله سبحانه إلى موسى عليه السلام إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي وألزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلي. وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى. وقال عيسى عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله يوم القيامة. وقال بعضهم بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا هدى الله عبدا للإسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله. وقال عليه السلام أربع لا يعطيهن الله إلا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا. وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة. وقال صلى الله عليه وسلم إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله. وروي أنه عليه السلام كان يطعم فجاء رجل أسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي إلى جنبه وقال إنه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه. وقال عليه السلام لأصحابه يوما ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع. وقال عليه السلام إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك لهم مذلة وصغار.

الآثار

قال عمر رضي الله عنه إن العبد إذا تواضع لله رفع الملك حكمته وقال انتعش رفعك الله وإذا تكبر وعدا طوره وهصه الملك إلى الأرض وقال اخسأ أخسأك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير. وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة إلى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم إن الرجل النائم استيقظ فإذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا قال فإنه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا. وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم لتغفلون أفضل العبادة التواضع. وقال يوسف بن أسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد. وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع فقال هو أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من أجهل الناس قبلته. وقال ابن المبارك رأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل. وقال قتادة من أعطي مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة. وقيل أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك. وقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه. وقيل لعبد الملك بن مروان أي الرجال أفضل قال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وترك النصرة عن قوة. ودخل ابن السماك على هارون الرشيد فقال يا أمير المؤمنين إن امرأ آتاه الله جمالا في خلقته وموضعا في حسبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدعا هارون بدواة وقرطاس فكتبه بيده. وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأشراف والأغنياء حتى يجيء إلى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين. وقال بعضهم كما تكره أن يراك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره أن يراك الفقراء في الثياب المرتفعة. وروي أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع التواضع أن تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا. وقال مجاهد إن الله سبحانه لما أغرق قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه. وقال أبو سليمان إن الله اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى فخصه من بينهم بالكلام. وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولا أني كنت معهم إني أخشى أنهم حرموا بسببي. ويقال أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه. وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر. وقال مالك بن دينار لو أن مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان يسبقني أحد إلى الباب إلا رجل بفضل قوة أو سعي فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا. وقال الفضيل من أحب الرياسة لم يفلح أبدا. وقال موسى بن القاسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله لنا فبكى ثم قال ليتني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي إن الله دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل. وجاء رجل إلى الشبلي فقال له ما أنت وكان هذا دأبه وعادته فقال له أنا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي

الا اذا الله شاهدك وتجعل لنفسك مكانا. وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود. ويقال من راى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب. وعن الفتح قال رايت علي بن ابي طالب في المنام فقلت له يا ابا الحسن عظني قال ما احسن تواضع الاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بما عند الله. وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه. وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل متى يكون متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه ومعرفته بنفسه. وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه. وقال عروة بن الورد التواضع احدى مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع. وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم. وقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن والكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح. ويقال لا عز الا لمن تذلل لله ولا رفعة الا لمن تواضع لله ولا امن الا لمن خاف الله ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله. وقال ابو علي الجوزجاني النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله بعبد خيرا لطف به فاذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركها القناعة مع عون الله. وعن الجنيد انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا انه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم. وقال ايضا التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده ان المتكبر يثبت نفسه ثم يضعها والمتواضع لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها. وعن عمرو بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت يوما على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر فجعلت انظر اليه واتامله فقال لي ما لك تنظر الي فقلت له اشبهك برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت له ما فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع الناس فيه فوضعني الله حيث يترفع فيه الناس. وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم النخعي هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء. وكان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذه بطنه كانه امراة ماخض ويقول هذا من اجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس. وكان بشر الحافي يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم. ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال اعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة فاين المعرفة. وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسي يوما فقال سلمان لكنني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل ميزاني فانا كريم وان خف فانا لئيم. وقال ابو بكر وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع.

بيان حقيقة الكبر وآفته

اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح قيل تكبر واذا لم يظهر قيل في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سياتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو راى نفسه احقر لم يتكبر بل ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال النبي عليه السلام نعوذ بك من نفخة الكبرياء ولذلك قال عمر اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استاذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح وكان الانسان مهما راى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله سبحانه ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بالعظمة ثم هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمراتها ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومواكلته وراى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك استنكف

استخدامه ايضا ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته وان كان دون ذلك انف من مساواته وتقدم عليه في مضايق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبداه بالسلام واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف عن القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واسترذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا. والاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة بنا الى احصائها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر على ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا على قبوله وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه ولاجل هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفي ذلك وردت الاخبار والآثار التي فيها ذم المتكبرين قال سبحانه وتعالى والملائكة باسطوا ايديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله فقال ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا. وقال سبحانه فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون. وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين. وقال سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سارفع فهم القرآن عن قلوبهم. وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت. وقال ابن جريج سأصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال عيسى عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر الا ترون انه من شمخ براسه الى السقف شجه ومن طاطا اظله واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال الكبر من سفه الحق وغمص الناس.

بيان المتكبر عليه واقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه

اعلم ان المتكبر عليه هو الله او رسله او سائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة على الله فاذا التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة اقسام

القسم الاول

التكبر على الله سبحانه وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بانه يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة مثل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال سبحانه ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين. وقال تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا. وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا

القسم الثاني

التكبر على الرسل وذلك من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع من الانقياد وهو ظان انه محق في ذلك وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسول كما حكى الله سبحانه عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا وقوله ان انتم الا بشر مثلنا وقوله ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون. وقوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقالوا لولا انزل عليه ملك وقال فرعون او جاء معه الملائكة مقترنين قال الله سبحانه واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر على الله وعلى رسله جميعا. قال وهب قال له موسى عليه السلام يا فرعون آمن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت

عبدا نعبد فاستنكف عن عبودية الله سبحانه وعن اتباع موسى عليه السلام • وقالت قريش لولا نزل هذا القران على
رجل من القريتين عظيم قال قتادة الوليد بن مغيرة وابو مسعود طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم
اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال سبحان الله سبحانه اهم يقسمون رحمة ربك • وقال تعالى ليقولوا اهولاء من
الله عليهم من بيننا اي استحقارا او استبعادا لتقدمهم • وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس اليك وعندك
هولاء واشاروا الى فقرا المسلمين فازدروهم باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله سبحانه ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه • وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا
تعد عيناك عنهم الاية واخبر سبحانه عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين استرذلوهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا
كنا نعدهم من الاشرار قيل يعني بلالا وعمارا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة
فجهل كون رسول الله صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ذلك ومنعه الكبر عن الاعتراف قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به • وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله سبحانه وان كان دونه
ولكنه تكبر عن قبول امر الله وعن التواضع لرسول الله صلى الله عليه وسلم **القسم الثالث** التكبر على العباد
وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم
ويانف عن مساواتهم وذلك وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم من وجهين **احدهما** ان الكبر والعز والعظمة
والعلا لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق به الكبر
فمهما تكبر العبد فقد نازع الله سبحانه في صفة لا يليق الا بجلاله ومثاله ان ياخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على
راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم تعرضه للخزي والنكال وما اشد استجراه على مولاه
وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله سبحانه العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي
انه خاص صفتي ولا يليق الا بي فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع
عليهم ويستاثر بما حق الملك ان يستاثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم تبلغ درجته درجة من اراد الجلوس
على السرير والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم ومن تكبر على عبد من عباد الله فقد
نازع الله نعم الفرق بين هذه المنازعة ومنازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض
عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك **الوجه الثاني** الذي يعظم به رذيلة الكبر انه يدعو الى
مخالفة الله في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله سبحانه استنكف عن قبوله وتشمر لجحوده ولذلك
ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما
اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الاخر عن قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من
اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله سبحانه فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه
لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك
على الانفة عن قبول الوعظ كما قال سبحانه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم • وروي عن عمر رضي الله عنه
انه قرا هذه الاية فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يامر بالمعروف فقتل فقام اخر فقال تقتلون الذين
يامرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي خالفه والذي امره كبرا • وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل
له اتق الله قال عليك نفسك • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا
استطعت فما منعه الا الكبر قيل فما رفعها بعد ذلك فاذا الكبر على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى الكبر على امر الله
وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكي من احواله الا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال
خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله به فكان مبدؤه الكبر على ادم والحسد
له فجره ذلك الى التكبر على امر الله فكان ذلك سبب هلاكه ابد الاباد وهذه افة من افات الكبر على العباد عظيمة
ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الافتين اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول
الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى افمن الكبر هو فقال لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث

اخر من سفه الحق وقوله غمص الناس اي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله وخير منه وهذه الافة الاولى وسفه الحق
هو رده وهي الافة الثانية فكل من راى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار ورد الحق وهو
يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف ان يخضع لله سبحانه ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر بينه وبين الله
والرسل عليهم السلام **بيان ما به الكبر** اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد
لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي والديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال
والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب **الاول** العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال عليه السلام
افة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم الا ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر
الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبدءوه بالسلام فان بدا احدا منهم بالسلام او رد عليه ببشر او
قام له او اجاب له دعوة راى ذلك صنيعة له ويدا عنده يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون
من مثله فانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه ولا يبرهم ويزورونه ولا يزورهم
ويعودونه ولا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فان قصر منهم مقصر استنكره كانهم عبيده
واجراؤه وكان تعليمه العلم منه صنيعة منه لديهم ومعروف اليهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا اما
في امر الاخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه
اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه و
خطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سياتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم تزيد
خوفا وتواضعا وتخشعا وتقتضي ان يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة
العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال **فان قلت** فما بال بعض الناس يزداد
بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان لذلك سببين **احدهما** ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم
الحقيقي ما يعرف العبد نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله سبحانه والحجاب عنه وهذا العلم يورث الخشية والتواضع
دون الكبر والامن قال سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر
والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلا منها امتلا بها كبرا ونفاقا وهذه
العلوم بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا
يورث التواضع غالبا **السبب الثاني** ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيء الاخلاق
فانه لم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا
خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا لم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا
مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد
المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع
تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل اذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل
خائفا مع جهله فاذا ازداد علما علم ان الحجة قد تاكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وتواضعا وذلا فالعلم من
اعظم ما يتكبر به واعظم ما يتواضع به ولاجل ذلك قال الله سبحانه لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
وقال سبحانه ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياءه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس يكون قوم يقرؤون القران لا يجاوز حناجرهم يقولون
قد قرانا القران فمن اقرا منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار
ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم • ولذلك استاذن تميم الداري عمر في
القصص فابى ان ياذن له وقال انه الذبح • واستاذن رجل كان امام قوم انه اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال
اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا • وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا فاني رايت
في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفة لم يسلم من هذا فكيف يسلم غيره من متاخري هذه الامة فما اعز

على بسيط الأرض عالما يستحق أن يقال إنه عالم ثم إنه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله ولو عرفنا مثل ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا إليه رجاء أن تشملنا بركته وتسري إلينا سيرته وسجيته وهيهات فأنى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول وقد انقرضوا في القرن الأول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك أيضا إما معدوم وإما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما أنتم عليه نجا لكان جديرا بنا أن نقتحم والعياذ بالله في ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسأل الله أن يعاملنا بما هو أهله كما يقتضيه جوده وكرمه

الثاني العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة الكبر والعز واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا أما الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ إلى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق وأما في الدين فهو أن أحدهم يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال عليه السلام إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم وإنما قال ذلك لأن هذا القول يدل على أنه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكر الله غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال عليه السلام كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجو لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله فهم يتقربون إلى الله سبحانه بالدنو منه وهو يتمقت إلى الله بالتنزه والتبعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فما أجدرهم إذا أحبوه لصلاحه أن ينقلهم الله إلى درجته في العمل وما أجدره إذا ازدراهم بعينه أن ينقله الله إلى حد الإهمال كما روي أن رجلا من بني إسرائيل يقال له خليع بني إسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني إسرائيل وكانت على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به قال الخليع في نفسه أنا خليع بني إسرائيل وهذا عابد بني إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله أن يرحمني فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بني إسرائيل وهذا خليع بني إسرائيل كيف يجلس إلي فأنف منه وقال له قم عني فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد. وفي حديث آخر فتحولت الغمامة إلى رأس الخليع وهذا يعرفك أن الله سبحانه إنما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصي إذا تواضع أو ذل هيبة لله وخوفا منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب ولذلك روي أن رجلا من بني إسرائيل أتى عابدا من بني إسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له ارفع فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله تعالى إليه أيها المتألي علي بل أنت لا يغفر الله لك ولذلك قال الحسن وحتى إن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب المطرف الخز أي إن صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى له الفضل وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قلما ينفك عنها العباد وذلك أنه لو استخف به أحدهم مستخف أو آذاه مؤذ استبعد أن يغفر الله له ولا يشك أنه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب والاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم إلى أن يتحدى ويقولون سترون ما يجري عليه فإذا أصيب بنكبة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله تعالى ما أراد إلا شفاء غليله والانتقام منه مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الأنبياء فمنهم من ضرب ومنهم من قتل ثم إن الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم إن الجاهل المغرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لم ينتقم لأنبيائه ولعله في مقت الله بإعجابه وكبره وهو غافل عن نفسه هلاكه عقيدة المغترين وأما الأكياس من العباد فيقولون ما كان يقول عطاء السلمي حين كان إذا هبت ريحا أو صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم أو قال معهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل

على

على نفسه مزدر بعمله وسعيه وذلك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان ثم إنه يمن على الله بعمله ومن اعتقد جزما أنه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله فإن الجهل أخس المعاصي وأعظم شيء يبعد العبد من الله وحكمه لنفسه بأنه خير من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. ولذلك يروى أن رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي عليه السلام وأصحابه فقال له عليه السلام أسألك بالله حدثتك نفسك أنه ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم فرأى عليه السلام بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات

الدرجة الأولى أن يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخت في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية

الدرجة الثانية أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الإنكار على من يقصر في حقه وأدنى ذلك في العالم أن يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد أن يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم وليس يعلم المسكين أن الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى يضم إنما الورع في القلوب وقال عليه السلام التقوى هاهنا وأشار إلى قلبه فقد كان عليه السلام أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحرث الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل طلق مضحاك فأما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله رضي ذلك لما قال لنبيه واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر أثر الكبر على شمائلهم وأحوالهم أخفهم حالا ممن هو في الرتبة

الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه إلى الدعاوى والمفاخر والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الأحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل أما العابد فإنه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن أين زهده فيطول اللسان فيه بالتنقص ثم يثني على نفسه ويقول إني لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأختم القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض وما يجري مجراه هذا يدعي الكرامة لنفسه وأما مباهاته فهو أنه لو وقع في قوم يصلون بالليل قام فصلى أكثر مما كان يصلي وإن كانوا يصبرون على الجوع كلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وكلالهم وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا أن يقال غيره أعبد منه وأقوى منه في دين الله وأما العالم فإنه يتفاخر ويقول أنا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه وأما مباهاته فهو أنه يجتهد في المناظرة أن يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الألفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الأقران ويتعظم عليهم ويحفظ الأحاديث وألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان أقرانه ويفرح مهما أخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوء إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أحسن منه وأعظم فهذه كلها أخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل وأين من يخلو عنها أو عن بعضها فليت شعري من عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قوله عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المتكبر من أهل النار وإنما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له إن لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فإن رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل.

الثالث التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له موال وعبيد فيأنف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرة ذلك على اللسان التفاخر به

فيقول للعبد ما يعطى باحدى ويا ادمى من انت ومن ابوك وانا فلان بن فلان وانى لمثلك ان يكلمنى او ينظر الى ومع مثلى
تتكلم وما يجرى مجراه وذلك عرق دفين فى النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه
ذلك عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفا ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن ابى ذر انه قال قاولت رجلا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السودا فقال عليه السلام يا ابا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن
بيضا على ابن سودا فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطا على خدى فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه راى لنفسه فضلا لكونه ابن بيضا وان ذلك خطا وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر باخمص
قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روى ان رجلين تفاخرا عند النبى عليه السلام فقال
احدهما للاخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال عليه السلام افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما
للاخر انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله الى موسى قل للذى افتخر بل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم وقال
عليه السلام ليدعن قوم الفخر باباهم وقد صاروا فحما فى جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التى تدوف بانافها
القذر الرابع التفاخر بالجمال وذلك يجرى اكثره بين النسا ويدعو ذلك الى التنقص والغيبة والثلب وذكر عيوب
الناس ومن ذلك ما روى عن عايشة رضى الله عنها انها قالت دخلت امراة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بيدى هكذا
اى انها قصيرة فقال قد اغتبتيها وهذا منشوه خفى الكبر لانها لو كانت ايضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها اعجبت
بقامتها واستقصرت المراة فى جنب نفسها وقالت ما قالت الخامس الكبر بالمال وذلك يجرى بين الملوك فى خزاينهم
ومن التجار فى بضايعهم وبين الدهاقين فى اراضيهم ومن المتجملين فى لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغنى الفقير
ويتكبر عليه ويقول له انت مكد مسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك
واثاث بيتى يساوى اكثر من جميع مالك وانا انفق فى اليوم ما لا تاكله فى السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره
الفقر وكل ذلك جهل منه بافة الغنى وفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر
منك مالا واعز نفرا حتى اجابه وقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يوتين خيرا من جنتك ويرسل عليها
حسبانا من السما فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماوها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك تكبرا منه بالمال فبين الله
عاقبة امره بقوله يا ليتنى لم اشرك بربى احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ خرج على قومه فى زينته حتى قال قوم يا ليت لنا
مثل ما اوتى قارون السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر بذلك على اهل الضعف السابع
التكبر بالاتباع والانصار والتلاميذ والغلمان وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجرى ذلك بين الملوك فى المكاثرة
بالجنود وبين العلما فى المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن فى نفسه كمالا
امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته على صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان
لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك
كمال وان كان مخطيا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشى منه على من لا يدلى به او على من يدلى بما هو
دونه فى اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله سبحانه كالعالم الذى يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه اعلم
ولحسن اعتقاده فى نفسه

بيان البواعث على الكبر واسبابه المهيجة له

اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهى ثمرته ونتيجته وينبغى ان تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن
الذى هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب كما سياتى معناه
فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وبعمله او بشى من اسبابها استعظم نفسه وتكبر واما الكبر الظاهر فاسبابه ثلاثة
سبب فى المتكبر وسبب فى المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذى فى المتكبر فهو العجب والذى يتعلق
بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذى يتعلق بغيرهما هو الريا فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد
والحسد والريا اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر فى الاعمال والاقوال
والاحوال واما الحقد فانه قد يحمل على الكبر من غير عجب كالذى يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب
عليه بسبب قد سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ فى قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان

كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لبعض الاكابر لحقده عليه وبغضه ويحمله على
ذلك رد الحق اذا جاء على جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد فى التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى
ان لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسايله عما هو جاهل به واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض
ايضا للمحسود وان لم يكن من جهته ايذا وسبب يقتضى الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمنع
من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقى فى رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من عالم
من اهل بلده او اقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع لفضل علمه
ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق اهل الكبر وان كان فى باطنه لا يرى نفسه فوقه واما الريا فهو ايضا يدعو
الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من هو افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من
قبول الحق منه ولا يتواضع له فى الاستفادة خيفة من ان يقول الناس هو افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الريا
المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه واما الذى يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فانه يتكبر عليه ايضا عند
الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمى الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب
الى ذلك النسب ويترفع عليه فى المجالس ويتقدم عليه فى الطريق ولا يرضى بمساواته فى الكرامة فى التوقير وهو عالم باطنا
بانه لا يستحق ذلك ولا كبر فى باطنه لمعرفته بانه كاذب فى دعوى النسب ولكن يحمله الريا على افعال المتكبرين وكان
اسم المتكبر انما يطلق فى الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر فى الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاستحقار
وهذا ان يسمى متكبرا فلاجل التشبه بافعال اهل الكبر

بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر من اثر التواضع والتكبر

اعلم ان التكبر يظهر فى شمايل الرجل كصعر فى وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه
متربعا او متكيا وفى اقواله واحواله حتى فى صوته ونغمته وصيغته فى الايراد ويظهر فى مشيته وتبختره وقيامه
وجلوسه وفى حركاته وسكناته وفى تعاطيه لافعاله وفى ساير تقلباته وفى احواله من اقواله واعماله فمن المتكبرين من
يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر فى بعض ويتواضع فى بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال
صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال انس
لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك
ومنها ان لا يمشى الا ومعه غيره يمشى خلفه قال ابو الدردا لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه وكان
عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم فى صورة ظاهرة من لباس وغيره بل ربما يعرف بلونه ومشى
قوم خلف الحسن البصرى فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان عليه السلام فى بعض الاوقات يمشى مع اصحابه
فيامرهم بالتقدم ويمشى فى غمارهم اما لتعليم غيره واما لينفى عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما نزع الثوب
الجديد فى الصلاة وابدله بالخليع لاحد هذين المعنيين ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير
لغيره فى الدين وذلك ضد التواضع روى ان سفيان الثورى قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم بن ادهم ان تعال
فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا ابا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان انظر كيف تواضعه ومنها ان يستنكف
من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلاف ذلك قال وهب جلست الى عبد العزيز بن ابى
رواد فمست فخذى فخذه فنحيت نفسى عنه فاخذ ثيابى فجرنى اليه وقال لم تفعلون بى ما تفعلون بالجبابرة وانى لا
اعرف منكم رجلا شرا منى وقال انس كانت الوليدة من ولايد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى من مجالسة المرضى والزمنى ويتحاشى عنهم وذلك
كبر دخل رجل وعليه جدرى قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند
احد الا قام من جنبه فاجلسه عليه السلام الى جنبه وكان عبد الله بن عمر اذا احضر طعامه لا يدع مجذوما ولا
ابرص ولا مبتلى الا اجلسهم على مايدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا فى بيته والتواضع خلاف ذلك روى
ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج ان يطفى فقال الضيف اقوم الى المصباح
فاصلحه فقال عمر ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال افانبه الغلام فقال هى اول نومة نامها وقام فاخذ

البطة وملا الصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المومنين فقال قمت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعا **ومنها** ان لا يأخذ متاعه ويحمله الى بيته وذلك خلاف عادة المتواضعين كان عليه السلام يفعل ذلك وقال علي رضي الله عنه لا ينقص الكامل من كماله ما حمل من شي الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن ابي مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق للامير يا ابن ابي مالك وعن الاصبغ بن نباتة قال كاني انظر الى عمر رضي الله عنه معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رايت عليا رضي الله عنه اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المومنين فقال لا ابو العيال احق ان يحمل **ومنها** اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان قال هرون سالت ما معنى البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربع عشرة رقعة بعضها من ادم وعوتب علي في ازار مرقوع فقال يقتدي به المومن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما نقيين ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان قبل ان يستخلف تشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له اين لباسك ومركبك وعطرك فقال ان لي نفسا تواقة ذواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله عز وجل وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا امير المومنين ان الله قد اعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع راسه فقال ان افضل القصد عند الجدة وان افضل العفو عند المقدرة وقال عليه السلام من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء وجهه كان حقا على الله ان يدخر له عبقري الجنة **فان قلت** فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا عليه السلام عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل احد في كل حال وهو الذي اشار اليه عليه السلام وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي الجمال فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا راه الناس ولا يبالي اذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شي ولو في خلوته وحتى في ستور داره وذلك ليس من الكبر واذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله هي خيلاء القلب يعني قد تورث خيلاء القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب المحمود الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد قال صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله تعالى يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام ما لكم تاتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية **ومنها** ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه وذلك هو الاصل وقد اوردنا ما نقل عن السلف في احتمال الاذى في كتاب الغضب والحقد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شي من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب وياكل مع خادمه ويطحن معه اذا اعيا ويشتري الشي من السوق ولا يمنعه

الحيا

الحيا ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتديا على كل من يستقبله من صغير او كبير اسود واحمر حر او عبد من اهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع شيئا لغدا ولا عشا لغدا هين المونة لين الخلق كريم الطبع جميل المعاشرة طليق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس شديدا في غير عنف متواضعا من غير مذلة جوادا من غير سرف رحيما لكل ذي قربى قريبا من كل مسلم وذمي رقيق القلب دايم الاطراق لم يبشم من شبع ولا يمد يده الى طمع قال ابو سلمة فدخلت الى عائشة رضي الله عنها فحدثتها بحديث ابي سعيد فقالت ما اخطا منه حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك انه صلى الله عليه وسلم لم يمتلي قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وكانت الفاقة احب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلوي ليلته حتى يصبح فلا يمنعه ذلك من صيام يومه ولو شا ان يسال ربه فيوتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع وامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شي احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله فما نقل من احواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به صلى الله عليه وسلم ومن راى نفسه فوق محله ولم يرض لنفسه بما رضي به صلى الله عليه وسلم فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله منصبا في الدين والدنيا فلا عز ولا رفعة الا في الاقتدا به صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال ابو الدردا اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبيا هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله مكانهم قوما من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصح لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير حرج وتواضع من غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا او ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابرهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشا من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيا ولا يوذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خبرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخا وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما قدما في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي قلت يا ابا الدردا ما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها فقال ما بينك وبين ان تكون في اوسطها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الاخرة وبقدر حبك للاخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا اخي ان ذلك في الكتاب المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن ابي كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته

بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع

اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شي منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامات **احدها** استيصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب **ومنها** دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره

المقام الاول

في استيصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفا الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبريا الا لله اما معرفته ربه وعظمته ومجده

فالقول في ذلك يطول وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفة نفسه فذلك ايضا يطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في اثارة التواضع
والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى اية في كتاب الله سبحانه فان في القران علم الاولين والاخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان
ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الاية الى اول
خلق الانسان والى اخر امره والى وسطه فلينظر الانسان الى ذلك ليفهم معنى الاية اما اول الانسان فانه لم يكن شيئا مذكورا
وقد كان في حيز العدم ثم خلقه الله سبحانه من ارذل الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيئا مذكورا فما صار مذكورا الا وهو على اخس
الاوصاف والنعوت ثم لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش
ولا يدرك ولا يعلم فبدا بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه
قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله سبحانه من اي شيء خلقه من نطفة
خلقه فقدره ومعنى قوله سبحانه هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة
امشاج نبتليه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذه اشارة الى ما تيسر له في مدة حياته الى الموت
ولذلك قال سبحانه من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه بعد ان كان
جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعدما كان اصم وبصره بعدما كان فاقدا للبصر وقواه بعد الضعف
وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والايات بعد الفقد لها واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري
وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهله كيف
اظهره فقال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم
بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة
فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل
ومهتديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان في ذاته لا شيء واي شيء اخس من لا شيء واي قلة اقل
من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرفه خسة ذاته
ليعرف بذلك نفسه واكمل النعمة عليه ليعرف بذلك ربه ويعلم به عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به وكذلك امتن عليه
فقال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرفه خسته اولا فقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة
ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل ابتداؤه بالاختراع فمن
هذا بدؤه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق اخس الاخساء واضعف الضعفاء نعم لو اكمله
وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى ولكن سلط عليه في دوام وجوده الامراض
الهائلة والاسقام العظيمة والافات المختلفة والطبائع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض
من اجزائه البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا
ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه ويريد ان ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد
ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي
الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وقد تكون حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الادوية
وهي تنفعه وتحييه لا يامن في لحظة من ليل او نهار ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله
ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على
شيء من نفسه ولا من غيره واي شيء اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا اوسط احواله فليتامله واما
اخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله سبحانه ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره
وعلمه وقدرته وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة
ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة قذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه
فيصير رميما رفاتا فتاكل الدود اجزاءه فتبتدئ بحدقتيه فتقلعهما وبخديه فتقطعهما وبسائر اجزائه فيصير روثا في

اجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل من كان يحبه ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله
ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان ويصير مفقودا بعدما كان موجودا وصار كان لم يكن
الامر حصيدا كما كان في اول امره امدا مديدا وليته بقي كذلك فما احسنه لو ترك ترابا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي
شدائد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة
وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس مكورة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم تزفر
وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فيقول وما
هو فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك
ما تنطق به وتعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك واحصاه الله تعالى فهلم
الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب من قبل ان تنشر الصحيفة
ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهدها قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا
اخر امره وهو معنى قوله ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا حاله والتكبر بل ما له وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر فقد
ظهر له اول حاله ووسطه ولو ظهر له اخره والعياذ بالله ربما اختار ان يكون كلبا او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا
ولا يكون انسانا يسمع خطابا او يلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله
التراب واخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو راى اهل الدنيا العبد
المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من
شرابه الذي يسقى في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيف فمن هذا حاله في العاقبة الا ان يعفو عنه مولاه وهو على شك
من العفو كيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد لها فضلا واي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا
ان يعفو الكريم بفضله ارايت من جنى على بعض الملوك جناية ربما استحق بها ضرب الف سوط فحبس في السجن وهو
ينتظر ان يخرج الى العرض وتقام عليه العقوبة على ملا من الخلق وليس يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن
افترى انه يحسن به ان يتكبر على من معه في السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله
ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القالع لاصل
الكبر واما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه
وحكيناه من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه كان ياكل على الارض ويقول انما انا
عبد اكل كما ياكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست واشار
به الى العتق في الاخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على الله وعلى رسوله بالايمان
والصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة اسرار ولاجل تلك الاسرار كانت عماد الدين ومن جملة الاسرار
ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يانفون من الانحناء فكان ربما يسقط من
يد احدهم سوطه فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس راسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبي صلى الله عليه
وسلم على ان لا اخر الا قائما فبايعه عليه السلام على ذلك ثم فقه فكمل ايمانه بعد فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة
والضعة امروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر سائر الخلق فان الركوع
والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال
فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك
لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك والشهادة وعالم الملكوت

المقام الثاني

فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما
عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل
في جميع الاسباب السبعة **الاول** النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما
ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل **الثاني** لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له
ان يقول الفضل لي ومن انت وانما انت دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي خلقت من بول الانسان شرف من الدودة
التي تخلق من بول فرس هيهات فهما متساويان والشرف للانسان لا للدودة **الثاني** هو ان يعرف نسبه الحقيقي
فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله سبحانه نسبه فقال الذي احسن
كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين الذي يداس بالاقدام
ثم خمر طينه حتى صار حما مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه ينتسب اذ يقال يا اذل من التراب ويا انتن من الحماة
ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فيقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة
اقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن اين جاءت الرفعة لولده
فاذا اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل له ولا فصل وهذا غاية خسة النسب فالاصل يوطا بالاقدام والفصل
يغسل منه الاجسام فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف
الغطاء عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه عز الشرف فبينما هو
كذلك اذ اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم
يبق له شك في صدقهم افترى ان ذلك يبقي شيئا من كبره لا بل لا يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعار
الخزي لخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب
اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى الدم بالحجامة او غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة اعضاء ابيه التراب
والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه منها هو في نفسه **السبب الثاني**
الكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه راى من
القبائح ما يكدر عليه تعززه بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط
في انفه والبزاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطيه يغسل الغائط
كل يوم دفعتين ويتردد الى الخلاء كل يوم مرتين يخرج من باطنه ما لو راه بعينه لاستقذره فضلا من ان يمسه او يشمه كل
ذلك ليعرف قذارته وذلته هذا في حال توسطه واول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض
من مجرى البول مرتين اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم الى الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال
انس كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر الينا انفسنا ويقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين وكذلك قال
طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرء اذ راه يتبختر قبل خلافته هذا اوله واوسطه ولو ترك نفسه في حياته
يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار فصار انتن واقذر من الدواب المهملة التي لم تتعهد
انفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار ويسكن في اقذار ويموت فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله
الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في البوادي فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله
باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جماله اليه حتى يحمد
عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حال يتصور ان يزول بمرض او جدري او قرحة او شيء من الاسباب فكم من وجوه جميلة
قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن اكثر تاملها **السبب الثالث**
التكبر بالقوة والايد ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع له عرق واحد في يده لصار اعجز
من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة لو
دخلت اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة
ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة لا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوي الانسان فلا يكون اقوى من حمار او بقرة
او فيل او جمل واي افتخار في صفة يسبقك فيها البهائم **السبب الرابع والخامس** الغنى وكثرة المال وفي
معناه كثرة الانصار والاتباع والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان
لا كالجمال والقوة وهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت

داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير
عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل والمتكبر بالغنى لو تامل لراى في اليهود من يزيد عليه في الغنى
والثروة والتجمل فاف لشرف يسبقك به اليهودي واف لشرف ياخذه السارق في لحظة ويعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه
اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته فليس اليه دوامه ووجوده وهو في الاخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل
وكل ما ليس اليك فليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقي وان استرجعه زال وما انت الا عبد
مملوك لا تقدر على شيء فمن عرف هذا فلا بد ان يزول كبره ومثاله ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله واستقلاله وحريته
وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين
له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ جميع ما في يديه وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه وينكل به لتفريطه في امواله
وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فراى نفسه محبوسا في منزل قد احدقت فيه الحيات والعقارب
والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا الى الخلاص البتة افترى ان
من هذه حالته يفتخر بقدرته وثروته وكماله ام يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك
فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه واعضاءه وهو مع ذلك بين افات وشهوات وامراض واسقام كالعقارب والحيات
يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته وقوته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة له فهذا علاج طريق الكبر
بالاسباب الخارجة وهو اهون من علاج الكبر بالعلم والعمل فانهما كمالات في النفس جدير ان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما
ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره **السبب السادس** الكبر بالعلم وهذه اعظم الافات واغلب الادواء
وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو
اعظم من قدر المال والجمال الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب للعلم طغيان كطغيان المال ولذلك قال عمر
العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضايل
العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين **احدهما** ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم اوكد وانه يحتمل
من الجاهل ما لا يحتمل من العالم عشره وان من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم
ولذلك قال عليه السلام يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا
فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول امر بالخير ولا اتيه وانهى عن الشر واتيه وقد مثل الله سبحانه من يعلم
ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد علماء اليهود
وقال تعالى في بلعم بن باعورا واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان الى قوله فمثله كمثل
الكلب قال ابن عباس اوتي بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء اتيته الحكمة او لم
اوته لا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يامر بالخير الذي لا ياتيه فمهما خطر
للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره
كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى
ان يكون كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الاخرة سلامة الجهال والعياذ بالله من ذلك فهذا الخطر يمنع التكبر لانه
ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر فلا ينبغي ان يكون العالم اكبر عند نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم
يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الاخر تبنة من الارض فيقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الاخر ليتني كنت طيرا
كل ذلك فرقا من خطر العاقبة وكانوا يرون انفسهم اسوا حالا من الطير والتراب ومهما اطال فكره في الخطر الذي
هو بصدده زال بالكلية كبره وراى نفسه كانه شر الخلق ومثاله مثال عبد امره سيده باموره فشرع في بعضها
وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل اداها كما يرضاه مولاه ام لا فاخبره مخبر ان مولاه
ارسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا اذا ضاق
عليه الامر وبلغ به الجهد امر برفع حسابه وفتش على جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب دائم
لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من اي

الفريقين هو. واذا تفكر في ذلك احمرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل رضي ان يكون
من سنخابه عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب على باطنه من
الريا والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة **الامر الثاني** ان العالم
تعلم ان الكبر لا يليق الا بالله وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندنا قدرا
ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندنا فلا بد ان يكلف نفسه ما يحبه مولاه وهذا يزيل الكبر عن
نفسه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا ان تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبياء صلوات الله عليهم اذ علموا ان من نازع
الله في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم الله سبحانه ان يستصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا مما يبعثه على التواضع
لا محالة **فان قلت** وكيف يتواضع للفاسق الظاهر الفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل
فضل العلم والعبادة عند الله وكيف يمكنه ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكبر فاعلم ان ذلك
انما يكون بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم
فيختم له بالكفر والكبير هو الكبير عند الله في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند الله من اهل النار وهو لا يدري وكم من مسلم
نظر الى عمر قبل اسلامه فاستحقره وازدراه بالكفر وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر وحده فالعواقب مطوية
عن العاقل فلا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا انما تراد للعاقبة فاذا من حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان
نظر الى جاهل قال انه عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم قال انه قد علم ما لم اعلم فكيف اكون
مثله وان نظر الى من هو اكبر منه سنا قال انه اطاع الله قبلي فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم
له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه فليس دوام الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه
وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري ان هذا الخطر مشترك بين المتكبر
والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد منهما ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لان يشتغل بغيره فان الشفيق بسوء
الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه واذا حبس جماعة من الناس في جناية واوعدوا ان تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على
بعض اذ يعمهم الخطر وشغل كل واحد منهم هم نفسه عن الالتفات الى غيره حتى كان كل واحد منهم هو وحده في مصيبته وخطره
قلت فكيف ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض
فاعلم ان هذا امر مشتبه ملتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع
وكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا راى فاسقا جلس الى جانبه ازعجه عنه وتنزه منه لكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد غضب
لله كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا فالحذر عنه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع
يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان
ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك من هذا ان يكون الحاضر في قلبك عند مشاهدة المبتدع او الفاسق او امرهما
بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور **احدها** التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك
والثاني ان يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انه نعمة من الله عليك وله
المنة لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب بنفسك لم تتكبر **الثالث** ملاحظتك ابهام عاقبتك وعاقبته وانه
ربما يختم له بالخير ويختم لك بالشر حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه **فان قلت** كيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول
تغضب لمولاك وسيدك اذ امرك بان تغضب له لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على
نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله
ان تتكبر على المغضوب عليه وان ترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك ولد وغلام وهو في رعايته وقد وكل الغلام
بالولد ليراقبه وامره ان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه لا يجد
بدا من ان يغضب مهما راى ولد الملك قد اساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه امره بذلك وانه يريد التقرب بامتثال
امره ولانه جرى من الولد ما يكرهه مولاه فيضربه ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه
فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذا ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر
لي

الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما عند الله في الآخرة اعظم من قدرك لما سبق لهما عند الله من الحسنى في الازل ولما
سبق لك من سوء القضاء في الازل وانت غافل عن ذلك ومع ذلك تغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى بما يكرهه مع التواضع لمن
يجوز ان يكون عنده اقرب منك في الآخرة فهكذا يكون غضب العلماء الاكياس ينضم اليه الخوف والتواضع • واما المغرور فانه
يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله او اعتقد البدعة
مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر **السبب السابع** التكبر بالورع والعبادة وفي ذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد
وسبيله في ان يلزم قلبه التواضع لجميع العباد وذلك بان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرفه من
فضيلة العلم وقد قال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون • وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي
على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما علمت
ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فيمكن ايضا ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل
واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل يجب عليه ان
يتواضع له **فان قلت** فان صح هذا فينبغي ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله صلى الله عليه وسلم فضل
العالم كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فاعلم ان ذلك يمكن لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل ان
يموت بحيث يكون حاله عند الله اشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته
به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه وقد كلف امر نفسه لا امر غيره
فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجا وذلك لا يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم
فاما مع غير العالم فانهم منقسمون في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنبا
واكثر منه عبادة واشد منه حبا لله واما المكشوف حاله ان لم يظهر له من ذنوبه الا ما زيد عليه ذنوبك وذنوب جوارحك
طول العمر لا يقدر على احصائها حتى يعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد كما لو رايت منه القتل والشرب والزنا ومع
ذلك فلا ينبغي ان يتكبر اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والريا والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله وتخيل
الخطا فيها وكل ذلك اشد عند الله سبحانه فربما يجري عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد
جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله واخلاص وخوف وتعظيم ما انت خال عنه وقد كفر ذلك سيئاته
فينكشف لك الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا
عندك ان كنت مشفقا على نفسك ولا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى
وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق
نفس غيرك • وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعا حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة
وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي افضل منه وارفع
وفرقة هي شر منه وادنى فهو متواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه سره ذلك وتمنى ان يلحق به وان راى
من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا تراه الا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل
فيه خلقا كريما بينه وبين الله تعالى فيرحمه ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال والاحوال وبري ظاهر وذلك شر لي فلا آمن
فيما اظهره من الطاعات ان يكون دخلها الآفات فاحبطتها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه
والجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فما له سبيل ان يتكبر بحال من الاحوال نعم
اذا غلبه الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضل كما روي ان عابدا اوى الى جبل فقيل له في النوم ايت فلانا
الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فساله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعض كسبه ويطعم
عياله بعضه فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله فاتي في النوم ثانيا وقيل له ايت الاسكاف
وقل له ما هذا الصفار بوجهك فاتاه فساله فقال لما رايت احدا من الناس الا وقع لي انه سينجو واهلك انا فقال العابد
هي والله والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله سبحانه يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها • وقال سبحانه ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون • وقال انا كنا في

اهلا مشفقين وقد وصف الله سبحانه الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدؤوب بالاشفاق فقال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشية ربهم مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف والخوف مسعد فاذا ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه ظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا ان القلب يجد من المعرفة قد يضمر التواضع ويدعي البراءة من الكبر وهي دعوى كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت النفس لطبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغي ان يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل بالعمل ويجرب بافعال المتواضعين في مواضع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمسة امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة **الامتحان الاول** ان يناظر في مسألة مع واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله واما العمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في الملا فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر قلبه بان منفعته في كماله في ذاته وعند الله سبحانه لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة والملا جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما دون الآخر فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان **الامتحان الثاني** ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدر تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن **الامتحان الثالث** ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر **الامتحان الرابع** ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت النفس ذلك فهو كبر او رياء فان كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكة له ان لم يتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال سبحانه الا من اتى الله بقلب سليم ۝ ويروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة ام كاذبة ۝ ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه يا امير المؤمنين ما حملك على هذا فقال ان نفسي اعجبتني فاردت ان اذلها وفي الخبر من حمل الفاكهة او الشيء فقد برئ من الكبر **الامتحان الخامس** ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس من ذلك في الملا رياء وفي الخلوة كبر ۝ وكان عمر بن عبد العزيز له مسح يلبسه بالليل وقد قال عليه السلام من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر ۝ وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني ۝ ويروى ان ابا موسى قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملا فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فاعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع

اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود هو ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن تأخر عنهم فهو متواضع اي انه وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتخلى له عن مجلسه واقعده فيه ثم تقدم وسوى له نعليه وعدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله سبحانه العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب منه درجته فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذا سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف عليه ذلك وصار بحيث لا يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير في المال ونهاية البخل مذمومان واحدهما اقبح من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور في مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان اخلاق الكبر والتواضع

الشطر الثاني من الكتاب

وفيه بيان ذم العجب وآفته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

بيان ذم العجب

اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله سبحانه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وذكر ذلك في معرض الانكار ۝ وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم بها ۝ وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو فيه مصيب ۝ وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ۝ وقال صلى الله عليه وسلم لابي ثعلبة حين ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ۝ وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب كما ان المحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة او مستحيلة في اعتقاد القانط فمن ههنا جمع بينهما وقال سبحانه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت ۝ وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ۝ ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بنفسه فاكب عليه حتى اصيبت كفه فكانه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك عمر فقال ما زال يعرف في طلحة نأو منذ اصيبت يده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والنأو هو الكبر في اللغة الا انه لم ينقل عنه انه اظهره ولا احتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس اين انت عن طلحة قال ذاك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم ياخذوا حذرهم ۝ وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما واصبح معجبا ۝ وقال عليه السلام لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب فجعل ذلك اكبر الذنوب ۝ وكان بشر بن منصور من الذين اذا رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فاطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف من الصلاة قال لا يعجبك ما رأيت مني فان ابليس قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه ۝ وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جدا

بيان آفة العجب

اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد

اشتباه به كما ذكرناه فمولد من العجب الكبر ومن الكبر الافات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله فالعجب يدعوا الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغنى عن تفقدها فينساها وما يذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه ولا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن انه يغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن افاتها ومن لا يتفقد افات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية من الشوائب قل ما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وربه ويامن مكره وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي من الله وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب برايه وعمله وعقله منعه ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه وبرايه ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالراي الخطا الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فان كان امره في راي دنيوي فيحقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق باصول الاعتقادات فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضاء بنور القران واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من افات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم افاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وانه قد استغنى وذلك هو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه

بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما ان يكون خائفا من زواله ومشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث هو نعمة من الله عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وذلك بان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله ونعمة منه فيكون فرحه من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله بانه منه فمتى غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبه زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دلالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه به فيكون معجبا فان استخدمه واقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلاة المدل لا ترتفع فوق راسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب من ذلك كان مدلا بعمله فانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه

بيان علاج العجب على الجملة

اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض وعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب اما ان يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه يجرى فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته وبقوته تم فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه واثره به من غير سابقة ووسيلة فانه مهما بان الملك

لغلمانه

لغلمانه ونظر اليهم وخلع على واحد من جملتهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره له من غير استحقاق واعجابه بنفسه من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه تفطن اني في صفات محمودة باطنة لما اقتضى الايثار بالخلع لما اثرني بها فيقال له وتلك الصفة ايضا من خلع الملك وعطيته التي خصك بها من غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما غيري فلا فرس له فيقال له وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الغلام والفرس معا او يعطيك احدهما بعد الاخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بالعبادة وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فتقول هو فيقال لك فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله

فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني انا عملتها فاني انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب عليها فان كانت الاعمال مخلوقة لله تعالى على سبيل الاختراع فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما هو صريح الحق والاخر فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك كل ذلك من خلق الله سبحانه واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة هي اوضح من ابصار العيون بل الله خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدرجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سياتي تقريره في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الان نزيل اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك ووجود عملك وارادتك وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك من فضل الله سبحانه لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل والعبادات خزائن يتوصل بها الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهو بيد الله لا محالة ارايت لو رايت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن فلو جلست على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته عن قريب بان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح او بما اليك من مد اليد واخذها ولا شك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد باخذ المفاتيح قريبة وانما الشان كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كل ذلك من الله سبحانه ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب من الله الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد عليهم وصرفها عنك وسلط اخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل اثرك وقدمك واصطفاك

ع

فضله وانقذ العاصي واشقاه بعدله فما اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذا لا تنصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله سبحانه عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسياتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يعجب اذا رزقه الله عقلا وافقره ممن افاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض عليه نعم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي او رزقتني احدهما والى مثل هذا اشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما راى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وفقرك لامتنع من ذلك فاذا ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكثر فلم يتعجب من ذلك والمراة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والحلل والجواهر على الدميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخص بها مثل هذا القبح ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها فانها لو خيرت بين الجمال مع الفقر وبين القبح مع الغنى لاثرت الجمال فاذا نعمة الله عليها اكثر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب احرمتني الدنيا واعطيتها الجهال كقول من اعطاه الملك فرسا فيقول ايها الملك لم لا تعطيني غلاما وانا صاحب فرس فيقول له الملك كيف لا تتعجب من هذا ولو لم اعطك الفرس لتعجب اني ما اعطيتك فرسا صارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشا جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعمله وعلمه اذ يعلم ان ذلك من الله ولذلك قال داود عليه السلام يا رب ما تاتي ليلة الا وانسان من آل داود قائم ولا ياتي يوم الا وانسان من آل داود صائم وفي رواية ما تمر ساعة من ليل او نهار الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله اليه يا داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما قويت وساكلك الى نفسك قال ابن عباس انما اصاب داود ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ اضاف ذلك الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه واذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال داود يا رب ان بني اسرائيل يسالونك بابرهيم واسحق ويعقوب فقال الله سبحانه اني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب وانا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال الله اما اني لم اخبرهم باي شيء ابتليتهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا مخبرك في سنتك هذه ابتليك بامراة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى انفسهم فقال سبحانه ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا اثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب انى لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله تعالى ولهذا قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعده يتمنى بعضهم ان يكون ترابا وبعضهم يتمنى ان يكون طيرا مع صفاء اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القالع لمادة العجب من قلبه ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا العمل لا يبقى معه عجب بحال

بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

اعلم ان العجب يكون بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطا الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام **الاولى** ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب

خلقته واشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله سبحانه وهو معرض للزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه في اول امره وفي آخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور حتى استقذرتها الطباع **الثاني** القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها واقتلع قطعة جبل ليطبقها على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن ايضا على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة ولم يقل ان شاء الله تعالى فحرم ما اراد من الولد وكذلك قول داود ان ابتليتني صبرت اعجابا بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبه الله اياها بادنى آفة **الثالث** العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور في مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالراي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرايه ويخرج الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالراي والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يامن ان يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله سبحانه وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس عليهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه لا من اصدقائه فان من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد بذلك عجبا **الرابع** العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق لهم موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه في افعالهم واخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله وكانوا عند الله شرا من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال سبحانه يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فبين ان الشرف بالتقوى ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وانما نزلت الاية حين اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال سبحانه ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال عليه السلام يا معشر قريش لا ياتي الناس بالاعمال يوم القيمة وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الامور وعرف ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق **فان قلت** فقد قال عليه السلام بعد قوله لفاطمة وصفية اني لا اغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال صلى الله عليه وسلم اترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم هو منتظر لشفاعته صلوات الله عليه والنسيب ايضا جدير بان يرجوها ولكن بشرط ان يتقي الله ان يغضب عليه فلا ياذن لاحد في الشفاعة له فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة فيه والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيمن اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله سبحانه ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيه والى ما لا يشفع وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهى

فالجرأة عن المعصية ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذتها في الآخرة فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اعتماداً على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتماداً على طبيب حاذق مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لأن سعي الطبيب وهمته وحذقه تنفع في إزالة بعض الأمراض لا كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقاً اعتماداً على مجرد الطب بل للطبيب أثر على الجملة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي أن تفهم عناية الشفعاء من الأنبياء والصالحين للأقارب والأجانب فإنه كذلك قطعاً وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيله وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالجنة خاصة وبشارة المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا على ذلك ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم

الخامس العجب بنسب السلاطين والظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم لعباد الله والفساد في دين الله وأنهم ممقوتون عند الله سبحانه ولو نظر إلى صورهم في النار وأنتانهم وأقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب إليهم ولأنكر على من نسبه إليهم استقذاراً لهم واستقباحاً واستحقاراً ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ولكان انتسابه إلى الكلب والخنزير أحب إليه من الانتساب إليهم فحق أولاد الظلمة إذ عصمهم الله عن ظلمهم أن يشكروا الله على سلامة دينهم وأن يستغفروا لآبائهم إن كانوا مسلمين فأما العجب بنسبهم فجهل محض

السادس العجب بكثرة العدد من الأولاد والخدم والغلمان والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع كما قال الكافرون نحن أكثر أموالاً وأولاداً وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم عن قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وأن كلهم عبيد عجزة لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ثم كيف يعجب بهم وأنهم سيفترقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلاً مهيناً وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه إلى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئاً وهو أحوج أوقاته إليهم وكذلك يهربون عنه يوم القيامة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه فأي خير فيمن يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك عند حاجتك إليه وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله سبحانه فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك

السابع العجب بالمال كما قال تعالى حكاية عن صاحب الجنتين إذ قال أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً غنياً جلس إلى جنبه فقير فانقبض عنه وجمع ثيابه فقال أخشيت أن يعدو إليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله وفي فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيامة وأن المال غاد ورائح ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في حلة له قد أعجبته نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة أشار به إلى عقوبة إعجابه بنفسه وماله وقال أبو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أبا ذر ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال لي ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلقان فقال يا أبا ذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن الخوف من تقصيره في القيام بحقوق المال وأخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره إلى الخزي والبوار فكيف يعجب بنفسه وماله

الثامن العجب بالرأي الخطأ قال سبحانه أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً وقال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وقد أخبر عليه السلام أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة وبذلك هلكت الأمم السالفة إذ افترقوا فرقاً وكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقاً وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره لأن صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطئه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جداً لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه إذا كان معجباً برأيه وجهله فإنه لا يصغي إلى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متهماً لرأيه أبداً لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب الله أو سنة رسوله أو دليل عقلي جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطهما ومكامن الغلط فيها إلا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر في الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الأمور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم أن لا يخوض في المذاهب ولا يصغي إليها ولا يسمعها ولكن يعتقد أن الله واحد لا شريك له وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال فإن خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكثر المطالب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء المؤيدون بنور الله سبحانه وذلك عزيز الوجود جداً فنسأل الله العصمة من الضلال ونعوذ بالله من الاغترار بخيالات الجهال آمين إنه الكبير المتعال وله الحمد في سائر الأحوال

كتاب ذم الغرور

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور وبيده مفاتيح الخيرات والشرور مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور ومورد أعدائه ورطات الغرور والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلاة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور أما بعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة ولا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور اليقين والبصيرة ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة والأكياس أرباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور والأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام والهدى والمغترون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدورهم ضيقة حرجة كأنما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلاً وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائداً والشيطان دليلاً ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً فإذا عرف أن الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح أجناس مجاري الغرور وأصناف المغترين من العصاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادي الأمور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير إلى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فإن ذلك وإن كان أكثر من أن يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف الصنف الأول من العلماء الصنف الثاني من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من أرباب الأموال والمغترون من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفاً كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلاة مقصوراً على تصحيح مخارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل الغرور التي لا تتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب

بيان ذم الغرور وحقيقته وامثلته

الامثلة فلنبدا اولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده اعلم ان قول الله سبحانه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني كاف في ذم الغرور وقد قال عليه السلام حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وكلما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا يكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل واما في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم اكثر من بعض واشد من بعض واظهرها واشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لها امثلة لحقيقة الغرور

المثال الاول غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحيوة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والاخرة نسيئة فاذا هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس اذ قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله سبحانه اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله سبحانه في قوله وما عند الله خير وقوله والاخرة خير وابقى وبقوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وقد اخبر عليه السلام بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وامنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال انشدك الله ابعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدري وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا الوجه وهذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان وان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان **احدهما** قوله ان الدنيا نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح والاخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس وليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير منه وان كان اقل منها فالنسيئة خير فان هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا يتركها واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة ترك ذلك في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل وقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار وهذا لاجل الربح والراحة نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة التي عشرها في العدد فان اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير جزء من الاخرة فكانه ترك واحدا ليأخذ الفا بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بالمنغصات ولذات الاخرة صافية غير مكدرة فاذا قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة وهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة انما اراد به خير من نسيئة هو مثلها وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الاخر وهو قوله ان اليقين خير من الشك والاخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على

يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم فهو داب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت وكذلك من شك في الاخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول ايام الصبر قلائل وهو منتهى العمر قريب بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل من ذلك كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حياتي وقد كنت في العدم من الازل الى الان لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فابقى في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الاخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور واما الاصل الثاني من كلامه وهو قوله ان الاخرة شك فهو ايضا خطا بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان **احدهما** الايمان والتصديق والتقليد تقليد الانبياء والعلماء وذلك ايضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من عند اخرهم على ان دواءه النبت الفلاني فانه يطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي معتوه او سوادي يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر به ولو اعتقد قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالاخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله واعلى رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم على ذلك الخلق على اصنافهم وشذ منهم احاد من البطالين غلبت عليهم الشقوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الاخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول الصبي او المعتوه او السوادي لا يزيل طمانينة القلوب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة اقوال الانبياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة ويزول به الغرور اما المدرك الثاني لمعرفة الاخرة فهو الوحي والالهام فالوحي للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبي لامر الاخرة ولامور الدين تقليد لجبريل عليهما السلام بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي حتى تكون معرفتك كمعرفته وانما يختلف المقلد فقط هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم عن حقيقة الاشياء على ما هي عليه فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله وليس المراد بكونه من امر الله الامر الذي يقابل النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الخلق والامر والاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه في العالم الجسماني غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على ادم عليه السلام وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته فانه في جوار الرب سبحانه وانه امر رباني وحنينه الى جوار الرب له طبعي ذاتي الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارة الى اسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع الفاظها القاصرون فانها تضر بهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار

الحقايق وافتتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادي مقامات
الانبيا صلوات الله عليهم وآخر مقامات الاوليا اول مقامات الانبيا ولنرجع الى الغرض المقصود فنقول ان غرور
الشيطان بان الآخرة شك يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمومنون بالسنتهم وبعقايدهم
اذا ضيعوا اوامر الله وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لانهم
اثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين
ولكنهم ايضا من المغرورين لانهم اعترفوا بان الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا واثروها ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال
سبحانه واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال صلى الله عليه وسلم الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه وقال سبحانه والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتاب الله
منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهولاء ايضا مغرورون اعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفهين
بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار
والمومنين جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم
وبالسنتهم انه لو كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله عنه من قول الرجلين المتحاورين
اذ قال وما اظن الساعة قايمة ولين رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر منهما
بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج امراة على الف دينار وفي ذلك كله يعظه المومن
ويقول اشتريت قصرا يفنى ويخرب الا اشتريت قصرا في الجنة لا يفنى واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا في الجنة
لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شي وما قيل
من ذلك فهو اكاذيب وان كان فليكونن لي في الآخرة خير من هذا وكذلك وصف الله سبحانه قول العاص بن وايل اذ يقول لاوتين مالا
وولدا فقال تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن
وايل دين فجئت اتقاضاه فلم يقضني فقلت اني اخذه في الآخرة فقال اذا صرت الى الآخرة فان لي هناك مالا وولدا فاقضيك منه فانزل
الله قوله افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا وقال تعالى ولين اذقناه رحمة منا من بعد ضرا مسته ليقولن
هذا لي وما اظن الساعة قايمة ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبين الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ
وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة
الآخرة كما حكى الله سبحانه عنهم من قولهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير ومرة ينظرون الى المومنين
وهم فقرا شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم فيقولون اهولاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا
اليه وترتيب القياس الذي نظم في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن
في المستقبل ايضا كما قال الشاعر لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي وانما يقيس المستقبل على
الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب لما احسن الي والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب
لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عند الله بدليل لا يدل على الكرامة بل عند
ذوي البصاير يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الآخر فالذي يحبه يمنعه من
اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي
تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب وياكل كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل انه عند
سيده محبوب كريم لانه مكنه من لذاته وشهواته وساعده على جميع اغراضه ولم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور
وكذلك نعيم الدنيا فانها مهلكات ومبعدات من الله سبحانه فان الله يحمي عبده عن الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام و
الشراب وهو يحبه هكذا ورد في الخبر وكان ارباب البصاير اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته
وراوا ذلك امارة المقت والاهمال واذا اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرورون اذا اقبلت عليهم الدنيا
ظنوا انها كرامة من الله واذا صرفت عنهم ظنوا ان ذلك هوان كما اخبر الله عنه فقال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه
فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمني واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بل ان ذلك غرور قال

الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بكرامتي ولا هذا لهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا
والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلايل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد
اما البصيرة فبان تعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك
ذلك بالالهام في منازل العارفين والاوليا وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق
التقليد والتصديق فهو ان يومن بكتاب الله ويصدق رسوله وقد قال سبحانه ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع
لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فتحنا عليهم ابواب كل شي حتى اذا فرحوا
بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وتفسير قوله سنستدرجهم الاية انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزداد
غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم ليوم تشخص
فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله فمن امن به تخلص من هذا الغرور فان منشا هذا الغرور الجهل
بالله وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر بمثل هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض
كيف احسن اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله مكره واستدراجه فقال سبحانه فلا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون وقال ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر
كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وقال تعالى انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين
فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي ان يحذر ان يكون مكرا
منه مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبان يجب ذلك في حق الله مع تحذيره استدراجه اولى فاذا من امن مكر الله فهو
مغرور ومنشا هذا الغرور انه استدل بنعيم الدنيا على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن
ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى والشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على
الكرامة وهذا هو حد الغرور **المثال الاول** هو غرور العصاة من المومنين بقولهم ان الله كريم وانا نرجو
عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجا وظنهم ان الرجا مقام محمود
في الدين وان نعم الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار رحمته وانا موحدون ومومنون
فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجاهم التمسك بصلاح الابا وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم
ومخالفتهم سيرة ابايهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم انهم اكرم على الله من ابايهم اذ اباوهم مع غاية الورع والتقوى
كانوا خايفين وهم مع غاية الفجور لامنون وذلك غاية الاغترار بالله فقياس الشيطان للعلوية ان من احب انسانا
احب اولاده وان الله قد احب اباكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور ان نوحا عليه السلام اراد ان
يستصحب ولده في السفينة فقال ان ابني من اهلي فقيل انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وان ابراهيم استغفر لابيه فلم
ينفعه وان نبينا عليه السلام استاذن في ان يزور قبر امه ويستغفر لها فاذن له في الزيارة ولم يوذن له في
الاستغفار فجلس يبكي على قبرها لرقته لها بسبب القرابة فهذا ايضا اغترار بالله وذلك لان الله يحب المطيع ويكره العاصي
كما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه لولده العاصي وكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه لوالده المطيع ولو كان الحب يسري
من الاب الى الولد لاوشك ان يسري البغض ايضا بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه
فهو كمن ظن انه يشبع باكل ابيه ويروى بشرب ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه فالتقوى
فرض عين فلا يجزي فيه والد عن ولده شيا وعند الله جزا التقوى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل الشفاعة
لمن لم يشتد غضب الله عليه فياذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب **فان قلت** فاين الغلط
في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو مغفرته ورحمته فما هذا الا كلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم ان
الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب
ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف ذلك الغرور فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله غير الشيطان اسمه فسماه رجا حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجا فقال
ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اوليك يرجون رحمة الله يعني ان الرجا بهم يليق لان الاية ذكر

ان الآخرة اجر وجزاء على الاعمال قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال سبحانه وانما توفون اجوركم يوم القيامة افترى ان من استؤجر على اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجرة ويزعم ان المستاجر كريم افتراه عند العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرور قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شيء هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي واني لخوف ما كتبت اليوم فقال له رجل انا لنرجو الله فقال له مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله ولم يؤمن او آمن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور وكما انه اذا وطئ وانزل بقي مترددا في امر الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد وفي دفع الآفات عن الرحم وعن الام الى ان يتم وكذلك اذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات بقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم على ذلك وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو اذا كيس ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله فسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون اي علمنا انه كما لا يولد ولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وكلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى الم نسمعكم سنة الله في عباده وانه توفى كل نفس بما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير **فان قلت** فاين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال الشيطان واني تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند ذلك ان يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب جميعا قال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له امرهم بالانابة وقال تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان انك لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجو ادراك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام الصلاة لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب التي لا يعرفها فهو مغرور **الثاني** ان تفتر نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله سبحانه قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة وعلى تشمر في العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرور كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو الغرور وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول لها انه مع ذلك غافر الذنب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الآباد مع انه لا يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه وكيف اغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الله سبحانه واهمالهم السعي للآخرة وذلك غرور فقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على آخر هذه الامة وقد كان ما اخبر به عليه السلام فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة خائفون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات

والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله زاعمين انهم واثقون بكرم الله وفضله راجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم قد عرفوا من كرم الله وعفوه ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالتمني وينال بالهوينا فعلام كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجاء والخوف وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف فيه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه ومثل ذلك اخبر الله سبحانه عن النصارى اذ قال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما وقد قال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يحرصون على اخراج الحروف من مخارجها ويتناظرون على رفعها ونصبها وخفضها وكانهم يقرؤون شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله سبحانه وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب من هذا غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انه ترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيئات اكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد منهم يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون الذي يتناوله من اموال الناس والشبهات اضعاف ما تصدق به هو من اموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان اكل الف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة دراهم من الحرام او الحلال وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الفا واراد ان يشيل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية الجهل نعم ومنهم من يظن ان طاعته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه او يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعد ويكون نظره الى عدد تسبيحاته مائة مرة او الف مرة وقد كتب ذلك الكرام الكاتبون واوعده الله العقاب على كل كلمة فقال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ابدا يتامل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا ينظر ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين الى غير ذلك مما لا يحصرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وكان يحسب ما نطق به من فتراته ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه اجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته من الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمها ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرا الى الله ان نكون من اهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما احد من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى

بيان اصناف المغترين واقسام كل صنف من الاصناف

الصنف الاول اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وانهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة لعلموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وعلم المكاشفة هو العلم بالله سبحانه وبصفاته وهو المسمى بالعادة علم المعرفة واما العلم بالمعاملة فكمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والاخلاق المحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذا العلم قيمة وكل علم لا يراد الا للعمل فلا قيمة له دون العمل **فمثال** هذا مثال مريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة لا يعرفها

الاحداق الاطباء وفني في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له
الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية الخلط والعجن فتعلم كل ذلك
منه وكتب به نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته واخذ يكررها ويقرؤها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها
افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات لو كتب منه الف نسخة وعلمها الف مريض حتى يشفي جميعهم وكررها كل ليلة
الف مرة لم يغن ذلك عنه من مرضه شيئا الا ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته
ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه
اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات ولم يزك نفسه بها
واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها واحكم علم المعاصي والاخلاق المذمومة ولم يجتنبها فهو مغرور اذ قال
تعالى قد افلح من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرك
هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار
الواردة في فضائل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك هواه واطمأن اليه واهمل العمل وان كان كيسا
قال للشيطان اتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله سبحانه فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ☼ وكقوله سبحانه مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي
خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال عليه السلام من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا
وقال عليه السلام يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى الحديث ☼ وقوله عليه السلام
شر الناس العلماء السوء وقول ابي الدرداء ويل للذي لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم سبع مرات اي لم العلم
حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف اديت شكر الله ☼ وقال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم
القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة اكثر من ان يحصى الا
انه لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور
فانه ان نظر بعين البصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم العلماء
السوء وان حالهم عند الله اشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور
واما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله وصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله وحدوده
فغروره اشد ومثاله مثال من اراد خدمة ملك من الملوك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله
وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب منه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد
خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به عليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وكلام وحركة وسكون فورد على الملك
وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له
ونسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك
جميع ما عرفه واشتغل بمعرفة الملك فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص
به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامي دون المعاني
اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف عاقل الاسد ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد اوحى الله
سبحانه الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه فلا يخافه
وكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله عرف من صفاته انه لو اهلك العالمين لم يبال ويعلم انه مسخر في قدرة من لو اهلك
مثله الافا مؤلفة وابد عليهم العذاب الاباد لم يؤثر ذلك فيه اثرا ولم يأخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا
قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قيل معناه العلماء بالله على الحقيقة ورأس الحكمة خشية الله ☼ وقال ابن مسعود
كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا ☼ واستفتي الحسن في مسألة فاجاب فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك
فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة اخرى الفقيه لا يداري
ولا يماري ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وان ردت حمد الله فاذا الفقيه من فقه عن الله امره ونهيه وعلم

من صفاته ما يحبه وما يكرهه وذلك هو العالم بالحقيقة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة
فهو من المغترين المغرورين ☼ وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم
يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء
للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليه غير محترز منه
ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم ادنى الرياء شرك والى قوله عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر
والى قوله الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والى قوله حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل
الى غير ذلك من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا
بواطنهم ونسوا قوله عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعاهدوا الاعمال
وما تعاهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كآبار الحشوش ظواهرها
جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيف وكبيت مظلم وضعت سرج على ظاهره وكمن قصد ان
يضيف ملكا ويدعوه الى داره فجصص باب الدار وترك المزابل في صدر الدار ولا يخفى ان جميع ذلك غرور بل اقرب
مثال اليهم رجل زرع زرعا فنبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع من الحشيش فقلعه من اصله فاخذ يجز
رؤوس الحشيش ويقطعه فلا يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب
منها لم يتم له الطاعات الظاهرة الا مع الآفات العظيمة الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب فامر بالطلاء وشرب الدواء
فالطلاء يزيل ما على ظاهره والدواء يقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول من الغذاء ما يزيد في
المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب كما هو دائم يتفجر من المادة التي في الباطن ☼ وفرقة اخرى علموا هذه الاخلاق
الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند
الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون الاقوياء الذين بلغوا مبلغهم في العلم فاما هم فاعظم عند الله من ان
يبتليهم بمثل ذلك ثم اذا ظهرت على احدهم مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هو طلب عز
الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انوف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست الدون من الثياب
وجلست في الدون من المجلس لشمت بي اعداء الدين وفرحوا بذلك وكان في ذلي ذل الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي
حذره منه مولاه هو الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر منه وينسى ان النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر
الدين وبماذا ارغم الكافرين وينسى ما روي من التواضع في الصحابة والتذلل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى ان عمر
عوتب على بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور
يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والدبيقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب بذلك عز
الدين وشرف العلم وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان
ذلك حسد ولكن يقول انما هو غضب للحق ورد على المبطلين في عدوانهم وظلمهم ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد
انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الان ام لا
يغضب مهما طعن في عالم اخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا
يرائي باعماله وعلومه واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الناس بي ليهتدوا
الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه
صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يدي غيره ممن كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم
على يديه او على يد طبيب اخر وربما ذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان لي الاجر
والثواب وانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع على ضميره انه لو اخبره نبي بان ثوابه
في الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن
وكسر السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي تظهر فيه رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان
ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلطان الظالم حرام قال له الشيطان هيهات

إنما ذلك عند الطمع فيما عندهم، وأما أنت فغرضك أن تنفع المسلمين وتشفع لهم وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك
عن نفسك، والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر
عن جميع المسلمين لثقل ذلك عليه، ولو قدر أن يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل، وكذلك قد ينتهي
غرور بعضهم إلى أن يأخذ من أموالهم وإذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح
المسلمين وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله أفلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة
أمور. أحدها في أنه لا مالك له فإنه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد والذين يأخذ منهم أحياء
قيام وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الأمر وقوع الخلط في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخلطها
فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشره وإن كان قد
اختلط كل واحد بمال الآخر. والثاني أنك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا
أموال السلطان ورغبوا في طلب الدنيا والإقبال على الرياسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا في
الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله، فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا إمام الدين، إذ إمام الدين
هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والإقبال على الله كالأنبياء والصحابة وعلماء السلف، والدجال هو الذي
يقتدى به في الإعراض عن الله والإقبال على الدنيا، ولعل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين
ومثله كما قال عيسى عليه السلام العالم السوء كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تتركه يخلص إلى الزرع
وأصناف غرور أهل العلم كثيرة في هذه الأعصار المتأخرة وخارجة عن الحصر، وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير. وفرقة
أخرى أحكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعة واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا أخلاق النفوس وصفات
القلوب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية
القوية ولكنهم بعد مغرورون إذ بقيت في زوايا القلب من مكايد الشيطان وخفايا خداع النفس ما دق وغمض مسلكه
مدركه فلم يفطنوا له وأهملوه، ومثالهم مثال من يريد تنقية زرع من الحشيش فدار عليه وفتشه ولم يترك فيه شيئا من ذلك
فيما ظهر له إلا أنه لم يفتش عما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من أصول
الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهملها وهو يظن أنه قد طهرها، فإذا هو بها في غفلته وقد نبتت
وقويت فأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري، فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد
للدقائق فتراه يسهر ليله ويتعب نهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى
أن باعثه الحرص على إظهار دين الله ونشر شريعته، ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في أطراف الأرض
وكثرة الرحلة إليه من الآفاق وانطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات
وإيثاره في الأغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الإصغاء عند حسن اللفظ والإيراد والتمتع بتحريك
الرؤوس على كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية
من بين سائر الأقران والأشكال بالجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن منه من إطلاق لسان الطعن في الكافة
المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن إدلال بالتمييز واعتداد بالتخصيص، ولعل هذا المسكين المغرور
حياته في الباطن بما انتظم له من إمرة وإمارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء، فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا
فيه غير الزهد بما يظهر من أعماله فعساه يتشوش عليه قلبه ويختلط أوراده ووظائفه وعساه يحتاج أن
يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه
الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره، وينبو قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وإن كان ذلك على وفق
حاله، وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع، وإنما ذلك لأنه أطوع له
وأتبع لمراده وأكثر ثناء عليه وأشد إصغاء إليه وأحرص على خدمته، ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم
وهو يظن أن قبولهم له لإخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه، فيحمد الله على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى
ذلك مكفرا لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه، وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في إيثار الخمول والعزلة وإخفاء

العلم

العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة والإخفاء لذة القبول وعز الرياسة وغير ذلك، ولعل هذا هو المراد بقول الشيطان
من ظن من بني آدم أنه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبالي. وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا أنه يجمع علم الله لينتفع به، وإنما
يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف، ولو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه إلى نفسه لثقل ذلك عليه مع علمه
أن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى المصنف، والله عالم بأنه المصنف لا من ادعاه، ولعله في تصنيفه لا يخلو
عن الثناء على نفسه إما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة وإما ضمنا بالطعن في غيره ليستبين من طعنه في غيره أنه أفضل
ممن طعن فيه وأعظم منه علما، ولقد كان في غنية عن الطعن فيه، ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه إلى قائله
وما يستحسنه لا يعزيه إليه ليظن أنه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير كالذي يسرق قميصا
فيجعله قباء حتى لا يعرف أنه مسروق، ولعله يجتهد في تزيين ألفاظه وتسجيعها وتحسين نظمها كي لا ينسب إلى الركاكة ويرى
أن غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى نفع الناس، وعساه غافل عما روي أن بعض العلماء وضع ثلاث
مائة مصنف في الحكمة فأوحى الله سبحانه إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض نفاقا وإني لا أقبل من نفاقك شيئا. ولعل
جماعة من هذا الصنف من المغترين إذا اجتمعوا ظن كل واحد منهم بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه، ولو افترقوا
واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه لنظر كل واحد منهم إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعا أم غيره فيفرح إن كان أتباعه أكثر
وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه، ثم إذا تفرقوا واشتغلوا بالإفادة تغايروا وتحاسدوا، ولعل من يختلف إلى
إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه، فبعد ذلك لا يهتز باطنه لإكرامه ولا ينتهض
لقضاء حوائجه كما كان ينتهض من قبل، ولا يحرص على الثناء عليه كما كان يثني، مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة، ولعل تحيزه عنه
إلى فئة أخرى كان أنفع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته منها في تلك الفئة، ومع ذلك فلا يزول
الفرق عن قلبه، ولعل واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادي الحسد ولم يقدر على إظهاره تعلل بالطعن في دين الذي يحسده
وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول إنما غضبت لدين الله لا لنفسي، ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح بذلك وإن
أثني عليه ربما ساءه وكرهه، وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه ويظهر أنه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض بذلك
ومريد له، والله مطلع عليه في ذلك، فهذا وأمثاله من خفايا العيوب لا يفطن له إلا الأكياس ولا يتنزه منها إلا الأقوياء
ولا مطمع فيه لأمثالنا من الضعفاء إلا أن أول الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص
على إصلاحه، وإذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال
وأمره أقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله بعمله وعلمه الظان أنه من خيار خلقه، فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار
ومن المعرفة بخفايا الذنوب مع الإهمال. هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم
ولنذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم بذلك مغترون إما لاستغنائهم عن
أصل ذلك العلم وإما لاقتصارهم عليه. فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات و
تفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش، وخصصوا اسم الفقه بها وسموا ذلك الفقه
وعلم المذهب، وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان
والبطن عن الحرام والرجل عن المشي إلى السلاطين وكذلك سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء
والحسد وسائر أنواع المهلكات، فهؤلاء مغرورون من وجهين أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم
أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه، وإن مثالهم مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وحفظه
وتعليمه، لا بل مثالهم من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك محتاج إلى تعلم الدواء واستعماله
فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يحيض ولا يستحاض، ولكن يقول
ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة ويسألني عنه، وذلك غاية الغرور، فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب
الدنيا واتباع الهوى والشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة، وربما يختطفه الموت
قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان، فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار
واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض، ولا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه

واذا التفت اليه غيره كان في المعين كرهه ويشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المتكبر المغرور بعينه انه مشغول بغرض نفسه ولم يدر ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال ولو كان قد قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله باشتغاله به معرض عن فرض عين في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله وربما طعن على المحدثين وقال انهم نقلة اخبار وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على انه لا بد ان يرحمه فانه قوام دينه فانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدرك ذلك الفقه ولم يدر انه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمخوفة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال سبحانه فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال بما يدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله سبحانه آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي من الصفات المذمومة وهو الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات العبد ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في ان ذلك لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التشنيعات المؤذية للقلوب وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم من المباهاة للاقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل على المذهب وهو كتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيهما واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانما ابدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل به فغرور هؤلاء اشد كثيرا واعظم من غرور من قبلهم وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من علم المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطريق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما يسمونه ادلة عقائدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما اتيت من حيث انها لم تتهم رأيها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فرأت الشبهة دليلا والدليل شبهة وتخيلا واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات في دين الله سبحانه وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ويبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن ولا بكامل الايمان ولا بمقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملت عيوب انفسها وقلوبها حتى عميت عن ذنوبها وخطاياها عليها الظاهرة والباطنة وهي تظن ان اشتغالها بالجدل اولى واقرب عند الله تعالى وافضل ولكنها لالتذاذها بالغلبة وعزة الرياسة وعزة الانتماء الى الذب عن دين الله عميت بصيرتها ولم تلتفت الى حال القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والاهواء فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا

حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا رأوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ضل قوم قط بعد هدى الا اوتوا الجدل وخرج صلى الله عليه وسلم يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال الهذا بعثتم اهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا اولى الخلق بالله الحاج والجدل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليه ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لا يغترون بهذا وقالوا لو نجا اهل الارض كلهم وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلتهم فما لنا نضيع اعمارنا ولا نصرفها الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نأمن على انفسنا الخطأ في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدلنا بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته واشتغالنا بمخاصمة انفسنا ومجادلتها ليتركوا الدنيا للآخرة اولى بنا هذا لو كان لم ينه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهينا عنه فكيف ندعو الى السنة بترك السنة فالاولى بنا التفقد لانفسنا والنظر في صفاتها مما يحبه الله ومما يبغضه لنتنزه عما يبغضه ونتمسك بما يحبه وفرقة اخرى اشتغلت بالوعظ والتذكير واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد والاخلاص واليقين والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها صاروا موصوفين بها وهم منفكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون ولا وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا انهم مقربون عند الله لما عرفهم معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمساكين بهذه الظنون يرون انهم من الخائفين وهم آمنون من مكر الله ويرون انهم راجون وهم من المغترين المضيعين ويرون انهم من الراضين بقضاء الله وهم من الساخطين ويرون انهم من المتوكلين على الله وهم من المتوكلين على العز والجاه والمال والاسباب ويرون انهم من المخلصين وهم من المرائين بل يصفون الاخلاص فيتركون الاخلاص في الوصف ويصفون الريا ويذكرونه ويراؤون بذكره ليعتقد فيهم انهم لولا انهم مخلصون لما اهتدوا الى دقائق الريا ويصفون الزهد لشدة حرصهم على الدنيا وقوة رغبتهم فيها فهم يظهرون الدعاء الى الله وهم منه فارون ويخوفون بالله وهم منه آمنون ويذكرون بالله وهم له ناسون ويقربون الى الله وهم منه متباعدون ويحثون على الاخلاص وهم غير مخلصين ويذمون الصفات المذمومة وهم بها متصفون ويصرفون الناس عن الخلق وهم على الخلق اشد حرصا ولو منع احدهم عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى احد من المترددين اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه فهؤلاء اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عنها هو العلم بغوائلها وفوائدها وهؤلاء قد علموا ذلك ولم ينفعهم وشغلهم حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك فبم يعالجون وكيف سبيل تخويفهم وانما الخوف مما يتلونه على عباد الله وهم ليسوا خائفين نعم ان ظن احدهم بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة فيمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وذلك انه ان كان يدعي حب الله فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله وان كان يدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف وان كان يدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى وان كان يدعي الانس بالله فمتى طالت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة اذا احدق به المريدون وتراه يستوحش اذا خلا بالله فهل رأيت محبا استوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره والاكياس يمتحنون انفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغرورون يحسنون بانفسهم الظنون واذا انكشف لهم الغطاء في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فيدور احدهم باقتابه كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر

لانهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وانما غرور هؤلاء من حيث انهم مصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا
من اصول هذه المعاني وهي حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني
وهي حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا انهم ما قدروا على
وصف ذلك وما رزقهم الله علمه ونفع الناس بكلامهم فيها الا لاتصافهم بها وذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة
وجريان اللسان والمعرفة للعلم وان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارقوا احاد المسلمين في الاتصاف بصفات الحب والخوف
بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد امنه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف في قلبه حب الله وانما مثاله مثال
مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء ودوائه
واسبابه واصنافه فهو لم يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به وانما يفارقهم في الوصف وبالعلم بالطب فظنه عند علمه بطرق
الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن
التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم وعظ الاخبار
والقران ووعظ الحسن البصري وامثاله وفرقة اخرى منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان
كافة الا من عصمه الله على الندور في بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة
عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع
والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان تكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين
الانس ضلوا واضلوا وضلوا عن سواء السبيل فان الاولين وان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم
واما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظهم فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا
سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والمركب يشهد وبه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلحه
بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا ولا يخفى وجه كونه مغرورا. وفرقة اخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم وذم الدنيا
فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في
الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقة والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم
فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن من عقاب الله من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الاثام ولكنه يظن انه بحفظه لكلام
الزهاد من اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم. وفرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في
سماعه وجمع الروايات الكثيرة فيه وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا
اروي عن فلان ولقيت فلانا ومعي من الاسانيد ما ليس مع غيري وغرور هؤلاء من وجوه منها انهم كحملة الاسفار لانهم لا يصرفون
العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم. ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا
يعملون بما فيها وقد يفهمون بعضها ايضا فلا يعملون به. ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عين عليهم وهو معرفة معالجة
القلب ويشتغلون بتكثير الاسانيد وطلب العالي منها ولا حاجة الى شيء من ذلك. ومنها وهو الذي غلب على اهل الزمان انهم
لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم تكن له فائدة فهو مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد
الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا
حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع واذا كبر
تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يعقل ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما اشتغل بحديث او بنسخ والشيخ الذي يقرأ
عليه لو صحف او غير ما يقرأ عليه لم يشعر به وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتحفظه كما سمعته وترويه كما حفظته فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله سمعته من
الصحابة والتابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تصغي لتحفظ وتروي كما
حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا اخطأ عرفت خطأه ولحفظك طريقان احدهما ان تحفظه
بالقلب وتستديمه بالتكرار كما تحفظ ما يجري على سمعك في مجاري الاحوال والثاني ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه
حتى لا يصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب المكتوب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم

لم تشعر بتغيير فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لك ما سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم
تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك وجوزت ان يكون ما فيها متغيرا او يفارق
حرف منها النسخة التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب لانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو في
كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال الله سبحانه ولا
تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب صريح واقل
شروط السماع ان يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه من التغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي
ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون سمع عليهما ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز
ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل والمجنون
والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق
بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فهذا يسمع الصوت فماذا ينفع وهذا انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر
اذا صار شيخا على ان يقول سمعت بعد بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو
ولا خلاف في ان الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربي لانه يسمع
صوتا غفلا لجاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن اين يوجد هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يؤدي كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا افحش انواع
الغرور وقد بلي به اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوا في الصبا على هذا الوجه الا ان
المحدثين في ذلك جاهوا وقبلوا لانه خاف المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقهم فينقص جاههم ويقل ايضا احاديثهم التي
سمعوها بهذا الشرط بل عدموا ذلك فقنعوا واصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يقرع سمعهم دمدمة وان كان لا يدري
ما يجري وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لان ذلك ليس من علمهم بل من علم علماء الاصول والفقه وما ذكرناه مقطوع
به في قوانين اصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا ايضا مغرورين لاقتصارهم على النقل وفي افناء
اعمارهم في جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث
سلوك طريق الله ومن طلب على هذا القصد ربما يكفيه الحديث الواحد عمرا طويلا كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس
السماع فكان اول حديث روي قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى
افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور. وفرقة اخرى اشتغلت بعلم النحو واللغة
والشعر وغريبه واغتروا به وزعموا انهم قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم
النحو واللغة فافنى هؤلاء اعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وغرائب اللغة ومثالهم مثال من يفني جميع
العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل
لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيف ما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الاديب يعرف ان لغة
العرب كلغة الترك والهند والمضيع عمره في لغة العرب كالمضيع من لغة الترك والهند وانما فارقتها لغة العرب لاجل ورود
الشرع بلغة العرب ويكفي من اللغة علم الغريبين في الاحاديث ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب واما التعمق فيه الى
درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بها لكان ايضا مغرورا
بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القران واقتصر على ذلك وهو ايضا غرور اذ المقصود من الحروف
المعاني والحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزيل ما به من الصفراء فضيع اوقاته في تحسين القدح
الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من جهال المغرورين وكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب والقراءة والتدقيق في مخارج الحروف
مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين واللب الاقصى هو العمل
والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق
الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهي القشرة
العليا العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغرورون الا من اتخذ هذه منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته

ويجاوزها إلى ما وراءها حتى يصل إلى اللباب العمل يطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ونزجي عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل إليه وقشور له ومنازل بالإضافة إليه وكل من لم يبلغ ما يقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشريعة فلا يعتقد أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث إنها علوم دنيا فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والباقي محمود للوصول به إلى المقصود الأقصى فمن اتخذ القشر مقصودا أو عرج عليه فقد اغتر به. وفرقة أخرى عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق وأساؤوا تأويل الألفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر وأخطؤوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة إلا الأكياس منهم فنشير إلى أمثلة منه فمن ذلك قولهم إن المرأة متى أبرأت من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو إبراء لا عن طيبة نفس وقال سبحانه فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب والقلب قد يريد ما لا تطيب به النفس كالإنسان يريد الحجامة بقلبه ولكن نفسه تكرهه وإنما طيب النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لا عن ضرورة تقابله حتى إذا رددت بين ضرر وبين اختارت أهونهما فهذه مصادرة على التحقيق بإكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض وإنما ينظر إلى الإبراء الظاهر فيرى أنها لم تكره بسبب ظاهر فأما الإكراه الباطن فليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الأكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا معتدا به في تحصيل الإبراء وكذلك لا يحل أن يأكل مال إنسان إلا عن طيبة نفس منه فلو طلب من إنسان مالا على ملأ من الناس فاستحيى من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف ألم تسليم المال وتردد بينهما فاختار أهون الألمين وهو ألم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة إذ معنى المصادرة إيلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل المال فيختار أهون الألمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب القلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فإن الباطن عند الله ظاهر وإنما حاكم الدنيا هو الذي يحكم الملك بظاهر قوله وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي أيضا لتقي لسانه أو لتقي سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام إلا أن يرى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له رب كيف لي بخصمي فأمر له بالاستحلال منه وكان خصمه ميتا فأمر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا أوريا فأجابه لبيك يا نبي الله أخرجتني من الجنة فماذا تريد فقال إني أسأت إليك في أمر فهبه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال إني أذنبت إليك ذنبا فقال ألم أهبه لك فقال أولا تسألني ما ذلك الذنب فقال وما هو يا نبي الله فقال كذا وكذا وذكر شأن المرأة فانقطع الجواب فقال يا أوريا ألا تجيبني فقال يا نبي الله ما هكذا تفعل الأنبياء حتى أقف معك بين يدي الله تعالى فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله أن يستوهبه منه في القيامة فهذا ينبهك أن الهبة من غير طيب نفس ورضا قلب لا تفيد وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة وكذلك طيبة القلب في الإبراء والهبة ونحوها لا تكون إلا إذا خلي الرجل واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا أن تضطر دواعيه إلى الحركة بالحيلة والإلزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول لزوجته واتهابه مالها لإسقاط الزكاة والفقيه يقول سقطت الزكاة فإن أراد به أن مطالبة السلطان والساعي قد سقطت عنه فقد سقط فإن مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وإن ظن أنه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باعه لحاجة إلى البيع لا على هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فإن سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فإن البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وإنما صار شحه مطاعا بما فعله وقبل ذلك لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وأنه بلغ من حرصه على المال أن استنبط الحيل حتى سد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك إباحة الله تعالى مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الأماني والفضول والشهوات وبين الحاجات بل يرون كل ما لا

ثم يعرفونهم الآية خاصة وذلك محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسلوك طريق الله فكل ما تناوله العبد للاستعانة على الدين والعبادة فهو حاجة وما عدا ذلك فهو فضول وشهوة ولو ذهبت أصف غرور الفقهاء في أمثال هذا لامتلأ منه مجلدات والغرض التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك يطول.

الصنف الثاني أرباب العبادات والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم من غروره في الحج ومنهم من غروره في الغزو ومنهم من غروره في الزهد في الدنيا وكذلك كل مشغول بنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور إلا الأكياس وقليل ما هم. فمنهم فرقة أهملوا الفرائض واشتغلوا بالنوافل والفضائل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسات وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة إذ توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان يدع أبوابا من الحلال خوفا من الوقوع في الشبهة أو الحرام ثم في هؤلاء من يخرج إلى الإسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة وإن لم يخرجها عن وقتها أيضا فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور لإسرافه في الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الأشياء فيما له عنه مندوحة إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطرق شتى ولا يقدر على صد العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك. وفرقة غلبت عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعها الشيطان حتى يعتقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت فإن تمت تكبيرة يكون في قلبه تردد بعد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة ولا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون أنهم إذا أتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا القدر في الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم. وفرقة أخرى تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجها فلا يزال أحدهم يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمه غير ذلك ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معاني القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم عن معاني أسراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس سلطان فأمر أن يؤديها على وجهها فأخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما أحراه أن تقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل. وفرقة أخرى اغتروا بقراءة القرآن فهم يهذونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة وربما يزيد أحدهم على ذلك فلسانه يجري به وقلبه يتردد في أودية الأماني مرة ولا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب آداب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن المقصود من إنزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب إليه مولاه كتابا وأشار إليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكنه اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه إلا أنه مكرر للكتاب بنغمته وصوته كل يوم مائة مرة فهو في ذلك مستحق للعقوبة ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم حفظه وتلاوته إنما تراد لكي لا ينسى بل يحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله وسماع كلامه وإنما ذلك لذته بصوته ولو ردد ألحانه بشعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور إذا لم يتفقد قلبه فيعرف أن لذته بكلام الله من حيث حسن نظمه ومعانيه أو لذته لطيب صوت نفسه. وفرقة أخرى اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم من الغيبة وخواطرهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الإفطار وألسنتهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وكل منهم يظن بنفسه الخير فيهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور. وفرقة أخرى اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال والراحلة وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الإسلام

عنهم ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة ثيابهم وأبدانهم ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في طريقهم الرفث والجدال والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله في كسب الحرام أولا وفي إنفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر بيته الحرام بقلب ملوث برذائل الأخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضور البيت وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه وهو مغرور. وفرقة أخرى أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكرون على الناس ويأمرونهم بالخير وينسون أنفسهم وإذا أمروهم بالخير عنفوا وطلبوا الرياسة والعزة وإذا باشر أحدهم منكرا ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن في وقت غيبته لقامت عليه القيامة وقال لم أخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد أحدهم إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام المسجد فلو تقدم غيره وإن كان أورع منه وأعلم ثقل عليه ذلك. وفرقة أخرى جاوروا بمكة والمدينة فاغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظواهرهم وبواطنهم وقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول من يعرفهم إن فلانا مجاور بمكة وترى أحدهم يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا وكذا سنة وإذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدي وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم هو قد يجاور ويمد عينه إلى الطمع إلى أوساخ أموال الناس وإذا جمع منها شيئا شح عليه وأمسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وأن يقال إنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور. وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتاب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة وفي الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها في ذلك وإنما الغرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق في الكتب. وفرقة أخرى زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهم مع ذلك راغبون في الرياسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد تركوا أهون الأمرين وباؤوا بأعظم المهلكين فإن الجاه أعظم من المال ولو تركوا الجاه وأخذوا المال لكانوا إلى السلامة أقرب فهؤلاء مغرورون إذ ظنوا أنهم من الزهاد في الدنيا وهم لم يفهموا معنى الدنيا ولم يدروا أن منتهى لذتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد أن يكون منافقا وحسودا أو متكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الأخلاق نعم وقد يترك بعضهم الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطاول بذلك على الأغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاحتقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله وهو مع ذلك متصف بجملة من خبائث القلب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور بذلك ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء أو الميل إلى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خداع وغرور من الشيطان. وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات ولا يدري أن ذلك مهلك وإن علمه فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظنه بنفسه توهم أنه غير مؤاخذ به لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم ذلك ظن أن العبادات الظاهرة ترجح بها كفة حسناته وهيهات فذرة من ذي تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه من الرياء وحب الثناء فإذا قيل له أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح بذلك وصدق به وازداد بذلك غرورا وظن أن تزكية الناس له دليل على أنه مرضي عند الله ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه. وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله سبحانه أنه قال ما تقرب المتقربون إلي بمثل أداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور إذ قد يتعين على الإنسان فرضان أحدهما يفوت والآخر لا يفوت أو نفلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فإن لم يحفظ الترتيب

ذلك كان مغرورا ونظائر ذلك من أن تحصى فإن المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على فرض كفاية قام به غيره من الناس وتقديم الأهم من فروض الأعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب أن تقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رجل من أبر قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أباك قال ثم من قال أدناك فأدناك فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب فإن استووا فالأحوج فإن استووا فالأتقى والأورع وكذلك من لم يف ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو في ذلك مغرور بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من باب تقديم الفرض الأهم على ما دونه وكذلك إذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة والجمعة تفوت بالاشتغال بالوفاء بالوعد فالوفاء بالوعد حينئذ معصية وإن كان طاعة في نفسه وكذلك قد يصيب ثوبه نجاسة فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة والإيذاء محذور والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لأن المغرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جملة ذلك الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل في الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجهم فمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يعمي قلبه حتى يغتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بمهم دينه

الصنف الثالث

المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة ففرقة منهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي ألفاظهم وآدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية مثلهم ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو تفرغوا من جميع ذلك لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من المقاتلين تثبت أسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من أقطار المملكة فتاقت نفسها إلى أن يقطع مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها المغفر وتعلمت من رجز الأبطال أبياتا وتعودت إيراد تلك الأبيات بنغماتهم حتى تيسر عليها ذلك وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وأتقنت تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت إلى المعسكر أنفذت إلى ديوان العرض وأمر أن تجرد عنها الدرع والمغفر وينظر إلى ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها في الشجاعة فلما جرد عنها المغفر والدرع إذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها أجئت للاستهزاء بالملك والاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليه خذوها فألقوها قدام الفيل فألقيت إلى الفيل وهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزي والمرقع بل إلى سر القلب.

وفرقة أخرى زادت على هؤلاء في الغرور إذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيهم فتركوا الخز والإبريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة ولبسوا من الثياب ما هو أرفع قيمة من الخز والإبريسم وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرد ألوان الثياب وكونها مرقعة ونسوا أن أولئك إنما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ وإنما لبسوا المرقعات إذا كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد وأما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتاده أولئك فهؤلاء أظهر حماقة

مر كافة المغرورين فانهم يتنعمون بعيش الشباب ولذايذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش وياكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هولاء مما يتعدا الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في اهل التصوف كافة ويظنون ان جميعهم كانوا من جنس هولاء فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شوم المتشبهين وشرهم **وفرقة اخرى** ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والعين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي والالقاب لانه تلقف من الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها وهو يظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والاخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح قد يترك فلاحته والحايك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كانه يتكلم على الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء ويقول في العباد انهم اجرا متعبون ويقول في العلما انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه انه وصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه **وفرقة اخرى** وقعت في الاباحة وطووا بساط الاحكام ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم يقول ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال وقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وادركنا ان ذلك محال ولم يعلم الحمقى ان الناس لم يكلفوا قطع الشهوة والغضب من اصلهما بل انما كلفوا تاديبهما وتاديبهما بحيث ينقاد كل واحد منهما الى حكم الشرع والعقل وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا قدر لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله تعالى وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة في حضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء صلوات الله عليهم اذ كانوا يخشون ان يصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به واحصا اصنافهم يطول **وفرقة اخرى** جاوزت حد هولاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وافاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله ويزعم انه واله بالله سبحانه ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة او كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يسخط الله وعن ايثار هوى نفسه على امر الله وعن ترك بعض الامور حيا من الخلق ولو خلا لما تركه حيا من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه وما فهموا ان التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيها غرور وقد اغتر بها قوم وقد ذكرنا مداخل الافات في ربع المهلكات من الكتاب فلا نطيل باعادته **وفرقة اخرى** ضيقت على انفسها في امر القوت حتى طلبت الحلال الخالص واهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري ان الله لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور **وفرقة اخرى** منهم ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا خدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظنون ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر اتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفقها في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والارفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة واية ذلك

اهمالهم لجميع اوامر الله سبحانه ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ياخذ المال الحرام وينفقه في طريق الحج ارادة للبر كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة بذلك **وفرقة اخرى** منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون في ذلك فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس باستنباط دقيق الكلام في افاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون في ذلك بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوايق الحج وافاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه **وفرقة** جاوزوا هذه الرتبة وابتدوا سلوك الطريق وانفتحت لهم طريق ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي المعرفة رايحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبتهم غرابتها وتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده عن غيرهم وكل ذلك غرور لان عجايب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف السالك مع كل اعجوبة وتقيد بها لقصرت خطاه وحرم عن الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فراى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن راى فيها مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك **وفرقة** جاوزوا هولاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق والى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في السير حتى قاربوا ووصلوا الى حد القربة الى الله فظنوا انهم وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله سبعين حجابا من نور لا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابرهيم صلى الله عليه وسلم اذ قال سبحانه اخبارا عنه فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به هذه الاجسام المضية فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست الهة فمثل ابرهيم لا يغره الكوكب الذي لا يغتر به السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله سبحانه وهي على طريق السالك ولا يتصور الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابرهيم لما راى ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيرقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده قال هذا اكبر فلما ظهر له انه على عظمه غير خال عن الهوي في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الافلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وسالك هذه الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجب بين العبد وبين ربه نفسه فانها ايضا امر رباني وهي نور من انوار الله اعني سر القلب الذي يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط بها وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا اشرق نوره وانكشف فيه جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفايق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة ان يقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يرى في المراة بالمراة فيظن انه لون المراة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر ● فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر ●

وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح عليه السلام فراوا اشراق نور الله قد تلالا عليه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مراة او ماء فيظن ان الكوكب في المراة او في الماء فيمد يده اليه لياخذه وهو مغرور ● وانواع الغرور في سلوك الطريق الى الله لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا كان اولى بتركه اذ السالك لهذه الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فايدة وهي اخراجه من الغرور الذي هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المحصور وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات التي اخبر عنها اوليا الله ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه الان كما يكذب بما سمعه

من قبل. **الصنف الرابع** ارباب الاموال والمغترون منهم فرق **احدها** منهم يحرصون على بناء المدارس والمساجد والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اسماءهم عليها بالاجر ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا به من وجهين **الثاني** انهم يبنونها من اموال اكتسبوها من النهب والظلم والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع من كسبها فاذا قد عصوا الله بكسبها فكان الواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله سبحانه وردها الى ملاكها اما باعيانها او برد بدلها عند العجز عن رد اعيانها او لو عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث كان الواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالاجر وغرضهم من بنائهم الريا وطلب الثنا وحرصهم على ابقائها ليبقى اسمهم بها لا لبقاء الخير. **الوجه الثاني** انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفقه عليه لشق ذلك عليه ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك. **وفرقة اخرى** ربما اكتسبت المال من الحلال وانفقته على المساجد ونحوها وهي ايضا مغرورة من وجهين **احدهما** الريا وطلب الثنا فان احدهم ربما يكون في جواره او في بلده فقرا وصرف المال اليهم اهم من صرفه الى المساجد وزينتها وانما يخف عليه الصرف الى المسجد ليظهر ذلك بين الناس. **الوجه الثالث** ان يصرفها الى زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش التي هي منهي عنها لانها تشغل قلوب المصلين وتخطف اعينهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك النقش والزخرف يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة له الى الله وهو قد تعرض به لسخط الله وهو يظن انه مطيع لله وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرف في المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثله في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد انما وضع للتواضع وحضور القلب مع الله. قال مالك بن دينار دخل رجلان مسجدا فوقف احدهما على بابه وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا فهكذا ينبغي ان تعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بدخوله فيه جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله تعالى. وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتي امتي اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه الله بذنوب اهله ان الله لا يعبا بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيا وان احب الاشيا الى الله القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض ويخرب بها اذا كانت على غير ذلك. وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم. وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبريل فقال ابنه سبعة اذرع في السما طولا لا تزخرفه ولا تنقشه فغرور هذا من حيث انه راى المنكر معروفا واتكل عليه. **وفرقة اخرى** ينفقون الاموال في الصدقات وعلى الفقرا والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقرا من عادته الشكر والافشا للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفا الفقير لما اخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في اخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق فيرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره ماسور الى جنبه لا يواسيه. وروى ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال قد عزمت على الحج فتامرني بشي فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم فقال بشر فاي شي تبتغي بحجك تنزها او اشتياقا الى البيت ام ابتغاء مرضات الله تعالى فقال ابتغاء مرضات الله فقال فان اصبت رضا الله وانت في منزلك وتنفق الفي درهم وانت على يقين من مرضات الله اتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة انفس مدين يقضي دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وان قوي قلبك لتعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا نصر سفري اقوى في قلبي فتبسم بشر واقبل عليه فقال المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان تقضي به وطرا فاظهرت اعمال الصالحات وقد ال الله على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين.

وفرقة من ارباب الاموال يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القران وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على باطنهم فهم محتاجون الى قمعه باخراج المال وقد اشتغلوا بطلب فضايل هم مستغنون عنها ومثالهم مثال من دخلت في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفرا ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغني كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وانما حال هذا اطعام الطعام للجايع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من صومه ومن تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه من الفقرا. **وفرقة اخرى** غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكاة ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقرا من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم او من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في خدمه او من لهم فيه على الجملة غرض او يسلمونها الى من يستعينون به عن احد الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للاجر وصاحبه مغرور ويظن انه مطيع لله وهو فاجر اذ يطلب بعبادة الله عوضا من غير الله فهذا وامثاله من غرور ارباب الاموال ايضا وغرور ارباب الاموال لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور. **وفرقة اخرى** من عوام الخلق وارباب الاموال والفقرا اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة يظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم بذلك مغرورون لان فضل مجالس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره اذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الوعاظ في فضل حضور مجلس الذكر وفي فضل البكا وربما تدخله رقة كرقة النسا فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او يقول نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض يحضر مجالس الاطبا فيسمع ما يجري او كجايع يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف عنه وذلك لا يغني عنه من مرضه ولا من جوعه شيا وكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله شيا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغير افعالك حتى تقبل على الله وتعرض عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا.

فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص منه احد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب الياس اذ لا يقدر احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الافات. **فنقول** الانسان اذا فترت همته عن شي اظهر الياس منه واستعظم الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو السما مع بعده منه استنزله واذا اراد ان يستخرج الحوت من اعماق البحار استخرجه واذا اراد ان يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال استخرجهما واذا اراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها واذا اراد ان يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها واذا اراد ان ياخذ الافاعي والحيات وتعبث بها اخذها واستخرج الدرياق من اجوافها واذا اراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذه واذا اراد ان يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها عرفه بطريق الهندسة وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الالات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطير وهيا الشبكة لاقتناص السمك الى غير ذلك من دقايق حيل الادمي وكل ذلك لانه اهمه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو اهمه امر اخرته ولم يكن عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه لم يعجز عن تقويم قلبه ولم يجادل في ذلك وقال هيهات هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال فلو اصبح وهمه هذا الهم الواحد لكان كما قيل لو صح منك الهوى ارشدت للحيل. فهذا شي لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن تبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها.

فان قلت فقد قربت الامر فيه بعد ان اكثرت من ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور. فاعلم انه ينجو منه بثلاثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة امور لا بد منها. اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان حقايق الاشيا فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة

نطق فالبليد لا يقدر على التحفظ من الغرور فصفا العقل وذكاء الفهم لا بد منه في اصل الفطرة وهذا ان لم يتفطر عليه الانسان فاكتسابه
غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال عليه السلام تبارك الله الذي قسم
العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم
الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن ابي الدرداء انه قال لرسول الله يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج
ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ما نعلم منزلته عند الله يوم القيمة فقال انما يجزى
على قدر عقله وقال انس اثني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال كيف عقله فقالوا يا رسول الله نقول
في عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس على قدر عقولهم وقال
ابو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن رجل شدة عبادة سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه وان
قالوا غير ذلك قال لن يبلغ وقال صلى الله عليه وسلم وقد ذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء فقال لن يبلغ صاحبكم
حيث تظنون والذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله سبحانه في اصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها الثاني المعرفة
واعني بها ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل
وبكونه غريبا في هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا معرفة الله والنظر الى وجهه فقط ولا
يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه وما لم يعرف ربه واستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجائب القلب
وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله فيحصل له التنبيه على الجملة وكمال المعرفة
وراء ذلك فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب وهذا الكتاب الا في علوم المعاملة واما معرفة الدنيا والآخرة فيستمد
عليه بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت ليتبين له ان نسبة الدنيا الى الآخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف
الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم
اموره ما يوصله الى الله سبحانه وينفعه في الآخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا
او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده من ذلك الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل محذور وكل غرور
منشؤه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا احب اليه من
الآخرة وهوى نفسه احب اليه من رضا الله فلا يمكنه الخلاص من الغرور واذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه و
الصادرة عن كمال عقله احتاج الى المعنى الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه اليه وما
يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه كتاب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات
شروط العبادة فيراعيها ويراعي آفاتها فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعاش وما هو مضطر اليه فياخذه بادب
الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة من طريق الله فان المانع عن الله
هو الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعرف طريق علاجه ويعلم من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد ان
توضع خلفا من المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر من الانواع التي اشرنا اليها من الغرور واصل
ذلك كله ان يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا عنه حتى تقوى به على الارادة وتصح له النية ولا يحصل ذلك الا
بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فالذي يخاف عليه ان يخدعه الشيطان
ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه الله من دينه فان المريد المخلص اذا فرغ من تهذيب نفسه واطلاعه
وراقب القلب حتى صفاه من جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه وتركها وانقطع طمعه
عنها وعن اهلها ولم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله واللذة بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد
عجز الشيطان عن اغوائه اذ ياتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فياتيه من جهة الدين فيدعوه الى الرحمة على
الخلق والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد بعين الرحمة الى عبيد الله فيراهم حيارى في امورهم
سكارى في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فيغلب
على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم صلاحهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر
على ذكر ذلك لهم من غير تعب ولا مؤنة ولا لزوم غرامة فكان مثله مثل رجل به داء عظيم لا يطاق لله وقد كان لذلك

يسهر ليله ويقلق نهاره ولا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن
ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح وطاب نومه الليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق
وطاب عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقم ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة
بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه وانه يقدر على شفائهم باسهل
ما يكون من المعاناة وفي اوجز زمان ان يقدر فاخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال
بعلاجهم فكذلك العبد المخلص وان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلوب وشاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داؤهم
وقرب هلاكهم وشقاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم حازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك
رجاء ان يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان الى الفتنة سبيلا فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل
لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع
في الزي والهيات فاقبل الناس عليه يعظمونه ويجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ راوه شافيا لدائهم بمحض
الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من ابائهم وامهاتهم واقاربهم وآثروه بابدانهم واموالهم وصاروا له خولا كالخدم
والعبيد يخدمونه ويقدمونه في المحافل ويحكمونه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها
من لذة واصابت من الدنيا شهوة تستحقر معها كل شهوة وكان قد ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان
فرصته وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وامارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان
انه لو اخطا فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما وجد من الغضب بادر الشيطان فخيل اليه ان ذلك غضب
لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور وربما اخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه
فوقع في الغيبة المحظورة بعد ترك الحلال المحض ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد اذ كان يحذر من
طوارق الخطرات وكذلك اذا ضحك او فتر عن بعض الاوراد جزعت نفسه ان يطلعوا عليه فيسقط قبوله من قلوبهم واتبع ذلك
بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان يخيل اليه ويقول له انما تفعل ذلك
كيلا يفتر رغبتهم عن طريق الله فيتركوا الطريق لتركك لها وانما ذلك خدعة وغرور بل هي خدع من النفس خفية فوق الرياسة
ولذلك لا يجزع نفسه من الاطلاع على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يريد ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب
الى قوله وزاد كلامه في القلوب على كلامه لشق ذلك عليه ولولا ان النفس قد انتشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك
ويفرح به وانما مثاله مثال رجل راى جماعة من اخوانه قد وقعوا في بئر وغطى راس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي من البئر
بسبب ذلك فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر عن راس البئر فشق عليه فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه او كفاه ذلك ونحاه
بنفسه فكان ينبغي ان يعظم به فرحه اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار
فاذا ظهر من اعانه او كفاه ذلك فلم يثقل عليه ارايت لو اهتدى جميعهم من ذات انفسهم اكان ذلك يثقل عليه ان كان غرضه هدايتهم
فاذا اهتدوا فعجز فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى كبائر القلب وفواحش الجوارح واهلكه
نعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن الاعوجاج بعد الاستواء فان قلت فمن يصح له ان يشتغل بنصح
الناس فاقول اذا لم يكن له قصد في نصحهم سوى هدايتهم لله وكان يود لو وجد من يعينه او يهتدون بانفسهم وانقطع
بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن اموالهم واستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله سبحانه يحمده ولم يفرح
بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله ونظر اليهم كما ينظر الى السادات او الى البهائم اما الى السادات فمن حيث لا يتكبر عليهم
ويرى كلهم خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي
كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية انما غرضه رعايتها ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية
اليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت الى نظرها ولا يبالي بها فلا يكون كالشمع الذي يضيء لغيره ويحترق في نفسه
فان قلت فلو ترك الواعظ الوعظ الا من اتصف بهذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعاظ وخربت القلوب
فاقول وقد قال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة ولولا محبة الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت
القلوب والابدان جميعا الا انه عليه السلام علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب

الاكثرين الا العاقلين الذين لا يغترون بالدنيا بتركهم لها فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان
تركه ثقة بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله سبحانه ولكن حق القول مني لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة بحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ
لحب الرياسة حرام كما ان يدع الخلق شرب الخمر والزنا والسرقة والربا والظلم وسائر المعاصي لقول الله وقول رسوله صلى الله
عليه وسلم ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واعمالهم
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم وانما يخشى
ان يفسد طريق الانتفاع فاما ان تخرس السنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا **فان قلت**
فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح او نصح وراعى شروط الصدق والاخلاص فيه فما الذي
يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الاخطار وحبائل الاغترار فاعلم انه قد بقي بين يديه اعظمها وهو ان الشيطان قد
يقول له قد اعجزتني وافلت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما اصبرك
واعظم عند الله محلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه
ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اكبر من كل ذنب
ولذلك قال الشيطان ان ظننت انك بعلمك تخلصت مني فبجهلك وقعت في حبالي **فان قلت** فلو لم يعجب بنفسه اذ
علم ان ذلك من الله لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن
اقل القليل اذا قدر على هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول
اخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من
الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن امن مكر الله فهو
خاسر جدا بل طريقه ان يكون مشاهدا لجملة ذلك انه من فضل الله ثم خائفا على نفسه ان يكون قد سترت عنه صفة من
صفات قلبه من حب دنيا ورياء او سوء خلق او التفات الى عز وهو غافل عن ذلك فيكون خائفا ان يسلب حاله في كل طرفة
عين فلا يكون مع نظره لمنة الله تعالى غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف
لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك قال الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس افلت مني
فلان قال لا بعد وهذا بعينه يذكر عن الامام احمد بن حنبل قدس الله روحه وانه اجابه لما تعرض له الشيطان قبل خروج روحه
ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمين والعالمون كلهم هلكى الا العاملين والعاملون كلهم هلكى
الا المخلصين والمخلصون على خطر عظيم فاذا المغرور هالك والمخلص الفار من
الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب الاولياء
فنسال الله حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها كمل الربع
الثالث وهو ربع المهلكات من احيا علوم الدين بفضل
الله تعالى ومنه وحسنه ومعونته على يد اضعف
عبيد الله واحوجهم الى عفوه ومسامحته العبد
الفقير الى الله تعالى الفاني محمد شالم الحنباني
داعيا لمالكه بالبقا وعلو الارتقا
والمغفرة من الله المنان
وخامس عشر صفر
٨٧٥
وصلى الله على سيدنا
محمد واله
وصحبه
وسلم

ورق ٣٦٥


الجزء الرابع من إحياء علوم الدين


وهو
ربع المنجيات تأليف الشيخ الإمام
العلامة حجة الإسلام أبي حامد
محمد بن محمد بن محمد الغزالي
الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل

الحمد لله الذي بحمده يستفتح كل كتاب، وبذكره يصدر كل خطاب، وبفضله يتنعم اهل النعيم في دار الثواب، وباسمه يتسلى الاشقيا وان ارخي دونهم الحجاب، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب ومسبب الاسباب، ونرجوه رجا من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب، ونمزج برجائنا الخوف مزج من لا يرتاب، مع انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ونصلي على نبيه محمد وصحبه الاكرمين صلوة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب، وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب.

اما بعد

فان التوبة عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدا طريق السالكين، وراس مال الفائزين، واول اقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفا والاجتبا للمقربين، ولابينا ادم صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء اجمعين. وما اجدر بالاولاد الاقتدا بالاباء والاجداد، فلا غرو ان اذنب الادمي واجترم فهي شنشنة يعرفها من اخزم، ومن اشبه اباه فما ظلم، ولكن الاب اذا جبر بعد ان كسر وعمر بعد ان هدم فليكن النزوع اليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم. ولقد قرع ادم سن الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم، فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم، بل التجرد لمحض الخير داب الملائكة المقربين، والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين، والرجوع الى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الادميين، فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان، والمتجرد للشر شيطان، والمتلافي للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان، فقد ازدوج في طينة الانسان شائبتان، واصطحب فيه سجيتان، وكل عبد مصحح نسبه اما الى الملك او الى ادم او الى الشيطان، فالتائب قد اقام البرهان على صحة نسبه الى ادم بملازمة حد الانسان، والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان، فاما تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير الى الملائكة فخارج عن حيز الامكان، فان الشر معجون مع الخير في طينة ادم عجنا محكما لا يخلصه الا احدى النارين نار الندم او نار جهنم، فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان عن خبائث الشيطان، واليك الان اختيار اهون الشرين والمبادرة الى اخف النارين قبل ان يطوى بساط الاختيار ويساق الى دار الاضطرار اما الى الجنة او الى النار. واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والافات المانعة منها والادوية الميسرة لها، ويتضح ذلك بذكر اربعة اركان:

الركن الاول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص في جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة.

الركن الثاني فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صغاير وكباير وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغاير.

الركن الثالث في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان اقسام التائبين في دوام التوبة.

الركن الرابع في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين. ويتم المقصود بهذه الاركان الاربعة.

الركن الاول في نفس التوبة

بيان حقيقة التوبة

اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلثة امور مرتبة علم وحال وفعل، فالعلم اول والحال ثان والفعل ثالث، والاول موجب للثاني والثاني موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الله في الملك والملكوت. اما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب، فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تالم للقلب بسبب فوات المحبوب، فان القلب مهما احس بفوات محبوبه تالم، فان كان فواته بفعله تاسف على الفعل المفوت، فيسمى تالمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما، فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال. اما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا له، واما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى اخر العمر، واما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضا ان كان قابلا للقضا او للجبر. فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات، واعني بهذا العلم الايمان واليقين، فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة، واليقين عبارة عن تاكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب، فيثمر نور هذا الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتالم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه، كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيطلع النور عليه بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فراى محبوبه قد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث من تلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك. فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها، وكثيرا ما

يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتاخر، ولهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة، اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه، فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره. وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا، فان هذا يعرض لمجرد الالم، ولذلك قيل في حد التوبة هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب، وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا. وقال سهل التستري التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة، ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال، وكانه اشار الى المعنى الثالث من التوبة. والاقاويل في حدود التوبة لا تنحصر، واذا فهمت هذه المعاني الثلث وتلازمها وترتيبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها، وطلب العلم بحقايق الامور اهم من طلب الالفاظ المجردة.

بيان وجوب التوبة وفضلها

اعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالايات والاخبار، وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة. فالسالك اما اعمى لا يستغني عن القائد في خطوه، واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم يهتدي بنفسه، وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام، فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوه فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله تعالى او سنة رسوله، وربما يعوزه ذلك فيتحير، فسير هذا وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة. ومن سعيد شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه، فيتنبه بادنى اشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة، ويشرق في قلبه نور الايمان ونور القران، وهو لشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان، فكانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار، فاذا مسته نار فهو نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، وهذا لا يحتاج الى نص منقول في كل واقعة. فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي، ثم الى الوجوب ما معناه، ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها، وذلك بان يعلم ان معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك الابد، فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشي وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى، وقول القائل صار واجبا بالايجاب حديث محض، فان ما لا غرض لنا عاجلا واجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا او لم يوجبه. فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد، وعلم انه لا سعادة في دار البقا الا في لقا الله، وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار جهنم، وعلم انه لا مبعد عن لقا الله تعالى الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا، وعلم انه لا مقرب من لقا الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله تعالى طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جماله وجلاله على قدر طاقته، وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين اعدا الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله تعالى، فلا يشك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب، وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم، فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد، وما لم يتوجع فلا يرجع، ومعنى الرجوع الترك والعزم، فلا يشك في ان المعاني الثلثة ضرورية في الوصول الى المحبوب، وهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة. واما من لم يترشح لمثل هذا المقام المحمود المرتفع ذروته عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك، فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين، فقد قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون، وهذا امر على العموم. وقال تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم، ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن الشوائب، ماخوذ من النصح. ويدل على فضل التوبة قول الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. وقال عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المومن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ما شا الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت، فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه، فالله اشد فرحا بتوبة العبد المومن من هذا براحلته. وفي بعض الالفاظ قال من فرحه اذا اراد شكر الله انا ربك وانت عبدي. ويروى عن الحسن قال لما تاب الله على ادم هنته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا ادم قرت عينك بتوبة الله عز وجل عليك، فقال ادم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد التوبة سوال فاين مقامي، فاوحى الله تعالى الى ادم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم

بيده كلبيك ومن سألني المغفرة لم ابخل عليه لاني قريب مجيب يا ادم واحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والاخبار والاثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله وهذا داخل في وجوب الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه واما الندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله **فان قلت** تالم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والارادة والفعل والقدرة والقادر والكل من خلق الله وفعله والله خلقكم وما تعملون هكذا هو الحق عند ذوي الابصار وما سوى هذا ضلال **فان قلت** افليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من خلق الله بل الاختيار ايضا من خلق الله والعبد مضطر في الاختيار الذي له فان الله اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بان هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله ام لا ثم خلق العلم بانه لا مانع فعند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فيحصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما ايضا من خلق الله ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله حركة اليد كتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما في الحال او في المال ولا يخلق العلم ايضا الا باسباب اخر ترجع الى حركة وارادة فالعلم والميل الطبيعي ابدا يستتبع الارادة الجازمة والارادة والقدرة ابدا تستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط للبعض فلذلك يجب تقدم البعض وتاخر البعض كما لا يخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحياة ولا يخلق الحياة الا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لا ان الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لا ان العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لا ان العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود الا ممكن وللامكان ترتيب لا يقبل التغيير لان تغييره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الالهي والقدرة الازلية عند حصول الاستعداد ولما كان الاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدرة بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقول الله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء الكلي الازلي العبارة بقوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح البصر واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد علم بما اليه ميله يسمى الادراك والمعرفة فاذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق اهل عالم الملك والشهادة المحجوبين عن عالم الغيب والملكوت وقالوا ايها الرجل قد تحركت ورميت وكتبت ونودي من وراء حجاب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت اذ قتلت ولكن قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن متوسط مائل الى انه كسب ولو فتح لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد صادق من وجه وان القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه بجوانبه وتمام علمه ينال بالاشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب وانه تعالى عالم الغيب

والشهادة

والشهادة لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا ان لا خالق الا الله ولا مبدع سواه **فان قلت** قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب بانه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال فاعلم ان جماعة من العميان سمعوا انه قد حمل الى البلد حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على اذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سالهم بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا انه الين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما تقول بل هو صلب لا لين فيه واملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الاسطوانة اصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الاذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق احدهما فيه ولكن قال ما هو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذ اخبر كل واحد عما اصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة الفيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فانه مثال اكثر ما اختلف الناس فيه واذا كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرك امواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو بيان ان التوبة واجبة على العبد بجميع اجزائها الثلاث العلم والندم والترك وان الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة افعال الله تعالى المحصورة بين علم العبد وارادته وقدرته المتخللة بينهما وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله

بيان وجوب التوبة على الفور

اما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على الفور والمتفصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل بل هي من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا عليه فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وما اراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي وانما اراد به نفي الايمان لكون الزنا مبعدا عن الله موجبا للمقت كما اذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناوله وهو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله اصلا فالعاصي بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة من الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها واظلافها وهذا مثال مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة فهو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العينين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان تقتلع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم تنتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بماء الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع اني مؤمن كما انك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر انا شجرة وانت شجرة وما احسن جواب شجرة الصنوبر اذ قالت ستعرف اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقلع اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار وسوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار وهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما انقطع نياط قلوب العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت

كلها الا الاقلون والعاصي اذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات اذا كان لا يخاف الموت
بسبب صحته وان الموت غالبا لا يقع فجاة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض خاف الموت فكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم اذا
ختم بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي للايمان كالاشيا المضرة للابدان فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تغير مزاج الاخلاط وهو لا يشعر
بها الى ان يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك المعاصي فاذا كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه
ترك السموم وما يضره من الماكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك واذا كان متناول السم
اذا ندم يجب عليه ان يتقيا ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على الهلاك
الذي لا يفوت عليه الا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب اولى بان يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام
يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فان المخوف من هذا السم فوات الاخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها نار
الجحيم والعذاب المقيم الذي تتصرم اضعاف اعمار الدنيا دون عشر عشير مدته اذ ليس لمدته اخر البتة فالبدار البدار الى التوبة قبل
ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز الامر فيه اختيار الاطباء ولا ينفع بعده الاحتما ولا ينجع بعد ذلك نصح الناصحين
ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بانه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان
فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسوا عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون
ولا يغرنك لفظ الايمان فتقول المراد به الكافرون اذ بين لك ان الايمان بضع وسبعون بابا وان الزاني لا يزني وهو مومن فالمحجوب
عن الايمان الذي هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الايمان الذي هو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التي هي
فروع ستساق الى الموت المعدم للروح التي هي اصل فلا بقا للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الاصل ولا فرق بين الفرع
والاصل الا في شي واحد وهو ان وجود الفرع وبقاه جميعا يستدعي وجود الاصل واما وجود الاصل فلا يستدعي وجود الفرع
ولكن بقاوه يستدعي وجود الفرع فبقا الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة
كتلازم الفرع والاصل فلا يستغني احدهما عن الاخر وان كان احدهما في رتبة الاصل والاخر في رتبة التابع وعلوم المعاملة اذا لم
تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فانه لم يعمل عمله الذي يراد له ثم قام مؤكدا للحجة على صاحبها ولذلك يزاد في عذاب
العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما اوردناه من الاخبار في كتاب العلم

بيان وجوب التوبة عام في الاشخاص

والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على هذا اذ قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا فعمم الخطاب ونور البصيرة
ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا
تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان الى اغواء الانسان
اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات
جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة واذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للاخر لانهما ضدان
فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج الاخر بالضرورة واذا كانت الشهوات
تكمل في الصبي والشاب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به انس والف لا محالة
مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه وعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه
من ايدي اعدائه شيئا شيئا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعده حيث قال
لاحتنكن ذريته الا قليلا وان كمل العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد
الطبع على سبيل القهر الى العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله
تعالى وليس في الوجود ادمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة
فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان نبيا كان او غبيا فلا تظنن ان هذه الضرورة اختصت
بادم صلى الله عليه ۝ فلا تحسبنا هندا لها الغدر وحدها ۝ سجية نفس كل غانية هند ۝ بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس الانس لا
يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها فاذا كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من كفره وجهله فان بلغ
مسلما تبعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة عن غفلته بتفهيم معنى الاسلام فانه لا يغني عنه اسلام ابويه شيئا ما لم
يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته والفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع الى قالب حدوده

في المنع والاطلاق والانكفاف والاسترسال وهو من ادق ابواب التوبة وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة
فدل ان التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور ان يستغني عنها احد من البشر كما لم يستغن عنه ادم فخلقة الولد لا تتسع لما لم تتسع
له خلقة الوالد اصلا واما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل
عنه الانبياء كما ورد في القران والاخبار من خطايا الانبيا وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح
فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان
خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها
رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الادمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير
فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال صلى الله عليه انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله الحديث ولذلك
اكرمه الله تعالى بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واذا كان هذا حاله فكيف يكون حال غيره **فان قلت**
لا يخفى ان ما يطرا على القلب من الهموم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنه وان القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وانه
كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضايل لا فرايض
وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الامور ليست واجبة اذ درك الكمال غير واجب في الشرع فما
المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال فاعلم انه قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدا خلقته عن اتباع الشهوات اصلا وليس
معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة تدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع من نفس
الانسان ظلمة الى وجه المراة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المراة عند تراكمه
خبثا كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المراة
اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده وصار لا يقبل التصقيل وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في
تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الاثار التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في
المراة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الاثار وكما يرتفع الى القلب
ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا لا يستغني العبد في حال من احواله عن محو اثار السيئات عن قلبه بمباشرة
حسنات تضاد اثارها اثار تلك السيئات هذا في قلب حصل اولا صفاؤه وجلاؤه ثم اظلم باسباب عارضة **فاما**
التصقيل الاول ففيه يطول الصقل اذ ليس شغل الصقل في ازالة الصدا عن المراة كشغله في عمل اصل المراة فهذه اشغال
طويلة لا تنقطع اصلا وكل ذلك يرجع الى التوبة **واما** قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب ثواب وكمال فاعلم
ان الواجب له معنيان **احدهما** ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل كافة الخلق
به لم يخرب العالم ولو كلف الناس كلهم ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يودي ذلك الى بطلان
التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ احد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع عمر كل
واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار **والواجب الثاني** هو الذي لا بد منه
للوصول به الى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود من الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجب في
الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة في صلاة التطوع اي لمن يريدها فانه لا يتوصل اليها الا بها ۝ فاما من رضي بالنقصان
والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لاجلها وكما يقال العين والاذن واليد والرجل
شرط في وجود الانسان يعني انه شرط لمن يريد ان يكون انسانا تاما ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى الدرجات العلى
في الدنيا ۝ فاما من قنع باصل الحيوة ورضي بان يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحيوة عين
ويد ورجل فاصل الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا توصل الا الى اصل النجاة واصل النجاة كاصل الحيوة وما وراء
اصل النجاة من السعادات التي بها تتهيا النجاة تجري مجرى الاعضاء والالات التي بها تتهيا الحيوة وفيه سعي الانبيا
والاوليا والعلما والامثل فالامثل وعليه كان تحرصهم وحواليه كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية
حتى انتهى عيسى عليه السلام الى ان توسد حجرا في منامه فاتاه الشيطان فقال اما كنت تركت الدنيا للاخرة قال نعم وما

الذي حدث قال لو وجد كهذا الحجر نعيم الدنيا فلم لا تضع رأسك على الارض فرمى عيسى الحجر ووضع رأسه على الارض وكان رميه الحجر توبة عن ذلك النعيم افترى ان عيسى عليه السلام لم يعلم ان وضع الرأس على الارض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة افترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذي عليه علم في صلوته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك الخلق اما علم ان ذلك ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة العباد واذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا لانه راه مؤثرا في قلبه اثرا منعه عن بلوغ المقام المحمود الذي كان قد وعد به افترى ان الصديق لما شرب اللبن وعرف انه من غير وجهه ادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو ان ما اكله عن جهل فهو غير اثم به ولا يجب في فتوى الفقه اخراجه فلم تاب عن اكله بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الا لسر وقر في صدره عرفه ذلك السر ان فتوى العامة حديث اخر وان خطر طريق الاخرة لا يعرفه الا الصديقون فتأمل احوال هؤلاء الذين هم اعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله واياك مرة واحدة ان تغرك الحياة الدنيا واياك ثم اياك الف مرة ان يغرك بالله الغرور فهذه اسرار من استنشق مبادي روائحها علم ان لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في كل نفس من انفاسه ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولقد صدق ابو سليمان الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة اذا ضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة فان ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منه اشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها فانها صالحة لان توصلك الى سعادة الابد وتنقذك من شقاوة الابد واي جوهر انفس من هذا فاذا ضيعتها في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان صرفتها الى المعصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فان كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك اعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها انه صاحب مصيبة فان نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد رفع الناس عن التدارك قال بعض العارفين ان ملك الموت عليه السلام اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى يستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون فقيل الاجل القريب الذي يطلبه معناه انه يقول عند كشف الغطاء للعبد يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الى ربي واتوب واتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عنه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا يقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان وقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها بحسنة يردفها بها قبل ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت ياتي بغتة ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو والثاني ان يعاجله المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون تسويده للقلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة الى ان يختطفه الاجل فياتي الله بغير قلب سليم ولا ينجي الا من اتى الله بقلب سليم فالقلب امانة الله عند عبده والعمر امانة الله عنده وكذا سائر اسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر قال بعض العارفين ان لله تعالى الى عبده سرين يسرهما اليه على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او اضعتها

فالقاك بالمطالبة والعقاب واليه الاشارة بقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وبقوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

بيان ان التوبة اذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من انوار القران علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله تعالى ومتنعم في الاخرة في جوار الله ومستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل وكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون وكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير واما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله تعالى قد افلح من زكاها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اقوى واجلى من المشاهدة بالبصر ان القلب يتاثر بالمعاصي والطاعات تاثرا متضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للاخر لفظ النور كما يستعار للعلم وان بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكانه لم يعرف من الدين الا قشوره ولم يعلق به الا اسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره اجهل واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه فمن يتوهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه فهذا حال امتناع اصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الايات والاخبار والاثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الايات وقال صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة العبد الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال ايضا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا فارا حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ويروى ان حبشيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله اكان يراني وانا اعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها نفسه ويروى ان الله عز وجل لما لعن ابليس ساله النظرة فانظره الله الى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن ادم ما دام فيه الروح وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار في هذا لا تحصى واما الاثار فقد قال سعيد بن المسيب انزل قوله انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله عز وجل بشر المذنبين بانهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين اني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة الم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في ام الكتاب ويروى ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب فاوحى الله اليه وعزتي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك ان لم تعصمني لاعودن فعصمه الله وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتني لم اوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول اما اني قد كنت مشفقا منك فيغفر الله له ويروى ان رجلا سال ابن مسعود عن ذنب الم به هل له توبة فاعرض عنه

ابن مسعود ثم المتاب اليه فرأى عينيه تذرفان فقال له ان للجنة ثمانية ابواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل
ولا تيأس وقال عبد الرحمن بن ابي القاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال اني لارجو
ان يكون المسلم احسن حالا عند الله ولقد بلغني ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام • وقال عبد الله بن سلام لا احدثكم الا عن نبي مرسل او كتاب منزل
ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من طرفة عين وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم ارق افئدة
وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال اذا تاب علي • وقال آخر انا من ان احرم التوبة اخوف من ان احرم المغفرة اي المغفرة من لوازم التوبة
وتوابعها لا محالة ويروى انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته
فساءه ذلك فقال الهي اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك
وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك • وقال ذو النون المصري ان لله عبادا نصبوا اشجار الخطايا نصب روامق
القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عي ولا بكم وانهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله
ورسوله ثم شربوا بكاس الصفا فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم بصحيفة الخطايا فاورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد
بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت ارواحهم
في العلى حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا
من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة
فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة مقبولة لا محالة **فان قلت** افتقول ما قالته المعتزلة من ان قبول التوبة واجب على الله
فاقول لا اعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله الا ما يريده القائل بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ
وان العطشان اذا شرب وجب زوال العطش فانه اذا منع الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من
ذلك ما يريده المعتزلة بالايجاب على الله بل اقول خلق الله الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش
والقدرة متسعة لخلافه فلو سبقت به المشيئة فلا واجب على الله ولكن ما سبقت به ارادته الازلية فواجب كونه لا محالة **فان قلت**
فما من تائب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب لا يشك في زوال العطش فلم تشك فيه **فاقول** شكه في القبول كشكه في وجود
شرائط الصحة فان للتوبة اركانا وشروطا دقيقة كما سيأتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه للاسهال في انه هل
يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وادويته
فهذا وامثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سيأتي في شروطها

الركن الثاني

فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها • اعلم ان التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته واذا كانت التوبة
واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجب والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله تعالى من ترك او فعل
وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من اولها الى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها

بيان اقسام الذنوب

بالاضافة الى صفات العبد اعلم ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب
وعوائقه ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك
لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون منه اثرا من الآثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران
في السكنجبين آثارا مختلفة **فاما** ما يقتضي النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء
والعز والغنا وحب دوام البقا وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة
من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالامهات لاكثر المعاصي كما استقصيناه في
ربع المهلكات **الثانية** الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمكر وفيه يدخل
الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال **الثالثة** الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء
شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات **الرابعة** الصفة
السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع عنها
جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدرج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب اولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا
ثم اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهو الفخر والعز

والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح
فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل
ذلك فانها واضحة **قسمة ثانية** اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق
بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه
الاموال وشتمه الاعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس او طرف او مال او عرض او دين او جاه وتناول الدين بالاغواء
والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج اسباب الجراءة على الله كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف
وما يتعلق بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله اذا لم يكن شركا فالعفو فيه ارجى واقرب وقد جاء في الخبر الدواوين
ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله واما الديوان الذي لا يغفر
فالشرك واما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا بد وان يطالب بها حتى يعفى عنه **قسمة ثالثة** اعلم ان
الذنوب تنقسم الى صغائر وكبائر وقد كثر اختلاف الناس فيه فقال قائلون لا صغيرة بل كل ما خالف الله فهي كبيرة وهذا ضعيف اذ قال
الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم • وقال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم • وقال
صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة يكفرن ما بينهن ان اجتنبت الكبائر • وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن
الا الكبائر • وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين
وقتل النفس واليمين الغموس واختلفت الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من اربعة الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما
فوق ذلك فقال ابن مسعود هي اربعة وقال ابن عمر هي سبع وقال عبد الله بن عمرو هي تسع وكان ابن عباس اذا بلغه
قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هي الى سبعين اقرب منها الى سبع وقال مرة كل ما نهى الله تعالى عنه فهو كبيرة • وقال غيره
ما اوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر • وقال بعض السلف كل ما اوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف
عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة • وقال ابن مسعود لما سئل عنها اقرأ من اول سورة النساء الى راس ثلاثين
آية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وكل ما نهى الله عنه في هذه السورة الى ها هنا فهو كبيرة • وقال ابو طالب
المكي الكبائر سبعة عشر جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم اربعة
في القلب وهي الشرك بالله والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره واربعة في اللسان وهي شهادة
الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي تحق بها باطلا او تبطل بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم باطلا
ولو سواكا من اراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وسائر الاجسام عن
موضوعات الخلقة وثلاثة في البطن وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم ظلما واكل الربا وهو يعلم
واثنتان في الفرج وهما الزنا واللواط واثنتان في اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف
الواحد من اثنين والعشرة من عشرين وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما ان يقسما
عليه في حق فلا يبر قسمهما وان سألاه حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو
قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل اكل الربا ومال اليتيم من الكبائر وهي
جناية على الاموال ولم يذكر في كبائر النفوس الا القتل • فاما فقء العينين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب
وانواع العذاب فلم يتعرض له او ضرب اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه فلا شك في انه اكبر من اكل ماله كيف وفي الخبر من الكبائر
السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم وهذا زائد على قذف المحصن • وقال ابو سعيد الخدري
وغيره من الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر
وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر في ان السرقة كبيرة ام لا
لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها كقول القائل السرقة حرام ام لا ولا مطمع في معرفته الا بعد تقرير معنى الحرام اولا ثم
البحث عن وجوده في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لان الصغير
والكبير من المضافات وما من ذنب الا وهو كبير بالاضافة الى ما دونه وصغير بالاضافة الى ما فوقه فالمضاجعة
مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظر صغيرة بالاضافة الى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة بالاضافة

إلى قتله نعم للإنسان أن يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ونعني بوصفها بالكبيرة أن العقوبة بالنار عظيمة
وله أن يطلق على ما أوجب الحد عليه مصيرا إلى أن ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله أن يطلق على ما ورد في نص
الكتاب النهي عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرة لا محالة بالإضافة إذ منصوصات
القرآن أيضا تتفاوت درجاتها فهذه الإطلاقات لا حرج فيها وما نقل من ألفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد
تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات نعم من المهمات أن تعلم معنى قوله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات لما بينهن إلا الكبائر فإن هذا إثبات حكم الكبائر والحق في ذلك أن الذنوب
منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه إياها وإلى ما يعلم أنها معدودة في الصغائر وإلى ما يشك فيه فلا يدرى حكمه
فالطمع في معرفة حد حاصر أو حد جامع مانع طلب لما لا يمكن فإن ذلك لا يمكن إلا بالسماع من رسول الله بأن يقول إني أردت
بالكبائر عشرا أو خمسة ويفصلها فإذ لم يرد هذا بل ورد في بعض الألفاظ ثلاث من الكبائر وفي بعضها سبع من الكبائر ثم ورد
أن الشتمتين بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن السبع والثلاث علم أنه لم يرد به العدد والحصر فكيف يطمع في
عدد ما لم يعده الشرع وربما قصد الشرع إبهامه ليكون العباد منه على وجل كما أبهم ليلة القدر ليعظم جد الناس في
طلبها نعم لنا سبيل كلي يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق أما أعيانها فنعرفها بالظن والتقريب ونعرف
أيضا أكبر الكبائر فأما أصغر الصغائر فلا سبيل إلى معرفته وبيانه وهو أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعا
أن مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق إلى جوار الله وسعادة لقائه وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله ومعرفة
صفاته ورسله وكتبه وإليه الإشارة بقوله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أي ليكونوا عبيدا لي ولا يكون العبد
عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد وأن يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الأقصى ببعثة الأنبياء
ولكن لا يتم هذا إلا في الحياة الدنيا وهو المعنى بقوله عليه السلام الدنيا مزرعة الآخرة فصار حفظ الدنيا مقصودا
تابعا للدين لأنها وسيلة إليه والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيئان النفوس والأموال فكل ما يسد باب معرفة الله فهو أكبر
الكبائر ويليه ما يسد باب حياة النفوس ويليه ذلك ما يسد باب المعايش التي بها حياة النفوس فهذه ثلاث مراتب
فحفظ المعرفة على القلوب والحياة على الأبدان والأموال على الأشخاص ضروري في مقصود الشرائع كلها وهذه ثلاثة أمور
لا يتصور أن تختلف فيها الملل فلا يجوز أن يبعث الله نبيا يريد ببعثه إصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما
يمنعهم عن معرفته وعن معرفة رسله أو يأمرهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث
مراتب **الأولى** ما يمنع عن معرفة الله عز وجل ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر إذ الحجاب بين العبد
وبين الله هو الجهل والوسيلة المقربة له إليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله ويتلو الجهل الذي
يسمى كفرا الأمن من مكر الله والقنوط من رحمته فإن هذا عين الجهل فمن عرف الله تعالى لم يتصور أن يكون آمنا ولا أن يكون
آيسا ويتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله وبعضها أشد من بعض وتفاوتها على
حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وبأفعاله وبشرائعه وبأوامره ونواهيه ومراتب ذلك
لا تنحصر وهي تنقسم إلى ما يعلم أنها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن وإلى ما يعلم أنها لا تدخل وإلى ما يشك فيه
وطلب رفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع **الرتبة الثانية** النفوس إذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة
وتحصل المعرفة بالله فقتل النفس لا محالة من الكبائر وإن كان دون الكفر لأن ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة لأن
ذلك المقصود إذ الحياة الدنيا لا تراد إلا للآخرة والتوصل إليها بمعرفة الله ويتلو هذه الكبيرة قطع الأطراف
وكل ما يفضي إلى الهلاك حتى الضرب وبعضها أكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لأنه لو اجتمع الناس على
الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الموجود قريب من قطع الوجود وأما الزنا فإنه لا يفوت أصل
الوجود ولكن يشوش الأنساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الأمور التي لا ينتظم العيش إلا بها بل كيف يتم
النظام مع إباحة الزنا ولا ينتظم أمور البهائم ما لم يتميز الفحل منها بإناث يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لا
يتصور أن يكون الزنا مباحا في شرع قصد به الإصلاح وينبغي أن يكون الزنا في الرتبة دون القتل لأنه ليس يفوت
دوام الوجود ولا يمنع أصله ولكنه يفوت تمييز الأنساب ويحرك من الأسباب ما يكاد يفضي إلى التقاتل وينبغي

وينبغي أن يكون أشد من اللواط لأن الشهوة داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم أثر الضرر بكثرته **الرتبة
الثالثة** الأموال فإنها معايش الخلق فلا يجوز تسليط الناس على تناولها كيف شاؤوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما
بل ينبغي أن تحفظ لتبقى ببقائها النفوس إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن تغريمها فليس يعظم
الأمر فيها فأما إذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك فينبغي أن يكون ذلك من الكبائر وذلك بأربعة طرق **أحدها** الخفية
وهو السرقة فإنه إذا لم يطلع عليه غالبا فكيف يتدارك **والثاني** أكل مال اليتيم وهو أيضا من الخفية وأعني به في حق
الولي والقيم فإنه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظيم الأمر فيه واجب بخلاف الغصب فإنه ظاهر
يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فإن المودع خصم فيه ينتصف لنفسه **والثالثة** تفويتها بشهادة الزور **والرابع** أخذ
الوديعة وغيرها باليمين الغموس فإن هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز أن تختلف الشرائع في تحريمها أصلا وبعضها أشد من
بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الأربعة جديرة بأن تكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد
في بعضها ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها ● وأما أكل الربا فليس فيه إلا أكل مال الغير بالتراضي مع الإخلال
بشرط وضعه الشرع ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله وإذا لم يجعل الغصب الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه وبغير
رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع وإن عظم الشرع الربا بالزجر عنه فقد عظم أيضا
الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير إلى أن أكل دانق بالخيانة والغصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة
الشك وأكثر ميل الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي أن تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرائع فيه ليكون ضروريا
في الدين فيبقى مما ذكره أبو طالب المكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين ● أما الشرب
لما يزيل العقل فهو جدير بأن يكون من الكبائر وقد دل عليه تشديدات النقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر
فلا شك في أنه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وإنما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وإيجاب
الشرع الحد به يدل على تعظيم أمره فيعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع فإن
ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع وإلا فللتوقف فيه مجال ● وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض والأعراض دون الأموال
في الرتبة ولتناولها مراتب وأعظمها التناول بالإضافة إلى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع أمره وأظن ظنا غالبا أن
الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس وهو الذي نريده بالكبيرة
ولكن من حيث إنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمه بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العدل
الواحد إذا رأى إنسانا يزني فله أن يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته فإن لم تقبل شهادته فتحريمه ليس ضروريا
في مصالح الدنيا وإن كان على الجملة من الشرع فأما من ظن أن له أن يشهد وحده أو ظن أنه يساعده على الشهادة غيره فلا
ينبغي أن يجعل في حقه من الكبائر ● وأما السحر فإن كان فيه كفر فكبيرة وإلا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك
نفس أو مرض أو غيره ● وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضا ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف
وإذا قطع بأن سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم لهم بغصب أموالهم من مساكنهم وبلادهم وإجلائهم من أوطانهم
ليس من الكبائر إذ لم ينقل ذلك في السبعة عشر كبيرة وهو أكثر ما قيل فيه فالتوقف في هذا غير بعيد ولكن الحديث يدل على
تسميته كبيرة فليلحق بالكبائر فإذا رجع حاصل الأمر إلى أنا نعني بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم إلى
ما علم أنه لا تكفره قطعا وإلى ما ينبغي أن تكفره وإلى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والإثبات وبعضه
مشكوك فيه وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنة وإذ لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال **فإن قلت**
فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده فاعلم أن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا
فيجوز أن يتطرق إليه الإبهام لأن دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث إنها كبيرة
بل موجبات الحدود معلومة بأسمائها كالسرقة والزنا وغيرهما وإنما حكم الكبيرة أن الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا أمر يتعلق
بالآخرة والإبهام أليق بها حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤون على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك
اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ولكن اجتناب الكبيرة
إنما يكفر الصغيرة إذا اجتنبها مع القدرة والإرادة كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع فيقتصر على

نظر ولين فإن مجاهدته نفسه في الكف عن الوقاع أشد تأثيراً في تنوير قلبه من إقدامه على النظر في إظلامه فهذا معنى تكفيره فإن كان
عنيناً أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة للعجز أو كان قادراً ولكن امتنع لخوف أمر آخر فهذا لا يصلح للتكفير أصلاً وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو أبيح
له ما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والأوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الأوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة
عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدته النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت إليه من معصية السماع وكل هذه أحكام أخروية ويجوز أن
يبقى بعضها في محل الشك وتكون من المتشابهات ولا يعرف تفصيلها إلا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بألفاظ مختلفة فقد
روى أبو هريرة أنه عليه السلام قال الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشراك بالله وترك السنة قيل
ما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة أن تبايع رجلاً ثم تخرج عليه بالسيف تقاتله فهذا وأمثاله من الألفاظ لا يحيط بالعدد
كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهماً **فإن قلت** الشهادة لا تقبل إلا ممن يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطاً
في قبول الشهادة وهذا من أحكام الدنيا فاعلم أنا لا نخصص الشهادة بالكبائر فلا خلاف في أن من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم
الذهب ويشرب من أواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من الكبائر وقال الشافعي إذا شرب
الحنفي النبيذ حددته ولا أرد شهادته فقد جعله كبيرة بإيجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل أن الشهادة نفياً وإثباتاً لا تدور على
الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تقدح في العدالة إلا ما لا يخلو الإنسان عنه غالباً بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء
الظن والكذب في بعض الأقوال وسماع الغيبة وترك الأمر بالمعروف وأكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائداً
على حد المصلحة وإكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الأهل والولد ما يحتاجون إليه في أمر الدين فهذه ذنوب
لا يتصور أن ينفك الشاهد عن قليلها أو كثيرها إلا بأن يعتزل الناس ويتجرد لأمور الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة
ذلك ولم يقبل قول أحد إلا من يعز وجوده وتبطلت الأحكام والشهادات ولبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة
الشرب في وقت الشرب والخلوة بالأجنبية وأمثال هذه الصغائر من هذا القبيل فإلى مثل هذا المنهاج ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة وردها
لا إلى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها لأثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب
الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما أن المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج
والترنم بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر **بيان كيفية توزع الدرجات والدركات** في الآخرة على
الحسنات والسيئات في الدنيا اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت وأعني بالدنيا حالتك
قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك وأحوالك يسمى القريب الداني منها دنياك والمتأخر آخرتك ونحن
الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فإنا الآن نتكلم في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم
الملكوت في عالم الملك إلا بضرب الأمثال ولذلك قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وهذا
لأن عالم الملك نوم بالإضافة إلى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في
اليقظة لا يتبين لك في النوم إلا بضرب الأمثال المحوجة إلى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا إلا في كسوة
الأمثال ولعني كسوة الأمثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه إن كنت فطناً ثلاثة أمثلة فقد جاء رجل إلى ابن سيرين وقال
رأيت في يدي خاتماً أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال إنك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الفجر قال صدقت وجاء آخر
فقال رأيت كأني أصب الزيت في الزيتون فقال إن كان عندك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فإنها أمك لأن الزيت أصل
الزيتون فهو رد إلى الأصل فنظر فإذا جارية كانت أمه وقد سبيت في صغره وقال آخر رأيت كأني أقلد الدر في أعناق
الخنازير فقال إنك تعلم الحكمة غير أهلها وكان كما قال والتعبير من أوله إلى آخره يعرفك طريق ضرب الأمثال وإنما نعني بالمثل أداء
المعنى في صورة إن نظر إلى معناه وجد صادقاً وإن نظر إلى صورته وجد كاذباً فالمؤذن إن نظر إلى صورة الخاتم والختم به على
الفروج رآه كاذباً فإنه لم يختم به قط وإذا نظر إلى معناه وجد صادقاً إذ قد صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي يراد
الختم له وليس للأنبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال لأنهم كلفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم أنهم في النوم والنائم
لا ينكشف له شيء إلا بمثل فإذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أن المثل صادق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين
إصبعين من أصابع الرحمن وهو من المثال الذي لا يعقله إلا العالمون فأما الجاهل فلا يجاوز قدر ظاهر المثال لجهله بالتفسير
الذي يسمى تأويلاً كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة في النوم تعبيراً فيثبت لله يداً وإصبعاً تعالى الله عن قوله وكذلك في قوله صلى الله

عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورته فإنه لا يفهم من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله مثله تعالى عن قوله علواً كبيراً ومن
ههنا زل من زل في صفات الإلهية حتى في الكلام وجعلوه حرفاً وصوتاً إلى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد يرد
في أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها الملحد بجموده نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم
القيامة في صورة كبش أملح فيذبح فيثور الملحد الأحمق ويكذب ويستدل به على كذب الأنبياء ويقول يا سبحان الله الموت عرض والكبش
جسم فكيف ينقلب العرض جسماً وهل هذا إلا محال ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمقى عن معرفة أسرار الله تعالى فقال وما يعقلها
إلا العالمون ولا يدري المسكين أن من قال رأيت في منامي أنه جيء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال المعبر صدقت
وهذا يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط لأن المذبوح وقع اليأس عنه فإذاً المعبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته
ويرجع حقيقته إلى أن الملك الموكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الأرواح عند النوم على ما في اللوح المحفوظ عرفه ما في اللوح المحفوظ
بمثال يضربه له لأن النائم إنما يحتمل المثال وكان مثاله صادقاً ومعناه صحيحاً فالرسل أيضاً إنما يكلمون الناس في الدنيا وهي
بالإضافة إلى الآخرة نوم فيوصلون المعاني إلى أفهامهم بالأمثلة حكمة من الله ولطفاً بعباده وتيسيراً لإدراك ما يعجزون عن
إدراكه دون ضرب المثل فقوله يؤتى بالموت في صورة كبش أملح مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس عن الموت وقد جبلت
القلوب على التأثر بالأمثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه
بقوله قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن عن سرعة التقليب وقد أشرنا إلى الحكمة في ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات
فلنرجع الآن إلى الغرض والمقصود أن تعريف توزع الدركات والدرجات على الحسنات والسيئات لا يمكن إلا بضرب المثل فليفهم من المثل
الذي نضربه معناه لا صورته فنقول الناس في الآخرة ينقسمون أقساماً وتتفاوت درجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتاً لا يدخل
اصنافهم
تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى أصلاً البتة فإن مدبر الملك والملكوت واحد
لا شريك له وسنته الصادرة عن إرادته الأزلية مطردة لا تبديل لها إلا أنا إن عجزنا عن إحصاء آحاد الدرجات فلا نعجز
عن إحصاء الأجناس فنقول الناس في الآخرة ينقسمون بالضرورة إلى أربعة أقسام هالكين ومعذبين وناجين وفائزين
ومثاله في الدنيا أن يستولي ملك من الملوك على إقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم ولا يقتلهم وهم المعذبون ويخلي
بعضهم وهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون فإن كان الملك عادلاً لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق فلا يقتل إلا جاحداً
لاستحقاق الملك معانداً له في أصل الدولة ولا يعذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلي إلا معترفاً
له برتبة الملك لكنه لم يقصر فيعذب ولم يخدم فيخلع عليه ولا يخلع إلا على من أبلى عمره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي أن يكون
خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجات خدمتهم وإهلاك الهالكين إما تحقيقاً بحز الرقبة أو تنكيلاً بالمثلة بحسب
درجات معاندتهم وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات
تقصيرهم فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تنحصر وكذلك فافهم أن الناس هكذا في الآخرة يتفاوتون فمن هالك ومن معذب
ومن ناج يحل في دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون إلى من يحلون في جنات عدن أو جنات المأوى أو جنات الفردوس
والمعذبون ينقسمون إلى من يعذب قليلاً وإلى من يعذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في
الخبر وكذا الآيسون الهالكون عن رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر
كيفية توزعها عليهم **أما الرتبة الأولى** وهي الهالكة ونعني بالهالك الآيسين من رحمة الله إذ الذي قتله الملك في المثال الذي
ضربناه آيس من رضى الملك وإكرامه فلا تغفل عن معاني المثال وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا
المكذبين بالله ورسله وكتبه فإن السعادة الأخروية في القرب من الله والنظر إلى وجهه وذلك لا ينال أصلاً إلا بالمعرفة التي يعبر عنها
بالإيمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون والمكذبون هم الآيسون من رحمة الله أبد الآباد وهم الذين يكذبون برب
العالمين وبأنبيائه المرسلين إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه فهو لا محالة
يكون محترقاً مع نار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا الحور العين إنما مطلبنا اللقاء
ومهربنا من الحجاب فقط وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم إذ يعبده لطلب جنته أو لخوف ناره بل العارف يعبده لذاته فلا
يطلب إلا ذاته فقط وأما الحور والفواكه فقد لا يشتهيها وأما النار فقد لا يتقيها إذ نار الفراق إذا استولت ربما غلبت
النار المحرقة للأجسام فإن نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ونار جهنم لا شغل لها إلا مع الأجساد وألم الأجساد

يتحقق مع الم الفؤاد ولذلك قيل ففي فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها ● ولا ينبغي ان ينكر هذا في عالم الآخرة اذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد راى من غلب عليه الوجد تعدى على النار وعلى اصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحرب لان الغضب نار في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضب قطعة من النار واحتراق الفؤاد اشد من احتراق الاجسام والاشد يبطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس الهلاك من النار والسيف الا من حيث انه يفرق بين جزئين يرتبط احدهما بالآخر برابطة التاليف الممكن في الاجسام فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه المرتبط به برابطة تاليف اشد احكاما من تاليف الاجسام فهو اشد ايلاما ان كنت من ارباب البصاير وارباب القلوب فلا يستبعد ان لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الالم ويستحقره بالاضافة الى الم الجسم فالصبي لو خير بين الم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين الم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان عن رتبة السلطان اصلا ولم يعد ذلك الما وقال العدو في الميدان مع الصولجان احب الي من سرير الملك والسلطان مع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلوا وبين فعل جميل يقهر به الاعدا ويفرح به الاصدقا لآثر الهريسة والحلوا وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك لان البشر فيه صفات البهايم والسباع ولم يظهر فيه الصفات الملكية التي لا يناسبها ولا يلذها الا القرب من رب العالمين ولا يولمها الا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق الا في اللسان والسمع الا في الاذان فلا يكون هذه الصفة الا في القلب فمن لا قلب له لم يعتبر هذا كمن لا سمع له ولا بصر له ليس له لذة الالحان وحسن الصورة والالوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ولست اعني بالقلب هذا اللحم الذي تكتنفه عظام الصدر بل اعني به السر الذي من عالم الامر وهذا اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وسائر الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعا ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي هو الملك والامير لان بين عالم الامر وبين عالم الخلق ترتيب وعالم الامر امير على عالم الخلق وهي اللطيفة التي اذا صلحت صلح لها سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادي روايح المعنى المطوي تحت قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته وينظر بعين الرحمة الى الجامدين على ظاهر لفظه والى المتعسفين في طرق تاويله وان كانت رحمته على الجامد على اللفظ اكثر من رحمته على المتعسف في التاويل لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة اوليك اكثر وان اشتركوا في مصيبة الحرمان عن حقيقة الامر فالحقيقة فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم وهي حكمة يخص بها من يريد ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد ارخينا الطول وطولنا النفس في امر هو اعلى من علوم المعاملة الذي نقصده في هذا الكتاب فقد ظهر ان رتبة الهلاك ليس الا للجاحدين المكذبين وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله لا يدخل تحت الحصر فلذلك لم نورده

الرتبة الثانية رتبة المعذبين وهو رتبة من تحلى باصل الايمان ولكن قصر في الوفا بمقتضاه فان راس الايمان هو التوحيد وهو ان لا يعبد الا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله معنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهو ان تذر بالكلية غير الله ومعنى قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه ادق من الشعر واحد من السيف مثل الصراط الموصوف في الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في امر يسير ولا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك لا محالة نقصانا في درجة القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفايت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون كل مايل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسببين **احدهما** قوة الايمان وضعفه **والثاني** كثرة اتباع الهوى وقلته فاذ لا يخلو بشر في غالب الامر عن واحد من الامرين قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ولذلك قال الخايفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون وشككنا في الصدور ● ولما روي الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال الحسن يا ليتني كنت ذلك الرجل واعلم ان في الاخبار ما يدل على ان اخر من يخرج من النار بعد سبعة الف سنة وان الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة الف سنة حتى يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث وبين اللحظة وسبعة الاف درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر

وسائر المدد وان الاختلاف بالشدة لا نهاية لاعلاها وادناها التعذيب بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب باخذ المال وقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الاقارب والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيات وقلتها اما شدة العذاب فبشدة قبح السيات وكبرها واما كثرته فبكثرتها واما اختلاف انواعها فباختلاف انواع السيات وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الايمان وهو المعني بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وبقوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وبقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وبقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزا على الاعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة ارجح اذ قال الله تعالى فيما يحكي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقت رحمتي غضبي وقال وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما فاذا هذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف الا ظنا ويستدل بظواهر الاخبار ونوع حدس مستمد من انوار الاستبصار بعين الاعتبار **فنقول** كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكباير واحسن جميع الفرايض اعني الاركان الخمسة ولم يكن منه الا صغاير متفرقة لم يصر عليها فيشبه ان يكون عذابه بالمناقشة في الحساب فقط وانه اذا حوسب رجحت حسناته على سياته اذ ورد في الاخبار ان الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن وكذلك اجتناب الكباير بحكم نص القرآن مكفر للصغاير واقل درجات التكفير ان يدفع العذاب ان لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه فينبغي ان يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية نعم الحاقه باصحاب اليمين او بالمقربين ونزوله في جنات عدن او في الفردوس الاعلى فذلك يتبع اصناف الايمان لان الايمان ايمانان تقليدي كايمان العوام يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه وايمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح ان الكل الى الله مرجعه ومصيره اذ ليس في الوجود الا الله وصفاته وافعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الملا الاعلى وهم ايضا على اصناف فمنهم السابقون ومنهم دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله تعالى غير ممكن وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وانما يغوص فيه الغواصون بقدر قوتهم وبقدر ما سبق لهم من الله في الازل والطريق الى الله لا نهاية لمنازله فالسالكون لسبيل الله لا نهاية لدرجاتهم واما المومن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم ايضا على درجات فالاعلى من درجات اصحاب اليمين يقارب رتبة الادنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب الكباير وادى كل الفرايض اعني الاركان الخمس التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان وبالصلوة والزكوة والصوم والحج فاما من ارتكب كبيرة او كباير واهمل بعض اركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التايب من الذنب كمن لا ذنب له والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ اصلا وان مات قبل التوبة فهذا امر مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه فيختم له بسو الخاتمة لا سيما اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزما فهو قابل للانحلال بادنى شك وخيال والعارف البصير ابعد من ان يخاف عليه سو الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان يعذبان الا ان يعفو الله عنهما عذابا يزيد على عذاب المناقشة في الحساب ويكون كثرة العذاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكباير ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف اصناف السيات وعند انقضا مدة العقاب ينزل البله المقلدون في درجات اصحاب اليمين والعارفون المستبصرون في اعلى عليين ففي الخبر ان اخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف ولا تظنن ان المراد به تقديره بالمساحة لاطراف الاجسام بان يقابل فرسخ بفرسخين او عشرة فان هذا جهل بطريق ضرب الامثال بل هو كقول القايل اخذ منه جملا واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنانير فاعطاه ماية دينار فان لم يفهم من المثل الا المثل في الوزن والثقل فلا يكون ماية دينار لو وضعت في كفة الميزان والابل في الكفة الاخرى عشر عشره بل هو موازنة معاني الاجسام

وارواحها دون اشخاصها ودنيا كلها فان الابل لا تقصد لثقلها وطولها وعرضها ومساحتها بل لماليته فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة امثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والابل لو اعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال اعطيته عشرة امثاله كان صادقا لكن لا يدرك صدقه الا الجوهري فان روح الجوهر لا يدرك بمجرد البصر بل بفطنة اخرى وراء البصر ولذلك يكذب الصبي على القروي والبدوي ويقول ما هذه الجوهرة الا حجر وزنها مثقال ووزن الابل الف مثقال فقد كذب في قوله اني اعطيته عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا ان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل في قلبه النور الذي يدرك ارواح الجواهر وسائر الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد العاجز القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة اذ يقول الجنة في السموات كما ورد في الاخبار والسموات من الدنيا فكيف تكون عشرة امثال الدنيا في الدنيا هذا وكما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي ذلك الموازنة ولذلك عن تفهيم البدوي وكما ان الجوهري مرحوم اذا ابتلي بالبدوي والقروي في تفهيم تلك الموازنة والعارف مرحوم اذا ابتلي بالبليد الابله في تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلاثة عالما بين الجهال وعزيز قوم ذل وغني قوم افتقر والانبياء مرحومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الامة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله تعالى وبلاء موكل بمن سبق بتوكيله القضاء الازلي وهو المعنى بقوله صلى الله عليه البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل ولا تظنن ان البلاء بلاء ايوب وهو الذي نزل بالبدن فان بلاء نوح صلوات الله عليه ايضا من البلاء العظيم اذ ابتلي بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه الى الله الا فرارا ولذلك لما اوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر واذا كان لا يخلو الانبياء عن الابتلاء بالجاحدين فلا يخلو الاولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قل من يتعرى من الاولياء عن ضروب من الايذاء وانواع البلاء بالاخراج من البلاد والسعاية بهم الى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب ان يكون اهل المعرفة عند اهل الجهل من الكافرين كما يجب ان يكون المعتاض عن الابل الكثير بجوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين فاذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله صلى الله عليه وسلم انه يعطى اخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات واياك ان تقتصر تصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك في الحواس الخمس وانما انت تفارق الحمار بسر الهي عرض على السموات والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها فادراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف الا في عالم ذلك السر الذي به فارقت الحمار وسائر البهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله واهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي اهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالاعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم فكل من لم يعرف الا المدركات بالحواس فقد نسي الله اذ ليس ذات الله تعالى مدركا في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله انساه الله لا محالة نفسه ونزل الى رتبة البهائم وترك الترقي الى الافق الاعلى وخان في الامانة التي اودعه الله تعالى واودع بها عليه كافر النعمته ومتعرضا للنقمة الا انه اسوا حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت واما هذه فعنده امانة ترجع لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصيرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذا القالب الفاني وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب القالب من مغربها وتعود الى باريها وخالقها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن الحضرة الربوبية والمظلمة ايضا راجعة الى الحضرة اذ المرجع والمصير للكل اليه الا انها ناكسة رؤوسها من جهة اعلى عليين الى جهة اسفل السافلين ولذلك قال الله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم فبين انهم عند ربهم منكوسون قد انقلبت وجوههم الى اقفيتهم وانقلبت رؤوسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله تعالى فمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول في منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة الدنيا او اكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست اعني بالتوحيد ان يقول بلسانه لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وايدي الغانمين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة فحيث لا يبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان بل ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من الله **وعلامته** ان لا يغضب على احد من الخلق بما يجري عليه اذ لا يرى الوسائط وانما يرى مسبب الاسباب كما سيأتي تحقيقه في كتاب التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم

من له مثقال خردلة وذرة فمن في قلبه مثقال دينار فهو اول من يخرج من النار وفي الخبر يقال اخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من ايمان وما بين المثقال والذرة على تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على طريق ضرب المثل كما ذكرناه من الموازنة بين اعيان الاموال وبين النقود واكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك واما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير اليها ففي الاخبار ان العبد ليوقف بين يدي الله وله من الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم اصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا واخذ مال هذا وضرب هذا فيقتص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقال القوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا الى النار وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم اذ تنقل اليه عوضا عما ظلم به وقد حكي عن ابن الجلاء ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه يستحله فقال لا افعل ليس في صحيفتي حسنة افضل منها فكيف امحوها وقال هو وغيره ذنوب اخواني من حسناتي اريد ان ازين بها صحيفتي فهذا ما اردنا ان نذكره من اختلاف العباد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر الاسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض بانه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض اخر بان عارضه خفيف وعلاجه هين فان ذلك ظن يصيب في اكثر الاحوال ولكن قد يتوب الى المدنف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق الى ذي العارض الخفيف اجله حيث لا يطلع عليه وذلك لاسرار الله تعالى الخفية في ارواح الاحياء وغموض الاسباب التي رتبها مسبب الاسباب بتقدير معلوم اذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها ولذلك النجاة والفوز في الاخرة لهما اسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ويعبر عن ذلك السبب الخفي المفضي الى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضي الى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشيئة الازلية التي لا يطلع الخلق عليها فلذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن العاصي وان كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وان كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو اغمض من ان يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لارباب القلوب انه لا عفو عن عبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا غضب الا بسبب باطن يقتضي البعد من الله ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعى وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة ولما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وكما غيروا انفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب انكشافا اوضح من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيها اذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها وانما الشأن في انفتاح بصيرة القلب والا فما تراه بها بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب واليه الاشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى

الرتبة الثالثة رتبة الناجين واعني بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه ان يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في اطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية ولا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من اهل الجنة ولا من اهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف فحلول طائفة من الخلق فيه معلوم قطعا من الايات والاخبار ومن انوار الاعتبار واما الحكم على التعيين بان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن والاطلاع عليه محققا في عالم النبوة ويبعد ان يرتقي اليه رتبة الاولياء والعلماء والاخبار في حق الصبيان متعارضة حتى قالت عائشة رضي الله عنها لما مات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال وما يدريك فاذا الاشكال والاشتباه اغلب في هذا المقام

الرتبة الرابعة الفائزون وهم العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون فان المقلد وان كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من اصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان وهو الذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي اجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور ان تخطر على قلب بشر في هذا العالم فاما الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل والخمر والحلي والاساور فانهم لا يحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم فهي غاية السعادات

ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهولاء شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى انفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر الى وجهه والفكر فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا نفسه ولا غير نفسه وهذه الحال هي التي توصل في الآخرة الى قرة عين كما لا يتصور ان يخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور ان يخطر صورة الالوان والالحان على قلب الاصم والاكمه الا ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعا انه لم يتصور ان يخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على الحقيقة ورفعه يكشف الغطا فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وان الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات

بيان ما تعظم به الصغاير من الذنوب

اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والاشيا تستبان باضدادها فان كان النافع من العمل هو الدايم وان قل فالكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيات اذا دام عظم تاثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قل ما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق فقل ما تكون صغاير سابقة ولاحقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق اليها عود ربما كان العفو عنها ارجى من صغيرة واظب الانسان عليها عمره ومنها ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله وكلما استصغره كبر عند الله لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تاثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيات ولذلك لا يواخذ بما يجري عليه في الغفلة فان القلب لا يتاثر بما يجري في الغفلة وقد جاء في الخبر المومن ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا وانما يعظم في قلب المومن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى من عصى به راى الصغيرة كبيرة وقد اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة ولذلك قال بعض الصحابة للتابعين انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله اتم وكانت الصغاير عندهم بالاضافة الى جلال الله كباير وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور لا يتجاوز في امثالها عن العارف لان الذنب والمخالفة يكبر بمعرفة قدر المخالف ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته اياه كما يقول اما رايتني كيف مزقت عرضه ويقول المناظر اما رايتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى خجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول المعامل في التجارة اما رايت كيف روجت عليه الزيف وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله وكيف استحمقته وهذا وامثاله تكبر به الصغاير فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة نادما ويتاسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله والمريض الذي يفرح بان ينكسر اناوه الذي فيه دواوه حتى يتخلص من الم شربه لا يرجى شفاوه ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله به فيكون ذلك لامنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير ومنها ان ياتي الذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه او ياتيه في مشهد غيره فان ذلك جناية منه على ستر الله الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيية الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وفي الخبر كل معافا الا المجاهرين يبيت احدهم على ذنب

قد ستره الله فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين ولذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصيته ثم يهونها عليه ان يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه مراكب الذهب واخذه مال الشبهة من اموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده اليهم ومساعدته اياهم بترك الانكار عليهم واطلاقه اللسان في الاعراض وتعديه في اللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه الا الجاه كعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم امادا متطاولة فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه وفي الخبر من سن سنة سيية فله وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيا وقال تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم والاثار ما يلحق الاعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الافاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق اهلها وفي الاسراييليات ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته توبة فعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار فبهذا يتضح ان امر العلما مخطر فعليهم وظيفتان احداهما ترك الذنب والاخرى اخفاوه وكما تتضاعف اوزارهم على الذنوب فكذلك تتضاعف ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك التجمل والميل الى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلما والعوام ويكون له مثل ثوابهم وان مال الى التجمل مالت الطباع من دونه الى التشبه به ولا يقدرون على التجمل الا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلما في طوري الزيادة والنقصان فتضاعف اما بالربح واما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها

في تمام التوبة وشروطها في دوامها الى اخر العمر

قد ذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك اورثه العلم بكون المعاصي حايلا بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شرط فلا بد من بيانها اما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسياتي واما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدموع وطول البكا والفكر فمن استشعر عقوبة نازلة بولده او ببعض اعزته طال عليه مصيبته وبكاوه واي عزيز اعز عليه من نفسه واي عقوبة اشد من النار واي سبب ادل على نزول العقوبة من المعاصي واي مخبر اصدق من الله ورسوله ولو حدثه انسان واحد يسمى طبيبا ان مرض ولده المريض لا يبرا وانه سيموت منه طال في الحال حزنه وليس ولده باعز من نفسه ولا الطبيب باعلم ولا اصدق من الله ورسوله ولا الموت باشد من النار ولا المرض ادل على الموت من المعاصي على سخط الله والتعرض بها للنار فالم الندم كلما كان اشد كان تكفير الذنوب به ارجى فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق افيدة ومن علامته ان تتمكن مرارة تلك الذنوب من قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهة وبالرغبة نفرة وفي الاسراييليات ان الله سبحانه قال لبعض انبيايه وقد ساله قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتي لو شفع فيه اهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه فان قلت فالذنوب اعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها فاقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وتناثر شعره وفلجت اعضاوه فاذا قدم اليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه من ذلك العسل ام لا فان قلت لا فهو جحد للمشاهد بل ربما ينفر عن العسل الذي ليس فيه ايضا لشبهه به فوجدان التايب مرارة الذنوب كذلك يكون وذلك لعلمه بان كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا يصدق الا مع مثل هذا الايمان ولما عز مثل هذا الايمان عزت التوبة والتايبون فلا ترى الا معرضا عن الله متهاونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي ان يدوم الى الموت وينبغي ان يجد هذه المرارة في جميع الذنوب وان لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في العسل النفور من الماء البارد مهما علم ان فيه ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل

اثما فيه ولم يكن ضرر الشارب والزاني من حيث انه شربه وزناه من حيث انه شربه وزناته بل لمخالفته امر الله وذلك جار في كل ذنب وانما
القصد الذي نبحث فيه هو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو موجب ترك كل محظور هو ملابس له واداء كل فرض هو متوجه
عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت وشرط صحته
فيما يتعلق بالماضي ان يرد فكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن او الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما
ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذي قصر فيها والى المعاصي ما الذي قارفها فان كان قد ترك صلاة او صلاها مع ثوب نجس
او صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها عن اخرها فان شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي
يستيقن انه اداها ويقضي الباقي وله ان ياخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على سبيل التحري والاجتهاد وأما الصوم فان كان
قد تركه في سفر ولم يقضه او افطر عمدا او نسي النية بالليل ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضاه
واما الزكوة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من اول ملكه لا من زمان البلوغ فان الزكوة واجبة على الصبي فيودي ما علم بغالب
الظن انه في ذمته وان اداها لا على وجه يوافق مذهبه بان لم يصرف الى الاصناف الثمانية او اخرج البدل وهو على
مذهب الشافعي فيقضي جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه اصلا وحساب الزكوة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج الى تامل شاف وعليه
ان يسال الكيفية في الخروج عنه من العلماء وأما الحج فان كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له الخروج والان قد افلس
فعليه الخروج فان لم يقدر مع الافلاس فعليه ان يكتسب من الحلال قدر الزاد فان لم يكن له كسب ولا مال فعليه ان يسال الناس
ليصرف اليه من الزكوات والصدقات ما يحج به فانه ان مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شا
يهوديا وان شاء نصرانيا والعجز الطاري بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها وأما
المعاصي فينبغي ان يفتش من اول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه وفرجه ويده ورجله وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه
وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغايرها وكبايرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله
من حيث لا يتعلق بمظالم العباد كنظر الى غير محرم و[illegible] مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة
وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها وبان يحسب مقدارها من
حيث الكبر ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فياتي من الحسنات بمقدار تلك السيات اخذا من قوله صلى الله
عليه اتق الله حيث كنت واتبع السية الحسنة تمحها بل من قوله ان الحسنات يذهبن السيات فيكفر سماع الملاهي بسماع القران
ومجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف
وكثرة قراة القران منه وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو اطيب واحب
اليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما المقصود سلوك الطريق المضادة فان المرض يعالج بضده وكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية
فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان يمحو كل سية بحسنة من
جنسها لكن تضادها فان البياض يضاد بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو
والرجا فيه اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك ايضا موثرا في المحو فهذا حكم ما
بينه وبين الله ويدل على ان الشي يكفر بضده ان حب الدنيا راس كل خطية واثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والالف لها
والحنين اليها فلا جرم كان كل اذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم والغموم
عن دار الهموم قال صلى الله عليه من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ اخر الا الهم بطلب المعيشة وفي
حديث عايشة اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له اعمال تكفرها ادخل الله عليه الغموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال
ان الغم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع
قلت هم الانسان غالبا بماله وولده وجاهه فكيف يكون كفارة فاعلم ان الحب له خطية والحرمان عنه
كفارة ولو تمتع به لتمت الخطية فقد روي ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكئيب
فقال قد حزن عليك حزن ماية ثكلى قال فما له عند الله قال اجر ماية شهيد فاذا الهموم ايضا مكفرات حقوق الله
فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى وأما مظالم العباد ففيها ايضا معصية وجناية على حق الله تعالى فان الله نهى عن
ظلم العباد ايضا فما يتعلق بحق الله تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والاتيان بالحسنات التي هي اضداد

فيقابل ايذاه الناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب اموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويكفر تناوله اعراضهم بالغيبة والقدح
بالثنا على اهل الدين واظهار ما يعرف من خصال الخير من اقرانه وامثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك
احيا اذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده فالاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد
وبهذا تعرف ان ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق رقبة ثم اذا
فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد اما في النفوس او الاموال او الاعراض او القلوب
اعني به الايذا المحض اما النفوس فان جرى عليه قتل خطا فتوبته بتسليم الدية ووصولها الى المستحق اما منه او من عاقلته
وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وان كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه ان يتعرف عند ولي الدم
ويحكمه في روحه فان شا عفى عنه وان شا قتله ولا تسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفا وليس هذا كما لو زنا او شرب
او سرق او قطع الطريق او باشر ما يجب فيه حد الله تعالى فانه لا يلزمه في التوبة ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس
من الوالي استيفا حق الله بل عليه ان يستتر بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو
في محض حقوق الله قريب من التايبين النادمين فان رفع الامر الى الوالي حتى اقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته
صحيحة مقبولة عند الله بدليل ان ماعز بن مالك اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد ظلمت
نفسي وزنيت فرده الثانية فلما كان في الرابعة حفر له حفرة ثم امر به فرجم وكان الناس فيه فرقتين فقايل يقول لقد هلك
لقد احاطت به خطيته وقايل ما توبة افضل من توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت
بين امة لوسعتهم وجات الغامدية فقالت يا رسول الله اني زنيت فطهرني وانه ردها فلما كان الغد قالت
يا رسول الله لم تردني تريد ان تردني كما رددت ماعزا فوالله اني لحبلى فقال اما الان فاذهبي حتى تلدين فلما ولدت
اتت بالصبي في خرقة فقالت هذا قد ولدته قال اذهبي فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته اتته بالصبي وفي يده كسرة خبز قالت
هذا يا نبي الله قد فطمته وقد اكل الطعام فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ثم امر بها فحفر لها الى صدرها ثم امر الناس فرجموها
فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى راسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه اياها فقال
مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت وأما
القصاص وحد القذف فلا بد من تحكيم المستحق فيه وان كان المتناول مالا تناوله بغصب او خيانة او غبن في معاملة
بنوع تلبيس كترويج زيف او ستر عيب من المبيع او نقص اجرة اجير او منع اجرته فكل ذلك يجب ان يفتش عنه لا من حد
بلوغه بل من مدة وجوده فان ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولي قد قصر فيه فان لم
يفعل كان ظالما مطالبا به اذ تساوى في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والذرات من اول
يوم توبته قبل ان يحاسب في القيمة وليناقش قبل ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الاخرة حسابه واذا
حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد يمكن فليكتبه وليكتب اسامي اصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف
في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم وليود حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون
على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق
الا ان يستكثر من الحسنات حتى تفيض منه يوم القيمة فتوخذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم وليكن كثرة حسناته
بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها حسناته حمل من سيات ارباب المظالم فيهلك بسيات غيره فهذا طريق كل تايب
في رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحساب لو طال العمر بحسب مدة المظالم فكيف وذلك مما لا يعرف
وربما يكون الاجل قريبا فينبغي ان يكون تشمره للحسنات والوقت ضيق اشد من تشمره الذي كان في المعاصي في متسع
الاوقات هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته اما الاموال الحاضرة فليرد الى المالك ما يعرف له مالكا معينا
وما لا يعرف له مالكا معينا فعليه ان يتصدق به فان اختلط الحرام بالحلال عرف قدر الحرام بالاجتهاد وتصدق
بذلك المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام وأما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم او
يعيبهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه او اذى قلبه بفعل من افعاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن
مات او غاب فقد فات امره ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات ليوخذ عوضا في القيامة وأما من وجده واحله

بطيبة قلب منه وذلك كفارته وعليه ان يعرفه قدر جنايته ويعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه
لم تطب نفسه بالاحلال فادخر ذلك في القيامة ذخيرة يأخذ من حسناته او يحمله من سيئاته فان كان في جملة جنايته على الغير
ما لو عرفه وذكر لتأذى بمعرفته كزناه بجاريته او اهله او نسبته باللسان الى عيب من خفايا عيوبه يعظم اذاه مهما شوفه به فقد
انسد عليه طريق الاستحلال فليس له الا ان يستحل منها ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر به مظلمة الميت والغائب
فاما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفه المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاحلال بقيت
المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف به ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه
فان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان
ابى الا الاصرار فيكون تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في القيامة جنايته وليكن قدر سعيه
في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في ايذائه حتى اذا قاوم احدهما الاخر او زاد عليه اخذ ذلك عوضا منه
في القيامة بحكم الله عليه لمن الحق في الدنيا ما الالجاء بمثله فامتنع من له عن القبول او عن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض عنه
شاء ام ابى فكذلك يحكم الله في صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين وفي المتفق عليه من الصحيحين عن ابي سعيد
الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن اعلم اهل الارض فدل
على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن اعلم اهل الارض
فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان
بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا انتصف الطريق اتاه الموت
فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب
انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا
فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة • وفي رواية اخرى فكان الى القرية الصالحة اقرب منها بشبر
فجعل من اهلها • وفي رواية فاوحى الله الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى
هذه اقرب بشبر فغفر له فبهذا تعرف انه لا خلاص الا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال فلا بد للتائب من تكثير
الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي فاما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان يعقد مع الله عقدا مؤكدا ويعاهده
عهدا وثيقا ان لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جزما
انه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتأكد في الحال وان كان يتصور ان تغلبه الشهوة في ثاني الحال
ولكن لا يكون تائبا ما لم يتأكد عزمه ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول امره الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم
واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان
راس المعاصي اكل الحرام فكيف يكون تائبا مع الاصرار عليه ولا يكتفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات
في الماكولات والملبوسات وقال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها وقال
اخر من تاب من ذنب واستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه ابدا • ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب
عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب
عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والغصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس
ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا تصح ان عنيت
به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فما اعظم خطاك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة
العقاب وقلتها سبب لقلته ونقول لمن قال تصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة
او الفوز فهذا ايضا خطا بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله وان قال
من ذهب الى انه لا تصح اني اردت ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها
سرقة ويستحيل ان يندم عليها دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل
ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لان توجعه بفوات محبوبه سواء كان بالسيف او بالسكين فكذلك توجع العبد

بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة او بالزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالة يوجبها العلم
بكون المعصية مفوتا للمحبوب من حيث انها معصية فلا يتصور ان يكون على بعض المعاصي دون بعض ولو جاز هذا لجاز
ان يتوب عن شرب الخمر من احد الدنين دون الاخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحدة وانما الدنان
ظروف فكذلك اعيان المعاصي الات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الامر واحدة فاذن معنى عدم الصحة ان الله
وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لا تنال بالندم ولا يتصور الندم على بعض المماثلات فهو كالملك المرتب على الايجاب والقبول
فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول يقال ان العقد لا يصح اي لا تترتب عليه الثمرة وهو الملك وتحقيق هذا بان ثمرة مجرد
الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور
الندم الا لكونه معصية وذلك يعم جميع المعاصي وهذا كلام مفهوم واقع يستنطق المنصف بتفصيله ينكشف الغطاء
فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو اما ان تكون عن الكبائر دون الصغائر او عن الصغائر دون الكبائر او
عن كبيرة دون كبيرة • واما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن لانه يعلم ان الكبائر اعظم عند الله واجلب لسخط
الله ومقته والصغائر اقرب الى تطرق العفو اليها فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويتندم عليه كالذي يجني على اهل
الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون خائفا من الجناية على الاهل مستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب استعظام
الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار ولم يكن احد منهم
معصوما فلا يستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا اخف
على وجه يشعر معه بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده
وان اكلهما جميعا بحكم شهوته ويندم على اكل العسل دون السكر الثاني ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض فهذا ايضا
ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه
بان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله تعالى يتسارع العفو اليه فهذا ايضا ممكن كما في تفاوت الصغائر والكبائر
لان الكبائر ايضا متفاوتة في انفسها وفي اعتقاد مرتكبها ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد كما
يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو
لا يدري فيحسب ترجح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل وندما على الماضي الثالث
ان يكون عن صغيرة او صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة او عن النظر الى غير المحرم
وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهو ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف على معاصيه
ونادم على فعله ندما اما ضعيفا واما قويا ولكن تكون لذة نفسه في تلك المعصية اقوى من الم قلبه في الخوف منها
لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون
مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه فان سلم من شهوة اقوى منه بان لم يعارضه الا ما هو اضعف منه قهر الخوف الشهوة وغلبها
واوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه وتكون له ضراوة ما بالغيبة
وثلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فتوجب غلبة
جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق في نفسه ان غلبني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض
المعاصي فلا ينبغي ان اخلع العذار وارخي العنان بالكلية بل اجاهده في بعض المعاصي فعساني اغلبه فيكون قهري له في
البعض كفارة لبعض ذنوبي ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق ان يصلي ويصوم ولقيل له ان كانت صلاتك لغير الله فلا
تصح وان كانت لله فاترك الفسق لله فان امر الله فيه واحد فلا يتصور ان تقصد بصلاتك التقرب الى الله ما لم تتقرب بترك
الفسق وهذا محال بل يقول لله علي امران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان وانا مليء في احدهما بقهر الشيطان عاجز عنه
في الاخر وانا اقهره فيما اقدر عليه وارجو بمجاهدتي فيه ان يكفر عني ما عجزت عنه بفرط شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو
حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعته ومعصيته ولا سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف
للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجوده والخوف اذا كان من فعل ماض اورث الندم والندم ورث العزم وقد قال
صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب

من الذنوب كلها وبهذه المعاني يتبين ان التوبة عن بعض الذنبين غير ممكن لانهما متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض لسخط الله نعم يجوز ان يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة المعصية تاثيرا في كثرة العقوبة ويساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله كالطبيب الذي يحذر المريض الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه لا يمكن ان يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد وان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي عليه اما في شدة المعصية واما في غلبة الشهوة فاذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم فتصور اختلاف حاله في الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد اطاع الله في جميع الاوامر والنواهي فان قلت فهل يصح توبة العنين من الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة قلت لا لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد عدم بنفسه لا بتركه اياه ولكني اقول لو طرا عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم لو كان شهوة الوقاع باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فاني ارجو ان يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته اذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيبه كان من التائبين وان لم تطرا عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر اسباب القضاء للشهوة ولكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا اوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذا لا يستحيل ان يبلغ قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا على تركه بادنى خوف والله مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله والحقيقة في هذا ترجع الى ان ظلمة المعصية تمحى عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم والاخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى الندم بحيث يقوى على محوه دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا ان التوبة لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه اصلا فان قلت اذا فرضنا تائبين احدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب والاخر بقي في نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها ويمنعها فايهما افضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال احمد بن ابي الحواري واصحاب ابي سليمان الداراني ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك الاخر افضل لانه لو فتر في توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه ان الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان احدهما ان يكون انقطاع نزوعه اليه بفتور في نفس الشهوات فقط فالمجاهد افضل من هذا اذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين واعني بقوة الدين قوة الارادة التي تنبعث باشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهاتان قوتان يدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القائل ان هذا اسلم اذ لو فتر لا يعود الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطا وهو كقول القائل العنين افضل لانه في امن من خطر الشهوات والصبي افضل من البالغ لانه اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر القامع لاعدائه لان المفلس لا عدو له والملك ربما يغلب مرة وان غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بان العز في الاخطار وان العلو شرطه اقتحام الاغرار بل هو كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس وكلب افضل في صناعة الاصطياد واعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه امن من ان يجمح به فرسه فينكسر اعضاؤه عند السقوط على الارض وامن من ان يعضه الكلب ويتعدى عليه وهذا خطا بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطريق تاديبهما على رتبة اخرى تدارك سعادة الصيد

الحالة الثانية ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة اذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تادبت بادب الشرع فلا تهيج الا باشارة الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها فهذا اعلى رتبة من المجاهد المقاسي هيجان الشهوة وقمعها وقول القائل ان لذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع شر العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة فانت بعد في طلب الظفر ومثاله مثال من قهر العدو واسترقه الا الى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله ايضا من علم كلب الصيد وراض الفرس

فهما بين يديه بعد تركه الكلب الضاري والفرس الجماح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاسات التاديب بعد وقد زل في هذا فريق وظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق وظن اخرون ان قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فعجز عنه فقال هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس في ربع المهلكات فان قلت فما قولك في تائبين احدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والاخر جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه فايهما افضل فاعلم ان هذا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك وقال اخر حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة الى حالين وكلام المتصوفة ابدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد ان يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فيختلف الاجوبة لاختلاف الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى درجة العلم فان معرفة الاشياء على ما هي عليها افضل واعلى ولكنه كمال بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه امر غيره اذ طريقه الى الله نفسه ومنازلة احواله وقد يكون طريق العبد الى الله العلم والتعليم فالطرق الى الله كثيرة وان كانت مختلفة في القرب والبعد والله اعلم بمن هو اهدى سبيلا مع الاشتراك في اصل الهداية فاقول حضور الذنب وذكره والتفجع عليه كمال في حق المبتدئ المريد الا انه اذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق وان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف والوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي ان لا يعرج على غير السلوك فان ظهر له مبادي الوصول وانكشف له انوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات الى ما سبق من احواله وهو الكمال بل لو عاق عن الطريق الى بلد من البلاد نهر حاجز تعب المسافر في عبوره من حيث انه كان قد خرب جسره من قبل فجلس على شاطئ النهر بعد عبوره يبكي متاسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا اخر اشتغل به بعد الفراغ عن ذلك المانع نعم ان لم يكن من الوقت وقت الرحيل بان كان ليلا فيتعذر السلوك وكان على طريقه انهار وهو يخاف على نفسه ان يخربها فطول بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتاكد بطول الحزن حزمه على ان لا يعود الى مثله فان حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه انه لا يعود الى مثله فيكون الطريق اولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه الا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك وقد اشرنا الى عجائب منه في ربع العبادات وفي ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة ان يكون كثير الفكر في النعيم في الاخرة ليزيد رغبته ولكن ان كان شابا فلا ينبغي ان يطيل فكره في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالاجلة بل ينبغي ان يتفكر في لذة النظر الى وجه الله فقط فذلك لا نظير له في الدنيا وكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدئ ايضا قد يستضر به فيكون النسيان افضل له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى من بكاء داود ونياحته فان قياسك نفسك على الانبياء قياس في غاية الاعوجاج لانهم قد ينزلون في اقوالهم وافعالهم الى الدرجات اللائقة بامتهم فانهم ما بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبس بما ينتفع امتهم بمشاهدته وان كان نازلا عن ذروة مقامهم فقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريد بنوع رياضة الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتادب النفس ولكن تسهيلا للامر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه اما اني لا انسى ولكني انسى لاشرع ولا تعجب من هذا فان الامم في جنب شفقة الانبياء كالصبيان في كنف شفقة الاباء وكالمواشي في كنف الرعاة اما ترى الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصبي كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه للحسن كخ كخ لما اخذ تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن ان يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه اذ علم انه لا يفهم منطقه ترك فصاحته ونزل الى لكنته بل الذي يعلم شاة او طيرا بصوت رغاء وصفير تشبها بالبهيمة والطير تلطفا في تعليمه فاياك ان تغفل عن امثال هذه الدقائق فانها مزلة اقدام العارفين فضلا عن الغافلين

بيان اقسام العباد في دوام التوبة

اعلم ان طبقات التائبين اربع طبقات الطبقة الاولى ان يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الى اخر عمره فيتدارك ما فرط من امره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة في التوبة وصاحبه هو السابق الى الخيرات

المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا وفيه اشارة الى انهم كانوا تحت اوزار وضعها الذكر عنهم واهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع الى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صرفها والى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه ملي بمجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع ايضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الانواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف قريب من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا اعلى وافضل اذ كل سيئة يمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي عشر مراتب مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى ومن اراد هذا بعيد لمن كان لا ينكر عظم اثره لو وقع ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف ان يسلك هذا الطريق بتهييج الشهوة وعرض الاسباب حتى يتمكن من يطمع في الانكفاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من ابتداء اسبابه الميسرة له حتى يسد طريقها على نفسه ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فيه تسلم توبته في الابتداء **الطبقة الثانية** تائب سلك طريق الاستقامة في امهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه كلما اقدم عليها لام نفسه وندم وتاسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابها التي تعرضه لها وهذه النفس جدير بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الاحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمير راي وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب احوال التائبين لان الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فاما ان تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل المام يقع بصغيرة لا عن توطين نفس عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم ولومهم انفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه علي رضي الله عنه خياركم كل مفتن تواب ● وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة يفيء احيانا ويميل احيانا ● وفي الخبر لا بد للمؤمن من ذنب ياتيه الفينة بعد الفينة اي الحين بعد الحين وكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة مرة بعد اخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفة قال صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون ● وقال ايضا المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه اي واه بالذنوب راقع بالتوبة والندم ● وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة فما وصفهم بعدم من السيئة اصلا **الطبقة الثالثة** ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهره هذه الشهوة الواحدة او شهوتان وهو يود لو اقدره الله تعالى على قمعهما وكفاه شرهما هذا امنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم افعله وساتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس تسمى المسولة وصاحبها من الذين قال الله فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما يتعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتاخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشيئة فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فضعف الرجاء في حقه واذا تيسر له اسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق له في الازل ان يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تدبير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط حصول الفقه النفس التي يستحق بها المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس وكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم

بالعلم الا نفس صارت فقيهة بطول التفقه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا لقرب رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التذكرة و التطهير هكذا سبق في الازل بتدبير رب العالمين رب الارباب ولذلك قال ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ومهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من اهلها ولا يبقى بينه وبينها الا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها فاذا الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس فهو بصدد ان يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والا وقع المحذور ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر **الطبقة الرابعة** ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب او الذنوب من غير ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان يتاسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة وامره في مشيئة الله تعالى فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفي لا يطلع عليه وكما لا يستحيل ان يدخل الانسان خربا ليجد كنزا فيتفق ان يجده ولا ان يجلس في البيت ليجعله الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان الانبياء صلوات الله عليهم فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة ولست من اجتهد تعلم ولست من اتجر استغنى ولست من صلى وصام غفر له فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون محرومون الا العاملون والعاملون محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وكما ان من خرب بيته وضيع امواله وترك نفسه وعياله جائعين يزعم انه ينتظر فضل الله بان يرزقه كنزا يجده تحت الارض في بيته الخرب يعد عند ذوي البصائر من الحمقى والمغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله وهو مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة معدود عند ارباب القلوب من المعتوهين والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته في صيغة حسنة اذ يقول ان الله كريم وجنته ليست تضيق على مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم الاوعار في طلب الدنيا واذا قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول ما هذا الهوس السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره رب الارباب واجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور ان رب الآخرة ورب الدنيا واحد وسنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد اخبر اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى فكيف يعتقد انه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا فكيف يقول ليس من مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن الملك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد وهذا يمنعه مع شدة الاجتهاد في غالب الامر فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا الا انتكاس على ام الراس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحبه جدير بان يكون داخلا تحت قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي ابصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب وحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب السائق بالضرورة الى سوء المنقلب في المآب

بيان ما ينبغي ان يبادر اليه التائب

ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة او عن المام بحكم الاتفاق ● اعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده النفس على العزم وعلى الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا والحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق باسبابها فاما بالقلب فليكفره بالتضرع الى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على سائر العباد وكذلك يضمر في قلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات ● واما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما اوردناه في كتاب الدعوات والاذكار ● واما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وانواع العبادات ● وفي الآثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو مرجوا اربعة من اعمال القلوب وهو التوبة والعزم على التوبة وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح وهو

ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة
ثم يصوم يوما ● وفي بعض الآثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين ● وفي بعض الاخبار يصلي اربع ركعات وفي الخبر
اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة
الجهر تكفر ذنوب النهار ● وفي الخبر الصحيح ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني عالجت امرأة فاصبت منها كل شيء الا
المسيس فاقض علي بحكم الله فقال صلى الله عليه اما صليت معنا صلاة الغداة فقال نعم فقال ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا
يدل على ان ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله الصلوات الخمس كفارات لما بينهن
الا الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات **فان قلت**
فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار ● وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات
الله وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله ● وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة
العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار فاعلم انه قد ورد في فضل الاستغفار اخبار خارجة عن الحصر ذكرناها
في كتاب الاذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول فقال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون وكان بعض العلماء يقول كان لنا امانان ذهب احدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار
فان ذهب هلكنا **فنقول** الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير ان يكون للقلب فيه
شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن راس الغفلة استغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير ان يتأثر
به قلبه وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله وابتهاله في سؤال
المغفرة عن صدق ارادة وخلوص رغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح لان تدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة
في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار
بالقلب وللتوبة والاستغفار درجات واوائلها لا تخلو عن الفائدة وان لم تنته الى اواخرها ولذلك قال
سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع اليه في كل شيء فان عصى قال يا رب استر علي فاذا فرغ من
المعصية قال يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل قال تقبل مني ● وسئل ايضا عن الاستغفار الذي يكفر
الذنوب فقال اول الاستغفار الاجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة
اقباله على الله بان يترك الخلق ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده
ماواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر
وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله
تعالى اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش ● وسئل ايضا عن قوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله
فقال انما يكون حبيبا اذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله التائبون العابدون الآية ● وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيه ما
يكره حبيبه والمقصود ان للتوبة ثمرتين احداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير
حبيبا وللتكفير ايضا درجات فبعضها محو لاصل الذنب بالكلية وبعضها تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة
فاما الاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلا عن حل عقدة الاصرار من اوائل الدرجات وليس يخلو عن الفائدة
اصلا فلا ينبغي ان تظن ان وجودهما كعدمهما بل عرف اهل المشاهدة وارباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان قول الله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صدق وانه لا يخلو ذرة من الخير عن اثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن اثر ولو خلت الشعيرة
الاولى عن اثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح الميزان باحمال الذرة وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يترجح بذرات
الخيرات الى ان تثقل فتشيل كفة السيئات فاياك وان تستصغر ذرات الطاعات فلا تاتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كالمرأة
الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد وتقول اي غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب
وما تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذا
التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله اصلا بل **اقول** الاستغفار باللسان ايضا حسنة
وحركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم او فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه

فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما يكون نقصانا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي
ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي غافل فقال اشكر الله تعالى اذ استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده
الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول وما ذكره حق فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من
المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعود فقال استغفر الله ومن تعود الفضول
سبق لسانه الى ان يقول ما احمقك وما اقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور مبادي الشر من شرير قال بحكم
سبق اللسان نعوذ بالله واذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصي في احدى الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته اثر اعتياد لسانه
الخير وهو من جملة معاني قوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين ومعنى قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها فانظر كيف ضاعفها
اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة للسان حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف
في الدنيا لادنى الطاعات وتضعيف الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون فاياك ان تلمح في الطاعات مجرد الآفات فيفتر رغبتك في
العبادات فان هذه مكيدة روجها الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل اليهم انهم ارباب البصائر واهل الفطن لخفايا الرياء
فاي خير في ذكر باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة الى ثلاثة اقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق ● اما
السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق اردت بها باطلا فلا جرم اعذبك مرتين وارغم انفك من وجهين فاضيف الى
حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه ● واما الظالم المغرور فاستشعر في نفسه
خيلاء الفطنة بهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فاسعف الشيطان وتدلى بحبل
غروره فتمت بينهما الموافقة والمشاكلة كما قيل وافق شن طبقه وافقه فاعتنقه واما المقتصد فلم يقدر على ارغامه
باشراك القلب في العمل وفطن لنقصان حركة اللسان بالاضافة ولكن اهتدى الى كمالها بالاضافة الى السكوت والفضول فاستمر
عليه وسأل الله ان يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك ذمت حياكته فتركها فاصبح كاتبا والظالم
المتخلف كالذي ترك الحياكة واصبح كناسا والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال لا انكر مذمة الحياكة ولكن الحائك مذموم
بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكناس واذا عجزت عن الكتابة فلا اترك الحياكة ولذلك قالت رابعة العدوية استغفارنا
يحتاج الى استغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان ايضا احتاج الى استغفارين لا الى
استغفار واحد فهكذا ينبغي ان تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد والا جهلت معنى ما قال القائل الصادق حسنات الابرار
سيئات المقربين فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة بل ينبغي ان لا تستحقر ذرات الطاعات
والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق ان الله تعالى خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه وغضبه
في معاصيه فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه ● وخبأ ولايته في عباده فلا تحقروا منهم احدا فلعله ولي الله **الركن
الرابع في دواء التوبة وطريق علاج حل الاصرار** اعلم ان الناس قسمان شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو
الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من شاب ليست له صبوة وهذا عزيز نادر **القسم الثاني** وهو
الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون الى مصرين والى تائبين وغرضنا ان نبين العلاج في حل عقدة الاصرار ونذكر
الدواء فيه فاعلم ان شفاء التوبة لا يحصل الا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء اذ لا معنى للدواء الا مناقضة
اسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله ولا يبطل الشيء الا بضده ولا سبب للاصرار الا
الا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة الا العلم ولا يضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة
رأس الخطايا قال تعالى اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون فلا دواء اذا للتوبة الا معجون يعجن من حلاوة
العلم ومرارة الصبر وكما يجمع في السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما
فيقمع الاسباب الهيجة للصفراء فهكذا ينبغي ان تفهم علاج القلب عما به من مرض الاصرار فاذن لهذا الدواء اصلان احدهما العلم
والآخر الصبر ولا بد من بيانهما **فان قلت** اينفع كل علم لحل الاصرار ام لا بد من علم مخصوص فاعلم ان العلوم كلها
ادوية لامراض القلوب ولكن لكل علم مرض يخصه كما ان علم الطب نافع في علاج الامراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص
فكذلك داء الاصرار فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الابدان ليكون اقرب الى الافهام **فنقول** المريض يحتاج الى
تصديق بامور **الاول** ان يصدق على الجملة ان للمرض والصحة اسبابا يتوصل اليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الاسباب

وهذا هو الايمان باصل الطب فان من لا يومن به لا يستغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الايمان باصل الشرع
وهو ان للسعادة في الاخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا وهو المعصية وهو الايمان باصل الشرايع وهذا لا بد من حصوله
اما عن تحقيق او تقليد وكلاهما من جملة الايمان **الثاني** انه لا بد وان يعتقد المريض في طبيب معين انه عالم بالطب حاذق
فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه مما نحن فيه العلم
بصدق الرسول صلى الله عليه والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلاف **الثالث** لا بد وان يصغي الى
الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه واسباب المضرة على الجملة حتى غلب عليه الخوف في ترك الاحتما فكون شدة الخوف باعثا
له على الاحتما ووزانه من الدين الاصغا الى الايات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب
واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى الى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف القوي على الصبر الذي
هو الركن الاخر في العلاج **الرابع** ان يصغي الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه نفسه الاحتما عنه ليعرفه اولا
تفصيل ما يضره من احواله وافعاله وما كوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتما عن كل شي ولا ينفعه كل دوا بل لكل علة
خاصة علم خاص ووزانه من الدين ان كل عبد ليس يبتلي بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مومن ذنب مخصوص او ذنوب
مخصوصة وانما حاجته في الحال من هذه الى العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بافاتها وقدر ضررها في الدين ثم الى القيام
بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذا معلوم يختص بها اطبا الدين وهم العلما ورثة الانبيا
فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم فان كان لا يدري ما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه
ذلك بان يتكفل كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد فيعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم
ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسال عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الانبيا والانبيا ما تركوا الناس
على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على ابواب دورهم في الابتدا ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب
لا يعرفون مرضهم كما ان الذي يظهر على وجهه برص ولا مراة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلما كافة وعلى
السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وكل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة
اليهم في الاصل والفرع فالدنيا دار المرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم ومرضى القلوب اكثر من مرضى
الابدان والعلما اطبا والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف شره كما
كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن سائر الناس وانما
صار مرض القلوب اكثر من مرض الابدان لثلاث علل **احدها** ان المريض به لا يدري انه مريض **والثاني** ان عاقبته غير مشاهدة
في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه وما بعد الموت غير مشاهد فيغلب الفرح عن الذنوب
وان علمها مرتكبها ولذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال **والثالث** هو الدا
العضال فقد الطبيب فان الاطبا هم العلما وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم
الارض حتى لا يظهر نقصانهم واضطروا الى اغوا الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الدا المهلك هو حب الدنيا وقد غلب
هذا الدا على الاطبا فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تامرون بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا
السبب عم الدا وعظم الوبا وانقطع الدوا وهلك الخلق لفقد الاطبا بل اشتغل الاطبا بفنون الاغوا فليتهم اذ لم ينصحوا
لم يغشوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون
الى ذلك الا بالارجا وتغليب اسباب الرجا وذكر دلايل الرحمة لان ذلك الذ في الاسماع واخف على الطباع فينصرف الخلق عن
مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب جاهلا او خاينا اهلك بالدوا
حيث يضعه في غير موضعه فالرجا والخوف دوا ان ولكن لشخصين متضادين العلة اما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر
الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا تطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فليس صورة اسرافه في الخوف بذكر اسباب الرجا
ليعود الى الاعتدال وكذا المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط والياس استعظاما لما الذنوب التي
سبقت يعالج ايضا باسباب الرجا حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي بذكر
اسباب الرجا ايضا فهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفا وذلك من دأب الجهال والاغبيا فاذا افساد الاطبا هي المعضلة

الرجا التي ليست تعقل الدوا اصلا **فان قلت** فاذكر الطريق الذي ينبغي ان يسلكه الواعظ في وعظه مع الخلق
فاعلم ان ذلك يطول ولا يمكن استقصاوه نعم نشير الى الانواع النافعة في حل عقد الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب
وهي اربعة انواع **النوع الاول** ان يذكر ما في القران من الايات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد من الاخبار
والاثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات
يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الاخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الاخر يا ليتهم اذ لم يعلموا
لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفي بعض الروايات تجالسوا فتذاكروا ما علموا فيقول الاخر يا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما
عملوا وقال بعض السلف اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو امير عليه ان يرفع القلم عنه ست
ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها وقال بعض السلف ما من عبد يعصي الا استاذن مكانه من
الارض ان يخسف به واستاذن سقفه من السما ان يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للارض والسما كفا عن عبدي
وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب الي فاغفر له لعله يستبدل صالحا فابدله حسنات فذلك معنى
قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولين زالتا ان امسكهما من احد من بعده وفي حديث عمر الطابع معلق
بقايمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم ارسل الله الطابع فطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب
مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو القفل وقال
ان بين العبد وبين الله حدا في المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها للخير والاخبار والاثار
في ذم المعاصي ومدح التايبين لا تحصى فينبغي ان يستكثر الواعظ منها ان كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ما خلف
دينارا ولا درهما انما خلف العلم والحكمة واورثه كل عالم بقدر ما اصابه **النوع الثاني** حكايات الانبيا
والسلف وما جرى عليهم من المصايب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل احوال ادم في
عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى روي انه لما اكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته واستحيا التاج
والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه فجاه جبريل فاخذ التاج عن راسه واخذ الاكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش اهبطا
من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت ادم الى حوا باكيا وقال هذا اول شوم المعصية اخرجنا من جوار الحبيب
وروي ان سليمان صلى الله عليه لما عوقب على خطيته لاجل التمثال الذي عبد في داره اربعين يوما وقيل ان المراة سالته
ان يحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل احب ان يكون الحكم لابيها على خصمه لمكانها فسلب ملكه اربعين يوما فهرب
تايها على وجهه وكان يسال بكفه فلا يطعم فاذا قال اطعموني فاني سليمان بن داود شج وضرب **وحكي** انه استطعم
من بيت لامراة فطردته وبصقت في وجهه وفي رواية اخرى عجوز جاءت فبالت على راسه الى ان اخرج له الخاتم
من بطن الحوت فلبسه بعد انقضا الاربعين ايام العقوبة قال فجات الطيور فعكفت على راسه وجات الجن والشياطين والوحوش
فاجتمعت حوله واعتذر اليه بعض من كان جفا عليه فقال لا الومكم فيما فعلتم من قبل ولا احمدكم في عذركم الان ان هذا امر كان
من السما ولا بد منه وروي في الاسراييليات ان رجلا تزوج امراة من بلد وارسل عبده ليحملها اليه فراودته نفسه وطالبته
بان يجامعها وهاودها واستعصم قال فنباه الله بتركه تقواه فكان نبيا في بني اسراييل وفي قصص موسى انه قال للخضر عليهما السلام بم اطلعك
الله على علم الغيب قال بترك المعاصي لاجل الله وروي ان سليمان كانت الريح تسير به فنظر الى قميصه نظرة وكان عليه
قميص جديد فكانه اعجبه فوضعته الريح فقال لم فعلت ولم امرك قالت انما نطيعك اذا اطعت الله وروي ان الله تعالى
اوحى الى يعقوب اتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته اخاف ان ياكله الذيب لم خفت عليه
الذيب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي وكذلك لما قال يوسف اذكرني عند ربك فانساه الشيطان
ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وامثال هذه الحكايات ولم يرد بها القران والاخبار ورود الاسمار بل الغرض بها الاعتبار
والاستبصار لتعلم ان الانبيا لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم نعم كانت سعادتهم في ان عوجلوا
بالعقوبة ولم يوخر الى الاخرة والاشقيا يمهلون ليزدادوا اثما ولان عذاب الاخرة اشد واكبر فهذا ايضا مما ينبغي ان
يكثر جنسه على اسماع المصرين **النوع الثالث** ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب وان كل ما
يصيب العبد من المصايب فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في امر الاخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا اكثر لفرط

جملة فمعنى ان يعرف به فان الذنوب كلها تعجل في الدنيا شومها في غالب الامر كما حكي في قصة داود وسليمان حتى قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنبه وقد تسقط منزلته عن القلوب ويستولي عليها اعداؤه قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقال ابن مسعود اني لاحسب ان العبد ليحرم الرزق ينسى العلم بالذنب يصيبه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا • وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال انما اللعنة ان لا تخرج من ذنب الا وقعت في مثله او شر منه وهو كما قال لان اللعنة هي الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد ابعد والحرمان من رزق التوفيق اعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب اخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة العلماء المنكرين للذنوب وعن مجالسة الصالحين بل يمقته الصالحون وحكي عن بعض العارفين انه كان يمشي في الوحل جامعا ثيابه محترزا حتى زلقت رجله فسقط فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويبكي ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنبين فعندها يخوض في الذنوب خوضا وهذا اشارة الى ان الذنب يتعجل عقوبته بالانجرار الى ذنب اخر ولذلك قال الفضيل ما انكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك اورثتك ذلك • وقال بعضهم اني لاعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري • وقال اخر اعرف العقوبة حتى في فار بيتي وقال بعض صوفية الشام نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت انظر اليه فمر بي ابن الجلاء الدمشقي فاخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي فقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة • وقال ابو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا يفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب يذنبه • وفي الخبر ما انكرتم من زمانكم فبما غيرتم من اعمالكم • وفي الخبر يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا اثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وحكي عن ابي عمرو بن علوان في قصة تطول قال فيها قلت قائما اصلي ذات يوم فخامر قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت الى الارض واسود جسدي كله فاستترت في البيت فلم اخرج ثلاثة ايام وكنت اعالج غسله في الحمام بالصابون فلا يزيد الا سوادا حتى انكشف بعد ثلاث فلقيت الجنيد وكان قد وجه الي فاشخصني من الرقة فلما اتيته قال لي اما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك فاخرجتك من بين يدي الله فلولا اني دعوت الله لك وتبت اليه عنك للقيت الله تعالى بذلك اللون قال فعجبت كيف علم ذلك وهو ببغداد وانا بالرقة واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد على ظاهره لينزجر وان كان شقيا اخفي عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره من شوم الذنب في الدنيا على الجملة ان يكتسب ما بعده صفة فان ابتلي بشيء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف عقابه فان اصابته نعمة كان استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يتضاعف شقاؤه • واما المطيع فمن بركة طاعته ان تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته وتوفيقا لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته

النوع الرابع ذكر ما ورد من العقوبات على احاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله وضع الدواء في غير موضعه بل ينبغي ان يكون العالم كالطبيب الحاذق يستدل اولا بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها وليستدل بقرائن الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقع عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد اوصني ولا تكثر علي فقال لا تغضب وقال له اخر اوصني فقال عليك باليأس مما في ايدي الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع واياك وما يعتذر منه • وقال رجل لمحمد بن واسع اوصني فقال اوصيك ان تكون ملكا في الدنيا والاخرة قال كيف لي بذلك قال ازهد في الدنيا وكانه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الاول مخايل الغضب فنهاه عنه وفي السائل الاخر مخايل الطمع في الناس وطول الامل • وتخيل محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا • وقال رجل لمعاذ اوصني فقال كن رحيما اكن لك بالجنة زعيما وكانه تفرس فيه اثار الفظاظة والغلظة • وقال رجل لابراهيم بن ادهم اوصني فقال اياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي النسناس وما اراهم بالناس بل غمسوا ان ما الناس وكانه تفرس فيه افة المخالطة ولخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته وكان الغالب اذ ذاك الناس والكلام على قدر حال السائل اولى من ان يكون بحسب حال القائل • وكتب معوية الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي الي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت عائشة الى معاوية سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام عليك فانظر الى فقهها كيف تعرضت للافة التي يكون الولاة بصددها وهي مراعاة

الناس وطلب مرضاتهم وكتبت مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام فاذا على كل ناصح ان يكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات الخفية وتوسم الاحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم وان حكاية جميع المواعظ مع كل واحد غير ممكن والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عنه وعظ فيه تضييع زمان **فان قلت** فان كان الواعظ يتكلم في جمع او سأله من لا يدري باطن حاله فكيف يعظه فاعلم ان طريقه في ذلك ان يعظه بما يشترك فيه كافة الخلق في الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان في علوم الشرع اغذية وادوية فالاغذية للكافة والادوية لارباب العلل واما على الاكثر فان في علوم الشرع ومثاله ما روي ان رجلا قال لابي سعيد الخدري اوصني فقال عليك بتقوى الله عز وجل فانه راس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقران فانه نور لك في اهل الارض وذكر لك في اهل السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن اوصني فقال اعز امر الله يعزك الله • وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء بركبتك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لاخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة افضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين • وقال ايضا لابنه لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني ان من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم • وقال رجل لابي حازم اوصني فقال كل ما لو جاءك الموت عليه رايته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه رايته مصيبة فاجتنبه • وقال موسى عليه السلام للخضر اوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران • وقال رجل لمحمد بن كرام اوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف اوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف ان لا تدنسه الافات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه • وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف ما خوفك الله واحذر ما حذرك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت ياتيك الخبر اليقين والسلام • وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن يساله ان يعظه فكتب اليه فان الهول الاعظم والامور المفظعات امامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك فاما بالنجاة واما بالعطب واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف امن ومن امن اعتبر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع واذا جهلت فسال واذا غضبت فامسك • وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء • وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدوة اولياء الله وعدوة اعداء الله اما اولياؤه فغمتهم واما اعداؤه فغرتهم • وكتب الى بعض عماله اما بعد فقد امكنتك القدرة من ظلم العباد فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لا تاتي الى الناس شيئا الا كان زائلا عنهم باقيا عليك واعلم ان الله عز وجل اخذ للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغي ان يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدري خصوص واقعته فهذه المواعظ من الاغذية التي تشترك الكافة في الانتفاع بها ولاجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستسرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا وينشدون ابياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل الى القلب بل القائل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف واذا كان طلب الطبيب اول علاج المرضى فطلب العلماء اول علاج العاصين فهذا احد اركان العلاج واصوله

الاصل الثاني الصبر ووجه الحاجة اليه ان المريض انما يطول مرضه لتناوله ما يضره وانما يتناوله اما لغفلة عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته فله سببان فما ذكرناه علاج الغفلة فبقي علاج الشهوة وطريق علاجه قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله ان المريض اذا اشتدت ضراوته بماكول مضر فطريقه ان يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه ولا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي يناله في تركه ولا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه وحفظ قلبه او حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر ذنبه بان يستقري المخوفات التي جاءت من كتاب الله وسنة رسوله فاذا اشتد خوفه تباعد عن الاسباب المهيجة لشهوته

ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول لذائذ الأطعمة وعلاجه الجوع والصوم
الدائم وكل ذلك لا يتم إلا بصبر ولا يصبر إلا عن خوف ولا يخاف إلا عن علم ولا يعلم إلا عن بصيرة وافتكار أو عن سماع وتقليد فأول الأمر
حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف إلى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لا محالة
خوفه وإذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك فمن أعطى من قلبه حسن الإصغاء
واستشعر الخوف واتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره
للعسرى ثم لا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الأنبياء إلا شرح طرق الهدى وإنما لله الآخرة والأولى
فإن قلت فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان لأن ترك الذنب لا يمكن إلا بالصبر والصبر لا يمكن إلا بمعونة الخوف والخوف لا
يحصل إلا بالعلم بعظم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق بالله ورسوله وهو الإيمان فكأن من أصر على الذنب
لم يصر إلا لأنه غير مؤمن فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الإيمان بل يكون لضعف الإيمان إذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب البعد من
الله وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب أمور أحدها أن العقاب الموعود غيب ليس بحاضر والنفس جبلت
متأثرة بالحاضر فتأثرها بالموعود ضعيف بالإضافة إلى تأثرها بالحاضر الثاني أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي
في الحال آخذة بالمخنق وقد تقوى واستولت بسبب الاعتياد والإلف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد
على النفس ولذلك قال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال بل تؤثرون الحياة الدنيا وقد عبر عن شدة الأمر قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق النار فقال
لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال اذهب
فانظر إليها فنظر وقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها وخلق الجنة فقال لجبريل اذهب فانظر إليها فقال وعزتك
لا يسمع بها أحد إلا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر إليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد فإذن كون الشهوة
مرهقة في الحال وكون العقاب متأخرا إلى المآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول أصل الإيمان فليس كل من يشرب
في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا بأصل الطب ولا مكذبا بأن ذلك يضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز
فيهون عليه الألم المنتظر الثالث أنه ما من مذنب إلا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد أن
ذلك يجبره إلا أن طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير فمن حيث رجاؤه التوفيق للتوبة ربما تقدم عليه مع الإيمان
الرابع أنه ما من مؤمن إلا وهو معتقد أن الذنب لا يوجب العقوبة إيجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو اتكالا
على فضل الله فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب مع بقاء أصل الإيمان نعم قد يقدم المذنب بسبب خامس يقدح
في أصل إيمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب تناول ما يضره في المرض فإن كان
المحذر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب فيكذبه أو يشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر فإن قلت فما علاج الأسباب الخمسة
فأقول هو الفكر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول وهو تأخر العقاب أن كل ما هو آت قريب وإن غدا للناظر
قريب وأن الموت أقرب إلى كل أحد من شراك نعله فما يدريه لعل الساعة قريب والمتأخر إذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه أنه أبدا
في دنياه يتعب في الحال لخوف أمر في الاستقبال إذ يركب البحار ويقاسي الأسفار لأجل الربح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثاني
الحال بل لو مرض وأخبره نصراني طبيب بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت وكان الماء ألذ الأشياء عنده تركه
مع أن الموت المحذور ألمه لحظة ومفارقته للدنيا لا بد منها فما نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزلا وأبدا
فلينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذه بقول ذمي لم يقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق بعقلي أن يكون قول الأنبياء المؤيدين
بالمعجزات دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة ولا يشهد له عوام الخلق وكيف يكون عذاب النار أخف عندي من عذاب المرض
وكل يوم في الآخرة مقداره خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول
إذا كنت لا أقدر على ترك اللذات أيام العمر وهي أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبد الآباد وإذا كنت لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق
ألم النار وإذا كنت لا أصبر على زخارف الدنيا مع كدورتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر على نعيم الآخرة
وأما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف لأن المسوف يبني الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء
فلعله لا يبقى وإن بقي فلا يقدر على الترك كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال إلا لغلبة الشهوة والشهوة

ليست تفارقه غدا بل تتضاعف إذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التي أكدها الإنسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك
المسوفون لأنهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبدا شاق وما مثال المسوف
إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة فقال أؤخرها سنة ثم أعود إليها وهو يعلم أن الشجرة كلما
بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقته إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف
فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف وأما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فعلاجه
ما سبق وهو كمن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله أن يرزقه العثور على كنز في أرض خربة فإن إمكان
العفو عن الذنب مثل هذا الإمكان وهو مثل من توقع النهب من الظلمة في بلده وذخائر أمواله في صحن داره وقدر على دفنها وإخفائها
ولم يفعل وقال أنتظر من فضل الله أن يسلط غفلة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ إلى داري أو إذا انتهى إلى داري مات على باب
الدار فإن الموت ممكن والغفلة ممكن وقد حكي في الأسمار أن مثل ذلك وقع فأنا أنتظر من فضل الله مثله فمنتظر هذا منتظر لأمر
ممكن ولكنه في غاية الحماقة وأما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك
يطول ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات صدقه هل هو ممكن أو تقول
أعلم أنه محال كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فإن قال أعلم استحالة ذلك فهو أحمق معتوه وكأنه لا
وجود لمثل هذا في العقلاء وإن قال أنا شاك فيه فيقال له لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة أنه قد
ولغت فيه حية وألقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله أو تتركه وإن كان ألذ الأطعمة فيقول أتركه لا محالة لأني أقول إن
كذب فلا يفوتني إلا هذا الطعام والصبر عنه وإن كان شديدا فهو قريب وإن صدق فيفوتني الحياة والموت بالإضافة إلى
ألم الصبر عن الطعام وإضاعته شديد فيقال له يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات
وصدق كافة العلماء والأولياء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوو الألباب عن صدق رجل واحد
مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر وأثبت ثوابا وعقابا وإن اختلفوا في كيفيته فإن صدقوا
فقد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى توقف لعاقل مع
هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبد الآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدرنا طائرا يلتقط في كل ألف سنة حبة
واحدة لفنيت الذرة ولم ينقص أبد الآباد شيئا فكيف يفتر رأي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تبقى
أبد الآباد وذلك لا منتهى له ولذلك قال أبو العلاء المعري قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأرواح قلت إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق
الأمور وكان شاكا إن صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا وإلا فقد تخلصت وهلكت أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال
فإن قلت هذه أمور جلية ولكنها ليست تنال إلا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر واستثقلته وما علاج القلوب لردها إلى الفكر
لا سيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله فاعلم أن المانع من الفكر أمران أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب
الآخرة وأهوالها وشدائدها وحسرات العاصين في الحرمان من النعيم المقيم وهذا فكر لذاع مؤلم للقلب فينفر القلب عنه
ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة الثاني أن الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء
الشهوات وما من إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخرا
لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك وأما
علاج هذين المانعين فهو أن يقول لقلبه ما أشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده تألما بذكره مع استحقار
ألم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به وأما الثاني
وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو أن يتحقق أن فوات لذات الآخرة أشد وأعظم فإنها لا آخر لها ولا كدورة فيها
ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن تكدير وكيف وفي التوبة عن المعاصي والإقبال
على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الأنس به ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله
إلا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الأنس بمناجاة الله لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف إليه من نعيم الآخرة نعم هذه
اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكن يصبر عليه مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قابلة ما عودتها

تعود وللخير عادة والشر عادة مجاهدة فاذا هذه الافكار هي المهيجة للخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات ومهيج هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب باسباب تتفق لا تدخل في الحصر فيصير الفكر موافقا للطبع فيميل القلب اليه ويصبر عن اللذات فاوقع الموافقة من الطبع ومن الفكر الذي هو سبب الخير توفيقا اذ التوفيق هو التاليف بين الارادة وبين المعنى الذي هو الطاعة نافعة في الآخرة وقد روي في حديث طويل ان عمار بن ياسر قال لعلي رضي الله عنه يا امير المومنين اخبرنا عن الكفر على ماذا بني فقال على اربع دعايم على الجفا والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الاماني فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا القدر كاف في التوبة واذا كان الصبر ركنا من اركان التوبة فلا بد من بيان الصبر فنذكره في كتاب مفرد ان شا الله

كتاب الصبر والشكر

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله اهل الحمد والثنا • المتفرد برداء الكبريا • المتوحد بصفات المجد والعلا • المويد صفوة الاوليا بقوة الصبر على السرا والضرا • والشكر على البلاء والنعما • والصلوة على محمد سيد الانبيا • وعلى السادة الاصفيا • وعلى آله قادة البررة الاتقيا • صلوة محروسة بالدوام عن الفنا • ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضا • **اما بعد** فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآيات وشهدت له الاخبار وهما ايضا وصفان من اوصاف الله تعالى واسمان من اسمايه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا شكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلي شطري الايمان ثم هو غفلة عن وصفين من اوصاف الرحمن ولا سبيل الى الوصول الى القرب من الله تعالى الا بالايمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة ما به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فما احوج كلي الشطرين الى الايضاح والبيان ونوضح كلي الشطرين في كتاب واحد لارتباط احدهما بالآخر

الشطر الاول

في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف اساميه باختلاف متعلقاته وبيان اختلافه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر وبيان دوا الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول مشتملة على جميع مقاصده

بيان فضيلة الصبر

وقد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قايل وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرايل بما صبروا وقال ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون • وقال اوليك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر وانه نصف الصبر قال الصوم لي وانا اجزي به فاضافه الى نفسه من بين ساير العبادات ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملايكة مسومين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اوليك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واوليك هم المهتدون فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين واستقصا جميع الآيات في مقام الصبر يطول **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سياتي وجه كونه وقال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف ان تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السما عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم تلا قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا الآية • وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم سيل عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال الصبر كنز من كنوز الجنة • وسيل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله الحج عرفة • وقال افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس • وقيل اوحى الله الى داود تخلق باخلاقي وان من اخلاقي اني انا الصبور • وفي حديث عطا عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال امومنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخا ونصبر على البلا ونرضى بالقضا فقال مومنون

ورب الكعبة • وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير • وقال المسيح صلى الله عليه انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار في هذا لا تحصى **واما الآثار** فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم ان الصبر ملاك الايمان وذلك بان التقوى افضل البر والتقوى بالصبر • وقال علي رضي الله عنه بني الايمان على اربع دعايم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعم العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرا هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجباه اعطى واثنى اي هو المعطي للصبر وهو المثني وقال ابو الدردا ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل فاما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة له قبل صفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه

بيان حقيقة الصبر ومعناه

اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما تنتظم من ثلاثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين الى الله واسم الايمان تارة يخص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقايد وكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قايمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر منها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملايكة والانس والبهايم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك في الملايكة والبهايم اما في البهايم فلنقصانها واما في الملايكة فلكمالها وبيانه ان البهايم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا • واما الملايكة فانهم جردوا للشوق الى الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة عنها حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف واما الانسان فانه خلق في ابتدا الصبا ناقصا مثل البهيمة لم تخلق فيه الا شهوة الغذا الذي هو محتاج اليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي الا جند الهوى كما في البهايم ولكن الله بفضله وسعة جوده اكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهايم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين احدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهايم واختص بصفتين احدهما معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية لها الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهواتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب الا لذيذ فاما الدوا النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تعرفه ولا تطلبه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله به ملكا آخر يسدده ويويده ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله عبده بالتاييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهايم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم ان القتال قايم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملايكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعدا الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر

وقد فيهما التحقق باتباع الشياطين وإذا ترك الأفعال المشتهاة عمل بثمرها حال بثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة فإذا قوي يقينه أعني المعرفة التي تسمى إيمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله قوي ثبات باعث الدين وإذا قوي ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة إلا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والإيمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين بإذن الله تعالى وتسخيره إياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الموكلان بكل شخص من الآدميين وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك المقوي لم يخف عليك أن جانب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من جنبتي الدست ينبغي أن يكون مسلما له فهو إذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء إليه فيكتب إعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسيء إليه فيكتب عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له حسنة وإنما تثبت له هذه الحسنات والسيئات بإثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين أما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولأن الملائكة كلهم كرام بررة وأما الكاتبين فلإثباتهما الحسنات والسيئات وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فإنهما وكتبهما وخطهما وصحائفهما وجملة ما يتعلق بهما من عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وشيء من عالم الملكوت لا تدركه الأبصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق وفيها يساق المتقون إلى الجنة والمجرمون إلى النار زمرا لا آحادا والهول الأول هو هول يوم القيامة الصغرى ولجميع أهوال يوم القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلا فإن أرضك الخاصة بك تتزلزل في الموت فإنك تعلم أن الزلزلة إذا نزلت ببلد صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وإن لم تتزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الإنسان وداره فقد حصلت الزلزلة في حقه لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحظه من الزلزلة قد توفر من غير نقصان واعلم أنك أرضي مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط وأما بدن غيرك فليس بحظك والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدنك ظرف ومكان وإنما تخاف من تزلزله أن يتزلزل بدنك بسببه وإلا فالهواء أبدا متزلزل وأنت لا تخشاه إذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدنك فقط فهي أرضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك سماء أرضك وقلبك شمس أرضك وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك وشعورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهلم جرا إلى جميع أجزائك فإذا انهدم بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الأرض زلزالها وإذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وإذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا وإذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا وإذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا وإذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا وإذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا وإذا التفت إحدى ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا وإذا فارق الروح الجسد فقد حملت الأرض فمدت حتى ألقت ما فيها وتخلت ولست أطول بموازنة جميع الأحوال والأهوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك فإن بقاء الكواكب في حق غيرك فأي ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها ينتفع بالكواكب والأعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لأنه قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه إذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لا رأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والخوف بعد أسفل والهول بعد مدخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السماوات والأرض ونسفت الجبال وتمت الأهوال وهذه الصغرى وإن طولنا في وصفها فإنا لم نذكر عشر عشير أوصافها فهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة بالنسبة إلى

الولادة الكبرى فإن للإنسان ولادتين إحداهما الخروج من الصلب والترائب إلى مستودع الأرحام وهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا إلى الرحم بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالأولى فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنين وإليه الإشارة بقوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالأعور الدجال فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين ومن بين يديك هذه الأهوال فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أما يكفيك القيامة الصغرى أوما سمعت قول سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا أوما سمعت بكربه صلى الله عليه وسلم في وقت الموت حتى قال اللهم هون على محمد سكرات الموت أوما تستحي من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون فيأتيهم المرض نذيرا من الموت ولا ينزجرون ويأتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون أفيظنون أنهم في الدنيا خالدون أو لم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون أم يحسبون أن الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا إن كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما يأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وذلك لأنا جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولنرجع إلى الغرض فإن هذه تلويحات تشير إلى علوم هي أعلى من علوم المعاملة فنقول قد ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصية الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين إذ ذكرنا أن الحسنة في الإقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الإعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الاستفادة فلا يتصور منهما إقبال وإعراض وهما لا يكتبان إلا الإقبال والإعراض من القادرين على الإقبال والإعراض ولعمري يظهر مبادي إشراق نور الهداية عند سن التمييز وينمو على التدريج إلى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى أن يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضار الآخرة بل إلى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب في الآخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في القيامة على القيم العدل والولي البر الشفيق لكان من الأبرار وكان على سمت الكرام البررة الأخيار أن يكتب على الصبي سيئة وحسنة على صحيفة قلبه ويكتبه عليه بالحفظ ثم ينشر عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب وكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين من الصديقين وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين

بيان كون الصبر نصف الإيمان

اعلم أن الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف أبواب وللأعمال أبواب ولاشتمال لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الإطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين أحدهما اليقين والآخر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين تعريف أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث إلى آخره **الاعتبار الثاني** أن يطلق على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن بواعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله

عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان فهكذا ينبغي ان تفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه ان تعرف كثرة ابواب الايمان وان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة

بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ما عنه الصبر

اعلم ان الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة اما من العبادات او من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الاخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان على احتمال مكروه اختلفت اساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر فان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده التذمر وان كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره واكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزها كما قال الحج عرفة وقد جمع الله اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأساء اي المصيبة والضراء اي الفقر وحين البأس اي المحاربة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فاذا هذه اقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن ياخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه احوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث راى الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني اولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت دلالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد وان يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات

بيان اقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة احوال

احدها ان يقهر داعي الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهولاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمانت نفوسهم على مقتضى باعث الدين واياهم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية

الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد لياسه عن المجاهدة وهولاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله في قلوبهم التي هي سر من اسرار الله وامر من امور الله واليهم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهولاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها الياس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع فيها او لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم فلا حاجة به الى التوبة وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهواته فقد صار عقله في يد شهوته كمسلم اسير في ايدي الكفار يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور ومحله عند الله محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم لانه بفاحش جنايته يشبه انه يسخر ما كان حقه ان يسخر ويسلط من كان حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطا عليه لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وانما استحق الكافر ان يكون متسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه اوجب من حق غيره عليه فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين

المبعدين من الله كان كمن ارق مسلما لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فاخذ اعز اولاده وسلمه الى ابغض اعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستحقاقه لنقمته لان الهوى ابغض اله عبد في الارض عند الله والعقل اعز موجود خلق في الارض

الحالة الثالثة ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد لا من الظافرين واهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه ايضا ثلاثة احوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما ان يغلب جميع الشهوات او لا يغلب شيئا منها او يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض اولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم اضل اذ البهيمة لم يخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك **قيل**

ولم ار في عيوب الناس عيبا ... كنقص القادرين على التمام

وينقسم الصبر ايضا باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بادنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر واذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع الضعيف بادنى حيلة وايسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته الاعياء واللغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينبهر ولا يقوى على ان يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة اورث ذلك مقام الرضا كما سياتي في كتاب الرضا والرضا اعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال بعض العارفين اهل الصبر على ثلاث مقامات اوله ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضا وان مقام الرضا اعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا واعلم ان الصبر ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر على المحظورات فرض وعلى المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن تقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على اهله فهذا الصبر محرم والصبر على المكروه هو الصبر على ما يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع من الصبر مخصوصة

بيان مظان الحاجة الى الصبر اعلم ان جميع ما يلقى العبد في هذه الحيوة لا يخلو من نوعين احدهما هو الذي يوافق هواه والاخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين او كليهما فهو اذا لا يستغني قط عن الصبر

النوع الاول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان راه استغنى قال بعض العارفين البلا يصبر عليه المومن والعوافي لا يصبر عليها الا صديق وقال سهل الصبر على العافية اشد من الصبر على البلا ولما فتحت ابواب الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضرا فصبرنا وابتلينا بفتنة السرا فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوجة والولد فقال يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه الولد مجبنة مبخلة محزنة ولما نظر الى ابنه الحسن يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما رايت ابني يتعثر لم املك نفسي ان اخذته ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها ان لا يركن اليها

ونعلم ان كل ذلك مستودع عنده وعتى يسترجع على القرب وان لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة
واللهو واللعب وان يرعى حقوق الله في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في
سائر ما انعم عليه وهذا الصبر متصل بالشكر ولا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سياتي وانما كان الصبر على السراء اشد لانه
مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر والصبر على الحجامة والفصد اذا تولاه غيرك ايسر من الصبر على فصدك نفسك وعلى حجامتك
نفسك والجائع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء
النوع الثاني ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط
باختياره كالمصائب والنوائب او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهي ثلثة
اقسام القسم الاول ما يرتبط باختياره وهو سائر افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية وهما ضربان الضرب
الاول الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي
الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مضمرة ما اظهر فرعون في قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له
مجالا وقبولا اذ استخف قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته
وان كان ممتنعا من اظهاره فان استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر الا من اضمار الكبر
ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فاذا العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلوة ومنها
ما يكره بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع
الى الصبر على طاعته في ثلث احوال الاول قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الريا ودواعي الآفات
وعقد العزم على الاخلاص والوفا وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات الريا ومكايد النفس
وقد نبه عليه صلى الله عليه اذ قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين وبهذا المعنى قدم الله الصبر على العمل فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات الحالة الثانية حالة
العمل كي لا يغفل عن الله في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى الآخر فيلازم الصبر
عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا ايضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
اي صبروا الى تمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة
والريا والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط اثره كما قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم وكما قال
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والاذى فقد ابطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض
ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي
مقتضى بواعث الهوى واشد انواع الصبر على المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة بالعادة فان العادة طبيعة
خامسة فاذا انضافت العادة الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشياطين على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على
قمعهما ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب
والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الازراء والاستخفاف
وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه
شهوتان احدهما نفي الغير والثاني اثبات نفسه وبها تتم له الربوبية التي في طبعه وهي ضد ما امر به من العبودية و
لاجتماع الشهوتين ويسر تحريك اللسان وتصير ذلك معتادا في المحاورات يعسر الصبر عنها حتى بطل استنكارها و
استقباحها من القلوب بكثرة تكريرها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد
ويطلق لسانه طول النهار في اعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر ان الغيبة اشد من الزنا ومن لم يملك لسانه
في المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر عن الانفراد اهون من الصبر على
السكوت مع المخالطة وتختلف شدة الصبر في احاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وايسر
من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه اصلا الا بان يغلب

على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه هم واحد والا فان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه
القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو اوذي بفعل او قول وجني عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك
بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى
وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقسم صلى الله عليه مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين
هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فاخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال رحم الله اخي موسى قد اوذي
باكثر من هذا فصبر وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وقال ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اي تصبروا عن المكافاة ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص فقال
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله وقال صلى الله عليه صل من قطعك
واعط من حرمك واعف عمن ظلمك ورايت في الانجيل قال عيسى صلى الله عليه لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف
وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه الخد الايسر ومن اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن
سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك امر بالصبر على الاذى فالصبر على اذى الناس من اعلى مراتب الصبر لانه يتعاون
فيه على باعث الدين باعث الشهوة والغضب جميعا القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار اوله وآخره كالمصائب
مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضاء وبالجملة سائر انواع البلا فالصبر
على ذلك من اعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنه الصبر في القرآن على ثلثة اوجه صبر على اداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة
درجة وصبر عن محارم الله فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وانما فضلت هذه
الرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فاما الصبر على بلاء الله
فلا يقدر عليه الا بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اسالك من اليقين ما تهون به
علي مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن اليقين قال ابو سليمان والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال
عليه السلام يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا
من دمه فان ابراته ابراته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام ما جزاء الحزين يصبر على المصائب
ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان فلا انزعه عنه ابدا وقال صلى الله عليه قال الله عز وجل اذا وجهت
الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا
او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال ايضا من اصيب بمصيبة فقال كما امره الله عز
وجل انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل ذلك به وقال انس حدثني رسول الله صلى الله
عليه ان الله عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر
الى وجهي وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ما انعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه
منها افضل مما انتزع منه وقرا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وسئل الفضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء
الله قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم
فقالوا احباؤك جاؤوك زائرين فاخذ يرميهم بالحجارة فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض
العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ويقال ان امراة فتح الموصلي
عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه وقال داود
لسليمان صلى الله عليهما يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما الصبر
قد فات وقال نبينا صلى الله عليه من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وروي عن بعض الصالحين
انه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد اخذت من كمه فقال بارك الله له فيها لعله احوج اليها مني وروي عن
بعضهم انه قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو
واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته هكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت

فيما نال درجة الصبر في المصايب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شا ام ابى فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه
كراهة للمصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود
والمبالغة في الشكوى واظهار الكابة وتغير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي ان
يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضا الله ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت وقد قيل
الصبر الجميل هو ان لا تعرف من صاحب المصيبة اذ تشبه غيره ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدموع
على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الى الموت كما روي عن الرميصا ام سليم انها قالت توفي ابن لي وكان زوجي ابو طلحة
غايبا فقمت فسجيته في ناحية من البيت فقدم ابو طلحة فقمت فهيات له افطاره فجعل ياكل فقال كيف الصبي قلت باحسن حال بحمد الله
فانه لم يكن منذ اشتكى اسكن منه الليلة ثم تصنعت له احسن ما كانت تصنع قبل ذلك حتى اصاب مني حاجته ثم قلت الا تعجب
من جيراننا قال وما لهم قلت اعيروا عارية فلما طلبت منهم جزعوا فقال بيس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى
وان الله قبضه اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال
الراوي فلقد رايت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرا القران • وروى جابر انه عليه السلام قال رايتني دخلت
الجنة فاذا انا بالرميصا امراة ابي طلحة ولذلك لما مات ابراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل
له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحما بل ذلك ايضا لا يخرج من مقام الرضا فالمقدم
على الفصد والحجامة راض به وهو متالم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه اذا عظم المه وسياتي ذلك في كتاب الرضا وكتب
ابن ابي نجيح يعزي بعض الخلفا ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله عنده فيما ابقاه واعلم
ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو الماجور فيك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به هو اعظم من
النعمة عليهم فيما يعافون فيه فاذا مهما دفع الكراهة بالتفكر في نعم الله عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال
الصبر كتمان المرض والفقر وساير المصايب • وقد قيل من كنوز البر كتمان الاوجاع والمصايب والصدقة فقد ظهر
لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الافعال والاحوال فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده فلا
يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا او عن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن واكثر
جولان الخاطر انما يكون في فايت لا تدارك له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان
تضييع والة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله او عن فكر
يستفيد به معرفة الله ليستفيد بالمعرفة محبة الله فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا
عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه
في جميع عمره او من يتوهم انه ينازعه ويخالف غرضه بظهور امارة له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس في حقه
في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته
ولا يزال في شغل دايم فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جند الطاير
والشهوة عبارة عن جند السيار وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار وقد اجتمع
فيه مع النار الطين والطين طبعه السكون والنار طبعها الحركة فلا تتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا يزال يتحرك بطبعه
وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمين عن حركته فيسجد للمخلوق من الطين فابى واستكبر واستعصى وعبر عن
سبب استعصايه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذا حيث لم يسجد الملعون لابينا ادم صلوات الله عليه فلا
ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد ظهر القياده والاذعان
والقياد والاذعان سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامته الدالة بالاصطلاح
عليه فلو جعل وضع الجبهة على الارض علامة استخفافا بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم المحترم
يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون
ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس
الى يوم الدين الا ان تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون

من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال
يجري من ابن ادم مجرى الدم وسيلانه مثل الهوا في القدح ان اردت ان يخلو عن الهوا من غير ان تشغله بالما او بغيره
فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الما يدخل فيه الهوا لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو
عن جولان الشياطين واما من غفل عن الله ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال ومن
يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين • وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب
اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان
ويبيض ويفرخ ثم يزدوج افراخه ايضا وتبيض مرة اخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع من توالد
ساير الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفا اليابسة كثر توالده فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع
البتة بل تسري شيا شيا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفا اليابسة للنار وكما لا تبقى النار
اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم تكن شهوة فاذا تاملت علمت ان اعدى عدوك شهوتك
وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سيل عن التصوف فقيل ما هو فقال
هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن احرى بالصبر عنها وهذا
صبر دايم لا يقطعه الا الموت **بيان دوا الصبر وما يستعان به عليه** اعلم ان الذي انزل الدا انزل الدوا
ووعد الشفا فالصبر وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي
منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم اخر وعمل اخر وكما ان اقسام الصبر مختلفة فاقسام
العلل المانعة منها مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيفا ذلك مما
يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلب عليه بحيث ليس
يملك معها فرجه او يملك فرجه وليس يملك عينه او يملك عينه وليس يملك قلبه ونفسه اذ لا يزال يحدثه بمقتضيات الشهوة
ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة **فنقول** قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث
الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان يغلب احدهما الاخر فلا طريق لنا فيه الا تقوية من اردنا ان تكون له
اليد العليا وتضعيف الاخر فلزمنا ها هنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فاما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه
ثلثة امور **احدها** ان ينظر الى مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها
فلا بد من قطعها بالصوم الدايم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن
اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة **الثاني** قطع اسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان
الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على المشتهاة والفرار منها بالكلية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهذا سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه الا تغميض الاجفان
والهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه **والثالث**
تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما تشتهيه الطبع ففي المباحات ما يغني عنها عن
المحظورات وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان قطع الغذا يضعف عن ساير الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة
في حق اكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجا
فهذه ثلثة اسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن الدابة الجموح وعن الكلب الضاري
ليضعف فتسقط قوته **والثاني** يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها
بسبب مشاهدتها **والثالث** يضاهي تسليتها بشي قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معه من القوة ما يصبر على التاديب
واما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين احدهما اطماعه في فوايد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بان
يكثر فكره في الاخبار التي اوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والاخرة • وفي الاثر ان ثواب الصبر على
المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد
موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من

الايمان وتارة يضعف وتارة يقوى فان قوي قوي باعث الدين وهيجه تهيجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنه باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر واقل ما اوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر **والثاني** ان يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها وتقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة توكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة الممارسين للاعمال الشاقة على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتاكد بالممارسة فالعلاج الاول يضاهي اطماع المصارع في الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى حيث قال انكم لمن المقربين **والثاني** ايضا هي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقابلة مباشرة اسباب ذلك منذ الصبى حتى يانس به ويستجري عليه وتقوى فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد فهذا منهاج العلاج في جميع انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما اشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوساوس لا تزال تجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء والاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصر الهموم هما واحدا وهو الله ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله وسائر ابواب معرفة الله حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووساوسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو في جميع اوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء من انسان وطغيان من يخالطه اذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض اسباب المعيشة فهذا احد انواع الشاغلة **واما النوع الثاني** فهو ضروري اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب المعاش فان تهيئة ذلك ايضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم تهجم به ملمة وواقعة وفي تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر الفكر وينكشف فيه من اسرار الله في ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على مثله في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان تنال بالاكتساب والجهد فاما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطائف الله في الاحوال والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانها توازي اعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان المجذوب الى اسفل السافلين لا ينجذب الى اعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها لان تلك النفحات والجذبات لها اسباب سماوية اذ قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من اعلى انواع الرزق والامور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب اجله كالذي يصلح الارض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري متى يقدر الله اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله ورحمته انه لا يخلي سنة من مطر وكذلك قلما يخلو سنة وشهر ويوم من جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي ان يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الارادة وعرضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في اوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان فان الهمم والانفاس اسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمة الله حتى تستدر بها الامطار في اوقات الاستسقاء وهي لاستدرار امطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت اشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من اقطار الجبال والبحار بل الاحوال والمكاشفات

حاضرة معك في قلبك وانما انت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الا الى ان تكسر الشهوة وترفع الحجاب فتشرق انوار المعارف من باطن القلب واظهارها كاظهار ما في الارض بحفر القنى اسهل واقرب من استرسالها اليه من مكان بعيد مختفى عنها ولكونها حاضرة في القلب ومنسية بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الايمان تذكرا فقال ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وانما الصبر عن العوائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر قال الجنيد المسير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق شديد والمسير من النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله اشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق واشد العلائق على النفس علقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع اغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون اغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله والربوبية مطلوبة محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة للامور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وليس القلب مذموما على حبه ذلك وانما هو مذموم على غلطه وقتاله بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر اذ حسده على كونه من عالم الامر فاضله واغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة ليس يطلب الا بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وامنا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من اوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد ان يطلب ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب بانواع الآلام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا الم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا في العاجلة فجاء الشيطان وتوسل اليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال عليه السلام الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر امكانه ولم يتدل الى الموت بحبل غروره اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة ويذرون الآخرة ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق ارسل الله تعالى الملائكة الى الرسل واوحى اليهم بما تم على الخلق من اهلاك العدو واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا اصل له ان سلم ولا دوام له اصلا فنادوا فيهم يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل فالتوراة والانجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وكل كتاب منزل ما انزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد والمراد منهم ان يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة اما ملك الدنيا فبالزهد فيها والقناعة باليسير منها واما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى بدرك بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وقرة عين اخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه بان ملك الآخرة يفوت به اذ الدنيا والآخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا تسلم له ايضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهم في التدبيرات وكذلك سائر اسباب الجاه ثم لا تسلم وتتم الاسباب ينقضي العمر حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس وضرب الله تعالى له مثلا وقال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح والزهد في الدنيا لما كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده عنه ومعنى الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين واشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوات عليه يصير عبدا لبطنه وفرجه وسائر اغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بمخنقه الى حيث يريد ويهوى فما اعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا كيف يكون الا معكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف اطلب منك حاجة وملكي اعظم من ملكك قال كيف قال من انت عبده فهو عبدي قال كيف ذلك قال انت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيد لي فهذا اذا هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك الذي في الآخرة والمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا واذا عرفت الان معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه فيسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عنه فوانه اذ يصير بتركه ملكا في الحال ويرجو به ملكا في الآخرة ومن يستشف هذه الامور بعد ان الف الجاه وانس به ورسخت فيه

بالعادة مباشرة اسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لابد وان يضيف اليه العمل وعمله في ثلاثة امور **احدها**
ان يهرب من موضع الجاه كيلا يشاهد اسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبه الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن
لم يفعل هذا فقد لم نعمة الله في سعة الارض اذ قال الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها **الثاني** ان يكلف نفسه في اعماله افعالا
يخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام
وقعود كان يعتاده وفا بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى يترسخ باعتياد ذلك ضد ما ترسخ فيه من قبل باعتياد ضده ولا
معنى للمعالجة الا المضادة **الثالث** ان يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبدل
فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدا بترك
البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا شيئا الى ان يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا
ظهرا ابقى واليه الاشارة بقوله عليه السلام لا تشادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه فاذا ما ذكرناه في علاج الصبر عن
الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه اضفنا الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات
واتخذ دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الاحاد يطول ومن راعى التدريج
ترقى به الصبر الى حالة يشق عليه الصبر عن ما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس اموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما
كان مكروها عنده مشربا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على
التعلم في الابتدا قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم انقلب الامر فصار
يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكي عن بعض العارفين انه سئل الشبلي عن الصبر ايه اشد فقال
الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا قال الصبر مع الله فقال لا قال ايش هو قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه
تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل
الصبر لله غنا والصبر بالله بقا والصبر مع الله وفا والصبر عن الله جفا وقيل في معناه

والصبر عنك فمذموم عواقبه • والصبر في سائر الاشياء محمود **وقيل ايضا**

الصبر يجمل في المواطن كلها • الا عليك فانه لا يجمل • وهذا ما اردنا شرحه من علوم الصبر وان

الشطر الثاني من الكتاب وله ثلثة اركان **الركن الاول** في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه
الركن الثاني في حقيقة النعمة واقسامها الخاصة والعامة **الركن الثالث** في بيان الافضل من الصبر والشكر

الركن الاول في نفس الشكر **بيان فضيلة الشكر** اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله اكبر
فقال اذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون • وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقال وسنجزي الشاكرين
وقال لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد اكثرهم شاكرين
وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في
خمسة في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال فسوف يغنيكم الله من فضله ان شا وقال فيكشف ما تدعون اليه ان
شا وقال ويرزق من يشا ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقال ويتوب الله على من يشا وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال الله تعالى
والله شكور حليم وقد جعل عز وجل الشكر مفتاح كلام اهل الجنة فقال الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال واخر دعواهم ان
الحمد لله رب العالمين **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر • وروي عن عطا
انه قال دخلت على عايشة فقلت اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت واي شانه لم يكن عجبا
اتاني في ليلة فدخل معي في فراشي او قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت فقلت اني
احب قربك فاذنت له فقام الى قربة ماء فتوضا ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى
ثم سجد فبكى ولم يزل كذلك حتى جاء بلال فاذنه بالصلوة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله علي ان في خلق السموات والارض الاية وهذا يدل على ان البكا ينبغي ان لا
ينقطع ابدا والى هذا السر يشير ما روي انه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ما كثير فتعجب منه فانطقه الله تعالى

منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فانا ابكي من خوفه فسال ان يجيره من النار فاجاره ثم راه بعد مدة مثل ذلك
فقال لم تبكي الان فقال ذاك بكا الخوف وهذا بكا الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا تزول قسوته الا
بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا • وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادي يوم القيمة ليقم الحمادون فتقوم
زمرة فينصب لهم لوا فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله على كل حال • وفي لفظ اخر الذين يشكرون الله
على السرا والضرا • وقال صلى الله عليه الحمد رداء الرحمن واوحى الله تعالى الى ايوب اني رضيت بالشكر مكافاة من اوليائي
في كلام طويل • واوحى الله ايضا في صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام
وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الي ازيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه فاي المال نتخذ فقال عليه
السلام ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود رضي الله عنه
الشكر نصف الايمان **بيان حد الشكر وحقيقته** اعلم ان الشكر من مقامات السالكين وهو ايضا ينتظم من
علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل فاما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو
الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان
ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه
الاصل الاول العلم وهو علم بثلثة امور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته
التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد
وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله فاما في حق الله فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها من الله وهو المنعم
والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة ورا التقديس والتوحيد اذ دخل التقديس والتوحيد فيه بل الرتبة الاولى في
معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم
يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها
مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله
عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة وقال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل
الدعاء الحمد لله وقال ليس شي من الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله فلا تظنن ان هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان
بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله تدل على التوحيد والحمد لله تدل على
معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان واليقين واعلم ان تمام هذه المعرفة
ينفي الشرك في الافعال فمن انعم عليه ملك من الملوك بشي فان راى لوزيره او لوكيله دخلا في ايصال ذلك اليه فهو
اشراكه في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في
حق الملك نعم لا يضر من توحيده في حق الملك وكمال شكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه التي كتبه بقلمه وبالكاغد الذي
كتب عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بانفسهما بل من حيث هما
مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل والخازن ايضا مضطران من جهة الملك في الايصال وانه لو رد الامر
اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وامر جزم يخاف عاقبته لما سلم فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره
الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركا في توحيده من اضافة النعمة الى الملك وكذلك من عرف الله وعرف افعاله علم ان
الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره كالقلم مثلا في يد الكاتب وان الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها
فان الله هو المسلط للدواعي لتفعل شاءت ام ابت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه
لما اعطاك ذرة مما في يديه فكل من وصل اليك نعمة الله على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي
والقى في قلبه ان خيره في الدنيا والاخرة في ان يعطيك ما اعطاك وان غرضه المقصود عنده في الحال والمال لا يحصل الا به
وبعد خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في
الاعطا لما اعطاك ولو لم يعلم ان منفعته في منفعتك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك
بل اتخذك وسيلة الى نعمة اخرى هو يرجوها وانما الذي انعم عليك هو الذي سخره لك والقى في قلبه من الاعتقادات والارادات

ما صار مضطراً الى الانتقال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحداً وقدرت على شكره بل كنت
بهذه المعرفة بمجردها شاكراً ولذلك قال موسى في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك
مني فكانت معرفته شكراً فاذاً لا تشكر الا بان تعرف ان الكل منه وان خالجك ريب في هذا لم تكن عارفاً لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده
بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل **الاصل الثاني** الحال
المستمد من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو ايضاً في نفسه شكر على تجرده كما ان المعرفة شكر ولكن
انما يكون شكراً اذا كان جامعاً شروطه وشروطه ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب
لك مثلاً فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس على انسان تصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة اوجه احدها
ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل من
غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء لاخذه لكان فرحه مثل هذا الفرح **الوجه الثاني** ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من
حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء او اعطاه غير الملك لكان لا
يفرح به اصلاً لاستغنائه عن الفرس اصلاً او لاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك **الوجه الثالث**
ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه
ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرساً ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو الطالب لان لا ينعم الملك بشيء من ماله
على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد الوزارة ايضاً بل لمشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين
الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر اصلاً لان نظر صاحبه مقصور على
الفرس وفرحه بالفرس لا بالمعطي وهذه حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة موافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثاني
داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل
وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان
يكون فرح العبد بنعم الله من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذا هو
الرتبة العليا **وامارته** ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الآخرة ومعينة عليه ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله و
تصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث يحمله في صحبة الملك
حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة • وقال الخواص شكر العامة على
المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات
الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال صحته الا بذكر الله ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره
اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة حتى
قيل • ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا • فاذاً هذا شرط الفرح بنعمة الله فان لم يكن فليكن في الدرجة الثانية فاما
ان لم يكن هذا فالدرجة الثانية الاول حاجز عن كل خير فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكم من
فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها اليه **الاصل الثالث** العمل بموجب الفرح الحاصل من
معرفة النعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح اما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان
فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى
ان شكر العينين ان يستر كل عيب يراه لمسلم وشكر الاذنين ان يستر كل عيب يسمعه فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء
والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله وهو مامور به قال صلى الله عليه لرجل كيف اصبحت قال بخير فاعاد السؤال عليه
فاعاد حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال هذا الذي اردت منك • وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر
عن الله ليكون الشاكر مطيعاً والمستنطق له مطيعاً وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حاله فهو بين
ان يشكر او يشكو او يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده
كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء وافضى به الضعف الى الشكوى ان تكون شكواه
الى الله تعالى فهو المبتلي وهو القادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى ذل واظهار الذل للعبد مع كونه ذلا

ثم قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق وقال ان الذين تدعون من دون الله عباد
امثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي ان وفداً قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير
المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها
الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي اصول معاني الشكر المحيطة بمجموع
حقيقته فاما قول من قال الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض احوال القلب وقول من
قال الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو اعتكاف على بساط الشهود بادامة
حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ عنه الا عمل اللسان • وقول حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيه طفيلياً اشارة
الى معنى المعرفة من معاني الشكر فقط • وقول الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلاً للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص
فهؤلاء اقوالهم تعرب عن احوالهم ولذلك تختلف اجوبتهم ولا تتفق ثم قد تختلف جواب كل واحد في حالتين لانهم لا يتكلمون الا
عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالاً بما يهمهم او يتكلمون بما يرونه لائقاً بحال السائل اختصاراً على ذكر القدر الذي يحتاج
اليه واعراضاً عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي ان تظن ان ما ذكرناه طعن عليهم وانهم لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحناها كانوا
ينكرونها بل لا تظن ذلك بعاقل الا ان يفرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني ام يتناول
بعضها مقصوداً وبقية المعاني تكون من توابعها ولوازمها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك
من علم طريق الآخرة في شيء **بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى** لعله يخطر ببالك ان الشكر
انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر الملوك اما بالثناء لنزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس
فيزيد به صيتهم وجاههم او بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض اغراضهم او بالمثول بين ايديهم في صورة الخدمة وذلك تكثير
لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكونوا شاكرين لنا الا بشيء من ذلك وهذا محال في حق الله من وجهين احدهما ان الله منزه عن
الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء وعن تكثير سواد الخدم
بالمثول بين يديه راكعاً وساجداً فشكرنا اياه بما لا حظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا او نسجد او نركع اذ لا
حظ للملك فيه ولا حظ لله تعالى في افعالنا كلها **الوجه الثاني** ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة اخرى من نعم الله
اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا ودواعينا وسائر الامور التي هي اسباب حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمته
بنعمته ولو اعطانا الملك مركوباً فاخذناه وركبناه او اعطانا مركوباً آخر لم يكن الثاني شكراً للاول بل كان الثاني
يحتاج الى الشكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى فيؤدي الى ان يكون الشكر محالاً في حق الله من هذين الوجهين ولسنا
نشك في الامرين جميعاً والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر قد خطر لداود وكذلك لموسى صلوات الله عليه
فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك • وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة اخرى منك توجب
علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني • وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكراً
فان قلت فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن ادراك معنى ما اوحي اليهم فاني اعلم استحالة الشكر لله • فاما
كون العلم باستحالة الشكر شكراً فلا افهمه فان هذا العلم ايضاً نعمة منه فكيف صار شكراً وكان الحاصل يرجع الى ان من لم
يشكر وان قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن درك السر فان امكن تعريف ذلك
بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا قرع باب من المعارف هي اعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير الى ملامح ونقول
هاهنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعاً انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب
وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ازلاً وابداً لان الغير
هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم
بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى
غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجوداً فان كان
مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا الواحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذاً ليس في
الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الاحد الصمد فان نظرت من هذا المقام علمت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو

الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن هاهنا نظر حبيب بن ابي حبيب حيث قرا قوله تعالى انا وجدناه صابرا
نعم العبد انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى اشار الى انه اذا اثنى على عطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه
وهاهنا نظر الشيخ ابو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب
نفسه اشار به الى انه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بامثال على حد عقلك ولا يخفى عليك ان المصنف
اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه فكل ما في الوجود سوى الله فهو تصنيف الله وصنعته فان احبه فما احب الا نفسه واذا لم
يحب الا نفسه فبحق احب ما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس اي فني عن نفسه
وعن غير الله فلم ير الا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فني وطول ظله اربعة اذرع ولعله ياكل في اليوم ارطالا من
الخبز فيضحك عليه الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم وضرورة العارفين ان يكونوا ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله تعالى
ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين واذا
راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم اعظم وقال فاليوم الذين
امنوا من الكفار يضحكون وكذلك امة نوح كانوا يضحكون عند اشتغاله بعمل السفينة فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما
تسخرون فهذا احد النظرين **النظر الثاني** من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا
الا وجود انفسهم وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلا العينين لانهم نفوا ما هو الثابت
تحقيقا وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقائم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم
ولو عرفوا لعلموا انهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث اوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين
الموجود وبين الموجد وليس في الوجود الا موجود واحد وهو موجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود
قائم وقيوم والموجد هالك وفان واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك **الفريق الثاني** ليس بهم عمى ولكن
بهم عور يبصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود
الحق فاثبت موجودا اخر مع الله وهذا مشرك تحقيقا كما ان الذي قبله جاحد تحقيقا فان تجاوز حد العمى الى العمش ادرك
تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فهذا القدر من اثبات التفاوت والعمش من الموجود الاخر دخل في حد التوحيد
ثم ان كحل بصره بما يزيد في انواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له من نقصان ما اثبته سوى الله فان بقي في سلوكه
كذلك فلا يزال النقصان الى المحو فيمحى عن رؤيته ما سوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث ادرك
نقصانا في وجود ما سوى الله فلا يرى الا الله دخل في اوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فيها تتفاوت درجات الموحدين
وكتب الله المنزلة على لسان رسوله هي الكحل الذي بها يحصل انوار الابصار والانبياء هم الكحالون وقد جاؤوا داعين الى التوحيد
المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه ان لا يرى الا الواحد فالواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون
ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فكانوا
داخلين في اوائل ابواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الاحوال فتلوح
له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز

لكل الى شأو العلى حركات ... ولكن عزيز في الرجال ثبات

ولما امر صلى الله عليه وسلم بطلب القرب وقيل
له اسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك فقوله اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله
فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك
من سخطك وهما صفتان ثم راى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب وترقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات
فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه راى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا
مثنيا ففني عن مشاهدة نفسه اذ راى ذلك نقصا واقترب فقال لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
فقوله لا احصي خبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه المثني والمثنى عليه
وان الكل منه بدا واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان اول مقاماته نهاية مقامات الموحدين وهو ان لا يرى

الا الله وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الى ماذا انتهى نهايته اذ انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره
ومشاهدته سوى الذات الحق ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من رتبة الى اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى
الثانية وكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصا في سلوكه وتقصيرا في مقامه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها بعد البعض
اولها وان كان مجاوزا اقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى اواخرها فكان استغفاره لذلك ولما قالت
عائشة قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا
شكورا معناه افلا اكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واذا تغلغلنا
في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة **فنقول** الانبياء بعثوا لدعوة الخلق الى كمال
التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك
تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة اخرى ومقام اخر ويظهر في ذلك المقام بالاضافة
الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا يعرف ذلك الا بمثال فاقول يمكنك ان تفهم ان ملكا من الملوك يرسل الى عبد
قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان
احداهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له عناء في خدمته والثانية ان لا يكون للملك
حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يقوى على القيام بمهم يغني به عنا وغيبته لا تنقص
من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في
نفسه لا لينتفع الملك به وباشتغاله فمنزلة العباد من الله في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان الاول محال على الله والثاني
غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمته التي ارادها
الملك منه واما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بان يستعمل
ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمله فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد في بعده منه
فمهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته اي فيما احبه
لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه
وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو
بعد منه فكذلك خلق الله الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته
وانما سعادتهم في القرب منه فاعد لهم من النعم ما يقدرون على استعمالها في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم
عبر تعالى اذ قال ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
الاية فاذا نعم الله تعالى الات يترقى بها العبد عن اسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب
والله تعالى غني عنه قرب او بعد والعبد فيهما بين ان يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقته محبة مولاه وبين ان
يستعملها في معصيته فقد كفر لاقتحامه ما كرهه مولاه ولا يرضى له به فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان
عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق الله في الدنيا انما خلقه الة للعبد
ليتوصل بها الى سعادة الاخرة ونيل القرب من الله فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الاسباب التي استعملها في
الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال او عاص استعمل في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله فالمعصية والطاعة
تشملهما المشيئة ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد مكروه ورب مراد محبوب ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع
افشاؤه وقد انحل بهذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وبهذا ايضا ينحل الثاني فانا
لم نعن بالشكر الا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله تعالى فقد حصل المراد وفعلك
عطاء من الله تعالى ومن حيث انك له فقد اثنى عليك وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي اعطى وهو الذي اثنى وصار
احد فعليه سببا لانصراف فعله الثاني الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وانت موصوف بانك شاكر بمعنى انك محل
للمعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى انك موجد له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق العلم وموجده

لكن معنى انك محل له وقد وجدت القدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية ذلك وانت شى لم يجعلك خالق
الاشيا شيا وانما انت لاشى اذا كنت انت ظانا انك شيئ من ذاتك فاما باعتبار النظر الى الذى جعل الاشيا
اشيا فانت شى اذا جعلك شيا فان قطع النظر عن جعله كنت لاشى فالى هذا اشار صلى الله عليه حيث قال اعملوا فكل ميسر لما
خلق له لما قيل فيم العمل اذا كانت الاشيا قد فرغ منها من قبل فبين ان الخلق مجارى قدر الله تعالى ومحل افعاله وان كانوا
هم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله محل للبعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان الرسول صلى الله عليه فهو فعل من افعاله
وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وعلمهم فعل من افعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة الى الحركة والطاعة
وانبعاث الداعية ايضا من افعال الله تعالى وهو سبب لحركة الاعضا وهى ايضا من افعال الله ولكن بعض افعاله سبب لبعض
افعاله اى الاول شرط للثانى كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحيوة شرط لخلق العلم
وخلق العلم شرط لخلق الارادة والكل من افعال الله وبعضها سبب للبعض اى هو شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول
فعل الحيوة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض
بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذى ذكرناه **فان قلت** فلم
قال الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما الينا شى فكيف نذم وانما الكل الى الله تعالى
فاعلم ان هذا القول من الله سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات
والتجافى عن دار الغرور وذلك سبب الوصول الى جوار الله والله مسبب الاسباب وهو مرتبها فمن سبق له فى الازل
السعادة يسر له هذه الاسباب حتى يقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله فان كلا ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له
من الحسنى بعد عن سماع كلام الله وكلام رسوله وكلام العلما واذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم
يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك بقى فى حزب الشيطان فان جهنم لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم
يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من احد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف
عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالمتقون يساقون
الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار واذا انكشف
الغطا عن اعين الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
ولقد كان الملك للواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلون لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم
فهو نبا عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال وحيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب
بيان تمييز ما يحبه الله عما يكرهه اعلم ان فعل الشكر وترك الكفران لا يتم الا بالمعرفة ما يحبه الله
اذ معنى الشكر استعمال نعمة الله فى محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او بالاستعمال فى مكارهه
ولتمييز ما يحبه الله عما يكرهه مدركان **احدهما** السمع ومستنده الايات والاخبار **والثانى** بصيرة القلب
وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك ارسل الله الرسل وسهل بهم الطريق
على الخلق ومعرفة ذلك تنبنى على معرفة جميع احكام الشرع فى افعال العباد فمن لا يطلع على حكم الشرع فى جميع
افعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر اصلا **واما الثانى** وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى
فى كل موجود خلقه اذ ما خلق شيئا فى العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى
جلية والى خفية اما الجلية فكالعلم بان من الحكم فى خلق الشمس ان يحصل به الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل
لباسا فتتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم اخرى
كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة فى الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى
للانعام وقد انطوى القران على جملة من الحكم الجلية التى تحتملها افهام الخلق دون الدقيقة التى يقصرون عن
فهمها اذ قال تعالى انا صببنا الما صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا فاما الحكم فى الكواكب السيارة
منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذى يحتمله فهم الخلق انها زينة للسما لتستلذ العين بالنظر اليها
واشار اليه قوله تعالى انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب فجميع اجزاء العالم سماؤها وكواكبها ورياحها وبحارها

وجبالها

وجبالها ومعادنها ونباتها وحيوانها واعضا حيواناتها لا تخلو ذرة من ذراتها عن حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشرة الى الف
وكذا اعضا الحيوان تنقسم الى ما يعرف حكمتها كالعلم بان العين للابصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشى والرجل للمشى لا للشم فاما الاعضا الباطنة
من الامعا والمرارة والكلية والكبد وآحاد العروق والاعصاب وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والرقة
والغلظة وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها كافة الناس والذين عرفوها لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا بالاضافة الى علم الله تعالى
فما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كل من استعمل شيا فى جهة غير الجهة التى خلق لها ولا على الوجه الذى اريد به فقد كفر نعمة الله فيه فمن
ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه وياخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره ومن نظر الى وجه
غير محرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار يتم بهما وانما خلقا ليبصر بهما ما ينفعه فى دينه ودنياه ويتقى بهما ما يضره
فيهما فقد استعملهما فى غير ما اريد بهما وهذا لان المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول
الى الله ولا وصول اليه الا بالمحبة والانس به فى الدنيا والتجافى عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة
الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الفكر والذكر الا بدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء والغذاء
ولا يتم ذلك الا بخلق السما والارض وخلق سائر الاعضا ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع
الى الله هى النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ولذلك قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكل من
استعمل شيا فى غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله فى جميع الاشيا التى لابد منها لاقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا
للحكم الخفية التى ليست فى غاية الخفا حتى يعتبر بها ويعلم طريق الشكر والكفران على النعم **فنقول** من نعم الله
خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة فى اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان
محتاج الى اعيان كثيرة فى مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغنى عنه كمن يملك الزعفران مثلا
وهو محتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغنى عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد فى مقدار العوض
من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله فى
الوزن او الصورة وكذا من يشترى دارا بثياب او عبدا بخف او دقيقا بحمار فهذه الاشيا لا تناسب فيها فلا يدرى ان الجمل
كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينهما يحكم فيهما بحكم
عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوى من غير المساوى
فخلق الله الدراهم والدنانير حاكمين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل يساوى مائة وهذا
القدر من الزعفران يساوى مائة فهما من حيث انهما متساويان بشى واحد اذا متساويان وانما امكن التعديل بالنقدين
اذ لا غرض فى اعيانهما ولو كان فى اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض فى حق صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك
فى حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدى ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل ولحكمة
اخرى وهو التوسل بهما الى سائر الاشيا لانهما عزيزان فى انفسهما اذ لا غرض فى اعيانهما ونسبتهما الى سائر الاموال نسبة
واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شى لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فلو احتاج الى الطعام ربما لم يرغب صاحب الطعام
فى الثوب لان غرضه فى دابة مثلا فاحتيج الى شى هو فى صورته كانه ليس بشى وهو فى معناه كانه كل الاشيا والشى انما تستوى
نسبته الى المختلفات اذا لم يكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمراة لا لون لها وتحكى كل لون فكذلك النقد لا غرض
فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لا معنى له فى نفسه وتظهر به المعانى فى غيره فهذه هى الحكمة الثانية وفيهما
ايضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله فيهما فاذا
من كنزهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين فى سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه اذا كنز فقد ضيع ولا
يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة اذ لا غرض للاحاد فى اعيانهما فانهما حجران
وانما خلقا لتتداولهما الايدى فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله الذين يعجزون عن
قراة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهى لا حرف فيه ولا صوت الذى يدرك بعين البصر بل بعين
البصيرة اخبر هولا العاجزين بكلام سمعوه من رسوله حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذى عجزوا
عن ادراكه فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وكل من اتخذ

الدراهم والدنانير آنية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالا ممن كنز لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس والأعمال التي يقوم بها أخساء الناس والحبس أهون منه وذلك أن الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن أن تتبدد وإنما الأواني لحفظ المائعات ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي أريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له من شرب في آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا لغيرهما لا لأنفسهما إذ لا غرض في عينهما وإذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاما ودابة إذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده فإنهما وسيلتان إلى الغير لا غرض في أعيانهما وموقعهما من الأموال كموقع الحرف من الكلام كما قال النحويون الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من الألوان فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل إلى الغير ظلم كما أن حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم **فإن قلت** فلم جاز بيع أحد النقدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم أن أحد النقدين يخالف الآخر في مقصود التوسل إذ قد يتيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسير التوسل به إلى غيره وأما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث إن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فإنه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه ونحن لا نخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه فلا نمنع مما لا تتشوف النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود وذلك أيضا لا يتصور جريانه إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينتظم العقد فإن طلب زيادة في الرديء فذلك مما قد يقصده فلا جرم نمنعه منه ونحكم بأن جيدها ورديئها سواء لأن الجودة والرداءة ينبغي أن ينظر إليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مصارفات دقيقة في صفاته وإنما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد وأما إذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فإنما لم يجز لأنه لا يقدم على هذا إلا مسامح قاصد للإحسان في القرض فهي مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد وأجر والمعاوضة لا حمد فيها ولا أجر فهو أيضا ظلم لأنه إضاعة خصوص المسامحة وإخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها فإن فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الأيدي ويؤخر عنها الأكل الذي أريدت له فما خلق الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الأطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستغني عنها إلى المحتاج ولا يتعامل على الأطعمة إلا مستغن عنها إذ من معه الطعام فلم لا يأكله إن كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وإن جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام يكون محتاجا إليه فأما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذور ولكنه عابث فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى به صاحب الجيد وأما جيد برديئين فقد يقصد ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوي الرديء في أصل الفائدة ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الإعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات فإنه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رضي الله عنه في التخصيص بالأطعمة دون المكيلات إذ لو دخل الجص فيه لكانت الثياب والدواب أولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك أقوم المذاهب فيه إذ خصصه بالأقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد وأن يضبطه بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم ورأى الشرع التحديد بجنس المطعوم أولى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا تعرى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع لذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في تتبع جواهر المعاني مع اختلافها بالأحوال والأشخاص فيكون الحد ضروريا ولذلك قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما يحد شرع عيسى تحريم الخمر بالسكر وقد حد شرعنا بكونه

من جنس المسكر لأن قليله يدعو إلى كثيره والداخل في الحد داخل في التحريم بحكم الجسم كما دخل أصل المعنى للحكمة الأصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين فينبغي أن تعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي أن يصرف عنها ولا يعرف هذا إلا من عرف الحكمة ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشياطين بل لا يتذكر إلا أولو الألباب ولذلك قال صلى الله عليه لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء وإذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فإنه إما شكر وإما كفران إذ لا يتصور أن ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي هو نطق بعوام الخلق بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالحظر **فأقول** مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين إذ خلق الله لك اليدين وجعل أحدهما أقوى من الأخرى فاستحقت الأقوى بمزيد رجحانها في الغالب التشريف والتفضيل إذ تفضيل الناقص عدول به عن العدل والله لا يأمر إلا بالعدل ثم أحوجك من إعطائك اليدين إلى أعمال بعضها شريف كأخذ المصحف وبعضها خسيس كإزالة النجاسة فإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك إذا بصقت مثلا إلى جهة القبلة واستقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله في خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متسعك في حركاتك وقسم الجهات إلى ما لم يشرفها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتا أضافه إلى نفسه استمالة لقلبك إليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عبدت ربك وكذلك انقسمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البصاق فإذا رميت بصاقك إلى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لأن الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداية في الحظوظ ينبغي أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة وإن سماه الفقيه مكروها حتى إن بعضهم كان قد جمع أكرارا من الحنطة وكان يتصدق بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فأريد أن أكفره بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لأنه مسكين بلي بإصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الأنعام وهم منغمسون في ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها فيقبح أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ القدح بيساره فقد تعدى من وجهين أحدهما الشرب والآخر الأخذ باليسار ومن باع خمرا في وقت النداء يوم الجمعة فقبيح أن يقال خالف من وجهين أحدهما بيع الخمر والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبرا للقبلة فقبيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة عن يمينه فالمعاصي كلها ظلمات بعضها فوق بعض فيمحى بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكاية في نفسه فكل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب وتساهلنا به في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة وإلا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب نعم بعضها يؤثر في البعد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين

وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله في خلق الأشجار وخلق اليد أما اليد فإنها لم تخلق للعبث بل للطاعة وللأعمال المعينة على الطاعة وأما الشجرة فإنما خلقها الله تعالى وخلق لها العروق وساق إليها الماء وخلق فيها قوة الاغتذاء والنماء لتبلغ منتهى نشوها فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فإن كان له غرض صحيح فله ذلك إذ الشجر والحيوان جعلا فداء لأغراض الإنسان فإنهما جميعا فانيان هالكان فإفناء الأخس في بقاء الأشرف مدة ما أقرب إلى العدل من تضييعهما جميعا وإليه الإشارة بقوله تعالى وسخر لكم ما في الأرض جميعا منه نعم إن كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وإن كان محتاجا لأن كل شجرة بعينها فلا تفي بحاجات عباد الله تعالى كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما وصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الأرض وساق إليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فترجح جانبه بذلك فإن نبت ذلك في موات لا بسعي آدمي اختص بمنبته أو بغرسه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه فالسابق خاصيته السبق فالعدل أن يكون هو أولى به وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح

بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا لملك الملوك الذي له ما في السموات والارض وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس
يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله وقد اذن لهم في الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك
ينصب مائدة لعبيده فمن اخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه فجاء عبد اخر واراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لان اللقمة
صارت ملكا له بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد ايضا مملوك ولكن اذا كانت كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد
فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاص تفرد به العبد فمنع من لا يدلي بمثل ذلك الاختصاص
عن مزاحمته فهكذا ينبغي ان تفهم امر الله في عباده ولذلك نقول من اخذ من اموال الدنيا اكثر من حاجته وكنزه وامسكه وفي
عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وانما سبيل الله طاعته
وزاد الخلق في طاعته اموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل هذا في حد فتاوى الفقه لان مقادير
الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة واواخر الاعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجري مجرى
تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهو لحكم نقصانه لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم في
اللهو واللعب واباحتنا اياهم ذلك لا يدل على ان اللعب واللهو حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار في
الانفاق على قدر الزكوات لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق وقد اشار الله تعالى اليه اذ قال ان
يسألكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق الذي لا لذوق فيه والعدل الذي لا ظلم فيه ان لا ياخذ احد من عباد الله من مال الله الا بقدر
زاد الراكب وكل عباد الله ركاب لمطايا الابدان الى حضرة الملك الديان فمن اخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب اخر محتاج
اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر بنعمة الله عليه بالقران والرسول والعقل وسائر الاسباب
التي بها عرف ان ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والاخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع انواع الموجودات قدر على
القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا يفي الا بالقليل وانما اوردنا هذا القدر لتعلم علة الصدق
في قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الاية من لم يعرف
هذا كله والامور لا يعرف هذا انقضى الاعمار دون استقصاء مبادئها فاما تفسير الاية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة
ولهذا تبين لك الفرق بين المعنى والتفسير **فان قلت** فقد رجع حاصل الكلام الى ان لله تعالى حكمة في كل شيء
وانه جعل بعض افعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض افعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل
وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكلما خالف ومنع الاسباب من ان تنساق الى الغاية المرادة
فهو كفر فهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو ان فعل العبد ينقسم الى ما يتم الحكمة والى ما يدفعها هو ايضا من
فعل الله فاين العبد في البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا اخرى فاعلم ان تمام التحقيق في هذا يستمد من بحار عظيمة
من علوم المكاشفة وقد رمزنا فيما سبق الى تلويحات لمبادئها ونحن الان نعبر بعبارة وجيزة عن اخرها وغايتها يفهمها من
عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الايضاع في السير فضلا عن ان يجول في جو الملكوت جولان الطير **فنقول** ان
لله سبحانه في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة اعلى واجل من ان تلمحها عين واضع اللغة
حتى تعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها ولم يكن في العالم لها عبارة لعلو شانها وانحطاط رتبة واضع
اللغات عن ان يمتد طرفهم الى مبادي اشراقها فانخفضت عن ذروتها ابصارهم كما تنخفض ابصار الخفافيش عن نور الشمس
لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف ابصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت ابصارهم للاحظة جلالها الى ان يستعيروا
من عالم المتناطقين باللغات عبارة توهم من مبادي حقائقها شيئا ضعيفا جدا واستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب
استعارتهم على النطق فقلنا لله صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود الى اقسام
وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة اخرى استعيرت لها بمثل الضرورة
التي سبقت عبارة المشيئة فهي توهم منها امرا مجملا عند المتناطقين باللغات التي هي حروف واصوات المتفاهمين بها
وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة
من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذي هو غاية حكمتها والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة
المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلاف فاستعير لنسبته البالغ غايته عبارة المحبة

واستعير لنسبة الواقف دون غايته الكراهة وقيل انهما داخلان في وصف المشيئة ولكل واحد خاصية اخرى في
النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة منهما امرا مجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباد الله الذين ايضا
من خلقه واختراعه الى من سبقت له في المشيئة الازلية ان يستعمله لاستيفاق حكمته دون غايته ويكون ذلك قهرا في
حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم والى من سبقت لهم في الازل ان يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها في بعض الامور
وكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين في اتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير
للذين استوقفت بهم اسباب الحكمة دون غايتها فاستعير له الكفر وارادف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال
وظهر على من ارتضاه في الازل فعل ساق نسبة الحكمة الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر واردف بخلعة الثناء والاطراء
زيادة في الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه اعطى الجمال ثم اثنى واعطى النكال ثم قبح واردى وكان مثاله ان
ينظف الملك عبده الوسخ عن اوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه واذا تم زينته قال يا جميل ما اجملك واجمل ثيابك وانظف
وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على الجمال فهو المثني عليه بكل حال وكانه لم يثن من حيث المعنى الا على نفسه
وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور في الازل وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات
بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم
استعير له لفظ القضاء وقيل انه كلمح البصر ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير واستعير
لترتيب احاد المقدرات بعضها على بعض لفظ القدر وكان لفظ القضاء بازاء الامر الواحد الكلي ولفظ القدر بازاء التفصيل
المتمادي الى غير نهاية وقيل ان شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد ان القسمة لماذا اقتضت هذا
التفصيل وكيف يستقيم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الامر
والاحتواء على مجامعه فالجموا عما لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون وامتلات مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور السموات والارض وكان زيتهم اولا صافيا يكاد يضيء ولو
لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورا على نور واشرقت اقطار الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كما
هي فقيل لهم تادبوا باداب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للحيطان اذانا وحولكم ضعفاء الابصار فسيروا
بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا باخلاق الله وانزلوا الى
السماء الدنيا من منتهى علوكم لياتنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من
بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيحيى به حياة يحتمله شخصه وحاله وان كان لا يحيى به حياة المترددين في كمال
نور الشمس وكونوا كما قيل فيهم

شربنا شرابا طيبا عند طيب ۞ كذاك شراب الطيبين يطيب
شربنا واهرقنا على الارض فضلة ۞ وللارض من كاس الكرام نصيب

فهكذا كان اول هذا الامر واخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلا له واذا كنت اهلا له فتحت العين وابصرت فلا تحتاج
الى قائد يقودك والاعمى يمكن ان يقاد الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار احد من السيف وادق من الشعر قدر الطائر
على ان يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى واذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يمكن العبور الا بالسباحة
فقد يقدر الماهر بصناعة السباحة ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى فهذه امور نسبة المشي فيها
الى المشي على ما هو مجال جماهير الخلق نسبة المشي على الماء الى المشي على الارض والسباحة يمكن ان تتعلم واما المشي على
الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه ان عيسى عليه السلام كان يمشي على الماء فقال
لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران
لا يليق بعلم المعاملة اكثر منه وقد ضرب الله مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق اذ عرفنا انه ما خلق الجن والانس
الا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل وروح القدس
والامين وهو عنده محبوب مطاع ويبغض الاخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد
الى جبريل فقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده واحال الاغواء
على ابليس فقال ليضلهم عن سبيله والاغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبته الى العبد

الذي غضب عليه والارشاد شيئا قد لهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد الذي احبه وعدلك في العادة لو مثال
الملك اذا كان يحتاج الى من ينقيه التراب والى من ينظف فنا منزله عن التراب وكان له عبدان فلا يعين للكنس الا اقبحهما
ولا يفوض حمل الشراب الطيب الا الى احسنهما واكملهما واحبهما اليه ولا ينبغي ان يقول هذا فعلي ولم يكن فعله على دون فعل
فانك اخطات اذا اضفت ذلك الى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب
بالشخص المحبوب اتماما للعدل فان عدله تارة يتم باموره لا مدخل لك فيها وتارة يتم فيك فانك ايضا من افعاله فداعيتك
وقدرتك وشاء واسباب حركاتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيبا يصدر عنه الافعال المعتدلة الا
انك لا ترى الا نفسك فتظن ان ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه الى
نفسك وانما انت مثل الصبي الذي ينظر ليلا الى لعب المشعوذ الذي يخرج صورا من وراء الحجاب ترقص وترعق وتقوم وتقعد
وهي مولفة من خرق لا تتحرك بانفسها انما يحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في يد المشعوذ وهي
محجوبة عن ابصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم ان تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد واما العقلاء فانهم
يعلمون ان ذلك تحريك وليس بتحرك لا يعلمه كما يعلمه المشعوذ الذي الامر اليه والحادثة بيده فكذلك صبيان اهل
الدنيا والخلق كلهم صبيان الا العلما ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيحيلون عليها والعلما يعلمون
انهم محركون الا انهم لا يعلمون كيفية التحريك وهم الاكثرون الا العارفون والعلما الراسخون فانهم ادركوا بحدة
ابصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل ادق منها بكثير معلقة من السما متشبثة الاطراف باشخاص اهل الارض تدرك
تلك الخيوط لدقتها بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا روس تلك الخيوط في مناطات لها متعلقة بها وشاهدوا
لتلك المناطات معاليق هي في ايدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا ابصار ملائكة السموات مصروفة الى حملة العرش
ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وعبر عن
هذه المشاهدات في القران فقيل وفي السما رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل اليهم من الامر
والقدر فقيل خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط
بكل شي علما وهذه امور لا يعلم تاويلها الا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنه عن اختصاص
الراسخين في العلم بعلوم لا يحتملها افهام الخلق حيث قرا قوله تعالى يتنزل الامر بينهن فقال لو ذكرت ما اعرفه
من معنى هذه الاية لرجمتموني وفي لفظ اخر لقلتم انه كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج
بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع الى مقاصد الشكر **فنقول** اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملا في اتمام حكمة الله
فاشكر العباد احبهم الى الله واقربهم اليه واقرب الى الله الملائكة ولهم ايضا ترتيب وما منهم الا له مقام معلوم واعلاهم في رتبة القرب
اسمه اسرافيل وانما علو درجتهم لانهم في انفسهم كرام بررة وقد اصلح بهم الانبياء وهم اشرف مخلوق على وجه الارض وتلي درجتهم درجة الانبياء
فانهم في انفسهم اخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته واعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم اذ اكمل الله به الدين وختم به
النبيين ويليهم العلما الذين هم ورثة الانبياء فانهم في انفسهم صالحون وقد اصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ما اصلح
من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم اصلحوا دنيا الخلق كما اصلح العلما دينهم ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة
لنبينا صلى الله عليه وسلم كان افضل من سائر الانبياء فانه اكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من
الانبيا ثم يلي العلما والسلاطين الصالحون الذين اصلحوا انفسهم فقط ولم تتم حكمة الله بهم الا فيهم ومن عداهم فهمج رعاع واعلم ان السلطان
به قوام الدين فلا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالما فاسقا قال عمرو بن العاص امام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبي صلى الله
عليه وسلم سيكون عليكم امرا يفسدون وما يصلح الله بهم اكثر فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان اساوا فعليهم الوزر
وعليكم الصبر وقال سهل من انكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير
دعوة فهو جاهل وسئل اي الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان للسلطان في كل يوم
نظرتين نظرة الى سلامة اموال المسلمين ونظرة الى سلامة ابدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنوبه وكان يقول الخشبات
السود المعلقة على ابوابهم خير من سبعين قاصا يقول

الركن الثاني من اركان الشكر ما عليه الشكر وهو النعمة
ولنذكر فيه حقيقة النعمة واقسامها ودرجاتها واصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فان احصا نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر
كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم امورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الاحاد

بيان حقيقة النعمة واقسامها اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة
هي السعادة الاخروية وتسمية ما عداها نعمة وسعادة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الاخرة نعمة
فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشي صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخروية اصدق فكل سبب يوصل الى سعادة
الاخرة ويعين عليها اما بواسطة واحدة او بوسائط فان تسميته نعمة صحيح وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية والاسباب
المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات **القسم الاول** ان الامور كلها بالاضافة الينا تنقسم الى ما هو نافع في الدنيا
والاخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في المال كالتلذذ
باتباع الشهوات والى ما يضر في الحال ويولم ولكن ينفع في المال كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمال هو النعمة تحقيقا
كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المال بلا محض عند ذوي الابصار وتظنه
الجهال نعمة ومثاله الجائع اذا وجد عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا واذا علمه علم ان ذلك بلا سيق اليه والضار في الحال
النافع في المال نعمة عند ذوي الالباب بلا عند الجهال ومثاله الدوا البشع في الحال مذاقه الا انه شاف من الامراض والاسقام
وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلا والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه اليه ويهيي له اسبابه فلذلك
تمنع الام ولدها من الحجامة والاب يدعوه اليه فان الاب لكمال عقله يلحظ العاقبة والام لقصورها وفرط حبها تلحظ الحال والصبي
بجهله يتقلد منة من امه دون ابيه ويانس اليها والى شفقتها ويقدر الاب عدوا له ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة
صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى امراض والام اشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان
فهو صديق نفسه ولكنها صديق جاهل فلذلك تعمل به ما لا يعمل به العدو **قسمة ثانية** اعلم ان الاسباب الدنياوية
مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن تنقسم
الى ما نفعه اكثر من ضرره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ما ضرره اكثر من نفعه في حق اكثر الاشخاص كالمال
الكثير والجاه الواسع والى ما يكافي ضرره نفعه وهذه امور تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر فينفقه
في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب انسان يستضر بالقليل ايضا اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه
طالبا الزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلا في حقه **قسمة ثالثة** اعلم ان الخيرات باعتبار اخر تنقسم الى ما هو موثر لذاته
والى ما هو موثر لغيره والى ما هو موثر لذاته ولغيره فالاول ما يوثر لذاته لا لغيره كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه
وبالجملة سعادة الاخرة التي لا انقضا لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية اخرى مقصودة وراها بل تطلب لذاتها **الثاني**
ما يقصد لغيره ولا غرض اصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجات لو كانت لا تنقضي بها لكانت هي والحصى بمثابة واحدة
ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايصال اليها صارت عند الجهال محبوبة في نفسها حتى يجمعونها ويكنزونها ويتصارفون
عليها بالربا ويظنون انها مقصودة **ومثال** هولا مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى
في محبة الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال
الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الفكر والذكر الموصلين الى لقا الله
تعالى وليتوصل بها الى استيفا لذات الدنيا وتقصد ايضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن المشي الذي يراد سلامة الرجل
لاجله فيريد ايضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذا الموثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يوثر لذاته ولغيره
ايضا فهو نعمة ولكن دون الاول فاما ما لا يوثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في انفسهما من حيث هما جوهران بانهما نعمة
لكن من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلو كان
مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر وكان وجودهما وعدمهما عنده
بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكون بلا في حقه ولا يكون نعمة **قسمة رابعة** اعلم ان
الخيرات باعتبار اخر تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المال
والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور ايضا تنقسم الى ضار وقبيح ومولم وكل واحد من القسمين ضربان
مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة اما في الخير كالعلم والحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند

اهل العلم والحكمة فاما فى الشر كالجهل فانه ضار قبيح ومولم وانما يحس الجاهل بالم جهله اذ اعرف انه جاهل بان يرى غيره عالما ويرى نفسه
جاهلا فيدرك الم النقص فينبعث منه شهوة العلم اللذيذ ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم المه
فانه ان ترك العلم تالم بالجهل ودرك النقصان وان اشتغل بالتعلم تالم بترك الشهوات او ترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص فى عذاب
دايم لا محالة والضرب الثانى مقيد وهو الذى جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مولم كقطع الاصبع المتاكلة والسلعة
الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح
فى الحال الى ان يجى وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كالقاء المال فى البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال ونافع للنفس
والنافع قسمان ضرورى كالايمان وحسن الخلق والايصال الى سعادة الاخرة واعنى بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما البتة
والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا فى تسكين الصفرا فانه قد يمكن تسكينها بما يقوم مقامه **قسمة خامسة** اعلم ان النعمة يعبر بها
عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها ومشاركته لغيره ثلاثة انواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض
الحيوانات اما العقلية فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها القلب
لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه اقل اللذات وجودا وهى اشرفها • واما قلتها فلان العلم لا يستلذه الا عالم والحكمة
لا يستلذها الا حكيم وما اقل اهل العلم والحكمة وما اكثر المتشبهين باسمهم والمترسمين برسومهم • واما شرفها فانها لازمة لا تزول
ابدا لا فى الدنيا ولا فى الاخرة ودايمة لا تمل والطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ عنها فتستثقل والحكمة والعلم قط لا يتصور
ان تمل ويستثقل ومن قدر على الشريف الباقى ابد الاباد اذا رضى بالخسيس الفانى فى اقرب الاماد فهو مصاب فى عقله محروم لشقاوته
وادباره واقل امر فيه ان العلم والعقل لا يحتاج الى اعوان وحفظة خلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد
بالانفاق والمال ينقص والولاية يعزل عنها صاحبها والعلم لا تمتد اليه ايدى السراق بالاخذ ولا ايدى السلاطين بالعزل فلا يكون
صاحبه فى روح الامن ابدا وصاحب المال والجاه فى كرب الخوف ابدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل فى كل حال وابدا والمال تارة يجذب
الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال فى القران فى مواضع واما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم
فاما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق اذ الشوق تبع الذوق واما لفساد امزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع
الشهوات كالمريض الذى لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا واما القصور فطرتهم اذ لم يخلق لهم بعد الصفة التى بها يستلذ العلم كالطفل
الرضيع الذى لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انها ليست لذيذة ولا استطابته
اللبن يدل على انه الذ الاشيا فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلثة اما من لم يحى باطنه كالطفل واما من مات
بعد الحيوة باتباع الشهوات واما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى فى قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله
لينذر من كان حيا اشارة الى من لم يحى حيوة باطنه وكل حى بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وان كان عند الجهال
من الاحيا ولذلك كان الشهدا احيا عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله وان كانوا موتى الابدان **والثانية**
لذة يشارك الانسان بها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلا وذلك موجود فى الاسد والنمر وبعض الحيوانات
والثالثة ما يشارك بها ساير الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه اكثرها وجودا وهى اخسها ولذلك اشترك فيها كل ما دب
ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة الغلبة وهى اشدها التصاقا بالمتغافلين فان جاوز
ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وهذه
رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب واخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة
واما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على قهرها الا الصديقون فاما قمعها بالكلية
حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفى اختلاف الاحوال فيشبه ان يكون خارجا من مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله
تعالى فى احوال لا يحس معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات
البشرية فتكون موجودة لكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى اربعة اقسام
قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدرى ما لذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته
بالجاه والرياسة والمال وساير الشهوات البدنية وقلب اغلب احواله الانس بالله تعالى والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد
يعتريه فى بعض الاحوال الرجوع الى اوصاف البشرية وقلب اغلب احواله التلذذ بصفات البشرية ويعتريه فى بعض الاحوال

بلذة العلم والمعرفة اما الاول فان كان ممكنا فى الوجود فهو فى غاية القلة واما الثانى فالدنيا طافحة به واما الثالث
والرابع فموجود ولكن على غاية الندور ولا يتصور ان يكون الا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت فى القلة والكثرة وانما يكون
كثرته فى الاعصار القريبة من اعصار الانبيا فلا يزداد العهد طولا الا ويزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقرب الساعة ويقضى
الله امرا كان مفعولا وانما وجب هذا ان يكون نادرا لانه مبادى ملك الاخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون فكما لا يكون الفايق
فى الملك والجمال الا نادرا واكثر الناس من دونهم فكذا فى ملك الاخرة فان الدنيا مراة الاخرة فانها عالم الشهادة والاخرة عبارة عن
عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما ان الصورة فى المراة تابعة لصورة الناظر فى المراة والصورة فى المراة وان كانت
هى التابعة فى رتبة الوجود فانها اول فى حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وترى صورتك فى المراة اولا فتعرف بها صورتك
التى هى قايمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع فى الوجود متبوعا فى حق المعرفة وانقلب المتاخر متقدما وهو انواع من
الانعكاس ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم ولذلك عالم الغيب والشهادة مثال عالم الغيب والملكوت فمن الناس من
يسر له نظر الاعتبار ولا ينظر فى شى من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد امر الخلق به فقيل فاعتبروا
يا اولى الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعبر فاحتبس فى عالم الملك والشهادة وستفتح الى حبسه ابواب جهنم وهذا الحبس مملو
نارا شانها ان تطلع على الافئدة الا انه بينه وبين ادراك المها حجاب فاذا رفع الحجاب بالموت ادرك وعن هذا اظهر الله تعالى الحق على
لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم مرة يدرك بادراك يسمى علم اليقين ومرة يدرك بادراك اخر
يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون الا فى الاخرة وعلم اليقين يكون فى الدنيا ولكن للذين وفر حظهم من نور اليقين فلذلك قال تعالى
كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين اى فى الاخرة فاذا اتضح ان القلب الصالح لملك الاخرة لا يكون الا عزيزا
كالشخص الصالح لملك الدنيا **قسمة سادسة** حاوية لمجامع النعم اعلم ان النعم تنقسم الى ما هى غاية مطلوبة لذاتها والى
ما هى مطلوبة لاجل الغاية اما الغاية فانها سعادة الاخرة ويرجع حاصلها الى اربعة امور بقا لا فنا له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل
معه وغنى لا فقر معه وهى النعمة الحقيقية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الاخرة وقال ذلك مرة فى الشدة
تسلية للنفس وذلك وقت حفر الخندق فى شدة الضير وقال ذلك مرة فى السرور ومنعا للنفس من الركون الى سرور الدنيا
وذلك عند احداق الناس به فى حجة الوداع وقال رجل اللهم انى اسالك تمام النعمة فقال صلى الله عليه وسلم هل تعلم ما تمام النعمة قال
لا قال دخول الجنة • واما الوسايل فتنقسم الى الاقرب الاخص كفضايل النفس والى ما يليه فى القرب كفضايل البدن وهو الثانى
والى ما يليه فى القرب ويجاوز الى غير البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من المال والاهل والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب
الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهى اذا اربعة انواع **النوع الاول** وهو الاخص الفضايل
النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب اطرافها الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علم المكاشفة وهو العلم بالله و
صفاته وملايكته ورسله والى علوم المعاملة وحسن الخلق وينقسم الى قسمين ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه العفة ومراعاة
العدل فى الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمتنع اصلا ولا يقدم كيف شا بل يكون اقدامه واحجامه بالميزان العدل الذى
انزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ قال ان لا تطغوا فى الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان
فمن خصى نفسه لترك شهوة النكاح او ترك النكاح مع القدرة والامن من الافات او ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر
والفكر فقد اخسر الميزان ومن انهمك فى شهوة البطن والفرج فقد طغى فى الميزان وانما العدل ان يخلو وزنه وتقديره عن
الطغيان والخسران فيعتدل به كفتا الميزان فاذا الفضايل الخاصة بالنفس المقربة الى الله تعالى اربعة علم مكاشفة وعلم
معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا فى غالب الامر الا بالنوع الثانى وهى الفضايل البدنية وهى اربعة الصحة والقوة والجمال
وطول العمر ولا تتهيا هذه الامور الاربعة الا بالنوع الثالث وهى النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهى اربعة المال والاهل
والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشى من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع وهى الاسباب التى تجمع بينها وبين
ما يناسب الفضايل النفسية الداخلة وهى اربعة هداية الله ورشده وتسديده وتاييده فمجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها
الى اربعة وقسمنا كل واحد الى اربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض اما حاجة ضرورية او نافعة اما الحاجة الضرورية
فحاجة سعادة الاخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل للوصول الى سعادة الاخرة البتة الا بهما فليس للانسان الا ما
سعى وليس لاحد فى الاخرة الا ما تزود من الدنيا ولذلك حاجة الفضايل النفسية بكسب العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة

الا ضروري واما الحاجة النافعة على الجملة كحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز
والاهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة **فان قلت** فما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم
الخارجة من المال والاهل والجاه والعشيرة فاعلم ان هذه الاشيا جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود
اما المال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس معه كفاية كساع الى الهيجا بغير سلاح وكباز يروم الصيد بلا جناح
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على تقوى الله المال وكيف لا ومن
عدم المال صار مستغرق الاوقات في طلب القوت وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع
من البلا الا تشغله عن الذكر والفكر لا تندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم فضيلة الحج والزكوة والصدقات وافاضة الاذى
الخيرات قال بعض الحكما وقد قيل له ما النعيم قال الغنى فاني رايت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال الامن فاني رايت
الخائف لا عيش له قيل زدنا قال العافية فاني رايت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فاني رايت الهرم
لا عيش له وكان ما ذكره اشارة الى نعيم الدنيا ولكنه من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال عليه السلام
من اصبح معافى في بدنه امنا في سربه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها • واما الاهل والولد الصالح
فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال صلى الله عليه نعم العون على الدين المراة الصالحة وقال في الولد اذا مات
الرجل انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له بالخير وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد في باب النكاح واما
الاقارب فمهما كثر اولاد الرجل واقاربه كانوا له مثل الاعين والايدي فيتيسر له بسببهم من الامور الدنياوية
المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين على الدين فهو اذا نعمة
واما العز والجاه فيه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضيم ولا يستغني عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه
وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه راس ماله وانما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه
ولذلك قيل الدين والسلطان توامان وقال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض
ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك القلوب تسخرت له ارباب القلوب لدفع
الاذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكلب يدفع عنه الذئب عن
ماشيته فيحتاج ايضا الى من يدفع به الشر عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبيا الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون
السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علما الدين لا على قصد التناول من خزائنهم والاستئثار والاستكثار
في الدنيا بمتابعتهم ولا تظنن ان نعمة الله على رسوله صلى الله عليه حيث نصره واكمل دينه واظهره على جميع اعدائه
ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كان اقل من نعمته حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة
فان قلت كرم العشيرة وشرف الاهل من النعم ام لا **فاقول** نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الائمة من قريش ولذلك كان صلى الله عليه من اكرم ارومة في نسب آدم ولذلك قال صلى الله عليه تخيروا
لنطفكم وقال اياكم وخضرا الدمن فقيل وما خضرا الدمن فقال المراة الحسنا في المنبت السوء فهذا ايضا من النعم
ولست اعني به الانتساب الى الظلمة وارباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى العلما
والى الصالحين والى الابرار المتوسمين بالعلم والعمل **فان قلت** فما معنى الفضائل البدنية **فنقول** لا خفاء
لشدة الحاجة الى الصحة والقوة والى طول العمر اذ لا يتم علم وعمل الا بها ولذلك قال صلى الله عليه افضل السعادة
طول العمر في طاعة الله وانما يستحقر من جملتها امر الجمال فيقال يكفي ان يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة عن تحري
الخيرات ولعمري الجمال قليل الغنا ولكنه من الخيرات ايضا اما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها واما في الآخرة فمن وجهين
احدهما ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة اقرب وجاهه في الصدور اوسع
وكانه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر
عليها القبيح وكل معين على قضا الحاجات في الدنيا فمعين عليها في الآخرة بواسطتها والثاني ان الجمال في الاكثر
يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تادى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك
عول اصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيات البدن وقالوا الوجه والعين مراة الباطن ولذلك يظهر

به اثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما في النفس وقيل ما في الارض قبيح الا ووجهه
احسن ما فيه واستعرض المامون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسمه من الديوان
وقال الروح اذا اشرقت على الظاهر فصباحة او على الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال
صلى الله عليه اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن
الاسم وقالت الفقها اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة • وقال تعالى ممتنا بذلك وزاده بسطة
في العلم والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة وانما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع
الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضا وتناسب خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليه **فان قلت**
قد ادخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول الله
والعلما وقال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال
علي رضي الله عنه في ذم النسب الناس ابنا ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه • وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما
معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم ان من ياخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المأولة والعمومات
المخصصة كان الضلال عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى الى ادراك الامور على ما هي عليه ثم ينزل النقل
على وفق ما ظهر له منها بالتاويل مرة وبالتخصيص اخرى فهذه نعم معينة على امر الآخرة لا سبيل الى جحدها الا
ان فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم الذي يعرف
وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وان اصابها السوادي الغر فهي عليه
هلاك وبلا وهو مثل البحر الذي تحته اصناف الجواهر واللآلي فمن ظفر بالبحر فقد ظفر بنعمة وان خاضه جاهل بالسبا
فقد هلك ولذلك مدح الله تعالى المال فسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على
تقوى الله المال وكذا مدح الجاه والعز اذ من الله على رسوله بان اظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق
وهو المعني بالجاه اذ الرا مقصود اختلاف القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما التزهيد في ذلك لان
الناس اكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم
المال قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا في اعيانهما مذمومين
بالاضافة الى كل احد لما تصور ان ينضاف اليها الغنى كما كان لسليمان عليه السلام فالناس كلهم صبيان
والاموال حيات والانبيا والعارفون معزمون وقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم نعم المعزم لو كان
له ولد يريد بقاه واصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو اخذها لاجل ترياقها لاقتدى به ولده واخذ الحية
اذا راها ليلعب بها فيهلك فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه ان يزن غرضه في الترياق
بغرضه في حفظ الولد فان كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو اخذها لاخذها الصبي
ويعظم ضرره بهلاكه فواجب ان يهرب عن الحية اذا راها ويشير على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه
ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجو منه احد ولا يحدثه اصلا بما فيها من نفع الترياق فان ذلك ربما يغره فيقدم عليها
من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص لو علم انه لو غاص في البحر بمراى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه ان
يحذر الصبي ساحل البحر والنهر فان كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما راى اباه يحوم حول الساحل فواجب عليه
ان يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه فكذلك الامة في حجر الانبيا كالصبيان الاغبيا ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده وقال انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا آخذ بحجزكم
وحظهم الاوفر في حفظ اولادهم عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس لهم في المال حظ الا بقدر القوت
فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل انفقوه فان الانفاق فيه الترياق وفي الامساك السم ولو
فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك قبحت الاموال
والمعني به تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها
فاما اخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر ان لا يحمل الا بقدر زاده في

السفر اذا صمم العزم على ان يخيص بما يحمله فاما ان تمحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقا فلا باس بالاستكثار
وقوله عليه السلام ليكن بلاغ احدكم من الدنيا كزاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان ممن يروي هذا الحديث ويعمل به
لمن ماية الف درهم في موضع ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان الاغنيا يدخلون الجنة
بعد الفقرا استاذنه عبد الرحمن بن عوف بان يخرج من جميع ما يملكه فاذن له فنزل جبريل فقال مره بان يطعم المسكين ويكسوا العاري
ويقري الضيف الحديث فاذا النعم الدنيوية قد امتزج دواها بدايها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال
معرفته فله ان يقرب منها متقيا داوها ومستخرجا دواها ومن لا فالبعد البعد الفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا يعدل بالسلامة شيا في حق
هولا وهم الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه **فان قلت** فما معنى النعم التوفيقية الراجعة الى الهداية والرشد
والتاييد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغني عنه احد وهو عبارة عن التاليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضا الله و
قدره وهذا يشمل الشر والخير وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص الاسم بما يوافق السعادة من جملة قضا الله
تعالى وقدره كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص بمن مال الى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خفا بالحاجة الى التوفيق ولذلك
قيل اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده • فاما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة
الا بها لان داعية الانسان قد تكون مايلة الى ما فيه صلاح اخرته ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح اخرته حتى يظن الفساد صلاحا
فمن اين ينفعه مجرد الارادة فلا فايدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا الذي اعطى
كل شي خلقه ثم هدى. وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشا والله سميع عليم وقال
صلى الله عليه وسلم ما من احد يدخل الجنة الا برحمة الله اي بهدايته فقيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا والهداية ثلاث منازل
الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد انعم الله به على كافة عباده بعضه بالعقل
وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى واسباب الهدى هي الكتب و
الرسل وبصاير العقول وهي مبذولة فلا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب وان كانت لا
تعمي الابصار ومن جملة المعميات الالف والعادة وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى وقالوا لولا انزل هذا
القران على رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى ابشرا منا واحدا نتبعه فهذه المعميات هي التي منعت الاهتدا والهداية **الثانية**
ورا هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة ورا الثانية وهي
النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدى بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف و
امكان تعلم العلوم وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة
وان كان الكل من جهته فقال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وهو المسمى حيوة في قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واما الرشد فنعني به العناية الالهية التي
تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال
تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى الجهة ولانه مع ذلك يبذر ولا
الاستنما لا يسمى رشيدا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره فقد اعطي
الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري انه يضره ولكن ما اعطي الرشد فالرشد بهذا الاعتبار اكمل من مجرد الهداية الى
وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليشتد في صوب
الصواب في اسرع وقت فان الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهو الرشد والرشد لا يكفي
بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضا والالات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية اليه فالهداية محض التعريف والرشد
هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضا في صوب السداد واما التاييد فكانه
جامع للكل وهو عبارة عن تقوية امره بالبصيرة من داخل وقوة البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد
بقوله اذ ايدتك بروح القدس ويقرب منه العصمة وهو عبارة عن جود الهي يسبح في الباطن يقوى به الانسان على
تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس واياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى

برهان ربه فهذه هي مجامع النعم ولن يثبت الا لمن خوله الله الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع
المراعي والعلم الناصح والمال الزايد على ما يقصر عن المهمات بقلة القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه
السفها وظلم الاعدا ويستدعي كل واحد من هذه الاسباب الستة عشر اسبابا وتستدعي تلك الاسباب اسبابا الى ان ينتهي بالاخرة
الى دليل المتحيرين وملجا المضطرين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب
استقصاوها فلنذكر منها انموذجا ليتعلم به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها **بيان وجه الانموذج في كثرة
نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر** اعلم انا جمعنا النعمة في ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة
في الرتبة المتاخرة فهذه النعمة الواحدة لو اردنا ان نستقصي الاسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها الا ان الاكل احد اسباب
الصحة فلنذكر جملة من الاسباب التي بها تتم نعمة الاكل ولا يخفى ان الاكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم
متحرك هو التها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من ارادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وادراك له ولا بد للاكل من ماكول ولا
بد للماكول من اصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلنذكر اسباب الادراك ثم اسباب الارادات ثم اسباب القدرة ثم
اسباب الماكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصا **الطرف الثالث** في نعم الله تعالى في خلق اسباب الادراك اعلم
ان الله تعالى خلق النبات وهو اكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وغيره من الجواهر التي لا تنمو ولا تغتذى فان
النبات خلق فيه قوة تجتذب الغذا الى نفسه من جهة اصله وعروقه التي في الارض وهي له الات فيها تجتذب الغذا وهي العروق
الدقيقة التي تراها في كل ورقة تغلظ اصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب الى عروق شعرية تنبسط في اجزا الورقة
حتى تغيب عن الابصار الا ان هذا النبات مع هذا الكمال ناقص فانه لو اعوزه غذا يساق اليه ومس اصله جف ويبس ولم يمكنه
طلب الغذا من موضع اخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعم الله تعالى عليك
ان خلق لك الة الاحساس والة الحركة في طلب الغذا فانظر الى ترتيب حكمة الله في خلق الحواس الخمس التي هي الة الادراك فاولها حاسة
اللمس وانما خلقت لك حتى اذا مستك نار محرقة او سيف جارح تحس به فتهرب منه وهو اول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان
الا وان يكون له هذا الحس لانه ان لم يحس اصلا فليس بحيوان واقل درجات الحس ان يحس بما يلاصقه ويماسه فان الاحساس بما
يبعد منه احساس اتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها اذا غرز فيها ابرة انقبضت
للهرب لا كالنبات فان النبات يقطع فلا ينقبض اذ لا يحس بالقطع الا انك لو لم يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصا كالدود
لا تقدر على طلب الغذا من حيث يبعد عنك فخلق لك الشم لانك تدرك به الرايحة ولا تدري انها جاءت من اي ناحية فتحتاج الى
ان تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذا الذي شممت رايحته وربما لا تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك الا هذا
فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا
اذ لا تدرك بهذا ما ورا الجدران والحجب فتبصر غذا ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا ليس بينك وبينه وقد لا ينكشف
الحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات من ورا الجدران والحجب عند جريان
الحركات ولانك لا تدرك بالبصر الا شيا حاضرا واما الغايب فلا يمكنك معرفته الا بكلام منتظم من حروف واصوات
تدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن ساير الحيوانات وكل ذلك ما كان
يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذا اليك فلا تدرك انه موافق لك او مخالف فتاكله فتهلك كالشجرة يصب في اصلها
كل مايع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق لك في مقدم دماغك ادراك اخر
يسمى حسا مشتركا تتادى اليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيا اصفر مثلا
فوجدته مرا فتركته فاذا رايته مرة اخرى فلا تعرف انه مر ما لم تذقه ثانيا ولولا الحس المشترك اذ العين تبصر الصفرة
ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة
جميعا حتى اذا ادرك الصفرة حكم بانه مر فيمتنع عن تناوله وهذا كله يشاركك فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس
كلها فلو لم يكن لك الا هذا لكنت ناقصا فان البهيمة يحتال عليها فتوخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة وكيف تتخلص اذا
قيدت وقد تلقي نفسها في البير ولا تدري ان ذلك يهلكها ولذلك قد تاكل البهيمة ما يلذها في الحال ويضرها في ثاني الحال
فتمرض وتموت اذ ليس لها الا الاحساس بالحاضر واما ادراك العواقب فلا فميزك الله واكرمك بصفة اخرى هي اشرف

من الكل وهو العقل فبه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها وما يضر في المآل وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتاليفها واعداد
اسبابها فتنتفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو اخس فوايد العقل واقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله
ومعرفة افعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فايدة الحواس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار
والموكلين بنواحي المملكة وقد وكلت واحدة باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الارايح والاخرى
باخبار الطعوم والاخرى باخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتنصون
الاخبار من اقطار المملكة ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص
والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة عليه من نواحي العالم فياخذها وهي مختومة اذ ليس له الا اخذها وحفظها
واما حقايق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير والملك يسلم الانهاآت اليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع
منها على اسرار مملكته ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المكان وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك
الجنود وهي الاعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام التدبيرات التي تعن له فهذه سياقة نعمة الله تعالى في
الادراكات ولا تظنن انا استوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة
واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها اغشية وبعض الاغشية كانها نسج العنكبوت
وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كانها بياض البيض وبعضها كانه الجمد ولكل واحدة من الطبقات العشر صفة وصورة
وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت واحدة من جملة العشر او صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر
وعجز عنه الاطبا والكحالون كلهم فهذا في حس واحد فقس به حاسة السمع وساير الحواس بل لا يمكن ان يستوفي حكم الله
تعالى وانواع نعمته في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع ان جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن
وساير اعضايه وعجايبه فهذه مرامز الى نعم الله تعالى بخلق الادراكات

الطرف الثاني في اصناف النعم وخلق الارادات

اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذا من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحثك
على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو انفع الاشيا له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر
والادراك معطلا في حقه فاضطررت الى ان يكون لك ميل الى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة فتطلب بالشهوة
وتهرب بالكراهة فخلق الله فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك الى التناول حتى
تتناول وتغتذي فتبقى بالغذا وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا اخذت مقدار
الحاجة اسرفت واهلكت نفسك فخلق الله تعالى الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها لا كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا
انصب في اسافله حتى يفسد فيحتاج الى الادمي يقدر غذاه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع الما عنه اخرى وكما خلقت
لك هذه الشهوة حتى تاكل فتبقى به ذاتك خلق لك شهوة الجماع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك عجايب صنع الله تعالى
في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتاليف الجنين من النطفة والحيض وكيف خلق الانثيين والعروق السالكة من الفقار
الذي هو مستقر النطفة وكيف انصباب ما المراة من الترايب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى
قوالب تقع النطفة [illegible] فيتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فيتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار خلقها
مضغة ونطفة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة اجزايها الى راس ورجل وبطن وظهر ويد وساير الاعضا
لقضيت من انواع نعم الله تعالى عليك في مبدا خلقك كل العجب فضلا عما تراه الان ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم
الله تعالى في الاكل وحده كي لا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه ايك
المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للافات ولاخذ منك
كل ما حصلته من الغذا فان كل واحد يشتهي ما في يديك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب فهذا
لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما يضر وينفع في الحال اما في المال فلا تكفي فيه هذه الارادة فخلق الله تعالى
ارادة اخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس المدرك للحالة
الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم
يكن ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة افردت بها عن البهايم اكراما لبني ادم كما افردت بمعرفة العواقب وقد

سمينا هذه الارادة باعثا دينيا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا اوفى من هذا

الطرف الثالث في نعم الله في خلق القدرة والات الحركة

اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب او الهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم
تكن الة الطلب والهرب فكم من زمن مشتاق الى شي بعيد عنه مدرك له لكنه لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله ولا يمكنه ان يتناوله
لفقد يده او لفلج وخدر فيها فلا بد من الات الحركة وقدرة في تلك الالات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة
هربا فلذلك خلق الله لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب كالرجل للانسان والجناح للطاير والقوايم
للدواب ومنها ما هي للدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر غذاوه
ويبعد غذاوه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له اربع قوايم ومنها ما له رجلان ومنها
ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي بها يتم الاكل فقط ليقاس عليها غيرها **فنقول** روية الطعام من بعيد
وحركة البدن اليه لا يكفي ما لم تاخذه فافتقرت الى الة باطشة فانعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان تمتدان الى الاشيا وتشتملان
على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثني اليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل راس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم راس
الكف بخمسة اقسام هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب وتدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة
او متراكبة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها وثنيتها كانت لك مغرفة وان
جمعتها كانت لك الة الضرب فاذا نشرتها ثم قبضتها كانت لك الة في القبض ثم خلق لها اظفارا واسند اليها روس الاصابع حتى
لا تنفت وحتى تلتقط بها الاشيا الرقيقة التي لا تحويها الا الاصابع فتاخذها بروس اظفارك ثم هب انك اخذت الطعام
باليد فمن اين يكفيك هذا ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا بد وان يكون من الظاهر دهليز اليها حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم
منفذا الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام وهو قطعة واحدة
فلا تتيسر ابتلاعه فتحتاج الى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من
العليا على السفلى لتطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة يحتاج الى القطع ثم يحتاج الى الطحن بعد ذلك
فقسم الاسنان الى عريضة طواحن كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل
اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتاخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحى ولولاه لما تيسر الا ضرب احدهما
على الاخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الاسفل متحركا حركة دورية واللحي الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر
الى عجيب صنع الله تعالى فان كل رحى صنعه الخلق يثبت منه الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذا الرحى صنعه الله اذ يدور
منه الاسفل على الاعلى فسبحانه ما اعظم شانه واتم برهانه واوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام في فضا
الفم فكيف يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان وكيف تستجره الاسنان الى نفسها او كيف تتصرف باليد في داخل الفم
فانظر كيف انعم الله عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم فيرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة
كالمجرفة التي ترد الطعام الى الرحى هذا مع ما فيه من فايدة الذوق وعجايب قوة النطق التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب
انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع الا بان يزلق الى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى
تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام فانظر كيف سخرها الله لهذا الامر فانك
ترى الطعام من بعيد فيثور المسكينة للخدمة وتنصب اللعاب حتى تتحلب اشداقك والطعام بعد بعيد منك ثم هذا
الطعام المطحون المعجون من يوصله الى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على ان تدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجذب
الطعام فانظر كيف هيا الله تعالى المري والحنجرة وجعل على راسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى
يتقلب الطعام بضغطه فيهوي الى المعدة في دهليز المري فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا
يصلح لان يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لا بد وان يطبخ طبخا تاما تتشابه به اجزاوه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر
يقع فيها الطعام فيحتوي عليه ويغلق عليه الابواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من
الاعضاء الباطنة اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدام الترايب ومن خلفها لحم الصلب فتتعدى الحرارة
اليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مايعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق
وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه اجزايه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجاري

من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كانه دم وفيه
عروق كثيرة شعرية منتشرة في اجزا الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في اجزائها حتى تستولي عليه قوة الكبد فيصبغه
بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج اخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذا الاعضا الا ان حرارة الكبد هي التي
تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ احداهما تشبه الدردي والعكر وهو الخلط السوداوي
والاخرى تشبه الرغوة وهي الصفرا ولو لم تفصل عنه الفضلتان فسد مزاج الاعضا فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل
واحد منهما عنقا ممدودا الى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى
الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا
الى الاعضا فخلق الله تعالى الكليتين واخرج من كل واحدة عنقا طويلا الى الكبد ومن عجائب حكمته تعالى ان عنقيهما ليس داخلا
تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى تجتذب مائيتها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب
قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث نقيا من كل ما يفسد
الغذا ثم ان الله تعالى اطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله
من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى سائر الاعضا حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الاوراق
والاشجار بحيث لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذا بالرشح الى سائر الاجزا ولو حلت بالمرارة افة فسد الدم وحصل منه الامراض
الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وان حل بالطحال افة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية كالبهق
والجذام والماليخوليا وغيرها وان لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقا وغيره ثم انظر الى حكمة الله الفاطر الحكيم
كيف رتب هذه الفضلات الثلاث الخسيسة اما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بالعنق الاخر الى الامعا لتحصل منه في
ثفل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الامعا لذع يحركها للدفع فتنضغط حتى يندفع الثفل ويزلق ويكون صفرته لذلك
واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة تحصل بها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة فيحرك الشهوة
بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل واما الكلية فانها تغتذي بما في تلك المائية من الدم وترسل الباقي الى
المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعمة الله تعالى في الاسباب التي اعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد الى
القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضا الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب
الى سائر البدن وبواسطتها يصل الروح وكيف انشعاب الاعصاب من الدماغ الى سائر البدن فبواسطتها يصل الحس
وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد الى سائر البدن فبواسطتها يصل الغذا ثم كيفية تركيب الاعضا وعدد عظامها
وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك محتاج اليه للاكل ولامور
اخر سواه بل في الادمي الوف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والرقة والغلظ وكثرة الانقسام
وقلته ولا شي منها الا وفيه حكمة او اثنتان او ثلاث او اربع الى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من
جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى اولا لتقوى بعدها على الشكر فانك لا
تعرف من نعمة الله الا الاكل وهي اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتاكل والحمار ايضا يعلم انه يجوع فياكل ويتعب
فينام ويشتهي فيجامع ويستتر فيشمص ويرمح واذا لم تعرف من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعم الله تعالى
وهذا الذي رمزنا اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط فقس على الاجمال ما اهملناه مما
عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى اقل من قطرة
في بحر الا ان من علم شيئا من هذا ادرك شمة من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله
تعالى قوام هذه الاعضا وقوام منافعها وادراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره
القلب ويجري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزا البدن الا ويحدث عند
وصوله في ذلك الجزء ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في اطراف البيت
فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزا البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سببا له
بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الاطبا الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له

كالمسرجة

كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والغذا له كالزيت والحيوة الظاهرة في سائر اعضا البدن
بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفى فسراج الروح ايضا ينطفي مهما انقطع
غذاؤه وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفي السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم
الذي تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفي مع وجود الغذا فانه لا يقبل الغذا الذي
تبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به وكما ان السراج تارة ينطفي من داخله كما ذكرناه و
تارة بسبب من خارج كريح عاصفة فكذلك الروح تارة تنطفي من داخله كما ذكرناه بسبب من داخل وتارة بسبب
من خارج وهو القتل وكما ان انطفا السراج بفنا الزيت او بفساد الفتيلة او بريح عاصف او باطفا انسان لا يكون
الا باسباب مقدرة في علم الله مرتبة ويكون جميع ذلك بقدر فكذلك انطفا الروح وكما ان انطفا السراج هو منتهى
وقت وجوده فيكون ذلك اجله الذي اجل له في ام الكتاب فكذلك انطفا الروح وكما ان السراج اذا انطفى اظلم البيت
كله فالروح اذا انطفى اظلم البدن كله وفارقته انواره التي كانت يستفيدها من الروح وهي انوار الاحساسات
والقدر والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحيوة وهذا ايضا من رمز وجيز الى عالم اخر من عوالم نعمة الله
وعجائب صنعه وحكمته لتعلم انه لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته فتعسا لمن كفر بالله تعسا وسحقا
لمن كفر نعمته سحقا **فان قلت** وقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح
فلم يزد على ان قال قل الروح من امر ربي فلم لم يصفه لهم على هذا الوجه فاعلم ان هذه غفلة عن الاشتراك الواقع
في لفظ الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة ولا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الاطبا
روحا وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الاعضا وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضا به
حتى اذا خدر بعض الاعضا علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت
الاعصاب ومجامع السدة فيها ويعالجونه بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شباك العصب وبواسطته
يتادى من القلب الى سائر الاعضا وما ترتقي اليه معرفة الاطبا فامره سهل نازل واما الروح التي هي الاصل التي
اذا فسدت فسد بها سائر البدن فذلك سر من اسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال
هو امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها
عقول اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات وتتزلزل
في ذلك مبادي وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقهما فلا يدرك بالعقل شي من وصفه
بل بنور اخر اعلى واشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم الولاية والنبوة نسبته الى العقل نسبة العقل الى
الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق اطوارا فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك
طور لم يبلغه بعد وكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه
لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب اعز من ان
يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولجناب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال
وميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على العتبة جواز ولا لحافظ
العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان فكيف بالانتها الى ما وراه من المشاهدات العالية ولذلك قيل
من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وانى يصادف هذا في خزانة الاطبا ومن اين للطبيب ان يلاحظه بل المعنى المسمى روحا
عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف
الروح الطبي فظن انه ادرك الامر الرباني كان كمن راى الكرة فظن انه راى الملك ولا شك في ان خطاه فاحش
وهذا الخطا الخطر منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها يدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة
عن ملاحظة كنه هذا الامر لم ياذن الله تعالى لرسوله ان يتحدث عنه بل امره ان يكلم الناس على قدر عقولهم وفي كتابه
ولم يذكر في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئا لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففي قوله تعالى
قل الروح من امر ربي واما فعله فقد ذكر في قوله يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي

وعبادي وادخلي جنتي ولنرجع الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في الالات
الطرف الرابع في نعم الله تعالى في الاصول التي منها تحصل الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الادمي بعد ذلك
بصنعته اعلم ان الاطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجايب كثيرة لا تحصى واسباب متوالية لا تتناهى وذكر ذلك في كل
طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلناخذ الاغذية فانها الاصل ولناخذ من جملتها حبة
من البر ولندع ساير الاغذية فنقول اذا اخذت حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جايعا فما احوجك الى ان تنمو
الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بجميع حاجاتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما يغتذي كما خلق فيك
فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لانه يغتذي بالماء ويجتذب الى باطنه بواسطة العروق
كما تغتذي انت وتجتذب ولسنا نطنب في ذكر الات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذايه فنقول
كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شي بل تحتاج الى شي مخصوص
بدليل انك لو تركتها في البيت لم تزد لانه لم يحط بها الا الهوا ومجرد الهوا لا يصلح لغذايها ولو تركتها في الماء لم تزد ولو
تركتها في ارض لا ما فيها بل لا بد من ارض فيها ما يمتزج ماوها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله تعالى فلينظر
الانسان الى طعامه انا صببنا الما صبا ثم شققنا الارض شقا ثم لا يكفي الما والتراب اذ لو تركت في ارض ندية صلبة متراكمة
لم تنبت لفقد الهوا فيحتاج الى تركها في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل الهوا اليها ثم الهوا لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى
ريح تحرك الهوا ويضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما
القاحها في ايقاع الازدواج بين الهوا والما والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتا شاتي فيحتاج
الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذايه الى هذه الاربعة فانظر الى ماذا يحتاج كل واحد اذ يحتاج الما
لينساق الى ارض الزراعة الى البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف يرتفع اليها فانظر كيف خلق الله العيون
وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها الى اقطار العالم وهي السحاب الثقال الحوامل بالما ثم انظر كيف ترسله مدرارا
على الارض في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو
اخرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله تعالى في السحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاوها
واما الحرارة فانها لا تحصل من الما والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها من الارض
مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم
الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فيفتقر الى رطوبة
تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها
بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وساير الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة
حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بان تكشف راسك له بالليل فتغلب على راسك
الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب راسك يرطب الفواكه ايضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصايه بل نقول
كل كوكب في السما فقد سخر لنوع فايدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي
قوة البشر باحصايها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين وكما انه ليس في اعضا بدنك عضو الا لفايدة فليس في اعضا بدن العالم عضو الا لفايدة والعالم كله كشخص
واحد واحاد اجسامه كالاعضا له وهي متعاونة تعاون اعضا بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي
ان تظن ان الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله تعالى في امور جعلت اسبابا لها بحكم الحكمة مخالف
للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم امران احدهما ان تصدق
بانها فاعلة لاثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق
المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الاثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم
احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبيا ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا
فاعتقاد كون الكواكب اسبابا لاثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات والحيوان ليس قادحا في الدين بل هو

الحق ولكن دعوى العلم بتلك الاثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه
فقال غيرك اخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي الهوا لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالة الحما
والهوا الى الشمس واذا سالت عن تغير وجه الانسان فقال ضربتني الشمس فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه وقس بهذا سائر
الاثار الا ان الاثار بعضها معلومة وبعضها مجهولة والمجهولة لا يجوز دعوى العلم فيها والمعلومة بعضها معلومة
للناس كافة كحصول الضيا والحرارة بطلوع الشمس وبعضها لبعض الناس كحصول الزكام باشراق نور القمر فاذا الكواكب ما
خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السما وقرا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا
باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل لمن قرا هذه الاية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان يقرا ويترك التامل ويقتصر
من فهم ملكوت السموات على ان يعرف لون السما وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهايم ايضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو
الذي مسح بها سبلته فلله في ملكوت السموات والارض والانفس والحيوانات والنبات عجايب يطلبها المحبون
لله فان من احب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجايب علمه حبا له فكذلك
الامر في عجايب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة
قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتاليفه بما انعم عليه من هدايته وتسديده
وتعريفه كما اذا رايت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من اللعب فانها خرق محركة لا
متحركة ولكن تتعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الابصار فاذا المقصود ان غذا النبات لا يتم الا
بالما والهوا والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتم
حركاتها الا بملايكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما اهملناه
ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذا النبات **الطرف الخامس** في نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة
اليك فاعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض و
الناس منتشرون على وجه الارض فقد تبعد عنهم الاطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى
التجار وسلط عليهم حرص المال وشره الربح مع انه لا يغنيهم في غالب الامر شيا بل يجمعون فاما ان تغرق بهم السفن
او ينهبها قطاع الطريق او يموتون في بعض البلاد فتاخذها السلاطين واحسن احوالهم ان ياخذها ورثتهم وهم اشد
اعدايهم لو عرفوهم فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسون الشدايد في طلب الربح ويركبون الاخطار
ويغررون بالارواح في ركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع الحوايج من اقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى
صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف
خلقت والى الفرس كيف امدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي
المراحل تحت الاعبا الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سخر الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر
لتحمل اليك الاطعمة وساير الحوايج وتامل ما تحتاج اليه الحيوانات من اسبابها وادواتها وعلفها وما تحتاج اليه السفن
فقد خلق الله جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصا ذلك غير ممكن ويتمادى ذلك الى امور خارجة عن الحصر
نترك ذكرها طلبا للايجاز **الطرف السادس** في اصلاح الاطعمة اعلم ان الذي ينبت من الارض من النبات
وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويوكل وهو كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقا
البعض وابقا البعض الى امور اخر لا تحصى واستقصا ذلك في كل طعام مما يطول فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج
اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد جمع اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الما ثم تنقية الارض
ثم الحصاد ثم الفرك القايم بها وعدد الالات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى اعمال
الصناع في اصلاح الات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيره وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص
والنحاس وانظر كيف خلق الله الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت
علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدي من الملك الذي يزجي
السحاب لينزل الما الى اخر الاعمال من جهة الملايكة حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة الاف

صانع كل صانع اصل من اصول الصنايع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة اعمال الانسان في تلك الالات حتى ان الابرة التي هي الة صغيرة
فايدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة بعد ان تمر على يد الابري خمسة وعشرين مرة ويتعاطى في كل مرة
عملا ولو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل المنجل الذي تحصد به البر مثلا وهو حديد كان منتهى بقائك تعذيبا به لنفد عمرك وعجزت
عنه افلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لان يعمل هذه الاعمال العجيبة والصنايع الغريبة فانظر الى المقراض مثلا وهما
جلمان متطابقان ينطبق احدهما على الاخر فيتناولان الشي معا ويقطعانه بسرعة ولو لم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا
وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الالات التي بها تعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح واوتي
اكمل العقول لقصر عمره عن استنباط اصلاح هذه الالة وحدها فضلا عن غيرها فسبحان من الحق ذوي البصاير بالعميان وسبحان من منع
البنين مع هذا البيان فانظر الان لو خلى بلدك عن الطحان مثلا او عن الحجام الذي هو اخس العمال او عن الحايك وعن واحد
من جملة الصناع ماذا يصيبك من الاذى وكيف تضطرب عليك امورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيته
وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة ايضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصا

الطرف الرابع في اصلاح المصلحين

اعلم ان هولاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت اراوهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا
ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف الف الله بين قلوبهم وسلط الانس
والمحبة عليهم ولو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم فلاجل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وايتلفوا وبنوا المدن والبلاد
ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والخانات وساير اصناف البقاع مما يطول احصاوها ثم ان هذه
المحبة تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون وفي جبلة الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وكل ذلك يودي الى التقاتل والتنافر
فانظر كيف سلط الله السلاطين وامدهم بالقوة والعدة والاسباب والقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى اذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف
هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا اجزا البلد كانها اجزا شخص واحد فتعاونوا على غرض واحد ينتفع البعض منه
بالبعض فرتبوا الرؤسا والقضاة والسجن وزعما الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل والزموهم التساعد والتعاون
حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وساير اهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث
بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما تتعاون جميع
اعضا البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبيا حتى اصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع
في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من احكام الامامة والسلطنة واحكام الفقه ما اهتدوا
به الى صلاح الدنيا فضلا عما ارشدهم اليه من صلاح الدين وانظر كيف اصلح الانبيا بالملايكة واصلح الملايكة بعضهم ببعض
الى ان ينتهي الى ملك مقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله فالخباز يخبز العجين والطحان يطحن الحب بالطحن والحراث يصلحه
بالحصاد والحداد يصلح الات الحراثة والنجار يصلح الات الحداد وكذا جميع ارباب الصناعات المصلحين لالات الاطعمة
والسلطان يصلح الصناع والانبيا يصلحون العلما الذين هم ورثتهم والعلما يصلحون السلاطين والملايكة يصلحون الانبيا
الى ان ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشا كل ترتيب وتاليف وكل ذلك نعم
من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا
الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله ولولا عزله ايانا عن ان نطمع بغير الطمع الا الى الحاطة لكنه نعمه لتوقنا الى
طلب الاحاطة والاستقصا عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلمنا فباذنه انبسطنا
وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطي لما منع ولا مانع لما اعطى لانا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب
ندا الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والحمد لله الذي ميزنا عن الكفار واسمعنا هذا الندا قبل انقضا الاعمار

الطرف الثامن

في بيان نعم الله تعالى في خلق الملايكة ليس يخفى ما سبق من نعمه في الملايكة باصلاح الانبيا وهدايتهم
وتبليغ الوحي اليهم ولا تظنن انهم مقتصرون في افعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملايكة مع كثرتها وتفاوت مراتبها تنحصر
في الجملة في ثلاث طبقات الملايكة الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله بك فيما يرجع الى الاكل والغذا الذي
ذكرناه دون ما جاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرها اعلم ان في كل جزء من اجزا بدنك بل من اجزا النبات لا يتغذى
الانسان يوكل به سبع من الملايكة هو اقله الى عشرة الى مائة الى ما ورا ذلك وبيانه ان معنى الغذا ان يقوم جزء من الغذا مقام

جزء تلف وذلك الغذا يصير دما في اخر الامر ثم يصير لحما وعظما فاذا صار لحما وعظما تم اغتذاوك والدم واللحم اجسام ليس
لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها كما ان البر بنفسه لا يصير طحينا ثم
عجينا ثم خبزا مستديرا ثم مخبوزا الا بالصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعروقا وعصبا الا بالصناع والصناع في الباطن
هم الملايكة كما ان الصناع في الظاهر هم اهل البلد وقد اسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي ان تغفل عن نعمه الباطنة

فاقول لا بد من ملك يجذب الغذا الى جوار اللحم والعظم فان الغذا لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك اخر يمسك الغذا في جواره ولا
بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعظم والعرق ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل من حاجة الغذا
ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير في الالصاق
فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يبطل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته
فانه لو جمع مثلا من الغذا على انف الصبي ما يجمع على فخذه لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته بل ينبغي ان يسوق الى الاجفان مع
رقتها والى الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والا
بطلت الصورة وربا بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط فساق الى راس الصبي
وساير بدنه ما ينمو به الا الى احد الرجلين مثلا لبقي ذلك الرجل كما كان في حد الصغر وكبر جميع البدن فلست ترى شخصا في ضخامة رجل
وعليه رجل واحدة كانها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فمراعاة هذه الهندسة في القسمة مفوضة الى ملك من الملايكة ولا تظنن ان
الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فان محيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملايكة الارضية وقد شغلوا بك
وانت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذا في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من اجزائك التي لا تتجزى حتى
يفتقر بعض الاجزا كالعين والقلب الى اكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للايجاز والملايكة الارضية مددهم من الملايكة السماوية
من حملة العرش والمنعم على جميعهم بالتاييد والتسديد القدوس المهيمن المتفرد بالملك والملكوت والعز والجبروت جبار السموات والارض
مالك الملك ذو الجلال والاكرام والاخبار الواردة في الملايكة الموكلين بالسموات والارضين واجزا النبات والحيوانات حتى قطرة
من المطر وحتى كل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر من ان يحصى فلذلك تركنا الاستشهاد فان قلت فهلا وضعت هذه
الافعال الى ملك واحد ولم تفتقر الى املاك والحنطة ايضا تحتاج الى من يطحنها اولا ثم الى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا
ثم الى من يصب الما عليه ثالثا ثم الى من يعجن رابعا ثم الى من يقطعه كرات مدورة خامسا ثم الى من يرققها رغفانا عريضة سادسا ثم الى
من يلصقها بالتنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهلا كانت اعمال الملايكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا
فاعلم ان خلقة الملايكة تخالف خلقة الانس وما من واحد منهم الا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون
لكل واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشارة بقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم
في تعين مرتبة كل واحد وفعله عليه مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمهما ولا هما
ينازعان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك براسك فتزاحم
اليد التي هي الة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن
العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى
الانسان يطيع الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملايكة بل هم مجبولون على
الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون
والراكع منهم راكع ابدا والساجد منهم ساجد ابدا والقايم منهم قايم ابدا لا اختلاف في افعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام
معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن ان تشبه بطاعة اطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة
بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق
متصلا باشارتك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه في وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا والملايكة
احيا عالمون بما يعملون فاذا هذه نعمة الله في الملايكة الارضية والسماوية وحاجتك اليهم في غرض الاكل فقط دون ما عداه
من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكرها فهذه طبقة اخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاوها فكيف
احاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات فاذا قد اسبغ الله نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك

باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد والحقد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر للنعم الظاهرة بل اقول كل من عصى الله ولو في تطريفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والارض وما بينهما فان كل ما خلق الله حتى الملايكة والسموات والارض والحيوان والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد فقد تم به انتفاعه وان انتفع به غيره ايضا فان لله في كل تطريفة بالجفن نعمتين في نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها اوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل وعلى كل جفن شعرات سود ونعمة الله في سوادها انه يجمع ضوء العين اذ البياض يفرق ضوء العين والسواد يجمع ونعمة الله في ترتيبها صفا واحدا ان يكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا للاقذار التي تناثر في الهوى وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين اصلها ومع اللين قوة نصبها وله في اشتباك الاهداب نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهوا قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر فيجمع الاجفان بمقدار ما تشابك الاهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد خلق اطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمراة فيطبق مرة او مرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذا الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم يكن لها جفن خلق لها يدين فتراها على الدوام تمسح بهما حدقتيه ليصقلهما من الغبار وان تركنا الاستقصا لتفاصيل النعم لافتقارنا الى تطويل يزيد على اصل هذا الكتاب ولعلنا نستانفه كتابا مقصورا عليه ان اهل الزمان وساعدنا التوفيق نسميه عجايب صنع الله فلنرجع الى غرضنا فنقول قد لمع بعض نعمة الله في الاجفان ولا تقوم الاجفان الا بالعين ولا العين الا بالراس ولا الراس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذا ولا الغذا الا بالما والارض والهوا والمطر والغيم والشمس والقمر ولا تقوم شي من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملايكة فان الكل كالشي الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضا البدن بعضها ببعض فاذا قد كفر كل نعمة لله تعالى في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شي حتى الحوت في البحر وان الملايكة يلعنون العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاوها وكل ذلك اشارة الى ان العاصي بتطريفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه الا ان يتبع السيئة الحسنة تمحوها فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه. واوحى الله تعالى الى ايوب ما من عبد لي من الادميين الا ومعه ملكان فاذا شكرني على نعماي قال الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك اهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا وكفى بالشاكرين علوا رفعة عندي اني اشكر شكرهم وملايكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والاثار تبكي عليهم وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعم كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهوى الى القلب ولو انسد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهوى وبروده وهل اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من الف نفس وفي كل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة الاف الاف نعمة في كل جز من اجزا بدنك بل في كل جز من اجزا العالم فانظر هل يتصور احصا ذلك ام لا ولما انكشف لموسى صلى الله عليه حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت اصلها وطيبت راسها ولذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعم الله تعالى الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرنا يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم فان البصير لا تقع عينه في العالم على شي ولا يلم خاطره بموجود الا ويتحقق ان لله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصا والتفصيل فانه طمع في غير مطمع

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

اعلم انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي اريدت بها وهي طاعة الله تعالى فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا غلبة الشهوة واستيلا الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا به ولا يعده نعمة فلا تراهم يشكرون الله على روح الهوا ولو اخذ بمخنقهم لحظة حتى انقطع عنهم ماتوا غما ولو حبسوا في بيت حمام فيه هوا حار او في بير فيها هوا ثقيل برطوبة الما ماتوا غما فان ابتلي واحد منهم بشي من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله

عليه وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة في جميع الاحوال اولى بان تشكر من النعمة في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا ان تعمى عينه فعند ذلك لو اعيد عليه احس به وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق وبذل في جميع الاحوال فلم يعده الجاهل نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه ان يضرب دايما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله عليهم كما شكا بعضهم فقره الى بعض ارباب البصاير واظهر شدة اغتمامه فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة الاف درهم فقال لا قال ايسرك انك اخرس ولك عشرة الاف فقال لا قال ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون الفا فقال لا قال ايسرك انك مجنون ولك عشرة الاف فقال لا فقال اما تستحي ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا وحكي ان بعض القرا اشتد به الفقر حتى ضاق ذرعا فراى في المنام كان قايلا يقول تود انا انسيناك سورة الانعام وان لك الف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيمة ماية الف دينار وانت تشكو فاصبح وقد سري عنه. ودخل ابن السماك على بعض الخلفا وفي يده كوز ما يشربه فقال عظني فقال لو لم تعط هذه الا ببذل جميع اموالك والا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه قال نعم فقال ولو لم تعطه الا بملكك كله فهل تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ما فبهذا تبين ان نعمة الله على العبد في شربة ما عند العطش اعظم من ملك الارض كله واذا كانت الطباع مايلة الى عد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو امعن النظر في احواله راى من الله نعمة او نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيه احد وذلك يعترف به كل عبد في ثلثة امور في العقل والخلق والعلم اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله في عقله يعتقد انه اعقل الناس وقل من يسال الله العقل وان من شرف العقل ان يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به فان كان اعتقاده انه اعقل الناس فواجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر واجب وان لم يكن ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حقه كالباقي. واما الخلق فما من عبد الا ويرى من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمها من حيث انه يرى نفسه بريا عنها فاذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي ان يشتغل بشكر الله تعالى اذ احسن خلقه وابلى غيره بالخلق السيء. واما العلم فما من احد الا ويعرف من بواطن نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به ولو كشف الغطا حتى اطلع عليه احد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فاذا لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه احد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي ارسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح واخفى ذلك عن اعين الخلق وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد اما مطلقا واما في بعض الامور فلننزل عن هذه الطبقة الى طبقة اخرى اعم منها قليلا فنقول ما من عبد الا وقد رزقه الله في صورته او شخصه واخلاقه او في ساير محابه امورا لو سلبها واعطي ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مومنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصايص وان كان فيها عموم ايضا فان هذه الاحوال لو بدل باضدادها لم يرض بها بل له امور لا يبدلها باحوال الادميين ايضا وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به الاكثر واذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله احسن من حال غيره فان كان لا يعرف شخصا يرتضي لنفسه حالة بدلا عن حال نفسه اما على الجملة او في امر خاص فاذا لله عليه نعمة ليست له على احد من عباده وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة يراهم اقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزدري نعمة الله على نفسه ولا ينظر الى من دونه ليستعظم نعمة الله وما باله لا يسوي دنياه بدينه الست لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر اليها بان في الفساق كثرة فينظر ابدا في الدين الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك واذا كان حال اكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خير من حال اكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولذلك قال صلى الله عليه من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في الدنيا الى من فوقه وفي الدين الى من دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله على نفسه نعما كثيرة ولا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقران ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك ولذلك قال صلى الله عليه من لم يستغن بايات الله فلا اغناه الله وهذه اشارة الى نعمة العلم وقال ان القران هو الغنى الاكبر الذي لا غنى بعده ولا فقر معه. وقال من اتاه الله القران فظن ان احدا اغنى منه فقد استهزا بايات الله. وقال ليس منا من لم يتغن بالقران وقال كفى باليقين

خفي وقال بعض السلف يقول الله تعالى ان عبدا لا اعصمه عن بلاء لقد انعمت عليه نعمى عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه وعما في يدي
وعبر الشاعر عن هذا وقال اذا القوت يأتي لك والصحة والامن * واصبحت اخا حزن فلا فارقك الحزن * بل ارشق
العبارات وافصح الكلمات كلام من افصح بالضاد حيث عبر صلى الله عليه عن هذا المعنى فقال من اصبح امنا في سربه معافا في بدنه
وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من امور وراء هذه الثلاث مع انها
وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الايمان الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والملك
العظيم بل البصير ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق
الى المغرب من اموال واتباع وانصار وقيل له هذا عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم ياخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم
تفضي به الى قرب الله سبحانه وتعالى في الاخرة بل لو قيل له لك في الاخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في
الدنيا وفرحك به لكان لا ياخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها وانها صافية لا كدورة فيها
ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة ومشوشة ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا المها بلذتها ولا فرحها بغمها هكذا كانت الى الان وهكذا
يكون ما بقي الزمان اذ ما خلقت الدنيا الا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بها ابت عليه واستعصت
عليه كالمراة الجميلة ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغني حتى اذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في عناء
وتعب دائم وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع العمر فهكذا وقعت ارباب
الدنيا في شبكات الدنيا وحبائلها ولا ينبغي ان يقول المعرض عن الدنيا ما الم الصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع القصور
عنها وما الم العوض يعني الى الذي الا وما الم المقبل يعني الى الالم الاخرة فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء
القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون فاذا انما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم
بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة * **فان قلت** فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم
الله فعساها تشكر * **فاقول** اما القلوب البصيرة فعلاجها التامل فيما رمزنا اليه من اصناف نعم الله العامة * واما
القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة الا اذا خصته او استشعر بالبلاء معها فسبيله ان ينظر ابدا من دونه ويفعل ما كان يفعله
بعض الصوفية اذ كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود وكان يحضر دار المرضى ليشاهد انواع
بلاء الله عليهم ثم يتامل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الامراض ويشاهد الجناة الذين يقتلون
وتقطع اطرافهم ويعذبون بانواع العذاب ليشكر الله على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ويشكر الله على نعمة الامن ويحضر المقابر
فيعلم ان احب الاشياء الى الموتى ان يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا اما من عصى فليتدارك واما من اطاع فليزيد في طاعته
فان يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت اقدر على اكثر من هذه الطاعات فما اعظم غبني اذ
ضيعت بعض الاوقات في المباحات واما العاصي فغبنه ظاهر فاذا شاهد المقابر وعلم ان احب الاشياء اليهم ان يكون قد بقي لهم
من العمر ما بقي له فيصرف بقيته الى ما يشتهي اهل القبور العود لاجله ليكون ذلك معرفة لنعمة الله في بقية العمر بل الامهال في
كل نفس من الانفاس واذا عرف تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما خلق العمر لاجله وهو التزود من الدنيا للاخرة فهذا علاج
هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعمة الله فعساها تشكر وقد كان الربيع بن خثيم مع تمام استبصاره يستعين بهذا الطريق
تاكيدا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبرا وكان يضع غلا على عنقه وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا
ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سالت فاعمل قبل ان لا تسال الرجوع فلا ترد * ومما ينبغي ان يعالج به القلوب البعيدة
عن الشكر ان تعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل يقول عليكم بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة
زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر * وفي الخبر ما عظمت نعمة الله على عبد الا
الا كثر حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال * وقال سبحانه ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
هذا تمام هذا الركن

الركن الثالث

من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط احدهما
بالاخر **بيان اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد** لعلك تقول ما ذكرته في النعم اشارة الى ان لله في كل موجود نعمة وهذا
يشير الى ان البلاء لا وجود له اصلا فما معنى الصبر اذا وان كان البلاء موجودا فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون
انا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عنه والصبر يستدعي الما

والشكر يستدعي فرحا وهما متضادان وما معنى ما ذكرتموه من ان لله ما اوجده نعمة على عباده * فاعلم ان البلاء موجود كما ان
النعمة موجودة والقول باثبات النعمة يوجب القول باثبات البلاء لانهما متضادان فقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق
ان النعمة تنقسم الى نعمة مطلقة من كل وجه اما في الاخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله واما في الدنيا فالايمان وحسن
الخلق وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه فكذلك البلاء
ينقسم الى مطلق ومقيد اما المطلق في الاخرة فالبعد من الله تعالى اما مدة واما ابدا واما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق
وهو الذي يفضي الى البلاء المطلق * واما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر انواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا
فالشكر المطلق للنعمة المطلقة اما المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لان الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق
الكافر ان يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعرف انه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب غشية او غيرها
فلا صبر عليه والعاصي يعرف انه عاص فعليه تركه بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر الانسان بالصبر عليه فلو ترك الانسان
الماء مع طول العطش حتى يعظم المه فلا يؤمر بالصبر بل يؤمر بازالة الالم وانما الصبر على الم ليس الى العبد ازالته فاذا رجع
الصبر في الدنيا الى ما ليس بلاء مطلقا بل يجوز ان يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور ان يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلا
يجوز ان يصير سبب هلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله ويقتل ويقتل اولاده والصحة ايضا كذلك فما من نعمة من هذه
النعم الدنيوية الا ويجوز ان تصير بلاء ولكن بالاضافة اليه فكذلك ما من بلاء الا ويجوز ان يصير نعمة ولكن بالاضافة الى حاله
فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض وقال ان الانسان ليطغى ان راه استغنى * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي
احدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الاقسام الستة حتى سوى الايمان وحسن الخلق فانها
يتصور ان تكون بلاء في حق بعض الناس فيكون اضدادها اذا نعمة وحتى اذ قد سبق ان المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات
الله ولكن قد تكون على العبد في بعض الامور بلاء ويكون فقدها نعمة مثاله جهل الانسان باجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه
ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه واقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر
واطلع عليه لطال المه وحزنه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفه
ابغضه واذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والاخرة بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد تكون نعمة عليه فانه ربما يكون
وليا لله وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف واذى كان اثمه اعظم لا محالة فليس من اذى نبيا او وليا وهو يعرف
كمن اذى وهو لا يعرف * **ومنها** ابهام الله لامر القيامة وابهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وابهامه بعض الكبائر
فكل ذلك نعمة لان هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله في الجهل فكيف في العلم وحيث
قلنا ان لله في كل موجود نعمة فهو حق وهو مطرد في حق كل احد ولا يستثنى عنه في الظن الا الالام التي خلقها في بعض
الناس وهي ايضا قد تكون نعمة في حق المتالم فان لم تكن نعمة في حقه كالالم الحاصل من المعصية كقطعه يده بنفسه ووشمه بشرته
فانه يتالم به وهو عاص والم الكفار في النار هي ايضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم فمصائب قوم عند قوم
فوائد ولولا ان الله خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمته ولا كثر فرحهم بها ففرح اهل الجنة
انما يتضاعف اذا تفكروا في الام اهل النار اما ترى اهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليها من حيث
انها عامة مبذولة ولا يشتد نظرهم الى زينة السماء وهي احسن من كل بستان لهم في الارض يجتهدون في عمارتها ولكن زينة
السماء لما عمت لم يشعروا ولم يفرحوا بسببها فاذا قد صح ما ذكرناه من ان الله لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق شيئا الا وفيه
نعمة اما على جميع عباده او على بعضهم فاذا في خلق الله البلاء نعمة اما على المبتلى واما على غير المبتلى فاذا كل حالة لا توصف
بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا * **فان قلت** فهما متضادان فكيف
يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح * فاعلم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه اخر فيكون الصبر
من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة امور ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر
عليها * **احدها** ان كل مصيبة ومرض فيتصور ان يكون اكثر منها لان مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضاعفه الله

وزاده ماكان يريده ويحزن فليشكر اذ لم يكن اعظم منها في الدنيا **الثانية** انه كان يمكن ان تكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل دخل اللص بيتي واخذ متاعي فقال اشكر الله لو دخل الشيطان قلبك وافسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى صلوات الله عليه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر رضي الله عنه ما ابتليت ببلاء الا كان لله تعالى علي فيها اربع نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منها واذ لم احرم الرضا فيها واذ ارجو الثواب عليها. وكان لبعض ارباب القلوب صديق فحبسه السلطان فارسل اليه فقال اشكر الله فجيء بمجوسي مبطون وقيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة على رجل المجوسي فارسل اليه فقال اشكر الله وكان المجوسي يحتاج الى ان يقوم مرات وهو يحتاج الى ان يقوم معه ويقف على راسه حتى يقضي حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله تعالى فقال الى متى هذا واي بلاء اعظم من هذا فقال له لو جعل الزنار الذي في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فاذا ما من انسان قد اصيب ببلاء الا ولو تامل حق التامل في سوء ادبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يرى انه يستحق اكثر مما يصيبه عاجلا واجلا ومن استحق عليك ان تضربه مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق ان تقطع يديه فترك احداهما فهو يستحق الشكر. ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على راسه طست رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل ما هذه السجدة فقال كنت انتظر ان يصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم الا تخرج للاستسقاء فقد احتبست الامطار فقال انتم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجر. **فان قلت** كيف وارى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصيبت حتى الكفار فاعلم ان الكافر قد خبئ له ما هو اكثر وانما امهل حتى يستكثر ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما واما العاصي فمن اين تعلم ان في العالم من هو اعصى منك ورب خاطر بسوء ادب في حق الله تعالى وفي صفاته اعظم واطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن اين تعلم ان غيرك اعصى منك ثم لعله قد اخرت عقوبته الى الاخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله عليه وهذا هو **الوجه الثالث** في الشكر وهو انه ما من عقوبة الا وكان يتصور ان تؤخر الى الاخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الاخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة في الاخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا. **الرابعة** ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في ام الكتاب ولا بد من وصولها اليه فاذ قد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها او من جميعها فهذه نعمة. **الخامسة** ان ثوابها اكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الاخرة من وجهين احدها الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من اسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان ذلك يمنعه عن العلم والادب وكان يخسر جميع عمره وكذلك المال والاهل والاقارب حتى العين التي هي اعز الاشياء وقد تكون اسبابا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور قد يكون سبب الهلاك فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين وصبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله فما من شيء من هذه الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله ويقدر فيه الخيرة ويشكر عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا اذا راوا ثواب البلايا كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه واباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء تاديب من الله وعنايته بعباده اتم واوفر من عناية الاباء بالاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله اوصني فقال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك ونظر صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له **والوجه الثاني** ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا وراس اسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة يورث طمانينة القلب الى الدنيا وانسا حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من اعرض عن الله ولم يرد الا الحياة الدنيا ورضي بها واطمان اليها والمؤمن كل منقطع

عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذا في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به واما التالم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة الى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانا او يسقيك دواء نافعا بشعا وهو مجان فانك تتالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المال بل من دخل دار الملك للنظارة وعلم انه يخرج منها لا محالة فراى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالا عليه لانه يورث له الانس بمنزل لا يمكن المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه ما يكره حتى ينفر عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل والناس دخلوها من باب الرحم وهم خارجون منها الى باب اللحد فكل ما يحقق انسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بان ثواب المصيبة اكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة. **وحكي** ان اعرابيا عزى ابن عباس على ابيه **فقال**

اصبر نكن بك صابرين فانما ... صبر الرعية بعد صبر الراس

خير من العباس اجرك بعده ... والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس ما عزاني احد احسن من تعزيته والاخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امر الله عز وجل انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال صلى الله عليه قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وروي ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال النبي صلى الله عليه لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره وقال عليه السلام ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وعن خباب بن الارت قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله تستنصره لنا فجلس محمارا وجهه ثم قال ان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له في الارض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه وعن علي رضي الله عنه قال ايما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو شهيد وقال ايضا ان من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال ابو الدرداء تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات الثلاثة الفقر والمرض والموت وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف فان دعاه ثانيا قال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تسالني شيئا الا اعطيتك او دفعت عنك ما هو خير وادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان يوم القيامة جيء باهل الاعمال فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلاة والصيام والصدقة ثم يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود اهل العافية في الدنيا لو انهم كانت تقرض اجسامهم بالمقاريض لما يرون ما تذهب به اهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وعن ابن عباس قال شكى نبي من الانبياء عليهم السلام الى ربه فقال يا رب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ على معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى اليه ان العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوي عنه الدنيا واعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فابسط له في الرزق وازوي عنه البلاء فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فاجزيه بسيئاته وروي انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك الاذى الست تحزن فهذا مما تجزون به يعني ان جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا

عليهم ابواب كل شي يعني لما تركوا ما امروا به فتحنا عليهم ابواب الخيرات حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا من الخير اخذناهم بغتة. وعن الحسن البصري ان رجلا من الصحابة راى امراة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يمشي ويلتفت اليها فصدمه حايط فاثر في وجهه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا. وقال علي رضي الله عنه الا اخبركم بارجى اية في كتاب الله قالوا بلى فقرا عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير فالمصايب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه الله في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا وان عفا عنه في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيمة. وعن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما تجرع عبد قط جرعتين احب الى الله من قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله وما خطى عبد خطوتين احب الى الله تعالى من خطوة الى الصلاة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم. وعن ابي الدردا انه قال توفي ابن لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان فجثيا بين يديه في زي الخصوم فقال احدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فافسده فقال للاخر ما تقول فقال اخذت الجادة فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمن عليه السلام فلم بذرت على الطريق اما علمت انه لابد للانسان من الطريق قال فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الاخرة فتاب سليمن الى ربه ولم يجزع على ولد بعد ذلك. ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك فقال يا ابه لان يكون ما تحب احب الي من ان يكون ما احب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نعي اليه ابنة له فاسترجع وقال عورة سترها الله ومونة كفاها الله واجر ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما امر الله تعالى قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة الاية. وعن ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسي يعرفه فقال له ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذا. وقال الفضيل ان الله عز وجل ليتعاهد عبده المومن بالبلا كما يتعاهد الرجل اهله بالخير. وقال حاتم الاصم ان الله عز وجل يحتج على الخلق يوم القيمة باربعة انفس على اربعة اجناس على الاغنيا بسليمان وعلى الفقرا بعيسى وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بايوب صلوات الله عليهم اجمعين. وروي ان زكريا عليه السلام هرب من الكفار من بني اسرايل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك فجي بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى راس زكريا فان انة فاوحى الله اليه يا زكريا لئن صعدت منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة فعض زكريا عليه السلام على اصبعه حتى قطع شطرين. وقال ابو مسعود البلخي من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يريد ان يقاتل به ربه. وقال لقمن لابنه يا بني ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلا واذا احب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط. وقال الاحنف بن قيس اصبحت يوما اشتكي ضرسي فقلت لعمي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا فقال لقد اكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلثين سنة وما علم بها احد. واوحى الله الى عزير اذا نزلت بك بلية فلا تشكني الى خلقي كما لا اشكوك الى ملايكتي اذا صعدت مساويك وفضايحك

بيان فضل النعمة على البلا

لعلك تقول هذه الاخبار تدل على ان البلا خير في الدنيا من النعيم فهل لنا ان نسال الله البلا فاقول لا وجه لذلك لما روي عن النبي صلى الله عليه انه كان يستعيذ في دعايه من بلا الدنيا وبلا الاخرة وكانوا يقولون والانبيا ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الاعدا وغيرها. وقال علي رضي الله عنه اللهم اني اسالك الصبر فقال النبي صلى الله عليه لقد سالت الله تعالى البلا فاساله العافية ثم ما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن. وقال الحسن الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر. وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر. وقد قال صلى الله عليه في دعايه وعافيتك احب الي. وهذا اظهر من ان يحتاج فيه الى استشهاد وهذا لان البلا صار نعمة باعتبارين احدهما بالاضافة الى ما هو اكبر منه اما في الدنيا واما في الدين والاخر بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان نسال الله تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلا ونساله الثواب في الاخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على ان يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر. فان قلت فقد قال بعضهم اود ان اكون جسرا على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون وانا اكون في النار. وقال سمنون

وليس لي في سواك حظ فكيفما شيت فاختبرني

فهذا منهم سوال البلا فاعلم انه حكي ان سمنون بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب. واما محبة الانسان لان يكون جسرا هو في النار دون ساير الخلق فغير ممكن ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه انه حب مثل ذلك

للحب

المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولو زال سكره علم ان ما غلب عليه كانت حالة لا حقيقة لها فما تسمعه في هذا الفن هو كلام العشاق الذين افرط حبهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما روي ان فاختة كان يراودها زوجها فتمنعه فقال ما الذي يمنعك عني ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمن ظهرا لبطن لفعلته لاجلك فسمعه سليمان فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال. وقول الشاعر

اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد

وهذا ايضا محال ومعناه اني اريد ما لا اريد لان من اراد الوصال فما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يريده بل لا يصدق هذا الكلام الا بتاويلين احدهما ان يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به الى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضا والرضا وسيلة الوصال للمحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوب فيكون مثاله مثال محب المال اذا اسلم درهما في درهمين فهو يحب الدرهمين بترك الدرهم في الحال والثاني ان يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث انه رضا فقط ويكون له لذة في استشعاره رضا محبوبه منه تزيد على لذته في مشاهدته مع كراهته فعند ذلك يتصور ان يريد ما فيه الرضا فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى ان صارت لذتهم في استشعارهم رضى الله عنهم اكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا فهو لا اذا قدروا رضاه في البلا صار البلا احب اليهم من العافية وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غلبات الحب ولكنها لا تثبت وان ثبتت فهل هي حالة صحيحة ام هي حالة اقتضتها حالة اخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق ان العافية خير من البلا فنسال الله العفو والعافية في الدنيا والاخرة

بيان الافضل من الصبر والشكر

اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قايلون الصبر افضل من الشكر وقال اخرون الشكر افضل وقال اخرون هما سيان وقال اخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق اولى فنقول في بيان ذلك مقامان المقام الاول البيان على سبيل التساهل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتفتيش وتحقيقه وهو البيان الذي ينبغي ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقايق الغامضة وهذا الفن من الكلام ينبغي ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم والطير المشفقة لا ينبغي ان يصلح الطفل بالطيور والسمان وضروب الحلوى بل باللبن وعليها ان يوخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا لها بقوته ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته فنقول هذا المقام في البيان اي البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من امور الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت اخبار في فضله فاذا اضيف اليه ما ورد في فضيلة الصبر كانت فضايل الصبر اكثر بل فيها الفاظ صريحة في التفضيل كقوله عليه السلام من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ويوتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزا الشاكرين ويوتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزا الشاكرين. وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر فهو دليل على ان الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه الجمعة حج الفقرا وجهاد المراة حسن التبعل وكقوله شارب الخمر كعابد وثن والمشبه به ينبغي ان يكون اعلى رتبة وكذلك قوله الصبر نصف الايمان لا يدل على ان الشكر مثله وهو كقوله الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم قسمين يسمى احدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم. وفي الخبر اخر الانبيا دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه واخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه. وفي لفظ اخر يدخل سليمان بعد الانبيا باربعين خريفا. وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلا امامهم ايوب صلى الله عليه وكل ما ورد في فضايل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقير والشكر حال الغني فهذا هو المقام الذي يقنع به العوام ويكفيهم في الوعظ اللايق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم.

المقام الثاني

هو المقام الذي يقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار حقايق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل امرين مبهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الابهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على اقسام لا يمكن الموازنة بين الجملة بل يجب ان تفرد

معه للمبالغة في التشاغل على غسل الوجه بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط التشاغل المواظبة عليه بزوال مرضه فانه لو ذكر له ان المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم ان وجهي لا حيفه ولنضرب مثالا اقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم والقران واراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو امره بالتكرار والدراسة ليبقى له محفوظا لقال انه محفوظ ولا حاجة بي اليه لانه يظن ان ما يحفظه في الحال كذلك ابدا وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل ليتوفر دواعيه على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعلم العبيد القران وانه قد استخدمه لتعليمهم فيشكل عليه الامر فيقول ما لي قد استخدمت لاجل العبيد وانا اجل منهم واعز عند الوالد واعلم ان ابي لو اراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفي واعلم انه لا نقصان لابي بفقد هؤلاء العبيد فضلا عن عدم علمهم بالقران فربما يكسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا على استغناء ابيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقران ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري ولقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله غني عن عبادتنا وغني عن ان يستقرض منا فاي معنى لقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف اموالنا اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا انهم استخدموا لاجل المساكين والفقراء او لاجل الله ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا ولا في اموالنا انفقنا او امسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن ان مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يشعر بانه كان المقصود منه ثبات صفة العلم في نفسه وتاكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وانما كان ذلك من الوالد تلطفا به في استجراره الى ما فيه سعادته فهذا المثال بين ضلال من ضل من هذا الطريق واما المسكين الاخذ مالك ليستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من داخلك والحجام خادم لك لا انت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بان يكون له غرض في ان يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها من خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذها وانتهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات والقلب بحسب تاثرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الاصلي الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفة فضائل الاحوال والاعمال والمعارف فلنرجع الان الى خصوص ما نحن فيه من الشكر والصبر **فنقول** في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز ان تقابل المعرفة في احدهما بالحال والعمل في الاخر بل تقابل كل واحد بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر الفضل ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلا من الله ومعرفة الصابر ان يرى العمى من الله وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا ان اعتبر في البلاء والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان الشكر يرجع الى صرف نعمة الله الى ما هو المقصود منه بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصرع به باعث الشهوة وقد صرفه الى المقصود بالحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذا مجاري الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلايا وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية اما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة اما ان تقع ضرورية كالعينين مثلا واما ان تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال اما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله ولا يترخص بسبب العمى في بعض المعاصي وشكر البصير عليهما من حيث العمل بامرين احدهما ان لا يستعين بهما على معصية والاخر ان يستعملهما في الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو عن الصبر فان الاعمى كفي الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين وان اتبع النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره ولذلك اذا

ده

الاحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر اقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان مع الاجمال **فنقول** قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من ثلاثة امور علوم واحوال واعمال والشكر والصبر وسائر المقامات كذلك وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين الى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال فالاعمال هي الافضل واما ارباب البصائر فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة افضل منه واما احاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا احاد المعارف وافضل المعارف علوم المكاشفة وهي ارفع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة فانها تراد للمعاملة وفائدتها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد اذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بافضل من العمل القاصر **فنقول** فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح القلب ان ينكشف له جلال الله وذاته وصفاته وافعاله فارفع علوم المكاشفة معرفة الله تعالى وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها في الاخرة فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض اما بواسطة واما بوسائط كثيرة فكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله اقل فهي افضل واما الاحوال فنعني بها احوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفي اتضح له حقيقة الحق فاذا فضائل الاحوال تتقدر بتاثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعداده لان يحصل له علوم المكاشفة وكما ان تصقيل المراة يحتاج ان يتقدم على تمامه احوال المراة بعضها اقرب الى الصقالة من بعض فكذلك احوال القلب فالحالة القريبة او المقربة من صفاء القلب هي افضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود هكذا ترتيب الاعمال فان تاثيرها في تاكيد صفات القلب وجلب الاحوال اليه وكل عمل فاما ان يجلب اليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان يجلب اليه حالة مهيئة للمكاشفة موجبة صفاء القلب وقطع علائقه عن الدنيا واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث التاثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تاثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا لا نقول القول المطلق ربما نقول الصلاة النافلة افضل من كل عبادة نافلة وان الحج افضل من الصدقة وان قيام الليل افضل من غيره ولكن التحقيق فيه ان الغني الذي معه مال وقد غلب البخل وحب المال على امساكه فاخراج درهم له افضل من قيام ليالي وصيام ايام لان الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها او منعها الشبع عن صفاء الفكر في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاما هذا المريد اذا لم يكن حاله هذه الاحوال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله الى حال غيره وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن اذا استعمل دواء الصداع فلا ينتفع به بل حقه ان ينظر في المهلك الذي تسلط عليه والشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيله صيام مائة سنة وقيام الف ليلة منه ذرة بل لا يزيله الا اخراج المال فعليه ان يتصدق بما معه وتفصيل هذا ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع اليه فاذا باعتبار هذه الاحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطا بل لو قال لنا قائل الخبز افضل من الماء لم يكن فيه حق لان الخبز للجائع افضل والماء للعطشان فان اجتمعا فالنظر الى الاغلب فان كان العطش هو الاغلب فالماء افضل وان تساويا فهما متساويان وكذا اذا قيل السكنجبين افضل ام شراب النيلوفر لم يصح الجواب عنه مطلقا نعم لو قيل لنا السكنجبين افضل ام عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء لان السكنجبين يراد له وما يراد لغيره فذلك الغير افضل منه لا محالة فاذا في بذل المال عمل وهو الانفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب ويتهيا القلب بسبب خروج حب الدنيا من القلب لمعرفة الله وحبه فالافضل المعرفة ودونها الحالة ودونها العمل **فان قلت** فقد حث الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقة من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون الفعل والانفاق هو الافضل فاعلم ان الطبيب اذا اثنى على الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه او على انه افضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص على وجه من لا مراة له فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدقه

حاله

استعان به على الطاعة فلا بد فيه ايضا من صبر على الطاعة ثم قد شكرها بالنظر الى عجايب صنع الله تعالى ليتوصل به الى معرفة الله فيكون هذا الشكر افضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب مثلا وقد كان ضريرا من الانبيا فوق رتبة موسى وغيره عليهم السلام لانه صبر على فقد البصر وموسى لم يصبر ولكان الكمال في ان تسلب الاطراف كلها ويترك الانسان كلحم على وضم وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة في الدين يفوت بفواتها ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر واما نعم محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه لم يوت الا قدر الضرورة وما وراء ما يحتاج اليه من الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقراء ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان تصرف الى الخيرات وان لا يستعمل في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرفها الى الطاعة فالشكر افضل لانه يتضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه احتمال الم في صرفه الى الفقراء اذ ترك صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى شيئين افضل من شي واحد وان الجملة اعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا تتضح الموازنة بين الجملة وبين ابعاضها واما اذا كان شكره ان لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر ههنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الممسك ماله الصارف له الى المباحات لا من الغني الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها واحسن الرضا على بلاء الله وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوة والغني اتبع نهمته واطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح وفي المباح مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة التي عنها تصدر صبر الفقير اعلى واتم من القوة التي عنها يصدر الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي يدل العمل عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال القلب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو افضل لا محالة وجميع ما ورد من تفضيل اجر الصبر على اجر الشكر في الآيات والاخبار انما اريد هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعمة الاموال انما اريد هذه الرتبة على الخصوص والغنى بها والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر افضل من الشكر اي الصبر الذي يفهمه العامة افضل من الشكر الذي يفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار الجنيد حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين بالقيام بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشياء تلايم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه اشياء تولم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشرط ما عليهما كان الذي الم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها والامر كما قاله وهو صحيح من جملة اقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه وقد قيل كان ابو العباس بن عطا قد خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فاصابه ما اصابه من البلاء من قتل اولاده وتلف ماله وزوال عقله اربعة عشر سنة وكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت ان في كل واحد من القولين وجها في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غني شاكر كما سبق ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر به حاجة تسنح حتى يصرفه اليها ثم اذا صرفه لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا لتقلد منة بل اداء لحق الله تعالى في تفقد عباده فهذا افضل من الصابر

فان قلت فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة وذلك يستشعر الم الفقر فان كان متالما بفراق المال فيجبره ذلك بلذته في القدرة على الانفاق فاعلم ان الذي نراه ان من يبذل ماله عن رغبة وطيبة نفس اكمل حالا ممن يبذله وهو بخيل به وانما يقطعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فايلام النفس ليس مطلوبا لعينه بل لتاديبها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتادب اكمل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابرا على الضرب وكذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليه في النهاية بل النهاية ان يصير ما كان مولما في حقه لذيذا عنده كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مولما له اولا ولما كان الناس كلهم الا الاقلون في البداية بل قبل البداية بكثير اطلق الجنيد القول بان الذي يولم صفته افضل وهو كما قال صحيح فيما اراده من عموم الخلق فاذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لارادة الاكثر فاطلق القول بان الصبر افضل من الشكر فانه صحيح المعنى السابق الى الافهام فاما اذا اردت التحقيق فتفصل فان للصبر درجات اقلها ترك الشكوى مع الكراهة ووراها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراه الشكر على البلا وهو وراء الرضا اذ الصبر مع الالم والرضا يمكن بما لا الم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها ويدخل في جملتها انه قد ورد ان حيا العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكنه ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتدا من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر ايضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسايط شكر اذ قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب اسرار الزكوة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر وما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا ينحصر احادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل احدهما على الاخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار والاثار وقد روي عن بعضهم انه قال رايت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسالته عن حاله فقال اني كنت في ابتدا عمري اهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق انها زوجت مني فليلة زفافها قلت تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله تعالى على جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فنحن منذ سبعين او ثمانين سنة على تلك الحالة كل ليلة اليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز هو كما يقول الشيخ فانظر اليهما لو صبرا على بلا الفرقة ان لم يجمع الله بينهما واي صبر الفرقة على شكر الوصال على هذا الوجه ولا يخفى عليك ان هذا الشكر افضل فاذا لا وقوف على حقايق الفضايل الا بتفصيل كما سبق والله اعلم

تم كتاب الصبر والشكر بحمد الله وعونه

كتاب الخوف والرجا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب اوليايه بروح رجايه حتى ساقهم بلطايف آلايه الى النزول بفنايه والعدول عن دار بلايه التي هي مستقر اعدايه ومرق بسياط التخويف وزجر العنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض لاغضابه والتهدف لسخطه ونقمته قودا لاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة الرفق واللطف الى جنته والصلوة على محمد سيد انبيايه وخير خليقته وعلى آله واصحابه وعترته

اما بعد فان الرجا والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الاخرة كل عقبة كؤود فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجا ثقيل الاعبا محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والاعضاء الا ازمة الرجا ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم مع كونه محفوفا بلطايف الشهوات وعجايب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على شطرين الشطر الاول في الرجا والشطر الثاني في الخوف الشطر الاول فيشتمل على بيان حقيقة الرجا وبيان فضيلة الرجا والطريق الذي به يجتلب الرجا

بيان حقيقة الرجا

اعلم ان الرجا من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريعة الزوال كصفرة الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من اوصاف القلب وغرضنا الان حقيقة الرجا فالرجا ايضا يتم من علم وحال وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجا اسم الحال من جملة الثلثة وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر ببالك موجودا في الحال سمي وجدا وذوقا وادراكا وانما سمي وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شي في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارا وتوقعا وان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب سمي خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجا فالرجا هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجا عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجا وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفا فاسم التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجا والخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس وقت الطلوع واخاف غروبها وقت المغرب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقل ما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في ارض سبخة فينبغي ان يقاس رجا العبد المغفرة برجا صاحب

الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سياق المياه اليه في اوقاته ثم طهر عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر او يفسده وبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر حصاد الزرع منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر في ارض طيبة ولكن لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر عن شوك الاخلاق الردية وانتظر من فضل الله تثبيته عليه الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال النبي صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذا العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة واما قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما الرجاء بعد تاكد الاسباب ولذلك قال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله معناه اولئك يستحقون ان يرجوا وما اراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم ايضا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فاما من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في الارض السبخة وعزم على ان لا يتعهده بسقي ولا تنقية قال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله عز وجل مع الافراط فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت ارضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الارض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها اصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء يضاده الياس والياس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الماء معوز وان البذر فيه لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الارض والتعب في تعهدها والرجاء محمود لانه باعث والياس مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له كما سياتي بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما ان الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذا حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيف ما تقلبت الاحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال لا بد وان تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر في حق الله تعالى فان كان ذلك لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما اثمر من العلم ولما استثمر منه من العمل ويدل على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسالك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت قال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شيء منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك للاخرى هياك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها هلكت فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم علامة من اريد به الخير فمن ارتجى ان يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه

اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم له والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لا سيما في وقت الموت قال الله تعالى لا

تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل الياس وفي اخبار يعقوب ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال صلى الله عليه لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل وقال الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا وامنه مما يخاف وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا ياسك من رحمة الله تعالى اعظم من ذنوبك وقال سفيان من اذنب ذنبا فعلم ان الله قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه قال لان الله عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم الآية وقال وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذا رايت المنكر ان تنكره فان لقاه الله حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال الله تعالى قد غفرت لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فلقي الله تعالى ولم يعمل خيرا قط فقال الله تعالى من احق بذلك منا فعفى عنه لحسن ظنه ورجائه ان يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات وقال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال صلى الله عليه لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجارون الى ربكم فهبط جبريل فقال ان ربك تعالى يقول لك لم تقنط عبادي فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود احبني واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل وراى ابان بن ابي عياش في النوم وكان يكثر ذكر ابواب الرجاء فقال اوقفني الله بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك فقلت اردت ان احببك الى خلقك فقال قد غفرت لك وراى يحيى بن اكثم في النوم بعد موته فقيل ما فعل الله بك فقال اوقفني بين يديه فقال يا شيخ فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس عن نبيك صلى الله عليه وسلم انك قلت انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت اظن بك ان لا تعذبني فقال الله تعالى صدق جبريل وصدق نبيي وصدق انس وصدق الزهري وصدق عبد الرزاق وصدقت فالبست ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها من فرحة وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تعالى يوم القيمة اليوم او يئسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وقال صلى الله عليه ان رجلا في جهنم ينادي الف سنة يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فائتني بعبدي قال فيجي به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى له كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله تعالى الى اي شي تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول اذهبوا به الى الجنة دل به على ان رجاه كان سبب نجاته

بيان دوا الرجا

والسبيل الذي منه يحصل حال الرجا ويغلب اعلم ان هذا الدوا يحتاج اليه احد رجلين اما رجل غلب عليه الياس فترك العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبة على العبادة حتى اضر نفسه واهله وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال فاما العاصي المغرور المتمني على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فادوية الرجا تنقلب سموما في حقه مهلكة وتنزل منزلة العسل الذي هو شفا لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلبته الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه الا ادوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب ان يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والاخلاق كلها وخير الامور اوساطها فاذا جاوز الوسط الى احد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط لا بما يزيده في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي فيه مع الخلق استعمال اسباب الرجا فيهلكهم ويردهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف على القلوب والذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيف ما كانوا مالوا الى الرجا حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا قال علي رضي الله عنه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر اسباب الرجا لتستعمل في حق الآيس او فيمن غلب عليه الخوف اقتدا بكتاب الله وسنة رسوله فانهما مشتملان على الخوف والرجا جميعا لانهما جامعان لاسباب الشفا في حق

وجرى اصناف المرضى يستعمله العلما الذين هم ورثة الانبيا بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الاحمق الذي يظن ان كل شي من الادوية صالح لكل مريض كيفما كان وحال الرجا تغلب بشيئين احدهما الاعتبار والاخر استقرا الايات والاخبار والاثار اما الاعتبار فهو ان يتامل جميع ما ذكرناه في اصناف النعم من كتاب الشكر حتى اذا علم لطايف نعم الله على عباده في الدنيا وعجايب حكمته التي راعاها في فطرة الانسان حتى اعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كالات الغذا وما هو محتاج اليه كالاظفار والاصابع وما هو زينة له كتقويس الحاجبين واختلاف الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزية جمال فالعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده في امثال هذه الدقايق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم الى الهلاك المويد بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق قد هيا له اسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت فان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت مثلا او لا يحشر اصلا فليس كراهتهم للعدم الا لان اسباب النعم اغلب لا محالة وانما الذي يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا في حالة نادرة وواقعة هاجمة غريبة فاذا كان حال اكثر الخلق في الدنيا الغالب عليهم الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب ان امر الاخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والاخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تامل حق التامل قوي به اسباب الرجا ومن الاعتبار ايضا النظر في حكمة الشريعة وسنتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى اية المداينة في البقرة من اقوى اسباب الرجا فقيل له وما فيها من الرجا فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه وانظر كيف انزل الله فيه اطول اية ليهدي عبده الى طريق الاحتياط في حفظه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه

الفن الثاني

استقرا الايات والاخبار فما ورد في الرجا خارج عن الحصر اما الايات فقد قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم ● وقال تعالى والملايكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر تعالى ان النار اعدها لاعدايه وانما خوف بها اولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ● وقال واتقوا النار التي اعدت للكافرين ● وقال فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ● ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسال في امته حتى قيل له اما ترضى وقد نزلت عليك هذه الاية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ● وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من امته في النار ● وكان ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى اية في كتاب الله قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية ونحن اهل البيت نقول ارجى اية ولسوف يعطيك ربك فترضى

واما الاخبار

فقد روى ابو موسى عنه صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الاخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداوك من النار ● وفي لفظ اخر ياتي كل رجل من هذه الامة بيهودي او نصراني الى جهنم فيقول هذا فداي من النار فيلقى فيها ● وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهو حظ المومن من النار ● وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه ان الله تعالى اوحى الى نبيه اني اجعل حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني فاذا لا اخزيك فيهم ● وروي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله تعالى اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا ينظر في مساويهم انت ولا غيرك ● وقال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم السنن واشرع لكم الشرايع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت الله تعالى عليه وما رايت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم ● وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل عليه السلام اتدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفا عن السيات برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه ● وسمع صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني اسالك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة فقال العلما قد اتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا اذ قال واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ● وفي الخبر اذا اذنب العبد واستغفر يقول الله تعالى للملايكة انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب وياخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له ● وفي الخبر لو اذنب

العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السما غفرتها ما استغفرني ورجاني ● وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقراب الارض مغفرة ● وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيية ● وفي لفظ اخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو امير عليه القي هذه السيية حتى القي من حسناته واحدة من تضعيف العشر وارفع له تسع حسنات فيلقى عنه هذه السيية وروى انس في حديث انه عليه السلام قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال الاعرابي فان تاب عنه قال محي عنه قال فان عاده قال عليه السلام كتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال الى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله تعالى ان الله تعالى لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين قبل ان يعملها فان عملها كتب عشر حسنات ثم يضاعفها الله تعالى الى سبعماية ضعف واذا هم بخطيية لم تكتب عليه فان عملها كتب عليه خطيية واحدة ووراها حسن عفو الله تعالى ● وجا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لا اصوم الا الشهر لا ازيد ولا اصلي الا الخمس لا ازيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع اين انا اذا مت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي ان حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد ولسانك من اثنين الغيبة والكذب وعينك من اثنين النظر الى ما حرم الله وان تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين ● وفي الحديث الطويل لانس ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله تعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي الا ولا كريم اكرم من الله تعالى وهو اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وفيه ايضا ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اوليا الله تعالى قال الاعرابي ومن اوليا الله قال المومنون كلهم اوليا الله اما سمعت الله يقول الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ● وفي بعض الاخبار المومن افضل من الكعبة والمومن طيب طاهر والمومن اكرم على الله من الملايكة ● وفي الخبر خلق الله جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة ● وفي خبر اخر يقول الله عز وجل انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم ● وفي حديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيا الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه ● وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي ● وعن معاذ بن جبل وانس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان اخر كلامه قول لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيا حرمت عليه النار ولا يدخل النار من في قلبه وزن ذرة من ايمان ● وفي خبر اخر لو علم الكافر سعة رحمة الله ما ايس من جنته احد ● ولما تلا صلى الله عليه وسلم ان زلزلة الساعة شي عظيم اتدرون اي يوم هذا يقال لادم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقال كم فيقال من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا يبكون يومهم وتعطلوا عن الاشغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم انتم في الامم اين تاويل وتاريس ومنسك وياجوج وماجوج امم لا يحصيها الا الله انما انتم في ساير الامم كالشعرة البيضا في جلد الثور الاسود وكالرقمة في ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بازمة الخوف والرجا الى الله تعالى اذ ساقهم بسياط الخوف اولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط الياس داواهم بدوا الرجا وردهم الى الاعتدال والقصد والاخر لم يكن مناقضا للاول ولكن ذكر في الاول ما راه سببا للشفا واقتصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجا ذكر تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال اخبار الخوف والرجا بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه اكثر مما يصلحه ● وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم ● وفي لفظ اخر لذهب بكم وجا بخلق اخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم ● وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل ما هو قال العجب ● وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المومن من الوالدة الشفيقة بولدها

وفي الخبر ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه ● وفي الخبر
ان لله تسعا وتسعين رحمة اظهر منها في الدنيا رحمة واحدة بها يتراحم الخلائق فحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها
واذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارض قال فلا يهلك
على الله تعالى يومئذ الا هالك ● وفي الخبر ما منكم من احد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا انت قال ولا انا الا ان
يتغمدني الله برحمته وقال اعملوا وابشروا واعلموا ان احدا لا ينجيه عمله ● وقال اني اختبات شفاعتي لاهل الكبائر من امتي اترونها
للمطيعين المتقين بل هي للمخلطين المتلوثين ● وقال بعثت بالحنيفية السمحة السهلة ● وقال احب ان يعلم اهل الكتابين ان في
ديننا سماحة ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين في قولهم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاية وقوله ويضع
عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ● وروى محمد بن الحنفية عن علي انه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل
قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فالله اكرم من ان يعاتب من عفا عنه فبكى
جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله اليهما ميكائيل ان ربكما يقريكما السلام ويقول كيف اعاتب من عفوت عنه
هذا ما لا يشبه كرمي والاخبار الواردة في اسباب الرجا اكثر من ان تحصى **واما الاثار** فقد قال علي رضي الله عنه
من اذنب ذنبا فستره الله عليه في الدنيا فالله اكرم من ان يكشف ستره في الاخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى
اعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الاخرة ● وقال الثوري ما احب ان حسابي جعل الى ابوي لاني اعلم ان الله تعالى ارحم
بي منهما ● وقال بعض السلف المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره عن ابصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه ● وكتب محمد بن مصعب
الى الاسود بن سالم بخطه ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو يقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذلك الثانية
والثالثة حتى اذا قال الرابعة يا رب قال الله تعالى حتى متى تحجبون صوت عبدي قد علم عبدي انه ليس رب يغفر الذنب غيري
اشهدكم اني قد غفرت له ● وقال ابرهيم بن ادهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب
فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابرهيم انت تسالني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون
ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر ● وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله قمعه
بالذنوب ● وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ● ولقي مالك بن دينار ابانا فقال الى كم تحدث
الناس بالرخص فقال يا ابا يحيى اني لارجو ان ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح ● وفي حديث ربعي بن
حراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات اخي سجي بثوبه والقيناه على نعشه فكشف
الثوب عن وجهه واستوى قاعدا فقال اني لقيت الله عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان واني رايت الامر
ايسر مما تظنون ولا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني واصحابه حتى ارجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانما كانت
حصاة وقعت في طست فحملناه ودفناه ● وفي الحديث ان رجلين من بني اسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان احدهما يسرف
على نفسه وكان الاخر عابدا وكان يعظه ويزجره وكان يقول دعني وربي ابعثت علي رقيبا حتى راه ذات يوم على
كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله يوم القيامة اتستطيع ان تحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت
لك ثم قال للعابد وانت فقد اوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة اهلكت دنياه واخرته
ان لصا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنة فمر عليه عيسى صلى الله عليه وخلفه عابد من عباد بني اسرائيل من
الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان يدنو من
الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي في جنب هذا العابد قال واحس الحواري به
فقال في نفسه هذا يمشي الى جانبي فضم نفسه وتقدم الى عيسى فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه فاوحى الله تعالى الى عيسى قل لهما ليستانفا
العمل فقد احبطت ما سلف من اعمالهما اما الحواري فقد احبطت حسناته بعجبه بنفسه واما الاخر فقد احبطت سيئاته
بما ازرى على نفسه فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من حواريه ● وروي عن مسروق ان نبيا من
الانبياء كان ساجدا فوطئ بعض العتاة عنقه حتى الصق الحصا بجبهته فرفع النبي صلى الله عليه راسه مغضبا فقال
اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه تتالى علي في عبادي اني قد غفرت له ● وعن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته فنزل قوله تعالى ليقطع طرفا من الذين كفروا

الاية الى قوله ليس لك من الامر شيء فترك الدعا عليهم وهدى الله عامتهم او لبعضهم الى الاسلام ● وفي الاثر ان رجلين كانا من العابدين
متساويين في العبادة قال فاذا دخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا اكثر مني عبادة
فرفعته علي في عليين فيقول الله سبحانه وتعالى انه كان يسالني في الدنيا الدرجات العلى وانت كنت تسالني النجاة من النار فاعطيت
كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة على الرجا افضل لان المحبة اغلب على الراجي منها على الخايف وكم من فرق في الملوك بين من يخدم
اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لنعمائه واكرامه ولذلك امر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات
العلى فانما تسالون كريما ● وقال اذا سالتم الله فاعظموا الرغبة واسالوا الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شيء ● وقال بكر بن سليم
الصواف دخلنا على مالك بن انس في العشية التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله كيف تجدك فقال لا ادري ما اقول لكم الا انكم
ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى اغمضناه ● وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي لك مع
الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالافة معروف واجدني في الذنوب
اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف ● وقيل ان مجوسيا استضاف ابرهيم عليه السلام فقال ان اسلمت اضفتك
فمر المجوسي فاوحى الله تعالى الى ابرهيم يا ابرهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه نحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ماذا كان
عليك فمر ابرهيم يسعى خلف المجوسي فرده واضافه فقال المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال المجوسي اهكذا يعاملني ثم
قال اعرض علي الاسلام فاسلم ● وراى الاستاذ ابو سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد الابد فقال
له كيف حالك فقال وجدنا الامر اسهل مما توهمنا ● وراى بعضهم ابا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال
له يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي ● وحكي ان العباس بن شريح راى في مرض موته كان القيامة قد قامت واذ الجبار
سبحانه وتعالى يقول اين العلماء فجاوا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا واسانا فاعاد السؤال كانه لم يرض به
واراد جوابا اخر فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه قال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك
بثلث ليال ● وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له اربع دراهم وامره ان يشتري شيئا من الفواكه فمر الغلام
بمجلس منصور بن عمار وهو يسال لفقير شيئا ويقول من دفع اربع دراهم دعوت له قال فدفع الغلام اربع اليه فقال ما الذي تريد
ان ادعو لك فقال لي سيد اريد ان اتخلص منه فدعا منصور وقال الاخرى قال ان يخلف علي دراهمي فدعا ثم قال الاخرى قال
ان يتوب الله على سيدي فدعا وقال الاخرى قال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال له سيده لم
ابطات فقص عليه القصة فقال وبم دعا قال سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر واين الثاني قال ان يخلف الله علي
الدراهم فقال لك اربعة الاف درهم قال واين الثالث قال ان يتوب الله عليك قال تبت الى الله واين الرابع قال ان يغفر الله
لي ولك وللقوم وللمذكر قال هذا الواحد ليس الي فلما بات تلك الليلة كان رأى كان قائلا يقول انت فعلت ما كان اليك افترى اني لم
افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام وللمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين ● وروي عن عبد الوهاب بن عبد المجيد
قال رايت جنازة يحملها ثلثة من الرجال وامراة قال فاخذت مكان المراة وذهبنا الى المقبرة وصلينا عليها ودفنا
الميت فقلت للمراة من كان هذا منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت نعم ولكن صغروا امره فقلت وايش كان هذا
فقالت مخنث قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها دراهم وحنطة وثيابا فرايت تلك الليلة كانه اتاني ات
كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكرني فقلت ومن انت فقال المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار
الناس اياي ● وقال ابرهيم الاطروش كنا جلوسا ببغداد مع معروف الكرخي على الدجلة اذ مر قوم احداث في زورق
يضربون الدف ويشربون ويلعبون فقالوا لمعروف اما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال
الهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الاخرة فقالوا انما سالناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الاخرة تاب عليهم ● وكان
بعض الصالحين من السلف يقول في دعائه يا رب واي دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دار
سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الارزاق حتى كانك يا ربنا ما تطاع سبحانك ما احلمك
وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى كانك لا تغضب فهذه الاسباب التي بها يجتلب روح الرجا الى قلوب الخائفين والايسين
فاما الحمقى المغرورين فلا ينبغي ان يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنورده في اسباب الخوف فان اكثر الناس لا يصلح الا
على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيمون الا بالضرب والعصا واظهار الخشونة في الكلام فاما ضد ذلك فيفسد

وبيان دواء الخوف
وبيان معنى سوء الخاتمة

عليهم ابواب الصلاح في الدين والدنيا

الشطر الثاني من الكتاب في الخوف

وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان اقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجا وبيان احوال الخائفين من الانبيا والصالحين

بيان حقيقة الخوف

اعلم ان الخوف عبارة عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجا ومن انس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجا بل صار حاله اعلى من الخوف والرجا فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها والى هذا اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجا ولا خوف وبالجملة فالمحب اذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصانا في الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الان نتكلم في اوائل المقامات فنقول حال الخوف ايضا ينتظم من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن يكون تالم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو اثر جنايته عنده فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تالم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفات ذات السبع وهي سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كمن وقع في مجرى سيل او جوار حريق فان الما يخاف لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتالمه وذلك الاحتراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون بمعرفة الله ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله وتعاليه واستغنائه وانه لا يسال عما يفعل يكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله ولذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما ثم اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكا وقد تنشق منه المرارة فيفضي الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط والياس واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعذب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون متى يكون العبد خائفا قال اذا انزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام واما في الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتادب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري انه يغفل عنه فيفلت او يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال الخوف واستولى عليه وهكذا كان جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف بجلال الله تعالى وصفاته وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف ايضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يلتفت الى الدنيا بعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة واعلى منه الورع فانه اعم لانه كف عن كل محظور واعلى منه التقوى فانه اسم الكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم الصديق والمقرب وجري

الرتبة الاخيرة بما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما انك تقول الانسان اما عربي او عجمي والعربي اما قرشي او غيره والقرشي اما هاشمي او غيره والهاشمي اما علوي او غيره والعلوي اما حسني او حسيني فاذا ذكرت انه حسني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو اعم منه فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت انه متق وورع وعفيف فلا ينبغي ان تظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معاني كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعاني فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف

اعلم ان الخوف محمود وربما يظن ان ما هو محمود فكل ما كان اقوى واكثر كان احمد وهو غلط والخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن لا يدل ذلك على ان المبالغة في الضرب محمودة فكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النسا يخطر بالبال عند سماع اية من القران فيورث البكا وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يولمها الما مبرحا فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلما ولست اعني بالعلما المترسمين برسوم العلما والمتسمين باسمهم فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعني به العلما بالله وبايامه وافعاله وذلك مما عز وجوده الان ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشار به الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا واما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى الياس والقنوط وهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشاه الجهل والعجز اما الجهل فانه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن خائفا لان المخوف هو الذي يتردد فيه واما العجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة الى نقص الادمي وانما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز ان يوصف الله به وما لا يجوز وصف الله به فليس بكمال في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص اعظم منه كما يكون احتمال الم الدوا محمودا لانه اهون من الم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف ايضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يقتل الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباب الرجا واكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضي الى القنوط او احد هذه الامور فكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح في هذه الاسباب فهو مذموم **فان قلت** من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة واما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله تعالى وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك الى سبيل الله بطريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهدا ولولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي وولي يموت حتف انفه وهو محال فلا ينبغي ان يظن هذا بل افضل السعادات طول العمر في طاعة الله فكل ما ابطل العمر او العقل او الصحة التي يتعطل العمر بتعطلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى امور اخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة المتقين والصديقين فاذا الخوف ان لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وان اثر فله درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فان اثمر الورع فهو اعلى واقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهذا اقصى ما يحمد منه وذلك مع بقا الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة الصحة والعقل فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجا وغيره حتى يزول ولذلك كان سهل يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى

ولي ناقص العقل

بيان اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه

اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما تكره المعاصي لادائها الى المكروه في الاخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها الى الموت ولا بد لكل خائف من ان يتمثل في نفسه مكروه من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة ونكث العهد او خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى او خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المالوفة او خوف ان يكله الله الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله ما لم يحتسب او خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله على سريرته في حالة غفلته او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فليواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته فيشتغل بتطهير قلبه عن الوسواس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق به القضا في ام الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما توقيعا يحتمل ان يكون فيه حز الرقبة ويحتمل ان يكون فيه تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فيرتبط قلب احدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه عماذا يظهر ويرتبط قلب الاخر بحالة كيفية توقيع الملك وكيفيته وانه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فهو اعلى من الالتفات الى الفرع فكذلك الالتفات الى القضا الازلي الذي جرى توقيعه بالقلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر في الابد واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء ابائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال انهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضا الله تعالى والشقي من شقي بقضا الله تعالى والاعمال بالخواتيم ولهذا كان اقسام الخائفين الى من يخاف معصيته وجنايته والى من يخاف الله نفسه لصفته وجلاله واوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة فهذا اعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وان كان في طاعة الصديقين واما الاخر فهو في عرضة الغرور والامن لو واظب على الطاعات والخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف منه من غير جناية بل العاصي لو عرف الله حق معرفته لخاف الله ولم يخف معصيته ولولا انه يخوف في نفسه لما عرف المعصية ولم يسر له سبيلها ومهد له اسبابها فان تيسير اسباب المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يخلى للمعصية ويجري عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء ام ابى وكذا المطيع فالذي رفع محمدا صلى الله عليه الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع ابا جهل في اسفل السافلين من غير جناية منه قبل وجوده جدير بان يخاف لصفة جلاله فان من اطاع الله فانما اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة واتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة واتاه القدرة والاسباب وكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي اوجب اهانة الاخر وابعاده بتسليط دواعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد واذا انتهت السلسلة الى الله ترجع الى القضا الازلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما شا ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل وورا هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهيم الخوف من صفاته الا بمثال لولا اذن الشرع لم يتجاسر على ذكره ذو بصيرة وقد جا في الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود خفني كما يخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل

المعنى وان كان لا يعرف بكمال سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل ان السبع يخاف لا لجناية سبقت اليه بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولم يبال بك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل انت عنده اخس من ان يلتفت اليك حيا كنت او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي اقوى واوثق واجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة

الطبقة الثانية من الخائفين ان يتمثل في نفوسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدته وسؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة الموقف بين يدي الله تعالى والحيا من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير والخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف من النار واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله وكل هذه الاسباب مكروهة في انفسها فهي لا محالة مخوفة وكذلك احوال الخائفين فيها واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق واذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب منه في نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع من انكاره فيكون اعترافه باللسان ضرورة التقليد والا فباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف الا لذة الفرج والبطن والعين بالنظر الى الالوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه البهائم فيها فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس اهلا له ومن كان اهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن ان يشرحه غيره له فالى هذه الاقسام مرجع خوف الخائفين

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه

اعلم ان فضل الخوف تارة يعرف بالتامل والاعتبار وتارة بالايات والاخبار • اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة الشي بقدر غنائه في الافضا الى سعادة لقا الله تعالى اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للمرء الا في لقا مولاه والقرب منه فكل ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقا الله في الاخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الذكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوات بشي كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله زلفى • واما بطريق الاقتباس من الايات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان قال الله تعالى والذين هم لربهم يرهبون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما ووصفهم بالعلم لخشيتهم • وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم • ولذلك جا في خبر موسى صلى الله عليه واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلما والعلما لهم رتبة مرافقة الانبيا لانهم ورثة الانبيا والرفيق الاعلى للانبيا ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقا في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول اسالك الرفيق الاعلى • فاذن ان نظرت الى مثمره فهو العلم وان نظرت الى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضلهما حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى كما صار الحمد مخصوصا بالله والصلوة برسول الله حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلوة على محمد واله اجمعين وقد خصص التقوى بالاضافة الى نفسه فقال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال ان اكرمكم عند الله اتقيكم ولذلك وصى الله الاولين

والآخرين بالتقوى فقال ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وقال تعالى وخافون إن كنتم مؤمنين فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى إذ جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم فيقول يا أيها الناس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلي اليوم إنما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس إني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت إن أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم إلا أن تقولوا فلان ابن فلان وفلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب ● وقال عليه السلام رأس الحكمة مخافة الله ● وقال عليه السلام لابن مسعود إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بعدي ● وقال الفضيل من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير وقال الشبلي ما خفت الله يوما إلا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن يعمل سيئة إلا ويلحقه حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين أسدين [illegible] صلى الله عليه إنه تعالى يقول [illegible] وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقشته الحساب وفتشته عما في يديه إلا الورعين فإني أستحييهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب والورع والتقوى أسامي اشتقت من معان شرطها الخوف فإن خلت عن الخوف لم تسم بهذه الأسامي وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يحصى وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى ● وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ● وقال صلى الله عليه يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة ● وقال صلى الله عليه من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء ● وقال عليه السلام أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه ● وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة ● وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه ● وقال الضحاك ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فإذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان أبو الحسين الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لأن الخوف زمام بين الله وبين عبده فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين ● وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا فقال أشدهم خوفا اليوم ● وقال رجل للحسن يا أبا سعيد كيف نصنع نجالس أقواما يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال إنك والله أن تخالط قوما يخوفونك حتى يدركك أمن خير من أن تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف ● وقال أبو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا إلا خرب ● وقالت عائشة قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف أن لا يتقبل منه والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله تعالى وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لأن مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الأمن كما أن ضد الرجاء اليأس وكما دل مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك يدل مذمة الأمن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول كلما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان فإن كل من رجا محبوبا فلا بد وأن يخاف فوته فإن كان لا يخاف فوته فهو إذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لغفلته عنه وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه إذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فإذا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران متقابلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر المنتظر مشكوكا فيه نعم أحد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الأسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر فإذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي الخوف بالإضافة إليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال الله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا ● وقال يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء فقال الله تعالى لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه بل أقول كلما ورد في فضل البكاء من خشية الله تعالى فهو

إظهار لفضيلة الخشية فإن البكاء ثمرة الخشية ● وقال تعالى أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون ● وقال صلى الله عليه ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حر وجهه إلا حرمه الله على النار ● وقال عليه السلام إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تعالى تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجر ورقها ● وقال ما النجاة يا رسول الله قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ● وقالت عائشة قلت يا رسول الله أيدخل الجنة أحد من أمتك بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى ● وقال صلى الله عليه ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أهريقت في سبيل الله ● وقال صلى الله عليه اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان بذروف الدمع قبل أن يصير الدمع دما والأضراس جمرا ● وقال صلى الله عليه سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه من خشية الله ● وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان محمد بن المنكدر إذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع ● وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم أحدكم العلم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه ● وقال أبو سليمان الداراني ما تغرغرت عين بمائها إلا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة فإن سالت أطفأ أول قطرة منها بحارا من النيران ولو أن رجلا بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة ● وقال أبو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والطرب والشوق ● وقال كعب الأحبار والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجبل ذهب ● وقال عبد الله بن عمر لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار ● وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا حديث من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي قد نافقت حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت أنادي نافق حنظلة فاستقبلني أبو بكر الصديق فقال كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافق حنظلة فقال عليه السلام كلا لم ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عليه عندك فقال يا حنظلة لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة فساعة فإذا كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء والتقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف لأن جملة ذلك متعلقة به إما تعلق السبب وتعلق المسبب

بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما

اعلم أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر إليهما فيعتريه شك في أن الأفضل أيهما وقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز أفضل أم الماء وجوابه أن يقال الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل وإن استويا فهما متساويان وهذا لأن كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله والاغترار به فالخوف أفضل وإن كان الغالب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلقا الخوف أفضل على التأويل الذي يقال به الخبز أفضل من السكنجبين إذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع أغلب والحاجة إلى الخبز أكثر فهو أفضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لأن المعاصي والاغترار على الخلق أغلب وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب وليس وراء المحبة مقام وأما الخوف فمستنده الالتفات إلى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء وعلى الجملة فما أريد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لا لفظ الأفضل فنقول أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء وذلك لأجل غلبة المعاصي فأما التقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك قيل لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا ● وروي أن عليا رضي الله عنه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك ● وقال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل وهذه عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر ينبغي أن يستوي خوفه ورجاؤه فأما العاصي إذا ظن أنه الرجل الذي

الذي استثنى من الدنيا امرؤ وادخول النار كان ذلك **فان قلت** مثل عمر رضي الله عنه ينبغي ان يتساوى خوفه ورجاؤه
بل ينبغي ان يغلب رجاؤه كما سبق في اول كتاب الرجا وان قوته ينبغي ان يكون بحسب قوة اسبابه كما مثل بالبذر والزرع ومعلوم ان من
بث البذر الصحيح في ارض نقية وواظب على تعهدها وجاء بجميع شروطها غلب على قلبه رجا الادراك ولم يكن خوفه متساويا بالرجاء فهكذا
ينبغي ان يكون احوال المتقين فاعلم ان من ياخذ المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله وذلك وان ذكرناه مثلا لا مثل بما هي ما نحن
من كل وجه لان سبب غلبة الرجا العلم الحاصل بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة الارض وصحة البذر وصحة الهوا وقلة الصواعق المهلكة في
تلك البقاع وغيرها وانما مثل مسالتنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في ارض غريبة لم يتعهدها الزارع ولم يختبرها وهي في بلاد ليس
يكثر الصواعق بها امر لا يعلم هذا الزارع وان ادى كنه موجوده وجاء بكل مقدور له فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مسالتنا
الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه وصفاته من الشرك الخفي والنفاق والريا وخفايا الاخلاق فيه غامضة
والافات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة
اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي اهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك
مما لم يجرب ثم الحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب
جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سيحكى من احوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجاش
تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسال حذيفة
انه هل يعرف به من اثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه
من خفايا النفاق والشرك الخفي وان اعتقد نقا قلبه عن ذلك فمن اين يامن مكر الله بتلبيس حاله عليه واخفا عيبه منه وان وثق بمن
ان يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين
الجنة الا شبر وفي رواية الا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وقدر فواق ناقة لا يحتمل عملا بالجوارح انما
هو خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذا اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه وانما
غلبة الرجا في غالب الناس يكون مستندا الى الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم
خوفا وطمعا وقال يدعوننا رغبا ورهبا واين مثل عمر رضي الله عنه فالخلق الموجودون كلهم لا يصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان
لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الامل من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي فان
ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه الى
التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون الياس الموجب للقنوط وقد قال
يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجا تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجا
استقام في محجة الادكار وقال مكحول النسفي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجا فهو مرجي ومن عبده بالمحبة
فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجا والمحبة فهو موحد فاذا لا بد من الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن
قبل الاشراف على الموت اما عند الموت فالاصلح غلبة الرجا وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد
انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق اسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل
موته واما روح الرجا فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه ولا ينبغي ان يفارق احد الدنيا الا محبا لله ليكون
محبا للقا الله فان من احب لقا الله احب الله لقاه والرجا تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم و
الاعمال كلها معرفة الله حتى تثمر المعرفة المحبة فان المصير والقدوم بالموت ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن
فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان على القلب حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقا والاصحاب
فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه
وبين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلايقها شاغلة له عن المحبوب
فالدنيا اذا سجنه اذ السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح الى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن
ولا يخفى حال من افلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا اول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من
الثواب والعقاب فضلا عما اعد لعباد الله الصالحين مما لم تر عين ولا خطر على قلب بشر فضلا عما اعد للذين احسنوا

لمحبي الدنيا على الاخرة ورضوا بها واطمانوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي والنكال فنسال
الله تعالى ان يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعا الا باكتساب حب الله ولا سبيل اليه الا باخراج
حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله من جاه ومال ووطن فالاولى ان ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم
اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب من يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد والغرض ان غلبة الرجا عند
الموت اصلح لانه اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات وامنع لمحبة الدنيا ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا ولما حضر سليمان
التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجا حتى القى الله على حسن الظن به وكذلك لما حضرت وفاة الثوري واشتد جزعه
جمع العلما حوله يرجونه وقال احمد بن حنبل عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار التي فيها الرجا وحسن الظن والمقصود من ذلك كله
ان يحببه الى نفسه ولذلك اوحى الله تعالى الى داود ان حببني الى عبادي فقال بماذا قال بان تذكرهم الائي ونعمائي فاذا غاية
السعادة ان يموت العبد محبا لله وانما تحصل المحبة بالمعرفة وباخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب
ولذلك راى بعض الصالحين ابا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فساله فقال الان افلت فلما اصبح سال عن حاله فقال انه مات
البارحة **بيان الدوا الذي يستجلب حال الخوف** اعلم ان ما ذكرناه في دوا الصبر وشرحناه في كتاب
الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجا لان اول مقامات الدين اليقين الذي هو
عبارة عن قوة الايمان بالله واليوم الاخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجا للجنة والخوف
والرجا يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجا والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر
على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سارع عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن
المحرمات ثم يودي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجا الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام
ويودي دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة ويودي كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل
وساير المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين فليس بعد اصل اليقين مقام سوى الخوف والرجا ولا بعدهما مقام
سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهرا وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام
بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعله والثقة بعنايته وهو التوكل فاذا فيما ذكرناه
في علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي **فنقول** الخوف يحصل بطريقين مختلفين احدهما اعلى من الاخر
ومثاله ان الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع او حية ربما كان لا يخافه وربما مد اليد الى الحية لياخذها ويلعب بها
ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فاذا نظر الصبي الى ابيه وهو ترتعد فرائصه ويحتال في الهرب
قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه في الهرب فخوف الاب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة
السبع وبطشه وقلة مبالاته فاما خوف الابن فايمان بمجرد التقليد لانه يحسن الظن بابيه ويعلم انه لا يخاف الا من
سبب مخوف في نفسه فيعلم ان السبع مخوف ولا يدري وجهه واذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله تبارك وتعالى
على مقامين **احدهما** الخوف من عذابه **والثاني** الخوف منه في ذاته فاما الخوف منه فهو خوف العلما وارباب القلوب
العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله واتقوا
الله حق تقاته فاما الاول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة وبالنار وكونهما جزاين على الطاعة
والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الذكر في
اهوال القيامة واصناف العذاب في الاخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت
المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تاثير واما الثاني فهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب
عنه ويرجو القرب منه قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه خشية العلما
قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما ولعموم المومنين ايضا حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف
الصبي من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند الى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول عن قرب حتى ان الصبي ربما يرى المعزم
يقدم على اخذ الحية وينظر اليه ويغتر به فيجترئ على اخذها تقليدا له كما اجترى من اخذها تقليدا لابيه والعقايد التقليدية

صعبة في الغالب إلا أنا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب
المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فإذا من ارتقى إلى ذروة المعرفة وعرف الله خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج بجلب الخوف كما أن
من عرف السبع ورأى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه بل يخاف بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى
إلى داود خفني كما تخاف السبع الضاري والحيلة في جلب الخوف من السبع الضاري إلا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه ولا
يحتاج إلى الحيلة سواه فمن عرف الله أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد
إبليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ترجمه قوله هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا
معصية ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يعد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يعد العاصي بدواعي المعصية
حتى يعصي شاء أم أبى فإنه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة وإن كان أبعده لأنه عصاه
فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى تتسلسل إلى غير نهاية أو تقف لا محالة على أول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في
الأزل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه أنه قال احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ
فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته
وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال فهل
وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملا كتب الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال
صلى الله عليه فحج آدم موسى فمن عرف السبب في هذه الأمور معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين والمطلعين على
سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فإن كل عبد فهو واقع
في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب
ما يتفق ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بتقدير معلوم ولكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سمي اتفاقا وإن أضيف إلى علم الله تعالى لم يجز أن
يسمى اتفاقا والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع افترس وإن سلطت
عليه الغفلة خلى وترك فإنما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل إذا
كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله لأن المهلك بواسطة السبع هو الله واعلم أن سباع الآخرة مثل سباع
الدنيا وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم
الأزلي إلى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلا سخروا للأسباب شاؤوا أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلا سخروا للأسباب
شاؤوا أم أبوا فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر
فمن قعد به القصور عن الارتقاء إلى يفاع الاستبصار فسبيله أن يعالج نفسه بسماع الأخبار والآثار فيطالع أحوال الخائفين
وأقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء والأولياء
والعلماء وأما الآمنون فهم الفراعنة الجهال الأغبياء أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الأولين والآخرين وكان أشد
الناس خوفا حتى روي أنه كان يصلي على طفل وفي رواية أنه سمع في دعائه يقول قه عذاب القبر وعذاب النار وفي رواية أخرى
أنه سمع قائلة تقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك أنه كذلك والله إني رسول الله وما أدري ما
يصنع بي إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروي أنه قال ذلك أيضا على جنازة عثمان بن مظعون
وكان من المهاجرين الأول لما قالت أم سلمة هنيئا لك الجنة وكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله لا أزكي أحدا بعد عثمان وقال محمد بن
خولة الحنفية والله لا أزكي أحدا غير رسول الله ولا أبي الذي ولدني قال فثارت الشيعة علي فأخذت أذكر في فضائل علي
وروي في حديث آخر أن رجلا استشهد من أهل الصفة فقالت أمه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله
وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر أنه عليه
السلام دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله
فقال المريض هي أمي يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وكيف لا يخاف المؤمنون
كلهم وهو صلى الله عليه يقول شيبتني سورة هود وأخواتها الواقعة وإذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل
ذلك لما في سورة هود من الإبعاد كقوله ألا بعدا لثمود ألا بعدا لعاد قوم هود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود مع علمه صلى الله عليه

وسلم أنه لو شاء الله ما أشركوا إذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة أي جمع العلم بما هو
كائن وتمت السابقة حتى إذا نزلت الواقعة إما خافضة قوما كانوا مرفوعين في الدنيا وإما رافعة قوما كانوا مخفوضين
في الدنيا وفي سورة التكوير أهوال القيامة وانكشاف الخاتمة إذ الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت
وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا والقرآن من أوله
إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولو لم يكن إلا قوله تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا إذ علق
المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن آحادها وأشد منه قوله تعالى وأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين
وقوله ليسأل الصادقين عن صدقهم وقوله سنفرغ لكم أيها الثقلان وقوله أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم
الخاسرون وقوله وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وقوله يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا
إلى الآيتين وإن منكم إلا واردها وقوله اعملوا ما شئتم وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه وقوله فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره إلى الآيتين وقوله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل الآية وكذلك قوله تبارك وتعالى والعصر إن الإنسان
لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فهي أربعة شروط للخلاص من الخسران وكذا
كان خوف الأنبياء مع ما فاضت عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون حتى
روي أن جبريل عليه السلام بكيا خوفا من الله فأوحى الله إليهما لم تبكيان وقد أمنتكما فقالا ومن يأمن مكرك وكأنهما علما أن الله
علام الغيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمنا أن يكون قوله قد أمنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى لو
سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا من المكر وما وفيا بقولهما كما أن إبراهيم صلى الله عليه لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكانت
هذه من الدعاوى العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهواء حتى قال ألك حاجة فقال أما إليك فلا فكان ذلك وفاء بقوله
حسبي الله فأخبر الله تعالى وإبراهيم الذي وفى أي بموجب قوله حسبي الله وبمثل هذا أخبر عن موسى عليه السلام حيث قال
إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ومع هذا لما ألقى السحرة سحرهم أوجس موسى في نفسه
خيفة إذ لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدد عليه الأمن وقيل له لا تخف إنك أنت الأعلى ولما ضعفت شوكة
المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه اللهم إن تهلك هؤلاء لم يبق أحد على وجه الأرض يعبدك فقال أبو بكر دع مناشدتك ربك
فإنه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله مقام الخوف من الله وهو أتم
لأنه لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن ما يصدر عنها بالمكر وليس لأحد
من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن الإحاطة بكنه الأمور عظم
خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى عليه السلام لما قيل له أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك
ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب
وقال إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم الآية فوض الأمر إلى المشيئة وأخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بأنه
ليس له من الأمر شيء وأن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها
بقياس وحدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين إذ الطامة الكبرى
هي ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك إن أهلكك فقد أهلك من لا يحصى من أمثالك ولم يزل في الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام
ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقال تعالى وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم الآية فكيف
لا يخاف ما حق من القول في الأزل ولا مطمع في تداركه ولو كان الأمر أنفا لكان الإطماع يمتد إلى حيلة فيه ولكن ليس إلا
التسليم واستقراء خفي السابقة من جلي الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين
أسباب الخير وأحكمت علاقته مع الدنيا فكأنه انكشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة إذ كل
ميسر لما خلق له وإن كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان
هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر العاقبة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا
ولا يخليه للانطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن وإنما أشد تقلبا من القدر في غليانها

وقد قال مقلب القلوب إن عذاب ربك غير مأمون فأجهل الناس من أمنه وهو ينادي بالتحذير من الأمن ولولا أن الله لطف بعباده العارفين إذ روّح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فأسباب الرجاء رحمة من الله و أسباب الغفلة على عوام الخلق من وجه إذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب قال بعض العارفين لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة أسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لأني لا أدري ما ظهر له من التقليب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الإسلام لأني لا أدري ما يعرض لقلبي من باب الحجرة وباب الدار ● وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه ● وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أوعلى ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا ● وحكي عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه فقال إذا حضرتني الوفاة فاقعد عند رأسي فإن رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه واشتر به لوزاً وسكراً وانثره على صبيان أهل البلد وقل هذا عرس المنفلت وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس ذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة قال فبم أعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه ● وكان سهل يقول المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر ● وكان أبو يزيد يقول إذا توجهت إلى المسجد كان في وسطي زناراً أخاف أن يذهب بي إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فيقطع عني الزنار فهذا لي كل يوم خمس مرات ● وروي عن عيسى عليه السلام أنه قال يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر ● وروي في أخبار الأنبياء أن نبياً شكى إلى الله الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فأوحى الله تعالى إليه عبدي أما رضيت أن عصمت قلبك أن يكفر بي حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب فوضعه على رأسه فقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فإذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو أني أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضد أصل الإيمان بل ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلماً منافقاً وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر وفي لفظ إذا عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه إلا صديق إذ قال الحسن إن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكراً بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا قال حذيفة إن كان الرجل يتكلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقاً إني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات ● وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر ● وقال بعضهم علامة النفاق أن تكره من الناس ما تأتي مثله وأن تحب على الشيء من الجور وأن تبغض على الشيء من الحق ● وقيل من النفاق إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك ● وقال رجل لابن عمر إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم بما يقولون فإذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وروي أنه سمع رجلاً يذم الحجاج ويقع فيه فقال أرأيت لو كان الحجاج حاضراً أكنت تتكلم بما تكلمت قال لا قال كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد من ذلك ما روي أن نفراً جلسوا على باب حذيفة فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حذيفة قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق وكان يقول يأتي على القلب ساعة يمتلئ بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة ويأتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة وقد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الخاتمة

وإن سببها أمور مقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك وإن ظن أنه قد خلا عنه فهو النفاق إذ قيل من أمن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين إني أخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقاً لما خفت النفاق ولا يزال العارف بين الالتفات إلى السابقة والخاتمة خائفاً منهما جميعاً ● ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين مخافتين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ومن أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار

بيان سوء الخاتمة

فإن قلت إن أكثر خوف هؤلاء يرجع إلى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك وإما الجحود فتقبض الروح في حالة غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجاباً بينه وبين الله وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه منكساً رأسه إلى الدنيا وصارفاً وجهه إليها ومهما انصرف الوجه عن الله حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ نار الله الموقدة لا تأخذ إلا المحجوبين فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه إلى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة الدنيا فالأمر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه إذ لا تصرف في القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في الرجوع إلى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة فإنه يمحو عنه هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فإن كان إيمانه في القوة إلى حد مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد وأن يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين

فإن قلت فما ذكرته يقتضي أن تسرع النار إليه عقيب موته فما باله يؤخر إلى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة فاعلم أن من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الإيمان ونور القرآن بل الصحيح عند ذوي الأبصار ما صحت به الأخبار وهو أن القبر إما حفرة من حفر النيران أو روضة من رياض الجنة وأنه قد يفتح إلى قبر المعذب سبعون باباً من الجحيم كما وردت به الأخبار فلا تفارقه روحه إلا وقد نزل به البلاء إن كان قد شقي بسوء الخاتمة وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم المناقشة في الحساب والافتضاح على ملأ الأشهاد في القيامة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية إلى آخر ما وردت به الأخبار فلا يزال الشقي متردداً في جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو في جملة الأحوال معذب إلا أن يتغمده الله برحمته ولا تظنن أن محل الإيمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها إلى أن يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الأجزاء المتفرقة وتعاد الروح إليها التي هي محل الإيمان وقد كانت من وقت الموت إلى الإعادة إما في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة وإما على حالة تضاد هذه الحالة إن كانت والعياذ بالله شقية

فإن قلت فما السبب الذي يفضي إلى سوء الخاتمة فاعلم أن أسباب هذه الأمور لا يمكن إحصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها أما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين أحدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الأعمال كالمبتدع الزاهد فإن عاقبته مخطرة جداً وإن كانت أعماله صالحة ولست أعني مذهباً فأقول إنه بدعة فإن بيان ذلك يطول القول فيه بل أعني بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه إما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصوم وعليه يعول وبه يغتر وإما أخذاً بالتقليد ممن هذا حاله فإذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه فربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلاً إذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادئ سكراته منه فقد ينكشف به بعض الأمور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعاً به ومتيقناً له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لأنه كان يعول فيه إلى رأي العاقل وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له إذ لم يكن عنده فرق من إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته من الجهل سبباً لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكه فيها فإن اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً

كما انه ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة اشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات بعض الامور
اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من ان ينظر الى الملكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ فينكشف له الامور على ما هي عليه
فيكون مثل هذه الحالة سبب الكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وافعاله
شيا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالراي والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا
ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب
والسوادية وساير العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا اصغوا الى اصناف المتكلمين في تقليد
اقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن
هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يومنوا بما انزل الله جميعا وكل ما جا من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم من الخوض
في التاويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباتها كوود ومسالكها وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله
بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة والقلوب
لما القي فيها في مبدا النشو الفة وبها متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير موكدة للعقايد الموروثة الماخوذة بحسن الظن
من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها اخذة وعن تمام الفكر صارفة
فاذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالراي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على
ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتاكد ذلك بطول
الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم وكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج
عن حد طاقتهم ولكن الان قد استرخى العنان وفشى الهذيان ونزل كل واحد جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو
يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان ويظن ان ما وقع به عن حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين وليعلمن نباه
بعد حين وينبغي ان ينشد عن هولاء عند كشف الغطا * احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
* وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر * واعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله
وكتبه ورسله وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الامواج يرمي به موج الى موج
فربما يتفق ان يلقيه الى الساحل وذلك بعيد والهلاك اغلب عليه وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع
الادلة التي حرروها في تعصباتهم او دون الادلة ان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو امن من مكر الله
مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة الذي يشرق في
عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الاحمر واني يتيسر وانما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام او الذين شغلهم خوف النار
بطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذه احد الاسباب المخطرة في سوء الخاتمة واما الثاني فهو ضعف الايمان في
الاصل ثم استيلا حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع
لحب الله الا من حيث حديث النفس ولا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع
الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفي ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى
يصير طبعا ورينا فاذا جات سكرة الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهو المحبوب
الغالب على القلب فيتالم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله تعالى فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة
ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب كما ان الذي يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ ولده امواله التي
هي احب اليه من ولده فاحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة
فقد ختم له بالشقا وهلك هلاكا موبدا والسبب الذي يفضي الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح
باسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا فهو ابعد
عن هذا الخطر وحب الدنيا راس كل خطية وهو الدا العضال وقد عم اصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى اذ لا
يحبه الا من عرفه ولهذا قال تعالى قل ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره فاذا من فارقت روحه في حال خطرة

الانكار على الله بباله وظهور فعل الله بقلبه في تفرقته بينه وبين اهله وماله وساير محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه
وفراقا لما احبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الابق اذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال واما
الذي يتوفى على الحب فانه يقدم على الله قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه والذي تحمل مشاق الاعمال ووعثا الاسفار
طمعا في لقايه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطايف الاكرام وبدايع الانعام واما
الخاتمة الثانية وهي التي دون الاولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصي وان قوي
الايمان والاخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة
الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر
ما يحضر ذكره طاعة الله وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت وربما يقبض روحه عند غلبة شهوة
من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو
ابعد عن هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا اصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت اكثر من طاعاته
وقلبه بها افرح منه بالطاعات فهذا الخطر العظيم في حقه ونعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه
جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما ماثل مشاهداته في اليقظة وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة
الوقاع ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في العلم يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلما اكثر مما يراه التاجر والذي قضى عمره في التجارة والتجار
يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع
القلب بطول الالف او بسبب اخر من الاسباب والموت شبه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية
قريب من النوم فيقتضي تذكر المالوفات وعودها الى القلب واحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف وطول
الالف بالمعاصي والطاعات ايضا مرجحة ولذلك تخالف ايضا منامات الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الالف سببا
لان تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل اليها نفسه فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا
بحيث يرجى له الخلاص منها وكما ان ما يخطر في اليقظة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك احاد المنامات لها اسباب
عند الله نعرف بعضها ولا نعرف بعضها كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشي الى ما يناسبه اما بالمشابهة وان ينظر الى جميل فيذكر
جميلا اخر واما بالمضادة فان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا ويتامل في شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة فان ينظر الى فرس
قد راه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شي الى شي ولا يدري وجه مناسبته له فانما يكون
ذلك بواسطة وواسطتين مثل ان ينتقل من شي الى ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة و
لكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة فكذلك لانتقالات الخواطر في المنام اسباب من هذا الجنس
وكذلك عند سكرات الموت ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول
عمره في فطام نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير
وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فان المرء يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل
عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة وكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفه به قبل
الموت ولقد قال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة تتلالا نورا فلا يكون العبد على حالة الا انطبع مثاله في
العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية
وكذلك يكشف له في القيامة فيرى احوال نفسه فياخذه من الحيا والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكرناه صحيح وسبب الرويا الصا
لحة قريب من ذلك فان النايم يدرك ما سيكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من اجزا النبوة فاذا رجع سوء الخاتمة
الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله تعالى والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار
دخولا كليا وان كان لطول الالف فيه تاثيرا فلهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في
المنام الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما
يوثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في
اليقظة حتى سمعت الشيخ ابا علي الفارمذي رحمه الله يصف لي وجوب حسن ادب المريد لشيخه وان لا يكون في قلبه انكار لكل

مما يقوله ولا في لسانه مجادلة فقال حكيت لشيخي ابي العباس الدركان منامًا لي وقلت رايت انك قلت لي كذا وكذا فقلت لم ذلك
فهجرني شهرًا ولم يكلمني قال ولولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة وانكار ما اقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في المنام
وهو كما قال اذ قل ما يرى الانسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذي نسمح بذكره للعامل في اسرار
الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشيا كلها كما هي عليه
من غير جهل وبرحي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال او عسير فلا بد وان يغلب عليك من الخوف ما
غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبيا والاوليا والسلف
الصالحين ليكون ذلك احد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان اعمال العمر كلها ضايعة ان لم تسلم في النفس
الاخر الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب امواج الخواطر مشكل جدًا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول اني
لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا اصعدت الملايكة بروح المومن وقد مات
على الخير والاسلام تعجبت الملايكة منه وقالوا كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا • وكان الثوري يبكي يومًا فقيل علام تبكي فقال بكينا على
الذنوب زمانًا فالان نبكي على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت الرياح العاصفة واضطربت الامواج
كانت النجاة في حقه ابعد من الهلاك وقلب المومن اشد اضطرابًا من السفينة وامواج الخواطر اعظم التطامًا من امواج البحر وانما
المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال صلى الله عليه ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى
بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر تضطرب
وتخطر خطور البرق الخاطف وقال سهل رايت كاني ادخلت الجنة فرايت ثلثماية نبي فسالتهم ما اخوف ما كنتم تخافون في الدنيا
فقالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطًا عليها وكان موت الفجاة مكروهًا اما الموت فجاة فلانه
ربما يتفق عند ذلك غلبة خاطر سوء واستيلاوه على القلب والقلب لا يخلو عن امثالها الا ان يدفع بالكراهة وبنور المعرفة واما
الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد
وجميع الشهوات عن القلب اذ لا يهجم على صف القتال موطنًا نفسه على الموت الا حبًا لله تعالى وطلبًا لمرضاته وبايعًا دنياه باخرته
وراضيًا بالبيع الذي بايعه الله به اذ قال تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله
والبايع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه من القلب ومجرد حب العوض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد يغلب على
القلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة فيمن ليس يغلب
يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فان من هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه
الاخبار • واذا بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيه فاشتغل بالاستعداد له فواظب على ذكر الله واخرج من قلبك حب
الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها فان ذلك
ايضًا يوثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك فاياك وان تسوف وتقول ساستعد لها اذا جات الخاتمة فان كل نفس من
انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان تخطف فيه روحك فراقب قلبك في كل تطريفة واياك وان تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك
هذا ما دمت في يقظتك فاما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان يغلب النوم الا بعد غلبة ذكر الله
على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيف الاثر • واعلم قطعًا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان
قبل النوم غالبًا عليه وانه لا يبعث من النوم الا على ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث شبه النوم واليقظة
فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه
ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق يقينًا وقطعًا ان الموت والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من
احوالك وامن بهذا تصديقًا باعتقاد القلب ان لم تكن اهلًا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك
واياك ان تغفل عن الله طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك على خطر فكيف اذا لم تفعل والناس كلهم هلكى
المخلصون والمخلصون على خطر عظيم • واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم
وملبس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي ان يكون تناولك تناول
مضطر كاره له ولا يكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك في قضا حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه

ضرورتان في الجبلة وكما لا يكون قضا الحاجة من همتك التي يشتغل بها قلبك فلا ينبغي ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه
ان كان همتك ما يدخل في بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوي على عبادة الله كقصدك من قضا
حاجتك فعلامة ذلك يظهر في ثلثة امور من ماكولك في وقته وقدره وجنسه اما الوقت فاقله ان تكتفي في اليوم والليلة بمرة
واحدة فتواظب على الصوم واما قدره فانه لا يزيد على ثلث البطن واما جنسه فان لا يطلب اللذائذ من الاطعمة بل يقنع بما يتفق
وان قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مونة الشهوات اللذايذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وامكنك ان لا تاكل الا من حله فان
الحلال يعز ولا يفي بالشهوات واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة وكل ما دفع البرد عن راسك ولو قلنسوة بدانق
فطلبك لغيره فضول منك يضيع زمانك ويلزمك الشغل الدايم والعنا القايم في تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام والشبهة
وقس بهذا ما يدفع به الحر والبرد عن بدنك وكل ما حصل مقصود اللباس ان لم يكتف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف
ومرد بعده بل كنت ممن لا يملا بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اقتصرت لمقصوده كفاك السما سقفًا والارض مستقرًا فان غلبك
حر او برد فالمساجد وان طلبت مسكنًا خاصًا طال عليك وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت
من الحايط سوى كونه حايلًا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعًا للامطار فاخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف
فقد تورطت في مهواة يبعد رقيك منها وهكذا جميع ضرورات امرك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لاخرتك و
الاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة الى اودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال الله في اي واد اهلكك فاقبل هذه
النصيحة ممن هو احوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فلو دفعته يومًا
بيوم في تسويفك او في غفلتك اختطفتك فجاة في غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على
ملازمة ما ارشدت اليه لضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من امر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا نورد عليك من احوال
الخايفين ما نرجو ان يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبيا والاوليا والعلما وعملهم ومكانهم عند الله لم
يكن دون عقلك وعملك ومكانتك فتامل مع كلال بصيرتك وعمى قلبك في احوالهم لما اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن
والبكا حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيًا عليه وبعضهم يخر ميتًا الى الارض ولا عجب ان كان ذلك
لا يوثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة وان منها لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الما
وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون **بيان احوال الانبياء والملايكة في الخوف** روت عايشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه كان اذا تغير الهوا وهبت ريح عاصفة تغير وجهه وهو يقوم ويتردد في الحجرة ويدخل
ويخرج وكل ذلك خوفًا من عذاب الله • وقرا صلى الله عليه اية في سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى وخر موسى صعقًا ورأى رسول
الله صلى الله عليه جبريل في الابطح فصعق وروي انه عليه السلام كان اذا دخل في الصلوة يسمع لصدره ازيز كازيز المرجل وقال
عليه السلام ما جاءني جبريل عليه السلام الا وهو يرعد فرقًا من الجبار • وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكايل
عليهما السلام يبكيان فاوحى الله اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكا فقالا يا رب لا نامن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تامنا
مكري • وعن محمد بن منكدر قال لما خلقت النار طارت افيدة الملايكة من اماكنها فلما خلق بنو ادم عادت • وعن انس انه عليه السلام
سال جبريل ما لي لا ارى ميكايل يضحك فقال جبريل عليه السلام ما ضحك ميكايل منذ خلقت النار • ويقال ان لله ملايكة لم
يضحك احد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم • وقال ابن عمر خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر وياكل فقال يا ابن عمر ما لك لا تاكل فقلت يا رسول الله لا اشتهيه قال لكني اشتهيه
وهذا صبح رابعة منذ لم اذق طعامًا ولم اجده ولو سالت ربي لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك اذا بقيت في قوم يخبون
رزق سنتهم ويضعف اليقين قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع
العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يامركم بكنز الاموال ولا باتباع الشهوات من كنز دنيا يريد بها
حياة فانية فان الحيوة بيد الله والا واني لا اكنز دينارًا ولا درهمًا ولا اخبا رزقًا لغد • وقال ابو الدردا كان يسمع ازيز
قلب ابرهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه اذا قام في الصلوة من مسيرة ميل خوفًا من ربه • وقال مجاهد بكى داود عليه السلام اربعين
يومًا ساجدًا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى راسه فنودي يا داود اجايع انت فتطعم ام ظمان فتسقى ام عار فتكسى
فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر خوفه ثم انزل الله عليه التوبة والمغفرة فقال اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه

مكتوبة وكان لا ينبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لعبرة إلا رآها فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفتيه حتى يفيض القدح من دموعه ● ويروى عنه أنه عليه السلام ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء من الله تعالى وكان يقول في مناجاته إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلي روحي سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبؤساً للقانطين من رحمتك ● وقال الفضيل بلغني أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخاً واضعاً يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال ارجعي لا أريدكم إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني إلا بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال اللحى وقبل أن يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ● وقال عبد العزيز بن عمير لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال إلهي بح صوتي في صفاء أصوات الصديقين ● وروي أنه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه فقال يا رب أما ترحم بكائي فأوحى الله تعالى إليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال إلهي وسيدي كيف أنسى ذنبي وكنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريانه وسكن هبوب الريح وأظلني الطير على رأسي وأنست الوحوش إلى محرابي إلهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فأوحى الله إليه يا داود ذاك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتي وألبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكا إلي الوحدة فزوجته حواء أمتي وأسكنته جنتي عصاني فطردته عن جواري عرياناً ذليلاً يا داود اسمع مني والحق أقول أطعتنا فأطعناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأمهلناك وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك ● وقال يحيى بن أبي كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعاً لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فإذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له المنبر إلى البرية فيأمر سليمان أن ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأت قال فتأتي الوحوش من البراري والآكام وتأتي السباع من الغياض وتأتي الهوام من الجبال وتأتي الطير من الأوكار وتأتي العذارى من خدورهن ويجتمع الناس لذلك اليوم ويأتي داود حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فإذا رأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فبينما هو كذلك إذ ناداه بعض عباد بني إسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخر داود مغشياً عليه فلما نظر سليمان إلى ما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر منادياً ينادي ألا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار وكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجي فيأتي سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا أبتاه تقو بهذا على ما تريد فيأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج إلى بني إسرائيل فيكون بينهم ● وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفاً فمات منهم ثلاثون ألفاً وما رجع إلا في عشرة آلاف قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت ● وقال ابن عمر رضي الله عنه دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر إلى العباد قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر إلى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوها إلى أطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع إلى أبويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا نلعب فقال إني لم أخلق للعب قال فأتى أبويه فسألهما أن يدرعاه الشعر ففعلا فرجع إلى بيت المقدس وكان يخدمه نهاراً ويصبح فيه ليلاً حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم أطراف الأرض وغيران الشعاب فخرج أبواه في طلبه فأدركاه على بحيرة الأردن وقد أنقع رجليه في الماء وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك فسأله أبواه أن يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح بالبر فرده أبواه إلى بيت المقدس وكان إذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه

يا بني لو أذنت لي أن أتخذ لك شيئاً تواري به أضراسك عن الناظرين فأذن لها فعمدت إلى قطعتي لبود فألصقتهما على خديه فكان إذا قام يصلي بكى فإذا استنقعت دموعه في القطعتين أتت إليه أمه فعصرتهما فإذا رأى دموعه على ذراعي أمه قال اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوماً يا بني إنما سألت ربي أن يهبك لي لتقر عيني بك فقال يحيى يا أبت إن جبريل أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء فقال زكريا فابك يا بني ● قيل كان الخليل عليه السلام إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاً في ميل فيأتيه جبريل فيقول له الجبار يقرئك السلام هل رأيت خليلاً يخاف خليله فيقول يا جبريل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي ● وقال عيسى عليه السلام معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا بحق أقول لكم إن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس كثير فهذه أحوال الأنبياء فدونك والتأمل فيها فإنهم أعرف خلق الله بالله تعالى وصفاته

بيان أحوال الصحابة والسلف الصالحين في شدة الخوف

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لطير وددت أني مثلك يا طائر ولم أخلق بشراً ● وقال أبو ذر وددت لو أني شجرة تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمان وددت أني إذا مت لم أبعث ● وقالت عائشة وددت أني كنت نسياً منسياً وكان في وجه عمر خطان أسودان من الدموع ● وقال عمر من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون ولما قرأ عمر إذا الشمس كورت فانتهى إلى قوله وإذا الصحف نشرت خر مغشياً عليه ● ومر يوماً بدار إنسان وهو يصلي ويقرأ سورة الطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع نزل عن حماره واستند إلى حائط ومكث زماناً ورجع إلى منزله فمرض شهراً يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه ● وقال علي رضي الله عنه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علته كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت أصحاب محمد عليه السلام فلم أر اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا وذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم بالدموع حتى تبتل ثيابهم والله كأني بالقوم باتوا غافلين ثم قام فما رئي بعد ذلك ضاحكاً حتى ضربه ابن ملجم ● وروي أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشياً عليه وكان يعاد أياماً ● وأخذ يوماً تبنة من الأرض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم أك شيئاً مذكوراً يا ليتني لم تلدني أمي يا ليتني كنت نسياً منسياً ● وقال عمران بن الحصين لوددت أني رماد تسفيني الرياح في يوم عاصف ● وقال أبو عبيدة بن الجراح وددت أني كبش فيذبحني أهلي ويأكلون لحمي ويحسون مرقي ● وكان علي بن الحسين إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ● وقال موسى بن مسعود كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه ● وقرأ مضر القارئ يوماً هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الآية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه ثم أفاق فقال وعزتك لا أعصيتك جهدي أبداً فأعني بتوفيقك على طاعتك ● وكان المسور بن مخرمة لا يقوى أن يسمع القرآن من شدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياماً حتى أتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً فقال أنا من المجرمين ولست من المتقين أعد علي القول أيها القارئ فأعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة ● وقرئ عند يحيى البكاء ولو ترى إذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة ومكث منها مريضاً أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة ● وقال مالك بن دينار بينما أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجويرية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخاً أقول ثكلت مالكاً أمه ● ويروى أن الفضيل رئي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى إذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال واسوأتاه منك وإن عفوت ثم انقلب مع الناس ● وسئل ابن عباس عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة وأعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر أمامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي الله موقفنا ● ومر الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا قال فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فما رئي الفتى بعد ذلك ضاحكاً ● وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس جلس مستوفزاً على قدميه فقال له لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن إذ عصيت الله عز وجل ● وقال عمر بن عبد العزيز إنما جعل الله هذه الغفلة رحمة في قلوب العباد كيلا يموتوا من خشية الله ● وقال مالك بن دينار لقد هممت إذا أنا مت أن تقيدوني وتغلوني ثم تنطلقوا بي إلى ربي كما ينطلق بالعبد الآبق إلى سيده

خاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح ولا مكان اصلح من الجنة وقد لقي ادم عليه السلام فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس
بعد طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين
فلا شخص اكبر منزلة عند الله من المصطفى عليه السلام ولم ينتفع بلقائه اقرباؤه واعداؤه ● وقال السري اني لانظر الى انفي كل
يوم اربعين مرة اعتقادي ان يعني ان الله سلط الى نظر السخط واعمالي تدل على ذلك ● وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال
اني اجترات البارحة على الله تعالى سالته الجنة ● وقالت ام محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني اني لاعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك
احدثت حدثا موبقا لما اراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا اماه ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع علي وانا على بعض ذنوبي
فمقتني وقال وعزتك لا غفرت لك ● وقال الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون
يوم القيمة انما اغبط من لم يخلق ● وروي ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي
صلى الله عليه وسلم فدخل عليه فخر ميتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده ● وروي عن ابي
ميسرة انه كان اذا اوى الى فراشه قال يا ليت امي لم تلدني فقالت له امه يا ميسرة ان الله تعالى قد احسن اليك هداك للاسلام قال
اجل ولكن الله بين لنا انا واردوا النار ولم يبين لنا انا صادرون عنها ● وقيل لفرقد السبخي اخبرنا باعجب شيء بلغك عن بني اسرائيل
فقال بلغني انه دخل بيت المقدس خمس مائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا في يوم واحد ● وكان
عطاء السلمي من الخائفين وكان لا يسال الله الجنة ابدا انما كان يسال العفو وقيل له في مرضه الا تشتهي شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع في
قلبي موضعا من الشهوة ويقال انه ما رفع راسه الى السماء ولا ضحك اربعين سنة فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يمس جسده
في بعض الليل مخافة ان يكون قد مسخ ● وكان اذا اصابتهم ريح او برق او غلا طعام قال هذا من اجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح
الناس ● وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشا قد تورمت اقدامهم من طول
القيام وغارت اعينهم في رؤوسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كانها الاوتار يصبحون جلودهم مثل قشور البطيخ
وكانهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف اكرم الله المطيعين وكيف اهان العاصين فبيناهم يمشون اذ مر بمكان فخر مغشيا
عليه فجلس اصحابه حوله في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فاتوا بماء فمسحوا وجهه فافاق فسالوه عن امره فقال
لنا اني ذكرت اني كنت قد عصيت الله في ذلك المكان ● وقال صالح المري قرات على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم في
النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فصعق ثم افاق ثم قال زدني يا صالح فاني اجد غما فقرات كلما ارادوا ان يخرجوا
منها من غم اعيدوا فيها فخر ميتا ● وروي ان زرارة بن اوفى صلى بالناس صلوة الغداة فلما قرا فاذا نقر في الناقور خر مغشيا
عليه فحمل ميتا ● ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين لست اول خليفة تموت فبكى
ثم قال زدني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه ● وقال ميمون بن مهران لما نزلت
هذه الاية وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على راسه ثم خرج هاربا ثلثة ايام لا يقدر عليه ● وراى
داود الطائي امراة تبكي على راس قبر ولدها وهي تقول يا ابتاه ليت شعري باي خديك بدا الدود فصعق داود وسقط مكانه
وقيل مرض سفيان الثوري فعرض دليله على طبيب نصراني فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت ان
في الحنيفية مثله ● وقال احمد بن حنبل سالت الله تعالى ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما اطيق
فسكن قلبي ● وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع
صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكانه اشار الى معنى قوله صلى الله عليه لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ● وقال الحميدي
اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقران عليكم بالصلوة
ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف
مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ● وراى الفضيل يوما وهو يمشي فقيل الى اين فقال لا ادري وكان يمشي والها
من الخوف ● وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي احد فاذا تكلمت سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست النائحة
الثكلى كالنائحة المستاجرة ● وحكي ان قوما وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله قال روعة يجدها
الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله تعالى ● وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت
وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني ● وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك فقال ارني شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبت

الى رجل في بعض الاجبال في خص فاستاذنت عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرات اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في
الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى اخر ودخلنا عليه فقرات
هذه الاية فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فذهبنا واستاذنا على ثالث فقال ان لم تشغلونا عن ربنا فقرات ذلك لمن خاف مقامي
وخاف وعيد فشهق شهقة فاذا منخريه والدم يتخشط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا فادرته على ستة انفس كل نخرج
من عنده ونتركه مغشيا ثم اتيت به الى السابع فاستاذنا فاذا امراة من وراء الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس
في مصلاه فسلمنا فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما فقال بين يدي من ويحكم ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا
بصره فصاح بصوت اوه اوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امراته اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك
سالت عن القوم فاذا ثلثة قد افاقوا وثلثة لحقوا بالله واما الشيخ فانه مكث ثلاثة ايام على حاله مبهوتا لا يؤدي فرضا فلما
كان بعد ثلاث عقل ● وقال يزيد بن الاسود يرى انه من الابدال وكان قد حلف ان لا يضحك ابدا ولا ينام مضطجعا ولا ياكل
سمينا ابدا فما رئي ضاحكا ولا مضطجعا ولا اكل سمينا حتى مات رحمه الله ● وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك
قط فقال كيف اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد اعدت ● وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت
قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسالني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق
كل واحد منهم بخشبة على اي حالة يكونون قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن حالي اشد من حالهم ● ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز
على عمر فسلمت عليه ثم قامت الى مسجد في بيته فصلت ركعتين ثم غلبتها عيناها فرقدت فاستبكت في منامها فقالت يا امير
المؤمنين اني رايت والله عجبا فقال وما ذاك قالت رايت النار وهي تزفر على اهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال هيه
قالت فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى فقال عمر هيه قالت ثم جيء بالوليد بن عبد
الملك فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى فقال هيه قالت ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه الا يسيرا
حتى انكفا به الصراط فهوى فقال عمر هيه ثم جيء بك والله يا امير المؤمنين فصاح عمر صيحة فخر مغشيا فقامت اليه فنادت
في اذنه يا امير المؤمنين اني رايتك والله نجوت قال وهي تنادي وتصيح وهو يصيح ويفحص برجله ● وحكي
ان اويسا القرني كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون
مجنون مجنون ● وقال معاذ بن جبل ان المؤمن لا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه ● وكان طاوس يفرش له فراشه ثم
يضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين
وقال الحسن البصري يخرج من النار رجل بعد الف عام ويا ليتني كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة
وروي انه ما ضحك اربعين سنة قال وكنت اذا رايته قاعدا كانه اسير قد قدم لتضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الاخرة
فيخبر عن مشاهدتها واذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يؤمنني ان يكون الله قد اطلع علي في
بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فما غفرت لك فانا اعمل في غير معمل ● وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من
القوم فقال يا ابا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي ان لا نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال هي قولك لقد قطع
قلوب الخائفين طول الخلودين اما في الجنة او في النار ثم غاب عني فتفقدته في المجلس الاخر فلم اره فسالت عنه
فاخبرت انه مريض يعاد فاتيته اعوده فقلت يا اخي ما الذي ارى بك فقال يا ابا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب
الخائفين طول الخلودين اما في الجنة او في النار قال ثم مات رحمه الله فرايته في المنام فقلت يا اخي ما صنع الله بك قال
غفر لي ورحمني وادخلني الجنة قلت بماذا قال بالكلمة ● فهذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء ونحن اجدر بالخوف منهم
لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا
شهواتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب
تحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله ان يتدارك بفضله وجوده احوالنا
فيصلحها ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا
وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا واذا اردنا طلب رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا
واجتهدنا في طلب ارزاقنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا ونقول اللهم ارزقنا ثم اذا طمحت اعيننا نحو الملك الدائم

المتيم قنعنا بان نقول بلساننا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي اليه رجاؤنا وبه اغترارنا بادينا ويقول وان ليس للانسان
الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور ويا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ثم وكل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن ودية غرورنا
وامانينا فما هذه الا محنة هائلة ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسال الله ان يتوب علينا بل نسال الله ان
يشوق الى التوبة قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا
سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان اعظم من هذا فنسال الله تعالى ان يمن بالتوفيق
والرشد علينا بمنه وفضله ولنقتصر من حكايات احوال الخائفين على ما اوردنا فان القليل من هذا يصادف القلب القابل
فيكفي والكثير منه وان افيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان
من خيار العباد انه راه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله ما تكاد ترقا دمعته من كثرة البكا قال
عيسى فلما رايته هالني منظره فقلت ايها الراهب اوصني بوصية احفظها عنك فقال يا اخي بماذا اوصيك ان استطعت ان
تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف ان يغفل فتفترسه السباع او يسهو فتنهشه
الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة في ليله وان امن المغترون وفي الحزن في نهاره وان فرح البطالون
ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيا عسى ان ينفعني فقال الظمان يجزيه من الما ايسره وقد صدق فان القلب الصافي يحركه
ادنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقدير انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي ان يظن
انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا بانواع السباع واصناف الهوام مثل الغضب
والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والريا وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان سهوت عنها لحظة الا
انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطا ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة
لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات قد احدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الان قد انكشف لك صورها
فان اردت ان تقتلها وتقهرها وانت قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها الصميم فوادك فضلا عن
ظاهر بشرتك وجسمك والسلام اخر كتاب الخوف والرجا الحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد المرسلين محمد واله

كتاب الفقر والزهد

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر الحمد لله الذي يسبح له الرمال وتسجد له الظلال وتندكدك
من هيبته الجبال خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال وزين صورته باحسن تقويم واتم اعتدال وعصم قلبه بنور
الهداية عن ورطات الضلال واذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والاصال ثم كحل بصيرة المخلصين في خدمته بنور
العبرة حتى لاحظوا بصفاتها حضرة الجلال فلاح لهم من البهجة والبها والكمال ما استقبحوا دونه مبادي اشراقه كل حسن
وجمال واستثقلوا ما صرفهم عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال وتمثل لهم ظاهر الدنيا في صورة امراة جميلة تميس
وتختال وانكشف لهم باطنها عن عجوز شوها عجنت من طينة الخزي وضربت في قالب النكال وهي متعلقة بجلبابها
لتخفي قبائح اسرارها بلطائف السحر والاحتيال وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال فهي تقتنصهم بضروب المكر و
الاحتيال ثم لا تعتزي بالخلف في مواعيد الوصال بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والاغلال وتبليهم بانواع
البلايا والنكال فلما انكشف للعارفين منها قبائح الاسرار والافعال زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوا التفاخر والتكاثر
بالاموال واقبلوا بكنه هممهم على حضرة الجلال واتقوا منها بوصال ليس له انفصال ومشاهدة ابدية لا يعتريها
فنا ولا زوال والصلوة على سيد الانبيا وعلى اله خير ال **اما بعد** فان الدنيا عدوة لله بغرورها ضل من
ضل وبمكرها زل من زل فحبها راس الخطايا والسيئات وبغضها ام الطاعات وراس القربات وقد استقصينا ما يتعلق
بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن الان نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه راس المنجيات
ولا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها ولكن مقاطعتها اما ان تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا
واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادة وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة

ونحن الان نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما واقسامهما وشروطهما واحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر
اخر منه ولنبدا بذكر الفقر **الشطر الاول من الكتاب في الفقر** وفيه بيان حقيقة الفقر بيان فضيلة الفقر مطلقا بيان
فضيلة خصوص الفقرا بيان فضل الفقر على الغنى بيان اداب الفقير في فقره بيان ادبه في قبول العطا بيان تحريم السوال بغير
ضرورة بيان الغنى المحرم للسوال بيان احوال السايلين **بيان حقيقة الفقر واختلاف احوال الفقر واساميه**
اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه فاما فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم
يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام الوجود
من فضل الله وجوده وان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا
الموجود الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة
بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقرا وهذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص
والا ففقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر لان حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال
وهو الذي نريد الان بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فانما نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود
محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة احوال عند الفقر ونحن نميزها ونخصص كل حالة باسم لنتوصل بالتمييز الى ذكر احكامها
الحالة الاولى وهي العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتاذى به وهرب منه مبغضا له ومحترزا من شره
وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد **الثانية** ان يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة
يتاذى بها ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا **الثالثة** ان يكون وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة
له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به و
صاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة **الرابعة** ان يكون
تركه الطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه وهو مشغول بالطلب وصاحب هذه
الحالة نسميه بالحريص **الخامسة** ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى
صاحب هذه الحالة مضطرا كيف ما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه
خمسة احوال اعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو اقصى درجات الزهد كما سياتي ووراء هذه
الاحوال الخمس حالة هي اعلى من الزهد وهي ان يستوي عنده وجود المال وفقده فان وجده لم يفرح به ولم يتاذ وان فقده
فكذلك بل حاله مثل حال عايشة رضي الله عنها اذ اتاها مائة الف درهم من العطا فاخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمها لو اشتريت
لنا بدرهم لحما فقالت لو ذكرتني لفعلت فمن هذا حاله فلو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم يضره اذ هو يرى الاموال
في خزانة الله لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان يكون في يده او في يد غيره وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغني لانه غني عن
فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من
كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده وانما هو غني عن دخول المال في يده لا عن بقائه فهو اذا فقير
من وجه واما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده ايضا فانه ليس يتاذى به ليحتاج
الى اخراجه وليس يفرح به ليحتاج الى ابقائه وليس فاقدا له ليحتاج الى ادخاله في يده فغناه
الى العموم اميل وهو الى الغني الذي هو وصف الله اقرب وانما قرب العبد من الله بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكن لا يسمى
صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى الغني اسما لمن له الغنى المطلق عن كل شي واما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا
وعدما فلم يستغن عن اشيا اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب
المال رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه عن هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين
الرق والحرية في اوقات متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا
واعلم ان الزهد درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا اذ حسنات الابرار
سيات المقربين وهذا لان الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما ان الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله حجاب عن الله
تعالى ولا بعد بينك وبين الله حتى يكون البعد حجابا فانه اقرب اليك من حبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات

والارض تكون حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك شغلك بغيره وانت لا تزال مشغولا
بنفسك وشهوات نفسك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببغض نفسه ايضا مشغول عن الله بل كل
ما سوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى الرقيب والى بغضه واستثقاله
وكراهية حضوره فهو في حالة اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير
المعشوق ولم يلتفت اليه فكما ان النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذا النظر الى غيره
لبغضه شرك فيه ونقص ولكن احدهما اخف من الاخر بل الكمال في ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع في
القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع ايضا بغض وحب في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها
الا ان المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك طريق القرب اذ يرجى
له ان ينتهي حاله الى ان تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود فالكمال له مرتقب لان بغض الدنيا مطية توصل الى الله تعالى فالمحب
والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن احدهما مستدبر من الكعبة والاخر مستقبل لها فهما
سيان بالاضافة الى الحال في ان كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى المستدبر
اذ يرجى له الوصول وليس محمودا بالاضافة الى المعتكف في الكعبة والملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال بالدابة في
الوصول اليها فلا ينبغي ان تظن ان بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا عائق عن الله ولا وصول اليه الا بدفع العائق ولذلك قال
ابو سليمان الداراني من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي ان يشتغل بالاخرة فتبين ان سلوك طريق الاخرة
ورا الزهد كما ان سلوك طريق الحج ورا دفع الغريم العائق عن الحج فاذن قد ظهر ان الزهد في الدنيا ان اريد به عدم الرغبة في وجودها
وعدمها فهو غاية الكمال وان اريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص ونقصان بالاضافة
الى درجة المستغني بل الكمال في حق المال ان يستوي عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا يؤذيك بان تكون على شاطئ البحر
ولا قلته يؤذيك الا في قدر الضرورة مع ان الماء محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير
بل تقول اشرب منه بقدر الحاجة واسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا ابخل به على احد فهكذا ينبغي ان يكون المال لان
الخبز والماء واحد في الحاجة انما الفرق بينهما في قلة احدهما وكثرة الاخر واذا عرفت الله وثقت بتدبيره الذي دبر به العالم
علمت ان قدر حاجتك من الخبز ياتيك لا محالة ما دمت حيا كما ياتيك قدر حاجتك من الماء على ما سياتي بيانه في كتاب التوكل
قال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني قال مالك بن دينار للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركوة التي اهديتها الي
فان العدو يوسوس الي ان اللص قد اخذها فقال ابو سليمان هذا من ضعف قلب الصوفية هو قد زهد في الدنيا ما عليه من اخذها
فبين ان كراهية كون الركوة في بيته التفات اليها بسببه الضعف والنقصان **فان قلت** فما بال الانبيا والاوليا
هربوا من المال ونفروا منه كل النفار **فاقول** كما هربوا من الماء على معنى انهم ما شربوا اكثر من حاجتهم فنفروا عما وراه
ولم يجمعوا في القرب والزوايا يردون به مع انفسهم بل تركوه في الانهار والبراري للمحتاجين اليه لا انهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه
او بغضه وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه والى ابي بكر وعمر فاخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا
منها اذ كان يستوي عندهم الماء والمال والذهب والحجر وما ينقل عنهم من امتناع فاما ان ينقل عمن خاف ان لو اخذه ان
يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفا فلا جرم البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال وهذا
حكم جميع الخلق لانهم كلهم ضعفا الا الانبيا والاوليا والعلما واما ان ينقل عن قوي بلغ الكمال ولكن اظهر الفرار والنفار
نزولا الى درجة الضعفا ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل المعزم من بين يدي اولاده من الحية
لا لضعفه عن اخذها ولكن لعلمه انه لو اخذها لاخذها اولاده اذا راوه فهلكوا والمسير بسير الضعفا ضرورة سير الانبيا
والاوليا والعلما وقد عرفت اذا ان المراتب ستة واعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص واما
المضطر فيتصور في حقه ايضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الاحوال الفقر يطلق على هذه
الخمسة اما تسمية المستغني فقيرا فلا وجه له بهذا المعنى بل ان سمي فقيرا فبمعنى اخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى في
جميع اموره عامة وفي بقا استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقر له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واقر بها
فانما حق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقر عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله فقد

اخبر باسم الفقر فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قوله عليه السلام اعوذ بك من الفقر وقوله
كاد الفقر ان يكون كفرا لا يناقض قوله احيني مسكينا وامتني مسكينا اذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة
والذلة والافتقار الى الله هو الذي سال الله في دعائه **بيان فضيلة الفقر مطلقا** اما من الايات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وقال تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض
يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة
على مدح الفقر **واما الاخبار** في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى فقد قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس خير
فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطي جهده
وقال صلى الله عليه وسلم لبلال الق الله تعالى فقيرا ولا تلقه غنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي
الخبر المشهور يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام وفي حديث اخر باربعين خريفا اي اربعين سنة فيكون المراد بتقدير تقدم
الفقير الحريص على الغني الحريص والتقدير بخمسمائة سنة تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر
عرفك بالضرورة تفاوتا بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحريص على الغني الحريص والتقدير بخمسمائة سنة على درجة من خمس وعشرين
درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى خمسمائة ولا تظنن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجري على لسانه جزافا
او بالاتفاق بل لا يستنطق صلى الله عليه وسلم الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهذا كقوله عليه السلام
الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا
بتخمين فاما التحقيق فلا اذ تعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره وهو يختص بانواع من الخواص **احدها** انه يعرف
حقائق الامور المتعلقة بالله تعالى وصفاته وملائكته والدار الاخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين
والتحقيق والكشف **والثاني** ان له في نفسه صفة بها تتم الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بارادتنا
واختيارنا وهي القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله **والثالث** ان له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما ان
للبصير صفة بها يفارق الاعمى حتى يدرك بها المبصرات **والرابع** ان له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب اما في اليقظة او في
المنام اذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها للانبياء ويعلم انقسام كل واحد منها الى
اقسام وربما يمكننا ان نقسمها الى اربعين وستين ويمكننا ايضا ان نتكلف تقسيمها الى ست واربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزءا
واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن الا بظن وتخمين فلا ندري تحقيقا انه الذي اراده
النبي صلى الله عليه وسلم ام لا وانما المعلوم مجامع الصفات التي بها تتم النبوة واصل انقسامها وذلك لا يرشدنا الى معرفة
علة التقدير فكذلك نعلم ان الفقرا لهم درجات كما سبق فاما ان كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس من درجة الفقير الزاهد حتى
لم يحصل له التقدم باكثر من اربعين سنة الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس في قوة غير الانبياء الوقوف على ذلك الا بنوع
من التخمين لا وثوق به والغرض التنبيه على منهاج التقدير في امثال هذه الامور فان الضعيف الايمان قد يظن ان ذلك يجري
من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشى منصب النبوة من ذلك ولنرجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله عليه
وسلم ايضا خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرفتين اثنتين فمن
احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقر والجهاد وروي ان جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
ان الله يقرا عليك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول
الثابت وروي ان عيسى عليه السلام مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فايقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد
مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له نم اذا حبيبي ومر موسى عليه السلام برجل نائم على التراب وتحت راسه لبنة ووجهه
ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فاوحى الله اليه يا موسى اما علمت اني اذا نظرت الى
عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وعن ابي رافع قال نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد ما يصلحه فارسلني
الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد اسلفني او بعني دقيقا الى هلال رجب قال فاتيته فقال لا والله الا برهن فاخبرت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اما والله اني لامين في اهل السما امين في اهل الارض ولو باعني او اسلفني لاديت اليه

اذهب بذرعي هذا فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا الآية تعزية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الدنيا ● وقال صلى الله عليه وسلم الفقر أزين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس ● وقال صلى الله عليه وسلم
من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسمه عنده طعام يومه فكأنما حيزت له الدنيا ● وقال كعب الأحبار قال الله تعالى لموسى يا موسى
إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين ● وقال عطاء الخراساني مر نبي من الأنبياء بساحل فإذا هو برجل يصطاد حيتاناً
فقال بسم الله وألقى شبكته فلم يخرج فيها من الحيتان شيء ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان
يتقاعس من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن
منزلتيهما فلما رأى ما أعد الله عز وجل لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يا رب ● وقال نبينا صلى الله عليه وسلم
اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء وفي لفظ آخر فقلت أين الأغنياء فقال
حبسهم الجد ● وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهلها النساء فقلت ما شأنهن فقيل شغلهن الأحمران الذهب والزعفران ● وقال عليه
السلام تحفة المؤمن في الدنيا الفقر ● وفي الخبر آخر الأنبياء دخولاً الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي
دخولاً الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه ● وفي حديث آخر رأيته دخل الجنة زحفاً ● وقال عيسى عليه السلام بشدة يدخل
الغني الجنة ● وفي خبر عن أهل البيت أنه عليه السلام إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال
لم يترك له أهلاً ولا مالاً ● وفي الخبر إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت
عقوبته ● وقال موسى عليه السلام يا رب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك فقال كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثاني للتأكيد
ويمكن أن يكون المراد به شديد الضر ● وقال عيسى عليه السلام إني لأحب المسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الأسامي إليه أن
يقال يا مسكين ولما قال سادات العرب وأغنياؤهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوماً ولهم يوماً يجيئون إليك ولا نجيء
ويجيئون ويعنون بذلك الفقراء مثل سلمان وبلال وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة
من الفقراء فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك لأنهم شكوا التأذي برائحتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فإذا عرقوا
فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد على الأغنياء ذلك منهم الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن بدر الفزاري وعباس بن مرداس
السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن لا يجمعهم وإياهم مجلس فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه
عن ذكرنا الأغنياء وقل الحق من ربكم في الفقر فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية ● ولما استأذن ابن أم مكتوم حيث استأذن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشراف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عبس وتولى
أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى يعني ابن أم مكتوم أما من استغنى فأنت له تصدى يعني هذا الشريف ● وعن النبي عليه السلام
أنه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت
الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف فمن أطعمك في أو كساك
في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف فينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده
ويدخله الجنة ● وقال عليه السلام أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة فقالوا يا رسول الله وما دولتهم
قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة
وقال عليه السلام دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال ونظرت في أعلاها فإذا فقراء أمتي وأولادهم ونظرت
في أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شأنهم قال أما النساء فأضر بهن الأحمران الذهب والحرير
وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت
ولم قال كنت أحاسب بمالي فانظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله وهو من العشرة المخصوصين
بأنهم من أهل الجنة وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا استضر
بالغنى إلى هذا الحد ● ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيئاً فقال لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم
وقال عليه السلام ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين
لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ● وقال عمران بن حصين كانت لي من رسول الله منزلة وجاه فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة

وجاهاً فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب
فاطمة فقرع الباب فقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله
قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق ما علي إلا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته
فكيف برأسي فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا ابنتاه كيف أصبحت
قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعاً على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع فبكى صلى الله عليه وسلم وقال
لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا
ثم ضرب بيده على منكبها فقال لها أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران
قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من
قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيداً في الدنيا وسيداً في الآخرة ● وروي
هم عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم
الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الأحكام والشوكة من الأعداء **وأما الآثار**
فقد قال أبو الدرداء ذو الدرهمين أشد حبساً أو قال أشد حساباً من ذي الدرهم ● وأرسل عمر رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر
بألف دينار فجاء حزيناً فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أريني درعك الخلق فشقه وجعله صرراً
وفرقه ثم قام يصلي ويبكي إلى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء
بخمسمائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيخرج ● وقال أبو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب
رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد
وقيل جاء فقير إلى مجلس الثوري فقال له تخط لو كنت غنياً ما قربتك ● وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه
الفقراء وإعراضه عن الأغنياء ● وقال المؤمل ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري ولا الفقير أعز منه في مجلس الثوري ● وقال
بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً ولو رغب في الجنة كما رغب في الغنى لفاز بهما جميعاً
ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً ● وقال ابن عباس رضي الله عنه ملعون من أكرم
بالغنى وأهان بالفقر ● وقال لقمان لابنه لا تحقرن أحداً لخلقان ثيابه فإن ربك وربه واحد ● قال يحيى بن معاذ حبك
الفقراء من أخلاق المرسلين وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين **وفي الأخبار**
عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه احذر أن أمقتك فتسقط من عيني فأصب عليك الدنيا صباً ● وكانت
عائشة تفرق مائة ألف درهم في يومها توجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وإن درعها لمرقوع وتقول لها الجارية
لو اشتريت لك بدرهم لحماً تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت ● وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال إن أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي درعاً حتى ترقعيه ● وجاء رجل
إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة
آلاف لا أفعل

بيان فضيلة خصوص الفقراء الراضين والصادقين والقانعين

قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي
إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به ● وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب
فقركم وإلا فلا فالأول للقانع وهذا للراضي ويكاد يشعر مفهومه بأن الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في
فضل الفقر تدل على أن له ثواباً كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب
في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر ● وروى عن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال إن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة ● وروي
عن علي رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال أحب العباد إلى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله ● وقال صلى الله عليه
اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً ● وقال ما من أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا ● وأوحى الله إلى
إسماعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون ● وقال عليه السلام لا أحد أفضل
من الفقير إذا كان راضياً ● وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم

يا ربنا فيقول فقراء المساكين القانعين بعطاي الراضين بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها فياكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي فاما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب **واما الاثار** في القناعة والرضا فكثيرة ولا يخفى ان القناعة يضادها الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما في ايدي الناس وقنع استغنى عنهم • وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك • وقال ابو الدرداء ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن ادم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص • وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك • وقيل كان ابرهيم بن ادهم من اهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء القصر وبيده رغيف ياكله فلما اكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جاء به اليه فقال ابرهيم ايها الرجل اكلت الرغيف وانت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابرهيم في نفسه فما اصنع بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر • ومر رجل بعامر بن عبد قيس وهو ياكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا القدر فقال الا ادلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الاخرة • وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء وياكله بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد • وقال الحسن لعن الله اقواما اقسم الله تعالى لهم ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق الاية • وكان ابو ذر يوما جالسا في الناس فاتته امراة فقالت له اتجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه ان بين ايدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهي راضية • وقال ذو النون اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له • وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس • ويروى ان الله تعالى قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن • وقيل في القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس • واقنع بيأس فان العز في الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم • ان الغني من استغنى عن الناس

وقيل ايضا

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه • مقدرا اي باب منه يغلقه
مفكرا كيف تاتيه منيته • اغاديا ام بها يسري فيطرقه
جمعت مالا ففكر هل جمعت له • يا جامع المال اياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه • ما المال مالك الا يوم تنفقه
ارفه ببال فتى يغدو على ثقة • ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه • والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها • لم يلق في ظلها هما يؤرقه

بيان فضيلة الفقر على الغنى

اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال ابن عطاء الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنيد دعا على ابن عطاء لمخالفته اياه فيه فاصابته محنة وقد ذكرنا في كتاب الصبر وجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل **ولما** الفقر والغنى اذا اخذ مطلقا لم يسترب من قرا الاخبار والاثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل **فنقول** انما يتصور الشك في مقامين **احدهما** فقير صابر ليس حريصا على الطلب بل هو قانع او راض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال **الثاني** فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك فان الغني المنفق ماله في الخيرات افضل من الفقير الحريص **اما** الاول فربما يظن ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب في الصدقات والخيرات والفقير عاجز عنها وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسبه **فاما** الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك فكانوا يقولون مثل ما يقولون فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ابن عطاء ايضا لما سئل عن ذلك فقال الغني افضل لانه وصف الحق اما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد روي مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان نيلهم ذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء • فقد روى زيد بن اسلم عن انس بن مالك قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء اما خصلة فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير **والثانية** يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام **والثالثة** اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق فيها عشرة الاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم واما قوله ان الغنى وصف الحق فقد اجابه بعض الشيوخ فقال اترى ان الحق غني عن الاسباب والاعراض فانقطع ولم ينطق **واجاب** اخرون فقالوا التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته • وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهما من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى والفقر وحاصلها تعلق بعمومات تقبل التاويل وبكلمات قاصرة لا يبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغنى بانه وصف الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من فضل الفقر لانه وصف العبد بالجهل والغفلة لان العلم والمعرفة وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة على العلم وكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضيلته والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لانه فقد العائق عن الله وعدم الشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنى مثل سليمان صلوات الله عليه وعثمان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله • وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا معشوقة الغافلين المحروم عنها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذن ان فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء فاستوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة افضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت الامر باعتبار الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا تقدر ولذلك قالت الصحابة بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقة الادميين كلهم الا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر والصبر اصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم • وقال بعض العلماء تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وفي الخبر لكل امة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم • وكان اصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة ايضا فاستواء الماء والمال والذهب والحجر انما يتصور للانبياء والاولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة اذ كان صلى الله عليه يقول للدنيا اليك عني اذ كانت الدنيا تتمثل له بزينتها • وكان علي رضي الله عنه يقول يا صفراء غري غيري ويا بيضاء غري غيري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار بها لولا ان راى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال صلى الله عليه ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فاذا الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون مع القدرة على المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة في بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يانس العبد بالدنيا يستوحش من الاخرة وبقدر ما يانس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة لله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت الاسباب الانسة بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب اذا تجافى عن ما سوى الله وكان مؤمنا بالله انصرف لا محالة الى الله تعالى اذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله وغيره فمن اقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن اقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الاخر وقربه من احدهما بقدر بعده من الاخر ومثالهما مثال المشرق والمغرب فانهما جهتان والمتردد بينهما بقدر ما يقرب من احدهما يبعد من الاخر بل عين القرب من احدهما هو عين البعد من الاخر فعين حب الدنيا هو عين بغض الله فينبغي ان يكون مطمح نظر العارف قلبه في غروبه عن الدنيا وانسه بها فاذن فضل الفقير

والغني حسب تعلق قلبيهما بالمال فقط فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة القدم وموضع الغرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه بتفرقته او اذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية له لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم العقد وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق اذا انه مغرورا وان العشق كان مستكنا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا او بعيدا فلنطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف وبقدر ضعف علاقته تتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركة اللسان ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور فلا يكون تأثيره في اثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور كتأثيره في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفي النار بالحلفا ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك ● وقال ابو سليمان الداراني تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام ● وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من الف دينار ينفقها كلها في سبيل الله ● وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله لي فقد اضر بي العيال فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائي ● وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء وكانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء ● وقد قال الصديق رضي الله عنه اللهم اني اسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثله في كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان فقد المال اصلح من وجوده هذا مع احسن احوال الغني لن يأخذه الا حلالا وينفقه طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب فقد عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال ابو الدرداء ما احب ان لي حانوتا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلوة واربح كل يوم اربعين دينارا واتصدق بها في سبيل الله قيل وما تكره من ذلك قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان اختار الفقراء ثلاثة اشياء واختار الاغنياء ثلاثة اشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب ● وما ذكره ابن عطاء من ان الغني وصف الحق فهو افضل صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوي عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يشابه غناه غنى الله تعالى لان الله غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور ان يسرق وما ذكر في الرد عليه من ان الله ليس غنيا بالاعراض والاسباب صحيح في ذم غني يريد بقاء المال وما ذكر من ان صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو افضل شيء للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله قبل ان يقطع الطريق تصير الاسماء التسعة والتسعون اوصافا له اي يكون له من كل واحد نصيب ● واما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله ● واما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذا وليس ذلك من وصف الله وانما وصف الله انه اكبر من كل شيء وانه يعلم انه كذلك والعبد مأمور بان يطلب اعلى المراتب ان قدر عليها ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المؤمن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي والعالم اكبر من الجاهل والانسان اكبر من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكانت صفة الكبر حاصلة له ولائقا به وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل له الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تكون فلجهله بذلك يجب ان لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان ويختم له بالكفر فلم يكن ذلك لائقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور ان تعلم الشيء على ما هو عليه كان العلم كمالا اذ هو من صفات الله ولما كان معرفة بعض الاشياء قد تضره صار ذلك العلم نقصانا في حقه اذ ليس من اوصاف الله علم يضره فمعرفة الامور التي لا ضرر فيها هي التي تتصور في العبد من صفات الله فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه وتعالى فهو فضيلة اما الغني بوجود المال فلا فضيلة فيه اصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغني الشاكر

المقام الثاني في شرح حال الفقر الحريص الى الغني

ولنفرض ذلك في شخص واحد هو طالب المال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فاي حالتيه افضل **فنقول** ينظر فان كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان قصده ان يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود افضل

لان الفقد يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الذكر والفكر الا قدرة مدخولة بشغل والمكفي هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا ● وقال كاد الفقر ان يكون كفرا اي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة او كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحالة الفقد اصلح وافضل لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في ان كل واحد ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين واستويا في ان كل واحد ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في ان الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر متجافي قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده مثل السجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان احدهما اشد ركونا الى الدنيا فحاله اشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد انسه بالدنيا ● وقد قال عليه السلام ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد فينبغي ان تحب ما لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا احببت الدنيا كرهت لقاء الله فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون اذاه في فراقه بقدر حبه وبقدر انسه فانس الواجد للدنيا القادر عليها اكثر من انس الفاقد لها وان كان حريصا عليها فاذا قد انكشف بعد التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا في موضعين احدها غني مثل غنى عائشة يستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود له مزيدا مستفيدا به ادعية الفقراء والمساكين وهمتهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد ان يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبقي حيوته ثم يستعين بقوته وحيوته على الكفر والمعاصي فلو مات جوعا لكانت معاصيه اقل فالاصلح له ان يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه ايضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر وبقي النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني دونه في الحرص على حفظ المال ولم تكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر والاظهر ان ابعدهما عن الله بقدر قوة تفجعهما بفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى وحده

بيان آداب الفقير في فقره

اعلم ان للفقير آدابا في باطنه وظاهره ومخالطته وافعاله ينبغي ان يراعيها ● فاما ادب باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر اعني انه لا يكون كارها فعل الله من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجم يكون كارها للحجامة لتألمه ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها للحجام بل ربما يتقلد منه فهذا اقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه السلام يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله واثقا به في قدر ضرورته انه يأتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف ● قال علي رضي الله عنه ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويطيع الله ويشكره على فقره ● ومن علامته اذا كان عقوبة ان يسيء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على ان كل فقير فليس بمحمود بل الذي لا يتسخط او يرضى او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته اذ قيل ما اعطي عبد شيئا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث شغل وهم وطول حساب ● واما في ظاهره فانه يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستره ● وفي الحديث ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال ● وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ● وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند المحنة ● وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر ● واما في اعماله فادبه ان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه ● قال علي رضي الله عنه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة ● واقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادي الطمع ● قال الثوري اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مراء ● واذا خالط السلطان فاعلم انه لص ● وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن اليهم ضل ● وينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا في العطاء ● واما آدابه في افعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى ● روى زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب المائة الف وينبغي ان لا يدخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلث درجات احدها ان لا يدخر الا

ليومه وليلته وهو درجة الصديقين والثانية ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد عليه فهو من طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة في امل الحيوة اربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنته وهي اقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنا الصالح الضعيف في طمانينة القلب في قوت سنة وغنا الخصوص في اربعين يوما وغنا خصوص الخصوص في يوم وليلة

بيان اداب الفقير في قبول العطا اذا جاءه بغير سوال

ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلثة امور نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ اما نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من اخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب واما غرض المعطي فلا يخلو اما ان يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية او الثواب وهو الصدقة والزكوة او الذكر والريا والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض ● اما الاول وهو الهدية فلا باس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي ان لا يكون فيها منة فالاولى تركها فان علم ان بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض ● اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم سمنا واقطا وكبشا فقبل السمن والاقط ورد الكبش ● وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على البعض وقال لقد هممت ان لا اتهب الا من قرشي او ثقفي او انصاري او دوسي وفعل هذا جماعة من التابعين وجات صرة الى فتح الموصلي فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سايرها وكان الحسن يروي هذا الحديث ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من دق قوهي ثياب خز فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيمة وليس له خلاق وهذا يدل على ان امر الواعظ والعالم اشد في قبول العطا وقد كان الحسن يقبل من اصحابه ● وكان ابرهيم التيمي يسئل من اصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المايتين فلا ياخذ ● وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيا يقول اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك افضل مني قبل القبول فاخبرني حتى اخذ والا فلا ● وامارة هذا ان يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته فان علم انه يمازجه منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقرا الصادقين ● وقال بشر ما سالت احدا قط الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشي من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عونا له على ما يحب ● وجا خراساني الى الجنيد بمال وساله ان ياكله فقال افرقه على الفقرا فقال ما اريد هذا فقال ومتى اعيش الى ان اكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوات والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما اجد ببغداد امن علي منك فقال الجنيد ولا ينبغي ان يقبل الا من مثلك الثاني ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة او زكوة فعليه ان ينظر في صفات نفسه انه هل هو مستحق للزكوة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب اسرار الزكوة وان كانت صدقة وكانت تعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا لمعصية في السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله بالتصدق عليه فهذا حرام اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي ولم يكن فان اخذه حرام محض لا شبهة فيه الثالث ان يكون غرضه الشهرة والريا فينبغي ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه الفاسد ● وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت وعوتب بعضهم في رده ما كان ياتيه من صلة فقال انما ارد صلتهم اشفاقا ونصحا لهم لانهم يذكرون ويحبون ان يعلم به فيذهب اموالهم ويحبط اجورهم ● واما غرضه في الاخذ فينبغي ان ينظر اهو محتاج اليه ام لا فان كان محتاجا اليه فيما لا بد منه او هو مستغني عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة والافات التي ذكرناها في المعطي فالافضل له الاخذ قال صلى الله عليه وسلم من اتاه شي من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ اخر فلا يرده ● وقال بعض العلما من اعطي ولم ياخذ سال ولم يعط ● وكان سري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل شيا فرده مرة فقال له السري يا احمد احذر افة الرد فانها اشد من افة الاخذ فقال له احمد اعد علي ما قلت فاعاد فقال احمد بن حنبل ما رددت عليك الا لان عندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي ● وقد قال العلما خاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلا بطمع او دخول في شبهة او غيره ● فاما اذا كان ما اتاه زايدا على حاجته فلا يخلو اما ان كان حاله الاشتغال بنفسه او التكفل بامور الفقرا والانفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخا فان كان مشغولا بنفسه

فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالبا طريق الاخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل لغير الله فهو في سبيل الشيطان او داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ثم له مقامان احدهما ان ياخذ في العلانية ويرد في السر او يفرق في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمانت نفسه بالرياضة والثاني ان يترك ولا ياخذ ليصرفه صاحبه الى من هو احوج منه او ياخذ ويوصل الى من هو احوج منه فيفعل كلاهما في السر وكلاهما في العلانية وقد ذكرنا ان الافضل اظهار الاخذ او اخفاوه في كتاب اسرار الزكوة مع جملة من احكام الفقير فليطلب منه واما امتناع احمد عن قبول عطا سري السقطي فانما كان لاستغنايه عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك افات واخطارا والورع يكون حذرا من مظان الافات اذ لم يامن مكيدة الشيطان على نفسه وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي جايع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لا يكاد تواريه فقلت في نفسي لا اجد لدراهمي موضعا احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها خمسة دراهم وقال اربعة ثمن ميزرين ودرهم انفقه ثلاثا فلا حاجة لي الى الباقي فرده قال فرايته في الليلة الثانية وعليه ميزران جديدان فهجس في نفسي منه شي فالتفت الي فاخذ بيدي واطافني معه اسبوعا كل شوط منها في جوهر من معادن الارض يتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولولو وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله قد اعطانيه فزهدت فيه واخذ من ايدي الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود ان الزيادة على قدر الحاجة انما تاتيك ابتلا وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة ياتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلا قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن ادم الا في ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فاذا انت في اخذ الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد ان لم تعص الله متعرض للحساب فان عصيت الله فمتعرض للعقاب ومن الاختبار ايضا ان يعزم على ترك متلذذ من لذات الدنيا تقربا الى الله تعالى وكسرا لصفة النفس فياتيك عفوا صفوا ليمتحن بها قوة عقدك فالاولى الامتناع عنها فان النفس اذا رخص لها في نقض العزم الفت نقض العهد وعاودت عادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد فان اخذته وصرفته الى محتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون ● واما اذا كان حاله السخا والبذل والتكفل بحقوق الفقرا وتعهد جماعة من الصلحا فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زايد على حاجة الفقرا وبادر به الى الصرف اليهم ولا يدخره فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما حلا في قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك فقد تصدى لخدمة الفقرا جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب فله ان يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل القضا قضى الله تعالى عنه وارضى غرماءه وذلك بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على اقراضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب ان يقضى من مال بيت المال ومن الزكوات وقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله قيل معناه ليبع احد ثوبيه وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك قد اتاه الله تعالى ● وقال بعضهم لله عباد ينفقون على قدر بضاعتهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ● ومات بعضهم فاوصى بماله لثلاث طوايف الاقويا والاسخيا والاغنيا فقيل من هولاء فقال اما الاقويا فهم اهل التوكل على الله واما الاسخيا فهم اهل حسن الظن بالله ● واما الاغنيا فهم اهل الانقطاع الى الله فاذا مهما وجدت هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطي فلياخذ وينبغي ان يرى ما ياخذه من الله تعالى لا من المعطي لان المعطي واسطة قد سخر للعطا وهو مضطر اليه بما سلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات ● وقد حكي ان بعض الناس دعا شقيقا في خمسين من اصحابه فوضع الرجل مايدة حسنة فلما قعد قال لاصحابه ان هذا الرجل يقول من لم ير اني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق ماذا قصدت بهذا فقال اردت ان اختبر توحيد اصحابي كلهم ● وقال موسى يا رب جعلت رزقي هكذا على ايدي بني اسرايل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليايي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي ليوجروا فيهم فلا يرى المعطي الا من حيث انه مسخر ماجور

بيان تحريم السوال من غير ضرورة واداب المضطر فيه

اعلم انه قد وردت مناه وتشديدات وورد فيه ايضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسايل حق وان جا على فرس وفي الحديث ردوا السايل ولو بظلف محرق ولو كان السوال حراما مطلقا لما جاز اعانة المتعدي على عدوانه والاعطا اعانة فالكاشف للغطا فيه ان السوال حرام في الاصل وانما يباح بضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو

حرام وانما قلنا ان الاصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلاثة امور محرمة **الاول** اظهار الشكوى من الله اذ السؤال اظهار للفقر وذكر
لقصور نعمة الله وهو عين الشكوى كما ان العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذا سؤال العباد تشنيع على الله تعالى
وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا لضرورة كما تحل الميتة **والثاني** ان فيه اذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن ان يذل
نفسه لمولاه فان فيه عزه فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالاضافة الى
المسؤول **والثالث** انه لا ينفك عن ايذاء المسؤول غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيبة قلب فان بذل حياء من السائل
او رياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع
نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام الا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث
فهمت قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مسألة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماه فاحشة ولا يخفى ان
الفاحشة لا تباح الا لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله عليه من سأل عن غنى فانما يستكثر
من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع وليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسألته خدوشا
وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط
عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا وكان يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول من سألنا اعطيناه
ومن استغنى اغناه الله وقال ومن لم يسألنا فهو احب الينا وقال استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا
رسول الله قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه
ثانيا يسأل فقال الم اقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك
تاجر ثم اخذ المخلاة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا ان سؤاله كان حراما لما ضربه ولما اخذ
مخلاته ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول اما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع
بالتعزير واما اخذ ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بالمال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور
في الفقه فاين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على اسرار دين الله ومصالح عباده افترى انه لم
يعلم ان المصادرة بالمال غير جائزة او علم ذلك ولكنه اقدم عليه غضبا في معصية الله وحاشاه او اراد الزجر بالمصلحة
بغير طريق شرعه نبي الله صلى الله عليه وهيهات فان ذلك ايضا معصية بل الفقيه الذي لاح له فيه انه رآه مستغنيا عن
السؤال وعلم ان من اعطاه شيئا فانما اعطاه على اعتقاد انه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه بأخذه مع التلبيس وعسر
تمييز ذلك ورده الى اصحابه اذ لا يعرف اصحابه باعيانهم فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقة وعلفها
من المصالح ويتنزل اخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كأخذ العلوي بقوله اني علوي وهو كاذب فانه لا يملك ما يأخذه
وكأخذ الصوفي الصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطي لما اعطاه وقد ذكرنا في مواضع
انما اخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد على المالك فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة
هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر
فاذا عرفت ان السؤال يباح بضرورة فاعلم ان الشيء اما ان يكون مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة او حاجة خفيفة
او مستغنى عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه فسؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسؤال العاري وبدنه
مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسؤول بكونه مباحا والمسؤول منه بكونه راضيا في الباطن والسائل
بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب العلم اوقاته وكل من له خط فهو قادر
على الكسب بالوراقة واما المستغني فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله وامثاله فسؤاله حرام مطلقا وهذان طرفان واضحان واما
المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكنه لا يخلو عن خوف وكمن له جبة ولا قميص
تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسأل لاجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة فهذا
ينبغي ايضا ان يسترسل عليه الاباحة لانها ايضا حاجة محققة ولكن الصبر عليه اولى وهو بترك السؤال تارك للاولى ولا
يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذيني اذى اطيقه ولكن يشق علي فاذا صدق
صدقه يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله وعدة واما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر

الخروق التي في ثيابه عن اعين الناس وكمن يسأل لاجل الادم وهو واجد للخبز وكمن يسأل الكراء للفرس وهو واجد كراء الحمار او يسأل
كراء المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا ان كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات
الثلاث من الشكوى او الذل وايذاء المسؤول فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح ان تباح بها مثل هذه المحذورات وان لم يكن فيها
شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة **فان قلت** فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى تندفع
بان يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال المحتاج لكن يقول انا مستغن بما املكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب
فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى واما الذل فبان يسأل اباه او قريبه او صديقه الذي
يعلم انه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله او الرجل السخي الذي قد اعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله
ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة لا محالة واما الايذاء فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين شخصا بالسؤال
بعينه بل يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهذا
ايذاء فانه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان يسأل معينا فينبغي
ان لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل الى التغافل ان اراد فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذ به وينبغي
ان يسأل من لا يستحيي منه لو رده او تغافل فان الحياء من السائل يؤذي كما ان الرياء مع غير السائل يؤذي **فان قلت** فاذا اخذ مع
العلم بان باعث المعطي هو الحياء منه او من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به فهو حلال او شبهة **فاقول** ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين
الامة وحكمه حكم اخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق بين ان يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب او يضرب باطن قلبه بسوط
الحياء وخوف اللوم وسياط الباطن اشد نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز ان يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال صلى الله عليه نحن
نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة القضاء في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وقرائن الحالات فاضطروا
الى الحكم بظاهر اللسان مع انه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة قد دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه
احكم الحاكمين والقلوب عنده كالالسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان افتوك وافتوك فان المفتي معلم القاضي
والسلطان ليحكموا في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم النجاة عن سطوة سلطان الآخرة كما ان بفتوى الفقيه النجاة
عن سطوة سلطان الدنيا فاذا ما يأخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله ويجب عليه الرد على صاحبه فان كان يستحيي من ان يسترده ولم يسترده
فعليه ان يثيبه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة لتخرج عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته
فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص الله في اخذه وبالسؤال الذي حصل به الاذى **فان قلت**
فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضيا **فاقول**
لهذا ترك المتقون السؤال رأسا فما كانوا يأخذون من احد شيئا اصلا وكان بشر لا يأخذ من احد اصلا الا من السري وقال لاني علمت
انه يفرح بخروج المال من يده فانا اعينه على ما يحبه وانما عظم النكير في السؤال والامر بالتعفف لهذا لان هذا الاذى انما يحل بالضرورة
وهو ان يكون مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير
واكل الميتة فكان الامتناع طريق الورعين ومن ارباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض
الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ الا من اصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه
في الكبش والاقط وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن يكون رغبته طمعا في جاه او طلبا لرياء وسمعة
فكانوا يحترزون من ذلك فاما السؤال فقد امتنعوا عنه رأسا الا في موضعين احدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الانبياء في مقام
الضرورة سليمان وموسى والخضر صلوات الله عليهم ولا شك في انهم ما سألوا الا من علموا انه يرغب فيهم الثاني السؤال من الاصدقاء
والاخوان وفي حق الاخوان قد كانوا يأخذون مالهم بغير سؤال واستئذان لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضا القلب لا
نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فاذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم
على ما يريدونه والا فكانوا يستغنون عن السؤال وحد اباحة السؤال ان تعلم ان المسؤول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتدأك
دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثير الا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل فلا ويتصدى للسائل حالة لا
يشك فيها في الرضا الباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فالاخذ في الحالة الاولى حلال مطلق وفي
الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين احوال يشك فيها فليستفت فيها قلبه وليترك حزاز القلوب فانه الاثم وليدع ما

بربه الى ما لا يرضيه وادراك ذلك بقراين الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوي الحرص وضعفت الفطنة راى ما يوافق غرضه فلا يتفطن القراين الدالة على الكراهة وبمثل هذه الدقايق يطلع على سر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقد اوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم لان من لا كسب له ولا اكتسب لابيه مما ورثه فياكل من ايدي الناس فان اعطي بغير سوال فانما يعطى بدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لما اعطي لدينه فيكون ما اخذه حراما وان اعطي بسوال فاين من يطيب قلبه بالعطا اذا سيل واين من يقتصر في السوال على حد الضرورة فاذا فتشت احوال من ياكل من ايدي الناس علمت ان جميع ما ياكلونه او اكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذي اكتسبه انت او مورثك فاذن بعيد ان يجتمع الورع مع الاكل من ايدي الناس فنسال الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه بمنه وسعة جوده

بيان مقدار الغنى المحرم للسوال

اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم من سال عن ظهر غنا فانما يسال جمرا فليستقل منها او ليستكثر صريح في التحريم ولكن حد الغنى مشكل وتقريره عسير وليس الينا وضع المقادير بل يستدرك بالتوقيف وقد ورد في الحديث استغنوا بغنا الله عن غيره قالوا وما هو قال غدا يوم او عشا ليلة ● وفي حديث اخر من سال وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد سال الحافا وفي لفظ اخر اربعون درهما ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها على احوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين **فنقول** قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن ادم الا في ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلاث اصلا في الحاجات لبيان اجناسها والنظر في الاجناس والاقدار والاوقات ● فاما الاجناس فهي هذه الثلث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكري للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفقته عياله وولده وكل من تحت كفالته ● واما الاقدار فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد وقميص ومنديل وسراويل ومداس ● فاما الثاني من كل جنس فهو مستغن عنه وليقس على هذا اثاث البيت جميعه ولا ينبغي ان يطلب رقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على اخس اجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة والطعام تقديره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان الشعير والادم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار ففي طلبه في بعض الاحوال رخصة ● واما المسكن فاقل ما يجزي من حيث المقدار وذلك من غير زينة ● فاما السوال للزينة والتوسع فهو سوال عن ظهر غنى ● واما بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكنه فلا شك فيه ● فاما سواله للمستقبل فهذا له ثلث درجات احداها ما يحتاج اليه في غد والثانية ما يحتاج اليه بعد اربعين يوما او خمسين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة ولنقطع بان من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له عيال لسنة فسواله حرام فان ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد ● اما المعيل فربما لا يكفيه وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السوال ولا تفوته فرصته فلا يحل له السوال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سال ما لا يحتاج اليه فكفيه غدا يوم وعشا ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يفوته فرصة السوال ولا يجد من يعطيه لو اخر فيباح له السوال لان امل البقا سنة غير بعيد فهو بتاخير السوال خايف ان يبقى مضطرا عاجزا عما يغنيه وان كان خوف العجز عن السوال في المستقبل ضعيفا وكان ما لاجله السوال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سواله عن كراهة ولكن كراهته تحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج الى السوال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله فيستفتي فيه قلبه ويعمل به ان كان سالكا طريق الاخرة وكل ما كان يقينه اقوى وثقته بمجي الرزق في المستقبل اتم وقناعته بقوت الوقت اظهر فدرجته عند الله اعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد اتاك الله قوت يومك لك ولعيالك الا من ضعف اليقين والاصغا الى تخويف الشيطان وقد قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين ● وقال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسوال من الفحشا التي ابيح بالضرورة وحال من يسال لحاجة متراخية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في السنة اشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصلة من امهات المهلكات ●

بيان احوال السايلين

كان بشر يقول الفقرا ثلاثة فقير لا يسال وان اعطي لم ياخذ فهذا مع الروحانيين في عليين ● وفقير لا يسال وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس ● وفقير يسال عند الفاقة فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين ● وقال ابرهيم بن ادهم لشقيق بن ابرهيم حين قدم عليه من

خراسان

خراسان كيف تركت الفقرا من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السوال قد اثنى عليهم غاية الثنا فقال ابرهيم هكذا تركت كلاب بلخ فقال له شقيق فكيف الفقرا عندك يا ابا اسحق فقال الفقرا عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا اثروا فقبل راسه وقال صدقت يا استاذ فاذا درجات الاحوال في الرضا والصبر والشكر والسوال كثيرة فلا بد لسالك طريق الاخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الترقي من حضيضها الى يفاعها ومن اسفل السافلين الى اعلى عليين ● وقد خلق الانسان في احسن تقويم ثم رد الى اسفل السافلين ثم امر ان يترقى الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الترقي قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما يقدر عليه وارباب الاحوال قد تغلبهم حالة تقتضي ان يكون السوال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روي ان بعضهم راى ابا الحسن النوري يمد يده ويسال الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت ذلك واستقبحته فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسال الناس الا ليعطيهم انما سالهم ليثيبهم في الاخرة فيوجرون من حيث لا يضرهم وكانه اشار به الى قوله عليه السلام يد المعطي هي العليا وقال بعضهم يد المعطي هي يد الاخذ للمال لانه يعطي الثواب والقدر له لا لمن ياخذه ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مايه درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المايه ثم قال احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشي ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان اساله فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مايه وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك شيا واخذ ما زاد على المايه قال فزاد تعجبي فسالته فقال ان الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن المايه لنفسه طلبا لثواب الاخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله تعالى فاخذت ما كان لله تعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد مالنا الله المستعان فانظر الان كيف صفت قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال بالكلية على الله بكنه الهمة فمن انكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل كمن ينكر كون الدوا مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يوثر في حقه لعلة في باطنه فاخذ ينكر كون الدوا مسهلا قبل شربه رغما وان كان في الجهل دون الاول ولكنه ليس خاليا عن خطوة من الجهل بل البصير احد رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه امن بذلك وصدق به فهو صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون عين اليقين ومن خلى عن علم اليقين وعن عين اليقين فهو خارج عن زمرة المومنين ويحشر يوم القيمة في زمرة الجاحدين المستكبرين من الذين هم قتلى العقول الضعيفة واتباع الشياطين فنسال الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم القايلين امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب

الشطر الثاني من الكتاب والزهد

وفيه بيان حقيقة الزهد ● وبيان فضيلة الزهد ● وبيان درجات الزهد واقسامه ● وبيان تفصيل الزهد في المطعم والملبس والاثاث وضروريات المعيشة ● وبيان علامة الزهد

بيان حقيقة الزهد

اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كساير المقامات لان ابواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني به ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشي الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شي الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته فيه فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا يستدعي حال الزهد مرغوبا فيه ومرغوبا عنه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون ايضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا فتارك التراب والحجر والخزف لا يسمى زاهدا وانما يسمى تارك الدراهم والدنانير زاهدا لان التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبايع لا يقدم على البيع والمشتري عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض رغبة وحبا ولذلك قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة

وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق الشرى بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه وطمعوا ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك احب اليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذا كل من باع الدنيا بالاخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الاخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن في الاخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزاهد بمن زهد في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو الميل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور الا بالعدول الى شي هو احب منه والا فترك المحبوب بغير الاحب محال والذي رغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الاخرة بل في الحور والقصور والفواكه والانهار فهو ايضا زاهد لكنه دون الاول والذي ترك من حظوظ الدنيا البعض كالذي ترك المال دون الجاه او ترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زهد صحيح كما ان التوبة عن بعض المعاصي صحيح فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد ان يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن الرغبة عن الدنيا عدولا الى الاخرة او عن غير الله عدولا الى الله وهي الدرجة العليا وكما يشترط في المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها فاما انا ففيما زهدت • واما العلم الذي هو المثمر لهذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى الماخوذ كعلم التاجر بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان تزول الرغبة عن المبيع وكذلك من عرف ان ما عند الله باق وان الاخرة خير وابقى اي لذاتها خير في انفسها وابقى كما لا يكون الجوهر خيرا من الثلج مثلا وهو ابقى ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللالي فهكذا مثل الدنيا والاخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والاخرة كالجواهر التي لا فنا لها فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والاخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الاخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلا الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما فيوما الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا الحسرة بعد الموت والى تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى تعريف نفاسة الاخرة الاشارة بقوله تعالى قال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة ورغبة عن محبوب في احب منه قال رجل في دعائه اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل ارني الدنيا كما اريتها الصالحين من عبادك وهذا لان الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بايع الفرس وان رغب عن فرسه كما يرى حشرات الارض لانه مستغن عن الحشرات وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله ويراه متفاوتا بالاضافة الى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره • واما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واخذ لانه بيع ومعاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو ادنى فكما ان العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه عن اليد واخذ العوض فلذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلايقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وساير الجوارح وظايف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم ياخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفي بالعهد فمن اسلم حاضرا في غايب وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغايب سلم له الغايب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفايه بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه الا عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فان اخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد فيما اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر

عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك انه وان اتاك فانت زاهد فيه ولا ينبغي ان يتدلى بحبل غروره دون ان يستظهر بموثق غليظ من الله فانك اذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فاياك وان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ ان تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفا الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا باس ان تثق وثوقا ما ولكن تكون من تغيرها ايضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما تركت فقط وذلك عند القدرة • قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى هذا ابن الحايك لا يفتي في مسالة الا رد علينا يعني ابا حنيفة فقال ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحايك او ما هو ولكن اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها ولذلك قال الجميع للسلف انا احب دينا ولو علمنا في اي شي محبته لفعلنا حتى نزل قوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الى قوله ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم اي من القليل قال وما عرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة واعلم انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخا والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب ولا على سبيل الطمع في ذلك وكله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لها في العبادات انما الزهد ان تتركها لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الاخرة فاما كل نوع من الترك فانه يتصور ممن لا يومن بالاخرة فذلك قد يكون مروة وفتوة وسخا وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا وحسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي الذ واهنا من المال وكما ان ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثنا والاشتهار بالفتوة والسخا واستثقالا له لما في حفظ الاموال من المشقة والعنا والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنيا ليس من الزهد اصلا بل هو استعجال حظ اخر للنفس بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفا من ان ياتس بها فيكون انسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في حب الله غير الله او تركها طمعا في ثواب الله في الاخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة واشجارها وترك التجمل والتزين بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فاستمتعتم بها فاثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الاخرة خير وابقى وما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الاخرة اصلا

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنسب الزهد الى العلما ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثنا • وقال تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا جا في التفسير على الزهد في الدنيا • وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال • وقال تعالى من كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له في الاخرة من نصيب • وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى • وقال تعالى الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة فوصف الكفار به فمفهومه ان المومن الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الاخرة على الحيوة الدنيا •

واما الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد اوردنا في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الان نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة • وقال صلى الله عليه اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد قال تعالى ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه • وعن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد • قيل يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنا الدنيا ويحب الاخرة ومفهومه ان شر الناس الذي يحب الدنيا • وقال صلى الله عليه وسلم اذا اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد في افضل المقامات ومفهومه ايضا ان محب الدنيا متعرض لبغض الله • وفي خبر من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحيا اقاما فيه والا ارتحلا

ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مومن حقا فقال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها
وكاني بالجنة والنار وكاني انظر الى ربي بارزا فقال صلى الله عليه عرفت فالزم عبد نور الله قلبه فانظر كيف بدا باظهار حقيقة الايمان
بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال عبد نور الله قلبه ولما سئل عليه السلام
عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب
انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور ● وقال صلى الله عليه استحيوا من الله حق الحيا
قالوا انا نستحيي قال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون فبين ان ذلك يناقض الحيا من الله ولما قدم عليه السلام وفد قالوا انا مومنون
قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلا والشكر عند الرخا والرضا بمواقع القضا وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعدا
فقال ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة ايمانهم ● وقال
جابر خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جا بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي رضي الله عنه
فقال بابي انت وامي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون
قول الانبيا ويعملون اعمال الجبابرة فمن جا بلا اله الا الله ليس فيها شي من هذا وجبت له الجنة **وفي الخبر** السخا من اليقين ولا
يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك ● وقال ايضا السخي قريب من الله قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد
من الناس قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخا ثمرة الزهد والثنا على الثمرة ثنا على المثمر لا محالة وروى ابن المسيب
عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواها
واخرجه منها سالما الى دار السلام ● وروى انه صلى الله عليه مر في اصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من احب اموالهم
اليهم وانفسها عندهم لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ● وعظمها في صدورهم فقيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا الا تنظر
اليها فقال قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا قوله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به الاية ● وروى مسروق عن عائشة قالت قلت يا رسول
الله الا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رايت به من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سالت ربي ان يجري معي جبال الدنيا
ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا
لا تنبغي لمحمد ولا لال محمد يا عائشة ان الله تعالى لم يرض لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض
لي الا ان يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله ما لي بد من طاعته واني والله لاصبرن كما صبروا بجهدي
ولا قوة الا بالله ● وروى عن عمر رضي الله عنه انه لما فتح عليه الفتوحات قالت ابنته حفصة البس لين الثياب اذا وفدت
عليك الوفود من الافاق ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضرك فقال يا حفصة الست تعلمين ان اعلم الناس بحال الرجل اهل
بيته قالت نعم قال انشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو واهل
بيته غدوة الا جاعوا عشية ولم يشبعوا عشية الا جاعوا غدوة وناشدتك الله هل تعلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لبث كذا
وكذا سنة لم يشبع من التمر حتى فتح الله عليه خيبر ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قربتم اليه يوما
طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم امر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك او وضع على الارض
ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة باربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ
قال منعتموني قيام الليل بهذه العباءة اثنوها باثنين كما كنتم تثنونها وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه كان يضع
ثيابه لتغسل فياتيه بلال فيوذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيغسل فياتيه بلال فيوذنه بالصلاة
فيخرج فيها الى الصلاة وناشدتك الله هل تعلمين ان امراة من بني ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كساءين ازارا ورداء
وبعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الاخر فخرج الى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فما زال حتى
ابكاها وبكى عمر وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج ● وفي بعض الروايات عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه انه قال
لقد كان الانبيا قبلي يبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العبا وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطا
اليكم عن عمر رضي الله عنه وهو انه قال لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما واني والله
ساصبر على عيشهما الشديد لعلي ادرك عيشهما الرغيد ● وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ما مدين خضرة البقل كانت ترى من

بطنه من الهزال فهذا كان ما اختاره انبيا الله والمرسلون وهم اعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز بالاخرة ● وفي حديث عمر
رضي الله عنه لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة اي شي يدخر فقال صلى الله عليه ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا
شاكرا او زوجة صالحة تعينه على امر اخرته ● وفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اثر الدنيا على الاخرة ابتلاه الله
بثلاث هما لا يفارق قلبه ابدا وفقرا لا يستغني ابدا وحرصا لا يشبع ابدا ● وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان
حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشي احب اليه من كثرته ● وقال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها
ولا تعمروها وقيل له يا نبي الله لو امرتنا ان نبني بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الما قال فكيف تستقيم عبادة على حب
الدنيا ● وقال نبينا صلى الله عليه ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم
الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك ● وعن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى لال محمد كف سويق ولا سفة
دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السما افظعته فقال رسول الله صلى الله عليه امر الله القيامة ان تقوم فقال لا
ولكن هذا اسرافيل قد نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وامرني
ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا
فاومى اليه جبريل ان تواضع لله فقال بل نبيا عبدا ثلثا ● وقال صلى الله عليه اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الاخرة
وبصره بعيوب نفسه ● وقال صلى الله عليه ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس ● وقال صلى الله عليه
من اراد ان يوتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا ● وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة سارع
الى الخيرات ومن خاف من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات
وعن عيسى وعن نبينا عليهما السلام اربعة لا يدركن الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشي وجميع
الاخبار الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن فان الانبيا ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الاخرة واليه يرجع
اكثر كلامهم مع الخلق فيما اوردناه كفاية **واما الاثار** فقد جا في الاثر لا تزال لا اله الا الله تدفع عن العباد
سخط الله تعالى ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم ● وفي لفظ اخر ما لم يوثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك قالوا
لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين ● وعن بعض الصحابة قال تتبعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الاخرة ابلغ من
زهد في الدنيا ● وقال بعض الصحابة لاحد التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا
خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا ازهد في الدنيا منكم ● وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب ● وقال بلال
ابن سعد كفى به ذنبا ان الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها ● وقال رجل لسفيان اشتهي ان ارى عالما زاهدا فقال ويحك
تلك ضالة لا توجد ● وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون وعزة
ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين للجنة ● وقال يوسف بن اسباط اني لاشتهي من الله ثلاث خصال ان
اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فاعطي ذلك كله ● ويروى ان بعض الخلفا ارسل
الى الفقها بجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة الاف درهم فلم يقبلها فقالت له بنوه قد قبل الفقها وانت ترده على حالتك
فبكى وقال اتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لان ينتفعوا بجلدها
كذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني يا اهلي موتوا جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا ● وقال عبيد بن عمير كان عيسى بن مريم
يلبس الشعر وياكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد اين ما ادركه المسا نام ● وقالت امراة
ابي حازم لابي حازم هذا الشتا قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال لها ابو حازم من هذا كله بد ولكن
لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله ثم الجنة او النار ● وقيل للحسن لم لا تغسل قميصك قال الامر اعجل
من ذلك ● قال ابراهيم بن ادهم قد حجبت قلوبنا بثلاثة اغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود
والحزن على المفقود والسرور بالمدح واذا فرحت بالموجود فانت حريص واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط
معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط العمل ● وقال ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير له واحب الى
الله من عبادة المتعبدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا ● وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا اكثر من نعمته فيما صرف

البنا وكانه التفت الى معنى قوله عليه السلام ان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه واذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع المودي الى الصحة اكثر منه في الاعطاء المودي الى السقم • وكان الثوري يقول الدنيا دار التوا لا دار استوا ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخا ولم يحزن على شقا • وقال سهل لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفزع من اربعة اشيا الجوع والعري والفقر والذل • وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوايف ما كانوا يفرحون بشي من الدنيا اقبل ولا ياسفون على شي منها ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطو له ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيا ولا امر في بيته بصنعة طعام واذا كان الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة دابوا في شكرها وسالوا الله ان يقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسالوه ان يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالعفو والمغفرة

بيان درجات الزهد واقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه

• اعلم ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات الدرجة السفلى ان يزهد في الدنيا وهو لها مشتهي وقلبه اليها مايل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدا الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب نفسه اولا ثم كيسه والزاهد يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة اليها في قليل او كثير **الدرجة الثانية** ان يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البايع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه ترك شيا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان **الدرجة الثالثة** وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيا اذ عرف ان الدنيا لا شي فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيا والدنيا بالاضافة الى الله ونعيم الاخرة اخس من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد امن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخزفة بالجوهرة امن من طلب الاقالة في البيع قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي شي تتكلم قال في الزهد قال في اي شي قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم في شي الدنيا لا شي ايش يزهد فيها ومثل من ترك الدنيا للاخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ويحتاج بعد ذلك الى اخراج الثقل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل شخص منها وان عمر مايتي سنة بالاضافة الى نعيم الاخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا نسبة لها الى نعيم الابد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة لها الى النعيم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه يراه شيا معتدا به ولا يراه شيا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه ايضا لها درجات اذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده في قدر التفاته الى زهده • واما انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على ثلث درجات **الدرجة السفلى** ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن ساير الالام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وساير ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار اذ فيه ان الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت روا فهذا زهد الخايفين وكانهم رضوا بالعدم لو اعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم **الدرجة الثانية** ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هولاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دايم ونعيم سرمد لا اخر له **الدرجة الثالثة** وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي

لقايه فلا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يوثر غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلا على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلا على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك لذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلا بطريق الملك على كافة الخلق • واما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيها الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها اشرح لاحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد عن نفسه ايضا • والاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها • وفي الدرجة الثالثة ان يزهد في المال والجاه واسبابهما اذ اليهما ترجع جميع حظوظ النفس • وفي الدرجة الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع الى العلم والقدرة اعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل هو ابلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله في اية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا ثم رده في اية اخرى الى خمسة فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رد الكل الى واحد في موضع اخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالهوى لفظ يجمع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي ان يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذا لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجمال اخرى فالحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس كلها رغب عن البقا في الدنيا فقصر امله لا محالة لانه لا يريد البقا ليتمتع ويريد التمتع الدايم بارادة البقا فان من اراد شيا اراد دوامه ولا معنى لحب الحيوة الا حب دوام ما هو موجود وممكن في هذه الحيوة فاذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل اي انتم تريدون البقا لاجل متاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقون اما الزاهدون المحبون لله فقاتلوا في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رايحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمان الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله او نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى ان خالد بن الوليد لما احتضر للموت على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وانا الان اموت موت العجايز فلما مات عد على جسده ثمانمائة نقب من اثار الجراحات رضي الله عنهم اجمعين • واما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فايثارهم البقا على الشهادة استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين • واما المخلصون فان الله اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما راوا انهم تركوا التمتع عشرين سنة او ثلثين بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به فهذا بيان المزهود فيه واذا فهمت هذا علمت ان ما ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض اقسامه فذكر كل واحد ما راه غالبا على نفسه او على من كان يخاطبه فقال بشر الزاهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذه اشارة الى الزهد في الجاه خاصة • وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر

ما تملك من بطنك لذلك عكله من الزهد وهذه اشارة الى الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي اغلب الشهوات على الاكثر وهي الهيجة لاكثر الشهوات. وقال الفضيل الزهد هو القناعة وهو اشارة الى المال خاصة ● وقال الثوري الزهد هو قصر الامل وهذا جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول امله وكانه رغب عن الشهوات كلها وقال اويس اذا خرج يطلب الزهد ... وقال ايضا الزهد هو ترك الطلب للمضمون وهذه اشارة الى الرزق ● وقال اهل الحديث الدنيا هو العمل بالراي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذا ان اريد به الراي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض اسباب الجاه خاصة او الى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيها في الاخرة وقد طولوها حتى ينقضي عمر الانسان في الاستغلال بواحد منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول اول مرغوب عنه عنده ● وقال الحسن الزاهد الذي اذا راى احدا قال هو افضل مني فذهب الى ان الزهد هو التواضع وهذه اشارة الى نفي الجاه والعجب وهو بعض اقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال واين هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قاله اويس ولا شك في انه اراد طلب الحلال وكان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات واكل الخبز من حلال فقد اخذ باصل الزهد وفي الزهد اقاويل وراء ما نقلناه فلم نر في نقلها فائدة فان من طلب كشف حقائق الامور من اقاويل الناس راها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة واما من انكشف له الحق في نفسه وادركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من السمع فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع الكمال للحاجة لا لقصور في البصيرة وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيرة ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم الاقوال المخبرة عنها تختلف ● واما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف وانما الجامع من هذه الاقاويل الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله وقد فصل مرة وقال من تزوج او سافر في طلب المعيشة او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضدا للزهد ● وقرا ابو سليمان قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله ● وقال انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للاخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالاضافة الى اصناف المزهود فيه فاما بالاضافة الى الحكم فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابراهيم بن ادهم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد ● قيل لمالك بن انس ما الزهد قال التقوى ● واما بالاضافة الى خفايا ما يترك فلا نهاية للزهد فيه اذ لا نهاية لما تتمتع به النفس في الخطرات واللحظات وسائر الحالات لا سيما خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلماء بل الاموال الظاهرة ايضا درجات الزهد فيها لا تتناهى فمن اقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك قال وما الذي تجدد قال توسدك الحجر اي تنعمت برفع راسك عن الارض في النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك ● وروي عن يحيى بن زكريا انه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسالته امه ان يلبس مكان المسوح جبة من صوف ففعل فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت على الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان ● وقال احمد الزهد زهد اويس بلغ من العري الى ان جلس في قوصرة ● وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط انسان فاقامه صاحب الحائط فقال ما اقمتني انت انما اقامني الذي لم يرض لي ان اتنعم بظل الحائط فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر لها واقل درجاته الزهد في كل شبهة ومحظور ● وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم راوا انه لم يبق حلال في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الان

فان قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد ترك ما سوى الله تعالى فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله هو الاقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضروريات النفس فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة وسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي ان يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات حتى تسير بك الى مقصدك فكذلك ينبغي ان تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوي على طاعة الله فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد

فان قلت لا بد وان اتلذذ بالاكل عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يضرك

اذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب فيرجع حاصله الى زوال الم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بتنسم الاسحار واصوات الاطيار ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وانس القلب معه فيكون فيه انس بالدنيا ونقصان في الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله ولذلك كان لداود الطائي حب مكسور فيه ماؤه وكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فمدته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التابيد لا يثقل على اهل المعرفة القاهرين لانفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة التضادة التي بين الدنيا والدين

بيان تفصيل فيما هو من ضرورات الحيوة

اعلم ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول كالخيل المسومة اذ تقتنيها الانسان ليركب وهو قادر على المشي والمهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل الفضول لان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضروري والمهم ايضا يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه واوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة امور المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه الستة من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز في كتاب ذم الرياء من ربع المهلكات ونحن الان نقتصر على بيان هذه المهمات الستة

المهم الاول المطعم

ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد ● فاما طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان من يملك طعام يومه فلا يقنع واما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله ● اما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل واقل درجات الزهد فيه الاقتصار على دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا **الدرجة الثانية** ان يدخر لشهر او لاربعين يوما **والثالثة** ان يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك فتسميته بالزهد محال لان من امل بقاء اكثر من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من الايدي كداود الطائي فانه ورث عشرين دينارا فامسكها وانفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد اصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد ولما عرضه فبالاضافة الى المقدار فاقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في اطعام المساكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب ● واما بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميزت النخالة وصار حوارى فقد دخل في التنعم وخرج عن اخر ابواب الزهد فضلا عن اوائله ● واما الادم فاقله الملح او البقل والخل واوسطه الزيت او يسير من الادهان اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان صار دائما او اكثر من مرتين في الاسبوع خرج عن ابواب الزهد ولم يكن صاحبه زاهدا في البطن اصلا ● واما بالاضافة الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو ان يكون صائما واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولا ياكل وياكل ليلة ولا يشرب واعلاه ان ينتهي الى ان يطوي ثلاثة ايام او اسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات ولينظر الى احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الادم قالت عائشة كانت تاتي علينا اربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم ● وقال الحسن كان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق اصابعه وياكل على الارض ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبيد ● وقال عيسى صلى الله عليه بحق اقول انه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم في المزابل مع الكلاب كثير ● وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة ايام من خبز البر وكان عيسى عليه السلام يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري والخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده ● ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قباء اتوه بشربة من لبن مشوبة بالعسل فوضع القدح من يده وقال اما اني لست احرمه ولكني اتركه تواضعا لله تعالى ● واتي عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها ● وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث ادرك ● الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقران حديثه والرب

والرابع انيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى
زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه

المهم الثاني الملبس

واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون له منديل
وسراويل وما جاوز من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت
فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع ابواب الزهد هذا من حيث القدر • اما الجنس فاقله المسوح الخشنة واوسطه
الصوف والشعر واعلاه القطن الغليظ • واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستره سنة واقله ما يبقى يوما حتى رقع بعضهم ثوبه بورق
الشجر وان كان يتسارع الجفاف اليه واوسطه ما يتماسك عليه شهرا وما يقاربه فطلب ما يبقى اكثر من سنة خروج الى طول الامل وهو
مضاد الزهد الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي ان يتصدق به فان امسكه لم
يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر فيه الى احوال الانبياء والصحابة كيف تركوا الملابس • قال ابو بردة اخرجت لنا عائشة كساء
ملبدا وازارا غليظا وقالت قبض رسول الله صلى الله عليه في هذين • وقال صلى الله عليه ان الله يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس • وقال
عمرو بن الاسود العنسي لا البس مشهورا ابدا ولا انام على دثار ابدا ولا اركب على مأثور ابدا ولا املأ جوفي من طعام ابدا فقال عمر
رضي الله عنه من سره ان ينظر الى هدي رسول الله صلى الله عليه فلينظر الى عمرو بن الاسود • وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا
اعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا • واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه
عشرة وكان ازاره اربعة اذرع ونصفا • واشترى سراويل بثلثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة
لانهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس بردين يمانيين او سحوليين من هذه الغلاظ • وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانه قميص زيات • ولبس صلى الله عليه يوما واحدا ثوبا سيرا من سندس قيمته مائتا درهم فكان اصحابه يلمسونه ويقولون
يا رسول الله انزل هذا عليك من الجنة تعجبا • وقد كان اهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه بلبسه ثم نزعه وارسل
به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وكانه انما لبسه تاكيدا للتحريم كما لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه فحرم
لبسه على الرجال وكما قال لعائشة في شان بريرة اشترطي لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثم
حرمها لتاكيد امر النكاح • وقد صلى عليه السلام في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم
وائتوني بانبجانيته يعني كساءه فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال
اعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلوة • ولبس خاتما ونظر اليه على المنبر نظرة فرمى به وقال
شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم • وكان صلى الله عليه قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه حسنهما فتواضعت لربي
ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين رآه • وعن سنان بن سعد قال حكت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة صوف
من صوف انمار وجعلت حاشيتها سودا فلما لبسها قال انظروا ما احسنها ما الينها فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبها
لي وكان صلى الله عليه اذا سئل شيئا لم يبخل قال فدفعها اليه وامر ان يحاك له واحدة اخرى فمات صلى الله عليه وهي في المحاكة
دخل رسول الله صلى الله عليه على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من اجلة الابل فلما نظر اليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة
الدنيا لنعيم الاخرة فانزل عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى • وقال صلى الله عليه وسلم ان خيار امتي فيما انبأني الملأ الاعلى
قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه مؤونتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون
الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض وافئدتهم عند العرش • فهذه سيرة رسول الله صلى الله عليه في الملابس وقد اوصى
امته عامة باتباعه اذ قال من احبني فليستن بسنتي • وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ
وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله • واوصى عائشة خاصة وقال لها ان اردت اللحوق بي فاياك ومجالسة
الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه • وعد على قميص عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من ادم • واشترى علي
رضي الله عنه ثوبا بثلثة دراهم فلبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله هذا من رياشه • وقال
الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال • وكان يقول ان الفقير ليمر بي وانا اصلي
فادعه يجوز ويمر بي واحد من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته ولا ادعه يجوز • وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان
ونعليه بدرهم واربعة دوانيق • وقال خير ثيابي ما اخدمني وشرها ما اخدمته • وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخلطك

بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك • وقال ابو سليمان الثياب ثلثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما
يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه • وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه • وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم
ما بين العشرين الى الثلثين • وكان الخواص لا يلبس اكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته ويعطف ذيل قميصه على راسه • وقال بعض السلف
اول النسك الزي • وفي الخبر البذاذة من الايمان • وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى وابتغاء مرضاته كان
حقا على الله ان يدخر له من عبقري الجنة في تخت الياقوت • واوحى الله الى بعض انبيائه قل لاوليائي لا تلبسوا ملابس اعدائي ولا تدخلوا
مداخل اعدائي فتكونوا اعدائي كما هم اعدائي • ونظر رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى اميركم يعظ
الناس وعليه ثياب رقاق • وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى ابي ذر في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع ابو ذر راحته على فيه وجعل
يضرط به فغضب ابن عامر فشكاه الى ابن عمر فقال انت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة • وقال علي رضي الله عنه ان الله
تعالى اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره • ولما عوتب في خشونة لباسه قال
هو اقرب الى التواضع واجدر ان يقتدي به المسلم • ونهى صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين • وراى فضالة
بن عبيد وهو والي مصر اشعث حافيا فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا
ان نحتفي احيانا • وقال علي لعمر رضي الله عنه اذا اردت ان تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون
الشبع • وقال عمر رضي الله عنه اخلولقوا واخشوشنوا واياكم وزي الاعاجم كسرى وقيصر • وقال علي رضي الله عنه من تزيا بزي
قوم فهو منهم • وقال عليه السلام ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام والوان الثياب ويتشدقون في
الكلام • وقال عليه السلام ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار ولا
ينظر الله يوم القيمة الى من جر ازاره بطرا • وقال ابو سليمان قال رسول الله صلى الله عليه لا يلبس الشعر من امتي الا مراي او
احمق • وقال الاوزاعي لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة • ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له
قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك ولا تجيبني فقال اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي او فقرا فاشكو ربي • وقال
ابو سليمان لما اتخذ الله ابرهيم خليلا اوحى الله اليه ان وار عورتك من الارض وكان لا يتخذ كل شيء الا واحدا سوى السراويل فانه اتخذ
سراويلين فاذا غسل احدهما لبس الاخر حتى لا ياتي عليه حال الا وعورته مستورة • فقيل لسلمان الفارسي ما لك لا تلبس الجيد من
الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلى ابدا • ويروى عن عمر بن عبد العزيز انه كان له جبة
شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل اذا قام يصلي • وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغني ان اكثر
اهل النار اصحاب الاكسية • وقال يحيى بن معين رايت ابا معوية الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها
فقلت انك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بها ويبكي

المهم الثالث المسكن

وللزهد فيه ايضا ثلث درجات اعلاها ان لا يطلب خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كاصحاب
الصفة واوسطها ان يطلب موضعا خاصا مثل كوخ مبني من سعف او خص او ما يشبهه وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما
بشراء او اجارة فان كان قدر سعته على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن اخر درجات الزهد
فان طلب التجصيص والتشييد والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن واختلاف
جنس البناء ان يكون بالجص والقصب او بالطين او بالاجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات
ان يكون مملوكا او مستاجرا او مستعارا وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد
الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة للدين ووسيلة وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد
ودفع الاعين والاذى واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي
له بعيد من الزهد جدا • وقد قيل اول شيء ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه التدريز والتشييد يعني كف
دروز الثياب فانما كانت تشل شلا والبنيان بالجص والاجر هو التشييد وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد • وقد جاء في
الاخبار ياتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما يوشى البرود اليمانية • وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس ان
يهدم علية كان قد علاها • ومر عليه السلام بقبة معلاة فقال لمن هذه قالوا لفلان فلما جاءه اعرض عنه فلم
يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل اصحابه عن تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله

رسول الله الموضع ظهر بها فأخبر بأنه قد هدمها فدعا له بخير • قال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة • وقال عليه السلام اذا اراد الله بعبد شرا اهلك ماله في الماء والطين • وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه ونحن نعالج خصا فقال ما هذا قلنا خص لنا قد وهى فقال ان الامر اعجل من ذلك • واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت • وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل مات وهذا قائم على حاله • وقال صلى الله عليه من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة • وفي الخبر كل نفقة يؤجر عليها العبد الا ما انفقه في الماء والطين • وفي قوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انه الرياسة والتطاول في البنيان • وقال صلى الله عليه كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما اكن من حر او برد • وقال صلى الله عليه للرجل شكا اليه ضيق منزله اتسع في السما اي في الجنة • ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص واجر فكبر وقال ما كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين يعني به الاجر ويقال ان فرعون هو اول من بني له بالجص والاجر واول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف • وذكر بعض السلف جامعا في بعض الامصار فقال ادركته مبنيا من الجريد والسعف ثم رايته مبنيا من رهص ثم رايته الان مبنيا باللبن فكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهص وكان اصحاب الرهص خيرا من اصحاب اللبن • وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنايه وقصر امله وزهده في احكام البنيان وكان منهم من اذا حج او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الان ببلاد اليمن كان ارتفاع بنا السلف قامة وبسطة قال الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف • وقال عمرو بن دينار اذا اعلى العبد البنا فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين • ونهى سفيان عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس لما شيدوه فالناظر معين عليه • وقال الفضيل اني لا اعجب ممن بنى وترك ولكن اعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر • وقال ابن مسعود ياتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم

المهم الرابع اثاث البيت وللزهد فيه ايضا درجات واعلاه حال عيسى عليه السلام اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فراى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط • وراى اخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا حكم كل اثاث فانه يراد لمقصود فاذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والاخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي ان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه لكن يستعمل الالة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يشرب فيها وياكل الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها • وكان السلف يستحبون استعمال الة واحدة في اشيا للتخفيف واعلاه ان يكون له بعدد كل حاجة الة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في العدد او في نفاسة الجنس خرج عن جميع ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله وسيرة اصحابه فقد قالت عائشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف • وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه الا عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف وروي ان عمر رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وهو نايم على سرير مرمول بالشريط فجلس فراى اثر الشريط في جنبه عليه السلام فدمعت عيناه فقال النبي صلى الله عليه ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك يا رسول الله وحبيبه وصفيه نايم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه اما ترضى يا عمر ان يكون لهما الدنيا ولنا الاخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك • ودخل رجل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت ها هنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه • ولما قدم عمير بن سعد امير حمص على عمر قال له ما معك من الدنيا فقال معي عصاي اتوكا عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي اكل فيها واغسل فيها راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوي للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله • وجاء صلى الله عليه من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فراى على باب منزلها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه فساله فقال من اجل الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وقالت تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهم عليهم فدخل عليها فقال رسول الله صلى الله عليه بابي انت قد احسنت • وراى صلى الله عليه على باب منزل عائشة رضي الله عنها سترا فهتكه وقال كلما رايته ذكرت الدنيا ارسلي به الى ال فلان

لعائشة ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال اعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني فقد اسهرني الليلة • وكذلك اتته دنانير خمسة او ستة عشا فبيتها فسهر ليلته حتى اخرجها من اخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنام حينيذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده • وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر الارض بجنبه وجعل ثوبه فوقه

المهم الخامس المنكح وقد قال قايلون لا معنى للزهد في اصل النكاح ولا في كثرته واليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حببت الى سيد الزاهدين النسا فكيف نزهد فيهن • ووافقه ابن عيينة وقال كان ازهد الصحابة علي بن ابي طالب وكان له اربع نسوة وبضعة عشر سرية • والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم والمراة قد تكون شاغلا عن الله تعالى وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة افضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون من الزهد تركه وان لم يكن عليه افة في تركه ولا في فعله ولكن ترك النكاح لميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد وان علم ان المراة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير امة محمد صلى الله عليه من القربات واللذة التي تلحق الانسان فيما هو ضرورة الوجود لا تضره اذا لم يكن هو المطلب والمقصد وهو كمن ترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شي لان في تركهما فوات بدنه وفي ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز ان يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف افة اخرى وهذا ما عناه سهل لا محالة ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا فمرجع الحال في رسول الله في انه لا تشغله كثرة النسا ولا اشتغال القلب باصلاحهن والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن انى يتصور ذلك لغير الانبياء والاوليا فاكثر الناس تشغلهم كثرة النسوان فينبغي ان يترك الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف ان تشغله الكثرة منهن او جمال المراة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال ابو سليمان الزهد في النسا ان يختار المراة الدون اليتيمة على المراة الجميلة والشريفة • وقال الجنيد احب للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه بثلاث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج • وقال احب للصوفي ان لا يقرا ولا يكتب لانه اجمع لهمه فاذن ظهر ان لذة النكاح كلذة الاكل فما يشغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا

المهم السادس ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه اما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل بها الى الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى الجاه لا محالة في قلب خادمه لانه ان لم يكن عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا له اول قريب ولكنه يتمادى الى عمق لا عمق له ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضرر او للخلاص من ظلم • فاما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن للمستاجر عنده قدر وانما يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة • واما دفع الضرر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل فيها العدل او يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب او محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف وسو الظن بالعواقب والخايض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب اصلا فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين واما التوهمات والتقديرات التي تحوج الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره • واما المال فهو ضروري في المعيشة اعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي ان يترك الكسب • كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفا الزهاد واقويايهم جميعا وان كان له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر من الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته ولكن يكون من ضعفا الزهاد وان شرط التوكل في الزهد كما شرطه اويس القرني فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعني به ان ما وعد الزاهد في دار الاخرة من المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزاهد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه

من الفضول والكثرة وامن للمتفرد في جميع ذلك اخف من اكثر الحيل وقد قال ابو سليمان لا ينبغي ان يرهق الرجل الى الزهد اهله بل يدعوهم
اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه ان المضيق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي
ان يجيبهم ايضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه اذ انصرف من بيت فاطمة بسبب ستر وقلبين لان ذلك
من الزينة لا من الحاجة فاذا ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة
دوا نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن
دوا نافعا ولكنه يسير الضرر والسم محظور شربه والدوا فرض تناوله وما بينهما متشابه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه
ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرا لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الاخذ بالحزم
وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين
لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ● ويدل عليه ما روي ان ابرهيم صلوات الله عليه اصابته حاجة فذهب الى صديق
له يستقرضه شيا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله تعالى اليه لو سالت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا
فخفت ان اسالك منها شيا فاوحى الله اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذن قدر الحاجة من الدين وما وراه وبال في الاخرة
وهو في الدنيا ايضا كذلك يعرفه من يخبر احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل
فيه وغاية سعادته به ان يسلم لورثته فياكلونه وربما يكونون اعداء له وربما يستعينون به على المعصية فيكون هو المعين
عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد
مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع الشهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه سلاسل تقيده بما يشتهيه
حتى تتظاهر عليه السلاسل فتقيده بالمال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعدا ومراياة الاصدقا وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر
له انه قد اخطا فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه وراى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه
باختياره كاد ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكها الى ان يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل من قلبه معلقة
بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه الى الدنيا ومخاليب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه الى الاخرة فاهون احواله عند
الموت ان يكون مثل شخص نشر بالمنشار انما يزل المولم ببدنه والالم من حيث يسري اثره الى قلبه فكيف الظن بالالم الذي يتمكن اولا من صميم
القلب مخصوصا به لا بطريق السراية من غيره فهذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في اعلى عليين وجوار رب العالمين
فالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله وعند الحجاب تتسلط عليهم نار جهنم اذ النار غير مسلطة الا على محجوب قال الله تعالى كلا
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فرتب العذاب بالنار على الم الحجاب والم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف
اذا انضافت العلاوة اليه فنسال الله تعالى ان يقربنا من اسماعنا ما نفث في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل احبب ما
احببت فانك مفارقه ولذلك قال الشاعر ● كدود كدود القز ينسج دايما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه ● ولما
انكشف لاوليا الله ان العبد مهلك نفسه باعماله واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز لنفسه رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال
الحسن رايت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم ● وفي لفظ اخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم
بالخصب والرخاء لو رايتموهم قلتم مجانين ولو راوا اخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو راوا اشراركم قالوا ما يومن هولاء
بيوم الحساب وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا ياخذه يقول اخاف ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف
من فساده والذين امات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله تعالى عنهم اذ قال ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن
اياتنا غافلون ● وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا ● وقال فاعرض عن من تولى عن
ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم احال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام
احملني معك في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني قال لا استطيع فقال عليه السلام بعجب يدخل الغني الجنة او قال بعسر وقال
بعضهم ما من يوم ذر شارقه الا واربعة املاك ينادون في الافاق باربعة اصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب
يقول احدهم من المشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الاخر اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول
اللذان في المغرب احدهما لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الاخر كلوا وتمتعوا ليوم طول الحساب

بيان علامات الزهد

اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهدا وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من احب المدح بالزهد
فكم من الرهابين ردوا انفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما مسرة تهم معرفة الناس حالهم ونظرهم اليهم
ومدحهم وذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة على ما لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد بل في جميع حظوظ النفس
من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا
الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقرا فيحتقروا
فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما ياخذون
بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقايق والجوا الى المضايق وكل هولاء اكلة الدنيا بالدين لم يعتنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب
اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم فهم مايلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كلام الخواص فاذا معرفة
الزهد مشكل بل حال الزاهد على الزاهد مشكل وينبغي ان يعول في باطنه على ثلاث علامات الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على
مفقود كما قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح
بفقده والثاني ان يستوي عنده ذامه ومادحه فالاول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه والثالث ان
يكون انسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله وهما
في القلب كالما والهوا في القدح فالما اذا دخل خرج الهوا ولا يجتمعان وكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ● ولذلك قيل
لبعضهم الى ماذا افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله فاما الانس بالدنيا وبالله جميعا فلا يجتمعان ● وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق
الايمان بظاهر القلب احب الاخرة والدنيا جميعا وعمل لهما واذا بطن الايمان في سويدا القلب وباشره ابغض الدنيا ولم ينظر
اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعا ادم عليه السلام اللهم اني اسالك ايمانا تباشر قلبي وقال ابو سليمان من شغل بنفسه شغل
عن الناس وهذا مقام العاملين والزاهد لا بد وان يكون في احد هذين المقامين ومقامه الاول ان يشتغل نفسه بنفسه وعند
ذلك يستوي عنده الذم والمدح والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده اصلا قال ابن ابي الحواري
قلت لابي سليمان كان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت بلغني انه ورث من ابيه عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان
زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال اردت منه ان يبلغ حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة
صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها وكل من ترك من الدنيا شيا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل
في الزهد بقدر ما تركه واخره ان يترك ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعله عيسى عليه السلام فنسال الله تعالى ان يرزقنا
من مباديه نصيبا وان قل فان امثالنا لا يستجرى على الطمع في غاياته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله تعالى غير ماذون فيه واذا
لاحظنا عجايب نعم الله تعالى علينا ان الله لا يتعاظمه امر فلا يبعد في ان نعظم السوال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذا
علامة الزهد استوا الغني والفقر والعز والذل والمدح والذم لاجل غلبة الانس بالله ويتفرع عن هذه العلامات علامات
اخر لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي من اخذها ● وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي فلا يقول ابني رباطا او اعمر مسجدا ●
وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخا بالموجود ● وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من الملك وقال ايضا
الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف ● وقال ابو سليمان الصوف علم من اعلام الزهد فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلاثة دراهم
وفي قلبه رغبة خمسة دراهم ● وقال احمد بن حنبل وسفين علامة الزهد قصر الامل ● وقال سري لا يطيب عيش الزاهد اذا
اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه ● وقال النصراباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في
الاخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلاث عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة ● وقال ايضا الزاهد
يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر ● وقال له رجل متى ادخل حانوت التوكل والبس رداء الزهد واقعد
مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلثة ايام لم تضعف في نفسك فاما
ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا امن عليك ان تفتضح ● وقال ايضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها
ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف يشتغل بالله ولا يلتفت اليها ● وقال السري
مارست كل شي من امر الزهد فنلت منه ما اريد الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه ● وقال الفضيل جعل الله الشر
كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها فهذا ما اردنا ان نذكره من حقيقة

الزهد واحكامه واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه ❊ تم كتاب الفقر والزهد بعون الله وفضله

كتاب التوكل

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المدبر للملك والملكوت المتفرد بالعزة والجبروت الرافع السماء بغير عماد المقدر فيها ارزاق العباد ❊ الذي صرف اعين ذوي الالباب والقلوب عن ملاحظة الوسائط والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع هممهم عن الالتفات الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علما بانه الواحد الفرد الصمد الاله وتحققا بان جميع اصناف الخلق عباد امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق وانه ما من ذرة الا الى الله خلقها ❊ وما من دابة الا على الله رزقها ❊ فلما تحققوا انه الرزاق ضامن وبه كفيل توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلوة على محمد قامع الاباطيل الهادي الى سواء السبيل وعلى اله واصحابه وسلم كثيرا

اما بعد

فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان يرى اسبابا تغيير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن الان نبدا بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني

فضيلة التوكل

اما من الايات فقد قال الله تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه ❊ وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه فمن الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الاية فانه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ❊ وقال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجا الى ذمامه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره ❊ وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم بين ان كل ما سوى الله عبد مسخر حاجته مثل حاجتك فكيف تتكل عليه ❊ وقال تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون ❊ وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكل ما ذكر في القران من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار

واما الاخبار

فقد قال صلى الله عليه فيما رواه ابن مسعود اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملاوا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قال ومع هولاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال صلى الله عليه سبقك بها عكاشة ❊ وقال صلى الله عليه من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها ❊ وقال عليه السلام من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله تعالى اوثق منه بما في يده ❊ ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلاة ويقول هذا امرني ربي قال تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا الاية ❊ وقال صلى الله عليه لم يتوكل من اكتوى واسترقى ❊ وروي انه لما قال جبريل لابرهيم وقد رمي به في النار بالمنجنيق الك حاجة فقال اما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى به واوحى الله الى داود يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا

واما الاثار

فقد قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت على امي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرا الخواص قوله وتوكل على الحي الذي لا يموت الى اخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الاية ان يلجا الى احد غير الله ❊ وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله فقد احرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك

من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر اخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتبه الله لك وقال يحيى بن معاذ الرازي في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد ❊ وقال ابرهيم بن ادهم سالت بعض الرهبان من اين تاكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني ❊ وقال هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اكون واومى الى الشام فقال هرم كيف المعيشة بها فقال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة ❊ وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا

بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل

اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدا ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له الايمان الذي هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه طويل وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذا لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول

للتوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب

المرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق **والثانية** ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام **والثالثة** ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكنه يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار **والرابعة** ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه والخلق فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الاخرة ان توفي عليها ولم تضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف بها يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا فاعل بالحقيقة الا واحد وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه لا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع في تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل ان اكلت فهو مر المذاق وان نظر الى باطنها فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفا النار واكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصوان ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشر وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا انفصل امكن ان ينتفع به حطبا لكنه نازل القدر بالاضافة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكانه المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن

المتفرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد
سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة
فكيف يكون الكثير واحدا وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذه غاية
علوم المكاشفة واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم
ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار وقد يكون واحدا بنوع اخر من المشاهدة والاعتبار
وهذا كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه وهو باعتبار اخر ومشاهدة
اخرى واحد اذ نقول انه انسان واحد وهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة
امعائه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده والفرق بينهما فهو في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس
فيه تفرق وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة
مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر سواه كثير وبعضها اشد كثرة من بعض ومثال الانسان وان كان لا
يطابق الغرض ولكنه ينبه على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا ويستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام
لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد وان
لم يكن ما امنت به صفتك كما انك اذا امنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منها بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها
الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار الحسين بن منصور
الحلاج حيث راى الخواص يدور في الاسفار فقال فيماذا انت فقال ادور في الاسفار لاصحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين
فقال له الحسين افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد وكان الخواص في تصحيح المقام الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام
الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء
التوكل عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل ايضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث
واما الاول وهو النفاق فهو واضح واما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تاكيده بالكلام ودفع حيل
المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه واما الثالث فهو الذي ينبني التوكل عليه اذ
مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون التفصيل الذي لا يحتمله امثال هذا
الكتاب وحاصله ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى
وفقر الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر
الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون
لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتحت لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة
بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين يبتغي بهما ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك احدهما الالتفات الى اختيار
الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات اما الالتفات الى الجمادات فكالتفاتك الى المطر في خروج الزرع ونباته وعلى الغيم في
نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق
الامور ولذلك قال تعالى حتى اذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الى قوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه
انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم
يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي
التفات من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع
يقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو
مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الموقع عن ان يخطر بباله القلم
والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة تسخير القلم
في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق ان الله هو الكاتب كما قال تعالى
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان

خائبا وايس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فيأتيك في المهلكة الثانية وهو الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية
ويقول كيف ترى الكل من الله تعالى وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الذي يحز رقبتك بسيفه
وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له ايضا نعم
ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زل اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان
عليهم للشياطين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في
ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى راس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فظنت
ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة راس القلم لضيق حدقتها فكذلك من لم يشرح الله صدره قصرت بصيرته
عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل لارباب القلوب
والمشاهدات قد انطق الله في حقهم كل ذرة في الارض والسموات بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها
على انفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا صوت ولا حرف لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز
الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم وانما اريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي
فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست
وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر فانها
كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا
بمثله مددا ثم انها تناجي باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رايت امينا قط امينا
على اسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى به على ملأ من الناس ولو جاز افشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال اذا ذكرت النجوم فامسكوا
واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الاسرار فاذا عن حكاية مناجاة ذرات
الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية
ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي من مناجاته قدرا يسيرا يفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه ونرد كلماتها
الى الحروف والاصوات وان لم يكن حروفا واصواتا ولكن هذه ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى
للكاغد وقد راه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان ابيض مشرقا فالان قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب
فيه فقال الكاغد ما انصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي بنفسي لكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره
ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة
وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني
كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر من اوطانه فقال
سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شاطئ الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بالسكين فنحت عني قشري ومزقت
عني ثيابي واقتلعتني من اصلي وفصلت بين انابيبي ثم برتني وشقت راسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهي تستخدمني وتمشيني على
قمة راسي فلقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها القلم وتعديها
عليه واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا لحم وعظم ودم وهل رايت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر
ركبني فارس يقال له القدرة والعزة فهي التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض اما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيء منه
مكانه ولا يتحرك بنفسه اذا لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر اما ترى ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم
لا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني فاني مركب ازعجني من ركبني فقال صدقت
ثم سأل القدرة عن شأنها في استعمالها اليد واستخدامها وكثرة ترديدها لها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم
وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك امري وكيف ظننت اني ظلمت لما ركبتها ولقد كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت احركها
ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما حتى ظن الظانون بي اني ميتة او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك حتى جاءني
موكل ازعجني وارهقني الى ما تراه مني وكانت لي قوة على مساعدته ولم يكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة

ولا اعرفه الا باسمه ونجومه وصياله اذ ازعجني عن غمرة النوم وارهقني الى ما كان بي منه وجدته لو خلاني ورأيي فقال
صدقت ثم سأل الارادة ما الذي جرأك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه
مخلصا ومناصا فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا عذرا وانت تلوم فاني ما انبعثت بنفسي ولكني استبعثت وما انبعثت ولكني
بحكم قاهر وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل ولا ادري اي جرم وقع
عليه وسخرت له والزمت طاعته لكني ادري اني في دعة وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم
وقد وقعت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة لعمري ما دام هو في التردد مع نفسه
والتمييز في حكمه فانا ساكن لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه ازعجت بطبعي وقهري تحت طاعته واستحثت القدرة
لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شاني ودع عني عتابك ● مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم ●
فقال صدقت واقبل على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة
فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي وقال العلم اما انا
فنقش نقشت في لوح بياض القلب لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح خاليا عني فسل القلم عني فان
الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل ولم يقنعه جوابه وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال
يحيلني من طمعت فيه على غيره ولكني كنت اطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت اسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا واضحا في
دفع السؤال فاما قولك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست افهمه فاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من العظم
او الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لا اسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم
ولا اشاهد منه شيئا اسمع جعجعة ولا ارى طحنا فقال له القلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك
ضعيف واعلم ان المهالك في الطريق التي توجهت اليه كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه
فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق فالق سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلثة عالم
الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم ولقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم
الملكوت وهو وراءي فاذا جاوزتني انتهيت الى منازله وفيها المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف
تسلم فيها والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ● وقد قطعت منه ثلاث منازل اذ في اوائلها منزل القدرة
والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منهجا وانما عالم
الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هو في حد اضطراب الماء ولا هو في
حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى حد يقوى على ركوب السفينة
كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي على
الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق الا الماء الصافي واول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي كتب به
العلم وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى لو ازداد يقينا لمشى على الهواء بل
لما قيل كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في امري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق و
لست ادري اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي فان
ظهر لك القلم الذي به الكتبة في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب
الملكوت كوشف بالقلم اما ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف بالقلم اذ نزل عليه قوله تعالى اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم
لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت اما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه
يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته
بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بحرف
وصوت ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه
مذبذبا بين هذا وذاك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته تعالى وصفاته عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني

الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله ان الله خلق ادم على صورته الصورة
الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة
الباطنة التي تدرك بالبصائر فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك
تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك الاعلى فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه
وانه مخنث بين التشبيه والتجريد فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما راها بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة
قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم الان هذه الفرصة
وافتح بصرك لعلك تجد على هذه النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب
ولا قصب ولا له راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف العلوم وكان له في كل قلب راسا ولا راس له
فقضى منه العجب فقال نعم الرفيق العلم جزاه الله عني خيرا اذ الان ظهر لي صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام
فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومراددتي لك وانا عازم على ان اسافر الى حضرة القلم واساله عن
شانه فسافر اليه وقال له ما بالك ايها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تنبعث به الارادات الى اشخاص القدر وصرفها الى
المقدورات فقال او قد نسيت ما رايت في عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم اذ سالته فاحالك على اليد قال لا
قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله خلق ادم على صورته قال نعم قال فسل عن شاني
الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الادمي في معنى التسخير وانما
الفرق في ظاهر الصورة فقال ومن يمين الملك فقال القلم اما سمعت قوله تعالى والسماوات مطويات بيمينه قال نعم قال فالاقلام
ايضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده وراى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم
لا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان
ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فراى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسال اليمين عن شانه وتحريكه القلم فقال
جوابي ما سمعت من اليمين التي رايتها في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة
فسافر السالك الى عالم القدرة وراى فيها من العجائب ما استحقر فيها ما قبلها وسالها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة
فسل القادر اذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ ويطلق بالجراة لسان السؤال فثبت بالقول
الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسال عما يفعل وهم يسالون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في
غشيته فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شانك تبت اليك وتوكلت عليك وامنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف
غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا ان اسالك واتضرع اليك وابتهل بين يديك
فاقول اشرح لي صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء
بل ارجع اليه فما اتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله لك فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما
اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين
فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول العجز عن درك الادراك ادراك
فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السالك واعتذر
عن اسئلته ومعاتباته فقال لليمين والقلم والعلم والارادة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في
هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل والان قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد
بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والاخر
والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه وقيل له كيف يكون هو الاول والاخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون
هو الظاهر والباطن والاول ليس باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الوجود اذ صدر منه الكل على ترتيبه
واحدا بعد واحد وهو الاخر بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة
فيكون ذلك اخر السفر فهو اخر في المشاهدة واول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة والطالبين لادراكه
بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهكذا كان توحيد

السالكين لطريق التوحيد في الفعل اعني من انكشف له ان الفاعل واحد **فان قلت** فقد انتهى هذا التوحيد الى انه مبني على الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك او يجحده فما طريقه **فاقول** اما الجاحد فلا علاج له الا ان يقال له انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك بالحواس الخمس ولازموا حضيض عالم الشهادة فان قال وانا منهم فاني لا اهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا اعلم شيئا سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فقالوا ما نراه فلا نثق به فلعلنا نراه في المنام فان قال وانا من جملتهم فاني شاك ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك ولا كل مريض يقوى على علاجه الاطباء هذا حكم الجاحد • واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين فيه ان ينظروا الى عينيه التي بها يشاهد عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد انتشر فيها ما اسود بقبول الشبهة اشتغلوا بتنقيته اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره ارشده الى الطريق كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص اصحابه وان كان غير قابل للعلاج ولم يمكنه ان يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام درات الملك والملكوت بشاهدة التوحيد كلموه بحروف وصوت ورددوا ذروة التوحيد الى الحضيض فيه فان في عالم الشهادة ايضا توحيدا اذ يعلم كل احد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فعالى له على حد عقله ان اله العالم واحد والمدبر واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما راه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الانبياء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب وعلى حد عاداتهم في المحاورة **فان قلت** فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح ان يكون اصلا للتوكل وعمادا فيه **فاقول** نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه او الى ان يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقفها من استاذه او من ابويه او اهل بلده • واما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار فلا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع اصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تاثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم راوا من موسى ما جاوز حدود السحر المنكشف لهم حقيقة الامر فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغير • واما اصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وكل من آمن بالنظر الى ثعبان فيكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير واما عالم الملكوت فمن عند الله فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتناقضا **فان قلت** ما ذكرتموه من التوحيد ظاهر مهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان شاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشاء لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل اذا شاء ويشاء شاء ام لم يشا فليست المشيئة اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشيئة اخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن المشيئة اليه وجدت المشيئة التي تصرف القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة للقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات مرتب بعضها على البعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع **فان قلت** فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا **فاقول** لو انكشف الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذا مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لم يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما ذكرناه متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم نقصد به الا علم المعاملة ولكني اقول لفعل الانسان يطلق على ثلثة اوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالرئة والحنجرة ويخرق الماء اذا وقع فيه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في امور

ما عرفت لذلك عنها ثلاث عبارات فيسمى خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ويسمى تنفسه فعلا اراديا ويسمى كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهما وقف على وجه الماء او تخطى من السطح الى الهواء انخرق الهواء لا محالة فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا ولو اراد ان يتركها مفتوحة لم يقدر مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكنه اذا تمثلت صورة الابرة في مشاهدته بالادراك حدث الارادة للتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يتركه لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا • واما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهو للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه **وبيانه** ان الارادة تبع العلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة والباطنة بانه يوافقك من غير تحير وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد ان تقصد عينك بابرة او بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة ويحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف وذلك من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف العقل والتمييز فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتبين ان الخير في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكرة وانبعثت له الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير اي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها الا ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الا ان الخير في دفع السيف ظهر من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي تنبعث باشارة العلم فيما ادركه توقف وعن هذا قيل العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الا بحكم الحس والتخيل او بحكم جزم من العقل ولذلك لو اراد الانسان ان يحز رقبة نفسه لم يمكنه لا لعدم القدرة في اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الارادة المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل او الحس بكون الفعل موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مولمة لا تطاق فان العقل ههنا يتوقف في الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل اقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف عنه انبعثت الارادة والقدرة واهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف ليقتل فانه يرمي نفسه من السطح وان كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه ان لا يرمي نفسه وان كان يتبع بضرب خفيف فاذا انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب اهون من الرمي فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه ان يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة لان الارادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا ولما فاذن كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم ايضا جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة لانه كان فنا ثالثا وتبعوا فيه كتاب الله فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط ان لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن ان تستعمل في حق الله الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه **فان قلت** فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متاخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله وان ابيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي نعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل الذي لم يقف كافة الخلق الا الراسخون على

كذا معناه بل على مجرد لفظه مع نوع تشبيه يفقد رتبا وهو بعيد عن الحق وسار ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مرتبة على البعض
الحدوث ترتيب المشروط على الشرط فلا يصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حيوة ولا حيوة الا بعد محل الحيوة وكما لا يجوز
ان يقول الحيوة حصلت من الجسم الذي هو شرط الحيوة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهرت للعامة وبعضها لم يظهر الا
للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتاخر متاخر الا بالحق واللزوم وكذلك جميع افعال الله تعالى فلولا ذلك لكان التقديم
والتاخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا اشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور ان يكون الا كما حدث وعلى
الترتيب الذي وجد فما تاخر متاخر الا لانتظار شرطه والشرط قبل المشروط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتاخر العلم عن النطفة
الا لفقد شرط الحيوة ولا يتاخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب
واتفاق وكل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا لتقريب مدارك
الخلق من الافهام الضعيفة وذلك بان نقدر انسانا محدثا وانغمس في ماء الى رقبته والحدث لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الرافع
وهو ملاق له فتقدر القدرة الازلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا
يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء وعمل الماء في سائر الاعضاء وارتفع
الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليد برفعه عن الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير
عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث من اليد عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليد
وهو جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطا بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه
ارتفع الحدث عن الكيد اليد بالماء الملاقي له لا بغسل الوجه والماء لم يتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط وظهر اثر العلة
فهكذا ينبغي ان تفهم صدور المقدورات من القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب اخر من عالم
المكاشفات فلنترك ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل وان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه
التوكل والاعتماد ولم نقدر على ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في
عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك منطو تحت قول لا اله الا الله وما اخف مؤنتها على اللسان وما
اسهل اعتقاد مفهوم لفظها على القلب وما اعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين فكيف عند غيرهم **فان قلت** فكيف
الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف
يكون الله فاعلا وان كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان
له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد قاتل
بمعنى اخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى اخر فمعنى كون الله فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذي
خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد ان خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط
بالمشروط وارتبط بقدرة الله تعالى ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا
له كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما
فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القران مرة الى الملائكة ومرة الى
العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال في الموت قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم قال الله يتوفى الانفس حين
موتها وقال افرايتم ما تحرثون اضاف الينا ثم قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقال
فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيه من روحنا وكان النافخ جبريل وكما قال فاذا قراناه فاتبع قرانه
قيل في التفسير معناه اذا قراه عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب
هو عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا
ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون به الرب راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال الذي
علم بالقلم وقال الرحمن علم القران وقال علمه البيان وقال ان علينا بيانه وقال افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب

اذكر

اذكر ام انثى اسوي ام معوج فيقول الله ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ اخر ويصور الملك ثم ينفخ فيها الروح بالسعادة او بالشقاوة
وقد قال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه ليتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه
روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده ارباب القلوب ببصائرهم واما كون الروح عبارة
عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القران الادلة والايات في الارض والسموات
ثم قال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق
الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي
لما عرفت ربي وهو معنى قوله اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقد وصف الله سبحانه نفسه بانه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحيوة
الى ملكين ففي الخبر ان ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء وقال ملك الحياة انا احيي الاموات فاوحى
الله اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المميت والمحيي لا يميت ولا يحيي سواي فاذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة
فلا تتناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله التمرة خذها لو لم تاتها لاتتك اضاف الاتيان اليه واليها
ومعلوم ان التمرة لا تاتي الا على الوجه الذي ياتي به الانسان اليها ولذلك لما قال التائب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد قال
عرف الحق لاهله فكل من اضاف الكل الى الله تعالى فهو المحق الذي عرف الحق والحقيقة لاهلها ومن اضافه الى غيره فهو المتجوز المستعير
في كلامه وللتجوز وجه كما ان للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن ان الانسان مخترع بقدرته
فسماه فاعلا لحركته وظن انه تحقيق وتوهم ان نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة
الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان كان الفاعل قد وضعته ايها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا
الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز اي تجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا
صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد **قوله** الا كل شيء ما خلا الله باطل اي
كل ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذا لا حق بالحقيقة
الا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان ولم
تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الان كما لم تكن فانه اليوم كما كان **فان قلت** فقد ظهر ان الكل
جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك قد اشرنا اليه في كتاب الشكر
ولا نطول باعادته فهذا هو القدر الذي راينا الرمز اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمة والحكمة فان
التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سياتي
الا بالثقة بالوكيل وطمانينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين
فيه طويل فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يستريب فيه وهو ان يصدق تصديقا يقينا لا
ضعف فيه ولا ريب ان الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحمله نفوسهم وافاض عليهم
من الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم حكمة وعقلا ثم كشف لهم عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم
دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا
من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والاخرة جناح
بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يرفع فيها ذرة او يخفض فيها ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او ضر او فقر او عمى او بلية ولا ان يزال صحة او
كمال او غنى او نفع عمن انعم به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما راوا فيها
من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله بين عباده من رزق واجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله
عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا
احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا
يناقض الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان في الدنيا وزيادة في الاخرة وكل نقص في الاخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة
الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لم يتنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان فداء
ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فلذلك تعظيم النعم على سكان

الخلق بتعظيم العقوبة على أهل النيران فداء لأهل الإيمان بأهل الكفران عين العدل ولما لم يعرف الناقص لم يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الإنس فإن الكمال والنقص يظهر بالإضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما أن قطع اليد إذا تآكلت إبقاء على الروح عدل لأنه فداء كامل بناقص فكذلك الأمر في التفاوت بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم واسع الأطراف مضطرب الأمواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا أن ذلك غامض لا يعقله إلا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الأكثرون ومنع من إفشاء سره المكاشفون والحاصل أن الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضى الله واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام التوكل ولنرجع إلى علم المعاملة

الشطر الثاني

من الكتاب في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في إزالة الضرر بالتداوي وغيره

بيان حال التوكل

قد ذكرنا أن مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فأما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وإنما العلم أصله والعمل ثمرته وقد أكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كما جرت عادة أهل التصوف به ولا فائدة في النقل والإكثار ولنكشف الغطاء عنه فنقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أي فوض أمره إليه واعتمد عليه ويسمى الموكول إليه وكيلا ويسمى المفوض إليه متكلا عليه ومتوكلا عليه ومهما اطمأنت إليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلا فمن ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثق القلب مطمئن النفس بتوكيله إلا إذا اعتقد فيه أربعة أمور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة أما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء وأما القدرة والقوة فليستجرئ على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن فإنه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب من التصريح به وأما الفصاحة فهي أيضا من القدرة إلا أنها قدرة في اللسان على الإفصاح عن كل ما استجرأ القلب عليه وأشار إليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس وأما منتهى الشفقة فيكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه في حقه فإن قدرته لا تغني دون العناية إذا كان لا يهمه أمره ولا يبالي به ظفر بخصمه أو لم يظفر هلك به حقه أو لم يهلك فإن كان شاكا في هذه الأربعة منه لم يطمئن نفسه إلى وكيله بل يبقى منزعج القلب مستغرق الحيلة والتدبير ليتدارك ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت أحوال المتوكلين في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتا لا ينحصر إلى أن ينتهي إلى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي سعى لجمع الحلال والحرام لأجله فإنه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الأربعة قطعية وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع بها وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الأخبار بأنه أفصح الناس لسانا وأقواهم بيانا وأقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فإذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس التوكل على الله عليه فإن ثبت في نفسك بكشف أو باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد وبالآحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فإن الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه أحد أمرين إما ضعف اليقين بإحدى هذه الخصال الأربعة وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه فإن القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له عن غير نقصان في اليقين فإن من يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل أن يبيت مع الميت في قبر أو فراش أو بيت نفر طبعه وإن كان متيقنا بكونه ميتا وأنه جماد في الحال وأن سنة الله مطردة بأنه لا يحشره الآن ولا يحييه وإن كان قادرا عليه كما أنها مطردة بأن لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور أسدا وإن كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين فينفر طبعه عن مضاجعة الميت في البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الإنسان عن شيء منه وإن قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه فإذا لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته والسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس أن يكون مشاهدا إحياء الميت بعينه ليثبت في خياله فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ بالآخرة درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب فإن اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده وكذلك النصراني ولا يقين لهم أصلا وإنما يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون عنه فإذا الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع اليقين معهما فهي أحد الأسباب التي تضاد حال التوكل كما أن ضعف اليقين بالخصال الأربعة أحد الأسباب وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته إنسان مثله وقد قال عليه السلام من اعتز بالعبيد أذله الله وإذا انكشف معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات

الدرجة الأولى ما ذكرناه وهو أن يكون حاله في حق الله والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل

الثانية وهي أقوى وهو أن يكون حاله مع الله كحال الطفل في حق أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى سواها ولا يعتمد إلا إياها فإن رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها فإن نابه أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه يا أماه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فإنها مفزعه لأنه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك بالتمييز الذي له ويظن أنه طبع من حيث إن الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلفيق لفظه ولا على إحضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الإدراك فمن كان باله إلى الله ونظره إليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بأمه فيكون متوكلا حقا فإن الطفل متوكل على أمه والفرق بين هذا وبين الأول أن هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته بل إلى المتوكل عليه فقط ولا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه وأما الأول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله لأن له التفاتا إلى توكله وشعورا به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده وإلى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه قال ترك الأماني قيل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو إشارة إلى الدرجة الثانية وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه

الثالثة وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي يرى نفسه أنه مجرى للحركة والقدرة والإرادة والعلم وسائر الصفات وأن الكل يحدث جبرا فيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فإن الصبي يفزع إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل هو مثال صبي علم أنه وإن لم يزعق بأمه فالأم تطلبه وأنه إن لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله وأنه إن لم يسألها اللبن فالأم تفاتحه وتسقيه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطي ابتداء أفضل مما يسأل فكم من نعمة ابتدأها قبل الدعاء وقبل الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وإنما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط

فإن قلت فهذه الأحوال هل يتصور وجودها فاعلم أن ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث أعزها والأول أقرب إلى الإمكان ثم إذا وجد الأول والثاني فدوامه أبعد منه بل لا يكاد يكون المقام الثالث في دوامه إلا كصفرة الوجل فإن انبساط القلب إلى ملاحظة الحول والقوة والأسباب طبع وانقباضه عارض كما أن انبساط الدم إلى جميع الأطراف طبع وانقباضه عارض والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة إلى الباطن حتى يختفي عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت تتراءى من وراء رقيق البشرة حمرة الدم فإن انقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم فكذلك انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الأسباب الظاهرة لا يدوم وأما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فإنه قد يدوم يوما ويومين والأول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول

فإن قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب في هذه الأحوال فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير إلا من حيث الفزع إلى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بأمه فقط والمقام الثالث لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فإنه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار إليه وكيله به أو التدبير الذي أشار إليه وكيله بها والتدبير الذي عرف من عادته وسنته دون صريح إشارته فأما الذي عرفه بإشارته بأن يقول لست أتكلم إلا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله عليه إذ ليس

هو نزوعا منه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحجة الى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه
ولا معتمدا الا على قوله لما حضر بقوله. واما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو كعلمه من عادته ان لا يحاج الخصم الا من السجل فتمام توكله ان
كان متوكلا عليه ان يكون معولا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاها وهو ان يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذا لا يستغني عن
التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيا من ذلك كان نقصا في توكله فكيف يكون فعله نقصا نعم بعد ان حضر وفا بانا
واحضر السجل وفا لسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد انتهى الى المقام الثالث والثالث في حضوره حتى بقي كالمبهوت المنتظر
لا يرجع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول وقوة وقد كان رجوعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل بامارة الوكيل ومشيته وقد
انتهى نهايته فلم يبق الا طمانينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري. واذا تاملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وفهمت
انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كل تدبير وعمل لا يجوز ايضا مع التوكل بل هو على الانقسام وسياتي تفصيله في الاعمال
واذا رجع الموكل الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا
وتعبا محضا بلا جدوى فاذا لم ير نفسه مغنيا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله مفيدا لمحاجته وعرفه ذلك باماراته
وسنته فاذا لا حول ولا قوة له الا بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا يحسن اطلاقها في حق الوكيل لانه ليس خالق حوله وقوته بل هو جاعلهما
مفيدين في انفسهما ولم يكونا مفيدين لولا جعله وانما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق
في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما يستحصل بعدهما من الفوايد والمقاصد فاذا لا حول ولا قوة الا بالله حقا
صدقا لمن شاهد هذا ولذلك كان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار لمن يقول لا حول ولا قوة الا بالله وذلك قد يستبعد
فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب لمفهوم لفظها وهيهات فان ذلك
جزا على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله وثوابها كنسبة احدهما
الى الاخر اذ هي في هذه الكلمة اضافة شيين الى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة. واما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة الكل اليه
فانظر الى التفاوت بين الكل وبين شيين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا وكما ذكرنا ان للتوحيد قشرين ولبابين فكذلك
لهذه الكلمات وساير الكلمات واكثر الخلق قيدوا بالقشرين وما طرقوا الى اللبين والى اللبين الاشارة بقوله من قال لا اله الا
الله صادقا مخلصا وجبت له الجنة وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص اراد بالمطلق المقيد كما اضاف المغفرة الى الايمان
والعمل الصالح في بعض المواضع واضاف الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد المقيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بحديث حرك به
اللسان وعقد القلب ايضا حديث ولكن حديث نفس وانما الصدق والاخلاص وراهما ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم
المخلصون نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا درجات عند الله وان كان لا ينتهي الى الملك اما ترى ان الله تعالى
لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض ايضا لسرير الملك فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى
اصحاب اليمين ما زاد على ذكر الما والظل والفواكه والاشجار والحور العين وكل ذلك لذات المنظور والمشروب والماكول والمنكوح
ويتصور ذلك للبهايم على الدوام واين لذات البهايم من لذة الملك والنزول في اعلا عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات
قدر لما وضع على البهايم ولما رفع عنها درجة الملايكة افترى ان احوال البهايم وهي مسيبة في الرياض متمتعة بالمياه والاشجار وانواع
الماكولات متمتعة بالنزوان والسفاد اعلى والذ واشرف واجدر بان يكون عند ذوي الكمال مغبوطة عن احوال الملايكة في سرورهم
بالقرب من جوار الله في اعلا عليين هيهات هيهات ما ابعد عن التحصيل من اذا خير بين ان يكون حمارا او يكون في درجة جبريل فاختار
درجة الحمار على درجة جبريل وليس يخفى ان نسبة كل شي مجذوب اليه وان النفس التي نزوعها الى صنعة الاساكفة اكثر من نزوعها الى
صنعة الحاكة فهو بالاساكفة اشبه في جوهره منه بالحاكة فكذلك من نزوع نفسه الى نيل لذات البهايم اكثر من نزوعها الى نيل
لذات الملايكة فهو بالبهايم اشبه منه بالملايكة لا محالة وهولا الذين يقال فيهم اوليك كالانعام بل هم اضل وانما كانوا اضل لان
الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملايكة فتركها للعجز. واما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل الكمال احرى بان يذم
بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلبه. ومعنى لا حول ولا قوة الا بالله ومن لم يترق الا بما هو مشاهد فلا يتصور فيه حال التوكل. فان قلت
ليس في قولك لا حول ولا قوة الا بالله الا نسبة شيين الى الله فلو قال قايل السما والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فان
الان الثواب على قدر درجة المثاب ولا مساواة بين الدرجتين ولا نظر الى عظم السما والارض وصغر الحول والقوة ان كان وصفها
بالصغر تجوزا فليست بعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم ان الارض والسما ليس من جهة الادميين فهي من الله واما الحول والقوة فلله

ابرها

امرها على المعتزلة والفلاسفة وطوايف كثيرة ممن يزيد على انه يد قوي في الراي والمعقول حتى يشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة مخطر ومزلة
عظيمة هلك فيها الهالكون اذ اثبتوا لانفسهم امرا وهو شرك واثبات خالق سوى الله فمن نجا وزهدت العقبة بتوفيق الله اياه فقد عظمت
منته وعظمت درجته فهو الذي يصدق في قوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا ان للسالك في التوحيد عقبتان احدهما النظر الى
السما والارض والشمس والقمر والنجوم والمطر وساير الجمادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي اعظم العقبتين واخطرهما
وكان كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها فاذا رجع حال التوكل الى التبري من
الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكر اعمال التوكل

بيان ما قاله الشيوخ في التوكل

ليتبين ان شيا من اقوالهم لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال وقد قال ابو موسى الديلي قلت لابي يزيد ما التوكل
فقال ما تقول انت قلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد هذا قريب
ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة ينعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى فهو خبر
عن اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم
بالحكمة وهو ان ما فعله الله فعله بالواجب فلا يتميز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض
انواع العلم ووراه سر القدر وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحيات شرطا
في المقام الاول من التوكل فقد احترز ابو بكر الصديق رضي الله عنه في الغار اذ سد منافذ الحيات الا ان يقال فعل ذلك بيده ولم
يتغير بسببه سرا وقلبا فعل ذلك في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره وتغيره
لا بحركة اليد والنظر وهذا حال ولكن سياتي ان امثال ذلك واكثر منه لا يناقض التوكل وان حركة السر من الحيات هو الخوف
وحق المتوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله وان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وقوته وحوله في الاحتراز
بل على خالق الحول والقوة والتدبير. وسيل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب فخلع الارباب اشارة
الى علم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال
القا النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وهذه اشارة الى التبري من الحول والقوة فقط. وسيل حمدون عن التوكل فقال
ان كان لك عشرة الاف درهم وعليك دانق دين لم تامن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك ولو كان عليك عشرة الاف درهم من غير ان تترك
لها وفا لا تياس من الله ان يقضيها عنك وهذه اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات اسبابا خفية سوى
هذه الاسباب الظاهرة. وسيل ابو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السايل زدني فقال ترك كل
سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك والاول عام للمقامات الثلاث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة
وهو مثل توكل ابرهيم عليه السلام اذ قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سواله سببا يفضي الى سبب وهو حفظ
جبريل له فترك ذلك ثقة بان الله ان اراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت غايب عن نفسه بالله فلم ير معه غيره
وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه واعز. وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون
بلا اضطراب ولعله يشير الى المقام الثالث فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به واضطراب بلا
سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه الى تمام شفقتها. وقال ابو علي
الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى
بحكمه وهذه اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد
ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شي من ذلك وللشيوخ في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بها فان الكشف
انفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل

بيان اعمال المتوكلين

اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال
وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة واللحم على الوضم وهذا ظن الجهال
فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطا عنه
ونقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع
هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصايل والسارق والسباع
او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع او حفظه او

دفع الضار وقطعه فلنذكر شرط التوكل ودرجاته في كل واحد منهما مقرونا بشواهد الشرع **الفن الاول** في جلب النافع
فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به
ثقة تامة ولا تطمئن اليه **الدرجة الاولى** المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا
مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليه اليد وتقول انا متوكل وشرط التوكل
ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون وليس من التوكل
في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك
فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتا من غير بذر او تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت
مريم فكل ذلك جنون وامثال ذلك مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم
ان الله خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك. واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده
على الله لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك
في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك
عن مكانك ويفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله فبذلك فليفرح وعليه فليعول
واذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل **الدرجة الثانية** الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب ان
المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي
لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة
الاولين ولا يزول التوكل به بل يكون الاعتماد على فضل الله لا على الزاد كما سبق لكن فعل ذلك جائز وهو من اعلى مقامات التوكل
ولذلك كان يفعله الخواص **فان قلت** فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما
بشرطين **احدهما** ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا او ما يقاربه بحيث يصبر
عنه من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى **والثاني** ان يكون بحيث يتقوت بالحشيش وما يتفق من الاشياء
الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان يلقاه ادمي او ينتهي الى حلة او قرية او
حشيش يجتزي به وقته فيحيي بمجاهدته نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل
عليه ان الخواص كان لا يفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا
يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو
في البراري كما يغلب وجود الحشيش بها والماء يحتاج اليه لوضوئه في كل يوم مرات ولعطشه في يوم او يومين مرة فان المسافر مع
حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض
والابرة في البوادي عند كل صلوة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البراري فكل ما في معناه من الاسباب
ايضا الملحق بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل ان لا يتخرق الثوب او يعطيه انسان ثوبا او يجد
على راس البئر من يسقيه ولا يحتمل ان يتحرك موضعا الى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول ولهذا نقول لو انحاز
الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو اثم به ساع في اهلاك نفسه كما
روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسال احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا
فكاد يموت ولم ياته رزق فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله اليه وعزتي لا ارزقك
حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس في نفسه من
ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه
بيد قدرتي فاذا التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله مع الاتكال على الله
دون الاسباب لا يناقض التوكل بما ذكرناه مثلا في التوكل بالخصوصية ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء
بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب الاسباب لا الى السبب **فان قلت**
فما قولك في القاعد في البلد من غير كسب اهو حرام ام مباح ام مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب السياحة

اذا لم يكن مهلكا لنفسه فهذا كيف كان مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد ان ياتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن
قد يتأخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب
البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج له اولى ولكن ليس فعله حراما الا ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج
والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير متشوف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فياتيه برزقه بل تطلعه الى فضل الله
واشتغاله بالله فهذا افضل وهو من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق ياتيه لا محالة وعند هذا يستحضر ما قاله
بعض العلماء وهو ان العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سال الله تعالى ان لا يرزقه لما استجاب له وكان
عاصيا ولقال له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فقد اجمعوا ان لا رازق
ولا مميت الا الله تعالى. وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم
الجبال. وقال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر
بطونا فانظروا الى الانعام كيف قيض الله لها الخلق. وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون تجري ارزاقهم على ايدي العباد بلا تعب منهم
وغيرهم مشغولون مكدودون. وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم ياكل بذل كالسؤال وبعضهم بالتعب والانتظار
كالتجار وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فياخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة **الدرجة
الثالثة** ملابسة الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في
تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذي الناس فيه كلهم اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا
مباحا لمال مباح فاما اخذ الشبهة او الاكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا
يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهو مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة
الضار فان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون في الامصار ولا ياخذون من احد
شيئا بل وصفهم بذلك وامثال هذه الاسباب التي لا يوثق بها في المسببات مما يكثر ولا يمكن احصاؤها. وقال سهل في التوكل
انه ترك التدبير. وقال ان الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجبهم بتدبيرهم ولعله اراد به استنباط الاسباب البعيدة
بالفكر فهي التي يحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذا قد ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى
ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون وان المقطوع لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال
على مسبب الاسباب والتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل. واما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون
في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات **الاول** مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله
عليه في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه او تيسير حشيش له او قوت او تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان
الذي يحمل الزاد يمكن ان يفقد زاده او يضل بعيره فيموت جوعا فذلك ممكن في الزاد كما انه ممكن مع فقده **المقام الثاني** ان
يقعد في بيته او في مسجد ولكنه في القرى والامصار فهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة
معول على فضل الله في تدبير امره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب
الجلية الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي يسخر له سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور ان يغفلوا
جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريكهم **المقام الثالث** ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه
الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب اداب الكسب وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمانينة نفسه
الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك ربما اهلكه الله جميعه في لحظة بل نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير
اسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم
بل الى قلب الملك انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله او يفرق على المساكين فهو
ببدنه مكتسب وبقلبه منقطع عنه فحال هذا اشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعي
فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اخذ الاثواب تحت حضنه ودخل
السوق ينادي حتى كره المسلمون ذلك وقالوا كيف تفعل ذلك وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني
ان غفلت عنهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك راى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق

قلوبهم واستغراق الوقت لمصالح المسلمين اولى وينبغي ان يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فدل انه
كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو ميسر الاكتساب ومدبر
الاسباب ولشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه احب
اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم
يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد قال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل
عشرين سنة وما فارقت السوق وكنت اكتسب في كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه
كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم ان الجلوس في رباطات
الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف وامروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف
ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهو اقوى ولكنه بعد اشتهار القوم بذلك فقد
صار سوقا لهم فهو كدخول السوق ولا يكون متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فالافضل ان يقعد في بيته او يخرج ويكتسب
فاعلم انه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف
نفسه الى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله فالقعود له اولى وان كان يضطرب
قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب اولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون
ياخذون ما تستشرف اليه نفوسهم كان احمد بن حنبل قد امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استاجره عليه فرده
فلما ولى قال له احمد الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه فاخذه فسأله احمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج
انقطع طمعه وايس فاخذ • وكان الخواص اذا نظر الى عبد في العطاء وخاف اعتياد النفس له لم يقبل منه شيئا • وقال الخواص بعد ان
عن اعجب ما رآه في اسفاره رأيت الخضر ورضي بصحبتي ولكني فارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصا في توكلي فاذن للمكتسب اذا راعى
آداب الكسب وشروطه كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا فان قلت فما علامة
عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان سرقت بضاعته او خسرت تجارته او تعوق امر من اموره كان
راضيا به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب لفقده
ومن اضطرب لفقد شيء فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فتركها وذلك لان السلوكي كاتبه بلغني انك استغنيت على رزقك بالمغازل
ارأيت ان اخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من فوقع ذلك في قلبه فاخرج آلة المغازل من يده وقيل تركها لما ... وقصد
وقيل بعد ذلك لما ماتت عياله كما كان لسفيان خمسون دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقها فان قلت فكيف يتصور ان يكون
له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن فاقول بان يعلم ان الذين يرزقهم الله بغير بضاعة فيهم كثرة
وان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة وان يوطن نفسه على ان الله لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان اهلك بضاعته فهو خير
له فلعله لو تركها كانت سببا لفساد دينه وقد لطف الله به وغايته ان يموت جوعا فينبغي ان يعتقد ان الموت جوعا خير له في الآخرة
مهما قضى الله عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم
بامر من امور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه
من سبقني من دهاني وما هو الا رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما
خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري لي من كل مقام
نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال
ما ادركته ولعله اراد ادراك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وبان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى
وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات
الدين من الاحوال والاعمال تنبني على اصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك
قال سهل من طعن على الكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن على التوحيد فان قلت فهل من دواء
ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الاسباب الخفية فاقول هو ان يعرف
ان سوء الظن بالله في تيسير الاسباب الخفية تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر

ويامركم

ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء
الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل
التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية ايضا يبطل التوكل • وقد حكي عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال
له الامام لو اكتسبت لكان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد ثلاثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين
فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين يدي الله تعالى وبين العباد مع هذا النقص
في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق • وقال امام لبعض المصلين من اين تأكل فقال يا شيخ اصبر
حتى اعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم اجيبك وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من لطف الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان
يسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق الى صاحبه وفيها عجائب قهر الله تعالى في اهلاك اموال التجار والاغنياء
وقتلهم جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي وكان قد خدم ابراهيم بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رأيت منه فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد
طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابراهيم فقال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال علي بدواة
وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم • انت المقصود اليه بكل حال • والمشار اليه بكل معنى •
انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جائع انا ضائع انا عار • هي ستة وانا الضمين لنصفها • فكن الضمين لنصفها يا باري •
مدحي لغيرك لهب نار خضتها فاجر عبيدك من دخول النار • ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى
اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته فاخذها فلما قرأها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في
المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا فسألته عنه فقال هو نصراني فجئت الى ابراهيم فاخبرته بالقصة فقال
لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني فاكب على رأس ابراهيم فقبله واسلم • وقال ابو يعقوب الاقطع البصري جعت
بالحرم مرة عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيئا يسكن ضعفي فرأيت سلجمة مطروحة فاخذتها
فوجدت في قلبي منها وحشة وكأن قائلا يقول لي جعت عشرة ايام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد
فقعدت فاذا انا برجل اعجمي قد اقبل فجاء حتى جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني بها فقال اعلم انا كنا في البحر
منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصني الله تعالى ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من المجاورين وانت
اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها سميد مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من هذا وقبضة من هذا وقبضة
من هذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني اليهم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة ايام وانت تطلبه من الوادي
وقال ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل قلبي بسببه فرأيت في النوم كأن قائلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك
الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم • وحكي عن بنان الحمال قال كنت بطريق مكة اجيء من مصر
ومعي زاد فجاءتني امرأة وقالت لي يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت زادي ثم اتى علي ثلاث لم آكل
فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجيء صاحبه فربما يعطيني شيئا فارده فاذا انا بتلك المرأة فقالت لي انت تاجر تقول
حتى يجيء صاحبه فآخذ منه شيئا ثم رمت الي شيئا من الدراهم وقالت انفقها فاكتفيت بها الى قريب من مصر • ويحكى عنه انه
احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجيء النفر فنشتري ما يوافق فلما ورد النفر اجتمع رأيهم على
واحدة وقالوا ان هذه تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه
امرأة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة • وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل الله
به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم يأكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم يأكله وبقي القرص معه • وقال ابو
سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم افكرت في نفسي اني سكنت و
اتكلت على غيره فآليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفيرة وواريت جسدي فيها الى صدري فسمعوا صوتا
عاليا في نصف الليل يا اهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية • وروي
ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال له عمر يا هذا هاجرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر
فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال له عمر اني اشتقت اليك فما الذي شغلك عنا فقال
اني قرأت القرآن فاغناني عن عمر وعن آل عمر فقال رحمك الله فما وجدت فيه فقال وجدت وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي

في السما وانا اطلبه من الارض فبكى عمر فقال صدقت وكان عمر يأتيه ويجلس اليه • وقال ابو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين
فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بير فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس
البير رجلان فقال احدهما للاخر تعال حتى نسد راس هذا البير لئلا يقع فيه احد فاتوا بقصب وبارية فطموا راس البير فهممت ان اصيح
ثم قلت في نفسي الى من هو اقرب منهما وسكنت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشي قد جا وكشف راس البير وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي
في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت
وانا اقول — نهاني حيائي عنك ان اكشف الهوى • واغنيتني بالفهم منك عن الكشف •
• تلطفت في امري فابديت شاهدي • الى غايبي واللطف يدرك باللطف •
تراءيت لي بالغيب حتى كانما • تبشرني بالغيب انك في الكف • اراك وبي من هيبتي لك وحشة • فتونسني باللطف منك وبالعطف
• وتحيي محبا انت في الحب حتفه • وذا عجب كون الحيوة مع الحتف • وامثال هذه الوقايع مما يكثر واذا قوي الايمان به وانضم
اليه القدرة على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر و قوي الايمان بانه ان لم يسق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله ولذلك
حبسه عنه تم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم اصلا **بيان توكل المعيل** اعلم ان من له عيال فحكمه يباين
المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين **احدهما** قدرته على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والاخر ابواب من الايمان
ذكرناها من جملتها ان يطيب نفسا بالموت ان لم ياته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة في
الاخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين وهو رزق الاخرة فبهذا تم التوكل ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر عندهم
الايمان بالتوحيد وبان الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك سائر ابواب الايمان فاذن لا يمكنه في حقهم
الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر رضي الله عنه اذ خرج للكسب فاما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم او
القعود عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مواخذا بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين
عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الاخرة فله ان يتوكل في
حقه ونفسه ايضا عيال عنده لا يجوز له ان يضيعها الا ان تساعده على الصبر مع الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه
قلبه وتتشوش عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي قد مد يده الى قشر بطيخ ليأكله
بعد ثلاثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام اكثر من
ثلثة ايام وقال ابو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذا بدنه عياله
وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يفارقه في شي وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد
انكشف من هذا ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تاخر الرزق وملازمة
الامصار والبلاد او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب البقا ولكن مع نوع من الاذى كثير
الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس
عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم يعدوا اولئك اسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل
الاخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله
تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما
ترى الجنين في بطن امه لما كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى ينتهي اليه فضلات غذا الام بواسطة السرة ولم يكن
ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله اليه بما اشتعل في قلبها من
نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذا
الكثيف فدر له اللبن اللطيف في ثدي امه عند انفصاله على حسب حاجته افكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا صار
بحيث يوافقه الغذا الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل يسر له اسباب العلم وسلوك
سبيل الاخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقصت اسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب
والان قد قدر فزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخص واحد وهي الام او الاب وكانت شفقته مفرطة جدا وكان
يسقيه ويطعمه في اليوم مرة او مرتين وكان اطعامه بتسليط الله الشفقة والحب على قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة

والمودة

والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا احس بمحتاج تالم قلبه ورق عليه وانبعثت له
داعية الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والان المشفق عليه الف وزيادة ولو كانوا لا يشفقون عليه لانهم راوه في كفالة الام وهي
مشفق خاص فلما راوه محتاجا ولو راوه يتيما لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى ياخذونه ويكفلونه فما راي الى الان
في الخصب يتيم وقد مات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده
فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبي وقد كان المشفق واحدا والمشفق الان الالف نعم كانت شفقة الام اقوى
واحظى ولكنها واحدة وشفقة احاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله له حالا هو احسن من حال
من له ام واب فيجبر ضعف شفقة الاحاد بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد احسن الشاعر حيث قال —
جرى قلم القضا بما يكون • فسيان التحرك والسكون • جنون منك ان تسعى لرزق • ويرزق في غشاوته الجنين •
فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا لصباه واما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجتهد لنفسه فاقول —
ان كان هذا القادر بطالا فما قالوه حق وهو اهل الكسب ولا حظ له في التوكل فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله
فما للبطال والتوكل وان كان مشتغلا بالله ملازما للمسجد او للبيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك
بل اشتغاله بالله يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته وانما عليه ان لا يغلق الباب ولا يهرب الى الجبل من الناس وما راي الى
الان عالم او عابد استغرق الاوقات بالله وهو بالامصار فمات جوعا قط بل لو اراد ان يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله
كان الله له ومن اشتغل بالله القى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها فقد دبر الله الملك والملكوت تدبيرا كافيا
لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وامن ونظر الى مسبب الاسباب نعم ما دبره تدبيرا يصل الى المشتغل به
الحلوا والطيور والثمار والثياب الرقيقة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يتفق ذلك ايضا في بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا
يصل الى كل مشتغل بعبادة الله في كل اسبوع قرص شعير او حشيش ما وله لا محالة والغالب انه يصل اكثر بل يصل ما يزيد على الحاجة والكفاية
فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاطعمة اللطيفة وليس ذلك من طريق الاخرة
وذلك قد لا يحصل من غير اضطراب وهو في الغالب ايضا ليس يحصل بالاضطراب وضعف من انفتحت بصيرته ولذلك لا يطمين في الـ
اضطرابه الى المدبر الملك تدبير الاحيا وزعيم من عباده برزقه وان سكن الا نادرا وذو اعظمها يتصور مثله في حق المضطرب فاذا
المستغني عن الاضطراب وكان يجد قوة في القلب وشجاعة امرها قال الحسن البصري اذ قال وددت ان اهل البصرة في عيالي وان
حبة بدينار وقال وهب بن الورد لو كانت السما نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك فاذا فهمت هذه الامور
فهمت ان التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكر عن جهل فاياك
ان تجمع بين الافلاسين الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذن عليك القناعة بالنزر القليل والرضا بالموت
فانه ياتيك لا محالة وان فررت منه وعند ذلك على الله ان يبعث اليك رزقك على يد من لا تحتسب فان اشتغلت بالتقوى والتوكل
شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فان اشتغلت بالتقوى الا انه لم يتكفل
ان يرزقه لحم الطير ولذيذ الاطعمة فما ضمن الا الرزق الذي يدوم به حيوته وهذا المضمون يحصل لكل من اشتغل بالضامن ووثق بضمان
الضامن فان الذي احاط به تدبير الله من الاسباب الخفية للرزق اعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى
اليها وذلك لان ظهوره على الارض وسببه في السما قال الله تعالى وفي السما رزقكم وما توعدون واسباب السما لا يطلع عليها ولهذا
دخل جماعة على الجنيد فقالوا انطلب الرزق قال ان علمتم اي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسال الله ذلك قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه
فقالوا ندخل البيت فنتوكل وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز
كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي الى ان اسال الله تعالى صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول —
• ويسالنا القوي صبرا وجهدا • كانا لا نراه ولا يرانا • ويزعم انه منا قريب • وانا لا نضيع من اتانا • فقد فهمت ان من انكسر نفسه
نور قلبه ولم يضعف بالجبن وقوي ايمانه بتدبير الله تعالى كان مطمين النفس ابدا واثقا بالله فان اسوا احواله ان يموت فلابد وان ياتيه
الموت كما ياتي من ليس متوكلا فاذا اتمام التوكل بقناعة من جانب ووفا بالمضمون من جانب والذي ضمن رزق القانعين بهذه الاسباب التي
دبرها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الموعد عجيبا بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك ولا تكون
في توكلك منتظرا للاسباب بل للمسبب للاسباب كما لا يكون منتظر القلم الكاتب بل لقلب الكاتب فانه اصل حركة القلم والمحرك الاول

واحد فلا ينبغي ان يكون النظر الا اليه وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد ويتعد في الامصار وهو خامل ● فاما الذي له ذكر بالعلم والحلم فاذا اقنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ وبثوب خشن يليق باهل الدين فهذا يأتيه رزقه من حيث لا يحتسب على الدوام بل يأتيه اضعافه فترك التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتهاره سبب ظاهر يجلب الرزق اليه اقوى من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء اقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة ان كانوا معه الا اذا اراد ان لا يأخذ من ايدي الناس شيئا ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله بما يعطيه اولى لانه تفرغ لله واعانة للمعطي على نيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب ولذلك سال بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم

بيان احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال اعلم ان مثال الخلق مع الله مثال طائفة من السؤال وقفوا في ميدان على باب قصر الملك يحتاجون الى الطعام فاخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة وامرهم ان يعطوا بعضهم رغيفين وبعضهم رغيفا ويجتهدوا في ان لا يغفلوا عن واحد منهم وامر مناديا حتى نادى فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني اذا خرجوا اليكم بل ليسكن كل واحد في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مامورون بان يوصلوا اليكم طعامكم فمن تعلق بالغلمان واذاهم واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلا به الى ان يقدم بعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكن اخفيه ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد اخذه من يد الغلمان وهو ساكن فاني اخصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة الاخر ومن ثبت في مكانه ولكنه اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ومن اخطاه غلماني فلم اوصلوا اليه شيئا فبات الليلة جائعا غير متسخط على الغلمان ولا قائل ليته اوصل الي رغيفا فاني غدا استوزره وافوض اليه ملكي فانقسم السؤال اربعة اقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى الغد فرج ونحن الان جائعون فبادروا الى الغلمان واذوهم واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكنهم اخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلعة ● وقسم قالوا انا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطئونا ولكنا لا ناخذ اذا اعطونا الا رغيفا واحدا فنقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا ● وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى اعين الغلمان وقالوا ان تبعونا واعطونا قنعنا برغيف واحد وان اخطأونا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما نفعهم ذلك اذ تبعهم الغلمان في كل زاوية واعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك اياما حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلاثة في زاوية ولم تقع عليهم ابصار الغلمان وشغلهم شغل عاقهم عن طلب التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان واخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق فالميدان هو الحياة الدنيا وباب الميدان الموت والميعاد المجهول القيامة و بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا مات جائعا راضيا من غير تاخير ذلك الى ميعاد القيمة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المتعدي للاسباب والغلمان المسخرون هي الاسباب والجالس في مقدم الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الامصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب الى الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة فلعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون وقام ستة من العشرة الباقية في الامصار متعرضين للاسباب بمجرد حضورهم واستهدافهم وساح في البوادي ثلثة فسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كان كذلك في الاعصار السالفة واما الان فالتارك للاسباب لا يسلم له واحد من عشرة الاف

الفن الثاني في التعرض للاسباب للادخار من حصل له مال بارث او كسب او سؤال او سبب من الاسباب فله في ادخاره ثلثة احوال **الاولى** ان ياخذ قدر حاجته في الوقت فياكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا ياخذه ولا يدخر الا القدر الذي يدرك به من تشفعه ويحتاج اليه فيدخر على هذه النية فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهو الدرجة العليا **الحالة الثانية** المقابلة لهذه الخارجة عن حدود التوكل ان يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلثة الفارة والنملة وابن ادم **الثالثة** ان يدخر لاربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين ايضا وهذا اختلاف لا معنى له بل تجويز اصل الادخار نعم يجوز ان يظن ظان

ان

ان امل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بتعيين ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذا السابقون واعالي اصحاب درجات اليمين تلاصق اسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل ولما عدم امل البقا فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده اما الناس متفاوتون في طول الامل وقصره واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل اكثر من شهر كان اقرب الى المقصود ممن يامل سنة وتقييده بالاربعين لاجل ميعاد موسى عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما يرخص الامل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين يوما لسر جرت به وبامثاله سنة الله في تدريج الامور كما قال خمرت طينة ادم بيدي اربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة لتتخمر كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر فاذا ما وراء السنة لا يدخرها الا محكم ضعف القلب والركون الى ظاهر الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بلطائف التدبير من الوكيل الحق بخبايا الاسباب فان اسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن كان امله شهرين لم يكن امله درجة من امله شهرا ولا درجة من امله ثلثة اشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل فالافضل ان لا يدخر اصلا فان ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله اكثر وقد روي في الفقير الذي امر صلى الله عليه عليا واسامة بغسله وكفنه ببرديه فلما دفنه قال لاصحابه يبعث يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وما هي يا رسول الله قال كان صواما قواما كثير الذكر لله تعالى غير انه كان اذا جاءه الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاءه الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث ولبس الكوز والشفرة وما يحتاج اليه على الدوام في معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة وثوب الشتاء لا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى ايدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والفكر فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له اولى لان المقصود اصلاح القلوب لتتجرد لذكر الله تعالى ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله والا فالدنيا بعينها غير محذورة ولا وجودها وعدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون واهل الحرث والصناعات فلم يامر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعى الكل الى الله وارشدهم الى فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله وعمدة الاشتغال باسم القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما ان صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد ● فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وادخار اكثر من ذلك مبطل التوكل لان الاسباب تتكرر بعد تكرر السنين فادخار ما يزيد على ذلك سببه ضعف قلبه وذلك يناقض التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر شيئا لغد ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال له اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبأ والاقتداء بسيد المتوكلين عليه السلام وقد كان يقصر امله حتى كان اذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وكان عليه السلام لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولكنه تركه تعليما للاقوياء من امته فان اقوياء امته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر لعياله سنة لا لضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليبين ذلك للضعفاء من امته ثم اخبر ان الله يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى الياس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما ارسل صلى الله عليه الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال عليه السلام فتشوا ثوبه فوجد دينارين في داخل ازاره فقال عليه السلام كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين لان حاله يحتمل حالين احدهما انه اراد كيتين من النار كما قال فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وهذا اذا كان حاله اظهار الزهد والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس ● والثاني ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى

النقصان عن درجة كماله كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه وذلك ان الكيتين عن لبستين فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان
عن درجته في الاخرة اذ لا يوتى احد من الدنيا شيا الا نقص بقدره في الاخرة **واما بيان** الادخار مع فراغ القلب عن المدخر
ليس من ضرورته بطلان التوكل ويشهد له ما روي عن بشر • قال الحسين المغازلي من اصحابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل
كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رايته قام لاحد غيره قال ودفع الي كفا من دراهم فقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر
عليه من الطعام الطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجيت بالطعام فوضعته فاكل منه وما رايته اكل مع غيري قال فاكلنا حاجتنا
وبقي من الطعام شي كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت
نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذاك اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر
معه الادخار

الفن الثالث

في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف اعلم ان الضرر قد يعرض للخوف
في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة راسا • اما في النفس فكالنوم في الارض المسبعة او في مجرى السيل
من الوادي او تحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فايدة نعم تنقسم هذه
الاسباب الى مقطوع بها والى مظنونة والى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي
والرقية فان الكي والرقية قد يتقدم على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للضرر
من البرد المتوقع وكذلك ما في معناها من الاسباب نعم الاستظهار باكل الثوم مثلا عند الخروج الى السفر في الشتا تهييجا للحرارة
من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة ولترك الاسباب الدافعة وان كان مقطوعا
وجه اذا ناله الضرر من انسان فانه اذا امكنه الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال تعالى فاتخذه وكيلا
واصبر على ما يقولون وقال ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون • وقال ودع اذاهم وتوكل على الله • وقال فاصبر
كما صبر اولو العزم من الرسل • وقال نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس • اما الصبر على اذى الحيات
والعقارب وترك دفعها ليس من التوكل في شي اذ لا فايدة فيه ولا يراد السعي ولا ترك السعي لعينه بل لاعانته على الدين وترتب الاسباب
ههنا كترتيبها في الكسب وجلب المنافع فلا نطول بالاعادة وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت
عند الخروج ولا بان تعقل البعير لان هذه اسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي
لما اهمل البعير وقال توكلت على الله فقال عليه السلام اعقلها وتوكل • وقال تعالى خذوا حذركم • وقال في كيفية صلوة الخوف وليأخذوا
اسلحتهم • وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل • وقال لموسى صلى الله عليه فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل
اختفا عن اعين العدو ونوع تسبب • واختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار اختفا عن اعين الاعدا دفعا للضرر واخذ
السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه **فان قلت** فقد حكي
عن جماعة ان الاسد وضع يده على كتفه ولم يتحرك **فاقول** قد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه ولا ينبغي
ان تغتر بذلك فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتدا بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك
شرطا في التوكل وفيه اسرار لا تقف عليها ما لم تنته اليه **فان قلت** وما من علامة اعلم بها اني قد وصلت اليه **فاقول**
الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات السابقة على ذلك المقام ان تسخر لك كلب هو معك في اهابك يسمى الغضب فلا يزال
يعضك ويعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج واشلي لم يسترسل الا باشارتك وكان مسخرا لك فربما ترتفع درجتك
الى ان يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك اولى بان يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب اهابك اولى بان يسخر
اولا من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر **فان قلت** فاذا اخذ المتوكل سلاحه
حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من ان ينطلق فباي اعتبار يكون متوكلا **فاقول** يكون متوكلا بالعلم
والحال فاما العلم فهو ان تعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل بدفع الله اياه فكم من باب يغلق ولا يغني وكم
من بعير يعقل فيموت او يفلت وكم من اخذ سلاحه يقتل او يغلب فلا تتكل على هذه الاسباب اصلا بل على مسبب الاسباب كما ضربنا المثل في
الوكيل في الخصومة فانه وان حضر واحضر السجل فلا يتكل على نفسه وعلى سجله بل على كفاية الوكيل وقوته • واما الحال فهو ان يكون
راضيا بما يقضي الله تعالى في بيته ونفسه ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت من ياخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا

ادري ان ما اعطيتني هبة فلا استرجعها او عارية او وديعة فلا استردها ولا ادري انها رزقي او سبقت مشيتك في الازل بانه رزق
غيري وكيفما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب تحصنا من قضايك ولا تسخطا له بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب
فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرنا علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير واخذ السلاح واغلاق
الباب ثم اذا عاد فوجد ما في البيت ينبغي ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا
او فرحا بذلك علما بانه ما اخذ الله منه الا ليزيد رزقه في الاخرة فقد صدق مقامه في التوكل وظهر له صدقه وان تالم قلبه به ووجد قوة
الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا ياسف على ما فات من الدنيا
ولا يفرح بما ياتي بل قد يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه
في الطلب والتجسس وان لم يقدر على ذلك حتى تادى بتعليبه واظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له
في ذنبه من حيث انها اظهرت له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه في
دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة امارة بالسوء ومدعية للخير **فان قلت** فكيف يكون للمتوكل مال حتى يوخذ **فاقول**
المتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة ياكل فيها وكوز يشرب فيه واناء يتوضا منه وجراب يحفظ به زاده وعصى يدفع بها عدوه وغير
ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يمسكه ليجد محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا
لتوكله وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه او الجراب الذي فيه زاده وانما ذلك في الماكول وفي كل مال زايد على قدر الضرورة
لان سنة الله جارية بوصول الخبز الى الفقراء والمتوكلين في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والامتعة في كل يوم ولا
في كل اسبوع والخروج عن سنة الله ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص ياخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون
الزاد لان سنة الله جارية بالفرق بين الامرين **فان قلت** فكيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا ياسف
عليه فان كان لا يشتهيه فلم امسكه واغلق الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتاذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين
ما يشتهيه **فاقول** انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه
لما رزقه الله ولما اعطاه اياه واستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن بالله مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب دينه ولم يكن ذلك
منه مقطوعا به اذ يحتمل ان يكون خيرته في ان يبتلى بفقده حتى يتعب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب فلما اخذه الله
تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله علم ان الخيرة لي كانت في وجوده
الى الان والخيرة الان في عدمه لما اخذه مني فبمثل هذا يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث انها
اسباب بل من حيث ان الله ميسر الاسباب عناية ولطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم اليه
الغذا فرح وقال لولا انه عرف ان الغذا ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربه الي وان اخر عنه الغذا فهو بعد ذلك ايضا فرح به وقال
لولا ان الغذا يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق
بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا
يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ولذلك ينبغي ان لا يبالي
المتوكل بسرقة متاعه او لا يسرق فانه لا يدري ايهما خير له لا في الدنيا ولا في الاخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان
وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غناه حتى يقول ليتني كنت فقيرا **بيان اداب المتوكلين اذا سرق متاعهم** للمتوكل اداب في متاع
بيته اذا خرج عنه الاول ان يغلق بابه ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وجمعه اغلاقا كثيرة فقد
كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول لولا الكلاب ما شددته ايضا **الثاني** ان لا يترك في البيت متاعا يحرص
عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم اذا امساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة قال له
خذها فلا حاجة لي فيها قال لم قال يوسوس لي العدو ان اللص قد اخذها فكانه احترز من ان يعصي السارق ومن شغل قلبه بوسواس
الشيطان بسرقتها ولذلك قال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا فما عليه من اخذها **الثالث**
ان ما يضطر الى تركه في البيت ينبغي ان ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما ياخذه السارق
فهو منه في حل وهو في سبيل الله وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى ويكون نيته شيان لو اخذه غني
احدهما ان يكون ماله مانعا للسارق من المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام لما ان جعله

في حل والثانية أن لا يظلم مسلماً آخر فيكون ما أخذه فدا مال مسلم آخر ومهما نوى حراسة ماله غيره بمال نفسه أو نوى دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح المسلمين وامتثل قوله صلى الله عليه انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ونصرة الظالم أن تمنعه عن الظلم وعفوه عنه اعدام الظلم ومنع له وليتحقق أن هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه إذ ليس فيه ما يسلط السارق ولا يغير القضا الأزلي ولكنه تحقق بالزهد نيته فإن أخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لأنه نواه وقصده وإن لم يؤخذ حصل له الأجر أيضاً كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل وأقر النطفة قرارها أن له أجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش وقتل في سبيل الله وإن كان لم يولد له لأنه ليس إليه في أمر الولد إلا الوقاع فأما الخلق والحياة والرزق والبقا فليس إليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم يعدم فكذلك أمر السرقة **الرابع** أنه إذا وجد المال مسروقاً فينبغي أن لا يحزن بل يفرح إن أمكنه ويقول لولا أن الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ثم إن لم يكن قد جعله في سبيل الله فلا يبالغ في طلبه وإساءة الظن بالمسلمين وإن كان قد جعله في سبيل الله فلا يبالغ في طلبه فيترك طلبه فإنه قد قدمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة وإن أعيد عليه فالأولى أن لا يقبله بعد أن كان جعله في سبيل الله وإن قبله فهو ملكه في ظاهر العلم لأن الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير مستحب عند المتوكلين وقد روي أن ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى أعيا ثم قال في سبيل الله تعالى ثم دخل المسجد فصلى ركعتين فجاء رجل فقال يا أبا عبد الرحمن إن ناقتك في مكان كذا فلبس نعليه ثم قال أستغفر الله وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها فقال إني كنت قلت في سبيل الله ● وقال بعض الشيوخ رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازلي فرأيتها قال وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد دخلت الجنة وغفر لك وأنت حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم إني لا أزال حزيناً إلى يوم القيمة قلت ولم قال إني لما رأيت منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى منادٍ من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له إنما هذه لمن أمضى السبيل فقلت وما إمضاء السبيل فقيل لي إنك كنت تقول للشيء إنه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضيناه لك ● وحكي عن بعض العباد بمكة أنه كان نائماً بجنب رجل معه هميان فانتبه الرجل وفقد هميانه فاتهمه به فقال كم كان في هميانك فذكره فحمله إلى البيت ووزنه من عنده ثم أعلمه أصحابه أنهم كانوا أخذوا الهميان مزاحاً معه فجاء هو وأصحابه يردون الذهب فأبى وقال خذوه حلالاً طيباً فما كنت لأعود في مال أخرجته في سبيل الله فلم يقبله فألحوا عليه فدعا ابناً له وجعل يصرها صرراً ويبعث بها إلى الفقرا حتى لم يبق منه شيء فهكذا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رغيفاً ليعطيه فقيراً فغاب عنه كره أن يرده إلى البيت بعد إخراجه فيعطيه فقيراً آخر وكذلك يفعل في الدراهم وسائر الصدقات **الخامس** وهو أقل الدرجات أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالأخذ فإن فعل فقد بطل توكله ودل على كراهته وتأسفه على ما فات وبطل زهده وإن بالغ بطل أيضاً أجره فيما أصيب به ● وفي الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر ● وحكي أن الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان ثمنه عشرين ألفاً وكان قائماً يصلي فلم يقطع صلوته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال أما إني قد كنت أراه وهو يحله قيل وما منعك أن تزجره قال كنت فيما هو أحب إلي من ذلك يعني الصلوة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيراً فإني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق له ألا تدعو على ظالمك قال ما أحب أن أكون عوناً للشيطان عليه قيل أرأيت لو رد عليك قال لا آخذها ولا أنظر إليها لأني كنت قد أحللتها له ● وقيل لآخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني أحد ثم قال إنما ظلم نفسه ألا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى أزيده شراً ● وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف فقال لا تغرق في شتمه فإن الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ● وفي الخبر إن العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم **السادس** أن يغتم لأجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله ويشكر الله تعالى إذ جعله مظلوماً ولم يجعله ظالماً وجعل ذلك نقصاً في دنياه ولا نقصاً في دينه فقد شكا بعض الناس إلى عالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال إن لم يكن غمك أنه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين ● وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن فقال أعلى الدنانير تبكي فقال لا والله ولكن على المسكين أنه يسأل يوم القيمة ولا تكون له حجة ● وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال إني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه

الفن الرابع السعي في إزالة الضرر كمداواة المرض وأمثاله ● اعلم أن الأسباب المزيلة للضرر أيضاً تنقسم إلى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع وإلى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل وسائر أبواب الطب أعني معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة وهي الأسباب الظاهرة في الطب وإلى موهوم كالكي والرقية ● أما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت ● وأما الموهوم فشرط التوكل تركه إذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم

المتوكلين وأقواها الكي ويليه الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال غاية التعمق في ملاحظة الأسباب ● وأما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالأسباب الظاهرة عند الأطبا ففعله ليس مناقضاً للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظوراً بخلاف المقطوع بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي حق بعض الأشخاص فهي على درجة بين الدرجتين ويدل على أن التداوي غير مناقض فعل رسول الله وقوله وأمره ● أما قوله فقد قال صلى الله عليه ما من داء إلا وله دوا عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام يعني الموت وقال تداووا عباد الله ● وسئل عن الدوا والرقى هل يرد من قدر الله فقال هي من قدر الله ● وفي الخبر المشهور ما مررت بملاء من الملائكة إلا قالوا مر أمتك بالحجامة ● وفي الحديث أنه أمر بها وقال احتجموا لسبع عشرة ولتسع عشرة وإحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر أن تبيغ الدم سبب الموت وأنه قاتل بإذن الله وبين أن إخراج الدم خلاص منه إذ لا فرق بين إخراج الدم المهلك من الإهاب وبين إخراج العقرب من تحت الثياب وإخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب الماء على النار لإطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل أصلاً ● وفي خبر مقطوع من احتجم يوم الثلثا لسبع عشرة من الشهر كان له دوا من داء سنة ● وأما أمره فقد أمر صلى الله عليه غير واحد من الصحابة بالتداوي والحمية ● وقطع لسعد بن معاذ عرقاً أي فصده ● وكوى سعد بن زرارة ● وقال لعلي رضي الله عنه وكان به رمد العين لا تأكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فإنه أوفق لك يعني سلقاً قد طبخ بدقيق أو شعير ● وقال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين أتأكل تمراً وأنت رمد فقال إني أكل من الجانب الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه ● وأما فعله فقد روي من حديث سبعة من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدوا كل سنة ● وتداوى عليه السلام غير مرة من العقرب وغيرها ● وروي أنه كان إذا نزل عليه الوحي صدع رأسه فكان يغلفه بالحنا ● وفي خبر أنه كان إذا خرجت قرحة جعل عليها حنا وقد جعل على قرحة خرجت به تراباً وما روي في تداويه وأمره به ذلك خارج عن الحصر وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي عليه السلام وذكر بعض العلما في الإسرائيليات أن موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا علته فقالوا لو تداويت بكذا لبرأت فقال لا أتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا إن دوا هذه العلة معروف مجرب وإنا نتداوى به فنبرأ فقال لا أتداوى فأقامت علته فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك علي فمن أودع العقاقير منافع الأشياء غيري ● وروي في خبر آخر أن نبياً من الأنبياء اشتكى علة يجدها فأوحى الله إليه كل البيض ● وشكا نبي آخر الضعف فأوحى الله إليه كل اللحم باللبن فإن فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وقد روي أن قوماً شكوا إلى نبيهم قبح أولادهم فأوحى الله تعالى إليه مرهم أن يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فإنه يحسن الولد وليفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع إذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفسا الرطب فهذا يبين أن مسبب الأسباب أجرى سنته بربط المسببات بالأسباب إظهاراً للحكمة والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الأسباب فكما أن الخبز دوا الجوع والما دوا العطش فالسكنجبين دوا الصفرا والسقمونيا دوا الإسهال ولا يفارقه إلا في أمرين **أحدهما** أن معالجة الجوع والعطش بالما والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفرا بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن أدركه بالتجربة التحق في حقه بالأول والثاني أن الدوا يسهل والسكنجبين يسكن الصفرا بشروط أخر في الباطن وأسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما تفوت بعض الشروط فيبقى عن الدوا عن الإسهال ● وأما زوال العطش فلا يستدعي سوى الما شروطاً كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الما ولكنه نادر واختلاف الأسباب أبداً ينحصر في هذين الفنين وإلا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وتسخيره وتدبيره بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر إلى مسبب الأسباب دون الطبيب والدوا فقد روي عن موسى عليه السلام أنه قال يا رب ممن الدوا والشفا فقال تعالى مني قال فما يصنع الأطبا قال يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي أو قضائي فإذاً معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون الأعمال الدافعة للضرر الجالبة للنفع ● فأما ترك التداوي رأساً وأصلاً فليس شرطاً فيه **فإن قلت** فالكي أيضاً من الأسباب الظاهرة النفع **فأقول** ليس كذلك إذ الأسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي المبرد للمحرور وأما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقل ما يعتاد الكي في أكثر البلاد وإنما ذلك عادة بعض الأتراك والأعراب فهي من الأسباب الموهومة كالرقى إلا أنه يتميز عنها بأمر وهو أنه إحراق بالنار في الحال مع الاستغنا

المتوكلين

عنه فإنه ما من وجع يعالج بالكي إلا وله دواء يغني عنه ليس فيه إحراق والإحراق بالنار جرح مخرب للبدن محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فإن سرايتهما بعيد ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى صلى الله عليه عن الكي دون الرقى وكل واحد منهما بعيد عن التوكل • وروي أن عمران بن حصين اعتل فأشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الأمير حتى اكتوى وكان يقول كنت أرى نورا وأسمع صوتا وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني • وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما أفلحن ولا نجحن ثم تاب من ذلك وأناب إلى الله تعالى فرد الله عليه ما كان يجد من أمر الملائكة • وقال لمطرف بن عبد الله ألم تر إلى الملائكة التي أكرمني الله بها قد ردها علي بعد أن كان أخبره بفقدها فإذن الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالمتوكل لأنه يحتاج في استنباطه إلى تدبير ثم هو موهوم فيدل ذلك على شدة ملاحظة الأسباب وعلى التعمق فيها

بيان أن ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه

اعلم أن الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي أيضا جماعة من الأكابر فربما يظن أن ذلك نقصان لأنه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لا يكون حال غيره في التوكل أكمل من حاله • وقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال الطبيب نظر إلي وقال إني فعال لما أريد • وقيل لأبي الدرداء في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا ألا ندعو لك طبيبا قال الطبيب أمرضني • وقيل لأبي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال إني عنهما مشغول فقيل لو سألت الله أن يعافيك فقال أسأله فيما هو أهم علي منهما • وكان أصاب الربيع بن خيثم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الأطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئا • وكان أحمد بن حنبل يقول أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وكان به علل ولا يخبر المتطبب أيضا إذا سأله • وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال إذا دخل عليه الضر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت إليه شغلا بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه فإذن من ترك التداوي رآه قوم كثير ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وبين هؤلاء إلا بحصر الصوارف عن التداوي فنقول إن لترك التداوي أسبابا

الأول أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف أنه انتهى أجله وأن الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وتخمين وظن وتارة بكشف محقق ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب فإنه كان من المكاشفين فإنه قال لعائشة في أمر الميراث إنما هما أختاك وإنما كان لها أخت واحدة ولكن كانت امرأته حاملا فولدت أنثى فعلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بأنثى فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضا بانتهاء أجله وإلا فلا يظن به إنكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وأمر به

السبب الثاني أن يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي اشتغالا بحاله وعليه يدل كلام أبي ذر إذ قال إني عنهما مشغول وكلام أبي الدرداء إذ قال إنما أشتكي ذنوبي وكان تألم قلبه خوفا من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته أو كالخائف الذي يحمل إلى ملك من الملوك ليقتل إذا قيل له ألا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك إنكارا لكون الخبز نافعا ولا طعنا في من أكل • ويقرب من هذا اشتغال سهل رضي الله عنه حيث قيل له ما القوت فقال هو الحي القيوم فقيل إنما سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سألناك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكر قيل سألناك عن طعمة الجسد قال ما لك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا إذا دخلت عليه علة فرده إلى صانعه أما رأيت الصنعة إذا عابت ردوها إلى صانعها حتى يصلحها

السبب الثالث أن تكون العلة مزمنة والدواء الذي يؤمر به بالإضافة إلى علته موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل وإليه يشير قول الربيع بن خيثم إذ قال ذكرت عادا وثمود وفيهم الأطباء فهلك المداوي والمداوى أي إن الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في أن الطبيب المجرب أشد اعتقادا في الأدوية من غيره فيكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة وأكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم لأنه يبقى الدواء عندهم موهوما لا أصل له وذلك صحيح في بعض الأدوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر إلى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في الأسباب كالكي والرقى فيتركه توكلا

السبب الرابع أن يقصد العبد بترك التداوي استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى أو ليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على قدر إيمانه فإن كان صلب الإيمان شدد عليه البلاء وإن كان في إيمانه ضعف خفف عنه البلاء • وفي الخبر إن الله تعالى ليجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج أسود محترقا • وفي حديث من طريق أهل البيت إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضي اصطفاه • وقال صلى الله عليه تحبون أن تكونوا كالحمر الصالة لا تمرضون ولا تسقمون • وقال ابن مسعود تجد المؤمن أصح شيء قلبا وأمرضه جسما وتجد المنافق أصح شيء جسما وأمرضه قلبا فلما عظم الثناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه وكان فيهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض وإنما يمنع المرض جوارحه وعلموا أن صلواتهم قاعدا مع الصبر على قضاء الله أفضل من الصلوة قائما مع العافية والصحة ففي الخبر أن الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله فإنه في وثاقي إن أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وإن توفيته توفيته إلى رحمتي • وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس وقيل معناه ما دخل عليها من الأمراض والمصائب وإليه الإشارة بقوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم • وكان سهل يقول ترك التداوي وإن ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوي لأجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها وكان إذا رأى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع أعمال البر من الأمراض فيتداوى للقيام في الصلوة والنهوض إلى الطاعة يعجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضا بحاله أفضل من التداوي للقوة والصلوة قائما وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء فإنما هو سعة من الله تعالى لأهل الضعف ومن لم يدخل في شيء منه فهو أفضل لأنه إن أخذ شيئا ولو كان من الماء البارد يسأل عنه لم أخذه ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بأن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والمرض لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان ألمه غالبا مدهشا • وقال سهل علل الأجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة

السبب الخامس أن يكون العبد قد سبقت له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض إذا طال تكفيرا فيترك التداوي خوفا من أن يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على الأرض كالبردة ما عليه خطيئة • وفي الخبر حمى يوم كفارة سنة فقيل لأنها تهد قوة سنة وقيل للإنسان ثلاثمائة وستون مفصلا فتدخل الحمى في جميعها ويجد في كل واحد ألما فيكون كل ألم كفارة يوم • ولما ذكر صلى الله عليه كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل أن لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله وسأل طائفة من الأنصار فكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال صلى الله عليه من أذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة قال فلقد كان في الأنصار من يتمنى العمى • وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو به من كفارة ذنوبه وأزيد في درجاته

السبب السادس أن يستشعر العبد من نفسه مبادئ البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من أن يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان وطول الأمل والتسويف في تدارك الفائت وتأخير الخيرات فإن الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو إلى المعاصي وأقلها أن تدعو إلى التنعم في المباحات وهو تضييع الأوقات وإهمال الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات وإذا أراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالأمراض والمصائب ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة أو قلة أو ذلة وقد روي أن الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي أحبس به من أحب من خلقي فإذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فأي خير يزيد عليه ولم ينبغي أن يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه والعافية في ترك المعاصي فقد قال بعض العارفين لإنسان كيف كنت بعدي قال في عافية قال إن كنت لم تعص الله عز وجل فأنت في عافية وإن كنت قد عصيته فأي داء أدوى من المعصية ما عوفي من عصى • وقال علي رضي الله عنه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم ما هذا الذي أظهروه قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصي الله فيه فهو لنا عيد • وقال تعالى وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون قيل العوافي فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى فكذلك استغنى بالعافية • وقال بعضهم إنما قال فرعون أنا ربكم الأعلى لطول العافية لأنه لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته الشقيقة كل يوم لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية • وقال صلى الله عليه أكثروا من ذكر هادم اللذات • وقيل الحمى رائد الموت فهي مذكر له ودافع للتسويف • وقال تعالى أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بالأمراض

يحترزون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضين ثم لم يتب يقول ملك الموت عليه السلام يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب
وقد كان السلف كذلك يستوحشون اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس او مال وقالوا لا يخلو المؤمن في كل اربعين يوما من ان يروع
روعة ويصاب بنكبة حتى روي ان عمار بن ياسر تزوج امراة فلم تمرض فطلقها وان النبي صلى الله عليه عرض عليه امراة فذكر من وصفها حتى هم
ان يتزوجها فقيل وانها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر صلى الله عليه الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما
الصداع ما اعرفه فقال صلى الله عليه اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد في الخبر ان الحمى حظ
المؤمن من نار جهنم وفي حديث انس وعايشة يا رسول الله هل يكون مع الشهدا يوم القيمة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة
وفي لفظ الخبر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه ولا شك في ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوايد المرض راى جماعة ترك الحيلة في زواله
اذا راوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث راوا التداوي نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعله صلى الله عليه **بيان الرد على من قال ان ترك التداوي افضل بكل حال** فلو قال قايل انما فعله صلى الله عليه ليستن لغيره والا فهو حال الضعفا ودرجة الاقويا توجب ان التوكل
ترك الدوا فيقال فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم فان قيل ذلك ايضا شرط فليكن من شرطه ان لا يدفع
الحية والعقرب ولا ينحيها عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر واي فرق بينهما فان قال وذلك ايضا شرط التوكل
فيقال فينبغي ان لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لا قايل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع
ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب واجرى بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر رضي الله عنه وعن
الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا ووبا عظيما فافترق الناس
فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوبا فنلقي بايدينا الى التهلكة وقالت الطايفة الاخرى ولا نهرب من قدر الله ولا نفر من الموت فنكون
كمن قال تعالى فيهم الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فرجعوا الى عمر رضي الله عنه فسالوا عن رايه فقال نرجع ولا ندخل على
الوبا فقال له المخالفون في رايه انفر من قدر الله تعالى فقال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا وقال ارايتم لو كان
لاحدكم غنم وله شعبان احدهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجدبة رعاها
بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليساله عن رايه وكان غايبا فلما اصبحوا جا عبد الرحمن فساله عمر عن ذلك فقال
عندي يا امير المومنين فيه شي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اذا سمعتم الوبا في ارض فلا تقدموا عليه واذا وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر بذلك وحمد الله تعالى
اذ وافق رايه ورجع بالناس من الجابية واذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان امثال هذا من شروط
التوكل **فان قلت** فلم نهي عن الخروج من البلد وفيه الوبا وسبب الوبا في الطب الهوا واظهر طرق التداوي الفرار
من المضر والهوا هو المضر فلم لم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار من المضر غير منهي عنه اذ الحجامة فرار من المضر فترك
التوكل في امثاله مباح فهذا لا يدل على المقصود ولكن الذي يقدح فيه ان الهوا لا يضر من حيث انه يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام
الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرية والقلب وباطن الاحشا اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوبا على
الظاهر الا بعد طول التاثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس
الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكنه صار منهيا عنه لانه انضاف اليه
امر اخر وهو انه لو رخص للاصحا في الخروج لما بقي الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في
البلد من يسقيهم الما ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتها بانفسهم فيكون ذلك سعيا في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما
ان خلاص الاصحا منتظر فلو اقاموا لم تكن الاقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك الباقين
والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا والمومنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى الى الاشتكا ساير اعضايه فهذا هو الذي ظهر لنا
عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يوثر الهوا في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق في البلد
الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لاجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول
لانه تعرض لضرر موهوم على رجا دفع ضرر عن بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه
كسرا لقلوب بقية المسلمين وسعيا في اهلاكهم فهذه امور دقيقة من لا يلاحظها ونظر الى ظواهر الاخبار والاثار راها متناقضة عند الاكثر وما عند
الزهاد والعباد في مثل هذا يكثر واغا شرفا العلم وفضيلته لاجل ذلك **فان قلت** فترك التداوي افضل كما ذكرت فلو لم يترك رسول الله

صلى الله عليه لينال الفضل **فنقول** فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات
او احتاج الى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين او قصرت بصيرته عن الاطلاع
على ما اودع الله تعالى في الادوية من لطايف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقى او كان شغله بحاله يمنعه عن التداوي وكان التداوي يشغله
عن حاله لضعفه عن الجمع فالى هذه المعاني رجعت الصوارف عن ترك التداوي وكل ذلك كمالات بالاضافة الى نقص الخلق ونقصان بالاضافة الى
درجة رسول الله صلى الله عليه بل كان مقامه اعلى من هذه المقامات اذ كان حاله يقتضي ان تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب
وفقدها وان لم يكن له نظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لم يضره الاسباب كما ذكرنا ان الرغبة في المال نقص والرغبة
عن المال لكراهته وان كان كمالا فهو ايضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستوى المدر والذهب عنده وكان لا
يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من امساكه فانه اعلى رتبة من ان تغره الدنيا وقد عرضت له خزاين الارض
فابى ان يقبلها فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدوا اجرا على سنة الله و
ترخيصا لامته فيما تمس اليه حاجتهم مع انه لا ضرر فيه بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا من حيث
روية الدوا نافعا دون خالق الدوا وهذا قد نهي عنه ومن حيث قد يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهي عنه
والمومن في غالب الامر لا يقصد ذلك واحد من المومنين لا يرى الدوا نافعا بنفسه بل من حيث ان الله جعله سببا للنفع كما لا يرى الماء
مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوي في مقصوده حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة على الطاعة او على المعصية كان له حكمها
وان اكتسب للتنعم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعاني التي اوردناها ان ترك التداوي قد يكون افضل في بعض الاحوال وان التداوي قد
يكون افضل في بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل الا
ترك الموهومات كالكي والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين **بيان حكم التوكل في اظهار المرض وكتمانه** اعلم
ان كتمان المرض واخفا الفقر وانواع البلاء من كنوز البر وهو من اعلى المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلايه معاملة بين العبد وبين الله
فكتمانه اسلم عن الافات ومع هذا فالاظهار لا باس به اذا صحت فيه النية والقصد ● ومقاصد الاظهار ثلاث **الاول** ان يكون
غرضه التداوي فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله فقد كان بشر يصف لعبد
الرحمن المتطبب اوجاعه وكان احمد بن حنبل يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف قدرة الله تعالى **والثاني** ان يصف لغير الطبيب
وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة فاراد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهر انه يرى المرض نعمة فيشكر
عليها فيتحدث بها كما يتحدث بالنعم قال الحسن البصري اذا حمد الله وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى **والثالث** ان يظهر بذلك عجزه
وافتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن يليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روي انه قيل لعلي رضي الله عنه في مرضه كيف
انت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال اتجلد على الله فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به
من القوة والضراعة وتادب فيه بادب النبي عليه السلام اياه حيث مرض فسمعه صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم
صبرني على البلاء فقال لقد سالت الله تعالى البلاء فسل الله العافية فبهذه النيات يرخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره شكاية
والشكوى من الله حرام كما ذكرنا في تحريم السوال على الفقراء الا لضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله فان
خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكاية ولانه ربما يكون فيه
تصنع وتزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار لان الاستراحة الى الدوا احسن من الاستراحة
الى الافشا وقد قال بعضهم من بث لم يصبر وقيل في معنى قوله تعالى فصبر جميل لا شكوى فيه ● وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذي
اذهب بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت لشكواي الى عبادي فقال يا رب اتوب اليك وروي عن
طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس
من ايوب عليه السلام الا انينه في مرضه فجعل الانين حظه منه ● وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظرا ما يقول
لعواده فان حمد الله واثنى عليه بخير دعوا له وان شكا وذكر شرا قالا كذلك تكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية
وخوف الزيادة في الكلام ● وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرا فيخرج اليهم منهم الفضيل بن عياض
ووهيب بن الورد وبشر بن الحارث ● وكان الفضيل يقول اشتهي ان امرض بلا عواد وقال لا اكره العلة الا لاجل العواد
اخر كتاب التوحيد والتوكل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم حسبنا الله تعالى ونعم الوكيل

كتاب المحبة والشوق

بسم الله الرحمن الرحيم ● الحمد لله الذي نزه قلوب اوليائه عن الالتفات الى متاع الدنيا ونضرتها وصفى اسرارهم عن ملاحظة غير حضرته ● ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ● ثم تجلى لهم باسمائه وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته ثم كشف لهم عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ● ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته ● فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما يعمي في وجه العقل وبصيرته ● وكلما همت بالانصراف ايسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته ● فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته ومحترقة بنار محبته ● والصلاة على محمد خاتم الانبياء بكمال نبوته ● وعلى اله واصحابه سادة الخلق وائمته ● وقادة الحق وازمته ● اما بعد فان المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثال ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ● ثم بيان حقيقتها واسبابها ● ثم بيان ان لا مستحق للمحبة الا الله عز وجل ● ثم بيان ان اعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله ● ثم بيان سبب زيادة النظر في الاخرة على المعرفة في الدنيا ● ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ● ثم بيان تفاوت الناس في الحب ● ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله ● ثم بيان معنى الشوق ● ثم بيان محبة الله للعبد ● ثم القول في علامات محبة العبد لله ● ثم بيان معنى الانس بالله ● ثم بيان معنى الانبساط في الانس ● ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ● ثم بيان حقيقته ● ثم بيان ان الدعاء وكراهة المعاصي لا يناقضه وكذا الفرار من المعاصي ● ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى

اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله فرض وكيف يفترض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد وان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله والذين امنوا اشد حبا لله وهو دليل على اثبات الحب واثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه الحب لله من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما ● وفي حديث اخر لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ● وفي حديث اخر لا يؤمن العبد حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين ● وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الاية وانما اجرى ذلك في معرض التهديد والانكار وقد امر صلى الله عليه بالمحبة فقال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله ● ويروى ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك فقال استعد للفقر فقال اني احب الله فقال استعد للبلاء ● وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رايته بين ابويه يغذيانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون ● وفي الخبر المشهور ان ابرهيم عليه السلام قال لملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الان فاقبض وهذا لا يجده الا عبد يحب الله بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه وقد قال نبينا صلى الله عليه في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد ● وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما اذا اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه المرء مع من احب قال انس فما رايت المسلمين فرحوا بشي بعد الاسلام فرحهم بذلك ● وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر ● وقال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل واذا تفكر حزن ● وقال ابو سليمان الداراني ان من خلق الله خلقا لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ● ويروى ان عيسى عليه السلام مر بثلثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم

الى ثلثة اخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلثة اخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم المرايا من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الحب لله تعالى فقال انتم المقربون انتم المقربون ● وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قائم في الثلج فقلت اما تجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد ● وعن سري السقطي قال تدعى الامم يوم القيمة بانبيائهم عليهم السلام فيقال يا امة موسى ويا امة عيسى ويا امة محمد غير المحبين لله تعالى فانهم ينادون يا اولياء الله هلموا الى الله تعالى فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا ● وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الاخرة ● وقال يحيى بن معاذ عفوه فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الامال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه ● وفي بعض الكتب عبدي انا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا ● وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب احب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب ● وقال ايضا الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا اخذتني اليك وسربلتني بمعرفتك وامكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقولك فلما طر شاربي ولاح طائري فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة لاني محب وكل حبيب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك امر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به

بيان حقيقة المحبة واسبابها

وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى ● اعلم ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فاول ما ينبغي ان يتحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام والذاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب الم ولذة لا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوي سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته **الاصل الثاني** ان الحب لما كان تابعا للادراك في المعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة ادراك لنوع من المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة اي كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال صلى الله عليه حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلوة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلوة قرة عين وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس يحظى به الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه الا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس حتى يقال ان الله لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فاذن قد بطلت خاصية الانسان وما تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل او بالنور او بالقلب او بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة كما سياتي تفصيله فلا ينكر اذن حب الله تعالى الا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس اصلا **الاصل الثالث** ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على بعض الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته والحق ان ذلك متصور وموجود فلنبين اقسام المحبة واسبابها **بيانه** ان المحبوب الاول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب واي شي اتم ملائمة من نفسه ودوام وجوده واي شي اعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير الم وامات من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها

بالنفس سا

يستغرق الذنوب م

وشربتني م

ضرع ضراعة خضع وذل

الزاق بالارض واستكان

الهمهمة الكلام الخفي وترديد الصوت الطفل وتردد الزئير في الصدر من الهم

ميل الطبع الى الشي الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن م

من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض م

تشارك فيها البهائم الانسان وان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس م

لذلك ولا سبب الموت والعدم المحض الا لمقاساة المرض في الحيوة ومهما كان مبتلى ببلا فمحبوبه زوال البلا فان احب العدم لم يحبه لانه عدم
بل لان فيه زوال البلا فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما ان دوام الوجود محبوب فكمال الوجود ايضا محبوب لان الناقص
فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما
انه ممقوت في اصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان اصل دوام الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى
ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة اعضايه ثم ماله وولده وعشيرته واصدقاوه فالاعضا محبوبة
وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب ايضا لانه الة في دوام الوجود وكماله وكذا ساير الاسباب والولد
وان كان لا يناله منه حظ بل يحمل المشاق لاجله لانه خلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقا نسله نوع بقا له فلفرط حبه لبقا نفسه يحب
من هو قايم مقامه وكانه جزو منه لما عجز عن الطمع في بقا نفسه ابدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله
اختار بقا نفسه على بقا ولده لان بقا ولده يشبه بقاه من وجه وليس هو بقاوه المحقق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه كمال
نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فان العشيرة والمال والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال
الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فاذا المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك
فهذا هو اول الاسباب

السبب الثاني

الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها
وبغض من اسا اليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي اشار الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع
دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق
رجع الى السبب الاول فان المحسن من امده بالمال والمعونة وساير الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ
التي بها يتهيا الوجود الا ان الفرق ان اعضا الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهو عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين
الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي يكون سببا في دوام صحة الاعضا ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو
سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لانه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاستاد محبوب لكن
العلم محبوب لذاته والاستاد محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام
محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذا رجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان
نفسه فكان من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال لزال الحب مع بقا ذاته ولو
نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه

السبب الثالث

ان يحب الشي لذاته لا لحظ ينال منه ورا ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب
الجمال والحسن فان كل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا
لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضا الشهوة فان قضا الشهوة لذة اخرى وقد تحب الصور الجميلة لا
لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والما الجاري محبوبة لا لتشرب الما او
تؤكل الخضرة والما الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والطيور المليحة اللون الحسنة
النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان تنفرج عنه الغموم بالنظر اليها الا لطلب حظ ورا النظر فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ
محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا
عند من انكشف له جماله وكماله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال

الاصل الرابع

وفيه بيان
معنى الحسن والجمال اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة و
الشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب
على الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا
يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطا ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات
البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن
بل نقول هذا ثوب حسن وهذا كوز حسن فاي معنى لحسن الصوت والخط وساير الاشيا ان لم يكن الحسن الا في الصور
ومعلوم ان العين تستلذ النظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ النغمات الحسنة الطيبة وما من شي من المدركات الا وهو

استماع

لذاته والذات محبوبة م

منقسمة الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الاشيا ولا بد من البحث عنه وهذا بحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب
فيه فنصرح بالحق فنقول كل شي فجماله وحسنه في ان يحضر كماله اللايق به واذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية
الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون
وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن
انتظامها ولكل شي كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شي في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن
الخط بما يحسن به الصوت ولا يحسن الاواني بما يحسن به الثياب وكذلك ساير الاشيا

فان قلت

فهذه الاشيا وان لم
تدرك جميعها بحس البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات
ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال
هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة و
الشجاعة والتقوى والكرم والمروة وساير خلال الخير وشي من هذه الصفات لا تدركه الحواس الخمس بل تدرك بنور البصيرة الباطنة
وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته واية ان الامر كذلك ان الطباع مجبولة
على حب الانبيا وعلى حب الصحابة مع انهم لم يشاهدوا بل على حب ارباب المذاهب مثل ابي حنيفة والشافعي ومالك وغيرهم حتى
ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع امواله في نصرة مذهبه والذب عنه
ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم اريق في نصرة ارباب المذاهب وليت شعري من يحب الشافعي
مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب هو لصورته
الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى
وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافاضة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك
جمالها الا بنور البصيرة واما الحواس فقاصرة عنها ولذلك من يحب ابا بكر الصديق ويفضله على غيره او يحب عليا ويفضله ويتعصب
له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق مثلا
ليس يحب لحمه وعظمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك زال وانعدم وتبدل ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات
المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا ببقا تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها الى
العلم والقدرة اذ علم حقايق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير تتشعب عن هذين الوصفين وهما غير
مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزو لا يتجزى فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزو الذي لا يتجزى صورة وشكل ولون يظهر
للبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذن الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا
فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الاخلاق الحميدة
والفضايل الشريفة وترجع جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا
اردنا ان نحبب اليه غايبا او حاضرا حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وساير الخصال
الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة وبغض ابي جهل وبغض ابليس الا بالاطناب في
وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخا ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهم القلوب حبا ضروريا
وليس ذلك عن صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان
وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع الياس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار ونأي الدار فاذا ليس حب الانسان
مقصورا على من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب و
الصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة
الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها فلا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس
الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحايط لجمال صورته الظاهرة
وبين من يحب نبيا من الانبيا لجمال صورته الباطنة

السبب الخامس

المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين
تتاكد المحبة بينهما لا بسبب جمال او حظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم فما تعارف منها ايتلف وقد حققنا ذلك

الارواح جنود مجندة

وما تناكر منها اختلف

وفي كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لأنه أيضاً من عجائب أسباب الحب وإذن يرجع أقسام الحب إلى خمسة
أسباب وهو حب الإنسان وجود نفسه وكماله وبقاءه وحبه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع
المهلكات عنه وحبه من كان محسناً في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسناً إليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كانت من الصور الظاهرة
أو الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان
للإنسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوباً لا محالة غاية الحب وتكون
قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فإن كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في أعلى
الدرجات فلنبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله تعالى

بيان أن المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده

وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله
تعالى وأن حب الرسول محمود لأنه عين حب الله وكذلك حب العلماء والأتقياء لأن محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب وكل
ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يجاوزه إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي الأبصار إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه وإيضاحه
أن يرجع إلى الأسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين أنها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد في غيره إلا آحادها وأنها حقيقة في حق الله
تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما انكشف ذلك ثبت لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء
العقول من استحالة حب الله تعالى تحقيقاً وبان أن التحقيق يقتضي أن لا يحب أحد غير الله تعالى

فأما السبب الأول وهو حب
الإنسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حي ولا يتصور أن ينفك
عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعاً أنه لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام
وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الأسباب
الموصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله
تعالى عليه بالإيجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالإبقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة
فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا الحي القيوم الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فإن أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد
من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له إن عرفه خالقاً وموجداً ومخترعاً ومبقياً وقيوماً بنفسه ومقوماً لغيره فإن كان
لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري
من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم أن
المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل يحب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو
كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهام العوام
إذ يتخيلون أن النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض إذ انكشف لأرباب القلوب انكشافاً أظهر من مشاهدة
الأبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعاً عند وقوع المقابلة بين الشمس وبين الأجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينها
وصورتها أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الأمثلة التفهيم ولا تطلب فيها الحقائق فإذاً إن كان حب الإنسان نفسه
ضرورياً فحب من به قوامه أولاً ودوامه ثانياً في أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه ضروري إن عرف ذلك
كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلأنه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته
ومحسوساته وهو عالم الشهادة التي تشاركه البهائم في التنعم بها والاتساع فيها دون عالم الملكوت الذي لا يطأ أرضه إلا
من يقرب إلى شبه الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض عالم البهائم

فإن الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع للشمس

السبب الثاني هو حبه من أحسن إليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع أعداءه
وقام بدفع شر الأشرار عنه وانتهض وسيلة إلى جميع حظوظه وأغراضه في نفسه وأولاده وأقاربه فإنه محبوب لا محالة
عنده وهذا بعينه يقتضي أن لا يحب إلا الله فإنه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن هو الله تعالى فقط فأما أنواع إحسانه إلى عبده
فلست أعدها إذ ليس يحيط به حصر حاصر كما قال تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد أشرنا إلى طرف منه في كتاب الشكر
ولكنا نقتصر الآن على بيان أن الإحسان من الناس غير متصور إلا بالمجاز وإنما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك
بجميع خزائنه ومكنك منها لتتصرف كيف تشاء فإنك تظن أن هذا الإحسان منه وهو غلط فإنه إنما أحسن إليك به وبماله وبقدرته

على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال إليك فمن ذا الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق إرادته وداعيته ومن ذا
الذي حببك إليه وصرف وجهه إليك وألقى في نفسه أن صلاح دينه ودنياه في الإحسان إليك ولولا ذلك لما أعطاك حبة من ماله
ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرر في نفسه أن صلاح دينه أو دنياه في أن يسلم إليك ماله كان مقهوراً مضطراً في التسليم لا يستطيع
مخالفته فالمحسن هو الذي اضطره لك وسخره لك وسلط عليه الدواعي المرهقة إلى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها إحسان الله إليك
وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فإن اعتقدته محسناً أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث
إنه واسطة كنت جاهلاً بحقيقة الأمر فإنه لا يتصور الإحسان من الإنسان إلا إلى نفسه أما الإحسان إلى غيره فمحال من المخلوقين لأنه لا
يبذل المال إلا لغرض له في البذل إما آجل وهو الثواب وإما عاجل وهو المنة والاستسخار والثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم
أو جذب قلوب الخلق إلى الطاعة والمحبة وكما أن الإنسان لا يلقي ماله في البحر إذ لا غرض له فيه فلا يلقيه في يد إنسان إلا لغرض له فيه وذلك
الغرض هو مطلوبه ومقصوده وأما أنت فلست مقصوداً بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء والشكر أو الثواب
بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل إلى غرض نفسه فهو إذن محسن إلى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضاً هو
أرجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لأجلك أصلاً البتة فإذن هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين

أحدهما أنه مضطر بتسليط الله الدواعي عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الأمير فإنه لا يرى محسناً بتسليم
خلعة الأمير إلى من خلع عليه لأنه من جهة الأمير مضطر إلى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الأمير ونفسه
لما سلم ذلك إليك فكذلك كل محسن لو خلاه ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله عليه الدواعي وألقى في نفسه أن حظه ديناً ودنيا
في بذله فبذله لذلك **والثاني** أنه معتاض عما بذله حظاً هو أوفى عنده مما بذله فكما لا يعد البائع محسناً لأنه بذل بعوض
هو أوفى عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب والحمد والثناء أو عوضاً آخر وليس من شرط العوض أن يكون عيناً متمولاً
بل الحظوظ كلها أعواض تستحقر الأموال والأعيان بالإضافة إليها فالإحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع
إلى الباذل وذلك محال من غير الله تعالى فهو الذي أنعم على العالمين إحساناً إليهم ولأجلهم لا لحظ يرجع إليه فإنه تعالى عن الأغراض فلفظ
الجود والإحسان في حق غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود
والإحسان والطول والامتنان فإن كان في الطبع حب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف إلا الله إذ الإحسان من غيره محال فهو المستحق
لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على الإحسان بشرط الجهل بمعنى الإحسان وحقيقته

وأما السبب الثالث وهو
أن يحب المحسن في نفسه وإن لم يصل إليك إحسانه وهذا أيضاً موجود في الطباع فإنه إذا بلغك خبر ملك عابد عادل رفيق بالناس
متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الأرض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو أيضاً
بعيد عنك فإنك تجد في قلبك تفرقة بينهما إذ تجد في القلب ميلاً إلى الأول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع أنك آمن من خير
الأول ولئن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل إلى بلادهما فهو حب المحسن من حيث إنه محسن فقط لا من حيث إنه محسن إليك وهذا
أيضاً يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلاً إلا من حيث يتعلق منه بسبب فإن الله تعالى هو المحسن إلى الكافة المتفضل
على جميع أصناف الخلائق أولاً بإيجادهم وثانياً بتكميلهم بالأعضاء والأسباب التي هي من ضروراتهم وثالثاً بترفيههم وتنعيمهم بخلق الأسباب
التي هي في مظان حاجاتهم وإن لم تكن في مظان الضرورة ورابعاً بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن
ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الأعضاء الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج إليه العين واليد والرجل ومثال الزينة
تقويس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين إلى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضرورة من النعم الخارجة
عن بدن الإنسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه والأطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الأقسام
الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش إلى منتهى الثرى فإذاً هو المحسن فكيف يكون غيره
محسناً وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فإنه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الإحسان وخالق أسباب الإحسان فالحب
بهذه العلة أيضاً لغيره جهل محض ومن عرف هذه العلة لم يحب بهذه العلة إلا الله

ومثال المزايا والزوائد خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار ولذائذ الفواكه

وأما السبب الرابع وهو
حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وما الجمال فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجمال ينقسم إلى جمال الصور الظاهرة المدركة
بعين الرأس وإلى جمال الصور الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والأول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه
أرباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فإن كان مدركاً بالقلب فهو

محبوب بالطبع ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوي المكارم السنية والاخلاق المرضية وان ذلك متصور مع تشوه
صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك بالحس الاثار الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا
دل الفعل عليه مال القلب اليه فاحبه فمن احب رسول الله صلى الله عليه وسلم او الصديق رضي الله عنه او الشافعي رحمه الله فلا يحبهم الا لحسن
ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن افعالهم بل دل حسن افعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال
اثار صادرة عنها ودالة عليها فمن راى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء الباني انكشف له من هذه
الافعال صفاتهم الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم اشرف واتم جمالا وعظمة كان العلم
اشرف واجل وكذا المقدور وكلما كان اعظم رتبة واجل منزلة كانت القدرة عليه اجل رتبة واشرف قدرا واجل المعلومات هو الله فلا
جرم اشرف العلوم واحسنها معرفة الله وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به واذا جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب
طبعا يرجع الى ثلثة امور احدها علمهم بالله وملائكته ورسله وشرائع انبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح انفسهم واصلاح
عباد الله بالارشاد والسياسة والثالث تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة الى
طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم اهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى
اما العلم فاين علم الاولين والاخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض وقد خاطب الخلق كلهم وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسماء على ان يحيطوا بعلمه وحكمته وتفصيل خلق نملة
او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشيره ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والقدر الذي علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان علمه
البيان فان كان جمال العلم وشرفه امرا محبوبا وكان هو في نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله تعالى فالعلماء
العلم جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف اعلم اهل زمانه واجهل اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم وان كان
الاجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضاه معيشته والتفاوت بين علم الله تعالى وبين علم الخلائق اكثر من التفاوت بين علم اعلم الخلق واجهلهم
لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان ان ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله
سبحانه وتعالى على علوم الخلائق كلهم خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية ● واما صفة القدرة
فهي ايضا كمال والعجز نقص وكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى ان الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة
علي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلائهما على الاقران فيصادف في قلبه اهتزازا وفرحا ضروريا بمجرد لذة
السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا في القلب ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال فانسب الان قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله
تعالى فاعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم لخبائث النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه
وسياسة غيره ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الناس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك
لنفسه موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا
يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق بقدرته فضلا عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات وكواكبها ولا ما
والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيوانها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر
عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط
بعوضة على اعظم ملك واقوى شخص من الحيوانات لاهلكته فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض ذي
القرنين اذ قال انا مكنا له في الارض فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله اياه في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى
اجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله وتمكينه فيستحيل
ان يحب عبد من عباد الله لقدرته وسياسته وتمكنه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم فهو الجبار القهار والعليم القادر السموات مطويات بيمينه والارض وما عليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات
في قبضة قدرته ان اهلكهم عن آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق امثالهم الف مرة لم يعي بخلقهم ولا يمسه لغوب
وفتور في اختراعها فلا قدرة ولا قادر الا وهو اثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان
كان يتصور ان يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه اصلا ● واما صفة التنزه عن العيوب والنقائص
والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو احد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والانبياء والصديقون

وان كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقدس والتنزيه الا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام فاما كل مخلوق
فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما اعطاه
وليس في المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال اقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره وقائما بغيره وذلك محال في حق غيره
فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقدس والتنزيه في حقه عن النقائص يطول وهو من اسرار علوم
المكاشفات فلا نطول به فهذا الوصف ايضا ان كان كمالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل هو بالاضافة
الى ما هو اشد نقصانا كما للفرس كمال بالاضافة الى الحمار وللانسان كمال بالاضافة الى الفرس واصل النقص شامل للكل وانما تتفاوت في
درجات النقصان فاذا الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة
له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر
الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته وبطشه رقاب القياصرة الازلي الذي لا اول لوجوده الابدي الذي
لا اخر لبقائه الضروري الوجود الابدي الذي لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار
السموات والارض خالق الجماد والحيوان والنبات المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال
والقدرة والكمال الذي تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الالسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته
ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبياء لا احصي ثناء عليك ● وقال سيد الصديقين
سبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته العجز عن درك الادراك ادراك فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا
ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف من اوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن او ينكر كون الله تعالى موصوفا بها او ينكر كون
الجمال والكمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع عند من ادركه فسبحان من احتجب عن ابصار العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه
الا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم
يترددون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون والحب بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان
لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى الى داود ان اود الاوداء الي من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها ● وفي
الزبور من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع ● ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد
قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ● ومر بقوم اخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له
وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم ● وقال ابو حازم اني لاستحيي ان اعبده للعقاب والثواب فاكون
كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط اجرا ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل

واما السبب الخامس للحب

فهو المناسبة والمشاكلة لان شبه الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل اميل ولذلك ترى الصبي يالف الصبي والكبير الكبير ويالف الطير نوعه
وينفر عن غير نوعه وانس العالم بالعالم اكثر منه بالمحترف وانس النجار بالنجار اكثر من انسه بالفلاح وهذا امر تشهد به التجربة
وتشهد له الاخبار والاثار كما استقصيناه في باب الاخوة في الله من كتاب اداب الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب
المحبة فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي للصبي في معنى الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي
يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال او طمع في مال او غيره كما اشار اليه عليه السلام اذ قال الارواح جنود مجندة فما
تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضي حب الله تعالى
لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة في الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز
ان يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليها السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه
تعالى في الصفات التي امر فيها بالاقتداء والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات
التي هي صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى
الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله سبحانه لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات
واما ما لا يجوز ان يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الادمي فهي التي يومي اليها قوله ويسالونك عن الروح قل
الروح من امر ربي اذ بين انه امر رباني خارج عن حد عقول الخلق ويشير اليه قوله انا جعلناك خليفة في الارض اذ لم يستحق ادم
خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة واليه رمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته حتى ظن القاصرون ان لا

صورة الا صورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا والى
الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدني فقال وكيف ذلك قال مرض عبدي فلان ولو عدته لوجدتني عنده
وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرايض كما قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى
احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد
تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول
حتى قال بعضهم انا الحق وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا هو الاله وقال آخرون تدرع الناسوت باللاهوت
وقال آخرون اتحد به ● واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الحلول والاتحاد واتضح لهم مع حقيقة ذلك
السر فهم الاقلون ● ولعل ابا الحسين النوري عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد في قول القايل

لا زلت انزل من ودادك منزلا ● تتحير الالباب عند نزوله ● فلم يزل يعدو في وجده على اجمة قصب قد قطعت وبقيت
اصوله مثل السيوف حتى تشققت قدماه وتورمت ومات منه وهذا هو اعظم اسباب الحب واقواها وهو اعزها وابعدها
واقلها وجودا فهذه هي المعلوم من اسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفي اعلى الدرجات لا ادناها
وكان المعقول المقبول عند ذوي البصاير حب الله تعالى فقط كما ان المعقول الممكن عند العميان حب غير الله فقط ثم كل من يحب من
الخلق بسبب من هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان في الحب ونقص من كماله ولا
ينفرد احد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الاوصاف
التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له فيه وجودا ولا يتصور ان يكون ذلك امكانا فلا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان
الى حبه كما لا تتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذا لاصل المحبة ولكمالها استحقاقا لا يساهم فيه اصلا

بيان ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى

والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة ● اعلم
ان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها المقتضى طبعها
الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا بل خلقت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة
الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت
لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار
والاستماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن الم ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي
لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان
واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن ان الاختلاف واقع في المعاني لان الضعيف يطلب
المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب والقلب مفارق لساير اجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة
كادراكه خلق العالم وافتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلا بشرط ان لا يفهم من لفظ
العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة التي بها فارق الانسان
البهايم وبها يدرك معرفة الله تعالى اعز الصفات فلا ينبغي ان تذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقايق الامور كلها فمقتضى طبعها
المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى طبع ساير الغرائز هو لذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم
ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به
في الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة
العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من اخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه
بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليست لذة العلم بالحراثة والخياطة
كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت
السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعرف بواطن احوال الناس ويخبر
ذلك يجد له لذة وان جهله تقاضاه طبعه ان يفحص عنه وان علم بواطن احوال رئيس البلد واسرار تدبيره في رياسته كان
ذلك الذ عنده واطيب من علمه بباطن حال فلاح او حايك فان اطلع على اسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في امر

الوزارة فهو اشهى والذ من علمه باسرار الرئيس فان كان خبيرا بباطن احوال الملك والسلطان الذي هو المستولي على
الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ من علمه بباطن امور الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه على البحث عنه اشد وحبه له اكثر
لان لذته فيه اعظم فبهذا استبان ان الذ المعارف واشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل
والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى واشرف
واكمل واعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها ومزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور ان يكون حضرة في الملك
والكمال والجمال والبهاء اعظم من الحضرة الربوبية التي لا يحيط بمبادي جلالها وعجايب احوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك
في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتيب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اعلى انواع
المعارف والاطلاعات والذها واطيبها واشهاها واحرى ما تستشعر النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها واجدر ما
يعظم الفرح والارتياح والاستبشار به فبهذا تبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم هو العلم بالله وصفاته وافعاله وتدبيره في
مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان تعلم ان لذة المعرفة اقوى من ساير اللذات اعني لذة الشهوة والغضب ولذة
ساير الحواس الخمس فان اللذات مختلفة اولا بالنوع كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة ولذة الرياسة وهي مختلفة
بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع بالاضافة الى لذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة النظر الى الوجه الجميل
الفائق الجمال بالاضافة الى ما دونه في الجمال وانما تعرف اقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة جميلة
والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روايح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم انها الذ عنده من الروايح الطيبة
وكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من
لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول — اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذات الحواس الخمسة
والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيره اذ ليست هذه اللذة للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق
والمعاني الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الهريسة والدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرياسة
وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد البهيمية اختار لذة الهريسة والحلاوة وان
كان علي الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت اياما كثيرة فاختياره للرياسة يدل على
انها الذ عنده من الهريسة والمطعومات نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة كالصبي او الذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه
لا يبعد ان يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما ان لذة الرياسة والكرامة اغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبى والعته
فلذة معرفة الله ومطالعة جمال الحضرة الربوبية والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة
على الخلق وغاية العبارة عنه ان يقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وهذا الان لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والتفكر والذكر وينغمس في
بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرءسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات
التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون
عليها الاية فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وافعاله ونظام مملكته من اعلى عليين الى
اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتهم دائما وانما عرضها
من حيث التقدير السموات والارض فاذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة
عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها وهو امن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا
ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى اذ محله الروح الذي هو امر رباني سماوي
انما الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فاما ان يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الاية ولا تظنن
ان هذا مخصوص بالمقتولين في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد ● وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الاخرة ان
يرد الى الدنيا ليقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة فان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة
العلماء فاذن جميع اقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منها حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها

بجسمه وتخصه فهو من حظ لذة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله لا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوى في ذوي الكمال من لذة الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا معتوه وان لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة ● فاما كون معرفة الله وصفاته وافعاله وملكوت سمواته واسرار ملكه اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذات ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه ادرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة العلوم الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية ● فاما من طال فكره في معرفة الله تعالى وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشي اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله سبحانه الذ الاشيا وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجا الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف له اخبرني يا محفوظ اي شي هاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال واي شي الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال واي شي القبر فقال خوف النار ورجا الجنة فقال واي شي هذا ان ملكا بيده هذا كله ان احببته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا ● وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى مشغوفا في طلب الرب تعالى فقد الهاه ذلك عما سواه ● وراى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في المنام فقال ما فعل ابو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى ياكلان ويشربان قلت فانت فقال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه ● وعن علي بن الموفق قال رايت في المنام كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فاباحه الله النظر اليه الى يوم القيمة ● وذكر ان الاخرين بشر بن الحرث واحمد بن حنبل ولذلك قال ابو سليمان الداراني من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه ● وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في معناه نظما

احبك حبين حب الهوى ● وحبا لانك اهل لذاكا ●
فاما الذي هو حب الهوى ● فشغلي بذكرك عمن سواكا ●
واما الذي انت اهل له ● فكشفك للحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ● ولكن لك الحمد في ذا وذاكا ●

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها عليه السلام حيث قال حاكيا عن ربه تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد تعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفا قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني اقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال لان النداء يكون من ورا الحجاب وهل رايت جليسا ينادي جليسه ● وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة اي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا او كفرا فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي لهم منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو القي في النار لم يحس في القلب م بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من

لا يفهم حب الا المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله وما له صورة وشكل واي معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره انه اعظم النعيم بل من عرف الله عرف ان اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها منطوية تحت هذه اللذة كما قال بعضهم

كانت لقلبي اهوا مفرقة ● فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي ●
فصار يحسدني من كنت احسده ● وصرت مولى الورى مذ صرت مولاي
تركت للناس دنياهم ودينهم ● شغلا بذكرك يا ديني ودنياي

ولذلك قال بعضهم ● وهجره اعظم من ناره ● ووصله اطيب من جنته ● وما ارادوا بهذا الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله تعالى فقط ومثال اطوار الخلق ولذاتهم ما ذكرناه وهو ان الصبي في اول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده الذ من سائر الاشيا ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النسا فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم يظهر له لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي اخر لذات الدنيا واعلاها واقواها كما قال تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر الاية ثم بعد ذلك تظهر غريزة اخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها وكل متاخر فهو اقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النسا والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النسا وطلب الرياسة فكذلك الرؤسا يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون

بيان السبب في زيادة لذة النظر في الاخرة على المعرفة في الدنيا ● اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام المتلونة المتشكلة في اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن راى انسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كانه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وابصر ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان الصورة المرئية صارت بالرؤية اتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم يرى عند تمام الضوء فانه لا يفارق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذن الخيال اول الادراك والرؤية هو استكمال ادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لانه غاية الكشف لا لانه في العين بل لو خلق هذا الادراك الكامل المكشوف في الجبهة او الصدر مثلا لاستحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احدهما اولى والثاني استكمال لها وبين الثانية والاولى من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثاني ايضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحيوة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونها حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال الله تعالى لموسى لن تراني وقال تعالى لا تدركه الابصار اي في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما راى الله تعالى ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليها الخبث والصدى فصار كالمراة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الاباد نعوذ بالله منه ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها في حق المؤمنين كما ورد به الاخبار سبعة الاف سنة ولن تخلو نفس في هذا العالم الا ويصحبها غبرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس مستيقنة للورود على

النار وغير مستبقية للصدا عنها فإذا أكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من العرض والحساب وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه فإنه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك لتستعد لصفائها ونقائها عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه قتر ولا ذلة لأن يتجلى فيه الحق سبحانه وتعالى تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلي المرآة بالإضافة إلى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فإذن الرؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربناه من المثال في استكمال الخيال بالرؤية وإذا لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية الكشف أيضا جهة وصورة لأنها هي بعينها لا تفترق إلا في زيادة الكشف كما أن الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها إلا في زيادة الكشف وإليه الإشارة بقوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف فلا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا لأن المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرعا ومن لا نواة له فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع فلذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذور إذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة ولا ينبغي أن يظن أن غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة المشاهدة والنظر ما يجده أبو بكر بل لا يجد إلا عشر عشيره إن كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره ولما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به وكما أنك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المنكوح والمطعوم وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرياسة وعلى المطعوم والمنكوح جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة إذ يرجع نعيمها إلى المنكوح والمطعوم وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفناه من إيثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت الجار ثم الدار فبينت أنه ليس في قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه في الدنيا ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه ولا يموت إلا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هي التي يتنعم بها بعينها فقط إلا أنها تنقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق إذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فإن ذلك هو منتهى لذته وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي إلا لقاء الله فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فإذن نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالإيمان

فإن قلت فلذة الرؤية إن كان لها نسبة إلى لذة المعرفة فهي قليلة وإن كانت أضعافها لأن لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها إلى حد قريب لا ينتهي في القوة إلى أن يستحقر سائر لذات الجنة فاعلم أن هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وإن انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها أصلا إلى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق إلى رؤيته ولا للذة استنشاق روائح الأطعمة الشهية إلى ذوقها ولا للذة اللمس باليد إلى لذة الوقاع وإظهار عظيم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بضرب مثال فنقول لذة النظر إلى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت بأسباب **أحدها** كمال جمال المعشوق ونقصانه فإن اللذة في النظر إلى الأجمل أكمل لا محالة **والثاني** كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه **والثالث** كمال الإدراك فليس التذاذه برؤية المعشوق في ظلمة أو من وراء ستر رقيق أو من بعيد كالتذاذه بإدراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا إدراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كإدراكها مع التجرد **والرابع** اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر إلى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بمهم من المهمات وقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر إلى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع

عنه المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للأولى إليها نسبة يعتد بها فكذلك فافهم لذة النظر إلى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزنابير مثال الشهوات المتسلطة على الإنسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب مثال القصور والنقص في الدنيا ونقصانها عن الشوق إلى الملأ الأعلى والتفاتها إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته إلى اللعب بالعصفور فالعارف وإن قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور أن يخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الأحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب ينفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقل ما يدوم بل يعرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة إلى الموت وإنما الحياة الطيبة بعد الموت وإنما العيش عيش الآخرة وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فكل من انتهى إلى هذه الرتبة فإنه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فإن المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له والإحاطة بكنه جلال الله محال وكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار مملكته وقويت كثر النعيم في الآخرة وعظم كما أنه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا في الدنيا ولا يزرع إلا في صعيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أفضل السعادة طول العمر في طاعة الله لأن المعرفة إنما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن أحب الموت أحبه لأنه رأى نفسه واقفا في المعرفة بالغا إلى منتهى ما تيسر له ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما يحتمله قوته ولو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند أهل المعرفة وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا إن اتسعت أحبوا البقاء وإن ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة والغفلة مغرس كل فالجهل
جهالة وشقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فإنه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها ألذ من سائر اللذات عند ذوي الكمال وإن لم يكن كذلك عند أهل ذوي النقصان كما لم تكن الرياسة ألذ من المطعومات عند الصبيان

فإن قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة فاعلم أن الناس قد اختلفوا فيه وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى ذلك ولا ينظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلق في عينه أو في جبهته بل يقصد الرؤية واللذة بها سواء كانت بالعين أو بغيرها فإن العين محل وظرف لا نظر إليه ولا حكم له والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين هذا في حكم الجواز فأما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره إذ لا يجوز إزالة الظاهر إلا لضرورة والله أعلم

بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى

اعلم أن أسعد الخلق حالا في الآخرة أقواهم حبا لله تعالى فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبد الآباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع إلا أن هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة وإنما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي إلى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الأكثرون وإنما يحصل ذلك بسببين أحدهما قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب فإن القلب مثل الإناء الذي لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب في أن يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى من الماء في الإناء ينقص من الخل المصبوب فيه وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وبقوله إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا إله إلا الله أي لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب فإنه معبود فإن العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم أبغض إله في الأرض الهوى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لأنها مانعة له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له إلا محبوب واحد وقد طال إليه شوقه وتمادى عليه حبسه فخلي من السجن

ويمكن من المحبوب ويروح بالأمن أبد الآباد. فأحد أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا، ومنه حب الأهل والمال والولد والأقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات، حتى إن المتفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الأسحار ملتفت إلى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله بسببه، فبقدر ما أنس بالدنيا ينقص أنسه بالله، ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئا إلا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة، كما أنه لا يقرب الإنسان من المشرق إلا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره، ولا يطيب قلب امرأة إلا ويضيق به قلب ضرتها، فالدنيا والآخرة ضرتان، وهما كالمشرق والمغرب، وقد انكشف ذلك لذوي القلوب انكشافا أوضح من الإبصار بالعين، وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد إليهما بزمام الخوف والرجاء، فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها أحد ركني المحبة وهي تخلية القلب عن غير الله، وأوله الإيمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار، ثم يتشعب منه الخوف والرجاء، ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما، ثم يجر ذلك إلى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فيه، فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركني المحبة، وإليه الإشارة بقوله الطهور شطر الإيمان كما ذكرناه في أول كتاب الطهارة.

السبب الثاني لقوة المحبة

قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب، وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها، يجري مجرى وضع البذر في الأرض بعد تطهيرها من الحشيش، وهو الشطر الثاني، ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة، وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلا حيث قال ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وإليه الإشارة بقوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب أي المعرفة والعمل الصالح يرفعه، فالعمل الصالح كالحمال لهذه المعرفة وكالخادم، وإنما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولا من الدنيا ثم في إدامة طهارته، فلا يراد العمل إلا لهذه المعرفة، وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل، فالعلم هو الأول وهو الآخر، وإنما الأول علم المعاملة، وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة، ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة، كما أن من كان معتدل المزاج إذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه، ومهما أحبه حصلت اللذة، فاللذة تبع المحبة بالضرورة، والمحبة تبع المعرفة بالضرورة، ولا يوصل إلى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب إلا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله وفي صفاته وفي ملكوت سماواته وسائر مخلوقاته، والواصلون إلى هذه الرتبة ينقسمون إلى الأقوياء ويكون أول معرفتهم بالله تعالى ثم به يعرفون غيره، وإلى الضعفاء فيكون أول معرفتهم بالأفعال ثم يترقون منها إلى الفاعل، وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد، وبقوله شهد الله أنه لا إله إلا هو، ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي. وإلى الثاني الإشارة بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم، وبقوله أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض، وبقوله الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا، وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين وهو الأوسع على السالكين، وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر.

فإن قلت كلا الطريقين مشكل فأوضح منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به إلى المحبة، فاعلم أن الطريق الأعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه وتعالى على سائر الخلق، فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق، ولا فائدة في إيراده في الكتب. وأما الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الأفهام، وإنما قصرت الأفهام عنه لإعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس، والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية، إذ ما من ذرة من أعلى السماوات إلى تخوم الأرضين إلا وفيها عجائب وآيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته، وذلك مما لا يتناهى، بل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي، فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة، ولا يليق أن يتطفل به على علوم المعاملة، ولكن يمكن الرمز إلى مثال واحد على الإيجاز ليقع التنبيه لجنسه، فنقول أسهل الطريقين النظر إلى الأفعال فلنتكلم فيها ولنترك الأعلى، ثم الأفعال الإلهية كثيرة فلنطلب أقلها وأحقرها وأصغرها ولننظر في عجائبها، وأقل المخلوقات هو الأرض وما عليها، أعني بالإضافة إلى الملائكة وملكوت السماوات، فإنك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة، فانظر إلى صغر الأرض بالإضافة إليها، ثم انظر إلى صغر الشمس بالإضافة إلى فلكها الذي هي مركوزة فيه فإنه لا نسبة لها إليه، وهي في السماء الرابعة، وهي صغيرة بالإضافة إلى ما فوقها من السماوات، ثم السماوات السبع في الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة، والكرسي في العرش كذلك، فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث المقادير.

وما أصغر الأرض كلها بالإضافة إليها، بل ما أصغر الأرض بالإضافة إلى البحار، فقد قال صلى الله عليه وسلم الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض، ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة، وعلم أن المكشوف من الأرض عن الماء إلى الأرض كجزيرة صغيرة بالإضافة إلى الأرض، ثم انظر إلى الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الأرض، وإلى سائر الحيوانات، وإلى صغره بالإضافة إلى الأرض، ودع عنك جميع ذلك، فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنمل وما يجري مجراه، فانظر في البعوض على صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف، وانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو أعظم الحيوانات، إذ خلق له خرطوما مثل خرطومه، وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين، وانظر كيف قسم أعضاءه الظاهرة فأنبت جناحه وأخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره، ودبر في باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبره في سائر الحيوانات، وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركبه في سائر الحيوانات، هذا في شكله وصفاته. ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الإنسان، ثم انظر كيف أنبت له آلة الطيران إلى الإنسان، وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس، وكيف هداه إلى مسام بشرة الإنسان حتى يضع خرطومه في واحد منها، ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم، وكيف علمه المص والتجرع للدم، وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي إلى باطنه وينتشر في سائر أجزائه ويغذيه، ثم كيف عرفه أن الإنسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد آلته، وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب، ثم إذا سكنت اليد يعود، ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه، وانظر أن حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل حدقته الأجفان لصغرها وكانت الأجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن الغبار والقذى خلق للبعوض والذباب يدين، فتنظر إلى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه، وأما الإنسان والحيوان الكبير فخلق لحدقته الأجفان حتى ينطبق أحدهما على الآخر وأطرافها حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميه إلى أطراف الأهداب، وخلق الأهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الإبصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان الغبار، فينظر من وراء اشتباك الأهداب، واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الإبصار، وأما البعوض فخلق له حدقتين مصقلتين من غير أجفان، وعلمها هذه التصقيل باليدين، ولأجل ضعف أبصارها تراها تتهافت على السراج لأن بصرها ضعيف فتطلب ضوء النهار، فإذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن أنه في بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت المظلم إلى الموضع المضيء، فلا يزال يطلب الضوء ويرمي بنفسه إلى الكوة، فإن جاوزه ورأى الظلام ظن أنه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق، ولعلك تظن أن هذا لنقصانها وجهلها، فاعلم أن جهل الآدمي أعظم من جهلها، بل صورة الآدمي في الإكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار، إذ يلوح للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها، ولا يدري أن تحتها السم القاتل، فلا يزال يرمي نفسه عليها إلى أن ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا مؤبدا، فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش، فإنها باغترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال، والآدمي يبقى في النار أبد الآباد أو مدة مديدة، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تتهافتون فيها تهافت الفراش، فهذه لمعة من عجائب صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات، وفيها من العجائب ما لو اجتمع الأولون والآخرون على الإحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته، ولم يطلعوا على أمور جلية من ظاهر صورته، فأما خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليه إلا الله تعالى، ثم في كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لا يشاركه غيره فيها، فانظر إلى النحل وعجائبها، وكيف أوحى الله إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون، وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل، وجعل أحدهما ضياء وجعل الآخر شفاء، ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار واحترازها عن النجاسات والأقذار، وطاعتها لواحد من جملتها هو أكبرها شخصا وهو أميرها، ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والإنصاف بينها، حتى إنه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة، لقضيت منها العجب إن كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معادات أقرانك وموالاة إخوانك، ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنائها بيوتها من الشمع، واختيارها من جملة الأشكال الشكل المسدس، فلا تبني بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا، بل مسدسا لخاصية في الشكل المسدس يقصر فهم المهندس عن دركها، وهو أن أوسع الأشكال وأحواها المستدير وما يقرب منها، فإن المربع يخرج منه زوايا ضائعة، وشكل النحل مستدير مستطيل، فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة، ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة، فإن الأشكال المستديرة إذا جمعت لم تجتمع متراصة، ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس، وهذه خاصية هذا الشكل، فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه لطفا

به وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتمنا عيشه فسبحانه ما اعظم شانه واوسع لطفه وامتنانه فاعتبر هذه اللمعة اليسيرة من عجايب الحيوانات ودع عنك عجايب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا منه تنقضي الاعمار دون ايضاحه ولا نسبة لما احاط به الخلايق كلهم الى ما استاثر الله تعالى بالاضافة اليها بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وامثاله يزداد المعرفة الحاصلة باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدايم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا اخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

اعلم ان المومنين يشتركون في اصل الحب لاشتراكهم في اصل المعرفة ولكنهم يتفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشيا انما تتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم من الله تعالى الا الصفات والاسامي التي قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى مناقض بل امنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهولاء هم اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقايق هم المقربون وقد ذكر الله تعالى الاصناف الثلاثة في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الاية وان كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثلا فنقول اصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي العوام والفقها لانهم يشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به اتم واعجابه به وحبه له اشد فان من راى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله احبه لا محالة ومال اليه قلبه فان راى تصنيفا اخر احسن منه واعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من عجايب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفته وازداد له حبا وكذلك ساير الصناعات والفضايل والعامي قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجايب تضاعف حبه لا محالة لان عجايب الصنعة والشعر والتصنيف يدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده واما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى حتى يرى في البعوض مثلا من عجايب صنعه ما يبهر عقله ويتحير فيه لبه فيزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على اعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الصانع وجلاله وازداد به معرفته وله حبا وبحر هذه المعرفة اعني معرفة عجايب صنع الله لا ساحل له فلا جرم تفاوت اهل المعرفة في الحب لا حصر له ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله تعالى مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرجاء والنعماء واما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وامثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو سبب التفاوت في سعادة الاخرة ولذلك قال تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي ان تكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها على العقول ونرى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا اظهر الموجودات واجلاها لمعنى لا تفهمه الا بمثال وهو انا اذا راينا انسانا يكتب ويخيط كان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة عندنا اجلى من ساير صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته اما حياته وعلمه وقدرته وارادته وعلمه فان هذه الصفات لا تحس بشي من الحواس الخمس ثم لا يمكن ان نعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وساير صفاته تشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وارض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل اول شاهد عليه انفسنا واجسامنا واوصافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا واظهر الاشياء في علمنا انفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع

ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها دالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد له الا شاهد واحد وهو ما احسسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شي داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانما تحتاج الى موجد ومحرك لها يشهد بذلك اولا تركيب اعضائنا وايتلاف عظامنا ولحومنا واعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل اطرافنا وساير اجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها لم تاتلف بنفسها كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شي مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغايب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان احدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والاخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا اشرق فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى الا اذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصاير والابصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشيا تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى انه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشيا فدل بعضها دون البعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دايمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن ان لا هيئة في الاجسام الا الوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو اظهر الامور وبه ظهرت الاشيا كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك بذلك التفرقة من الحالين ولو كان بعض الاشيا موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشيا على نسق واحد ووجوده دايم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورث شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام واما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال امره لا يرى الا الله ولا يعرف غيره ويعلم انه ليس في الوجود الا الله وافعاله وافعاله اثر من اثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر في شي من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وارض وشجر وحيوان بل ينظر فيه من حيث انه صنعه فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان او خطه او تصنيفه فراى فيه الشاعر والمصنف وراى اثاره من حيث انه اثره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله واحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا لله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة عند ذوي الابصار اشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام او باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لا يعنيهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله وانضم اليه ان المدركات التي هي شاهدة على الله انما يدركها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد انس بمدركاته ومحسوساته والفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا راى على سبيل الفجاة حيوانا غريبا او نباتا غريبا او فعلا من افعال الله خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه واعضاءه وساير الحيوانات المالوفة وكلها شواهد

صلة

قاطعة ولا تحس لشهادتها لطول الانس بها ولو فرض لكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عن عينيه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجاة لخيف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجايب لخالقها فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هي التي سدت على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذلك قيل ● لقد ظهرت فما تخفى على احد الا على اكمه لا يعرف القمرا لكن بطنت بما اظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف استترا

● بيان معنى الشوق الى الله تعالى

اعلم ان انكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت وجود الشوق الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصاير وبطريق الاخبار والاثار اما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب فهو مشتاق اليه في غيبته فاما الحاصل الحاضر فلا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى امر والموجود لا يطلب ولكن بيانه ان الشوق لا يتصور الا الى شي ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لا يدرك اصلا فلا يشتاق اليه فمن لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالروية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداما النظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين لا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالروية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور ان يشتاق في وقت الروية فمعنى شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رويته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضو عليه والثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا ساير اعضايه فيشتاق الى رويتها وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الروية ولكنه يعلم ان له عضوا واعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالروية فيشتاق الى ان ينكشف ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح فكانه من ورا ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الايضاح بل يكون مشوبا بشوايب التخيلات فان الخيال لا يفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات وكذلك يضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الاخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما ● الثاني ان الامور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى امور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات اكثر مما حضر فلا يزال متشوقا الى ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها اصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الاول ينتهي في الدار الاخرة بالمعنى الذي يسمى روية ولقا ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن في الدنيا وقد كان ابرهيم بن ادهم من المشتاقين فقال ● قلت ذات يوم يا رب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما تسكن به قلوبهم قبل لقايك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في المنام انه اوقفني بين يديه وقال يا ابرهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقاي وهل يسكن المشتاق قبل لقا حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضايك وصبرني على بلايك واوزعني شكر نعمايك فان هذا الشوق يسكن في الاخرة ● واما الشوق الثاني فيشبه ان لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الاخرة اذ نهايته ان ينكشف للعبد في الاخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وافعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه شوق الى استكمال الوصال مع حصول اصل الوصال فهو لذلك شوق لذيذ لا يظهر فيه الم ولا يبعد ان تكون الطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا ابد الاباد ويكون التذاذه بما يتجدد من لطايف النعيم شاغلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا اصلا فان كان ذلك غير ممكن فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يحتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم عليه باتمام النور مهما تزود من الدنيا اصل النور ويحتمل ان يكون المراد اتمام النور في غير ما

استنار في الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق ليكون هذا المراد بتمامه وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا يدل على ان الانوار لا بد وان تتزود اصلها في الدنيا ثم تزداد في الاخرة اشراقا فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر ولم ينكشف لنا بعد فيه ما نثق به فنسال الله تعالى ان يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا فهذا القدر من انوار البصاير كاشف لحقايق الشوق ومعانيه ● واما شواهد الاخبار والاثار فهي اكثر من ان تحصى فما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اسالك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقايك وقال ابو الدردا لكعب اخبرني عن اخص اية يعني في التورية فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقاي واني الى لقايهم لاشد شوقا قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدردا اشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي اخبار داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومونس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الدنيا ما انتم عليه بحبكم واني خلقت طينة احبابي من طينة ابرهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي اني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي ● وروي عن بعض السلف ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين قايم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلاث اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه ● وفي اخبار داود عليه السلام ان الله اوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسال الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمايي ثم ادعو نجبا ملايكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي واباهي بكم اهل الشوق الي فان قلوبهم لتضي في سمايي لملايكتي كما تضي الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثين وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود ايت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ فاذا اتيتهم فاقراهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقريكم السلام ويقول الا تسالون حاجة فانكم احبايي واصفيايي واوليايي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جيتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم يقريكم السلام ويقول لكم الا تسالون حاجة الا تنادوني اسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبايي واصفيايي واوليايي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا وقال الاخر سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الاخر سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك افنجتري على الدعا وقد علمت انه لا حاجة لنا في شي من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنة علينا وقال الاخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الاخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك افيجتري على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال اخر كلت السنتنا عن دعايك لعظم شانك وقربك من اوليايك وكثرة منتك على اهل محبتك ● وقال الاخر هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك ● وقال الاخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الاخر كيف يجتري العبد على سيده اذ امرتنا بالدعا بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات من اطباق السموات وقال الاخر ندعوك ان تقبل علينا وتديمه عندنا

وقال آخر نسألك العلم بنعمك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال آخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر إلى وجهك
وقال آخر أسألك أن تعمي عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بغيرك ● وقال الآخر قد عرفت وتعاليت أنك تحب أولياءك
فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فأوحى الله إلى داود قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتم ولأفارقن كل واحد منكم
صاحبه ولأتخذن لنفسه سربا فإني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظرون إلى نوري وجلالي فقال داود يا رب بم نالوا هذا منك قال بـ
حسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وإن هذا منزل لا يناله إلا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من
ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف فيما بيني وبينه حتى ينظر إلي نظر الناظر بعينه
إلى الشيء وأريه كرامتي في كل ساعة وأقربه من نور وجهي إن مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وإن عطش أرويته وأذيقه
طعم ذكري فإذا فعلت به ذلك يا داود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها إليه لا يفتر عن الاشتغال بي يستعجلني القدوم وأنا أكره أن
أميته لأنه موضع نظري من خلقي لا يرى غيري ولا أرى غيره فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه
وانخلع قلبه إذا سمع بذكري أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لأقعدنه في الفردوس
ولأشفين صدره من النظر إلي حتى يرضى وفوق الرضى ● وفي أخبار داود عليه السلام أيضا قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ما ضركم
إذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا إذا بسطت ديني
لكم وما ضركم مسخطة الخلق إذا التمستم رضاي ● وفي أخبار داود أيضا إن الله تعالى أوحى إليه تزعم أنك تحبني فإن كنت تحبني فأخرج
حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا
تقلد دينك الرجال أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حتى أبادر إلى سياستك وتقويمك وأكون
قائدك ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد فإني قد آليت على نفسي أن لا أثيب إلا عبدا قد عرفت من طلبه وإرادته
إلقاء كنفه بين يدي وأنه لا غنى به عني فإذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكنت الغنى قلبك فإني قد حلفت على نفسي أنه لا
يطمئن عبد إلى نفسه ينظر إلى أفعاله إلا وكلته إليها أضف الأشياء إلي لا إلى نفسك فتكون معنا ولا ملجأ لك من يصحبك
ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة أعطيك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم أعلم بني إسرائيل أنه ليس بيني وبين أحد من
خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وإرادتهم عندي أبح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد ضعني بين عينيك وانظر
إلي بقلبك ولا تنظر بعينك في رأسك إلى الذين حجبت عقولهم عني فأمر جهلها وسحبت بانقطاع ثوابي عنها فإني حلفت بعزتي وجلالي
لا أبيح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تتطاول على المريدين فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين
عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها يا داود لأن تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فأكتبك عندي جهبذا ومن كنت
جهبذا لم يكن عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب عنك محبتي
لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فإنما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنها تنقص حلاوة
مناجاتي فإنما عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل إليهم أن أحجب عقولهم عني فإني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهتها
يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بإدمان
الصوم وإياك والتجربة في الإفطار فإن محبتي للصوم إدمانه يا داود تحبب إلي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات أنظر إليك
وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة إنما أداريك مداراة لتقوى على ثوابي إذا مننت به عليك وإني أحبسه عنك وأنت متمسك
بطاعتي ● وأوحى الله إلى داود يا داود لو يعلم المدبرون كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلي
وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي في المقبلين علي يا داود أحوج ما يكون العبد إلي
إذا استغنى عني وأرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلي فهذه الأخبار ونظائرها مما لا يحصى يدل
على إثبات المحبة والشوق والأنس وأما تحقيق معناها فينكشف بما سبق

بيان محبة الله للعبد ومعناها

اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله يحب عبده فلا بد من معرفة معناه ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال تعالى
يحبهم ويحبونه ● وقال تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وقال إن الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين ومعناه أنه إذا أحبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وإن كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الإسلام
وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله

عليه وقال رسول الله صلى الله عليه إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب ● وقال صلى الله عليه
من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وقال عليه السلام قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلي
بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث ● وقال زيد بن أسلم إن الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول
اعمل ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز إذ
المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا أن الإحسان موافق
للنفس والجمال موافق أيضا وأن الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر ● فأما
حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا بل الأسامي كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلا
حتى إن اسم الوجود الذي هو أعم الأشياء اشتراكا لا يشمل الخالق والمخلوق على وجه واحد بل كل ما سوى الله فوجوده مستفاد من وجود
الله فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وإنما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم إذ معنى الجسمية
وحقيقتها متشابه فيهما من غير استحقاق لأحدهما لأن يكون فيه أصلا فليست الجسمية لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود
لله ولخلقه وهذا التباعد في سائر الأسامي أظهر كالعلم والإرادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه الخالق فيه الخلق وواضع
اللغة إنما وضع هذه الأسامي أولا للخلق فإن الخلق أسبق إلى العقول والأفهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة
والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم وهذا إنما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها فتستفيد بنيله
كمالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله فإن كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في الإلهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا
وأزلا ولا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث إنه غيره بل نظره إلى ذاته وإلى أفعاله فقط فليس في الوجود إلا
ذاته وأفعاله ● ولذلك قال الشيخ أبو سعيد الميهني لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فإنه ليس يحب إلا نفسه
على معنى أنه الكل وأن ليس في الوجود غيره فمن لا يحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من
حيث هو متعلق بذاته فهو إذا لا يحب إلا نفسه ● وما ورد من الألفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه إلى كشف الحجاب
عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الأزل فحبه لمن أحبه أزلي مهما أضيف إلى الإرادة
الأزلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث
يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع
الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا إلا بمثال وهو أن
الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك إليه إما لينصره بقوته أو ليستريح إلى مشاهدته
أو ليستشيره في رأيه أو ليهيئ أسباب شرابه وطعامه فيقال إن الملك يحبه ويكون معناه ميله إليه لما فيه من المعنى الموافق
الملائم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من
الأخلاق الرضية والخصال الحميدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع أن الملك لا غرض له فيه
أصلا فإذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبه وإذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل
وحبب نفسه إلى الملك فحب الله للعبد إنما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول وإنما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق إلى
فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فإن الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب إلى الله في البعد من صفات البهائم والسباع
والشياطين والتخلق بمكارم الأخلاق التي هي الأخلاق الإلهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا
فقد تغير فربما يظن أن هذا القرب لما تجدد فقد تغير وصف الرب تعالى والعبد جميعا إذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو
محال في حق الله إذ التغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في أزل الآزال ولا ينكشف هذا إلا بمثال القرب
بين الأشخاص فإن الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير
تغير في الآخر بل القرب في الصفات أيضا كذلك فإن التلميذ يطلب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والأستاذ
واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول إلى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل إلى يفاع العلم فلا يزال دائما
في التغير والترقي إلى أن يقرب من أستاذه والأستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن تفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار
أكمل صفة وأتم علما وإحاطة بحقائق الأمور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل

بل صار اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ على مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات الكمال متناهي ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له ايضا لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذا محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه من كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كانه يراه بقلبه واما حبه لله فهو ميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا ادرك منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى **فان قلت** محبة الله للعبد امر ملتبس فبم يعرف ان العبد حبيب الله فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه اذا احب الله عبدا ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له مالا ولا اهلا فعلامة محبة الله للعبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشتري حمارا تركبه فقال انا اعز على الله من ان يشغلني عن نفسه بحمار وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رايتك تحبه ورايته يبتليك فاعلم انه يريد يصافيك وقال بعض المريدين لاستاده قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه وقال اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وامثاله هو علامة حب الله للعبد فلنذكر الان علامات محبة العبد لله تعالى فانها ايضا علامات حب الله العبد

القول في علامات محبة العبد لله تعالى

اعلم ان المحبة يدعيها كل احد وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر على القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الاثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور ان يحب القلب محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي ان يكون محبا للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة قال عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال حذيفة الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة احب الى الله ان تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء فان حفظت وصيتي لم يكن غائب احب اليك من الموت ولن تعجزه وروي عن اسحق بن سعد بن ابي وقاص قال حدثني ابي ان عبد الله بن جحش قال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا باسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم ياخذني فيجدع انفي واذني ويبقر بطني فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رايته اخر النهار وان انفه واذنه لمعلقتان في خيط وقال سعيد بن المسيب ارجو ان يبر الله قسمه آخره كما ابر اوله وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب وقال البويطي لبعض الزهاد اتحب الموت فكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله افضل من طلب الفرار منه **فان قلت** من لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله تعالى فاقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتاسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لان الحب

الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روي ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله ذلك اشد عليهم من فعله فقالوا وكيف وهي اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب ايضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها **السبب الثاني للكراهة** ان يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء الله تعالى فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتاخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب اصلا وعلامته الدؤوب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد **ومنها** ان يكون مؤثرا ما احبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله تعالى ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله تعالى المحبين بالايثار فقال يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

اريد وصاله ويريد هجري ... فاترك ما اريد لما يريد

بل الحب اذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روي ان زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى وكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل واذا دعاها ليلا سوفته الى النهار وقالت يا يوسف انما كنت احبك قبل ان اعرفه فاما اذ عرفته فما ابقت محبته محبة لسواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره امرني بذلك واخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت اما اذا كان الله تعالى امرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت اليه فاذن من احب الله لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

وقيل في هذا المعنى ايضا

واترك ما اهوى لما قد هويته ... وارضى بما ترضى وان سخطت نفسي

وقال سهل علامة الحب ايثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبته لله سبب محبة الله له كما قال يحبهم ويحبونه واذا احبه الله تعالى تولاه ونصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله الى هواه وشهواته ولذلك قال تعالى والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا **فان قلت** فالعصيان هل يضاد اصل المحبة فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة وياكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روي ان نعيمان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه فيحده في كل قليل في معصية يرتكبها الى ان اتي به يوما فحده فلعنه رجل فقال ما اكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه فقال صلى الله عليه لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة نعم تخرجه المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب احبه الحب البالغ وترك المعاصي وعلى الجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك اتحب الله تعالى فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك **ومنها** ان يكون مستهترا بذكر الله لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر بالضرورة ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله حب ذكره وحب القران الذي هو كلامه وحب رسوله عليه السلام وحب كل ما ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كلب محلته فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف المحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وليس ذلك شركة في الحب فان من احب رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه احب جميع خلق الله لانهم خلقه فكيف لا يحب القران والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب اداب الصحبة والاخوة ولذلك قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لله تعالى وقال سفيان من احب من يحب الله تعالى فانما احب الله تعالى ومن اكرم من يكرم الله تعالى فانما اكرم الله تعالى وحكي عن بعض المريدين قال

كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في بدء الارادة فادمنت قراءة القرآن ليلاً ونهاراً ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال
فسمعت قايلاً يقول في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي ● قال فانتبهت وقد اشرب
في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي ● وقال ابن مسعود لا ينبغي ان يسال احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله
تعالى وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله ● وقال سهل علامة حب الله حب القرآن وحب القرآن حب النبي وعلامة حب النبي صلى الله
عليه حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ منها الا زادا
وبلغة الى الآخرة ● ومنها ان يكون انسه بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفا
الوقت بانقطاع العوايق واقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث عنده الذ
واطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته ● قيل لابرهيم بن ادهم وقد نزل من الجبل من اين اقبلت فقال من الانس بالله ● وفي اخبار داود
لا تستانس الى احد من خلقي فاني انما اقطع عني رجلين رجل استبطا ثوابي فانقطع ورجل نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى
نفسه وان ادعه في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشاً من الله ساقطاً عن درجة محبته ● وفي
قصة برخ وهو العبد الاسود الذي استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى ان برخا نعم العبد هو لي الا ان فيه عيبا
قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شيء ● وروي ان عابدا عبد الله في غيضة دهرا
فنظر الى طاير قد عشش في شجرة ياوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت انس بصوت هذا الطاير
ففعل فاوحى الله تعالى الى النبي عليه السلام قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك ابدا
فاذن علامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن
لذة المناجاة وعلامة الانس ان يصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد
انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو
في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع جميع الهموم بل يستغرق الانس
والحب قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم يكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وانسه في الباطن
بذكر حبيبه فالمحب من لا يطمئن الا بمحبوبه ● وقال قتادة في قوله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب
قال هشت اليه واستانست به ● وقال الصديق من ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر
وقال مطرف بن ابي بكر المحب لا يسام من حديث حبيبه ● واوحى الله الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل
نام عني اليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني ● وقال موسى يا رب اين انت فاقصدك فقال اذا قصدت
فقد وصلت ● وقال يحيى بن معاذ من احب الله ابغض نفسه وقال ايضا من لم تكن فيه ثلث خصال فليس بمحب يوثر كلام الله
على كلام الخلق ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ● ومنها ان لا يتاسف على ما يفوته مما سوى الله تعالى ويعظم
تاسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة
قال بعض العارفين ان لله عبادا احبوه واطمانوا اليه فذهب عنهم التاسف على الفايت فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ كان
ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظته
ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب ويساله ويقول رب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي
وبمتابعة الشيطان فيستخرج منه ذلك صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة ويكون هفوته سببا لتجدد ذكره
وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم ياسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم ان المحبوب لم
يقدر له الا ما فيه خيرته ويذكر قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ● ومنها ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها
ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ● وقال الجنيد علامة المحبة دوام
النشاط والدووب بشهوة يفتر بدنه ولا يفتر قلبه ● وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله الفتور ● وقال بعض العلماء والله
ما اشتفى محب لله من طاعته ولو حل بعظيم الوسايل وكل هذا مثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل السعي
في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان احب الاشيا اليه ان يعاوده القدرة وان
يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوبه احب اليه

من الكسل ترك الكسل في خدمته وان كان احب اليه من المال ترك المال في حبه ● وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له
شيء ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك كله
فقال المحبوب ان كنت تحبني فايش تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف
لعبد لمعبود وكان هذا سببه ● ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله تعالى رحيما بهم شديدا على جميع اعداء الله تعالى وعلى كل
من يقارف شيئا مما يكرهه الله كما قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم ولا تاخذه لومة لايم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله
تعالى اولياءه اذ قال الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء وياوون الى ذكري كما ياوي النسر الى وكره ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر اذا
حرد فانه لا يبالي قل الناس او كثروا فانظر الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشيء لم يفارقه وان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح
حتى يرد اليه فان نام اخذه معه في ثيابه فاذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومهما نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه
احبه واما النمر فلا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه ان يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت
محبته وخلص حبه وصفي في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بشيء من شراب
المقربين كما قال الله تعالى في الابرار ان الابرار لفي نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه
من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف الذي للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما
ان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون وكان امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث
يشهده المقربون وكما ان الابرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة كما بدانا اول خلق نعيده ● وقال تعالى جزاء وفاقا اي وافق الجزاء اعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من
الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه واعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره فان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
فمن كان حبه في الدنيا رجاء لنعيم الجنة والحور والقصور مكن من الجنة ليتبوا منها حيث يشا فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان
ومن كان مقصده رب الدار ومالك الدار ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار
يرتعون في البستان ويتمتعون في الجنان مع الحور والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم
الجنان بالاضافة الى ذرة منها فمن بعض اشهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة قوم اخرون ولذلك قال صلى الله عليه اكثر
اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظم امره فقال وما ادراك ما عليون كما قال
القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة ● ومنها ان يكون في حبه خايفا متضاييلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان
الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام
المحبة ليست لغيرهم وبعضها اشد من بعض فاولها خوف الاعراض واشد منها خوف الحجاب واشد منه خوف الابعاد وهذا
المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين اذ سمع قوله الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما تعظم هيبة البعد
وخوفه في قلب من الف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه اهل القرب في القرب ولا يحن
الى القرب من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات
القرب لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال صلى الله عليه من استوى يوماه فهو مغبون
ولذلك قال وانه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله وانما كان ذلك استغفارا من القدم الاول
فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روي
عنه تعالى ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسلب لذة
الشهوات عقوبة العموم ● واما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك
هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف ما لا يدرك تعذر فوته سمع ابرهيم ابن ادهم قايلا
يقول في سياحته وكان على جبل ● كل شيء منك مغفور سوى الاعراض عني ● قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات مني ● فاضطرب
وغشي عليه ولم يفق يوما وليلة وطرت عليه احوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابرهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت
ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن

ذلك كان بسبب وقوعه او بسبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل الحب عليه من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات
في القلب لها اسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها واذا اراد الله المكر به واستدراجه اخفى عنه ما ورد عليه من
السلو فيقف مع الرجا او يغتر بحسن الظن او تغلبه الغفلة والهوى والنسيان وكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة
من العلم والعقل والذكر والبيان وهذا من اوصاف الله بما يظهر فتقتضي هيجان الحب وهو اوصاف اللطف والرحمة والحكمة من
اوصافه فمما يلوح فيورث السلو كاوصاف الجبرية والعزة والاستغنا وذلك من مقدمات المكر والشقا والحرمان نعوذ بالله من الاستبدال
به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر
بالذكر وانقباضه عن دوام الذكر وملالته ولوظائف الاوراد اسباب هذه المعاني ومقدماتها فظهور هذه الاسباب دليل على
النقل عن مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل صدق
الحب فان من احب شيئا خاف لا محالة فقده فلا يخلو الحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من
عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن
عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله وقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلب عليه المحبة
حتى اتسع منها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب
واستولت المعرفة لم تثبت لها طاقة البشر فانما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب فقد روي في الاخبار ان بعض الصديقين ساله
بعض الابدال ان يسال الله ان يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله وقلبه ووله وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع
ولا ينتفع به بشي فسال له الصديق ربه فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله تعالى اليه انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء
من ذرة المعرفة وذلك ان مائة الف عبد سالوني شيئا من المعرفة الذي سالني هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك
فيما سالت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه
مما اعطيته فاذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من مائة الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه
وسكن وصار كسائر العارفين **وقد قيل** في وصف حال العارف • قريب الوجد ذو مرمى بعيد عن الاحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب كان فؤاده زبر الحديد • لقد عزت معانيه فغابت عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعياد في الاوقات يجري له في كل يوم الف عيد • وللاحباب افراح بعيد ولا يجد السرور له بعيد
وقد كان الجنيد ينشد ابياتا تشير الى اسرار احوال العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره **وهي**
سرت باناس في الغيوب قلوبهم فحلوا بقرب الماجد المتفضل • عراصا بقرب الله في ظل قدسه تجول بها ارواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى ومصدرهم عنها لما هو اكمل • تروح بعز مفرد من صفاته وما كتمه اولى لديه واعدل
سالكتم من علمي به ما اصونه وابذل منه ما ارى الحق يبذل • واعطي عباد الله منه حقوقهم وامنع منه ما ارى المنع افضل
على ان للرحمن سرا اصونه الى اهله في السر والصون اجمل • وامثال هذه المعارف التي اليها الاشارات لا يجوز ان
يشترك الناس ولا يجوز ان يكشفها من ظهر له شي منها لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول
الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال اربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو
اكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسن والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله فيما هو شر في الظاهر
اسرار وحكم كما ان له في الخير اسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته **ومنها** كتمان الحب واجتناب الدعوى
والتوقي في اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب
ولانه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافترا ويعظم العقوبة عليه في العقبى وتعجل عليه البلوى
في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه يدهش فيه وتضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تعمل واكتساب
فهو معذور لانه مقهور وربما يشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر
على الكتمان يقول • وقالوا قريب قلت ما انا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري
فما لي منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدري • والعاجز عنه يقول
يخفي فيبدي الدمع اسراره ويظهر الوجد عليه النفس • ويقول ايضا

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنيه كيف يكتم • وقد قال بعض العارفين اكثر الناس من الله تعالى بعدا اكثرهم
اشارة به كانه اراد من يكثر التعريض به في كل شي فيظهر التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله • ودخل ذو
النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم
بضربه فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه **فان قلت** المحبة
منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا استنكر فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها
لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق المحب ان يتم على حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله وافعاله بل ينبغي ان يظهر حبه من
غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط واما ارادته
اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفايا
يجزيك به علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب
سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه **حكي** ان رجلا راى من بعض المجانين ما استجهله
فيه واخبر بذلك معروفا الكرخي فتبسم ثم قال يا اخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رايته من مجانينهم ومما يكره
التظاهر بالحب بسببه ان كان المحب لو كان عارفا وعرف احوال الملائكة في حبهم الدايم وشوقهم اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار
لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه اخس المحبين في ملكه
وان حبه انقص من حب كل محب لله تعالى وقال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله تعالى ثلثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل
المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيئا فذكر اشياء من مكاشفات ايات السموات في قصة طويلة قال في اخرها
فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شي فقلت من انتم فقالوا نحن المحبون لله تعالى نعبده هاهنا منذ ثلثمائة الف سنة
ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنهم في جهنم فاذن من عرف
نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحيا خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم تشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه
وتردداته كما حكي عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السري فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فاخذنا
قارورة مائه فنظر اليه الطبيب وجعل ينظر مليا ثم قال لي اراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من
يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما ابصره قلت يا استاذ وتبين المحبة في البول قال نعم • وقد قال السري
مرة لو شئت اقول ما ايبس جلدي على عظمي ولا نحل جسمي الا حبه ثم غشي عليه ويدل الغشية على انه افصح في غلبة الوجد ومقدمات الغشية
فهذه مجامع علامات الحب لله تعالى وثمراته **ومنها** الانس والرضا كما سياتي وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق
ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم
يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين • ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم
في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان ارضوه الا انه تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة
بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة واسماءه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه اذا استحق
عندهم المحبة بذلك لانه اهل له ولو ازال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه
بحكم الغرور والجهل ويظن انه محب لله وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات اذ يلتبس بها نفاقا وريا وسمعة وغرضا عاجلا من
حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء والقراء السوء اولئك بغضاء الله في ارضه • وكان سهل اذا تكلم مع انسان
قال يا دوست اي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في اذن القايل سرا لا يخلو اما ان يكون مؤمنا او منافقا
فان كان مؤمنا فهو حبيب الله وان كان منافقا فهو حبيب ابليس • وقد قال ابو تراب النخشبي في علامات الحب ابياتا **وهي**
لا تخدعن فللحبيب دلايل ولديه من تحف الحبيب وسايل • منها تنعمه بمر بلائه وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة والفقر اكرام وبر عاجل • ومن الدلايل ان ترى من عزمه طوع الحبيب وان الح العاذل
ومن الدلايل ان ترى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلابل • ومن الدلايل ان ترى متنعما لكلام من يحظى لديه السايل
ومن الدلايل ان ترى متقشفا متحفظا من كل ما هو قايل •
ومن الدلايل ان تراه مشمرا في خرقتين على شطوط الساحل • ومن الدلايل حزنه ونحيبه جوف الظلام فما له من عاذل

حبه

ومن الدلائل ان تراه مشمرا نحو الجهاد وكل فعل فاضل • ومن الدلائل زهده فيما ترى من دار ذل والنعيم الزائل •
ومن الدلائل ان تراه باكيا ان قد رآه على قبيح فاعل • ومن الدلائل ان تراه مسلما كل الامور الى المليك العادل •
ومن الدلائل ضحكه بين الورى والقلب محزون كقلب الثاكل • ومن الدلائل ان تراه راضيا بمليكه في كل حكم نازل •

بيان معنى الانس بالله تعالى

قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من آثار المحبة الا ان هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه فتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هاهنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخلوة كما حكي ان ابراهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين اقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلازمه الاستيحاش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشياء على القلب كما روي ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغثيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آنسني بذكره واوحشني من خلقه • وقال الله تعالى لداود عليه السلام كن بي مستأنسا ومن سواي مستوحشا • وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل • وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد اعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة رأس العبادة قلت يا راهب ما اقل ما تجد في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت متى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصار هما واحدا في الطاعة • وقال بعض العلماء عجبا للخلائق كيف ارادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استأنست بسواك عنك

فان قلت فما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي رضي الله عنه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس بالله وهذه علاماته وهذه شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله بان جمال المدركات بالبصائر اكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب • ومنهم احمد بن غالب يعرف بغلام الخليل انكر على الجنيد وعلى ابي الحسين النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى انكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر فاما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع على مقامات الدين الا على القشور فظن انه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق العين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره ظن ان الجوز خشب كله واستحال عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل
• الانس بالله لا يحويه بطال • وليس يدركه بالحول محتال • والآنسون رجال كلهم نجب • وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والادلال الذي يثمره غلبة الانس

اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم في مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام ويتشبه بهم في

الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى ان يسأله ليستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى ليستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى الله تعالى اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينا موسى ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى فقال كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم به موسى فاوحى الله اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلث مرات • وعن الحسن قال احترقت اخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وابو موسى يومئذ امير البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فاتي بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك لا يحترق قال اني اقسمت على ربي تعالى ان لا يحرقه فقال ابو موسى اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في امتي قوم شعثة رؤوسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله لابرهم • قال ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني اقسمت على ربي ان لا يحرقني بالنار قال فاعزم عليها ان تطفى فعزم عليها فطفيت • وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال ابو حفص ما اصابك قال ضل حماري ولا املك غيره فوقف ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره فظهر الحمار في الوقت ومضى ابو حفص رحمه الله فهذا وامثاله يجري لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة • وقال مرة لو سمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه اشار القائل

قوم تخالجهم زهو بسيدهم • والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له • يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لاولي الابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار فانما هي عند ذوي الاغترار من الاسمار فاول القصص قصة آدم وابليس اما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والعصمة اما ابليس فابلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين واما آدم فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله نبيه عليه السلام في الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى • وقال في الآخر اما من استغنى فانت له تصدى وكذلك امره بالقعود مع طائفة فقال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم وامره بالاعراض عن غيرهم فقال واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة • فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء • وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم علي ذنب وقوله اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري وقوله اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى من سوء الادب لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس ما دون هذا لما اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ونودي عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم قال الحسن العراء هو القيامة ونهي نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به وقال فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد • وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض • وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه يوم ولد

ويوم يموت ويوم يبعث حيا وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقال بعض العلماء قد عددت من اول قوله ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا الى راس العشرين من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد تجتمع في الكلمة
الواحدة الثلاث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل للعزير مسالة واحدة سال عنها في القدر حتى قيل يمحى من ديوان النبوة وكان
بلعم بن باعورا من اكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان اصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفا عنه روي
ان الله تعالى اوحى الى سليمن عليه السلام يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك اصف وانا احلم عنه مرة بعد اخرى
فوعزتي وجلالي لئن اخذته عطفة من عطفاتي عليه لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل اصف على سليمان اخبره بما اوحى
الله اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ويديه وقال الهي وسيدي انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف
استعصم ان لم تعصمني لاعودن فاوحى الله تعالى اليه يا اصف انت انت وانا انا استقبل التوبة قد تبت عليك وانا التواب الرحيم
وهذا كلام مدل به وهارب منه اليه وناظر به اليه • وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى عبد تداركه بعد ان اشفى على الهلكة كم من ذنب
واجهتني به غفرته لك قد اهلكت في دونه امة من الامم فهذه سنة الله تعالى في عباده بالتفضيل والتقديم والتاخير على ما سبق
به المشية الازلية وهذه القصص اوردت في القران ليعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القران شي الا وهو
هدى ونور وتعرف من الله تعالى الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
احد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف اليهم
في افعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في انبيائه وفي اعدائه فيقول الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد
الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ولا يعدو القران هذه الاقسام الثلاثة وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه او معرفة
صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بثلث القران فقال من قرا سورة الاخلاص فقد قرا ثلث القران لان منتهى التقديس ان يكون واحدا في
امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل
عليه قوله ولم يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن اصلا ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا احد ويجمع جميع
ذلك قوله قل هو الله احد وجملته تفصيل قولك لا اله الا الله فهذه اسرار القران ولا تتناهى امثال هذه الاسرار في القران ولا
رطب ولا يابس الا في كتاب مبين • ولذلك قال ابن مسعود ثوروا القران والتمسوا غرائبه ففيه علم الاولين والاخرين وهو
كما قال ولا يعرفه الا من طال في احاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة **ومنها** بانه كلام جبار قاهر
مليك مقتدر وانه خارج عن حد استطاعة البشر واكثر اسرار القران معناه في طي القصص والاخبار فكن حريصا على استنباطها
لينكشف لك فيها من العجايب ما تستحقر معها العلوم المزخرفة الخارجة عنها فهذا ما اردنا ذكره في معنى الانس والانبساط
الذي هو ثمرته وتفاوت عباد الله فيه

القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيلته

اعلم ان الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهي من اعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والايهام
غير منكشف الا لمن علمه الله التاويل وفقهه في الدين فقد انكر منكرون تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضا بكل
شي لانه فعل الله فينبغي ان يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع به قوم فراوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من باب
التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه لابن عباس
حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فلنبدا ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات احوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا
وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن انه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي

بيان فضيلة الرضا

اما الايات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان
ومنتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عنه وقد قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان
رضا الله عن عباده وهو ثواب رضا العبد عنه • وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر فقد رفع
الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلوة حيث قال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان
مشاهدة المذكور في الصلوة اكبر من الصلوة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان وفي الخبر ان الله
تعالى يتجلى للمومنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فسوالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضل واما رضا العبد فسنذكر حقيقته واما

رضوان الله عن العبد فهو بمعنى اخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تعالى للعبد ولا يجوز ان يكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن
دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه وانما سالوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكانهم
راوا غاية الغايات واقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسوال لم يسالوا الا دوامه وعلموا ان الرضا هو سبب دوام
رفع الحجاب وقال تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه ياتي اهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احدها
هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم
من ربهم فيزيد ذلك على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من
الهدية والتسليم فذلك قوله ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضا الله وهو ثمرة رضا العبد **واما الاخبار**
فقد روي ان النبي صلى الله عليه سال طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مومنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلا ونشكر عند
الرخا ونرضى بمواقع القضا فقال مومنون ورب الكعبة • وفي خبر اخر انه قال حكما علما كادوا من فقههم ان يكونوا انبيا وفي الخبر
طوبى لمن هدي للاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به • وقال صلى الله عليه من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل
من العمل وقال ايضا اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه • وقال ايضا اذا كان يوم القيمة انبت الله
تعالى لطائفة من امتي اجنحة فيطيرون من القبور الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاوا فيقولون ما راينا صراطا فيقولون هل
رايتم جهنم فيقولون ما راينا شيا فتقول الملائكة من امة من انتم فيقولون من امة محمد عليه السلام فيقولون نشدناكم الله حدثونا ما
كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا
خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا • وقال عليه السلام اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا
بثواب فقركم والا فلا • وفي اخبار موسى عليه السلام ان بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه رضي به عنا فقال
موسى عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا عليه السلام
انه قال من احب ان يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه وفي
اخبار داود عليه السلام ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان محبتي من اوليائي ان يكونوا
روحانيين لا يغتمون • وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضاي في
كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه فان رضاي في رضاك بقضائي • وفي مناجاة موسى عليه السلام اي
رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمني قال فاي خلقك انت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر
فاذا قضيت له سخط قضائي وقد روي ما هو اشد منه وذلك ان الله تعالى قال انا الله لا اله الا انا من لم يصبر على بلائي
ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سواي ومثله في الشدة قوله تعالى فيما حكى عنه نبينا عليه السلام قدرت المقادير
ودبرت التدبير واحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني • وفي الخبر المشهور يقول
الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل
ثم ويل لمن قال لم وكيف • وفي الاخبار السالفة ان نبيا من الانبيا شكا الى الله تعالى الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما اجيب
الى ما اراد ثم اوحى الله تعالى اليه كم تشكو هكذا كان بدوك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك
مني وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب
ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة • وروي ان ادم عليه السلم
كان بعض اولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل احدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد الى راسه ثم ينزل
على اضلاعه كذلك قال وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع راسه فقال له بعض ولده يا ابت اما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته
عن هذا فقال يا بني اني رايت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان
ومن دار النعيم الى دار الشقا فاخاف ان اتحرك حركة اخرى فيصيبني ما لا اعلم • وقال انس بن مالك خدمت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشي فعلته لم فعلته ولا لشي لم افعله لا فعلته ولا قال في شي كان ليته لم يكن ولا في شي
لم يكن ليته كان وكان اذا خاصمني مخاصم يقول دعوه لو قضي شي لكان • وروي ان الله تعالى اوحى الى داود تريد واريد وانما
يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد **واما الاثار**

نعم قال ابن عباس اول من يدعى الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال • وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور الا
في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله • وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضا فليس لحمقه دوا • وقال الفضيل ان لم
تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك • وقال عبد العزيز بن ابي رواد ليس الشان في اكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف
والشعر ولكن الشان في الرضا عن الله تعالى • وقال عبد الله بن مسعود لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب
الي من ان اقول لشي كان ليته لم يكن او لشي لم يكن ليته كان • ونظر رجل الى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال اني لارحمك من هذه القرحة
فقال اني لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني • وروي في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله دهرا طويلا فاري في المنام فلانة
الراعية رفيقتك في الجنة فسال عنها الى ان وجدها فاستضافها ثلثا لينظر الى عملها فكان يبيت قايما وتبيت نايمة ويظل صايما
وتظل مفطرة فقال اما لك عمل غير ما رايت فقالت ما هو والله الا ما رايت لا اعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصلة واحدة
هي فيّ ان كنت في شدة لم اتمن ان اكون في رخا وان كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن ان اكون في الظل فوضع
العابد يده على راسه وقال اهذه خصلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد • وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى في السما
قضا احب من اهل الارض ان يرضوا بقضايه • وقال ابو الدردا ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر • وقال عمر رضي الله
عنه ما ابالي على اي حال اصبحت وامسيت من شدة او رخا • وقال الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت اما تستحي من الله
ان تساله الرضا وانت عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر بن سليم الضبعي فمتى يكون راضيا عن الله فقالت اذا كان سروره
بالمصيبة مثل سروره بالنعمة • وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطا فقد رضي عن الله تعالى • وقال احمد بن ابي الحواري
قال ابو سليمان الداراني ان الله تعالى من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذلك قال اليس مراد العبد من
الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه • وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من
الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله وقد قال صلى الله عليه ان الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين
وجعل الغم والحزن في الشك والسخط

بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى

اعلم ان من قال ليس فيما يخالف
الهوى وانواع البلا الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فانما اتي من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق
الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المولم ولا
يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه او حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا
يحس بها حتى اذا راى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمها لشغل
قلبه بل الذي يحجم او يحلق راسه بحديدة كالة يتالم بها فان كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر
به وكل ذلك لان القلب اذا كان مستغرقا بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة
معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان يتالم به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلا الحب على قلبه هذا اذا اصابه
من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من اعظم الشواغل واذا تصور هذا في الم يسير بسبب حب
خفيف تصور في الالم العظيم بالحب العظيم فان الحب ايضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى حب
الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال حضرة الربوبية و
جلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شي منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه • وقد روي ان امراة فتح الموصلي
عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها ما تجدين الم الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه • وكان سهل به علة يعالج غيره
منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن
يكون راضيا بل راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفاصد الفصد والحجامة فانه يدرك
المه الا انه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفاصد منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الالم وكذلك كل من
يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره يطيب عنده مشقة السفر ويجعله راضيا بها ومهما
اصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا
ان كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه
لا لمعنى اخر فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها

المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو الا
جلد على لحم ودم مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة
وان نظر الى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا
تصور استيلا هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا
يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا امر واضح من
حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات احوال المحبين واقوالهم فقد قال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهي
المخرج منها • وقد قال الجنيد سالت سريا السقطي هل يجد المحب الم البلا قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف
سبعين ضربة ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شي بحبه حتى لو احب النار احببت دخول النار وقد قال بشر بن الحارث
مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت له ولم
سكت قال لان معشوقي كان بحذاي ينظر الي قلت فلو نظرت الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة خر ميتا وقال يحيى بن معاذ
الرازي اذا نظر اهل الجنة الى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمان مائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك
بقلوب وقعت بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت جماله تاهت • وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي
فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت راسه فوضعته في حجري وانا اردد الكلام فلما افاق قال
من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رايت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين
ربه فانكرتها • وقال ابو عمرو محمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر ليس لهم غذا الا النظر الى وجه يوسف عليه السلام
كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل في القران ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة
ايديهن لاستغراقهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك • وقال سعيد بن يحيى رايت بالبصرة في خان عطا بن مسلم شابا
وفي يده مدية وهو ينادي باعلى صوته والناس حوله وهو يقول •
يوم الفراق من القيامة اطول • والموت من الم التفرق اجمل • قالوا الرحيل فقلت لست براحل • لكن مهجتي التي تترحل
ثم بقر بالمدية بطنه وخر ميتا فسالت عنه وعن امره فقيل انه يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا • ويروى ان يونس
عليه السلام قال لجبريل دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول
الهي متعتني بهما ما شيت انت وسلبتني ما شيت انت وابقيت لي فيك الامل يا بار يا وصول • يروى عن عبد الله بن عمر انه اشتكى
ابن له فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في
جنازته وما رجل ابدى سرورا منه فقيل له في ذلك فقال انما كان حزني رحمة له فلما وقع في امر الله رضينا به • وقال مسروق
كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلوة والحمار ينقلون عليه الما ويحمل لهم خباهم والكلب يحرسهم فجا
الثعلب فاخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم
اصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم من نواحيهم قال فانما اخذ اوليك لما كان عندهم من اصوات الكلاب والحمار
والديكة وكانت الخيرة لهولا في هلاك هذه الحيوانات كما قدر الله تعالى فاذن من عرف خفي لطف الله رضي بفعله على كل حال • ويروى
ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى
به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا اي شي من البلا اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في
قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان
به فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه • وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من اكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة
وايمك لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة • وكان ابن مسعود يقول الفقر
والغنى مطيتان ما ابالي ايهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى فان فيه البذل • وقال ابو سليمان الداراني قد
نلت من كل مقام حالا الا الرضا فما لي منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلايق كلهم الجنة وادخلني النار كنت به راضيا
وقيل لعارف اخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال اما الغاية فلا ولكن مقاما من الرضا قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يعبر الخلايق
علي الى الجنة ثم ملا بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمته وهذا كلام من علم ان

لست قد استغرقه همه حتى منعه الاحساس بالم النار فان بقى احساس فيغمره ما يحصل من لذته فى استشعاره حصول رضا محبوبه بالقائه اياه فى النار واستيلاء هذه الحالة غير محال فى نفسها وان كان بعيدا من احوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغى ان يستنكر الضعيف المحروم احوال الاقوياء ويظن ان ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء ● وقال الروذبارى قلت لابى عبد الله بن الجلا الدمشقى قول فلان وددت ان جسدى قرض بالمقاريض وان هذا الخلق اطاعوه ما معناه قال يا هذا ان كان هذا من طريق الاشفاق والنصح للخلق فاعرف وان كان من طريق الاجلال والتعظيم فلا اعرف قال ثم غشى عليه وقد كان عمران بن حصين استسقى بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلثين سنة لا يقوم ولا يقعد وقد نقب له فى سرير من جريد كان عليه موضع لقضا حاجته فدخل عليه مطرف واخوه العلا فجعل يبكى لما يرى من حاله فقال لم تبكى قال لانى اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان احبه الى الله تعالى احبه الى ثم قال احدثك شيا لعل الله ان ينفعك به واكتم على حتى اموت ان الملائكة تزورنى فانس بها وتسلم على فاسمع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلا ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا فى بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن متعبة نعوده فراينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيا حتى كشف فقالت له امراته اهلى فداوك ما نطعمك وما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف واصبحت نضوا لا اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما وما يسرنى انى نقصت من هذا قلامة ظفر ● ولما قدم سعد بن ابى وقاص الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يساله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السايب فاتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفنى وقال انت قارى اهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال فى اخرها فقلت له يا عم انت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بنى قضا الله عندى احسن من بصرى ● وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلثة ايام لم يعرف له خبر فقيل له لو سالت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضى عليه فيما قضى اشد على من ذهاب ولدى وعن بعض العباد انه قال انى اذنبت ذنبا عظيما فانا ابكى عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد فى العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو قال قلت مرة لشى كان ليته لم يكن ● وقال بعض السلف لو قرض جسمى بالمقاريض لكان احب الى من ان اقول لشى قضاه الله ليته لم يقضه ● وقيل لعبد الواحد بن زيد ها هنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبى اخبرنى عنك هل قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصوم والصلوة قال نعم قال لولا انى استحيى منك لاخبرتك ان معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه انه لم يفتح لك باب القلب فترقى الى درجات القرب باعمال القلوب وانما انت تعد فى طبقة اصحاب اليمين لان مزيدك منه فى اعمال الجوارح التى هى مزيد اهل العموم ودخل جماعة من الناس على الشبلى فى مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من انتم فقالوا محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتى ان صدقتم فاصبروا على بلائى ●

وللشبلى

ان المحبة للرحمن اسكرنى ● وهل رايت محبا غير سكران ●

وقال بعض عباد الشام كلكم يلقى الله ولعله قد كذبه وذلك ان احدكم لو كانت له اصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعنى بذلك ان الذهب ممدوح عند الله والناس يتفاخرون به والبلا زينة اهل الاخرة وهم يستنكفون منه ووقع الحريق فى السوق فقيل للسرى احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتى دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله فاذا تاملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات اهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا فى حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا فى حق حب الله وحظوظ الاخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضا بالالم لما يتوقع من الثواب الموعود كالرضا بالفصد والحجامة وشرب الدوا لانتظار الشفا والثانى الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب فى مراد المحبوب فيكون الذ الاشيا عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو فى هلاك روحه كما قيل وما لجرح اذا ارضاكم الم ● وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد يستولى الحب بحيث يدهش عن ادراك الالم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغى ان ينكره من فقده من نفسه لانه انما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجايبه فللمحبين عجايب اعظم مما وصفناه ● وقد روى عن عمرو بن الحارث الرافعى قال كنت فى مجلس بالرقة عند صديق لى وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا فى المجلس فضربت بالقضيب وغنت

علامة ذل الهوى على العاشقين البكا ● ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكى ●

فقال لها الفتى احسنت والله يا ستى افتاذنين لى ان اموت فقالت مت راشدا قال فوضع راسه على الوسادة واطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت وقال الجنيد رايت رجلا متعلقا بكم صبى وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبى وقال الى متى ذا النفاق الذى

تظهر فقال قد علمت انى صادق فيما اورده حتى لو قلت لى مت لمت فقال ان كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا ● وقال سمنون المحب كان فى جيراننا رجل له جارية يحبها غاية المحبة فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبينما هو يحرك القدر اذ قالت الجارية اه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل الرجل ما فى القدر بيده حتى تساقطت اصابعه فقالت الجارية ما هذا فقال هذا موضع قولك اه ● وحكى عن محمد بن عبد الله البغدادى قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد اشرف على الناس وهو يقول ● من مات عشقا فليمت هكذا لا خير فى عشق بلا موت ● ثم رمى بنفسه الى الارض فحملوه ميتا فهذا وامثاله قد يصدق به فى حب المخلوقين والتصديق به فى حب الخالق اولى لان البصيرة فى العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذى فقد البصر ينكر جمال الصور والذى فقد السمع ينكر لذة الالحان والنغمات الموزونة فالذى فقد القلب لا بد وان ينكر ايضا هذه اللذات التى لا مظنة لها سوى القلب

بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصى ومقت اهلها ومقت اسبابها والسعى فى ازالتها بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يناقضه ايضا وقد غلط فى ذلك بعض البطالين المغترين وزعموا ان المعاصى والفجور والكفر من قضا الله تعالى وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشرع ● فاما الدعا فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا على ما نقلناه فى كتاب الدعوات يدل عليه ولقد كان صلى الله عليه فى اعلى المقامات من الرضا وقد اثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا واما انكار المعاصى وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله تعالى به عباده وذمهم على الرضا به فقال رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقال رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم ● وفى الخبر المشهور من شهد منكرا ورضى به فكانه قد فعله وفى الحديث الدال على الخير كفاعله وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به ● وفى الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضى بقتله اخر بالمغرب كان شريكا فى قتله وقد امر الله تعالى بالحسد والمنافسة فى الخيرات وتوقى الشرور فقال تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ● وقال النبى عليه السلام لا حسد الا فى اثنتين رجل اتاه الله حكمة فهو يبثها فى الناس ويعلمها ورجل اتاه الله تعالى مالا فسلطه على هلكته فى الحق وفى لفظ اخر ورجل اتاه الله القران فهو يقوم به انا الليل والنهار فيقول الرجل لو اتانى الله مثل ما اوتى هذا لفعلت مثل ما يفعل ● واما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القران والاخبار لا يحصى مثل قوله لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا ولذلك قال وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا ● وفى الخبر ان الله تعالى اخذ الميثاق على كل مومن ان يبغض كل منافق وعلى كل منافق ان يبغض كل مومن وقال عليه السلام المرء مع من احب وقال من احب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيمة ● وقال عليه السلام اوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله وشواهد هذا ذكرناه فى باب الحب والبغض فى الله من كتاب اداب الصحبة ومن كتاب الامر بالمعروف فلا نعيده

فان قلت فقد وردت الايات والاخبار بالرضا بقضا الله تعالى وكراهتها ومقتها كراهة لقضا الله تعالى فكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة فى شى واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفا القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى راوا السكوت على المنكرات مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شى واحد من جهة واحدة على وجه واحد وليس من التضاد فى شى واحد ان يكرهه من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذى هو ايضا عدو بعض اعدائك وساع فى هلاك فتكره موته من حيث انه مات عدو عدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه اسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف لك هذا الا بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدى محبيه انى اريد ان اميز بين من يحبنى ويبغضنى وانصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو انى اقصد الى فلان فاوذيه واضربه ضربا يضطره ذلك الى الشتم لى حتى اذا شتمنى ابغضته واتخذته عدوا لى فكل من احبه فاعلم انه ايضا عدوى وكل من ابغضه فاعلم انه صديقى ومحبى ثم فعل ذلك وحصل به مراده من الشتم الذى هو سبب البغض وحصل البغض الذى هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق فى محبته وعالم بشروط المحبة ان يقول اما تدبيرك فى ايذا هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رايك وتدبيرك وفعلك وارادتك واما شتمه اياك فانه عدوان من جهته اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم

ولكنه كان مرادك منه فان قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك
الذي دبرته فانا راض به ولو لم يحصل لكان نقصانا في تدبيرك وتعويقا في مرادك وانا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف
لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما تقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضي ان يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم
فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن هو حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك واما بغضك له بسبب شتمك فانا راض
به ومحب له لانه مرادك وانا على موافقتك ايضا مبغض له لان شرط المحب ان يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدو عدوه واما بغضك له
فاني ارضاه من حيث انك اردت ان يبغضك اذ ابعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني ابغضه من حيث انه وصف ذلك الشخص
وكسبه وفعله ولعنته لذلك فهو ممقوت عندي لمحبته اياك وبغضه ومقته الك ايضا مكروه عندي من حيث انه وصف وكل ذلك من حيث
انه مرادك فهو مرضي واما المناقض ان يكون هو من حيث انه مرادك مرضي ومن حيث انه مرادك مكروه فاما اذا كان مكروها لا من حيث
انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر
ذلك لا تحصى فاذن تسليط الله دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجر ذلك الى حب المعصية ويجر الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب
المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم ومقت الله لمن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره
يضاهي بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما حصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله ذلك بكل عبد من عبيده اعني تسليط دواعي المعصية
عليه يدل على انه شيئته بابعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله تعالى ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادي
من ابعده عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا
بابعاده قهرا ومطرودا بطرده اضطرارا والمبعد عن درجات القرب ينبغي ان يكون ممقوتا بغيضا الى جميع المحبين موافقة للمحبوب
باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا اتقرر جميع ما وردت به الاخبار من البغض في الله تعالى
من حيث انه قضاء الله وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة
والارادة ولكن الشر مكروه والخير مرتضى به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا من الله من غير
افتراق في الرضا والكراهة فهو ايضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فقد قال صلى الله عليه القدر سر الله فلا تفشوه
وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الان بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع انها من
قضاء الله وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه وبهذا يعرف ان الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الاسباب
المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله فان الله تعالى تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب
ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما ان حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا
للرضا بقضاء الله في العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش ومباشرة سبب رتبه مسبب الاسباب فكذلك سبب رتبه الله تعالى
وامر به وقد ذكرنا ان التمسك بالاسباب جريا على سنة الله لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو ايضا لا يناقض الرضا
لان الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم اظهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا واظهار
البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله ان لا يقول هذا يوم
حار اي في معرض الشكاية وذلك في الصيف فاما في الشتاء فهو شكر والشكوى مناقض للرضا بكل حال وذم الاطعمة وعيبها
مناقض للرضا لان مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب
والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي ان يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا
ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي **بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في**
الرضا اعلم ان الضعيف قد يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون يدل على النهي
عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون
انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي فيه المطعونون مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلا وضرا ولذلك شبهه رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من قضاء الله تعالى لما اذن لمن قارب البلد في الانصراف
وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل واذا عرفت المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من
القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير

عن المعصية ليس مذموما فلا زال السلف الصالحون يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واظهارهم ذلك وطلب
الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رايت بلدا شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدرى فيه نعمة الله
ويستصغر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رايت بغداد فقال ما رايت بها الا شرطيا غضبان او تاجرا لهفان
او قارئا حيران ولا ينبغي ان يظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وقصد بذلك تحذير الناس
وكان يخرج الى مكة وكان مقامه ببغداد ثلث استعداد القافلة ستة عشر يوما وكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينار
كفارة لمقامه وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار وقال ابن عمر رضي الله عنه لمولى له اين تسكن فقال العراق
قال فما تصنع به بلغني انه ما من احد يسكن العراق الا قيض الله له قرينا من البلاء وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة
اعشار الشر وفيه الداء العضال وقد قيل قسم الخير عشرة اجزاء فتسعة اعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر بالعكس
منه وقال بعض اصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متدرع بعباءة فاجلسه الى جانبه واقبل عليه
ثم قال اين تسكن قال بغداد فاعرض عنه وقال يا تينا احدهم في زي الرهبان فاذا سالناه اين تسكن قال في عش الظلمة وكان
بشر بن الحارث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من اراد الخروج فليخرج وكان
احمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي قيل فاين تختار السكنى قال بالثغور وقال
بعضهم وقد سئل عن اهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على ان من بلي ببلدة تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا
عذر له في المقام بها بل ينبغي ان يهاجر قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال او علاقة
فلا ينبغي ان يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية
الظالم اهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة فاذن ليس في شيء من اسباب نقصان الدين البتة رضا مطلق الا من حيث اضافتها الى فعل الله فاما هي في نفسها فلا وجه
للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من اهل المقامات ثلاثة رجل يحب الموت شوقا الى الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة
المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله لي ورفعت هذه المسالة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا افضلهم
لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط فقال الثوري كنت اكره الموت
الفجاة قبل اليوم واليوم وددت اني مت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال
سفيان لم قال لعلي اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لوهيب ايش تقول انت فقال لا اختار شيئا احب ذلك الي احبه
الى الله تعالى فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة **بيان جملة من حكايات المحبين واقوالهم ومكاشفاتهم**
قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من
السبعة فقال انا كل السبعة وكان يقول اذا رايتموني فقد رايتم اربعين بدلا فقيل وكيف وانت شخص واحد قال لاني رايت اربعين
بدلا واخذت من كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر
ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه ويحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق
ولي لله تعالى الا عرفته الا ورايت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي مرة حدثنا عن مشاهدتك
من الله تعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا ايضا
لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله تعالى فجمحت علي فعزمت عليها
ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك ويحكى عن يحيى بن معاذ انه راى ابا يزيد في بعض مشاهداته
من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصه مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على
صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي
في الهوا وعلى الماء فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني اعوذ
بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك قال حتى عد نيفا وعشرين مقاما
من كرامات الاولياء ثم التفت فراني فقال يحيى قلت نعم يا سيدي قال مذ متى انت هاهنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي
حدثني بشيء فقال احدثك بما يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي واراني الارضين وما تحتها الى الثرى

ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي السموات واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شي رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رايت شيا استحسنته فاسالك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشيا قال يحيى فهالني ذلك وامتلات به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا سالته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شيت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني لا احب ان يعرفه سواه ● وحكي ان ابا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعباداته ومواجيده فقال له ابو تراب يوما لو رايت ابا يزيد قال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله تعالى لو رايت ابا يزيد مرة واحدة كان انفع لك من ان ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى من قوله فانكره وقال وكيف ذلك قال له ويلك اما ترى الله عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر قصة قال في اخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج الينا من الغيضة وكان ياوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رانا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام الضعفا المريدين فقتله ذلك ● ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سالت الله تعالى دفعهم فسكت ثم قال ان لله عبادا في هذه البلدة لو دعوا الله على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله تعالى اشيا لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سالوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور ممكنة في انفسها فمن لم يحظ بشي منها فلا ينبغي ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم فاطلب ما ورا ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلا مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل ● وقال بعض العارفين كوشفت باربعين حورا رايتهن يتساعين في الهوا عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حورا فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم ازل اتضرع حتى صرفهن عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المومن لافلاسه عن مثلها فلو لم يومن كل واحد الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهذه اوائل سلوكهم واقل مقاماتهم وهي اعز موجود في الاتقيا من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق تفيض عليه انوار اليقين وتنكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرى انكار من انكر امكان انكشاف الصورة في الحديد اذا تشكل وصقل وصور منه مراة فنظر المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدا والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فانكر امكان انكشاف المرئي فيه عند ظهور جوهره وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات الاوليا اذ لا مستند له الا قصوره عنه وقصور من راه وبيس المستند ذلك للانكار وانما ينال ذلك من سلك شيا من الطريق ولو مبادي الطريق كما قيل لبشر باي شي نلت هذه المنزلة قال كنت اكتم الله حالي معناه اساله ان يكتم علي ويخفي امري ● وروي انه راى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني فقال وسترها عليك فقيل معناه يسرها عليك وسترها عن الخلق ● ويقال ان بعضهم قلق شوقه الى الخضر عليه السلام فسال الله تعالى مرة ان يريه اياه ليعلمه شيا كان اهم الاشيا عليه قال فرايته فما غلب علي همي ولا همة الا ان قلت له يا ابا العباس علمني شيا اذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك فما زلت اقول هذه الكلمات في كل يوم فحكي انه صار بحيث يستذل ويمتهن حتى كان اهل الذمة يسخرون به ويسخرونه في الطرق يحمل الاشيا لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذله وخموله فهكذا حال اوليا الله تعالى ففي امثال هولا ينبغي ان يطلبوا والمغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة

على اوليائه تابى الا اخفاهم كما قال الله تعالى اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال عليه السلام رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه به لو اقسم على الله لابره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل انفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه واذا لم يحس بالذل ولم يشعر ايضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع انواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاتية فمثل هذا القلب يرجى له ان يستنشق مبادي هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي ان نطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من اوليا الله فليكن محبا لاوليا الله مومنا بهم فعسى ان يحشر مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل اين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب وقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روي عن استاد الجنيد وهو ابن الكريني ان رجلا دعاه ثلاث مرات الى طعامه ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة فساله عن ذلك فقال قد رضيت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صار بمنزلة الكلب يطرد فيطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت ● وعنه ايضا انه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت قلبي فدخلت الحمام وعدلت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي قليلا قليلا فلحقوني ونزعوا مرقعتي واخذوا الثياب وصفعوني واوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وحائل وانما بعد القلوب شغلها بغيرها او بنفسها واعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكي ان شاهدا عظيم القدر من اعيان اهل بسطام كان لا يفارق مجلس ابي يزيد فقال له يوما انا منذ ثلاثين سنة اصوم الدهر ولا افطر واقوم الليل لا انام ولا اجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيا وانا اصدق به واحبه فقال ابو يزيد لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا دوا قال نعم قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى اعمل قال اذهب الساعة الى المزين فاحلق راسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباة وعلق في عنقك مخلاة مملوة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل باعلى صوتك يا صبيان من يصفعني صفعة اعطيته جوزة وادخل السوق الذي تعظم فيه فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها فقال يا ابا يزيد هذا لا اقدر عليه ولكن دلني على غيره فقال ابتدا هذا قبل كل شي فقال لا اطيقه قال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكره ابو يزيد هو دوا من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي من هذا المرض دوا سوى هذا وامثاله فمن لا يطيق الدوا فلا ينبغي ان ينكر امكان الشفا في حق من داوى نفسه بعد المرض او لم يمرض بمثل هذا المرض اصلا فاقل درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل ايضا وهذه امور جلية في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علما الشرع فقد قال عليه السلام لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون قلة الشي احب اليه من كثرته وحتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف واذا عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة اثر امر الاخرة على امر الدنيا وقال عليه السلام لا يكمل ايمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له ● وفي حديث اخر ثلاث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ال داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنا والفقر وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها عليه السلام لاهل الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات عليه عظيمة ورا الايمان وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولا يوثر علي شيا من خلقي وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد الما فمن لم يبلغ الى ان يغلبه الحب الى هذا الحد فمن اين يعرف ما ورا الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك ورا الحب والحب ورا كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال عليه السلام للصديق ان الله تعالى قد اعطاك مثل ايمان من امن بي من ولد ادم ● وفي حديث اخر ان لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر يا رسول الله هل في خلق منها قال كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله السخا وقال عليه السلام رايت ميزانا دلي من السما فوضعت في كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر

في كبده وحتى بانت فيه ضعيف في كبده فرح بهم ومع هذا كله فقد كان استغنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى حيث لم يتسع قلبه لخله مع غيره فقال لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه

خاتمة الكتاب

بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها قال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام ● وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهة البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها ● وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب يعجز القلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله المحبة على صاحب العلاقة ● وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله تعالى احذر ان تذل لغير الله ● وقيل للشبلي صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي

يا ايها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم ● يا رافع النوم عن جفوني انت بما مر بي عليم

ولغيره

عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل انسى فاذكر ما نسيت ● اموت اذا ذكرتك ثم احيا ولولا حسن ظني ما حييت
فاحيا بالمنى واموت شوقا فكم احيا عليك وكم اموت ● شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب ولا رويت ●
فليت خياله نصب لعيني فان قصرت في نظري عميت ●

وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلا اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي ● وقيل تكلم يوما سمنون في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فمات ● وقال ابراهيم بن ادهم الهي انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال سري السقطي من احب الله تعالى عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش ● وقيل لرابعة كيف حبك للرسول عليه السلام فقالت والله اني احبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين ● وسئل عيسى عليه السلام عن افضل الاعمال فقال الرضا عن الله تعالى والحب له ● وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة وانما يحب مولاه ● وقال الشبلي الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم ● وقيل المحبة ان تمحو اثرك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك اليك ● وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات ● وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله تعالى على عبده لمشاهدته بعد الفهم للارادة منه ● وقيل معاملة المحب على اربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وافضلها التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين تبقيان في الجنة مع اهل الجنة ويرفع عنهم غيرهما ● وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال عبد الله بن محمد سمعت امرأة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه فقلت لها افعلى ثقة انت من عملك قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه ● واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عندي اذا رجع الي وقال ابو خالد الصفار لقي نبي من الانبياء عابدا فقال انكم معاشر العباد تعملون على امر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه انتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي اوحى الله الى داود يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة للمحبين واوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام يا آدم من احب حبيبا صدق قوله ومن انس بحبيبه رضي فعله ومن اشتاق اليه جد في مسيره وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه ● وقال الجنيد بكى يونس عليه السلام حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا مني اليك ● وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله تعالى انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة ● وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله وارواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض المشايخ رأيت في جبل اللكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر ويقول الشوق والهوى صيراني كما ترى وقال الشوق نار الله تعالى اشعلها في قلوب اوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا

القدر كاف في شرح المحبة والانس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله اعلم تم كتاب المحبة والشوق والحمد لله رب العالمين

كتاب النية والاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ● نحمد الله حمد الشاكرين ● ونؤمن به ايمان الموقنين ● ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين ونشهد ان لا اله الا الله رب العالمين وخالق السموات والارضين ● ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين ان يعبدوه عبادة المخلصين فقال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فما لله الا الدين الخالص المتين ● فانه اغنى الاغنياء عن شركة المشاركين ● والصلوة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين

اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار القرآن ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون ● والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية او كيف يخلص من صحح النية اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص او كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد طاعة الله ان يتعلم النية لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين هما وسيلة العبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر معاني الصدق والاخلاص في ثلاثة ابواب **الباب الاول** ● في حقيقة النية ومعناها **الباب الثاني** في الاخلاص وحقائقه **الباب الثالث** في الصدق وحقيقته

الباب الاول في النية

وفيه بيان فضيلة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة هي النية ● وقال صلى الله عليه انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال صلى الله عليه اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته ● وقال الله تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق ● وقال صلى الله عليه ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال صلى الله عليه ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول الله تعالى انه نواه انه نواه ● وقال صلى الله عليه الناس اربعة رجل آتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سوا ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر سوا الا ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه ولذلك في حديث انس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية ● وفي حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امرأة منا وكان يسمى مهاجر ام قيس ● وكذلك جاء في الخبر ان رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته ● وفي حديث عبادة عن النبي عليه السلام من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له وروي في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد في اخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ● وفي حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن يكن الآخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها ● وفي حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون على نياتهم ● وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات ● وقال عليه السلام اذا التقى الصفان نزلت الملائكة يكتبون الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا

فهو في سبيل الله • وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه انه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه • وفي حديث الاحنف عن ابي بكرة
اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه • وفي
حديث ابي هريرة من تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق • وقال صلى الله
عليه من تطيب لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك • ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة • **واما الاثار**
فقد قال عمر رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى • وكتب
سالم الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره • وقال بعض السلف
رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية • وقال داود الطائي البر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته
يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك • وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل • وقال بعض العلما اطلب النية
للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير • وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى
فاني لا احب ان ياتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او
تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله ولذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم اكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها
ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين يغفر لكم ما بين ذلك • وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولم تهم بمعصية وانتبهت الى غير
اثم • وقال ابو هريرة يبعثون يوم القيمة على قدر نياتهم وكان الفضيل اذا قرا ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو
اخباركم يبكي ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا • وقال الحسن انما خلد اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
بالنيات • وقال ابو هريرة مكتوب في التورية ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غير وجهي فكثيره قليل • وقال بلال بن سعد ان
العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فاذا عمل لم يدعه حتى ينظر في ورعه فان تورع لم يدعه حتى
ينظر فيما ذا نوى فان صلحت النية فبالحري ان يصلح ما دون ذلك فان عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها
خير وان تعذر العمل بعائق

بيان حقيقة النية

اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو
حالة وصفة للقلب يكتنفها امران علم وعمل العلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل اعني
كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد وان يعلم ولا يعمل ما لم يرد
فلا بد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال واما في المآل فقد خلق الانسان بحيث توافقه بعض
الامور وتلائم غرضه وتخالفه بعض الامور فاحتاج الى جلب الملائم الموافق لنفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة
الى معرفة وادراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذا ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه
الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو ابصر الغذا وعرف انه
موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذا ويعلم انه موافق ولا يمكنه
التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله له الميل والرغبة والارادة واعني به نزوعا في نفسه اليه وتوجها
في قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله وهو عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء
المحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن
والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشيء موافق ولا بد وان يفعل وسلمت عن معارضة باعث
صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال او في المآل فالمحرك الاول
هو انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة
المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم الارادة وهو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث
هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد
وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة والعزيمة
وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الاخر لكن الاخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم
اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما اما الاول فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع
فكما راه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه راى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت

فيه فانتهضت القدرة عاملة بما اقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له في القيام غيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى
العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته • واما الثاني فهو ان يجتمع باعثان
كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوسات ان يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كان كافيا في الحمل لو انفرد به
ومثاله في غرضنا ان يساله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره وقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته
لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير اجنبي فيرغب ايضا فيه ولذلك من امره
الطبيب بترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق
للاول فلنسم هذا مرافقة البواعث الثالث ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان
يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد احدهما به ومثاله من غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده القريب فيعطيه
فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو
كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولما
اجتمعا اورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس المشاركة والرابع ان يكون احد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما
انضاف اليه لم ينفك عن تاثير بالاعانة والتسهيل ومثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل
ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة
في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر
عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث اما ان
يكون رفيقا او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الان بيان اقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم
منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع

بيان سر قوله صلى الله عليه نية المومن خير من عمله

اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا
صحيح ولكن ليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان تكون نية التفكر خيرا من التفكر
وقد يظن ان سبب الترجيح ان النية تدوم الى اخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل
بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلوة قد لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال
معناه ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية او على الغفلة لا خير فيه
اصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعني به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان
العمل من جملة الطاعات خيرا من العمل اي لكل واحد منهما اثر في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المومن من جملة طاعاته
خير من عمله الذي هو من جملة طاعاته والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية في الجملة خيرهما فهذا معناه ولما
سبب كونها خيرا ومترجحا على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطريق في الايصال الى المقصود وقاس بعض الاثار
بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود والاغتذا ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذا مقصدا وهو الصحة والبقا وان
الاغذية مختلفة الاثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذا القلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها
في الاخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصد لذة السعادة بلقا الله فقط ولن يتنعم بلقا الله الا من مات محبا لله تعالى عارفا
بالله ولن يحبه الا من عرفه ولن يانس بربه الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة
بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطعت عنها شهواته
حتى يصير مائلا الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الاخرة منوطة بها كما
يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه بان سلامته فيهما واذا حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة
عليه فان المواظبة على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل تجري مجرى الغذا والقوت لتلك الصفة حتى يترسخ الصفة وتقوى
بسببها فالمائل الى طلب العلم او طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتدا الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية
الرياسة والاعمال المطلوبة لذلك تاكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق
بل الذي ينظر الى وجه حسن مثلا فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا لو اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة

الا كميله حتى يخرج امره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والمد
عن صفة الميل ويكون ذلك زاجرا ودافعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه او ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها
هي التي يراد بها الآخرة والشرور كلها هي التي يراد بها الدنيا لا الآخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيوية هو
الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى انه يتأثر كل
واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا اصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب اذا تألم بعلمه بموت عزيز من اعزته او بهجوم امر مخوف
تأثرت به الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكأنه الامير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا والاتباع
فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات موصلة الى المقصود ولذلك قال عليه السلام ان في
الجسد لمضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم وهي صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة ان تكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان تكون النية من
جملتها افضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان نعود القلب ارادة الخير ونؤكد فيه الميل اليه
ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان
المعدة اذا تألمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة فالشرب خير من طلاء الصدر لان
طلاء الصدر ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وانفع فهكذا ينبغي ان تفهم تأثير الطاعات
كلها اذ المطلوب منها تغير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن ان في وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة
والارض بل من حيث انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا فاذا استعان باعضائه وصورها بصورة التواضع
تأكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا لان من يمسح
رأس يتيم وهو غافل بقلبه او ظان انه يمسح ثوبا لم ينتشر من اعضائه اثر الى قلبه لتأكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باعراض
الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الارض اثر الى قلبه يتأكد به التواضع فكان وجودها كعدمها وما ساوى وجوده عدمه بالاضافة
الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه هنا اذا فعل عن غفلة فان قصد به رياء او تعظيم شخص
آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها بل اكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي هي
من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا يعرف ايضا معنى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت
له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تأكيدا فليس المقصود
من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية
والهمة وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى والتقوى ههنا اعني القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
ان قوما بالمدينة قد شركونا في جهادنا كما رويناه لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة واعلاء
كلمة الله كقلوب الخارجين في الجهاد وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب الا لتأكيد
هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث التي اوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليه لينكشف لك اسرارها ولا نطول بالاعادة

بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وطلب ودفع
وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة اقسام طاعات ومعاص ومباحات

القسم الاول

وهي لا تتغير عن موضوعها بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية
تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره او يبني مدرسة او مسجدا او رباطا بمال
حرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما ومعصية وعدوانا بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى
الشرع شر آخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما يعرف كونها
خيرات بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا
الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل ما عصي الله
تعالى بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية
باب التعلم فمن يظن بنفسه انه عالم فكيف يتعلم ولذلك افضل ما اطيع الله به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما ان رأس الجهل الجهل

بالجهل فان من لا يعرف العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم الى الدنيا وذلك هو
مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد
مهلة التعلم وقد قال سبحانه فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان
يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم
السفهاء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام
الدنيا واخذ اموال السلاطين واليتامى والمساكين فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد في بلدته نائبا عن الدجال
يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله
وامثاله ويتخذونه ايضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووبال جميعه يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه
بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع المعصية من اقواله وافعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى
آثار شره منتشرة في العالم الف سنة مثلا والفي سنة فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات
وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا ان يستعين به على الخير وانما حب
الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن
وهب سيفا من قاطع طريق واعد له خيلا واسبابا ويقول انما اردت البذل والسخاء والتخلق باخلاق الله تعالى وقصدت به ان يغزو بهذا
السيف والخيل فان اعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من افضل القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد اجمع الفقهاء
على ان ذلك حرام مع ان السخاء هو احب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال صلى الله عليه ان لله ثلثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة واحبها
اليه السخاء فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه ان ينظر الى قرينة الحال فاذا لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي
ان يسعى في سلب سلاحه لا في ان يمده بغيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله وقد يعاون به اعداء الله وهو الهوى فمن لا يزال
مؤثرا لدنياه على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم
يزل علماء السلف يتفقدون احوال من يتردد اليهم فاذا رأوا منه تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه فاذا رأوا منه فجورا
واستحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس
يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل ۝ وحكي عن بعض اصحاب احمد
انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق ان اعرض عنه احمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك
طينت حائط دارك من جانب الشارع وقد اخذت قدر سمك الطين وهو انملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فهكذا كان مراقبة
السلف لاحوال طلبة العلم فهذا وامثاله مما التبس على الاغبياء واتباع الشياطين وان كانوا ارباب الطيالسة والاكمام الواسعة
واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة
والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذن قوله عليه
السلام انما الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد
وتكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد واما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا نعم للنية
دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة ۝
القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في اصل صحتها وفي تضاعف فضلها ۝ اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة
الله لا غير فان نوى الرياء صارت معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها
خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود
في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين ۝ اولها ان يعتقد
انه بيت الله وان داخله زائر الله تعالى فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه حيث قال من جلس في
المسجد فقد زار الله وحق على المزور اكرام زائره وثانيها ان ينتظر الصلوة بعد الصلوة فيكون في جملة انتظاره في الصلوة
وهو معنى قوله ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو في
معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال صلى الله عليه رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله

ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله او لاستماع ذكره
وللتذكر به كما روي من غدا الى المسجد ليذكر الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله وسادسها ان يقصد افادة العلم بامر بمعروف
ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي
يتعلم منه فتتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد اخا في الله فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين
لله وفي الله وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من ان يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي
رضي الله عنهما من ادمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله احدى سبع خصال اخا مستفادا في الله او رحمة مستنزلة او علما مستطرفا
او كلمة تدله على هدى او تصرفه عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات اذ ما
من طاعة الا ويحتمل نيات كثيرة وانما يحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف
الحسنات

القسم الثالث

المباحات وما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال
بها معالي الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي ان يستحقر العبد شيئا من
الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسئل عنه يوم القيمة انه لم فعله وما الذي قصد به هذا في مباح محض لا تشوبه كراهة ولذلك قال
صلى الله عليه حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ بن جبل انه صلى الله عليه قال ان العبد ليسأل يوم القيمة عن كل شيء حتى
عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر آخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك
ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية **فان قلت** فما الذي ينويه
بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله تعالى فاعلم ان من تطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر الاوقات يتصور ان يقصد
التنعم بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر
بطيب الرائحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن ولامور اخرى لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية
فبه يكون انتن من الجيفة في القيامة الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسأل عنه ومن نوقش الحساب عذب
ومن اوتي شيئا من متاع الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بان يستعجل ما يفنى ويخسر
زيادة نعيم لا يبقى واما النيات الحسنة فانه ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه يوم الجمعة وان ينوي به تعظيم المسجد الذي
هو بيت الله فلا يرى ان يدخله زائر الله سبحانه وتعالى الا طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته
بروائحه وان يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة على المغتابين اذا اغتابوه
بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل
مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا
الله عدوا بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر شر وان يقصد به معالجة دماغه لتزيد فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك
مهمات دينه بالفكر وقد قال الشافعي رضي الله عنه من طاب ريحه زاد عقله فهذا وامثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كان
من همه تجارة الآخرة وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه
فلا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد غيره ولهذا
قال بعض السلف اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في اكلي وشربي ونومي ودخولي الى الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به وجه
الله لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الاكل التقوي على العبادة ومن
الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل به الى ولد يعبد الله تعالى بعده فتكثر به امة محمد عليه السلام كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب
حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة ولذلك ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال وان يقول
هو في سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيئاته وستنقل اليه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب ففي
الخبر ان العبد ليحاسب فتبطل اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة
فيقول يا رب هذه اعمال ما عملتها فيقال هذه اعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك وفي الخبر ان العبد ليوافي القيمة بحسنات امثال
الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فياتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة
فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله القوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا له صكا الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان

تحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فان الله مطلع عليك وشهيد
وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ● وقد قال بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اتربه من جدار جاري فتحرجت ثم قلت تراب
وما تراب فتربته فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب ● وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب
الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوه فسأله عن ذلك فقال اني لبسته لله تعالى ولا اريد ان اسويه لغير الله وقد قال
الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيمة فيقول بيني وبينك الله فيقول والله ما اعرفك فيقول انك اخذت لبنة من حائطي واخذت خيطا
من ثوبي فهذا وامثاله من الاخبار قطع قلوب الخائفين فان كنت من اولي العزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق
الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل اولا انك لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به من
الدنيا وما الذي يفوتك به من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا
فامسك ثم راقب ايضا قلبك في امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي ان يكون لداعي هوى خفي لا يطلع عليه
ولا تغرنك ظواهر الامور ومشهورات الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار ● وقد روي عن زكريا عليه السلام انه
كان يعمل في حائط بالطين وكان اجيرا لقوم فقدموا اليه رغيفه اذ كان لا ياكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام
حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا ان الخير في طلب المشاركة في الطعام فقال اني اعمل لقوم باجرة وقدموا الي
الرغيف لاتقوى به على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير ينظر هكذا الى البواطن بنور الله تعالى
فان ضعفه عن العمل نقص في الدين وترك الدعوة الى الطعام نقص في فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض ● وقال بعضهم دخلت على
سفين وهو ياكل فما كلمني حتى لعق اصابعه وقال لولا اني اخذته بدين لاحببت ان تاكل منه ● وقال سفين من دعا رجلا الى الطعام وليس
له رغبة في ان ياكل فان اجابه فاكل فعليه وزران وان لم ياكل فعليه وزر واحد واراد باحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريضه اخاه لما
يكره لو علمه فهكذا ينبغي ان يتفقد العبد نيته في سائر الاعمال والاقوال ولا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره نية توقف فان النية لا تدخل
تحت الاختيار

بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار

اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها
مع قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله او اتجر او اكل لله ويظن
ان ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث
النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا واما آجلا والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك
كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه او قول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه واعظمه بقلبي وذلك محال بل لا
طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر وانما تنبعث
النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه
قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى
منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال واذا غلبت
شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ودنيا لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة
اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله
يعظم فضله لا يمكن ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم طريق اكتساب
هذه النية مثلا ان يقوي اولا ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع
المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه
تلك الرغبة وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على
القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من
السلف عن جملة من الطاعات اذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن
البصري وقال ليس تحضرني نية ● ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره ان هات المدرى فقالت اجيء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال
نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدرى نية ولم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى ومات حماد بن سليمان
وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو كانت لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا من اعمال

البر قالوا ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا. وكان طاوس لا يحدث الا بنية فكان يسأل ان يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيحدث فقيل له في ذلك فقال افتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرتني نية فعلت. وحكي ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا ورده فقال ما لك قال فيه اسانيد ضعاف فقال له داود انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به. وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية. وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر ما صحت لي بعد. وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال ابنه الا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتي وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا بالنية لعلمهم بان النية روح العمل وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية ليس هو قول القائل بلسانه نويت بل هو انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح من الله تعالى فقد تتيسر في بعض الاوقات وقد تتعذر في بعضها نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه في اكثر الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مايل بالجملة الى اصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرائض الا بجهد جهيد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ونيات الناس في الطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود في الاخرة وان كان من جنس المالوف في الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوي الالباب فلا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجلاله وسائر الاعمال تكون مؤكدات وروادف وهؤلاء ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجوه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل اشد فان تفاوت ما بين جمال الحضرة الربوبية وجمال الحور العين اشد واعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان واعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبها والفها لها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله يضاهي عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانها لا تشعر به اصلا ولا تلتفت اليه ولو كان لها عقل وذكرتا له لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم. حكي عن احمد بن خضرويه انه راى ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابو يزيد فانه يطلبني. وراى ابو يزيد ربه في المنام فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال. وراى الشبلي بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما اي خسارة اعظم من خسران الجنة فقال اي خسارة اعظم من خسران لقائي. والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا وافعالا لا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو ويكون ذلك افضل ومثل ان يكون له نية في الشرب والاكل والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس تنبعث نيته في الحال للصوم والصلاة فالاكل والنوم هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة باللهو والحديث عاد نشاطه فاللهو افضل له من الصلاة. قال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق. وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت. وهذه دقائق لا يدركها الا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبتغي به ان يعيد قوته اولا ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق في الشطرنج قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل به الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه

والجبن في القتال حتى يعمل الهزيمة من ريبة ويولي دبره حيلة منه ليستجره الى المضيق فيكر عليه فيقهره فكذلك سلوك طريق الله كله قتال مع الشيطان ومعالجة مع القلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض على استاذه بل ينبغي ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما الى ان ينكشف له اسرار ذلك بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما

الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته

فضيلة الاخلاص قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه. وقال صلى الله عليه ثلث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله. وعن مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن ابي ان له فضلا على من دونه من اصحاب رسول الله فقال عليه السلام انما نصر الله هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلواتهم. وعن الحسن قال رسول الله يقول الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي. وقال علي رضي الله عنه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه القليل. وقال عليه السلام ما من عبد يخلص لله العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال صلى الله عليه يسال يوم القيمة ثلث رجل اتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما ذا صنعت فيما علمت فقال يا رب كنت اقوم به اناء الليل والنهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك. ورجل اتاه الله مالا فيقول الله قد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق اناء الليل والنهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله فيقول ماذا صنعت فيقول يا رب امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك. قال ابو هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيمة فدخل راوي هذا الحديث على معاوية وروى له هذا الحديث فبكى معاوية حتى كادت تخرج نفسه ثم قال صدق الله اذ قال من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية. وفي الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم وقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك واخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال اين تريد رحمك الله فقال اريد ان اقطع هذه الشجرة فقال وما انت وذاك تركت عبادتك واشتغالك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال فاني لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها انت وما عليك من غيرك ولله تعالى انبياء في الارض ولو شاء لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال له هل لك في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى اقول لك فاطلقه فقال ابليس انت رجل فقير لا شيء لك انما انت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند راسك في كل ليلة دينارين اذا اصبحت اخذتهما وانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما اصبح راى دينارين عند راسه فاخذهما وكذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب فاخذ فاسه على عاتقه فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال له الى اين قال لاقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها فتناوله العابد لياخذه كما فعل اول مرة فقال هيهات فاخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال يا هذا غلبتني فخل عني واخبرني كيف غلبتك اولا وغلبتني الان فقال لانك غضبت اول مرة لله تعالى وكانت نيتك الاخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد من الشيطان الا بالاخلاص. ولذلك كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تخلصي. وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته. وقال ابو سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى. وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس. وكتب بعض الاولياء الى اخ له اخلص النية في اعمالك يكفك القليل من العمل. وقال ايوب السختياني تخليص النيات على العمال اشد عليهم من جميع الاعمال. وكان مطرف يقول من صفا صفي له ومن خلط خلط عليه. وراى بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت اعمالك قال كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رايتها في كفة الحسنات

وكان في ملبوس يخيط من خز برواية ولقية الشباب وكان يدعو في حمار له يعطه مائة دينار فمارات له ثوابا فعلت موت سور الحسان وموت حمار اليس فيها فقيل انه قد وجه اليه حسنة لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل الجزاء ولو قلت في سبيل الله لوجدت في حسناتك وفي رواية فتصدقت بصدقة من الناس فاعجبني نظرهم الي فوجدته لا علي ولا لي قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه. وقال يحيى بن معاذ الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم. وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر كل موضع فيه عرس او مأتم يجتمع فيه النساء فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة اليه والى امراة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع المراة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة. وقال بعض الصوفية كنت قائما مع ابي عبيد التستري وهو يحرث في ارضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه فساره بشيء فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك قال سالني ان احج معه فقلت لا قال فهلا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجل الناس تعرضت لمقت الله تعالى لاني ادخل في عمل الله تعالى شيئا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندي من سبعين حجة. ويروى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها واستعين بها في غزوي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرايت تلك الليلة في النوم كان شخصين قد نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملى عليه اكتب خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي فقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله في امري ما خرجت اتجر ولا معي تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال له يا شيخ قد اشتريت امس مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله فيه ما يرى. وقال سري السقطي لان تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا او سبعمائة بعلو اسناد. وقال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز. ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص. وقال بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها. وقال السوسي مراد الله من عمل الخلق الاخلاص فقط. وقال الجنيد ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع. وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين.

بيان حقيقة الاخلاص

اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك درجات فالاخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الالهية والشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات واقل اموره ما ورد في الخبر من ان المرائي يدعى يوم القيامة باربعة اسامي يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الان فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث اخر اما من الرياء او من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة به مع قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص من مؤونته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او ليتخلص من شر يعرض له في بلده او ليهرب عن عدو له في منزله او يتبرم باهله وولده او بشغل هو فيه واراد ان يستريح منه اياما او ليغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به ليراقب رحله او اهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره وامواله محروسا بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص من كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او تكفل بخدمة العلماء والصوفية لتكون حرمته وافرة عنده وعند الناس او لينال به رفقا في الدنيا او كتب مصحفا ليجود خطه بالمواظبة على الكتابة او حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكرا او توضا ليتنظف او يتبرد او اغتسل لتطيب رائحته او روى الحديث ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف عليه كرا المسكن او صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الاكل عنها او تصدق على السائل ليقطع ابرامه في السؤال عنه او يعود مريضا

ويشيع جنازة ليعاد اذا مرض ويشيع جنائز اهله او يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق الشرك اليه وقد قال تعالى انا اغنى الشركاء عن الشركة وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قل او كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس ولذلك قيل من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث فيه الا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبه فيها وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب وانضافت هذه الامور اليه ثم هذه الشوائب اما ان تكون في رتبة الموافقة او في رتبة المشاركة او في رتبة المعاونة كما سبق في النية وبالجملة فاما ان يكون الباعث النفسي مثل باعث الدين او اقوى منه او اضعف ولكل واحد حكم اخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من محب لله مستهتر به مستغرق الهم بالاخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب ايضا بل تكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى ان لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا لكي يريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الاعمال مسدود عليه الا على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله وحب الاخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذي يغلب على نفسه الدنيا والرياسة وبالجملة غير الله فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صومه وصلاته الا نادرا فعلاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذا ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه الافة فيها كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الاول لاني تاخرت يوما لعذر فصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان يسرني وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض وقلما تسلم الاعمال من امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله والغافلون عنه يرون حسناتهم كلها في الاخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا وبقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله وترى الواعظ يمن على الله بنصيحة الخلق ووعظه السلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظا وانصرف الناس عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب واغتمامك لفوت الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر للافضل اجزل ثوابا واعود عليه في الاخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه بتصدي ابي بكر للامامة اكان غمه محمودا او مذموما ولا يستريب ذو دين ان لو كان ذلك لكان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو اصلح منه اعود عليه في الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله عنه باستقلال من هو اولى منه بالامر فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة القياد في الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر

بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص

قال السوسي الاخلاص

الاخلاص فقد رؤية الاخلاص لان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الافات والخالص ما صفا عن جميع الافات فهذا تعرض لافة واحدة وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابرهيم بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل اي شي اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذا اشارة الى ان حظوظ النفس افة عاجلا واجلا والعابد لاجل تنعيم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه الله وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرجا الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي الالباب وجه الله تعالى فقط وقول القايل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراة من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر وقد قضى ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره حق ولكن القوم ارادوا به البراة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله تعالى فهذا حظ هولاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهولاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا اليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان روية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهو اشارة الى افة الريا فقط ولذلك قال بعضهم الاخلاص في العمل ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفا وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلايق وصفا عن العلايق وهذا اجمع للمقاصد وقال المحاسبي هو اخراج الخلق عن معاملة الرب وهو اشارة الى مجرد نفي الريا وكذلك قول الخواص من شرب من كاس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال فقال الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا ايضا تعرض لترك الريا وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال عن الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس ريا والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله تعالى عنهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة فلا فايدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما امرت وهذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله عز وجل عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا

بيان درجات الشوايب والافات المكدرة للاخلاص

اعلم ان الافات المشوشة للاخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف مع الجلا وبعضها قوي مع الخفا ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفا والجلا الا بمثال واظهر مشوشات الاخلاص الريا فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الافة على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الريا الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدين من المريدين

الدرجة الثانية ان يكون المريد قد فهم هذه الافة واخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في صلاته كما كان فياتيه في معرض الخير ويقول انت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يوثر عنك ويتاسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر ان اسات فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالاول وهو ايضا عين الريا ومبطل للاخلاص فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرتضي لغيره تركه فلم لا يرتضي لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن ان تكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به

الدرجة الثالثة وهي ادق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الريا ويعلم ان الاخلاص في ان تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملا ويستحيي من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زايدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملا ويصلي في الملا ايضا كذلك فهذا ايضا من الريا الغامض لانه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص ان تكون مشاهدة البهايم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكان نفس هذا ليست تسمح باسائة الصلوة بين اظهر الناس ثم يستحيي من نفسه ان يكون في صورة المرايين ويظن ان ذلك يزول بان تستوي صلاته في الخلا والملا وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات في الخلا والملا جميعا وهذا من شخص مشغول الهم بالخلق في الملا والخلا جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان

الدرجة الرابعة وهي ادق واخفى ان ينظر اليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستحي من ان ينظر الله الى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الافة ان يكون هذا الخاطر مما يالفه في الخلوة كما يالفه في الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور بهيمة سببا فما دام يفرق في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الريا وهذا الشرك اخفى في قلب ابن ادم من دبيب النملة السودا في الليلة الظلما على الصخرة الصما كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الريا في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن في اوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستيناس الطبع بها فيدعوا الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي ان تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوة الخفية او مشوبة بها شوبا يخرج من حد الاخلاص بسببها وما لا يسلم عن هذه الافات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يانس اليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضايل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع اليه ويتبين ذلك في ميله الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الاخر وكل ذلك امتزاج بشوايب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمري والغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل لكن يسهل دركه ومنها ما يدق ولا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل عند الله من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير بدقايق افات الاعمال حتى يخلص منها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مغشوش زايف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي فهكذا يتفاوت امر العبادات بل اشد واعظم ومداخل الافات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاوها فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل من الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا فلا فايدة في التفصيل

بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب فيه

اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله بل امتزج به شوب من الريا او حظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيا اصلا فلا يكون له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الريا فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب واما الخالص لوجه الله فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر الاخبار تدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة البواعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الريا اغلب واقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب العمل الذي تجرد للريا ولم يمتزج به شايبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة الى الباعث الاخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ولقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الريا حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شي من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطا عن هذا ان الاعمال تاثيرها في القلوب بتاكيد صفاتها وداعية الريا من المهلكات وانما غذا هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الريا فقد قوى تلك الصفة واذا كان ذلك العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى ايضا تلك الصفة واحدهما مهلك والاخر منج فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الاخر فقد تقاوما وكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تاثير في انارة القلب او تسويده وفي تقريبه من الله او ابعاده فاذا جا بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين

والآخر يبعده شبراً واحداً فضل لا محالة شيء وقد قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فإذا كان الرياء المحض يمحو الإخلاص المحض عقيبه فإذا اجتمعا جميعاً فلا بد وأن يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا إجماع الأمة على أن من خرج حاجاً ومعه تجارة صح حجه وأثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن أن يقال إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وإنما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب أن يقال مهما كان الحج هو المحرك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب وما عندي أن الغزاة لا يدركون في أنفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد أن يقال إدراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل أن يقال إذا كان الباعث الأصلي والمزعج القوي هو إعلاء كلمة الله وإنما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه إلى الغنيمة أصلاً فإن هذا الالتفات نقصان لا محالة **فإن قلت** فالآيات والأخبار تدل على أن شوب الرياء محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ وقد روى طاوس وغيره من التابعين أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه عمن يصنع المعروف أو قال يتصدق فيحب أن يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول حتى نزل قوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً وقد قصد الحمد والأجر جميعاً وروى معاذ عن النبي عليه السلام قال أدنى الرياء شرك وقال أبو هريرة قال النبي عليه السلام يقال لمن أشرك في عمله خذ أجرك ممن عملت له وعن عبادة أن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشركة من عمل عملاً وأشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي وروى أبو موسى أن أعرابياً أتاه فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عمر تقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقاً وقال ابن مسعود قال عليه السلام من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا فهو له فنقول هذه الأحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك عصيان وعدوان لا لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن وضعها وأما لفظ الشركة حيث ورد فمطلق للتساوي وقد بينا أنه إذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي أن يرجو عليه ثواباً ثم الإنسان عند الشركة أبداً في خطر فإنه لا يدري أي الأمرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالاً ولذلك قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً أي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي أحسن أحوالها التساقط ويجوز أن يقال أيضاً منصب الشهادة لا ينال إلا بالإخلاص في الغزو ويبعد أن يقال من كانت داعيته الدينية تحثه على الغزو وإن لم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار إحداهما غنية والأخرى فقيرة فمال إلى جهة الأغنياء لإعلاء كلمة الله وللغنيمة أنه لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله أن يكون الأمر كذلك فإن هذا حرج في الدين ومدخل لليأس على المسلمين لأن أمثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الإنسان عنها إلا على الندور فيكون تأثيرها في نقصان الثواب فأما أن يكون في إحباطه فلا نعم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنه ربما يظن أن الباعث الأقوى هو قصد التقرب ويكون الأغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الأجر إلا بالإخلاص والإخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وإن بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي أن يكون أبداً بعد كمال الاجتهاد متردداً بين الرد والقبول خائفاً أن يكون في عبادته آفة يكون وبالها أكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر وهكذا ينبغي أن يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان لا أعتد بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن أبي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من أعمال الله إلا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فإن ذلك منتهى بغية الشيطان منه إذ المقصود أن لا يفوت الإخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والإخلاص جميعاً وقد حكي أن بعض الفقراء كان يخدم أبا سعيد الخراز ويخف في أعماله فتكلم أبو سعيد يوماً في إخلاص الحركات فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالإخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك فسأله عن أمره فأخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الإخلاص وأنه يعجز عنها في أكثر أعماله فيتركها فقال أبو سعيد إن الإخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الإخلاص فما قلت لك اترك العمل وإنما قلت لك أخلص العمل وقال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لأجل الخلق شرك

الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته

فضيلة الصدق قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال صلى الله عليه إن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ويكفي في فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه والله تعالى وصف به الأنبياء في معرض المدح والثناء فقال واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً وقال واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً وقال ابن عباس أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقال أبو عبد الله الرملي رأيت منصوراً الدينوري في المنام

فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي ورحمني وأعطاني ما لم آمل فقلت له أحسن ما توجه به العبد إلى الله ماذا قال الصدق وأقبح ما توجه به الكذب وقال أبو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك وقال رجل لحكيم ما رأيت صادقاً فقال لو كنت صادقاً لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله مبنياً على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا فيها صادقين وأوحى الله تعالى إلى داود يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى بنفسه في الدجلة فقال الشبلي إن كان صادقاً فالله ينجيه كما نجى موسى عليه السلام وإن كان كاذباً فالله يغرقه كما أغرق فرعون وقال بعضهم أجمع العلماء والفقهاء على ثلاث خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض الإسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الأعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة والإنجيل اثنين وعشرين حرفاً كان صلحاء بني إسرائيل يجتمعون فيقرؤونها ويتدارسونها لا كنز أنفع من العلم ولا مال أربح من الحلم ولا حسب أوضع من الغضب ولا قرين أزين من العقل ولا رفيق أشين من الجهل ولا شرف أعز من التقوى ولا كرم أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أعلى من الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر ولا دواء ألين من الرفق ولا داء أوجع من الخرق ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا فقر أذل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياة أطيب من الصحة ولا معيشة أهنأ من العفة ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت وقال محمد بن سعيد المروزي إذا طلب العبد الصدق أعطاه الله تعالى مرآة يبصر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقال أبو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لذي النون هل للعبد إلى إصلاح أموره سبيل فقال

قد بقينا مذبذبين حيارى ... نطلب الصدق ما إليه سبيل
فدعاوي الهوى تخف علينا ... وخلاف الهوى علينا ثقيل

وقيل لسهل ما أصل هذا الأمر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل زدنا فقال التقى والحياء وطيب الغذاء وعن ابن عباس أنه عليه السلام سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وعن الجنيد في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه

اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والإرادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لأنه مبالغة في الصدق ثم هم أيضاً على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدقه

الصدق الأول صدق اللسان وذلك لا يكون إلا في الإخبار أو فيما يتضمن الإخبار وينبه عليه والخبر إما أن يتعلق بالماضي أو بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان **أحدهما** الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لأنها تقوم مقام الكذب إذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه إلا أن ذلك مما تمس إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الأحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر من الظلمة وفي قتال الأعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار الملك فمن اضطر إلى شيء من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله بما يأمره الحق به ويقتضيه الدين فإذا نطق به فهو صادق وإن كان كلامه مفهماً غير ما هو عليه لأن الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء إليه ولا ينظر إلى صورته بل إلى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي أن يعدل إلى المعاريض ما وجد إليه سبيلاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توجه إلى سفر ورى بغيره وذلك كيلا ينتهي الخبر إلى الأعداء فيقصد وليس هذا من الكذب في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو أنمى خيراً ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع من أصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب والصدق هاهنا يتحول إلى النية فلا يراعى فيه إلا صدق النية وإرادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير إرادته كان صادقاً وصديقاً كيفما كان لفظه ثم التعريض فيه أولى وطريقه ما حكي عن بعضهم أنه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال خطي بإصبعك دائرة وضعي الإصبع عليها وقولي ليس هاهنا فاحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقاً وأفهم الظالم أنه ليس

في الدعاء فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في
الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فان قلبه ان كان منصرفا عن الله مشغولا بامالي الدنيا وشهواتها
فهو كاذب وكقوله اياك نعبد وقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا
ولو طولب يوم القيمة بالصدق في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا لنفسه او عبدا للدنيا او عبدا لشهواته لم يكن صادقا
في قوله وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا ● وقال نبينا تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد
الحلة وعبد الخميصة سمى كل من تقيد قلبه بشيء عبدا له وانما العبد الحق لله من اعتق اولا عن غير الله تعالى فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت
هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله فتشغله بالله وبمحبته وتقيد ظاهره وباطنه بطاعته فلا يكون له مراد الا الله
تعالى ثم قد يجاوز هذا الى مقام اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته ايضا لله تعالى من حيث هو هو بل يقنع بما يريد الله
من تقريب او ابعاد فتفنى ارادته في ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا ثم عاد
مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض
بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجات
الصديقين واما الحرية عن غير الله فلدرجات الصادقين وبعدها يتحقق العبودية لله وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا ولا
صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول ● **الصدق الثاني في النية والارادة** ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات
والسكنات الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما روينا في فضيلة الاخلاص
حديث الثلثة حين يسأل العالم ماذا عملت فيما علمت قال فعلت كذا وكذا فقال الله كذبت اردت ان يقال فلان عالم فانه لم يكذبه ولم
يقل له لم تعمل ولكن كذبه في ارادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوحيد في القصد وكذلك قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر
وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقوله فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في
قلبه فانه كذب في ذلك وان لم يكذب فيما يلفظ به فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد وان
يكون مخلصا ● **الصدق الثالث** صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت
بجميعه او بشطره او لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت ولم ابال وان قتلت وان اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله تعالى
بظلم وميل الى الخلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد
وضعف يضاد الصدق في العزيمة وكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال هذا المريض
شهوته كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة وقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى فالصادق
والصديق هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم
المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتأمر على قوم فيهم ابو بكر فانه قد وجد
في نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتأمر مع وجود ابي بكر واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزم
تختلف فقد تصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي ورأيه لم يتقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه
بل في الصادقين من لو خير بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حيوته احب اليه من حيوة ابي بكر ● **الصدق الرابع** في الوفاء بالعزم
فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت
الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه فشق ذلك على قلبه وقال
اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه عليه السلام غبت عنه اما والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله ليرين الله ما اصنع فشهد
في العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة اني اجد ريحها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد
في جسده بضع وثمانين من بين رمية وضربة وطعنة فقالت اخته ما عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه الاية رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ● وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله

صلى الله عليه يقول الشهداء اربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم
يوم القيمة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوي فلا ادري قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله ● ورجل جيد
الايمان اذا لقي العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح اتاه سهم فقتله فهو في الدرجة الثانية ● ورجل مؤمن خلط عملا
صالحا واخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة ● وقال مجاهد رجلان خرجا على ملأ من الناس قعودا فقالا
لئن رزقنا الله لنصدقن فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ● وقال بعضهم
انما هو شيء نووه في انفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم
نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به
صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوات
عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم
ابو بكر اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل شيئا لا اجده الان لاني لا امن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار بذلك الى
اشارة الوفاء بالعزم ● وقال ابو سعيد الخراز رأيت في المنام كان ملكين نزلا من السماء فقالا لي ما الصدق قلت الوفاء بالعهد فقالا لي
صدقت وعرجا الى السماء ● **الصدق الخامس في الاعمال** وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في
باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا يخالف ما ذكرناه من ترك الرياء
لان المرائي هو الذي يقصد ذلك فرب واقف على هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة
فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدي الله وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال
عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس
باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجي عن هذا الا باستواء
السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب
الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذن مخالفة الظاهر الباطن ان كان عن قصد
سمي رياء ويفوت به الاخلاص وان كان عن غير قصد فيفوت به الصدق ● ولذلك قال عيسى عليه السلام اللهم اجعل سريرتي خيرا من
علانيتي واجعل علانيتي صالحة ● وقال يزيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته
افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور ● **وانشدوا**
اذا السر والاعلان في المؤمن استوى ● فقد عز في الدارين واستوجب الثنا ● فان خالف الاعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى
كخالص الدينار في السوق نافق ومغشوشه المردود لا يقتضي للثنا ● وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة
المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدي حقا ● وقال معاوية بن قرة من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار وقال
عبد الواحد بن زيد كان الحسن اذا امر بشيء كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شيء كان من اترك الناس له ولم ار احدا قط اشبه سريرة
بعلانيته ● وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ثم
يبكي ● وقال ابو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذا استواء السريرة والعلانية احد
انواع الصدق ● **الصدق السادس** وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف
والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وسائر هذه الامور فان هذه الامور لها مبادي ينطلق الاسم بظهورها
ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا فيه كما يقال صدق القتال
ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة ● وقال الله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا الاية الى قوله هم الصادقون ● وقال الله تعالى ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والصابرين في البأساء والضراء وحين
البأس الى قوله اولئك الذين صدقوا ● وسئل ابو ذر عن الايمان فقرأ هذه الاية فقيل له سألناك عن الايمان فقال سألت رسول
الله صلى الله عليه عن الايمان فقرأ هذه الاية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله واليوم الاخر الا وهو خائف من الله خوفا
ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف
يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه ويتنقص عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده

وقد ينزع عن الوطن ويستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف
النار ولا يظهر عليه شي من ذلك عند جريان معصيته عليه ولذلك قال صلى الله عليه لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها
والتحقق بهذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا
قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له ولذلك قال عليه السلام لجبريل احب ان اراك في صورتك التي هي
صورتك فقال لا تطيق ذلك فقال بلى ارني فقال فواعده البقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبي صلى الله عليه فاذا هو به قد سد الافق يعني
جوانب السما فوقع النبي عليه السلام مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبريل لصورته الاولى فقال صلى الله عليه وسلم ما ظننت ان احدا من
خلق الله هكذا فقال وكيف لو رايت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارض السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير
كالوصع يعني كالعصفور الصغير فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم
في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم • وقال جابر قال عليه السلام مررت ليلة اسري بي وجبريل بالملا الاعلى كالحلس البالي من
خشية الله تعالى يعني الكسا الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك
قال ابن عمر لن تبلغ حقيقة الايمان حتى تنظر الى الناس كلهم حمقى في دين الله • وقال مطرف ما في الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين
ربه الا ان بعض الحمق اهون من بعض • وقال عليه السلام لا يبلغ احد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه
فيجدها احقر حقير فالصادق اذن في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون
بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلثة انا فيهن قوي وما سواهن ضعيف ما صليت صلوة منذ اسلمت
فحدثت نفسي حتى افرغ منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول قولا الا علمت انه حق قال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي عليه السلام فهذا صدق في هذه الامور وكم
من جلة الصحابة قوم قد ادوا الصلوة واتبعوا الجنايز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق في الاعلى ولاحاد هذه المعاني
نعم قال ابو بكر الوراق الصدق ثلثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال تعالى
والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض
وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر اقسام ما فيه الصدق وهو ايضا غير محيط بجميع الاقسام • وقال جعفر الصادق
الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غير الله كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام
اني اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وان وجدته جزوعا يشكوني
الى خلقي خذلته ولم ابال فاذا من علامات الصدق كتمان المصايب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها والله اعلم • تم الربع

كتاب المحاسبة والمراقبة

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت
المطلع على ضماير القلوب اذا هجست • الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت • الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض
تحركت او سكنت • المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت • المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت
المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت • وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما احضرت • وتنظر فيما قدمت واخرت فتعلم انه لولا لزوم
المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت وبعد المجاهدة والمراقبة والمحاسبة لولا فضل الله بقبول بضاعتها
المزجاة لخابت وخسرت • فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلايق في الدنيا والاخرة وغمرت • فبنفحة
فضله اتسعت القلوب للايمان وانشرحت • وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتادبت • وبحسن هدايته انجلت عن القلوب
ظلمات الجهل وانقشعت • وبتاييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت • وبلطف عنايته ترجح كفة الحسنات اذا ثقلت
وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت • فمنه العطا والجزا والابعاد والادنا والاسعاد والاشقا والصلوة على محمد سيد الانبيا وعلى
السادة الاصفيا وعلى اصحابه قادة الاتقيا وسلم كثيرا • اما بعد • فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم
القيمة فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين • وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين

مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا
وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شي شهيد • وقال تعالى يوميذ يصدر الناس اشتاتا
ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره • وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون
وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف
بالعباد • وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون
في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة
ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيامة حسابه
وحضر عند السوال جوابه وحسن منقلبه ومابه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى
الخزي والمقت سياته فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال يا ايها الذين
امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة
فكانت لهم في المرابطة ستة مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصل ذلك المحاسبة ولكن
كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة وتتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات

المقام الاول في المرابطة المشارطة

اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضايع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان
التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الاخرة وانما مطلبه وربحه تزكية
النفس اذ بذلك فلاحها قال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في
هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير
خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه او يعاتبه رابعا فكذلك
العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظايف ويشرط عليها الشروط ويرشدها الى طريق الفلاح ويجزم عليها الامر
بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخاين
اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفا بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس
الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبيا والشهدا فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها
محتقرة بالاضافة الى نعيم الاخرة ثم كيف ما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضا ولا خير في خير لا يدوم بل الشر الذي لا يدوم
اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير
ولذلك قيل • اشد الغم عندي في سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا • فحتم على كل ذي حزم امن بالله
واليوم الاخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فان كل نفس من انفاس
العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه ابد الاباد فانقضاء هذه الانفاس ضايعة او مصروفة
الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هايل لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة
النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما
فني فقد فني راس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله فيه وانسا في اجلي وانعم علي به
ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي انك توفيت ثم رددت فاياك ثم اياك ان
تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي يا نفس ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في
الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك
الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار
لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة اخرى سودا مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى
الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما
يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشي من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر
على الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا تعرض عليه خزاينه طول

عمر فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في ان تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل
والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرتها لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن وحسرته
لا تطاق وان كان دون الم النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين اشار به الى الغبن والحسرة
وقد قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في اوقاته ثم ليستانف وصيته في اعضائه
السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة
وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما يتعين تلك الابواب لمن عصى الله بهذه الاعضاء
فيوصيها بحفظها عن معاصيها اما العين فيحفظها عن النظر الى عورة مسلم او وجه من ليس بمحرم او النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن
كل فضول مستغنى عنه فان الله يسال عبده عن فضول النظر كما يساله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها عن هذا لم تقنع به حتى يشغلها
بما فيه تجارتها وربحها وهي التي خلقت لها من النظر الى عجائب صنع الله بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر في
كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل عليه الامر في عضو عضو لا سيما اللسان
والبطن اما اللسان فلانه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس
ومذمة الخلق والاطعمة واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في آفات اللسان فهو بصدد ذلك
كله مع انه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله الى طريق الله واصلاح ذات البين وسائر خيراته
فليشترط على نفسه ان لا يحرك اللسان طول النهار الا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد ● واما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعه من الشهوات ويقتصر على
قدر الضرورة ويشترط على نفسه ان خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها اكثر مما نالته بشهوتها وهكذا
يشترط عليها في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها ثم يستانف وصيتها في وظائف الطاعات
التي تتكرر عليه في اليوم والليلة وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها فهذه شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود
الانسان شرط ذلك على نفسه اياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وان اطاعت في بعضها بقيت
الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه فيه حق ويكثر هذا
على من اشتغل بشيء من اعمال الدنيا من ولاية وتجارة وتدريس اذ قلما يخلو عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله فيها فعليه
ان يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يعظ العبد اللئيم الآبق
فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتاديب يؤثر فيها وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين فهذا وما يجري مجراه هو اول مقام المرابطة مع النفس وهي المحاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل
وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة
زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال تعالى
يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا وقال ولقد
خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل ● وروى عبادة بن الصامت
عليه السلام قال لرجل سأله ان يوصيه ويعظه اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته
عنه ● وقال بعض الحكماء اذا اردت ان يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة
في القلب اكثر من مكث خفة الشهوة ● وقال لقمان ان المؤمن اذا ابصر العاقبة امن الندامة ● وروى شداد بن اوس عنه عليه
السلام انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ● دان نفسه اي حاسب
نفسه ويوم الدين هو يوم الحساب ● وقوله أئنا لمدينون اي لمحاسبون وقال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان
تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهيئوا للعرض الاكبر ● وكتب الى ابي موسى الاشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب
الشدة ● وقال عمر لكعب كيف تجدها في كتاب الله قال ويل لديان الارض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال الا من حاسب نفسه
فقال كعب والله يا امير المؤمنين انها الى جنبها في التوراة ما بينهما حرف الا من حاسب نفسه وهذا كله اشارة الى المحاسبة
للمستقبل اذ قال من دان نفسه عمل لما بعد الموت ومعناه وزن الامور اولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها

المرابطة الثانية المراقبة اذا اوصى الانسان نفسه واشترط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض في الاعمال
وملاحظتها بالعين الكالئة فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها ● اما الفضيلة فقد سال جبريل النبي
عليه السلام عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه وقال اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ● وقد قال تعالى افمن هو قائم على
كل نفس بما كسبت ● وقال الم يعلم بان الله يرى ● وقال ان الله كان عليكم رقيبا ● وقال والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم
قائمون ● وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن ابدا كانك ترى الله ● وقال عبد الواحد بن زيد اذا كان سيدي
رقيبا علي فلا ابالي بغيره ● وقال ابو عثمان المغربي افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم
وقال ابن عطاء افضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات ● وقال الجريري امرنا هذا مبني على اصلين ان تلزم نفسك المراقبة لله تعالى
ويكون العلم على ظاهرك قائما ● وقال ابو عثمان قال لي ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم
يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك ● وحكي انه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض
اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع
لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم فرجع كل واحد بطيره مذبوحا ورجع الشاب والطير حي في
يده فقال ما لك لم تذبح وقد ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد اذ الله مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا منه مراقبته
وقالوا حق لك ان يكرم ● وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف ما لك اتستحيين من مراقبة
جماد ولا استحيي من مراقبة الملك الجبار ● وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت الا تستحيي فقال ممن استحيي وما
يرانا الا الكواكب قالت واين مكوكبها ● وقال رجل للجنيد بم استعين على غض البصر فقال بعلمك ان نظر الناظر اليك اسبق من نظرك الى المنظور
اليه ● وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل ● وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس
فيها حوار خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله تعالى انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي
فراقبوني والذين انثنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي
صرفت عنهم العذاب ● وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال اولها علم القلب بقرب الرب تعالى ● وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر
لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة ● ويروى ان الله تعالى قال لملائكته انتم موكلون بالظاهر وانا رقيب على الباطن ● وقال محمد
بن علي الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك
واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه ● وقال سهل
لم يزين القلب بشيء افضل ولا اشرف من علم العبد بان الله شاهده حيث كان ● وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه
ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه تعالى وحاسب نفسه وتزود لمعاده ● وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال
بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة
نفسك قبل ان تحاسب ● وقيل اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب ●
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ان ما يخفى عليه يغيب ● الم تر ان اليوم اسرع ذاهب وان غدا للناظرين قريب ● وقال
حميد الطويل لسليمان بن علي عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت انه يراك لقد اجترات على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا
يراك فلقد كفرت ● وقال سفيان الثوري عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة
وقال فرقد السبخي ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدا دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله ● وقال عبد الله بن دينار خرجت
مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من هذه الغنم فقال اني مملوك
فقال قل لسيدك اكلها الذئب قال فاين الله قال فبكى عمر ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا هذه
الكلمة وارجو ان تعتقك في الآخرة

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها

اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب
وانصراف الهم اليه فمن احترز من امر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعي جانبه ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب
يثمرها نوع من المعرفة واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه ● واما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بان
الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر
البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا اعني انها اذا خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على

القلب وقهرته ورب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين

الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل اعمالها فانها مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعمل لها فلا تحتاج الى تدبير وتثبت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كليته الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني ولا يستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يتخطى الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما اعرف الا رجلا سيدخل عليكم من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقيل له لقيت في الطريق فقال ما رايت احدا • وروي عن يحيى بن زكريا انه مر بامراة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا • وحكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله تعالى اشهى الي فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله تعالى له فقلت اين الطريق فاشار الى السماء وقام ومشى فقال اكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق لمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك الا بما هو فيه • ودخل الشبلي على ابي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له ممن اخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا فكانت اذا ارادت الصيد رابطت راس الجحر لا تتحرك لها شعرة • وقال ابو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وانا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء فدخلت المسجد واذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله الا رددتما علي السلام فرفع الشاب راسه من مرقعته فنظر الي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل الا القليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا قال فاخذ كليتي ثم طاطا راسه في المكان فبقيت عندهما حتى صليت الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظني فرفع راسه الي وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة ايام لا اكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث قلت في سري احلفهما ان يعظاني لعلي انتفع بعظتهما فرفع الشاب راسه وقال لي يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك

الدرجة الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم وعلى قلوبهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فانهم يرون الله تعالى في الدنيا مطلعا فلا يحتاجون الى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك في خلوتك قد تتعاطى اعمالا فيحضرك صبي او امراة فتعلم انه مطلع عليك فتستحيي منه فتحسن جلوسك وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك او كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا اختلف مراتب العابدين في مراقبة الله

تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل اما قبل العمل فلينظر اما ظهر له وتحرك بفعله هو لله تعالى خاصة او هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله امضاه وان كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها فانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه فان في الخبر انه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعنى لم اي لم فعلت هذا اكان عليك ان تفعله لمولاك او ملت اليه بشهوتك وهواك فان سلم منه بان كان عليه ان يفعل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل له كيف فعلت هذا فان لله في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له كيف فعلت ابعلم محقق ام بجهل وظن فان سلم عن هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال لمن عملت الوجه الله خالصا فوفاء بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله او لمراياة مخلوق مثلك فخذ اجرك منه ام عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملت بسهو وغفلة فقد سقط اجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدا لي تاكل رزقي وتترفه بنعيمي ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ويحك اما سمعتني اقول الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال جوابا وليكن الجواب صوابا فلا يبدي ولا يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التامل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ان الرجل ليسال عن كحل عينيه وعن فتة الطين باصبعيه وعن لمس ثوب اخيه وقال الحسن كان احدهم اذا اراد ان يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله امضاه وقال الحسن رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى وان كان لغيره تاخر وقال في حديث سعد حين اوصاه سلمان اتق الله عند همك اذا هممت وقال محمد بن علي ان المؤمن وقاف متان يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية باسرار الاعمال واغوار النفس ومكايد الشيطان فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوه وهو الشيطان ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمه وفكره وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فلا تظن ان الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم افات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقيه والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو راس كل شقاوة واساس كل خسران فحكم الله على كل عبد ان يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه او هو لهوى النفس فيتقيه وينزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم يدفع اورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي ان يحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما اشكل على العبد ذلك واظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر فيه بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فرار من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله تعالى الى داود لا تسال عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله فان مستقى انوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها واقبل على عدوها وعشق ضدها وهي شهوات الدنيا فليكن همة المريد اولا في احكام العلم او في طالب معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال صلى الله عليه ان الله تعالى يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات فجمع بين الامرين وهما متلازمان فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر نافذ في الشبهات ولذلك قال صلى الله عليه من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا فما قدر العقل الذي يفارقه الادمي حتى يعد الى محبته ويحجم بمقارفة الذنوب فمعرفة افات الاعمال قد اندرست في هذه الاعصار فان الناس كلهم هجروا هذه العلوم واشتغلوا بتوسط الخلق والخصومات الثائرة من اتباع الشهوات وقالوا هو الفقه و

هذا العلم الذي هو فقه الدين من جملة العلوم فحرره والفقه الدنيا الذي ما قصد به الا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه ● وفي الخبر انكم اليوم في زمان خيركم المسارع وسياتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع اهل العراق واهل الشام لما اشكل عليهم الامر كسعد وابن عمر واسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برايه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ● وقوله عليه السلام اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث واراد به ظنا من غير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما اشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابها علي فاتبع الهوى ● وقال عيسى عليه السلام الامور ثلثة امر استبان رشده فاتبعه وامر استبان غيه فاجتنبه وامر اشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه اللهم اني اعوذ بك ان اقول في الدين بغير علم واعظم نعم الله تعالى على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما واراد به العلم ● وقال تعالى فسلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ● وقال تعالى ان علينا للهدى وقال ثم ان علينا بيانه ● وقال وعلى الله قصد السبيل ● وقال علي رضي الله عنه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد اقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق الكرم والحياء سبب الى كل جميل واوثق العرى التقوى واوثق سبب اخذت بسبب بينك وبين الله تعالى انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تاته اتاك وان كنت جازعا على ما اصيب في يديك فلا تجزع على ما لم يصل اليك واستدل على ما لم يكن بما كان فانما الامور اشباه وانما المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من الدنيا فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك اسفا وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وشغلك لاخرتك وهمك فيما بعد الموت وغرضنا من نقل هذا كله قوله رضي الله عنه ومن التوفيق التوقف عند الحيرة فاذن النظر الاول للمراقب نظره في الهم والحركة اهي لله ام للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فقد استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا واظهر ما ينكشف له في حركاته ان يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه

النظر الثاني

للمراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع احواله فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله في جميع ذلك قدر على عبادة الله فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا فينبغي ان يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه قال ابراهيم بن ادهم جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم اجلس بعد ذلك وان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة فاذن لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراستها عن الآفات وان كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر وان كان في مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جميع احواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله عليه اما فعل يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله ويسابق به عباد الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد العبد نفسه في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلثة فاذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك ياخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلث ساعة مضت لا تعب فيها على العبد كيفما انقضت في مشقة او في رفاهية وساعة مستقبلة لم تات بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم تاته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وان اتته الساعة الثانية

استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا يطول امله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كانه في اخر انفاسه فلعله اخر انفاسه وهو لا يدري فاذا امكن ان يكون اخر انفاسه فينبغي ان يكون على وجه لا يكره ان يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع احواله مقصورة على ما رواه ابو ذر من قوله عليه السلام لا يكون المؤمن ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وما روي عنه في معناه على العاقل ان يكون له اربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يتفكر في صنع الله وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان في هذه الساعة عونا له على الساعات ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي ان يخلو عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذي يتناوله فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح والناس فيه اقسام قسم ينظرون اليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لاسبابه وخلق الشهوات الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليه ويودون لو استغنوا عنه ولكن يرون انفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر ابواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو اعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا راى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منه الى الصانع مجال رحب ان فتحت له ابواب الملكوت وذلك عزيز جدا ● وقسم رابع ينظرون اليه بعين الرغبة والحرص فيتاسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ويذمون ما عابه فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون ان الفاعل للطبيخ وللطباخ ولقدرته وعلمه هو الله وان من ذم شيئا من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله ولذلك قال صلى الله عليه لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فهذه هي المراقبة الثانية بمراقبة الاعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن احكم الاصول

المرابطة الثالثة

محاسبة النفس بعد العمل

ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها ● اما الفضيلة فقد قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا ● وفي الخبر انه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله اوصني فقال استوصيت قال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه ● وفي الخبر ينبغي ان يكون للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقال صلى الله عليه اني لاستغفر الله تعالى واتوب اليه في اليوم مائة مرة ● وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ● وعن عمر رضي الله عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جن الليل ويقول لنفسه ما عملت اليوم ● وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروي عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما احد من الناس احب الي من عمر ثم قال لها كيف قلت فاعادت فقلت ما احد من الناس احب الي من عمر فقال لا ما احد اعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وابدلها بكلمة غيرها ● وفي حديث ابي طلحة حين شغله الطائر في صلوته فتدبر ما شغله فجعل حائطه صدقة لله ندما ورجاء للعوض مما فاته وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال اردت ان اجرب نفسي هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيمة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجاه الشيء يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ما اردت بهذا والله لا اعذر بهذا والله لا اعود لهذا ابدا ان شاء الله ● وقال انس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب يوما وقد خرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب امير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله او ليعذبنك وقال الحسن في قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا اردت بكلمتي ماذا اردت بشربتي ماذا اردت باكلتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه ● وقال مالك بن دينار رحم الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة كذا ثم زمها ثم خطمها ثم الزمها كتاب الله تعالى وكان لها قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سياتي في موضعه ● وقال ميمون بن مهران التقي اشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح ● وقال ابرهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة اكل من ثمارها

وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدين فقالت أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت في الأمنية فاعملي ● وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر في مكياله رحم الله امرأ نظر في ميزانه فما زال يقول رحم الله امرأ حتى أبكاني ● وحكى صاحب الأحنف بن قيس قال كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه على نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعة يشارط فيها على نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصا منهم على الدنيا وخوفا من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم لكان لا يبقى إلا أياما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ما هذه المساهلة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فإن كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وإن كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الأمارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض أولا فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وإن ارتكب معصية اشتغل بمعاقبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي أن يتقي غبينة النفس ومكرها فإنها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكونه أنه لم سكن فإذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر أدى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن أن يستوفي منه الديون أما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق حساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتا ألقى المليك بأحد وعشرين ألف ذنب وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره في مدة يسيرة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه أحصاه الله ونسوه

المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وأنست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي أن يعاقبها فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع وإذا نظر إلى غير محرم ينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر وكذلك كل طرف من أطراف بدنه يمنعه عن شهوته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي عن منصور بن إبراهيم أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده في النار حتى يبست ● وروي أنه كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث كذلك زمانا طويلا فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة فافتتن بها وهم بها فأخرج رجله لينزل إليها فتداركه الله بسابقة فقال ما هذا الذي أريد أن أصنع فرجع إلى نفسه وعصمه الله وندم فلما أراد أن يعيد رجله إلى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد أن تعصي الله تعود معي في صومعتي لا يكون ذلك والله أبدا فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله تعالى له ذلك وأنزل في بعض الكتب ذكره ● ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكريني يقول أصابتني جنابة ليلة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا فحدثتني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخن الماء أو أدخل الحمام ولا أعنّي على نفسي فقلت واعجباه أنا أعامل الله في طول عمري فيجب له حق لا أجد في المسارعة وأجد الوقوف والتأخير آليت لا أغتسل إلا في مرقعتي هذه وآليت أن لا أنزعها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس ● ويحكى أن غزوان وأبا موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر إليها غزوان فرفع يده ولطم عينه حتى نفرت فقال إنك للحاظة إلى ما يضرك ● ونظر بعضهم نظرة واحدة فجعل على نفسه أن لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش ● ويحكى أن حسان بن أبي سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم أقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لأعاقبنك بصوم سنة فصامها ● وقال مالك بن ضيغم جاء رباح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا له إنه نائم فقال أنوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فأتبعناه رسولا فقلنا ألا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو أشغل من أن يفهم عني شيئا أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول أقلت أنوم هذه الساعة أفكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك أن هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا يعنيك أما إن لله علي عهدا لا أنقضه أبدا إلا أن يوسد للأرض لنوم حولا إلا لمرض حائل أو لعقل زائل سوءة لك أما تستحيين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته ● ويحكى أن تميما الداري نام ليلة لم يقم يتهجد فيها فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع ● وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء وكان يقول لنفسه ذوقي نار جهنم أجيفة بالليل بطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك إذ أبصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فأتاه فقال غلبتني نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ألم يكن لك بد من الذي صنعت أما لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لأصحابه تزودوا من أخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم ● وقال حذيفة بن قتادة قال رجل لي قد تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما على الأرض نفس أعز علي منها ولكن لا أعطيها شهوتها ● ودخل ابن السماك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل أن تسجن وعذبت نفسك قبل أن تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت له تعمل وعن وهب بن منبه أن رجلا تعبد زمانا ثم بدت له إلى الله حاجة فقام سبعين سبتا يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرة ثم سأل حاجته فلم يعطها فرجع إلى نفسه وقال منك أتيت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك فنزل إليه ملك فقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك ● وقال عبد الله بن قيس كنا في غزوة لنا فحضر العدو فصيح في الناس فقاموا إلى المصاف في يوم شديد الريح فإذا الرجل أمامي وهو يخاطب نفسه ويقول أي نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت والله لأعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك فقلت لأرمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في أوائلهم ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذلك دأبه حتى رأيته صريعا فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث أبي طلحة وأنه لما اشتغل قلبه في الصلاة بطائر في حائطه تصدق بالحائط كفارة لذلك ● وكان عمر يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول ماذا عملت اليوم ● وعن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء ما دام في الدنيا ● وكان الأحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل وكان يضع إصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على أن صنعت يوم كذا وكذا ● وأنكر وهيب بن الورد شيئا على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه ويحك إنما أريد بك الخير ورأى محمد بن بشر داود الطائي وهو يأكل عند إفطاره خبزا بغير ملح فقال له لو أكلته بملح فقال إن نفسي لتدعوني إلى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة أولي الحزم لأنفسهم والعجب أنك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر وتخاف أنك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبغوا عليكم ثم تهمل نفسك وهي أعظم عدو لك وأشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك فإن غايتهم أن يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها

المرابطة الخامسة المجاهدة

وهو أنه إذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي أن يعاقبها بالعقوبات التي مضت وإن رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغي أن يؤدبها بتثقيل الأوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض له قيمتها مائتا ألف درهم ● وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحيى تلك الليلة وأخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين وفات ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فأعتق رقبة ● وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشيا أو التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة لنفسه ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها فإن قلت إن كانت نفسي لا تطاوعني

منى على المجاهدة والمواظبة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول علاجها ان يسمعها ما ورد في الاخبار من فضل المجتهدين ومن
انفع اسباب العلاج ان يطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فيلاحظ احواله ويقتدي به ● وكان بعضهم يقول كنت اذا اعترتني
فترة في العبادة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت عليه اسبوعا الا ان هذا علاج قد تعذر اذ فقد في عباد الله من يجتهد في العبادة
اجتهاد الاولين فينبغي ان يعدل في المشاهدة الى السماع فلا شيء انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد
وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم ابد الاباد لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه اياما قلائل بشهوات
مكدرة ثم ياتيه الموت ويحال بينه وبين ما يشتهيه ابد الاباد نعوذ بالله من ذلك ونحن نورد من اوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك
رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال صلى الله عليه رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتهم
العبادة قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة ● وقال الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من
عذاب الله وقال صلى الله عليه طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ● ويروى ان الله تعالى يقول للملائكة ما بال عبادي مجتهدين فيقولون
الاهنا خوفتهم شيا فخافوه وشوقتهم الى شيء فاشتاقوا اليه فيقول تبارك وتعالى فكيف لو راى عبادي لكانوا اشد اجتهادا ● وقال
الحسن ادركت اقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا ياسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت اهون في اعينهم
من هذا التراب الذي تطؤونه بارجلكم ان كان احدكم ليعيش عمره كله ما طوي له ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه
وبين الارض شيا قط وادركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على
خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها وكانوا في شكرها وسالوا الله ان يتقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم
وسالوا الله ان يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك فوالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة ● ويروى ان قوما دخلوا على
عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما ارى فقال يا امير المؤمنين اسقام واعلال
فقال سالتك بالله الا صدقتني فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة فصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى
عندي ذهبها وحجرها وكاني انظر الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمات لذلك نهاري واسهرت ليلي وقليل حقير
كل ما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه ● وقال ابو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز
وشرب الفتيت قراءة خمسين اية ● ودخل عليه رجل يوما فقال ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن اخي ان لي في البيت منذ
عشرين سنة ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام ● وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا
الى احمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله تعالى خلق العينين لينظر بهما العبد في عظمة
الله تعالى فكل من نظر بغير اعتبار كتب عليه خطيئة ● وقالت امراة مسروق ما كان يوجد مسروق الا وساقاه منتفختان من
طول الصلوة وقالت والله اني كنت لاجلس خلفه فابكي رحمة له ● وقال ابو الدردا لولا ثلاث ما احببت العيش يوما واحدا الظما
لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب الثمر وكان الاسود بن يزيد يجتهد
في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها اريد وكان يصوم
حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط فدخل عليه انس بن مالك والحسن فقالا له ان الله تعالى لم يامرك بكل هذا فقال انما انا
عبد مملوك لا ادع من الاستكانة شيئا الا جئت به ● وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف ركعة حتى اقعد من رجليه فكان يصلي جالسا
الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف انست بسواك بل عجبت
للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك ● وكان ثابت البناني قد حبب اليه الصلوة وكان يقول اللهم ان كنت اذنت لاحد
ان يصلي لك في قبره فاذن لي ان اصلي في قبري ● وقال الجنيد ما رايت اعبد من السري اتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي
مضطجعا الا في علة الموت ● وقال الحرث بن سعد مر قوم براهب فراوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال
وما هذا عندما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد عكفوا على حظوظ انفسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم
فبكى القوم عن اخرهم ● وعن ابي محمد المغازلي قال جاور ابو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا
الى حائط ولم يمد رجليه فمر عليه ابو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له يا ابا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق
باطني فاعانني على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى متفكرا ● وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي فرايته وقد مد كفيه يبكي
حتى رايت الدموع تتحدر من بين اصابعه فدنوت منه فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت له بالله يا فتح بكيت الدم فقال

اعينهم

بنومه ح

لولا انك استحلفتني بالله ما اخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق الله وبكيت الدم على الدموع
لئلا تكون ما صحت لي الدموع قال فرايته بعد موته في المنام فقلت له ما صنع الله بك فقال غفر لي فقلت له فماذا صنع في دموعك فقال قربني ربي تعالى
وقال لي يا فتح الدمع على ماذا قلت يا رب على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت على دموعي ان لا تصح لي فقال لي يا فتح ما اردت بهذا
كله وعزتي لقد صعد الي حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة ● وقيل ان قوما ارادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الى
راهب منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب انا قد اخطانا الطريق فكيف هو فاومى براسه الى السما فعلم القوم
ما اراد فقالوا يا راهب انا سائلوك فهل انت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم من
كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم فقال على نياتهم فقالوا اوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية
ثم ارشدهم الى الطريق وادخل راسه في صومعته ● وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب
فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما انا براهب انما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر
على بلائه ورضي بقضائه وحمده على الائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه
فنهاره صائم وليله قائم قد اسهره ذكر النار ومسالة الجبار فذلك هو الراهب واما انا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس
لئلا اعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد ان عرفوه فقال يا اخي لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها لانها محل
المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله من ذنبه واقبل على ما يقربه من ربه ● وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال
اني اذن لفارغ ● وكان اويس القرني يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليلة كلها في ركعة واذا كانت الليلة الاتية قال هذه ليلة السجود
فيحيي الليلة كلها في سجدة واحدة ● وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنا بالطعام والشراب فقالت له امه لو رفقت بنفسك فقال الرفق
اطلب دعيني اتعب قليلا وانعم طويلا ● وقيل حج مسروق فما نام قط الا ساجدا على وجهه ● وقال سفيان الثوري عند الصباح يحمد
القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى ● وقال عمر بن اخت بشر بن الحرث سمعت خالي بشر بن الحرث يقول لامي جوفي وخواصري
تضرب علي فقالت له امي يا اخي ائذن لي حتى اصلح لك قليل حسا بكف دقيق عندي تتحساه يرم جوفك فقال لها ويحك اخاف ان يقول
لي من اين لك هذا الدقيق فلا ادري ايش اقول له فبكت امي وبكى معها وبكيت معهم وقال عمر ورات امي ما ببشر من شدة الجوع وجعل يتنفس نفسا ضعيفا
فقالت له امي يا اخي ليت امك لم تلدني فقد والله تقطع كبدي مما ارى بك فسمعته يقول لها وانا فليت امك لم تلدني واذ ولدتني لم يدر ثديها
علي وكانت امي تبكي عليه الليل والنهار ● وقال عبد الله بن داود كان احدهم اذا بلغ اربعين سنة طوى فراشه اي كان لا ينام طول
الليل ● وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم الف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا ماوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة ثم كان يبكي ويقول
ذهب نصف عملي ● وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول له يا ابت ما لي ارى الناس ينامون وانت لا تنام فيقول يا ابنتاه ان اباك يخاف البيات
ولما رات ام الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلا فقال نعم يا والدة قالت فمن هو حتى نطلب الى اهله
يعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما انت فيه لرحموك وعفوا عنك فيقول يا والدة هي نفسي ● وقال الربيع اتيت اويسا فوجدته جالسا قد
صلى الفجر ثم جلس فجلست فقلت لا اشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه
حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم اني اعوذ بك من عين
نوامة ومن بطن لا يشبع فقلت حسبي هذا منه ثم رجعت ● ونظر رجل الى اويس فقال يا ابا عبد الله ما لي اراك كانك مريض فقال وما
لاويس ان لا يكون مريضا يطعم المريض واويس غير طاعم وينام المريض واويس غير نائم ● وقيل كان ورد سمنون في كل يوم خمسمائة ركعة
وعن ابي بكر المطوعي قال كان وردي في شبيبتي كل يوم وليلة اقرا فيه قل هو الله احد احدى وثلاثين الف مرة او اربعين الف مرة شك
الراوي ● وكان منصور بن المعتمر اذا رايته قلت رجل اصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين ان حركته جاءت عيناه
باربع ولقد قالت له امه ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي عامة الليل لا تسكت لعلك قتلت قتيلا فيقول يا اماه انا اعلم بما صنعت نفسي
وقال احمد بن حرب يا عجبا لمن يعرف ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام بينهما ● وقال رجل من النساك اتيت ابراهيم بن
ادهم فوجدته قد صلى العشاء فقعدت ارقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب الى جنب الليل كله حتى طلع الفجر
واذن المؤذن فوثب الى الصلوة ولم يحدث وضوءا فحاك ذلك في صدري فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد
الوضوء فقال كنت الليلة كلها جائلا في رياض الجنة احيانا وفي اودية النار احيانا فهل في ذلك نوم ● وقال ثابت البناني ادركت
رجالا كان احدهم يصلي فيعجز حتى ما ياتي فراشه الا حبوا ● وقيل مكث ابو بكر بن عياش اربعين سنة لم يضع جنبه على فراش ونزل

في احدى عينيه الما فمكث عشرين سنة لا يعلم به اهله ● وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظما الهواجر فقال هل هو الا
اني صرفت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس في ذلك خطير امر ● وكان يقول ما رايت مثل الجنة نام طالبها ومارايت مثل
النار نام هاربها ● وكان اذا جا الليل قال اذهب حر النهار النوم فما ينام حتى يصبح فاذا اصبح قال اذهب حر النهار اليوم فما ينام حتى
يمسي فاذا جا الليل قال من خاف ادلج عند الصباح يحمد القوم السرى ● وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد الله قيس اربعة اشهر فلم اره
ينام بليل ولا نهار ● ويروى عن رجل من اصحاب علي بن ابي طالب انه قال صليت خلف علي الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كابة ثم مكث
حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رايت اصحاب محمد عليه السلام وما ارى اليوم شيا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا
بايديهم سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت
اعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعني من كان حوله ● وكان ابو مسلم الخولاني علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه
وكان يقول لنفسه قومي فوالله لازحفن بك زحفا حتى يكون الكلال منك لا مني فاذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول انت
اولى بالضرب من دابتي وكان يقول ايظن اصحاب محمد عليه السلام ان يستاثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم زحاما حتى يعلموا انهم
قد خلفوا وراهم رجالا ● وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما
وجد متزيدا وكان اذا جا الشتا اضطجع على السطوح ليضربه البرد واذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر والغم
فلا ينام ومات وهو ساجد ويقول اللهم اني احب لقاك فاحب لقاي ● وقال القسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت
بدات بعايشة رضي الله عنها اسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هي تصلي صلوة الضحى وهي تقرا فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم
وتدعو وتبكي وتردد الاية فقمت حتى مللت وهي كما هي تردد الاية وتدعو وتبكي ● وكان محمد بن اسحق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود
حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضو العشا ● وقال بعضهم ما اخاف من الموت
الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل ● وقال علي رضي الله عنه سيما الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكا
وذبول الشفاه من الصوم وعليهم غبرة الخاشعين ● وقيل للحسن ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم
من نوره ● وكان عبد بن قيس يقول الهي خلقتني ولم توامرني وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم
يراني ولا اراه ثم قلت لي استمسك الهي فكيف استمسك ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي الاخرة العقاب والحساب
فاين الراحة والفرح ● وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات كان اذا صلى العتمة وضع راسه بين ركبتيه يتفكر
واذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت به بعض البصريين فقال
لا تنظر الى صياحه وانظر الى ما كان فيه من الصيحتين حتى صاح ● وعن القسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له
اهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى باعلى صوته يا ايها الركب المعرسون اكل هذا الليل ترقدون الا
تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من هاهنا باكي ومن هاهنا داعي ومن هاهنا قاري ومن هاهنا متوضي فاذا طلع الفجر نادى
باعلا صوته عند الصباح يحمد القوم السرى ● وقال بعض الحكما ان لله عبادا انعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه وتوكلوا
عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن لصفا اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزاين للقدرة فهم
من الخلايق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتاوي الى محجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطيف الفوايد ما لا
يمكن واصفا ان يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وهم في الظاهر مناديل مبتذلون لمن ارادهم تواضعا وهذه
لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يوتيه من يشا ● وقال بعض الصالحين بينا انا اسير في بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت
الى واد هنالك فاذا انا بصوت قد علا واذا لتلك الجبال دوي فاتبعت الصوت فاذا بروضة عليها شجر ملتف
واذا انا برجل قايم فيها يردد هذه الاية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه
اسمع كلامه وهو يردد هذه الاية اذ صاح صيحة خر منها مغشيا عليه فقلت واسفاه لشقاي ثم انتظرت افاقته فافاق
بعد ساعة فنهض وهو يقول اعوذ بك من مقام الكذابين اعوذ بك من اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال
لك خشعت قلوب الخاشعين واليك فزعت امال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يديه وقال ما لي وللدنيا وما
للدنيا ولي عليك يا دنيا بابنا جنسك والافك نعيمك الى محبيك فاذهبي واياهم فاخدعي ثم قال اين القرون الماضية واين
الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى مر الزمان يفنون فناديته يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك فكيف

سريع من بادر الاوقات وتبادره يخاف سبقها الموت الى نفسه ام كيف يفرغ من ذهبت ايامه وبقيت اثامه ثم قال الهي ولكل شي اوقع
نزولها عني شاهد وقرا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى فخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت نفسه فدنوت
فاذا هو يضطرب ثم افاق وهو يقول من انا ما خطري هب لي اساتي بفضلك وجللني بسترك واعف عن ذنوبي بكرم وجهك اذا وقفت بين
يديك فقلت له بالذي ترجوه لنفسك وتثق به الا كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من اوبقته ذنوبه اني لفي هذا الموضع منذ
شا الله اجاهد ابليس ويجاهدني فلم يجد عونا علي ليخرجني مما انا فيه غيرك فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت علي لساني وملت الى حديثك شعبة
من قلبي فانا اعوذ بالله من شرك ثم ارجو ان يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا ولي الله اخاف ان اشغله فاعاقب في موضعي
هذا فانصرفت وتركته ● وقال بعض الصالحين بينما انا اسير وشيري اذ ملت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا انا بشيخ قد اشرف علي فقمت وهو
يقول كل نفس ذايقة الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من ايقن بما بعد الموت شمر ميزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر
ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر اليك واملا قلبي من المحبة لك واجرني من ذلة التوبيخ غدا عندك فقد ان لي الحيا منك وحان لي
الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني اجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك املي ثم مضى وتركني **وانشدوا فيه**

منحل الجسم مكتئب الفواد ● تراه بقنة او بطن وادي
ينوح على المعاصي فادحات ● يكدر ثقلها صفو الرقاد
فان هاجت مخاوفه وزادت ● فدعوته اغثني يا عمادي
فانت بما الاقيه عليم ● كثير الصفح عن زلل العباد

وقيل

الذ من التلذذ بالغواني ● اذا اقبلن في حلل حسان
منيب فر من اهل ومال ● يسيح الى مكان من مكان
ليخمل ذكره ويعيش فردا ● ويظفر في العبادة بالاماني
تلذذه التلاوة اين ولى ● وذكر بالفواد وباللسان
وعند الموت ياتيه بشير ● يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما اراد وما تمنى ● من الراحات في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم القران في كل يوم ثلاث مرات وجاهد نفسه في العبادة غاية المجاهدة فقيل له اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل
سبعة الاف سنة فقال كم مقدار يوم القيمة فقيل خمسون الف سنة قال فكيف يعجز احدكم ان يعمل سبع يوم حتى يامن ذلك اليوم يعني انك لو
عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة الاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين الف سنة لكان ربحك كثيرا او كنت بالرغبة فيه
جديرا فكيف وعمرك قصير والاخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك
وامتنعت عن المواظبة على العبادة فطالع احوال هولا فانه قد عز الان وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو انجع
في القلب وابعث على الاقتدا فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع احوالهم فان لم يكن ابل فمعزى وخير نفسك عن
الاقتدا بهم والكون في زمرتهم وهم العقلا والحكما وذووا البصاير في الدين وبين الاقتدا بالجهلة الغافلين من اهل عصرك ولا ترض
لها ان تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغبيا وتوثر مخالفة العقلا فان حدثتك نفسك بان هولا رجال اقويا لا يطاق الاقتدا بهم
فطالع احوال النسا المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستنكفي ان تكوني اقل من امراة فاخسس برجل يقصر عن امراة في امر دينها ودنياها
ولنذكر الان نبذة من احوال المجتهدات **ولنذكر الان نبذة من احوال المجاهدات** فقد روي عن حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها
وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت الهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا
مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا كان السحر وطلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد ادبر وهذا النهار قد اسفر فليت شعري اقبلت
مني ليلتي فاهنا ام رددتها علي فاعزى وعزتك لهذا دابي ودابك ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحت لما وقع في نفسي من
جودك وكرمك ● وروي عن عجردة انها كانت تحيي الليل وكانت مكفوفة البصر فاذا كان في السحر نادت بصوت لها محزون اليك
قطع العابدون دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهي اسالك لا بغيرك ان تجعلني في اول زمرة السابقين وان
ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين وان تلحقني بعبادك الصالحين فانت ارحم الرحما واعظم العظما واكرم الكرما يا كريم ثم تخر ساجدة
فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تبكي وتدعو الى الفجر ● وقال يحيى بن بسطام كنت اشهد مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة
والبكا فقلت لصاحب لي لو اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها فقال انت وذاك قال فاتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك
واقصرت عن هذا البكا شيا فكان اقوى لك على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت اني ابكي حتى تنفد دموعي ثم ابكي دما حتى
لا يبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكا فلم تزل تردد واني لي بالبكا حتى غشي عليها ● وقال محمد بن معاذ حدثتني امراة
من المتعبدات قالت رايت في منامي كاني ادخلت الجنة واذا اهل الجنة قيام على ابوابهم فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال
لي قايل خرجوا ينظرون الى هذه المراة التي زخرفت الجنان لقدومها قلت ومن هذه المراة فقيل امة سوداء من اهل الابلة يقال

لها شهوانه قالت فقلت اخي والله قال فبينا انا كذلك اذ اقبل بها على نجيبه تطير بها في الهوا فلما رايتها ناديت يا اخي اما ترى من مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فالحقني بك قال فتبسمت الي وقالت لم يان لك ذلك ومك ولكن احفظ عني اثنتين الزم الحزن قلبك وقدم محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت ● وقال عبد الله بن الحسين كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا وكانت في بعض الليالي نايمة الى جانبي فانتبهت فلمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا ما غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت يا مولاي بحبه لي اخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام ● وقال ابو هشيم القرشي قدمت الينا امراة من اهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض ديارنا فكنت اسمع لها من الليل انينا وشهيقا فقلت يوما لخادم لي اشرفي على هذه المراة فانظري ماذا تصنع قال فاشرفت عليها فما راتها تصنع غير انها لا ترد طرفها عن السما وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمك من حال الى حال وكل احوالك لها حسنة وكل بلايك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلعله تعدلها اتراها تظن انك لا ترى سوء فعالها وانت عليم خبير وانت على كل شي قدير ● وقال ذو النون المصري خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذا انا بسواد مقبل علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب مني السواد اذا هي امراة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لي من انت غير فازعة مني فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت لي ما الذي ابكاك قلت وقع الدوا على دا قد قرح فاسرع في نجاحه قالت ان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذاك قالت لان البكا راحة للقلب فبكيت متعجبا من قولها ● وقال احمد بن علي استاذنا على عفيرة فحجبنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهي تقول اللهم اني اعوذ بك ممن جا يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث عطا السلمي اربعين سنة لا ينظر الى السما فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في بطنه فيا ليت عفيرة اذ رفعت راسها لم تعص وبالسما اذ عصت لم ترفع ● وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعي جارية حبشية فاحتبستها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوايجي وقلت لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي وانا شديد الغضب عليها فلما راتني عرفت الغضب في وجهي فقالت يا مولاي لا تعجل انك اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكرا لله تعالى فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها انت حرة فقالت ساء ما صنعت كنت اخدمك فيكون لي اجران واما الان فقد ذهب عني احدهما ● وقال ابن العلا السعدي كانت لي ابنة عم يقال لها برة تعبدت وكانت تكثر القراة في المصحف وكلما اتت على اية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكا فقال بنو اعمها انطلقوا بنا الى هذه المراة حتى نعذلها في كثرة البكا قال فدخلنا عليها فقلنا يا برة كيف اصبحت فقالت اصبحنا اضيافا منيخين بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكا فقد ذهبت عيناك عنه فقالت ان يكن لعيني عند الله خير فلا يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكا اطول من هذا ثم اعرضت عنا فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شي ما نحن فيه ● وكان معاذه العدوية اذا جا النهار تقول هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي واذا جا الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح ● وقال ابو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت انا الى ناحية من البيت فلم تزل قايمة الى السحر فلما كان السحر قلت ما جزا من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاوه ان يصوم غدا ● وكانت شعوانه تقول في دعايها الهي ما اشوقني الى لقايك واعظم رجايي لجزايك فانت الكريم الذي لا يخيب لديك امل الاملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كان دنا اجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسايل اليك فان عفوت فمن اولى منك بذلك وان عذبت فمن اعدل منك هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها الهي انك لم تزل بي برا ايام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه ان يشفعه عند مماتي بغفرانه الهي كيف ايأس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني فان محبتي لك قد اجارتني فتول من امري ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت فضيحتي لم تسترني فمتعني بما له هديتني وادم لي ما به سترتني الهي ما اظنك ترد في حاجة افنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال الحواري دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرنا لها شيا من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت ثم قالت علمي بنفسي قرح فوادي وكلم كبدي والله لوددت ان الله لم يخلقني ولم اكن شيا مذكورا ثم اقبلت على صلاتها فعليك ان تكتسب من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنسا المجتهدات

لينبعث نشاطك ويجد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرنا كفاية للمعتبر وان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة على كتاب حلية الاوليا فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد اهل عصرك عن اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك [illegible] هم
عليه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تنخدع بغرورها وتنخدع بتزويرها وقل لها ارايت لو هجم السيل الجارف على غرق اهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم ياخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت انت على ان تفارقهم وتركب سفينة تنجو بها من الغرق فهل يختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تتركين موافقتهم وتاخذين حذرك [illegible] تتركين موافقتهم وتنجين من الغرق فعذاب الغرق لا تمادى الا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب الابد وانت متعرضة له في كل حال ومن اين تطيب للمصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقتهم اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك وحملها على الاجتهاد فاستعصت ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها

المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها

اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة عن الخير وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله تعالى بها ورجوت ان تصير النفس المطمينة الى ان تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفل ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغل بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك واوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها وحماقتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد انفها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكا والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صايرة الى احدهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو ات قريب وان الخطب
البعيد ما ليس بات اما تعلمين ان الموت ياتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة وانه لا ياتي في شي دون شي ولا في صيف دون شتا ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا ياتي في الصبي دون الشاب ولا في الشاب دون الصبي بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيه الموت فجاة فان لم يكن الموت فجاة فيكون المرض فجاة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ويحك يا نفس ان كانت جراتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فباي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك البطر عن اليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله تعالى وفضله واستغنايه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله واذا ارهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي الا بالدينار والدرهم ما لك تنزعين الروح في طلبه وتحصيله من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله حتى يعثر بك على كنز او يسلط عبدا من عبيده ليحمل اليك حاجتك من غير سعيك وطلبك افتحسبين ان الله كريم في الاخرة لا في الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الدنيا والاخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ويحك ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال في امر الاخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بافعالك واصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل امر الاخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلماذا كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار ويحك كانك لا تومنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات اتحسبين ان تتركي سدى الم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا من اضمارك فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين مما ذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه في قوله ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تاخذين حذرك ولو ان يهوديا اخبرك

في الذي اطمعك بانه يضرك من فيك لصرفت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه او كان قول الانبيا المويدين بالمعجزات وقول الله في كتبه
المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم والعجب انه لو اخبرك طفل بان في ثوبك عقربا
لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له ببرهان ودليل افكان قول الانبيا والعلما والحكما وكافة الاوليا اقل عندك من قول صبي
من جملة الاغبيا او صار حر جهنم واغلالها وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وافاعيها وعقاربها احقر عندك من عقرب لا
تحس بالمها الا يوما او اقل منه ما هذه افعال العقلا بل لو انكشف للبهايم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت قد عرفت جميع
ذلك وامنت به فما لك تسوف العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا امنت استعجال الاجل وهب انك وعدت بالامهال مايه
سنة افتظن ان من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجل
ليتفقه في الغربة فاقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة من رجوعه الى وطنه هل كنت تضحك من عقله
وظنه ان تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبانه ان مناصب الفقها تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه ثم هب ان الجهد
في اخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم اخر عمرك فلم لا تشتغل فيه بذلك فان اوحي اليك بالامهال فما المانع لك من المبادرة
وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهوتك لما فيه من التعب والمشقة افتنتظر يوما ياتيك لا يعسر فيه مخالفة
الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس وهذا
محال وجوده واما تتامل منذ كم تعد نفسك وتقول غدا وغدا فقد جا الغد وصار يوما فكيف وجدته او ما علمت ان الغد الذي جا وصار
يوما كان له حكم الامس بل ما تعجز عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز والعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها للضعف
واخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخرها الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة تزيد الشجرة قوة ورسوخا وتزيد القالع ضعفا
ووهنا فما لا يقدر عليه في الشباب فلا يقدر عليه قط في المشيب بل من العنا رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والقضيب الرطب
يقبل الانحنا فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبله فاذا كنت لا تفهم هذه الامور الجلية وتركن الى التسويف فما لك تدعي الحكمة
واية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقول انما يمنعني عن الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الالام والمشقات
فما احمقك واقبح اعتذارك ان كنت صادقا في ذلك فاطلبها التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدايمة ابد الاباد ولا مطمع في ذلك
الا في الجنة فان كنت ناظرا لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات وما قولك في عقل مريض اشار عليه الطبيب بترك الما
البارد ثلثة ايام ليصح ويتهنا بشربه طول العمر واخبره ان شرب ذلك مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى
العقل في قضا حق الشهوة ايصبر ثلثة ايام ليتنعم طول العمر ام يقضي شهوته في الحال خوفا من الم المخالفة ثلثة ايام حتى يلزمه الم
المخالفة ثلثماية يوم وثلثة الف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى النعيم الابدي الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلثة ايام
بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة ام الم النار في دركات
جهنم فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة كيف يطيق الم عذاب الله ما اراك تتوانى عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او لحمق جلي ◦ اما الكفر الخفي
فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب ◦ واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات
الى مكره واستدراجه واستغنايه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز بل تتوصلين بها الى غرضك فيها بجميع الحيل
وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله ويحك لا ينبغي ان تغرك الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما امرك بمهم لغيرك ولا تضيعي
اوقاتك فالانفاس معدودة واذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر
والشباب قبل الهرم والحيوة قبل الموت واستعدي للاخرة على قدر بقاك فيها كما تستعدين للشتا بقدر طول مدته فتجمعين له الجبة
واللبد والحطب ولا تتكلين على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب فانه قادر على ذلك افتظنين ان زمهرير
جهنم اخف بردا واقصر مدة من زمهرير الشتا ام تظنين ان العبد ينجو منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتا الا بالجبة والنار
وساير الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد والطاعات وانما كرم الله تعالى في ان عرفك طريق التحصن ويسر لك
اسبابه لا في ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى في دفع برد الشتا ان خلق النار وهداك لطريق استخراجها
من بين حديد وحجر حتى تدفع بها برد الشتا عن نفسك كما ان شرا الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما
تشتريه لنفسك اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك ايضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه

ومن اسا فعليها والله غني عن العالمين ويحك اقلعي عن جهلك وقيسي اخرتك بدنياك فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدانا اول خلق نعيده
وكما بداكم تعودون وسنة الله لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ويحك ما اراك الا الفت الدنيا وانست بها فعسر عليك فراقها وانت مقبلة
على مقاربتها وتوكدين في نفسك مودتها واحسبي انك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن اهوال القيمة واحوالها فما انت مومنة بالموت المفرق
بينك وبين محابك افترى ان من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الاخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى
مفارقته اهو معدود من العقلا او من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار ملك الملوك وما لك فيها الا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتاز بها بعد الموت
ولذلك قال سيد البشر ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شيت فانك ميت واعمل ما شيت فانك مجزي به
اما تعلمين ان كل من يحب الى ملاذ الدنيا ويانس بها مع غفلته عن الموت فهو من ورايه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو
لا يدري وما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداهم اما تراهم كيف يجمعون ما لا ياكلون
ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السما ومقره قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس
اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب اخرته وهو صاير اليها قطعا اما تستحيين يا نفس من مساعدة هولا الحمقى على حماقتهم
واحسبي انك لست ذا بصيرة تهتدي الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتدا فقيسي عقل الانبيا والعلما والحكما بعقل هولا
المكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكا يا نفس ما اعجب امرك واشد جهلك واظهر
طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك يسكرك حب الجاه ويدهشك عن فهمها او ما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل
قلوب بعض الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجد لك واطاعك افما تعرفين انه بعد خمسين سنة لا تبقين انت ولا احد ممن على
وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسياتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما قد اتى على الملوك الذين من قبلك فهل تحس منهم من احد او تسمع
لهم ركزا فكيف تبيعين ما يبقى ابد الاباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقي هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى
اذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب وكيف وادبارك وشقاوتك وان لم يسلم لك امر محلتك بل امر دارك فضلا عن محلتك فان كنت
لا تتركين الدنيا رغبة في الاخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركايها وتنزها عن كثرة عنايها وتوقيا من سرعة فنايها
ام ما لك لا تزهدين في قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا تخلو بلدك عن جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك
بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فاف لدنيا يسبقك بها هولا الاخسا فما اجهلك واخس همتك واسقط رايك اذ رغبت عن ان تكوني
في زمرة المقربين من النبيين والصديقين في جوار رب العالمين ابد الابدين لتكوني في صف النعال من غمار الحمقى الجاهلين اياما قلايل فيا حسرة
عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادري ويحك يا نفس فقد اشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن
ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يرضي عنك ربك بعد الموت ويحك يا نفس ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد
ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على عادتك اما تعلمين ان
الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت يا نفس ان عسكر الموتى على باب البلد
ينتظرونك وقد الوا كلهم على انفسهم بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك الى انفسهم اما تعلمين انهم يتمنون
الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو
قدروا عليه وانت تضيعين ايامك في الغفلة والبطالة ويحك اما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظايم
افتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك اهو اهون الناظرين عليك ويحك اتامرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذايل تدعون
الى الله وانت منه فارة وتذكرين بالله وانت له ناسية اما تعلمين ان المذنب انتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين
في تطييب غيرك وانت غير طيبة في نفسك لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس لا يصيبهم بلا الا بشومك ويحك قد جعلت
نفسك حمارا لابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر بك ومع هذا فتعجبين بعملك وفيه من الافات ما لو نجوت منه راسا براس لكان
ربحك ومتى تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وزللك وقد لعن الله ابليس بخطية واحدة بعد ان عبد الله تعالى مايتي الف سنة واخرج ادم من الجنة بخطية واحدة
مع كونه نبيه وصفيه ويحك يا نفس ما اغدرك ويحك يا نفس ما اوقحك يا نفس ما اجهلك وما اجراك على المعاصي ويحك كم تعقدين فتنقضين
ويحك كم تعهدين فتغدرين ويحك اتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كانك غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كيف
كانوا جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا ويحك يا نفس اما لك بهم عبرة اما

كما اليوم نظيرا انتظرين انهم دعوا الى الاخرة وانت من المدعوين هيهات هيهات ما انت الا وهدم عمرك منذ سقطت
من بطن امك فابني على وجه الارض قصرك وان بطنها عن قليل يكون قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس منك التراقي ان تبدو رسل ربك منحدرة
بسواد الالوان وكلح الوجوه وبشرى العذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن او يرحم منك البكا والعجب كل العجب منك انك مع هذا
تدعين الحصافة والفطنة ومن فطنتك انك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين من نقصان عمرك وما نفع مال يزيد وعمر ينقص تعرضين
عن الاخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الاخرة وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لم يستكمله ومومل لغد لم يبلغه وانت تشاهدين
ذلك في اخوانك واقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري يا مسكينة يوما الى الله فيه على نفسه
الا يترك فيه عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري باي بدن تقفين بين يديه وباي لسان
تجيبين واعدي للسوال جوابا وللجواب صوابا واعملي بقية عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار مقامة وفي دار حزن
ونصب لدار نعيم وخلود واعملي قبل ان لا تعملي واخرجي من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل ان تخرجي منها خروج الاضطرار ولا تفرحي
بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل
ويشرب وقد حق له في كتاب الله انه من وقود النار ولكن نظرك يا نفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك
للاخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل
ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة وعيه فان كانت العادة
تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة
والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمي ان الله قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب
على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها اهلا وخلق لها اهلا وكل ميسر لما خلق له فان لم يبق لك
مجال للموعظة فاقنطي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله منها فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء مع انسداد
طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس برجا فانظري الان هل ياخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة
منك على نفسك فان سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع للرجا فواظبي على النياحة والبكا واقتدي بابيك ادم عليه السلام
واستغيثي بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله ان يرحم ضعفك ويغيثك فان
مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وزاحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب
ولا مستغاث ولا مهرب ولا منجا ولا ملجا الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك
لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر الذليل وقد اصبحت والله مضطرة والى رحمته محتاجة
وضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسئول جواد والمستغاث
به بر رؤوف والرحمة واسعة والكرم فايض والعفو شامل وقولي يا ارحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب
المصر انا الجري الذي لا اقلع انا المتمادي الذي لا استحيي هذا مقام المتضرع المسكين والبايس الفقير والضعيف الحقير والهالك
الغريق فعجل اغاثتي وفرجي وارني اثار رحمتك وبرد عفوك ومغفرتك وقوة عصمتك يا ارحم الراحمين لقد ابكى اباك ادم عليه
السلام وقد قال وهب بن منبه لما اهبط الله عز وجل ادم الى الارض من الجنة مكث لا ترقا له دمعة فاوحى الله اليه يا ادم
ما هذا الجهد الذي ارى بك قال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت بي خطيئتي واخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد
الكرامة وفي دار الشقا بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلا بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي
دار الموت والفنا بعد الخلود والبقا فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله تعالى اليه يا ادم الم اصطفك لنفسي واحللتك داري
وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت امري ونسيت عهدي
وتعرضت لسخطي وعزتي لو ملات الارض رجالا مثلك يعبدونني ويسبحونني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى عند ذلك
ادم ثلثماية عام وكان عبد الله البجلي كثير البكا يقول في بكايه طول الليلة الهي انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما
هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة اخرى وا عبيداه خطيئة لم تبل صاحبها في طلب اخرى وا عبيداه ان كانت النار لك مقيلا
وماوى وا عبيداه ان كانت المقامع لراسك نصيبا وا عبيداه قضيت حاجة الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى ● وقال منصور بن عمار

تمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يا رب وعزتك ما اردت بمعصيتي مخالفتك ولقد عصيتك اذ عصيتك
لا بانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي واعانتني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى
علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الان من يستنقذني او بحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف بين
يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع المخفين اجوز ام مع المثقلين احط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي
ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فكم اتوب وكم اعود اما ان لي ان استحيي من ربي فهذه طريق القوم في مناجاة مولاهم
ومعاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضا ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعا فمن لم يكن من اهل
المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله عنه راضيا ● تم كتاب المراقبة والمحاسبة ●

كتاب التفكر

بسم الله الرحمن الرحيم ● الحمد لله الذي لم يقدر لانتها عزته نحوا ولا قطرا ● ولم يجعل لمرقى اقدام
الاوهام ومرمى سهام الافهام الى حمى عظمته مجرى ● بل ترك قلوب الطالبين في بيدا كبريايه والهة حيرى ● كلما اهتزت
لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا ● واذا همت بالانصراف ايسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ● ثم قيل لها
اجيلي في ذل العبودية منك فكرا ● لانك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدري له قدرا ● وان طلبت وراء التفكر في صفاتك
امرا ● فانظري في نعم الله واياديه كيف توالت عليك تترى ● وجددي لكل نعمة منها ذكرا وشكرا ● وتاملي في بحار المقادير
كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا ● وفوزا وخسرانا وجبرا وكسرا ● وطيا ونشرا وايمانا
وكفرا ● وعرفانا ونكرا ● وان جاوزت النظر في الافعال الى النظر في الذات فقد حاولت امرا امرا ● وخاطرت بنفسك
مجاوزا حد طاقة البشر ظلما وجورا ● فقد انبهرت العقول دون مبادي اشراقه ● وانتكصت على اعقابها اضطرارا
وقهرا ● والصلوة على محمد اذ كان سيد ولد ادم ولم يعد سيادته فخرا ● صلاة تبقى لنا في عرصات القيمة عدة وذخرا
وعلى اله واصحابه الذين اصبح كل واحد منهم في سما الدين بدرا ● ولطوايف المسلمين صدرا ● وسلم كثيرا

اما بعد

فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث في كتاب الله على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار
ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ● ومبدا الاستبصار ● وهو شبكة العلوم ● ومصيدة المعارف والفهوم ● و
اكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه
ولم يعلموا انه كيف يتفكر وفيما ذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به اهو مراد لعينه او لثمرة تستفاد منه
وان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي من العلوم ام من الاحوال او منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر الان
فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجاري الفكر ومسارحه ان شا الله تعالى

فضيلة التفكر

قد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال تعالى الذين يذكرون الله
قياما وقعودا (وعلى جنوبهم) ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ● وقال ابن
عباس ان قوما تفكروا في الله تعالى ● فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله تعالى
قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضا نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة
الشمس اربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله تعالى طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين الشيطان عنهم
قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا امن ولد ادم قال لا يدرون خلق ادم ام لا ● وعن عطا قال انطلقت انا وعبيد
بن عمير الى عايشة وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قلت قول النبي عليه السلام زر غبا تزدد حبا
قالت فاخبرنا باعجب شي رايته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل امره كان عجبا اتاني في ليلتي حتى مس
جلده جلدي ثم قال ذريني اتعبد لربي تعالى فقام الى القربة فتوضا منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض
ثم اضطجع على جنبه حتى اتى بلال يوذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر

فقال ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقراهن ويعقلهن ● وعن محمد بن واسع ان رجلا من اهل البصرة ركب الى ام ذر بعد موت ابي ذر فسالها عن عبادة ابي ذر فقالت كان نهاره اجمع في ناحية يتفكر ● وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة ● وعن الفضيل قال الفكر مراة تريك حسناتك وسيئاتك ● وقيل لابرهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العبادة ● وكان سفين بن عيينة كثيرا ما يتمثل ويقول ● اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شي له عبرة ● وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى عليه السلام يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي ● وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو ● وفي قوله عز وجل ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال امنع قلوبهم التفكر في امري ● وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه ● وعن امراة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ذخر في حجب الغيوب من خير الاخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين ● وكان لقمن يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمن انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان انس لك فيقول لقمن ان طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة ● وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امري قط الا علم وما علم امرو قط الا عمل ● وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله تعالى من افضل العبادة ● وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي وراه ساكتا متفكرا اين بلغت قال الصراط ● وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله عز وجل ما عصوا الله عز وجل ● وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب ● وبينا ابو شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقلنا ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب اجلي ● وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر ● وقال الفكر في الدنيا حجاب عن الاخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الاخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب ● وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف ● وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه ● ويروى ان الله تعالى قال في بعض كتبه اني لست اقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم ● وقال الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة ● وقال اسحق بن خلف كان داود الطاي رحمه الله على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده السيف وظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك ● وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله تعالى ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب ما الذه طوبى لمن رزقه ● وقال الشافعي استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر ● وقال ايضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الراي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم ● وقال ايضا الفضايل اربع احدها الحكمة وقوامها الفكرة والثاني العفة وقوامها في الشهوة والثالث القوة وقوامها في الغضب والرابع العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس هذه اقاويل العلماء في الفكرة وما شرع احد في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها

بيان حقيقة الفكر وثمرته ● اعلم ان معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة واثر الحيوة الدنيا واراد ان يعرف ان الاخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان يسمع من غيره ان الاخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الاخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الاخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الاخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الاخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا ● اما التامل والتدبر والتفكر فعبارات

مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معاني مختلفة ● واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان اصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شي واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوايد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان لم يقع العبور ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار ● واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفايدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التفكر والتذكر والمعارف اذا اجتمعت وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة اخرى وازدوجت مع معرفة اخرى حصل منه نتاج وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما ينسد طريق زيادة المعارف بالموت او بالعوايق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق التفكر واما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم راس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صنعة التجارة فلا يربح فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو راس مال العلوم ولكنه ليس يحسن استعمالها وتاليفها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج فيها ● ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبيا صلوات الله عليهم وذلك عزيز جدا وقد يكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير لقلة ممارسته بصناعة التعبير والايراد فكم من انسان يعلم ان الاخرة اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سيل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير عنه مع انه لم يحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار وان الاخرة ابقى فيحصل له معرفة ان الاخرة اولى بالايثار فرجع حاصل حقيقة الفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة ● واما ثمرة الفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع للفكر فالفكر اذن هو المبدا والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذا التفكر افضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا ● وان اردت ان تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الاخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان الاخرة اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت الى الرغبة في الاخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الاخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغيرت حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الاخرة فهاهنا خمس درجات احدها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منها والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها الرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضي به الموضع فتصير العين مبصرة بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضا للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويولف بينهما تاليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما ينبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضا للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها والاحوال التي يتصور ان تنقلب على القلب لا يمكن حصرها فلهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا اجماليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من افكار مخصوصة فلنشر الى الضبط الجامع فيه ليحصل الوقوف على مجاري الفكر

بيان مجاري الفكر ● اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا فيما يتعلق بالدين فلنترك القسم الاخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق بالمعبود وصفاته

وافعاله لا يمكن ان تخرج من هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الله تعالى او فيما هو مكروه ولا حاجة الى التفكر في هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثل وهو ان حال السائرين الى الله والمشتاقين الى لقائه يشابه حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره عن ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم بالفكر فيه ومشاهدته واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره اما في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها او في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج من هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فمحب الله تعالى ينبغي ان يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورا في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اصلا فلنبدأ بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه واحوال نفسه ليميز المحبوب فيها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب واما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل ما هو مكروه عند الله او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب وقد ذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة امور **الاول** التفكر في انه هل هو مكروه عند الله ام لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر **والثاني** التفكر في انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه **والثالث** ان هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه او متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى الفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح آحاد هذه الاقسام يطول ولكن انحصر هذا القسم في اربعة انواع الطاعات والمعاصي والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس المريد سائرها ويتفتح له باب التفكر ويتسع عليه طريقه

النوع الاول المعاصي ينبغي ان يفتش الانسان صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد منها فينظر في اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك من المكاره فيقرر اولا في نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له الا بالعزلة والانفراد او بان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله فيضع حجرا في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما يسمعه من زيد ومن عمرو وانه كيف ينبغي ان يحترز عنهم بالاعتزال او بالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه انه انما يعصي الله فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقو للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام والشبهة فينظر من اين مطعمه وملبسه ومسكنه وما مكسبه ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضائعة مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات كلها وان الله لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد في الخبر فهكذا يتفكر في اعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فمهما حصل بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها

النوع الثاني وهي الطاعات فينظر اولا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق بها مما يحبه الله فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك عن معصية الله فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع كلام ملهوف او استماع حكمة وعلم او استماع قراءة وذكر فما لي اعطله وقد انعم الله تعالى به علي واودعنيه لاشكره فما لي اكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول انا قادر على ان اتقرب الى الله بالتعليم والوعظ وبالتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله مثله وان كنت محتاجا الان فانا الى ثواب الايثار احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن اعضائه وجملة بدنه واموال التي عنده ودوابه وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات

واما النوع الثالث من الصفات المهلكات التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس ابدا تعد بالخير من نفسها وتخلف وتكذب فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان يجرب نفسه بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون به انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربه في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا ولها علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامة على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين ان منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو رأى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله تعالى وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وهو الذي حرك اعضائي بقدرته وقدرتي وارادتي فكيف اعجب بعملي او بنفسي ولا اقوم لنفسي بنفسي واذا احس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك اكبر والكبير من هو كبير عند الله وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر في الحال يموت مقربا الى الله بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند سوء الخاتمة فاذا علم ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالته بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا وجد في نفسه شهوة الطعام ونهمه تفكر في ان هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصفت به البهائم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب

واما النوع الرابع وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها الى نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيه وليتحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله حتى ينبعث له حال الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله اليه واياديه عليه وفي ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع ذلك واذا اراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمه وبدائع صنعه كما سنشير من الطرف يسير منه في القسم الثاني من الفكر واذا اراد حال الخوف فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب النار او يصرف الى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر بعد اهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها وسلاسلها واغلالها وزقومها وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وانهم اذا راوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا الى جميع ما ورد في القرآن من شرحها واذا اراد ان يستجلب حال الرجاء فلينظر الى الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب احوال محبوبة او التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر اما مذكر بجامعه فلا يوجد فيه انفع من قراءة القرآن

بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفا للعالمين ففيها ما يورث الخوف والرجا والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال وفيها ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي ان يقراها العبد ويردد الاية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو مائة مرة فقراءة اية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم وليتوقف في التامل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة منها اسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تامله العالم حق تامله لم ينقطع فيه نظره طول عمره وشرح احاد الايات والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والاخرين وهي كافية للمتاملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله او مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن المكاره وليعلم ان هذا مع انه افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه اي ينسى نفسه واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في احوال نفسه واوصافه بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور وقال فيم انت فقال ادور في البوادي اصحح حالي في التوكل فقال افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفنا في التوحيد فالفنا في الواحد الحق غاية مطلب القاصدين ومنتهى نعيم الصديقين واما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح ● واما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجري مجرى تهيئة المراة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت من اهل المجالسة وان كنت كالعبد السوء لا تتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجرة فدونك واتعاب البدن بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من اهل الجنة ولكن للمجالسة قوم اخرون واذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى واحوالك المقربة اليه تعالى بل كل مريد فينبغي ان يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجميع الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات النظر في عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والريا والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة وهي الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعما واعتدال الخوف والرجا والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما كفي من المذمومات واحدة منها فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيه قلبه منها ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المتشمر واما اكثر الناس من المعدودين من الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جريدتهم المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمرا والثنا على النفس والافراط في معاداة الاعدا وموالاة الاوليا والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح عن الاثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل عنها **مثاله** العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلا والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وان رد كلامه لم يخل عن غيظ وحقد على من يرده وهو اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث

انه رد الحق وانكره فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه او يرد على عالم اخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثنا واستنكاف من الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع بتحسين اللفظ والايراد حرصا على استجلاب الثنا والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلوب اعلاء لدين الله تعالى فان كان فرحه بحسن الفاظه وثنا الناس عليه اكثر من فرحه من ثنا الناس على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما يدندن حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره هذه الصفات ظهرت على ظاهره حتى يكون للموقر له والمعتقد لفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد استبشارا ممن يغلو في موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر باهل العلم الى ان يتغايرون تغاير النسا فيشق على احدهم ان يختلف بعض تلاميذه الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب الذي يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك ولا مطمع له في سلامة العوام فمن احس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الانفراد والعزلة وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سيل فقد كان المسجد يحوي من الصحابة جمعا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتي كان يود ان يكفيه غيره وعند هذا ينبغي ان يتقي شياطين الانس اذا قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عني فقد كان معمورا قبلي وكذلك يكون بعدي ولو مت لم تنهدم اركان الاسلام والدين مستغن عني وانا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبي واما اداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب العلو والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل ينتهض لنشره اقوام لا نصيب لهم في الاخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغي ان يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثنا والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال صلى الله عليه حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الما البقل وقال صلى الله عليه ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم اكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منه وهذه وظيفة العالم المتقي ● فاما امثالنا فينبغي ان يكون تفكرنا فيما يقوي ايماننا بيوم الحساب اذ لو رانا السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هولا لا يومنون بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يومن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشهوات والحرام وترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا انه يقتدي بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلما اولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسال الله تعالى ان يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري افكار العلما والصالحين في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب فلا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر شي منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب تلدغه مرة بعد اخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في كمال التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهي موذيات ومشوشات وفي القبر يزيد الم لدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه

القسم الثاني الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان **المقام الاعلى** الفكر في ذاته وصفاته ومعاني اسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق لاحوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله حال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا ينظر في بقية نور الشمس اذا وقع على الارض واحوال الصديقين حال الانسان بالنظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولكن لا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو دام النظر فنظره المختطف

اليها تورث العمش وتبرق البصر ولذلك النظر الى ذات الله تورث الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب اذن ان لا يتعرض
لمجاري الفكر في ذات الله وصفاته فانه اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن
المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد
حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه يتعالى
عن ان يكون له راس ورجل ويد وعين وعضو وان يكون جسما متشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قدح في عظمة
وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظنه المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضاء
وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه ولا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته ان
يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سرير وبين يديه غلمان يمتثلون امره فلا جرم غايته ان يقدر ذلك في حق الله تعالى فيقدر
حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون
خالقي انقص مني افيكون مقصوص الجناح او يكون زمنا لا يقدر على الطيران او يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري
وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان لظلوم جهول كفار ولذلك اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تخبر عبادي
بصفاتي فينكرون ولكن اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله وصفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع
وصلاح الخلق ان لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل الى المقام الثاني وهو النظر في افعاله وعجائب صنعه وبدائع امره في
خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته وقدرته فينظر الى صفاته
من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما انا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل به على عظم
نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس والنظر في الاثر يدل على المؤثر دلالة
ما وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من آثار قدرة الله ونور من انواره بل لا ظلمة
اشد من العدم ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من انوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الاشياء
بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس فقد جرت العادة بان
يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة تغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها
فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا تبهرنا انوار الذات بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا
سر قوله صلى الله عليه تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله

بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى

اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها
عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر
قبل ان ينفد عشر عشيره ولكنا نشير الى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة
الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها قال تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت
الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وقال وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما يعرف اصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا
ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بحس البصر اما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة
والجن والشياطين والعرش والكرسي وغيرهما ومجال الفكر في هذه الاشياء مما يضيق ويغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهي
المدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها
ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما
بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها وامطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها
فهذه هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام ويتشعب
كل قسم الى اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهيئاته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع
ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب الا والله تعالى هو محركها وفي
حركتها حكمة او حكمتان او عشر او الف حكمة كل ذلك شاهد لله بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة
وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه الآيات كما قال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات

قال ومن آياته ومن آياته من اول القرآن الى آخره فلنذكر كيفية الفكر في بعض الآيات فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شيء اليك
نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل
بها كيف تطمع في معرفة غيرها وقد امرك الله بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة
قذرة فقال قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره
وقال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وقال
الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين
وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه
ويترك التفكر في معناه فانظر الآن الى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وانتنت كيف اخرجها
رب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى الالفة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة
الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعه في الرحم ثم كيف خلق
المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة
ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب
والعروق الاعضاء الظاهرة فدور الراس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤوسها
بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة
والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام اخر فركب العين من
سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن
الابصار ولو ذهبنا نصف ما في آحاد هذه الاعضاء من العجائب والآيات لانقضى فيه الاعمار فانظر الآن الى العظام وهي اجسام
قوية صلبة كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة
فمنها صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض
اجزائه للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل
واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض باوتار انبتها من احد طرفي العظم والصق
بالطرف الآخر كالرباط له ثم خلق في احد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد
لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد ان اراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر
كيف خلق عظام الراس وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوت
به كرة الراس كما تراه فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها
عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للراس وركبها من
سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على البعض ويطول ذكر وجه
الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزة وركب
عظم العجز من ثلاثة اجزاء مختلفة فيتصل به من اسفله عظم العصعص وهو ايضا مؤلف من ثلاثة اجزاء ثم وصل عظام الظهر
بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز ثم عظام الفخذين والساقين واصابع
الرجلين ولا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام
الصغيرة التي حشي بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس الغرض الا ان ينظر منها الى مدبرها
وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها
واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحد لكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها
ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين
الناظرين ثم انظر كيف خلق الله آلات تحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسع وعشرين

عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها
فاربعة وعشرون منها لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل امر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد
مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها اعجب من هذا كله
وشرحه يطول فللتفكر مجال في احاد هذه الاجزاء ثم في احاد الاعضاء ثم في جملة البدن وكل ذلك نظر الى عجايب اجسام البدن وعجايب
المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم وانظر الان الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته لترى فيه من العجايب والصنعة ما يقضي
به العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات والارض وكواكبها
وما حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها
ومغاربها ولا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات والارض تنفك عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا واجمع للعجايب من بدن
الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجايب السموات ولذلك قال تعالى ءانتم اشد خلقا ام السما بناها الاية فارجع الان الى النطفة
وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتامل انه لو اجتمع الجن والانس على ان يخلقوا للنطفة سمعا او بصرا او عقلا او قدرة او علما
او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفيته بعد
ان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصورة على حايط تانق النقاش في تصويرها حتى قرب
من صورة الانسان وقال الناظر اليها كانه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك
محله مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم والحايط واليد وبالقدرة وبالعلم والارادة وشي من ذلك ليس من فعل النقاش
ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحايط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة
كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب والترايب ثم اخرجها منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها
وتصويرها وقسم اجزاءها المتشابهة الى اجزاء مختلفة فاحكم العظام في ارجايها وحسن اشكال اعضايها وزين ظاهرها وباطنها
ورتب عروقها واعصابها وجعلها مجرى لغذايها ليكون ذلك سبب بقايها وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها الظهر اساسا
لبدنها والبطن حاويا لالات غذايها والراس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها ولونها وهيئتها ثم حماها
بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع اكنافها
وتباعد اقطارها فهو ينظر اليها ثم شق اذنيه واودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع
الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما دب فيها ويطول
طريقه فينتبه من النوم صاحبها اذا قصدته الدابة في نومه ثم رفع الانف من وسط الوجه واحسن شكله وفتح منخريه واودع فيهما
حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروايح على مطاعمه واغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهوا غذا لقلبه وترويحا لحرارة
باطنه وفتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان ولتكون الة للطحن والكسر والقطع
فاحكم اصولها وحدد رؤسها وبيض الوانها ورتب صفوفها متساوية الرؤس متناسقة الترتيب كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين
وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهياها لخروج الاصوات وخلق للسان
قدرة للحركات والتقطيعات لتقطيع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر
مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات
فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرق حتى يميز السامع بعض الناس عن البعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الراس بالشعر
والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجب برقة الشعر وتقويس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة
وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذا والكبد لاحالة الغذا الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد
فالطحال يخدمه بجذب السودا عنه والمرارة والكلية تخدمه بجذب الصفرا عنه والكلية تخدمه بجذب المائية والمثانة تخدم الكلية
بقبول الما عنها ثم تخرجه من طريق الاحليل والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى ساير اطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد
الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلاثة انامل ووضع الاربعة في جانب والابهام في جانب لتدور
الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والاخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها اخر في وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من
بعد الابهام عن الاربعة وتفاوت الاربعة في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا صلح للقبض والاعطا فان بسطها

كا

كانت طبقا يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت له الة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعها
كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها من ورايها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الاشيا الدقيقة التي لا تتناو لها
الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو اخس الاعضا لو عدمه الانسان وظهر به حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم
ولم يقم احد مقامه في حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب ولو استعان بغيره
لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله في النطفة وهي في جوف الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف الغطا والغطا
وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيا شيا ولا يرى المصور ولا الته فهل رايت مصورا او فاعلا لا
يمس الته ولا يلاقيه وهو متصرف فيها فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق
الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج اليه
ثم لما خرج واحتاج الى الغذا كيف هداه الى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن
اللطيف ثم استخرجه من بين الفرث والدم سايغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت منهما حلمتين على قدر ما
ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح في حلمة الثديين ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا
القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر الى عطفه ورافته كيف اخر خلق
الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا اللبن فيستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام
غليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام الصلبة
من تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة
على قلوبهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والهداية والعقل تدريجا حتى بلغ وتكامل
فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا او شكورا مطيعا او عاصيا مومنا او كافرا تصديقا لقوله هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا
واما كفورا فانظر الى اللطف والكرم ثم الى القدرة والحكمة تبهرك العجايب الحضرة الربوبية فالعجب كل العجب ممن يرى خطا
حسنا او نقشا على حايط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه
ولا يزال يستعظمه ويقول ما احذقه وما اكمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجايب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه
ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجايب بدنك التي لا يمكن استقصاوها فهو اقرب مجال
لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عنها مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل وتشبع
فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل والبهايم كلها تشاركك في معرفة ذلك وانما خاصية الانسان التي حجبت البهايم عنها
معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجايب الافاق والانفس اذ بها يدخل العبد في زمرة الملايكة المقربين ويحشر
في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليس هذه الرتبة للبهايم ولا لانسان رضي من الدنيا بشهوات البهايم فانه شر
من البهيمة بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك واما هذا فقد خلق له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فاولئك كالانعام بل هم
اضل سبيلا واذ عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض التي هي مقرك ثم في انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع
منها الى ملكوت السما ● واما الارض فمن اياته ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا في
مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وارسى فيها الجبال اوتادا لها تمنعها من ان تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الادميون عن بلوغ
جميع جوانبها وان طالت اعمارهم وكثرت تطوافهم فقال تعالى والسما بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم
الماهدون ● وقال وهو الذي جعل الارض فراشا وقد اكثر في كتابه ذكر الارض ليتفكر في عجايبها فظهرها مقر للاحيا
وبطنها مرقد للاموات ولذلك قال الم نجعل الارض كفاتا احيا وامواتا فانظر الى الارض وهي ميتة فاذا انزلنا عليها
الما اهتزت وربت واخضرت وانبتت عجايب النبات وخرجت منها اصناف الحيوانات ثم انظر كيف احكم جوانب الارض
بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف اودع المياه تحتها فتفجر العيون واسال الانهار تجري على وجهها واخرج
من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ما رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شي حيا فاخرج به فنون الاشجار والنبات
من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات

والانابيب وتفضل بعضها على بعض في الاكل تسقى جميعا بماء واحد وتخرج من ارض واحدة فان قلت ان اختلافها لاختلاف
بذورها واصولها فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كان في حبة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى ارض
البوادي وفتش ظاهرها وباطنها بل تراها ترابا متشابها فاذا انزل عليها الماء اهتزت ونمت وانبتت من كل زوج بهيج الوانا مختلفة ونباتا
متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف
طبائع النبات وكثرة منافعها وكيف اودع في العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يسهل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا
اذا حصل في المعدة قمع الصفراء من اعماق العروق وهذا استحال الى الصفراء وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل اليه وهذا يستحيل دما
وهذا يصفي دما وهذا ينوم وهذا ينبه وهذا يقوي وهذا يضعف فلم ينبت من الارض ورقة ولا تبنة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على
الوقوف على كنهها وكل واحد يحتاج الى الفلاح في تربيتها الى عمل مخصوص فالنخل يؤبر والكرم يقطع والزرع ينقى منه الحشيش والدغل
وبعضه يستنبت بالارض وبعضه يغرس الاغصان وبعضه يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف النبات ومنافعه واحواله وعجائبه البذر ثم
لانقضت الايام في وصفه فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات **ومن آياته** الجواهر
المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ففي الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف تخرج منها الجواهر النفيسة
من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا
ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والآلات والنقود والحلي منها ثم انظر الى
معادن الارض من النفط والكبريت والقار وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك
اليها فانظر الى رحمة الله كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن
تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا اكلته فيتهنأ عيشك وما من جماد وحيوان ونبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس
ما خلق شيء منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغي وعلى ما ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق **ومن آياته** اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام
ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد في بعض الحشرات ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق
والطبائع فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معها في عظمة خالقها وقدرة
مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان يستقصى ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجائب البقة والنملة او النحلة او العنكبوت وهي
من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي الفها لزوجها وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي
هدايتها الى حاجاتها لم نقدر على ذلك فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر فيطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار
ذراع فما دونه حتى يمكنه ان يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدي فيلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يغدو الى الجانب
الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا احكم معاقد
القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه الى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة
بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في
الشبكة فاذا وقع فيها بادر الى اخذه واكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم
علق نفسه منها بخيط آخر وبقي منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طار ذباب رمى بنفسه اليه فاخذه ولف خيطه على رجليه واحكمه
ثم اكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجائب ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه او تكون بنفسه او
كونه آدمي او علمه او لا هادي له ولا معلم او يشك ذو بصيرة في انها مسكينة عاجزة ضعيفة بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة
قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف افلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره
الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه
الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة
وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا رأى حيوانا غريبا او دودا تجدد تعجبه وقال سبحان الله ما اعجبه
والانسان اعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها
وفوائدها من جلودها واصوافها واوبارها واشعارها التي جعلها لباسا لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم وآنية لاسقيتهم

واوعية لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للاثقال
قاطعة للبوادي والمفازات لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق
على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير او مشير فهو العليم الخبير
الحكيم القدير فلقد استخرج بالقليل عن معرفة جلاله وعظمته فمن الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا
الاعتراف بالعجز عن معرفته فما خلقه صدق الشهادة عن قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف
بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفته فنسأل الله ان يكرمنا بهدايته بمنه ورأفته **ومن آياته** البحار العميقة المكتنفة
لاقطار الارض التي هي قطعة من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادي والجبال عن الماء بالاضافة الى
الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الارض مستور بالماء وقال النبي صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض فانسب
اصطبلا الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الارض والتي فيها فتامل عجائب البحر فان عجائب
ما فيه من الحيوان والجواهر اضعاف عجائب ما تشاهده على وجه الارض كما ان سعته اضعاف سعتها ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام
ما ترى ظهورها في البحر فيظن انها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما تحس بالنيران اذا اشتعلت فتتحرك فيعلم انه حيوان وما من صنف
اصناف حيوان البر من فرس وطير وبقر وانسان الا وفي البحر امثالها واضعافها وفيها اجناس لا يعهد لها نظير في البر قد ذكرنا اوصافها
في مجلدات وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجائبه ثم انظر كيف خلق اللؤلؤ ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف انبت المرجان
من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجرة ينبت من الحجر ثم تأمل ما عداه من العنبر واصناف النفائس التي يقذفها البحر
وتستخرج منه ثم انظر الى عجائب السفن كيف امسكها الله على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الاموال وسخر لهم الفلك لتحمل اثقالهم
ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله في البحر في
مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزاء كانه شيء
واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الارض من
حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الدنيا في تحصيلها لو ملكها واذا شربها ثم منع من اخراجها لبذل
جميع خزائن الارض في اخراجها فالعجب من الآدمي يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله في شربة ماء اذا
احتاج الى شربها والاستفراغ منها بذل جميع الدنيا فيها ثم تأمل في عجائب المياه والانهار والآبار والبحار ففيها متسع للفكر
ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها منادية
ارباب القلوب بنغماتها قائلة لكل ذي لب اما تراني وما ترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدي
اتظن اني تكونت بنفسي او خلقني احد من جنسي او هو كما تستحي تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة احرف فتقطع انه من صنعة آدمي عالم قادر مريد
متكلم ثم تنظر الى عجائب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله
بمحل الخط ثم ينكف قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع لمعزولون توهمني في ظلمة
الاحشاء مغموسا في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي واجفاني وجبهتي وخدي
وشفتي فترى النقوش تظهر شيئا فشيئا على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر
منها للام ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم فما هذا النقاش باعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت مرة او مرتين لتعلمه
فهل تقدر ان تتعلم هذا الجنس من النقش الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال
بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم به ان الذي صور ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ومصور
كما ان نقشه وصنعته لا يساويه نقش وصنعة فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين وان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب
من عدم تعجبك فانه اعجب من كل عجيب فان الذي اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك التبين مع البيان جدير بان تتعجب منه فسبحان من هدى
واضل واغوى وارشد واشقى واسعد وفتح بصائر احبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم واجزائه واعمى قلوب اعدائه واحتجب
عنهم بعزه وعلائه فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه **ومن آياته**
الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل
البحر الواحد والطيور محلقة في جو الهواء ومستقية بسباحة فيها باجنحتها كما يسبح حيوانات البحر وتضطرب جوانبه وامواجه

عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر فإذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فإن شاء جعله نشرا بين يدي رحمته كما قال وأرسلنا
الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهواء إلى الحيوانات والنبات فتستعد للنماء وإن شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال إنا أرسلنا
عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ثم انظر إلى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضغط في الماء
فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء
من الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة أمسك الله السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لأن الهواء ينقبض عن
الغوص في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة في الهواء اللطيف كالذي يقع
في بئر فيتعلق بذيل رجل قوي ممتنع عن الهوي في البئر فالسفينة بمقعرها تتشبث بأذيال الهواء القوي حتى تمتنع من الهوي والغوص في الماء
فسبحان من علق المركب الثقيل في هواء لطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر إلى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود
والبروق والأمطار والثلوج والشهب والصواعق فهي عجائب ما بين السماء والأرض وقد أشار القرآن إلى جملته في قوله وما خلقنا السموات
والأرض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذي بينهما وأشار إلى تفصيله في مواضع شتى حيث قال والسحاب المسخر بين السماء والأرض وحيث تعرض
للرعد والبرق والسحاب والمطر فإذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة إلا أن ترى المطر بعينك وتسمع الرعد بأذنك فالبهيمة تشاركك في
هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم إلى العالم الملأ الأعلى فقد فتحت عينيك فأدركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك
الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا أيضا باب يطول الفكر فيه ولا مطمع في استقصائه فتأمل السحاب الكثيف المظلم
كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى إذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له في جو
السماء إلى أن يأذن الله تعالى في إرسال الماء وتقدير القطرات كل قطرة بالقدر الذي أراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاءه فترى السحاب
يرش الماء على الأرض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة بأخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي
رسم لها لا تعدل عنه ولا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الأرض قطرة قطرة فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يخلقوا
منها قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة أو قرية واحدة لعجز حساب الجن والإنس عنه فلا يعلم عددها إلا الذي أوجدها
ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط إلهي
لا يدرك بالبصر الظاهر أنه رزق الدودة الفلانية التي هي في ناحية الجبل الفلاني تصل إليه عند عطشه في الوقت الفلاني هذا مع ما
في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر
وقهر من الخلاق القاهر ما لأحد فيه شرك ولا مدخل بل ليس للمؤمنين من خليقته إلا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته
ولا للعميان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور إنما ينزل الماء لأنه ثقيل
بطبعه وإنما هذا سبب نزوله ويظن أن هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي خلقه ومن الذي خلق
الماء الذي من طبعه الثقل وما الذي رقى الماء المصبوب في أسفل الأشجار إلى أعالي الأغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى إلى أسفل
ثم ارتفع إلى فوق في داخل تجاويف الأشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق فيغذي كل جزء
من كل ورقة ويجري إليه في تجاويف عروق شعرية صغار ترى منها العرق الذي هو أصل الورق ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير
الممدود في طول الورق عروق صغار فكأن الكبير نهر وما انشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواق أصغر منها ثم ينتشر
منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورق فيصل الماء في تجاويفها إلى سائر أجزاء الورقة
فإن كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف يتحرك إلى فوق وإن كان ذلك بجذب جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب وإن كان ينتهي
بالآخرة إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه في أول الأمر فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن آياته
ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الأمر كله ومن أدرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا والأرض والبحار
والهواء وكل جسم سوى السموات بالإضافة إلى السموات كقطرة في بحر وأصغر فانظر كيف عظم الله أمر السموات
والنجوم في كتابه فما من سورة في كتابه إلا وتشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم في القرآن بها كقوله والسماء ذات البروج
والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب والسماء ذات الحبك والسماء وما بناها وقوله والشمس وضحاها
والقمر إذا تلاها فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله والنجم إذا هوى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم
فقد علمت أن عجائب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الأولون والآخرون وما أقسم الله بها فكيف ظنك بما أقسم الله به

الأرزاق عليها فقال وفي السماء رزقكم وأثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في خلق السموات والأرض وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته أي تجاوزها من غير فكر وذم المعرضين عنها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا
وهم عن آياتها معرضون فأي نسبة لجميع البحار والأرض إلى السماء وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن
التغير إلى أن يبلغ الكتاب أجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال وبنينا فوقكم سبعا
شدادا وقال أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها فانظر إلى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظنن أن معنى
النظر إلى الملكوت بأن تمد البصر إليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فإن البهائم تشاركك في هذا النظر فإن كان
هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم بقوله وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر
عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الأبصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت
ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فأطل أيها العاقل فكرك
في الملكوت فعسى أن تفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك في أقطارها إلى أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك أن
تبلغ رتبة عمر رضي الله عنه حيث قال رأى قلبي ربي وهذا لأن بلوغ الأقصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شيء إليك
نفسك ثم الأرض التي هي مقرك ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الأرض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء
والأرض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز إلى
النظر إلى رب العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما فبينك وبينه هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات
الشاهقة وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك
وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا أتفكر وإلى ماذا أتطلع فارفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها
وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها في الحركة على الدوام
من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها الله
طي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى
اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والأسد والإنسان
وما من صورة في الأرض إلا ولها مثال في السماء ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع كل يوم وتغرب
بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولأطبق الظلام على
الدوام أو الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة وانظر كيف جعل الله الليل لباسا والنوم سباتا
والنهار معاشا وانظر إلى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص
فانظر إلى إمالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فإذا انخفضت من
وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ وإذا كانت فيما بينهما اعتدل
الزمان وعجائب السموات لا مطمع في إحصاء عشر عشر جزء من أجزائها وإنما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على
الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب إلا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه
من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس ذلك بما ذكرناه من أعضاء بدنك إذ ما من جزء إلا وفيه
حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لا نسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت
الذي بينهما في كثرة معانيه بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمي على أن يدركها ويجول في جوانبها وقد
اتفق الناظرون على أن الشمس مثل الأرض مائة ونيف وستون مرة وفي الأخبار ما يدل على عظمها والكواكب التي تراها
أصغرها وهو مثل الأرض ثمان مرات وأكبرها ينتهي إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض وبهذا تعرف ارتفاعها
وبعدها إذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك أشار تعالى إلى بعدها فقال رفع سمكها فسواها وفي الأخبار أن
من كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام فإذا كان هذا مقدار كوكب واحد من الأرض فانظر إلى كثرة الكواكب ثم انظر إلى
السماء التي الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها لكن لا تشك
أنها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة

مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وانت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركتها اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمس مائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه السما بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى بارئها كيف خلقها ثم امسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة تتدلى بها من فوقها وكل العالم كبيت واحد والسما سقفه فالعجب منك انك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وانت ابدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى ارضه والى سقفه والى هوائه وعجائب امتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو ايضا جزء من الارض التي هي اخس اجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه ليس له سبب الا انه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وتزيينه وانت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتاك او حشمتك وغاية شهوتك ان تملا بطنك ولا تقدر على ان تاكل عشر ما اكلته بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان يقبل عليك عشرة او مائة من معارفك فينافقون بالسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وقد يكون في بلدك الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والارض ثم عن التنعم بالنظر الى خالق مالك الملك والملكوت وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل النملة تخرج من جحرها التي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجواري والغلمان وانواع الذخائر النفائس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنه وعن التفكر فيه بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها الى غيرها وكما غفلت النملة عن القصر وعن ارضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت ايضا عن سكانه فانت غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السما الا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم للنملة طريق الى ان تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه واما انت فلك قدرة على ان تجول في الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق عنه غافلون ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا اخر له فلو استقصينا اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه العلما والاوليا وما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه الانبيا صلوات الله عليهم وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه نبينا وما عرفه نبينا قليل بالاضافة الى ما عرفته الملائكة المقربون كاسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والانس اذا اضيف الى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان مجاري الفكر التي يجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله وليس فيها فكر في ذات الله ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله كانت معرفتك بجلاله وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه او شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسبه توقيرا له وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من ابيات شعره يزيده محلا في قلبك ويستدعي التعظيم له من نفسك فهكذا تامل في خلق الله وتصنيفه وتاليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى ابدا وانما لكل عبد منها بقدر ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف اليه ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك في فعل الله من حيث هو احسان الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله تعالى وكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلالته وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السما والارض الا والله تعالى يضل بها من يشا ويهدي بها من يشا فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله وصنعه استفاد المعرفة بجلال الله وعظمته واهتدى ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تاثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقي وتردى فنعوذ بالله من الضلال ونسال ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال بمنه وفضله والحمد لله حق حمده تم كتاب الفكر بعون الله

كتاب ذكر الموت وما بعده

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به امال

القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فارداهم في الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مصاحبة الهوام والديدان ومن التنعم بالطعام والشراب الى التمرغ في التراب ومن انس العشرة الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا واتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلا واستاثر باستحقاق البقا واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفنا ثم جعل الموت مخلصا للاتقيا وموعدا في حقهم للقا وجعل القبر سجنا للاشقيا وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضا فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والاخرة والصلوة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والايات الباهرة وعلى اله واصحابه وسلم كثيرا

اما بعد

فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة او النار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار ولا تربص الا له وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها في اصحاب القبور فان كل ما هو ات قريب والبعيد ما ليس بات وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشي الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند الاصغا الى المذكرات والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحوال الاخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب الرحيل فما بقي من العمر الا القليل والخلق غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين

الشطر الاول في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب الباب الاول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه الباب الثاني في ذكر طول الامل وقصره الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفا الراشدين بعده الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفا والامرا والصالحين الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

الباب الاول في ذكر الموت والترغيب في الاكثار من ذكره

اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر منه واولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون والناس اما منهمك واما تائب مبتدئ او عارف منتهي اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتاسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا واما التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقا الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتاخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطئ مجي الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جا على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الي من الغنى والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي من الحياة فسهل علي الموت حتى القاك فاذن التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون احب الاشيا اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولا الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك في الدنيا ايضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من اسباب النجاة

بيان فضل ذكر الموت كيف ما كان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر هادم اللذات اي نغصوا به اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه لو ان البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عائشة يا رسول الله هل يحشر مع الشهدا احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب

هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويقتضي الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم وأراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي سلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتلوث من المعاصي إلا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتناب الكبائر وإقامة الفرائض ● وقال عطاء الخراساني مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا ● وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا ● وقال كفى بالموت واعظا ● وخرج صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عنده صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت فقالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت فقال إن صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من أكيس الناس وأكرم الناس فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة

وأما الآثار فقال الحسن رضي الله عنه فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي أحدا وسلوني إلى ربي سلا ● وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت ولا تجده ● وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه ● وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة ● وقال إبراهيم التيمي شيئان قطعا عني لذاذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله ● وقال كعب من عرف الموت هانت عليه المصيبات وهمومها ● وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين وقال أشعث كنا ندخل على الحسن فإنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت ● وقالت صفية أن امرأة شكت إلى عائشة قساوة قلبها فقالت أكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة ● وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما ● وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه ● وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط إلا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال أنت أول خليفة تموت قال زدني قال ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك ● وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم به ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد ● وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال أبو سليمان الداراني قلت لأم هارون أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته

بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأنجع الطرق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف محى التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا الأولاد وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وأنه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال أبو الدرداء إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره ● وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غاديا أو رائحا إلى الله تعالى تضعو

في صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد من مفارقته نظر ابن مطيع يوما إلى داره فأعجبه حسنها ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته

الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته

فضيلة قصر الأمل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا ● وروى علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه قال إن أشد ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فإنه يعدل عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ثم قال ألا إن الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان ألا إن للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولية ألا إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل ● وقالت أم المنذر اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية إلى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون ● وقال أبو سعيد الخدري اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ● وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا أبلغه ● وروي أنه صلى الله عليه أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه والآخر إلى جنبه وأما الثالث فأبعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان وهذا الأجل وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الأجل دون الأمل وقال صلى الله عليه مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع في الهرم ● قال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع إليه والهرم وراء الحتوف والأمل وراء الهرم فهو يأمل وهذه الحتوف شوارع إليه فأيها أمر به أخذه فإن أخطأته الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الأمل ● وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا إلى جنب الخط وخط خطا خارجا فقال أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان للخط الذي في وسطه وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض للخطوط التي حوله تنهشه إن أخطأه هذا نهشه هذا وذاك الأمل للخط الخارج وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان الحرص والأمل وفي رواية وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال صلى الله عليه نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل ● وقيل بينما عيسى صلى الله عليه جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض فقال عيسى عليه السلام اللهم انزع عنه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى عليه السلام اللهم اردد إليه الأمل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت إلى مسحاتي ● وقال الحسن قال صلى الله عليه وسلم أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء ● وكان صلى الله عليه يقول في دعائه اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل

ومن الآثار قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق ● وقال الحسن السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم لولاهما ما مشى المسلمون في الطرق ● وقال الثوري بلغني أن الإنسان خلق أحمق ولولا ذلك لم يتهنه العيش وقال سعد بن عبد الرحمن إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها ● وقال سلمان الفارسي ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه ● وضاحك ملء فيه لا يدري أساخط رب العالمين أم راض ● وثلاث أحزنتني حتى أبكتني فراق محمد وحزبه والأحبة وهول المطلع والوقوف بين يدي الله لا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار ● وقال بعضهم رأيت زرارة بن أبي أوفى بعد موته في المنام

فقلت اي الاعمال ابلغ عندكم قال التوكل وقصر الامل ● وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولبس العبا ● وسال
المفضل بن فضالة ربه ان يرفع عنه الامل فذهب عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب
وقيل للحسن يا ابا سعيد الا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك ● وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال
بعضهم انا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه وقال داود الطائي لو املت ان اعيش شهرا لرايتني قد اتيت عظيما
وكيف اومل ذلك وارى الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار ● وحكي ان شقيقا البلخي دخل على استاذ له يقال له ابو هاشم الرماني
وفي طرف كسائه شي مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك فقال لوزات دفعها الي اخ وقال احب ان تفطر عليها فقال يا شقيق
وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك ابدا قال فاغلق في وجهي الباب ودخل ● وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان لكل
سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الاخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله له من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن
عليكم الامد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط امل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه
وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رايتم ورايناه من كان بالدنيا مغترا وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح
من امن اهوال يوم القيمة فاما من لا يداوي كلما الا اصابه جارح من ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان امركم بما لا انهى عنه نفسي فتخسر صفقتي
وتظهر عيبتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغني والفقير والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به
الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احديهما ● وكتب رجل الى اخ له
اما بعد فان الدنيا حلم والاخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام والسلام ● وكتب رجل الى اخ له ان الحزن على الدنيا
طويل والموت من الانسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل ان تنادى بالرحيل والسلم ● وقال الحسن كان
ادم عليه السلام قبل ان يخطي امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حول فجعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره وقال
عبد الله بن سميط سمعت ابي يقول ايها المغتر بطول صحته اما رايت ميتا قط من غير سقم ايها المغتر بطول المهلة اما رايت ماخوذا قط
من غير عدة انك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك ابالصحة تغترون ام بطول العافية تمرحون ام الموت تامنون ام على ملك
الموت تجترئون ان ملك الموت اذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك اما علمت ان ساعة الموت ذات كرب وغصص
وندامة على التفريط ثم يقول رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت وقال ابو زكريا التيمي بينما
سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي بحجر منقور فطلب من يقراه فاتي بوهب بن منبه فاذا فيه ابن ادم انك لو رايت قرب ما بقي من اجلك
لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك
اهلك وحشمك وفارقك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيمة
قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا ● وقال بعضهم رايت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن سلام عليك فاني احمد الله
اليك الذي لا اله الا هو اما بعد فاني احذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء اعمالك فتصير في قرار باطن الارض بعد
ظاهرها فياتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان يكن الله معك فلا باس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك
من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الارض من اهلها والسموات
من سكانها فباحت الاسرار وسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين
فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات
واسلى عن الشهوات وقصر عن الامل واستيقظ النائمين وحذر الغافلين اعاننا الله واياكم على هذا الخطر العظيم واوقع الدنيا
والاخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلم ● وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه وقال
ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي عبد اخرجه الله
من رحمته التي وسعت كل شي وجنته التي عرضها السموات والارض وانما يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا
بباق وشقوة بسعادة الا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون الا ترون انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله
قد قضى نحبه وانقطع عمره فتضعونه في بطن من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه
الحساب وايم الله اني لاقول مقالتي هذه ولا اعلم عند احد منكم من الذنوب اكثر مما اعلم من نفسي ولكنها سنن من الله عادلة امر فيها
بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر الله لي ولكم ووضع كمه على وجهه وجعل يبكي حتى بلت دموعه لحيته وما عاد الى مجلسه حتى

مات ● وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلثين سنة فلو اتاني ما احببت تاخير شي عن شي ● وقال الثوري
رايت شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا المسجد منذ ثلثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي ولو اتاني ما امرته بشي ولا نهيته عن شي
ولا لي على احد شي ولا لاحد عندي شي ● وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار ● وقال ابو محمد
الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من
خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عليه عمله وكل ما هو ات قريب واعلم يا اخي ان كل شي يشغلك عن ربك فهو عليك
مشوم واعلم ان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما عليه اهل القبور ندموا اهل
الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون ● وقال محمد بن ابي توبة اقام معروف الكرخي الصلاة وقال
لي تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلوة لم اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك ان تصلي صلوة اخرى نعوذ بالله من
طول الامل فانه يمنع خير العمل ● وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفنا وكتب
على اهلها منها الظعن فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن ما بحضرتكم
من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن ادم في الدنيا ينافس فيها وهو بها قرير عين
اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه اثاره ودنياه وصير لقوم اخرين مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما
تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا ● وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في خطبته اين الوضاة الحسنة وجوههم المعجبون
بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المداين وحصنوها بالحيطان اين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر
فاصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا النجا النجا

بيان محبة الله للعبد ومعناها

(في الهامش: بيان السبب في طول الامل وعلاجه)

اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل والاخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلايقها ثقل على قلبه
مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيا دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالاماني
الباطلة فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء
وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقاء ودواب وساير اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو
عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال
الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة
هذه الضيعة او ترجع من هذه السفرة او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت
بك فلا يزال يسوف ويوخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال اخر وهكذا على التدريج يوخر يوما
بعد يوم ويفضي به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فيطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم
من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد
بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات ما فرغ منها الا من طرحها
فما قضى منها احد لبانته ولا انتهى ارب الا الى ارب ● واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن
معنى قوله صلى الله عليه وسلم احبب ما احببت فانك مفارقه واما الجهل فان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت
مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت في الشبان اكثر فالى
ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاة ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا
فالمرض فجاة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص
من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل
بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر
نزوله به ووقوعه فيه وهو ابدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة موت
غيره واما موت نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه فانه لا يقع واذا وقع لم يقع دفعة اخرى فهو الاول وهو الاخر وسبيله ان يقيس
نفسه بغيره ويعلم انه لا بد وان تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به قبره قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري
فتسويفه جهل محض واذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه ● اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر

وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالعلاج في إخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي أعيا
الأولين والآخرين علاجه ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل
عن قلبه حب الدنيا فإن حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى
الدنيا كلها وإن أعطي ملك الأرض من المشرق إلى المغرب وكيف وليس عند كل عبد من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب
حبها مع الإيمان بالآخرة فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقرير الموت في القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران
والأشكال وأنهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا أما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما وأما من كان مغرورا بطول الأمل فقد
خسر خسرانا مبينا ولينظر الإنسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر
في أن الدود يبتدئ بحدقته اليمنى أولا أم باليسرى فما على بدنه شيء إلا وهو طعمة الدود وما له من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله
وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال يوم القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر فأمثال
هذه الأفكار تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له **بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره** اعلم أن الناس
في ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك أبدا قال الله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم
وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في حب
طلب الدنيا وإن التفت ترقوتاه من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر
لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف فإذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم
من يأمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة فلا
يستعد إلا لنهاره وأما للغد فلا قال عيسى عليه السلام لا تهتموا برزق غد فإن يكن غد من آجالكم فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم
وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم يا عبد الله إذا أصبحت
فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء أيضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا أبلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به وهو ينتظره وهذا
الإنسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ رضي الله عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة إيمانه
قال ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى وكما نقل عن الأسود وهو الحبشي أنه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال
له قائل ما هذا قال أنظر ملك الموت من أي جهة يأتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من أمله مقصور على شهر
كمن أمله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فإن الله لا يظلم مثقال ذرة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يظهر أثر قصر
الأمل في المبادرة إلى العمل وكل إنسان يدعي أنه قصير الأمل وهو كاذب وإنما يظهر ذلك بأعماله فإنه يعتني بأسباب ربما لا يحتاج
إليها في سنة فيدل ذلك على طول أمله وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فليستعد للموت الذي
يرد عليه في الوقت فإن عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه
ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا إذا أصبح ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا إذا مات سعد
وغنم وإن عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فإن
السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا يكون ذلك إلا بمبادرة العمل اغتناما
لكل نفس أمهلت فيه **بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير** اعلم أن من له أخوان غائبان ينتظر قدوم
أحدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر أو سنة وإنما يستعد للمنتظر قدومه
غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو
منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا فإنه أبدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنة
فيؤخر العمل قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو
موتا مجهزا أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك
وحياتك قبل موتك وقال صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ أي إنه لا يغتنمهما ثم يعرف

قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة
وقال صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وكان صلى الله عليه وسلم إذا آنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى
فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال ما
بقي من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي
متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع وقال جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب فذكر الساعة
رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صبحتكم مستكم بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه وقال
ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه
إن النور إذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة
إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدي الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا أي أيكم أكثر
للموت ذكرا وأحسن له استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة ما من مساء وصباح إلا ومناد ينادي أيها الناس الرحيل
الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر في الموت وقال سحيم مولى بني تميم
جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلي فأوجز في صلاته ثم أقبل علي فقال أرحني بحاجتك فإني أبادر قلت وما تبادر قال ملك
الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام إلى صلاته ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني إنما أبادر خروج
نفسي وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير إلا في أعمال الآخرة وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري
قبل أن يأتيك الأمر ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر حتى كرر ذلك ستين مرة أسمعه ولا يراني وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة
المبادرة فإنما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله تعالى رحم الله امرأ نظر لنفسه وبكى على ذنوبه
ثم قرأ هذه الآية إنما نعد لهم عدا يعني الأنفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخولك في قبرك
واجتهد أبو موسى الأشعري قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو أمسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال إن الخيل إذا أرسلت
فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها والذي بقي من أجلي أقل من ذلك فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامرأته
شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا
وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جد بكم وإن غاية تنقصها اللحظة
وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وإن غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الأوبة وإن قادما يحل بالفوز
أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة فرحم الله عبدا اتقى ربه ونصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فإن أجله مستور عنه وأمله
خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه
أغفل ما يكون عنها فإنه ما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة
وأن تؤديه أيامه إلى شقوة جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا تحل به بعد الموت حسرة
إنه سميع الدعاء وإنه بيده الخير دائما فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين في قوله تعالى فتنتم أنفسكم قال بالشهوات واللذات
وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء أمر الله قال الموت وغركم بالله الغرور قال طول الأمل وقال الحسن
تصبروا وتشددوا فإنما هي أيام قلائل وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح
ما بحضرتكم وقال ابن مسعود ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة
وقال أبو عبيدة الباجي دخلت على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم وأهلا وحياكم الله بالسلام وأحلنا
وإياكم دار المقام هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكون حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الأذن
وتخرجوه من هذه الأذن فإنه من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة
ولكن رفع له علم فشمر إليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معا رحم الله عبدا جعل
العيش عيشا واحدا فأكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالأرض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة و
ابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك وقال عاصم الأحول قال لي فضيل الرقاشي وأنا سائل له يا هذا لا يشغلك كثرة

الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب ها هنا وها هنا فينقطع عنك النهار ولا تأتي فان العمر محفوظ عليك ولم تر شيئا احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عنده الموت

اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك ● وقال لقمان لابنه يا بني امر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفجاك والعجب ان الانسان لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت لا يدركها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الالام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له فهو ان كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسري الى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الاثر فان كان في الالام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي اصابته شوكة وانما يعظم اثر الاحتراق لان اجزاء النار تغوص في سائر اجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا وباطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة في سائر اجزاء اللحم ● واما الجراحة فانما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط فلذلك كان الم الجرح دون الم النار فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسال عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى كانه ظهر منه التراب الذي هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالالم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى اعالي اجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالي موضعهما وتخضر انامله فلا تسال عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتالم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فتبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر ● وقال مجاهد في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسال عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان صلى الله عليه يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء والاولياء من الموت حتى قال عيسى يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة اوقفني خوفي من الموت على الموت ● وروي ان نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسالونه فدعوا الله تعالى فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود وقد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما اردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين عاما ما سكنت مرارة الموت من قلبي ● وقالت عائشة لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذي رايت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وروي انه عليه السلام كان يقول اللهم انك تاخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي ● وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر الموت وغصته والمه فقال هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف ● وسئل عليه السلام عن الموت وشدته فقال ان اهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ● ودخل عليه السلام على مريض فقال اني لاعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويالم للموت على حدته ● وكان علي رضي الله عنه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف اهون من موت على فراش ● وقال الاوزاعي بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث من قبره ● وقال شداد بن اوس الموت افظع هول في الدنيا والاخرة على المؤمن وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم ● وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار ● وعن بعضهم انه كان يسال كثيرا عن المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فانت كيف تجده فقال كان السموات مطبقة على الارض وكان نفسي يخرج من ثقب ابرة ● وقال صلى الله عليه موت الفجاءة راحة للمؤمن واسف على الفاجر ● وروي عن مكحول عن النبي عليه السلام انه قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت على اهل السموات والارض لماتوا باذن الله لان في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء الا مات ● ويروى لو ان قطرة من الم الموت وضعت على جبال الارض كلها لذابت ● وروي ان ابرهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك ● وروي عن موسى انه لما قبضه الله قال له يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير ● وروي عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب ● وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون علي سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على ابيك بعد اليوم ● وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا امير المؤمنين ان الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل فاخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما اخذ وابقى ما ابقى ● وقال عليه السلام ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيمة فهذه سكرات الموت على احباء الله واوليائه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرة الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلثة ● الاولى شدة النزع كما ذكرنا

الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو راى صورته التي عليها يقبض روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روي عن ابرهيم الخليل عليه السلام انه قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهب النار والدخان فغشي على ابرهيم ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه ● وروى ابو هريرة عن النبي عليه السلام ان داود كان رجلا غيورا وكان اذا خرج غلق الباب فاغلق ذات يوم وخرج فاشرفت امراته فاذا هي برجل في الدار فقالت من ادخل هذا الرجل الدار لئن جاء داود ليلقين منه عنتا فجاء داود فراه فقال من انت قال انا الذي لا اهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فانت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه ● وروي ان عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي على تاجي وحولي حشمي على سرير ملكي اذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية تلقاها العصاة ويكفاها المطيعون ● وقد حكى الانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته على تلك الحال ● واما المطيع فانه يراه في احسن صورة واجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس ان ابرهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال انا ربها فقال ادخلنيها من هو املك بها مني ومنك فقال من انت من الملائكة قال انا ملك الموت قال هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه **ومنها** مشاهدة الملكين

الحافظين قال وهب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فإن كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وإن كان فاجرا قالا لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح قد أحضرتنا وكلام قبيح قد أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدا.

الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بأحد البشريين إما أبشر يا عدو الله بالنار أو أبشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الألباب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ● وروي أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظر أي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال أعوذ بالله من صباح إلى النار ● ودخل مروان على أبي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة اللهم اشدد ثم بكى أبو هريرة وقال ما أبكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكني أنتظر إحدى البشريين من ربي بجنة أم بنار ● وروي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله إذا رضي عن عبد قال يا ملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه لأريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده ما لك يا سيدنا فيقول أما ترون ما أعطي هذا العبد من الكرامة أين كنتم عن هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما ● وقال الحسن لا راحة للمؤمن إلا في لقاء الله ومن كان راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه ● وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة إلى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه إليه ثم قال يا إخوتاه الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة ● وقال محمد بن واسع عند الموت يا إخوتاه عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله ● وتمنى بعضهم أن يبقى في النزع أبدا ولا يبعث لثواب ولا لعقاب فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع لكنا لا نطول بذكره وإعادته

بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر أن يكون هو الهدوء والسكون ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى ● أما الصورة فقد روي عن النبي صلى الله عليه ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به وإذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به ● وأما انطلاق لسانه بكلمتي الشهادة فهو علامة الخير قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة ● وقال عبد الله وهو يشهد وقال عثمان إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة ● وقال عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا إله إلا الله ● وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص وينبغي للملقن أن لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطلق لسان المريض فيشق ذلك عليه فيؤدي ذلك إلى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه غير الله تعالى فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وإن كان القلب مشغولا بالدنيا ملتفتا إليها متأسفا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطق القلب على تحقيقها وقع الأمر في خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن يتفضل الله بالقبول ● وأما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله فقال أغرقتني ذنوب لي وأشفيت على هلكة ولكني أرجو رحمة الله فكبر واثلة وكبر أهل البيت لتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ● ودخل النبي عليه السلام على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه

الله تعالى الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف ● وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت أمه تعظه كثيرا وتقول يا بني إن لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه فجعلت تقول يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول إن لك يوما فقال يا أمه إن لي ربا كثير المعروف وإني لأرجو أن لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه به ● وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له أمه يا بني توصي بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبينه فإن فيه ذكر الله تعالى لعل الله يرحمني فلما دفن رئي في المنام فقال أخبروا أمي أن الكلمة قد نفعتني وأن الله قد غفر لي ومرض أعرابي فقيل له إنك تموت قال أين يذهب بي قالوا إلى الله قال فما كراهتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه وقال المعتمر بن سليمان قال أبي لما حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه

بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت

بحكايات تعرب بلسان الحال عنها قال أشعث بن أسلم سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع إذا كانت نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع قال أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعي هاتين قال ودحيت له الأرض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها حيث يشاء قال وهو يبشره بأنه خليل الله تعالى ● وقال سليمان عليه السلام لملك الموت ما لي لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا قال ما أنا بذلك أعلم منك إنما هي صحف وكتب تلقى إلي فيها أسماء ● وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فلم تعجبه حتى أتي بدواب فركب أحسنها فجاء إبليس فنفخ في منخره فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما قال إن لي إليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فأدنى له رأسه فساره وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى أرجع إلى أهلي فأقضي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال هات فساره وقال أنا ملك الموت فقال مرحبا وأهلا بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال ما لي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم إني أمرت بذلك قال فدعني حتى أتوضأ وأصلي فاقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد ● وقال أبو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالي فأتي بشيء كثير من الخيل والإبل والرقيق وغيره فلما نظر إليه بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال ما يبكيك فوالذي خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه ● وروي أن رجلا جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفا من المال إلا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع أهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا أفزعه وهو على فراشه فوثب إليه الغلمان وقالوا ما شأنك فقال ادعوا إلي مولاكم قالوا وإلى مثلك يخرج مولانا قال نعم فأخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة أشد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أني ملك الموت فلما سمعوه ألقي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تأخذ به أحدا فدخل عليه فقال اصنع في مالك ما أنت صانع فإني لست بخارج منها حتى أخرج نفسك فأمر بماله فوضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني أن أتخلى لربي فأنطق الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على السلاطين بي ويرد المتقي عن بابه وكنت تنكح المتنعمات بي وتجلس مجالس الملوك بي وترد المتقين وتنفق في سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت وابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق بإثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط ● وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله ثم عرج إلى السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض روح امرأة في فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد له فقالت الملائكة إن الجبار الذي قبضت روحه الآن هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء ● وقال عطاء بن يسار إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبني البنيان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري وقال الحسن ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه فإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء فيأخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول والله ما أكلت له

رزقًا ولا افيت له عمرا ولا انقصت له اجلا وان لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا ابقي منكم احدا قال الحسن فوالله لو يروا مقامه وسمعوا كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم ● وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة من بني اسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض اهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا فقال من انت ومن ادخلك داري فقال اما الذي اخرجني الدار فربها واما انا فالذي لا يمنعني الحجاب ولا استاذن على الملوك ولا اخاف صولة السلاطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فاسقط في يدي الجبار وارتعد حتى سقط منكبا لوجهه ثم رفع اليه راسه مستجديا متذللا له فقال انت اذا ملك الموت قال انا هو قال فهل انت ممهلي حتى احدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت انفاسك ونفدت ساعاتك وليس الى تاخيرك سبيل قال الى اين تذهب بي قال الى عملك الذي قدمته والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا ولم امهد بيتا حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط بين اهله فمن بين صارخ وباك ● قال يزيد الرقاشي لو تعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر ● وعن الاعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه ويديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رايته ينظر الي كانه يريدني قال فماذا تريد قال اريد ان تخلصني منه فتامر الريح حتى تحملني الى اقصى الهند فامر الريح فحملته ثم قال سليمان لملك الموت بعد ان اتاه رايتك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال نعم كنت اتعجب منه لاني كنت امرت ان اقبضه باقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك

الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين

اعلم ان في رسول الله اسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله منه اذ كان خليل الله وحبيبه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل امهله ساعة عند انقضاء مدته وهل اخره لحظة بعد حضور منيته لا بل ارسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض ارواح الانام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر انينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رايت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا او هل راقب الملك فيه اهلا وعشيرا او هل سامحه اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا ● هيهات بل امتثل ما كان به مامورا واتبع ما وجده في اللوح مسطورا ● فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه الارض ● وصاحب الشفاعة يوم العرض ● فالعجب انا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن اسرى الشهوات وقرناء المعاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن انا مخلدون او نتوهم انا مع سوء افعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نستيقن انا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون ● فنحن للورود مستيقنون ● وللصدر عنها متوهمون لا بل ظلمنا انفسنا ان كنا كذلك لغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فلينظر كل عبد الى نفسه انه الى الظالمين اقرب ام الى المتقين فانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف الصالحين فقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين اذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانقلاب الى جنة الماوى ● قال ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت امنا عائشة حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه عليه السلام ثم قال مرحبا بكم حياكم الله اواكم الله نصركم الله اوصيكم بتقوى الله واوصيكم بكم الله ان لكم منه نذير مبين الا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة الماوى والى الكاس الاوفى فاقروا على انفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله ● وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل ان بشر حبيبي اني لا اخذله في امته وبشره بانه اسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها امته فقال الان قرت عيني ● وقالت عائشة امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسله بسبع قرب من سبع ابار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل احد ودعا لهم واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم اصبحتم تزيدون واصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي اويت اليها فاكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه وعلم انه يريد نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا ابا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا اعلم امرا افضل عندي من ابي بكر قالت عائشة فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم

في بيتي وفي نوبتي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقه وريقي عند الموت فدخل علي اخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت آخذه لك فاومى براسه اي نعم فناولته اياه فادخله في فيه فاشتد عليه فقلت الينه لك فاومى براسه اي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده وهو يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى اذا والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما رات الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ازداد ثقلا اطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه فاعلم صلى الله عليه وسلم بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما تقولون قالوا نقول نخشى ان تموت فتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انه بلغني انكم تخافون علي الموت كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم الم انع اليكم ونعيت اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني اوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الى اخرها وان الامور تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله لا يعجل بعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم الثمار الم يوسعوا عليكم في الديار الم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض حوضي اعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء اشد بياضا من اللبن والين من الزبد واحلى من الشهد من شرب منه لم يظما ابدا حصاؤه اللؤلؤ وبطحاؤه من مسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله الا فمن احب ان يرده علي غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله اوص بقريش فقال انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا ال قريش بالناس خيرا يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم ائمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ● وروي عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر رضي الله عنه سل يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة الماوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يا نبي الله من يلي غسلك فقال رجال من اهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه وفي حلة يمنية وفي بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم ياذن للملائكة في الصلاة علي فاول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة باجمعها صلى الله عليهم اجمعين ثم انتم فادخلوا علي افواجا فصلوا علي افواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدا منكم الامام واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر من اهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي ● وقال عبد الله بن زمعة جاء بلال في اول شهر ربيع الاول فاذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر فليصل بالناس فخرجت فلم ار بحضرة الباب الا عمر في رجال ليس فيهم ابو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال اين ابو بكر يابى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة يا رسول الله ان ابا بكر رجل اسيف رقيق اذا قام في مقامك غلبه البكاء فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس قال فصلى ابو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر فكان عمر بعد ذلك يقول لعبد الله بن زمعة ويحك ماذا صنعت بي والله لولا اني ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك ما فعلت فيقول عبد الله بن زمعة اني لم ار احدا اولى بذلك منك قالت عائشة رضي الله عنها وما قلت ذلك ولا صرفته عن ابي بكر الا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا ما سلم الله وخشيت ايضا ان لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي ابدا الا ان يشاء الله فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فاذا الامر امر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت من امر الدنيا والدين وقالت عائشة فلما كان اليوم الذي قبض فيه النبي صلى الله عليه وسلم راوا منه في اول النهار خفة فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين واخلوا رسول الله بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال صلى الله عليه اخرجن عني هذا الملك يستاذن علي فخرج من في

البيت غيري ورأسه في حجري فغلبني وتنحيت في ناحية البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فاعاد رأسه في حجري وقال للنسوة اخرجن
فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام فقال صلى الله عليه اجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله تعالى ارسلني وامرني ان لا
ادخل عليك الا باذن فان لم تأذن لي ارجع وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تأمرني فما امرك فقلت اكففه عني حتى يأتيني جبريل فهذه
ساعة جبريل وقالت عائشة فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا رأي فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة ما نحير اليه شيئا وما يتكلم احد من
اهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملأت اجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل فقال ان الله
تعالى يقرئك السلام ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق
وان يكون سنة في امتك فقال اجدني وجعا قال ابشر فان الله تعالى اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استأذن علي
واخبره الخبر فقال جبريل يا محمد ان ربك اليك مشتاق الم اعلمك الذي يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على احد قط ولا يستأذن
عليه ابدا الا ان ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجيء واذن للنساء فقال ادني يا فاطمة فاكبت عليه فناجاها
فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام وكان الذي رأينا منها عجبا فسألنا ما بعد ذلك فقالت اخبرني وقال اني ميت اليوم
فبكيت ثم قال اني دعوت الله ان يلحقك بي في اول اهلي وان يجعلك معي فاضحكني وادنت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت وسلم واستأذن
فاذن له فقال الملك ما تأمرني يا محمد قال الحقني بربي الآن فقال بلى من يومك هذا اما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده عنك ولم
ينهني عن الدخول على احد بغير اذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال عليك السلام يا رسول الله هذا آخر ما انزل فيه
الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا وما كانت لي في الارض حاجة غيرك وما لي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي لا والذي بعث
محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع ان يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى احد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت
فقمت الى النبي صلى الله عليه حتى اضع رأسه بين يدي وامسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبينه يرشح رشحا ما رأيته من انسان قط فجعلت
اسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء قط اطيب منه فكنت اقول له اذا افاق بابي وامي ونفسي واهلي ما تلقى جبهتك من الرشح فقال
يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلينا فكان اول رجل جاءنا ولم يشهده
اخي بعثه الي ابي فمات صلى الله عليه قبل ان يجيء احد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى
كأن الخيرة تعاد عليه فاذا اطاق الكلام قال الصلوة الصلوة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلوة الصلوة قالت عائشة
رضي الله عنها قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة ما لقيت من يوم الاثنين
والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة ● وقالت ام كلثوم يوم اصيب علي رضي الله عنه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه
رسول الله وفيه قتل علي وفيه قتل ابي فما لقيت من يوم الاثنين قالت عائشة لما مات رسول الله صلى الله عليه اقتحم الناس حين ارتفعت
الرنة وسجي رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد
وخلط الحزن فلانوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون ومعهم عقولهم واقعد آخرون وكان عمر بن الخطاب ممن كذب بموته وعلي ممن اقعد
وعثمان ممن اخرس فخرج عمر على الناس فقال ان رسول الله لم يمت وليرجعنه الله تعالى وليقطعن ايدي وارجل من رجال المنافقين يتمنون
لرسول الله الموت انما واعده ربه تعالى كما واعد موسى وهو آتيكم ● وفي رواية انه قال يا ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه لم يمت والله لا اسمع احدا يذكر ان رسول الله قد مات الا علوته بالسيف ● واما علي فانه اقعد فلم يبرح البيت واما
عثمان فجعل لا يكلم احدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر والعباس فان الله عز وجل ايدهما على التوفيق
والسداد وان كان الناس لم يرعووا الا بقول ابي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله الموت ولقد قال
وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم تمنى والله توفي رسول الله صلى الله عليه ثم خرج الى الناس فقال يا ايها الناس من كان يعبد
محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم الآية وكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ ● وفي رواية ان ابا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد العقل والمقال فاكب عليه فكشف
عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي ونفسي واهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم
ينقطع لموت احد من الانبياء والنبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سوا
ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشؤون فاما ما لا نستطيع

عنا فكمد وادكار لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة
لم يقم احد لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه فينا ● وعن ابن عمر انه لما دخل ابو بكر البيت صلى واثنى عج اهل البيت عجيجا
سمعه اهل المصلى كلما ذكر شيء ازدادوا فما سكن عجيجهم الا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذائقة
الموت الآية الا ان في الله خلفا من كل احد ودركا من كل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا له وانكروه وقطعوا
البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عاد فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا الله
واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال
ابو بكر هذا الخضر واليسع حضرا النبي عليه السلام واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة ابي بكر قال قام ابو بكر في الناس خطيبا
حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلوة على محمد صلى الله عليه فحمد الله على كل حال واثنى عليه وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده
صدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلله الحمد وحده واشهد ان محمدا عبده ورسوله وخاتم انبيائه واشهد ان الكتاب كما انزل
وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله هو الحق المبين اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك
وامينك وخيرتك وصفوتك بافضل ما صليت به على احد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام
المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به
الاولون والآخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيمة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد ايها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا
قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لم يمت وان الله قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه جزعا فان الله تعالى قد اختار لنبيه عليه
السلام ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنته وسنة نبيه عليه السلام فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما
انكر يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يستحلنكم الشيطان الخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال ابن عباس لما
فرغ ابو بكر من خطبته قال يا عمر انت الذي بلغني انك تقول ما مات نبي الله اما ترى ان نبي الله عليه السلام قال يوم كذا وكذا قال الله تعالى
انك ميت وانهم ميتون فقال عمر والله لكأني لم اسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا قال اشهد ان الكتاب كما انزل وان الحديث كما
حدث وان الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله صلى الله عليه ثم جلس الى
ابي بكر وقالت عائشة لما اجتمعوا لغسله قالوا والله لا ندري كيف نغسل رسول الله عليه السلام انجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا
او نغسله في ثيابه قالت فارسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم الا واضع لحيته على صدره نائما ثم قال قائل لا يدرى من هو اغسلوا
النبي عليه السلام في ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل النبي صلى الله عليه في قميصه حتى اذا فرغ من غسله كفن وقال علي رضي الله عنه
اردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله ثيابه فاقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء ان نقلب
لنا منه عضوا لم نبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه وان معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله عليه السلام
فانكم ستكفون فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لبدا الا دفن معه قال ابو جعفر فرش لحده
بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظانا على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في اكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا
ولا في حياته لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة لامته وللمسلمين اسوة حسنة

وفاة ابي بكر رضي الله عنه

لما احتضر ابو بكر جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت ● لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني
فيهما فان الحي الى الجديد احوج من الميت ● وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته ●
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للارامل فقال ابو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه ودخلوا
عليه فقالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الي طبيبي وقال اني فعال لما اريد ودخل عليه سلمان الفارسي يعوده فقال يا ابا
بكر اوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلوة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته
فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل ابو بكر واراد الناس منه ان يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس استخلفت علينا فظا غليظا فما
ذا تقول لربك فقال اقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر فاتى فقال اني موصيك بوصية اعلم ان لله حقا في النهار
لا يقبله بالليل وان لله حقا في الليل لا يقبله بالنهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم

يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيمة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القايل انا دون هولاء ولا ابلغ مبلغ هولاء وان الله قد ذكر اهل النار بسوء اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القايل انا افضل من هولاء فان الله ذكر اية الرحمة واية العذاب ليكون المومن راغبا راهبا ولا يلقي بيده الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكون غايب احب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكون غايب ابغض اليك من الموت ولست بمعجزه وقال سعيد بن المسيب لما احتضر ابو بكر اتاه ناس من اصحابه فقالوا يا خليفة رسول الله زودنا فانا نراك لما بك فقال ابو بكر من قال هولاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الافق المبين فقالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار واشجار تغشاه كل يوم مائة رحمة ثم قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان اللهم انك ابتدات الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان احدا لا يشا حتى تشا فاجعل مشيتك ان اشا ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شي الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما اهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك اردت بقوم الضلال وضيقت بهم صدورهم فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي اللهم انك دبرت الامور وجعلت مصيرها اليك فاحيني بعد الموت حيوة طيبة وقربني اليك زلفى اللهم من اصبح وامسى ثقته ورجاوه غيرك فانت ثقتي ورجاي ولا حول ولا قوة الا بالله قال هذا كله في كتاب الله ●

وفاة عمر رضي الله عنه

قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة اصيب عمر رضي الله عنه ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما فاذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم وكبر قال وربما قرا سورة يوسف او النحل او نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لولوة فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على احد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة ● وفي رواية سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد راى ما رايت واما نواحي المسجد فلا يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلوة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني قال فجال ساعة ثم جا فقال غلام المغيرة ابن شعبة فقال قاتله الله لقد كنت امرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت انت وابوك تحبان ان تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس اكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شيت فعلت اي ان شيت قتلناهم فقال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يوميذ قال فقايل يقول اخاف عليه وقايل يقول لا باس فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جرحه ثم اتي بلبن فشرب منه فخرج من جرحه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه وجا الناس يثنون عليه وجا شاب فقال ابشر يا امير المومنين ببشرى من الله تعالى قد كانت لك صحبة من رسول الله صلى الله عليه وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض فقال ردوا علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوه فقال ان وفى به مال آل عمر فاده من اموالهم والا فاسال في بني عدي بن كعب فان لم تف اموالهم فسل في قريش ولا تعدهم الى غيرهم واد عني هذا المال انطلق الى ام المومنين عائشة فقل عمر يقرا عليك السلام ولا تقل امير المومنين فاني لست اليوم للمومنين اميرا وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله فاستاذن ثم دخل عليها فوجدها جالسة تبكي فقال يقرا عليك عمر السلام ويستاذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه به اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله قد اتى فقال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المومنين اذنت قال الحمد لله ما كان شي اهم الي من ذلك فاذا انا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر فان اذنت لي فادخلوني وان ردتني فردوني الى مقابر المسلمين وجات ام المومنين حفصة والنسا يسترنها فلما رايناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستاذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاها من داخل الدار فقالوا اوص يا امير المومنين استخلف فقال ما ارى احق بهذا الامر من هولا النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شي كهيئة التعزية له فان اصابت الامارة سعدا فذاك والا فليستعن به ايكم امر فاني لم اعزله عن عجز ولا عن خيانة ثم

قال اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوءوا الدار والايمان من قبل ان يقبل من محسنهم وان يعفوا عن مسيئهم واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة الاموال وغيظ العدو وان لا ياخذ منهم الا فضلهم عن رضى منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يوخذ من حواشي اموالهم ويرد على فقرايهم واوصيه بذمة الله وذمة رسوله عليه السلام ان يوفي لهم بعهدهم وان يقاتل من وراهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال يستاذن عمر بن الخطاب فقالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث عن النبي صلى الله عليه وقال [illegible] ليبك الاسلام على موت عمر وعن ابن عباس قال وضع عمر على سريره فاكتنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ان يجعلك الله مع صاحبيك وذلك اني كنت كثيرا اسمع النبي عليه السلام يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر وان كنت لارجو او لاظن ان يجعلك الله معهما ●

وفاة عثمان رضي الله عنه

الحديث في مقتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام اتيت اخي عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا باخي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال اعطشوك قلت نعم قال فادلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لاجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي ان شيت نصرت عليهم وان شيت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم رحمه الله وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين جرح من الدار ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد عليه السلام ثلثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم القيامة ● وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال ايتوني بصاحبيكم اللذين البّاكم علي قال فجي بهما كانهما جملان او حماران قال فاشرف عليهم عثمان فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله عليه السلام قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بير رومة فقال من يشتري بير رومة فيجعل دلوه مع دلا المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم فقال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيه ركعتين قالوا اللهم نعم ثم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم ثم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه كان على ثبير بمكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله قال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم فقال الله اكبر شهدوا لي ورب الكعبة اني شهيد ● ويروى عن شيخ من ضبة ان عثمان لما ضرب والدم يسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني استعديك عليهم واستعينك على جميع اموري واسالك الصبر على ما ابتليتني ●

وفاة علي رضي الله عنه

قال الاصبغ الحنظلي لما كانت الليلة التي اصيب فيها علي رضي الله عنه اتاه ابن النباح حين طلع الفجر يوذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك فعاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول ● اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك ● ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك ● فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت ام كلثوم بنت علي وهي تقول ما لي ولصلوة الغداة قتل زوجي امير المومنين صلوة الغداة وقتل ابي صلوة الغداة ● وعن شيخ من قريش ان عليا رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي انه لما ضرب اوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض ● ولما ثقل الحسن بن علي دخل عليه الحسين رضي الله عنهما فقال يا اخي لاي شي تجزع تقدم على رسول الله عليه السلام وعلى علي بن ابي طالب وهما ابواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليهما السلام وهما اماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك فقال يا اخي اقدم على امر لم اقدم على مثله وعن محمد بن الحسن قال لما نزل القوم بالحسين وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد نزل من الامر ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها وتشمرت حتى لم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء والا خسيس عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المومن في لقاء الله تعالى واني لا ارى الموت الا سعادة والحيوة مع الظالمين الا برما

الباب الخامس في كلام المحتضر

من الخلفا والامرا والصالحين ● لما حضرت معوية بن ابي سفيان الوفاة قال اقعدوني فاقعدوه فجعل يسبح الله ويذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يا معوية بعد الهرم والانحطام افلا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان ثم بكى حتى علا بكاؤه وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق باحد سواك ● وروي عن شيخ من قريش انه دخل عليه جماعة في مرضه فراوا في جلده غضونا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فهل الدنيا الا ما جربنا وراينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذ بعيشنا فما لبثت الدنيا ان نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا وقد وترتنا واخلقتنا واستلامت الينا فاف للدنيا من دار ثم اف لها من دار ● ويروى ان آخر خطبة خطبها معوية ان قال ايها الناس ان من زرع قد استحصد واني قد وليتكم ولن يليكم احد بعدي الا من هو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد اذا وفى اجلي فول غسلي رجلا لبيبا فان اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد الى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره واظفاره فاستودع القراضة انفي وفمي واذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون اكفاني ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين فاذا ادرجتموني في جريدتي ووضعتموني في حفرتي فخلوا معوية وارحم الراحمين ● وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعوية الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى واني لم ال من هذا الامر شيئا ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق يلوي ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك والله ليتني كنت غسالا آكل من كسب يدي يوما بيوم ولم ال من الامر شيئا فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه ● وقيل لعبد الملك في مرضه كيف تجدك يا امير المؤمنين قال اجدني كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية ● وقالت فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز كنت اسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم اخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدا فجعلت لا اسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف انظر انائم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت ● وقيل له لما حضره الموت اعهد يا امير المؤمنين قال احذركم مصرعي هذا فانه لا بد لكم ● وروي انه لما ثقل دعي له طبيب فنظر اليه فقال ارى الرجل قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تامن الموت ايضا على من لم يسق السم فقال الطبيب هل احسست بذلك يا امير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا امير المؤمنين فاني اخاف ان تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفائي عند شحمة اذني ما رفعت يدي الى اذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث الا اياما ● وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا امير المؤمنين ابشر فقد احيى الله بك سننا واظهر بك عدلا فبكى ثم قال اليس اوقف فاسئل عن امر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي ان لا تقوم بحجتها بين يدي الله الا ان يلقنها حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات ● ولما قرب وقت موته قال اجلسوني فاجلسوه فقال انا الذي امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع راسه فاحد النظر فقيل له في ذلك فقال اني لارى حضرة ما هم بانس ولا جن ثم قبض ● وحكي عن هرون الرشيد انه انتقى اكفانه عند الموت بيده وكان ينظر اليها ويقول ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه ● ولما حضرت المامون الوفاة فرش له رماد واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ● وقال المعتصم عند موته لو علمت ان عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على فراشه عند موته فقيل له لا باس عليك فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا والآخرة ● وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر الى صناديقه من ياخذها بما فيها ليته كان بعرا ● وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تغفر لي فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسن قال اقالها قيل نعم قال عسى

بيان اقاويل جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من اهل التصوف

لما حضرت معاذا الوفاة قال اللهم اني كنت اخافك وانا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظما الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلما بالركب عند حلق الذكر ● ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه احد فكان كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال يا رب اخنقني خنقك فوعزتك انك لتعلم ان قلبي يحبك ● ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما ● ولما حضرت بلالا الوفاة قالت امراته واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه ● وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ● ولما حضر ابرهيم النخعي الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة

او بالنار ● ولما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكني اخاف اني اتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم ● ولما حضرت عامر بن عبد القيس الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال ما ابكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكني ابكي على ما فاتني من ظما الهواجر وقيام الليل في الشتا ● ولما حضرت الفضيل الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفري وقلة زادي ● ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل راسي على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وهذا انت تموت فقيرا غريبا فقال اسكت فاني سالت الله تعالى ان يحييني حياة الاغنيا وان يميتني موت الفقرا ● وقال عطا بن يسار تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما امنتك بعد ● وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال آية في كتاب الله قال انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لجدير ان يتقى آخره وان امرا هذا آخره لجدير ان يزهد في اوله ● وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرا القرآن فختم فقلت له في هذه الحالة يا ابا القاسم فقال ومن اولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي ● وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول ●

حنين قلوب العارفين الى الذكر ● وتذكارهم وقت المناجاة للسر
ادير كؤوس المنايا عليهم ● فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي السكر
همومهم جوالة بمعسكر ● به اهل ود الله كالانجم الزهر
فاجسامهم في الارض قتلى بحبه ● وارواحهم في الحجب نحو العلا تسري
فما عرسوا الا بقرب حبيبهم ● وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر

وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب ان تطير روحه اشتياقا ● وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي قال ان اعرفه قبل موتي بلحظة ● وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله فقال الى متى تقولون وانا محترق بالله ● وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير وقال السلام عليكم هل هاهنا موضع نظيف يمكن الانسان ان يموت فيه قال فاشاروا اليه بمكان وكان ثم عين ما فجدد الفقير الوضو وركع ما شا الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات ● وكان ابو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امراة تواجدا فقال لها موتي فقامت المراة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه وقالت قد مت ووقعت ميتة ● ويحكى عن فاطمة اخت ابي علي الروذباري قالت لما قرب اجل ابي علي الروذباري وكان راسه في حجري فتح عينيه وقال هذه ابواب السما قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا ابا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تردها ثم انشا يقول

وحقك لا نظرت الى سواكا ● بعين مودة حتى اراكا
اراك معذبي بفتور لحظ ● وبالخد المورد من حياكا

وقيل للجنيد قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره ● وسال جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رايت منه فقال قال علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضيني للصلوة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد امسك على لسانه فقبض على يدي وادخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره ادب من آداب الشريعة ● وقيل لبشر بن الحرث لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحيوة فقال القدوم على الله شديد ● وقيل لصالح بن مسمار الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحيي من الله ان اوصي بهم الى غيره ● ولما احتضر ابو سليمان الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم الا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ● ولما احتضر الواسطي قيل له اوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم ● واحتضر بعضهم فبكت امراته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك ابكي فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة ● وقال الجنيد دخلت على سري السقطي في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشا يقول

كيف اشكو الى طبيبي ما بي ● والذي بي اصابني من طبيبي

فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم انشا يقول

القلب محترق والدمع مستبق ● والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له ● مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب ان يك شي فيه لي فرج ● فامنن علي به ما دام بي رمق

وحكي ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشا يقول

ان بيتا انت ساكنه ● غير محتاج الى السرج
وجهك المامول حجتنا ● يوم ياتي الناس بالحجج
لا اتاح الله لي فرجا ● يوم ادعو منك بالفرج

وحكي ان ابا العباس بن عطا دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم فلم يجب ثم اجاب بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات ● وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب اجلي ما اخبرتكم به وقفت على باب قلبي اربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه ● وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان وذكرت محاسنه فافاق فقال من المتكلم فقلت انا فقال ان ملك الموت عليه السلام يقول اني بكل سخي رفيق ثم طفى ● ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق والجزع

فقال يا أبا عبد الله وكيف لا أقلق ولا أجزع وإني لا أعلم أن صدقت الله في شيء من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته
انه لا يعلم انه صدق الله تعالى في شيء من عمله ● وعن المغازلي قال دخلت على شيخ من أصحاب هذه القصة وهو عليل وهو يقول بمكيك لم تعد
بما تريد فارفق بي ● ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة
تعرض علي الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي ● وقيل لرويم عند الموت قل لا إله إلا الله فقال لا أحسن غيره ● ولما حضرت النوري الوفاة قيل له
قل لا إله إلا الله فقال أليس ثمّ أمر ● ودخل المزني على الشافعي في مرضه الذي توفي فيه فقال كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من
الدنيا راحلا وللإخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا وبكأس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى
النار فأعزيها ثم أنشأ يقول ● ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ● جعلت رجائي نحو عفوك سلما
● تعاظمني ذنبي فلما قرنته ● بعفوك ربي كان عفوك أعظما ● فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ● تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغوي بإبليس عابد ● وكيف وقد أغوى صفيك آدما ● ولما حضرت أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال
يا بني باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح الساعة لا أدري أيفتح بالسعادة أو بالشقاوة فأنى أوان الجواب فهذه أقاويلهم
وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد منهم عن مقتضى
حاله والكل صحيح بالإضافة إلى أحوالهم

الباب السادس

في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور ● اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير إلا لأهل الغفلة فإنه لا يزيدهم مشاهدتها إلا قساوة
لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون
ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا
ويقدر نفسه محمولا عليها فإنه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله في غد أو بعد غد ويروى عن أبي هريرة أنه إذا كان رأى جنازة
قال اغدوا فإنا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لا عقل له ● وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثت
نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله
لا تقر عيني حتى أعلم إلى ماذا صرت ولا أعلم ما دمت حيا ● وقال الأعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع ● وقال ثابت
البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون
ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر
منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب
حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأهوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من
هذه الغفلة فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت ● نظر إبراهيم الزيات
إلى أناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون أنفسكم لكان خيرا لكم إنه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد رأى ومرارة الموت
قد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن ● وقال أبو عمرو بن العلاء جلست إلى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فطلعت جنازة فأمسك وقال
شيبتني هذه الجنائز فأنشأ يقول ● تروعنا الجنائز مقبلات ● ونلهو حين تذهب مدبرات
● كروعة ثلة لمغار ذيب ● فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز

التفكر والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وإن كان فاسقا
وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح فإن الخاتمة مخطرة لا تدرى حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر أنه مات واحد من
جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال
يرحمك الله يا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي
خطايا ● ويحكى أن رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته إذ لم يدر
بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت من حملها إلى المصلى فما صلى عليه أحد فحملتها إلى الصحراء للدفن وكان على
جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرآه كالمنتظر للجنازة فقصد أن يصلي عليه فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد
نزل ليصلي على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام
انزل إلى مكان كذا ترى فيه جنازة ليس معها إلا امرأة فصل عليه فإنه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته

وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته قالت كما عرفت كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل
تعرفين منه شيئا من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة كان كل يوم يفيق عن سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح في جماعة
ثم يعود إلى الماخور ويشتغل بالفسق والثاني أنه كان لا يخلو بيته عن يتيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى
أولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث أنه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب أي زاوية من زوايا جهنم
تريد أن تملأها بهذا الخبيث يعني نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره ● وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخ له
فقال على قبره ● وإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ● وإلا فإني لا إخالك ناجيا ●

بيان حال القبر وأقاويلهم على القبور

قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد
غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور ● وقيل لعلي ما شأنك جاورت المقبرة فقال إني أجدهم خير جيران إني أجدهم جيران صدق
يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة ● وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه ● وقال عمر بن
الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم
قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته في أن أستغفر لها فأبى علي
فأدركني ما يدرك الولد من الرقة ● وكان عثمان بن عفان إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة
والنار ولا تبكي وتبكي إذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن القبر أول منازل الآخرة
فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد ● وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى
ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما ● وقال مجاهد
أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فما أعددت
لي ● وقال أبو ذر ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري ● وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فقيل له في ذلك فقال أجلس
إلى قوم يذكرونني معادي وإن قمت لم يغتابوني ● وكان جعفر بن محمد يأتي القبور ليلا ويقول يا أهل القبور ما لكم إذا دعوتكم
لا تجيبون ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي وكأني أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر ● وقال عمر بن عبد العزيز
لبعض جلسائه يا فلان لقد أرقت الليلة أتفكر في القبر وساكنيه إنك لو رأيت الميت بعد ثالثة في قبره لاستوحشت من قربه
بعد طول الأنس به منك ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان
بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه ● وكان يزيد الرقاشي يقول أيها المقبور في
حفرته والمتخلي في القبر بوحدته المستأنس في بطن الأرض بأعماله ليت شعري بأي أعمالك استبشرت وبأي إخوانك اغتبطت
ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله بأعماله الصالحة واغتبط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى
وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور ● وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه
وخانهم ● وكان بكر العابد يقول يا أماه ليتك كنت بي عقيما إن لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحلة ● وقال
يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه فإن أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها
وإن أجبته من قبرك منعتها ● وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول ما أحسن ظواهرك فإنما الدواهي في بواطنك
وكان عطاء السلمي إذا جن عليه الليل خرج إلى المقبرة فوقف ثم يقول يا أهل القبور متم فواموتاه وعاينتم أعمالكم فواعملاه ثم
يقول غدا عطاء في القبر فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح ● وقال سفيان من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل
عنه وجده حفرة من حفر النار ● وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا وكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث
ما شاء الله ثم قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت يردده ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل ● وقال أحمد بن حرب
تعجب الأرض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء ● وقال
ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني
أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات وأصاب الهوام
من أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله ● وقال ثابت البناني
دخلت المقابر فلما أردت الخروج منها إذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها

ويروى أن فاطمة بنت الحسن نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت ۞

وكانوا رجاء ثم أضحوا رزية ۞ لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل إنه ضرب على قبره فسطاطا واعتكف عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلوا المدينة فسمعوا أصواتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا

وقال أبو موسى التميمي توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وحوله أهل البصرة وفيهم الحسن فقال له يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال

أخاف وراء القبر إن لم تعافني ۞ أشد من القبر التهابا وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد ۞ عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى ۞ إلى النار مغلول القلادة أزرقا

وقد أنشدوا في أهل القبور

تقف في القبور على شاكلاتها ۞ من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها ۞ قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لدى العيون فواحد ۞ لا تستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن ۞ تصف الحقائق بعد في حالاتها
أما المطيع فنازل في روضة ۞ يفضي إلى ما شاء من راحاتها
والمجرم الطاغي بها متقلب ۞ في حفرة يأوي إلى حياتها
وعقارب تسعى إليه فروحه ۞ في شدة التعذيب من لدغاتها

ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول

عدمت الحياة ولا نلتها ۞ إذا أنت في القبر قد لحدوكا
فكيف أذوق طعم الكرى ۞ وأنت بيمناك قد وسدوكا

ثم قالت يا أبتاه ليت شعري بأي خديك بدأ الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة وأنشأت أقول

أتيت القبور فناديتها ۞ أين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه ۞ وأين المزكي إذا ما افتخر

قال فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول

تفانوا جميعا فما مخبر ۞ وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى ۞ وتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناس مضوا ۞ أما لك فيما ترى معتبر

قال ورجعت وأنا أبكي

أبيات وجدت مكتوبة على القبور

وجد على قبر مكتوب

تناجيك أجداث وهن سكوت ۞ وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغه ۞ لمن تجمع الدنيا وأنت تموت
أيا غانم أما ذراك فواسع ۞ وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره ۞ إذا كان فيه جسمه يتهدم

وقال ابن السماك مررت بالمقابر وإذا على قبر مكتوب

يمر أقاربي جنبات قبري ۞ كأن أقاربي لم يعرفوني
وذو الميراث يقتسمون مالي ۞ وما يألون أن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا ۞ فيا لله أسرع ما نسوني

إن الحبيب من الأحباب مختلس ۞ لا يمنع الموت بواب ولا حرس
وكيف تفرح بالدنيا ولذتها ۞ يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلا في النقص منغمسا ۞ وأنت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ۞ ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت في قبر وقفت به ۞ عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف ۞ فقبرك اليوم في الأجداث مندرس

وقفت على الأحبة حين صفت ۞ قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعي ۞ رأت عيناي بينهم مكاني

قد قلت لما قال لي قائل ۞ صار فلان لبلى رمسه
فأين ما يوصف من طبه ۞ وحذقه في الملامع حسه
هيهات لا يدفع عن غيره ۞ من كان لا يدفع عن نفسه

يا أيها الناس كان لي أمل ۞ قصر بي عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل ۞ أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى ۞ كل إلى مثله سينتقل

فهذه أبيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم واحد من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها لأنهم عرفوا قدر الأعمار وانكشفت لهم حقائق الأمور فإنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص عن العقاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فإنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الأمر عن الاختيار إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتداء فقد قال بعض الصالحين رأيت أخا لي في الله فيما يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين فقال لأن أقدر على أن أقولها أي الحمد لله أحب إلي من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنوني

فإن فلانا قام وصلى ركعتين كان أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلي من الدنيا وما فيها

بيان آداب وليم عند موت الولد

حق على من مات له ولد أو قريب من أقاربه أن ينزله في تقدمه عليه عند الموت منزلة ما لو كانا في سفر فسبقه الولد إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه فإنه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به على القرب وليس بينهما إلا تقدم وتأخر وهكذا الموت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلحق المتأخر فإذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أقدم سقطا أحب إلي من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وإنما ذكر السقط تنبيها بالأدنى على الأعلى فالثواب على قدر محل الولد من القلب ۞ قال زيد بن أسلم توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك فقال ملء الأرض ذهبا قيل له فإن لك من الأجر مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه أو اثنان قال أو اثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فإنه أرجى دعاء وأقربه إلى الاستجابة ۞ ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم إني أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي ۞ ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال اللهم إني غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فإنك أجود وأكرم ۞ ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال اللهم إني وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه عمر بن ذر بعدما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ما قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتي اللهم ما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتي فقد وهبت له ذلك فهب له عذابه ولا تعذبه فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى أحد مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك ۞ ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله إني لفي حزن ما يشركني فيه أحد فقلت وكيف قالت إن زوجي ذبح شاة في عيد الأضحى وكان لي صبيان مليحان فقال الكبير منهما للأصغر أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال نعم فأخذه وذبحه فما شعرنا به إلا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى الجبل فرهقه ذئب فأكله فخرج أبوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فأفردني الدهر كما ترى فأمثال هذه المصائب ينبغي أن يتذكر عند موت الأولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة إلا ويتصور ما هو أعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الأكثر

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحب لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد ۞ وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة للآخرة غير أن لا تقولوا هجرا وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه في ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ وفيه أذن له في الزيارة دون الاستغفار كما رويناه من قبل ۞ وقال ابن أبي مليكة أقبلت عائشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها ولا ينبغي أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء في الخروج إلى المقابر فإنهن يكثرن الهجر على رؤوس المقابر فلا تفي خير زيارتهن بشرها ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لأجلها نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر ۞ وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فإن الحزين في ظل الله ۞ وقال ابن أبي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم فإن لكم فيهم عبرة ۞ وعن نافع أن ابن عمر كان لا يمر بقبر واحد إلا وقف عليه وسلم عليه ۞ وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبي عليه السلام كانت تزور قبر عمها حمزة في الأيام فتصلي وتبكي عنده ۞ وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبويه في كل جمعة غفر له وكتب برا ۞ وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال عليه السلام من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي وقال من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال كعب ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه ۞ والمستحب في زيارة

القبور ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا لوجه الميت وان يسلم ولا يمسح القبور ولا يمسه ولا يقبله فان ذلك من عادة النصارى
قال نافع كان ابن عمر رايته مائة مرة او اكثر ياتي القبر فيقول السلام على النبي عليه السلام السلام على ابي بكر السلام على ابي وينصرف
وعن ابي امامة قال رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف ورفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي
عليه السلام ثم انصرف وقالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استانس
به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمان بن سحيم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هولاء الذين ياتوك
ويسلمون عليك افتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وقال ابو هريرة اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فيسلم عليه رد عليه
السلام ● وقال رجل من ال عاصم الجحدري رايت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فاين انت
قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى اخباركم
قلت اجسامكم ام ارواحكم فقال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعلم
بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه
وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو اخرت الى الاثنين فقال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما
بعده ● وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة
وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبان فيشهد الصلوة على الجنايز فاذا امسى وقف على باب
المقابر فقال انس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال
الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلي ولم ات المقابر فادعو كما كنت ادعو فبينا انا نايم اذا انا بخلق كثير قد
جاوني فقلت ما انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك الى
اهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو قلت فاني اعود لذلك فما تركتها بعد ذلك ● وقال بشار بن غالب
النجراني رايت رابعة العدوية في منامي وكنت كثير الدعا لها فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك تاتينا على اطباق من نور
مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت وهكذا دعا المومنين الاحيا اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعا على
اطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم اتي به الميت فقيل هذه هدية فلان اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت
في قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه او صديق له فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان
هدايا الاحيا للاموات الدعا والاستغفار ● وقال بعضهم مات اخ لي فرايته في المنام فقلت ما كان حالك حين وضعت
في قبرك قال اتاني ات بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرايت انه سيضربني به وعن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن
والدعا له قال سعيد بن عبد الله الاودي شهدت ابا امامة الباهلي وهو في النزع فقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بي
كما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على راس قبره ثم يقول يا فلان ابن
فلانه فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانه الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانه فانه يقول ارشدنا
رحمك الله ولكن لا تشعرون فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقران اماما فان منكرا ونكيرا يتاخر كل واحد منهما فيقول انطلق
بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله تعالى حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم نعرف اسم امه
قال فلينسبه الى حوا ولا باس بقراة القران على القبر روي عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل في جنازة
ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جا رجل ضرير يقرا عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراة على القبور بدعة
فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا ابا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسمعيل قال ثقة قال هل كتبت عنه شيا
قال نعم قال اخبرني مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلا بن اللجلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن ان يقرا عند راسه بفاتحة
الكتاب وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرا ● وقال محمد بن احمد المروزي
سمعت احمد يقول اذا دخلتم المقابر فاقروا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل
المقابر فانه يصل اليهم ● وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين ثم
وضعت راسي على قبر ثم نمت فاذا صاحب القبر يشكيني يقول لقد اذيتني منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون وتقدرون

على العمل ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله اهل الدنيا عنا خيرا اقرهم
السلام فانه قد يدخل علينا من دعايهم نور امثال الجبال فالمقصود من زيارة القبور للزاير الاعتبار وللمزور الانتفاع بدعايه فلا
ينبغي ان يغفل الزاير عن الدعا لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وانما يحصل له الاعتبار بان يصور في نفسه الميت كيف تفرقت اجزاوه
وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف بن ابي بكر الهذلي قال كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكان اذا جا
الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب واذا جا النهار خرجت الى القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب
القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى واني لاتي القبور فكاني انظر وقد خرجوا من بين اطباقها وكاني انظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى
تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو اشربها العباد قلوبهم ما انكل مرارتها للانفس واشد تلفها للابدان
بل ينبغي ان يحضر من صورة الميت ما ذكر عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا
فلان لو رايتني بعد ثلاث وقد ادخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الاسنان وخرج الصديد من الفم
وانفتح الفم ونتا البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرايت اعجب مما تراه الان
ويستحب ايضا اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال
صلى الله عليه لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم ان يكونوا من اهل الجنة تاثموا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه وقال انس بن مالك
مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه فاثنوا عليه شرا فقال عليه السلام وجبت ومروا باخرى فاثنوا خيرا فقال وجبت فساله
عمر عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وانتم شهدا الله في الارض وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثنا يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لملايكته اشهدكم اني قبلت
شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت

اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطوا فيها فظن
بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا
راي الملحدة وكل من لا يومن بالله واليوم الاخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتالم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد
في وقت الحشر وقال اخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث
ولا تحشر اصلا وكل هذه الظنون فاسدة ومايلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الايات والاخبار ان الموت
معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد
بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضا الات للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة
الاشيا بالقلب والقلب هاهنا عبارة عن الروح فالروح تعلم الاشيا بنفسها من غير الة ولذلك قد يتالم بنفسه بانواع الحزن
والغم والكمد وتتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضا فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد
مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الاعضا فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان تعاد الى الجسد
في القبر ولا يبعد ان يوخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل اعضا
الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة
لبعض الاعضا وقد استعصى عليه بعضها والموت عبارة عن استعصاء الاعضا كلها وكل الاعضا الات والروح هي المستعملة
لها واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم والام الغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضا لم تبطل منها
العلوم والادراكات ولا بطل منها الافراح والغموم ولا بطل منها قبولها الالام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك
للعلوم وللالام واللذات وذلك لا يموت اي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن ان يكون له الة
كما ان معنى الزمانة خروج البدن عن ان يكون له الة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضا كلها وحقيقة الانسان نفسه
وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين احدهما انه سلب عنه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله وجميع اعضايه
وسلب عنه اهله وولده واقاربه وساير معارفه وسلب عنه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وساير املاكه
ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشيا من الانسان وبين ان يسلب الانسان من هذه الاشيا فان المولم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان
ينهب مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن المال والالم واحد في الحالين وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله

بان عاجله الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له في الدنيا ما يأنس به ويستريح ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت
ويصعب شقاؤه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم
يكن يفرح الا بذكر الله تعالى ولم يأنس الا بالله عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل
اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا احد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة **والثاني** انه ينكشف له
بالموت ما لم يكن مكشوفا له في الحياة كما ينكشف للمستيقظ ما لم يكن مكشوفا في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما
ينكشف له ما يضره وما ينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع
عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع اعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر ان يخوض
غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس
وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق اعني فراق ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة
فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا الا
قدر الضرورة وكان يود ان تنقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل منه ما كان يوده واستغنى وهذه انواع من العذاب والآلام
عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا
المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتمادا على ان الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح
افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر
متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يشفع في العصاة عليه فانظر الى حال هذا المأخوذ كيف يكون
حاله قبل نزول عذاب الملك فيه من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل
نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزي والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب
والقطع وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها اولو البصائر بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة العين
ويشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة
الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيها ولا ان يزيد على ان يقول قل الروح من
امر ربي فليس لاحد من علماء الدين ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان
الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها الآيات والاخبار اما الآيات فما ورد في الشهداء اذ قال الله تعالى ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات
فقال والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها
ومعرفتها والآية نص في ارواح الشهداء ولا يخلو الميت عن سعادة او شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر
النار او روضة من رياض الجنة وهذا نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما يكون من شقاوة الميت وسعادته
تعجل عند الموت من غير تأخر وانما يتأخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله • وروى انس عن النبي صلى الله عليه انه قال
الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته • وقال صلى الله عليه اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من
اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين
من عذاب ونعيم في الحال وعن ابي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال اما هذا فقد قامت قيامته • وقال علي رضي الله عنه حرام
على نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم من اهل الجنة هي ام من اهل النار • وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه من مات
مريضا مات شهيدا ووقي فتنة القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة • وقال مسروق ما غبطت احدا ما غبطت مؤمنا
في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وامن عذاب الله • وقال يعلى بن الوليد كنت امشي يوما مع ابي الدرداء فقلت له ما تحب
لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المؤمن والموت اطلاق للمؤمن
من السجن وانما قلة الولد والمال لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بما لا بد من فراقه غاية الشقاوة وكل ما سوى الله
وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو انما مثل المؤمن حين يخرج نفسه او روحه

مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن
له انس الا بذكر الله وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات
وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عائق ولا دافع وما اجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل اللذات للشهداء
الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله راضين بالقتل في
طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الآخرة فقد اشتراها وتشوق
اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله قد يتفق في بعض الاحوال
ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال هو سبب الموت فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا عظم النعيم اذ معنى
النعيم ان ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم فيها ما يشاؤون فكان هذا اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم العذاب
ان يمنع الانسان عن مراده كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعقوبات اهل جهنم وهذا النعيم يدركه
الشهيد كما انقطع نفسه من غير تأخير وهذا امر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان اردت عليه شهادة من جهة الشرع
فجميع احاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة اخرى فقد روي عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد استشهد ابوه فقال بلى بشرك الله بالخير ان الله احيا
اباك فاقعده بين يديه فقال تمن علي عبدي ما شئت اعطيكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا
فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى قال له انه قد سبق مني انك اليها لا ترجع • وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له
لم تبكي وانت في الجنة فقال ابكي لاني لم اقتل في الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد فاقتل في الله قتلات • واعلم ان المؤمن ينكشف
له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب
الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه اقصاه فيه انواع الاشجار والازهار والاطيار والثمار فلا يشتهي العود الى السجن المظلم
وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه له مثلا فقال لرجل مات اصبح هذا مرتحلا عن الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع
الى الدنيا كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الآخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم
وقال رسول الله صلى الله عليه ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء ورضع
لم يحب ان يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى
بطن امه • وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح الى المؤمن والمستراح منه
الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه • وقال ابو عمر صاحب السقيا مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فامر
رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيامة • وعن عمرو
بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال
مالك بن انس بلغني ان ارواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت • وقال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه على
المنبر يقول الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمور في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم
وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه لا تفضحوا امواتكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور ولذلك قال
ابو الدرداء اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان خاله وكان قد مات وسئل عبد الله بن عمرو بن
العاص عن ارواح المؤمنين اذا ماتوا اين هي قال في صور طير بيض في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة وقال ابو سعيد الخدري
سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى
عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح الذي يخرج اليهم كيف كان مأواك وفي اي الجسدين كنت في طيب او خبيث وقال عبيد بن
عمير اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول الم يأتكم او ما قدم عليكم فيقولون انا لله وانا اليه
راجعون سلك به غير سبيلنا • وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال مجاهد ان الرجل
ليبشر بصلاح ولده في قبره • وروى ابو ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة
من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وما فعلت
فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله فقال انه مات قبلي قالوا انا لله ذهب به الى امه الهاوية **بيان كلام**

القبر للميت وكلام الموتى اما بلسان المقال او بلسان الحال الذي هو افصح من تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحيا
قال رسول الله صلى الله عليه يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن ادم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت
الوحدة وبيت الدود وما غرك بي اذ كنت تمر بي فذاذا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر فيقول ارايت ان كان يامر بالمعروف وينهى عن
المنكر فيقول القبر اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسمه نورا وتصعد روحه الى الله والفذاذ هو الذي يقدم رجلا ويوخر اخرى كذلك
فسره الراوي ● وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد
فان كنت في حياتك مطيعا لله كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فانا عليك اليوم نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا
ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا ● وقال محمد بن صبيح بلغنا ان الرجل اذا وضع في قبره فعذب واصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من
الموتى ايها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان لك في متقدمنا اياك فكرة اما رايت انقطاع اعمالنا عنا
وانت في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا الا اعتبرت بمن غيب من اهلك
في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا تهاداه احبته الى المنزل الذي لا بد له منه
وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله تعالى فقالت ايها العبد المنفرد في
حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم عندنا ● وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته اعماله
الصالحة الصلوة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجي ملايكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلوة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه
فقد طال ما قام لله عليهما فياتونه من قبل راسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد طال ما ظماه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم
عليه فياتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد لله لا سبيل لكم عليه قال فياتونه
من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله ابتغا وجه الله فلا سبيل لكم
عليه قال فيقال له هنيا طبت حيا وميتا قال وتاتيه ملايكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره
مد بصره ويوتى بقنديل من الجنة فيستضي بنوره الى يوم القيمة يبعثه الله من قبره ● وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه ولا يكلمه شي الا قبره فيقول ويحك ابن ادم اليس قد
حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فما ذا اعددت لي

بيان عذاب القبر وسوال منكر ونكير

قال البرا بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه على جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا
راسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المومن اذا كان في قبل من الاخرة بعث الله ملايكة كان وجوههم الشمس
معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السما والارض وكل ملك في السما وفتحت
ابواب السما فليس منها باب الا يحب ان يدخل بروحه منه فاذا صعد قيل اي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت
له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الاية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما
دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه قال فينتهرانه انتهارا شديدا وهي اخر فتنة تعرض على الميت
فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا الاية ثم ياتيه ات حسن
الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وانت فبشرك الله بخير فيقول من انت
فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا الى طاعة الله بطيا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي مناد ان
افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له فرش من الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة
حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الكافر فاذا كان في قبل من الاخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملايكة غلاظ شداد معهم ثياب
من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السما والارض وكل ملك في السما وغلقت ابواب السما
فليس منها باب الا يكره ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل اي رب عبدك فلان لم تقبله سما ولا ارض فيقول
ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الاية فانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال
يا هذا من ربك وما دينك فيقول لا ادري فيقال لا دريت ثم ياتيه ات قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من الله
وبعذاب اليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من انت قال انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيا عن طاعة الله
فجزاك الله شرا فيقول اسخرك الله شرا ثم يقيض له اصم اعمى ابكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على ان يقلوها لم يستطيعوا

لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض غير الثقلين
قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار ● وقال محمد بن علي
ما من ميت يموت الا مثلت له عند الموت اعماله الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته ● وقال ابو هريرة
قال النبي صلى الله عليه ان المومن اذا احتضر اتته الملايكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فيسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال
ايتها النفس المطمينة اخرجي راضية ومرضيا عنك الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة
وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر اتته الملايكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي
ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة فان لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى
سجين ● وعن محمد بن كعب القرظي انه كان يقرا قوله حتى اذا جا احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا قال اي شي تريد
في اي شي ترغب اتريد ان ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنا وتشق الانهار قال لا لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار
تعالى كلا انها كلمة هو قايلها اي ليقولنها عند الموت ● وقال ابو هريرة قال النبي عليه السلام المومن في قبره في روضة خضرا ويرحب له في قبره
سبعين ذراعا ويضي حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما ذا انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب
الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعين تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رووس يخدشونه ويلحسونه
وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي ان يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات والعقارب بقدر اعداد الاخلاق
المذمومة من الكبر والريا والحسد والغل والحقد وساير الصفات فان لها اصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم
فروعها الى اقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي باعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف
يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يوذي ايذا الحية وارباب القلوب والبصاير يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها
الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها عند ارباب البصاير
واضحة فمن لم ينكشف له حقايقها فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها بل اقل درجات الايمان التسليم والتصديق **فان قلت**
نحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلث مقامات
في التصديق بامثال هذا **احدها** وهو الاصح والاظهر والاسلم ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك
فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالاخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا يومنون بنزول
جبريل وما كانوا يشاهدونه ويومنون بانه عليه السلام يشاهده فان كنت لا تومن بهذا فتصحيح اصل الايمان بالملايكة والوحي اهم عليك
وان امنت به وجوزت ان يشاهد النبي ما لا تشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الادميين والحيوانات
فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس اخر وتدرك بحاسة اخرى **المقام الثاني** ان
تتذكر من النايم وانه يرى في نومه حية تلدغه وهو يتالم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه
من نفسه ويتاذى به كما يتاذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب
حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد واذا كان العذاب في الم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد **المقام الثالث**
انك تعلم ان الحية بنفسها لا تولم بل الذي يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الالم بل عذابك في الاثر الذي يحصل فيك من السم فاذا
حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذي يفضي
اليه في العادة فانه لو خلق في الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يكن تعريفها الا بالاضافة اليه لتكون الاضافة
للتعريف بالسبب ويكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات المهلكات
تنقلب موذيات ومولمات في النفس عند الموت فتكون الامها كالام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة موذية يضاهي
انقلاب العشق موذيا عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرت حالة صار الالذ سببه مولما حتى يرد على القلب من انواع العذاب
ما يتمنى معه انه لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو احد انواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه
فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ جميع ذلك في حيوته احد لا يرجو رجوعه اليه فما ذا ترى يكون
حاله اليس يعظم شقاوه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط وكنت لا اتاذى بفراقه والموت عبارة عن
مفارقة المحبوبات الدنيا وبتكلها دفعة واحدة وما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد فما حال من لا يفرح الا بالدنيا فوخذ

فتوخذ منه الدنيا ويسلم الى اعدائه ثم ينضاف اليه هذا العذاب بحسرته على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله فان حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به فيتوالى عليه الم فراق جميع محبوباته وحسرة ما فاته من نعيم الآخرة ابد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله وهو الذي يعذب به اذ لا يتبع نار الفراق الا نار جهنم كما قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم واما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب الا الله وكان مشتاقا الى لقائه فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاسات الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الامن عن الزوال ابد الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون والمقصود ان الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين ان يؤخذ منه وبين ان يلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب فاذا الفرس عنده اعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه اذا اخذ منه وليستعد لهذه اللدغات فان الموت ياخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وولده واهله واحبابه ومعارفه وياخذ منه جاهه وقبوله بل ياخذ منه سمعه وبصره واعضاءه وييأس من رجوع جميع ذلك اليه فاذا لم يحب سواه وقد اخذ جميع ذلك منه فذلك اعظم عليه من العقارب والحيات وكما لو اخذ منه ذلك وهو حي فيعظم عذابه فكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعنى الذي هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد لانه في الحياة يتسلى باسباب تشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجا العود اليه ويتسلى برجا العوض منه ولا سلوة بعد الموت اذ قد انسدت عليه طرق التسلي وحصل اليأس فاذا كل من يتسلى ومنزل قد احبه بحيث كان يتوجع عليه لو اخذ منه فانه … عليه ومعذبا به ما لم يكن محبا من الدنيا سالم وهو المعنى بقوله نجا المخفون وان كان مثقلا عظم عذابه وكما ان حال من يسرق منه دينار اخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير ولذلك صاحب الدرهم اخف من صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله صلى الله عليه صاحب الدرهم اخف حسابا من صاحب الدرهمين وما من شيء في الدنيا تخلفه عنك عند الموت الا وهو حسرة عليك عند الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل وان استكثرت فلست مستكثرا الا من الحسرة وان استقللت فلست تخفف الا عن ظهرك وانما تكثر الحيات والعقارب في قبور الاغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا اليها فهذه مقامات الايمان في حيات القبر وعقاربه وسائر انواع عذابه ● رأى ابو سعيد الخدري ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني عظني قال لا تخالف الله تعالى فيما يريد قال يا بني زدني قال يا ابه لا تطيق قال بلى قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا فما لبس قميصا بعد ثلاثين سنة

فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم ان الناس من لم يثبت الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا الثالث وانما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من ينكر ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره فينكر من افعال الله تعالى ما لم يأنس به ويألفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع من هذه الانواع ورب عبد يجمع عليه هذه الانواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيف كان فان اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع انفه فاخذ طول الليل يتفكر في انه هل يقطعه بسكين او بسيف او بموسى واهمل طريق الحيلة في دفع اصل العذاب عن نفسه وهو غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عذاب عظيم او عن نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد له فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر

● قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي فان كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسوله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا وكنت اقوله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ● وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك اذا مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران شعورهما ويبحثان القبر بانيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر يكون معي مثل عقلي الآن قال نعم قال

نادا الكفيكما وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الاعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للاشياء ولو تناثرت اعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم ● قال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في رأسه مثل عرف الجمل يضربه به الى يوم القيامة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه ● وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في قبره جاءت اعماله الصالحة فاحتوشته فان اتاه من قبل رأسه جاءت قراءة القرآن وان جاء من قبل رجليه جاء قيامه وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطهما للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصبر والصلاة ناحيته فيقول اما اني لو رأيت خللا لكنت انا صاحبه قال سفيان يحاجز عنه اعماله الصالحة كما يحاجز الرجل عن اخيه واهله وولده ثم يقال عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء اخلاؤك ونعم الاصحاب اصحابك ● وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن في هذا ضغطة ترد منها حمائله ● وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة لو سلم او نجا منها احد لنجا سعد بن معاذ ● وعن انس قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا منك شيئا فمم ذلك قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فأتيت فاخبرت ان الله قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين

الباب الثامن

فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام اعلم ان انوار البصائر المستفادة من كتاب الله وسنة رسوله ومن مناهج الاعتبار تعرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم الى سعداء واشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد فلا ندري ماذا مات وكيف ختم له وان عولنا على صلاح الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون تقوى الباطن قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه واذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يرى بعين اخرى خلقت تلك العين في قلب كل انسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله الدنيا وبقيت قاصرة لا تبصر ولا يتصور ان يبصر بها شيئا من عالم الملكوت وما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة عن اعين الانبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا العجائب والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم واخبروا ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي زينب ابنته وكذلك حال ابي جابر لما استشهد اذ اخبر ان الله تعالى اقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبياء والاولياء الذين تقرب درجتهم منهم وانما الذي يمكن لمثلنا مشاهدة اخرى ضعيفة الا انها ايضا مشاهدة نبوية واعني بها المشاهدة في المنام وهو من انوار النبوة قال رسول الله صلى الله عليه الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من اجزاء النبوة وهو ايضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر فساده ومعاصيه اظلم قلبه فكان ما يراه اضغاث احلام ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى طهارة الباطن ايضا فهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقلما يخلو الانسان عن منامات دلت على امور فوجدها صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب من عجائب صنع الله وبدائع فطرة الآدمي وهو من اوضح الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيه الصور وحقائق الامور وان كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب او حديد او عظم وان الكتاب من كاغد او رق بل ينبغي ان تفهم قطعا ان لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل

ان كنت تطلب لها الا قرب الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كأنه حيث يقرأه ينظر اليه ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله وقضاه واللوح في المثال كمرآة ظهرت فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة اخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى في هذه الا ان يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلوم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت فان هبت رياح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الاغلب وما دام متيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس من عالم الشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم ان تركد الحواس فلا تورد على القلب شيئا فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة اذا ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات اثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج المعبر ان ينظر ان هذا الخيال حكاية اي معنى من المعاني فيرجع الى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وامثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو ان رجلا قال لابن سيرين رأيت كأن بيدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان فقال صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله يراد الختم وانما ينكشف للقلب حال المخصص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا الناس من الاكل والشرب ولكن الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم فمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا التي لا تنحصر عجائبه وكيف لا وهو اخو الموت وانما الموت عجيب من العجائب وهذا لانه يشبهه من وجه ضعيف اذ يكشف الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فما ذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه اما محفوفا بالانكال والمخازي والفضائح نعوذ بالله من ذلك واما مكنوفا بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له وعند هذا يقال للاشقياء وقد انكشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون واليه الاشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فاعلم العلماء واحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا الفكر في خطر تلك الحالة ان الحجاب عماذا يرتفع وما الذي يكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهالينا واسبابنا وذوينا بل باعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن اين من نفث روح القدس في روعه فقال له احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به ولاجرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وان حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب وقد قال لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم فانما امته من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فانه ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت من نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن الا للعاجلة الدنيا ثم تطمع ان تكون غدا من امته واتباعه ما ابعد ظنك وابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا فيه وبصدده فقد امتد عنان الكلام الى غير مقصده ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات

بيان منامات تكشف عن حال الموتى والاعمال النافعة في الآخرة

● فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي ● وقال عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله ما شأني فقال التفت الي فقال الست المقبل وانت صائم قال فوالذي نفسي بيده لا اقبل امرأة وانا

صائم ابدا ● وقال العباس كنت ودا لعمر فاشتهيت ان اراه في المنام فما رأيته الا عند رأس الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه ويقول هذا اوان فراغي ان كاد عرشي ليهد لولا اني لقيته رؤوفا رحيما ● وقال الحسن بن علي قال لي علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير لي منهم وابدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم ● وقال بعض الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك لم تسأل شيئا قط فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك ● وروي عن العباس ابن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابي لهب مصاحبا له فلما مات واخبر الله عنه بما اخبر حزنت عليه واهمني امره فسألت الله تعالى حولا ان يريني اياه في المنام قال فرأيته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل الليالي والايام قلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني اميمة فبشرتني بولادة آمنة اياه ففرحت به واعتقت وليدة لي فرحا به فاثابني الله بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين ● وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال اخبرك عن ذلك خرجت اول مرة الى مكة ومعي ابي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا انا نائم اذ اتاني آت فقال لي قم فقد امات الله اباك وسود وجهه فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه فداخلني من ذلك رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على رأس ابي اربعة سودان معهم اعمدة حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال لي قم فقد بيض الله وجه ابيك فقلت له من انت بابي وامي فقال انا محمد قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه ابي فاذا هو ابيض فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ اتي بعلي ومعاوية فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع ان خرج علي رضي الله عنه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع ان خرج معاوية على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة ● واستيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله وانكره اصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم اصحابه ارفعها الى الله تعالى فجاء الخبر بعد اربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي رآه ● وروي الصديق رضي الله عنه فقيل له انك كنت تقول ابدا في لسانك هذا اوردني الموارد فما فعل الله بك فقال قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة

بيان منامات المشايخ رضي الله عنهم

قال بعض المشايخ رأيت مسمعا الدورقي في المنام فقلت ما فعل الله بك يا سيدي فقال ادير بي في الجنان فقال لي يا مسمع هل استحسنت فيها شيئا قلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت فيها شيئا لوكلتك اليه ولم اوصلك الي ● ورأى يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا فقال بما خلطت جدي بهزلي ● وعن منصور بن اسمعيل قال رأيت عبد الله البزاز في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال وقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب اقررت به الا ذنبا واحدا استحييت ان اقربه فاوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله ان اذكره ● وقال ابو جعفر الصيدلاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وحوله جماعة من الفقراء فبينا نحن كذلك اذ انشقت السماء ونزل ملكان احدهما بيده طست وبيد الآخر ابريق فوضع الطست بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يديه ثم امر حتى غسلوا ايديهم ثم وضع الطست بين يدي فقال احدهما للآخر لا تصب عليه فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس قد روي عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى قلت يا رسول الله فاني احبك واحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وسلم صب عليه فانه منهم ● وقال الجنيد رأيت في النوم كأني اتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال اقرب ما تقرب به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله ● ورأى مجمع في النوم فقيل له كيف رأيت الامر فقال رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة ● وقال رجل من اهل الشام للعلاء بن زياد رأيتك في النوم كأنك في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليه ثم قال لعل الشيطان اراد امرا فعصمت عنه فاخص رجلا يقتلني ● وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره ● وقال صالح بن بشير رأيت عطاء السلمي في النوم فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك فرحا طويلا وسرورا دائما فقلت في اي الدرجات انت قال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الآية ● وسئل زرارة بن اوفى في المنام اي الاعمال عندكم افضل فقال الرضا وقصر الامل ● وقال يزيد بن مذعور رأيت الاوزاعي في المنام فقلت يا ابا عمرو دلني على عمل اتقرب به الى الله تعالى فقال ما رأيت هناك درجة ارفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه

وقال ابن عيينة رأيت أخي في المنام فقلت يا أخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم أستغفر منه لم يغفر لي. وقال علي الطلحي رأيت امرأة في المنام لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني إلى سيدي وأمهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها. وقال إبراهيم بن إسحق الحربي رأيت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك فقالت غفر لي فقلت بما أنفقت في طريق مكة قالت أما النفقات التي أنفقتها رجعت أجورها إلى أربابها وغفر لي بنيتي. ولما مات سفيان الثوري رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال وضعت أول قدمي على الصراط والثاني في الجنة. وقال أحمد بن أبي الحواري رأيت فيما يرى النائم جارية ما رأيت أحسن منها وكان وجهها يتلألأ نوراً فقلت لها من أين ضوء وجهك فقالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت أخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى. وقال الكتاني رأيت الجنيد في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الإشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا إلا على ركعتين كنا نصليهما في الليل. ورئيت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الأربع لا إله إلا الله أفني بها عمري لا إله إلا الله أدخل بها قبري لا إله إلا الله أخلو بها وحدي لا إله إلا الله ألقى بها ربي. ورئي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني ربي تعالى وقال يا بشر أما استحييت مني كيف تخافني كل ذلك الخوف. ورئي أبو سليمان في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني وما كان شيء أضر علي من إشارات القوم إلي. وقال أبو بكر الكتاني رأيت في النوم شاباً لم أر أحسن منه فقلت من أنت قال التقوى قلت فأين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فإذا امرأة سوداء كأوحش ما يكون فقلت من أنت فقالت أنا السقم فقلت وأين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت أن لا أضحك إلا غلبة. وقال أبو سعيد الخراز رأيت في المنام كأن إبليس وثب علي فأخذت العصا لأضربه فلم يفزع فهتف بي هاتف إن هذا لا يخاف من هذه وإنما يخاف من نور يكون في القلب. وقال المسوحي رأيت إبليس في المنام عرياناً يمشي فقلت ألا تستحيي من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما لعبت بهم طرفي النهار كما يلاعب الصبيان الكرة إنما الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمي وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية. وقال أبو سعيد الخراز كنت بدمشق فرأيت في المنام كأن النبي صلى الله عليه وسلم جاءني متكئاً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فجاء حتى وقف علي وأنا أقول شيئاً من الأصوات وأدق في صدري فقال شر هذا أكثر من خيره. وعن ابن عيينة قال رأيت سفيان الثوري في المنام كأنه في الجنة يطير من شجرة إلى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون قلت له أوصني فقال أقلل من معرفة الناس. وروى أبو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رأيت الثوري في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال

نظرت إلى ربي كفاحاً فقال لي ● هنيئاً رضائي عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواماً إذا أظلم الدجى ● بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر أردته ● وزرني فإني منك غير بعيد

ورئي الشبلي بعد موته بثلاثة أيام فقيل له ما فعل الله بك فقال ناقشني حتى أيست فلما رأى يأسي تغمدني برحمته. ورئي مجنون بني عامر بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وجعلني حجة على المحبين. ورئي الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين. ورأى بعضهم فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا. ورئي مالك بن أنس فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت. ورئي في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كأن أبواب السماء مفتحة وكأن منادياً ينادي ألا إن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض. ورئي الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك فقال

ولا تكتب بخطك غير شيء ● يسرك في القيامة أن تراه

ورأى الجنيد إبليس في المنام عرياناً فقال ألا تستحيي من الناس فقال وهؤلاء ناس الناس أقوام في مسجد الشونيزية قد أضنوا جسدي وأحرقوا قلبي فلما انتبهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث. ورئي النصراباذي بمكة بعد وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الأشراف ثم نوديت يا أبا القاسم أبعد الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالأحد. ورأى عتبة الغلام حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الأعمال شيئاً يحول بيني وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثاً لا رجعة لي عليها حتى ألقاك. ورأى أيوب الميت في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقال أيوب لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق. وقال بعضهم رأيت في الليلة التي مات فيها داود الطائي نوراً وملائكة صعوداً فقلت أي ليلة هذه فقالوا الليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه. وقال أبو سعيد الشحام رأيت سهلاً الصعلوكي في المنام فقلت أيها الشيخ فقال دع التشييخ قلت تلك الأحوال التي شاهدتها فقال لم تغن عنا فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بمسائل كان تسأل عنها العجز. وقال أبو بكر الرسكي رأيت محمد الطوسي المعلم في المنام فقال لي قل لأبي سعيد الصفار

وكنا على أن لا نحول عن الهوى ● وحقك للحب حلتم وما حلنا

قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة. وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت أليس قد مت قال بلى قلت فما صنع بك ربك عز وجل قال غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال بخ بخ ذلك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية. وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعي بعد وفاته في المنام فقلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك قال أجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب. ورأى رجل من أصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كأن منادياً ينادي إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن بن أبي الحسن على أهل زمانه. وقال أبو يعقوب القاري الدقيقي رأيت في منامي رجلاً آدم طوالاً والناس يتبعونه فقلت من هذا فقيل أويس القرني فاتبعته فقلت أوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشد فأرشدني أرشدك الله فأقبل علي وقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني. وقال أبو بكر بن مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقاء فقال نجوت بعد كل جهد قلت فأي الأعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله تعالى. وقال يزيد بن معاوية هلكت جارية في الطاعون الجارف فرآها أبوها في المنام فقال لها يا بنية أخبريني عن الآخرة فقالت يا أبه قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفة عملي أحب إلي من الدنيا وما فيها. وقال بعض أصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك فلما أصبحت جئت إلى بيتي وإذا خط عتبة في حائط البيت مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين. وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت يا أبا عبد الله بم نلت هذا فقال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذاك لا يكاد يرى إلا كما يرى الكوكب. ورأى رجل من التابعين النبي عليه السلام فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان فالموت خير له. وقال الشافعي رضي الله عنه دهمني في هذه الأيام أمر أمضني وآلمني ولم يطلع عليه غير الله تعالى فلما كان البارحة أتاني آت في المنام فقال يا محمد بن إدريس قل اللهم إني لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا أتقي إلا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية فلما أصبحت أعدت ذلك فلما ترحل النهار أعطاني الله تعالى طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها. فهذه جملة من المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الأحوال المقربة إلى الله زلفى ولنذكر بعد هذا ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخة الصور إلى آخر القرار إما في الجنة أو في النار.

الشطر الثاني

من الكتاب في أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديه من الأهوال والأخطار وفيه بيان نفخة الصور وصفة أرض المحشر وأهله وصفة أهل المحشر ودواهيها وأساميها وصفة المسائلة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم وأهوالها وأنكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأنهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وشرابهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر إلى الله تعالى وباب في سعة رحمة الله تعالى به يختم الكتاب إن شاء الله تعالى.

صفة نفخة الصور

قد عرفت بما سبق شدة أحوال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مغضوباً عليه وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخة الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء فهذه أحوال وأهوال لا بد من معرفتها ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فيها لينبعث من القلب دواعي الاستعداد لها وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والأهوال بل إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن أخبر أن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه الذي أخبره صدقت ثم مد اليد لتناوله كان مصدقاً بلسانه ومكذباً بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فيقول إن لي ولداً وأما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بدأني وإنما قصور الخواطر عن قوة اليقين في التصديق بالبعث والنشور

لبلد الغنم وهذا العالم لامثال تلك الامور ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل
هذا الادمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
فاذا هو خصيم مبين وقال ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ففي خلق الانسان مع كثرة عجايبه واختلاف تركيب
اعضايه اعاجيب تزيد على الاعاجيب التي في بعثه واعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله وحكمته من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته
فان كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشاة الاولى فان الثانية مثلها واسهل منها وان كنت قوي الايمان بها فاشعر قلبك
تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار ليسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر اولا
فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخة الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة واحدة
فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من فرقك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء
وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد ازعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عندهم من الهموم والغموم
وشدة الانتظار لعاقبة الامر ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون وقال فاذا نقر في الناقور فذلك يوميذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من
الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدي الموتى الا هول
نفخة الصور لكان جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والارض يعني يموتون الا من شا الله وهم بعض الملايكة
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالاذن متى يومر فينفخ قال
مقاتل الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل واضع فاه على القرن كهيية البوق ودايرة راس القرن كعرض السموات والارض وهو
شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يومر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ في الصور صعق من في السموات والارض اي مات كل حيوان
من شدة الفزع الا من شا الله وهو جبريل وميكاييل واسرافيل وملك الموت ثم يامر ملك الموت ان يقبض روح جبريل ثم روح ميكاييل ثم
روح اسرافيل ثم يامر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى في البرزخ اربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيامره ان ينفخ
الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قياما على ارجلهم ينظرون الى البعث وقد قال صلى الله عليه وسلم
حين بعثت نفخ صاحب الصور فاهوى به الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى يومر بالنفخ الا فاتقوا النفخ فتفكر
في الخلايق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما تقضى عليهم من سعادة او شقاوة
وانت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفين والاغنيا المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم
اذل الجمع واصغرهم واحقرهم يوطون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة
بالخلايق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيية تدنستها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم عن الهرب
من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة
من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال
قلبك هنالك ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور وهم حفاة عراة

صفة ارض المحشر

الى ارض المحشر ارض بيضا قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى عليها ربوة يختفي الانسان وراها ولا وهدة ينخفض
عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلايق على اختلاف اصنافهم من
اقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون
يوميذ واجفة ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضا عفرا
كقرصة النقي ليس فيها معلم لاحد قال الراوي والعفرة بياض ليس بالناصع وهي النقي عن القشر والنخالة والا معلم اي لا بنا يستر
ولا تفاوت يرد البصر ولا تظنن ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص اشجارها وجبالها واوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي ارض بيضا مثل الفضة
لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيية والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته
فانه اذا اجتمع الخلايق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السما وطمست الشمس والقمر واظلمت الارض بخمود سراجها فبينما

انت كذلك اذ دارت السما من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسماية عام والملايكة قيام على حافاتها وارجايها
فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السما مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة الذايبة تخالطها
صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السما مع صلابتها وشدتها ثم تنهار
وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم عراة حفاة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس حفاة
عراة غرلا قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان قالت سودة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله واسوتاه ينظر بعضنا
الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك لكل امرى منهم يوميذ شان يغنيه فاعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويومن فيه مع ذلك
النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلثة اصناف مشاة وركبانا وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم
قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم وفي طبع الادمي انكار كل ما لم يانس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهي تمشي على
بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي من غير رجل والمشي بالرجل ايضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك ان تنكر شيا من
عجايب يوم القيمة لمخالفته قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجايب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت اشد
انكارا لها فاحضر في قلبك صورتك وانت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا تنتظر ما يجري عليك من القضا بالسعادة
او بالشقا واعظم بهذه الحالة فانها عظيمة ثم تفكر في ازدحام الخلايق واجتماعهم حتى ازدحم

صفة العرق

على الموقف اهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطاير فاشرقت عليهم الشمس وقد
تضاعف حرها وتبدلت عما كان عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رؤوس الخلايق كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش
رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش ومن بين مضحى لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد
كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلايق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحيا
من الافتضاح والاختزا عند العرض على جبار السما فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحيا والخوف ففاض
العرق من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيمة ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه
وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس
لرب العالمين حتى يغيب في رشحه الى انصاف اذنيه وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة
حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ اذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث اخر قياما شاخصة ابصارهم
اربعين سنة الى السما فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم
القيمة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم
من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده فالجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده
على راسه هكذا فانت يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة كربهم فان فيهم من ينادي ويقول رب ارحني من هذا الكرب
والانتظار ولو الى النار كل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك كاحد منهم ولا تدري الى اين يبلغ بك العرق واعلم
ان كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضا حاجة مسلم وتحمل مشقة في امر بمعروف
فسيخرجه الحيا والخوف في صعيد القيمة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن ادم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق في
تحمل مصاعب الدنيا اهون امرا واقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في يوم القيمة فانه يوم عظيم شديد طويل مدته

صفة طول يوم القيامة

يوم تقف فيه الخلايق شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا
ينظر في امورهم يقفون ثلثماية عام لا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم قال كعب وقتادة
يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلثماية عام بل قال عبد الله بن عمر وتلا رسول الله صلى الله عليه هذه الاية قال
كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن ما ظنك بقوم قاموا فيه على اقدامهم
خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها اكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم جوعا
انصرف بهم الى النار فسقوا من عين انية قد ان حرها واشتد نفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا
في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر بكل

ولحديث بدء غضب الله وقالوا قد غضب ربنا اليوم غضبا ما غضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله
عليه وسلم يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا ● فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف
عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا الموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر
انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن
حتى يكون عليه اهون من الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اولئك المؤمنين فما دام في نفسك من عمرك فالامر اليك
والاستعداد بيدك فاعمل في ايام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة الالف
سنة فانك لو صبرت سبعة الاف سنة لتربح يوما مقداره خمسون الف سنة لكان ربحك كثيرا وخطبك يسيرا

صفة يوم القيمة ودواهيه واساميه

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب اوانه
يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب من هوله قد انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت والشمس قد كورت والجبال قد
سيرت والعشار قد عطلت والوحوش قد حشرت والبحار قد سجرت والنفوس الى الابدان قد زوجت والجحيم قد سعرت والجنة
قد ازلفت والجبال قد نسفت والارض قد مدت يوم زلزلت فيه زلزالها واخرجت الارض اثقالها يومئذ يصدر الناس اشتاتا
ليروا اعمالهم يوم تحمل فيه الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على
ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة يوم ترجف
الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل فيه
كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم
ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يوم
يمنع العصاة من الكلام ولا يسئل فيه عن الاجرام يوم يؤخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم تعلم فيه كل نفس ما احضرت وتشهد ما قدمت واخرت يوم تخرس فيه الالسن
وتنطق فيه الجوارح يوم شيبت ذكره سيد المرسلين اذ قال له الصديق اراك قد شبت فقال شيبتني هود والواقعة والمرسلات
وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا ايها القارئ العاجز اخطك من القران ان تجمجم به اللسان ولو كنت متفكرا فيما
تقراه لكنت جديرا بان تنشق مرارتك مما شاب منه شعر سيد المرسلين واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القران فالقيمة
احد ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها واكثر من اساميها لتقف بكثرة اساميها على معانيها فليس المقصود بكثرة الاسامي
والالقاب ● بل الغرض تنبيه اولي الالباب فتحت كل اسم من اسماء القيامة سر وفي كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على ذكر معانيها
ونحن الان نجمع لك اساميها فهي يوم القيمة ● ويوم الحسرة ● ويوم الندامة ● ويوم المحاسبة ● ويوم المسائلة
ويوم القارعة ● ويوم الواقعة ● ويوم المسابقة ● ويوم المناقشة ● ويوم الزلزلة ● ويوم الدمدمة ● ويوم الصاعقة
ويوم المساق ● ويوم الراجفة ● ويوم الرادفة ● ويوم الغاشية ● ويوم الداهية ● ويوم الآزفة ● ويوم الحاقة
ويوم الطامة ● ويوم الصاخة ● ويوم التلاق ● ويوم الفراق ● ويوم المساق ● ويوم القصاص ● ويوم التناد
ويوم الحساب ● ويوم المآب ● ويوم العذاب ● ويوم الفرار ● ويوم القرار ● ويوم اللقاء ● ويوم البقاء
ويوم الحكم ● ويوم القضاء ● ويوم الجزاء ● ويوم البلاء ● ويوم البكاء ● ويوم الحشر ● ويوم الوعيد
ويوم العرض ● ويوم الوزن ● ويوم الحق ● ويوم الفصل ● ويوم الجمع ● ويوم البعث ● ويوم الفتح
ويوم الخزي ● ويوم عظيم ● ويوم عقيم ● ويوم عسير ● ويوم الدين ● ويوم اليقين ● ويوم النشور
ويوم المصير ● ويوم النفخة ● ويوم الصيحة ● ويوم الرجفة ● ويوم الرجة ● ويوم الزجرة ● ويوم السكرة
ويوم الفزع ● ويوم الجزع ● ويوم المنتهى ● ويوم المأوى ● ويوم الميقات ● ويوم الميعاد ● ويوم المرصاد
ويوم القلق ● ويوم العرق ● ويوم الافتقار ● ويوم الانكدار ● ويوم الانتشار ● ويوم الانشقاق ● ويوم الوقوف
ويوم الخروج ● ويوم الخلود ● ويوم الوعيد ● ويوم التغابن ● ويوم عبوس ● ويوم معلوم ● ويوم موعود
ويوم مشهود ● ويوم لا ريب فيه ● ويوم تبلى السرائر ● ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ● ويوم تشخص فيه الابصار ● ويوم لا

يغني مولى عن مولى شيئا ● يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ● يوم يدعون الى نار جهنم دعا ● يوم يسحبون في النار على وجوههم ● يوم تقلب
وجوههم في النار ● يوم لا يجزي والد عن ولده ● يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه ● ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ويوم لا مرد له من الله ● ويوم هم بارزون ● ويوم هم على النار يفتنون ● ويوم لا ينفع مال ولا بنون ● ويوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ● ويوم ترد فيه المعاذير ● وتبلى السرائر وتظهر الضمائر ● وتكشف الاستار
وتخشع الابصار ● وتسكن الاصوات ● ويقل الالتفات ● وتبرز الخفيات ● وتظهر الخطيات ● ويساق العباد ومعهم
الاشهاد ● ويشيب الصغير ● ويسكر الكبير ● ووضعت الموازين وسعرت النيران ● وتغيرت الالوان وخرس اللسان
ونطقت الجوارح للانسان يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت الابواب وارخيت الستور واستترت عن الخلائق
فقارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين يرسل الله الينا سيد المرسلين وينزل
عليه الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة
معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة
وانشق القمر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ● وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ دراسة هذا القران
عملا ولا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف هذا اليوم واساميه ولا نستعد للخلاص من دواهيه ● فنعوذ بالله من هذه
الغفلة ● ان لم يتداركنا الله بواسع الرحمة

صفة المسائلة

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاحوال فيما يتوجه
عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينما انت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها
اذ نزلت ملائكة من ارجاء السماء باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان ياخذوا بنواصي المجرمين الى موقف العرض
على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بعينيك اذا
شاهدت مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا اليك ليأخذوك الى مقام العرض وترى على اعظم اشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين
بما بدا من غضب الجبار على العباد وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا ويخرون لاذقانهم خوفا من ان يكونوا هم المأخوذين
فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة افيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم
وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم اجلالا لخالقهم عن ان يكون فيهم فينادوا باصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه اهل الارض
وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل
والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق قول الله تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن
عليهم بعلم وما كنا غائبين وقوله فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فيبدأ بالانبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
قالوا لا علم لنا فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الانبياء وتمحى علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلائق
فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون اذ طارت منهم العقول
وانمحت العلوم الى ان يقويهم الله تعالى فيدعى نوح فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير
ويدعى عيسى فيقول الله له أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هذا السؤال سنين فاعظم بيوم تقام فيه
السياسة على الانبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلان هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد
الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبائح اعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملا الخلائق
وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها وايقن قلب كل عبد باقبال الجبار لمسائلة العباد وظن كل واحد انه
لا يريد احدا سواه وانه المقصود بالاخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار عند ذلك يا جبريل ائتني بالنار فياتيها جبريل فيقول
يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم تلبث بعد ندائه ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلائق وسمعوا
تغيظها وزفيرها وانتهضت خزانها متوثبة الى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى اسمه وخالفه فاخطرت باله واحضر في قلبه وكانوا قد
علوا قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا تساقطوا جثيا على ركبهم وولوا مدبرين يوم ترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه
منكبين وينادي الظالمون والعصاة بالويل والثبور وينادي الصديقون نفسي نفسي فبينما هم كذلك اذ زفرت النار زفرتها الثانية فعاد
خوفهم وتضاعف فزعهم وظنوا انهم ماخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقطت الخلائق لوجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف
خاشع خفي وانصدعت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت لدى الحناجر وذهلت العقول من السعداء والاشقياء اجمعين وبعد ذلك يقبل الله

على الرسل فيقول ماذا اجبتم فاذا راوا ما اتهم من المسائلة على الانبيا اشتد الفزع على العصاة فيفر الوالد من ولده والاخ من
اخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظر الامره ثم يوخذ واحد واحد فيسله الله شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته
وعن جميع جوارحه واعضايه قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال هل تضامون في روية الشمس والقمر في
الظهيرة ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تضامون في القمر ليلة البدر وليس دونه سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضامون
روية ربكم فيلقى العبد فيقول الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وترتع فيقول العبد نعم فيقول
افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اني انساك كما نسيتني ثم هم نفسك يا مسكين وقد اخذت الملايكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله
عز وجل يسلك شفاها فيقول الم انعم عليك بالشباب ففيما ابليته الم امهل لك في العمر ففيما افنيته الم ارزقك المال فمن اين اكتسبته
وفيما انفقته الم اكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت فلعن ترى حالك وخجلتك وهو يعد عليك انعامه ومعاصيك واياديه ومساويك
فان انكرت شهدت عليك جوارحك قال انس كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال اتدرون مم ضحكت قلنا الله ورسوله اعلم
قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرني من الظلم قال بلى فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاعضايه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا
فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من الافتضاح على ملا الخلق بشهادة الاعضا الا ان الله تعالى وعد المومن ان يستر عليه ولا يطلع عليه
غيره سأل ابن عمر رجل كيف سمعت النجوى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال صلى الله عليه وسلم يدنو احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول
عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله
صلى الله عليه من ستر على مومن عورته ستر الله عورته يوم القيمة وهذا انما يرجوه عبد مومن يستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه
تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساوي الناس ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهو جدير بان يجازى بمثله في القيامة وهب انه قد
ستر عن غيرك اليس قد قرع سمعك الندا الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ يوخذ بناصيتك فتقاد وفوادك مضطرب ولبك
طاير وفرايصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك وانت بهذه الصفة تتخطى
الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلايق ابصارهم اليك فتوهم نفسك في ايدي الموكلين بك على هذه الصفة
حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من ايديهم وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه يا ابن ادم ادن مني فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل وطرف
خاشع ذليل وفواد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة
غفلت عن افاتها فانكشفت لك عن مساويها فكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وعي وليت شعري باي قدم تقف بين يديه وباي لسان
تجيب وباي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظيم حيايك اذ يذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي اما استحييت مني فبارزتني بالقبيح و
استحييت من خلقي فاظهرت لهم الجميل اكنت اهون عليك من سائر عبادي استخففت بنظري اليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري الم
انعم عليك فماذا غرك بي اظننت اني لا اراك واني لا القاك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ويسأله رب العالمين
ليس بينه وبينه حجاب فيقول الم انعم عليك الم اوتك مالا فيقول بلى فيقول الم ارسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر
عن شماله فلا يرى الا النار فليتق احدكم النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز
وجل به كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن ادم ما عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين يا ابن
ادم الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر بها الى ما لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنيك وهكذا حتى عد سائر الاعضا وقال مجاهد لا تزول
قدما عبد يوم القيمة بين يدي الله عز وجل حتى يسال عن اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن علمه ما عمل به وعن جسده فيما ابلاه وعن
ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه فاعظم يا مسكين بحيايك عند ذلك وبخطرك فانك بين ان يقال لك سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها
لك اليوم فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الاولون والاخرون واما ان يقال خذوا هذا العبد السو فغلوه ثم الجحيم
صلوه وعند ذلك لو بكت عليك السموات والارض لكان ذلك جديرا لعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى
ما بعت به اخرتك من دنيا دنية لم تبق معك

صفة الميزان

ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب الى
الشمايل والايمان فان الناس بعد السوال ثلث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق اسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوي
عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم اخر لا سيئة لهم فينادى مناد ليقم
الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيع عن

(في الحاشية: وقال ثم ليقفن احدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب)

ذكر الله تعالى وينادى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقد يخفى عليهم
ولا يخفى على الله ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم ولكن يابى الله تعالى الا ان يعرفهم حقيقة ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب
فتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيات وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب اتقع في اليمين او في الشمال ثم الى
لسان الميزان اتميل الى جانب السيات ام الى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلايق روى الحسن ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان راسه في حجر عايشة فنعس فذكرت الاخرة فبكت حتى سالت دموعها على خد النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عايشة
قالت ذكرت الاخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيمة قال والذي نفسي بيده في ثلث مواطن فان احدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين
ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن ادم ايخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف حتى ينظر ابيمينه ياخذ ام بشماله وعند الصراط وعن انس قال
يوتى بابن ادم يوم القيمة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلايق سعد فلان سعادة
لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلايق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وعند خفة الحسنات تقبل
الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فياخذون نصيب النار الى النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيمة
انه يوم ينادي الله تعالى فيه ادم فيقول له قم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل الف تسع مائة وتسعة وتسعون في النار وواحد
في الجنة فلما سمعوا الصحابة ذلك ابلسوا حتى ما اوضحوا بضاحكة فلما راى النبي صلى الله عليه الذي عند اصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذي
نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع احد قط الا كثرتاه مع من هلك من بني ادم وبني ابليس فقالوا ومن هما يا نبي الله قال ياجوج وما
جوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس يوم القيمة الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة
في ذراع الدابة

صفة الخصما ورد المظالم

لقد عرفت هول الميزان وخطره وان العيون شاخصة الى لسان الميزان
فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية وما ادريك ما هيه نار حامية واعلم انه لا ينجو من
خطر الحساب والميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال
عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب من كل معصية توبة نصوحا ويتدارك
ما فرط من تقصير في فرايض الله تعالى ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم
حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم احاطت به خصماوه فهذا ياخذ
بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلببه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزات بي وهذا يقول ذكرتني
في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فاسات جواري وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني واخفيت عني
عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت
قادرا على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني فبينا انت كذلك وقد انشب الخصما فيك مخاليبهم واحكموا في تلابيبك ايديهم
وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق احد عاملته في عمرك على درهم او جالسته في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة او
خيانة او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجا الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من ايديهم اذ
قرع سمعك ندا الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما
انذرك الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار
مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافيدتهم هوا فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك اموالهم
وما اشد حسراتك في ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر
على ان ترد حقا او تظهر عذرا فعند ذلك توخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمايك عوضا عن حقوقهم قال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قلنا المفلس يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع قال المفلس من امتي من ياتي يوم
القيمة بصلوة وصيام وزكوة وياتي وقد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته
وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك
في مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة من افات الريا ومكايد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها
خصماوك واخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عليك يوم
الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي حسناتك فكيف بقية السيات من اكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات

(في الحاشية: فقالوا المفلس)

وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فعن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه راى شاتين تنتطحان فقال يا
ابا ذر اتدري فيم تنتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيمة وقال ابو هريرة في قوله عز وجل وما من دابة في الارض
ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيمة البهايم والدواب والطير وكل شي فيبلغ من عدل الله تعالى ان
ياخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف انت يا مسكين يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات
طال فيها تعبك فتقول اين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمايك وترى صحيفتك مشحونة بسيات طال في الصبر عنها نصبك و
اشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيات ما قارفتها قط فيقال هذه سيات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم
وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخالطة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وساير اصناف المعاملة قال
ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك
بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجي يوم القيمة بامثال الجبال من الطاعات فيرى انهن سينجينه فما
يزال عبد يجي فيقول يا رب ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيا وان مثل ذلك مثل
سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم فاحتطبوا فلم يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك
الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير اتكرر علينا ما كان بيننا في
الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى يؤدوا الى كل ذي حق حقه فقال الزبير والله ان الامر لشديد فاعظم بشدة يوم لا
يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يحشر الله العباد عراة غرلا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شي ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك
الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولا لاحد من اهل النار ان يدخل النار ولاحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى اقصه
حتى اللطمة قلنا وكيف وانما ناتي عراة غرلا بهما فقال بالحسنات والسيات فاتقوا الله عباد الله مظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض
لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد ومن الله خاصة فالمغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت عليه مظالم
وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم فليكثر من الحسنات ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال
الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله زلفى فينال به لطفه الذي ادخره لاحبابه المومنين في دفع مظالم
العباد عنهم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه جالس اذ رايناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر
ما اضحكك يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان جثيا من امتي بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال
الله تعالى اعط اخاك مظلمته فيقول يا رب لم يبق من حسناتي شي قال يا رب فليحمل عني من اوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فقال الله تعالى للطالب ارفع راسك فانظر في
الجنان فرفع راسه فقال يا رب ارى مداين من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللولو لاي نبي هذا او لاي صديق او لاي
شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال وما هو قال عفوك عن اخيك قال يا رب اني قد عفوت
عنه فقال الله تعالى خذ بيد اخيك وادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح
بين المومنين وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله وهو اصلاح ذات البين وساير الاخلاق فتفكر الان في نفسك
ان خلت صحيفتك عن المظالم او تلطف لك حتى عفي عنك وايقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضا وقد خلع
عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاوة وبنعيم لا يدور بحواشيه الفنا وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا
وابيض وجهك واستنار واشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلايق رافعا راسك خاليا من الاوزار ظهرك ونضرة
النعيم وبرد الرضا يتلالا من جبينك وخلق الاولين والاخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك على حسنك وجمالك والملايكة
يمشون بين يديك وينادون على رؤوس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وارضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها
ابدا افترى ان هذا المنصب ليس باعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريايك ومداهنتك وتصنعك وتزينك
فان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع
الله تعالى فلن يدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ بالله بان خرجت من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيم
فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملايكة

لغضب الله فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلايق اجمعين وعند ذلك تتناولك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت
عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة فاخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملا الخلايق وهم ينظرون الى سواد وجهك والى
ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وتنادي الملايكة ويقولون هذا
فلان بن فلان كشف الله عن فضايحه ومخازيه ولعنه بقبايح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خفية
من عباد الله او طلبا للمكانة في قلوبهم او خوفا من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك اذ تحترز عن الافتضاح عند طايفة يسيرة من عباد الله
في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملا العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق بايدي الزبانية
الى سواء الجحيم فهذه احوالك وانت لم تشعر بالخطر الاعظم وهو خطر الصراط

صفة الصراط

ثم تفكر بعد
هذه الاهوال في قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم
انهم مسؤولون والناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار احد من السيف وادق من الشعر فمن استقام
في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الاخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر في اول قدم
من الصراط وتردى فتفكر الان فيما يحل بك من الفزع بفوادك اذا رايت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك
شهيق النار وتغيظها وقد كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة
لك على المشي على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع
القدم الثاني والخلايق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون
فتسفل الى جهة النار رؤوسهم وتعلوا ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك
وانت تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون في النار والرسول عليه السلام
يقول يا رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلايق فكيف بك لو زلت
قدمك ولم ينفعك ندمك وقلت يا ويلاه هذا ما كنت اخافه فيا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم
اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليت امي لم تلدني وعند ذلك تختطفك النيران
والعياذ بالله وينادي المنادي اخسؤوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى
الان عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مومن به فما اطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مومنا وعنه غافلا
وبالاستعداد له متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله بطاعته
وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز فان سلمت فناهيك به هولا وفزعا
ورعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون اول من يجيز من الرسل ولا يتكلم يومئذ
الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رايتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله
قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تختطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم
ينجو وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف
تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملايكة يقولون اللهم سلم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح
ومنهم من يمر كالفرس ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار
الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيوخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يوذن في الشفاعة وذكر الحديث
وعن ابن مسعود انه قال يجمع الله الاولين والاخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء ينتظرون
فصل القضا وذكر الحديث الى سجود المومنين قال ثم يقول ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم
فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نورا اصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم
من يعطى اصغر من ذلك حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه يضي مرة ويطفى مرة فاذا اضا قدم قدمه فمشى واذا طفي
قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم كانقضاض
الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه
ويديه ورجليه تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها

ثم قال الحمد لله لقد اعطاني الله ما لم يعط احدا اذا انجاني منها بعد اذ رايتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل
وقال انس بن مالك سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف او كحد الشعرة وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات
وان جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي واني لاقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير فهذه اهوال الصراط وعظائمه فطول
فيها فكرك وان اسلم الناس من اهوال يوم القيامة من طال فيها فكره في الدنيا فان الله لا يجمع على عبد بين خوفين فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا
امنها في الاخرة ولست اعني بالخوف رقة كرقة النساء وتدمع عينك ويرق قلبك في حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك ولعبك
فما ذلك من الخوف في شيء لان من خاف من شيء هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك عن معاصي الله ويحثك على طاعته وابعد
من رقة النساء خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبقت الى السنتهم الاستعاذة وقالوا استعنا بالله نعوذ بالله سلم سلم وهم مع ذلك مصرون
على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن فاذا راى
انياب السبع من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين بشدة بنيانه واحكام اركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في
مكانه فانى يغني ذلك عن السبع وكذلك اهوال الاخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون له مقصود
سوى الله ولا معبود سواه ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد عن الصدق في توحيده وامره مخطر في نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن
محبا لرسول الله حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من امته ومتبركا بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته او
شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة

صفة الشفاعة

اعلم انه اذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين
فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة
فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحقر ادميا
فان الله خبا ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية اصلا فان الله خبا غضبه في معاصيه فلعل
مقت الله فيه ولا تستحقر طاعة اصلا فان الله خبا رضاه في طاعته فلعل رضاه ولو في الكلمة الطيبة واللقمة او النية الحسنة
وما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القران والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ● وروى عمرو بن العاص ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعالى اخبارا عن ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك ثم رفع يديه وقال امتي امتي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب
الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك ● وقال صلى الله عليه اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت
لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واعطيت الشفاعة وكل نبي تراجم
بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ● وقال صلى الله عليه اذا كان يوم القيامة كنت امام الناس وخطيبهم وصاحب شفاعتهم
من غير فخر ● وقال صلى الله عليه انا سيد ولد ادم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع ومشفع بيدي لواء
الحمد تحتي ادم فمن دونه وقال صلى الله عليه لكل نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وقال ابن
عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانبياء منابر من ذهب يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا
مخافة ان يبعث بي الى الجنة وتبقى امتي بعدي فاقول يا رب امتي فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل
حسابهم فما ازال اشفع حتى اعطى صكوكا برجال قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت
للنار لغضب ربك في امتك من بقية ● وقال صلى الله عليه اني لاشفع يوم القيامة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر ● وقال
ابو هريرة اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكان تعجبه فنهس منه نهسة ثم قال انا سيد الناس يوم القيامة
وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الناس الاولين والاخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس
فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع
لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بادم عليه السلام فياتون ادم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ
فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم ادم ان ربي قد
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى نوح فياتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه قد كانت لي دعوة

دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم خليل الرحمن فياتون ابراهيم عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل
الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني قد كنت كذبت
ثلاث كذبات ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى عليه السلام فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك برسالته وبكلامه
على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا اذهبوا
الى غيري اذهبوا الى عيسى فياتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اشفع لنا الى
ربك الا ترى ما نحن فيه فانطلق فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد
قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك وسل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول امتي امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من
لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين
من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير او كما بين مكة وبصرى ● وفي حديث اخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابراهيم وهو
قوله في الكواكب هذا ربي وقوله لالهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحاد امته
من العلماء والصالحين شفاعة ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر
وقال صلى الله عليه يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله
وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيامة على اهل النار فيناديه رجل من اهل
النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما اعرفك من انت فيقول انا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة ماء
فسقيتك فاشفع لي عند ربك فيشفع فيه فيشفعه فيه فيؤمر به فيخرج من النار ● وعن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وانا
اكرم ولد ادم ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من
الخلائق يقوم ذلك المقام غيري ● وقال ابن عباس جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه حتى اذا
دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا
وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج
عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روحه
وكلمته وهو كذلك وادم صفي الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين
ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر

صفة الحوض

اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة
خص الله بها نبينا عليه السلام وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجو ان يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الاخرة
ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظما ابدا قال انس اغفى رسول الله صلى الله عليه اغفاءة فرفع راسه متبسما
فقالوا يا رسول الله لم ضحكت فقال انه انزلت علي انفا سورة وقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال
هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه
امتي يوم القيامة انيته عدد الكواكب وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا اسير في الجنة اذا انا بنهر
حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل فقال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك
اذفر ● وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لامتي حوض مثل ما بين المدينة وصنعاء او مثل ما بين المدينة وعمان
وروى ابن عمر انه لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب
شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب ريحا من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان ● وقال ثوبان
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا
من اللبن واحلى من العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه

فقراء المهاجرين فقال عمر ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد
فقال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي أبواب السدد إلا أن يرحمني الله لا جرم لا أدهن رأسي
حتى يشعث ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ ● وعن أبي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفس محمد بيده
لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه
مثل طوله ما بين عمان وأيلة ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي حوضا وإنهم
يتباهون أيهم أكثر واردة وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد أن يكون في جملة
الواردين وليحذر أن يكون متمنيا ومغترا وهو يظن أنه راج فإن الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل
الله بالإنبات ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد ● فأما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله
تعالى أن ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين في شيء وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور
والغفلة فإن الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

القول في صفة جهنم وأهوالها وأنكالها

أيها الغافل عن نفسه المغرور بما أنت فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما أنت مرتحل
عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قال تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي
الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فأنت من الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد
فعساك تستعد للنجاة بالتشمير لأعمالها وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبينما هم في كربها وأهوالها
واقفين ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا
وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب
وخرج المنادي من الزبانية قائلا أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من
حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق إنك أنت
العزيز الكريم ● فأسكنوا دارا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها
الحميم ومستقرهم الجحيم ● الزبانية تقمعهم ● والهاوية تجمعهم ● أمانيهم فيها الهلاك ● وما لهم منها فكاك ● قد شدت أقدامهم
إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ● ينادون من أكنافها ● ويصيحون في نواحيها وأطرافها ● يا مالك قد حق علينا
الوعيد ● يا مالك قد أثقلنا الحديد ● يا مالك قد نضجت منا الجلود ● يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود ● فتقول الزبانية هيهات لات
حين أمان ● ولا خروج لكم من دار الهوان ● فاخسئوا فيها ولا تكلمون ● ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه عائدون ● فعند ذلك يقنطون
وعلى ما فرطوا في جنب الله يأسفون ● ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكبون على وجوههم ● مغلولين النار من فوقهم والنار
من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات
النيران ● وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون
بين غواشيها ● تغلي بهم النار كغلي القدور ● ويهتفون بالويل والثبور ● ومهما دعوا بالويل والثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم
يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتتقطع من
العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف شعورها بل جلودها وكلما
نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ● وقد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش
في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سوادا من الحميم
وأعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت وكسرت عظامهم ● وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم إلى أعناقهم
وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ● ويطئون حسك الحديد بأحداقهم فلهيب النار سار في بواطن
أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذه جملة أحوالهم ● فانظر الآن في تفصيل أهوالهم و
تفكر أيضا في أودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل
شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله ● وقال علي رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قيل يا رسول الله وما وادي الحزن قال وادي

في جهنم تتعوذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا
وشهواتها وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن إلى عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب
أعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال صلى الله
عليه أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن حين انتهى إلى قعرها ثم انظر إلى تفاوت
الدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا كما أن إكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها إلى
حد محدود وكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة ولا يترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل
واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه إلا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن من خفف عليه
واعتبر به من شدد عليه ومهما شككت في شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم أنك أخطأت في القياس
فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه
النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها
أهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة
حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة ● وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار إلى ربها فقالت أكل بعضي بعضا فأذن لها
بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف أشار به إلى حر الشمس وزمهرير الشتاء من نفسيها ● وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس في الدنيا
من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس ضرا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل
رأيت ضرا قط فيقول لا ● وقال أبو هريرة لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا ● وقال بعض العلماء في قوله تلفح وجوههم
النار إنها لفحتهم لفحة فما أبقت لحما على عظم إلا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من أبدانهم حتى يغرقون
فيه وهو الغساق قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن دلوا من غساق جهنم ألقي في الدنيا لأنتن أهل الأرض فهذا
شرابهم إذا استغاثوا من العطش يسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب
غليظ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى
ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال أيضا
إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية
وقال إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ● وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم
قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ذلك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما
رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله من عذابه وعقابه ومن جهنم فإنه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها لطيبتها
لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في الدنيا التي أنتم فيها لخبثتها عليكم وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا
يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم
فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيقولون ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون
أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك
ليقض علينا ربك فيجيبهم إنكم ماكثون قال الأعمش أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد
خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال فيجيبهم اخسئوا
فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل ● وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب إليه فيتكرهه فإذا دنا منه شوى وجهه ووقعت
فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال وإن يستغيثوا يغاثوا
بماء كالمهل يشوي الوجوه فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها

وعظم اجسامها وفظاعة منظرها وقد سلطت على اهلها وحرشت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا ولم يؤد زكوته مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم
ياخذ بلهزمتيه يعني اشداقه فيقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الاية قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان في النار حيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وان فيها العقارب كالبغال الموكفة يلسعن
اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وهذه العقارب والحيات انما تسلط على من سلطه الله عليه البخل في الدنيا وسوء الخلق وايذا الناس
ومن فوق ذلك وفي هذه الحيات لما تمثل له ثم تذكر بعد هذا كله في تعظيم اجسام اهل النار فان الله يزيد في اجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد
عذابهم بسببه فيحسون لفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع اجزائها دفعة واحدة على التوالي قال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته
السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال صلى الله عليه ان الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيمة يتواطاه الناس
ومع عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تاكلهم
النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تذكر الان في بكا اهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل
والثبور فان ذلك يسلط عليهم في اول القائهم النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يوميذ لها سبعون الف زمام مع كل
زمام سبعون الف ملك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على اهل النار البكا فيبكون حتى ينقطع الدموع ثم يبكون
الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكا والشهيق والزفير والدعوة بالويل
والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون ايضا من ذلك قال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربعة فاذا كانت
الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا فيقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم
ذلك بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم
الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا
ظالمون فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب قال [illegible] في قوله
تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال صبروا مائة سنة فهابسط من العبقري الاخضر ومتكئين على الارائك مضروبة على
اطرافها [illegible] والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان [illegible] في درجات الجنان [illegible] الولدان عليها [illegible]
الحرير الابيض [illegible] مكللات التيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان [illegible] امنات من الموت والبؤس
مقصورات في قصور من الياقوت [illegible] قاصرات الطرف عين [illegible] باكواب واباريق
وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون ويطوف عليهم ولدان كانهم اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام امين في جنات وعيون
وجنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الله الكريم وقد اشرقت وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم
قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وهم عن ريب المنون امنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبنا وخمرا وعسلا [illegible]
[illegible]

ينظرون ويتألون بالنظر الى اللذة ما لا ينظرون معه الى نار بنعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام من اصناف هذه النعيم يترددون
ومن زوال هذه النعيم آمنون قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد ان لكم ان تصحوا ولا تسقموا ابدا وان
لكم ان تحيوا ولا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا ولا تبأسوا ابدا فذلك قوله تعالى ونودوا ان
تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرا القرآن فليس وراء بيان الله بيان واقرا من قوله ولمن خاف
مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرا سورة الواقعة وغيرها من السور وان اردت ان تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتامل
الآن تفصيلها بعد ان اطلعت على جملها وتامل اولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء
الكبريا على وجهه في جنات عدن ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي
قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان من
اهل الصلوة دعي من باب الصلوة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن
كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال ابو بكر رضي الله عنه والله ما على احد من ضرورة من ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها قال
نعم وارجو ان تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه انه ذكر النار فعظم امرها ذكرا لا احفظه ثم قال وسيق الذين
اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احديهما
كانما امروا به فشربوا منها فاذهبت ما في بطونهم من اذى او باس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير
اشعارهم بعدها ابدا ولا تشعث رؤسهم كانما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون ابشر بما اعد الله لك من
الكرامة كذا قال ثم ينطلق غلام من اولئك الولدان الى بعض ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في
الدنيا فتقول انت رايته فيقول انا رايته وهو بأثري فيستخف احداهن الفرح حتى تقوم على اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس
بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون ثم يرفع راسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق فلولا ان الله تعالى
قدره لالم ان يذهب بصره ثم يطاطي راسه فاذا ازواجه واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكوا فقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون ابدا ● وقال صلى الله عليه وسلم آتي يوم القيمة باب الجنة
فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك تامل الآن غرف الجنة واختلاف درجة العلو فيها
فان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما
يجازون به تفاوت ظاهر ولو كنت تطلب اعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله تعالى فقد امرك الله تعالى بالمسابقة
والمنافسة فيها فقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك او جيرانك
بزيادة نعيم درهم او بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به ذرعك وتنغص بسبب الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر في الجنة
وانت لا تسلم فيها من اقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله
تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ● وقال ايضا ان اهل الدرجات العلى
ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق من آفاق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما ● وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا احدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله بابينا انت وامنا قال ان في الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها
وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت قال قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن
افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال امتي تطيق ذلك وسأخبركم عن
ذلك من لقي اخاه فسلم او رد عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر رمضان
ومن كل شهر ثلثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى
والمجوس وسئل صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من ياقوت
احمر في كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور

العين في كل بيت سبعون خوانا في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة من القوة ما يأتي على ذلك أجمع

صفة حائط الجنة وأرضها وأشجارها وأنهارها

تأمل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرم عنها لقناعته بالدنيا عوضا عنها قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم إن حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ترابها زعفران وطينها مسك وسئل عليه السلام عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يسقيه الله تعالى الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الجنة فليتركه في الدنيا أنهار الجنة تتفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت حليته بحلية أهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعا • وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرؤوا إن شئتم وظل ممدود • وقال أبو أمامة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إن الله ينفعنا بالأعراب ومسائلهم أقبل أعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال عليه السلام ما هي قال هي السدر فإن لها شوكا فقال قال الله تعالى في سدر مخضود يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تتفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه الآخر وقال جرير بن عبد الله نزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فأظله فلما استيقظ فإذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لا أدري قال ظلم الناس بينهم ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قلت يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر قال أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر

صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم

قال الله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير والآيات في تفصيل ذلك كثيرة وإنما تفصيله في الأخبار فقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه قال من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا يبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • وقال رجل يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقا أم تنسج نسجا فسكت صلى الله عليه وضحك بعض القوم فقال صلى الله عليه مم تضحكون من جاهل سأل عالما ثم قال صلى الله عليه بل تتشقق عنها ثمر الجنة مرتين • وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون فيها آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا • وفي رواية على كل زوجة سبعون حلة • وقال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يحلون فيها من أساور من ذهب قال إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها لتضيء ما بين المشرق والمغرب • وقال صلى الله عليه الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراه الآخرون رواه البخاري في الصحيح وقال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب • وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض

صفة طعام أهل الجنة

بيان طعام أهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه والطيور والسمان والمن والسلوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لا تحصى قال تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة • وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه حبر من أحبار اليهود فذكر له أسولة إلى أن قال فمن أول الناس إجازة يعني على الصراط فقال فقراء المهاجرين فقال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على إثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا فقال صدقت • وقال زيد بن أرقم جاء رجل من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون وقال لأصحابه إن أقر لي بها خصمته فقال عليه السلام بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد ضمر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا • وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة طيرا أمثال البخاتي فقال أبو بكر إنها لناعمة يا رسول الله فقال أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر • وقال عبد الله بن عمرو في قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال يطاف بسبعين صحفة من ذهب

كل

كل صحفة فيها لون ليس في الأخرى • وقال عبد الله بن مسعود ومزاجه من تسنيم قال يمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا وقال أبو الدرداء في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها

صفة الحور العين والولدان

قد تكررت في القرآن أوصافهن ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه روى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها يعني الخمار • وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان قال ينظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وإنه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك • وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي دخلت الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذن ربهن في السلام عليك فأذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن الخالدات فلا نظعن أبدا وقرأ صلى الله عليه قوله تعالى حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد في قوله تعالى أزواج مطهرة قال من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمني والولد • وقال الأوزاعي في شغل فاكهون أي شغلهم افتضاض الأبكار • وقال رجل يا رسول الله أيباضع أهل الجنة فقال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم • وقال عبد الله بن عمر إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى معه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا وقال صلى الله عليه إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وإن فيها لمجمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحور في الجنة يتغنين تقلن نحن الحور الحسان خبئنا لأزواج كرام قال أبو أمامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه بأحسن صوت يسمعه الجن والإنس وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه

بيان جمل متفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار

روى أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ألا مشمر للجنة إن الجنة لا خطر لها وهي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام أبدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا إن شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل في الجنة خيل فإنها تعجبني فهل في الجنة من إبل فقال يا عبد الله إن دخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله ونشأته في ساعة واحدة • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الإخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في الدنيا فيقول يا أخي أتذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله تعالى فغفر لنا • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع • وقال رسول الله صلى الله عليه أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء وإن عليهم التيجان وأدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب • وقال صلى الله عليه وسلم نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب وإذا طيرها كالبخت وإذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن أنت قالت لزيد بن حارثة وإذا في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال كعب خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري جملتها فقال إن رمانها مثل الدلاء وإن أنهارها من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وأنهار من خمر لذة للشاربين لا تسفه الأحلام ولا تصدع منها الرؤوس وإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمون أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحل جرد مرد قد أمنوا العذاب واطمأنت بهم الدار وإن أنهارها لتجري على رضراض من ياقوت

در بيضاء وان عروقها وغصونها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها الا الله تعالى وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وان لهم فيها خيلا وابلا هفافة رحالها وازمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون بها وازواجهم الحور العين كانهن بيض مكنون وان المراة لتاخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء السبعين حلة قد طهر الله الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه ليس ليل يكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو وان اخر من يدخل الجنة وادناهم منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليهم بسبعين الف صحيفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحيفة لون ليس في الاخرى يجد طعم اخره كما يجد طعم اوله وان له في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه ● قال وافضلهم الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي قال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ ● وقال ابو هريرة ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى عن يمينها وشمالها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر ● وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الاخرة اشد وترك الدنيا مهر الاخرة ● وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الاخرة عز النفوس فواعجبا لمن يختار الذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى

صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تعالى

قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة قال جرير بن عبد الله كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وهو مخرج في الصحيحين ● وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هذا الموعد الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله تعالى فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من النعيم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى فلا نسبة لشيء من لذات الجنة الى لذة اللقاء وقد اوجزنا الكلام ها هنا لما فصلناه في كتاب المحبة والشوق ولا ينبغي ان يكون نصيب العبد من الجنة شيء سوى لقاء المولى فاما سائر نعيم اهل الجنة فانه تشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى

تم الكتاب باب سعة رحمة الله على سبيل التفاؤل به

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الفال وليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم ونرجو ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والاخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى ● وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ● وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ● وقال تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله من كل ما زلت به القدم او طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا توافقها اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدنا به من انفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان وتقصير كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان يكرمنا بالرحمة والمغفرة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا فالكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلق فائض ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والهوام والبهائم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ● ويروى انه اذا كان يوم القيمة اخرج الله كتابا من تحت العرش ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثلا اهل الجنة ● وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيمة ضاحكا

فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا او نصرانيا ● وقال صلى الله عليه وسلم يشفع الله آدم يوم القيمة في جميع ذريته في مائة الف الف وعشرة الاف الف ● وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيمة للمؤمنين هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول ولم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي ● وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله يوم القيمة اخرجوا من النار من ذكرني يوما او خافني في مقام ● وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله معهم من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى عنكم اسلامكم اذ انتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله ما قالوا فيامر باخراج من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون فلما راى الكفار ذلك قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ● وقال صلى الله عليه وسلم الله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها ● وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيمة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيمة فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله عليه السلام لمن اوبق نفسه واثقل ظهره ● ويروى ان الله تعالى قال لموسى يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه ● وقال سعيد بن بلال يؤمر يوم القيمة باخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى ذلك بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويامر بردهما الى النار فيعدو احدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الاخر فيؤمر بردهما ويسالهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد خبرت من وبال المعصية ما لم اكن اتعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني ان لا تردني اليها بعدما اخرجتني منها فيامر بهما الى الجنة ● وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من تحت العرش يوم القيمة يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي ● ويروى ان اعرابيا سمع ابن عباس يقرا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال والله ما انقذكم منها وهو يريد ان يوقعكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه ● وقال الصنابحي دخلت على عبادة ابن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار ● وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيمة فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم قال اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع الله شيء ● وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخر حديث طويل يصف فيه القيمة والصراط ان الله تعالى يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فقال ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما قال فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون فلم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر من انهار الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منه كما تخرج الحبة من حميل السيل الا ترونها تكون مما يلي الحجر والشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتم فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله تعالى لكم عندي افضل من هذا فيقولون يا ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ● وروى البخاري ايضا عن ابن عباس قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت على الامم يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي معه الرهط ورايت سوادا كثيرا فرجوت ان تكون امتي فقيل هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرايت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر اصحابه فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد امنا بالله ورسوله وهؤلاء ابناؤنا فبلغ ذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وهم على ربهم يتوكلون فقال عكاشة
ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام اخر فقال انا منهم يا رسول الله فقال سبقك بها عكاشة • وعن عمرو بن حزم
الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا لا يخرج الينا الا للصلوة المكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج
الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خيرا ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل الجنة
من امتي سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي في هذه الثلثة الايام المزيد فوجدت ربي واجدا ماجدا كريما فاعطاني كل
واحد من السبعين الفا سبعين الفا قال قلت يا رب وقد يبلغ امتي هذا قال اكمل لك العدد من الاعراب • وقال ابو ذر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة فقلت يا جبريل وان
سرق وان زنا قال نعم وان سرق وان زنى قلت وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى وشرب الخمر • وقال
ابو ذر قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال ولمن خاف
مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال الا
وان رغم انف ابي الدردا • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة دفع الى كل مومن رجل من اهل النار فقيل
هذا فداوك من النار • وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه النار يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلث
مرات ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له • وروي انه وقف صبي في بعض المغازي في يوم صايف شديد
الحر فصاح عليه في من يزيد فضرب به امه ونحا القوم فاقبلت تشتد واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي والصقته الى بطنها
ثم القت ظهرها على حر البطحا وجعلته على بطنها تقيه الحر فقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتهم ثم بشرهم فقال اعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال
فان الله تعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على اعظم السرور واعظم البشارة فهذه الاحاديث وما
اوردناه في كتاب الرجا يبشرنا بسعة رحمة الله فنرجو من الله تعالى ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله بمنه
وسعة جوده والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب • وبه تم الكتاب • ولله الحمد والمنة • وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم تسليما • وكان الفراغ من كتابته في خامس عشر شهر رمضان
المعظم قدره سنة سبعين وثمانمية على يد كاتبه العبد الفقير
الفاني محمد سليم الحسباني الشافعي غفر الله له ولمالكه
ولمن نظر فيه ولمن قراه ولجميع المسلمين
وحسبنا الله تعالى ونعم
الوكيل ولا حول ولا
قوة الا بالله
العلي
العظيم